

الواضح في التفسير

محمد خير رمضان يوسف

الطبعة الثانية

مزيدة، مصححة، منقحة

الواضح في التفسير

محمد خير رمضان يوسف

النشرة الثانية

مزيدة، مصححة، منقحة

1446 هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُنْزِلِ الْقُرْآنِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ خُلِقَ الْقُرْآنُ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ عَلَّمُوا الْقُرْآنَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ أُمَّةِ الْقُرْآنِ.

وبعد:

فإنَّ القرآنَ الكريمَ كتابٌ هدايةٍ وأحكام، وسلوكٍ وعقيدة، ووعظٍ وقصص، ووصايا وعبر، وبشاراتٍ ونذر... أنزله اللهُ ختامًا للكتبِ السماوية؛ ليكونَ مرجعًا للناسِ، ودستورًا لهم في شؤونِ الحياة، مادامتْ هناك حياةٌ.

ومعَ عظمةِ القرآن، وجلالةِ قدره، وسموِّ أحكامه، فإنَّ كثيرًا من النَّاسِ قدَ أعرضوا عنه. وكانتِ الهجمةُ قويةً ومُخطَّطًا لها من قِبَلِ أعداءِ الإسلام؛ لإبعادِ مصدرِ القوَّة عندَ المسلمين من ساحةِ الحياة، فكانَ ما كان، واللهُ المسؤولُ أن يجمَعنا تحتَ رايةِ الحقِّ، ويُعزِّنا بدينه، وينصِّرنا على القومِ الكافرين؛ ليعودَ القرآنُ سيِّدَ الأحكام، وعلمًا يعلو في كلِّ مكان، لا يُعلَى عليه قانونٌ ولا نظام.

وهو كلامُ اللهِ المعجز، الَّذي لا يُقدِّرُ أحدٌ على أن يأتيَ بمثلهِ أو جزءٍ منه، وصَلَّ إلينا بالتواتر؛ فنقله جَمْعٌ غفيرٌ عن جَمْعٍ كبير، تُحيلُ العادةُ توافُقَهُم على الكذب، وصَلنا من خلالِ الصدورِ والسُّطور، كما أنزلَ على مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد تكفلَ اللهُ بحفظه دونَ الكتبِ السابقة؛ فقال عزَّ من قائلٍ: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر:9].

وله علومٌ كثيرة، درَسها العلماءُ وأفردوا كثيرًا منها بالتصنيف؛ كأسبابِ النزول، والمناسباتِ بينَ الآيات، والتفسير، والوجودِ والنظائر، والمُحكِّمِ والمُتشابهِ، والمكيِّ والمدنيِّ، والغريب، والأحكام، والقراءات، والتَّجويد، والنحو والإعراب، والخطُّ، والتدوين، والفضائل، وآدابِ التلاوة، والأمثال، والقصاص، والناسخِ والمنسوخ، والإعجازِ بأنواعه... وغيرها.

وتفسيرُ القرآنِ الكريمِ مرغوبٌ فيه ومندوبٌ إليه؛ يقولُ اللهُ تبارك وتعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص:29].

ويقول سبحانه: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ} [النساء: 82].

ولا يكون هناك تدبُّرٌ للآياتِ إلا من خلال فهمها، ولا يفهمونها إلا بعد إيضاح وبيان، وهو ما يُسمَّى (التفسير).

وقد ذمَّ الله أهل الكتاب لأنهم كتموا العلم ولم يُبينوه للناس؛ فقال جلَّ شأنه: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} [آل عمران: 87]. فلا نكون مثلهم، وإلا كان مصيرنا مصيرهم.

وقد سلك المفسرون طرائق شتى في تفسير القرآن، وهم يقولون - وصدقوا - إن أحسن طرقه أن يُفسر القرآن نفسه؛ فإنه يُصدِّق بعضه بعضاً، ثم بالسنة التي جاءت مُبيناً له، ثم بأقوال الصحابة؛ فإنهم تلامذة النبي ﷺ الذي نزل عليه القرآن وهو بين ظهرانيهم، ثم بأقوال التابعين الذين تلقوا كل هذا من الصحابة؛ فهم أدري بأقوالهم، وكانوا الأفضل بعدهم. وقد غلب على تفسير بعض المفسرين العلم الذي اشتغلوا به وبرزوا فيه، وفي كلِّها خيرٌ إن شاء الله.

كما صدرت تفاسير في هذا العصر، فيها اهتمامات وتخصُّصات جديدة لم تكن في السابق.

وقد دعوتُ الله أن يجعلني من المشتغلين بكتابه الكريم، بما يفتحُه عليَّ ويوفِّقني إليه، فقدَّر سبحانه أن يكون ذلك تفسيراً وتبياناً للقرآن، كما يراه القارئ، فهو منة من الله وفضل؛ فله الحمد وله الشكر.

وقد اجَّهتُ في كثير من كتاباتي إلى العامة من المسلمين، من ذوي الثقافات العادية، حتى لا يُفقدوا، وهم جمهور الأمة ووقوتها وعاطفتها، فلو أن كلَّ ذي تخصُّصٍ كتب في تخصُّصه بقلمه ومصطلحاته وتعقيداته لَمَا أفادهم، ولَمَا أقبلوا على ما يكتب، فكان إهمالهم إهمالاً لقاعدة عظيمة من المجتمع، لا تُدرِك نتائج أضراره إلا بعد حين، وهم - كما نرى الآن - يتجهون إلى كتابات ووسائل إعلامية ثلاثمُستواهم، وفيها ما فيها، فهرب الكثير منهم وفقدوا، أو كادوا.

ولذلك جاء هذا التفسير على نهج ما قلتُ، فأحببتُ أن أضعه بين يدي القارئ العادي، ليعطي المعنى والمفهوم لكل آية على حدة، وهو ما يُسمَّى بالمنهج التحليلي، بحيث يستطيع أن

يَسْتَوْعِبُ مَعْنَى الْآيَاتِ وَيَفْهَمُ دَلَالَاتَهَا، دُونَ تَفْصِيلٍ وَلَا إِجْزَاءٍ، مَعَ عِنَايَةٍ بِالْكَلِمَةِ، وَاهْتِمَامٍ
بِالتَّرْكِيبِ، وَزَادَ مِنَ الْبَيَانِ، تَسْمُو بِهِ لُغَةُ الْقَارِئِ وَثِقَاتُهُ.

وَقَدْ رَكَّزْتُ عَلَى الْجَانِبِ التَّعْبِيرِيِّ، الَّذِي يَرَسُّحُ الْمَعْنَى وَيَصِلُ إِلَى الْفِكْرِ وَالْقَلْبِ،
وَاسْتَحْدَمْتُ الْأَسْلُوبَ التَّرْبُويَّ وَالِدَّعْوِيَّ الْمُنَاسِبَ لِذَلِكَ.

وَلَمْ أَتَطَّرَقْ إِلَى جَوَانِبِ نَحْوِيَّةٍ وَبَلَاغِيَّةٍ وَكَلَامِيَّةٍ، وَكَثِيرٍ مِنْ تَفَاصِيلِ الْمَفْسَّرِينَ وَتَخْصُّصَاتِهِمْ،
وَلَا شَوَاهِدَ كَثِيرَةٍ وَلَا هَوَامِشَ؛ بَلْ أوردتُ التَّفْسِيرَ الْمُتَّصِلَ بِالآيَةِ الْكَرِيمَةِ مَبَاشَرَةً، دُونَ فَرَزِ الْعَرَبِ،
وَلَا الْإِشَارَةَ إِلَى مَا سِوَاهُ مِمَّا يَخْرُجُ مِنَ السِّيَاقِ. وَكَفَى بِهِ عِلْمًا وَفَائِدَةً، وَهُوَ مَا يَرِيدُ أَنْ يَعْرِفَهُ
الْقَارِئُ الْعَادِيَّ، أَوِ الْمَقْبِلُ عَلَى الْإِسْلَامِ، لِيَفْهَمَ مَا هُوَ الْقُرْآنُ، وَمَاذَا يُرِيدُ، وَمَاذَا تَعْنِي آيَاتُهُ
بِدَقَّةٍ؛ يَعْنِي: مَاذَا يَرِيدُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ هَذَا؟ فَكَانَ هَذَا "التَّفْسِيرَ الْوَاضِحَ"، الَّذِي
أَرَدْتُ أَنْ أُوسِّعَ مِنْ دَائِرَةِ الْمُسْتَفِيدِينَ مِنْهُ.

فَلَيْسَ الْمَقْصُودُ بِالْمُتَّقِفِ الْعَادِيَّ مَا يَتَّبَادِرُ إِلَى ذَهْنِ الْقَارِئِ وَحَدِّهِ؛ بَلْ هُوَ كُلُّ مَنْ لَمْ يَدْرُسِ
الْعُلُومَ الشَّرْعِيَّةَ؛ فَقَدْ يَكُونُ فِي أَعْلَى الدَّرَجَاتِ الْعِلْمِيَّةِ، وَحَاصِلًا عَلَى أَرْقَى الشَّهَادَاتِ
الْمُتَخَصِّصَةِ، لَكِنَّهَا فِي غَيْرِ الْإِسْلَامِ وَعِلْمِهِ، وَهُوَ بِهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَعْرِفَ عِلْمًا جَدِيدًا، أَوْ أَنْ
يَتَّوَسَّعَ فِيهِ مِنْ خِلَالِ مَعْرِفَةِ مَحْتَوَى الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.

وَهُوَ أَيْضًا لِمَنْ يَرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ مَضْمُونَهُ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ مِمَّنْ اهْتَدَى مِنْهُمْ إِلَى
الْإِسْلَامِ، سِوَاءَ كَانَ عَارِفًا بِالْعَرَبِيَّةِ، أَمْ تُرْجِمَ لَهُ.

فَالْأَمْرُ كُلُّهُ يَتَلَخَّصُ فِي أَنَّهُ تَفْسِيرٌ بَيِّنٌ وَاضِحٌ، يَفْهَمُهُ جَمِيعُ فِئَاتِ الْجَمْعِ، مُتَعَلِّمُهُمْ
وَمُتَخَصِّصُهُمْ، إِذَا أُرِيدَ الْمَعْنَى دُونَ التَّفْصِيلِ.

وَالَّذِي شَجَّعَنِي عَلَى الْإِقْدَامِ عَلَى تَفْسِيرِ كِتَابِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، هُوَ وَجُودُ تَفَاسِيرٍ جَلِيلَةٍ كَانَتْ
عَوْنًا لِي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ. وَقَدْ اعْتَمَدْتُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهَا، لَكِنَّ أَبْرَزَهَا وَأَهَمَّهَا: "تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ
الْعَظِيمِ" لِابْنِ كَثِيرٍ، وَفِيهِ أَوَّلُ نَظَرِي، وَمِنْهُ أَكْثَرُ اسْتِفَادَاتِي. وَ"مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ" لِلْبَغَوِيِّ، وَ"رُوحُ
الْمَعَانِي فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي" لِمُحَمَّدِ الْآلُوسِيِّ، وَ"فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ" لِسَيِّدِ
قُطْبٍ.

ثُمَّ تَأْتِي تَفَاسِيرُ أُخْرَى عَدِيدَةٌ.

وقد أنقل عباراتٍ للمفسرين كما هي، إذا وافقت الأسلوب، وكانت ملائمةً لنصِّ العبارة، فلمهم هو أن يُعطى البيانُ التامُّ باللفظِ المناسبِ والتَّركيبِ الملائمِ، وألاَّ يَقِفَ أمامَ ذلكَ عائقٌ. وقد أكتفي بما تدلُّ عليه الآيةُ أو أزيد، بحسبِ ما أراه مناسباً لما يتعلَّقُ بها، ومن أراد تفاصيلَ أكثر، فعليه بالتفسيرِ الكبيرة.

وقد أختارُ وجهًا أو أكثرَ في التفسيرِ، أو أضُمُّ معنيينِ متقاربينِ إليه إذا لم يتبين لي الأصحُّ في ذلك.

وما فسرتُ آيةً إلاَّ ورجعتُ إلى أكثرِ من تفسيرٍ لأعرفَ معناها، ولم أطمئنَّ إلى ما كتبتُ إلا إذا عرفتُ أنَّ الآيةَ قد وضحتُ للقارئِ، فإذا توقَّفَ المفسرون في شيءٍ ولم يُبينوه؛ فعلتُ ما فعلوا، وهو قليل. وإذا تضاربتُ أقوالهم في المتشابهاتِ وما إليها، أوردتُ نصَّ القرآن أو قريبًا منه؛ خوفًا ورهبةً. وهو قليلٌ كذلك.

واهتممتُ بالناسخِ والمنسوخِ منه، وأسبابِ النزولِ عندَ اللزومِ، وذكرتُ بعضًا من فضائلِ السُّورِ والآياتِ، وشيئًا من الإعجازِ العلميِّ. واستشهدتُ بأحاديثٍ، واقتصرتُ منها على الحسنِ والصَّحيحِ. وذكرتُ ما وقفتُ عليه ممَّا صحَّ من تفسيرِ رسولِ الله ﷺ ولم أتقصه، وهو قليل.

وقد جاءَ التفسيرُ على نسقِ الضميرِ الواردِ في الآياتِ؛ فهو أصدقُ وأقربُ إلى القلوبِ، وأكثرُ إيجاءً وتأثيرًا، وهو متنوعٌ في القرآنِ وليسَ على مثالٍ واحدٍ، ممَّا يُثيرُ الانتباهَ في النفسِ، ويُبعدُ المللَ؛ بل يزيده من المتابعةِ والتَّشويقِ.

ودعوتُ الله أن يَهْدِيَنِي وَيُسَدِّدَنِي كُلَّمَا جَلَسْتُ إِلَى تَفْسِيرِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَكُنْتُ أَعُوذُ بِهِ - سبحانه - مِنْ أَنْ أفسِّرَهُ عَلَى غَيْرِ مُرَادِهِ.

أدعوه تعالى أن يغفر لي زللي وتقصيري فيه، وأن يتقبله خالصًا لوجهه الكريم، ويضع له القبول، فهو منه وإليه، إنَّه سميعٌ عليم.

محمد خير يوسف

مقدمة الطبعة الثانية

الحمدُ لله على فضله وإحسانه، والصلاة والسلام على نبيِّه وآله، وبعد: فقد راجعتُ هذا التفسيرَ بعد سنواتٍ من تأليفه، وبعد مراجعةٍ تفاسيرٍ أخرى والاستدراكِ عليها؛ لمزيدِ العناية به وإتقانه، وإيضاحٍ أكثرَ لبعضِ الآياتِ والألفاظِ عند لزومه، أو تكملةِ جوانبِ منه، وتخليصه من بعضِ ما اعتراه من أخطاءٍ طباعية، أو سهوٍ في حركاتٍ إعرابية. وقد جعلتُ أمامَ ناظري نَهجًا ألتزمه، وهو أن يحتوي تفسيرُ كلِّ آيةٍ على معاني جميعِ الألفاظِ الواردةٍ فيها، وليس إعطاءً مفهومها وحده، ويدركُ القارئُ ذلك إذا نظرَ فيه. وربما لم يلتزم كثيرٌ من المفسرين هذا النهجَ في تفاسيرهم، ولذلك جاءَ النقصُ فيها. وكلُّ ما في القرآنِ يُنظرُ فيه، من ألفاظٍ وحروفٍ، ولا يُتركُ منه شيءٌ عند تفسيره. وهذا ما كان من شأنِ (الواضح في التفسير) بفضلِ الله.

ولم أُشرَ في مقدمة التفسير، في طبعته الأولى، إلى نهجي في أن يحتوي تفسيرُ كلِّ آيةٍ على معاني جميعِ ألفاظها، ربما لأني لم أكن متأكدًا من أن ذلك سيشملُ جميعَ الآياتِ.. ولذلك جاءَتْ هذه المراجعةُ لتأكيدِ هذا النهج، وخاصةً بعد الاستدراكِ عليه؛ لزيادةِ توضيحِ بعضِ الألفاظِ أو الآياتِ، أو لاختيارِ ألفاظٍ أخرى غيرِ الواردةِ في القرآنِ الكريم، والقليلُ منه كانَ بسببِ النسيان. مع توضيحاتٍ وملاحظاتٍ أخرى، وإضافةِ هوامشٍ لزيادةِ إيضاحِ ما غمضَ منها؛ ليستقيمَ النهجُ الذي ارتضيته في التفسيرِ ومجموعِ الاستدراكات، ومدكرًا بأهميته وفائدته. ولم أضمَّ كلَّ الإيضاحاتِ الجديدةِ إلى هذا التفسير، فكثيرٌ منها، أو معظمها لزيادةِ التوضيحِ كما ذكرت، وقد عدلتُ بعضها دون التزامٍ باللفظِ الذي أنقلُ منه، ووضعتُ قسمًا منها في الهامش، وبعضها أبقيتها في مستدركٍ خاصٍّ سمَّيته (الظهير على الواضح في التفسير). وهو ما رأيتُه مناسبًا.

وقد اعتمدتُ في هذه المراجعة على تفاسيرٍ معروفة، معظمها من القدم، وخاصةً "روح البيان"، ثم "التحرير والتنوير" من الحديث، ففيهما تفصيلُ شروحِ مفردات، ودقائقُ في التفسيرِ قد لا تجدُ في غيرها، ولم أعتد عليهما أثناءَ التفسيرِ بدايةً.

وقد صارَ بتصحيحه، وتنقيحه، ومراجعته، والزياداتِ عليه، أفضلُ مما سبق.

والحمد لله الذي أعانني على هذا، وله الفضل وحده.

محمد خير يوسف

هـ 1440/1/10

ثم 1446/9/13 هـ

الجزء الأول

سورة الفاتحة

سورة البقرة

(1 - 141)

سورة الفاتحة

يَتَعَوَّذُ الْمُسْلِمُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ عِنْدَمَا يَبْدَأُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ لِدَفْعِ الْوَسْوَاسِ الَّذِي يُسَبِّبُهُ، وَلثَلَا يَلْبَسَ عَلَيْهِ قِرَاءَتُهُ وَيَخْلِطَ عَلَيْهِ، وَيَمْنَعُهُ مِنَ التَّدْبِيرِ وَالتَّفَكُّرِ فِيهَا. يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [النحل:98]. وَمَعْنَاهُ عُمُومًا: أَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الْمُبْعَدِ عَنِ الْخَيْرِ كُلِّهِ، أَنْ يَضُرِّيَنِي فِي دِينِي أَوْ دُنْيَايَ، أَوْ يَصُدَّنِي عَنِ فِعْلِ خَيْرٍ، أَوْ يَحْتَنِي عَلَى فِعْلِ شَرٍّ.

وَيُسْتَعَاذُ بِاللَّهِ مِنْهُ لَشِدَّةِ عَدَاوَتِهِ لِابْنِ آدَمَ، وَعَمَلِهِ عَلَى تَضْلِيلِهِ لِإِزَاحَتِهِ عَنِ الْحَقِّ. وَقَدْ أَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: {فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [سورة ص:82، 83]. وَقَدْ نَبَّهَ اللَّهُ ابْنَ آدَمَ إِلَى ذَلِكَ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْهُ؛ فَقَالَ: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} [سورة فاطر:6].

{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } [الفاتحة:1]

1- أبدأُ بِاسْمِ اللَّهِ، ذِي الْأَوْهِيَّةِ عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ، الْمُتَّصِفِ بِالرَّحْمَةِ الْعَظِيمَةِ الدَّائِمَةِ (1).
وَفِي الْبَدءِ بِالْبِسْمَلَةِ تَبَرُّكٌ وَتَيَمُّنٌ وَاسْتِعَانَةٌ عَلَى الْإِتِمَامِ وَالتَّقْبُلِ.

(1) {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}: اسْمَانِ مَشْتَقَّانِ مِنَ الرَّحْمَةِ عَلَى طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ، وَ(رَحْمَان) أَشَدُّ مِبَالَغَةً مِنْ (رَحِيم). (بِاخْتِصَارٍ مِنْ فَتْحِ الْقَدِيرِ).

رَحْمَانٍ جَمِيعِ خَلْقِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَرَحِيمٍ الْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. (بِاخْتِصَارٍ مِنَ الطَّرِيِّ).

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الفاحة: 2]

2- الشناء على الله ربّ الخلق كلّهِ، والشُّكْرُ خالصًا له على ما تَفَضَّلَ بِهِ مِنَ النِّعَمِ الكَثِيرَةِ على خَلْقِهِ، في دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، فَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقَّ وَمَكَّنَهُمْ مِنْ اتِّبَاعِهِ، وَبَثَّ لَهُمُ الرِّزْقَ وَمَكَّنَهُمْ مِنْ طَلْبِهِ.

{ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } [الفاحة: 3]

3- الْمُتَّصِفِ بِالرَّحْمَةِ، صَاحِبِ الْخَيْرِ وَالنِّعْمَةِ، يَرْحَمُ جَمِيعَ خَلْقِهِ، وَرَأْفَتُهُ وَرَحْمَتُهُ بِالْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً.

{ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } [الفاحة: 4]

4- الْمُتَفَرِّدِ بِالْحُكْمِ يَوْمَ حِسَابِ الْخَلَائِقِ فِي الْآخِرَةِ، فَلَا مُلْكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِأَحَدٍ سِوَاهُ.

{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاحة: 5]

5- نَعْبُدُكَ وَحَدَّكَ يَا رَبِّ، وَنَتَّبِعُكَ مِنَ الشُّرْكِ، وَنَسْتَعِينُ بِكَ فِي أُمُورِنَا كُلِّهَا، وَنَتَّبِعُكَ مِنَ الْحَوْلِ وَالقُوَّةِ، وَنُقَوِّضُ أَمْرَنَا إِلَيْكَ. فَلِكِ كَمَالُ الطَّاعَةِ يَا رَبَّنَا.

{ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } [الفاحة: 6]

6- نَسْأَلُكَ يَا رَبَّنَا أَنْ تُرْشِدَنَا وَتَوْفِّقَنَا دَائِمًا إِلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّذِي لَا انْحِرَافَ فِيهِ، وَهُوَ اتِّبَاعُ دِينِكَ، وَأَنْ تُثَبِّتَنَا عَلَيْهِ.

{ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } [الفاحة: 7]

7- طَرِيقَ الَّذِينَ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِمْ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بِطَاعَتِكَ وَعِبَادَتِكَ، مِنْ مَلَائِكَتِكَ وَأَنْبِيَائِكَ، وَمَنْ رَضِيتَ عَنْهُمْ مِنْ سَائِرِ عِبَادِكَ، أَهْلِ الْهُدَايَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ، وَالطَّاعَةِ وَالِامْتِثَالِ، وَلَيْسَ طَرِيقَ الَّذِينَ غَضِبْتَ عَلَيْهِمْ؛ مِمَّنْ عَرَفُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ كَالْيَهُودِ، وَلَا مَسَلَكَ الَّذِينَ ضَلُّوا، فَمَا عَرَفُوا الْحَقَّ، وَبَغَوْا هَائِمِينَ فِي ضَلَالِهِمْ، ثُمَّ لَمْ يَتَّبِعُوا نَبِيَّكَ، كَالنَّصَارَى.

وفي الصَّحِيحَيْنِ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} فَقُولُوا: آمِينَ، فَمَنْ وافقَ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ".

سورة الفاتحة سُورَةٌ عَظِيمَةٌ؛ فَهِيَ أُمُّ الْكِتَابِ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي، حَاطِيَةٌ عَلَى دَقَائِقِ الْأَسْرَارِ، يَقْرُؤُهَا الْمُسْلِمُ فِي صَلَاتِهِ؛ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا بِهَا.

وَلَهَا فِضَائِلٌ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْزَلَ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا". رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَقَدْ اشْتَمَلَتْ عَلَى تَمْجِيدِ اللهِ، وَإِرْشَادِ الْخَلْقِ إِلَى تَوْحِيدِهِ، وَسُؤَالِهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَطَلَبِ هِدَايَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ لِلثَّبَاتِ عَلَى الْمَنْهَجِ الصَّحِيحِ، وَهُوَ الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ، الَّذِي يُفْضِي إِلَى الْعَاقِبَةِ الْحَسَنَةِ يَوْمَ الْحِسَابِ.

وَفِيهَا التَّحْذِيرُ مِنْ مَسَالِكِ الْبَاطِلِ؛ كَمَنْ عَرَفَ الْحَقَّ وَلَمْ يَتَّبِعْهُ، أَوْ ضَلَّ الطَّرِيقَ إِلَيْهِ.

xxx xxx xxx

سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{الم} [البقرة: 1]

1- حروفٌ مُقَطَّعَةٌ افْتَتَحَ اللهُ تَعَالَى بِهَا سُورًا مِنْ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، لَمْ يَرِدْ فِي شَأْنِهَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَلَمْ يَتَّفِقِ الْمَفْسَّرُونَ عَلَى مَعْنَاهَا، وَلِذَلِكَ لَمْ أُفَسِّرْهَا فِي جَمِيعِ مَوَاضِعِهَا، وَهِيَ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللهُ بَعْلِمِهِ.

{ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة: 2]

2- هَذَا الْقُرْآنُ لَا شَكَّ أَنَّهُ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَهُوَ نُورٌ وَتَبْيَانٌ لِّلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِطَاعَةِ اللهِ وَيَخْذَرُونَ عُقُوبَتَهُ، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ بِالتَّصَدِيقِ بِمَا جَاءَ فِيهِ.

{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [البقرة: 3]

3- الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا فِيهِ، وَمَا ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ. وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِمْ فِي مَوَاقِيتِهَا، وَأَبْرَكَانَهَا وَشُرُوطِهَا. وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ كَمَا افْتَرَضَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ.

{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [البقرة: 4]

4- وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِمَا جِئَتْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَهُمْ، وَلَا يَجْحَدُونَ بِمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ رَبِّهِمْ. وَيَصَدِّقُونَ بِالْبَعْثِ، وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَالْجَنَّةِ، وَالنَّارِ.

{أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [البقرة: 5]

5- هؤلاء الذين آمنوا بالغيب، وأقاموا الصلاة، وأدّوا الزكاة، وآمنوا بما أنزل إليك وما أنزل إلى من قبلك من الرسل، وأيقنوا بيوم القيامة، هؤلاء على نورٍ وبصيرةٍ من الله، وعلى استقامةٍ وسداد، وهم الفائزون الذين أدركوا ما طلبوه بإيمانهم وعملهم، وفازوا بالثواب والخلود في الجنان، ونجّوا من العقاب برحمة ربهم.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } [البقرة: 6]

6- والذين كفروا بما أنزل إليك لا يؤمنون ما داموا مُصرّين على موقفيهم، وسواءٌ عليهم إنذارك وعدمه، فإنهم لا يسمعون منك إنذارًا ولا تحذيرًا.

{ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [البقرة: 7]

7- لقد طبّع الله على قلوبهم وعلى سمعهم، وصار على أبصارهم غطاءً؛ نتيجة هذا الموقف الخطأ منهم، ولا مبالاتهم بالإنذار، فكثرت ذنوبهم وتتابعت حتى أغلقت منافذ الفهم والتبصّر عندهم، فلا مسلك للإيمان إليها، ولا للكفر عنها مخلص، وجزاء الكفر العنيد، وعدم الاستجابة للنذير، هو العذاب العظيم.

{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ } [البقرة: 8]

8- وهناك من الناس منافقون، يُظهرون الإيمان ويُبطنون الكفر، ويُبذون الخير ويسرون الشر، ويقولون: إنهم يؤمنون بالله وبيوم الجزاء، ولكنهم في الحقيقة غير مؤمنين.

{ يُجَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } [البقرة: 9]

9- ويعتقدون - بجهلهم - أنهم يخدعون الله بذلك، وأن أسلوهم هذا ينفعهم عنده، وأنه يروج عليه كما يروج على بعض المؤمنين، ولكنهم بصنيعهم هذا لا يضرون إلا أنفسهم، ولا يسيئون إلا إلى أنفسهم، فيسخط عليهم ربهم وهم غير شاعرين بذلك، فهم على عمى من أمرهم مُقيّمون.

{ **فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** } [البقرة: 10]

10- في قلوبهم علة جعلتهم يجيدون عن الحق ويصرون على موقفهم، فزادهم الله بذلك علة؛ فإن الانحراف يكبر، والمرض يزداد مع الإصرار، فشكوا ولم يحاولوا الإيمان، فزادهم الله شكاً، كما أن الذين { اهتدوا زادهم هدى } [سورة محمد: 17]. فاستحق المنافقون بذلك العقاب القاسي، وذلك لكذبهم، وهو موقفهم المناقض للحق، والكذب أحد أبواب النفاق، وما أسرعه في إفساد القلب!

{ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ** } [البقرة: 11]

11- وإذا طلب منهم عدم الكفر، وعدم العصيان؛ لأن ذلك يؤدي إلى الإفساد في الأرض، والطاعة تؤدي إلى الإصلاح، قالوا في سفه وتبجح: إنهم يريدون بذلك الإصلاح! وأمثال هؤلاء كثير، ممن اختلت موازين الحق عندهم؛ لاختلال عقيدتهم.

{ **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ** } [البقرة: 12]

12- والحق أن هذا الذي يعتمدونه في منهجهم، ويزعمون أنه إصلاح، هو عين الفساد، ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فساداً.

{ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ** } [البقرة: 13]

13- وإذا قيل للمنافقين آمنوا بالإسلام كما آمن الناس، إيماناً كاملاً لا شك فيه، وأطيعوا الله وامثلوا أوامر رسوله كما يفعلون؛ أنفوا من الاستسلام للحق، وقالوا في غرور وبه: أنؤمن كما آمن هؤلاء السفهاء - يعنون الصحابة رضي الله عنهم - ونصير وهم بمنزلة واحدة؟! لكن الحق أنهم هم الجهلاء، فهم ضعيفو الرأي وقليلو المعرفة بمواضع المصالح والمضار، ومن تمام جهلهم أنهم لا يعلمون بحالهم في الضلالة والجهل، وهذا أزدى وأبلغ في السفه والعمى!

{ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ } [البقرة: 14]

14- وإذا لقي المنافقون المؤمنين أظهروا لهم الإيمان والموالاتة، وأبدوا لهم المحاباة والمصافاة، نفاقاً ومصانعة؛ ليتقوا بذلك أذى يصبئهم منهم، وليتخذوا هذه التقيّة وسيلة لكي يؤدوهم، وليشاركوهم فيما يصبئونه من مغنم.

وإذا انصرفوا إلى رؤسائهم وساداتهم، من أحبار اليهود ورؤوس المشركين وكبراء المنافقين، قالوا لهم: نحن معكم، إنما كنا نسخر بالمؤمنين!

{ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } [البقرة: 15]

15- وما داموا اختاروا طريق الخداع والتأمر، والتهمك والاستهزاء، فإن الله لهم بالمرصاد، وسيعلمون غداً أن الهزء والمكر قد حاق بهم { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ } [سورة النساء: 42]، فسوف يسخر الله بهم بالانتقام منهم، ويدعهم يخبطون في طريق لا يعرفون نهايته، ولا يجدون سبيلاً إلى الخروج منه، فقد طبع الله على قلوبهم، وأعمى أبصارهم، نتيجة أعمالهم ومواقفهم السيئة.

والمكر والخداع والسخرية على وجه اللعب منتف عن الله عز وجل بالإجماع، وأما مع وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة، فلا يمتنع ذلك، كما قال ابن جرير الطبري.

{ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } [البقرة: 16]

16- إنهم عدلوا عن الهدى إلى الضلال، وأنثروا الكفر على الإيمان الصريح، في تجارة خاسرة من جميع الوجوه، فما ربحت صفقتهم هذه، وما كانوا راشدين في صنيعهم هذا.

{ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ } [البقرة: 17]

17- وَمَثَلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَدَلُوا عَنِ الْهُدَىٰ إِلَى الضَّلَالِ، وَاتَّبَعُوا الْعَمَىٰ عَلَى التَّبَصُّرِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فِي لَيْلٍ مُدْهِمٍ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ النَّارُ مَا حَوْلَهَا وَانْتَفَعَ بِهَا مُوقِدُهَا، وَأَبْصَرَ بِهَا مَا حَوْلَهُ وَاسْتَأْنَسَ بِهَا، إِذَا بِهَا طُفِئَتْ، فَصَارَ فِي ظِلَامٍ شَدِيدٍ، لَا يُبْصِرُ وَلَا يَهْتَدِي!.

وَالْمُنَافِقُونَ كَذَلِكَ، رَأَوْا نُورَ الْإِسْلَامِ فَأَمَنُوا، ثُمَّ انْقَلَبُوا عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ يَخْبِطُونَ حَائِرِينَ، مُؤَثِّرِينَ الضَّلَالَ عَلَى الْهُدَىٰ بَعْدَمَا تَبَيَّنُوهُ. {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} [سورة المنافقون:3].

فَكَانَ جَزَاءُهُمْ أَنْ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا يَنْفَعُهُمْ، وَهُوَ النُّورُ، وَأَبْقَىٰ لَهُمْ مَا يَضُرُّهُمْ، وَهُوَ الْإِحْرَاقُ وَالدُّخَانُ، وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتِ الشُّكِّ وَالْكَفْرِ وَالنِّفَاقِ، لَا يَهْتَدُونَ إِلَى سَبِيلِ الْخَيْرِ.

{ صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ } [البقرة: 18]

18- لَقَدْ عَطَلُوا وَظَائِفَ آذَانِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ وَعْيُونَهُمْ؛ فَلَا يَسْمَعُونَ خَيْرًا، وَلَا يَتَكَلَّمُونَ بِمَا يَنْفَعُهُمْ، وَلَا يَرَوْنَ الْحَقَّ، فَكَيْفَ يَهْتَدُونَ، وَأَنَّى يَسْتَجِيبُونَ لِلهُدَىٰ وَالنُّورِ؟

{ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ } [البقرة: 19]

19- وَحَالُ هَؤُلَاءِ أَيْضًا فِي شَكِّهِمْ وَكُفْرِهِمْ وَتَرَدُّدِهِمْ، كَمَثَلِ مَطَرٍ هَطَلَ مِنَ السَّمَاءِ فِي لَيْلٍ مُظْلِمٍ، فِيهِ رَعْدٌ قَوِيٌّ مُخِيفٌ، وَبَرْقٌ يُضِيءُ فِي لَمَعَانٍ شَدِيدٍ، فَصَارُوا يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ حَذَرَ مَنْ أَنْ يُصِيبَهُمْ شَيْءٌ مِنْ آثَارِهَا فَيَمُوتُوا، وَهُوَ لَا يُجِدِي عَنْهُمْ حَذْرًا، فَاللَّهُ مُحِيطٌ بِهِمْ بِقُدْرَتِهِ، وَهُمْ تَحْتَ مَشِيعَتِهِ وَإِرَادَتِهِ.

وَتَشْبِيهُهُ أَوْجُهَ الْمَثَلِ: حَالُ الظُّلُمَاتِ هِيَ الشُّكُوكُ، وَالْكَفْرُ، وَالنِّفَاقُ.

وَالرَّعْدُ هُوَ مَا يُرْعَجُ الْقُلُوبَ مِنَ الْخَوْفِ، فَإِنَّ شَأْنَ الْمُنَافِقِينَ الْخَوْفُ الشَّدِيدُ وَالْفَرْعُ.

وَالْبَرْقُ هُوَ مَا يَلْمَعُ فِي قُلُوبِ هَذَا الْقِسْمِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ مِنَ نُورِ الْإِيمَانِ.

{ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة: 20]

20- ويكادُ هذا البرقُ لِشِدَّتِهِ وَقَوَّتِهِ أَنْ يَسْتَلِبَ أَبْصَارَهُمْ؛ فَإِذَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ، وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ وَقَفُوا حَائِرِينَ لَا يَدْرُونَ أَيْنَ يَذْهَبُونَ.
 وَالْبَرْقُ كِنَايَةٌ عَنِ شِدَّةِ ضَوْءِ الْحَقِّ، وَأَنْتُمْ إِذَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ شَيْءٌ اسْتَأْنَسُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، وَتَارَةً تَعْرِضُ لَهُمُ الشُّكُوكُ فَتُظْلِمُ قُلُوبَهُمْ وَيَبْقُونَ حَائِرِينَ!
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَخَذَ سَمْعَ الْمُنَافِقِينَ وَأَبْصَارَهُمْ، لِأَنْتُمْ تَرَكُوا الْحَقَّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ، وَهُوَ إِذَا أَرَادَ بَعْبَادِهِ نِقْمَةً كَانَ قَادِرًا عَلَىٰ إِنْفَاذِهَا.
 وَهَذَا تَحْدِيرٌ لِلْمُنَافِقِينَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَسَطَوْتِهِ، وَأَنَّهُ بِهِمْ مُحِيطٌ.

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة:

21]

21- أَيُّهَا النَّاسُ، اعْبُدُوا الرَّبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَمَنْ قَبْلَكُمْ⁽²⁾، وَحُدُّوهُ بِالْعِبَادَةِ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا؛ فَإِنَّ الَّذِي تَفَرَّدَ بِالْخَلْقِ هُوَ الَّذِي يُفَرِّدُ بِالْعِبَادَةِ، وَلَعَلَّكُمْ بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ الصَّافِيَةِ تَكُونُونَ مِنَ الْمُطِيعِينَ الْمُهْتَدِينَ.

{ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [البقرة: 22]

22- إِنَّهُ الْإِلَهُ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ الْأَرْضَ مُمَهَّدَةً مُوَطَّأَةً بِمَا يُنَاسِبُكُمْ وَوَسَائِلَ عَيْشِكُمْ، وَجَعَلَ السَّمَاءَ كَالسَّقْفِ لَهَا، تُرْسِلُ إِلَيْكُمْ بِحَرَارَتِهَا وَضَوْئِهَا لِتَنْتَفِعُوا بِهَا، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّحَابِ مَطَرًا يَسْقِي الزُّرُوعَ فَيُخْرِجُ بِهِ الثَّمَارَ لِتَكُونَ رِزْقًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ، فَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ أَحَدًا فِي عِبَادَتِكُمْ؛ فَإِنَّهُ وَحْدَهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا رَبَّ لَكُمْ يَرْزُقُكُمْ غَيْرُهُ، فَهُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

(2) أي: من زمنٍ قَبْلَ زَمَانِكُمْ مِنَ الْأُمَّمِ. ف { مِنْ } ابْتِدَائِيَّةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحذُوفٍ. وَفِي الْوَصْفِ بِهِ إِيْمَاءٌ إِلَى سَبَبِ وَجُوبِ عِبَادَتِهِ تَعَالَى، فَإِنَّ خَلْقَ أَصُولِهِمْ مِنْ مَوْجِبَاتِ الْعِبَادَةِ كَخَلْقِ أَنْفُسِهِمْ. وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى شُمُولِ الْقُدْرَةِ، وَتَنْبِيءٌ مِنْ سَنَةِ الْغَفْلَةِ، أَيْ أَنَّهُمْ كَانُوا فَمَضُوا، وَجَاؤُوا وَانْقَضُوا، فَلَا تَنْسُوا مَصِيرَكُمْ، وَلَا تَسْتَحْزِنُوا تَقْصِيرَكُمْ. (روح البيان).

{ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [البقرة: 23]

23- وإذا كنتم في شك من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أيها الكافرون، فهاثوا سورة من مثل ما جاء به، واستعينوا بمن شئتم من أعوانكم في ذلك، إذا كنتم صادقين في أن القرآن من عند غير الله.

{ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ } [البقرة: 24]

24- فإذا لم تقدرُوا على ذلك، ولن تقدرُوا عليه، فاعلموا أنه كلام الله المعجز الحق، واعلموا أن وراء إنكار الحق نارا عظيمة محرقه، تُضرم من أجساد الكفرة الظالمين، ومن الحجارة الصلبة الضخمة الشديدة الاشتعال، أُرصدت لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر بالله ورسوله.

{ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة: 25]

25- أما المؤمنون، الذين آمنوا بالله، وبنبوتك، وبالكتاب الذي أنزل عليك، وشفعوا ذلك بالعمل الصالح، والاستقامة والإخلاص، فألق عليهم الخبر السار المفرح، وبشّرهم بأن لهم جناتا كبيرة رائعة، تجري من تحتها المياه العذبة، لتجلب الأزجيّة والنشاط، وتؤنس وتسر. وإذا أعطوا ثمرا من ثمار الجنة استبشروا وقالوا: إنه يشبه الفاكهة التي كُننا نأكلها في الدنيا، وفرحوا بذلك، فإن الطباع تستأنس بالمعهود، وتميل إلى المألوف. وتؤنى لهم ثمار مشابهة لثمار الدنيا، في اللون والمظهر، ولكنها تختلف في الطعم والحجم. ولهم في الجنة أزواج مطهرات الأبدان من القدر والأدى. ولتمام سعادتهم في هذا النعيم، فإنهم خالدون في الجنة، لا انقضاء لمدته ولا آخر.

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونُ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ } [البقرة:26]

26- واللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا بِشَيْءٍ مَا⁽³⁾، صَعُرَ أَوْ كَبُرَ، مِنْ بَعُوضٍ فَمَا فَوْقَهَا، فَإِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَلْقَهُ حِكْمَةً وَعِظَةً.

فالذين آمنوا يعلمون أن ضرب المثل بالبعوض حق، فيؤمنون به وبالْحِكْمَةِ منه، أما الكافرون فيزدادون به ضلالة، ويقولون: ما قيمة البعوض، وما موقعه في الكون حتى يُضْرَبَ به المثل، وهو من أحق المخلوقات؟!

والبعوض مخلوقٌ عَجِيبٌ حَقًّا، فهو مع صِغَرِهِ، لَهُ عَيْنَانِ ضَخْمَتَانِ تَتَكَوَّنَانِ مِنْ آلَافِ الْعَدَسَاتِ السُّدَّاسِيَّةِ، وَفِي رِجْلِهِ خَمْسَةُ مَفَاصِلَ رِئِيسِيَّةٍ، مَعَ زَوْجٍ مِنَ الْمِخَالِبِ، وَعَضَلَاتٌ قَوِيَّةٌ تَلْتَصِقُ بِجِدَارِ الصَّدْرِ، وَدَبُّوسٌ لِلتَّوَازِنِ فِي جَنَاحَيْهِ! وَلَهُ جِهَازٌ يَمْنَعُ تَحْلُطَ الدَّمِ، وَقَدْ يَمْتَصُّ دَمًا أَكْثَرَ مِنْ وَزْنِهِ مَرَّةً وَنِصْفَ المَرَّةِ! وَلَهُ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافِ نَوْعٍ، وَيَنْقَلُ أَسْوَأَ الْأَمْرَاضِ، وَمَاتَ الْمَلَائِكَةُ مِنَ الْبَشَرِ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَهُوَ مَوْجُودٌ فِي كُلِّ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ.

{ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } [البقرة:27]

27- إِنَّ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ لَا عَهْدَ لَهُمْ وَلَا مِيثَاقَ⁽⁴⁾، فَقَدْ تَرَكَوا الْإِقْرَارَ بِالْحَقِّ مَعَ صِحَّةِ أَدْلَتِهِ، وَكَذَّبُوا الرِّسَالَ وَالْكِتَابَ الْمُنزَّلَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّ مَا أَتَوْا بِهِ حَقٌّ، فَمُعْجَزَاتُهُمْ شَاهِدَةٌ عَلَى صِدْقِهِمْ، وَلَا طَاقَةَ لَهُمْ بِرَدِّهَا. وَهُمْ مَعَ عِنَادِهِمْ وَفَسَادِ عَقِيدَتِهِمْ غَيْرُ أَوْفِيَاءٍ مَعَ أَقْرَبِ الْمُقْرَبِينَ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ يَقْطَعُونَ عِلَاقَتَهُمْ مَعَ أَهْلِيهِمْ وَأَقْرِبَائِهِمْ، وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ

(3) المثل: المثل والمشايه، وغلب على مماثلة هيئة بميئة، أي: جعل شيئاً مثلاً، أي: شبهاً، وهو مستعمل مجازاً في الوضع والجعل. (التحرير والتنوير، باختصار).

(4) الميثاق: العهد المؤكد. (البغوي).

بالمعاصي والفنن وإثارة الشُّبُهَاتِ حَوْلَ الْقُرْآنِ، وَقَدْ خَسِرُوا بِهَذَا وَتَعَرَّضُوا إِلَى غَضَبِ اللَّهِ، وَحَالَتْ أَعْمَالُهُمُ السَّيِّئَةُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَحْمَةِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ.

{ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }
[البقرة: 28]

28- كَيْفَ تَجْحَدُونَ وَجُودَ الْخَالِقِ وَقَدْ كُنْتُمْ عَدَمًا فَأُخْرِجْكُمْ إِلَى الْوُجُودِ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ مَوْتَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ مَرَّةً أُخْرَى عِنْدَ الْبَعْثِ؟

{ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }
[البقرة: 29]

29- هُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ، الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا لِأَجْلِكُمْ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ (ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ إِلَى أَنَّ مَعْنَاهَا: قَصَدَ إِلَى السَّمَاءِ) فَخَلَقَهَا سَبْعَ طَبَقَاتٍ وَأَحْكَمَهَا، وَعِلْمُهُ حَاطِبٌ بِجَمِيعِ مَا خَلَقَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ }
[البقرة: 30]

30- وَاَعْلَمُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَنَّ رَبَّكَ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: سَأَجْعَلُ بَنِي آدَمَ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ، يَخْلِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأَسْخِرُ جَمِيعَ مَا خَلَقْتُهُ فِيهَا مِنْ طَاقَاتٍ وَخَامَاتٍ لَهُمْ.

وَقَدْ فَهَمَّتِ الْمَلَائِكَةُ مِنَ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ، أَوْ بِالْهَامِ مِنَ اللَّهِ، أَنَّ مِنَ الْبَشَرِ مَنْ يُفْسِدُ فِي الْأَرْضِ، وَيَسْتَغْلِبُ طَاقَاتِهَا فِي غَيْرِ وَجْهَتِهَا الصَّحِيحَةِ، فَقَالُوا اسْتِعْلَامًا وَاسْتِكْشَافًا عَنِ الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ، لَا اعْتِرَاضًا عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ: يَا رَبَّنَا، أَتَجْعَلُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ مَنْ يَعْيْتُ فُسَادًا، وَيُرِيْقُ الدِّمَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، مُتَجَاوِزِينَ الْحِكْمَةَ وَالصَّوَابَ؟ وَإِذَا كَانَ الْهَدْفُ مِنْ اسْتِخْلَافِهِمْ فِيهَا عِبَادَتَكَ، فَهَا نَحْنُ نُنَزِّهُكَ وَنُحَمِّدُكَ وَنُجَدِّدُكَ، وَنَعْبُدُكَ وَنُصَلِّيُ لَكَ؟

فَقَالَ اللَّهُ لَهُمْ: إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ الْمَصْلِحَةِ فِي اسْتِخْلَافِهِمْ فِيهَا مَا لَا تَعْلَمُونَ، فَإِذَا كَانَ فِيهِمْ مُفْسِدُونَ، فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنْهُمْ أَنْبِيَاءٌ وَصِدِّيقُونَ، وَأَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مَقْرَّبُونَ، وَعُلَمَاءُ عَامِلُونَ، وَعُجْبَاءُ خَاشِعُونَ، وَشُهَدَاءُ أَبْرَارٌ فِي عَالَمِينَ.

{ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [البقرة: 31]

31- وَعَلَّمَ اللَّهُ آدَمَ أَسْمَاءَ الْأَشْيَاءِ كُلَّهَا، ثُمَّ عَرَضَهَا عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَقَالَ لَهُمْ: اذْكُرُوا لِي أَسْمَاءَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي زَعْمِكُمْ أَنَّكُمْ أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ مِنْ آدَمَ وَدُرَيْتِهِ. فَإِذَا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَسْمَاءَهَا وَأَنْتُمْ تُشَاهِدُونَهَا، فَأَنْتُمْ عَمَّا هُوَ غَيْرُ مَوْجُودٍ مِنَ الْأُمُورِ الْكَائِنَةِ الَّتِي لَمْ تَوْجَدْ أَحَرَى أَنْ تَكُونُوا غَيْرَ عَالِمِينَ بِهَا. إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا حَاجَةَ لَهُمْ إِلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ؛ لِأَنَّهَا لَا تُنَاسِبُ طَبِيعَتَهُمْ، بَلْ هِيَ مَخْتَصَّةٌ بِابْنِ آدَمَ، وَلِذَلِكَ جُعِلَتِ الْخِلَافَةُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، لَا لَهُمْ.

{ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } [البقرة: 32]

32- عِنْدَ ذَلِكَ اسْتَسَلَمَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ لِلْحَقِّ، فَقَدَّسَتْهُ وَزَهَّتْهُ وَقَالَتْ: سُبْحَانَكَ، لَا عِلْمَ لَنَا بِشَيْءٍ إِلَّا مَا أَحْطَطْنَا بِهِ مِنْ عِنْدِكَ، فَأَنْتَ تَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَكَ الْحِكْمَةُ فِي خَلْقِكَ وَأَمْرِكَ، وَتَعَلَّمُ مَنْ تَشَاءُ مَا تَشَاءُ، وَتَمْنَعُ مَنْ تَشَاءُ مِمَّا تَشَاءُ.

{ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ } [البقرة: 33]

33- وَطَلَبَ اللَّهُ مِنْ آدَمَ أَنْ يَذْكَرَ لِلْمَلَائِكَةِ أَسْمَاءَ الْأَشْيَاءِ، مِنْ أَعْلَامِ وَحَيَوَانَاتِ وَجَمَادَاتِ، فَأَنْبَأَهُمْ بِهَا، وَظَهَرَ فَضْلُهُ فِي ذَلِكَ، مِنْ عِلْمِ مَا لَا يَعْلَمُونَهُ، فَقَالَ اللَّهُ لَهُمْ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ، فَلَا يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِمْ وَأَمْرِكُمْ وَمَا فِي الْكُونِ جَمِيعاً، وَأَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَمَا تُظْهِرُونَهُ، فَمَا خَفِيَ عَلَيَّ قَوْلُكُمْ: مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا، وَلَا خَفِيَ عَلَيَّ أَمْرُ إبْلِيسَ فِي خِلَافِ أَمْرِي وَالتَّكْبُرِ عَلَيَّ طَاعَتِي.

{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ }

[البقرة:34]

34- وقد كَرَّمَ اللهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا قَالَ لِمَلَائِكَتِهِ: اسْجُدُوا لِآدَمَ، فَسَجَدُوا لَهُ طَاعَةً لِرَبِّهِمْ، فَكَانَتِ السَّجْدَةُ لِآدَمَ، وَالطَّاعَةُ لِلَّهِ، كِرَامَةٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْرَمَ بِهَا آدَمَ. إِلَّا إِبْلِيسَ، الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ، وَهُوَ مِنَ الْجِنِّ، أَبَىٰ أَنْ يَسْجُدَ لَهُ، تَكْبُرًا وَاسْتِعْلَاءً، فَكَانَ بِذَلِكَ مِنَ الْعَاصِينَ الضَّالِّينَ.

{ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ

الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } [البقرة:35]

35- بَعْدَ هَذَا التَّكْرِيمِ لِآدَمَ، أَبَاحَ اللَّهُ لَهُ الْجَنَّةَ لِيَسْكُنَ فِيهَا حَيْثُ يَشَاءُ، هُوَ وَزَوْجُهُ حَوَاءُ، وَيَأْكُلَا مِنْهَا فِي رَغَدٍ وَهَنَاءٍ، وَسَعَةٍ وَسَعَادَةٍ، لَكِنْ حَذَّرَهُمَا فَقَالَ: لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ، وَعَيْنُهَا لِهَمَا، فَإِنَّكُمَا إِذَا أَكَلْتُمَا مِنْهَا عَصَيْتُمَا رَبَّكُمَا وَظَلَمْتُمَا أَنْفُسَكُمَا، وَوَقَعَتْ عَلَيْكُمَا عَاقِبَةُ الْمَخَالَفَةِ.

وَكَانَ ذَلِكَ امْتِحَانًا لِهَمَا، وَتَوْجِيهًا لِسُلُوكِهِمَا، وَلِتَعْلِيمِهِمَا الْوَفَاءَ بِالشَّرْطِ، وَلَا بَدَّ فِي ذَلِكَ مِنْ إِرَادَةٍ.

{ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ

فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ } [البقرة:36]

36- لَكِنَّ الشَّيْطَانَ أَغْوَاهَا وَنَحَاهَا عَنِ الْجَنَّةِ عِنْدَمَا زَيَّنَ لِهَمَا الْأَكْلَ مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلَا مِنْهَا! وَأَخْرَجَهُمَا بِذَلِكَ مِنَ الْجَنَّةِ الْجَمِيلَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ رِزْقٍ هَنِيءٍ وَرَاحَةٍ وَمَنْزِلٍ رَحْبٍ، فَقَالَ اللَّهُ لِهَمَا عَقِبْ هَذَا الْعِصْيَانِ مَا تَفْسِيرُهُ: انْزِلَا مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ، لِتَحْكَمَ الْعِدَاوَةُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ، الَّذِي غَرَّكُمْ فَأَخْرَجَكُمْ مِنْ هَذَا النِّعِيمِ، وَسَيَكُونُ لَكُمْ قَرَارٌ فِي الْأَرْضِ، وَرِزْقٌ، وَرَغْبَةٌ وَانْتِفَاعٌ، وَلَكِنْ إِلَى زَمَنٍ مَّحْدُودٍ.

{ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [البقرة:37]

37- وعرف آدمُ ذنبهُ وندم، واستغفرَ ربَّهُ وطلبَ منه الصفحَ والمغفرةَ، فقبلَ توبته، إِنَّهُ كثيرُ العُفْرِانِ لذنوبِ عبادِهِ المؤمنين، رحيمٌ بهم⁽⁵⁾.

{ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة:38]

38- تكررٌ وتحذيرٌ من جديد، لآدمَ وذريته، حتَّى لا يقعوا في الخطأ مرَّةً أخرى: انزلوا إلى الأرض، فإذا بعثتُ إليكم أنبياءَ ورُسلًا، وأنزلتُ عليكم كُتُبًا لتهتدوا بها، وأتبعتم هذا الهدى، فلا تَصِلُونَ في الدنيا، ولا تَشَقُّونَ في الآخرة، ولا تَحْزَنُونَ على ما فاتكم من أمورِ الدنيا، ولا تخافونَ ما ينتظرُكم يومَ القيامة.

{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة:39]
39- أمَّا من كَفَرَ وكَذَّبَ بأنبيائنا وكُتُبنا، فهم أصحابُ النار، لا يحيدَ لهم عنها ولا محيص، خالدينَ فيها أبدًا.

{ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ } [البقرة:40]

40- يا أبناءَ إسرائيلَ (يعقوب) النبيِّ الكريمِ المطيعِ لله، تذكُّروا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ أَنْ جعلتُ منكم أنبياءَ ومُلوكًا، وأنزلتُ عليكم الكُتُبَ، وأنجيتُكم من عبوديةِ فرعونَ وآله... وأوفوا بالعهدِ الذي طلبتُ منكم الإيفاءَ به، وهو اتِّباعُ دينِ الإسلامِ ومتابعةُ النبيِّ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم إذا أُرسِلَ، فإذا وَفَّيْتُمْ بالعهدِ الذي في أعناقكم، رَضِيتُ عنكم وأدخلتُكم الجنَّةَ، وإن لم تَفْعَلُوا فاذكروا ما أنزلتُ بآبائكم مِنَ النَّقْمِ، كالمسحِ وغيره، فَإِنِّي قَادِرٌ عَلَى أَنْ أَنْزِلَ بِكُمْ مَا أَنْزَلْتُهُ بِهِمْ.

(5) ... وأما قوله: {الرَّحِيمِ}، فإنه يعني أنه المتفضلُّ عليه مع التوبةِ بالرحمة. ورحمتهُ إِيَّاهُ إِقالُهُ عثرته، وصفحهُ عن عقوبةِ جُرمه. (الطبري).

{وَأْمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا
وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ} [البقرة: 41]

41- وآمنوا بالقرآن المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، المصدق لما معكم، مما هو مكتوب في التوراة والإنجيل، ولا تكونوا -يا يهود المدينة- أول من يكفر بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم من بني إسرائيل. ولا تستبدلوا بالإيمان وتصديق رسولي الدنيا وشهواتها القليلة الفانية، وأطيعوني رجاء رحمتي بكم وهدايتكم وإنقاذكم من العذاب.

{وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 42]

42- ولا تخلطوا الحق بالباطل والصدق بالكذب، ولا تسكتوا عن الحق فتكتموه وأنتم تعلمون أنه الحق، فإن عندكم معرفة برسولي وبما جاء به، وهو مكتوب عندكم، فلم لا تعلنوا الإيمان به، بل تكذبون وتقولون إنه ليس بنبي؟!

{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} [البقرة: 43]

43- فآمنوا به، وصلوا معه، وادفعوا زكاة أموالكم إليه، وكونوا مع من آمن به من أصحابه في أحسن أعمالهم، واركعوا لله معهم كما يركعون.

{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَثْلَوْنَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [البقرة: 44]

44- أتطلبون من الناس أن يعملوا الخير ولا تعملون أنتم به، وعندكم العلم، بما تقرأونه في الكتب، وتعلمون جزاء من خالف أمر الله في ذلك؟ ألا تتنبهون إلى خطأ ما أنتم فيه وخطره عليكم؟ فهلاً اتصفتُم بالعقل وعملتُم الخير كما تأمرون به الناس؟

{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} [البقرة: 45]

45- واستعينوا أيها المؤمنون على طلب الخير في الآخرة والدنيا، بالصبر على طاعة الله، والصلاة. فإن الصبر لا بد منه في كل أمر شاق، والصلاة تُعِينُ على الثبات على الأمر، وهي شاقّة وثقيلة إلا على المتواضعين المطيعين لله.

{ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } [البقرة: 46]

46- الذين يؤمنون بوعده الله ووعيده، وبأنهم محشورون إليه يوم القيامة، وأن أعمالهم معروضة عليه. وهذا الإيمان هو الذي يدفعهم إلى طاعته، وتجنب معاصيه.

{ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ }

[البقرة: 47]

47- واذكروا يا بني إسرائيل نعمي على آباءكم وأسلافكم، وأني فضلتكم آنذاك على العالمين، بإرسال الرسل إليهم، وإنزال الكتب عليهم، وجعلتهم سادة وملوكًا.

{ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ }

{ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ } [البقرة: 48]

48- واحذروا يوم الجزاء، الذي لا يُغني فيه أحد عن آخر، ولا يُقبل من كافر تقرب ولا فداءً للتجاوز عن كفره ومعصيته، ولا أحد يدافع عنه وينصره لينقذه من العذاب، فكل نفس مسؤولة عن نفسها.

{ وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ }

{ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ } [البقرة: 49]

49- واذكروا يا بني إسرائيل من نعمي عليكم إنقاذكم من ظلم فرعون وآله، عندما كانوا يُذيبونكم أفسى أنواع العذاب وآلمه، فيذبحون كل ذكرٍ يولد فيكم، ويُبقيون على بناتكم؛ خوفًا من أن يكون زوال ملكه على يدي رجلٍ منكم. وفي إنقاذكم من هذا العذاب نعمة عظيمة من ربكم عليكم، فلا تنسوها.

{ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ } [البقرة: 50]

50- واذكروا عند خروجكم مع موسى استنفار فرعون جيشه لمتابعتكم والقضاء عليكم، فانفلق البحر لكم وخلصكم الله منهم، فحجز بينكم وبينهم، وأغرقهم، وأنتم تنظرون إليهم.

{ وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ } [البقرة: 51]

51- واذكروا أيضاً عندما ذهب موسى إلى ميقات ربه للمناجاة، مُسْتَخْلِفاً هَارُونَ عَلَيْكُمْ، وبقية أربعين يوماً، وَأُنزِلَتْ عَلَيْهِ التَّوْرَةُ، ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ إِلَهًا وَعَبَدْتُمُوهُ بِتَسْوِيلِ السَّامِرِيِّ لَكُمْ، مِنْ بَعْدِ غَيْبَةِ مُوسَىٰ عَنْكُمْ. وَقَدْ كَانَ عَمَلُكُمْ هَذَا ظُلْمًا عَظِيمًا، بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ إِلَهًا دُونَ اللَّهِ.

{ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [البقرة: 52]

52- ومع هذا فقد عفا الله عنكم، لعلكم تشكرونه، وتعرفون نعمته عليكم.

{ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [البقرة: 53]

53- واذكروا من نعمنا عليكم أن أعطينا موسى التوراة: كِتَابًا مُنَزَّلًا، وَحِجَّةً يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ بِالتَّدْبِيرِ فِيهِ وَالْعَمَلِ بِمَا يَتَضَمَّنُهُ.

{ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }

[البقرة: 54]

54- واذكروا عندما قال موسى لبني إسرائيل الذين عبدوا العجل: لَقَدْ ارْتَكَبْتُمْ جُرْمًا عَظِيمًا وَمَعْصِيَةً كَبِيرَةً عِنْدَمَا اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ رَبًّا دُونَ اللَّهِ، وَلَا تَوْبَةَ لَكُمْ عِنْدَ خَالِقِكُمْ إِلَّا أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَيَقْتُلَ الْبَرِيءُ مِنْكُمْ الْجَرِمَ، فَإِنَّهُ أَنْسَبُ عَقُوبَةٍ لِنَفُوسِكُمُ السَّيِّئَةِ، وَقُلُوبِكُمُ الْقَاسِيَةِ، وَطَبِيعَتِكُمُ الْمُنْحَرِفَةَ، وَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ هَذَا تَوْبَةً لَجُرْمِكُمُ الشَّنِيعِ، وَتَذَكْرَةً مَوْءَلَةً لَكُمْ لِئَلَّا تَعُودُوا إِلَىٰ مِثْلِهِ. ثُمَّ أَدْرَكْتُمْ رَحْمَتَهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ، فَهُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ الصَّادِقَةَ مِنْ عِبَادِهِ، رَحْمَةً بِهِمْ.

{ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ
تَنْظُرُونَ } [البقرة: 55]

55- ثمَّ قُلْتُمْ لَنُبَيِّتَنَّكَ مُوسَى: نَرَفُضُ أَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ عَيْنَانَا! وَهُوَ تَمَّا لَا يُسْتَطَاعُ لَكُمْ
وَلَا لِأَمْثَالِكُمْ، فَنَزَلَتْ عَلَيْكُمْ صَاحِقَةٌ قَوِيَّةٌ مِنَ السَّمَاءِ؛ لِقَرْطِ عِنَادِكُمْ وَتَعْتِكُمْ وَطَلْبِكُمْ
الْمُسْتَحِيلِ، فَتُمَّتْ بَيْنَمَا يَنْظُرُ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ.

{ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [البقرة: 56]

56- ثُمَّ رَحِمْنَاكُمْ فَأَحْيَيْنَاكُمْ لَتَسْتَوفُوا بِقِيَّةِ آجَالِكُمْ وَأَرْزَاقِكُمْ، وَعَسَى بِذَلِكَ أَنْ تَشْكُرُوا
نِعْمَةَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ.

{ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا
ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [البقرة: 57]

57- وَمِنْ نِعْمِهِ عَلَيْكُمْ فِي النَّبِيِّ أَنْ ظَلَّلَ عَلَيْكُمُ السَّحَابَ لِيَقِيَكُمْ حَرَّ الشَّمْسِ الْمَحْرِقِ، وَأَرْسَلَ
إِلَيْكُمْ طَعَاماً شَهِيئاً لَا تَتْعَبُونَ فِي تَحْصِيلِهِ، وَهُوَ الْمُنُّ الَّذِي تَجِدُونَهُ عَلَى الْأَشْجَارِ حُلُوقاً كَالْعَسَلِ،
وَطَائِرُ السَّمَاءِ الْقَرِيبِ الْمَنَالِ، فَكُلُوا مِنْ هَذَا الطَّعَامِ الطَّيِّبِ الْهَنِيِّ الَّذِي رَزَقْنَاكُمْ.
وَمَا أَدْخَلُوا بَعْضِيَانِهِمْ نَقْصاً فِي مُلْكِنَا وَسُلْطَانِنَا، فَحَنُّ أَعْرُ مِنْ أَنْ نُظْلَمَ، وَلَكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ
بَحَدُوا نِعْمَتَنَا، وَأَضْرَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ، فَكَانَتْ عَاقِبَةُ ظَلْمِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

{ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاذْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا
حِطَّةً نَعْفُرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ } [البقرة: 58]

58- وَلَمَّا طَلَبَ مِنْكُمْ دَخُولَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَقَاتَلَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْعَمَالِقِ الْكَفَّرةِ، جَبُنْتُمْ عَنْ
قِتَالِهِمْ، فَرَمَاكُمْ اللَّهُ فِي النَّبِيِّ، حَتَّى يَنْشَأَ جَيْلاً جَدِيداً عَلَى غَيْرِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، الَّذِي قَادَهُمْ يَوْشَعُ
بْنُ نُونٍ، فَفَتَحَ الْمَدِينَةَ وَدَخَلَهَا، لَتَعِيشُوا فِي الْقَدْسِ فِي رَغَدٍ وَهَنَاءٍ. وَطَلَبَ مِنْكُمْ أَنْ تَقُولُوا عِنْدَ

الدخول: "حِطَّةٌ": حُطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا وَاغْفِرْ لَنَا، مَعَ تَوَاضُعٍ وَخُشُوعٍ. فَإِذَا قَلْتُمْ ذَلِكَ غَفَرْنَا لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَزِدْنَا الْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ إِحْسَانًا.

{ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } [البقرة: 59]

59- لكنَّ فريقاً ظالماً منكم خالفوا وعصوا، فبدلوا ما أمروا به من الخضوع بالقول والفعل، فبدل أن يدخلوا ساجدين مُستغفرين، دخلوا على هيئةٍ أُخرى مُخالفة، وقالوا قولاً آخر غير الذي أمروا به، مخالفةً ومعاندةً!
فأنزل الله على هؤلاء الظالمين غضبه وعذابه؛ لفسقهم وعصيانهم⁽⁶⁾.

{ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } [البقرة: 60]

60- واذكروا يا بني إسرائيل من نعمي عليكم، عندما استسقى دعاء نبيكم موسى عليه السلام، لما طلب الشقيا لكم، فأمرناه أن يضرب حجراً بعصاه، ففجرت منه اثنتا عشرة عيناً⁽⁷⁾، لكل قبيلة من قبائلكم عينٌ قد عرفتها. فكلوا المني والسلوى، واشربوا من هذا الماء المعين، الذي جاءكم بدون كد ولا تعب، وابدعوا الله الذي سخَّر لكم كل هذا ويسره، ولا ثقابلوهُ بالجحود والعصيان فتسلبوها.

{ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ }

(6) إن فُسِّرَ [الرجز] بالثلج كان كونه {مِّنَ السَّمَاءِ} ظاهراً، وإن بغيره فهو إشارة إلى الجهة التي يكون منها القضاء، أو مبالغة في علوه بالقهر والاستيلاء. (روح المعاني).

(7) الانفجار: الانسكاب، والانجاس: الترشح والرش، فالرش أول، ثم الانسكاب. {منه} أي: من ذلك الحجر، {اثنتا عشرة عيناً}: ماءً عذباً. (روح البيان).

خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} [البقرة: 61]

61- واذكروا نعمة الطعام الطيب الذي رزقكم الله من المن والسلوى، ولكنكم ضجرتُم منه ورغبتُم في الأدنى، فطلبتُم من موسى أن يدعو الله ليُخرج لكم البقول، من قثاء وثوم وعدس وبصل، فاستنكر نبيكم منكم هذا، وقال: أتريدون الطعام الأقل قيمةً وذوقاً على العيش الرغيد والطعام الهنيء الطيب النافع؟

إن هذا الذي سألتُموه ليس بعزيز، وهو هيئ زهيد، بإمكانكم أن تذهبوا إلى أي مكان لتجدوه فيه.

ووضع الله عليهم الذل والصغار، فلا يزالون كذلك، يستندهم ويهينهم من وجدهم، واستحقوا السخط والغضب من الله بما فعلوه من آثام كبيرة وذنوب عظام، من كفرهم بآيات الله وحججه البينة، واستكبارهم عن اتباع الحق، وإهانتهم وقتلهم أفضل الخلق أجمعين: أنبياء الله ورسله؛ فهذا جزاء من عصى الخالق واعتدى على خلقه.

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَن آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة: 62]

62- إن كل من آمن بحق، من اليهود، والنصارى، والصابئة، وهم قوم أصحاب ديانة بالعراق، أو من لم تبلغهم رسالة، آمن بالله وحده، وبيوم القيامة، وأتبع إيمانه بعمل صالح موافق للحق، فإن لهم المثوبة الحسنى بما قدموه، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أحداث، ولا هم يحزنون على ما يتركونه ويخلفونه. فالعبرة بصحة العقيدة واتباع النبي في وقته. وهذا كله قبل البعثة، أما وقد ختمت النبوة، فلا دين إلا الإسلام { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [آل عمران: 85].

{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة: 63]

63- واذكروا يا بني إسرائيل ما أخذَ عليكم من العهودِ والمواثيقِ لاتباعِ رُسُلِهِ والعملِ بالتوراةِ عُمومًا، ورفعنا الجبلَ فوقَ رؤوسِكُمْ حتَّى صارَ كالظُّلَّةِ فوقَكُم، وقُلنا لكم: خذوا ما في التَّوراةِ واعملوا بأحكامِها بقوةِ وعزمٍ، فلا مُهادنةَ ولا مُجاملةَ في أمرِ الدِّينِ والعقيدةِ. وتذكروا ما في هذا العهدِ، أو ما أنزلَ عليكم في التوراةِ ولا تعفلوا عنه، ليكونَ لكم سُلوكةً وخُلُقًا وعقيدةً، ولعلَّكم بذلكَ تنزعونَ عما أنتم عليه وتتقونَ العقوبةَ. ولما رأوا الجبلَ فوقَهم، عَلِموا أَنَّهُ مُعْجِزَةٌ تُبْهِرُ العُقُولَ، وتزدُ المكذِّبَ إلى التَّصديقِ، والشَّاكَّ إلى اليقينِ، وَعَلِموا أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَأَقْرَأُوا لِنَبِيِّهِم بِالصِّدْقِ فيما جاءَ به، وأظهروا التَّوبَةَ، وأعطوا العهدَ والميثاقَ ليقوموا بالتَّوراةِ.

{ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [البقرة: 64]

64- لكنَّكم بعدَ هذا الوعدِ الأكيدي والميثاقِ العظيمِ، نَقَضْتُمْ قولَكُم، وأدرتُم إليه ظهورَكُم. ومعَ هذا النكثِ والخيانةِ رَحِمَكُم اللهُ وتفضَّلَ عليكم، فأرسلَ إليكمُ النبيَّينَ والمرسَلينَ، ليذكِّروكمُ بالإيمانِ والطاعةِ، ولولا ذلكَ لَكُنْتُمْ في خُسْرانٍ مُّبِينٍ، وَنَدِمَ دائمٌ.

{ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ } [البقرة: 65]

65- وتذكروا معشرَ اليهودِ ما حلَّ من العذابِ بأهلِ القريةِ التي لم تلتزمَ بعهدِ اللهِ، عندما طلبوا يومَ راحةٍ مُقدَّساً لا يعملونَ فيه، فجعلَ اللهُ ذلكَ يومَ السبتِ، وابتلاهمُ بوفرةِ الحيتانِ في ذلكَ اليومِ، فما صَمَدُوا أمامَ أطماعِهِمْ وشهواتِهِمْ، وخافوا إنَّ هُم نَقَضُوا العهدَ، فَتَحَايَلُوا، وما يَحْتَالُونَ إلا على أَنفُسِهِمْ، نَصَبُوا الشُّبَّكَ والحبائلَ والبركَ قبلَ يومِ السبتِ، فإذا انقضَى أخذوا ما فيها يومَ الأحدِ. فلَمَّا فعلوا ذلكَ ونكَلُوا عن عهدهمُ معَ اللهِ، عاقَبَهُمُ بالمِسْخِ، وجعلَهُمُ في صورةِ القِرَدَةِ، أذلةً صاغرينَ.

{ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَقَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ } [البقرة: 66]

66- وكانت عقوبة أهل تلك القرية عبرة لما حولها من الثرى، وعظة لمن يَحذرون نعمة الله وسخطه، لئلا يستحلوا محارم الله بأدنى الحيل.

{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } [البقرة: 67]

67- واذكروا يا بني إسرائيل عندما قُتِلَ أحدكم ولم تعرفوا قاتله، وسألتم نبيكم معرفته، فطلب منكم أن تذبحوا بقرة - وستأتي الحكمة من ذلك - فقلتم في جفاء، وسوء أدب وتكذيب: أتهزأ بنا وتسخر منا؟ فقال لكم، وهو معلّمكم ومُرشدكم إلى الخير: حاشا أن أكون من المستهزئين بالمؤمنين، إنما الأمر بؤحي من الله.

{ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما تؤمرون } [البقرة: 68]

68- فقال اليهود: إننا لا نعرف أيّ بقرة تقصد. ولو أنهم ذبحوا أيّ بقرة لكفت، ولكنهم شدّدوا فشدد الله عليهم. قالوا: فما هي وما وصفها؟ قال لهم نبيهم: إن الله يقول: إنّها لا كبيرة هرمّة، ولا صغيرة لم يلحقها الفحل، فهي بين الكبيرة والصغيرة، وهو أقوى وأحسن ما تكون الدابة. فنقدوا ما أمرتم به.

{ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَأَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِمْ لَوْهَأَ تَسْرُ النَّاطِرِينَ } [البقرة: 69]

69- وعادوا إلى السؤال والتشديد مرّة أخرى، فقالوا: ما لوهأ؟ قال نبيهم: يقول الله: إنّها بقرة صفراء صافية اللون، تُعجب الناظرين في ذلك.

{ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ } [البقرة: 70]

70- وعادوا ليسألوا سؤالا آخر، فقالوا: اطلب من ربك أيها النبي أن يُحدّد لنا وصفها وحلّها لنا، فإذا فعل ذلك فإننا بذلك إن شاء الله نَهتدي إليها.

{ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لَّا شَيْءَ فِيهَا قَالُوا
الآن جئت بالحق فذبّوها وما كادوا يفعلون } [البقرة: 71]

71- فقال لهم: إنّ الله يقول: إنها بقرةٌ غيرٌ مُدَلّلةٍ لحِزِّ الأرض، ولا هي مهيةٌ للنّضح والسّقي، بل هي مُكرّمةٌ مُعتنى بها، صحيحةٌ لا عيب فيها، ولا شيء يُكدر لونها الأصفر. فقالوا: الآن بيّنت لنا. فذبّوها، وما كادوا أن يفعلوا ذلك بعد كلّ هذا الإيضاح!

{ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فآذَارْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ } [البقرة: 72]

72- واذكروا الحكمة من ذبح البقرة، فقد قتلتم نفساً واختلقتُم في ذلك وتخاصمتم فيه، وأراد الله أن يُظهر ما كنتم تُعيّيون من الحق، فإنّ القاتل ما كان يَعترف.

{ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يُحيي الله الموتى ويريكُم آياته لعلّكُم تعقلون } [البقرة: 73]

73- فقلنا: اضربوا القاتل بجزء من أجزاء البقرة المذبوحة، فيحيا المقتول، ويذكر قاتله. وهذا مثال لقدرة الله على إحياء الموتى، وصيرورة الرميم إلى ما كان، وإن لم تُدرِكوا كنهه، ولكنّه درسٌ واقعيٌّ شاهدتموه عياناً، لتعقلوا وتنفكروا، وتؤمنوا بقدره الله.

{ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِن مِّن الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِن مِّنْهَا لَمَا يَشْفَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِن مِّنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } [البقرة: 74]

74- وبعد كلّ هذه الآيات والنعم والتحذيرات، قست قلوبكم فصارت كالحجارة التي لا علاجَ ليينها، وبعضها أقسى منها، فإنّ من الحجارة ما تتفجّر منه العيون الجارية، ومنها ما يتشقق فيخرج منه الماء وإن لم يكن جاريّاً، ومن الحجارة ما يهبط من رأس الجبل خوفاً من

الله، وقد ذُكَّ الجبلُ عندما تجلَّى اللهُ له وَخَرَّ موسى صَعِقاً. وقلوبُكم لا تَلِينُ، ولا تَنْبِضُ بِخَشْيَةِ اللهِ، والله ليس بِعَافِلٍ عن أَعْمَالِكُمْ وَقَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ، التي لا يُنْتَظَرُ منها سِوَى الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ، إِنَّمَا هُوَ تَأخِيرٌ إِلَى مَوْعِدِ مُحَاسِبَتِكُمْ.

{ أَفْتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [البقرة: 75]

75- بعد أن تَبَيَّنَتْ لَكُمْ طَبِيعَةُ الْيَهُودِ، مِنْ قَسَاوَةِ قُلُوبِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، أَفْتَطْمَعُونَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يَنْقَادُوا لَكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَقَدْ كَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ يَسْمَعُونَ التَّوْرَةَ وَيَعْرِفُونَ مَعَانِيَهَا، ثُمَّ يُؤَوَّلُونَهَا تَأْوِيلَاتٍ بَعِيدَةً عَلَى غَيْرِ مَدْلُولِهَا الصَّحِيحِ، وَهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ أَتْمُونَ بِذَلِكَ!؟

{ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } [البقرة: 76]

76- وَإِذَا لَقِيَ الْيَهُودَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: آمَنَّا بِأَنَّ مُحَمَّدًا مُرْسَلٌ، يَعْنِي عَلَى مَا بَشَّرَتْ بِهِ التَّوْرَةَ، فَإِذَا كَانُوا وَخَدَّهُمْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: كَيْفَ تُقْرُونَ عِنْدَهُمْ بِصِحَّةِ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنَ التَّوْرَةِ لِيَكُونَ ذَلِكَ حُجَّةً لَهُمْ عَلَيْكُمْ، فَيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ، فَيَخْصِمُوكُمْ، اعْقِلُوا إِذَا، فَاتُّمُوا وَاسْكُتُوا!

{ أَوْلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ } [البقرة: 77]

77- أَوْلَا يَعْلَمُ الْيَهُودُ أَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ، وَيَعْلَمُ مَا يُبْطِنُونَ وَمَا يُظْهِرُونَ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُمْ يُسِرُّونَ بِتَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ { الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ } [الأعراف: 157].

{ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ } [البقرة: 78]

78- وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ لَا يَعْرِفُونَ الْكِتَابَةَ، وَيَجْهَلُونَ مَا وَرَدَ فِي التَّوْرَةِ، فَلَا يَفْقَهُونَ شَيْئاً، وَلَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا بِأَوْهَامٍ وَظُنُونٍ، وَلِذَلِكَ فَهَمْ يَتَعَلَّقُونَ بِمَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُمْ، فَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ، وَأَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مِنْ دُونِ النَّاسِ، وَأَنَّهُمْ إِذَا دَخَلُوا النَّارَ فَلَا يَبْقُونَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَمَانِيِّ.

{ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً
فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ } [البقرة: 79]

79- وَفَرِيقٌ آخَرَ مِنْكُمْ يَدْعُونَ إِلَى الضَّلَالِ، فَيُزَوِّرُونَ مَا فِي التَّوْرَةِ، يَكْتُبُونَ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَيْسَ مِنْهَا وَيَقُولُونَ إِنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، مُقَابِلَ هَدَفِ حَقِيرٍ وَطَمَعِ زَائِلٍ، هُوَ أَنْ يُعْطُوا مَبْلَغاً زَهِيداً مِنَ الْمَالِ! فَالْهَلَاكُ وَالْعَذَابُ لَهُؤُلَاءِ الْمَزُورِينَ، الَّذِينَ يَكْتُبُونَ بِأَيْدِيهِمْ الْكُذْبَ وَالْإِفْتِرَاءَ، وَوَيْلٌ لَهُمْ مِنْ كَسْبِهِمُ الدُّنْيَاءَ وَمَا أَكَلُوا بِهِ مِنَ الشُّحْتِ.

{ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ
أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [البقرة: 80]

80- وَمَنْ جَهِلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا إِنَّهُمْ لَنْ يَبْقُوا فِي الْعَذَابِ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ ثُمَّ يُخْرَجُونَ مِنْهَا إِلَى النَّعِيمِ! فَقُلْ لَهُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ: هَلْ أَخَذْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ مِنْ ذَلِكَ وَعَدًّا مِنَ اللَّهِ؟ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ سَبْحَانَهُ لَا يُخْلِفُ عَهْدَهُ، وَلَكِنْ مَتَى كَانَ هَذَا وَكَيْفَ؟ إِنَّهُ مَا جَرَى وَلَا كَانَ، بَلْ هُمْ يَكْذِبُونَ وَيُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ.

{ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }
[البقرة: 81]

81- فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا قُلْتُمْ وَلَا كَمَا تَمَنِّيْتُمْ، بَلْ إِنَّ مَنْ ارْتَكَبَ ذَنْباً وَجَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ الْمُقِيمِينَ فِيهَا. وَهُوَ حَالُ الْكَافِرِ.

{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة: 82]

82- والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة، الموافقة للشرعة، الخالصة لله، فإنهم من أهل الجنة، المخلدين فيها أبداً.

{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ } [البقرة: 83]

83- واذكروا أيضاً يا بني إسرائيل ما أمرناكم به وأخذنا ميثاقكم عليه، وهو ألا تعبدوا إلا الله ولا تشركوا به شيئاً، وهذا ما أمر به جميع الخلق، وهو حقه سبحانه عليهم. ثم حقه المخلوقين بأن يحسن كل إلى والديه ويطيعهما في غير معصية، ويحسن كذلك إلى أقربائه واليتامى، والمساكين الذين لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم وأهليهم. وأن تقولوا الكلام الطيب والقول الحسن، في حلم وعفو ولين جانب، وخاصّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأن تقيموا الصلاة لربكم، وتؤتوا الزكاة لأهلها.. لكنكم أعرضتم عن كل هذه الأوامر وتكرّمتم لها، إلا القليل منكم، ممن عصمه الله، فوفى الله بعهد وميثاقه⁽⁸⁾.

{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ
وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ } [البقرة: 84]

84- واذكروا أيضاً أننا أخذنا إقراركم وعهدكم في التوراة بأن لا يقتل بعضكم بعضاً، ولا يخرجوه من دياره، ولا يظاھر عليه، فأهل الملة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة. وقد أقررتهم بهذا الميثاق وصحّته، وشهدتم به.

{ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تَفَادُوهُمْ وَهُوَ حَرْمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ

(8) وهم من الأسلاف: من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ، ومن الأخلاف: من أسلم، كعبدالله بن سلام وأضرابه. فالقلة في عدد الأشخاص.. (روح المعاني)..

الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ فَمَا جَزَاءَ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: 85]

85- وَلَكِنَّكُمْ نَقَضْتُمُ الْمِيثَاقَ فِي هَذَا كَمَا نَقَضْتُمُوهُ فِي غَيْرِهِ، فَصَارَ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَفَرِيقٌ مَعَ الْأَوْسِ وَفَرِيقٌ مَعَ الْخَزْرَجِ. كَمَا تُخْرِجُونَ بَعْضَكُمْ مِنْ بِيوتِ بَعْضٍ، وَتَنْهَبُونَ مَا فِيهَا مِنْ الْمَالِ وَالْمَتَاعِ وَتَأْخُذُونَ سَبَايَاهُمْ، وَتَقُودُونَ أَعْدَاءَكُمْ عَلَى بَعْضِكُمُ الْبَعْضِ، وَتُسَاعِدُوهُمْ عَلَيْهِمْ، وَإِذَا انْتَهتِ الْحَرْبُ تَفُكُّونَ الْأَسَارَى مِنَ الْفَرِيقِ الْمَغْلُوبِ وَتُقَادُوهُمْ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عَمَلًا بِحُكْمِ التَّوْرَةِ، وَلَكِنْ لِمَاذَا تَعْمَلُونَ هُنَا بِالتَّوْرَةِ بَيْنَمَا تُنَاقِضُونَ أَحْكَامَهَا فِيمَا مَضَى وَيَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْحَرْبِ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ؟ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ التَّوْرَةِ وَتَكْفُرُونَ بِالْبَعْضِ الْآخَرِ فِيهِ؟

إِنَّ جَزَاءَ مَنْ يَكُونُ كَذَلِكَ هُوَ الْخِزْيُ وَالْعَارُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، كَمَا كَانَ عَاقِبَتَكُمْ، مِنَ الْقَتْلِ وَالسَّبِي، وَالْجَلَاءِ وَالنَّفْيِ، وَهُوَ بِسَبَبِ مُخَالَفَتِكُمُ الشَّرْعِ. أَمَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَالْعَذَابُ الشَّدِيدُ، جَزَاءَ كَتْمِكُمْ مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَعَصْيَانِكُمْ أَحْكَامَهُ، وَاللَّهُ لَيْسَ بِغَافِلٍ عَنْ هَذَا كُلِّهِ، بَلْ يُحْصِيهِ عَلَيْكُمْ لِيُحَاسِبَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

{أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} [البقرة: 86]

86- فَإِنَّ جَزَاءَ مَنْ اسْتَحَبَّ الدُّنْيَا وَالتَّهَى بِزِينَتِهَا وَمَتَّعَهَا وَفَضَّلَهَا عَلَى الْآخِرَةِ، هُوَ أَلَّا يُخَفَّفَ عَنْهُ الْعَذَابُ، وَلَا يُدَافَعَ عَنْهُ، وَلَا يُنقَذَ مِنْهُ.

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} [البقرة: 87]

87- واذكروا أيها اليهودُ مِنْ مَوَاقِفِكُمْ فِي مَخَالَفَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَمُعَانَدَتِهِمْ وَاتِّبَاعِ أَهْوَائِكُمْ فِي ذَلِكَ، أَنْ آتَيْنَا مُوسَى التَّوْرَةَ، الَّتِي حَرَّفْتُمُوهَا وَبَدَّلْتُمُوهَا، وَمَخَالَفْتُمْ أَمْرَهَا وَأَوْلَيْتُمُوهَا. وَاتَّبَعْنَاهُ بِرُسُلٍ آخَرِينَ كَانُوا يَحْكُمُونَ بِمَا فِي التَّوْرَةِ، حَتَّى جَاءَ عِيسَى خَتَامُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَيَّدْنَاهُ

بالمعجزات الكبيرة، كالأخبار بما في الغيب، وإبراء المرضى، وإحياء الموتى بإذن الله. وقويته بجبريل كذلك، يكون معه ويصدق ما جاءكم به، وأنزلنا عليه الإنجيل فيه مخالفة لبعض أحكام التوراة، فما وافق ذلك أهواءكم ونزواتكم المتقلبة، مع كل ما أُيد به، فعاندتموه وتعاليتم على موافقته، وانصرفتم إلى مجادلتيه ومخالفته. أوكلنا أرسلنا إليكم رسولا استكبرتم عن قبول الحق، ففريق منكم يكذبهم، وآخر يقتلهم؟!

{ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ } [البقرة: 88]

88- وقال اليهود: قلوبنا مغلقة لا تنفذ إليها دعوة الإسلام ولا تقبلها! بل قلوبهم ملعونة مبعدة من رحمة الله وهدايه، فطبع عليها بالكفر لرفضها وحذلانها عن قبول الحق. فإيمانهم قليل، أو إن القليل منهم يؤمن.

{ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى

الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ } [البقرة: 89]

89- ولما جاء اليهود القرآن الكريم، المنزل على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مصدق لما في التوراة، وكانوا قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام يستنصرون به على أعدائهم المشركين إذا قاتلوهم، يقولون: إن نبيا بُعثت نتبعه، قد أظل زمانه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما بُعث صلى الله عليه وسلم من قريش وهم يعرفون أنه هو، بصفاته، كفروا به وحذوا ما كانوا يقولون فيه؛ لأنه ليس منهم، فلعنه الله عليهم بسبب كفرهم، وسخط الله وعداؤه على الجاحدين بمحمد صلى الله عليه وسلم.

{ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ }

[البقرة: 90]

90- فبيست التجارة تجارتهم أن شروا الحق بالباطل، فكفروا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حسداً وبغضاً وتكبيراً أن لم يكن منهم. و{اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [سورة

الأنعام: 124]، فَيَصْطَفِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لَتَحْمِلِ أَعْيَاءَ الرِّسَالَةِ، وَلَيَسْئُوا هُمُ الَّذِينَ يَجِدُّونَ الرُّسُولَ.

لقد استحقُّوا بهذا غضباً مُضاعَفاً: عندما ضيَّعوا التوراةَ وهيَ معهم، ثمَّ كفَّروا بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم.

وقد خسروا في تجارتهم عندما لم ينضمُّوا إلى لواءِ الإسلامِ الجيد، كما سيَندُمونَ في الآخرةِ بما ينتظرهم من العذابِ جزاءَ كفرهم هذا، وسوف يكونَ عذاباً مُهيناً ومُذلاً لهم.

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُرْمَى بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [البقرة: 91]

91- وإذا قيلَ لليهودِ أو أهلِ الكتابِ عامَّةً: آمِنوا بما أنزلَ على النبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم وصدِّقوه وأتبعوه، قالوا: نكتفي بما أنزلَ علينا من التوراةِ والإنجيل، وفيهما الحقُّ، ولا نُقرُّ بغيرهما، فيكفرونَ بالقرآن، وهم يعلمونَ أنَّه مُصدِّقٌ لِمَا فِيهِمَا، وهم كاذبونَ مُعانِدون. فقلْ لهم أيُّها الرُّسول: إذا كنتم تدَّعونَ صدقَ الإيمانِ فيما أنزلَ عليكم، فلمَ قتلتمُ الأنبياءَ الذين جاؤوكم بتصديقِ التوراةِ والحكمِ بها وأنتم تعلمونَ صدقَهُمْ؟ بل هو الهوى والتشهي، والبغي والاستكبار، وليس هذا من صفاتِ المؤمنين.

{ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ } [البقرة: 92]

92- وقد جاءكم موسى عليه الصلاة والسلام بدلائلٍ قاطعة، وآياتٍ واضحة، كالطوفان، والجراد، والعصا، وقلقِ البحر، وغيرها، ثمَّ اتَّخذتمُ العجلَ مَعْبوداً من دونِ الله، في زمانه وآياته، وكانَ في الطورِ يُناجِي رَبَّهُ!! فكنتمُ بذلك ظالمينَ عاصين، لا مؤمنينَ كما تدَّعون.

{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [البقرة: 93]

93- وَمِنْ إِعْرَاضِكُمْ عَنِ الْحَقِّ وَمُخَالَفَتِكُمْ لِلْمِيثَاقِ، عِنْدَمَا رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الْجَبَلَ، وَأَخَذْنَا عَلَيْكُمْ الْعَهْدَ بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ بِقُوَّةٍ وَإِرَادَةٍ وَعِزْمٍ، فَوَافَقْتُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنَّكُمْ عُدْتُمْ إِلَى عَصِيَانِكُمْ وَعِنَادِكُمْ وَاتَّبَاعِ أَهْوَائِكُمْ.

لقد أُشْرِبَ فِي قُلُوبِهِمْ حُبُّ الْعِجْلِ وَعِبَادَتُهُ بِكُفْرِهِمْ، وَكَأَنَّهُ مَوْفِقُهُمُ الْمَفْضَلُ بَعْدَ كُلِّ أَمْرٍ! فَبَعَسَ هَذَا الْإِيمَانَ، إِنْ كَانَ مِنْ إِيمَانٍ، الَّذِي يَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بِآيَاتِ اللَّهِ وَمُخَالَفَةِ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ الْكُفْرِ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ، الْمَبْعُوثِ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ. فَكَيْفَ تَدْعُونَ الْإِيمَانَ بِمَا عِنْدَكُمْ وَقَدْ نَقَضْتُمْ هَذِهِ الْمَوَاقِيقَ، وَكُفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَعَبَدْتُمْ الْعِجْلَ؟!!

{ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [البقرة: 94]

94- قُلْ لِلْيَهُودِ أَيُّهَا الرُّسُولُ: إِذَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ وَخَدَّكُمْ الْفَائِزُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُونَ سَائِرِ الْأُمَمِ، فَتَعَالَوْا إِلَى الْمِبَاهِلَةِ، بِأَنْ يَقِفَ فَرِيقٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَفَرِيقٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَيَدْعُوا اللَّهَ بِمَوْتِ الْكَاذِبِ مِنْهُمَا.

{ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } [البقرة: 95]

95- وَلَنْ يَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ أَبَدًا، بِمَا جَنَّتْ أَيْدِيهِمْ وَاقْتَرَفَتْ مِنْ آثَامٍ، وَلِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ مَآلِهِمُ السَّيِّئِ وَعَاقِبَتِهِمُ الْخَاسِرَةَ. فَمَا اسْتَجَابُوا لِلْمِبَاهِلَةِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ إِنْ طَلَبُوا الْمَوْتَ خَافُوا أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ فَيَأْخُذَهُمْ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا قَدَّمُوا مِنْ عَمَلٍ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِهِمْ وَبِمَا صَدَرَ عَنْهُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ وَالْمَعَاصِي الْمَفْضِيَةِ إِلَى الْعَذَابِ.

{ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ } [البقرة: 96]

96- وَسَتَجِدُهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى طَوْلِ الْعُمُرِ، وَوَدُّوا لَوْ عُمِّرُوا أَلْفَ سَنَةٍ؛ لِمَعْرِفَتِهِمْ بِمَآلِهِمُ السَّيِّئِ، بَلْ يَوَدُّونَ لَوْ تَأَخَّرُوا عَنْ يَوْمِ الْحِسَابِ بِمَا أَمَكَّنَهُمْ، لِمَا يَتَوَقَّعُونَ مَا يَنْتَظِرُهُمْ. وَكَذَا

المشرك، لأنَّه لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ البَعثِ، والدُّنْيَا جَنَّتُهُ، ولا حَظَّ لَهُ في جَنَّةِ الخُلدِ، بل يَتَنظَرُ العَذَابَ الأليم، مَهْمَا عَمَّرَ في الدنْيَا، فلا مَنجَى مِنَ الحِسابِ والعقابِ، وَاللَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَعْمَلُ الجَمِيعُ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

{ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } [البقرة: 97]

97- لقد زَعَمَتِ اليهودُ أن جِبْرِيلَ عليه السَّلامُ عَدُوٌّ لَهُمْ، لأنَّه وُلِّيَ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ وَلِيَّهُ غَيْرُهُ لَاتَّبَعُوهُ، كما في الحديثِ الصَّحيحِ! اختَرَعوا هذه القِصَّةَ المِضحَكَةَ لَمَّا رَأَوْا أَنَّ جِبْرِيلَ يَنْزِلُ بِالوَحْيِ على النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما هُوَ إِلا عَبْدٌ مُنْفَعِدٌ، لا يَزِيدُ على ما أَمَرَهُ اللَّهُ بهِ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَإِنَّ وَلِيَّيَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ، ولم يبعثِ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ إِلا وَهُوَ وَلِيُّهُ"، كما رواه أَحْمَدُ وغيرُهُ بِإِسنادٍ صَحيحٍ. فَقُلْ لَهُمْ: مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ الرُّوحُ الأَمِينُ الَّذِي نَزَلَ بِالقُرْآنِ على قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ، الكِتابِ المِصْدَقِ لِلكِتابِ السَّماوِيَةِ المِتَّقَدِّمَةِ، هُدًى لِلقُلُوبِ المُؤمِنَةِ، وتبشيراً لَهُمْ بِالجَنَّةِ.

{ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ } [البقرة: 98]

98- إِنَّ مَنْ عَادَى رَسولاً فَقَدْ عَادَى جَمِيعَ الرُّسُلِ، وَمَنْ آمَنَ بِرَسولٍ فَعليه أَنْ يُؤْمِنَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ، كما أَنَّ مَنْ كَفَرَ بِرَسولٍ فَقَدْ كَفَرَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ. يقولُ اللَّهُ سُبْحانَهُ: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا } [سورة النساء: 150]، [151].

وَمَنْ عَادَى اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَنْبِيََاءَهُ وَرُسُلَهُ، وَبَيْنَهُمْ جَبْرِيْلُ وَمِيكَالُ⁽⁹⁾، فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لَهُمْ؛ لِكُفْرِهِمْ، وَمَنْ عَادَاهُ اللَّهُ بَاءَ بِالْخُسْرَانِ حَتْمًا.

{وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ} [البقرة: 99]

99- ولقد أنزلنا إليك يا محمد (صلى الله عليه وسلم) دلائل وعلامات واضحة على نبوتك وصدق ما جئت به، ولا يكفر بها إلا الفاسقون المنحرفون عن الفطرة السليمة.

{أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [البقرة: 100]

100- أوكَلَّمَا عَاهَدَ الْيَهُودُ عَلَى الْإِتِّزَامِ بِأَمْرِ نَكَلٍ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَرَفَضَ الْعَهْدَ؟ وَهَذَا دَأْبُهُمْ حَتَّى خَانُوا الْعَهْدَ الَّذِي أBRَمُوهُ مَعَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ مَقْدَمِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ .. بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالرَّسُولِ الْمَبْعُوثِ إِلَيْهِمْ وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةً، الَّذِي يَجِدُونَ صِفَتَهُ فِي كِتَابِهِمْ، وَقَدْ أَمَرُوا بِاتِّبَاعِهِ وَمَنَاصِرَتِهِ.

{وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [البقرة: 101]

101- وَلَمَّا بُعِثَ الرَّسُولُ الَّذِي انْتَضَرُوهُ، وَقَدْ جَاءَ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ عَامَّةً، طَرَحَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ الْكِتَابَ الَّذِي بِأَيْدِيهِمْ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ⁽¹⁰⁾، لِمَا فِيهِ مِنَ الْبِشَارَةِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا فِيهَا!

لَقَدْ تَرَكُوا الْكِتَابَ وَأَقْبَلُوا عَلَى السَّحْرِ! تَرَكُوا مَا يَنْفَعُهُمْ وَأَقْبَلُوا عَلَى مَا يَضُرُّهُمْ وَيَضُرُّ غَيْرَهُمْ، كَمَا يَأْتِي.

(9) حُصَّ جَبْرِيْلُ بِالذِّكْرِ هُنَا لِزِيَادَةِ الْإِهْتِمَامِ بِعِقَابِ مَعَادِيهِ، وَلِيُذَكَّرَ مَعَهُ مِيكَائِيلُ، وَلِعَلَّهُمْ عَادَوْهَا مَعًا، أَوْ لِأَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ جَبْرِيْلَ رَسُولُ الْخُسْفِ وَالْعَذَابِ، وَأَنَّ مِيكَائِيلَ رَسُولُ الْخُصْبِ وَالسَّلَامِ.. (التحرير والتنوير).

(10) مَثَلٌ لَتَرَكُهُمْ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ بِالْكَلِيَّةِ بِمَا يُرْمَى بِهِ وَرَاءَ الظَّهْرِ، اسْتِغْنَاءً عَنْهُ، وَقَلَّةَ التَّفَاتِ إِلَيْهِ. (روح البيان).

{وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [البقرة: 102]

102- وَاتَّبَعَ الْيَهُودُ الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ التَّوْرَةِ وَخَالَفُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اتَّبَعُوا مَا تَرَوِيهِ الشَّيَاطِينُ وَتُخْبِرُ بِهِ فِي مُلْكِ سُلَيْمَانَ، وَتَكْذِبُ عَلَيْهِ وَتَقُولُ: إِنَّهُ كَانَ سَاحِرًا، وَإِنَّ مَا سُحِّرَ لَهُ كَانَ بِمَا يَسْتَعْمِدُهُ مِنْ سِحْرِ. وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيًّا كَرِيمًا قَانِتًا، وَمَا كَانَ كَافِرًا كَمَا قَالَتْ يَهُودُ أَوْ الشَّيَاطِينُ لَعْنَهُمُ اللَّهُ {وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [سورة ص: 30]، وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا، حَيْثُ يُعَلِّمُونَ السُّحْرَ. وَلَمْ يَنْزِلِ السُّحْرُ عَلَى الْمَلَكَيْنِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ فِي بَابِلَ، بَلْ كَانَا هُنَاكَ لِحِكْمَةٍ لَا نَعْرِفُهَا، وَلِلَّهِ أَنْ يَمْتَحِنَ عِبَادَهُ بِمَا شَاءَ.

فَإِذَا أَتَاهُمَا مَنْ يَرِيدُ تَعَلُّمَ السُّحْرِ قَالَا لَهُمْ: إِنَّمَا نَحْنُ هُنَا فِتْنَةٌ وَابْتِلَاءٌ، فَلَا تَعْمَلُوا بِالسُّحْرِ، فَإِنَّ مِنْ أَعْتَقَدَ إِبَاحَتَهُ أَوْ جَوَّازَ الْعَمَلِ بِهِ كَفَرَ، فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْ عِلْمِ السُّحْرِ مَا هُوَ مَذْمُومٌ، مِنْ شَرِّ وَأَدَى، فَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، مَعَ مَا جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا مِنْ مَحَبَّةٍ وَرَحْمَةٍ. وَهُمْ لَا يَتِمَكَّنُونَ مِنَ الضَّرْرِ بِأَحَدٍ إِلَّا إِذَا قَدَّرَ اللَّهُ وَخَلَّى بَيْنَ السَّحْرَةِ وَمَا أَرَادُوا، فَإِذَا شَاءَ سَلَّطَهُمْ عَلَى الْمَسْحُورِ، وَإِذَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يُسَلِّطَهُمْ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ مَضَرَّةَ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَهَكَذَا صَارُوا يَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ فِي دِينِهِمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ، لِأَنَّهُمْ يَقْصِدُونَ بِهِ الشَّرَّ. وَقَدْ عَلِمَ الْيَهُودُ الَّذِينَ اسْتَبَدَلُوا السُّحْرَ بِالْإِيمَانِ وَمَتَابَعَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ نَصِيبٌ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، فَبُئِسَتْ التَّجَارَةُ تَجَارَتُهُمْ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قِصَّةِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ: حَاصِلُهَا رَاجِعٌ فِي تَفْصِيلِهَا إِلَى أَخْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ لَيْسَ فِيهَا حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ صَحِيحٌ مُتَّصِلٌ الْإِسْنَادِ إِلَى الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ الْمَعْصُومِ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. وَظَاهِرٌ سِيَاقِ الْقُرْآنِ إِجْمَالُ الْقِصَّةِ مِنْ غَيْرِ بَسْطٍ وَلَا إِطْنَابٍ فِيهَا، فَحُجَّتْ نَوْْمٌ بِمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ عَلَى مَا أَرَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ.

{ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } [البقرة: 103]

103- ولو أنهم آمنوا واتَّقوا الله فاجتنبوا ما حرَّمه من سحرٍ وشرك، ومخالفةٍ للأنبياء، لكان أجرهم عند الله خيراً من هذا الذي رضوا به لأنفسهم من باطلٍ وشر. ولو كانوا يعلمون مَثُوبَةَ الله لما اشتروا السَّحر.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ }

[البقرة: 104]

104- أيها المؤمنون، لا تشبَّهوا باليهود والمشركين في مقالهم وفعالهم، ولا يكن في كلامكم توريةٌ فيها تنقيصٌ، فلا تقولوا: "راعنا"، الذي فيه توريةٌ بالرعونة، وهو الهوج والحُمق، مثلما يقول اليهودُ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان قصدكم أنتم المراعاةَ والمراقبةَ والتأني، ولكن قولوا: "انظُرنا" أي انظُرنا وأمهلنا.

ولليهود الكافرين عذابٌ مُوجعٌ لما اجترؤوا عليه وجعلوا ما يقولون سبباً للتهاون برسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

{ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ }

{ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [البقرة: 105]

105- إنَّ الكافرين، سواءً أكانوا مشركين أم من أهل الكتاب، شديدو العداوة لكم، لا يريدون لكم الخيرَ ألبتَّة، فلا تشبَّهوا بهم ولا تُؤادُوهم، فإنَّ قلوبهم تغلي بالحقد والحسدِ على ما خصَّكم اللهُ به من رحمتهِ الواسعةِ وفضلهِ الكبير، فأنزل الوحيَ على مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وهو بين ظَهْرَانِيكُمْ، فاستمسكوا بهذا الذي يحسُدونكم عليه، واشكروا فضله، ليحفظه فيكم ويزيدكم منه، وليس هناك أجلٌ من نعمةِ الإيمان والاستجابةِ لدعوةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فاحرصوا على ذلك.

{ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مُنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَمْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة: 106]

106- ما نُبَدِّلُ مِنْ آيَةٍ، أَوْ نَنْقُلُ حُكْمًا مِنْهَا إِلَى غَيْرِهِ، كَتَحْوِيلِ أَمْرٍ إِلَى نَهْيٍ، أَوْ مَحْظُورٍ إِلَى مُبَاحٍ، مِنْ التَّشْرِيعَاتِ وَالتَّكَالِيفِ الَّتِي تُلَاثِمُ أَحْوَالَ النَّاسِ وَأُمُورَهُمُ الْمُتَطَوِّرَةَ، أَوْ نُنْسِيهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَمَحُو مَا نَشَاءُ، إِلَّا كَانَ الَّذِي أُثْبِتَ خَيْرًا مِنَ السَّابِقِ، أَوْ مِثْلَهُ، بِحَسَبِ مُقْتَضِيَاتِ الْأَحْوَالِ وَصَلَاحِ الْبَشَرِيَّةِ، وَاللَّهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ.

{ أَمْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } [البقرة: 107]

107- أَمْ تَعْلَمُ أَيُّهَا النَّبِيُّ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي خَلْقِهِ كَمَا يَشَاءُ دُونَ غَيْرِهِ، فَلَهُ وَحْدَهُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، وَيَنْسَخُ وَيُبَدِّلُ، وَيُعَيِّرُ وَيُقَرِّرُ مِنَ الْأَحْكَامِ لِعِبَادِهِ مَا يَشَاءُ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ وَبِمَا يُصْلِحُهُمْ وَيُصْلِحُ أَحْوَالَهُمْ، وَمَا عَلَيْهِمْ إِلَّا السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي تَنْفِيذِ مَا أَمَرَ، وَالْكَفُّ عَمَّا نَهَى. وَكَيْسَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلِيُّ يُقَوِّبُهُمْ وَيَهْدِيهِمْ، وَلَا نَصِيرٌ يُؤَيِّدُهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ إِلَّا اللَّهُ، فَكُونُوا عَلَى حَذَرٍ مِنْ تَشْكِيكِ أَعْدَائِكُمْ، وَاحْذَرُوا أَضَالِيْلَهُمْ وَخُدَعَهُمْ.

{ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } [البقرة: 108]

108- أَمْ تُرِيدُونَ - لِبَعْضِ الصَّحَابَةِ - أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ عَلَى وَجهِ التَّعْتُّتِ كَمَا سَأَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ نَبِيَّهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَكْذِيبًا وَعِينَادًا؟ فَاحْذَرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ يَسْتَبَدِلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ خَرَجَ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ وَدَخَلَ فِي ظُلْمَاتِ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ، وَهُوَ حَالٌ مَنْ كَانَ يَسْأَلُ الْأَنْبِيَاءَ مَا لَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، عَلَى وَجهِ التَّعْتُّتِ وَالْكَفْرِ، فَيَعْدِلُونَ عَنْ تَصَدِيقِهِمْ وَاتِّبَاعِهِمْ إِلَى مَخَالَفَتِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، فَإِيَّاكُمْ وَهَذَا، وَإِيَّاكُمْ أَنْ يَقُودَكُمْ الْيَهُودُ إِلَى مِثْلِ هَذَا، فَإِنَّ نَهَايَتَهُ الضَّلَالُ.

{ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ
مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ } [البقرة: 109]

109- إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ يَتَمَنَّوْنَ لَوْ قَدَرُوا عَلَىٰ أَنْ يُعِيدُوكُمْ إِلَى الْكُفْرِ كَمَا
كُنْتُمْ، وَأَنْ يَسْلُبُوا مِنْكُمْ هَذَا الْخَيْرَ الَّذِي هُدَيْتُمْ إِلَيْهِ؛ حَسَدًا وَحَقْدًا مِنْ نَفْسِهِمْ، الَّتِي لَا
تَحِبُّ الْخَيْرَ لِلنَّاسِ، بَعْدَمَا تَبَيَّنَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، كَمَا يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ، فَكَفَرُوا بِهِ حَسَدًا وَبَغْيًا أَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ.
ولكن لا تقابلوهم أنتم بهذا الخلق السيئ، بل كونوا أرفع من هذا وأعلى، فلا تؤاخذوهم ولا
تؤنبوهم، بل اعفوا واصفحوا الآن، حتى يأتي أمر الله، وهو الإذن بالقتال، أو هو قتل بني
قُرَيْظَةَ، وإجلاء بني النَّضِيرِ، وإذلالهم بضرب الجزية عليهم. والله قادر على كل شيء، وعلى
الانتقام منهم إذا أراد.

{ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [البقرة: 110]

110- وَصَلُّوا لِلَّهِ وَدَاوِمُوا عَلَىٰ عِبَادَتِهِ، وَادْفَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَاشْتَغِلُوا بِمَا يَنْفَعُكُمْ وَتَعُوذُ
عَاقِبَتُهُ عَلَيْكُمْ بِالْخَيْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّكُمْ مَهْمَا عَمَلْتُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فِي السِّرِّ أَوْ فِي الْعَلَنِ،
فإنَّه بصيرٌ به، يَدَّخِرُهُ لَكُمْ ثُمَّ يُحَاسِبُكُمْ عَلَيْهِ.

{ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [البقرة: 111]

111- وَاعْتَرَّ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ عِنْدَمَا ظَنُّوا أَنَّهُمْ وَحَدَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، فَقَالَتْ
كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُمَا: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا. وَهِيَ أُمْنِيَّةٌ تَمَنُّوْهَا عَلَى اللَّهِ
بِعَيْرِ حَقٍّ، وَادِّعَاءٌ لَا يَسْتَتِدُّ إِلَى دَلِيلٍ، فَقُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: مَا هِيَ حُجَّتُكُمْ فِي ذَلِكَ؟
اذكروها إن كنتم صادقين فيما تدعونته.

{ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة: 112]

112- إِنَّ القَاعِدَةَ فِي الأَمْرِ، هِيَ أَنَّ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ، وَاتَّبَعَ هَدْيَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَحْسَنَ فِي عَمَلِهِ بِالإِخْلَاصِ، فَهَذَا أَجْرُهُ مَضْمُونٌ عِنْدَ اللهِ، فَلَا يَخَافَنَّ عَلَى مَا يَسْتَقْبِلُهُ، وَلَا يَحْزَنَنَّ عَلَى مَا تَرَكَه. وَعَبَّرَ بِالْوَجْهِ، لِأَنَّهُ أَشْرَفُ الأَعْضَاءِ، وَجَمَعَ المَشَاعِرَ، وَمَوْضِعَ السُّجُودِ، وَمَظْهَرَ آثَارِ الخُضُوعِ، الَّذِي هُوَ مِنْ أَخْصِ خِصَائِصِ الإِخْلَاصِ.

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } [البقرة: 113]

113- ثُمَّ ادَّعَى كُلُّ طَرَفٍ ضَلَالَ الآخَرَ وَتَنَافُضَهُ، مَعَ بُغْضِهِ وَعِدَاوَتِهِ لَهُ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ: إِنَّ النَّصَارَى لَيْسَتْ عَلَى حَقٍّ، كَفَرًا بِنُبُوَّةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْإِنْجِيلِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى: لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى حَقٍّ، جَحْدًا بِنُبُوَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكُفْرًا بِالتَّوْرَةِ، كَمَا حَدَّثَ لَوْفِدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَحْبَارُ الْيَهُودِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي حَدِيثِ سَنَدُهُ حَسَنٌ. بَيْنَمَا كُلُّ يَتَلَوُ فِي كِتَابِهِ تَصْدِيقَ مَنْ كَفَرَ بِهِ! وَكُلُّ مِنْهُمَا كَانَ مُشْرِعًا فِي وَقْتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا تَجَاحَدُوا ذَلِكَ عِنَادًا وَكُفْرًا، وَمَقَابِلَةً لِلتَّضْلِيلِ بِالتَّضْلِيلِ. وَأَطْرَافٌ وَطَوَائِفُ أُخْرَى قَالَتْ ذَلِكَ. فَاللَّهُ يَجْمَعُهُمْ جَمِيعًا فِي يَوْمِ المَعَادِ، وَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْ بِقَضَائِهِ العَدْلِ، وَيَقْسِمُ لِكُلِّ فَرِيقٍ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ العِقَابِ.

{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [البقرة: 114]

114- وَلَيْسَ هُنَاكَ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ ذِكْرَ اللهِ فِي المَسَاجِدِ، وَسَعَى فِي تَعْطِيلِهَا أَوْ هَدْمِهَا وَخَرَابِهَا، وَمَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُؤَلَاءِ إِلَّا أَنْ يَدْخُلُوهَا بِخُشْيَةٍ وَخُضُوعٍ، فَضَالًا مِنَ الاجْتِرَاءِ عَلَى

تخريبها أو تعطيلها. وقد تجرأ المشركون فَمَعَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومَ الحُدَيْبِيَّةِ مِنْ دخولِ المسجدِ الحرامِ! فلا تُمَكِّنُوا أحداً منهم مِنْ دخولِهِ إذا قَدَرْتُمْ على ذلك. وقد مُنِعُوا حقاً عندما نَصَرَ اللهُ الإسلامَ، كما أوصى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُجلى اليهودُ والنصارى من جزيرة العرب، فكانَ ذلكَ حزياً لهم لا يوصَفُ، بالقتلِ والسيِّ والإذلالِ، ولهم عذابٌ كبيرٌ على ما انتهكوا من حُرمةِ البيتِ وامتهنوه، من نَصَبِ الأصنامِ حولَه، والدعاءِ إلى غيرِ اللهِ عنده، وغيرِ ذلكَ من أفاعيلهم المنيكرة.

{ **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** } [البقرة: 115]

115- الأرضُ كُلُّها لله، شَرْقُهَا وغَرْبُهَا، لا يَخْتَصُّ بِمَلِكِهَا والتصرُّفِ فيها إلا هوَ سُبْحانَه، وإذا مُنِعْتُمْ مِنَ العبادَةِ في المسجدِ الأقصى، أو المسجدِ الحرامِ، ففي أيِّ مكانٍ أَدَيْتُمْ الصلاةَ وتوجهْتُمْ فيه نحوَ القبلةِ، فهناكَ الجهةُ التي أمرَ اللهُ بها، وعِلْمُهُ محيطٌ بجميعِ المعلوماتِ، وهوَ برحمتهِ يريدُ التوسُّعَةَ على عبادِهِ، فهوَ العليمُ بمصالحِهِم وأعمالِهِم في الأماكنِ كُلِّها. وفي حديثٍ قد يَكُونُ حسناً بشواهدِهِ، أنَّ طائفةً مِنَ الصحابةِ كانوا في سَرِيَّةٍ، فاختلَفوا في اتجاهِ القبلةِ ليلاً، فلما أصبَحوا تَبَيَّنَ أَنَّهُم اتَّجَهوا إلى غيرِ القبلةِ في صلاتِهِم، فنزلتِ الآيةُ الكريمةُ.

وقال ابنُ الجوزيِّ في "نواسخِ القرآن": هذا الحكمُ باقٍ عندنا، وإنَّ منِ اشتَبَهتْ عليه القبلةُ فصلَّى بالاجتهادِ، فصلاتُهُ مجزئةٌ صَحيحةٌ.

{ **وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِداً سُبْحانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِثُونَ** } [البقرة:

[116]

116- وقالتِ النصارى ومن أشَبَهَهُم مِنَ اليهودِ، وبعضُ مشركي العرب: اتَّخَذَ اللهُ ولِداً! تَقَدَّسَ وتعالى عن ذلكَ علواً كبيراً. لقد كَذَبوا واقْتَرَفُوا إثماً كبيراً بهذا القولِ، فلهُ تعالى مُلْكُ السماواتِ والأرضِ، وهوَ المتصرِّفُ في أحيائها وجماداتها، وهوَ خالقُهُم ورازقُهُم، ومسيرُهُم كما يَشَاءُ، فالجميعُ عبيدٌ له ومُلْكٌ له، فكيفَ يَكُونُ لَهُ ولدٌ منهم، والولدُ يَكُونُ مُتَوَلِّداً مِنْ

شَيْعِينَ مُتَنَاسِبِينَ، وَاللَّهُ لَيْسَ لَهُ مِثْلٌ وَلَا نَظِيرٌ، وَلَا صَاحِبَةٌ لَهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ؟ فَهُوَ الرَّبُّ، وَالْكَلُّ مَرْئُوبٌ تَحْتَ مَشِيئَتِهِ.

{ **بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** } [البقرة: 117]

117- خالق السماوات والأرض على غير مثالٍ سبق، في وحدةٍ وتناسقٍ كونيٍّ رائع، وهندسةٍ ونظامٍ فائق، وتوازنٍ بيئيٍّ وحيوانيٍّ مُوافق، يَدُلُّ جميعها على الواحدِ الأحد، فهو بارئها وموجدُها مِنْ غيرِ أصل، وعلى غيرِ مثال، وإِنَّمَا أمرُهُ -جَلَّتْ عَظَمَتُهُ- إِذَا قَدَّرَ أَمْرًا وَأَرَادَ إِيجَادَهُ قَالَ: "كُنْ"، فيوجدُ على وَفْقِ ما أَرَادَ. وكذا كان أمرُ عيسى عليه السلام.. { **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** } [آل عمران: 59].

{ **وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ**

قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } [البقرة: 118]

118- وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ الْأُمِّيُّونَ لِمَحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَحَدُّ وَعِنَادٍ: لِيُكَلِّمَنَا اللَّهُ، أَوْ لِيُنزِلَ عَلَيْنَا أَمْرٌ خَارِقٌ. كَذَلِكَ كَانَ الْيَهُودُ وَغَيْرُهُمْ، عِنْدَمَا طَلَبُوا مِنْ أَنْبِيَائِهِمْ أَمْوَرًا خَارِقَةً، اسْتِكْبَارًا وَتَعَنُّتًا، كَمَا طَلَبَ قَوْمُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَرَوْا اللَّهَ جَهْرَةً، فَقَدْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ. وَقَدْ وَضَّحْنَا بِالْأَدَلَّةِ صِدْقَ الرُّسُلِ بِمَا لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ أَمْوَرٍ خَارِقَةٍ، وَهِيَ كَافِيَةٌ لِمَنْ أَرَادَ الْإِيمَانَ وَالطَّاعَةَ. أَمَّا الْمَعَانِدُ الْمُسْتَكْبِرُ، فَلَا تُفِيدُهُ الْأَدَلَّةُ وَلَا الْخَوَارِقُ.

{ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ** } [البقرة: 119]

119- أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ، لَقَدْ أَرْسَلْنَاكَ بِالصِّدْقِ وَمَعَكَ الْقُرْآنُ، تُبَلِّغُ الدِّينَ وَتُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، تُبَشِّرُ الطَّائِعِينَ بِالْجَنَّةِ، وَتُنذِرُ الْعَاصِينَ بِالنَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَنْ تُسْأَلَ عَنْ كُفْرٍ مَنْ كَفَرَ بِكَ، فَإِنَّمَا تَبِعْتَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ.

{وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ
وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ {
[البقرة: 120]

120- وليست اليهود ولا النصارى براضين عنك أبداً أيها النبي، ولو قدمت إليهم الأدلة
تلو الأدلة، أو توددت لهم ما توددت، فلا ينقضهم الاقتناع بآتك على الحق، إنما هو المعاندة
والتعصب، فلن يرضوا عنك حتى تعتنق دينهم، وتتبع أقوالهم وأهواءهم، وتترك ما معك من
الحق! فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله بدعوتهم إلى الحق، فإن
الدين الصحيح الكامل هو ما بعثك الله به، وما عداه فليس بهدي، ولا مساومة على الإيمان
الحق، في صغير منه أو كبير، فمن شاء فليؤمن بذلك، ومن أراد غير ذلك فهو حُر. فإذا
تابعتهم في آرائهم الزائفة، ومقولاتهم الفاسدة، وطرائقهم الملتوية، بعد ما نزل عليك الوحي،
وعلمت أن دينك هو الصحيح، فقد ملت عن الهدى، ولن يكون الله والياً أمرك، ولا ناصرَكَ
ومؤيدك، ولن يدفع عنك عقابه.

وهذا من باب التهيج والإلهاب، ولا يُنوّهم إمكان اتباعه صلى الله عليه وسلم لهم، ولكنّه
تنبيه لأمتهم على الحذر من أهل الكتاب، الذين لا يفيدهم أي تنازل بالحوار وغيره، ولن يرضوا
إلا بالانضواء تحت مظلة دينهم.

{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْحَاسِرُونَ } [البقرة: 121]

121- إن الذين أنزلنا عليهم الكتاب من المتقدمين، فأقاموها حق إقامتها، وآمنوا بها حق
الإيمان، دون تحريف ولا تعطيل ولا تأويل، وصَدَّقُوا ما فيها من الأخبار، ومن ذلك مبعث
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيها صفتة الأمر باتباعه ونصرتة؛ قاذهم هذا الالتزام
إلى اتباع الحق، ومن لم يلتزم بذلك وكفر، كان أمرهم إلى خسران ظاهر، حيث اشتروا الكفر
بالإيمان.

{ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } [البقرة: 122]

122- يا بني إسرائيل، اذكروا النعم التي أنعمتها عليكم، منها تفضيلكم على العالمين - في وقت ما - فلا تحسدوا بني عمكم من العرب على ما رزقهم الله من إرسال الرسول الخاتم منهم، ولا يحملنكم الحسد على مخالفته وتكذيبه صلى الله عليه وسلم.

{ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ } [البقرة: 123]

123- واحذروا حساب ذلك اليوم، الذي لا تقضي نفس عن نفس شيئاً من الحقوق والجزاء، ولا يقبل منها فدية، ولا يفيدها واسطة أحد، ولا ينتصر لهم فيمنعوا من العذاب.

{ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } [البقرة: 124]

124- واذكر أيها النبي لهؤلاء المشركين وأهل الكتابين، الذين يدعون أنهم على ملّة النبي إبراهيم وهم ليسوا بذلك، اذكر لهم شأن هذا النبي العظيم، الذي اختبره الله بأوامر وشرائع ونواه، فقام بها كلها، فجزاه الله خيراً على ما فعل، وقال له: سأجعلك قُدوةً وإماماً للناس يقتدون بك في التوحيد، ويحذون حذوك، فسأل عليه السلام أن تكون هذه الإمامة في ذريته أيضاً، فأجيب: سيكون منهم من لا يفي بالأوامر والتكاليف، بل يظلم ويفسق، ولن يكون عهد الإمامة لأمثال هؤلاء، فشأها عظيم، بل هو لمن يختارهم الله من أهل الإيمان والصلاح.

{ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } [البقرة: 125]

125- واذكر أيضاً أيها النبي أننا جعلنا البيت الحرام مَثْوًى ومرجعاً للناس ومهوى لهم، يأتون إليه من كل مكان بشوق، ويعودون إلى أهلهم وهم لا يرون أنهم قضوا منه حاجتهم.

وجعلناه آمناً لهم، فلا يعتدي عليهم أحدٌ وهم هناك، وحتى الحيوانات البرية في أمانٍ هناك فلا تُصاد.

واجعلوا من مقام إبراهيم مكاناً تُصلون فيه، وهو الحجر الذي كان يقوم عليه لبناء الكعبة. وفي حديث عمر الصحيح عند البخاري قوله رضي الله عنه: "وافقت ربي في ثلاث، فقلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى}..."

وأمرنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأن يطهرا البيت من الأذى والنجس، ويُعداه للحجاج والطائفين حوله، والمجاورين المقيمين عنده، والقائمين في الصلاة، الراكعين الساجدين.

{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }
[البقرة: 126]

126- واذكر أيضاً عندما دعا إبراهيم عليه السلام فقال: رب اجعل هذا البلد آمناً من الخوف، لا يرعب أهله، وارزق المؤمنين منهم أنواع الثمرات⁽¹¹⁾. فاستجاب الله له، وقال: وأرزق من كفر منهم وأمهلهم، فالرزق شامل للبر والفاجر، وهذا من متاع الدنيا في زمانٍ قليل، ثم أدفع الكافر إلى عذاب النار، وبئس المكان.

{ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }
[البقرة: 127]

(11) خصَّ إبراهيم المؤمنين بطلب الرزق لهم حرصاً على شيوخ الإيمان لساكنيه؛ لأنهم إذا علموا أن دعوة إبراهيم خصت المؤمنين تجنّبوا ما يجيّد بهم عن الإيمان، فجعل تيسير الرزق لهم على شرط إيمانهم باعثاً لهم على الإيمان، أو أراد التأدب مع الله تعالى فسأله سؤالاً أقرب إلى الإجابة... ومقصود إبراهيم من دعوته هذه أن تتوفر لأهل مكة أسباب الإقامة فيها، فلا تضطرهم الحاجة إلى سكنى بلدٍ آخر؛ لأنه رجا أن يكونوا دعاءً لما بُنيت الكعبة لأجله، من إقامة التوحيد وخصال الحنيفية، وهي خصال الكمال. (مقتطفات من التحرير والتنوير).

127- واذكر لقومك أيها النبي بناء إبراهيم وابنه إسماعيل البيت، ورفعهما الأسس منه، وهما يدعون: ربنا تقبل منا القرب والطاعات ومنها هذا البناء، فأنت تسمع الدعاء وتعلم النية في جميع الأعمال.

{ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [البقرة: 128]

128- ربنا واجعلنا مستسلمين لأمرك، خاضعين لطاعتك، مخلصين لك، لا نشرك في عبادتنا لك أحداً، ومن ذريتنا كذلك. وبصّرنا عبادتنا وعلمنا مناسكنا ومتعبداتنا، وتب علينا، إنك كثير قبول التوبة من عبادك، رحيم بهم.

{ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [البقرة: 129]

129- ربنا وابعث لأهل الحرم من أنفسهم رسولا منهم، من ذرية إبراهيم، يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحي إليه من البيّنات، ويعلمهم القرآن والسنة، والطاعة والإخلاص، ويطهرهم من دنس الشرك، فأنت العزيز الذي لا يُتَهَرُّ ولا يُغَلَّبُ على ما يُريد، الحكيم الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة.

{ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } [البقرة: 130]

130- ولا يبعث عن طريقة إبراهيم ومنهجه إلا الشخص المذل لنفسه، المستخف بها، الذي يُفَضِّلُ الضَّلالَ على الحق. فني الله إبراهيم إمام الخنفاء، ومن خالفه فقد جانب الحق الصريح، والدين الصحيح، والهداية والرّشاد، الذي اصطفى عليه في الدنيا، وقد اختير للنبوّة والحكمة من بين سائر الخلق، وهو في الآخرة من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة، والصّلاح والسعادة.

وهو ردُّ على الكفَّار فيما ابتدَعوه وأحدَثوه من الشُّركِ وعبادةِ الأصنامِ المخالفِ لِمِلَّةِ إبراهيمَ عليه السلام، فأَيُّ ضلالٍ أكبرُ من هَذَا، وأَيُّ سَفَهٍ أعظمُ من عَدَمِ اتِّباعِ مِلَّتِهِ القائمةِ على التوحيدِ الخالصِ البَيِّن؟

{ **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** } [البقرة: 131]

131- فقد أمره الله بالإخلاص والاستسلام له، والانقياد لأوامره، فأجاب إلى ذلك، وأطاع وأخلص على أحسن ما يكون، مُفَوِّضاً أمره كله إلى الله.

{ **وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ** } [البقرة: 132]

132- وقد أوصى خليلُ الله إبراهيمَ عليه السلام ببنيه، وكذا وصَّى يعقوبُ ببنيه، بهذه المِلَّة، وهي الإسلامُ لله، فقالوا: يا بَنِيَّ، إِنَّ الدِّينَ الَّذِي رَضِيََهُ اللهُ لَكُمْ هُوَ صَفْوَةُ الأديانِ، لا دينَ غيرُهُ عندَ اللهِ، فاتَّبِعُوا عليه ولا تُفَارِقُوهُ أبداً، واحرِّصُوا على ذلك وحافظوا عليه حتى الموت، بإحسانكم في الحياة، ومتابعتم لطاعةِ اللهِ والعملِ الصالحِ، فإنَّ المرءَ يموتُ غالباً على ما كانَ عليه، كما يُبْعَثُ على ما ماتَ عليه، وَإِنَّ مَنْ قَصَدَ الخَيْرَ وَفَقَّ لَهُ وَيُسِّرَ عَلَيْهِ، والذي نَوَى الصلاحَ وَعَزَمَ عليه ثَبَّتَهُ اللهُ.

{ **أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** } [البقرة: 133]

133- أَمْ كُنْتُمْ حاضرين، أيُّها المشركون، ويا أهلَ الكتاب، ما قاله يعقوبُ عليه السلام لبنيه حينَ حضرتهُ الوفاةُ: أيُّ شيءٍ تَعْبُدُونَهُ بعدَ موتي؟ وهو يريدُ بذلكَ تقريرَ بَنِيهِ على التوحيدِ والإسلامِ، وأخذَ ميثاقِهِم على الثباتِ عليهما.

فقالوا كما هو مُرادُ أبيهم: نعبُدُ الإلهَ المتَّفَقَّ على وجودِهِ وإِهْيَتِهِ ووجوبِ عبادتِهِ، الذي عبدتُهُ أنتَ وآباؤُك إبراهيمُ وإسماعيلُ وإسحاقُ، إلهاً واحداً، نوحِّدُهُ ولا نُشْرِكُ بِهِ شيئاً، ونحنُ مطيعونَ لَهُ، خاضعونَ لأمرِهِ.

والإسلامُ هو مِلَّةُ الأنبياءِ كلِّهم، وإن تَنَوَّعتْ شرائعُهُم واحتلَّفتْ. وَعَدُّ إسماعيلَ من آباءِهِ من بابِ التَّغْلِيْبِ، فهو عَمُّ يَعْقوبَ، عليهمُ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ.

{ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ }

[البقرة: 134]

134- كانت تلك أُمَّةٌ مَضَتْ، لها أعمالُها التي عَمَلَتْهَا، ولكم أعمالُكم التي كَسَبْتُمُوهَا، لا يَنْفَعُكُمْ انْتِسَابُكُمْ إلى صالحِيهِمْ إذا لم تَفْعَلُوا مثلَهُمُ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، كما أنكم لا تُؤْخَذُونَ بِسَيِّئَاتِهِمُ التي عَمِلُوهَا.

{ وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }

[البقرة: 135]

135- وجاءَ بعضُ اليهودِ والنصارى إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ كُلُّ أُمَّةٍ أَنَّهُ على حَقٍّ، وَطَلَبُوا مِنْهُ اتِّبَاعَهُمْ لِيَكُونَ مِنَ المَهْتَدِينَ، في حديثٍ حَسَنٍ. قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرَسُولُ الكَرِيمُ: بَلْ نَرْجِعُ جَمِيعاً، نحنُ وأنتم، إلى طَرِيقَةِ إِبْرَاهِيمَ وَمِنْهَجِهِ، فهو أبونا وأبوكم، وأصلُ مِلَّتِهِ الإسلامُ المَسْتَقِيمُ، وما كانَ مِنَ المَشْرِكِينَ، بينما أنتم تُشْرِكُونَ.

{ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }

[البقرة: 136]

136- قولوا جميعاً أَيُّهَا المَؤْمِنُونَ: آمَنَّا بِاللَّهِ، وما أُنزِلَ إلى إبراهيمَ، وإسماعيلَ، وإسحاقَ، ويعقوبَ، والأسباطِ، وموسَى، وعيسى، وسائرِ الأنبياءِ عليهمُ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، منَ الكُتُبِ

السماوية، والآيات البينات، والمعجزات الباهرات، ولا نفرق بينهم، كدأب اليهود والنصارى، الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض، ونسلم أمرنا جميعاً إلى الله، مُخلصين له ومُدعنين.

{ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [البقرة: 137]

137- فَإِنْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكُونَ بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، مِنَ الْإِيمَانِ بِجَمِيعِ كِتَابِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ، فَقَدْ أَصَابُوا الْحَقَّ، وَكَانُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ، وَإِنْ أَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِالْوَجْهِ الْمَذْكُورِ، فَقَدْ اسْتَقْرَبُوا فِي خِلَافٍ عَظِيمٍ بَعِيدٍ عَنِ الْحَقِّ، وَلَا قَرَارَ لَهُمْ عَلَى أَصْلِ ثَابِتٍ، وَسَوْفَ يَكْفِيكَ اللَّهُ شِقَاقَهُمْ هَذَا عِنْدَ النَّصْرِ عَلَيْهِمْ. وَاللَّهُ يَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ، وَيَعْلَمُ مَا يُضْمِرُونَهُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَهُوَ مُعَافٍ لَهُمْ عَلَيْهِ.

{ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ } [البقرة: 138]

138- إِنَّهُ دِينُ اللَّهِ الْوَاضِحِ الْمُبِينِ، وَالْعَلَامَةُ الَّتِي وَضَعَهَا عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ، فَطَهَّرَهُمْ بِالْإِيمَانِ مِنْ أَوْضَارِ الْكُفْرِ، وَزَيَّنَ قُلُوبَهُمْ بِآثَارِهِ الْجَمِيلَةِ، فَلَا أَفْضَلَ مِنْ هَذِهِ السَّمَةِ الْجَلِيلَةِ، وَالْعَلَامَةِ الْمُبَارَكَةِ. وَنَحْنُ شَاكِرُونَ لِلَّهِ عَابِدُونَ لَهُ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْكَبِيرَةِ، وَسَائِرِ نِعَمِهِ.

{ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ } [البقرة: 139]

139- قُلْ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَيُّهَا النَّبِيُّ: أَتُنَازِلُونَنَا فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْإِحْلَاصِ لَهُ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ، وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ، الْمُتَصَرِّفُ فِينَا وَفِيكُمْ، الْمُسْتَحِقُّ لِإِحْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ؟ فَلِمَا أَعْمَلْنَا الْحَسَنَةَ فِي السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ الْمَخَالِفَةُ فِي الشَّرِكِ وَالضَّلَالِ، وَنَحْنُ مُخْلِصُونَ فِي تِلْكَ الْأَعْمَالِ، لَا نَبْتَغِي بِهَا إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ، فَكَيْفَ تُنَازِلُونَنَا وَتَدْعُونَ أَنْتُمْ عَلَى حَقٍّ وَتَطْمَعُونَ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ وَأَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ضَالُّونَ!؟

{ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا يَهُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ
أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدِهِ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِعَافٍ لِمَا تَعْمَلُونَ }
[البقرة: 140]

140- أَمْ تَقُولُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا
يهوداً أو نصارى؟ أأنتم أعلمٌ بذلك أم الله؟ بَلِ اللَّهُ أَعْلَمُ. إِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مِلَّةِ التَّوْحِيدِ
الْحَالِصِ، وَأَنْتُمْ تَقْرَءُونَ فِي كُتُبِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَنِيفِيَّةِ الْأُولَى الَّتِي لَا شَرِكَ فِيهَا، كَمَا
تَقْرَءُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّعَتْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا،
وَالْأَنْبِيَاءُ الْمَذْكُورُونَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا كَانُوا يَهُوداً وَلَا نَصَارَى، لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ مُوسَى
وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَلَكِنَّكُمْ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ، تَكْتُمُونَ هَذِهِ الشَّهَادَةَ الثَّابِتَةَ الْعَظِيمَةَ،
فَاخْتَرْتُمُ الضَّلَالَ، وَعَلِمَ اللَّهُ مَحِيطٌ بِعَمَلِكُمْ، وَسَوْفَ يُجْزِيكُمْ بِمَا تَسْتَحِقُّونَهُ مِنْ أَفْئَاتِكُمْ عَلَى
الْأَنْبِيَاءِ.

{ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ }
[البقرة: 141]

141- لَقَدْ مَضَتْ تِلْكَ الْأُمَّةُ، فَلَهَا أَعْمَالُهَا، وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ الَّتِي اكْتَسَبْتُمُوهَا، وَلَنْ يُغْنِيَ
عَنْكُمْ انْتِسَابُكُمْ إِلَيْهِمْ وَاتِّكَالُكُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ مِنْ غَيْرِ مُتَابَعَةٍ لَهُمْ فِي أَعْمَالِهِمُ الطَّيِّبَةِ، فَلَا
تَعْرَنُّكُمْ النِّسْبَةُ إِلَيْهِمْ، حَتَّى تَكُونُوا مِثْلَهُمْ فِي الطَّاعَةِ وَاتِّبَاعِ الرُّسُلِ.

الجزء الثاني

سورة البقرة

(الآيات 142 - 252)

{ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ
وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } (البقرة : 142)

142- أُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستقبل في صلاته الصخرة من بيت المقدس أولاً، فكان هو والمسلمون على ذلك، ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، كما في صحيح البخاري. وكان عليه الصلاة والسلام يتهل إلى الله أن يجعل قبلة الكعبة، قبله إبراهيم عليه السلام، فأجيب إلى ذلك، فحصل شك وزيف عن الحق من أهل النفاق والريب والكفرة من اليهود، وقالوا: ما الذي صرفهم عن قبلة الأولى؟ وخاصة أن اليهود كانوا يتذرعون بأن الاتجاه إلى بيت المقدس يعني أن دينهم هو الأصل، وأنه هو الصحيح. فصاروا يلقون بدور الشك والشائعات في صفوف المجتمع الإسلامي، حول مصير صلواتهم السابقة، وسبب الانتقال من قبلة إلى أخرى، وأنه يدل على عدم السداد، فليس بوحى...!

فسماهم الله تعالى "السفهاء"، وهم الذين خفت عقولهم، وامتتهنوها بالتقليد والإعراض عن التدبر والنظر، أو أن السفية هو الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم، أو الظلوم الجهول. فإن الله تعالى له مطلق الحكم والتصرف في الأمر، فله المشرق والمغرب، الجهات كلها له، فأينما حدد القبلة يتوجه المؤمنون إليها دون اعتراض، ما عليهم إلا الطاعة وامتثال الأمر. والكعبة أشرف بيوت الله في الأرض، فهي بناء إبراهيم عليه السلام. ويهدي الله من شاء من عباده إلى توجه الصحيح إذا رأى فيهم نية وتوجهاً إليه، أما السفهاء ففي العمى والضلال يتخبطون.

{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا
وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِن
كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ
رَّحِيمٌ } (البقرة : 143)

143- وكذلك جعلناكم -يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم- خيار الأمم، لتكونوا شهداء عليهم يوم القيامة، بأن الله أرسل الرسل إليهم فبلغوا ونصحوا، ولأن دينكم هو الحق من بين أديان الأمم ومذاهبها؛ فقد وجهكم الله إلى قبلة إبراهيم أبي الأنبياء، وخصكم بأكمل الشرائع، وأقوم المناهج، وأوضح المذاهب. ثم يكون الرسول صلى الله عليه وسلم شهيداً عليكم يوم القيامة، بأنه بلغكم رسالة ربه.

وقد كان الأمر باستقبال المسجد الأقصى أولاً امتحاناً، ليتبين من يُطيع الله ومن يُخالفه، وخاصة أن العرب كانوا متعلقين بالبيت كيفما كان، وكان التحول منه صعباً عليهم، فأراد الله أن يصرف قلوب من أسلم منهم إلى الطاعة المطلقة، والتخلص من الرواسب الجاهلية، مهما كان شأها، حتى تأخذ هذه التربية مأخذها من النفوس وتدرّب على الطاعة والامتثال، وهو وإن كان عظيماً على النفوس، إلا أنه سهل على القلوب المؤمنة المهتدية، التي أيقنت بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن ما جاء به هو الحق الذي لا شك فيه، وأن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فما على المسلم إلا الطاعة والامتثال.

وما كان الله ليضيع صلواتكم التي توجهتم فيها إلى بيت المقدس سابقاً، فلا يضيع ثوابها عنده، إنه رؤوف رحيم بعباده، يوصل إليهم النعمة الصافية بفضله ورحمته.

{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ } (البقرة : 144)

144- كان الرسول صلى الله عليه وسلم يُحِبُّ أن يُوجَّهَ إلى الكعبة، كما في صحيح البخاري، فقال له ربه: لنعطينك طلبك، ولنمكّنك من استقبال القبلة التي تُحبُّها وتشتاق إليها، فحوّل وجهك نحو المسجد الحرام، وحيثما كنتم أيها المسلمون في أنحاء الأرض جميعاً اتجهوا إلى هذه القبلة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإن اليهود والنصارى يعلمون أن توجهكم إلى البيت هو الحق، بما في كتبهم من صفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأُمَّته، ولعلمهم أن الكعبة هي بيت الله الأول، الذي بنى قواعده وأجّه إليه إبراهيم عليه السلام، ولكنهم لا يقتنعون بالأدلة، ويكتمون ما في كتبهم من علم ولا

يُظهِرُونَهُ، وَاللَّهُ لَيْسَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ، وَسِيُحَازِيهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَى ذَلِكَ. وَلَيْسَ بِغَافِلٍ
عَنْ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَزَائِهِمْ كَذَلِكَ.

**{ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا
بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ
الظَّالِمِينَ } (البقرة : 145)**

145- فلو أقمت لليهود والنصارى الحجة تلو الحجة على صحة ما جئت به، وأيدك الله
بالمعجزات في ذلك، لما تركوا أهواءهم، ولما توجهوا إلى القبلة التي ولاكها ربك. ولن تتجه إلى
قبلتهم أيضاً، ولن تتبع أهواءهم؛ لمتابعتك أمر الله، وطلبك رضاه. ولن يتبع اليهود قبلة
النصارى، ولا النصارى يتبعون قبلة اليهود، فالعداوة بينهما شديدة. ولو أنك اتبعت مرادهم
بعد الذي وجهك الله إليه ورضيه لك من القبلة، لكنت مؤثراً الباطل على الحق.
وهو على الفرض والتقدير، وتحذير للأمم من أهواء أهل الكتاب وأضاليلهم.

**{ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ } (البقرة : 146)**

146- إن أهل الكتاب من اليهود والنصارى يعرفون محمداً صلى الله عليه وسلم وصحة ما
جاء به كما يعرف أحدهم ابنه! وهو مثل يضرب في صحة الشيء والتيقن منه تماماً، فمعرفة
الابن هي قمة المعرفة؛ وذلك لوصف الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الدقيق في كتبهم،
وصفة أمته، وما إلى ذلك، ومنها القبلة التي يتوجهون إليها. لكن فريقاً منهم مع هذا التحقق
والتأكد في معرفته، يكتُمون الناس ما في كتبهم من ذلك، وهم يعلمونه.

{ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } (البقرة : 147)

147- إن ما أنزل إليك أيها الرسول هو الحق الذي علمك ربك، لا مريّة فيه ولا شك، فلا
تكن من الشاكين في ذلك.

وهو إجماع من رب العزة إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعدم التأثر بأباطيل اليهود، وبالتنبه
إلى أحابيلهم.

{وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيُّهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (البقرة : 148)

148- ولكل أهل دين من الأديان قبلة يتوجهون إليها ويرضون بها، ولن يتبع بعضهم قبلة بعض، فما على المسلمين سوى التوجه إلى عمل الخير، والتنافس في رضى الله، والانصراف إلى ما يفيده ويثمر، والابتعاد عن شبه الأعداء وأفكارهم المنحرفة، وإن الله سبحانه سيجمع الموافق والمخالف منكم، وإن تفرقت أبادئهم، وهو قادر على الإماتة، والإحياء، والجمع، لا يعجزه شيء.

{وَمَنْ حِينَ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (البقرة : 149)

149- وهذا أمر فيه تأكيد، فحيثما خرجت وأينما كنت أيها الرسول، توجه في صلاتك نحو المسجد الحرام، فإنه القبلة الخالصة التي رضيها الله لكم، وهو الثابت الموافق للحكمة، وليس الله بغافل عن امتثالكم وطاعتكم، ولسوف يجازيكم بذلك أحسن جزاء.

{وَمَنْ حِينَ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِقَالِ يُكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تُمَيِّزْ بِنِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (البقرة: 150).

150- ثم تجديد وتأكيد للمرة الثالثة لأهميته، ولقطع الطريق على الشبه والتشكيكات التي زاد سعيها في المجتمع الإسلامي الجديد من قبل الأعداء المتربصين بالإسلام، للقضاء عليه وهو ما زال في أوله، ولقطع النظر كذلك عن أي شيء مما عداه، فالكعبة هي القبلة الأخيرة لمن أسلم وجهه لله إلى أن تقوم القيامة. فكلما خرجت وأينما كنت أيها النبي اتجه نحو المسجد الحرام، وأينما كنتم أيها المسلمون جميعاً توجهوا نحوه؛ حتى لا يبقى أدنى شك عند أهل الكتاب أنكم أمّة محمد صلى الله عليه وسلم الموعودة، حيث يجدون عندهم أن قبلكم ستكون الكعبة، ولو أنهم فقدوا ذلك منكم لاحتجوا بما يقولون من أنكم لستم تلك الأمّة.

وحتى لا يكون لأيِّ مشركٍ أو كافرٍ تأثيرٌ عليكم في جدالهم وعنادهم معكم، وما يئْتونه من شُبُه وشائعاتٍ لغرضٍ في نفوسهم، كقول بعضهم لكم: ما دمتم استقبلتم البيت فسترجعون إلى دين آبائكم! فلا تحسبوا حساباً لهم ولا لأقوابيلهم، فلا سلطان لهم عليكم ولن يضروكم، بل اتقوا ربكم واحشوه في السرِّ والعلن، فهو الضارُّ النافع، وأهلٌ لأن يُخشى، وبيده الأمرُ كله، وحتى أكملَ نعمتي عليكم فيما شرعتُ لكم من استقبالِ القبلة. ولعلكم بهذا تهتدون إلى ما ضلَّت عنه الأمم، فهديناكم إليه وخصصناكم به، ولذلك كنتم أشرفَ الأمم وأفضلها.

{ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } (البقرة : 151)

151- ومع نعمة القبلة اذكروا أيها المسلمون بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فيكم، يقرأ عليكم كلامَ الله العظيم، ويُطهِّرُكم من رذائل الأخلاق، وأفعال الجاهليَّة، ودنسِ النفوس، ويُخرجُكم من الظلمات إلى النور، بإذنِ ربِّه، ويعلمُكم القرآن والسنة. وبينما كنتم في الجاهليَّة على جهلٍ وعداوةٍ وشقاق، أبدلكم الله بذلك ما لم تكونوا تعلمون، وما لم يكن لكم به سابق علم، فصار منكم العلماء، والصديقون، والأولياء، والقادة الفاتحون، والدعاة المبشرون بالدين العظيم.

{ فَادْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ } (البقرة : 152)

152- فلا تنسوا هذه النعمَ العظيمة التي أنعمتُ بها عليكم، اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب، واشكروا لي هذه النعم ولا تجحدوها، أزدكم بذلك نعمةً وفضلاً.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } (البقرة : 153)

153- وإذا كان الشكر من آداب المؤمنين، فإنه لا بد لهم من الصبر أيضاً، فعليكم به، فإنه خيرُ صفةٍ تتحلون بها لتحملِ البلايا والرزايا ومشاقِّ الدعوة، والعزم على الطاعة والقربات، وترك المآثم والمحرمات.

وكذا الصلاة، التي تشدُّ العزيمة، وتجددُ الطاقة، وتملأ القلب نوراً، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمرٌ -أي هجم عليه أو غلبه- صلى، كما في حديثٍ حسنٍ رواه أحمدُ وأبو داود.

ذلك أن الله مع الصابرين، يؤنسُهم، ويؤيِّدُهم، ويثبتُهم، ويزيدُ من قوتهم الضعيفة.

{وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنَّ لَّا تَشْعُرُونَ} (البقرة : 154)

154- ولا يَقْدِرُ على الجهادِ إلا الصابرونَ وذوو العزائم، وهؤلاء إذا سقطوا شهداء في ساحةِ المعركة، فلا تظنُّوا أنَّهم ماتوا، بل هم أحياءٌ عند ربِّهم، يُطعمُهم وَيَسقيهم؛ جزاءَ تضحياتهم بأرواحهم في سبيله، ولكنكم لا تشعرون بهم، فهم في حياةٍ أخرى (برزخية) غير التي أنتم فيها.

{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ

الصَّابِرِينَ} (البقرة : 155)

155- وسوف نختبركم وتمتحنكم أيها المسلمون، لتظهر حقيقة إيمانكم ومدى ثباتكم على أمر دينكم، سيصيبكم شيءٌ من الخوفِ وأنتم تخوضون معارك ضدَّ الباطل، وشيءٌ من الجوعِ كالفقرِ، ونقصٌ من الأموال، كأن يصيبها جائحةٌ أو عرقٌ أو ضياع، ويُقتل أو يموت من أهلكم وأحبابكم، ويقلُّ شيءٌ من زروعكم وثماركم، ببردٍ أو حرِّقٍ أو آفةٍ سماويةٍ. فإذا صبرتم ورضيتم بقضاء الله فزتم وحزتم الأجر.

{الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} (البقرة : 156)

156- إنَّ الحائزين على درجةِ الصبرِ بحقِّ هم الذين إذا ابتلوا بمصيبةٍ آمنوا فصبروا، وتسَلَّوا واسترجعوا، وقالوا: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}، لعلمهم بأنهم مُلْكُ الله، يتصرَّف في عبده كما يشاء، وأنَّه لا يضيعُ عنده شيءٌ يومَ القيامة.

{أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} (البقرة : 157)

157- فعلى هؤلاء الصابرين ثناء الله، ولهم مغفرته وعليهم رحمته، فهم الذين اهتموا إلى الحق والصواب، بصبرهم واسترجاعهم.

{ إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ } (البقرة : 158)

158- إن الطواف بين جبلي الصفا والمروة مما شرعه الله تعالى لإبراهيم عليه السلام في مناسك الحج، فمن نوى حجًا أو عمرةً فليجعل ذلك من مناسكه، ومن زاد في السعي بينهما، أو زاد من نفل، فإن الله يثيبه عليه، وهو عليهم بما يستحقه من الجزاء، ولا ينقص أحداً ثواب عمله.

والمقصود: لا جناح عليه من فعل السعي بينهما، وليس معناه: لا جناح من ترك السعي، وإلا لكان التعبير: لا جناح عليه ألا يطَّوَّفَ بهما. وكان الأنصار يتحرَّجون من السعي بينهما لأهم لم يكونوا يُحِلُّونَهُ في الجاهليَّة، فجاء التعبير هكذا.

{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ } (البقرة : 159)

159- إن أهل الكتاب، وخاصَّة اليهود، يُخْفُونَ ما أنزلنا على الرسل من الدلالات البيِّنة على حقائق مهمَّة، وما جاؤوا به من الهدى النافع للقلوب، كالإيمان بمبعث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ووجوب اتِّباعه، حيث بيَّنه الله تعالى في الكتب التي أنزلها.

قال أبو السعود في تفسيره: "والمراء بكتمه إزالته ووضع غيره في موضعه، فإنهم حووا نعتة عليه الصلاة والسلام وكتبوا مكانه ما يُخالِفه". وقد جعل الكتم بهذا من أنواع التحريف والتبديل. فهؤلاء الساكتون عن الحق، الكاتمون ما أنزل الله من خيرٍ وهدى، يطردُّهم الله ويُبعدهم من رحمته، كما يلعنهم كلُّ من يتأتى منهم اللعن والدعاء عليهم، من الملائكة ومؤمني الجن والإنس، فهم مَنبوذون من أهل الحق كلهم.

{ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } (البقرة: 160)

160- وَيُسْتَشَىٰ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْمَذْكُورِينَ، الَّذِينَ تَابُوا إِلَى اللَّهِ وَرَجَعُوا عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ ضَلَالٍ، وَأَعْلَنُوا الْحَقَّ وَعَاتَرَفُوا بِهِ، وَأَصْلَحُوا مَا أَفْسَدُوا وَحَرَفُوا، وَبَيَّنُّوا لِلنَّاسِ مَا كَانُوا كَتَمُوهُ، فَهؤُلاءِ أَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ، وَأَنَا كَثِيرٌ قَبُولِ التَّوْبَةِ وَنَشْرِ الرَّحْمَةِ.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }
(البقرة : 161)

161- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ، وَكْتَمُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَتُوبُوا، وَمَاتُوا عَلَى كُفْرِهِمْ، أُولَٰئِكَ مَصِيرُهُمُ الطَّرْدُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَيَلْعَنُهُمُ اللَّهُ، وَمَلَائِكَتُهُ، وَجَمِيعُ النَّاسِ، لَعْنًا ثَابِتًا بَعْدَ لَعْنٍ مُتَجَدِّدٍ، فِي الدُّنْيَا، مُسْتَمِرًّا إِلَى الْآخِرَةِ.

{ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ } (البقرة : 162)

162- يُخَلَّدُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، لَا يُنْقَضُ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ عَذَابٍ، وَلَا يَنْقَطِعُ عَنْهُمْ سَاعَةٌ وَاحِدَةٌ، فَهوَ مُتَوَاصِلٌ دَائِمٌ.

{ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } (البقرة : 163)

163- إِنَّ الْمَعْبُودَ الَّذِي يَتَوَجَّهُ لَهُ الْخَلْقُ فِي عِبَادَتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُوَ رَزُوفٌ رَحِيمٌ بِالنَّاسِ، وَرَحْمَتُهُ كَبِيرَةٌ وَسِعَةٌ دَائِمَةٌ.

{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }
(البقرة : 164)

164- إِنَّ مَشَاهِدَ الْخَلْقِ فِي الْكَوْنِ عَظِيمَةٌ دَقِيقَةٌ، يَنْبَغِي أَنْ يُنظَرَ فِيهَا بِتَعَمُّقٍ مِنْ جَوَانِبِهَا الْعِلْمِيَّةِ وَالْحِكْمِيَّةِ، لِيُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى الْخَالِقِ الْأَعْظَمِ.

فهذه السماواتُ بارتفاعِها، وإحكامِ خَلْقِها، وما فيها من شُموِسٍ وكواكبٍ، وصخورٍ وذراتٍ، وجاذبيَّةٍ ودورانٍ، وتُعدُّها عن الأرضِ، أو بعضها عن بعضٍ، بمسافاتٍ لا تكادُ تُتخَيَّلُ، كملايينِ السنواتِ الضوئيةِ وما يُقالُ في هذا، عدا ما لم يُكتَشَفْ منها.

والأرضُ في جبالِها ووهادِها، وبحارِها وأنهارِها، وخصْبِها وصحرائِها، وإنْسِها وجنِّها، وحيواناتها وجمادِها، ونباتاتها وأشجارِها، بملايينِ أصنافِها وأنواعِها، الدقيقَةِ والعجيبَةِ، وأحيائها المائيةِ في سلوكِها ومعيشَتِها، وما فيها من منافعٍ، من معادنٍ ولآلئٍ، وماءٍ وهواءٍ، وكلِّ ما سُخِّرَ للإنسانِ. ومجِيءُ النهارِ يتلوهُ الليلُ، ثمَّ يتلوهُ النهارُ وهكذا، من تعاقبِ النورِ والظلمَةِ، باستمرارٍ ودقَّةٍ مُتناهيةٍ.

وهذه السفنُ والبواخرُ والأساطيلُ التي تَجري في البحرِ، سَخَّرَهُ اللهُ للناسِ هكذا لِيَتَنَفَعُوا بِهِ فِي أسفارِهِم، وَنَقَلَ بِضائعِهِم من مَكَانٍ إِلَى آخَرَ، وَلِيَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ ما يَنْفَعُهُم من مَوُونَةٍ وَمِيرَةٍ وَتِجَارَةٍ.

والمطرُ الذي يَنْزِلُ مِنَ السَّحَابِ بِأَمْرِ اللهِ، تَحِيَا بِهِ زُرُوعٌ وَثَمَارٌ، وَأَناسِيٌّ وَحَيواناتٌ، تُفَجَّرُ بِهِ عيونٌ، وَيُخَزَّنُ مِنْهُ فِي الأَرْضِ لِلآبارِ، بَعْدَ أَنْ كَانَتِ الأَرْضُ يابِسَةً لا حَياءَ فِيها. وما نُشِرَ فِي الأَرْضِ مِنْ كُلِّ حَيٍّ، عاقِلٍ وَغَيْرِ عاقِلٍ، على اختلافِ أَشْكالِها وَأُلوانِها وَمَنافِعِها، وصِغَرِها وَكِبَرِها.

وهذه الرياحُ بأنواعِها وأبْجَاحِها، وما هَوَ مِنْها لِلرَّحْمَةِ وما هَوَ مِنْها لِلعَذابِ، وما بَجَمَعُها أو تُفَرِّقُها مِنَ السُّحْبِ، فَتَقِفُ بِها فِي مَكَانٍ أو تَسوقُها إلى حَيْثُ أَمَرها اللهُ، أو ما تَحْمِلُها مِنْ حُبُوبِ اللِّقَاحِ مِنَ الأشجارِ وَالنباتاتِ المذكَرَةِ وَتَضَعُها على المَوْثِقَةِ لِتُنتِجَ الثَمارَ بِإِذْنِ اللهِ.

وهذه الغيومُ المنتشرةُ فوقَ الأرضِ، فِي تَشْكِيلِها وَأَنْواعِها ودلالاتِها، وحركتها وتسخيرها وانتقالها. كلُّ هذا وغيره حقائقٌ عظيمةٌ ودلالاتٌ بيِّنةٌ على وجودِ اللهِ وَوَحْدانِيَّتِهِ، وَقُدْرَتِهِ وَحِكمَتِهِ، هذا إذا تَفَكَّرَ بِها الإنسانُ، وَأَلقى عَن عَقلِهِ بِلادَةِ الأُلْفَةِ وَغِشاوَةِ العَفْلةِ، وَنظَرَ فِي هذه المخلوقاتِ بِفِكرٍ مَتعمِّقٍ وَحِسنٍ مُتجدِّدٍ، وَقَلبٍ مُتطلِّعٍ إلى الحَقِّ.

{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُجْبُوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْزَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ } (البقرة : 165)

165- وعلى الرغم من الدلالات السابقة على وحدانية الله وتفردِه بالخلق والتدبير، إلا أن هناك صنفاً من الناس أشركوا بالله، وعبدوا معه نظراً وأمثالاً، على هوى أنفسهم وما تُسَوَّلُ لهم الشياطين، في تقليد جاهلٍ أو حُمقٍ فاضح، كعبادة أحجارٍ وأشجارٍ، أو نجومٍ وكواكب، ويدافعون عنها ويحاربون عليها، ويجبونها كمحبتهم الله! وهو الواحد الأحد، الذي لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولا مثيلَ له ولا نظير.

أما المؤمنون، فإنهم يعبدون الله على نورٍ من ربه، وبرهان، ويحبونه حباً خالصاً لا شائبة فيه، وهم أكثرُ حباً له من حبهم أنفسهم وما يملكون؛ لتمام معرفتهم به، وتوحيدهم وتعظيمهم له، ولجوتهم إليه وحسن توكلهم عليه.

ولو عاين المشركون ومن تابعهم ما أُعدَّ لهم من العذاب يوم القيامة، لعلموا أن جميع الأشياء تحت قهره وسلطانه، وأن القوة والتصرف له وحده، وأن عذابه شديد مؤلم، وإذا لانتهاها عما هم فيه من ضلال.

{ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ } (البقرة : 166)

166- وهؤلاء الذين كانوا أعلاماً في الكفر والضلال والدعوات الهدامة، ولهم أنصارٌ وتابعون، عندما يُكشَفُ لهم الحساب، ولا يرون أمامهم سوى النار، التي لا مناص لهم منها، يتبرؤون من تابعيهم، لأن ذلك يزيدهم عذاباً، ويقولون لهم: لا علاقة لنا بكم، ولم نُجِرْكم على متابعتنا، وكانت لكم عقول فلم خدعتم وشاركتُمونا؟

وتنقطع بينهم الأواصر والعلاقات السابقة، وتنقلب إلى حقدٍ وعداوةٍ وتخاصم، حيث انتهت الأعمال، وحان وقت الجزاء.

{ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَّبِعُ مَنَّهُمْ كَمَا تَبَرَّوْا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيدُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ
حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ } (البقرة: 167)

167- وقال التابعون المقلدون، المناصرون للضلال وأهله، بعد أن انتكست أعلام الآلهة الفارغة، وانكشفت الخدع، وظهرت الحقائق: لو كانت عندنا فرصة للعودة إلى الدنيا حتى نتبرأ من هؤلاء فلا نتبعهم ولا نوافقهم على أفكارهم، ولا نكون لهم كالعبيد فنهتف لهم ولمبادئهم المضللة، بعد أن تبرؤوا هم منا وقالوا لا علاقة لنا بكم ولم نجبركم على اتباعنا. وهم كاذبون، فلوا أنهم أعيدوا لعادوا إلى ما كانوا عليه. وإنما يريد الله بيان أعمالهم أمامهم ليزدادوا كمداً وندامة. وهم بأقون في النار أبداً.

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُبِينٌ } (البقرة: 168)

168- أيها الناس، كلوا مما خلق الله لكم في الأرض من الحلال الطيب، الذي لا يعتل به جسم ولا يحتل به عقل، ولا تقتدوا بالشياطين، ولا تتبعوا مسالكه وطرائقه التي ضل بها أتباعه، من تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرّم، فإنه ظاهر العداوة لكم عند أهل البصيرة منكم، وقد حدركم الله منه.

{ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (البقرة: 169)

169- إنما يأمركم الشيطان بالمعاصي وبالأعمال السيئة والفواحش الدنيئة، وأن تفتروا على الله الكذب، بأن تقولوا إنه حرّم شيئاً، وهو ما لا تعلمون أنه حرّمه.

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا
يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ } (البقرة: 170)

170- وإذا طُلب من المشركين وأهل الكتاب أن يتبعوا كتاب الله الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم قالوا: لا نتبعه، بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا، لأنهم كانوا خيراً منا!

أَيَقْتَدُونَ بِهِمْ وَيَقْتَفُونَ أَثَرَهُمْ وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْهَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى الصَّوَابِ؟ وَلَوْ كَانُوا غَافِلِينَ وَجَاهِلِينَ ضَالِّينَ؟

{ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } (البقرة : 171)

171- إِنَّ مَثَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي غِيَّهِمْ وَضَلَالِهِمْ وَجَهْلِهِمْ وَعَدَمِ تَدَبُّرِهِمْ فِيمَا أُلْقِيَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْآيَاتِ، كَالْبَهَائِمِ الَّتِي لَا تَفْقَهُ مَا يُقَالُ لَهَا، فَإِذَا دَعَاها أَوْ هَتَفَ بِهَا رَاعِيها لَا تَفْهَمُها، إِنَّمَا تَسْمَعُ لِحَنَّهُ وَدَوِيَّ صَوْتِها.

فَهُمْ صُمٌّ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ، وَخُرْسٌ لَا يَنْفَوْهُونَ بِهِ، وَعُمْيٌ عَنْ رُؤْيَةِ طَرِيقِها، وَلَوْ كَانَتْ لَهُمْ حَوَاسٌ ظَاهِرَةٌ، مَا دَامُوا لَا يَنْتَفِعُونَ بِها. إِنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ شَيْئًا لِأَنَّهم لَا يَتَدَبَّرُونَ الْآيَاتِ وَالْحَقَائِقِ، وَلَا يَتَأَمَّلُونَ فِيمَا يَرُونَهُ مِنَ الدَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ وَالْأُمُورِ النَّافِعَةِ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } (البقرة : 172)

172- أَيُّها الْمُؤْمِنُونَ، كُلُوا مِنَ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ الطَّاهِرِ الْمُسْتَلَذِّ الَّذِي رَزَقَكُمُ اللَّهُ، وَاشْكُرُوا لَهُ ذَلِكَ إِنَّ كُنتُمْ تَعْبُدُونَهُ حَقَّ الْعِبَادَةِ، فَإِنَّ الشُّكْرَ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَإِنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ قَبُولِها وَالْجَزَاءِ عَلَيْها.

{ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (البقرة : 173)

173- وَخُذُوا أَحْكَامَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مِنَ اللَّهِ الْخَالِقِ الرَّازِقِ، فَإِنَّهُ لَا يُجِلُّ إِلَّا طَيِّبًا، وَلَا يُحَرِّمُ إِلَّا مَا خَبُثَ وَكَانَ فِيهِ ضَرَرٌ.

وَقَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ أَكْلَ الْمَيْتَةِ الَّتِي لَمْ تُذْبَحْ، مَا عَدَا السَّمَكَ وَالْجِرَادَ. وَكَذَلِكَ حَرَّمَ الدَّمَ، وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ، سِوَاءِ ذُبِحَ أَوْ مَاتَ حَتْفَ أَنْفِها، وَمَا ذُبِحَ عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ، مِنَ الْأَصْنَامِ وَالطَّوَاغِيَتِ وَنَحْوِها.

وَمَنْ أَلْجَأَتْهُ الضَّرُورَةُ إِلَى أْكْلِهَا وَقَدْ فَقَدَ غَيْرَهَا مِنَ الْأَطْعِمَةِ، فَلَا بَأْسَ مِنْ أْكْلِهَا، مِنْ غَيْرِ بَغْيٍ وَلَا اعْتِدَاءٍ: مَنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْثِرَ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الضَّرُورَةِ عَلَى مُضْطَرِّ آخَرَ مِثْلِهِ، وَلَا أَنْ يَأْكُلَ زِيَادَةً عَلَى سَدِّ جَوْعَتِهِ، فَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ عِنْدئذٍ مَا أَكَلَ مِنَ الْحَرَامِ، وَهُوَ رَحِيمٌ إِذْ أَحَلَّ لَهُ ذَلِكَ فِي حَالِ الْاضْطِرَارِ.

{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (البقرة: 174)

174 – إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَاصَّةً الْيَهُودَ، حَتَّى لَا تَذْهَبَ وَجَاهَتُهُمْ وَرِثَاتُهُمْ أَمَامَ الْعَرَبِ، وَكَانُوا يَتَلَقَّوْنَ مِنْهُمْ التُّخَفَ وَالْهَدَايَا تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِمْ وَعِلْمِهِمْ، كَمَا يَأْكُلُونَ الرِّشَاءَ مُقَابِلَ تَحْلِيلٍ أَوْ تَحْرِيمٍ، فَخَشُوا إِنْ هُمْ أَظْهَرُوا أَوْصَافَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَّبِعَهُ النَّاسُ وَيَتْرَكُوهُمْ، فَكْتَمُوا ذَلِكَ، إِبْقَاءً عَلَى مَا كَانَ يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ ثَمَنِ قَلِيلٍ مُقَابِلَ أَمْرِ عَظِيمٍ، فَبَاعُوا دِينَهُمْ مُقَابِلَ نَزْرِ يَسِيرٍ مِنَ الْمَالِ، فَكَانُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ.

وَسَوْفَ يَأْكُلُونَ نَارًا تَتَّحَجَّجُ فِي بُطُونِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، جَزَاءً مَا كَانُوا يَأْكُلُونَهُ مُقَابِلَ كِتْمَانِ الْحَقِّ. وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ غَضَبًا عَلَيْهِمْ. وَلَا يُثْنِي عَلَيْهِمْ خَيْرًا، بَلْ يُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا مُؤَلِّمًا شَدِيدًا.

{ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ } (البقرة: 175)

175 – لَقَدْ اشْتَرَوْا الْبَاطِلَ بِالْحَقِّ، وَبَاعُوا الْهُدَى بِالضَّلَالِ، عِنْدَمَا كَتَمُوا الْبِشَارَةَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ، وَرَضُوا بِالْكَفْرِ وَالتَّكْذِيبِ وَالتَّكْتِمَانِ. لَقَدْ بَاعُوا – إِذَنْ – الْمَغْفِرَةَ وَاشْتَرَوْا الْعَذَابَ. فَمَا أَعْجَبَ حَالَهُمْ! وَمَا أَحْرَصَهُمْ عَلَى التَّهَالُكِ عَلَى دُخُولِ النَّارِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهَا، عِنْدَمَا تَعَاطَوْا أَسْبَابَ ذَلِكَ، وَتَنَافَسُوا فِيهِ، قَصْدًا وَاخْتِيَارًا!

{ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ } (البقرة: 176)

176 - وقد استحقوا كل هذا العذاب؛ لأن الله لم يُنزل كُتبه على الأنبياء عبثاً، ولم يأخذ الموثيق من الأمم بدون حساب، بل إن كل ذلك حق والتزام ومسئولية، فمن أبي وخان، ووجد وكنتم، استحق العذاب والنكال.

وهؤلاء الذين اختلفوا في الكتاب، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه الآخر، وأولوا منه أشياء، ثمَّ وصفوا القرآن بأوصاف باطلة، هم في اختلاف شديد وبعيد عن الحق والصواب، مستوجب لأشد العذاب.

{ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ
السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }
(البقرة: 177)

177 - عندما أمر الله المسلمين أولاً بالتوجه إلى بيت المقدس، ثم أمرهم بالتحول إلى الكعبة، شق ذلك على طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين، فبين في هذه الآية العظيمة أن المهم في هذا هو التسليم والطاعة والامتثال لأمر الله.

فليست الغاية من التوجه إلى المشرق والمغرب هو الجهة بعينها، ولا القيام بحركات ظاهرة نحوها، فلا تكمن الخيرية في هذه الأمور مجردة عن الدافع من ورائها وطاعة الأمر بها، فجماع الخير هو في العقيدة الصحيحة، والطاعة لله، والتسليم بأمره، الذي يُعطي القيمة والقبول لتلك الأعمال، الإيمان به عز وجل أولاً إيماناً عميقاً، وباليوم الآخر وما فيه من جزاء وحساب، ونعيم وعذاب، وبالملائكة جنده ورسله بينه وبين عباده، وبالكتاب الحق المنزل من عند الله على رسوله لهداية عباده، آخريها القرآن، الذي نسخ كل ما قبله من الكتب. وبأنبياء الله كلهم، حتى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، من غير تفرقة بينهم كما فعل أهل الكتاب.

والمؤمن الصادق أيضاً هو من أنفق من ماله وهو محب له راغب فيه، فأعطاه لأهله وأقربائه، ولليتامى الذين فقدوا آباءهم وكانوا صغاراً ضعفاء، والمساكين الذين لا يجدون ما يكفيهم،

وابن السبيل الذي نَفَدَتْ نَفَقَتُهُ وَهُوَ بَعِيدٌ عَنْ وَطْنِهِ، وَالسَّائِلِينَ الَّذِينَ أَلْجَأَتْهُمْ الْحَاجَةُ وَالضَّرُورَةُ إِلَى السَّوَالِ، وَفِي الرَّقَابِ: الْعَبِيدَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يُصْبِحُوا أَحْرَارًا وَلَا يَجِدُونَ الْمَبْلَغَ الْكَافِيَ لِإِعْطَائِهِ أَسْيَادَهُمْ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ.

ثُمَّ حَافِظًا عَلَى عِبَادَاتِهِ، فَأَقَامَ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ بِشُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا، وَأَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ. وَأَنْ يَكُونَ مِنَ الْأَوْفِيَاءِ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا، فَلَا يَخُونُ وَلَا يَغْدِرُ كَالْمُنَافِقِينَ وَمَنْ حَذَا حَدْوَهُمْ. وَمَنْ الصَّابِرِينَ إِذَا أَصَابَهُ مَكْرُوهٌ، كَفَقْرٍ أَوْ مَرَضٍ. وَكَذَلِكَ فِي حَالِ الْقِتَالِ وَلِقَاءِ الْعَدُوِّ. فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّصَفُوا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، هُمُ الَّذِينَ صَدَقُوا رَبَّهُمْ فِي إِيْمَانِهِمْ، فَاتَّبَعُوا الْحَقَّ، وَتَحَرَّوْا الْبِرَّ، وَأَحْرَزُوا الْخَيْرَ، وَابْتَعَدُوا عَنِ الْمَحَارِمِ وَالْمَوْبِقَاتِ وَسَائِرِ الرِّذَالِ، وَفَعَلُوا الطَّاعَاتِ الْمَطْلُوبَةَ مِنْهُمْ؛ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ وَخَشْيَةً مِنْهُ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِعَدْوٍ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (البقرة: 178)

178 – أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَقَدْ فُرِضَتْ عَلَيْكُمُ الْمِمَّاثِلَةُ وَالْمَسَاوِءُ فِي أَمْرِ الْقَتْلِ عَمْدًا، بَأَنْ يُقْتَلَ الْقَاتِلُ بِالصِّفَةِ الَّتِي قُتِلَ بِهَا الْمَقْتُولُ، وَأَنْ يُقْتَلَ الْحُرُّ بِالْحُرِّ، كَمَا يُقْتَلُ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ، وَتُقْتَلُ الْأُنْثَى بِالْأُنْثَى؛ إِقَامَةً لِلْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ.

وَكَانَتْ أَحْيَاءٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا قُتِلَتْ مِنْهُمُ امْرَأَةٌ لَمْ يَرْضُوا إِلَّا بِقَتْلِ رَجُلٍ مِنْ طَرَفِ الْقَاتِلِ، وَإِذَا قُتِلَ مِنْهُمْ عَبْدٌ طَلَبُوا قَتْلَ حُرٍّ، وَإِذَا قُتِلَ مِنْهُمْ وَضِيعٌ طَلَبُوا قَتْلَ شَرِيفٍ؛ تَعَالِيًا وَتَمَعُّنًا فِي الْإِنْتِقَامِ. فَبَيَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ حَكَمَ النَّوْعِ إِذَا قُتِلَ نَوْعُهُ، كَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى، وَلَمْ تَتَعَرَّضْ لِأَحَدِ النَّوْعَيْنِ إِذَا قُتِلَ الْآخَرُ، وَهَذَا مَا بَيَّنَّتْهُ السَّنَّةُ مِنْ بَعْدِ، كَأَنْ يُقْتَلَ الذَّكَرُ بِالْأُنْثَى أَيْضًا؛ لِاعْتِبَارِ الْمِمَّاثِلَةِ فِي الدِّينِ، وَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ، وَلَا حُرٌّ بِعَبْدٍ.

فَإِذَا عَفَا أَهْلُ الْقَتِيلِ، بَأَنْ طَلَبُوا بَدَلَ الدَّمِ دِيَّةً، وَهُوَ مِقْدَارٌ مِنَ الْمَالِ يُؤَدَّى إِلَيْهِمْ، فَلْيَكُنْ ذَلِكَ مُطَابِقَةً جَمِيلَةً وَمَعْقُولَةً، وَلِيُؤَدَّ الْقَاتِلُ الدِّيَّةَ بِإِحْسَانٍ وَإِكْرَامٍ، دُونَ بَحْسٍ وَلَا مُطَابَلَةٍ. وَتَشْرِيعُ الدِّيَّةِ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، وَكَانَ التَّشْرِيعُ فِي الدِّيَانَاتِ السَّابِقَةِ الْعَفْوُ أَوْ الْعُقُوبَةُ، وَلَمْ تَكُنْ هُنَاكَ دِيَّةً.

وإذا حدث أن قُتِلَ القاتلُ بعدَ أخذِ الدِّيَةِ أو قبولها، فلفاعلِهِ عذابٌ منَ اللهِ مؤلِّمٌ شديدٌ.

{ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** } (البقرة: 179)

179 – والقتلُ أوفى للقتلِ، وأوقفُ لسفكِ الدماءِ، فإنَّهُ إذا قُتِلَ القاتلُ سكنتِ الفِتنةُ، وإلا زادتُ وسقطَ أكثرُ منَ قَتيلٍ، معَ استحكامِ العداوةِ والبغضاءِ بينَ الفريقينِ، وربَّما الأهلِ والأرحامِ.

ففي قتلِ القاتلِ حياةٌ، ولو بدا في صورته قَتلاً، لأنَّهُ حُكْمٌ عدلٌ باستيفاءِ حقٍّ منَ سفكِ دمٍ بريءٍ؛ هذا لمنْ تدبَّرَ وكانَ منَ العقلاءِ، وإلَّا شُرعَ القِصاصُ لتبتعدوا منَ القتلِ، فلا تفتلوا حتَّى لا تُقتلوا.

{ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ** } (البقرة: 180)

180 – فُرضَ عليكم إذا اقتربَ أجلُ أحدِكُم إنْ تركَ مالاً أنْ يوصيَ منه لوالديه وأقربائه بالعدلِ، حقًّا مؤكِّداً على المؤمنينِ.

وكانَ هذا في ابتداءِ الإسلامِ، حيثُ كانتِ الوصيَّةُ فريضةً للوالدينِ والأقربينِ، ثمَّ نُسختْ بآيةِ الميراثِ، وصارَ كلُّ يأخذُ حقَّهُ بأمرٍ مُوجبٍ منَ اللهِ ورسولِهِ، ولمْ يُعدِ الورثةُ بحاجةً إلى وصيَّةٍ، بلْ لا تجوزُ لهمْ، ومنهمُ الوالدانِ، للحديثِ الصحيحِ: "لا وصيَّةَ لوارثٍ".

ويبقى حقُّ الأقربينِ، فإنَّهُ تُستحبُّ الوصيَّةُ لهمْ منَ الثلثِ المسموحِ بهِ للموصيِ، استئناساً بآيةِ الوصيَّةِ وتُموَّلها، وللآياتِ والأحاديثِ الواردةِ بالأمرِ ببرِّ الأقاربِ والإحسانِ إليهمِ.

{ **فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** } (البقرة: 181)

181 – فَمَنْ غَيَّرَ الوصيَّةَ وحرفها، بزيادةٍ أو نقص، أو كتمان، عن الأوصياءِ، أو الأولياءِ، أو الشهودِ، بعدما سمعَ قولَ الموصيِ أو وصلَ إليه وتحقَّقَ لديه، فإنَّ إثمَ التغييرِ والتبديلِ على مَنْ فعلَ ذلكَ وخانَ الأمانةَ، ولا شيءَ على الموصيِ.

وإنَّ اللهُ سَمِيعٌ لِمَا قالَ الموصيِ، عليمٌ بتحريفِ المبدلِ وخيانتهِ، وينتظرُهُ عقابٌ شديدٌ.

{فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (البقرة: 182)

182- فَمَنْ عَلِمَ أَنَّ الْمُوصِيَّ قَدْ أَخْطَأَ وَمَالَ عَنِ الْحَقِّ، وَخَرَجَ عَنِ الْحُدُودِ الْمَأْمُورِ بِهَا وَظَلَمَ، كَأَنَّ يُوَصِّيَ لِابْنِ الْبِنْتِ لِيَزِيدَ مِنْ نَصِيْبِهَا فِي الْمِيرَاثِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْوَسَائِلِ، فَلِلْمُوصِيِّ أَنْ يُصْلِحَ الْوَصِيَّةَ عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّحْرِيفِ، بَلْ هُوَ طَلَبٌ لَوَجْهِ الْحَقِّ، وَتَوْفِيقٌ بَيْنَ مَقْصُودِ الْمُوصِيِّ وَالْأَمْرِ الشَّرْعِيِّ. وَلِهَذَا الْمَصْلَحُ مَغْفَرَةٌ وَرَحْمَةٌ، لِأَنَّهُ أَرَادَ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة: 183)

183 - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَقَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا فُرِضَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ عَوْنًا لَكُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَخَشْيَتِهِ وَالتَّبَعْدِ عَنْ مَنَاهِيهِ، فَإِنَّ الصَّوْمَ فِيهِ تَرْبِيَةٌ وَتَرْكِيَةٌ، وَتَعْلِيمٌ عَلَى الطَّاعَةِ وَالتَّمْتَالِ.

{أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامِ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة: 184)

184 - وَهُوَ أَيَّامٌ مَعْدُودَاتٍ.

وَكَانَ ذَلِكَ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ، يَصُومُونَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ نُسِخَ بِصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ، كَمَا يَأْتِي فِي الْآيَةِ التَّالِيَةِ.

أَوْ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْمَعْدُودَاتِ الشَّهْرَ، وَيَكُونُ التَّقْلِيلُ تَسْهِيلاً عَلَى الْمَكْلُفِينَ، فَهِيَ قَلِيلَةٌ بِالنِّسْبَةِ لِأَيَّامِ السَّنَةِ.

فَمَنْ كَانَ مَرِيضًا مَرَضًا يَضُرُّهُ الصَّوْمُ، أَوْ يَعْسُرُ مَعَهُ، أَوْ كَانَ مُسَافِرًا سَفَرًا تُقْصِرُ بِهِ الصَّلَاةُ، فَلَا بَأْسَ عَلَيْهِ أَنْ يُفْطِرَ، عَلَى أَنْ يَقْضِيَ مَا فَاتَهُ مِنْ ذَلِكَ بَعْدُ.

أما الذين يصومونه ولكن بمشقة بالغة، كالشيخ الكبير، والمريض الذي لا يُرجى برؤه، فيعطي بدل صيام كل يوم طعام مسكين، وهو قدر ما يأكله في يومه. فمن زاد على ذلك فهو أفضل.

والصوم خير لمن أبيع له الإفطار إذا لم يجد في ذلك مشقة. وإذا تبينتم هذا وكنتم من أهل العلم والتدبر، علمتم أن الصوم خير من ذلك. وهناك تفسير آخر للآية، وهو قول الجمهور، فقد كان المسلمون في أول الأمر مخيرين بين صيام عدة أيام، أو إطعام مساكين، فيكون معناها: وعلى الذين يستطيعون الصيام، إذا أفطروا، فدية. ثم نسخت، وصارت الفدية للعاجز إذا أفطر.

{ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } (البقرة: 185)

185 - شهر رمضان، الذي أنزل الله فيه القرآن العظيم، في ليلة القدر منه، هادياً للناس من الضلالة إلى الإيمان، فيه آيات واضحة تهدي إلى الحق من الحدود والأحكام، لمن تدبرها وآمن بها حق الإيمان. وبها يفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام. ولهذا اختاره الله ليكون شهر الصوم للمسلمين، فمن حضره وكان مُقيماً سالماً وجب عليه صيامه كله.

أما من كان به مرض يشق عليه الصيام معه، أو يؤذيه، أو كان في حال سفر لمسافة تقصر به الصلاة، فله أن يفطر، لكن عليه أن يقضي هذه الأيام إذا تعافى، أو أقام، في الأشهر التالية منه.

وإنما رخص الله لكم الفطر في حالات تيسيراً عليكم، ورحمة ورأفة بكم. وإنما أمركم بقضاء ما فات، لتكملوا عدد أيام الشهر المفروض عليكم صومه. ولتذكروا الله وتَعْظُمُوهُ وتكَبِّرُوهُ عند انقضاء الصوم، ليلة الفطر ويوم العيد؛ شكرياً له على ما هداكم إلى هذه الطاعة العظيمة، التي تزيد من حسناتكم، وتُقرِّبكم من رحمة الله، ويدخلكم بها الجنة.

ولتشكروه على هذه النعمة الجليلة، وما يسره عليكم من الفطر فيه للضرورة.

{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا
بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } (البقرة: 186)

186 - وإذا سألك الناس عني أيها النبي أين أنا؟ فإني قريب، سميع مطلع، أجب دعوة من يدعوني، فليستجيبوا لندائي إذا دعوتهم للإيمان، وليمتثلوا أوامري إذا شرعت لهم الأحكام، وليثبتوا على الإيمان، وليداوموا على الطاعة، لعلهم بذلك يهتدون ويعملون الأعمال الصالحة.

{ أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } (البقرة: 187)

187 - كان أمر الصوم في شهر رمضان أولاً يختلف شيء منه عما شرع من بعد، فكان مسموحاً للصائم أن يأكل ويشرب وينكح بعد الإفطار ما لم ينم، فإذا نام حرم عليه ذلك. وهذا التحريم ينال الذي لم يفطر أيضاً، فلو نام ولم يفطر لم يجز له الإفطار بعد. فشق ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم، وأغمي على رجل منهم، كما وقع بعضهم على نسائه، فنزلت الآية الكريمة، ففرحوا فرحاً شديداً، وفيها:

لقد أحل الله لكم الجماع في ليلة الصيام، فأنتم سكنن وسترن لنسائكم، تلمسوهن وتضاجعوهن ولا تصيرون عنهن مع كثرة ملابستكم لهن. وهن كذلك. وقد علم الله أنكم كنتم تخونون أنفسكم وتعرضونها للعقاب بمواقعتهن وقد هئتم عن ذلك، فتاب عليكم عندما ثبتتم من ذلك وعفا عنكم، فلا بأس الآن من مباشرتهن، واطلبوا ما قدره الله لكم من الذرية.

وكُلُوا وَاشْرَبُوا فِي اللَّيْلِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ بَيَاضُ النَّهَارِ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ، وَهوَ الْفَجْرُ، ثُمَّ أَكْمَلُوا صَوْمَكُمْ مِنْ هَذَا الْوَقْتِ حَتَّى يَجِيَنَّ الْمَغْرِبُ مِنَ اللَّيْلِ.

ولا بُجِّمُوا نِسَاءَكُمْ وَأَنْتُمْ مُقِيمُونَ فِي الْمَسَاجِدِ بُنْيَةَ الْاِعْتِكَافِ، إِذَا خَرَجْتُمْ مِنْهَا إِلَى الْبُيُوتِ لِحَاجَةٍ.

وتلك الأحكام المذكورة في الصَّيَامِ والاعتِكَافِ حُدُودٌ حَدَّهَا اللهُ فَلَا تَقْرَبُوهَا، فَضْلاً مِنْ أَنْ تَتَجَاوَزُوهَا. فَلَا تَقْرَبُوا الْحَدَّ الْحَاجِزَ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ خَشْيَةً أَنْ تَقْعُوا فِيهِ. وَهُوَ مَبَالِغَةٌ فِي النَّهْيِ عَنْ تَخْطِئِهِ.

وهكذا بيَّنَّ اللهُ الأحكامَ المشروعةَ للناسِ بوضوحٍ ليَهْتَدُوا بِهَا، وَلئَلَّا يُخَالِفُوا أَمْرَهُ وَنَوَاهِيَهُ.

{ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (البقرة: 188)

188 – وَلَا يَأْكُلْ بَعْضُكُمْ أَمْوَالَ بَعْضٍ بَدُونِ حَقٍّ، كَأَنْ يَكُونَ عَلَى الرَّجُلِ دَيْنٌ وَلَا بَيِّنَةٌ عَلَى ذَلِكَ، فَيَجْحَدُهُ، وَيُخَاصِمُ بِهِ الْقَضَاءَ وَالْحُكَّامَ، وَهُوَ يَعْرِفُ أَنَّ الْحَقَّ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ أَكَلَ حَرَامًا. أَوْ بِأَيِّ شَكْلِ آخَرَ يُوجِبُ إِثْمًا، كَشَهَادَةِ الزُّورِ، وَالْيَمِينِ الْفَاجِرَةِ، وَالسَّرِقَةِ، وَالْعَصَبِ، وَالقِمَارِ، وَأَكْلِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى، وَجَحْدِ الْوَدَائِعِ. وَإِنَّ ارْتِكَابَ الْمَعَاصِي مَعَ الْعِلْمِ بِهَا أَعْظَمُ جُرْمًا.

{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (البقرة: 189)

189 – وَيَسْأَلُكَ النَّاسُ – أَيُّهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ – عَنْ فَائِدَةِ الْأَهْلَةِ⁽¹²⁾ وَالْحِكْمَةِ مِنْهَا، فَقُلْ لَهُمْ: لَقَدْ جَعَلَهَا اللهُ مَوَاقِيتَ لِلنَّاسِ، يَعْرِفُونَ بِهَا أَوْقَاتَ عِبَادَتِهِمْ، مِنَ الصِّيَامِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَالكَفَّارَاتِ، وَيَعْرِفُونَ بِهَا حُلُولَ أَجَلِ الدِّينِ، وَعِدَّةَ النِّسَاءِ، وَأَوْقَاتَ الزَّرَاعَةِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ.

(12) جمع هلال، مثل رداء وأردية، سمِّي هلالاً لأنَّ النَّاسَ يرفعون أصواتهم بالذِّكْرِ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: اسْتَهَلَّ الصَّبِيُّ إِذَا صَرَخَ حِينَ يُولَدُ، وَأَهْلُ الْقَوْمِ بِالْحَجِّ إِذَا رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ. (البغوي).

وليس من الخير أن تدخلوا البيوت من فُرَجٍ وأنقابٍ وتتركوا الأبواب إذا كنتم مُحْرَمِينَ، ولكنَّ الخيرَ مَنْ خَشِيَ اللَّهَ وتركَ مخالفةَ أمرِهِ، فادخلوا البيوتَ مِنْ أبوابِها كالعادةِ ولو كنتم مُحْرَمِينَ، وكونوا على طاعةٍ واستقامةٍ لتفوزوا بالبرِّ والهدى.

وكانتِ الأنصارُ وقبائلُ من العربِ تفعلُ ذلك، فنزلتِ الآيةُ الكريمةُ.

{ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } (البقرة: 190)

190 – وقاتلوا في سبيل الله وإعلاء دينه الذين يُقاتلونكم من الكفار، ولا تعتدوا في ذلك، كقتل النساءِ والصبيانِ والشيخِ والرهبانِ، وكالتمثيلِ بالقتلى، وكحرق الأشجارِ وقتل الحيواناتِ لغيرِ مصلحةٍ، فإنَّ الله لا يُحبُّ المتجاوزينَ حدودَ ما شرعَ لهم.

{ وَاَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ } (البقرة: 191)

191 – وتطوّر أمرُ الجهادِ، فقال الله ما معناه: واقتلوا المشركينَ أينما وجدتموهم، دفاعاً وهجوماً، وأخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم، وما هم عليه من الكفرِ والشركِ أعظمُ من القتلِ، فقد كانوا يفتنونكم عن دينكم، ويُعدّونكم، ويصدرونَ أموالكم، ولا يسمعونَ لكم بإقامةِ شعائرِ دينكم، ويُقاتلونكم لبيدوكم، انطلاقاً من ملّةِ الكفرِ التي هم عليها.

ولا تبدؤوهم بالقتالِ عندَ المسجدِ الحرامِ حتى يبدؤوا هم به، فإذا قاتلوكم فيه فلا تُبالوا بقتالهم، فإنَّ هذا جزاءُ الكافرينَ المعتدين، يُفعلُ بهم مثلما فعلوا.

{ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (البقرة: 192)

192 – فإذا انتهوا عن القتالِ والكُفرِ، فإنَّ الله يغفرُ لهم ما سلف، ويرحمهم، ولو أظلم قتلوا المسلمينَ في حرَمِ الله، فإنَّ الله يتوبُ على مَنْ تابَ مهما تعاظمتْ ذنوبُهُ، ويغفرُها له.

{ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ } (البقرة: 193)

193 - وقَاتِلُوا الكَافِرِينَ حَتَّى تَكْسِرُوا شَوْكَتَهُمْ وَلَا يَبْقَى هُنَاكَ شِرْكٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ خَالِصًا لِلَّهِ، ظَاهِرًا عَلَى سَائِرِ الأَدْيَانِ، لَا نَصِيبَ لِلشَّيْطَانِ فِيهِ، وَلَا أَمْرَ لِلْكَفَّارِ عَلَيْهِ. فَإِذَا انْتَهَوْا عَنِ الشِّرْكِ وَقَتَلَ الْمُؤْمِنِينَ فَكُفُّوا عَنْهُمْ، وَلَا تَعْتَدُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُ لَا عُقُوبَةَ إِلَّا لِلظَّالِمِ، وَهَوْلَاءِ تَابُوا مِنْ ظُلْمِهِمْ.

{ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتِ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } (البقرة: 194)

194 - وَإِذَا قَاتَلَكُمُ الْمُشْرِكُونَ فِي الأشْهُرِ الْحُرْمِ - وَهِيَ رَجَبٌ وَذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمِحْرَمِ - فَقَاتِلُوهُمْ فِيهَا، فَإِنَّ كُلَّ حُرْمَةٍ أَوْ أَمْرٍ مَعْظَمٍ يُهْتَكُ مِنْ قِبَلِهِمْ يُفْعَلُ بِهِمْ مِثْلُهُ، فَقَاتِلُوهُمْ جَزَاءً اعْتَدَائِهِمْ عَلَيْكُمْ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ فِي أُمُورِكُمْ وَاتَّقُوهُ، فَلَا تُبَادِرُوهُمْ بِالْقِتَالِ فِي الْحَرَمِ أَوْ الأشْهُرِ الْحُرْمِ، وَلَا تَعْتَدُوا إِذَا انْتَصَرْتُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ يَمْتَثِلُونَ أَوَامِرَهُ بِالنَّصْرِ وَالتَّيْمِينِ وَالتَّمَكِينِ.

{ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } (البقرة: 195)

195 - قَالَ بَعْضُ الأنصَارِ لِبَعْضِهِمْ سِرًّا: إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الإسلامَ، وَكَثُرَ ناصِرُوهُ، فَلَوْ أَنَا أَقْمْنَا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الآيَةَ فِيهِمْ. قَالَ أَبُو أَيُّوبِ الأنصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ: الإِقَامَةُ عَلَى الأَمْوَالِ وَإِصْلَاحِهَا، وَتَرَكْنَا العَزْوَ.

وَفِي الآيَةِ تَوْجِيهُ عَامٌّ وَأَمْرٌ لِلْمُسْلِمِينَ بِمَا هُوَ مَطْلُوبٌ مِنْهُمْ: أَنْفِقُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ فِي الجِهَادِ وَسُبُلِ الخَيْرِ، وَإِنَّ تَرْكَ ذَلِكَ خَسَارَةٌ وَهَلَاكٌ، فَأَحْسِنُوا أَعْمَالَكُمْ وَأَخْلَاقَكُمْ، وَأَنْفِقُوا عَلَى الجِهَادِ وَأَهْلِ الْحَاجَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ الخَيْرَ بِالْمُحْسِنِينَ.

{ وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (البقرة: 196)

196 - وإذا بدأتم الحج والعمرة فأتموا مناسكهما، فإذا حُبِسْتُمْ ومُنِعْتُمْ من الوصول إلى البيت الحرام ولم تتمكنوا من إتمام المناسك، فبإمكانكم التحلل منها بَدَحِ هَدْيٍ، من إبلٍ أو بقرةٍ أو شياه.

والتحلل هو الخروج من الإحرام بالطريق الشرعي.

ولا تحلقوا رؤوسكم - وهو علامة على التحلل - حتى تعلموا أن الهدْيَ المبعوث إلى الحرم قد بلغ المكان الذي يحل فيه ذبحه. وهو للآمن الحرم، وللمحصر مكان الإحصار. وفي المسألة اختلاف وتفصيل. قال القرطبي في تفسيره: جمهور الناس على أن المحصر بعدوٍ يحل حيث أحصر، وينحر هديه إن كان ثم هدي، ويحلق رأسه. اهـ.

فمن كان مريضاً مرضاً يُجِزُّه إلى الحلق، أو به أذى من رأسه، كتملٍ وجراحة، فعليه فدية إن حلق: وهو أن يصوم ثلاثة أيام، أو يتصدق على ستة مساكين، أو يذبح شاةً أو غيرها مما ذكِر، يتصدق ويذبح في الحرم.

فإذا تمكنتُم من أداء المناسك، فمن كان منكم مُتَمَتِّعاً بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ، أي اعتمر ثم نوى الحج، أو نواها معاً، أي قرن بينهما، فعليه أن يذبح ما قدر عليه من الهدْيِ، وأقله شاة، فإن لم يقدر على ذلك فليصم ثلاثة أيام في الحج، وسبعة إذا رجع إلى وطنه، فهي عشرة أيام.

وهذا التمتع للناس ما عدا أهل مكة والحرم، ويُلْحَقُ بِهِمْ مَنْ كَانَ قَرِيباً مِنَ الْحَرَمِ عَلَى مَسَافَةِ قَصْرِ الصَّلَاةِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

واخشوا الله ونفذوا ما يأمركم به وينهاكم عنه، والله يُعَاقِبُ مَنْ خَالَفَهُ عُقُوبَةً شَدِيدَةً.

{ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ } (البقرة: 197)

197 - وأشهُرُ الحجِّ معروفة، وهي شَوَّالٌ وذو القَعْدَةِ وَعَشْرٌ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَمَنْ نَوَى فِيهِنَّ الْحَجَّ وَأَوْجَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلْيَلْتَزِمْ بآدَابِهِ: فلا يَجُوزُ فِيهِ الْجَمَاعُ وَلَا دَوَاعِيهِ، وَلَا ارْتِكَابُ الْمَعَاصِي وَالْفَوَاحِشِ وَالْمَحْظُورَاتِ، وَيَعْنِي التَّأَكِيدَ عَلَى ذَلِكَ فِي أَثْنَاءِ الْحَجِّ الَّذِي قُصِدَ لَطَاعَةِ اللَّهِ، وَلَا جِدَالَ وَلَا مُخَاصِمَةَ فِي الْحَجِّ، فلا يُماري الحَاجُّ أخاهُ حَتَّى يُغْضِبَهُ، وَلَا يَسْبُئُهُ وَلَا يُنَازِعُهُ، وَخَاصَّةً رَفَقَتَهُ وَخَدَمَهُ.

وما تَفَعَّلُوا مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ يَعْلَمُهَا اللَّهُ، وَيَجْزِي بِهَا خَيْرَ الْجَزَاءِ.

واجْتَلَبُوا مَعَكُمْ مِنَ الزَّادِ مَا يَكْفِي وَجُوهَكُمْ عَنِ السُّؤَالِ فِي الْحَجِّ وَلَا تَتَوَاكَلُوا.

وإنَّ خَيْرَ مَا تَزَوَّدْتُمْ بِهِ هُوَ مَا يَنْفَعُكُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنَ التَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالطَّاعَةِ.

واحْشُوا عِقَابِي إِذَا خَالَفْتُمْ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ يَا ذَوِي الْأَفْهَامِ وَأَهْلَ الْعُقُولِ الرَّاجِحَةِ.

{ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ } (البقرة: 198)

198 - وَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ إِذَا تَكَسَّبْتُمْ وَتَاجَرْتُمْ فِي الْحَجِّ.

وَإِذَا دُفِعْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ بَعْدَ الْوُقُوفِ بِهِ، فَاذْكُرُوا اللَّهَ بِالتَّلْبِيَةِ وَالتَّهْلِيلِ وَالدَّعَاءِ عِنْدَ الْمَشْعَرِ

الْحَرَامِ. وَهُوَ جَبَلٌ بِآخِرِ الْمَزْدَلِفَةِ، وَقَدْ وَقَفَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُنَاكَ "فَاسْتَقْبَلَ

الْقِبْلَةَ، فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ"، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ.

وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا هَدَاكُمْ لِمَعَالِمِ دِينِهِ وَمَنَاسِكِ حَجَّهِ، وَعَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ.

{ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (البقرة: 199)

199 - ثُمَّ انْدَفِعُوا مِنْ عَرَفَاتٍ كَمَا كَانَ النَّاسُ يَنْدَفِعُونَ مِنْهُ مِنْ لَدُنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،

لِلْمَبِيتِ بِمَزْدَلِفَةَ وَرَمَى الْجِمَارِ وَإِكْمَالِ سَائِرِ الْمَنَاسِكِ.

وكانت قريشٌ وما ولدت لا تَقْفُ بعرفاتٍ مثلَ باقي القبائل، ولا تُفيضُ منه، فنزلت الآيةُ فيهم، كما رواه البخاريُّ وغيره.

واستغفروا الله من جاهليَّتكم في تغييرِ المناسك، فإنه يغفرُ ذنبَ المستغفرِ ويرحمه.

{ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ } (البقرة: 200)

200 – فإذا أنهيتُم مناسك الحجِّ فاحمدوا الله واشكروه على توفيقه إياكم، وادعوه وزيدوا من ذكره كما يلهج الصبيُّ بذكرِ أمه وأبيه، وكما تذكرون آباءكم في مفاخرهم وأيامهم، بل أكثر ذكراً، فإنه ربُّكم وربُّ آبائكم والمنعمُ عليكم جميعاً.

ومن الناس من لم يُوفِّق في الدعاء، فيقول أحدُهم: ربَّنَا زدنا من النعم والحيرات في الدنيا، واجعل هذا العامَ عامَ خصبٍ وغيث. فمثلُ هذا لا نصيبُ له في الآخرة، لأنه لم يسأل لنفسه خيراً.

{ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } (البقرة: 201)

201 – وهناك من يدعو فيحسنُ الدعاء، ويجمعُ فيه بين خيري الدنيا والآخرة، فيقول: ربَّنَا أعطنا جماعَ الخير في الدنيا والآخرة.

وهو كأن يدعو لنفسه بالرزق الواسع، والزوجة الصالحة، والمركب الهنيء، والثناء الطيب، والعلم النافع.

كما يدعو لنفسه بحسن الخاتمة، والأمن يوم الحشر والحساب، ودخول الجنة مع الأبرار، والوقاية من عذاب النار.

{ أُولَئِكَ هُم نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ } (البقرة: 202)

202 – فهؤلاء سنعطيهم نصيبهم الذي دعوا به، من قبول حجِّ وغيره، والله سريع في الحساب، يُجاسِبُ عباده بشريعة فائقة، على كثرتهم وكثرة أعمالهم.

{وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ
لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} (البقرة: 203)

203 – وادكروا الله وكتبوه في أيام التشريق، وهي يوم عيد الأضحى مع الأيام الثلاثة التالية له، وهي أيام أكلٍ وشربٍ وذكر، لا يجوز صومها. فمن أراد أن ينفر من منى ثاني أيام التشريق فلا حرج عليه، ومن أراد أن يبقى إلى اليوم الثالث ويرمي الجمار فلا حرج عليه أيضاً.

وكانوا في الجاهلية يُعيرون المتعجل ويؤثمون المتأخر، فبيّنت الآية عدم القدح في ذلك. وهو اللائق بمن حجَّ لله والتزم بالمناسك كما شرع الإسلام.

فكونوا على تقوى من الله وخشية منه، بامتنال الأوامر وترك المحظورات، واحذروا الإخلال بما ذُكر من الأحكام، وتيقنوا بأنكم ستعودون إلى الحياة بعد موتكم، فيحاسبكم الله على أعمالكم ويجازيكم عليها.

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ
الْخِصَامِ} (البقرة: 204)

204 – وهناك من الناس منافقون، يقول لك أحدهم كلاماً جميلاً في ظاهره، يُنبئ عن محبة وطاعة، ويخلف أنه صادق في إيمانه وموقفه، وهو في الحقيقة من أشد الخصماء لك وللدين، فهو يكذب ويفجر، ولا يوافق باطنه ظاهره، وما كلامه هذا سوى تمويه وسرّ يُخفيه، خشية أن يناله سيف الإسلام، أو أنه يتحين الفرصة ليؤذي المسلمين.

{وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ} (البقرة: 205)

205 – وإذا مضى أحد هؤلاء المنافقين الكذابين عمداً إلى بث الفساد وزرع الشر والإضرار بكل ما هو حي، قاصداً إهلاك الأحياء وتخريب الزروع والثمار والبيئة ونشر الحراب والدمار، فلا مبادئ سامية عنده، ولا خوف لديه من الحساب، حيث لا يؤمن به، بل شأنه العدر

والشرُّ والفساد، والله يَبْعُضُ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ، وَلَا يُحِبُّ مَنْ اتَّصَفَ بِهِ، وَلَا تُخْفَى عَلَيْهِ سَرَائِرُ النَّاسِ، فَلَا تُعْرَنِّكُمْ المَظَاهِرُ وَالكَلِمَاتُ المَعْسُولَةُ.

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ } (البقرة: 206)

206 – وَإِذَا وَعِظَ أَحَدٌ هَؤُلَاءِ المُنَافِقِينَ وَقِيلَ لَهُ: احذَرْ غَضَبَ اللَّهِ، وَأَنْتَ مِنْ فَعَالِكِ السَّيِّئَةِ، وَارْجِعْ إِلَى الحَقِّ، أَخَذَتْهُ الحَمِيَّةُ وَالعَضْبُ، وَتَعَاظَمَ وَاسْتَكْبَرَ أَنْ يُوجَّهَ لَهُ مِثْلُ هَذَا التَّنْذِيرِ وَالإِنكَارِ، لِمَا امْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنَ الكُفْرِ وَالعِصْيَانِ، فَمَا اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ، وَلَا سَمِعَ كَلَامَ أَحَدٍ، وَهُوَ فِي وَاجِهَتِهِمْ يَتَظَاهَرُ بِالإِيمَانِ وَالمُحِبَّةِ وَالمُطَاعَةِ! وَيَكْفِي أَنْ يَكُونَ نَصِيحَةُ النَّارِ الفَظِيحَةُ يَوْمَ الدِّينِ، جَزَاءً إِفْسَادِهِ وَفُجُورِهِ، وَكُذِبِهِ وَنِفَاقِهِ، وَبِئْسَ المَكَانُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ المَرْءُ مُعَدَّبًا مُحْتَرِقًا تَأْتِي النَّارُ حَتَّى عَلَى فُؤَادِهِ، وَهُوَ يَطْلُبُ فِيهِ المَوْتَ، وَلَكِنْ لَا مَوْتَ وَلَا حَيَاةَ، وَلَكِنَّهُ نَارٌ مُوجَّحَةٌ وَعَذَابٌ مُسْتَمِرٌّ.

{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ } (البقرة: 207)

207 – وَفِي مَقَابِلِ المُنَافِقِينَ الفَاجِرِينَ، هُنَاكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ مَنْ يَهَبُ مَا مَلَكَ لِيَنْفُذَ بِإِيمَانِهِ؛ طَلِبًا لِرِضَى اللَّهِ، كَمَا فَعَلَ صُهَيْبُ الرُّومِيُّ، عِنْدَمَا أَسْلَمَ بِمَكَّةَ وَأَرَادَ المِجْرَةَ إِلَى المَدِينَةِ، فَمُنِعَ فَتَحَرَّجَ مِنْ مَالِهِ وَتَخَلَّصَ مِنْهُمْ بِذَلِكَ. فَمِثْلُ هَذَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ. وَالأَيَّةُ فِي كُلِّ مُجَاهِدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَهَبُ رُوحَهُ لِيَرْضَى عَنْهُ اللَّهُ، تَارِكًا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، لِيَنْتَصِرَ لِدِينِ اللَّهِ، فَتَنْتَشِرُ المَبَادِئُ العَظِيمَةُ، وَالأَحْكَامُ العَادِلَةُ. فَشَتَّانَ بَيْنَ المُنَافِقِ وَمَا طَلَبَ، وَبَيْنَ المُؤْمِنِ المُجَاهِدِ وَمَا وَهَبَ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

مُبِينٌ } (البقرة: 208)

208 – أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ، خُذُوا بِجَمِيعِ عُرَى الإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ وَشُعَبِ إِيْمَانِهِ، وَالتَّزَمُوا بِجَمِيعِ أَوَامِرِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَأَنْتَهُوا عَنْ جَمِيعِ زَوَاجِرِهِ، وَاجْتَنِبُوا مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّهُ عَدُوٌّ ظَاهِرٌ لَكُمْ، لَا يَأْمُرُكُمْ إِلَّا بِالسُّوءِ وَالفَحْشَاءِ لِتَكُونُوا مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ.

{ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (البقرة: 209)

209 – فإذا ملئتم عن الإسلام وكفرتم بالحق بعد أن عرفتموه وتأكدتم من صحته بالحجج والبراهين، فاعلموا أن الله غالب لا يفوته شيء، ولا يعجزه الانتقام منكم، حكيم صائب الحكم دائماً، لا يترك ما تقتضيه الحكمة من مواخذه العصاة المتكبرين.

{ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ } (البقرة: 210)

210 – هؤلاء المنحرفون عن الإسلام، لا ينتظرون سوى الساعة الحاسمة يوم القيامة، ليقضي الله القضاء الفصل بين العباد، يأتي سبحانه في ظلال من الغمام، والملائكة الذين يُنقذون أوامرهم.

وانتهى الأمر بقضاء الله العدل، فلا خطأ فيه ولا مراجعة عليه، وتم أمر إهلاكهم بما يستحقونه من عذاب مؤلم. وليعلم أن الأمر الأخير هو لله سبحانه، لا لغيره، يُجازي كلًّا بعمله.

{ سَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (البقرة: 211)

211 – اسأل بني إسرائيل كم آتيناهم من أدلة ظاهرة، وبراهين كثيرة، على صدق نبينهم موسى عليه الصلاة والسلام فيما جاء به، ومع ذلك أعرضوا عنها، واستبدلوا الكفر بالإيمان بها!

ومن يُبدل نعمة الإيمان التي جاءته بالشك والإعراض، فإن الله ذو عقاب شديد، وسوف يُجازيهم به.

{ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } (البقرة: 212)

212 - لقد رُئيت الحياة الدنيا في عُيون الكافرين الذين رَضُوا برفاهيتها، وتهالكوا عليها، وتشبَّثوا بها، واطمأنوا إليها، ولم يتجاوزوها إلى ما هو أرقى وأسمى، وسَخِرُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ زَهَدُوا فِيهَا، وَفَضَّلُوا حَيَاةَ الْجِهَادِ وَالِدَعْوَةِ وَالْعِبَادَةِ، وَأَنْفَقُوا مَا عِنْدَهُمْ ابْتِغَاءَ وَجهِ اللَّهِ، وَلَوْ كَانَ مَا عِنْدَهُمْ قَلِيلًا. فَكَانُوا مِنَ الْمَكْرَمِينَ الَّذِينَ حَازُوا الْحِظَّ الْأَوْفَرَ وَالدرَجَةَ الْعُلْيَا، وَالْآخَرُونَ ذُلُّوا وَأُهِنُوا وَكَانُوا فِي الدَّرَكَاتِ السُّفْلَى.

والله يَدَّخِرُ الْخَيْرَ لِلْمُتَّقِينَ، وَهُوَ الرَّازِقُ الَّذِي يَمْنَحُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْعَطَاءَ الْجَزَلَ، بِلَا حَصْرِ وَلَا تَعْدَادٍ، جَزَاءَ مَا أَنْفَقُوا مِنْ مَالٍ وَوَقْتٍ وَقُوَّةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

{ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (البقرة: 213)

213 - كَانَ النَّاسُ عَلَى شَرِيعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْحَقِّ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا وَصَارُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَغَيْرَهَا، فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمُ الْأَنْبِيَاءَ لِيُبَشِّرُوهُمْ بِالْجَزَاءِ الْحَسَنِ إِنْ هُمْ أَطَاعُوا وَتَبَتُوا عَلَى الْحَقِّ، وَلِيُنْذِرُوهُمْ مِنَ الْعِقَابِ الشَّدِيدِ إِنْ هُمْ خَالَفُوا وَعَصَوْا. وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكُتُبَ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْقَوْلِ الْفَصْلِ، لِيَتَدَبَّرَهَا النَّاسُ وَيَتَحَاكَمُوا إِلَى مَا فِيهَا مِنْ أَوْامِرٍ وَنَوَاهٍ، فَفِيهَا الْحَقُّ، وَلَا قَوْلَ بَعْدَهَا.

وما اختلف في هذه الكتب إلا الذين نزلت فيهم بعدما قامت عليهم الحجة ووضح لهم الأمر ورسخ في عقولهم. وما حملهم على هذا الاختلاف إلا الحسد والطمع، والظلم والهوى، والحُصومة واللجاجَة، والعناد والتمرد على الحق، والتهاكك على الدنيا.

وقد هدى الله بلطفه وتيسيره المؤمنين إلى الحق فيما اختلف فيه من ذلك، لصفاء نفوسهم، واستعدادهم لقبول الحق، فأقاموا على الإخلاص لله وحده، وعبادته على بينة واستقامة، واعتزلوا الخلاف، وتركوا الأهواء والنزوات، والحُصومة والعناد.

والله يهدي من يشاء من خلقه إلى الطريق المستقيم، ممن يعلم فيهم الرغبة في اتباع الهدى وتقبل الحق. وهو الهادي إلى سواء السبيل.

{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتِمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ }
(البقرة: 214)

214 - وهل ظننتم أيها المسلمون أنكم ستنالون الجنة دون أن تُبتلوا وتمتحنوا، ودون أن يُصيبيكم مثلما أصاب الذين من قبلكم، وقد نالت منهم الأمراض والآلام، والمصائب والكوارث، والفقر والجهد والخوف؛ ليتبين بذلك كله صبركم وإيمانكم وثباتكم على الحق، الذي ينبغي ألا تُريحه الاختبارات، ولا تعصف به البلياء. وقد أزعجوا إزعاجاً شديداً وزلزلوا خوفاً من الأعداء، وامتحنوا امتحاناً عظيماً، حتى صار الرسول وأتباعه المؤمنون يدعون بالنصر وقرب الفرج والمخرج من هذا الضيق الشديد. وإن نصر الله قريب ممن صبر على مكابدة المشاق، وجاهد حق الجهاد، فكان أهلاً للنصر، وإن مع العسر يسراً وتوفيقاً، ونصراً وفرجاً.

{ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ
وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ } (البقرة: 215)

215 - يسألك أصحابك أيها الرسول ما الذي يُنفقونه من أموالهم وعلى من؟ فقل لهم: الأولى صرف ما تطوعتم به على من له حق عليكم، وهم: الوالدان الواجب برهما، والأهل: الأقرب منهم فالأقرب، واليتامى من الصغار الذين فقدوا آباءهم، وهم مظنة الحاجة لعدم قدرتهم على الكسب، والمساكين: الذين لا يجدون ما يكفيهم، وابن السبيل: الغريب الذي انقطع عن بلده ولا يجد ما يُبلغه إليه.

وما تُنفقوا من أموال على هؤلاء المحتاجين، وما تفعلوا من الطاعات والقربات، يعلمها الله، وسيحفظها لكم، ويُجازيكم عليها أفضل الجزاء.

{ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } (البقرة: 216)

216 - فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْجِهَادَ وَهُوَ شَاقٌّ عَلَيْكُم، تَكْرَهُهُ النُّفُوسُ وَتَسْتَثْقِلُهُ، وَلَكِنْ رُزِمًا كَرِهْتُمْ شَيْئًا وَفِيهِ خَيْرٌ لَكُمْ، فَإِنَّ نَتِيجَتَهُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - النُّصْرُ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَفَتْحُ بِلَادِ الْكُفْرِ وَرَفْعُ رَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَوْ الشَّهَادَةُ الَّتِي يَدْخُلُ بِهَا الْمَرْءُ الْجَنَّةَ. وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَفِيهِ شَرٌّ لَكُمْ، فَإِنَّ الثُّغُورَ عَنِ الْجِهَادِ وَالرُّكُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَالرَّفَاهِيَةَ يُعْطِي نَتِيجَةً عَكْسِيَّةً، فَيَسْتَوْلِي الْأَعْدَاءُ عَلَى الْبِلَادِ، وَيَنْهَزُمُ الْمُسْلِمُونَ، وَيَتَحَكَّمُ الْكُفَّارُ فِي شُؤْنِهِمْ. فَالْجِهَادُ سَبَبٌ لِحُصُولِ النُّصْرِ وَالْأَمْنِ.

والله أعلم منكم بمآل الأمور، وأخبر بما فيه صلاحكم في دنياكم وأخرتكم، فالتزموا جانب الجهاد والقوة. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم: "مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ".

{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزِدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَزِدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (البقرة: 217)

217 - يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقِتَالِ فِي الْأَشْهِرِ الْحَرَامِ، وَهِيَ رَجَبٌ وَذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمِحْرَمِ، فَقُلْ: لَا يَجِلُّ ذَلِكَ، بَلْ هُوَ أَمْرٌ جَلَلٌ وَذَنْبٌ كَبِيرٌ.

وإنَّ مَنْعَ النَّاسِ عَنِ الدِّينِ الْحَقِّ، وَالْكَفْرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، عِنْدَمَا انْتَهَكَ الْمُشْرِكُونَ حُرْمَتَهُ، وَأَذَا الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِهِ، وَقَتَّنُوهُمْ فِي دِينِهِمْ، وَعَدَّبُوهُمْ لِيَزِدُّوهُمْ إِلَى الْكُفْرِ، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَرَمِهِمْ، هُوَ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ مِنَ الْقَتْلِ فِي هَذِهِ الْأَشْهُرِ.

وهم مُقِيمُونَ عَلَى هَذَا الْمَسَلِكِ الْحَبِيثِ، فَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ غَيْرَ تَائِبِينَ وَلَا نَازِعِينَ عَنِ ذَلِكَ، حَتَّى يُعِيدُوكُمْ إِلَى مِلَّةِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، إِذَا قَدَرُوا عَلَيْهِ.

وَمَنْ يَرْجِعْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ وَيَمُتْ عَلَى الْكُفْرِ، فَقَدْ فَسَدَ عَمَلُهُ كُلُّهُ، وَضَيَّعَ مَا كَسَبَهُ مِنْ حَسَنَاتٍ فِي أَثْنَاءِ إِسْلَامِهِ، وَلَمْ يَعُدَّ يُغِيدُهُ إِيمَانُهُ السَّابِقَ، وَسَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، الْبَاقِينَ فِيهَا أَبَدًا.

وقد اختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحُرْم، هل هو باقٍ أم نُسخ؟ وأشهرُ الأقوال على أنه منسوخ، بدلائلٍ أخرى، منها قوله تعالى: {فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة: 5]. والله أعلم.

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (البقرة: 218)

218 - وأما الذين آمنوا وسلكوا منهج الحق، وهاجروا وتركوا أموالهم ومنازلهم وأهليهم، وجاهدوا في سبيل الله وصبروا على ذلك طاعةً لله، فإما نصر أو شهادة، فإنهم ينتظرون بشرى ثمرة إيمانهم وصبرهم: الفوز والرحمة، والله يغفر لهم ما سلف، ويرحمهم برحمته الواسعة.

{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ } (البقرة: 219)

219 - يسألونك عن حكم الخمر والقمار، فقل: في تعاطيهما ذنب كبير ومفسدة كبيرة، مع شيء من المنافع، ففيهما ذهاب العقل والمال والدين، والمخاصمة والمشاجرة والمعاداة، وفيهما منافع جسيمة ونفسية مؤقتة، كالهضم والطرب، وربما ربح في المقامرة، لكن إثمهما والخسارة فيهما أكثر بكثير من منفعيهما.

وكان هذا أول خطوة في تحريمهما، بأسلوب ترويي رباي حكيم، ثم نزل التحريم الشامل في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [المائدة: 90].

ويسألونك ماذا ينفقون من أموالهم؟ فقل لهم: ما زاد من حاجتكم. وهكذا بيّن الله لكم الأحكام ويوضحها في حكمة وبيان، لتتفكروا وتعرفوا الحق جيداً،

{ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (البقرة: 220)

220 - بما يفيدكم في الدنيا، ويُيسّر لكم أمر الآخرة.

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ كَيْفِيَّةِ مَعَاشِرَةِ الْيَتَامَى فِي أَمْوَالِهِمْ، فَقُلْ: إِنَّ عَزَلْتُمْ أَمْوَالَهُمْ وَطَعَامَهُمْ عَمَّا يَخْصُصُكُمْ مِنْهَا حَتَّى لَا يَقَعَ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنَ الْخُسَارَى فَذَلِكَ حَسَنٌ، وَإِنْ خَلَطْتُمُوهَا بِأَمْوَالِكُمْ فَلَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ، فَهَمَّ إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ نِيَّاتِكُمْ فِي الْإِصْلَاحِ وَالْإِفْسَادِ. فَالْإِصْلَاحُ فِي أَمْرِ الْيَتَامَى أَفْضَلُ، وَمَخَالَطَتُهُمْ فِيمَا يُحَقِّقُ لَهُمُ الْخَيْرَ أَجْدَى مِنْ اعْتِرَافِهِمْ. وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ لَضَيِّقَ عَلَيْكُمْ الْأَمْرَ وَأَحْرَجَكُمْ، وَلَكِنَّهُ وَسَّعَ عَلَيْكُمْ وَخَفَّفَ عَنْكُمْ، وَأَبَاحَ لَكُمْ مَخَالَطَتَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَا يُرِيدُ، حَكِيمٌ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ.

{ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا أَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } (البقرة: 221)

221 - وَلَا تَنْزَوِّجُوا النِّسَاءَ الْمُشْرِكَاتِ عَابِدَاتِ الْأَوْثَانِ، إِلَّا إِذَا أَسْلَمْنَ، وَإِنَّ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً مِنْ الْأَرْقَاءِ، أَفْضَلُ مِنْ مُشْرِكَةٍ حُرَّةٍ وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْهَا حُسْنًا وَجَمَالًا. وَلَا تُزَوِّجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنَ النِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ حَتَّى يُؤْمِنُوا، وَإِنَّ عَبْدًا مُؤْمِنًا مَهْمَا كَانَ شَأْنُهُ، أَفْضَلُ مِنَ الْمُشْرِكِ وَلَوْ كَانَ ذَا حَسَبٍ وَمَالٍ وَجَاهٍ. فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ يَنْضَوُونَ تَحْتَ مَلَّةِ الْكُفْرِ الَّتِي مَالَهَا النَّارُ، وَإِنَّ مَعَاشِرَتَهُمْ وَمَخَالَطَتَهُمْ تَبْعُ عَلَى حُبِّ الدُّنْيَا وَالتَّعَلُّقِ بِهَا وَإِثَارِهَا عَلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَعَاقِبَةُ ذَلِكَ وَخِيْمَةٌ. وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ بِمَا شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الْأَحْكَامِ، لَتَمَهَّدَ لَكُمْ طَرِيقَ الْمَغْفِرَةِ وَالسَّعَادَةِ. وَهَذَا مَا بَيَّنَّهُ لَكُمْ رَبُّكُمْ، لَتَتَذَكَّرُوا وَتُؤْمِنُوا، وَتَعْمَلُوا وَتَشْكُرُوا.

{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ } (البقرة: 222)

222 - وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ حُكْمِ مُجَامَعَةِ الْمَرْأَةِ وَهِيَ فِي الْحَيْضِ، فَقُلْ: هُوَ أَذَى وَضَرُّرٌ وَأَلَمٌ، فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ أَثْنَاءَهُ، وَلَا تُجَامِعُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ مِنْهُ، فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَانْكِحُوهُنَّ فِي فُرُوجِهِنَّ وَلَا

تَعُدُّهُ إِلَى غَيْرِهِ. وَاللَّهُ يَحِبُّ التَّوَّابِينَ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَجِبُّ الْمُنْتَهِيْنَ عَنِ
الْأَذَى وَالْأَقْدَارِ، مِنْ إِتْيَانِ الْحَائِضِ، أَوْ بِمَجَامَعَتِهَا فِي غَيْرِ مَكَانِ النِّكَاحِ.

{ نَسَاؤُكُمْ حَزَتْ لَكُمْ فَأْتُوا حَزَنَكُمْ أَنْتُمْ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ
مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } (البقرة: 223)

223 - وهذه نساؤكم موضع زرعكم، فأتوهنَّ أثناء الجماع كيفما شئتم، مُقبلةً أو مُدبرةً،
على أن يكون الإيلاج في الفرج لا يتعداه.

وقدّموا لأنفسكم قبل الجماع بما هو مُناسب، واذكروا الله وأطيعوه، ولا تتعدّوا حدود ما حرّمه
عليكم في ذلك.

واعلموا أنّكم صائرون إليه يوم الدين⁽¹³⁾، فيحاسبكم على أعمالكم جميعاً. وبشّر المطيعين لله
بما يسرّهم.

{ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }
(البقرة: 224)

224 - وإذا حلفتم بالله وأكّدموه، ثمّ تبين لكم خطأ ما ارتأيتموه، فلا يكن هذا الحلف
سبباً وعارضاً بينكم وبين عمل البرّ والتقوى والإصلاح بين الناس وذوي الرّحم. والمطلوب أن
تكفّروا عن يمينكم وتعملوا الذي هو خير. والله سميعٌ لما تقولون، عليمٌ بما تقصدون
وتبتغون بحلفكم.

{ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ }
(البقرة: 225)

(13) يجمع التحذير والترغيب، أي: فلاقوه بما يرضى به عنكم، كقوله: { وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ } [سورة النور: 39].
(التحرير والتنوير).

225 - لا يُعاقبكم الله على ما صدر منكم من الحلف غير المقصود، عفواً بما يجري به اللسان، بل يحاسبكم على ما قصدتموه منه ونوته قلوبكم وأكدمتموه، فهو الذي يحتاج إلى كفارة. والله يغفر لعباده، وهو حلیم عليهم⁽¹⁴⁾.

{لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (البقرة: 226)

226 - الذين يخلفون ألا يجامعوا زوجاتهم: أمامهم مدة أربعة أشهر ليعودوا إليهن ويجامعوهن، وإلا فإن للزوجة حق مطالبته بالطلاق، ويجبر الزوج على ذلك من قبل القاضي إن لم يعد، وإذا عاد فإن عليه كفارة يمين عند أكثر أهل العلم، ويغفر الله له مما قصد الإضرار بالزوجة، ويرحمه بعد عودته إليها، التي تُعتبر كتابة منه.

{وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (البقرة: 227)

227 - فإذا مضت أربعة أشهر وعزم الزوج على طلاقها، فطلقها، فقد انتهى الأمر، ولا يقع الطلاق بمجرد مضي الأربعة أشهر عند الجمهور، بل لابد من أن يطلقها، وإلا أجبره القاضي على ذلك، ما دام أنه لم يرجع إليها. وإن الله سميع بما جرى منهم من الطلاق، وما دار أثناءه من كلام، عليهم بنياتهم وما قصدوه.

{وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (البقرة: 228)

(14) الحلیم: هو الذي لا يستغفه التقصير في جانبه، ولا يعضب للغفلة، ويقبل المذرة. (التحرير والتنوير).

228 - والمطلقات ينتظرن ثلاث حيضات، أو ثلاثة أطهار، بعد طلاق أزواجهن لهن، لينتهي بذلك وقت عدتهن ويتزوجن إن شئن بعدها. ما عدا الحملات اللواتي تنتهي عدتهن بمجرد وضع ما في أرحامهن. أما اللواتي طُلِّقْنَ قبل الزواج بهن، والصغيرات اللواتي لم يحضن بعد، ومن انقطع حيضهن لكبرهن، فعدهن ثلاثة أشهر، وهو قريب من عِدَّة العاديَّة. (وتفصيل الصغيرة في الآية الرابعة من سورة الطلاق).

ويعني بثلاثة أطهار: أهنَّ إذا دخلن في الدم من الحيضة الثالثة فقد انتهت عدتهن.

وبالحيضات: أنه لا ينقضي عدتهن حتى يطهرن من الحيضة الثالثة.

ويحرم عليهن أن يكتمن أمر حملهن أو حيضهن إن كنَّ من المؤمنات حقًا، وذلك لتطويل مدة عدتهن أو تقصيرها. فيكتمن حملهن لئلا ينتظر بطلاقهن أن يضعن، فإنَّ عِدَّة الحامل هو أن تضع حملها. وإذا طلب أزواجهن مراجعتهن كذبن وقلن: إهنَّ حِضْنَ الثالثة، ليقطعن بذلك مراجعتهن لهن. أو يقلن: إهنَّ لم يحضن وقد حِضْنَ، ليلزمنهم ما لا يلزم من النفقة. فواجب عليهن أن يثلن الحق ولا يخدعن، لما يترتب على ذلك من أمور، كحق الزوج في الرجعة والولد.

وأزواجهن الذين طلقوهن أحق بإعادتهن إلى بيت الزوجية ما دُمن في عدتهن، إذا كان مرادهم الإصلاح والخير، لا الإضرار والظلم. وهذا بالنسبة للمرتجعة التي لم يبت في طلاقها، يعني أنها طلقت مرتين فقط، فيجوز إرجاعها، كما يأتي في الآية التالية.

وللنساء حق على الرجال مثلما أن لهم عليهن، فليؤد كل ما وجب عليه من حق.

وللرجال على النساء درجة، هي درجة القوامة، فالرجل بمنزلة الأمير في الأسرة، الذي يطاع بالحق والمعروف، وهو أحق بذلك، لما منح من صفات الرجولة والقوة، والإنفاق على الزوجة والقيام بمصالحها، وغير ذلك مما يرى من فارق بين الرجل والمرأة.

والله قادر على الانتقام ممن عصاه وخالفه، حكيم فيما شرعه وقدره من أحكام ومصالح.

{ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا

فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {
(البقرة: 229)

229 – للرجل أن يُطَلِّقَ زوجته تَطْلِيْقَتَيْنِ، ثُمَّ إِنَّ أَمَامَهُ أمرين:

– إما أن يُرْجِعَهَا إلى نَفْسِهِ، وهو يَنْوِي بذلك الإِصْلَاحَ وَحُسْنَ الصُّحْبَةِ، فتَعُودُ إليه.
– وإما أن يَطْلُقَهَا التَطْلِيْقَةَ الثَّالِثَةَ، فَتُطَلِّقُ مِنْهُ، مَعَ الإِحْسَانِ إِلَيْهَا، وَعَدَمِ ظُلْمِهَا فِي حَقِّهَا شَيْئاً.

ولا يَحِلُّ لَكُمْ أَيُّهَا الأزْوَاجُ أَنْ تُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَتُضْجِرُوهُنَّ لِتَضْطَرُّوهُنَّ إِلَى فِدَائِ أَنْفُسِهِنَّ بِطَلْبِ الطَّلَاقِ مِنْكُمْ حَتَّى يُعِدَّنَ إِلَيْكُمْ مَا سَبَقَ أَنْ قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ مِنْ هِبَاتٍ وَصَدَقَاتٍ وَأَمْوَالٍ، وَلَوْ كَانَ الأَمْرُ نَزْراً يَسِيراً، فَضلاً عَنِ الكَثِيرِ.

أَمَّا إِذَا تَشَاجَرَ الرَّوْجَانِ وَتَشَاقَا، وَلَمْ تَعِدِ المَرْأَةُ تَقْوَمَ بِحَقِّ زَوْجِهَا، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى مَعَاشِرَتِهِ، فَلَهَا أَنْ تَفْتَدِيَ نَفْسَهَا بِمَا لَهَا وَتُقَدِّمَهُ لَهُ كِي يُطَلِّقَهَا، وَهُوَ مَا يُسَمَّى بِالْخُلْعِ. وَلَا بَأْسَ عَلَى الزَّوْجِ إِنْ قَبِلَهُ.

وهذا مِنَ الحُدُودِ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ لَكُمْ فَلَا تَتَجَاوَزُوهَا بِالمُخَالَفَةِ وَالرَّفْضِ، وَمَنْ تَجَاوَزَهَا وَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا فَإِنَّهُ ظَالِمٌ قَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِسَخَطِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ.

{ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (البقرة: 230)

230 – إِذَا طَلَّقَهَا الثَّالِثَةَ لَمْ يُعَدَّ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُرَاجِعَهَا وَيُعِيدَهَا إِلَى نَفْسِهِ، إِلاَّ إِذَا نَكَحَتْ زَوْجاً غَيْرَهُ وَطَلَّقَهَا، فَإِنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَيْهِمَا عِنْدئذٍ أَنْ يَعودَا إِلَى بَعْضِهِمَا البَعْضِ فِي عَقْدٍ جَدِيدٍ، إِذَا عَلِمَا أَنَّهُمَا سَيَتَعَاشِرَانِ بِالمَعْرُوفِ، فَتَحَسُنُ حَالُهُمَا وَيَصْلُحُ مَا بَيْنَهُمَا.

وهذه شَرَائِعُ اللَّهِ وَأَحْكَامُهُ، وَأوامِرُهُ وَنَوَاهِيهِ، يوضِّحُهَا لِمَنْ يَفْهَمُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ لِيَنْتَفِعَ بِهَا.

{ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِيَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ

اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (البقرة: 231)

231 - وإذا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ طَلَاقًا رَجْعِيًّا، فما زالَ بالإمكانِ إعادَتَهُنَّ إلى الحياةِ الزوجيةِ، فعليكمُ بالإحسانِ في أمرِهِنَّ إذا كادَ أنْ تنتهيَ عِدَّتُهُنَّ، فإِما أنْ تُعيدوهنَّ إليكمُ بما هو لائقٌ من إصلاحِهِنَّ وحُسنِ معاشرتِهِنَّ، وإِما أنْ تُطلِّقوهنَّ، وهي كذلكُ تُطلِّقُ بنفسِها إذا انتهتِ عِدَّتُها، وتُخرجُ من بيتِ الزوجِ بدونِ ظلمٍ ولا إيذاء.

ولا يجوزُ لكمُ أنْ تُمسِّكوهنَّ في البيوتِ وتُطوِّلوا عِدَّتَهُنَّ بقصدِ الإضرارِ بهنَّ وأنتم تعلمونَ أنَّكم ستُطلِّقوهنَّ، فإنَّ مَنْ يفعلُ ذلكَ فقد خالفَ أمرَ الله.

ولا يجوزُ لكمُ أنْ تستغلُّوا الرُّخصَ وتتخذوا الأحكامَ الشرعيةَ عَرَضًا للاستهزاءِ والإضرارِ، كأنْ يقولَ أحدُكم: قد طَلَّقْتُ، وقد راجعتُ، فإنَّ أمرَ الطلاقِ خطيرٌ، والعِدَّةُ والرجعةُ فُرصةٌ حقيقيَّةٌ للتفكيرِ والإصلاحِ واستعادةِ الزَّواجِ.

وتذكروا ما أنعمَ اللهُ عليكمُ من إرسالِ النبيِّ إليكمُ، ومعهُ القرآنَ العظيمُ والسنةَ النبويةَ الشريفةَ. واتَّقوا اللهَ، وكونوا على حذرٍ فيما تأخذونَ وما تتركونَ. واعلموا أنَّ اللهَ لا يخفى عليه شيءٌ مما تفعلونه أو تفعلونه، وسوف يُجازيكمُ على كلِّ ذلك.

{ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } (البقرة: 232)

232 - وإذا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ أَيُّهَا الأزواجُ، وانقضتِ عِدَّةُ التَّطليقةِ الأولى، وما زالَ بالإمكانِ مراجعتِهِنَّ، فلا يحلُّ لكمُ يا أولياءَ الزوجاتِ أنْ تُمسِّكوهنَّ عندكمُ وتمنعوهنَّ من العودَةِ إلى أزواجِهِنَّ إذا تصالحوا وتحاببوا وأرادوا أنْ يكملوا عِشرَتَهُمُ الزوجيةَ. وهذا ما يُرشدُكمُ اللهُ إليه إذا كنتمُ مؤمنينَ حقًّا وتُحشونَ اللهُ وعِقابُهُ يومَ الحسابِ، وإنَّ اتِّباعَ شرعِ اللهِ في هذا وغيره أنفعُ لكمُ وأذهبُ لعللِ نفوسِكُمُ وأجلى لها وأحسن.

واللهُ يعلمُ ما يصلحُ به شأنُكمُ، فيشرعُ لكمُ ما فيه خيرُكمُ، وأنتم لا تعلمونَ، فذروا رأيكمُ وامتثلوا أمره.

{والوالدات يُرضعن أولادهنَّ حولين كاملين لمن أراد أن يُسمَّ الرضاعةَ وعلى المولود له رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروفِ لا تُكَلَّفُ نفسٌ إلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (البقرة: 233)

233 - والأمهات - المطلقات كنَّ أو غيرَ المطلقات - يُرضعنَّ أولادهنَّ عامين كاملين، إذا أُريدَ إرضاعهنَّ رضاعةً كاملة. ولا اعتبارَ بالرضاعةِ بعدَ ذلك.

وعلى الوالدِ نفقةُ الأمهاتِ المطلقات، مِنْ مَأْكَلٍ وَمَلْبَسٍ وَمَا إِلَيْهِ، عَلَى قَدْرِ الْحَالِ وَالْمَيْسَرَةِ، وَعَلَى مَا تَجْرِي بِهِ الْعَادَةُ فِي كُلِّ عَصْرٍ، مِنْ غَيْرِ سَرْفٍ وَلَا بُحْلِ، وَلَا يُكَلَّفُ الْمَرْءُ بِمَا لَا يُطِيقُ. وَلَا يَحِقُّ لِلأَبِ أَنْ يَنْزِعَ الطِّفْلَ مِنْ أُمِّهِ وَيُعْطِيَهُ غَيْرَهَا وَقَدْ رَضِيَ بِإِرْضَاعِهِ؛ إِضْرَارًا بِهَا. كَمَا لَا يَحِقُّ لِلأُمِّ أَنْ تَدْفَعَ بَوْلَدِهَا إِلَى أَبِيهِ لِتَضُرَّهُ بِتَرْبِيَتِهِ.

وعلى مَنْ يَرِثُ هَذَا الأَمْرَ مِنَ الأَوْلِيَاءِ مِثْلُ مَا عَلَى الوَالِدِ، مِنْ عَدَمِ الضَّرْرِ بِالطِّفْلِ، وَمَنْ الإِنْفَاقِ عَلَى والدته.

فإذا أرادَ الوالدانِ فِطَامَ الصَّبِيِّ عَنِ حَلِيبِ أُمِّهِ قَبْلَ عَامَيْنِ، بِرِضَائِهِمَا وَتَشَاوُرِ بَيْنَهُمَا، وَكَوْنِ ذَلِكَ لَا يَضُرُّ بِهِ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ، وَلَا يَجُوزُ رَأْيُ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي الأَمْرِ؛ رَحْمَةً بِالصَّبِيِّ الَّذِي لَا حِيلَةَ لَهُ.

وإذا اتَّفَقَ الوالدانِ عَلَى إِرْضَاعِ الصَّبِيِّ عِنْدَ غَيْرِ الأُمِّ، أَوْ سَلَّمَتْهُ هِيَ وَأَبَتْ إِرْضَاعَهُ، لِعُذْرٍ أَوْ لِعَیْرِ عُذْرٍ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِمَا كَذَلِكَ، إِذَا سَلَّمْتُمْ إِلَى المَرَضِعِ مَا أَرَدْتُمْ إِيْتَاءَهُ لَهَا مِنَ الأَجْرَةِ، بِالْوَجْهِ المِتْعَارِفِ المِسْتَحْسَنِ، دُونَ ضَرَرٍ.

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاحْشَوْهُ فِي أَحْوَالِكُمْ جَمِيعَهَا، وَكُونُوا عَلَى عِلْمٍ أَنَّ اللَّهَ مَطَّلِعٌ عَلَى أَقْوَالِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، وَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (البقرة: 234)

234 - والذين يموتون منكم ويخلفون زوجات، فإنهنَّ ينتظرنَّ بعد الوفاة أربعة أشهرٍ وعشرٍ ليالٍ، هي مدَّة عدَّتھنَّ وحدادهنَّ، سواءً كنَّ مدخولاً بهنَّ أو لا. فإذا بلغنَّ هذا الأجل وانقضت عدَّتھنَّ، فلا حرج عليكم يا أولياء النساء أن يتزَيَّنَّ ويتعرَّضنَّ للتزويج فيما لا يُنكره الشرع. وإذا كانت المتوفى عنها زوجها حاملاً فإنَّ عدَّتھا أن تضع حملها، سواءً زاد عن الأجل المذكور أو نقص. والله خبيرٌ بأعمالكم، فلا تعملوا خلاف ما أمرتم به، فإنَّه مجازٍ كلاً بما عمِل.

{وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَدْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاخْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ} (البقرة: 235)

235 - ولا حرج عليكم إذا أشرتم - دون تصريح - إلى خطبة النساء وهنَّ ما زلنَّ في عدَّتھنَّ من وفاة أزواجهنَّ، كأنَّ يقول لها أحدكم: ودِدْتُ أنَّه تيسَّر لي امرأةٌ صالحة. ولا حرج عليكم إذا أخفيتُم ذلك في أنفسكم⁽¹⁵⁾.

(15) {أَكْنَنْتُمْ}: أضمرتم، {في أنفسكم} من نكاحهنَّ. يقال: أكنت الشيء، وكنته، لغتان، وقال ثعلب: أكنت الشيء، أي: أخفيتُه في نفسي، وكنته: سترته. (البعوي).
وأخَّر الإكْنانَ في الذكرِ للتنبيةِ على أنه أفضلُ وأبقى على ما للعدَّة من حرمة، مع التنبيةِ على أنه نادرٌ وقوعه... (التحرير والتنوير).

وقد علم الله أنكم ستذكروهنَّ في قلوبكم ولا تصبرون على السكوتِ عنهنَّ وعن إظهارِ الرغبةِ فيهنَّ، فرجع عنكم الحرج في ذلك.

ولا يجوز أن تزوجوهنَّ أو أن تعدوهنَّ بالزواج سراً وهنَّ ما زلنَّ في العِدَّة، كأنَّ يقول لها أحدكم: لا تنكحي غيري فإني سأتزوجك. إلا إذا تفوهتُم بما لا يكون فيه تصريح واضح، ولكن قد تفهمنَّ المعتدَّة منه ذلك.

ولا يحلُّ عقدُ النكاح وهنَّ في العِدَّة، بل حتى ينتهي أجلها تماماً. وتيقنوا أن الله مطلعٌ على ما أسررتُم في أنفسكم من ذلك. واحذروا عقابه إذا خالفتم أمره، والله يغفرُ ذنوبَ مَنْ أخطأ وتاب، وهو حليمٌ بهم، لا يعاقبهم بمجرد أن يخطئوا، بل يمهلهم حتى يستغفروه ويتوبوا إليه.

{ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى

الموسعِ قدره وعلى المقتِرِ قدره متاعاً بالمعروفِ حقاً على المحسنينَ } (البقرة: 236)

236- لا حرج عليكم إذا طلقتم النساء ولم تُجامعوهنَّ بعد أو لم تُعيِّنا مقدارَ صداقهنَّ، فإذا طلقتموهنَّ فأعطوهنَّ من مالكم ما يتمتعن به ويتبلغن؛ جبراً لخاطرهنَّ أن تطلقن. وكلُّ يُعطي على قدرِ حاله، فالغنيُّ يُعطي بما يوافقُ وضعه، والفقيرُ يُعطي ما يمكنه. وهو حقٌّ ماليٌّ يُعطيه المطلقُ بالوجه الذي تستحسِنُه الشريعةُ والمروءة، هذا لمن أراد أن يُطيع الله ويُحسن إلى نفسه بالمسارعة إلى الامتثال، ويُحسن إلى المطلقة المتضررة.

{ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ

يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (البقرة: 237)

237- وإذا طلقتموهنَّ قبل أن تُجامعوهنَّ وقد عيَّنتُم لهنَّ قيمةَ الصِّدَاق، فأعطوهنَّ نصفَ تلك القيمة، إلا إذا عفونَ عنكم، أو عفا وليُّها، أو عفا الزوج لها عن حقِّه، وهو نصفُ الباقي من الصِّدَاق.

وإذا عفوتُم - جميعاً - فإنه أقرب إلى ما يُرضي الله.

أما إذا جامعها ثم طلقها، فإن لها ما أعطاها من الصداق كله.
ولا تنسوا السّماحة والإحسان فيما بينكم، بما يوافق الأخلاق العالية، بإعطاء الرجل تمام
الصداق لها، أو ترك المرأة نصيبها له.
والله مطلع على أعمالكم، ولا يضيع أجر تفضلكم وإحسانكم.

{ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ } (البقرة: 238)

238- حافظوا على أداء الصلوات في أوقاتها، بأركانها وشروطها، وخاصة صلاة العصر،
أقيموها خاشعين مستكينين بين يدي الله، متجردين لذكره.
وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم سُئل عن أفضل الأعمال فقال: "الصلاة على
وقتها".

{ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ }
(البقرة: 239)

239 - فإذا كان القتال والتحام الحرب، فصلوا على أي حال كنتم، مترجلين أو راكبين،
مستقبلين القبلة أو غير مستقبليها. فإذا انتهت الحرب وكنتم في أمان، فأدوا الصلاة كما
أمرتم، واشكروا لله شكراً يُوازي تعليمه إياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرائع والأحكام،
ومن جملتها كيفية إقامة الصلاة في حالي الخوف والأمن.

{ وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيُذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ
خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }
(البقرة: 240)

240- والذين يموتون ويتركون زوجات، وأوصوا بالسّماح لهنّ بالبقاء في بيوتهنّ سنة كاملة،
فإن من حقهنّ البقاء إذا أردن ذلك.

فإذا أردن الخروج بعد إكمالهنَّ عدَّتهنَّ أربعة أشهرٍ وعشرَ ليالٍ، قبلَ إكمالِ العامِ المسموحِ لهنَّ بقاؤهنَّ فيه، فلا حرجَ عليكم في قبول ذلك ولا بأسَ به. والله قويُّ في حكمه، حكيمٌ فيما يَفرِضُ ويوجِّهه إليه.

وذكرَ أنَّ هذه الآيةَ منسوخةٌ بالآيةِ السابقةِ رقم (234)، لكنَّ تفسيرها كما مرَّ لا يُجُوجُ إلى هذا القول.

{وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعُ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّفِينَ} (البقرة: 241)

241 – وتُعطى المطلقاتُ حقَّهنَّ من المتعة، يعني من المال، كلُّ بما يَقْدِرُ عليه ممَّا يوافقُ حاله وكرمه ومعالي أخلاقه، لتبقى الأخوةُ الإسلاميَّةُ قائمةً، ولئلاَّ تنقلبَ الأمورُ إلى عداوةٍ وبغضاء. وهو ما يعرفه الذين يخشون ربَّهم فيما يأتون وما يذرون.

{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (البقرة: 242)

242 – وهكذا يوضِّحُ اللهُ الأحكامَ الشرعيَّةَ الفاصلةَ، لعلَّكم بذلك تفهمونها وتتدبرونها وتعرفون الحكمةَ منها، وما فيها من تيسيرٍ ومصلحة.

{أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} (البقرة: 243)

243 – هؤلاء قومٌ في قديم الزمان، كانوا بالآلاف، خرجوا من ديارهم هرباً من الموت الذي كان يلاحقهم فيه، ربَّما نتيجة أوبئةٍ وأمراضٍ كانت تُلازمهم، أو أنه وقع فيهم الطاعون، فأرادوا الفرارَ منها إلى غيرها، فلمَّا وصلوا إلى المكان الجديد، أماتهم اللهُ جميعاً في وقتٍ واحد، ليُعلمَ أنَّ الحذرَ من الموت لا يُعني ولا يُجدي إذا أرادَهُ اللهُ، فإذا قدَّرَ شيئاً كانَ رَغمَ كلِّ الاحتياطات، فلا مفرَّ من حكمه. ثمَّ أحياهم اللهُ بعد موتهم، في دليلٍ قاطعٍ على قُدرةِ اللهِ على إحياءِ الموتى وبعثِ الناسِ يومَ المعاد.

وهذا من فضلِ اللهِ على الناسِ، أن يُريهم الآياتِ والدلالاتِ والعبرَ ليؤمنوا ويعتبروا، ولكنَّ أكثرهم، مع هذا، لا يقومونَ بشكرِ المنعمِ عليهم.

وهذا تمهيدٌ لتشجيع المسلمين على القتال، الذي يأتي في الآية التالية، فإنَّ الأجلَ واحد، في سَلْمٍ كان المرءُ أو في حرب.

{ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (البقرة: 244)

244 – وجاهدوا في سبيل الله باذلين أرواحكم وأموالكم لإعلاء كلمته، ولا تخافوا من الموت، فإنَّ هذا لا يُتَرَّبُ أجلاً ولا يُباعده، والفراز لا يُنْجِي من الموت كذلك، فالأجل محتوم، والرزق مقسوم، والمقدَّر لا مردَّ له. والله يسمع ما تقولون فيما تُدبرون، إنَّ جهاداً أو تخلفاً، عليهم بما نويتم عليه في نفوسكم من ذلك. فسارعوا إلى الامتثال، واحذروا خلافه.

{ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } (البقرة: 245)

245 – إنَّ الذي يُعطي من ماله للجهاد أو لأبي عملٍ صالح، إعطاءً حلالاً مقروناً بالإخلاص وطيب النفس، فإنَّ الله يقبل منه، ويضاعف له الأجر والثواب أضعافاً كثيرة بما لا يتوقَّعه.

والله يُعطي ناساً ويقلِّل على آخرين في الرزق، لحكمة يشاؤها ومصلحة يُقدِّرها. فأنفقوا ولا تبخلوا، فالله هو الرزاق، وبيده الخير كله.

ولسوف تُرجعون إليه يوم القيامة ليُجازيكم على ما قدَّمتم من أعمال، إنَّ خيراً فخير، وإنَّ شراً فشر.

{ أَمْ تَرَى إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ اهْبِثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } (البقرة: 246)

246 – وانظروا إلى قوم من بني إسرائيل كانوا من بعد موسى عليه السلام، فقال أشرافهم ووجهاءهم لنبيهم: أقم لنا ملكاً نصُدِّر عن رأيه في الحرب ونُقَاتِل في سبيل الله أعداءه.

فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أُجِبْتُمْ إِلَى ذَلِكَ وَطَلِبَ مِنْكُمْ الْقِتَالُ حَقًّا وَلَمْ تَتَّقُوا بِمَا التَزَمْتُمْ بِهِ؟
فَقَالُوا: كَيْفَ لَا نُقَاتِلُ وَقَدْ أُخِذَتْ مِنَّا دِيَارُنَا، وَسَيِّ أَوْلَادُنَا، وَاغْتَرَبْنَا مِنْ أَهْلِينَا، فَإِنَّ كُلَّ هَذَا
دَاعٍ قَوِيٌّ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْقِتَالِ.

وَلَكِنْ لَمَّا عُيِّنَ لَهُمْ مَلِكٌ يَقُودُهُمْ إِلَى الْحَرْبِ، وَجَاءَ وَقْتُ الْقِتَالِ، وَطَلِبَ مِنْهُمْ الْخُرُوجَ مَعَهُ، لَمْ
يَقُومُوا بِوَعْدِهِمْ، إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْهُمْ، فَقَدْ تَخَلَّفَ أَكْثَرُهُمْ.
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِتَرْكِهِمُ الْجِهَادَ وَنَقْضِهِمْ عَهْدَهُمْ، وَلَسَوْفَ يُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ بِعُقُوبَةٍ كَبِيرَةٍ.

{ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمَلِكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ
أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلم يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ
وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (البقرة: 247)

247 – وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ لَمَّا طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَعِيَّنَ لَهُمْ مَلِكًا: إِنَّ اللَّهَ قَدْ اخْتَارَ لَكُمْ طَالُوتَ
مَلِكًا.

فَقَالُوا: وَكَيْفَ يَكُونُ مَلِكًا عَلَيْنَا وَهُوَ لَيْسَ مِنْ بَيْتِ مُلْكٍ، بَلْ هُوَ بَجَرْدُ رَجُلٍ عَادِيٍّ، فَنَحْنُ
أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ. ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَمْلِكُ مَا لَا كَثِيرًا لِيَقُومَ بِحَقِّ الْمَلِكِ.

فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ اخْتَارَهُ مِنْ بَيْنِكُمْ لِيَكُونَ مَلِكًا عَلَيْكُمْ، وَقَدْ آتَاهُ عِلْمًا كَثِيرًا، وَقُوَّةً
فِي الْجِسْمِ، وَصَبْرًا فِي الْحَرْبِ. وَمَعْرِفَةً بِهَا أَكْثَرَ مِنْكُمْ. وَاللَّهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ مَا يَشَاءُ، فَهُوَ
الْحَاكِمُ لَا أَنْتُمْ. وَهُوَ وَاسِعُ الْفَضْلِ، يُوسِّعُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَيُغْنِيهِ، عَلِيمٌ بِمَنْ
يَسْتَحِقُّ الْمَلِكَ مِمَّنْ لَا يَسْتَحِقُّ.

{ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ
مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (البقرة: 248)

248 – ثُمَّ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: إِنَّ دَلِيلَ اصْطِفَاءِ طَالُوتَ مَلِكًا عَلَيْكُمْ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ
بِسَكِينَةٍ وَهُدًى فَتَسْكُنُونَ إِلَيْهِ، مَعَ أَشْيَاءٍ مِمَّا تَرَكَهَا آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ، ذُكِرَ أَنَّهَا الْعَصَا،
وَأَلْوَاخُ مِنَ التَّوْرَةِ... وَيَحْمِلُ هَذَا التَّابُوتَ مَلَائِكَةُ اللَّهِ وَتَضَعُهُ عِنْدَ طَالُوتَ.

وَفِي ذَلِكَ آيَةٌ عَظِيمَةٌ لَكُمْ وَعِبْرَةٌ، تَدُلُّ عَلَى مُلْكِهِ عَلَيْكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِينَ بِذَلِكَ.

{ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } (البقرة: 249)

249 - ولما خرج طالوت ملك بني إسرائيل بجنوده وبمن خرج معه من بني إسرائيل، قال لهم: سيختبركم ربكم ليرى طاعتكم، حيث تقطعون نهراً - وكان عذبا ماؤه - فمن شرب منه فلا يصحبني في الحرب، إلا ما كان مقدار كف اليد، فلا بأس به، ومن لم يشرب فليصحبني في هذا الوجه.

فشرب أكثرهم، وذكر أنهم كانوا عطاشاً، وبقي القليل الذي لم يشرب، طاعة لله. وكانت الحكمة من هذا الابتلاء فرز الضعفاء المتذبذبين من الثابتين الأقوياء، فالذين شربوا ما كانوا ذوي إرادة وطاعة، فما كانوا يصلحون للحرب والقتال، بل إن فعلهم هذا ينبئ عن ضعف وعلة، وأهم سيكونون عالية على بقية الجند، وأهم لضعف إرادتهم قد يثبون الهلع وروح الهزيمة بينهم. ففصلهم ملكهم ولم يسمح لهم بالمشاركة في الحرب الكبيرة التي تنتظرهم. فلما استقل طالوت بالجنود المؤمنين الباقين معه، وقد صاروا إلى قلة، وقابلوا جيش جالوت الكبير، قالوا: لا قدرة لنا على محاربتهم؛ لكثرتهم، فقال لهم علمائهم والخلص منهم، المؤمنون بلقاء الله وحسن ثوابه: إن جماعة قليلة، مؤمنة في عقيدتها وعزمها وتوكلها، تستمد قوتها من الله ووعدِه بالنصر والجزاء، ستغلب فئة كبيرة عدوة لا تعتمد سوى على قوتها الظاهرة، بإذن الله وتيسيره، فلا تُغني كثرتهم مع خذلان الله لهم، ولا تضر قلة الفئة المؤمنة مع تأييده ونصره لهم، وإن الله سيثبت الفئة الصابرة وينصرها، ويؤيدها بالمعونة والتوفيق، فتقدموا ولا تتوانوا. والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين وقوة الإرادة.

{ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أقدامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } (البقرة: 250)

250 – ولما تقابلوا مع جالوت وجنوده في كثرتهم الكاثرة، تصبروا وفوضوا أمرهم إلى الله، ودَعَوْهُ بالنَّصْر، وقالوا: اللَّهُمَّ قُوِّ عَزَائِمَنَا، واملأ قلوبنا بالسَّكِينَة والرِّضَا، وثبَّتْنَا عِنْدَ اللَّقَاءِ، وانصُرْنَا عَلَى هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ الكَافِرِينَ.

{ فَهَرَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } (البقرة: 251)

251 – فانتصر المسلمون، انتصرت الفئة القليلة المؤمنة بإذن الله وتوفيقه، وقتل داود قائد الكفرة جالوت، وكان داود في جيش طالوت، فاتاه الله الملك من بعده، وزادته نعمةً وتفَضُّلاً بأن آتاه النبوة، وخصَّه بعلمٍ كثيرٍ من عنده. ولولا أن يدفع الله ناساً بناسٍ آخرين، في صراعاتٍ ومعارك، وتنافسٍ قوى وطاقات، وتدافعٍ وسباقات، كما دفع عن بني إسرائيل بمقاتلة طالوت وشجاعة داود؛ لهلكوا. فالفضل لله وحده على العالمين، حيث منَّ عليهم ورحمهم، ودفع بعضهم ببعض، فله الحكم والحكمة، والحقُّ والقُدرة.

{ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ } (البقرة: 252)

252 – إنها آياتُ الله، والقَصَصُ الحَقُّ الذي أنزله الله عليك أيُّها الرُّسُولُ الكَرِيمُ، ليؤمنَ النَّاسُ وَيَعْتَبِرُوا، وَيَتَّبِعُوا بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ، وما كانوا يعرفون هذه الآثار والأخبار، لكنَّكَ أَخْبَرْتَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ وَحْيِ اللَّهِ وَعِلْمِهِ، فَأَنْتَ نَبِيٌّ مَرْسَلٌ مِنْ عِنْدِهِ لَا رَيْبَ.

الجزء الثالث

سورة البقرة (253 - 286)

سورة آل عمران (1 - 91)

{ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ } (البقرة: 253)

253- لقد فضلنا رسلاً على رسل آخرين، فقد كلم الله بعضاً منهم، كموسى عليه السلام، ورفع بعضهم درجات أعلى من درجات آخرين، كمحمد صلى الله عليه وسلم، الذي فضله الله على العالمين، فهو رسول الله إلى الناس كافة، ونسخت رسالته الإسلام التي جاء بها سائر الرسالات السابقة. وآتينا نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام دلائل ومعجزات قوية، كإحياء الموتى بإذن الله، وغيرها، ثبتت صحة نبوته وما جاء به لبني إسرائيل، وأيدناه بجبريل عليه السلام، يثبتته ويؤويه.

وقد تقاتل أتباع الرسل من بعد نتيجة اختلافهم، على الرغم من كون أنبيائهم جميعاً دعاءً إلى عبادة الله الواحد الأحد، وعلى الرغم من وضوح الآيات البيّنات والحجج الساطعات لدى الفريق المؤمن، فكان منهم من آمن، ومنهم من كفر، ولو أراد الله لما تقاتلوا، ولكن هذه إرادته ومشيعته، ليدفع الكفر بالإيمان، وليثبت العقيدة الصحيحة في الأرض، لتنتشر ويعرفها الناس.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (البقرة: 254)

254- أيها المؤمنون، إن الدنيا فرصة للعمل الصالح، فأنفقوا مما تفصل الله به عليكم من رزق، قبل أن تغلق صفحة الدنيا فلا يقبل من أحد عمل، وإن أمامكم يوم القيامة، الذي لا يوجد فيه بيع ولا شراء حتى تجربوا ربحاً، فلا مال يبذله المرء ليفدي به نفسه، ولا تنفع

صداقته أحدٍ ولا قرابته لمساحتكم، ولا وساطاتٍ جاريةً لتشفعَ لكم وتغفوَ عنكم، بل الأمرُ كله يومئذٍ لله.

والكافرون هم أكثرُ الناسِ خسارةً في ذلك اليوم، فقد أنكروا الحقَّ، وظلموا أنفسهم بعدم اتِّباعه، وظلموا غيرهم عندما صدَّوهم عن الهدى، وحرَموهم من خيرٍ كثير، فباؤوا بإثمهم وآثام الآخرين.

{ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} (البقرة: 255)

255- هو اللهُ الواحدُ الأحد، الذي لا يُعبَدُ بحقٍ إلا هو، الحيُّ الدائمُ الباقي الذي لا يعترِبُه الموتُ ولا سبيلٌ للفناءِ إليه، فهو ذو حياةٍ أزليَّةٍ لا بدايةَ لها، وأبديةٍ لا نهايةَ لها، وهو الموجودُ القائمُ بتدبيرِ كلِّ شيءٍ وحفظه، لا يطرأ عليه فتورٌ ولا يغلبُ عليه وسنٌ ولا نُعاسٌ، فضلاً عن النومِ المستغرقِ، فهو مُنزَّهٌ سبحانه عن هذا وذاك، لا يعقلُ عن شيءٍ لحظةً. كلُّ ما في السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُلْكٌ لَهُ وتحت سيطرته وإرادته.

ولا يتجاسرُ أحدٌ على طلبِ الشفاعةِ منه إلا بإذنه، فالكلُّ له عبيد، خاضعون لمشيئته، يطلبون منه الإذن، ويشفعون في حدودِ المأذون لهم به، وله الملكُ والعظمةُ والجلال. وعلمُه مُطلقٌ شاملٌ كاملٌ، مُحيطٌ بجميعِ الكائنات، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وما تُسرُّه وما تُظهِره. ولا يعرفون شيئاً من علمه إلا إذا أطلعهم عليه، ممَّا يناسبُ حالهم وحاجتهم، ممَّا سخرَ لهم في الأرضِ وفي السماءِ { حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ } [سورة فُصِّلَتْ: 53].

وقد وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ. ولا يُتعبُه حِفْظُ ما فيهما ولا يُثقلُه شيءٌ من ذلك، ولا ما بينهما، بل هو سهلٌ عليه يسيرٌ، فهو الرقيبُ على جميعِ الكائنات، لا يعيبُ عنه شيءٌ من حركاتها، والأشياءِ كلها صغيرةً ومتواضعةً بالنسبةِ إلى قُدْرته وعظَمته، وهي جميعاً مُتَّجِةٌ إلى حِفْظِهِ وتدبيرِهِ.

وهو المَفْرُودُ بالعلوِّ والعظمة، والجلالِ والجبروت، الرفيعُ فوقَ خَلْقِهِ، المتعالِي عنِ الأشياءِ والأمثالِ، الكبيرُ الذي لا شيءَ أعظمُ منه.

ومهما علا إنسانٌ فلا يتجاوزُ مقامَ العبوديةِ لله العَظيمِ!
وهذه آيةُ الكرسيِّ، شأها عَظيمٌ، وردَ في أحاديثٍ صحيحةٍ أنَّها أعظمُ آيةٍ في القرآنِ الكريمِ. كما صحَّ قوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قرأ آيةَ الكرسيِّ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ، لم يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ".

{ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (البقرة: 256)

256- لا يُجْبَرُ أحدٌ على الدُخُولِ في الإسلامِ، ولا لزومٌ لهذا الإكراهِ ولا فائدةٌ منه، فإنَّ الإسلامَ نَهَجٌ واضحٌ بيِّنٌ يُخاطَبُ عقلَ الإنسانِ وقُوَّاهُ وطاقاته كَلَّها، وهو دينُ الفطرةِ والبدايةِ والإقناعِ، وليسَ دينَ العُمُوضِ والقَهْرِ والإكراهِ، ولا يُفِيدُ الإسلامَ وأهلُهُ رجلٌ أبدى اعتناقَهُ للإسلامِ وهو غيرُ مقتنعٍ به، بل هذه صفةُ المنافقينَ الذينَ ذمَّهمُ اللهُ تعالى في كتابهِ ورفضَ قَبولَ إسلامِهِم، وهم بهذا يكونونَ عالَةً على المجتمعِ الإسلاميِّ، ومَرَضاً يَسري في جسمِهِ.
وفي كلِّ الأحوالِ لا يُقْبَلُ من المرءِ إِلَّا إيمانٌ عن طَواعيةٍ، كما لا يُقْبَلُ منه عَمَلٌ إِلَّا عن رضىٍ واقتناعِ.

وقد وَضَحَ الفرقُ بينَ الإيمانِ والكُفْرِ، بينَ طَريقِ الحقِّ وطَريقِ الضَّلالِ، وأودَعَ اللهُ في الإنسانِ ما يَدْرِكُ به ذلكَ، فَمَنْ تَجَنَّبَ الأصنامَ، وتركَ ما يدعو إليه الشيطانُ من عبادَةِ غيرِ الله، ولم يتجاوزِ الحدودَ التي حدَّها اللهُ للعبادِ، وآمَنَ باللهِ وحدَهُ، واستمَدَّ من كتابِهِ طريقَ العبادَةِ والعملِ، فقد تَمَسَّكَ من الدِّينِ بأقوى سَبَبٍ، وقبضَ على عُقْدَةٍ قويَّةٍ متمكِّنةٍ لا تَنفَصِمُ، وحبلٌ متينٌ لا يَنْقَطِعُ، وثبتَ على الطَريقِ الصحيحِ، واستقامَ على النهجِ المبينِ.
واللهُ يَسْمَعُ ما تَلَهَّجُ بِهِ الألسنةُ، عليمٌ بما تُكِنُّهُ القلوبُ من نياتٍ وعقائدِ.

{ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُوهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (البقرة: 257)

257- إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ فَيَقْوِي عَزَائِمَهُمْ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى الْحَقِّ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالشُّكِّ إِلَى نُورِ الْحَقِّ الْمُبِينِ، وَإِلَى ضِيَائِهِ وَإِشْعَاعِهِ الصَّافِي، الَّذِي يَمَلَأُ الْقَلْبَ اطمئناناً وَيَزِيدُهُ ثَبَاتاً.

أما الكافرون الذين ركنوا إلى الطاغوت ورضوا بالضلال، فإن الشيطان يزيد لهم ما هم فيه من العي والضلال حتى يتثبتوا عليه، بل يزيدهم غوايةً واعوجاجاً، وظلاماً وهوى، وشروداً وتيهماً، وشكاً وقلقاً.

وهؤلاء مصيرهم النار، ماكنون فيها أبداً، فهو اللائق بأصحاب الظلمات، الذين آثروها على النور والحق المبين، ولا يستوي الحق والباطل، كما لا يستوي أهلهما، ولا يستوي كذلك مصيرهما⁽¹⁶⁾.

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (البقرة: 258)

258- انظر إلى هذا الملك المتكبر المتعنت، الذي أعطاه الله من المال ما أعطاه، ثم جاء يُجادل النبي إبراهيم عليه السلام ويُخاصمه في ربه، وذلك لما رأى نفسه مختصاً بمالٍ ومُلكٍ ليس عند غيره، ويأمر وينهى كما يشاء فيسمع ويُطاع، فقال له إبراهيم عليه السلام، ليُريه حقيقة نفسه وضعف قوته وإرادته أمام ربه الخالق: إِنَّ اللَّهَ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَإِنَّ مَا يُرَى مِنْ ذَلِكَ فِي عَالَمِ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ دَلِيلٌ عَلَى وجوده، وعلى تصرفه للكون وتدبيره لما يجري فيه وحده،

(16) حكم عليهم بالخلود في النار لكفرهم. (ابن عطية).

فهي لا تَحْدُثُ بِنَفْسِهَا، بَلْ لَا بَدَّ لَهَا مِنْ مُوجِدٍ وَمِنْ مَدْبِرٍ، وَهُوَ الَّذِي يَسْلُبُ حَيَاةَ مَنْ شَاءَ مَتَى شَاءَ، بِأَسْبَابٍ ظَاهِرَةٍ أَوْ بَاطِنَةٍ، مَعْرُوفَةٍ أَوْ غَيْرِ مَعْرُوفَةٍ.

فَالْإِحْيَاءُ وَالْإِمَاتَةُ مِنْ صِفَاتِ هَذَا الْإِلَهِ الَّذِي لَا يَكُونُ أَحَدٌ مِثْلَهُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقُومَ بِمَا يَقُومُ هُوَ بِهِ، وَهُوَ الَّذِي أَعْبَدُهُ وَأَدْعُوكَ وَأَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْتِسْلَامِ لَهُ وَعِبَادَتِهِ، فَهُوَ الْخَالِقُ، وَالْمُحْيِي وَالْمَمِيتُ، الَّذِي بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا عِبَادَةَ إِلَّا لَهُ.

وَإِغْتَرَّ هَذَا الْمَلِكُ الْمَتَكَبِّرُ بِمَا يَمْلِكُ مِنْ قُوَى بَشَرِيَّةٍ وَسَيِّطَرَةٍ، فَتَمَادَى فِي غِيِّهِ وَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ:
أَنَا أَيْضًا أَحْيِي وَأَمِيت!

ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّهُ أُوتِيَ بَرَجَلَيْنِ اسْتَحَقَّا الْقَتْلَ، فَأَمَرَ بِقَتْلِ أَحَدِهِمَا وَعَفَا عَنِ الْآخَرَ، فَذَكَرَ أَنَّهُ أَمَاتَ الْأَوَّلَ وَأَحْيَا الْآخَرَ، فَكَانَ هَذَا مَفْهُومَ الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ عِنْدَهُ!

وَلَمْ يُرِدْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُطِيلَ مَعَهُ الْجِدَالَ وَهُوَ بِهَذِهِ الْعَقْلِيَّةِ الْمَتَكَبِّرَةِ الْمُنْكَرَةِ، فَأَرَادَ أَنْ يُفَهِّمَهُ أَنَّ الْإِلَهَ الْمَقْصُودَ بِعِبَادَتِهِ هُوَ الْمَتَصَرِّفُ فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْقَوَانِينَ الْكُوْنِيَّةَ الْمَوْجُودَةَ هِيَ مِنْ صُنْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَطَلَبَ مِنْهُ تَغْيِيرَ قَانُونٍ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْقَوَانِينِ الْكَثِيرَةِ الْمَبْثُوثَةِ فِي الْكَوْنِ، بِمَا أَنَّهُ يَدَّعِي أَنَّهُ هُوَ الْآخِرُ فِيهِ صِفَةُ الرَّبُوبِيَّةِ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الشَّمْسَ تَشْرُقُ مِنَ الشَّرْقِ، فَأُمْرُهَا أَنْتَ لِتَشْرُقَ مِنَ الْغَرْبِ!

فَتَحَيَّرَ ذَلِكَ الْمَلِكُ وَسَكَتَ، وَعَجَزَ عَنِ الْكَلَامِ، وَصُدِمَ بِهَذِهِ الْحُجَّةِ الدَّامِغَةِ الَّتِي لَمْ تَدَعْ لَهُ مِنْطِقًا يُدْفِعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ. لَكِنَّهُ لَمْ يُسَلِّمْ بِالْأَمْرِ وَلَمْ يُؤْمِنْ، لِأَنَّهُ لَمْ يَرِغِبْ فِي الْحَقِّ، وَلَمْ يَتَلَمَّسْ طَرِيقَ الْهُدَايَةِ. وَاللَّهُ لَا يَهْدِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ، فَيَخْتَارُونَ طَرِيقَ الضَّلَالِ وَالْعِنَادِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وَضُوحِ الْحُجَّةِ ضَدَّهُمْ.

{ أَوْ كَمَا الَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {
(البقرة: 259)

259- وانظر إلى هذا الذي مرَّ على قريةٍ خربةٍ مُحطَّمةٍ على قواعدِها، قد سقطتْ سقوفُها وجدرانُها، ليسَ فيها أحدٌ، ولا ينطقُ فيها شيءٌ. فوقفَ الرجلُ أمامَ هذا المشهدِ المحطَّمِ الميِّتِ البالي، وقال: كيفَ يُحيي اللهُ هذهَ القريةَ بعدَ أن ماتَ فيها كلُّ شيءٍ، فلا حسَّ ولا حركةً؟!

فأماتَهُ اللهُ مائةَ عامٍ، ثمَّ أحياهُ بقدرته، وقيلَ له: كمَ بقيتَ؟ قال: بقيتُ يوماً أو أقلَّ! قيلَ له: بلْ بقيتَ مائةَ عامٍ ميتاً! فانظرَ إلى قُدرتنا على إِماتَتِكَ وعلى إحيائِكَ، وانظرَ إلى طعامِكَ وشرابِكَ كيفَ حَفِظْناه، فلمَ يَتَعَنَّ ولمَ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ كلَّ هذهِ المدَّةِ الطويلةِ، بلْ هو كما تركتَهُ قبلَ أن تُميتَكَ. وهذا حمائكُ الذي كنتَ راكباً عليه، انظرَ كيفَ نَحَرْتَ عظامَهُ وتمزَّقتْ أوصالُهُ! ولنَجعلَكَ عبرةً ودلالةً على البعثِ بعدَ الموتِ. وانظرَ إلى هذهِ العظامِ المتفرِّقةِ لحماركُ كيفَ نرفعُ بعضها إلى بعضٍ ونجمعُها في أماكنِها ونُنَبِّسُها لحمًا ونُحييها! فلما تبَيَّنَ له كلُّ ذلك، وتوضَّحَ له الأمرُ عياناً، أيقنَ بذلكَ تمامَ الإيقانِ، وقال: أعلمُ أنَّ اللهُ قادرٌ على كلِّ شيءٍ، لا يصعبُ عليه أمرٌ.

{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْمِرُ ثُمَّ قَالَ بَلَى وَلَكِنَّ لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (البقرة: 260)

260- وقال نبيُّ اللهِ وخليلُهُ إبراهيمُ عليه السلامُ داعياً رَبَّهُ: بَصِّرْني كيفَ تُحيي الموتى يا ربَّ، لأرى ذلكَ عياناً.

فقالَ له رَبُّهُ: أَولمَ تؤمِّنْ بأبيِّ قادرٍ على الإحياءِ يا إبراهيمُ؟ وهوَ يعلمُ سبحانه أَنَّهُ أثبتَ الناسَ إيماناً وأقواهم يقيناً. فقالَ عبدهُ ونبيُّهُ إبراهيمُ عليه السلامُ: بلى يا ربَّ، قد عَلِمْتُ وقد آمَنتُ، ولكِنِّي أريدُ أنْ أرى ذلكَ عياناً، لينضمَّ ما أراهُ إلى ما أعتقِدُهُ يقيناً، فأزادُ بالمشاهدةِ بصيرةً، ويطمئنُّ بذلكَ قلبي، فإنَّهُ يَسْكُنُ إذا عاينَ شيئاً وشاهدَهُ، وليسَ الخبرُ كالمعاينةِ.

قال صاحب "روح المعاني": ولا أرى رؤية الكيفية زادت من إيمانه المطلوب منه عليه السلام، وإنما أفادت أمراً لا يجبُ الإيمانُ به".

فاستجاب الله دُعاءه، وأراه كيفية الإحياء عياناً، وقال له: خُذ أربعة طيور، فاذبجها وقطعها ومزقها، وفرّق أجزاءها على جبال، ثم نادها، فسوف تأتيك مُسرعة. فاجتمعت أجزاءها مرةً أخرى، وعادت إلى الحياة بإذن الله.

واعلم أن الله عزيز لا يُعجزه ولا يمتنع منه شيء، حكيم فيما يقول ويفعل، ويُشرع ويُقدر.

{ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** } (البقرة: 261)

261- إنَّ مَثَلَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي الْجِهَادِ، أَوْ غَيْرِهِ مِنْ وَجْهِ الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ، هُوَ كَمَثَلِ حَبَّةٍ زُرِعَتْ فَأَعْطَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ، فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِنْهَا مِئَةٌ حَبَّةً. وَاللَّهُ يُضَاعِفُ أَجْرَ مَنْ أَنْفَقَ فِي سَبِيلِهِ بِمِثْلِ هَذَا وَزِيَادَةً، لِمَنْ شَاءَ، بِحَسَبِ حَالِ الْمُنْفِقِ وَإِخْلَاصِهِ وَتَعَبِهِ.

والله ذو فضلٍ واسعٍ كثير، يُعطي عن سعة، ولا يضيق عليه ممَّا يتفضلُ به على الناس، عليهم بمن يستحقُّ فضله ممن لا يستحقُّ، وبنية المنفق ومقدار إنفاقه.

{ **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** } (البقرة: 262)

262- الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ، مِنْ خَيْرَاتٍ وَصَدَقَاتٍ، وَلَا يُتَّبِعُونَ عَطَاءَهُمْ هَذَا بَمَنٍّْ وَلَا أَذَى، فَلَا يَمْتَعْضُونَ مِنَ السَّائِلِينَ وَلَا يَتَكَبَّرُونَ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُعَيِّرُونَهُمْ وَلَا يَتَطَاوَلُونَ عَلَيْهِمْ بِكَلَامٍ لَا يُحِبُّونَ سَمَاعَهُ أَوْ نَشْرَهُ، بَلْ يُعْطَوْنَهُمْ بِخُلُقٍ طَيِّبٍ وَنَفْسٍ رَاضِيَةٍ، فَهَوْلَاءَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ الْكَبِيرُ الْمَوْعُودُ بِهِ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَا يَلْحَقُهُمْ مَكْرُوهٌ فِي الدَّارَيْنِ، وَلَا هُمْ يَأْسَفُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا، فَقَدْ صَارُوا إِلَى مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا.

{ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ } (البقرة: 263)

263- وإنَّ كلاماً حسناً لطيفاً تقبله القلوب، ومُسامحةً للسائلين على إلحاحهم، أفضل من عطاءٍ يليه تطاولٌ عليهم وكلامٌ غيرٌ مرغوب.

والله غنيٌّ عما عندكم من الصدقة، حلِيم، فلا يُعجّل بالعقوبة على من يمنُّ بصدقته.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } (البقرة: 264)

264- أيُّها المؤمنون، لا تبطلوا صدقاتكم تذهب هباءً، وذلك عندما تتبعونها بالمنِّ والأدَى، فتتكبرون عليهم وتعيروهم بما لا يُجْبُون، فإنَّ هذا العَلَطَ منكم يُذهب ثواب ما تصدَّقتم به.

وهذا مثلُ المنفق المرائي بصدقته، الذي يُعطي ليراه الناس، وهو لا يرجو من ورائه ثواباً من عند الله، ولا يؤمن بالله ولا بيوم الجزاء (فهو مُنافق)، فهذا لا يُؤجِرُ على فعله مهما تصدَّق. ومثله في هذا كمثل صخرٍ أملسٍ عليه ترابٌ خفيف، فنزلَ عليه مطرٌ شديد، فأذهب ما عليه من تراب، وترك الحجرَ أملساً يابساً لم يُنبِت زرعاً، فما أفادته المطر. وكذا أعمال المرائين لن تُفيدهم، ولا تُعقبُ مثوبةً، بل تذهب هباءً وتضمحلُّ عند الله، وإنَّ ظهر لهم أعمالٌ فيما يرى الناس.

والله لا يهدي الكافرين إلى الخير والرُّشد، وهم لم يطلبوا الهداية والرشاد من الله. وفيه تعريضٌ بأنَّ كلاً من الرياء، والمنِّ والأدَى، من خصائص الكفار، فلا بدَّ للمؤمنين من أن يتجنبوها.

{ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (البقرة: 265)

265- أمَّا الذين يُعطون أموالهم في سبيل الله، وطلباً لرضاه، ورجاء ثوابه، وهم مُتقينون أن الله لا يُضيع عملهم هذا، بل سيثيبهم عليه ما داموا أخلصوا نياتهم وآمنوا بيوم الجزاء، فإنَّ

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ حَدِيقَةٍ عَلَى رَابِيَةٍ هَاطَلٍ عَلَيْهَا مَطَرٌ شَدِيدٌ، فَأَثْمَرَتْ ضِعْفِي أَمْثَالِهَا مِنَ الْحَدَائِقِ. فَإِذَا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهَا مَطَرٌ كَثِيرٌ فَرِذَاذٌ يَكْفِي لِسُقْيِ ثُرَيْتِهَا الْحِصْبَةِ. وَهُوَ كَعَمَلِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ كَذَلِكَ، بَلْ يَتَقَبَّلُهُ اللَّهُ وَيُضَاعِفُهُ لَهُ. وَلَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ عِبَادِهِ، وَسُيُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا. وَفِيهِ تَرْغِيبٌ فِي الْإِحْلَاصِ، مَعَ تَحْذِيرٍ مِنَ الرِّيَاءِ وَنَحْوِهِ.

{ أَيُّودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ } (البقرة: 266)

266- هل يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ بُسْتَانٌ ظَلِيلٌ وَارِفٌ، فِيهِ نَخِيلٌ وَأَعْنَابٌ تَجْرِي مِنْ بَيْنِهَا الْأَنْهَارُ الْعَذْبَةُ وَالْجَدَاوِلُ الصَّافِيَةُ الرِّقَاقَةُ، وَلَهُ فِيهِ مَا يَرِيدُ وَيَتَمَتَّى مِنَ الثَّمَرِ الطَّيِّبَةِ اللَّذِيذَةِ، تَدْرُ عَلَيْهِ خَيْرًا وَبِرْكَهً، تَكْفِيهِ وَتَكْفِي مَنْ يَعْوَلُهُ، وَلَمَّا كَبِرَ وَشَاخَ وَعَجَزَ عَنِ الْغَرْسِ وَالْعَمَلِ، وَلَهُ أَوْلَادٌ وَأَحْفَادٌ صِغَارٌ لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى التَّكْسُبِ، جَاءَهُ رِيحٌ عَاصِفٌ فِيهِ نَارٌ شَدِيدَةٌ، فَأَحْرَقَتِ الْبُسْتَانَ كُلَّهُ، وَلَمْ تَبْقَ فِيهِ شَيْئًا مِنَ الْأَشْجَارِ وَالثَّمَرِ؟! إِنَّهُ مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ "الرَّجُلِ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ فَعَمَلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ"، كَمَا فَسَّرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَرَوَاهُ لَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ. فَيَكُونُ الْمَرْءُ حَسَنَ الْعَمَلِ فِي الْأَوَّلِ، كَثِيرَ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَعِنْدَمَا يَكْبُرُ وَيَقْتَرِبُ مِنَ الْمَوْتِ وَالْحِسَابِ، تَنَعَّكُسُ حَالُهُ، فَيَنْقَبِضُ عَنِ الْخَيْرِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَلَا يُرْتَجَى مِنْهُ إِحْسَانٌ، فَيُخَوِّنُهُ عَمَلُهُ وَهُوَ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ، وَيُجْرَمُ الْأَجْرَ وَهُوَ أَفْقَرُ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ. فَمَنْ يُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَكُونَ حَالُهُ مِثْلَ حَالِ هَذَا، وَمَنْ ذَا الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَصِيرُهُ مِثْلَ مَصِيرِهِ؟

إِنَّهَا أَمْثَالٌ وَآيَاتٌ وَاضِحَاتٌ يَضْرِبُهَا اللَّهُ لَكُمْ، لِتَتَفَكَّرُوا وَتَعْتَبَرُوا وَتَعْمَلُوا بِمَوْجِبِهَا.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا
الْحَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخِدِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ }
(البقرة: 267)

267- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِذَا تَصَدَّقْتُمْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِكُمْ فَلْيَكُنْ ذَلِكَ مِنْ طَيِّبِ مَا
كَسَبْتُمُوهُ وَأَجُودِهِ، مِنْ تِجَارَةٍ أَوْ غَيْرِهَا، وَمِنْ طَيِّبِ مَا أَخْرَجَهُ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، مِنْ تَمْرٍ أَوْ
غَيْرِهِ، وَلَا تَلْجَأُوا إِلَى الرَّدِيِّ مِنْهُ فَتُعْطُوهُ لِلنَّاسِ، فَإِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّكُمْ لَوْ
أَعْطَيْتُمْ مِثْلَ هَذَا الْمَالِ الدِّيْنِيِّ لَمَا أَخَذْتُمُوهُ، إِلَّا إِذَا تَغَاظَيْتُمْ عَنْهُ وَتَسَامَحْتُمْ فِيهِ، فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ مَا
تَكْرَهُونَ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ إِنْفَاقِكُمْ، وَإِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِذَلِكَ لَمَنْفَعَتِكُمْ، وَهُوَ مَسْتَحِقٌّ لِلْحَمْدِ عَلَى
نِعْمَةِ الْعَظِيمَةِ عَلَيْكُمْ.

وَكَانَ الْبَعْضُ يَقْصِدُ الرَّدِيَّ مِنْ مَالِهِ فَيُعْطِيهِ زَكَةً أَوْ صَدَقَةً، فَنَزَلَتْ الْآيَةُ لِلنَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ.

{ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ } (البقرة: 268)

268- إِنَّمَا يُسْأَلُ لَكُمْ الشَّيْطَانُ لِتُخْرِجُوا السَّيِّئَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ تَخْوِيفًا مِنَ الْفَقْرِ، حَتَّى تُنْسِكُوا
مَا بِأَيْدِيكُمْ وَلَا تُنْفِقُوا شَيْئًا فِي مَرَضَةِ اللَّهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَأْمُرُكُمْ بِالْمَعَاصِي وَارْتِكَابِ
الْمُحَرَّمَاتِ، وَيُغْرِيكُمْ عَلَى الْبُحْلِ وَمَنْعِ الصَّدَقَاتِ. وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ فِي مَقَابِلِ الْإِنْفَاقِ غُفْرَانًا
وَتَكْفِيرًا عَنْ سَيِّئَاتِكُمْ، وَخَيْرًا وَبَرَكَةً، وَهُوَ سَبْحَانَهُ ذُو قُدْرَةٍ وَاسِعَةٍ وَفَضْلٍ عَمِيمٍ، يَعْلَمُ إِنْفَاقَكُمْ
وَلَا يُضِيعُ أَجْرَكُمْ.

{ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو
الْأَلْبَابِ } (البقرة: 269)

269- وَاللَّهُ يُؤْتِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ مِمَّنْ أَرَادَ بِهِمْ خَيْرًا: الْعَقْلَ السَّوِيَّ وَالْعِلْمَ النَّافِعَ،
وَالْفِيقَةَ فِي الدِّينِ، وَالْإِصَابَةَ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَالْقَصْدَ وَالْإِعْتِدَالَ، وَالْبَصِيرَةَ الْمُسْتَنِيرَةَ، فَيُدْرِكُ
الْأَشْيَاءَ عَلَى حَقِيقَتِهَا، وَيَفْهَمُ الْأُمُورَ عَلَى وَاقِعِهَا كَمَا يَنْبَغِي، فَيَهْتَدِي وَيُصِيبُ.

والذي يؤتى هذا كله في خيرٍ عظيم، وهبة جليلة، فإنه أُخرج من ظلمات الجهل فكان في نور الهدى، ومن الانحراف إلى الاستقامة والرزانة والسداد.
ولا يعرف قدر هذا العطاء الجليل والنعمة الكبيرة إلا أولو الأحلام والنهي، الذين يعرفون النافع فيعملون به، ويعرفون الضار فيتجنبونه.

{ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ }
(البقرة: 270)

270- واعلموا أنكم ما أعطيتكم من أموال، في حق أو باطل، من قليل أو كثير، في سر أو علن، وما نذرتكم من نذور، في طاعة أو معصية، فإن الله عالمٌ بها، لا يخفى عليه شيءٌ من نياتكم وحركاتكم، وسوف يُجازي المحسن منكم خير الجزاء، ويُعاقب المسيء سيء الجزاء. وإن من ظلم نفسه، فمنع الصدقات، ولم يف بالنذور، أو أنفق الخبيث، أو رأى ومن وآذى، فلن تجد لهم أعواناً ينصروهم من بأس الله وعقابه، أو يُنقذوهم من عذاب الله ونقمته.

{ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }
(البقرة: 271)

271- وإذا أظهرتم الصدقات أمام الناس فهو أمرٌ مرغوبٌ ولا حرج فيه، وخاصّة إذا ترتب على إظهارها مصلحةٌ راجحة، كأن يكون أداءً للزكاة، فإن إظهارها فيه معنى الطاعة، وانتشار هذا الأمر وظهوره خير، وإذا أخفيتم صدقاتكم فهو أفضل، لأنه أبعد عن الرياء وشوائب النفس، وأقرب إلى الإخلاص وطلب مرضاة الله. وبمحو الله بها سيئاتكم.
ولا يخفى على الله شيءٌ مما تقدمونه لأنفسكم، وما تُسرّونه وما تُعلنونه، في نياتكم وأفعالكم.

{ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ }
(البقرة: 272)

272- وكان الصحابة رضوان الله عليهم يكرهون أن يجعلوا شيئاً من النفقة لأنسابهم من المشركين؛ خشية الإثم، وطمعاً في إسلامهم. فبينت الآية أن الأمر أوسع، فرتخص لهم. فالمشركون قد لا يهتدون بهذا الأسلوب أو ذلك، لأن الأمر يختص بالقلوب، وهي بيد الله، يهدي من يشاء منها، وهو أعلم بمن يستحق الهدى والإيمان منها. فليبدل لهم الخير والعون، ولينالوا منكم المساعدة.

وما تُنفقوا من مالٍ فإنَّ فائدته تعودُ عليكم، وكأنَّكم بذلك أنفقتُم على أنفسِكُم، ولا يضرُّكم كفرٌ من أنفقتُم عليهم، فلا تمنعوا الناسَ خيركم، فإنَّ ثوابه محفوظٌ لكم عند الله، مادام إنفاقكم ابتغاءَ مرضاته، وليس رياءً ولا هو عن هوى.

ولن تُظلموا، فالله يُعطي جزاءَ الحسنة أضعافاً مضاعفة.

قال البغوي في تفسيره: وهذا في صدقة التطوع، أباح الله تعالى أن تُوضع في أهل الإسلام وأهل الذمة، فأما الصدقة المفروضة، فلا يجوز وضعها إلا في المسلمين.

{ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ } (البقرة: 273)

273- والمهاجرون الذين تركوا أموالهم وأهلهم، وسكنوا المدينة المنورة منقطعين إلى الله ورسوله، يتبعون نصرته الإسلام والجهاد في سبيل الله، ولا يجدون ما يُغنيهم، ولا يستطيعون سفراً للتجارة والتكسب، فهم على أهبة إذا نُودي للجهاد.

ومع ما هم فيه من فقرٍ وحاجة، يظنُّ من لا يعرف حقيقة حالهم أنهم أغنياء مكفيون في المعاش، من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقالمهم، فيتحمّلون ظاهراً حتى لا يعرفوا ولا تظهر حاجتهم، لكنَّ اللبيب ذا البصيرة يُدرِك ما وراء هذه الحال، ويعرف أن هذا العفاف يُخفي فقراً واستكائة.

وإذا بدا لبعضهم أن يطلبوا شيئاً فلا يلحون في المسألة، ولا يُكلفون الناس ما لا يحتاجون إليه. إنهم فقراء كرام برة، ذوو حياءٍ ومجلِّدٍ وصبر، ودين قويم وخلق، فلا تنسوا هؤلاء أيها

المؤمنون، وإذا أعطيتهم شيئاً فليكن ذلك في سرٍّ وتلطف، لا يحدش إباءهم ولا يجرح كرامتهم.

وإن ما تُنفقونه من مالٍ عليهم لا يخفى على الله منه شيء، ولا يضيع عنده الخير، ولسوف يجزي عليه أوفر الجزاء وأوفاه.

{ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة: 274)

274- الذين يفعلون الخيرات ويتصدقون من أموالهم في سبيل الله في كل أوقاتهم وأحوالهم، ليلاً ونهاراً، سراً وعلانية، حتى من أنفق على والديه وعياله وخدمه الفقراء وأقربائه... فلهم عند الله الثواب العظيم، ولا خوف عليهم يوم الحساب عندما يخاف البخلاء الأشحاء، ولا يحزنون إذا تأسف المفريطون المسرفون.

{ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (البقرة: 275)

275- إن الذين يأكلون الربا ويتعاملون به، يكون مصيرهم عندما يقومون من قبورهم للحشر والحساب، كحال المصروع عندما يقوم، فيؤذيه الشيطان ويصرعه، فتكون حركته هستيرية عشوائية وكأنه مجنون يُخنق، مما به من جنون وفرع!

ويرى صاحب "الظلال" أن هذه الصورة واقعةٌ بذاتها في حياة البشرية الضالة في هذا العصر، التي صارت تتخبط كالممسوس في عقابيل النظام الربوي، وأن هذا العالم هو عالم القلق والاضطراب والخوف والأمراض العصبية والنفسية، باعتراف عقلاء أهله ومفكريه وعلمائه ودارسيه، وعالم الحروب والتهديد الدائم بالحروب المبيدة، وحرب الأعصاب والاضطرابات التي لا تنقطع هنا وهناك، وأنها حياة شقاء وبؤس ونكد! ومن هذا البلاء الذي تعيش فيه البشرية بلاء الربا، بلاء الاقتصاد الذي ينمو ممواً مائلاً جانحاً إلى حُفنة من الممولين

المرابين، الذين لا يهدفون إلى سدّ مصالحِ البشريّةِ وحاجاتهم، بل إلى ما يُحقِّقُ لهم الأرباح، ولو أفسدوا حياةَ الملايين، وزرعوا الشكَّ والقلقَ والخوفَ في حياةِ البشريّةِ جميعاً... اهـ.

وإنَّ سببَ ما يَنزِلُ بهؤلاءِ المرابينَ عندما يُبعثونَ مِنْ قبورهم، هو استحلالهم الرِّبا وقولهم إنَّ البيعَ مثلُ الرِّبا، وقالوا: لماذا أُحِلَّ هذا وحُرِّمَ ذاك؟ فهو اعتراضٌ على أحكامِ اللهِ وشرعِهِ. وشبَّهتهم الواهيةُ في هذا أنَّ كليهما يجرَّانِ رجلاً! مع أنَّ العمليّاتِ الرِّبويّةَ مُحَدَّدَةٌ رَجْحاً وفائدتها في كلّ حالة، وتعودُ إلى مجموعةٍ مِنَ الممّولينِ المرابينِ، والبيعِ والتجارةِ يُخضَعُ فيه للربحِ والحسارة، في مهاراتِ شخصيّة، وظروفٍ جارية، وحركةٍ وعَمَل، وتوزيعٍ متنوّعٍ في الأموالِ والأرباح. فالرِّبا يُفْسِدُ الحياةَ البشريّةَ، والبيعُ والتجارةُ تنشِطُ الحياةَ الاقتصاديّةَ وسوقَ العملِ. ولهذا وغيره مِنَ الاعتباراتِ التي يَعْرِفُها الاقتصاديونَ والتجارُ، أحلَّ اللهُ البيعَ، وحَرَّمَ الرِّبا تحريماً قاطِعاً.

فَمَنْ بَلَغَهُ نَهْيٌ وَرَجْرُ عَنْ تَعَاطِي الرِّبَا حَالَ وَصُولِ حُكْمِ الشَّرْعِ إِلَيْهِ، فَلَهُ مَا سَبَقَ مِنْ مَالِهِ الَّذِي وَصَلَهُ عَنْ طَرِيقِ الرِّبَا قَبْلَ التَّحْرِيمِ، فَلَا يُسْتَرَدُّ مِنْهُ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيَرْجُو عَفْوَهُ وَرَحْمَتَهُ، فَهُوَ مِنَ الْعَفْوِ عَمَّا سَلَفَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَمَنْ عَادَ إِلَى التَّعَامُلِ بِالرِّبَا بَعْدَ بَلُوغِهِ نَهْيِ اللَّهِ عَنْهُ، فَقَدْ اسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ وَالنَّارَ الْمَحْرُوقَةَ الدَّائِمَةَ. فَلَا يُعْرَنُّ أَحَدًا طَوْلُ وَقْتِ عَاشِهِ، فَإِنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي فَجَاءَةً، وَلَا يُبْعَدَنَّ مِنْ حِسَابِهِ تَهْدِيدَ اللَّهِ وَوَعِيدَهُ، فَإِنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَهُوَ وَقَعَ بِمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ.

وقد جاءَ التحريمُ لِأَكْلِ الرِّبَا لِأَنَّهُ الْغَالِبُ، وَالْمَقْصُودُ هُوَ وَمَنْ فِي حُكْمِهِ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ قَوْلُ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤَكِّلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ".

{يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} (البقرة: 276)

276- إِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُ الْبَرَكَهَ مِنَ الْأَمْوَالِ الرِّبَوِيَّةِ، فَلَا يُنْتَفَعُ بِهَا، وَسَتَكُونُ حَسْرَةً عَلَى صَاحِبِهَا وَعِقَاباً لَهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ. وَمَا اسْتَوَى خَبِيثٌ وَطَيْبٌ، وَلَوْ كَانَ هَذَا الْخَبِيثُ أبيضَ بَرَأقاً، فَإِنَّ اللَّهَ يَرُكِّمُهُ وَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ. وَهُوَ لَا يَعُودُ عَلَى الْجَمْعِ الرِّبَوِيِّ إِلَّا بِالشَّقَاءِ وَالتَّكْدِ، عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا يُرَى فِي ظَاهِرِهِ مِنْ غِيٍّ وَمَوَارِدٍ، فَإِنَّهُ يَفِيضُ بِالْقَلْقِ النَّفْسِيِّ وَالْخَوْفِ

والاضطراب، وليس فيه أمانٌ واطمئنانٌ وسعادةٌ حقيقية، حيث لا بركة ولا تكافل قائم على الحقِّ والتقوى.

أما المال الطيبُ والصدقات، فإنَّ الله يُنمِّيها وَيزيدها خيراً وبركةً ووفرة، ويجعلُ في مجتمعه المودةَ والاطمئنانَ وراحةَ البال، حيثُ التكافلُ والتعاونُ على الخير. واللهُ يبعُضُ ذلكَ المرابيَّ الكفورَ القلب، الذي يأثمُ في قوله وفعله، فلا يرضى بما قسمَ اللهُ له من الحلال، ولا يكتفي بما شرعَ اللهُ له من التكبُّبِ المباح، بل يسعى إلى أكلِ أموالِ الناسِ بالباطل، من الرِّبا وغيره.

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة: 277)

277- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَتَّبَعُوا إِيْمَانَهُمْ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَأَطَاعُوا رَبَّهُمْ، وَشَكَرُوا لَهُ نِعْمَهُ عَلَيْهِمْ، وَرَضُوا بِمَا قَسَمَ لَهُمْ مِنَ الْحَلَالِ، وَأَحْسَنُوا إِلَى خَلْقِهِ، وَدَاوَمُوا عَلَى صَلَوَاتِهِمْ، وَأَعْطَوْا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، لَهُمْ جَمِيعاً الْجِزَاءُ الْعَظِيمُ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْحِسَابِ، فِي مَقَابِلِ التَّخْبُطِ وَالْهَلَعِ الَّذِي يُصِيبُ الْمُرَابِي، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا، فَهُمْ فِي مَكَانٍ أَجَلٍ، وَنَعِيمٍ أَعْظَمٍ، وَسَعَادَةٍ لَا تُوصَفُ وَلَا تُقَارَنُ بِمَا فِي الدُّنْيَا.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (البقرة: 278)

278- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، اخْشَوْا اللَّهَ وَلَا تُخَالِفُوا أَمْرَهُ، وَاتْرَكُوا مَا لَكُمْ عَلَى النَّاسِ مِنَ الرِّبَا، إِذَا كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَبِمَا شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.

{ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ زُجُجٌ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ } (البقرة: 279)

279- فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا عَنِ التَّعَامَلِ بِالرِّبَا، فَانْتَظَرُوا عَضَبَ الرَّبِّ، وَتَيَقَّنُوا حَرْباً مِنَ اللَّهِ

ورسوله!

وهو ترهيبٌ مُخيف، ووَعِيدٌ شَدِيد، وَعَظْبٌ مَاحِقٌ مِنْ جَبَّارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يُهَدِّدُ فِيهِ الَّذِينَ لَا يَكْفُونَ عَنِ التَّعَامُلِ بِالرَّبِّا بِالْعِقَابِ وَالْقَتْلِ.

وهو عقابٌ دُنْيَوِيٌّ وَأُخْرَوِيٌّ. وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ الْأُخْرَوِيِّ، أَمَّا الدُّنْيَوِيُّ، فَإِنَّ الْمُرَابِيَّ يُسْتَتَابُ مِنْ فِعْلَتِهِ الشَّنْعَاءِ هَذِهِ، فَإِذَا لَمْ يَدْعُهَا عُوقِبَ. وَكَذَلِكَ الْجَمَاعَاتُ وَالْفِئَاتُ كَالصَّيَارِفَةِ وَأَصْحَابِ الْبُنُوكِ وَمَنْ إِلَيْهِمْ. وَهِيَ مَسْئُولِيَّةٌ كُبْرَى يَتَحَمَّلُهَا الْحَاكِمُ خَاصَّةً. وَقَدْ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ فَتْحِ مَكَّةَ بِوَضْعِ كُلِّ رِبَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. قَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: حَرَبُ اللَّهِ النَّارَ، وَحَرَبُ رَسُولِ اللَّهِ السَّيْفُ.

فَإِذَا تُبِتُمْ وَعَدْتُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَانْتَهَيْتُمْ عَنِ التَّعَامُلِ بِالرَّبِّا، فَإِنَّ أَصُولَ أَمْوَالِكُمْ تُعَادُ إِلَيْكُمْ، لَا يَنْقُصُ مِنْهَا شَيْءٌ وَلَا يُزَادُ عَلَيْهَا شَيْءٌ.

{وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة: 280)

280- فإذا كان المدينُ مُعْسِرًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفِيَّ دَيْنَهُ، فَيُنْظَرُ حَتَّى يَيْسَرَ وَيُدْفَعَ إِلَيْكُمْ رُؤُوسَ أَمْوَالِكُمْ، لَا كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَابِي الْجَشِعُ بِوَضْعِ الْمَزِيدِ مِنَ الرَّبِّا إِذَا لَمْ يَدْفَعْ! وَإِذَا تَصَدَّقْتُمْ بِهَا عَلَيْهِ وَسَاخَتْموهُ فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَفْضَلُ، هَذَا إِذَا عَلِمْتُمْ الثَّوَابَ الْكَبِيرَ الَّذِي يَنْتَظِرُكُمْ مِنْ فَضْلِ التَّيْسِيرِ عَلَى الْمُعْسِرِ.

{وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} (البقرة: 281)

281- وَاحْشُوا اللَّهَ حَقَّ الْحَشْيَةِ، وَانْتَظِرُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَيْهِ وَقَدْ تَرَكْتُمْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنْ أَمْوَالٍ، وَسَوْفَ يُجَاسِبُكُمْ عَلَى مَا كَسَبْتُمْ مِنْ طَرِيقِ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ، وَيُحَدِّثُكُمْ مِنْ عُقُوبَتِهِ، كَمَا يُرْغَبُكُمْ فِي مَثُوبَتِهِ، وَلَنْ يُظْلَمَ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَالْمَحَاسِبُ هُوَ اللَّهُ. وَيَوْمَئِذٍ يَنْدِمُ الْمُرَابِي أَيْمًا نَدَمًا، وَكُلٌّ يَرْجُو لَوْ كَانَ تَنَازُلًا، وَأَنْفَقَ، وَأَحْسَنَ... وَهَاهُمْ الْأَحْيَاءُ يَقْرَءُونَ وَيَسْمَعُونَ، إِنْ كَانَتْ لَهُمْ عُيُونٌ يُبْصِرُونَ بِهَا، وَأَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلِكَهُ فُلْيُمْلِلْ لَهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (البقرة: 282)

282- أيها المؤمنون، إذا تعاملتُم فيما بينكم بعملياتٍ مؤجَّلةٍ فاكتبوها، فإنه أثبت وأحفظ، كما يأتي.

وليكن الكاتب بينكم شخصاً يكتب بالقسطِ والحقِّ على ما اتَّفقتُم عليه، من غيرِ زيادةٍ ولا نقصان.

ولا يرفض العارف بالكتابة أن يكتب لهم إذا طلب منه ذلك، فإنَّ عليه أن يكتب وفاءً للعلم الذي علَّمه الله.

وليقل المدين ما عليه من الدين ليكتب، وليخش الله في قوله، وليصدق ما في ذمته ولا ينقص منه شيئاً، وليذكر شرطه وأجله.

فإن كان المدين سفيهاً لا يحسن تدبير أمره، أو ضعيفاً: صغيراً، أو مجنوناً، أو لا يستطيع أن يملئ هو ويبيِّن مقدار ما عليه وملا بساتِه، لعيبِ خلقِي أو جهلٍ أو أيِّ سببٍ آخر، فليتحدَّث عنه ولي أمره أو القيم عليه، بالحقِّ والعدل.

وأشهدوا على عقديكم هذا اثنين من الشهداء عدلين يحوزان على رضاكما. فإذا لم يكونا رجلين فليكن رجلاً وامرأتين، حتى إذا نسيت إحداها ذكَّرتها الأخرى، فإنَّ واجبها الأسريَّ واهتمامها وانشغالها بأعمالها الخاصَّة، وبُعدها عن أمورِ البيع والعقودِ يُنسيها ذلك، فتدكَّرها الأخرى بملا بساتِ الموضوع فتدكَّر.

وإذا دُعِيَ الأشهداءُ إلى الشهادة فليستحيبوا.

ولا تملأوا من أن تكتبوا معاملات الديون ومدّة إيفائها، سواء كانت قليلة أم كثيرة، فالكتابة أعدل، وأثبت للشاهد إذا رأى خطّه أو توقيعَه، فإنّه من المحتمل أنّه لو لم يكتبه لم يذكره. وهو أبعد من شبهة الكذب والأدعاء، الذي يُفضي إلى التنازع بين المتعاقدين. وإذا كان البيع حاضراً في مجلس واحد، فلا بأس من عدم الكتابة، لتيسير العمليات التجارية وعدم تعقيدها، مع الإشهاد على ذلك.

والأمر هنا للإرشاد والنّذّب لا الوجوب، عند جمهور العلماء. وكذا الأمر بكتابة الدّين - كما جاء في أوّل الآية - أمر نذّب واستحبّ وليس بفرض، عند أكثر الفقهاء، لأمرٍ وأدلةٍ أخرى في الموضوع. لكنّ الكتابة أفضل وأحسن وأوثق، كما مرّ في الآية الكريمة. وصاحب الدّين يحنّط لذلك، فإذا لم يكتبه وحدث ما لا يحمّد فلا يلومنّ إلا نفسه.

ولا يضّرّ الكاتب فيكتب عقد الدّين بخلاف ما يملّى عليه. ولا يضّرّ الشاهد فيدلي في شهادته بخلاف ما رأى أو سمع، أو يكتّمها. كما أنّ الكاتب والشاهد لا يُجبران على الكتابة والشهادة إذا اعتذرا، وإذا فعلا فلا يتعرّضان للضّر من قبل العاقدين لأيّ سبب من الأسباب الخلافية بينهما. واحشوا الله في معاملاتكم، واتبعوا أمره واستقيموا عليه، فإنّ الله يعلمكم أحكامه المتضمنة مصالحكم، والله عالمٌ بحقائق الأشياء ومصالحها وعواقبها، ولا يخفى عليه حالكم.

{ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ أُمٌّ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } (البقرة: 283)

283- وإذا كنتم مسافرين ولم يكن هناك كاتب يكتب لكم عقد دينكم ويبيعكم، فليكن بدله رهن يقبضه المرهن، وهو صاحب الحق.

فإذا أمن بعضكم بعضاً ووثق به ولم يرهن الدائن، فليؤدّ المدين دينه الذي أؤتمن عليه، وليخش الله في ذلك فلا ينقص ولا يزد.

ولا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ عِنْدَ التَّقَاضِي، فَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَمَنْ كَتَمَهَا فَقَدْ فَجَرَ وَبَاءَ بِالْإِثْمِ، وَكَتَمَهَا كَتَزْوِيرُهَا، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ إِخْفَائِهَا أَوْ قَوْلِهَا عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهَا.
والله عليمٌ بما تُكِنُّهُ الْقُلُوبُ، خَيْرٌ بِمَا تُخْفِيهِ، وَيَجْزِي كَلَّامًا بِمَا يَسْتَحِقُّ، إِنْ خَيْرًا، أَوْ شَرًّا.

{ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (البقرة: 284)

284- كلُّ ما في السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُلْكُ اللَّهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَطَّلَعٌ عَلَى جَمِيعِ مَا فِيهَا، خَيْرٌ بِحَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا، مَهْمَا خَفِيَتْ وَصَعُرَتْ، عَلِيمٌ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ، إِنْ أَظْهَرْتُمُوهُ أَوْ كَتَمْتُمُوهُ، وَيُحَاسِبُكُمْ عَلَى كُلِّ ذَلِكَ، ثُمَّ يَعْفُرُ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ، وَيُعَذِّبُ مَنْ شَاءَ، وَاللَّهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ.

وفي هذا تَخْوِيفٌ شَدِيدٌ، وَتَرْهيبٌ مُخِيفٌ، فَإِنَّ الْحَاسِبَةَ عَلَى السَّيِّئِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْقَلْبِيَّةِ لَيْسَ فِي صَالِحِ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ مَهْمَا كَانَتْ مُؤْمِنَةً صَالِحَةً، فَلَا يُمَكِّنُ الْإِحْتِرَازُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ. وَهَذَا الَّذِي دَفَعَ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِلَى أَنْ يُرَاجِعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ؛ لِتَقْوَاهُمْ وَشِدَّةِ إِيمَانِهِمْ، وَقَالُوا لَهُ: "كُلَّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ، وَالصِّيَامَ، وَالْجِهَادَ، وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَلَا نُطِيقُهَا".

فَنَهَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَوْلِهِمْ: { سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا }، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقُولُوا: { سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }.

فَقَالُوا ذَلِكَ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ التَّالِيَةُ نَاسِخَةً لَهَا، وَفِيهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: { رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ }. فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ، وَقَالَ: "قَدْ فَعَلْتُ"، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ.

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ: "إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ".

وَفِي الْآيَةِ تَذَكِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَا يُمَكِّنُ أَنْ يُحَاسِبُوا عَلَيْهِ حَتَّى يَزِيدُوا مِنْ مَعَالِجَةِ تَرْبِيَةِ أَنْفُسِهِمْ وَيَحَافِظُوا عَلَى تَرْكِيئِهَا بِاسْتِمْرَارٍ، وَيَطْلُبُوا مِنَ اللَّهِ الْعَفْوَ وَالْمَغْفِرَةَ دَائِمًا. وَفِي التَّالِيَةِ بَيَانٌ لِفَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَتَجَاوُزِهِ عَنْ ذَلِكَ.

{ أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } (البقرة: 285)

285- إِنَّ الرَّسُولَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلَّهُمْ آمَنُوا إِيمَانًا شَامِلًا كَامِلًا،
فَآمَنُوا بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، وَآمَنُوا بِمَلَائِكَتِهِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَآمَنُوا بِمَا أُنزِلَ مِنْ كُتُبِ،
وَآمَنُوا بِالرُّسُلِ جَمِيعًا، وَلَيْسَ بِيَعُضِهِمْ كَمَا فَعَلَ الْيَهُودُ وَغَيْرُهُمْ، وَهُمْ جَمِيعًا عِبِيدُ اللَّهِ، صَادِقُونَ،
مُوحَى إِلَيْهِمْ.

وقالوا جميعاً مؤمنين مستسلمين: سمعنا قولك يا ربنا وعقلناه، وأطعنا ما فيه وامتثلناه، فاغفر
لنا يا ربنا ذنوبنا وتقصيرنا، فإنَّ إليك ما بنا ومرجعنا يومَ الحساب، فلا ملجأ منك إلاَّ إليك،
ولا نجاةٍ من عقابك إلاَّ بغفرانك.

{ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ
نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا
مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ }
(البقرة: 286)

286- لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقَتِهَا، فَلَا يُؤَمِّرُ أَحَدٌ بِأَمْرٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَلَهَا ثَوَابٌ مَا
عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ، وَعَلَيْهَا عِقَابُهُ مَا اكْتَسَبَتْ مِنْ شَرٍّ.

وقالوا: ربنا ساجدنا واعفُ عنا إذا تركنا أمراً أو ارتكبنا محظوراً نسياناً لا عن قصد، أو سهوفا
عن الصواب في العمل وجهلنا.

وفي الحديث الصحيح الذي مرَّ أنَّ الله استجاب دعاء عباده المؤمنين في ذلك وقال: "نعم".
وقالوا: ربنا ولا تُكَلِّفْنَا أَعْمَالًا شَاقَّةً كَمَا كَلَّفْتَ بِهِ أُمَّمًا مَاضِيَةً، مِثْلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ كَانُوا
يَعْصُونَ الْمَرَّةَ تَلَوَ الْأُخْرَى، فَيُعَاقِبُهُمُ اللَّهُ بِمَزِيدٍ مِنَ التَّكْلِيفِ.

ودعوا فقالوا: واعفُ عنا يا ربنا تقصيرنا وزللنا، واغفر لنا ما اقترفنا من ذنوبٍ وسيئات، فإنه
لا يعفُرها إلا أنت، وارحمنا برحمتك الواسعة، وتولَّننا بحفظك ورعايتك، فأنت وليُّنا وناصرنا،
نسْتَعِينُ بِكَ وَلَا نَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْكَ، وَاكْتَبْ لَنَا التَّائِيْدَ وَالنَّصْرَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ

جَحَدُوا دِينَكَ، وَأَنكَرُوا وَحْدَانِيَّتَكَ، وَكَفَرُوا بِرِسَالَةِ نَبِيِّكَ، وَأَشْرَكُوا فِي عِبَادَتِكَ، فَانصُرْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ.

فاستجاب الله لهم.

والآيتان الأخيرتان من هذه السورة العظيمة فيهما خيرٌ كثيرٌ لمن قرأهما، وفي فضلهما أحاديث، منها قوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قرأ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةِ كَفَّتَاهُ". رواه الشيخان وغيرهما.

يَعْنِي كَفَّتَاهُ عَنْ قِيَامِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، أَوْ كَفَّتَاهُ الْمَكْرُوهَ... وَذَلِكَ لِمَا فِيهِمَا مِنْ اعْتِقَادٍ شَامِلٍ، وَمِنْ الثَّنَاءِ عَلَى الصَّحَابَةِ بِجَمِيلِ انْقِيَادِهِمْ إِلَى اللَّهِ، وَابْتِهَالِهِمْ، وَرَجوعِهِمْ إِلَيْهِ، وَمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْإِجَابَةِ إِلَى مَطْلُوبِهِ...

* * *

مِنْ فُضَائِلِ هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ، قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ". رواه مسلمٌ وغيره.

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{الم} (آل عمران:1)

1- حروف مقطعة، لم يرد في تفسيرها حديث ثابت صحيح، فالله أعلم بمرادها.

{الله لا إله إلا هو الحي القيوم} (آل عمران:2)

2- هو الله الواحد الأحد، ذو الحياة الحقيقية الدائمة، فلا بداية لها ولا نهاية، فهو دائم الوجود، قائم بتدبير الكون كله، لا حركة له ولا حياة لمن فيه بدونه.

{نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ} (آل عمران:3)

3- أنزل الله عليك القرآن بالحق⁽¹⁷⁾ أيها النبي محمد صلى الله عليه وسلم، يُصَدِّقُ الْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ السَّابِقَةَ، بما أخبرت به وبشّرت، من ذلك إرسالك نبياً خاتماً، وأنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، عليهما الصلاة والسلام.

{مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ

عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ} (آل عمران:4)

(17) بالحق: بالعدل في أحكامه، أو بالصدق في أخباره، التي من جملتها خبر التوحيد وما يليه، أو في وعده ووعيده. (روح البيان).

4- أنزلهما قبل القرآن، ليهتدي بهما الناس في زمانهما، وأنزل القرآن ليكون فرقاناً بين الحق والباطل، وبياناً لما كان في الكتب السابقة من حق، وتنبهاً لما فيها من باطل بعد تحريفها، بما في القرآن من آيات بينات، ودلائل واضحة. والذين جحدوا بآيات الله وأنكروها، أو انخرفوا عنها فزوروها وأولوها على غير وجهها الحق، لهم عذاب مؤلم قاس يوم القيامة. والله عزيز لا يُعالب، يفعل ما يشاء، ويحكم كما يريد، ينتقم ممن كذب بآياته، وخالف أنبياءه.

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ } (آل عمران: 5)

5- ولا يخفى على الله شيء من الأشياء، في السماوات والأرض، مهما دقت وصغرت، وعلمه بالماضي والحاضر والمستقبل شامل مطلق.

{ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (آل عمران: 6)

6- هو الذي يخلقكم في أرحام أمهاتكم كما يشاء، من ذكر وأنثى، وحسن وقبح، وتام وناقص، وميزة كل واحد وخصائصه، بمشيئته وإرادته النافذة. فهو وحده الخالق المصور، لا يشاركه في أمره أحد، فهو وحده المستحق للعبادة، له العزة والحكمة، والأمر والتدبير.

{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } (آل عمران: 7)

7- هو الذي أنزل عليك هذا القرآن العظيم، فيه آيات مُحْكَمَاتٌ واضحة يعرف معناها الناس، لا اشتباه في معناها ودلالاتها، وفي بعضه الآخر آيات مُتَشَابِهَاتٌ غير واضحة، فمن كان في قلبه شك وانحراف وضلال، فإنهم يتركون الأصول الواضحة المُحْكَمَةَ الدَّقِيقَةَ، ويجزون وراء ما تشابه من الآيات، وقصدتهم من ذلك إحداث بلبلة، وإثارة خلاف، وإيهام أتباعهم بأنهم على حق، وذلك بإنزال جزء مما تدل عليه هذه الآيات على معنى أعم، وتكبيره

بما يُناسبُ ضلالهم وعقيدتهم الفاسدة. والحالُ أنَّ تأويلَ الآياتِ المتشابهاتِ وتفسيرها الحقيقيَّ مخصوصٌ باللهِ تعالى.

والذينَ وقَّعهمُ اللهُ مِنْ عبادهِ الراسخينَ في العلمِ، المُتَثَبِّتِينَ المُتَمَكِّنينَ، يقولون: آمنا بالمتشابهِ أَنَّهُ هُوَ والمُحَكَّمُ مِنْ عندِ رَبِّنا، لا مُخَالَفَةَ بينهما، كلُّ واحدٍ منهما يُصَدِّقُ الآخرَ وَيَشْهَدُ له، وَأَنَّ معناهُ الحَقُّ هُوَ على مرادِهِ تعالى.

ويجوزُ أَنْ يكونَ في القرآنِ تأويلٌ استأثر اللهُ بعلمِهِ ولم يُطْلَعِ عليه أَحداً مِنْ خلقِهِ، كما استأثر بعلمِ الساعةِ وغيرها. والحَلْقُ مُتَعَبِّدونَ في المتشابهِ بالإيمانِ به، وفي المحكَّمِ بالإيمانِ به والعملِ. أَفادَهُ البَعْوِيُّ.

وما يذكُرُ هذا حقَّ التذكُرِ، ولا يَتَّعِظُ بما في القرآنِ، ولا يَفْهَمُ وَيَتَدَبَّرُ معاني الآياتِ على وجهها، إلاَّ الألباءُ والأسوياءُ مِنْ ذَوِي العقولِ الراجحةِ المستقيمةِ، الذينَ لا يَزِيغُونَ ولا يَتَّبِعُونَ الأهواءَ.

{ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } [آل

عمران:8]

8- ويقولُ هؤلاءِ الراسخونَ في العلمِ، ويقولُ معهمُ كلُّ مؤمنٍ: اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَلَّا تُمِيلَ قلوبنا عنِ الحَقِّ والهُدَى بعدَ أَنْ أَقَمْتَهَا عليه، ولا تَجْعَلْنَا مثلَ الذينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فيَتَّبِعُونَ ما تشابهَ مِنَ القرآنِ ويَذَرُونَ مُحَكَّمَهُ، وأَعْطانا مِنْ عندِكَ رَحْمَةً واسِعَةً تَثَبَّتْ بها قُلُوبنا على الهُدَى والصراطِ المستقيمِ، فَأَنْتَ الواهبُ المَبْعَمُ، الهادي إلى الهُدَى والإيمانِ.

{ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ } [آل عمران:9]

9- ويقولونَ في دُعائِهِمُ أيضاً: اللهمَّ إِنَّكَ تَجْمَعُ النَّاسَ في يَوْمٍ لا شَكَّ فيه، هُوَ يَوْمُ الحسابِ ويومُ الجزاءِ، لتَفْصِلَ بينهمُ وَبَجْزِي كَلِّاً بما عَمِلَ، ووعْدُكَ الحَقِّ، فلا تُزِغْ قلوبنا، وارحمتنا.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمُ وَقُودُ

النَّارِ } [آل عمران:10]

10- إِنَّ الْكَافِرِينَ لَنْ تُوَفَّقَهُمْ أَمْوَالُهُمُ الَّتِي جَمَعُوهَا وَكَنَزُوهَا فِي الدُّنْيَا لِتَفُكَّ رِقَابَهُمْ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَقْدِرُ أَوْلَادُهُمْ عَلَى الْإِنْتِصَارِ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَإِنْقَادِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ كَمَا كَانُوا يَنْصُرُونَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، بَلْ إِنَّ عَاقِبَتَهُمْ أَنْ يَكُونُوا حَطَبَ النَّارِ وَحَصْبَهَا الَّتِي تُسْعَرُ بِهِمْ.

{ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ

الْعِقَابِ } [آل عمران: 11]

11- وهذا كصنيع آل فرعون ومن قبلهم من الأمم الكافرة، من الكفر والتكذيب بما جاء به أنبياء الله، عندما حاربوهم واستهزؤوا بهم ونبدوا ما جاؤوا به وراء ظهورهم، فأهلكناهم حين كذبوا بآياتنا، والله شديد في عقابه لهؤلاء الكافرين وأمثالهم.

{ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ غَلِيظَةٌ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ } [آل عمران: 12]

12- قل أيها النبي لليهود والمشركين: ستهزموه وتحشرون في قتالكم ضد المسلمين، كما كان الأمر في غزوة بدر.

وفي حديث حسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لليهود: "يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً". لكنهم أبوا وتحذوا، فأنزل الله في ذلك الآية. وصدق الله وعده، بقتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير، وفتح خيبر، وضرب الجزية على من عداهم.

وسوف تُقادون جميعاً إلى جهنم، ويا له من موئل سيءٍ فظيعٍ مُمهَّدٍ لهم خاصة!

{ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّفَتَا فِئَةٌ تُفَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ

رَأْيِ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ } [آل عمران: 13]

13- أيها الكافرون من مشركين ويهود، الذين اغتروا بعددهم وعُددهم، قد بدا لكم كيف أظهر الله دينه، ونصر نبيه، في غزوة بدر، عندما التقت طائفتان في المعركة، طائفة مسلمة تُقاتل تحت راية لا إله إلا الله، وطائفة كافرة تُقاتل في سبيل الطاغوت.

ومع أن عدد الكفار كان ثلاثة أضعاف عدد المسلمين، إلا أنهم كانوا يروهم - في رأي العين - ضِعْفَيْهِمْ عند التحام القتال، وكانوا أولاً يروهم أقل من ذلك. كما بدوا للمسلمين أقل مما هم عليه، وقد عرفوا من قبل أنهم أكثر منهم؛ لِيَتَّجِعَ المسلمون إلى ربهم ويطلبوا منه النصر، فما النصر إلا من عنده.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً!

وقال في موضع آخر: لقد قُتلوا في أعيننا حتى قتل لرجل إلى جانبي: تراهم سبعين؟ وكانوا نحو الألف.

فأجَّه المجاهدون إلى ربهم يطلبون منه العون والتأييد، وأحسنوا توكلهم عليه، ودبَّ الخوف والرعب في قلوب المشركين، وأيد الله الفئمة المسلمة فانتصرت. وفي ذلك عبرة لمن أراد أن يعتبر، فإن الله قادر على نصرهم مرة أخرى. فأمنوا، ولا تخسروا الدنيا والآخرة.

{ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالمَنَاطِيرِ المَقْنُطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالمَخِيلِ المِيسُومَةِ وَالأَنْعَامِ وَالمَحْرَبِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ } [آل عمران:14]

14- زَيْنٌ فِي نَفوسِ النَّاسِ مُشْتَهَاتٌ مُسْتَحَبَّةٌ مُسْتَلَدَّةٌ، مِنَ النِّسَاءِ اللِّوَاتِي لَا صَبْرَ لِلرِّجَالِ بِدَوْنِهنَّ. وَالرَّغْبَةُ فِيهنَّ لِلشَّهْوَةِ وَالعَقَّةِ، وَالسَّكَنِ وَالرَّحْمَةِ، وَالوَدِّ وَالوَلَدِ.

وَمِنَ البَنِينَ، حَيْثُ التَّفَاخُرُ وَالنَّسْلُ وَالرَّيْنَةُ. وَالمَالِ الكَثِيرِ، مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، الَّذِي قَدْ يَكُونُ تَكْدِيسُهُ لِلخِيَلِ وَالتَّكْبُرِ وَالسَّيْطَرَةِ، وَقَدْ يَكُونُ تَخْرِينُهُ وَتَنْمِيتُهُ لِيُنْفَقَ فِي وَجوهِ الخَيْرِ وَالمَطَاعَةِ.

وَالمَخِيلُ المَحْجَلَةُ الحِسانِ، الَّتِي قَدْ تُقْتَلُ لِلقِتَالِ، أَوْ لِلهَوَايَةِ وَالرِّيَاضَةِ، فَهِيَ زِينَةُ مُشْتَهَاةٌ عَلَى كَلِّ حَالٍ.

وَالأَنْعَامِ، مِنْ إِبِلٍ وَبَقَرٍ وَعَنَمٍ.

والأراضي الزراعية والحدائق والحقول، التي تُروِّد الإنسان بالثبوت والطعام، وتُدُّر عليه المال الوفير.

وهذه الشهوات كلها من متاع الدنيا ولذائدها المحببة، وهي من زهرتها الذابلة، وزينتها الزائلة، فهي إلى فناء قريباً، وإلى حسابٍ مُستقبلاً.

والذي عند الله من اللذة والتعظيم المقيم، وأكبر من ذلك رضوان الله، هو خير من ذلك كله.

{ قُلْ أُوۡبَيِّتُكُم بِخَيْرٍ مِّنۡ ذٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنۡدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجۡرِي مِنۡ تَحۡتِهَا الۡأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضۡوَانٌ مِّنَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِالۡعِبَادِ } [آل عمران: 15]

15 – فهل علمتُم ما هو خير من هذه الشهوات الفانية، ولو كانت مما يُعجب الإنسان ويتمسكُ بها؟

إنَّه من نصيب عباد الله المتقين، الذين آمنوا بالله وقاموا بالأعمال الصالحة، فهؤلاء لهم عند ربهم جناتٌ جميلة، واسعة رائعة، تجري من تحتها جداول المياه والأنهار العذبة، ومنها ما يجري بالعسل واللبن وأنواع الأشربة، وفيها ما لم يره الإنسان وما لم يسمع به، مع حياة دائمة هنيئة، لا نغص فيها ولا انقطاع.

ولهم فيها أزواج مطهرات من الأذى الذي يعترى نساء الدنيا، وحور عيون جميلات محبات إلى النفوس، وفوق كل ذلك رضوان الله، فلا سخط عليهم بعده أبداً.

والله بصيرٌ بأعمال عباده ونياتهم وتوجهاتهم في الدنيا، خيرٌ بميولهم ونوازعهم. وهو يُعطي كلاً بحسب ما عمل واجتهد وأخلص.

{ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَنَنَا عَذَابَ النَّارِ } [آل عمران: 16]

16 – وعباد الله المؤمنون المتقون هم الذين يدعون ربهم ويقولون: اللهم إننا آمنّا بك وبكتابتك وبرسولك، فاغفر لنا ذنوبنا، وتجاوز عن سيئاتنا، فإنه لا يغفرها إلا أنت، ولا إله لنا غيرك، واصرف عنا عذاب النار.

{ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ } [آل عمران: 17]

17 - وهم أيضاً عبادُ الله الصَّابِرُونَ، الذين يَتَّبِعُونَ على التكاليفِ الشرعيَّةِ، فيطيعونَ الله فيما أمرهم، ويتركونَ المحرَّمات. وَيَسْتَسْلِمُونَ لحُكْمِ الله وَيَرْضُونَ به، وإنَّ ذلكَ مِنْ عزمِ الأمور. والصادقون، الذين لا يَرْضُونَ عنِ الحقِّ بديلاً، وَيَعْتَرِضُونَ به، وَيُقَاتِلُونَ في سبيله. والقانتون، الذين يَقومونَ بواجبِ العبوديةِ لرَبِّهم، ولا يركعونَ إلاَّ له، ولا يسجدونَ لغيره. والمنفقون، الذين لا ييخلونَ بما أنعمَ اللهُ عليهم، وَيَتَفَقَّدُونَ المساكينَ واليتامى وأهلَ الحاجة، فيعطونهم ممَّا أعطاهم اللهُ. والمستغفرون، في وقتِ السَّحرِ وقد نامَ الناسُ، فيلْتَجِئُونَ إلى الله وَيَطْلُبُونَ منه العفو والغفران.

وجزاءً هؤلاءٍ جميعاً خيراً مِنْ كلِّ ما زُيِّنَ للناسِ مِنَ الشهواتِ المُستلذَّاتِ في الدُّنيا، ورضوانَ اللهُ عليهم أكبرُ مِنْ ذلكَ كلِّه، فهوَ أجلُّ مِنْ كلِّ شهوةٍ، وخيرُ مِنْ كلِّ متاعٍ، وأعظمُ مِنْ كلِّ أمنيَّةٍ تُتَمَنَّى.

{ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [آل عمران: 18]

18 - شَهِدَ اللهُ، وكفى به شهيداً، أَنَّهُ الإلهُ الواحدُ الأحد، إلهُ الخلقِ كلِّهم، فالكلُّ له عبيد، وهو عنهم غنيٌّ، وشَهِدَتْ ملائكتُه بوحدانيَّته، وكذا العلماءُ الراسخون، في تصديقِ وطاعةٍ واتباعٍ.

وهي شهادةٌ أيضاً بقيامِ اللهِ تعالى بالعدلِ في تدبيرِ الكونِ وحياةِ الناسِ، فلا يظلمُ أحداً، سُبْحانَهُ وتعالى، لا إلهَ غيره، ولا رَبَّ سِوَاه، ولا أعدلَ منه، وهو ذو العِزَّةِ والعِظَمَةِ، الحكيمُ في كلِّ ما يَفْعَلُ وَيَشْرَعُ وَيُقَدِّرُ.

{ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } [آل عمران: 19]

19 - الدِّينُ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ، وهو ما أُرْسِلَ بِهِ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ، وهو الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُتَّبَعَ عِنْدَ إِرْسَالِ أَيِّ رَسُولٍ، حَتَّى خُتِمَ بِهِمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ دِينَ بَعْدَ بَعْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِوَى دِينِ الْإِسْلَامِ. وَالدِّينُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ الْإِسْتِسْلَامُ لِدِينِهِ، وَاتِّبَاعُ حُكْمِهِ، وَطَاعَتُهُ كَمَا أَمَرَ.

وما اختلف أهل الكتاب وما تنازعوا إلا بعد أن جاءهم العلم وقامت عليهم الحجة ووضح أممهم الطريق، بإرسال الرسل إليهم، وإنزال الكتب عليهم، فتركوا الأدلة الواضحة وتخلوا عن العقيدة الصحيحة والشريعة المحكّمة، ولازموا جانب الخلاف والجدال، والمخاصمة واللجاجه، اعتداءً وظلماً، وحسداً وتباغضاً، وعناداً واستكباراً، حتى صار بعضهم يُخالف بعضاً قصداً ونكايَةً ولو لم يعرفوا حقيقة الأمر!

وإن من جحد شيئاً من آيات الله⁽¹⁸⁾، وأنكر وحدانيته، ونبد دینه الحق، فسوف يُحاسبه الله على تكذيبه هذا، ويُعاقبه على مخالفة كتابه، وهو سريع الحساب⁽¹⁹⁾، وشديد العقاب، وخاصّة لمن كفر بعد معرفة الحق.

{ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ
أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } [آل
عمران:20]

(18) بما أنزل الله في كتابه... (ابن كثير).

(19) أي: يأتي حسابه عن قريب، أو سريع في محاسبة جميع الخلائق؛ لأنه يحاسبهم في أقل من لحظة، بحيث يظن كلُّ أحدٍ منهم أنه - أي الله - يحاسب نفسه فقط. (روح البيان).

20 - فإذا خَاصَمَكَ المشركونَ وأهلُ الكتابِ، وجادلوكَ في عقيدةِ الإسلامِ التوحيديةِ الصافية، فقلْ لهم: لقدِ استسلمتُ لطاعةِ ربِّي، وخضعتُ لأمره، وأتبعْتُ وحيه، وأخلصتُ عبادتي له وحدهُ لا شريكَ له، ومن اتَّبعتني من الناسِ كانَ مسلماً وقالَ كما قلتُ. وقلْ لأهلِ الكتابِ والمشركينَ في دعوتهم إلى دينِ التوحيد: أسلمتُم وأقررتُم بتوحيدِ الله، والإيمانِ بألوهيتهِ للخلقِ أجمعين، وتحاكمتُم إلى كتابه؟

فإذا أسلموا واتَّبعتوكَ فقدِ اهتدوا إلى الدينِ الصحيح، وإذا أبوا وعاندوا وآثروا الشركَ والكفرَ على دينِ الإسلام، فما عليكِ أكثرُ ممَّا بلغتِ وبيَّنتِ لهمُ الدينَ الحقَّ، ولا تقدِرُ على سَوْقِ قلوبِ الناسِ إلى الإسلام، إنَّما مرجعهمُ وحسائبهمُ على الله، وهو عالمٌ بأمرِ عباده، بصيرٌ بمنْ يستحقُّ الهدايةَ ممنْ يستحقُّ الضلالةَ.

{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } [آل عمران: 21]

21 - إنَّ الذينَ كفروا بدينِ اللهِ وما أنزلهُ منْ آياتِ بيِّناتٍ، فأثروا الكفرَ على الإيمانِ، وارتكبوا المآثمَ بتكذيبهمُ رُسله، وخالفوهُم استكباراً وعناداً، ولم يكتفوا بهذا، بل قتلوا بعضَ أنبياءِ اللهِ الكرام، ولا جرمةَ لهمُ في ذلكِ سوى دعوتهمُ إلى الحقِّ! ثمَّ شَهروا السُّيُوفَ ضدَّ منْ يأمرهمُ بالعدلِ والتَّباعِ الصِّراطِ المستقيم، وينهاهمُ عن المنكرِ والبغي والجهالة، مادامَ ذلكَ لا يوافقُ أهواءهمُ وضلالاتهم، تكبُّراً واستعلاءً على الحقِّ والهدى. إذًا فبشِّرهمُ بذلَّةٍ وصغار، وعذابٍ قريبٍ ينالهم.

{ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } [آل عمران: 22]

22 - لقدِ بطلَ ثوابُ جميعِ ما عملوا منْ أعمالٍ في الدنيا، ولو بدا بعضها حسناً وكبيراً، جزاءً كفرهمُ وعنادهمُ وإيثارهمُ الباطلَ على الحقِّ، وقد فقدوا الميزانَ الحقيقيَّ الذي يحكمُ على الأعمالِ ويبيِّنُ خيرها منْ شرِّها، ولنْ يكونَ لهمُ ناصرٌ ينصرهمُ منْ بأسِ الله، ولا مؤيِّدٌ يومَ القيامةِ يُخرجهمُ منْ العذابِ المهين.

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ
يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ } [آل عمران: 23]

23 - أَلَا تَنْظُرُ إِلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُوتُوا حِطًّا مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، إِذَا
دُعُوا إِلَى التَّحَاكُمِ إِلَى مَا فِيهِمَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَمَنْ بَيْنَهُمَا اتَّبَعَ الرَّسُولَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، أَعْرَضَ قِسْمٌ مِنْهُمْ مَخَالَفَةً وَعِنَادًا، وَإِصْرَارًا عَلَى الْبَاطِلِ، وَكَأَنَّهُمْ لَيْسُوا أَهْلَ كِتَابٍ، فَلَا
يَهْتُمُّهُمْ الْعَمَلُ بِمَا فِيهِ!؟

{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَعَرَّهَمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ }
[آل عمران: 24]

24 - فَإِذَا عُيِّرُوا بِهَذِهِ الْمَخَالَفَةِ وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّهَا جُرْأَةٌ وَمَعْصِيَةٌ مُنْكَرَةٌ، وَيَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا عِقَابٌ
عَظِيمٌ مِنَ اللَّهِ، هَوَّنُوا مِنْ إِقْدَامِهِمْ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ الْمُنْكَرِ، وَافْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، بِقَوْلِهِمْ إِنَّهُمْ
سَيُعَذَّبُونَ أَيَّامًا قَلِيلَةً فِي النَّارِ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا إِلَى الْجَنَّةِ. وَمِثْلُ هَذَا الَّذِي مَنَّوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ
أَبْقَاهُمْ عَلَى دِينِهِمُ الْبَاطِلِ، وَهُوَ مَا لَمْ يُنَزَلِ اللَّهُ بِهِ سُلْطَانًا، إِنَّمَا هُوَ كَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ.

{ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }
[آل عمران: 25]

25 - فَلْيَنْتَظِرُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقَّ الَّذِي يَجْمَعُهُمْ فِيهِ لِلْحِسَابِ، وَتُعْطَى كُلُّ نَفْسٍ نَصِيبَهَا
مِنَ الْعِقَابِ، وَلَنْ يُظْلَمُوا، وَكَفَى بِالنَّارِ مَوْثَلًا وَعَذَابًا لِمَنْ عَصَى وَأَبَى.

{ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ
وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [آل عمران: 26]

26 - قُلْ: اللَّهُمَّ لَكَ الْمَلِكُ كُلُّهُ بِلا شَرِيكَ، أَنْتَ وَحْدَكَ الْمُتَصَرِّفُ فِيهِ، تُؤْتِي فِيهِ مَا تَشَاءُ
لِعِبَادِكَ، مُلْكًا مُعَارًا مُؤَقَّتًا، فَأَنْتَ صَاحِبُهُ وَتَفْعَلُ فِيهِ مَا تُرِيدُ، وَتَسْلُبُهُ مِمَّنْ تَشَاءُ عِنْدَمَا تَشَاءُ،
لَا أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَمْنَعَ وَيَقُولَ لَا، فَأَنْتَ مَالِكُهُ وَصَاحِبُهُ.

وَجَعَلَ مَنْ تَشَاءُ مِنْ عِبَادِكَ عَزِيزًا كَرِيمًا، وَجَعَلَ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ ذَلِيلًا مَهِينًا، بِالْقِسْطِ وَالْعَدْلِ، فَمِيزَانُ الْحَقِّ بِيَدِكَ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ بِمِيزَانٍ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِكَ وَفِي مُلْكِكَ، وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَتُعْطِي مَنْ تَشَاءُ، وَتَمْنَعُ مَنْ تَشَاءُ، وَمَا شِئْتَ كَانَ، وَمَا لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

{ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [آل عمران: 27]

27 - وَمِنْ آيَاتِكَ الْعَظِيمَةِ فِي الطَّبِيعَةِ رَبَّنَا، أَنْ تَجْعَلَ حَرَكَةَ الضِّيَاءِ وَالظُّلْمَةِ عَلَى مَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ مِنْ إِعْجَازٍ، فَتَجْعَلَ الضِّيَاءَ فِي النَّهَارِ وَتَقْلُلُ مِنْهُ حَتَّى يَدْخُلَ فِي ظُلْمَةِ الْمَسَاءِ الْخَفِيفَةِ، ثُمَّ يَأْتِي الظُّلَامُ فَتَخْفُ ظُلْمَتُهُ شَيْئًا فَشَيْئًا وَيَدْخُلُ فِي نَوْرِ النَّهَارِ، وَتَأْخُذُ مِنْ طَوْلِ النَّهَارِ لِتَرْبِدَهُ فِي قِصْرِ اللَّيْلِ حَتَّى يَعْتَدِلَا، ثُمَّ الْعَكْسُ، حَتَّى تَكْتَمِلَ دَوْرَةُ الْفُصُولِ.

وَأَنْتَ الَّذِي تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ، فَتُخْرِجُ الْحُبُوبَ مِنَ الزُّرُوعِ وَالزُّرُوعَ مِنَ الْحُبُوبِ، وَتُخْرِجُ الدَّجَاجَةَ مِنَ الْبَيْضَةِ وَالْبَيْضَةَ مِنَ الدَّجَاجَةِ، وَتُمِيتُ أَشْيَاءَ لَتَكُونَ مَادَّةَ حَيَاةٍ أُخْرَى فِي الْإِنْسَانِ وَالْكَوْنِ، وَهَكَذَا فِي حَرَكَةٍ دَائِمَةٍ، لَا يَدَّعِي أَحَدٌ أَنَّهَا قَادِرٌ عَلَى مِثْلِهَا، وَلَا يَقُولُ عَاقِلٌ إِنَّهُ مُصَادِفَةٌ مِنْ غَيْرِ تَدْبِيرٍ وَتَقْدِيرٍ.

وَإِذَا عَرَفَ الْإِنْسَانُ أَنَّ كُلَّ مَا فِي الْكَوْنِ مُلْكٌ لِلَّهِ، وَأَنَّ مَا يَجْرِي فِيهِ مِنْ عِزٍّ وَذُلٍّ، وَحَيَاةٍ وَمَوْتٍ، بِمَشِيئَتِهِ وَتَقْدِيرِهِ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِمَا يَشَاءُ، فَلَا أَحَدَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْنَعَ نِعْمَتَهُ مِنْ أَحَدٍ، وَلَا أَنْ يُعْطِيَ مَنْ يَمْنَعُهُ، فَهُوَ صَاحِبُ الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ، وَهُوَ الْعَادِلُ الَّذِي لَا يَظْلِمُ.

{ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ } [آل عمران: 28]

28 - لَا يَجِلُّ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُوَالِيَ كَافِرًا وَيُجِبَّهُ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ مَالَ قَلْبُهُ إِلَى الْكَافِرِ وَفَضَّلَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، وَهُوَ بِهَذَا الْعَمَلِ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ، فَهُوَ مُنْقَطِعُ الصَّلَاةِ بِهِ، بَعِيدٌ عَنْهُ، بَرِيءٌ مِنْهُ. إِلَّا مَنْ خَافَ مِنْهُمْ فَاتَّقَى شَرَّهُمْ، فِي بُلْدَانٍ وَأَوْقَاتٍ مَعِيْنَةٍ، بِظَاهِرِ لِسَانِهِ لَا بِقَلْبِهِ، فَإِذَا زَالَ الْخَوْفُ، زَالَتِ التَّقِيَّةُ.

وإنَّ اللهَ يُحَذِّرُكُمْ نِقْمَتَهُ وَغَضَبَهُ، فَإِنَّ الْعَذَابَ سَيْنَالٌ مِّنْ وَّالِي أَعْدَائِهِ وَعَادَى أَوْلِيَاءِهِ، وَإِنَّ مَصِيرَكُمْ جَمِيعاً إِلَى اللَّهِ، وَلَسَوْفَ يُجَازِي كَلَّاً بِمَا عَمِلَ.

{ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [آل عمران: 29]

29 - وقال: إِنَّكُمْ إِنْ أَحْفَيْتُمْ مَا فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ مَوَدَّةِ الْكَافِرِينَ، أَوْ أَبْدَيْتُمْ مَوَالَاتِكُمْ لَهُمْ قَوْلًا وَفِعْلًا، فَإِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِالسِّرَائِرِ وَالظَّوَاهِرِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى عُقُوبَتِكُمْ إِنْ لَمْ تَنْتَهُوا عَمَّا تَهَاكُمُ عَنْهُ، وَقَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَلَا تَرْتَكِبُوا مَا مَنَعَكُمْ مِنْهُ.

{ يَوْمَ يُجِزُّ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ } [آل عمران: 30]

30 - وفي يومِ الْحِسَابِ يَرَى كُلُّ عَبْدٍ أَعْمَالَهُ أَمَامَهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، لَمْ يَنْقُصْ مِنْهَا شَيْءٌ، فَيُسْرُّ وَيَفْرَحُ بِالْخَيْرِ، وَيَنْدَمُ وَيَتَحَسَّرُ عَلَى مَا اقْتَرَفَ مِنْ شَرٍّ، وَيَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَوْمًا بَعِيدًا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ.

وإنَّ اللَّهَ يُحَوِّفُكُمْ حِسَابَهُ وَعِقَابَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ رَءُوفٌ بِكُمْ وَاسِعُ الرَّحْمَةِ. وَرَحْمَتُهُ لَا تَمْنَعُ عِقَابَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْهُ، وَتَحذِيرُهُ لَا يَعْنِي رَفْعَ الرَّحْمَةِ عَنْكُمْ، لَكِنَّ كِلَيْهِمَا مُتَحَقِّقَانِ. فَاحْذَرُوا، وَلَا تَيَاسُوا، وَعَمَلُوا الْخَيْرَ وَأَبْشَرُوا.

{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [آل عمران: 31]

31 - وقال: إِذَا كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ حَقًّا فَاتَّبِعُونِي وَاسْلُكُوا طَرِيقِي، وَأَطِيعُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَقَدْ حَصَلَ لَكُمْ جَزَاءُ طَلِبِكُمْ، وَهُوَ مَحَبَّةُ اللَّهِ لَكُمْ وَرِضَاؤُهُ عَنْكُمْ، وَمَغْفِرَتُهُ لذنُوبِكُمْ، فَإِنَّهُ كَثِيرُ الْمَغْفِرَةِ، وَاسِعُ الْمَرْحَمَةِ.

{ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ } [آل عمران:32]

32 – قُلْ: أطيعوا الله فيما يأمركم به، واتَّبِعُوا الرِّسُولَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيعِ مَا يُبَلِّغُكُمْ مِنْ أَمْرِ وَهَيِّ، لَتَفُوزُوا بِرِضَى اللهِ وَعَفْوِهِ، فَإِذَا أَبَوْا وَرَضُوا بِالْكَفْرِ وَالضَّلَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَبْغُضُهُمْ وَيَسْخَطُ عَلَيْهِمْ، وَيُعِدُّ لَهُمْ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنْ عِقَابٍ.

{ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } [آل عمران:33]

33 – لَقَدْ اخْتَارَ اللهُ لِحَمْلِ رِسَالَةِ الْإِسْلَامِ وَتَبْلِيغِ دَعْوَتِهِ آدَمَ، وَنُوحًا، وَآلَ إِبْرَاهِيمَ، وَآلَ عِمْرَانَ، مِنْ بَيْنِ سَائِرِ النَّاسِ.

فآدَمُ خَلَقَهُ بِيَدِهِ وَأَسَجَدَ لَهُ مَلَائِكَتُهُ، وَنُوحٌ جَعَلَهُ أَوَّلَ رَسُولٍ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَآلَ إِبْرَاهِيمَ مِنْهُمْ صَاحِبُ الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ خَلِيلُ اللهِ إِبْرَاهِيمُ نَفْسُهُ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَهُوَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللهِ، وَخَاتَمُ أَنْبِيَائِهِ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَعِمْرَانُ وَالِدُ مَرْيَمَ أُمَّ عِيسَى، نَبِيِّ اللهِ الْكَرِيمِ.

{ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [آل عمران:34]

34 – وَهَؤُلَاءِ ذُرِّيَّةٌ مُبَارَكَةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فِي الدِّينِ وَالتَّنَاصُرِ، يَجْمَعُهُمْ وَحْدَةُ الْعَقِيدَةِ، وَتَبْلِيغُ الرِّسَالَةِ، وَالدَّعْوَةُ إِلَى الْحَقِّ.

وَهُوَ يَسْمَعُ مِنْ عِبَادِهِ مَا يَدْعُونَ بِهِ وَيُسِرُّونَ وَيُظْهِرُونَ، عَلِيمٌ بِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، فَيَخْتَارُ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ لِحَمْلِ رِسَالَتِهِ.

{ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [آل عمران:35]

35 – واذكر ما قالتها أمّ مريمَ زوجةَ عمرانَ بعد أن حملت، قالت: اللهمَّ إني نذرتُ⁽²⁰⁾ أنْ أجعلَ حملي خالصاً لعبادتك، مُتَفَرِّغاً لخدمةِ الكنيسةِ في بيتِ المقدس، فتقبَّلْ مِنِّي ذلك، فأنتَ الكريمُ المحيِب، تسمعُ دُعائي وتضُرُّعي إليك، وتعلمُ صدقَ نيتي في ذلك.

{ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } [آل عمران:36]

36 – فلما وضعت حملها قالت: اللهمَّ إني وضعتها أنثى، واللهُ عالمٌ بما رزقتُ به، قالت: وليسَ الذكرُ كالأنثى، في العبادةِ والقوَّة، والصبرِ على المشاقِّ، وخاصَّةً في خدمةِ الكنيسة، التي نذرتُ أنْ تُقدِّمَ حملها لها. وكانَ الصبيانُ همُ الذينَ ينهضونَ لمثلِ هذا وليسَ الإناثُ. قالت: وسَمَّيتها مريمَ، وقدَ عوذْتُها وذرَّيتها بكَ من شرِّ الشيطانِ المبعَدِ من رحمتك، وأودعتها حمايتك ورعايتك.

{ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [آل عمران:37]

37 – فتقبَّلَ اللهُ نذرها جزاءً إخلاصها، وربِّي مريمَ تربيةً حسنةً منذُ نشأتها، ويسرَّ لها أسبابَ القبول، وجعلَ نبيَّ اللهِ زكريَّا كافلاً لها وأميناً عليها، وكانَ المسؤولَ الأوَّلَ في مركزِ العبادةِ بيتِ المقدس، فتعلَّمتُ منهُ علماً جمًّا وعملاً صالحاً، فنشأتُ مُباركةً مُهيَّأةً لأمرٍ جَلَل. وكانَ زكريَّا كلِّما دخلَ عليها في مكانِ عبادتها وجدَ عندها طعاماً وفاكهة، فيعجَبُ لذلكَ وهوُ نبيُّ اللهِ، ويقولُ لها: من أينَ لكِ هذا الرزقُ يا مريمَ؟ فتقولُ في تواضعٍ وخشوعٍ وإيمان: هوُ من عندِ اللهِ، وهوُ سبحانهُ يُعطي من يشاءُ بغيرِ حساب، فهو كريمٌ واسعُ الفضل، جميلُ العطاء.

(20) قال الإمام الطبري في معنى النذر، في الآية (270) من سورة البقرة: ما أوجبته المرء على نفسه، تبرُّراً في طاعةِ اللهِ وتقرباً به إليه، من صدقةٍ أو عملٍ خير.

{ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ } [آل

عمران:38]

38 - وعندما رأى زكريا عليه السلام فيها هذا الصلاح والولاية، والتعبد والفتوت، والإخلاص في الخدمة، تحرك في قلبه حبُّ الذرية الصالحة، لتكون امتداداً له ولعمله، وكان شيخاً كبيراً قد وهن منه العظم، وزوجه كبيرة عاقر لا تُنجب، ومع ذلك لم ييأس، فالله قادرٌ على كلِّ شيء. فدعا في استكانةٍ وخشوع، وقال بصوتٍ ضعيف: اللهم إني أسألك أن ترزقني ولداً صالحاً تقرُّ به عيني، وأنت تسمعُ مناجاتي بينَ يديك، وتضرعني إليك، ورغبتني في الذرية الطيبة.

{ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ

اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ } [آل عمران:39]

39 - فاستجاب الله دعاءه، ونادته الملائكة وهو يصلي في مجلس مناجاته وصلاته: إنَّ الله يُبَشِّرُكَ بولدٍ من صلبك اسمه يحيى، يُصدِّقُ بنوَّةَ عيسى بنِ مريم، الذي وُجدَ بكلمةِ الله: كُنْ. (فكان أوَّلُ مُصدِّقٍ به) ويكونُ سيِّداً ورئيساً جليلاً في العلم والعبادة، قد حبسَ نفسه عن الشهوات فلا يأتي النساء، ونبياً كريماً يُوحى إليه، من المشهورين بالصلاح.

{ قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا

يَشَاءُ } [آل عمران:40]

40 - قال زكريا عليه السلام في تبثُّلٍ ومُنَاجاةٍ وتَشوُّقٍ: يا رب، وكيف يصيرُ لي ولدٌ وقد أدركني كِبَرُ السنِّ وامرأتي عاقرٌ لا تُنجب؟

قال ذلك اعتداداً بنعمة الله، وتعظيماً لقدرته وتعجباً منها، لا استبعاداً.

فقال الله له: هذا أمرُ الله، فلا يُعجزُهُ شيءٌ ولا يتعاضمه أمر، ويفعل ما يشاء من الأمور

الخارقة والصنائع البديعة.

{ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَادْكُرُ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ } [آل عمران: 41]

41 – فقال زكريّا: أطلب منك يا ربّي أن تجعل لي علامةً أستدلُّ بها على وقوع الحمل لأتلقاه بالحمد والشكر.

فقال الله له: علامة ذلك أن لا تستطيع التطق إلا إشارةً لمدة ثلاثة أيام، مع أنك سويّ صحيح. واذكر الله كثيراً، واشكره على هذه النعمة، ونزهه كثيراً، في الصباح والمساء.

{ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ } [آل عمران: 42]

42 – وقالت الملائكة لمریم عليها السلام: إن الله اختارك لكثرة عبادتك وشرفك، وجعلك طاهرةً عفيفةً كريمة، وفضلك على نساء العالم.

{ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ } [آل عمران: 43]

43 – فأكثري العبادة لربك يا مریم، وداومي على طاعته والخشوع والخضوع له، واسجدي له ونزهيه، واركعي له مع الراكعين، تمهيداً لأمرٍ عظيم.

{ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُتْلُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ } [آل عمران: 44]

44 – وهذا الذي نُقصُ عليك أيها النبي من خبر زكريّا ويحيى ومریم، هو من علم الغيب الذي نُوحيه إليك، فما كنت تعلم هذا من قبل، وما كنت لدى القائمین على الكنيسة لتعرف ما الذي جرى بينهم من كلامٍ وخصومةٍ واقتراعٍ فيمن يكفل مریم بعد أن وفّت أمها بندرها ووضعتها هناك، وذلك لرغبتهم في الأجر، حتى قدر الله أن يكفلها زكريّا عليه السلام، كبيرهم وسيدهم.

{ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } [آل عمران:45]

45 - وهذا هو الأمر الجليل الذي فاتحت به ملائكة الله مريم عليها السلام، فقالوا لها: إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بولدٍ تَلِدِينَهُ بأمرٍ من الله وكلمةٍ منه، هي "كُنْ"، فيكون. اسمه المسيح عيسى بن مريم، نسبةً إلى أمه الصديقة، فلا أب له. وسيكون ذا وجاهةٍ ومكانةٍ عند الله في الدنيا والآخرة، فيجعلُهُ نبياً عظيماً من أولي العزم من الرسل، ويُنزَلُ عليه كتاباً جليلاً هو الإنجيل، وكذا سيكون في الآخرة ذا منزلةٍ عند ربه، فيشفعُ عنده لمن يأذن له به، ويقبلُ منه، وسيكون مُقرباً عند الله مع سائر إخوانه النبيين عليهم الصلاة والسلام.

{ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ } [آل عمران:46]

46 - ويتكلم مع الناس وهو طفلٌ صغيرٌ في المهد، في معجزةٍ من الله له، ويدعوهم إلى عبادة الله وحده، كما يفعل ذلك وهو كهلٌ كبير، بما يُوحى إليه ربه، ويكون من الصالحين المقبولين عند الله.

{ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى
أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [آل عمران:47]

47 - قالت العفيفة الطاهرة مريم: يا رب، وكيف يكون لي ولدٌ ولم يقرني رجلٌ؟ فقالت لها الملائكة عن الله تعالى: هكذا أمر الله، لا يعجزه شيء، فهو يخلق ما يشاء كيفما شاء، وفي أي وقتٍ شاء، وإذا أراد شيئاً فإنما يخلقُ بقوله "كُنْ"، ولا يتأخر. وتتأكد مريم من قدرة الله، وتزول حيرتها، ويطمئن قلبها.

{ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ } [آل عمران:48]

48- ويعلم الله المسيح عيسى الكتابة، ويؤتيه الحكمة، فيدرِكُ الصواب ويتبعه، ويضع الأمور في مواضعها، فيكون من العقلاء الأسوياء الألباء، كما يعلمه التوراة التي أنزلت على

موسى عليه السلام، والإنجيل الذي نزلّه عليه، وكان يحفظهما، والتوراة كانت أساس الدين الذي دعا إليه، والإنجيل تكملة وإحياء لها، مع مخالفة بعض الأحكام وتعديل فيها، وهي قليلة.

{ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [آل عمران:49]

49- ويجعله رسولا إلى بني إسرائيل، ويقول لهم مبيّنا ما أيده الله به من المعجزات الباهرات: إنّي قد أتيتكم بعلامةٍ ودليلٍ من ربكم لتعلموا أنّي رسول الله إليكم، فأصوّر لكم من الطين شكل طير، ثمّ أنفخ فيه فيطير في السماء، كما ترونه عيانا، بإذن الله وقدرته. وأشفي الأعمى فيصبح مبصرا.

وأشفي المبتلى بالبرص، وهو بياضٌ يُصيبُ الجسدَ لمرض. وأُحيي الموتى بإذن الله.

وقد أيّد الله عيسى بمعجزاتٍ تُناسبُ عصره، فكان في وقت انتشار الطبّ وأهله، فجاء بما يُعجزهم ويُبهر عقولهم، لئلا يكون لأحدٍ حجةٌ في عدم تصديقه. قال: وأخبركم بما تأكلونه في وقتكم. وما تُخبئونه في بيوتكم لعدكم. وكلّ هذا حجةٌ بالغةٌ ودليلٌ على إرسالي إليكم، إذا كنتم مؤمنين. وإنّ الذي قدر كلّ هذا على يد عبده له، لا يُعجزه أن يخلق واحداً مثلي من دون أب، فهو على ما يشاء قدير، فأمنوا بما هو حقٌّ ولا تتجاوزوه.

{ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا } [آل عمران:50]

50- وأرسلت إليكم لأصدق ما في التوراة وأحيي ما بها من أحكام، ولأجلّ لكم بعض ما حرّم عليكم، وجئتكم بآياتٍ معجزاتٍ تشهد بصحة إرسالي إليكم، فالتزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته، وأطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه.

{ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } [آل عمران: 51]

51- والله ربِّي وربُّكم، فكِلانا نَخضعُ لهُ بالعبوديَّة والطَّاعة، فاثبتوا على عبادته وطاعته، فإنَّه الطريقُ الصَّحيحُ الذي يُقيمُ عليه المؤمنون المتَّقون.

{ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ } [آل عمران: 52]

52- فلما استشعرَ نبيُّ الله عيسى منهم الإصرارَ على الكفرِ والمضيِّ في الضلال، وأزادوا قتله، قال للنَّاس: مَنْ يَتَّبِعني في دينِ الله ويُناصِرني في الدعوةِ إليه؟ فقالَ الحواريُّون، وكانوا صَفوةَ بني إسرائيل: نحنُ أعوانُ دينِ الله ورسوله، نُؤازِرُكَ ونُصِرُكَ، فقد آمنَّا بالله ربِّنا، وبك رسولاً، فاشهدْ على أنَّنا استسلمنا لأمرِ الله، وأخلصنا لهُ الدِّين.

{ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ } [آل عمران: 53]

53- اللهمَّ إنَّنا آمنا بما أنزلتَ من كتاب، واتبَعنا رسولَكَ عيسى بنَ مريمَ فيما يأمرُ وفيما ينهى، فاكْتُبنا عندكَ من الشَّاهدينَ مع أُمَّةِ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، فإنَّهم شُهداءُ على النَّاس.

{ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرًا اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ } [آل عمران: 54]

54- وتحرَّكتِ الطَّائفةُ الكافِرةُ المعاديَّةُ لعيسى عليه السلام لتقتلهُ غيلةً، بعدَ اتِّهامه بالكذبِ والشَّعوذة، وقذفِ والدته الطَّاهرةِ بالرِّنا، ووشوا به إلى الملك... ولكنَّ الله أبطلَ حيلهم في الوصولِ إليه، والله أقواهم مكرًا، وأنفذهم كيدًا، وأحكَّمهم تدبيرًا، وأقدرهم على الانتقام. قالَ البغوي: والمكرُ لدى المخلوقين: الحُبُّ والحديعةُ والحيلة، والمكرُ من الله: استدراجُ العبدِ وأخذُه بَعْتَةً من حيثُ لا يعلم... وقال ما معناه: ومكرُ الله تعالى بهم في هذه الآية هو إلقاءُ الشُّبُهةِ على صاحبهم الذي أرادَ قتلَ عيسى عليه السلام حتَّى قُتل!

{ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَاطَ الَّذِي فِي يَمِينِي وَارْتَدِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ وَمُطَهِّرْكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } [آل عمران:55]

55- وقد قال الله لنبِيِّه عيسى: سألقِي النَوْمَ على عَيْنِكَ وأرْفَعُكَ إِلَيَّ، وأُخْرِجُكَ مِنْ بَيْنِ الْكُفْرَةِ الَّذِينَ أَرَادُوا قَتْلَكَ وَأُنْجِيكَ مِنْهُمْ، وسَأَجْعَلُ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَّبِعُونَكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْيَهُودِ؛ وَسَوْفَ يَتَّبِعُونَ ظَاهِرِينَ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَعِنْدَمَا تَرْجِعُونَ إِلَيَّ فِي يَوْمِ الْبَعْثِ، سَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، وَأَبَيُّنَ لَكُمْ الْحَقَّ فِيهَا، وَأُظْهِرُ مَنْ أَفْسَدَ مِنْهُمْ الدِّينَ وَحَرَّفَهُ وَكَفَرَ بِهِ، وَمَنْ حَافِظَ عَلَيْهِ وَاتَّبَعَ أَوْامِرَ أَنْبِيَائِي وَتَعَالِيمَهُمْ فَأَمِنَ وَالتَّزَمَ.

{ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } [آل عمران:56]

56- فَأَمَّا مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ فَسَأَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا مُوجِعًا جَزَاءَ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وكان هذا حال اليهود الذين كفروا بالمسيح عليه السلام، فحُورُوا بِالْقَتْلِ وَالسِّيِّ وَالذُّلِّ، وَفِي الْآخِرَةِ مَصِيرُهُمُ النَّارَ. وَلَنْ يَفْقِدَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَنْ يَمْنَعَهُمْ وَيُخَلِّصَهُمْ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

{ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } [آل عمران:57]

57- وَأَمَّا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَاتَّبَعَ إِيمَانَهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ كَمَا يَفْعَلُ الْمُؤْمِنُونَ، فَسَوْفَ يُعْطِيهِمُ اللَّهُ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ كَامِلًا، فِي الدُّنْيَا بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ. وَاللَّهُ يَبْغِضُ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يُؤَثِّرُونَ الْعَيَّ وَالضَّلَالَ عَلَى الْإِيمَانِ وَالهُدَى، وَلَنْ يَرْحَمَهُمْ.

{ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ } [آل عمران:58]

58- وهذا الذي قَصَصناهُ عليكِ مِنْ شَأْنِ عيسى عليه السلام، هو مِنْ وحيِ الله إليك،
ومِنْ كلامِهِ المحْكَمِ الذي لا يتطرَّقُ إليه الشكُّ والحلل.

{ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [آل عمران:59]

59- إِنَّ مَثَلَ قُدْرَةِ اللَّهِ فِي خَلْقِ عِيسَى مِنْ غَيْرِ أَبِي، هُوَ كقُدْرَتِهِ عَلَى خَلْقِ آدَمَ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَلَا أُمِّ، فَقَدْ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ، وَقَالَ لَهُ كُنْ آدَمَ، فَكَانَ، وَالَّذِي خَلَقَ آدَمَ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ عِيسَى بِطَرِيقِ أَوْلَى، فَإِنْ كَانَ هَذَا لَهُ وَالِدَةٌ، فَذَلِكَ لَيْسَ بِذِي وَالِدَةٍ وَلَا وَالِدٍ. وَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا أَنْ يُظْهِرَ قُدْرَتَهُ لِحَلْقِهِ، عَلَى غَيْرِ مِثَالِ سَابِقٍ فِي الْخَلْقِ مِنَ الذَّكْرِ وَالْأُنْثَى.

{ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } [آل عمران:60]

60- إِنَّهُ الْقَوْلُ الْعَدْلُ، وَالْبُرْهَانُ الْحَقُّ، وَالِدَلِيلُ الْقَوِيمُ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ الْخَالِقِ الْمَصُورِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَهُوَ الْقَوْلُ الْحَقُّ الَّذِي لَا ثَانِيَ لَهُ فِي أَمْرِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، وَمَا سِوَاهُ ضَلَالٌ، فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يَشْكُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

وهو مِنْ أَسْلُوبِ التَّشْيِيتِ عَلَى الْحَقِّ، وَلِيَعْرِفَهُ الْمُسْلِمُونَ وَمَنْ أَرَادَ الْإِيمَانَ، فَمَا كَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاكًّا فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

{ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ } [آل عمران:61]

61- جَاءَ وَفْدٌ مِنْ نِصَارَى بَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجَادِلُونَهُ فِي شَأْنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّهُ اللَّهُ، أَوْ ابْنُهُ، أَوْ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْآلِهَةِ، فَلَمْ يُسَلِّمُوا، وَلَمْ يَقْتَنِعُوا بِمَا أوردَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حُجَجٍ وَأَدَلَّةٍ عَلَى أَنَّهُ نَبِيٌّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْمِبَاهَلَةِ، كَمَا فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ:

فإذا جادلَكَ علماءَهُمْ وخاصَموكَ في شأنِ عيسى وأمه، بعدما عَلِمْتَ مِنْ أمرِهِ وَسَمِعُوا مِنْكَ ذلكَ، ولم يَرْجِعُوا عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ ضلالٍ، فقلْ لَهُمْ: هَلُمَّ بنا فليَدْعُ كُلُّ مَنْا نَفْسَهُ وَأبناءَهُ ونِساءَهُ، ثُمَّ نَبْتَهِلْ جَمِيعاً وَتَنْضِرْ عِلى اللَّهِ لِيَجْعَلَ لَعْنَتَهُ عِلى الكاذِبِينَ مَنْا وَمِنْكُمْ في أمرِ عيسى.

فقالوا: حَتَّى نَرْجِعَ وَنَنْظُرَ في أمرِنا ثُمَّ نَأْتِيكَ عَداً.

وفي العَدِ أَخَذَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِ عَلِيِّ وَفاطِمَةَ والحَسَنِ والحُسَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعاً، وَنادَى كَبِيرِي وَفَدِ النصارى "السَّيِّدَ" و"العاقِبَ" لِيَحْضُرُوا المِباهِلَةَ، يَعْنِي المِلاَعَنَةَ، فلم يَسْتَجِيبوا، وَرَضُوا بِإِعطائِ الجِزِيَةِ. وَخَبِرُ المِباهِلَةَ في صَحيحِ البُخاريِّ.

{ إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [آل

عمران:62]

62- وهذا الذي قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ يا نَبِيَّ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لا شَكَّ فِيهِ، وَليس أكاذيبَ النصارى وافْتِراءاتِهِمْ، فاللَّهُ واحِدٌ أَحَدٌ لا شَرِيكَ لَهُ، لا ابْنَ لَهُ ولا أَبَ، فلم يَلِدْ ولم يُؤَلَدْ، وَهُوَ العَزِيزُ القادِرُ عِلى كُلِّ شَيْءٍ، الْحَكِيمُ العالِمُ، لا أَحَدٌ يُشارِكُهُ في القُدْرَةِ والحِكمَةِ حَتَّى يُشارِكُهُ في الألوهيَّةِ.

{ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ } [آل عمران:63]

63- فإذا أَعْرَضُوا عَنِ التَّوْحِيدِ وَأَبَوْا إِلاَّ الإِشْرَاقَ، بَعْدَ مُعايِنَةِ كُلِّ الحُجَجِ والبراهينِ، فَإِنَّهُمْ بِذلكَ قَدْ أَفْسَدُوا فِطْرَتَهُمْ، فَفسَدَ بِذلكَ عِلْمُهُمْ، وَصارَتْ قُلُوبُهُمْ سَواداً مُغْلَقَةً، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِهِمْ وَبِجَنائَتِهِمْ هَذِهِ، لا يَفوتُهُ شَيْءٌ مِمَّا فَعَلُوهُ وَأورثُوهُ مِنَ الضلالِ، وَسَيَحْزِيهِمْ شَرُّ الجِزاءِ عِلى ذلكَ.

{ قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكمُ أَلا نَعْبُدُ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }

[آل عمران:64]

64- وَقُلْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ: تَعَالَوْا يَا أَهْلَ الْكِتَابِ، مِنْ يَهُودٍ وَنَصَارَى وَغَيْرِهِمْ، تَعَالَوْا إِلَى أَمْرِ عَادِلٍ مُنْصِفٍ، يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، وَنَكُونُ فِيهِ أَسْوِيَاءَ، لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ الرَّسُلُ وَالْكِتَابُ الْمُنَزَّلَةُ: وَهُوَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ، وَلَا نُشْرِكَ فِي عِبَادَتِهِ رَجُلًا وَلَا صَنَمًا، وَلَا نَارًا وَلَا صَلِيبًا، وَلَا أَيَّ شَيْءٍ يُكَدِّرُ الْإِخْلَاصَ فِي تَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَأَلَّا يُطِيعَ أَحَدٌ مِّنَّا عَبْدًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ مَهْمَا كَانَ شَأْنُهُ، فَلَا يَسْجُدُ أَحَدُنَا لغيرِ اللَّهِ، وَلَا نُطِيعُ الْأَحْبَارَ وَالْعُلَمَاءَ فِيمَا أَحَدَثُوا مِنْ تَحْلِيلٍ وَتَحْرِيمٍ لَمْ يَشْرَعَهُ اللَّهُ... فَإِذَا أَعْرَضُوا عَنْ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْمُنْصِفَةِ، فَقُولُوا أَنْتُمْ لَهُمْ: اشْهَدُوا بِأَنَّنا مُسْتَمْرُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ، وَمُخْلِصُونَ فِي تَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ.

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } [آل عمران: 65]

65- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ، لِمَ يَدَّعِي الْيَهُودُ مِنْكُمْ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ مِنْهُمْ، وَلِمَ يَدَّعِي النَّصَارَى أَنَّهُ مِنْهُمْ، كَيْفَ تَدَّعُونَ ذَلِكَ وَقَدْ كَانَ زَمَنُهُ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ التَّوْرَةُ عَلَى مُوسَى، وَقَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ الْإِنْجِيلُ عَلَى عِيسَى، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ هَذِهِ دَعْوَى مُخَالِفَةً لِلْعَقْلِ؟ أَلَا تَفَكَّرُونَ فِي ذَلِكَ؟

{ مَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِحْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [آل عمران: 66]

66- لَقَدْ تَحَادَلْتُمْ فِيمَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ مِنْ كُتُبٍ مُحَرَّفَةٍ تَعْلَمُونَ مَا فِيهَا، فَمَا بِالْكُمْ تَتَكَلَّمُونَ فِيمَا لَا عِلْمَ لَكُمْ بِهِ وَلَا تَعْرِفُونَهُ. وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ بِذَلِكَ، فَهُوَ مِمَّا مَضَى مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَهُ.

{ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [آل عمران: 67]

67- وَالْحَقُّ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ مَا كَانَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا، وَلَكِنَّهُ كَانَ مُسْلِمًا، مَائِلًا عَنْ كُلِّ مِلَّةٍ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا كَانَ مُشْرِكًا مِثْلَكُمْ.

{ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ } [آل عمران: 68]

68- وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِاتِّبَاعِ إِبْرَاهِيمَ هُمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ عَلَى نَهْجِهِ وَاحْتَكَمُوا إِلَى سُنَّتِهِ، وَهَذَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَلْتَقِي مَعَهُ فِي الدِّينِ الْحَقِّ، ثُمَّ الَّذِينَ آمَنُوا، الَّذِينَ يَلْتَقُونَ جَمِيعًا عَلَى التَّوْحِيدِ. وَاللَّهُ نَاصِرُ الْمُؤْمِنِينَ بِرَسُولِهِ.

{ وَذَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } [آل عمران: 69]

69- لَقَدْ حَسَدْتُمْ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِأَنَّهُمْ يَكْرَهُونَ لَكُمْ الْهُدَايَةَ، وَأَبْغَضْتُمْ يَهُودَ وَوُدُّوا لَوْ كُنْتُمْ ضَالِّينَ مُنْحَرِفِينَ، وَبَدَلُوا جُهُودَهُمْ لِأَجْلِ إِضْلَالِكُمْ، وَكَادُوا وَدَسُوا وَجَادَلُوا وَلَبَّسُوا لِإِغْوَائِكُمْ، وَلَكِنَّ وَبَالَ ذَلِكَ يَعُودُ عَلَيْهِمْ، فَهَمْ يُوقِعُونَ أَنْفُسَهُمْ بِذَلِكَ فِي الضَّلَالِ، غَيْرَ شَاعِرِينَ أَنَّهُمْ يَمْكُرُونَ بِأَنْفُسِهِمْ.

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ } [آل عمران: 70]

70- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ، لِمَ تَرُدُّونَ الْحَقَائِقَ وَهِيَ وَاضِحَةٌ تَمَامًا؟ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ صِدْقَهَا، لِمَ تَنْبِدُونَ الْأَدْلَةَ بَعْدَ أَنْ تَحَقَّقْتُمْ أَنَّهَا كَافِيَةٌ وَدَامِغَةٌ؟

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [آل عمران: 71]

71- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ، لِمَاذَا تُخْفُونَ مَا فِي كُتُبِكُمْ صِفَةَ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ لِمَاذَا تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَتَخْلِطُونَهُ بِالْبَاطِلِ وَتُضَيِّعُونَهُ عَنْ عَمْدٍ وَقَصْدٍ وَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَهُ جَيِّدًا؟

{ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَانْكُفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [آل عمران: 72]

72- ومن أساليب أهل الكتاب في الكيد للإسلام وأهله، أن قالت جماعة منهم، ليلبسوا بذلك على ضعيفي الإيمان ويردوهم عن دين الإسلام: أظهروا الإيمان في أول النهار، وارجعوا عنه في آخره، فلعل بعض الذين آمنوا يرتدون معكم، ويقولون: إن اليهود عندهم علم، وإنهم رجعوا إلى دينهم لاطلاعهم على نقص وعيب في دين المسلمين، وبذلك تقع بلبلة واضطراب في صفهم وعقيدة ناس منهم!

{ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } [آل عمران: 73]

73- ويقولون: لا تتقوا إلا بأهل دينكم، ولا تطمئنوا إلا لمن اتبع دينكم، ولا تظهروا أسراركم إلا لجماعتكم.

قل أيها النبي الكريم: إن الطريق الصحيح والهدى القويم هو ما أنزله الله على رسوله في فرقانه، ولا يهدى إليه إلا من ابتغى الحق وأخلص في التوجه إليه. ويقولون: لا تظهروا ما عندكم من العلم الذي يؤيد دينهم، فيعرفوا ذلك ويتخذوه حجة ضدكم عند الله يوم القيامة، بالشهادة عليكم! فقل لهم: إن الأمور كلها بيد الله، وهو صاحب الفضل والمنة، والكرم الواسع، والنعم العظيمة، فيعطيها من يشاء ويمنعها من يشاء.

{ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [آل عمران: 74]

74- وهو سبحانه يخلص من يشاء من عباده برحمته، وقد خص المؤمنين بفضل كبير عندما جعلهم على ملة خليله إبراهيم عليه السلام، وعلى دين أحب خلقه إليه محمد صلى الله عليه وسلم. وهو ذو إحسان كبير وفضل عميم، وسعت رحمته كل شيء!

{ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ فَإِمَّا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [آل عمران: 75]

75- وهناك من أهل الكتاب من إذا ائتمنته على مبلغ مهما كان كثيراً فإنه يرده إليك بأمانة، لا ينقص منه شيئاً، ومنهم من إذا ائتمنته على مبلغ قليل يجحدّه ولا يرده إليك، إلا إذا لازمته بالمطالبة وكثرتها عليه، وهذا لأنهم قالوا إنه لا حرج علينا أن نعشّ ونلدسّ ونأكل أموال العرب، وأن دينهم يسمّح لهم بذلك. وهذا من خلق اليهود، وهم يتعاملون بهذا مع كل من لم يكن يهودياً وليس مع العرب وحدهم. وقد كذبوا على الله وعلى كتابه، وهم يعلمون ذلك، فإن الله لا يأمر بالفحشاء، ولم يُجلّ لأحد أن يأكل مال آخر بالباطل، وإنما اليهود هم الذين اختلقوا هذا القول، وهم أهل زور وبهتان.

{ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } [آل عمران: 76]

76- نعم، إن أهل الوفاء بالعهد والتقى هم الذين يحبهم الله تعالى، لا غيرهم. ولو وفى أهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة في أمر دينهم، فإنهم يكتسبون بذلك محبة الله، وإذا وفوا بالعهود، فإن أبرزها وأكدها هو ما أخذ الله عليهم في كتابهم من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم. وتقواهم هو ترك الخيانة، وعدم الكذب على الله، وتجنب تحريف التوراة.

{ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [آل عمران: 77]

77- إن الذين يستبدلون بما عهد الله إليهم، من الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم، وبما حلفوا به من قولهم: "والله لنؤمننّ به ولننصُرَنّه"، يستبدلون بهذا أثماناً زهيدةً من حطام الدنيا وعروضها الزائلة، فيخونون العهد مقابل ذلك ويعدرون بالأمانة، فهؤلاء لا نصيب لهم في نعيم الآخرة، ولا يكلمهم الله بشيء يسرهم، ولا ينظر إليهم نظر رحمة يوم الحساب، ولا يُنبي عليهم، ولا يطهرهم من آثامهم وذنوبهم المترامية، بل يُعرض عنهم ويسخط عليهم ويُغذف بهم إلى النار ليعذبوا فيها.

والآية عامة في هذا وغيره، فقد ورد في الصحيح أنها نزلت فيمن يَحْلِفُ بالله على شيءٍ ولا يُبالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا مَالاً وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ". فأنزل الله تصديق ذلك، كما رواه ابن مسعود رضي الله عنه في صحيح البخاري وغيره.

{ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [آل عمران:78]

78- وإنَّ هناك جماعةً من أهل الكتاب، وكانوا يهوداً، يميلون عن المنزل إلى المحرف من الكتاب، بتحريف اللفظة في حركات الإعراب تحريفاً يتغيَّرُ به المعنى، إمعاناً في التزييف، أو تأويلاً للنصوص وليها؛ لتوافق أهواءهم، وليوهموا الجهلة أنَّه حكم الله في كتابه، وليس هو من عند الله، بل هم كاذبون مُفترِّون، وهم يعرفون ذلك ويتعمَّدونه.

{ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ } [آل عمران:79]

79- هذا ردُّ لمن ذكر أنَّ النبيَّ يُعبد، سواءً ما ذُكِرَ من أنَّ النصارى قالوا ذلك في عيسى بن مريم من أنَّه أمرهم بعبادته، أو أنَّ بعضاً منهم جاء مُستفسراً من النبيِّ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ما إذا كان يدعوهم لعبادته كعبادة عيسى عليه السلام! قال تعالى ما معناه: لا ينبغي لإنسان أنزل الله عليه الكتاب الناطق بالحق، الذي فيه أمر بتوحيد الله وإخلاص العبادة له، وآتاه عقلاً وفهماً، وأوحى إليه وجعله نبياً، ثم يقول هذا الإنسان، وهو بشرٌ من عباد الله: كونوا أيها الناس عباداً لي لا عباداً لله، أو أشركوني بالعبادة معه. فهذا لا يصلح لنبيِّ قوله، ولا لأحدٍ من الناس، فإنَّ العبادة ليست للعباد، وإنما هي لخالق العباد وحده. لكنَّ الحقَّ أن يقول هذا النبيُّ للناس: كونوا حكماً علماء حُلماء، مُتمسكين بطاعة الله ودينه، بمتابعتكم ومثابرتكم على تعليم الكتاب وقراءته وحفظه.

{ وَلَا يَأْمُرْكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَوْلِيَاءَ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

[آل عمران: 80]

80- وأن يقول النبي للناس أيضاً: إن الله لا يأمركم قط أن تعبدوا ملائكة ولا أنبياء، يأمركم النبي بعبادة غير الله وهو كفر، والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان والإخلاص في العبادة، وهو ما دعاكم إليه نبيكم أيها المسلمون، من عبادة الله وحده لا شريك له؟

{ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ }

[آل عمران: 81]

81- وقد أخذ الله العهد والميثاق من كل نبي بعثه، من لذن آدم وحتى عيسى عليه السلام: إنني إذا أنزلت عليكم الكتاب، وآتيتكم الحكمة، ومهما بلغتكم من درجة في العلم، ثم جاءكم رسول من بعد، فإن عليكم أن تؤمنوا به وتتبعوه وتنصروه، ولا يمنعونكم ما أنتم عليه من النبوة والعلم من أتباعه ونصرتيه.

وقال لهم سبحانه: أوافقتم على الذي طلبته منكم وأخذتم على ذلك عهدي وميثاقي الشديد المؤكد؟ قالوا: أقرنا بذلك ووافقنا عليه.

قال سبحانه ما معناه: فليشهد بعضكم على بعض بهذا الإقرار، وأنا أشهد أيضاً على إقراركم.

وهو المطلوب من أتباعهم أيضاً، فإن كل نبي كان يوصيهم بذلك، ليتبعوا النبي التالي له.

{ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }

[آل عمران: 82]

82- فمن أعرض عن ذلك كله بعد أخذ الميثاق والتأكيد بالإقرار والشهادة، فإهم فاسقون خارجون عن الطاعة.

{ أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ } [آل عمران: 83]

83- وهل هؤلاء المعرضون يريدون ديناً غير دين الله، وهو الذي استسلم له كل من في السماوات والأرض، مختارين وكارهين، فإنهم جميعاً، مؤمنهم وكافرهم، تحت سلطان الله العظيم وقضائه الذي لا يُردّ، ومصيرهم جميعاً إليه في يوم المعاد، فيجازي كلاً بعمله.

{ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [آل عمران: 84]

84- قل أنت أيها الرسول ومن معك من المؤمنين: آمنّا بالله وحده، وبالقرآن الذي أنزله علينا، وبما أنزله على أنبيائه: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، وهم بطون من أولاد يعقوب عليه السلام، من صُحُفٍ ووحي، وما أُوتِيَهُ موسى، وهو التوراة، وعيسى، وهو الإنجيل، وما أُوتِيَ كلُّ الأنبياء من ربهم من كتبٍ ومُعْجَزَاتٍ، لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، فنؤمن بهم جميعاً، وليس مثل أهل الكتاب الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض. ونحن مُسْتَسْلِمُونَ لأمر الله وحُكْمِهِ، مُخْلِصُونَ في عِبَادَتِنَا لَهُ، نُطِيعُهُ فيما أمر، وننتهي عما نهى، ونؤمن بجميع ما طلب منا الإيمان به.

{ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [آل عمران: 85]

85- ومن يسلك غير دين الإسلام طريقاً ومنهجاً، من مذهبٍ أو دينٍ أو فكرةٍ أو نظام، فإن الله لن يقبل منه، فلا عبرة بما تُريده أهواء البشر، وإنما يكون الاعتقاد والعمل بما يُشَرِّعُهُ ربُّ البشر، فمن أبى وتخلَّ غير دين الله، فإن الله لن يقبل منه، وسيكون من الخاسرين، حيث ينتظره العذاب المقيم، لرفضه الحق المبين، ولتفضيله الضلال على الهداية.

{ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [آل عمران: 86]

86- وكيف يَهْدِي اللهُ قوماً إلى الحقِّ وقد ارتدُّوا عن الإسلام بعد أن آمنوا بالله وأقروا
بنبوَّة الرسولِ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم وأحقيته بالاتباع، وقامت عليهم الحجج والبراهين،
ووضَّح لهم الأمر؟ لقد ظلموا أنفسهم بارتدادهم وعودتهم إلى الضلال، وإيثارهم الغواية على
الرشاد.

{ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [آل عمران: 87]
87- فأولئك جزاؤهم الطرد من رحمة الله، فعليهم لعنة الله وملائكته والناس أجمعين.

{ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ } [آل عمران: 88]
88- وجزاؤهم الخلود في النار، لا يُخَفَّفُ عنهم العذاب ساعة، ولا هم يُمَهَّلون، فقد
مضى زمن الإمهال، وحتى لو رُدُّوا إلى الدنيا فإنهم سيعودون إلى ما نُهو عنه.

{ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [آل عمران: 89]
89- إلا من تاب إلى الله بعد رِدِّته فآمن، وحسُنَ إيمانه، وأصلح ما كان أفسد،
فصلحت أعماله، واستقام سلوكه، فإنَّ الله يقبلُ توبته، ويتفضلُ عليه فيغفرُ ذنوبه، إنَّه كثيرُ
البرِّ بعباده المؤمنين، رحيمٌ بهم، لطيفٌ معهم.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازدادوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ }
[آل عمران: 90]

90- إنَّ من كفر بعد أن هداهم اللهُ للإيمان، ثمَّ ازدادوا كُفْرًا وإصراراً، واستمروا على
ذلك إلى أن ماتوا، فإنَّ الله لَنْ يقبلَ توبتهم عند الممات، فأولئك هم الضالُّون الذين أمضوا
حياتهم في طريق الغيِّ والكفر.
ومن أمثلة زيادة الكفر رُدُّ الحجج والآيات المتتالية.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى
بِهِ أَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } [آل عمران: 91]

91- وَإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا، لَنْ يُقْبَلَ مِنْهُمْ ثَوَابٌ عَمَلٍ أَبَدًا، وَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُمْ فِدَاءٌ أَنْفُسِهِمْ، وَلَوْ كَانَ هَذَا الَّذِي يُفْتَدَى بِهِ مَا يَمَلَأُ الْأَرْضَ ذَهَبًا، فَإِنَّ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا مُوَجَّعًا، وَلَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَنْ يُعِينُهُمْ لِدَفْعِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ أَوْ تَخْفِيفِهِ.

{ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ } [آل
عمران: 92]

92- لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ، وَهُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، أَوْ ثَوَابُهُ، وَهُوَ الْجَنَّةُ، إِلَّا إِذَا أَنْفَقْتُمْ مَا تُحِبُّونَهُ مِنْ أَمْوَالٍ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ، مِنْ صَدَقَةٍ، أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الطَّاعَاتِ؛ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ. وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ كَانَتْ مَا كَانَ، صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، طَيِّبًا أَوْ خَبِيثًا، حَلَالًا أَوْ حَرَامًا، فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِهِ وَبِنِّيَاتِكُمْ فِيهِ، فَيُجَازِي كَلًّا بِحَسَبِهِ.

الجزء الرابع

سورة آل عمران (93 - 200)

سورة النساء (1 - 23)

{ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [آل عمران: 93]

93 - كلُّ الأَطعمة كانت حلالاً على بني إسرائيل، إلا ما حرَّمه إسرائيل (يعقوب) عليه السلام على نفسه، قبل أن تنزل التوراة على موسى، وربما حرَّمها لمرضٍ أو نذرٍ، فتابعته بنو إسرائيل هكذا، وليس تبعاً للتوراة، ثم حرَّمت عليهم أطعمةً لملاساتٍ أخرى؛ عقوبةً لهم على معاصيهم المتتالية.

وقل لهم يا رسول الله: هاتوا التوراة فاقرؤوها لتقرؤوا بصحة ما قلته لكم أيها اليهود، وليتبين صدق قولكم، إذا كنتم صادقين فيه.
فبهتوا، ولم يأتوا بها!

{ فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [آل عمران: 94]

94 - فَمَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وادَّعى غير ذلك⁽²¹⁾، بعدما ظهرت الحجَّة ووضح لهم الحق، فهم ظالمون غير مُنصِّفين، قد تجاوزوا الحق إلى الباطل.

{ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [آل عمران: 95]

(21) ذكر العلامة ابن عاشور، أن الافتراء هو الكذب، وهو مرادفُ الاختلاق، وكأن أصله كناية عن الكذب وتلميح، وشاع ذلك حتى صار مرادفًا للكذب. (التحرير والتنوير).

95 – قُلْ لَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ وَشَرَعَهُ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، الْمَائِلَةَ عَنْ كُلِّ شِرْكَ، الدَّاعِيَةَ إِلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، كَمَا بَيَّنَّهَا اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلِمَ يُشْرِكُ أَهْلُ الْكِتَابِ الَّذِينَ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ وَرَثَةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ} [آل عمران:96]

96 – إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِعَمُومِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ لِكِي يَعْبُدُوا رَبَّهُمْ فِيهِ، هُوَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ، الَّذِي بَنَاهُ نَبِيُّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ فِي مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ، وَضَعَهُ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ، فَكَثُرَ خَيْرُهُ، وَعَمَّ نَفْعُهُ، وَعَظُمَ ثَوَابُ قَاصِدِهِ، وَصَارَ هُدًى لَهُمْ، لِأَنَّهُ قَبِلْتَهُمْ وَتَعَبَّدَهُمْ.

{فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران:97]

97 – وَفِيهِ أَدَلَّةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى مَا شَرَّفَهُ اللَّهُ بِهِ وَعَظَّمَهُ، مِنْ ذَلِكَ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي كَانَ يَعْتَلِي فِيهِ عَلَى حَجَرٍ لِيَبْنِيَ الْبَيْتَ، وَهَذَا الْمَكَانُ مَقْصُودٌ بِالصَّلَاةِ فِيهِ. وَفِيهِ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ، وَزَمْزَمُ، وَقَصْدُهُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ، وَالْأَوْلِيَاءُ الْأَبْرَارُ. وَفِيهِ مُضَاعَفَةُ الثَّوَابِ أَوْضَاعًا كَثِيرَةً، وَقَهَرَ اللَّهُ كُلَّ جَبَّارٍ قَصْدَهُ بِسُوءٍ. وَمَنْ دَخَلَهُ فَقَدْ آمِنَ، فَلَا يُعْرَضُ لَهُ بِسُوءٍ.

وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ الْحَجَّ إِلَيْهِ مَرَّةً فِي الْعُمْرِ لِمَنْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ: صَحِيًّا، وَمَالِيًّا، وَأَمْنِيًّا، عَلَى مَا فَصَّلَهُ الْفُقَهَاءُ. فَهُوَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ.

وَمَنْ كَفَرَ بِمَا فَرَضَهُ اللَّهُ مِنَ الْحَجِّ، فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ حَجِّهِ وَعَنْ عِبَادَةِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ. وَإِنَّمَا شَرَعَ اللَّهُ الْحَجَّ لِمَا فِيهِ مِنْ ثَوَابٍ يَعُودُ عَلَى صَاحِبِهِ، فَإِنَّ "مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمَ وُلِدَتْهُ أُمُّهُ"، كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ.

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ} [آل عمران:98]

[98]

98 - قل يا نبي الله للكفار من اليهود والنصارى: يا أهل الكتاب، لماذا تكفرون بالحجج القويّة، والبراهين الجليّة التي يُنزّلها الله؟ والله شاهدٌ على صنيعكم بما تخالفون به ما نزل من الحقّ، وتُعانِدون الرّسولَ وتُحاربون رسالته.

{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُوهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِعَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } [آل عمران: 99]

99 - وقل لهم: لماذا تمنعون الناس من الإيمان، وتقفون حاجزاً بينهم وبين إرادة الحقّ، وتختارون بذلك الطريق الأعوج على الصّحيح المستقيم، وأنتم شُهَدَاءُ على صحّة آيات الله، وعلى يقين من صدق الرّسول محمّد، بما عندكم من علم، وبما ترونه ممّا يُطابق ما أتى به صلى الله عليه وسلم. والله ليس بغافلٍ عمّا تعملون، وسوف يُحاسبكم على كفركم وصدكم عن الإيمان.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ } [آل عمران: 100]

100 - أيّها المؤمنون، إنكم إذا أطعتم طائفةً من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فإنهم سيردّونكم إلى الكفر بعد أن كنتم مؤمنين، حسداً منهم على ما آتاكم الله من فضل، ومنحكم به من رسول. فلا تثقوا بهم وبمناهجهم، ولا تتلقوا عنهم ولا تقتبسوا منهم، فإنّ هذا يدلُّ على ضعف منكم وثقة بهم.

{ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [آل عمران: 101]

101 - وكيف تكفرون وأنتم ترون الآيات تنزل، والرّسول بين ظهرانيتكم يتلوها عليكم، ومُعجزاته ماثلة أمام أعينكم، فكلُّ هذا يُعِينكم على الإيمان ويُثبّتكم عليه. فالكفر بعيدٌ عنكم ما دمتم تهلون علومكم من معين الكتاب المبين، ولا تستمعون إلى أهل الكتاب

وأباطيل المفترين. وَإِنَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِجِبِلِ اللَّهِ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ حَقَّ التَّوَكُّلِ، فَإِنَّهُ يَهْدِيهِ إِلَى طَرِيقِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَيُثَبِّتَهُ عَلَيْهِ، وَيُسَدِّدُهُ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [آل عمران:

[102

102 – يا عبادَ الله المؤمنين، اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ، وَاخْشَوْهُ حَقَّ الْخَشْيَةِ، فَأَطِيعُوهُ وَلَا تَعْصُوهُ، وَاذْكُرُوهُ وَلَا تَنْسُوهُ، وَاشْكُرُوهُ وَلَا تَكْفُرُوهُ، وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَاتَّبِعُوا عَلَى هَذَا، وَحَافِظُوا عَلَى إِسْلَامِكُمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ، لَتَمُوتُوا عَلَيْهِ، فَإِنَّ مَنْ ثَبَّتَ عَلَى شَيْءٍ مَاتَ عَلَيْهِ، وَيُيَعَّثُ عَلَيْهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وذهب كثير من المفسرين إلى أنها منسوخة بقوله تعالى: { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } [سورة التغابن: 16]، ومن لم يقل بذلك قالوا: معناها اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنها لم تُنسخ، ولكن { حَقَّ تَقَاتِهِ } أن يُجاهدوا في سبيل الله حَقَّ جِهَادِهِ، وَلَا يَأْخُذْهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، وَيَقُومُوا لِلَّهِ بِالْقِسْطِ، وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَبَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ.

{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [آل عمران: 103]

103 – وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ اللَّهِ وَالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْكُمْ، الَّذِي بِهِ هُدِيتُمْ، وَكُنُوا جَمِيعًا إِخْوَةً مُجْتَمِعِينَ مُتَحَابِّينَ، وَلَا تَخْتَلِفُوا مِثْلَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَتَتَفَرَّقُوا وَتَتَبَاعَضُوا، وَاذْكُرُوا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ عِنْدَمَا كُنْتُمْ أَعْدَاءً يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي حُرُوبٍ مُسْتَمِرَّةٍ، فَجَمَعَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ بِهَذَا الدِّينِ الْحَقِّ، فَصِرْتُمْ بِفَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا مُتَأَلِّفِينَ، يَنْصُرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَيَعْطِفُ عَلَيْهِ وَيَرْحَمُهُ، بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ عَلَى وَشَكِّ الدُّخُولِ فِي النَّارِ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ، فَأَنْقَذَكُمْ اللَّهُ بِهَذَا الدِّينِ وَهَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ، وَأَنْقَذَكُمْ مِنَ النَّارِ، وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ دَلَائِلَهُ لِتَثْبُتُوا عَلَى الْهِدَايَةِ، وَتَزِدَادُوا إِيْمَانًا.

{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُقْلِحُونَ} [آل عمران:104]

104 – ولتكن من بينكم فرقة أو جماعة تدعو إلى الخير، وتنهى عن الشر، وتأمروا بالفضيلة والحق والعدل، وتنهى عن الرذيلة والباطل والظلم. وهي مهمة ليست يسيرة، حيث الاصطدام بطبائع ناسٍ ورغائبهم ومنافعهم ومصالحهم. ومن قام بهذا التكليف فهو من المفليحين الفائزين.

قال ابن كثير: والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم، عن أبي هريرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان".

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ} [آل عمران:105]

105 – ولا تكونوا مثل الأمم السابقة، كأهل الكتاب وغيرهم، الذين تفرقوا واختلَفوا، على الرغم من قيام الحجّة عليهم، وبيان الأدلة عندهم، فكان مصيرهم في الدنيا الهزيمة والذل، والفتنة والتقاتل، وسيكون عاقبتهم يوم القيامة عذابٌ عظيمٌ جزاء إعراضهم عن دين الله الحق، فلا تكونوا مثلهم، لئلا يُصيبكم ما أصابهم.

{يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [آل عمران:106]

106 – في يوم القيامة تبيضُ وجوه أهل الإيمان والخير، وتُشرقُ بالنور، وتبيضُ بالبهجة والسُرور، ووجوه أهل الكفر والنفاق تسودُّ كالحية وكثيبة من الحزن والهَمِّ والغم. ويُقال للمنافقين المرتدين أهل الكفر والنفاق، الذين اسودَّت وجوههم: أكفرتُم بعد أن دُقتُم حلاوة الإيمان وعرفتُم الحق؟ إذا فذوقوا العذاب جزاء كفركم وتفضيلكم الباطل على الحق!

{ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [آل عمران: 107]
107 – وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ مُسْتَبْشِرَةٌ بِالْخَيْرِ، فَهُمْ فِي جَنَّةِ اللَّهِ خَالِدُونَ، فِي فَرَحٍ وَسَعَادَةٍ لَا تَنْقَطِعُ.

{ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ } [آل عمران: 108]
108 – وَتِلْكَ الْأُمُورُ حُجَجٌ وَبَرَاهِينٌ، وَآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، نُنَزَّلُهَا عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، لِيَكُونَ النَّاسُ عَلَى حَذَرٍ فِيمَا يَأْتُونَ وَمَا يَذَرُونَ، وَلَا يُرِيدُ اللَّهُ ظُلْمًا لَهُمْ، فَهَوَ الْحَكْمُ الْعَدْلُ، لَكِنَّهُمْ إِذَا ظَلَمُوا وَكَفَرُوا فَإِنَّهُمْ يُلْقُونَ بِأَنْفُسِهِمْ إِلَى الْهَلَاكِ.

{ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ } [آل عمران: 109]
109 – وَلَيْسَ اللَّهُ بِحَاجَةٍ إِلَى طَاعَةِ أَحَدٍ، وَلَا يَزِيدُ شَيْئًا فِي مُلْكِهِ أَوْ يَنْقُصُ مِنْهُ إِذَا أَعْطَى أَوْ مَنَعَ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ وَاسِعُ الْمَلِكِ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَكُلُّ الْأُمُورِ صَائِرَةٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ حَاكِمُهَا وَمُصَرِّفُهَا. فليُفَكِّرِ الْإِنْسَانُ بِمَصِيرِهِ، وَلِيُطِيعِ اللَّهَ حَتَّى يُفْلِحَ وَيَلْقَى الْجَزَاءَ الطَّيِّبَ.

{ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ } [آل عمران: 110]

110 – كُنْتُمْ يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ خَيْرَ الْأُمَّةِ وَأَفْضَلَهَا وَأَنْفَعَهَا لِلنَّاسِ، حَيْثُ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْخَيْرِ، وَتَنْشُرُونَ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ، وَتَحْتُونُ عَلَى الْفَضَائِلِ وَالْآدَابِ الْحَسَنَةِ، وَتَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ وَالْفَوَاحِشِ وَالْأَخْلَاقِ الْمُسْتَرْدَلَةِ، وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، فَتَعْبُدُونَهُ وَلَا تُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا. وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى آمَنُوا مِثْلَكُمْ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاهْتَدَوْا إِلَى الْحَقِّ، وَبَدَّوْا الشِّرْكَ وَالْكَفْرَ، لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَجْتَهُمْ، وَلَكِنَّ قَلِيلًا مِنْهُمْ فَعَلَ ذَلِكَ، وَبَقِيَ أَكْثَرُهُمْ عَلَى الضَّلَالِ وَالْكَفْرِ، مُؤَثِّرِينَ الْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَلَمْ يُفُوا بِمِيثَاقِ اللَّهِ مَعَ النَّبِيِّينَ، ثُمَّ وَصِيَّتَهُمْ لِأَمِيهِمْ بِأَنْ تَتَّبِعَ النَّبِيَّ الْأَمِيَّ وَتَنْصُرَهُ.

ذُكِرَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ } خَاصٌّ بِعَهْدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَمَّهُ آخَرُونَ، فَقَالُوا: الصَّحِيحُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ الْأُمَّةِ، كُلُّ قَرْنٍ بِحَسَبِهِ، وَخَيْرُ قُرُونِهِمُ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا حَازَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَصَبَ السَّبْقِ إِلَى الْحَيَاتِ بِنَبِيِّهَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ أَشْرَفُ خَلْقِ اللهِ وَأَكْرَمُ الرُّسُلِ عَلَى اللهِ، وَبَعَثَهُ اللهُ بِشَرِّعٍ كَامِلٍ عَظِيمٍ لَمْ يُعْطِهِ نَبِيًّا قَبْلَهُ وَلَا رَسُولًا مِنَ الرُّسُلِ.

قَلْتُ: الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ خَيْرِيَّةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُرْتَبِطَةٌ بِكُونِهَا تَامِرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُؤْمِنُ بِاللَّهِ، كَمَا فِي الْآيَةِ نَفْسِهَا، فَإِذَا لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ لَمْ تَحْزُ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

{ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ } [آل عمران: 111]

111 - لَنْ يَسْتَطِيعَ أَهْلُ الْكِتَابِ - وَخَاصَّةً الْيَهُودَ - إِحْقَاقَ الضَّرْرِ بِكُمْ، إِلَّا ضَرًّا عَارِضًا يَسِيرًا، وَإِذَا حَدَّثَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ قِتَالٌ يَنْهَضُونَ شَرَّ هَزِيمَةٍ، وَلَنْ يَنْتَصِرَ لَهُمْ أَحَدٌ، وَلَنْ يَجِدُوا مَعُونَةً تُنْقِذُهُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ.

وَكَانُوا كَذَلِكَ، فَقَدْ أَذَلَّ اللهُ الْيَهُودَ وَنَصَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ، وَانْهَزَمَ النَّصَارَى فِي بِلَادِ الشَّامِ وَغَيْرِهَا، وَسَيَكُونُ النَّصْرُ لِلْمُسْلِمِينَ مَا دَامُوا مَتَمَسِّكِينَ بِشَرِّعِ اللهِ، رَافِعِينَ رَايَةَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ.

{ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } [آل عمران: 112]

112 - لَقَدْ أَلْزَمَهُمُ اللهُ الذَّلَّةَ وَالْمَهَانَةَ أَيَّمَا كَانُوا، وَصَارَ هَذَا مُلَازِمًا لَهُمْ حَتَّى اسْتَكَنَّ فِي مَشَاعِرِهِمْ، وَلَنْ يَجِدُوا رَاحَةً وَلَا اسْتِقْرَارًا إِلَّا بِذِمَّةِ مِنَ اللهِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونُوا ذَمِيمِينَ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، يُلْزَمُونَ بِدَفْعِ الْجَزْيَةِ، أَوْ بِعَهْدٍ مِنَ النَّاسِ، كَأَمَانٍ مِنْهُمْ لَهُمْ، أَوْ مُعَاهَدَاتٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ دَوْلٍ كَبْرَى يَتَقَوَّوْنَ بِهَا.

لَقَدْ تَلَبَّسُوا بِغَضَبِ اللهِ وَالزُّمُومِ بِهِ، فَلَا يُغَادِرُهُمْ وَلَا يَنْفِكُ عَنْهُمْ. وَسَبَبُ هَذَا الذَّلِّ الْمَكْتُوبِ عَلَيْهِمْ وَالْعَضَبِ الَّذِي يُلَازِمُهُمْ، هُوَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرْفُضُونَ اتِّبَاعَ الْحَقِّ مَهْمَا كَانَ وَاضِحًا

وقويًا، ويكفرون بالحجج والمعجزات وهم يرونها عياناً، وزادوا على ذلك جريمة لا يرتكبها إلا أكبر مجرمي البشر وأشقاها، وهو قتل الأنبياء، أصفى البشر وأنقاها سريرة، وأحسنهم خلقاً، وأعظمهم قدراً، قتلوهم بدون أي مبرر، وبدون أي حق، بل هكذا سولت لهم نفوسهم السيئة وقلوبهم السوداء؛ عناداً وتكبراً وحسداً. فالذي دفعهم إلى كل هذه الجرائم هو عصيائهم المستمرة لأوامر الله، واعتداؤهم وظلمهم.

{ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ }

[آل عمران: 113]

113 – لكن ليسوا كلهم هكذا، فقد آمن منهم خلق فاستقاموا على طريق الحق، وأطاعوا شرع الله، واتبعوا نبيه، وصاروا يتلون آيات القرآن الكريم، ويقومون الليل، ويتهجّدون في تبتّل وخشوع.

{ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي

الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ } [آل عمران: 114]

114 – يؤمنون بالله الواحد الأحد، وباليوم الآخر، ويأمرون الناس بالخير والحق والعدل، وينهونهم عن الشر والأذى والظلم، ويتسابقون في الأعمال الخيرة، ويبرون إخوانهم المؤمنين، في تعاون وطاعة وتقوى، وهؤلاء هم الصالحون، الذين أتبعوا إيمانهم بالأعمال الطيبة المباركة.

{ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ } [آل عمران: 115]

115 – وكل ما يفعلونه من خير وبر وإحسان لن يُنسخوا حقه، ولن يُكفروا أجره، بل يجزيهم الله عليها أوفر الجزاء، فهو عليهم بمن اتقاه وطلب رضاه، لا يخفى عليه عمل أحد.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ

النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [آل عمران: 116]

116 – إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ حَقِّ وَخَيْرٍ وَهُدًى، لَنْ يُفِيدَهُمْ شَيْءٌ مِمَّا جَمَعُوهُ مِنْ أَمْوَالٍ، وَشَيَّدُوهُ مِنْ قُصُورٍ، وَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَوْلَادُهُمْ وَذُرَارِيَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوا عَنْهُمْ بِأَسَنِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ، وَيَكُونُ مَصِيرُهُمُ النَّارَ الْمَحْرِقَةَ، الَّتِي تَأْتِي عَلَى وُجُوهِهِمْ وَأَفْتَدَتْهُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا.

{ مَثَلٌ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ } [آل عمران: 117]

117 – إِنَّ مَثَلَ مَا يُنْفِقُ الْكَفَّارُ مِنْ أَمْوَالٍ ظَاهِرُهَا خَيْرٌ، كَمُسَاعَدَةِ إِنْسَانِيَّةٍ؛ لِمَصْلَحَةِ مَادِّيَّةٍ أَوْ غَيْرِهَا، هُوَ مَثَلُ رِيحٍ شَدِيدَةِ البرودة، فِيهَا بَرْدٌ، أَهْلَكَتْ زَرْعَ جَمَاعَةٍ قَدْ آتَى حَصَادُهُ، فَأَبَادَتْهُ، وَقَضَتْ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ ثَمَرٍ وَزَرْعٍ، بِسَبَبِ دُنُوبِ أَصْحَابِهِ وَظُلْمِهِمْ. وَكَذَلِكَ هُوَ لِلكَافِرِينَ، فَإِنَّ أَمْوَالَهُمْ وَخَيْرَاتِهِمْ إِلَى هَلَاكِ وَفَنَاءٍ، لَنْ تُفِيدَهُمْ سِوَى فِي دُنْيَاهُمْ، أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَلَا نَصِيبَ لَهُمْ مِنْهَا، فَقَدْ اِكْتَفَوْا بِجُهُودِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ لَهَا، وَلَمْ يَتَّبِعُوا الْآخِرَةَ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ، بَلْ هُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ عِنْدَمَا اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمُ الْعَيْ وَالضَّلَالَ، وَالِاِكْتِفَاءَ بِلَذَائِدِ الدُّنْيَا، فَلَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ فِي الْآخِرَةِ شَيْئًا، لِأَنَّهَا أَصَابَتْهَا بِرِيحٍ قَاتِلَةٍ، بِكَفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، فَلَمْ تُبْقِ لَهُمْ شَيْئًا لِأَخْرَجَتْهُمْ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ } [آل عمران: 118]

118 – أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا تَتَّخِذُوا بِالكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ وَأَهْلِي الكِتَابِ، وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَصْدِقَاءَ تَسْتَشِيرُونَهُمْ وَتَجْعَلُونَهُمْ مَوْضِعَ ثِقَاتِكُمْ، وَلَا تُسَرُّوا إِلَيْهِمْ بِشَيْءٍ مِنْ أَسْرَارِكُمْ، فَإِنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْكُمْ، بَلْ يَسْعَوْنَ إِلَى مُخَالَفَتِكُمْ وَمَضَرَّتِكُمْ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ جُهْدٍ وَمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُجْرِحُوا وَيُوقِعُوا فِي الْمَشْكَلاتِ لِيُؤْذِكُمْ وَيَتَّقِمُوا مِنْكُمْ، هَذَا ظَاهِرٌ مَا يُخَطِّطُونَ لَهُ، وَمَا تَفَوُّهُ بِهِ أَلَسْتُمْ بِهِمْ مِنْ حِقْدٍ وَبُغْضٍ، وَالَّذِي تُخْفِيهِ صُدُورُهُمْ مِنْ كُرْهِ وَعَدَاوَةٍ أَكْثَرُ مِمَّا

يُظهِرُونَهُ، وفي هذا البيانِ دلائلُ كافيةٌ لكم إذا أدركتموه بعقولكم⁽²²⁾؛ لئلاً تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ
أَصْدِقَاءَ، وَلَا تُؤَادُّوهُمْ، وَلَا تَفْتَحُوا لَهُمْ قُلُوبَكُمْ.

وقد نزلت الآيةُ في رجالٍ من المسلمين كانوا يواصلون رجالاً من اليهود، لما كان بينهم
من الجوارِ والحلفِ في الجاهليَّةِ، فنهوا عن مباطنتهم خوفاً للفتنةِ عليهم منهم.

**{هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ مُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا
خَلَاوَا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضِكُمْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْبَدَأَ الصُّدُورِ} [آل
عمران: 119]**

119 – وها أنتم تُحِبُّونَ المنافقينَ لأنهم يُظهِرونَ لكم الإيمانَ، وهم لا يُحِبُّونكم أبداً، بل
يترَبِّصونَ بكم الشرَّ، وينقلونَ أخباركم إلى أعدائكم ويؤادُّوهم، وتؤمنونَ بكتابِ اللهِ كلِّه، وهم
في شكٍّ منه وريبةٍ، ويصلُّونَ أمامكم أحياناً، لكنهم إذا اجتمعوا أظهرُوا غيظهم وعداوتهم
وكرههم لكم.

قولوا لهم: اكرهوا المؤمنينَ بما تقدرونَ عليه، وابقوا على هذا حتى تموتوا كمدًّا من الحنقِ
والغيظِ، فإنَّ اللهَ مُتِمُّ دينه وناصرُ عباده المؤمنينَ، وخاذلُ أعدائهم الكفارِ والمنافقينَ، وهو
عليهم بما تخفيه صدوركم من حقدٍ وغلٍّ على المسلمينَ، ولسوفَ يُجازيكم في الآخرةِ بالعذابِ
الشديدِ.

**{إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا
يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [آل عمران: 120]**

(22) إن كنتم تعقلون عن الله مواعظهُ وأمرهُ ونهيهِ، وتعرفونَ مواقعَ نفعِ ذلك منكم ومبلغَ عائدتِهِ عليكم (تفسير
الطبري).

120 - وَمَا يَبْدُو مِنْ عَدَاوَةِ الْمُنَافِقِينَ لَكُمْ، أَنَّ اللَّهَ إِذَا مَنَّ عَلَيْكُمْ بِرِزْقٍ أَوْ نَصْرٍ أَوْ فَتْحٍ، أَصَابَهُمُ الْهَمُّ وَالْغَمُّ، وَإِذَا أَصَابَكُمْ مَكْرُوهٌ كَفَّحَطِ أَوْ هَزِيمَةً، فَرِحُوا وَاسْتَبَشَرُوا، فَلَا يُحْزِنَنَّكُمْ هَذَا، وَاتَّقُوا شَرَّهُمْ بِالتَّحَلِّيِ بِالصَّبْرِ، وَالدَّوَامِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَلَنْ يَضُرَّكُمْ شَيْءٌ مِنْ مَكْرِهِمْ⁽²³⁾ إِذَا كُنْتُمْ كَذَلِكَ، فَاللَّهُ مُحِيطٌ بِهِمْ، عَلَيْهِمْ بِمَا يَصْنَعُونَ، وَلَنْ يَقَعَ شَيْءٌ فِي الوجودِ إِلَّا بِتَقْدِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ.

{ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [آل

عمران:121]

121 - وَادَّكَّرَ أَيُّهَا النَّبِيُّ فِي وَقْعَةِ أُحُدٍ عِنْدَمَا خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ وَقَدْ لَبَسْتَ لِبَاسَ الْحَرْبِ، وَعَزَمْتَ عَلَى الْجِهَادِ ضِدَّ الْمَشْرِكِينَ بَعْدَ مُشَاوَرَةِ أَصْحَابِكَ، وَأَنْتَ تُنظِّمُ صُفُوفَ الْمُجَاهِدِينَ، وَتُعَيِّنُ لِلرَّمَاةِ مَكَانَهُمْ فِي جَبَلِ أُحُدٍ، وَقَدْ جَمَعَ الْمَشْرِكُونَ الْجُمُوعَ وَالْأَحَابِيشَ (وَهُمْ أَفْوَاجٌ مِنْ قَبَائِلِ شَتَّى) لِلانْتِقَامِ مِمَّا أَصَابَهُمْ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ بِكُلِّ مَا جَرَى، عَلَيْهِمْ بِمَا كَانَتْ تَقُولُهُ الْأَلْسُنُ وَتَهَمُّسُ بِهِ الضَّمَائِرُ.

{ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } [آل

عمران:122]

122 - وَقَدْ كَادَتْ جَمَاعَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَضَعُفَا وَتَفْشَلَا وَتَتَرَكَا الْجِهَادَ، بَعْدَ أَنْ انْفَصَلَ رَأْسُ النِّفَاقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلُولٍ بِثُلُثِ الْجَيْشِ مِنْ أَتْبَاعِهِ، فَكَادَ هَذَا أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهِمَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ، فَأَدْرَكَتُهُمَا وَلَايَتُهُ وَتَشْيِئَتُهُ وَعِصْمَتُهُ، وَلَيْكُنْ تَوَكُّلُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ، فَهُوَ حَسْبُهُمْ، وَمُعِينُهُمْ، وَنَاصِرُهُمْ.

(23) يعني بكيدهم: غوائلهم التي يتغونها للمسلمين، ومكرهم بهم؛ ليصدوهم عن الهدى وسبيل الحق. (الطبري).

{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [آل عمران: 123]

123 – واذكروا عندما نصركم الله بتأييده في غزوة بدرٍ وكنتم قلةً ضعفاء، والعدو ثلاثة أضعافكم، تذكروا ذلك، واثبتوا على طاعة الله وتقواه، لتكونوا من الشاكرين.

{إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ}

[آل عمران: 124]

124 – وقد بشرت المؤمنين المجاهدين من أصحابك بقولك: أليس كافيكم أن يمددكم ربكم بعدد ثلاثة آلاف من الملائكة ينزلون من السماء؟

{بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ

الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ} [آل عمران: 125]

125 – بلى، إن تصبروا على لقاء العدو، وتطيعوا أمر الله ولا تخالفوا نبيه، ويأتيكم المشركون من ساعتهم هذه، يمددكم الله بخمسة آلاف من الملائكة، معلمين بسيماء معينة.

{وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ

الْحَكِيمِ} [آل عمران: 126]

126 – وما جعل الله هذا الإمداد بالملائكة إلا بـبشري لكم، لتطمئن قلوبكم، وتطيب نفوسكم، ويثبت جأشكم، أما النصر فهو من عند الله وحده، فهو ذو السلطان القوي، القادر على تحقيق النصر، وهو الحكيم الذي يُقدِّر الحكمة من وراء هذا النصر.

{لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ} [آل عمران: 127]

127 – فجهادكم ضد المشركين وما يترتب عليه من نصرٍ من عند الله، ليُهْلِكَ به طائفة من القوم المشركين، ويكسر شوكتهم ويقههم، أو يُخزِيهم ويُردِّدْهم مغلوبين أذلاء خائبين، لم يحصلوا على ما أملوا.

{ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ } [آل

عمران:128]

128 – والحكم في عبادي ليس لك أيها النبي، إلا ما أمرتك به فيهم، فإن الأمر كله لله، فقد يقود انكسار المشركين إلى التوبة فيسلمون ويؤمنون ويقبل الله منهم، أو يُعَذِّبُهُمْ بهذا النصر فيؤسروا أو يموتوا على الكفر ويكون مصيرهم النار، وهم يستحجون ذلك، فقد فتنوا المسلمين عن دينهم، وأفسدوا في الأرض...
نزلت هذه الآية وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله " في يوم أحد، كما في الصحيحين وغيرهما.

{ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ } [آل عمران:129]

129 – وكل شيء في السماء والأرض ملك لله وحده، وهو المتصرف المطلق في شأن العباد، يغفر لمن يشاء منهم فيدخلهم الجنة، ويعذب من يشاء منهم في النار، وقضاؤه هذا بالحكمة والعدل، وبالرحمة والمغفرة.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [آل

عمران:130]

130 – أيها المؤمنون، لا يحل لكم أن تأكلوا الربا، الذي يتضاعف كلما عجز المدين عن إيفاء دينه، فإذا لم يعط دينه زاده الدائن في الأجل وزاده المدين في القدر فتضاعف، فيصير القليل أضغافاً مضاعفة.
فاتقوا الله وانتهوا عن هذه الكبيرة لتفليحوا وتفوزوا، في الدنيا والآخرة، فإنه لا فوز لكم إلا بطاعته.

{ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ } [آل عمران:131]

131 – وَابْتَعِدُوا عَنِ النَّارِ الَّتِي هُيِّئَتْ لِلْكَافِرِينَ؛ نَتِيجَةَ عِصْيَانِهِمْ وَتَعَامُلِهِمْ بِالرَّبِّا وَغَيْرِهِ مِنَ الْكِبَائِرِ وَالذَّنُوبِ.

وَكَانَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: هِيَ أَحْوَفُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ، حَيْثُ أَوْعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّارِ الْمَجْعَدَةِ لِلْكَافِرِينَ، إِنَّ لَمْ يَتَّقُوهُ فِي اجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ.

{ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [آل عمران: 132]

132 – وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ رَسُولِهِ فِي كُلِّ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ؛ لِكَيْ تُرْحَمُوا.

{ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } [آل

عمران: 133]

133 – وَتَسَابَقُوا فِي فِعْلِ الْحَيْرَاتِ، وَسَارِعُوا إِلَى نَيْلِ الْقُرْبَاتِ، لَتَنَالُوا جَائِزَةَ رَبِّكُمْ: مَغْفِرَةً ذُنُوبِكُمْ، وَجَنَّةً وَاسِعَةً عَرْضُهَا⁽²⁴⁾ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، هُيِّئَتْ لِعِبَادِ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ.

{ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ } [آل عمران: 134]

134 – وَمِنْ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ أَهْلُ الْجَنَّةِ، أَهْمُ ثَابِتُونَ عَلَى الْبَدَلِ، يُنْفِقُونَ فِي الشَّدَّةِ وَالرِّخَاءِ، وَالْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، لَا يَشْغَلُهُمْ أَمْرٌ عَنِ طَاعَةِ اللهِ، وَالْإِنْفَاقِ فِيمَا يُرْضِيهِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْمُحْتَاجِينَ مِنْ خَلْقِهِ.

(24) ذَكَرَ الْعَرَضُ لِلْمِبَالِغَةِ فِي وَصْفِهَا بِالسَّعَةِ عَلَى طَرِيقَةِ التَّمْثِيلِ، فَإِنَّ الْعَرَضَ فِي الْعَادَةِ أَدْنَى مِنَ الطُّوْلِ. (رُوح الْبَيَانِ).

وَهُمْ يَكْتُمُونَ غَيْظَهُمْ وَغَضَبَهُمْ عَنِ النَّاسِ وَلَا يُؤْذُوهُمْ، ثُمَّ يَعْفُونَ وَيَصْفَحُونَ، وَيَحْتَسِبُونَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ.

وَالَّذِينَ أَنْفَقُوا، وَكَظَمُوا غَيْظَهُمْ، وَعَفَوْا، فَهُمْ مُحْسِنُونَ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، الَّذِينَ يَنْشُرُونَ الْوَدَّ وَالسَّمَاحَةَ وَالْبِشْرَ بَيْنَ النَّاسِ.

{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ فَرِحُوا} [آل عمران: 135]

135 – وَمِنْ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ أَيْضًا، أَنَّهُمْ إِذَا أذْنَبُوا ذَنْبًا، كَبِيرًا كَانَ أَوْ صَغِيرًا، لَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا، وَلَمْ يَفْتَحِرُوا بِالْمَعْصِيَةِ، بَلْ تَذَكَّرُوا اللَّهَ وَمَا أَعَدَّ لِلْعَاصِينَ مِنْ عِقَابٍ، وَمَا وَعَدَ بِهِ التَّائِبِينَ الْمُسْتَغْفِرِينَ مِنَ الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ، فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ، وَتَابُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَأَنَابُوا إِلَيْهِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ ذُنُوبَهُمْ إِلَّا هُوَ، وَلَا يَرْحَمُهُمْ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ مَنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، مَا دَامَ مُعْتَرِفًا بِذَنْبِهِ، نَادِمًا غَيْرَ مُصِرٍّ عَلَيْهِ، عَازِمًا عَلَى تَرْكِهِ.

{أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} [آل عمران: 136]

136 – أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ، وَجَزَاؤُهُمْ عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ الطَّيِّبَةِ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، وَيُدْخِلَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي خِلَالَ أَشْجَارِهَا وَفِي أَسْفَلِهَا الْأَنْهَارُ، مَا كَثِيرٌ فِيهَا أَبَدًا، وَنِعْمَتِ الْجَنَّةِ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمُ الْحَسَنَةِ.

{قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [آل عمران: 137]

137 – وَمَا أُصِيبْتُمْ بِهِ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ قَدْ جَرَى مِثْلُهُ لِأُمَّمٍ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، فَانظُرُوا فِي آثَارِ الْهَالِكِينَ، وَفِي السُّبُورِ وَالتَّوَارِيخِ وَالْوَقَائِعِ، وَاعْتَبِرُوا، فَعَلَيْكُمْ بِالْإِيمَانِ وَالصَّبْرِ، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لَكُمْ أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالْحَقِّ، وَالدَّائِرَةُ عَلَى الْمُكَذِّبِينَ بآيَاتِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ أَهْلٍ

الكفر والضلال، إنما هي سنة الله أن تُصيبوا وتُصابوا، وكان ما حدث ابتلاءً وتمحيصاً لتعتبروا.

{ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ } [آل عمران: 138]

138 – وفيما ذكِرَ مِنْ أَمُورِ الْكُفَّارِ وَالْمُتَّقِينَ وَالتَّائِبِينَ، وَفِي مَا سَلَفَ مِنْ أَحْوَالِ مَنْ قَبْلَكُمْ، إِضْحَاحٌ لِسُوءِ عَاقِبَةِ الْمَكْذِبِينَ لِيَتَدَبَّرُوا، وَهُدَايَةٌ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يَعْتَبِرُونَ بِهَا وَيَهْتَدُونَ.

{ وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [آل عمران: 139]

139 – وَلَا تَضْعَفُوا مِمَّا أَصَابَكُمْ، وَلَا يَدْخُلَنَّ الْوَهْنُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ، فَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ بِدِينِكُمْ، وَأَنْتُمْ الْغَالِبُونَ، مَا دُمْتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ يُوَجِّبُ الثِّقَةَ بِاللَّهِ، فَلَكُمْ النُّصْرُ وَالْعَلْبَةُ، وَشَهَادَاؤُكُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمْرُ الْكَافِرِينَ إِلَى الدَّمَارِ كَمَا كَانَ حَالُ أَسْلَافِهِمْ، وَمَصِيرُ قَتْلَاهُمْ إِلَى النَّارِ.

{ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } [آل عمران: 140]

140 – وَإِذَا كُنْتُمْ قَدْ أُصِيبْتُمْ بِجِرَاحٍ وَقُتِلَ مِنْكُمْ جَمَاعَةٌ، فَقَدْ أُصِيبَ أَعْدَاؤُكُمْ وَقُتِلَ مِنْهُمْ كَذَلِكَ، فَهِيَ سُنَّةُ اللَّهِ أَنْ تُصِيبُوا وَتُصَابُوا، فَالْأَيَّامُ دُورٌ، لَهُؤْلَاءِ يَوْمًا، وَلِأَوْلَئِكَ يَوْمًا، وَلِيَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ فِي إِيْمَانِهِمْ وَجِهَادِهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ. فَإِنَّ تَعَاقُبَ الشَّدَّةِ وَالرِّخَاءِ يَكْشِفُ مَعَادِنَ النُّفُوسِ وَطَبَائِعَ الْقُلُوبِ، وَدَرَجَةَ الطَّاعَةِ، وَالصَّبْرَ عَلَى الْقِتَالِ، وَلِيَخْتَارَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ، مِمَّنْ يَبْدُلُونَ أَرْوَاحَهُمْ فِي سَبِيلِ دِينِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ؛ لِيُكْرِمَهُمْ وَيُخْصِّصَهُمْ بِقُرْبِهِ، وَيُنْعِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ.

والله لا يُحِبُّ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ، بَلْ يُحَاسِبُهُمْ وَيُعَاقِبُهُمْ.

{ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ } [آل عمران: 141]

141 - وَلِيصَفِّيَ اللهُ مَا فِي نَفوسِكُمْ وَيُعِدَّهَا لِمَا هُوَ أَكْبَرُ، وَلِيُكَفِّرَ عَنْ ذُنُوبِكُمْ بِجِهَادِكُمْ، أَوْ يَرْفَعَ دَرَجَاتِكُمْ فِي عِلِّيِّينَ، كُلُّ بِحَسَبِ مَا جَاهَدَ وَأُصِيبَ، وَلِيَسْتَأْصِلَ اللهُ الْكَافِرِينَ وَيُدْفَعَ بَاطِلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ إِذَا انْتَصَرُوا بَعُوهَا وَدَمَرُوا.

{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ }

[آل عمران: 142]

142 - وَهَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْتُمْ سَتَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ دُونَ أَنْ تُكَلَّفُوا بِالْقِتَالِ وَالصَّابِرِ عَلَى الشَّدَائِدِ، لِيَتَبَيَّنَ مِنْكُمْ الْمُؤْمِنُ الْمُجَاهِدُ مِنْ غَيْرِهِ، وَلِيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ مِنْكُمْ عَلَى الضَّرِّاءِ وَجُحَالِدَةِ الْأَعْدَاءِ؟

{ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ } [آل

عمران: 143]

143 - وَكُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْمَوْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَتَمَنَّوْنَ لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَتَوَدُّونَ مُنَاجَزَتَهُمْ، فَهِيَ الْمَعْرَكَةُ، وَهِيَ هُمُ الْأَعْدَاءُ، وَهِيَ الْمَوْتُ الَّذِي تُشَاهِدُونَهُ فِي مَقَارِعَةِ الرَّجَالِ لِلرَّجَالِ، وَفِي لَمَعَانِ السِّيُوفِ وَاشْتِبَاكِ الرَّمَاكِ، فَدُونَكُمْوهُ.

{ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى

أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ } [آل

عمران: 144]

144 - وَأُشِيعَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُتِلَ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، وَقَدْ ادَّعَى أَحَدُ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُ قَتَلَهُ، وَكَانَ قَدْ شَجَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَصَلَتِ الشَّائِعَةُ إِلَى صَفُوفِ الْمُسْلِمِينَ، فَحَصَلَ وَهْنٌ وَضَعْفٌ وَتَأَخَّرَ عَنِ الْقِتَالِ، فَأَنْزَلَ اللهُ مَا مَعْنَاهُ: وَمَا مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَّا رَسُولٌ مِثْلَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ فِي جَوَازِ الْقَتْلِ عَلَيْهِ، فَإِذَا مَاتَ أَوْ قُتِلَ رَجَعْتُمْ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ شِرْكِ وَضَلَالٍ؟! إِنَّ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَنْ يَضُرَّ اللهُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يَضُرُّ نَفْسَهُ، فَاللهُ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَعَنْ إِيْمَانِكُمْ، وَالَّذِينَ سَيَقِي، وَالْمُجَاهِدُونَ سَيَنْتَصِرُونَ، وَيَجْزِي اللهُ

الذين قاموا بطاعته، وعرفوا قدر نعمته، وقاتلوا دفاعاً عن دينه، واتبعوا رسوله حياً وميتاً، ويُعطيهم من رحمته وكرمه بحسب شكرهم وعملهم، ويزيدهم من فضله.

{ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَخَّرْنَا الشَّاكِرِينَ } [آل عمران: 145]

145 – ولا تموت نفس إلا إذا قدر الله لها ذلك، أجلاً مرسوماً، في الوقت المحدد لها، بدون تقديم ولا تأخير، فتقدموا إلى الجهاد ولا تجبنوا أيها المسلمون، فإن عمر الإنسان لا يزيد ولا ينقص، سواء كان في حرب أم في سلم.
ومن كان يعمل للدنيا وحدها أعطاهم الله منها وحرّمهم ثواب الآخرة، ومن كان يعمل للآخرة أعطاهم الله منها ولم يحرمهم نصيبهم من الدنيا، بحسب عملهم وشكرهم.

{ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ } [آل عمران: 146]

146 – وهناك أنبياء كثر قاتل معه جماعات من الصابرين الأبرار الأتقياء، فما ضعفت نفوسهم من الكرب والبلاء، وما وهنوا لما أصابهم من الشدة والجراح، وما توقفوا عن متابعة الجهاد في سبيل الله، وما استسلموا لأعداء الله ولا ذلوا، بل قاتلوا على ما قاتل عليه أنبياؤهم حتى لحقوا بهم، والله يحب المدافعين عن دينه، المتبعين لأوامر أنبيائه، الصابرين في أوقات الشدة والحرب.

{ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أقدامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [آل عمران: 147]

147 – وكانوا مع جهادهم وطلبهم رضاء الله يقولون: ربنا اغفر لنا ما اقترفنا من ذنوب، وما تجاوزنا فيه الحد، وفرطنا من أمر، وأيدنا بتأييد من عندك في مواطن الحرب، وثبتنا على دينك الحق، وانصرتنا على أعدائك وأعداء دينك من القوم الكافرين.

{ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [آل عمران:

[148

148 – فكانَ جزاءَ هؤلاءِ المؤمنينَ الصابرينَ وجوابَ دُعائهم، أن آتاهم ثوابَ الدنيا بالنصرِ والعزِّ والعاقبةِ الحسنة، وفي الآخرةِ النعيمُ الدائم، واللهُ يُحِبُّ مَنْ آمَنَ وأحسن، وأتبعَ إيمانهُ بالعملِ الصالح.

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُزِدُوكُمْ عَلَى آعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ]

{ آل عمران: 149 }

149 – أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِنَّكُمْ إِنْ أَطَعْتُمُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَاسْتَمَعْتُمْ إِلَى وَشَايَاتِهِمْ، وَتَأَثَّرْتُمْ بِمَا يُشْغِي عَوْنَهُ مِمَّا أَصَابَكُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجِرْحِ، لِيُثْبِتُوا عِزَّتَكُمْ، وَيُخَوِّفُوكُمْ مِنْ عَوَاقِبِ الْحَرْبِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ مَرَّةً أُخْرَى، فَإِنَّكُمْ بِهَذَا تُجَيِّبُونَهُمْ إِلَى مَا أَمَلُوهُ وَتَسْتَسْلِمُونَ لَهُمْ، لِيَزِدُوكُمْ عَلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، وَلِتَكُونُوا بِذَلِكَ مِنَ الْخَائِبِينَ الْنَادِمِينَ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

{ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ } [آل عمران: 150]

150 – لَكِنَّ اللَّهَ وَلِيُّكُمْ، وَمَثَبُكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، وَهُوَ خَيْرُ نَاصِرٍ لَكُمْ، فَاسْتَعِينُوا بِهِ، وَأَحْسِنُوا تَوَكُّلَكُمْ عَلَيْهِ.

{ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ

النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ } [آل عمران: 151]

151 – سَنَبِّئُ الْخَوْفَ وَالْهَلَعَ فِي قُلُوبِ الْكَافِرِينَ وَنُرْعِبُهُمْ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَإِشْرَاكِهِمْ بِاللَّهِ آلِهَةً لَا قُوَّةَ لَهَا وَلَا سَيِّطَرَةَ عَلَى أَحَدٍ، فَاللَّهُ لَمْ يَمْنَحْهَا سُلْطَانًا، وَهِيَ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تَتَكَلَّمُ!! فَمَا أَجْهَلَهُمْ وَمَا أَشَدَّ غَفْلَتَهُمْ، وَإِنَّ مَصِيرَهُمْ نَتِيجَةُ عَدَمِ اسْتِعْمَالِ عُقُولِهِمْ وَتَوْطِيفِهَا لِاتِّبَاعِ الْحَقِّ، هُوَ النَّارُ، وَبِئْسَ الْمَنْزِلُ مَنْزِلُهُمْ، الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِمَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَظَلَمَ الْآخِرِينَ مِنَ الْكَافِرِينَ. فَاسْتَعِينُوا بِالنَّصْرِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَإِنَّ أَعْدَاءَكُمْ خَائِفُونَ هَالِكُونَ.

{وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } [آل عمران: 152]

152 - وقد صدق الله وعده معكم بالنصر في غزوة أحد، كما كان في أول النهار، عندما سلطكم الله عليهم، فصرتم تقتلوهم، وكيدتم أن تستأصلوا شأفتهم، حتى إذا جبن بعضكم في القتال، نتيجة النزاع والخصام الذي دار بينكم، وعصى بعضكم الآخر - وهم الرماة - قائدهم محمداً صلى الله عليه وسلم، وكان قد أمرهم ألا يبرحوا مكائهم، فنزلوا ينهبون في العسكر، فبقي ظهر المسلمين مكشوفاً للعدو، أراكم الله الفشل بعد النصر، فقد شاب إخلاصكم مطامع، فمنكم من رغب في العنائم عندما رأى هزيمة العدو، ومنكم من أراد وجه الله في جهاده فتبت في مكانه حتى يتلقى أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان نتيجة ذلك أن صرف قوتكم واجتماعكم عن العدو، ففشلتم، ليختبر إيمانكم، ويمتحن قوة صمودكم وعزيمتكم وتمسككم بدينكم، ولتعتبروا مما أصابكم، ولا تكررروه، وغفر لكم ضعفكم وتنازعكم وعصيانكم، وهذا من فضل الله عليكم ورحمته بكم.

{إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَنَابَكُمْ غَمَا بِعَمٍ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [آل عمران: 153]

153 - وتذكروا شؤم عصيانكم، عندما بدأتم تصعدون إلى الجبل هروباً من عدوكم، ولا تنظرون وراءكم من الخوف، ولا تسمعون كلام أحد، لما أصابكم من زعب وهلع! والرسول يُناديكم - وقد خلفتموه وراءكم - ليجمعكم ويطمئنكم بأنه ما زال حياً، لا كما أشاع العدو بأنه قُتل! لتكبروا عليهم من جديد، فجازاكم قلقاً وحرزاً موصولاً بحزن، يملأ نفوسكم كمد الهزيمة، وكذب سماعكم مقتل النبي صلى الله عليه وسلم، حتى لا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيم والنصر على عدوكم، وعلى ما أصابكم من القتل والجراح. والله مطلع على خفايا صدوركم، لا يخفى عليه حقيقة أعمالكم ودوافع حركاتكم.

{ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [آل عمران: 154]

154 - ثُمَّ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بَعْدَ هَذَا الْحَزَنِ بِنُعَاسٍ يَغْشَى⁽²⁵⁾ جَمَاعَةً مِنْكُمْ وَهُمْ فِي لِبَاسِ الْحَرْبِ، لِيَكُونَ سَكَنًا لَهُمْ وَأَمْنًا. وَطَائِفَةٌ أُخْرَى لَا يَغْشَاهُمْ النُّعَاسُ مِنَ الْقَلْقِ وَالْخَوْفِ وَالْجَزَعِ (وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ) تَهْمُهُمْ نَجَاهُ أَنْفُسِهِمْ فَقَطْ، فَذَهَبَتْ بِهِمْ نَفُوسُهُمْ إِلَى ظُنُونٍ سَيِّئَةٍ لَا تُوَافِقُ الْحَقَّ، بَلْ هِيَ مِنْ ظُنُونِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَالُوا إِنَّهُ قُصِمَ ظَهْرُ الْإِسْلَامِ بِهَذَا، فَلَا قِيَامَ لَهُ مِنْ بَعْدِ، وَلَا نَصَرَ لِأَهْلِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ!

وكانوا يقولون: لقد دُفِعنا إلى المعركة دُفْعاً دونَ إرادةٍ لنا فيها.

فقل لهم أيُّها النبي: إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ، فَهُوَ الْأَمْرُ الْحَاكِمُ، وَالْكَلُّ يُؤَدِّي وَاجِبُهُ نَجَاهَ دِينِهِ وَرَبِّهِ، وَهَذَا الَّذِي قُتِمْتُمْ بِهِ هُوَ أَدَاءٌ لِلْوَجِبِ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ نَحْوَ دِينِكُمْ. إِنَّ نَفُوسَهُمْ مَلَأَى بِالْهَوَاجِسِ وَالْوَسَاوِسِ، لَمْ تَكْتَمِلْ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ، فَهِيَ مَا زَالَتْ تَشْكُو مِنْ اعْتِرَاضَاتٍ وَاحْتِجَاجَاتٍ، فَيُخْفُونَ حَقِيقَةَ مَا يَرِيدُونَ قَوْلَهُ لَكَ، وَهُوَ: لَوْ كَانَ الْأَمْرُ بِيَدِنَا لَمَا اسْتَجَبْنَا نِدَاءَ الرَّسُولِ، وَلَمَا حَضَرْنَا الْمَعْرَكَةَ، وَلَمَا أَصَابْنَا الْقَتْلَ وَالْجِرَاحَاتِ.

(25) غَشِيَهُ: سَتَرَهُ، وَالْغَشَاوَةُ: مَا يُغَطِّي بِهِ الشَّيْءُ. (مفردات الراغب).

فقل لهم: لو أنكم بقيتم في بيوتكم ولم تخرجوا إلى القتال، وكان قدر المقتول منكم أن يكون مصرعه في مكان المعركة، لجاء إلى هناك وقُتل فيه! فهو الأجل الذي لا يتقدم في حرب، ولا يتأخر في سلم.

إنه الجهاد الذي يحتاج إلى عزيمة وصبر، فيكشف ما في الصدور، ويخرج ما في القلوب، وتبين حقيقة كل شخص على ما كان يخفيه، ويتميز الخبيث من الطيب، ويظهر المؤمن والمنافق، فهو الابتلاء والاختبار، والله عليم بالأسرار الخفية التي تختلج في الصدور، ولا تكشف في الثور.

**{ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَمَى الْجُمُعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا
وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ }** [آل عمران: 155]

155 – إن الذين فرّوا من الحرب عندما تقابل الجيشان، إنما كان فرارهم بسبب ذنوب سالفه ارتكبوها، فضعف ارتباطهم بالله، وفقدوا ثقتهم في قوتهم، واحتلّ توازئهم وتماسكهم، فوجد الشيطان مدخلاً إلى نفوسهم، ليهجس فيها ويوسوس، ويسؤل لهم حسن الهزيمة! ثم عفا الله عما كان منهم من فرار، وهو سبحانه واسع المغفرة، حلِيم، لا يعجل العقوبة لمن عصاه.

**{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ
كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحِبُّ
وَمُحِيْتٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }** [آل عمران: 156]

156 – أيها المؤمنون، لا تتشبهوا بالكافرين في أقوالهم وأفعالهم، فلا تقولوا كما قالوا للذين ماتوا من أصحابهم عندما سافروا للتجارة أو غيرها، أو مضوا إلى الغزو: لو أنهم بقوا عندنا لم يموتوا ولم يُقتلوا. وقد جعل الله فيهم هذا الاعتقاد ليزدادوا حزناً وكمداً، فهم ليسوا مثل المؤمنين الذين يتلقون الابتلاء بالصبر والاحتساب، ويرضون بقضاء الله وقدره، فالأمر كله بيده سبحانه، فهو المحيي والمميت، إن قدر لهم الموت ماتوا، وإن لم يُقدّر لهم ذلك لم

يَمُوتُوا، سِوَاءَ أَكَانُوا فِي تِجَارَةٍ، أَمْ حَرْبٍ، أَمْ غَيْرِهِمَا. وَاللَّهُ عَالِمٌ بِخَلْقِهِ، بَصِيرٌ بِشُؤْنِهِمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِمْ.

{وَلَعِنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [آل

عمران:157]

157 – والحياة الدنيا ليست خيراً لكم في كلِّ مرّةٍ أيُّها المؤمنون، فإنَّكم إذا قُتِلْتُمْ في سبيلِ اللهِ أو مُتُّمْ كانَ ما لَكُمْ أفضلَ وأحسنَ، لتنالوا رحمةَ اللهِ وعَفْوَهُ ورضوانه، فهو أفضلُ ممَّا تَكْدَحُونَ لأجلِهِ وَتَجْمَعُونَ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا، وهي كُلُّهَا لا تُساوي شيئاً مِنْ نَعِيمِ الآخِرَةِ.

{وَلَعِنَ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ} [آل عمران:158]

158 – وفي كلِّ الأحوال، فإنَّكم إذا قُتِلْتُمْ في ساحةِ الحربِ، أو مُتُّمْ على فُرْشِكُمْ في بيوتِكُمْ، فإنَّكم سَتُحْشَرُونَ إلى ربِّكُمْ، فيجزِيكُمْ على عَمَلِكُمْ، مَغْفِرَةً وَرَحْمَةً، أو غَضَباً وَعَذَاباً. فالعبرةُ بما يَكُونُ المصيرُ إليه بعدَ الموتِ.

{فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ هُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران:159]

[آل عمران:159]

159 – برحمةِ اللهِ لكِ أَلَنْتِ لأصحابِكَ جانيتِكَ، وَخَفَضْتَ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَحَسَنْتِ لَهُمْ خُلُقَكَ، فَأَحْبَبُوكِ وَفَدَّوْكَ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَبَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَلَوْ كُنْتَ جَائِي المَعاشِرَةِ، كَرِيهَةَ الخُلُقِ، قَاسِيَةَ القَلْبِ، لَنَفَرُوا مِنْكَ، وَتَفَرَّقُوا عَنْكَ. فَاعْفُ عَنْهُمْ ما صَدَرَ مِنْهُمْ مِنْ تَقْصِيرٍ فِي حَقِّكَ كما عَفَا اللهُ عَنْهُمْ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ فيما يَتَعَلَّقُ بِتَقْصِيرِهِمْ فِي حَقِّ اللهِ إِكْمالاً لِلدِّيرِ بِهِمْ، وَاسْتَشِرْهُمْ فِي الْأُمُورِ، لِتُظْهَرَ بِهَا آرَاءُهُمْ، وَتُطَيَّبَ قُلُوبُهُمْ، وَتُمَهَّدَ لِسُنَّةِ المِشاورَةِ لِلأُمَّةِ، فَإِنَّ فِي المِشاورَةِ فوائِدَ وَمِصالِحَ كَثيرةً.

فإذا اطْمَأَنَّتِ نَفْسُكَ عَقِيْبَ المِشاورَةِ بِأَمْرِ، فَأَمُضِيهِ مُتَوَكِّلاً عَلَى اللهِ، مُعْتَمِداً عَلَيْهِ فِي تَحْصِيلِ ما رَجوتَ مِنْهُ، فَإِنَّ اللهَ يَنْصُرُ المِتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى ما فِيهِ خَيْرُهُمْ وَصِلاحُهُمْ.

{إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى

اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران: 160]

160 - إن يُرِدِ اللهُ نصرَكم ومنعَكم من عدوِّكم كما أرادَهُ يومَ بدر، فلا أحدَ يعلِّبُكم، فلا قوَّةَ إلاَّ به، ولا قُدرةَ بعدَ قُدرتِهِ، ولا مَشِيئةَ بعدَ مَشِيئَتِهِ. ولا يعنى هذا عدمَ التَّهَوُّضِ بالتكاليفِ، أو عدمَ بذلِ الجُهدِ، فإنَّ التَّوَكُّلَ غيرُ التَّوَأَكُّلِ. ولا بدَّ أن يَنْصُرَ المؤمنونَ دينَ اللهِ حتَّى يَنْصُرَهُمْ {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ} [سورة محمد: 7].

وإذا تَرَكْتُمْ ولم يَنْصُرْكُمْ كما كانَ يومَ أُحُد، فمَنْ يَقْدِرُ على نصرِكم بعدَ خِذْلانِهِ؟ فتوَكَّلوا على اللهِ أيُّها المؤمنونَ حقَّ التَّوَكُّلِ، ولا تَطْلُبوا النصرَ من غيرِهِ.

{وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلُكَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا

كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [آل عمران: 161]

161 - وما كانَ لِنَبِيِّ مِنَ الأنبياءِ أن يَخُون، أو يَحْتَجِرَ شيئاً من أموالِ العَنائِمِ، أو يَفْسِمَها لبعضِ الجُنْدِ دونَ بعضٍ، فليسَ هذا من شأنِ النبوةِ العَظيمةِ ولا يكون. ومن يَخُنْ منكم في الجِهَادِ ويأخُذُ شيئاً من العَنائِمِ دونَ إذنٍ، فإنه يَقتَرِفُ ذَنْباً وَيَرْتَكِبُ جُزْماً، ويأتي يومَ القِيَامَةِ وهوَ حَامِلٌ ذلكَ الشيءِ الذي سَرَقَهُ فوقَ رَقَبَتِهِ، والكلُّ يراهُ بِجُرمِهِ! وستأخذُ كلُّ نفسٍ حَظَّها منَ الجِزَاءِ، إن خيراً أو شَرّاً، ولا يُظْلَمُ أحدٌ في ذلكَ، لا زيادةً في عِقَابِ، ولا نقصاً من ثوابِ.

{أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [آل

عمران: 162]

162 - وهل يتساوى من سعى في رضى الله بطاعته واتباع سيرة نبيه مع من رجع بغضبِ اللهِ بسببِ مَعْصِيَتِهِ وَعُلوْلِهِ، فكانَ مصيرُهُ جهنَّمَ؟ وبئسَ هذا المكانُ الذي ليسَ فيه سِوَى العَذَابِ والتَّكَالِ.

{ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ } [آل عمران: 163]

163- وكلا الطرفين متفاوتان في منازلهما يوم القيامة؛ درجات في الجنة، ودرجات في النار. والله بصيرٌ بأعمالهم ودرجاتها، ويجازيهم بحسبها.

{ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [آل عمران: 164]

164- إنها منةٌ كبيرةٌ وفضلٌ عظيمٌ من الله على عباده المؤمنين بإرسال نبيٍّ إليهم من بينهم، ليفقها كلامه بسهولة، ويتمكنوا من مخاطبته ومجالسته والانتفاع به، يقرأ عليهم آياتِ بيناتٍ من كتاب الله العزيز، ويُرِيهِمْ تَرْبِيَةً إِسْلَامِيَّةً، فيطهرهم من أوضاع الجاهلية، ودنس الطباع، وسوء العقائد التي كانوا عليها، ويأمرهم بالخير وينهاهم عن الشرِّ والفحشاء، ويُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، وإن كانوا من قبل في غيٍّ وجهلٍ بين.

{ أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [آل عمران: 165]

165- وإذا أصابكم ما جزعتم منه في يوم أحد، وقد أصبتم المشركين يوم بدر ضعفاً ما أصابوكم به، قلتم: من أين أصابنا هذا وكيف جرى؟ قل: هو بسبب عصيانكم وأمر رسولكم حين أمركم ألا تغادروا مكانكم، فأبيتم ونزلتم بجمعون الغنائم. والله يحكم ما يريد، فإذا أطعتم انتصرتم، وإذا خالفتم أصبتم.

{ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّغَى الْجَمْعَانَ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ } [آل عمران: 166]

166- وما أصابكم يوم أحدٍ من فرارٍ وقتلٍ وجراحاتٍ هو بقضاء الله وقدره، ولحكمة، ليظهر ويتميز من بينكم المؤمنون الذين صبروا وثبتوا ولم يتزعزعا.

{ وَلْيَعْلَمْ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَا كُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ } [آل عمران: 167]

167- وليظهر كذلك أهل النفاق المرجفون، الذين قيل لهم: تعالوا جاهدوا في سبيل الله وقاتلوا المشركين، أو كثروا سواد المسلمين وربطوا: قالوا: لو نعلم أتكفم ستخوضون حرباً لجئنا معكم، ولكن لا حرب. فرجع كبير المنافقين عبد الله بن أبي سلول بثلاث الجيش! فهؤلاء صاروا أقرب إلى الكفر منهم إلى الإيمان، حيث كانوا سابقاً يتظاهرون بالإيمان، فلما خذلوا عسكر المسلمين تباعدوا عن الإيمان واقترَبوا من الكفر. إنهم يقولون بألسنتهم غير ما يُضمرونه في قلوبهم، فقد كانوا عازمين على الارتداد والانحِذال. والله أعلم بما يُخفونه من كُفرٍ ونفاق، وما يَعْمُر قلوبهم من شرٍّ وفساد.

{ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [آل عمران: 168]

168- إنهم المنافقون، الذين قالوا لأقربائهم - وهم قد قعدوا عن القتال - : لو أطاعونا وسبعوا مشورتنا فيما أمرناهم من الرجوع ووافقونا على ذلك، لما قُتلوا كما لم نُقتل. قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرُّسُولُ: إِنْ كَانَ الشُّعُودُ يُنْجِي مِنَ الْقَتْلِ وَالْمَوْتِ، فَادْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي قَوْلِكُمْ! لَكِنَّهُ آتٍ، وَلَا بَدَّ لَكُمْ مِنْهُ، وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ، وَفِي أَحْسَنِ صِحَّةٍ!

{ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } [آل عمران: 169]

169- وَلَا تَظُنُّنَّ الَّذِينَ فَارَقُوا حَيَاةَ مِنَ الشُّهَدَاءِ قَدْ مَاتُوا حَقًّا، وَإِنْ ظَهَرَ قَتْلُهُمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ أَرْوَاحَهُمْ حَيَّةٌ تُرْزَقُ عِنْدَ اللَّهِ فِي دَارِ الْقَرَارِ.

{ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [آل عمران: 170]

170- وهم فرحون مُغتبطون بفضلِ الله عليهم ورضائه عنهم، ويستبشرون بإخوانهم
الذين يُقتلون بعدهم في سبيلِ الله ألاً خوفٌ عليهم فيما يستقبلونه، فهم أمامَ نعمةٍ وفضلٍ
يفيضُ عليهم، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا، فالآخرة لهم خيرٌ وأبقى.

{ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ } [آل عمران: 171]
171- إنهم يستبشرون ويُسرُّون بما رأوا ما وعدوا به من جزيلِ الثوابِ من فضلِ الله
ونعمته. وهذا شأنُ الله مع المؤمنين الصادقين، فيكرمهم، ويُجزلُ لهم الثواب.

{ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا
أَجْرٌ عَظِيمٌ } [آل عمران: 172]

172- لقد استجابوا لنداءِ الله، وأطاعوا رسوله عندما دعاهم لتتبع المشركين ليرعبوهم
ويروهم أن بهم قوةً وجلداً، ولو أنهم كانوا مُرهقين مُتخنين بالجراح، ولم يندب أحداً لملاحقتهم
حتى "حمراء الأسد"⁽²⁶⁾ إلا من ثبت معه يوم أُحد. وكان أبو سفيان قد عتب على المشركين
لأنهم لم يغزوا المدينة.

وقد تحقَّق الغرض من تتبعهم، فرجع أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عندما لم
يروا أحداً. فهؤلاء الذين استجابوا وثبتوا على مواقفهم واتَّقوا ربهم، لهم ثوابٌ كبير.

(26) موقع يبعد عن المدينة 20 كم جنوبها. وهو اسم غزوة أيضاً.

{ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } [آل عمران: 173]

173- إَهُمُ الْمُجَاهِدُونَ الْمُؤْمِنُونَ، الصَّابِرُونَ الْمُتَوَكِّلُونَ، الَّذِينَ تَوَعَّدَهُمُ النَّاسُ بِالْجُمُوعِ الْكَبِيرَةِ وَخَوْفِهِمْ كَثْرَةَ الْأَعْدَاءِ، فَمَا اكْتَرَثُوا لِذَلِكَ وَمَا جَبُنُوا، بَلْ زَادَهُمْ ذَلِكَ إِيمَانًا وَثَبَاتًا وَعَزِيمَةً؛ لِحُسْنِ تَوَكُّلِهِمْ عَلَى اللَّهِ، وَيَقِينِهِمْ بِمَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِهِ، فَاسْتَعَانُوا بِهِ وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَهُوَ حَسْبُنَا وَكَافِينَا، وَنَرْضَى بِهِ وَحَدَّهُ وَكَيْلًا وَحَافِظًا.

{ فَأَنقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّسْنَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ } [آل عمران: 174]

174- فَرَجَعُوا إِلَى بِلَدِهِمْ وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ عَنْهُمْ بِأَسْرٍ مَنْ أَرَادَ كَيْدَهُمْ وَأَذَيْتَهُمْ، وَكَفَاهُمْ لِحُسْنِ تَوَكُّلِهِمْ عَلَيْهِ، فَسَلِمُوا وَنَجَّوْا، وَنَالُوا رِضْوَانَ اللَّهِ بِاسْتِجَابَةِ نِدَاءِ رَسُولِهِ، وَفَضْلِ اللَّهِ عَظِيمٍ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

{ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [آل عمران: 175]

175- إِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ الَّذِي يُؤْهِمُكُمْ أَنَّهُ ذُو بَأْسٍ وَشِدَّةٍ، وَيُلْبِسُ أَنْصَارَهُ لِبَاسَ الْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ، وَيُوقِعُ فِي الْقُلُوبِ أَهْمَ ذَوِّ حَوْلٍ وَطَوْلٍ، وَأَهْمَ سَيِّئَتِصِرُونَ، فَلَا تَخَافُوا الْمَشْرِكِينَ أَوْلِيَاءَ الشَّيَاطِينِ، الَّذِينَ يَنْشُرُونَ الْفَسَادَ وَالْبَاطِلَ، بَلْ خَافُوا وَالتَّجَوُّوا إِلَيَّ، فَأَنَا كَافِيكُمْ وَنَاصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ مَا نَصَرْتُمُونِي.

{ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزَابًا فِي الْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [آل عمران: 176]

176- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشْفِقُ عَلَى النَّاسِ وَيَحْرِصُ عَلَى إِيمَانِهِمْ، فَإِذَا بَادَرَ بَعْضُ الْمَشْرِكِينَ إِلَى الْمَخَالَفَةِ وَالْعِنَادِ اغْتَمَّ وَحَزِنَ لِذَلِكَ، فَقَالَ اللَّهُ مَا مَعْنَاهُ: لَا تَحْزَنْ مِنْ عَمَلِ الْكَافِرِينَ عِنْدَمَا يُسَارِعُونَ إِلَى مُخَالَفَتِكَ وَيَتَعَمَّوْنَ فِي الْكُفْرِ سَرِيعًا لِحَرْصِهِمْ عَلَيْهِ وَشِدَّةِ

رَغِبْتَهُمْ فِيهِ، فَهَوْلَاءِ غَيْرُ قَادِرِينَ عَلَى أَنْ يُلْحِقُوا بِاللَّهِ ضَرَرًا وَلَا بِأَوْلِيَاءِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ بِأَهْمَاكِهِمْ فِي الْكُفْرِ حِرْمَانَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ وَتَعْذِيبَهُمْ بِالنَّارِ، وَلِذَلِكَ تَرَكْتَهُمْ بِلا هِدَايَةٍ حَتَّى يَهْلِكُوا عَلَى الْكُفْرِ، وَعَذَابُهُمْ جَزَاءَ طُغْيَانِهِمْ هَائِلٌ كَبِيرٌ.

{ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [آل عمران: 177]

177- وَإِنَّ الَّذِينَ اسْتَبَدَّلُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ، رَغْبَةً فِي الْأَوَّلِ وَإِعْرَاضًا عَنِ الْآخِرِ، لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا، إِنَّمَا ضَرَرُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، عِنْدَمَا يَأْتِي عَلَى أَبْدَانِهِمْ عَذَابٌ مُؤَلَّمٌ شَدِيدٌ، جَزَاءَ سُورِهِمْ بِالْكُفْرِ فِي الدُّنْيَا.

{ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرًا لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ } [آل عمران: 178]

178- وَلَا تَطُنَّنَّ أَيُّهَا الرُّسُولُ أَنَّ إِمهَالَنَا الْكَافِرِينَ فِيهِ خَيْرٌ وَمَنْفَعَةٌ لَهُمْ، إِنَّمَا نُؤَخِّرُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِتَزْدَادَ آثَامُهُمْ وَتَكْثُرَ ذُنُوبُهُمْ، فَيَزْدَادَ عَذَابُهُمْ، وَعَذَابُهُمْ فِي الْآخِرَةِ يَكُونُ مُدْلَلًا لَهُمْ؛ جَزَاءَ عِنَادِهِمْ وَتَجَرُّهُمْ.

{ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ } [آل عمران: 179]

179- مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَعَ الْمُؤْمِنِينَ هَكَذَا بَدُونَ تَمْحِيسٍ وَابْتِلَاءٍ وَقَدْ التَّبَسَّ بِهْمُ الْمُنَافِقُونَ، فَكَانَ لَا بَدَّ مِنْ الْمِحْنَةِ حَتَّى يَظْهَرَ الْوَلِيُّ مِنَ الْعَدُوِّ، وَيَبَيِّنَ الْمُؤْمِنُ الصَّابِرُ مِنَ الْمُنَافِقِ الْفَاجِرِ، وَذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانَ كَذَلِكَ، حَيْثُ تَبَيَّنَ الْمَخْلِصُونَ الْجَاهِدُونَ الَّذِينَ ثَبَّتُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، وَظَهَرَتْ مَخَالَفَةُ الْمُنَافِقِينَ وَخِيَانَتُهُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَأَنْتُمْ لَا أَطَّلَعُ لَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ، وَلَا مَا تَكُنْتُمْ قُلُوبُ الْمُنَافِقِينَ مِنْ كُفْرٍ وَنِفَاقٍ، وَلَوْلَا هَذِهِ الْأَسْبَابُ الَّتِي أَجْرَاهَا اللَّهُ لَكُمْ، لَمَا عَرَفْتُمْ خَبْرَهُمْ وَشِدَّةَ عِدَاوَتِهِمْ لَكُمْ. وَيَخْتَارُ اللَّهُ مِنْ رُسُلِهِ

من يشاء، كمحمدٍ صلى الله عليه وسلم، ليتبين من يتبعه ومن لا يتبعه، ومن يعاديه من غيره، فيتميز الحبيث من الطيب، ويخبره الله بما صدر عن المنافقين من أقوال وأفعال، فيفضحهم، ويخلصكم من شرهم وإيذائهم.

فأطيعوا الله وأطيعوا ما يأمركم به رسوله مما شرع لكم، وإن تؤمنوا بالله حق الإيمان، وتتقوه بمراعاة حقوقه، فلکم ثوابٌ عظيمٌ لا تعرفون قدره.

{ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }
[آل عمران: 180]

180- ولا يظنن الذين يبخلون بأموالهم فيكفرونها ولا ينفقونها في حقها أن ذلك أفضل لهم وأحسن، بل هو شر لهم، وسوء عاقبة ينتظرهم، فإن تلك الأموال ستتحول إلى نيرانٍ فظيعة تحيط بهم وتطوقهم؛ جزاء إمساكهم ما تفضل الله به عليهم من مال، وسيعلمون عندئذ أن حفظهم لتلك الأموال كان حفظاً لنارٍ تنتظرهم.

وليس الله بحاجة إلى أموالهم، فهم وأموالهم وما في السموات والأرض ملك لله، ويرث الله السموات والأرض بعد فناء مخلوقاتهما. فكل شئ يرجع إليه، ومن أنفق فيما يقدم لنفسه خيراً، والله خبيرٌ بنياتكم في المنع والبخل، ويجازيكم على ذلك.

{ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } [آل عمران: 181]

181- لقد سمع الله قول اليهود عندما قالوا إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء، وذلك لما طلب سبحانه من عباده أن ينفقوا من أموالهم ليدخرها لهم ويجزيهم عليها خير الجزاء يوم القيامة، فقال عز من قائل: { من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة } [البقرة: 245]، قالت يهود: "يا محمد، افتقر ربك، يسأل عباده القرض!" في كفرٍ وسوءٍ أدبٍ مع ربِّ الكون!

يقول سبحانه مُهَدِّدًا بما يَنْتَظِرُهُمْ: سَنَكْتُبُ قَوْلَهُمْ هَذَا وَنُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ، فَلَا هُوَ مَنَسِيٌّ وَلَا هُوَ مُهْمَلٌ، إِلَى جَانِبِ آثَامٍ عَظِيمَةٍ أُخْرَى لَهُمْ، كَقَتْلِهِمْ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ. وَهُمْ يَتَبَاهَوْنَ بِهَذِهِ الْجَرَائِمِ الْمُنْكَرَةِ الَّتِي تَقْشَعُرُّ مِنْهَا الْأَبْدَانُ، وَتَبْدُهَا الْفِطْرُ السَّلِيمَةُ. وَسَنَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ شَرَّ الْجَزَاءِ، عَذَابًا كَبِيرًا مُخِيفًا لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ وَكَيْفِيَّتَهُ إِلَّا اللَّهُ!

{ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } [آل عمران: 182]

182- وهذا كله بسبب ما اقترفته أيديكم من أعمالٍ شنيعةٍ أيها اليهود، وهو جزاءٌ حقٌّ، لا ظلمَ فيه ولا فسوة، والله لا يظلم عبده، فلا يوقع بهم عذاباً لا يستحقونه، على الرغم من أنهم عصوا رباً، وهم عبيد.

{ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهِدٌ إِلَيْنَا إِلَّا نُوْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [آل عمران: 183]

183- إنهم اليهود، الذين زعموا أن الله قد أخذ منهم عهداً كما هو في كتبهم، ألا يؤمنوا بنبيٍّ حتى يكون من معجزاته أن أحداً من أتباعه لا يتصدق بصدقٍ مقبولةٍ إلا ونزلت نارٌ من السماء فأكلتها، في علامةٍ على قبولها. فقل لهم: لقد سبق أن بعث الله إليكم رسلاً من قبلي مؤيدين بمعجزات، منها ما ذكرتم من قرابين تأكلها النار، ولكنكم لم تقبلوا منهم، فلم كذبتموهم وقتلتموهم، إن كنتم صادقين في دعواكم بأنكم تتبعون الحق وتنفادون للرسل؟

{ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ } [آل عمران: 184]

184- فإذا كذبوك ولم يتبعوا ما أرسلت به، فلك أسوة بمن سبقك من الأنبياء الذين كذبتمهم يهود، وكذبوا ما جاءوا به من معجزاتٍ وحوارق، وتوجيهاتٍ إلهية، وكتبٍ منزلة، بيينةٍ جلية.

{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُزُورِ} [آل عمران: 185]

185- فلا تَحْزَنُ أَيُّهَا الرَّسُولُ، فَإِنَّ كُلَّ نَفْسٍ مَيِّتَةٌ لَا مَحَالَةَ، وَبَعْدَهَا دَائِرٌ يَتَمَيَّزُ فِيهَا الْمُحْسِنُ عَنِ الْمَسِيءِ، وَيُجَازِي اللَّهُ الْخَلَائِقَ بِأَعْمَالِهِمْ، كَثِيرَهَا وَقَلِيلَهَا، كَبِيرَهَا وَصَغِيرَهَا، فَلَا يُظْلَمُ أَحَدٌ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.

فَمَنْ بَعُدَ عَنِ النَّارِ وَنَجَا مِنْهَا وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَظَفَرَ بِبُغْيَتِهِ، وَمَا لَدَاتُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَخَارِفُهَا إِلَّا مَتَاعٌ قَلِيلٌ زَائِلٌ.

{تَتَّبِعُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [آل عمران: 186]

186- وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ يُؤَدُّونَ مِنْ قِبَلِ الْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودِ حِينَ قُدُومِهِمُ الْمَدِينَةَ، فَأَمَرُوا بِالْعَفْوِ وَالصَّبْرِ: سَوْفَ تُمْتَحَنُونَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ بِالنَّقْصِ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ بِالْأَمْرَاضِ وَالْجِرَاحِ وَمَا إِلَيْهَا - وَقَدْ أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ أَمْوَالَهُمْ وَعَذَّبُوهُمْ فِي مَكَّةَ - وَسَتَسْمَعُونَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَمِنَ الْمُشْرِكِينَ كَلَامًا وَهَجَاءً مُؤْذِيًا، مَنْ الطَّعَنَ فِي الدِّينِ، وَالتَّحْقِيرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ، وَالتَّحْرِيزِ عَلَى الْقَتْلِ، إِذَا صَبَرْتُمْ عَلَى أَذَاهُمْ، وَعَفَوْتُمْ عَنْهُمْ، وَاشْتَعَلْتُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَلَبِ رِضْوَانِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ خَيْرِ الْأُمُورِ وَأَفْضَلِهَا، حَتَّى تَتَّقُوا وَتُرْهِبُوهُمْ.

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُغِيسَ مَا يَشْتَرُونَ} [آل عمران: 187]

187- لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ أَمْرَ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا عَلَّمَهُمْ أَنْبِيَائُهُمْ وَكَمَا هُوَ مُسَطَّرٌ فِي كُتُبِهِمْ، وَأَلَّا يَكْتُمُوهُ، حَتَّى إِذَا أَرْسَلَهُ اللَّهُ عَرَفُوهُ وَتَابَعُوهُ، لَكِنَّهُمْ طَرَحُوهُ وَضَيَّعُوهُ وَتَرَكَوا الْعَمَلَ بِهِ، وَاسْتَعَاضُوا بِذَلِكَ الْهُدَايَا

والمآكل والرّشا، حظاً ذنوبياً حقيراً مُقابلِ أمرٍ عظيمٍ يترتبُ عليه تَضليلُ أُممٍ وأجيالٍ على مدى قُرُونٍ وأحقاب... فبعستِ التجارةُ تجارتهم، وبعسَ ما يشترّون.
 قال قتادةُ رحمهُ الله: هذا ميثاقُ أخذهُ اللهُ تعالى على أهلِ العِلْمِ. فَمَنْ عَلِمَ شَيْئاً فَلْيُعَلِّمَهُ، وإيّاكم وكتِمَانَ العِلْمِ.
 وقال ابنُ كثيرٍ: في هذا تحذيرٌ للعلماءِ أَنْ يَسْلُكُوا مَسْلَكَهُمْ، فَيُصِيبَهُمْ ما أصابَهُمْ...

{ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [آل عمران: 188]

188- لا تظننَّ الذينَ يفرحونَ بما اقترفوا منَ أفعالٍ سيّئةٍ، ويُجِبُونَ أَنْ يُظهِرُوا للناسِ أَنَّ ما فعلوه هوَ الحقُّ، مثلما كانَ يفعلُ اليهودُ عندما يُسألونَ عن شَيْءٍ منَ العِلْمِ الذي بأيديهم، فيُضَلِّلونَ الناسَ ويُجيبونَهُمْ بكلامٍ فيه كَذِبٌ وتَحْرِيفٌ، ويطلبونَ شُكْرَ الناسِ لهم على إيمانِهِمْ وأمانَتِهِمْ في العِلْمِ!! فلا تظننَّ أَنَّهُمْ بِمَنجاةٍ منَ عِقابِ اللهِ، ولسوفَ يُعَذِّبُهُمْ عَذاباً مؤلماً موجعاً.

{ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [آل عمران: 189]
 189- واعلموا أَنَّ كلَّ شَيْءٍ ممَّا في السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ هوَ مُلْكُ اللهِ، فهوَ المتصرفُ فيهما كيفما يشاء، والقادرُ على ما يشاء، لا يُعجزُهُ شَيْءٌ ممَّا يُريدُ فيهما، فاحشوه ولا تخالفوه، واحذروا نِقْمَتَهُ وَغَضَبَهُ.

{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ } [آل عمران: 190]

190- إِنَّ في خَلْقِ السَّمَاوَاتِ، بارتفاعِها واتساعِها، وما فيها منَ نُجُومٍ وأفلاكٍ، والنظامِ الدقيقِ في سيرِها، وتكاملِ أنظمتِها وتنسيقِها، وعمومِ نوااميسِها، والأرضِ وما فيها منَ أحياءٍ ونباتاتٍ شتى، وجبالٍ شاهقاتٍ، وبحارٍ عظيمةٍ، ومعادنٍ ومَنافعٍ، وفي تعاقبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وكونِ كلِّ منهما يَخْلُفُ الآخرَ، بحسبِ طلوعِ الشَّمسِ وغروبِها، أو في تفاوتِهما بازديادِ أحدهما وانتِقالِ الآخرِ، كلُّ ذلكِ آياتٌ وأدلةٌ عظيمةٌ على الوهيةِ اللهُ ووحدانيته، لمن عَقَلَ مِنَ النَّاسِ

وأدرك الأشياء على حقائقها، وتجرد من شوائب الوهم والتقليد، فتفكر، وصدق، واعتبر، وآمن، واستسلم للحق.

{ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } [آل عمران: 191]

191- إَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ إِذَا، الَّذِينَ لَا يَكْلُونَ وَلَا يَمْلُونَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَلَا يَغْفُلُونَ عَنْهُ فِي عَامَّةِ أَوْقَاتِهِمْ، لِمَعْرِفَتِهِمْ بِأَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي يَنْبَغِي أَلَّا يُنْسَى، وَلِحُشُوعِهِمْ، وَاطْمِئْنَانِ قُلُوبِهِمْ بِذِكْرِهِ، فَيَذْكُرُونَهُ قَائِمِينَ، وَقَاعِدِينَ، وَمُضْطَجِعِينَ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي عَظَمَةِ خَلْقِ اللَّهِ، الدَّالَّةِ عَلَى عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَيَتَأَمَّلُونَ فِيمَا خَلَقَ وَبَثَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ بَدِيعِ صُنْعِهِ، وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا الْكَوْنَ عَبَثًا وَهَزْلًا، فَأَنْتَ مُنَزَّهٌ عَنِ النِّقَاطِصِ وَالْعَيْبِ وَالْعَبَثِ، بَلْ هُوَ لِحِكْمٍ عَظِيمَةٍ وَأُمُورٍ جَلِيلَةٍ، لِيَعْرِفَ النَّاسُ رَحْمَتَ الْعَظِيمِ، وَلِيَعْرِفُوا بَدِيعَ صُنْعِهِ، وَلِيَعْبُدُوهُ، وَلِيَجْزِيَ مَنْ آمَنَ بِالْحَقِّ بِالْحُسْنَى، وَمَنْ كَفَرَ وَأَسَاءَ بِالسُّوءِ.

اللَّهُمَّ فَإِنَّا آمَنَّا بِكَ إِلَهًا وَاحِدًا وَخَالِقًا عَظِيمًا لَا شَرِيكَ لَكَ، فَأَجِرْنَا مِنَ النَّارِ، بِهَدَايَتِنَا وَتَوْفِيقِنَا إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَبِرَحْمَتِكَ، وَنَعُودُ بِكَ أَنْ نَكُونَ مِمَّنْ يَكْفُرُونَ بِكَ وَبِنِعْمَتِكَ.

{ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ } [آل عمران: 192]
192- اللَّهُمَّ إِنَّكَ مَنْ أَدْخَلْتَهُ النَّارَ فَقَدْ أَبْعَدْتَهُ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَهْنَيْتَهُ، وَأَهْلَكْتَهُ، وَلَا تُجِيرِ الظَّالِمِينَ - أَمْثَلِهِمْ - مِنْكَ وَلَا نَصِيرِ، وَلَا تَحِيدَ لَهُمْ عَنِ النَّارِ.

{ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ } [آل عمران: 193]

193- رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا دَاعِيًا يَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ، وَهُوَ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ، مَالِكِكُمْ وَمُتَوَلِّي أُمُورِكُمْ، فَامْتَثَلْنَا أَمْرَهُ، وَأَجَبْنَا نِدَاءَهُ وَاتَّبَعْنَاهُ، اللَّهُمَّ فَذَلِكَ إِيمَانُنَا، وَهَذَا دَعَاؤُنَا، فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، كَبِيرَهَا وَصَغِيرَهَا، وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارِ، خُصَّنَا بِصُحْبَتِهِمْ، وَاجْعَلْنَا فِي جَوَارِهِمْ.

{رَبَّنَا وَأَتْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} [آل

عمران:194]

194- اللهم وأعطينا ما وعدتنا من الثواب على السنة رُسُلِكَ، ولا تُبْعِدْنَا عَنْ رَحْمَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهَلِّكْ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ مَا وَعَدْتَ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ. وَتُسْتَحَبُّ قِرَاءَةُ الْآيَاتِ (190-194) عِنْدَ الْقِيَامِ مِنَ اللَّيْلِ.

{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} [آل عمران:195]

195- فَاجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُمْ، أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلِ أَحَدٍ مِنْكُمْ مَهْمَا كَانَ صَغِيرًا، بَلْ يُؤْتَىٰ كُلُّ جَزَاءٍ مَا عَمِلَ، الذِّكْرُ مِنْكُمْ وَالْأُنْثَىٰ سَوَاءً، فَأَنْتُمْ مِنْ أَصْلِ وَاحِدٍ، وَالْجَمِيعُ يَنَالُ مَا يَسْتَحِقُّ مِنَ الثَّوَابِ.

فالَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهَاجَرُوا لِمُضَاقِقَةِ الْمُشْرِكِينَ لَهُمْ وَالْحَاقِ الْأَذَىٰ بِهِمْ وَالضَّرْرِ بِأَمْوَالِهِمْ، لَا لِشَيْءٍ سِوَىٰ لِعِتْنَانِهِمْ دِينَ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَاتَلَ وَأَبْلَىٰ بِلَاءً حَسَنًا فِي قُوَّةٍ وَصَبْرٍ، وَعَزْمٍ وَبُطُولَةٍ، وَرَأَى النَّصْرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَهَؤُلَاءِ سَأَغْفِرُ جَمِيعَ ذُنُوبِهِمْ، وَأُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي فِي خِلَالِهَا الْأَنْهَارُ، جَزَاءً عَظِيمًا مِنْ رَبِّهِمُ الْكَرِيمِ، وَعِنْدَ اللَّهِ الْجَزَاءُ الْحَسَنُ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا.

{لَا يَغْرِبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ} [آل عمران:196]

196- لَا تَنْظُرْ إِلَى الْكَافِرِينَ وَالْعَصَاةِ مِنْ أَعْدَائِ الدِّينِ وَمَا هُمْ فِيهِ مِنْ مَظَاهِرِ النَّعْمَةِ وَالتَّرَفِ، وَالْعِبْطَةِ وَالْمَكَانَةِ، وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى تَصْرِفِهِمْ فِي الْبِلَادِ بِالتَّجَارَةِ وَأَنْوَاعِ الْمَكَايِبِ.

{مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} [آل عمران:197]

197- فَعَمَّا قَلِيلٍ يَذْهَبُ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ سُرُورٍ، وَيَنْتَهِي مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ مَتَاعٍ، وَيَزُولُ عَنْهُمْ كُلُّ شَيْءٍ كَانُوا عَلَيْهِ، وَيَبْقُونَ مُرْهَنِينَ بِأَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ، الَّتِي تَأْخُذُهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ، لِيَفْتَرِشُوا بُسْطًا مِنْ نَارٍ، وَبِعَسَى الْفِرَاشُ وَالْمَصِيرُ!

{لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ} [آل عمران: 198]

198- وفي مُقَابِلِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ سَمِعُوا نِدَاءَ الْإِيمَانِ فَأَمَّنُوا وَثَبَّتُوا، وَعَزَمُوا عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالتَّزَمُوا، فَجَازَاهُمُ اللَّهُ جَنَّاتٍ وَاسِعَاتٍ، تَجْرِي فِي خِلَالِهَا الْأَنْهَارُ الْمَتَنَوِّعَةُ، ضِيافَةً مِنَ الرَّبِّ الْكَرِيمِ، وَالَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِمَّا ذُكِرَ مِنَ النَّعِيمِ، وَمِنْ خُلُودٍ دَائِمٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ، هُوَ خَيْرٌ لِأَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ، مِمَّا يَتَقَلَّبُ فِي الْمَتَاعِ الْقَلِيلِ الرَّائِلِ.

{وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [آل عمران: 199]

199- وهناك طائفةٌ من أهل الكتاب يؤمنون بالله حقَّ الإيمان، ويؤمنون بما أنزل على النبيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إضافةً إلى إيمانهم بالكتبِ المتقدِّمة، مثل المسلمين، مع خُشُوعٍ وَخَشْيَةٍ مِنَ اللَّهِ، وَطَاعَةٍ لَهُ وَتَدَلُّلٍ، وَلَا يَكْتُمُونَ صِفَةَ رَسُولِ اللَّهِ وَمَبْعَثَهُ مِمَّا يَقْرَأُونَهُ فِي تِلْكَ الْكُتُبِ، وَلَيْسُوا مِثْلَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ يُحَرِّفُونَهَا مُقَابِلَ هُدَايَا وَرِشَا، أَوْ يَكْتُمُونَ مَا بَهَا مِنْ بَشَارَاتِ الرُّسُولِ الْكَرِيمِ؛ حَسَدًا وَبَغْيًا وَعِنَادًا، فَمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ يَكُونُ مِنَ خَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَصَفْوَتِهِمْ، وَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ مِثْلَ بَقِيَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، لَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ، عَلَى كَثْرَةِ عِبَادِهِ، وَكَثْرَةِ أَعْمَالِهِمْ.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: 200]

200- يا عبادَ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ، اصْبِرُوا عَلَى دِينِكُمْ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ لَكُمْ، فِي الشَّدَّةِ
وَالرَّحَاءِ، حَتَّى تَمُوتُوا عَلَيْهِ، فَهَوَ زَادُكُمْ الَّذِي تَتَمَسَّكُونَ بِهِ حَتَّى يَبْلُغَكُمْ الْمَقِيلَ.
وَصَابِرُوا أَعْدَاءَكُمْ الَّذِينَ يُحَاوِلُونَ دَائِمًا أَنْ يُزَعِّزُوا إِيمَانَكُمْ وَيَقْضُوا عَلَيْكُمْ، فَكُونُوا أَصْبِرَ
مِنْهُمْ وَأَقْوَى حَتَّى تَعْلِبُوهُمْ.
وَرَابِطُوا فِي مَوَاقِعِ الْجِهَادِ وَفِي الثُّغُورِ الْمَعْرُضَةِ لِهَجُومِ الْأَعْدَاءِ، لَا تَغْفُلُوا عَنْ هَذَا وَلَا
تَسْتَسْلِمُوا لِلرُّقَادِ.

وَيَأْتِي مَعْنَى الْمُرَابِطَةِ هُنَا أَيْضًا - مِنْ بَابِ التَّنَوُّعِ فِي التَّفْسِيرِ - : الْمُدَاوِمَةُ عَلَى الْعِبَادَةِ
وَالثَّبَاتُ عَلَى طَاعَةِ اللهِ.
وَاتَّقُوا اللهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ، وَلَا تَغْفُلُوا عَمَّا أَمَرْتُمْ بِهِ، حَتَّى تَكُونُوا بِهَذَا كَلِّهِ مِنْ
الْفَائِزِينَ، مُعَزَّزِينَ فِي الدُّنْيَا، وَمُكْرَمِينَ فِي الْآخِرَةِ.

* * *

مِنْ فِضَائِلِ هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ، قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اقْرَأُوا الزُّهْرَاوِينَ: الْبَقْرَةَ
وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَابَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا
فِرْقَانِ مِنْ طَيْرِ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنِ أَصْحَابِهِمَا". رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ.
وَالْعِمَامَةُ وَالْغِيَايَةُ: السَّحَابَةُ. وَالْفِرْقُ: الطَّائِفَةُ مِنَ الشَّيْءِ الْمُنْفَرِقِ. وَالطَّيْرُ الصَّوَّافُ: الَّتِي
تَصُفُّ بِأَجْنِحَتِهَا فَلَا تُحَرِّكُهَا.

سورة النساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }

[النساء: 1]

1- أَيُّهَا النَّاسُ، أَطِيعُوا اللَّهَ وَاحذَرُوا مَخَالَفَةَ أَمْرِهِ، وَاتَّقُوا عَذَابَهُ، هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، هِيَ آدَمُ، وَخَلَقَ مِنْهُ زَوْجَهُ حَوَاءَ، خَلَقَهَا مِنْ ضِلْعٍ لَهُ، وَنَشَرَ مِنْهُمَا ذُكُورًا وَإِنَاثًا كَثِيرِينَ.

وَاتَّقُوا اللَّهَ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ، وَهُوَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَتَقُولُونَ: أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ. وَاحذَرُوا مِنْ أَنْ تَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ قَطِيعَتَهَا مِمَّا يَجِبُ أَنْ يُخْشَى وَيُتَّقَى. وَاللَّهُ رَقِيبٌ عَلَيْكُمْ، حَافِظٌ مُطَّلِعٌ عَلَى نِيَّاتِكُمْ وَمَا يَصْدُرُ عَنْكُمْ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ، فَيُجَازِيكُمْ بِهَا.

{ وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا }

[النساء: 2]

2- وَأَعْطُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ، وَلَا تَظْلِمُوهُمْ فَتَبَدَّلُوا الدِّينَ الْحَقِيرَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ بِالطَّيِّبِ الْغَالِي مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَتَقُولُوا هَذَا بَدَاكَ مَا دَامَ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدًا! وَلَا تَخْلُطُوا أَمْوَالَهُمْ بِأَمْوَالِكُمْ وَتَأْكُلُوهَا جَمِيعًا، فَهُوَ إِثْمٌ كَبِيرٌ، فَاجْتَنِبُوهُ.

{ وَإِنْ حِفْظُهُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ حِفْظُهُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا }

[النساء: 3]

3- وَإِذَا أَرَدْتُمْ الزَّوْجَ بَيْتِمَاتٍ وَخَشِيتُمْ أَنْ تَضُرُّوا بِحُقُوقِهِنَّ، كَأَنْ لَا تُعْطُوهُنَّ صَدَاقَهُنَّ كَامِلًا مِثْلَ صَدَاقِ غَيْرِهِنَّ، فَلَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَيْهِ، إِلَّا أَنْ تَعْدِلُوا فِي ذَلِكَ مِثْلَ غَيْرِهِنَّ، فَإِنْ لَمْ

تقدروا على العدل فالنساء كثيرات، فتزوجوا سواهن، إن شئتم الثلث والأربع، حلالاً طيباً، ولا زيادة على هذا العدد، فإذا خشيتن ألا تعدلوا بينهن فانكحوا واحدة وذرّوا الجميع، أو انكحوا ما ملكت أيماكنكم من الجوّاري السّراري، بدون عدّ، بطريق الملك لا بطريق النّكاح، فلا يلزم فيهنّ من الحقوق ما يلزم في الزّوجات الحرائر. واختيار الواحدة، أو التسري، هو أقرب إلى ألاّ تظلموا.

{ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا }

[النساء:4]

4- وأعطوا النساء صدقاتهنّ حتماً واجباً، فإذا تنازلن لكم عن قسم منه عن طيب نفسٍ منهنّ، فكلوه حلالاً طيباً.

{ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا }

لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا { [النساء:5]

5- ولا تعطوا غير الرّاشدين أموالكم، ممّن لا يحسنون تصرّيفها وتديبرها وتثميرها، فالأموال لا تُهدر ولا تُرمى، ففيها معاشكم ومصالحكم، من تجاراتٍ وغيرها، وأعطوا غير الرّاشدين ممّن تتولون أمورهم حقوقهم، من كسوة ومؤنة وطعام، وأحسنوا تعاملكم معهم، فبرّوهم، وقولوا لهم كلاماً طيباً.

{ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا }

[النساء:6]

6- وإذا أردتم أن تُمكنوا اليتامى من أموالهم فجزّبوهم واختبروهم أولاً، فإذا رأيتم أنّهم بلغوا سنّ الزواج، وعلمتم منهم صلاحاً في الدّين وقدره على التديبر والتصرّيف، فأعطوهم أموالهم، ولا تأكلوها من غير حاجةٍ ضروريّةٍ قبل بلوغهم، ومّن كان في غنى عن مالهم فلا يأكل منه شيئاً، ومّن كان محتاجاً فليأكل بالمعروف، يعني بالتي هي أحسن، كما قال سبحانه: { وَلَا

تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} [الأنعام:152]، فإذا أعطيتُمُوهم أموالهم فيجب أن يكون هناك شهودٌ في محضَرِ التَّسليم. وكفى بالله مُحاسباً وشهيداً ورفيقاً على أولياءِ اليتامى وقيامهم على أمرهم وما يفعلونه بأموالهم.

{ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا } [النساء:7]

7- الجميع سواءً في أصلِ الوِراثَةِ، فللرِّجالِ نصيبهم ممَّا تركه الوالدانِ وأقرباؤهم، وللنساءِ كذلك نصيبهنَّ ممَّا ترك الوالدانِ وأقرباؤهنَّ، سواءً كانتِ التركة قليلةً أو كثيرةً، حقاً واجِباً مفروضاً.

{ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا } [النساء:8]

8- وإذا حضرَ قِسْمَةَ التركةِ أقرباؤكم من اليتامى والمساكينِ ممن لا يرثون، فأعطوهم منها، وقولوا لهم كلاماً حسناً تُطيبون به نفوسهم.

{ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا } قَوْلًا سَدِيدًا } [النساء:9]

9- وليخفِ اللهُ هؤلاءِ الذين يحضُرهم الموتُ وقد تركوا ذُرِّيَّةً صِغاراً خافوا عليهم الفقَر والضَّياع، لضعفهم وعدمِ قُدرتهم على التكبُّب، فليتَّقوا اللهُ ولا يوضوا بالكثيرِ من أموالهم للآخرينَ ويدعوا أولادهمِ عالَةً يتكفَّفونَ الناس، بل بالمعروف. وقد بيَّنتِ السنَّةُ من بعدُ أنَّه لا تجوزُ الوصيةُ بأكثرَ من الثلث.

{ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا } [النساء:10]

10- إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى حَرَامًا بَعِيرِ حَقٍّ، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ بِذَلِكَ نَارًا مَلِيءَةً بُطُونَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَسَيَكُونُ جَزَاؤُهُمْ أَنْ تُسْعَرَ بِهِمْ النَّارُ فِي جَهَنَّمَ، فَيُحْرَقُونَ مِنَ الْخَارِجِ أَيْضًا، فَهِيَ مُحِيطَةٌ بِهِمْ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، جَزَاءَ ظُلْمِهِمْ لِلْيَتَامَى الضَّعْفَاءِ.

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا { [النساء: 11]

11- يَأْمُرُكُمُ اللَّهُ بِالْعَدْلِ فِي أَوْلَادِكُمْ عِنْدَ تَقْسِيمِ الْمِيرَاثِ، فَلِلرَّجُلِ ضِعْفُ مَا هُوَ لِلأُنثَى، بِحَسَبِ مَا يَأْتِي، فَلَا تُحْرَمُ نَصِيبُهَا كَمَا كَانَ يُفْعَلُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. أَمَّا الضَّعْفُ لِلرَّجُلِ فَلِأَنَّهُ هُوَ الْمَسْئُولُ عَنِ النِّفْقَةِ لِامْرَأَةِ، وَهُوَ الَّذِي يَعْمَلُ وَيَتَكَسَّبُ وَيَتَاجِرُ وَيَتَحَمَّلُ الْمَشَقَّةَ لِأَجْلِ ذَلِكَ، وَلَيْسَ مَطْلُوبٌ ذَلِكَ مِنَ الْمَرْأَةِ، بَلْ هِيَ مَصُونَةٌ مَأْمُورٌ أَنْ يُنْفَقَ عَلَيْهَا، سِوَاهُ كَانَتْ عِنْدَ أَهْلِهَا أَوْ عِنْدَ زَوْجِهَا، أَوْ أَهْمَا تُنْفِقُ عَلَى نَفْسِهَا وَحَدَّهَا.

فَإِذَا مَاتَ الْأَبُ وَلَا وَاوَرِثَ لَهُ سِوَى ذُرِّيَّتِهِ مِنَ الذَّكَورِ وَالْإِنَاثِ، اقْتَسَمُوا تَرِكَّتَهُ كُلَّهَا، لِلذَّكَورِ مِنْهُمْ ضِعْفُ مَا لِلْإِنَاثِ.

فَإِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ ذُكُورٌ، لَكِنْ لَهُ ابْنَتَانِ فَأَكْثَرُ، فَلَهُنَّ ثُلَاثُ التَّرِكَةِ. وَإِذَا كَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ وَاحِدَةٌ فَلَهَا نِصْفُ التَّرِكَةِ. ثُمَّ يوزَعُ بَاقِي الْمِيرَاثِ عَلَى أَقْرَبِ عَاصِبٍ لِلْمَيِّتِ: فَيَكُونُ لِأَبَوَيْهِ: لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِنَ الْمِيرَاثِ، إِذَا كَانَ لَهُ وَلَدٌ: ابْنٌ أَوْ بِنْتُ. فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَقَطْ، فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ، وَسَائِرُهُ لِأَبِيهِ. فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ، وَكَانَ لَهُ إِخْوَةٌ، وَمَعَهُمُ الْأَبُ وَالْأُمُّ، فَلَهَا مَعَهُمُ السُّدُسُ، وَسَائِرُهُ لِلْأَبِ.

وهذا كله بعد أن يُعْطَى مِنَ التَّرِكَةِ الدَّيْنُ الَّذِي عَلَى الْمَيِّتِ، وَكَذَلِكَ فَرَزُ الوَصِيَّةِ مِنْهَا، إِذَا كَانَ أَوْصَى مِنْهَا.

وفي المسائل السابقة تفاصيل فرعية تُنظر في كتب الفرائض.

وقد ساوينا بين الكل في أصل الميراث، ولا تدرون المتوقع في الخير والنفع الديوي والأحروي لكم من أي يكون، في الآباء أو في الأبناء، فلهذا فرضنا لهذا ولذا، وساوينا بين القسمين في أصل الميراث.

وهذا التفصيل في تقسيم الميراث فرض من الله عليكم، وبه قضى، وهو عليهم حكيم، يُعطي كلاً ما يستحق بحسبه، وليس للبشر أن يشرعوا لأنفسهم، وأن يحكموا هواهم في ذلك، فالله هو الذي أعطى الأرزاق والأموال، وهو الذي يفرض ويقسم، وهو أعلم بمصلحتهم منهم بها.

{وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُنْ لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمُ إِن لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّمَنِ مِنَ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ} [النساء:12]

12- ولكم أيها الأزواج نصف ما تركت الزوجات إذا لم يكن لهن أولاد.

فإذا كان لهن أولاد فلكنم الربع من تركتهن.

وهذا بعد إيفاء الدين والوصية من ميراثهن، إن كان عليهن دين، أو أوصين بوصية.

ولللزوجات الربع من ميراثكن أيها الأزواج إذا لم يكن لكم ولد، فإذا ورثكنم الأولاد معهن

فللزوجات الثمن من الميراث.

وهذا أيضاً بعد إيفاء الدين والوصية من ميراثكن، إذا كان عليكم دين أو أوصيتكم بوصية...

وإذا مات الرجل ولا أصل يرثه ولا فرع، يعني لا ولد له ولا والد، وإنما هم حواشيه، وكذا

المرأة، وله أخ أو أخت من أم، فلكل واحد منهما السدس. فإذا كانوا أكثر من ذلك فهم

شركاء في الثلث مهما بلغ عددهم. وهذا أيضاً بعد رفع مقدار الدين من التركة، وكذا الوصية

الموصى بها، على أن تكون عادلة لا ضررَ فيها على الورثة ولا جور، فلا يكون القصدُ منها حِزْمانَ بعضِ الورثة من الميراث، أو إنقاصه، أو الزيادةَ عليه.
ويُلاحَظُ أن لا وصيةَ لوارث، ولا تزيدُ على الثلثِ لغيرِ الوارث.
وهذه الفرائضُ وصيةٌ من الله، فهي واجبةُ الطاعة.
واللهُ عليهم بالمضارِّ وغيره، حليمٌ بهم، فلا يؤاخذهم بمجرّدِ صدورِ خطأ منهم، بل يُمهّلهم ويبيِّنُ لهم حتى يفهموا ويعتبروا.

{ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [النساء: 13]

13- وتلك الفرائضُ والتشريعات، من بيانِ تقديرِ مُستَحَقَّاتِ كلِّ وارث، بحسبِ قُرْبِهِمْ وبعْدِهِمْ عن الميِّت، وبقدرِ احتياجِهِمْ وفقدِهِمْ له بعدَ وفاته، وما إلى ذلك، هي حُدُودٌ حدَّها اللهُ بعلمِهِ وحِكْمَتِهِ لتكونَ الفيصلَ في التوزيعِ والتقسيمِ، فلا تتجاوزوها، ولا تعملوا بغيرِها. ومن يُطِيعِ اللهُ ورسولَهُ مُلتزِماً بفرِيضَتِهِ وقِسْمَتِهِ، من غيرِ حيلةٍ ولا خيانةٍ، يُلَقَّ جزاءً طيباً من ربِّهِ، فيُدخلُهُ جنَّاتٍ تجري في خلالها الأنهار، مع خلودٍ دائم، وهو فوزٌ عظيم، لمن عرَفَ حُطُورَةَ ذلك اليومِ وهولَهُ وشِدَّتَهُ.

{ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ } [النساء: 14]

14- أمّا مَنْ عصى وتحايل، أو عمِلَ بغيرِ قِسْمَةِ اللهِ، مُؤثراً إِيَّاهُ عليها، ويكونُ بذلكَ غيرَ ما حَكَمَ اللهُ بهِ وضادَّهُ في حُكْمِهِ، وغيرِ راضٍ من قِسْمَتِهِ، فإنَّ اللهُ يُدخِلُهُ ناراً مُحْرِقَةً خَالِداً فيها، ويُعَذِّبُ فيها عذاباً شديداً، مع دُلٍّ وهوان.

{ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً } [النساء: 15]

15- والنساء اللواتي يأتين الفاحشة، فيزنين، فلا بد لإثبات ذلك من أربعة شهود، فإذا شهدوا بذلك، فإنهنَّ يُحْبَسْنَ فِي بَيْتٍ وَلَا يُسْمَخُ لَهُنَّ بِالخُرُوجِ مِنْهُ حَتَّى يَمُتْنَ، أَوْ يَنْتَظِرْنَ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ مَخْرَجًا.

والسبيلُ فِي مَخْرَجِهِنَّ هُوَ الْحُكْمُ النَّاسِخُ لِسَابِقِهِ، فَهَذَا الْحُكْمُ كَانَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ صَارَ إِلَى الرَّحْمِ لِلْمَتْرُوجِ وَالْمَتْرُوجَةِ، وَالْجُلْدِ لِغَيْرِهِمَا.

{وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنَّ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء:16]

16- وَالرِّجَالُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْفَاحِشَةَ بَعْضُهُمَا بَعْضٍ فَأَذُوهُمَا، بِالشَّتْمِ وَالتَّعْيِيرِ، وَالضَّرْبِ بِالتَّعَالِ.

فَإِذَا أَقْلَعَا عَنْ جُرْمِهِمَا وَلَمْ يَعُودَا إِلَيْهِ، وَحَسَنَ سَلُوكُهُمَا وَصَلَحَتْ أَعْمَالُهُمَا، فَاتْرَكَوهُمَا وَلَا تُعَنَّفُوهُمَا، فَالتَّائِبُ تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ. وَاللَّهُ كَثِيرٌ قَبُولُ التَّوْبَةِ، كَثِيرٌ الرَّحْمَةُ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.
ثُمَّ بَيَّنَّتِ السُّنَّةُ مَالَ حُكْمِهِمَا فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلِ قَوْمٍ لَوِطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ"، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ الْأَرْبَعَةُ وَغَيْرُهُمْ.

{إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء:17]

17- إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ التَّوْبَةَ مِنَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْمَعَاصِيَ جَهَالَةً وَسَفَهًا وَهُمْ يَعْلَمُونَ سُوءَ عَاقِبَتِهَا. وَسُمِّيَ مُقْتَرَفُ الذَّنْبِ جَاهِلًا لِأَنَّهُ يُقَدِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَعْلَمُ مَعْبَتَهُ! فَهؤُلَاءِ إِنْ تَابُوا قَبْلَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِخَلْقِهِ، حَكِيمٌ فِيمَا يَصْنَعُ بِهِمْ.

{وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [النساء:18]

18- ولا تُقْبَلُ التَّوْبَةُ مِنَ الَّذِينَ يَرْتَكِبُونَ الذُّنُوبَ حَتَّىٰ إِذَا عَايَنُوا الْمَوْتَ، وَعَزَّزَ الْخَلْقَ، وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ، قَالَ أَحَدُهُمْ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ، وَكَذَا الْكُفَّارُ الَّذِينَ يَمُوتُونَ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، لَا يَنْفَعُهُمْ نَدْمُهُمْ وَلَا تَوْبَتُهُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ، فَهَوْلَاءُ هِيَآئِنَا لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا وَمُؤْمَلًا دَائِمًا.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا } [النساء:19]

19- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَمَا تَرِثُونَ الْأَمْوَالَ، وَهُنَّ كَارِهَاتٌ لِذَلِكَ أَوْ مُكْرِهَاتٌ عَلَيْهِ، وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تُسَيِّئُوا عَشْرَهُنَّ وَتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَتَمْنَعُوهُنَّ مِنَ الزَّوْجِ حَتَّىٰ يَدْفَعَنَّ إِلَيْكُمْ مَا أَعْطَيْتُمُوهُنَّ مِنْ صَدَاقٍ أَوْ بَعْضِهِ، إِلَّا إِذَا اقْتَرَفْنَ فَاحِشَةً، فَحِينَئِذٍ يَجُوزُ لَكُمْ التَّضْيِيقُ عَلَيْهِنَّ لِيَفْتَدِينَ أَنْفُسَهُنَّ مِنْكُمْ بِمَالٍ، وَالْفَاحِشَةُ هِيَ الزَّانَا، أَوْ مَا دُونَهُ، كَالنُّشُوزِ، وَسُوءِ الْعِشْرَةِ، وَإِيْذَاءِ، وَبَدَاءَةِ، وَسَلَاطَةِ...

وَأَجْلُوا مَعَهُنَّ فِي الْقَوْلِ، وَطَيَّبُوا خَاطِرَهُنَّ، وَأَحْسِنُوا مَعَهُنَّ فِي الْمَبِيتِ وَالنَّفَقَةِ وَمَا إِلَيْهَا. فَإِذَا سَمِعْتُمْ صُحْبَتَهُنَّ مِنْ غَيْرِ إِسَاءَةٍ مِنْ طَرَفِهِنَّ، فَاصْبِرُوا عَلَىٰ مَعَاشِرَتِهِنَّ، فَلَعَلَّ لَكُمْ فِيهَا تَكْرَهُونَهُ خَيْرًا كَثِيرًا يَبْدُو فِي الْمُسْتَقْبَلِ، كَوَلَدٍ صَالِحٍ فِي الدُّنْيَا، وَأَجْرٍ كَبِيرٍ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ جَزَاءَ صَبْرِكُمْ.

وفي الحديث الصحيح: "لا يَفْرَكُ - أي لا يكره - مؤمنٌ مؤمنة، إن سَخَطَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرٌ".

{ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا } [النساء:20]

20- وَإِذَا أَرَدْتُمْ مُفَارَقَةَ امْرَأَةٍ وَالزَّوْجَ بِأُخْرَى، وَقَدْ دَفَعْتُمْ إِلَى الْأُولَىٰ صَدَاقًا كَثِيرًا، فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا وَلَوْ كَانَ قَلِيلًا، أَتَأْخُذُونَهُ ظُلْمًا وَزُورًا بَيْنًا؟!

{ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا }

[النساء: 21]

21- وكيف تأخذون الصداق منهنّ وقد حدث بينكم وبينهنّ الخلوّة والجماع، وأخذنّ منكم عهداً وثيقاً، وهو حقّ الصُّحبة والمعاشرة الطيّبة، كما قال الله تعالى في شأنهنّ: {فَأَمْسَاكُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ} [البقرة: 229]، أو أنّ المقصود بالميثاق الغليظ عقد الزواج.

{ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ

سَبِيلًا } [النساء: 22]

22- ولا يجلّ لكم أن تنكحوا ما نكحه آباؤكم كما كان يُفعل في الجاهلية؛ تَكْرِمَةً لهم، وإعظاماً واحتراماً أن توطأ زوجاتهم من قبل آبائهم، إلا ما كان سلف منه في الجاهليّة، فهو معفو عنه. فإنّ هذا العمل ممقوت مبغوض وسبيل سيّء. وقد كان ممقوتاً مستحقراً حتى في الجاهليّة.

{ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّن الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَالَاتُكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنَّ يَحْتَمُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا } [النساء: 23]

23- حُرِّمَ عَلَيْكُمْ الزَّوْجُ مِنْ أُمَّهَاتِكُمْ، وَبَنَاتِكُمْ، وَأَخَوَاتِكُمْ، وَعَمَّاتِكُمْ، وَخَالَاتِكُمْ، وَبَنَاتِ الْأَخِ، وَبَنَاتِ الْأُخْتِ.

كما تحُرِّم عليكم أمهاتكم اللواتي أرضعنكم، وأخواتكم من الرضاعة. ويحُرِّم عليكم الزَّوْجُ مِنْ أُمَّهَاتِ زَوْجَاتِكُمْ (بمجرد العقد على بناتهنّ)، وَبَنَاتِ زَوْجَاتِكُمْ، فَيَحُرِّمُ عَلَيْكُمْ الزَّوْجُ بِنَاتِهِنَّ بَعْدَ الدَّخُولِ بِأُمَّهَاتِهِنَّ، فَإِذَا لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِأُمَّهَاتِهِنَّ فَلَا حَرَجَ مِنَ الزَّوْجِ بِنَاتِهِنَّ، وَسِوَاءُ كَانَتْ تِلْكَ الْبَنَاتُ فِي بَيْوتِكُمْ أَمْ لَا.

ولا يَحِلُّ لَكُمْ الزَّوْجُ مِنْ زَوَاجِ آبَائِكُمُ الَّذِينَ وَلَدْتُمُوهُمْ مِنْ أَصْلَابِكُمْ. بِخِلَافِ الْأَبْنَاءِ
الْأَدْعِيَاءِ (الْمُتَبَنِّينَ) فَلَا حَرَجَ فِي ذَلِكَ.
وَيَحْرُمُ عَلَيْكُمْ فِي الزَّوْاجِ الْجَمْعُ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَفَا
عَنْكُمْ، وَعَفَرَ لَكُمْ؛ رَحْمَةً بِكُمْ.

سورة النساء (الآيات 24-147)

{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَلِكَ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: 24]

24- وَيَحْرُمُ عَلَيْكُمُ الزَّوْجُ بِالنِّسَاءِ ذَوَاتِ الْأَزْوَاجِ، إِلَّا مَا مَلَكَتُمُوهُنَّ بِالسَّيِّ، فَيَجُوزُ لَكُمْ وَطُوهُنَّ وَلَوْ كَانَ لهنَّ أَزْوَاجٌ فِي دَارِ الْحَرْبِ، بَعْدَ اسْتِبْرَائِهِنَّ، وَهُوَ انْقِضَاءُ عِدَّتِهِنَّ، لِأَنَّ السَّيِّ يَرْتَفِعُ النِّكَاحُ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ أَزْوَاجِهِنَّ السَّابِقِينَ. وَهَذَا التَّحْرِيمُ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَالتَّزَمُوا شَرْعَهُ. وَأُحِلَّ اللَّهُ لَكُمْ عِدَا مَنْ ذُكِرَ مِنَ الْحَارِمِ.

قال صاحب "روح المعاني": وفي إثارة اسم الإشارة (ذلكم) على الضمير، إشارة إلى مشاركة مَنْ فِي مَعْنَى الْمَذْكُورَاتِ لِلْمَذْكُورَاتِ فِي حُكْمِ الْحُرْمَةِ.

يعني ما حرّمه الله على لسان نبيه من عدم الجمع بين الزوجة وعمتها، وبينها وبين خالتها. وقال الفخر الرازي في تفسيره: ثبت في أصول الفقه أنّ ذكر الحكم مع الوصف المناسب له يدل بحسب اللفظ على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف، فثبت أنّ قوله: {وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ} يدل على كون القرابة القريبة مانعة من الجمع في النكاح، وهذا المعنى حاصل بين المرأة وعمتها أو خالتها، فكان الحكم المذكور في الأختين المذكوراً في العمّة والخالة من طريق الدلالة، بل هاهنا أولى، وذلك لأن العمّة والخالة يُشبهان الأمّ لبنت الأخ ولبنت الأخت، وهما يُشبهان الولد للعمّة والخالة، واقتضاء مثل هذه القرابة لترك المضارّة أقوى من اقتضاء قرابة الأختية لمنع المضارّة، فكان قوله تعالى: {وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ} مانعاً من العمّة والخالة بطريق الأولى...

وقال من بعد: وإذا عرفت هذا فنقول: قوله: { وَأَحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَلِكَ } المراد منه ما وراء هؤلاء المذكورات، سواء كنَّ مذكوراتٍ بالقول الصريح، أو بدلالة جليّة، أو بدلالة خفيّة، وإذا كان كذلك لم تكن العمّة والخالّة خارجة عن المذكورات.

قلت: لعله يفهم من كلام الرازي أنّ الآية مجمّلة والحديث مبين لها، بينما أفاد ابن الجوزي أنّها على عموم خصّة الحديث. والنتيجة واحدة.

قال ابن الجوزي في "نواسخ القرآن": هذا عند عموم العلماء لفظ عامّ دلّ التخصيص بنهي النبي صلى الله عليه وسلم أن تُنكح المرأة على عمّتها وعلى خالّتها.

وأورد الرّازي أدلّة أخرى في الموضوع، وأصنافاً أخرى من التحريم في طرّوه حالات... تُنظر في تفسيره، وفي تفسير القرطبي.

فاطلبوا الزّواج بأموالكم حتى أربع، أو ما شئتم من الجوّاري السّراري، بالطريق الشرعي، متّعّفين، غير زانين.

فإذا تزوّجتم وساحتكم الزوجات في الصّداق، أو وضعن لكم منه شيئاً، فلا بأس عليكم وعليهنّ في ذلك.

والله عليهم بما يصلح لكم في أمور الزّواج، حكيم فيما شرّعه لكم من التحليل والتحريم فيه.

{ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَثْوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصِيرُوا خَيْرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [النساء : 25]

25- وَمَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا سَعَةٍ وَغَنًى لِيَتَزَوَّجَ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ الْحَرَائِرِ، فَلْيَنْكِحِ الْإِمَاءَ الْمُؤْمِنَاتِ اللَّاتِي يَمْلِكُهُنَّ الْمُؤْمِنُونَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِمَرَاتِبِ إِيْمَانِكُمْ، فَلْيَكُنِ الْإِيْمَانُ مَطْمَحَ نَظَرِكُمْ، فَرُبَّ أَمَةٍ أَكْثَرُ إِيْمَاناً مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْحَرَائِرِ. وَأَنْتُمْ وَفِتْيَاتُكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، إِمَّا بِالذِّينِ وَإِمَّا بِالنَّسَبِ، فَتَزَوَّجُوا مِنْهُنَّ بَعْدَ إِذْنِ أَوْلِيَائِهِنَّ، يَعْنِي مَنْ لَهُ وَلايَةُ تَزْوِيجِهِنَّ، بَعْدَ أَنْ تَدْفَعُوا مُهُورَهُنَّ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ، دُونَ أَنْ تَبْخَسُوا مِنْهُ شَيْئاً، وَلَا أَنْ تَسْتَهِنُوا بِهِنَّ لِكُونِهِنَّ إِمَاءً مَمْلُوكَاتٍ، وَهِنَّ

عَفَائِفُ لَا زَانِيَاتٌ وَلَا ذَوَاتُ أَصْدِقَاءَ، فَإِذَا تَزَوَّجْنَ وَزَيْنَ، فَعَلِيهِنَّ مِنَ الْعُقُوبَةِ نِصْفُ مَا عَلَى الْحَرَائِرِ الْأَبْكَارِ، وَلَا رَجَمَ عَلَيْهِنَّ؛ لِأَنَّهُ لَا يُنْتَصَفُ.

وَيَعْنِي أَنَّ عُقُوبَتَهُنَّ لَا تَزِيدُ بِالزَّوْجِ، فَيُقَامُ عَلَيْهِنَّ الْحُدُّ إِنْ زَيْنَ، وَهُوَ خَمْسُونَ جَلْدَةً، أَبْكَاراً كُنَّ أَمْ مُتَزَوِّجَاتٍ. وَفِيهِ اخْتِلَافٌ عُلَمَاءَ.

وزواجكم بالإماء المؤمنات بالشروط السابقة لمن خاف الزنا بسبب غلبة الشهوة عليه، ولو صبرتم عن نكاحهن فهو أفضل لكم، لأنه لو صار لكم منهن أولاد لكانوا أرقاء، ولا يخلصن للأزواج خلوص الحرائر، فهن يُستخدمن سفراً وحضراً، ويُقدِرُ سيدهن أن يبيعهن للحاضر والبادي. وفي ذلك مشقة على أزواجهن. كما أهنئ مُبتدلات، وداخلات خارجات، ولا يكاد يتحمل منهن ذلك غيور.

والله يغفر لمن لم يصبر عن نكاحهن، رحيم بكم، فلذلك رخص لكم ما رخص.

والجمهور على أنه لا يجوز للمسلم الزواج من الإماء ما دام قادراً على الزواج من الحرائر، ويصبر عن الزواج، وخالفهم الحنفية في ذلك... واتفقوا على أن من كان متزوجاً حرّة، لم يجز له أن يتزوج بالأمة...

{ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ } [النساء: 26]

26- يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ بِهَذَا مَا أُحِلَّ لَكُمْ وَمَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، وَيُرِشِدَكُمْ إِلَى مَنَاجِجِ الْمُهْتَدِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَأَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَكُمْ إِذَا تَبَّئْتُمْ إِلَيْهِ عَمَّا يَقَعُ مِنْكُمْ مِنَ التَّقْصِيرِ وَالتَّفْرِيطِ فِيمَا كُفِّتُمْ بِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِأَحْوَالِكُمْ وَبِمَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، حَكِيمٌ بِمَا شَرَعَهُ لَكُمْ، مُرَاعِياً بِذَلِكَ مَصَالِحَكُمْ.

{ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا }

[النساء: 27]

27- وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَكُمْ، فَتُوبُوا إِلَيْهِ لِتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيَرْضَى عَنْكُمْ، وَيُرِيدُ الْفَاسِقُونَ وَاتَّبَاعُ الشَّيَاطِينِ مِنَ الْكَافِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ أَنْ تَزِيغُوا عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ لِتَكُونُوا مِثْلَهُمْ.

{ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلِيقَ الْإِنْسَانِ ضَعِيفًا } [النساء: 28]

28- وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالتَّكْلِيفِ فِي أُمُورِ النِّكَاحِ وَغَيْرِهِ، وَلِذَلِكَ أَبَاحَ لَكُمْ الزَّوْجَ مِنَ الْإِمَاءِ... لِئِنَّا سَبَّ ذَلِكَ ضَعْفَ الْإِنْسَانِ فِي نَفْسِهِ وَفِي عَزْمِهِ وَهَمَّتِهِ، فِي أَمْرِ النِّسَاءِ خَاصَّةً، حَيْثُ لَا صَبْرَ لَهُ عَنْهُنَّ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } [النساء: 29]

29- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا يَأْكُلُ بَعْضُكُمْ أَمْوَالَ بَعْضٍ بِمَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ، كَالرِّبَا وَالقِمَارَ، وَأَنْوَاعِ الْمَكَاسِبِ غَيْرِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلَكِنْ اقْصِدُوا الطَّرِيقَ الشَّرْعِيَّةَ، كَالتِّجَارَةَ، فِي تَدَاوُلِ أَمْوَالِكُمْ بَيْنَ بَعْضِكُمْ الْبَعْضِ عَن تَرَاضٍ مِنْكُمْ.

وَلَا تُهْلِكُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تُخَاطِرُوا بِهَا بِارْتِكَابِ الْآثَامِ وَتَعْاطِي الْمَعَاصِي، كَأَكْلِ الْأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ وَغَيْرِهِ مِمَّا تَسْتَحِقُّونَ بِهِ الْعِقَابَ. وَكَانَ اللَّهُ رَحِيمًا بِكُمْ عِنْدَمَا تَهَاجَمُونَ عَنِ الْأَكْلِ الْحَرَامِ وَإِهْلَاكِ النَّفْسِ.

{ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُذْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا } [النساء: 30]

30- وَمَنْ يَقْتَرِفْ مَا تَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ السَّابِقَةِ، مُتَعَدِّيًّا فِي ذَلِكَ حَدُودَ اللَّهِ وَمُتَجَاسِرًا عَلَى انْتِهَاجِهَا، فَسَوْفَ نُدْخِلُهُ النَّارَ الْمَحْرُوقَةَ، وَهَذَا هَيِّئًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا يَمْنَعُهُ مِنْ عِقَابِهِ مَانِعٌ، وَلَا يَدْفَعُهُ عَنْهُ دَافِعٌ.

{ إِنْ بَحْتَبْتُمْ كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا } [النساء: 31]

31- إِذَا اجْتَبَيْتُمْ كِبَائِرَ الذَّنُوبِ الَّتِي تُهَيِّئُ عَنْهَا، غَفَرْنَا لَكُمْ صَغَائِرَهَا، وَأَدْخَلْنَاكُمْ مَكَانًا حَسَنًا، هُوَ جَنَّةُ اللَّهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

{ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } [النساء: 32]

32- في حديثٍ صَحِيحٍ رواه الترمذِيُّ والحاكِمُ وأحمدُ، أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: يَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا تَغْزُو النِّسَاءُ، وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ المِيرَاثِ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: { وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ }.

أي: وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْضَكُمْ وَمَيَّرَهُ بِهِ عَلَيْكُمْ، فَلِكُلِّ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ نَصِيبُهُ الَّذِي قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ، فَهِيَ قِسْمَةٌ صَادِرَةٌ مِنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ، وَعَلَى الكُلِّ أَنْ يَرْضَى بِمَا قُسِمَ لَهُ، وَلَا يَتَمَنَّى حَظَّ الآخَرِ وَلَا يَحْسُدُهُ عَلَى ذَلِكَ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ إِحْسَانِهِ وَإِنْعَامِهِ، فَإِنَّ مَا عِنْدَهُ كَثِيرٌ لَا يَنْفَدُ أَبَدًا، كَرِيمٌ وَهَّابٌ، عَلِيمٌ بَمَنْ يَسْتَحِقُّ فَضْلَهُ فَيُعْطِيهِ، مَن لَّا يَسْتَحِقُّهُ فَيَمْنَعُهُ، وَلِذَلِكَ جَعَلَهُمْ مَرَاتِبَ بِحِكْمَتِهِ، بِحَسَبِ اسْتِعْدَادِهِمْ وَتَفَاوُتِ قَابِلِيَّتِهِمْ.

{ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَانَكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ }
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا { [النساء: 33]

33- وَلِكُلِّ جَعَلْنَا وَرَثَةً يَرِثُونَ أَنْصِبَتَهُمْ مِنْ تَرِكَةِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِحَسَبِ اسْتِحْقَاقِهِمْ لَهَا، وَالَّذِينَ تَحَالَفْتُمْ مَعَهُمْ لِيَرِثَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا قَبْلَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، فَأَعْطَوْهُمْ حَظَّهُمْ مِنَ المِيرَاثِ، وَمَا عَقَدَ مِنْ مُحَالَفَةٍ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَا تَأْتِيهِ لَهُ، فَقَدْ أُلْغِيَ حَظُّهُمْ مِنَ المِيرَاثِ. وَاللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْ جَمَلَةِ ذَلِكَ حَالِكُمْ فِي المَنْعِ وَالْإِيْتَاءِ.

وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يُحَالِفُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ وَيَقُولُ: تَرْتُنِي وَأَرْتُكَ. فَنَسَخَتْهَا آيَةُ المَوَارِيثِ { وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ } [سورة الأنفال: 75].

{ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا } [النساء: 34]

34- ومن أسباب استحقاق الرجال أكثر من النساء في الميراث، أن لهم القوامة عليهن. وهي القيام بالمصالح والتدبير والتأديب، وذلك بما فضل الله الرجال على النساء في أمور عِدَّة مُسْتَنْجَةٍ ومُشَاهِدَةٍ، ولذلك كانت النبوة مُخْتَصَّةً بالرجال، وفيهم من الصفات والخصائص ما يُؤَهِّلُهُمْ لأعمالٍ ووظائفٍ لا تُقدِرُ عليها النساء، أو أتمَّ غيرُ مُناسِبَةٍ لهنَّ أصلاً، كالجهاد، والإمامة الكبرى، والأذان، والخطبة، والشهادة في الحدود والقصاص، وتحمُّل الدية في القتل الخطأ، والولاية في النكاح والطلاق والرجعة، وعدد الأزواج، وجوانب كثيرة في الحزم ورزاقية الرأي. وكذلك بما يُنفقون من أموالهم، من المهر والنفقة على النساء وعلى الأسرة جميعها، وأمورٍ أخرى أوجبها الله عليهم في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

والصالحات منهنَّ مُطِيعاتُ الله تعالى وقائماتُ بحقوق أزواجهنَّ، ويحفظنَّ أنفسهنَّ عما يشينها أثناء غياب أزواجهنَّ عنهنَّ، ويحفظنَّ أموالهنَّ، وكلَّ ما يجب عليهنَّ حفظه، وذلك بما حفظ الله لهنَّ عليهم من المهر والنفقة، والقيام بحفظهنَّ والذبَّ عنهنَّ.

والنساء اللواتي تظنون أو تتخوفون عسيانن وترفعهن عن مطاوعتكم، وبغضهن لكم، أي متى ظهرت لكم إشارات وأمارات تدل على هذا الموقف منهن، فانصحوهن وخوفوهن عاقبة ما يُقدمن عليه، فإذا لم تنفع معهن النصيحة فلا تبيتوا معهن على فُرْشهن ولا تُجامعوهن، واتركوهن مفردات، فإن ذلك شديد عليهن، فإذا لم يرتدعن بأسلوب الموعظة والهجران، فلكن أن تضربوهن ضرباً غير مؤذٍ كثيراً، بحيث لا يترك فيهن عيباً ظاهراً، فيكون ضرب أذب لا ضرب انتقام، فالمقصود الإصلاح. ويتجنب ضرب الوجه والمهالك، يعني المواضع المخوفة، كما يتجنب المواضع المستحسنة لئلا يشوهها. والأولى الاكتفاء بالتهديد وعدم الضرب، لما قالت عائشة رضي الله عنها: "ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده، ولا امرأة، ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله". رواه مسلم.

فإن أطعنكم وعُدن إلى ما كنن عليه من العشرة الطيبة معكم، فدعوهن ولا تؤذوهن ولا تهجوهن، بل ساموهن وعاشروهن بالمعروف، واحذرُوا ظلمهن، فإن الله وليهن، وهو أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم، وهو ينتقم على من بغي عليهن ولو بعد حين.

{ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } [النساء: 35]

35- فإذا خِفْتُمْ تَفَاقُمَ الأَمْرِ، وَزِيَادَةَ النِّزَاعِ وَالْحُصُومَةَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَظَهُورَ التُّفُورِ بَيْنَهُمَا وَاضِحًا، وَخِفْتُمْ تَبَاعُدَ عِشْرَتِهِمَا وَصُحْبَتَيْهِمَا، بَعْدَ فَشْلِ الأَسَالِبِ السَّابِقَةِ، فَأَرْسَلُوا - للإِصْلَاحِ بَيْنَهُمَا - رَجُلًا عَدْلًا عَارِفًا حَسَنَ السِّيَاسَةِ مِنْ أَهْلِ الزَّوْجِ، وَآخَرَ مِثْلَهُ مِنْ أَهْلِ الزَّوْجَةِ. فَإِذَا كَانَ فِي نِيَّةِ الحَكَمَيْنِ الإِصْلَاحُ وَعَزَمَا عَلَيْهِ وَرَغِبَا فِيهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُسَهِّلُ لهُمَا أَمْرَ الصِّلحِ وَيُوَفِّقُ بَيْنَهُمَا.

والله عليهم بظواهر الناس وبواطنهم، خبير بما يصلح شؤونهم ويوفق بينهم.

{ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا } [النساء: 36]

36- وَوَحَّدُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، فَهُوَ وَحْدَهُ الخَالِقُ المُنْعِمُ المَسْتَحِقُّ للعبادة.

وأحسنوا إلى الوالدين: برًّا بهما وعطفًا عليهما.

وأحسنوا إلى ذي قربائكم، من أخ وعم وخالٍ ومن إليهم.

وإلى اليتامى، الذين فقدوا حنان آبائهم وكسبتهم وهم صغار، فأحسنوا إليهم وحنوا عليهم.

وإلى المساكين، الذين لا يجدون ما يكفيهم.

والجار من ذوي قرابتكم، والجار البعيد، الذي ليس بينكم وبينه قرابة، والرفيق في السفر، أو

الذي يصحبك يرجو نفعك ورفدك.

وابن السبيل، وهو المسافر المنقطع، أو الضيف.

والأرقاء، الذين جعلهم الله أسرى في أيديكم، فأحسنوا إليهم خاصة، ولا تكلفوهم فوق

طاقتهم.

والله لا يحب المتكبر المعجب بنفسه، الذي يفخر على الناس بغير الحق، ويرى أنه خير منهم،

ويأنف من أقاربه وجيرانه، وهو عند الله حقير وعند الناس بغيض.

{ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا } [النساء: 37]

37- الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِيمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ، مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجِيرَانِ وَالضَّيْفَانِ، وَيَجْحَدُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَلَا تَظْهَرُ عَلَى حَالِهِمْ وَلَا فِي نَفَقَةِ لَهُمْ وَبَدَلٍ، وَقَدْ تَفَضَّلَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِمْ لِيَمْتَحِنَهُمْ بِهَا، فَالَّذِينَ يَجْحَدُونَهَا وَيُخْفَوْنَهَا فَلَا يُظْهِرُونَهَا عِنْدَ حَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِمْ، فَقَدْ كَفَرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابٌ يُهَيِّئُهُمْ كَمَا أَهَانُوا نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ بِالْبُخْلِ وَالْكَتْمِ.

{ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا } [النساء: 38]

38- وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَرَاهُمُ النَّاسُ، وَلِلْإِفْتِخَارِ، لِيُقَالَ: مَا أَسْخَاهُمْ وَمَا أَجْوَدَهُمْ، وَهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ، وَهُوَ مَانِعُ الثَّوَابِ وَمُقَدِّرُ الْعِقَابِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، الَّذِي يُثَابُ فِيهِ الْمَرْءُ عَلَى أَعْمَالِهِ أَوْ يُعَاقَبُ عَلَيْهَا، وَلِذَلِكَ لَا يَتَحَرَّوْنَ فِي إِنْفَاقِهِمْ مَرْضَاةَ اللَّهِ وَثَوَابَهُ، وَقَدْ حَمَلَهُمْ عَلَى هَذَا تَسْوِيلُ الشَّيْطَانِ لَهُمْ، فَحَسَّنَ لَهُمُ الْقَبَائِحَ، وَمَنْ كَانَ الشَّيْطَانُ صَاحِبَهُ وَمُلْهِمَهُ فَإِنَّهُ بئْسَ الصَّاحِبُ، لِأَنَّهُ يَدْعُوهُ إِلَى الْمَعْصِيَةِ الْمَوْدِيَّةِ إِلَى النَّارِ.

{ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا } [النساء: 39]

39- وَمَا الَّذِي كَانَ يَجْرِي لَهُمْ لَوْ سَلَكَوا الطَّرِيقَ الصَّحِيحَ فَأَمَنُوا بِاللَّهِ خَالِقِهِمْ، وَأَمَنُوا بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، الَّذِي يُثَابُ فِيهِ الْمَرْءُ عَلَى مَا أَحْسَنَ فِيكَرْمِ، وَيُعَاقَبُ عَلَى مَا أَسَاءَ فَيُعَذَّبُ، لِيَخَافَ النَّاسُ فَيُحْسِنُوا سُلُوكَهُمْ، ثُمَّ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ مِنْ مَالٍ وَتَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ لَوْجَهَهُ الْكَرِيمِ، لَا لِلْمُبَاهَاةِ وَالْإِفْتِخَارِ، فَيَعْتَدِلُوا وَيَنْفَعُوا بَدَلَ أَنْ يَبْخُلُوا وَيَضُرُّوا؟ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا بِأَحْوَالِهِمْ فِي الْبَدَلِ وَالْمَنْعِ، وَالْإِصْلَاحِ وَالْإِفْسَادِ.

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا }
[النساء: 40]

40- والله لا يظلم عبده مقدار ذرة، فلا ينقص من الأجر، ولا يزيد في العقاب شيئاً، بل يُوفيه لهم كما هو عليه ويزيدهم من فضله، وإذا كانت الحسنة مقدار ذرة⁽²⁷⁾ ضاعف ثوابها لصاحبها وأعطاه من عنده عطاءً جزيلاً.

{ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } [النساء: 41]

41- فكيف إذا جئنا يوم القيامة من كل أمة من الأمم السابقة، وطائفة من الطوائف، بشهيد، يعني بنبيهم، يشهد عليهم بما عملوا، وجئنا بك أيها النبي شاهداً تشهد على أممتك! وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى عندما قرئت عليه هذه الآية. ولعل السبب في بكائه أنه لا بد أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم هذا قد لا يكون حسناً، فيؤدّي بهم إلى العذاب. أو أنه بكى لأهوال يوم القيامة... وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف...

{ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا }
[النساء: 42]

42- في ذلك اليوم المفزع المخيف، يود الكافرون والذين عصوا الرسول ولم يتبعوا هديته، من المنافقين وغيرهم، يودون لو ابتلعتهم الأرض ولم يظهروا للناس والحساب، للخوف الذي

(27) وهي النملة الصغيرة الحمراء، التي لا تكاد ترى من صغرها، أو الصغير جداً من أجزاء التراب، أو ما يظهر من أجزاء الهباء المنبت، الذي تراه في البيت من ضوء الشمس، وهو الأنسب بمقام المبالغة. (روح البيان).

يَعْتَرِيهِمْ، وَلِلَّهِمَّ وَالْعَمِّ الَّذِي يَغْشَاهُمْ، وَلِلخِزْيِ وَالْفَضِيحَةِ وَالتَّوْبِيخِ الَّذِي يَجِلُّ بِهِمْ، وَيَعْتَرِفُونَ بِكُلِّ شَيْءٍ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى كِتْمِ أَعْمَالِهِمْ، فَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ جَوَارِحُهُمْ بِمَا صَنَعُوا.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا الْغَابِرِ سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا } [النساء: 43]

43- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تُصَلُّوا وَأَنْتُمْ فِي حَالِ سُكْرٍ، فَلَا تَدْرُونَ مَا تَقُولُونَ. وَكَانَ هَذَا مَرِحَةً مِنْ مَرَاكِحِ تَحْرِيمِ الْحَمْرِ، ثُمَّ نَزَلَ فِيهَا مِنْ بَعْدِ بَيَانِ شَافٍ بِتَحْرِيمِهَا تَحْرِيمًا قَطْعِيًّا، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [سورة المائدة: 90].

وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْمَسَاجِدَ وَأَنْتُمْ جُنْبٌ، إِلَّا إِذَا كُنْتُمْ مُجْتَازِينَ مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ مِنْ غَيْرِ جُلُوسٍ، حَتَّى تَغْتَسِلُوا مِنَ الْجَنَابَةِ.

وَإِذَا كُنْتُمْ مَرْضَى تَخَافُونَ مَعَهُ اسْتِعْمَالَ الْمَاءِ، أَوْ كُنْتُمْ مُسَافِرِينَ، أَوْ جِئْتُمْ مِنَ الْغَائِطِ (يَعْنِي قِضَاءَ الْحَاجَةِ)، أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ - عَلَى اخْتِلَافٍ فِي مَعْنَاهَا بَيْنَ الْمَفْسِّرِينَ وَأَثَمَةَ الْفَقْهِ مِنْ مَعْنَى الْجَمَاعِ أَوْ مَسِّ الْبَشْرَةِ - وَلَمْ يَجِدُوا مَاءً لَتَتَوَضَّؤُوا أَوْ تَغْتَسِلُوا بِهِ، فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا، وَهُوَ التُّرَابُ الطَّاهِرُ، أَوْ مَا صَعَدَ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ تُرَابٍ وَرَمْلٍ وَشَجَرٍ وَحَجَرٍ وَنَبَاتٍ، عَلَى أَقْوَالٍ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَمْسَحُوا وَجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ بِهِ دُونَ سَائِرِ الْأَعْضَاءِ.

وَاللَّهُ عَفُورٌ غَفُورٌ، فَأَبَاحَ لَكُمْ الصَّلَاةَ بِالتَّيَمُّمِ عِنْدَ فَقْدَانِ الْمَاءِ فِي ظُرُوفٍ تَطْرَأُ، تَوْسِعَةً عَلَيْكُمْ، وَرُحْمَةً لَكُمْ؛ رَحْمَةً وَرَأْفَةً بِكُمْ.

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ } [النساء: 44]

44- أَلَا تَنْظُرُ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَتَعْجَبُ مِنْ حَالِ الْيَهُودِ الَّذِينَ أُوتُوا حِطًّا مِنَ الْعِلْمِ بِالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ عَلَيْهِمْ، فَيُعْرِضُونَ عَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَيَتْرَكُونَ مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعِلْمِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا

قَلِيلًا مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، فَيُحَرِّفُونَ فِيهِ وَيُزَوِّرُونَ مِنْهُ مُقَابِلَ رِشَا وَهَدَايَا، مَعَ عِلْمِهِمْ بِمَا يُقْدِمُونَ عَلَيْهِ!

ومَعَ ضَالِهِمْ هَذَا وَتَكْذِيبِهِمْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكْتِمِهِمْ صِفَاتِهِ، يُرِيدُونَ مِنْكُمْ أَنْ تَضِلُّوا مِثْلَهُمْ، فَتَكْفُرُوا كَمَا كَفَرُوا، وَتَتْرَكُوا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ النَّافِعِ!

{ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا } [النساء: 45]

45 - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ هَؤُلَاءِ، فَيُحَرِّفُكُمْ بَعْدَاوَتِهِمْ وَيَحْذِرُكُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ مَخَالَطَتِهِمْ. وَكَفَى أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَالِيَّ أَمْرِكُمْ وَحَافِظَكُمْ، وَنَاصِرَكُمْ وَدَافِعَ شَرِّهِمْ عَنْكُمْ، فَثِقُوا بِهِ وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ.

{ مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعُ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا } [النساء: 46]

46- وَهَنَّاكَ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَهُمْ عُلَمَاءُ الضَّلَالِ مِنْهُمْ، يُفَسِّرُونَ التَّوْرَةَ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا الْحَقِيقِيِّ، فَيُؤْوِلُونَ مَعْنَاهَا أَوْ يُحَرِّفُونَ أَلْفَاظَهَا عَنْ قَصْدِ، وَإِذَا سَمِعُوا كَلَامًا لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لَهُ فِي كُفْرٍ وَعِنَادٍ: سَمِعْنَا قَوْلَكَ وَعَصَيْنَا أَمْرَكَ!! وَقَالُوا مُسْتَهْزِئِينَ: اسْمَعُ مَا نَقُولُ لَا سَمِعْتَ، وَرَاعِنَا، يُحَرِّفُونَهَا بِأَلْسِنَتِهِمْ عَنْ مَعْنَاهَا، فَهِيَ تَحْتَمِلُ مَعْنَى أَمْهَلْنَا وَانظُرْنَا إِلَيْنَا، وَمَعْنَى الرَّعُونَةِ، وَهِيَ الْهَوَجُ وَالْحُمُقُ، بِقَصْدِ السَّبِّ وَالْعَيْبِ، وَالْقَدْحِ فِي الدِّينِ وَالسُّخْرِيَةِ مِنْهُ. وَلَوْ أَنَّهُمْ عِنْدَمَا سَمِعُوا شَيْئًا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، قَالُوا: "سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا" بَدَلَ "سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا"، وَقَالُوا: "وَاسْمَعُ وَانظُرْنَا" بَدَلَ "وَاسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا"، لَكَانَ أَنْفَعَ مِنْ قَوْلِهِمْ وَأَعْدَلَ وَأَصُوبَ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا ذَلِكَ، بَلِ اسْتَمَرُّوا فِي كُفْرِهِمْ وَضَالِهِمْ، فَحَذَلَهُمُ اللَّهُ وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَهُدَاهِ، فَلَا يُؤْمِنُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا } [النساء: 47]

47 - يا أهل الكتاب، آمنوا بالذي أنزلناه على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو القرآن، فيه تصديق للأخبار التي في التوراة من البشارات، ومنها البشارة بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم، باسمه وبصفاته ومكانه ووقت خروجه، قبل أن تمحو آثار وجوده فنزدها إلى ناحية القفا، فتكون مطموسة على هيئة أدبارها، تشويهاً في الخلقه وفضيحة؛ عقوبة لهم على تحريفهم الكتاب وعدم تصديقهم بما أمروا بالإيمان به، أو نظردهم من رحمتنا وهُدانا، كما لعنا أصحاب السبب، الذين اعتدوا في سببتهم بالحيلة في الاضطهاد، فلعنهم الله بمسخهم، فكلا الصنفين من اليهود مُشتركان في اللعن، مع اختلاف شكل العقوبة.

وقد تحقّق النوع الثاني من الوعيد الرباني لهم، وهو اللعن بدل الطمس، فهم ملعونون بكلّ لسان وفي كلّ زمان.

وإذا أمر الله بأمر فلا بدّ من وقوعه، لا يستطيع أحد أن يمنعه.

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا } [النساء: 48]

48 - والله لا يغفر ذنب من أشرك به، فالشرك يُحيطُ الأعمال حتى لا يُبقي لصاحبها حسنة، وهو سبحانه يغفر ذنوب من شاء من عباده مادام غير مُشرك به. ومن يُشرك بالله فقد احتلق كذباً عظيماً وارتكب إثماً كبيراً، يُستحقُّ دونه جميع الذنوب والآثام.

والمراد بالشرك مُطلق الكفر. وكان اليهود وغيرهم مع تحريفهم وشركهم وكفرهم يطمعون بالمغفرة { وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا } [سورة الأعراف: 169]، فبيّن الله تعالى أنه لا يغفر لمن يُشرك به.

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا } [النساء: 49]

49 - ألا تنظروا يا نبي الله إلى هؤلاء اليهود والنصارى، الذين يزعمون أن ذنوبهم مغفورة، وأنهم أحباب الله فلا يُعدّ بهم، وأنه لا يدخل الجنة إلا من كان منهم؟ لكن الذي يغفر الذنوب

ويُبرئ النفوس منها هو الله وحده، فهو العالمُ بحقائق الأمور ونيات القلوب، ولا يُظلمُ عندهُ أحد، فلا يُنقصُ من أجر أعمالهم مقدارُ الخيط الذي في شقِّ النَّوَاةِ. ويضربُ المثلُ بهذا في القِلَّةِ والحقارةِ.

{ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا } [النساء: 50]

50 – انظر في دَعْوَاهُمْ هذهِ وَرَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ مُطَهَّرُونَ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَنْتُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ، وَهُمْ بِهَذَا كَذَّابُونَ، وَيَرْتَكِبُونَ ذَنْبًا عَظِيمًا بَيِّنًا بَادِعَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ.

{ أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا } [النساء: 51]

51 – أَلَا تَنْظُرُ أَيُّهَا الرَّسُولُ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا حِطًّا مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ كَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِالْأَصْنَامِ وَالطَّوَاعِيتِ، مِمَّا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَيَقُولُونَ لِلْمُشْرِكِينَ إِنَّكُمْ أَهْدَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ أَقْوَمُ وَأَرْشَدُ مِنَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟ قَالُوا ذَلِكَ عِنَادًا وَتَعْصُبًا، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ! وكانَ أحدُ أسيادِ اليهودِ، وهو كعبُ بنُ الأشرفِ، قد قالَ للمُشْرِكِينَ عندما قَدِمَ مَكَّةَ: أَنْتُمْ خَيْرٌ، كما جاءَ في أحاديثِ صَحِيحَةٍ عَدَّةٍ.

وتعاطفُ اليهودِ ومُخالفتُهُم للمُشْرِكِينَ ضدَّ الرِّسَالَةِ الإِسْلَامِيَّةِ مَعْرُوفٌ.

{ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا } [النساء: 52]

52 – أَوْلَئِكَ الَّذِينَ تَفَوَّهُوا بِذَلِكَ الْإِثْمِ الْمُبِينِ، أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَخَذَلَهُمْ، وَمَنْ يَطْرُدُهُ اللَّهُ فَلَا نَاصِرَ لَهُ وَلَا مُعِينَ لِيُنْقِذَهُ مِنْ عَذَابِهِ، بِشَفَاعَةٍ أَوْ بَعِيرِهَا، فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ. وَقَدْ خَذَلَهُمُ اللَّهُ، فَهَزَمُوا هُمْ وَالْمُشْرِكُونَ، وَهُمْ مَلْعُونُونَ عَلَى طَوْلِ الزَّمَانِ.

{ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا } [النساء: 53]

53 – أم تحسب أيها النبي أن لهم حظاً من الملك والمال؟ إنه ليس لهم ذلك، وحتى لو صار لهم شيء من الملك والتصرف فيه لما أعطوا الناس مقدار النقطة التي في ظهر النواة؛ لما عرفوا به من البخل الشديد!

{ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً } [النساء: 54]

54 – أم يحسدون نبي الله محمداً صلى الله عليه وسلم على ما رزقه الله من النبوة، وجعل رسالته خاتم الرسالات، ونسخت ما سبقها من الأديان؟ وقد منعهم حسدُهم وحقدُهم عليه من الإيمان به وبرسالته؟ ويحسدون معه أصحابه الذين آمنوا به وناصروه وصاروا أشداء عليهم؟ ولماذا يخصون النبي محمداً بالحسد؟ فقد أعطينا أسلافهم من ذرية إبراهيم النبوة والملك العظيم، كداود وسليمان وغيرهما عليهم الصلاة والسلام، فلا يبعد أن يؤتيه الله ما آتاهم، وهم أسلافه وأبناء عمه. وما الذي نفعهم من حسدِهم هذا؟

{ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا } [النساء: 55]

55 – فمن أمهم من آمن بأبياء لهم، ومنهم من كفر، وهم من جنسهم، فلا تتعجب من حال هؤلاء القوم وموقفهم من دعوتك أيها الرسول، فإن هذا شأنهم مع أنبيائهم وهم منهم، فكيف بهم وأنت لست منهم؟ وكفاهم عقوبة ناز شديدة تسعر بهم وتحرقهم؛ جزاء كفرهم وعنادهم ومخالفتهم كتب الله ورسله.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا } [النساء: 56]

56 – إن الذين كفروا بآياتنا، من شواهد ومعجزات آيدنا بما رسلنا، سوف ندخلهم ناراً هائلة عظيمة، كلما احترقت جلودهم فيها بدلتها جلوداً جديدة ليزداد إحساسهم بالعذاب، وليدوم ولا ينقطع، والله عزيز لا يمتنع عليه ما يريد، ولا يقدر أن يمنعه من ذلك أحد، حكيم في تدبيره وتقديره وتعذيب من يعدُّ به.

{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا } [النساء: 57]

57 - والذين آمنوا بآياتنا، وأتبعوا إيمانهم بالأعمال الصالحة والطاعات المقبولة، سندخلهم جنات كبيرة وإرفة الظلال، تجري من تحتها الأنهار، مع خلود دائم فيها، ولهم فيها أزواج مطهرات من الحيض والنفاس والأذى والقذر، وندخلهم ظلاً طيباً كثيراً لا تنسخه الشمس، فهو دائم القيء، لا حر فيه ولا قر.

{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا } [النساء: 58]

58 - إن الله يوجب عليكم أن تؤدوا الأمانات إلى أصحابها، أي أمانة كانت، وهي الأمانات الواجبة على الإنسان، من حقوق الله على عباده، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض. فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه في الآخرة، كما في الحديث الصحيح. وإن الله يأمركم أن تحكموا بالعدل إذا حكمتكم بين الناس، ونعم الشيء الذي يعظكم الله به، وهو الحكم بالعدل. وكان الله سمياً لجميع أقوالكم، بصيراً بكل أفعالكم.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } [النساء: 59]

59 - أيها المؤمنون، التزموا بما أمركم الله به وهماكم عنه، وأطيعوا رسوله، فإنه مبلغ أحكام ربه، وأطيعوا أولي الأمر منكم بالمعروف، أي: إذا كان أمرهم موافقاً لأحكام الشريعة الإسلامية، وإلا فإنهم لا يطاعون، ففي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: "السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة". رواه الشيخان وغيرهما.

وإذا اختلفتم -أيها المؤمنون- في شيء، فراجعوا فيه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فما حكم به الكتاب والسنة هو الحق، ومن تخطى الحق وقع في الضلال. فالواجب عليكم التحاكم إليهما، هذا إذا كنتم حقاً مؤمنين بالله واليوم الآخر. والتحاكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، والرجوع في فصل النزاع ورد الخصومات إليهما، خير وأحمد عاقبة وأحسن مآلاً.

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا }
[النساء: 60]

60 - ألا تعجب أيها النبي من صنيع هؤلاء الذين يدعون الإيمان بما أنزل عليك وبما أنزل على الأنبياء من قبلك، ومع ذلك يريدون أن يتحاكموا في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله؟

والطاغوت هو الشيطان، أو كل من يحكم بالباطل، وقد أمروا أن يكفروا به. فكيف يتحاكمون إليه وهم يريدون الهداية بك؟! والشيطان يريد إضلالهم لينحرفوا انحرفاً بعيداً عن الحق حتى لا يتحاكموا إليك!

وفي حديث مرسل صحيح الإسناد أنها نزلت في رجل من الأنصار يزعم أنه مسلم، كانت بينه وبين يهودي خصومة، فاتفقا على أن يتحاكما إلى كاهن من بني جهينة.

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا }
[النساء: 61]

61 - وإذا قيل لأولئك المتحاكمين إلى الطاغوت: تعالوا إلى التحاكم إلى كتاب الله، وإلى رسوله الذي يحكم به للفصل بينكم، أبصرت المنافقين يعرضون عنك - أيها النبي - إعراض المستكبر.

{ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا
إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا } [النساء: 62]

62 – فكيف يصنعون إذا نالتهم نكبة تُظهر نفاقهم بسبب صدودهم وما عملوا من جنایات، ثم جاؤوك مُعتذرين إليك وهم يخلفون: ما أردنا بالتحاكم إلى غيرك إلا إحساناً إلى الخصوم وتوفيقاً بينهم وليس إعراضاً عن حُكمك!

{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا} [النساء:63]

63 – أولئك النَّفَرُ مِنَ النَّاسِ هُمُ الْمُنَافِقُونَ، قَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ مَا فِي قُلُوبِهِمْ خِلَافٌ مَا عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ، فَلَا تُعَنَّفُهُمْ عَمَّا أَبْطَنُوهُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَعِظْهُمْ فِي الْمَلَأِ، وَانْهَهُمْ عَنِ النَّفَاقِ، وَانصَحْهُمْ بِكَلَامٍ مُؤَثِّرٍ عَمِيقٍ رَادِعٍ لَهُمْ.

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء:64]

64 – وما أرسلنا رسولا من الرسل إلا ليطاع بأمر الله، لأنه مؤدب عنه تعالى، فطاعته طاعة لله، ومعصيته معصية له.

ولو أنهم عندما أخطأوا وتحاكموا إلى الطَّاغُوتِ رَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَرَفُوا خَطَأَهُمْ، وَجَاءُوا إِلَيْكَ مُعْتَرِفِينَ بِذَلِكَ، وَأَبَدُوا نَدَمَهُمْ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ مِنْ ذَنبِهِمْ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَحِمَهُمْ.

{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء:65]

65 – فوربك أيها النبي لا يؤمنون حتى يجعلوك حَكَمًا فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَالتَّبَسَّ عَلَيْهِمْ حُكْمُهُ، فَمَا حَكَمْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُتَّبَعَ، ثُمَّ لَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ شَكًّا أَوْ ضَيْقًا مِمَّا حَكَمْتَ بِهِ، فَانْقَادُوا إِلَى حُكْمِكَ وَأَدْعَنُوا لَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَسَلَّمُوا بِذَلِكَ تَسْلِيمًا كُلِّيًّا مِنْ غَيْرِ مُمَانَعَةٍ وَلَا مُنَازَعَةٍ. وَكَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ الَّذِي وَثَّقَ رَجَالُهُ ابْنَ حَجَرٍ فِي الْفَتْحِ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جُمْتُ بِهِ".

{ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ
وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا } [النساء:66]

66 – ولو أننا أوجبنا على الناس أن يقتلوا أنفسهم، في عقوباتٍ نَفَرُضُهَا عليهم نتيجة أعمالهم السيئة ومخالفتهم أوامر الله، كما كان الشأن مع بني إسرائيل، أو اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ كما أمرنا بني إسرائيل أيضاً بالخروج من مصر، لما فعله إلا القليل منهم، وهم المخْلِصُونَ، الذين يُفَدُّونَ دِينَهُمْ وَنَبِيَّهُمْ بِأَرْوَاحِهِمْ.

والآية مُتَعَلِّقَةٌ بما قبلها، أي: إِنَّمَا أَوْجَبْنَا عَلَيْهِمْ مَا هُوَ سَهْلٌ وَحَقٌّ، وَهُوَ أَنْ يُطِيعُوا الرَّسُولَ وَيَنفِقُوا حُكْمَهُ وَيَرْضَوْا بِهِ، وَلَوْ فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ قَتْلَ أَنْفُسِهِمْ أَوْ الْخُرُوجَ مِنْ دِيَارِهِمْ لَمَا فَعَلَهُ إِلَّا الْقَلِيلُ. فليُقَارِنُوا بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، وَلَيْسَتْ جَبِيحًا لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ حَتَّى لَا يُيْتَلُوا بِأَحْكَامٍ قَاسِيَةٍ كَمَا فَرَضَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ نَتِيجَةٌ تَعْتُهُمْ وَعِنَادِهِمْ وَرَفْضِهِمْ أَوْامِرَ أَنْبِيَائِهِمْ.

وأولهُ ابْنُ كَثِيرٍ تَأْوِيلًا آخَرَ، فَقَالَ: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ أَكْثَرِ النَّاسِ أَنَّهُمْ لَوْ أَمَرُوا بِمَا هُمْ مُرْتَكِبُوهُ مِنَ الْمَنَاهِي لَمَا فَعَلُوهُ؛ لِأَنَّ طِبَاعَهُمُ الرَّدِيئَةَ مَجْبُولَةٌ عَلَى مُخَالَفَةِ الْأَمْرِ. ا.هـ.
ولو أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ وَانفَادُوا حُكْمَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. لَكَانَ أَفْضَلَ لَهُمْ مِنْ مَخَالَفَتِهِ، وَأُثْبِتَ فِي الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَأَبْعَدَ مِنَ الشُّبُهَاتِ.

{ وَإِذَا لَاتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا } [النساء:67]

67 – ولو تَبَتُّوا عَلَى ذَلِكَ لَجَزَيْنَاهُمْ خَيْرًا، وَأَعْطَيْنَاهُمْ مِنْ عِنْدِنَا ثَوَابًا عَظِيمًا لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ.

{ وَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } [النساء:68]

68 – وَلَوْفَقْنَاهُمْ وَثَبْتَنَاهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْحَقِّ الَّذِي يُؤَدِّي بِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ.

{ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ

وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } [النساء:69]

69 – وَمَنْ عَمِلَ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ فَاِنْقَادَ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَاسْتَجَابَ لِرَسُولِهِ فِيمَا بَلَغَ عَنْهُ، فَأُولَئِكَ الْمَطِيعُونَ دَرَجَتُهُمْ فِي الْجَنَّةِ مَعَ الَّذِينَ تَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَكْرَمَهُمْ وَجَعَلَهُمْ خَيْرَ النَّاسِ، مِنْ أَنْبِيَائِهِ، وَعِبَادِهِ الصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ الَّذِينَ تَوَلَّاهُمْ اللَّهُ بِالصَّلَاحِ فَصَلَحَتْ سَرَائِرُهُمْ وَعَلَانِيَتُهُمْ، وَمَا أَحْسَنَ هَوْلَاءِ رِفْقَةٍ، وَلَطَافَةٍ وَعِشْرَةٍ.

{ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا } [النساء:70]

70 – وَذَلِكَ الْأَجْرُ الْكَبِيرُ الَّذِي أُعِدَّ لَهُمْ هُوَ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ وَبِمَقْدَارِهِ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا } [النساء:71]

71 – أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، احْتَرِزُوا مِنْ عَدُوِّكُمْ وَتَاهَبُوا لَهُ بِمَا يَرُدُّعُهُمْ، فَاخْرُجُوا لَهُ جَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةً، أَوْ مُجْتَمِعِينَ جَمَاعَةً وَاحِدَةً.

{ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيْبِطُنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالِ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ

شَهِيدًا } [النساء:72]

72 – وَإِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يَتَخَلَّفُ وَيَتَشَاوَلُ عَنِ الْجِهَادِ، فَإِذَا قَتَلَ الْعَدُوُّ مِنْكُمْ أَوْ هُزِمْتُمْ، قَالَ أَحَدُهُمْ حَامِدًا لِرَأْيِهِ: قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَحْضُرْ مَعَهُمْ فَيُصَيِّبُنِي مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ أَوْ الشَّدَةِ.

والمقصودُ المنافعون، فقد كانوا يتخلفون عن الجهاد، أو يرجعون من عسكرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. وقد يكونُ بينهم ضعفةُ المسلمين، الذين يتأثرون بكلامهم.

{ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ

مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا } [النساء:73]

73 - وإذا أصابكم نصرٌ وغنيمةٌ بفضلِ الله، ندِمَ على فُعودِهِ وتُخَلَّفِهِ عنِ الجهادِ، تَحْشُرًا على ما فاتَهُ مِنَ الغَنيمةِ، ويقولُ وكأنَّهُ ليسَ مِنْ أهْلِ دينِكُمْ ولا رابطَ لوشيجةِ العقيدةِ بينكم: يا ليتني حَضَرْتُ مَعَهُمُ القِتالَ لِأُحِذَ نَصيباً وإِيراً مِنَ الغَنيمةِ.

{ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَيُتَقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } [النساء:74]

74 - فليُقَاتِلِ المؤمنونَ في سبيلِ اللهِ هؤلاءِ الكافرينَ الذينَ يبيعونَ الحياةَ الأخرى الحقيقتيَّةَ الدائمةَ بالحياةِ الدُّنيا الفانيَّةِ. وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَهُ، ولتكونَ كلمتهُ هي العُليا، ثمَّ يُستشهد، أو يَنْتَصِر، فلهُ - في كلتا الحالتين - مثوبةٌ عظيمةٌ وأجرٌ جزيلٌ.

{ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ
يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ
لَدُنْكَ نَصِيرًا } [النساء:75]

75 - ولماذا لا تُجاهدونَ في طاعةِ اللهِ وطلبِ رضاهِ، ولأجلِ إنفاذِ المُستضعفينَ مِنْ أيدي المُشركينَ بمكَّةَ، وهمُ مُسلمونَ أسرى وضُعاءً وأذلةً هُناك، مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ والأولادِ، الذينَ منَعَهُمُ الكُفارُ مِنَ الخُروجِ، أو ضُعنُفوا هُمُ عنِ الهِجرةِ، وبُثُّوا هُناك يَلقونَ الأذى منهم، وهمُ يدُعونَ ويقولونَ: اللهمَّ أعِنَّا على الخُروجِ مِنْ هَذِهِ القَريَّةِ التي يظلمنا أَهلُها وكُبراءُها، وهيَّءْ لَنَا مِنْ عِنْدِكَ وَلِيًّا وَناصِراً يَمُنَعُنَا مِنْهُمْ.

{ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا
أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا } [النساء:76]

76 - إِنَّ المؤمنينَ إِنَّمَا يُقَاتِلُونَ لِأجلِ إعلاءِ كلمةِ اللهِ وطلبِا لمرضاةِهِ، فهو وليُّهُمُ وناصِرُهُم ومُوصِلُهُمُ إلى جَنَّتِهِ.

والكافرونَ يُقَاتِلُونَ في طاعةِ الشيطانِ، الذي يُوصِلُهُمُ إلى الكُفرِ، فالتَّار. فقاتلوا يا أولياءِ اللهِ وأنصارِ نبيِّهِ، قاتلوا الكافرينَ الذينَ وألوا الشيطانَ، ولا تَحْشَوْا تَهويلَهُ، فَإِنَّ كَيْدَهُ ضَعِيفٌ،

ومكره يبور، وإن كيدَهُ للمؤمنين بالمقارنة إلى كيدِ الله سبحانه وتعالى للكافرين ضعيفٌ لا يُؤبه به، فلا تخافوا أوليائه، والله وليكم وناصركم.

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا } [النساء: 77]

77 – أَلَا تَنْظُرُ أَيُّهَا النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ طُلِبَ مِنْهُمْ أَنْ يَكُفُّوا عَنْ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ وَيَعْفُوا عَنْهُمْ عِنْدَمَا كَانُوا ضُعَفَاءَ بِمَكَّةَ، وَقِيلَ لَهُمْ وَقْتَهَا: قُومُوا بِوَجْهِكُمْ فِي الطَّاعَةِ وَجِهَادِ النَّفْسِ، فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ بِخُشُوعٍ، وَأَعْطُوا الزَّكَاةَ لِتَوَاسُّوا بِهَا الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ، لَكِنَّهُمْ كَانُوا يَطْلُبُونَ مِنْكَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُمْ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ؛ لِمَا يَلْقَوْنَ مِنْهُمْ مِنَ الْأَذَى.

ولما قَوُوا وفُرِضَ عَلَيْهِمُ الْجِهَادُ، وَطُلِبَ مِنْهُمْ مُقَاتَلَةُ الْكُفَّارِ، إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَهُمْ كَمَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ أَنْ يُنْزَلَ بِهِمْ بِأَسْهٍ، أَوْ أَكْثَرَ، وَذَلِكَ لِمَا أَصَابَهُمْ مِنْ خَوْفٍ وَجَزَعٍ - وَالْمُسْلِمُونَ مُتَفَاوِتُونَ فِي قُوَّةِ الْإِيمَانِ، وَفِي لِقَاءِ الْأَعْدَاءِ - وَقَالَ أَوْلِيَاكَ الْخَائِفُونَ: رَبَّنَا لِمَ فَرَضْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ الْآنَ، فَلَوْ أَخَّرْتَ فَرَضَهُ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ لَكَانَ أَفْضَلَ، فَفِيهِ سَفْكٌ لِلدَّمَاءِ، وَيُتِمُّ لِلْأَبْنَاءِ، وَتَأْتِي لِلنِّسَاءِ...

قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ: إِنَّ جَمِيعَ مَا يُسْتَمْتَعُ بِهِ فِي الدُّنْيَا هُوَ قَلِيلٌ جَدًّا نَسْبَةً إِلَى الثَّوَابِ الْمُرْتَبِّ عَلَى الْأَعْمَالِ الطَّيِّبَةِ فِي الْآخِرَةِ، وَمِنْهَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَالْآخِرَةُ لِمَنْ جَاهَدَ وَاتَّقَى خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَتَاعِهَا الْقَلِيلِ.

وَلَنْ تُظْلَمُوا فِيمَا تُؤَدُّونَهُ مِنْ أَعْمَالٍ، وَلَا تُنْقَصُونَ مِنْ ثَوَابِهَا أَدْنَى شَيْءٍ، وَلَوْ مِقْدَارَ الْخَيْطِ الَّذِي فِي شِقِّ النَّوَاةِ، وَكَلَّمَا كَثُرَتْ وَعَظُمَتْ زَادَ ذَلِكَ مِنَ الْأَجْرِ، فَلَا تَرْغَبُوا عَنِ الْقِتَالِ، وَدَعُوا الدُّنْيَا وَعُرُورَهَا، وَأَقْبِلُوا عَلَى مَا يُهَيِّئُكُمْ فِي الْآخِرَةِ، فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ.

{ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا } [النساء:78]

78 – أينما وُجِدْتُمْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى الْمَوْتِ، فَلَا بَدَّ لَكُمْ مِنْهُ، وَلَوْ كُنْتُمْ فِي فُصُورٍ عَالِيَةٍ رُفِيعَةٍ، وَمَنِيعةٍ حَصِينَةٍ، فَلَا يُعْنِي حَذَرَ وَتَحْصُنَ عَنِ الْمَوْتِ، إِنْ جَاهَدْتُمْ أَوْ لَمْ تُجَاهِدُوا، فَإِنَّ الْأَجَلَ مَحْتَمٌ، وَكُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ.

وَإِذَا بُسِطَ لَهُمُ الرِّزْقُ وَجَاءَتْهُمْ الثَّمَارُ وَالزُّرُوعُ، وَالتَّعِيمُ وَالرَّخَاءُ، قَالُوا: هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَإِذَا أُصِيبُوا بِبَلِيَّةٍ، مِنْ جَدْبٍ وَغَلَاءٍ، وَنَقْصٍ فِي الثَّمَارِ، أَوْ مَوْتِ أَوْلَادٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، قَالُوا لِلرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا جَاءَنَا مِنْ قِبَلِكَ، لِأَنَّنا اتَّبَعْنَاكَ وَاقْتَدَيْنَا بِدِينِكَ! وَكَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ: { فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ } [سورة الأعراف: 131]. وَهَكَذَا كَانَ الْمَنَافِقُونَ، إِذَا أَصَابَهُمُ الشَّرُّ أَسْنَدُوهُ إِلَى اتِّبَاعِهِمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرُّسُولُ: كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ، فَالْحَسَنَةُ وَالسَّيِّئَةُ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَالتَّعَمُّةُ وَالبَلِيَّةُ مِنْ عِنْدِهِ، وَقَضَاؤُهُ ماضٍ فِي البَرِّ وَالفَاجِرِ، وَنَافِذٌ فِي الْمُؤْمِنِ وَالكَافِرِ، فَمَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ مِنَ اليَهُودِ وَالمَنَافِقِينَ قَدِ ابْتَلَوْا بِقَلَّةِ الفَهْمِ وَالعِلْمِ، وَكَثْرَةِ الجَهْلِ وَالتَّظَلُّمِ، وَلَا يَكَادُونَ يَفْهَمُونَ كَلَاماً يُوعَظُونَ بِهِ!؟

{ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا } [النساء:79]

79 – مَا أَصَابَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مِنْ نِعْمَةٍ وَرَحَاءٍ فَهُوَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْكَ وَلُطْفِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَمَا تَقَوْمٌ بِهِ مِنْ عِبَادَةٍ وَطَاعَةٍ لَا تَكَادُ تُكَافِي نِعْمَةَ وَجُودِكَ، فَضالاً عَنِ النِّعَمِ الأُخْرَى عَلَيْكَ. وَمَا أَصَابَكَ مِنْ مُصِيبَةٍ فَقَدْ جَاءَتْكَ مِنْ قِبَلِكَ، مِنْ عَمَلِكَ وَمَا اقْتَرَفْتَهُ مِنْ مَعَاصٍ وَمُنْكَرَاتٍ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ حَيْثُ الإِيجَادُ مُنْتَسِبَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، نَازِلَةً مِنْ عِنْدِهِ عُقُوبَةً، وَهَذَا كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَيَعْتُو عَنْ كَثِيرٍ } [الشورى:30]. وَقَدْ بَعَثْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا، تَبَلَّغُهُمْ شَرَائِعَ اللَّهِ، وَتُبَيَّنَ لَهُمْ أَحْكَامَهُ.

وكفى بالله شهيداً على رسالتك، وعلى ما تُبلِّغهم، وعلى ما يحصل بينك وبينهم، وعلى موقفهم من الدعوة.

{ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا } [النساء: 80]

80 - مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَعَمِلَ بِمَا قَالَ، ذَلِكَ أَنَّهُ نَاطِقٌ بِالْوَحْيِ وَمُبَلِّغٌ عَنِ اللَّهِ أَحْكَامَ الدِّينِ.

وَمَنْ أَعْرَضَ عَمَّا جِئْتَ بِهِ وَلَمْ يَسْمَعْ كَلَامَكَ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ وَجِئَ عَلَى نَفْسِهِ، لِأَنَّهُ عَصَى اللَّهَ وَأَعْرَضَ عَنْ دِينِهِ، وَلَا عَلَيْكَ مِنْهُمْ، فَلَسْتَ مَسْئُولًا عَنْهُمْ وَعَمَّا يَعْمَلُونَ، وَلَمْ تُرْسَلْكَ حَفِيظًا مُهَيِّمًا تَحْفَظُ أَعْمَالَهُمْ عَلَيْهِمْ وَتُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهَا، إِنَّمَا عَلَيْكَ التَّبْلِيغُ.

{ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا

يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } [النساء: 81]

81 - وَإِذَا حَضَرَ الْمُنَافِقُونَ مَجْلِسَكَ أَظْهَرُوا الْمَوَافَقَةَ لَكَ وَالطَّاعَةَ لِمَا تَقُولُ، فَإِذَا خَرَجُوا وَغَابُوا عَنْكَ، زَوَّرْتَ كَلَامَكَ جَمَاعَةً مِنْهُمْ - وَهَمَّ رُؤُوسُهُمْ - وَجَعَلْتَهُ خِلَافَ مَا تَقُولُ، وَعَزَمُوا عَلَى شَرِّ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا يُسِرُّونَ، وَيَكْتَبُهُ وَيُؤْتِيهِ فِي صَحَائِفِهِمْ لِيُجَازِيَهُمْ عَلَيْهَا، فَلَا يُهَمِّنُكَ أَمْرُهُمْ، وَلَا تَأْبَهُ بِهِمْ وَمَوْقِفِهِمْ، وَاحْلَمْ عَلَيْهِمْ، وَفَوِّضْ أَمْرَكَ إِلَى اللَّهِ وَثِقْ بِهِ، وَكَفَى بِهِ نَاصِرًا لَكَ، وَمُعِينًا لِمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَلَسَوْفَ يَنْتَقِمُ لَكَ مِنْهُمْ.

{ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا }

[النساء: 82]

82 - أَفَلَا يَتَأَمَّلُونَ وَيَتَمَعَّنُونَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَكَلِمَاتِهِ، وَمَعَانِيهِ وَمُعْجَزَاتِهِ، وَكَيْفَ أَنَّهُ مُحْكَمٌ بَلِيغٌ، لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا مُعَارَضَةَ، بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، ذَلِكَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْحَقِّ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ لَوَجَدُوا فِيهِ مُخَالَفَةً وَمُعَارَضَةً بَيْنَ آيَاتِهِ وَمَعَانِيهَا، فَفِيهِ مِنَ الْإِخْبَارِ بِالْغَيْبِ، وَمَا يُسِرُّهُ الْمُنَافِقُونَ، وَتَارِيخُ أَهْلِ الْكِتَابِ الْكَثِيرِ..

{ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا } [النساء: 83]

83 - وهناك صِنْفٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا وَصَلَتْهُمْ أَخْبَارٌ مِمَّا يَوْجِبُ الْأَمْنَ وَالْخَوْفَ، مِنْ ظَفْرِ وَغَنِيمَةٍ، أَوْ نَكْبَةٍ وَهَزِيمَةٍ، لَمْ يَتَحَقَّقُوا، بَلْ أَفْشَوْهَا، وَلَوْ كَانَتْ خَالِيَةً مِنَ الصَّحَّةِ، وَقَدْ يَزِيدُونَ فِيهَا أَوْ يَنْقُصُونَ، وَهَمْ لَا يَأْبَهُونَ بِآثَارِهَا عَلَى أَصْحَابِهَا أَوْ عَلَى الْجَمْعِ الَّذِي تَوَثَّرَ فِيهِ الشَّائِعَاتُ الْمَغْرِضَةُ، وَلَوْ أَنَّهُمْ تَحَقَّقُوا مِنَ الْخَبَرِ، وَجَاوَأُوا يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ أَهْوَ حَقٌّ أَمْ بَاطِلٌ، وَسَأَلُوا أَجَلَةَ صَحَابَتِهِ عَنْ ذَلِكَ، لَعَلِمُوا تَدْبِيرَ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي أَخْبَرُوا بِهِ، لِفِطْنَتِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ وَخَبَرَتِهِمْ بِالْأُمُورِ، فَيَعْرِفُونَ كَيْفَ يَتَصَرَّفُونَ، وَمَا يَأْتُونَ مِنْهُ وَمَا يَدْرُونَ.

ولولا حِفْظُ اللَّهِ لَكُمْ وَرَأْفَتُهُ بِكُمْ لَسِرْتُمْ عَلَى نَهْجِ الشَّيْطَانِ، وَتَأَثَّرْتُمْ بِمَا يُشِيعُهُ أَنْصَارُهُ مِنَ الْخَطَا وَالضَّلَالِ، وَلَمْ تَهْتَدُوا إِلَى الصَّوَابِ، إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْكُمْ، وَهَمْ الْمُسْتَنِيرَةُ عَقُولُهُمْ بِأَنْوَارِ الْإِيمَانِ الرَّاسِخِ، الْمُتَعَمِّقُونَ فِي مَعْرِفَةِ الْأَحْكَامِ، الثَّابِتُونَ عَلَى الْحَقِّ. وَقَدْ نَزَلَتْ فِيهَا أُشْيَعٌ مِنْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ طَلَّقَ زَوْجَاتِهِ وَهُوَ لَمْ يَفْعَلْ، وَالَّذِي سَأَلَ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَاسْتَنْبَطَ الْأَمْرَ هُوَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ.

{ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِكَ بِأَسْرِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسَا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا } [النساء: 84]

84 - وَلَا تَأْبَهُ بِجِذْلَانِ الْمَنَافِقِينَ وَتَقْصِيرِ الْآخَرِينَ، فَلَا تُكَلَّفُ إِلَّا الْمَجَاهِدَةَ بِنَفْسِكَ، وَلَا تُلْزَمُ فِعْلَ غَيْرِكَ. فَتَقَدَّمَ إِلَى الْجِهَادِ، وَرَغِبَ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ وَحَثَّهُمْ عَلَيْهِ، وَعِظَّهُمْ فِي إِثْمِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، وَثَوَابِ مَنْ بَاشَرَهُ، فَلَرُبَّمَا انْبَعَثَتْ بِهَذَا هِمَمُ الْمُخْلِصِينَ، فَقَاوَمُوا وَصَابَرُوا وَدَافَعُوا عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ. وَاللَّهُ أَقْوَى وَأَقْدَرُ، وَأَشَدُّ تَعْذِيبًا وَإِحْقَاقًا لِلْأَذَى بِالْكَافِرِينَ مِنْهُمْ.

{ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا } [النساء: 85]

85 - وَمَنْ يَسْعَ فِي أَمْرٍ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ خَيْرٌ يَكُنْ لَهُ حَظٌّ وَافِزٌ مِنْ ثَوَابِهِ، وَمَنْ يَسْعَ فِي أَمْرٍ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ شَرٌّ وَإِنَّمَا يَكُنْ عَلَيْهِ نَصِيبٌ مِنَ الْوِزْرِ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَافِظًا وَشَهِيدًا.

{ وَإِذَا حُيِّئْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا }
[النساء: 86]

86 - وَإِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمُ الْمُسْلِمُ فَرُدُّوا عَلَيْهِ تَحِيَّةً أَفْضَلَ مِنَ التَّحِيَّةِ الَّتِي سَلَّمَ بِهَا عَلَيْكُمْ، أَوْ رُدُّوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ التَّحِيَّةِ الَّتِي حَيَّاكُمْ بِهَا، فَالرُّدُّ وَاجِبٌ، وَالزِّيَادَةُ نَدْبٌ وَاسْتِحْسَانٌ. وَالسَّلَامُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، فَالابتداءُ بِذِكْرِهِ أَوْ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ رَغْبَةٌ فِي إِبْقَاءِ السَّلَامَةِ عَلَى الْمَلْمُوعِ عَلَيْهِ التَّحِيَّةِ، وَفِيهِ بَشَارَةٌ بِالسَّلَامَةِ، وَالرُّدُّ عَلَيْهِ تَبَادُلٌ فِي هَذَا الدُّعَاءِ الْجَمِيلِ، وَإِشَاعَةٌ لِلسَّلَامِ وَالْحُبَّةِ.

وَاللَّهُ مُحَاسِبُكُمْ عَلَى كُلِّ مَا تَقُولُونَ وَتَفْعَلُونَ، وَمَنْ ذَلِكَ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ مِنَ التَّحِيَّةِ عَلَى إِخْوَانِكُمْ. عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ بِهِ أَمْرٌ اسْتِحْبَابٌ.

{ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا }
[النساء: 87]

87 - هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ سِوَاهُ، سَوْفَ يَجْمَعُكُمْ جَمِيعًا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ فِي حَدِيثِهِ وَخَبْرِهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ.

{ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا } [النساء: 88]

88 - فَمَا بِالْكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ قَدْ صِرْتُمْ فَرِيقَيْنِ فِي مَوْقِفِكُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَمِنْ قَائِلٍ إِنَّهُمْ مُسْلِمُونَ، وَمِنْ قَائِلٍ إِنَّهُمْ كَفَّارٌ؟ وَقَدْ رَدَّاهُمُ اللَّهُ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ نَتِيجَةَ عَصِيَانِهِمْ وَضَلَالِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمُ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهَلْ تُرِيدُونَ بِمَوْقِفِكُمْ أَنْ تَرُدُّوهُمْ إِلَى الْهُدَى وَهُمْ يُرِيدُونَ الضَّلَالَةَ؟ فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَضَلَّ قَوْمًا بِحِكْمَتِهِ، لِمَا يَسْتَحِقُّونَهُ وَلِمَا يَعْرِفُهُ مِنْ نِيَاتِهِمْ وَعِزَائِمِهِمْ

نَحْوِ الْبَاطِلِ، فَلَنْ يَجِدُوا لَهُمْ طَرِيقاً إِلَى الْهُدَى وَالْإِيمَانِ، كَمَا لَنْ يَجِدُوا حُجَّةً لَهُمْ مُفْعَةً فِي سَبَبِ تَوَجُّهِهِمْ إِلَى الضَّلَالِ وَتَفْضِيلِهِ عَلَى الْهُدَى.

{ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُلِيًّا وَلَا نَصِيرًا }
[النساء: 89]

89 – إِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ تَرْجِعُوا إِلَى الضَّلَالِ فَتَكُونُونَ كَقَرَارًا مِثْلَهُمْ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِبُغْضِهِمْ وَشِدَّةِ عَدَاوَتِهِمْ لَكُمْ، وَلِعُلَّوْهُمْ وَتَمَادِيهِمْ فِي الْكُفْرِ، الَّذِي طَمَسَ فِي قُلُوبِهِمْ نَوْرَ الْإِيمَانِ وَنَقَاءَ الْفِطْرَةِ.

فَلَا تَتَّقُوا بِأَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا تُؤَالِفُوهُمْ، وَلَا تَسْتَنْصِرُوا بِهِمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ مَا دَامُوا كَذَلِكَ، حَتَّىٰ تَتَحَقَّقُوا مِنْ إِيْمَانِهِمْ بِحَجْرَتِهِمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، لَا لِعَرَضٍ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا. فَإِذَا تَرَكُوا الْهَجْرَةَ، أَوْ أَظْهَرُوا الْكُفْرَ، فَخُذُوهُمْ أَسْرَىٰ إِذَا قَدَرْتُمْ عَلَيْهِمْ، وَاقْتُلُوهُمْ أَيْنَمَا وَجَدْتُمُوهُمْ، فَإِنَّ حُكْمَهُمْ حَكْمُ سَائِرِ الْمُشْرِكِينَ أَسْرًا وَقِتْلًا – وَقِيلَ: الْمَرَادُ الْقِتْلُ لَا غَيْرَ – وَلَا تُؤَالِفُوا مِنْهُمْ أَحَدًا، بَلْ جَانِبُوهُمْ مُجَانِبَةً كَلِيَّةً، وَلَا تَقْبَلُوا مِنْهُمْ نُصْرَةً وَلَا وِلَايَةً.

{ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا } [النساء: 90]

90 – وَيُسْتَثْنَىٰ مِنَ الْقِتْلِ: الَّذِينَ يَأْتُونَ قَوْمًا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَيَدْخُلُونَ فِي الْعَهْدِ بِإِرَادَتِهِمْ، وَآخَرُونَ قَدْ ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ وَبُعِضَ قِتَالِكُمْ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُرِيدُونَ أَنْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ مَعَكُمْ أَيْضًا. وَقَدْ لَطَفَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَقَاتِلُوكُمْ مَعَ قَوْمِهِمْ، وَلَكِنَّهُ كَفَّهَمْ عَنْكُمْ. فَإِذَا جَنَّبُوا حَرِيكَكُمْ وَقَدَّمُوا إِلَيْكُمْ يَدَ الصُّلْحِ وَانْقَادُوا لِلسَّلَمِ، فَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَقْتُلُوهُمْ، مَا دَامَتْ حَالُهُمْ كَذَلِكَ.

وروي عن ابن عباس أن هذا منسوخ بقوله تعالى في أول سورة التوبة: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، والآية الخامسة منها: {فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ}.

وبالرجوع إلى تفسير هاتين الآيتين يُوقَفُ على تفصيلٍ في الأمر.
وكذا قيل في الآية التالية...

{ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوا بِنُفُسِكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَاخْذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا } [النساء: 91]

91 - وهناك صنف آخر من الناس يُظهرون لكم الإيمان ويذكرون أنهم في طرفكم، وإنما يُريدون بذلك ألا تتعرضوا لهم، فيأمنوا بذلك على دمائهم وأموالهم وذرائعهم كما أمنوا من قومهم، وهم في الحقيقة منافقون، فكلما طلب منهم مشركو قريش العودة إلى الشرك رجعوا إليه واهتمكوا فيه. فإذا لم يكفوا عن التعرض لكم بوجه ما، ولم يلقوا إليكم الصلح والمهادنة، ولم يكفوا أنفسهم عن قتالكم، فخذوهم أسراء واقتلوهم أينما وجدتموهم، فقد جعلنا لكم عليهم حجةً بيّنة لقتالهم، لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وخبيثهم.

{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } [النساء: 92]

92 - ولا يحل لمؤمن أن يقتل أخاه المؤمن بأي وجه من الوجوه، إلا أن يكون ذلك عن طريق الخطأ.

فإذا قتل مؤمناً بالخطأ فعقوبته أن يعتق رقبة مؤمنة، وأن يعطي ورثته دية القتل، إلا أن يعفو عنه، فلا تجب عليه.

فإذا كان المقتول من قوم كفارٍ محاربين، وهو مؤمن، ولم يعرفِ القتالُ أنه مؤمن، فعقوبته الكفارة دون الدية، وهي تحرير ربة مؤمنة، فإنه لا وراثه بين المؤمن المقتول وقومه، لأنهم كفار. فإذا كان المقتول المؤمن من قوم كفارٍ بينكم وبينهم عهد، يعني: أولياؤه أهل ذمة أو هدنة، فلهم دية قتيلهم، مع تحرير ربة مؤمنة، كما هو حكم سائر المسلمين. فمن لم يقدر على عتق نفس مؤمنة، فعليه صوم شهرين متتابعين، يسرّد صومهما إلى آخر الشهرين دون أن يفطر بينهما، وهي توبة القتال خطأ إذا لم يجد العتق. وكان الله عليماً بخلقهِ وما يعملون، حكيماً فيما دبّرهُ لهم من شرائع وأحكام.

{ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } [النساء: 93]

93 – وَمَنْ يَقْتُلْ أَخًا مُؤْمِنًا لَهُ مُتَعَمِّدًا، بغير حق، فقد ارتكب ذنباً عظيماً وإثماً كبيراً، وجزاؤه الذي يستحقه جهنم، خالداً فيها، مع مقت الله له، وغضبه عليه، وانتقامه منه، وإبعاده عن رحمته. وقد أعد له في جهنم عذاباً أليماً وعقوبةً فظيمة، لا يوقف على قدره ووصفه! والمقصود بالخلود في العذاب للمسلم هو المكث الطويل لا الدوام، بدليل نصوص أخرى في القرآن والسنة.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَائِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } [النساء: 94]

94 – أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إذا سافرتُم في الغزو، فتبَّتوا وتعرَّفوا جيِّداً لما تُقدِّمون عليه ممَّا طَلَب منكم، واعرفوا ماذا ستفعلون وماذا ستتركون، ولا تتعجلوا في أمرٍ دون تدبيرٍ ورويَّة، ولا تقولوا لمن حياكم بتحية الإسلام، أو استسلم فأظهر الانقياد لما دُعي إليه من الإسلام: لست مؤمناً، بل قلت ذلك لئلا أفتلك مثل بقيّة المحاربين المشركين. فهل تريدون من الإقدام على هذا العمل دون تثبُّتٍ عرضاً من الدنيا قليلاً وحطاماً ينفد بعد قليل؟ فإن ما أعدّه الله لكم جزاء جهادكم هو خيرٌ من هذا بكثير.

وقد كانت حالكم في وقت ما مثل حال هؤلاء الآن، الذين يتقون بأسكم، فكنتم ضعفاء تُخفون إيمانكم وتخشون فتنة المشركين، فلطف الله بكم وأنقذكم منهم، فثبتوا وتحققوا إذا أقدمتم على أمر، فإنكم أصحاب رسالة رحيمة، ومسؤولون عما وُكِّل بكم من أعمال، والله مطلع على أعمالكم الظاهرة والخبية، فيجازيكم بها ويُحاسبكم عليها، فلا تنهاونوا في الأمور واحتاطوا. وفيها بيان صحة إيمان من أظهر الإسلام، وإن كان في الباطن على خلافه، حيث أمر المسلمون بإجرائه على أحكام المسلمين.

{ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا } [النساء: 95]

95 – لا يتمثل في الأجر من أذن له بالتعود عن الجهاد ومن جاهد بنفسه وماله، إلا أن يكون هذا التعود عن عُذر مبيح لترك الجهاد، كعمى وعرج ومرض، فقد فضل الله المجاهدين عليهم درجة كبيرة، لما يُفدون به أرواحهم في سبيل الله، ولما يبذلونه من أموال في سبيل تقوية جيش الإسلام، وكلا الفريقين وعدهم الله المثوبة الحسنى، وهي الجنة، لكن درجة المجاهدين منهم على الآخرين عظيمة جداً، فإحسان الله إليهم، وتكريمه إياهم في الجنان العاليات أكبر وأجل.

{ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } [النساء: 96]

96 – والمجاهدون لهم درجات مختلفة في الجنة، بحسب جهدهم وجهادهم. وفي حديث أبي هريرة الذي خرجه البخاري: "إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض! وهذا من فضل الله عليهم، ومغفرته لذنوبهم، ورحمته بهم. ومن باع نفسه لله، وفدى دينه بروحه، أثابه أحسن الجنان.

{ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } [النساء: 97]

97- إِنَّ الَّذِينَ قَبَضَتِ الْمَلَائِكَةُ أَرْوَاحَهُمْ وَهُمْ مُقِيمُونَ فِي دَارِ الشُّرْكِ، وَلَمْ يَكُونُوا مُتَمَكِّنِينَ مِنْ إِقَامَةِ شَعَائِرِ دِينِهِمْ، وَكَانُوا قَادِرِينَ عَلَى الْهَجْرَةِ وَلَمْ يُهَاجِرُوا، قَدْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَارْتَكَبُوا مُحْرَمًا. وَلَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ الْإِسْلَامَ بَعْدَ هَجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِالْهَجْرَةِ، ثُمَّ نُسِحَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ". فَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يُخْرِجُونَ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْمُقِيمِينَ بَيْنَهُمْ إِلَى الْحَرْبِ لِيُكْتَبُوا بِهِمْ سَوَادَهُمْ، فَيَأْتِي السَّهْمُ أَحَدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ، أَوْ يُضْرَبُ عُنُقُهُ فَيُقْتَلُ... كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ. فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَهُمْ تَعْيِيرًا وَتَقْيِيحًا: فِي أَيِّ فَرِيقٍ كُنْتُمْ، أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَمْ فِي الْمَشْرِكِينَ؟ فَاعْتَدَرُوا وَقَالُوا: كُنَّا عَاجِزِينَ فِي أَرْضِ مَكَّةَ! فَقَالُوا لَهُمْ مُكَذِّبِينَ إِيَّاهُمْ: أَمَا كَانَتْ أَمَامَكُمْ أَرْضُ الْإِسْلَامِ فَتَخْرُجُوا مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الشُّرْكِ فِي مَكَّةَ إِلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِالْمَدِينَةِ؟ فَهَؤُلَاءِ مَنْزِلُهُمْ جَهَنَّمَ، وَبئْسَ الْمَصِيرُ. فَقَدْ مَاتُوا عَاصِينَ، مُكْثِرِينَ مِنْ سَوَادِ الْمَشْرِكِينَ.

{ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَّا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا } [النساء: 98]

98- وَيُسْتَثْنَى مِنْهُمْ الْمُسْتَضْعَفُونَ، مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَكَذَا مِنَ الْأَوْلَادِ، فَهَؤُلَاءِ يُعْفَى عَنْهُمْ لضعفهم عن الهجرة، بعدم قدرتهم على التخلص من أيدي المشركين، وعدم معرفتهم بالطريق أو الموضع المهاجر إليه.

{ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا } [النساء: 99]

99- فَهَؤُلَاءِ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ بِتَرْكِ الْهَجْرَةِ. وَالْمَقْصُودُ تَحَقُّقُ الْعَفْوِ، لَكِنَّ التَّعْيِيرَ يُبْقِي الْعَبْدَ عَلَى أَمَلٍ وَطَمَعٍ وَرَجَاءٍ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ رَبُّ كَرِيمٍ، يَعْفُو عَنِ النَّاسِ، وَيَغْفِرُ ذُنُوبَهُمْ، عَلَى كَثْرَةِ مَا يُحْطِئُونَ وَيُذْنِبُونَ.

{ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا }
[النساء: 100]

100- وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُتَحَوِّلاً كَثِيرًا وَمَلَجَأً مُنَاسِبًا يَأْوِي إِلَيْهِ وَيَتَخَصَّنُ فِيهِ، وَيُؤَسِّعُ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ!
وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ مَنْزِلِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ يَأْتِهِ الْمَوْتُ وَهُوَ فِي الطَّرِيقِ، قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ مُهَاجِرَهُ، فَقَدْ ثَبَتَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الْمُهَاجِرِ.
والله كثير المغفرة لذنوب عباده وسيئاتهم، كثير الرحمة بهم، يثيبهم على أعمالهم ويزيدهم من فضله.

{ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا } [النساء: 101]
101- وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْبِلَادِ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ مِنْ أَنْ تُخَفِّفُوا مِنْ عَدَدِ رَكَعَاتِ الصَّلَاةِ، بِتَنْصِيفِ الرَّبَاعِيَّةِ مِنْهَا، إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُلْحِقَ الْكَافِرُونَ الْأَذَى بِكُمْ، فَهَمَّ أَعْدَاءُ ظَاهِرُونَ لَكُمْ، وَيَتَحَيَّنُونَ الْفُرْصَ لِيَعْدِرُوا بِكُمْ.
وقصر الصلاة في السفر جائز بإجماع الأمة، ولو لم يكن خوف، وهو رخصة من الله تعالى لعباده، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ". رواه مسلم في صحيحه.

{ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا } [النساء: 102]

102- وهذا شروعٌ في بيان صلاة الخوف. فإذا كنت بين أصحابك أيها النبي - والخطاب للجميع - وأردت أن تُصلي بهم إماماً، فاجعلهم طائفتين، طائفة تُصلي معك، والأخرى تكونُ بُجاة العدو للحراسة، تأخذُ معها سلاحها. فإذا سجد القائمون معك وأتموا الركعة، فليصرفوا إلى مكان الذين كانوا يجرسون، وليأتوا هم فليصلوا معك الركعة الباقية، وهي لهم الركعة الأولى، وليأخذ الذين حلوا مكان السابقين حذرهم وأسلحتهم. ويعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم يكون قد صلى صلاته ثنتين، وكل من الطائفتين تكميل ما بقي، بعد أن صلت كل واحدة منها ركعة معه صلى الله عليه وسلم.

ووردت بكيفياتٍ أخرى.

والكافرون يتمنون لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم لينالوا منكم غزوةً في صلاتكم، ليحملوا عليكم حملةً واحدةً ويقضوا عليكم.

ولا حرج عليكم إن أصابكم مطرٌ أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم على الأرض، مع التيقظ والحيطه، لتكونوا على أهبة إذا احتجتم إليها، ولئلا يهجم عليكم العدو غيلةً.

وقد أعد الله للكافرين عذاباً مُذلاً ينالهم، فاهتموا بأموالكم أنتم، وخذوا بأسباب الحيطه، حتى ينصركم الله عليهم ويُعدبهم بأيديكم.

{ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا } [النساء: 103]

103- فإذا أدبتم صلاة الخوف وفرغتم منها، فأكثروا من ذكر الله وداوموا عليه، في جميع أحوالكم، قائمين، وقاعدين، ومضطجعين، فذكر الله مطلوبٌ في هذه الأحوال أكثر، وهو مشروعٌ ومرغوبٌ فيه من قبل.

فإذا أمنتُم واستقررتُم، فأدوا الصلاة في وقتها، وأتموها بجميع أركانها وشروطها، إن الصلاة مفروضة على المؤمنين ومحدودة الأوقات، لا يجوز إخراجها عن أوقاتها، ولا بد من إقامتها حضراً وسفراً، وفي وقت الخوف...

{ وَلَا تَهْنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } [النساء: 104]

104- وَلَا تَضَعُوا فِي طَلْبِ عَدُوِّكُمْ وَلَا تَتَوَانُوا فِي التَّعَرُّضِ لَهُمْ وَمُجَابَهَتِهِمْ وَمُقَاتَلَتِهِمْ، فَإِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ مِنَ الْجِرَاحِ وَالْآلَامِ الَّتِي تُصِيبُكُمْ، فَإِنَّهُ يَحْصُلُ لَهُمُ الْأَمْرُ نَفْسُهُ، فَلِمَاذَا لَا تَصِيرُونَ مَعَ أَنْكُمْ أَوْلَىٰ بِالصَّابِرِ مِنْهُمْ، فَأَنْتُمْ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ الْمَثُوبَةَ الْعَظِيمَةَ فِي الْآخِرَةِ، أَوْ النَّصْرَ وَالْعِزَّةَ بِإِظْهَارِ الْإِسْلَامِ فَوْقَ جَمِيعِ الْأَدْيَانِ، وَهُمْ لَا يَرْجُونَ ذَلِكَ، فَأَنْتُمْ أَوْلَىٰ بِالْجِهَادِ وَالصَّابِرِ مِنْهُمْ. وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا بِأَعْمَالِكُمْ وَضَمَائِرِكُمْ، حَكِيمًا فِيمَا يَأْمُرُ وَيَنْهَىٰ، وَيَقْضِي وَيُقَدِّرُ.

{ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا } [النساء: 105]

105- نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ بِالْحَقِّ، فَهُوَ حَقٌّ عَدْلٌ فِي خَبْرِهِ وَحُكْمِهِ، لِتَقْضِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا عَرَفْنَاكَ وَأَوْحَىٰ بِهِ إِلَيْكَ. وَلَا تُجَادِلْ عَمَّنْ عَرَفْتَ خِيَانَتَهُ، كَمَنْ ادَّعَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ، أَوْ أَنْكَرَ مَا هُوَ عَلَيْهِ. وَفِي تَفْصِيلِهِ وَسَبَبِ نُزُولِهِ خَبْرٌ طَوِيلٌ.

{ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا } [النساء: 106]

106- وَاطْلُبِ الْمَغْفِرَةَ مِنَ اللَّهِ؛ لَهْمَكَ بِالْحُكْمِ عَلَىٰ مَا لَمْ تَتَبَّثْ مِنْهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَكَ، فَهُوَ كَثِيرُ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ.

{ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا } [النساء: 107]

107- وَلَا تُجَادِلْ عَمَّنْ خَانَ نَفْسَهُ وَخَانَ الْآخَرِينَ بِمَا جَنَىٰ وَظَلَمَ، فَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ الْآثِمِينَ، الَّذِينَ يَعْصُونَ اللَّهَ وَيُلْحِقُونَ الْأَذَىٰ وَالضَّرَرَ بِالْآخَرِينَ.

{ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ
الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا } [النساء: 108]

108- إَهُمُ الْمُنَافِقُونَ، الَّذِينَ يَسْتَتِرُونَ بِبَنَائِحِهِمْ وَأَعْمَالِهِمُ الدِّينَةَ مِنَ النَّاسِ لئَلَّا يُعْرِفُوا
بذلك، لكنَّهُمْ يُجَاهِرُونَ بِمَا اللَّهُ خَالِقُهُمْ وَهُوَ أَحَقُّ مِنْ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ وَيُخَشَىٰ عِقَابُهُ، وَهُوَ
مَعَهُمْ إِذْ يُدَبِّرُونَ مَا يُجَافِي الْإِسْتِقَامَةَ وَالْعَدْلَ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ عَالِمٌ بِأَعْمَالِهِمُ الظَّاهِرَةِ وَالْخَافِيَةِ، لَا
يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ.

{ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ
مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا } [النساء: 109]

109- وَهَبُوا أَنْتُمْ بَدَلْتُمْ الْجُهْدَ فِي الْمَخَاصِمَةِ عَنْهُمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَحَصَلُوا عَلَى
مُبْتَغَاهُمْ فِيهَا، فَمَنْ يُجَاجِعُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ الْعَالِمُ بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ، وَمَنْ يَتَكَفَّلُهُمْ
وَيُدَبِّرُ عَنْهُمْ وَيَتَوَلَّىٰ أَمْرَهُمْ يَوْمَئِذٍ؟!

{ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا } [النساء:
110]

110- وَمَنْ يَقْتَرِفْ ذَنْبًا، كَبِيرًا كَانَ أَوْ صَغِيرًا، يَسُوءُ بِهَا غَيْرَهُ، كَسَرَقْتَهُ، أَوْ يَظْلِمُ بِهَا
نَفْسَهُ، كَحَلِيفٍ كَاذِبٍ، ثُمَّ يَتُوبُ مِنْهُ وَيَعُدُّ إِلَى الْحَقِّ، وَيَطْلُبُ الْمَغْفِرَةَ مِنْ رَبِّهِ، فَإِنَّهُ عَفُوٌّ حَلِيمٌ،
يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ وَيَرْحَمُهُمْ.

{ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } [النساء:
111]

111- وَمَنْ يَقْتَرِفْ ذَنْبًا مِنَ الذُّنُوبِ عَنْ قَصْدٍ، فَإِنَّهُ يَجْنِي بِذَلِكَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَيَجْلُبُ لَهَا
الضَّرَرَ وَالْوَبَالَ، وَيُعَرِّضُهَا لِلْعَوَاقِبِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَقْتَرِفُهُ النَّاسُ، حَكِيمٌ بِمَا يُقَدِّرُهُ مِنَ عُقُوبَةِ
عَلَيْهِمْ.

{ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا } [النساء: 112]

112- وَمَنْ يَعْمَلْ عَمَلًا سَيِّئًا أَوْ يَتَّقِرْفَ ذَنْبًا كَبِيرًا، ثُمَّ يَتَّهَمُ بِهِ بَرِيئًا، فَقَدِ ارْتَكَبَ فِعْلًا بَغِيضًا، وَكَذَّبَ عَلَى الْغَيْرِ كَذِبًا شَنِيعًا، وَاقْتَرَفَ ذَنْبًا عَظِيمًا، وَاضِحًا مُّبِينًا.

{ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا } [النساء: 113]

113- وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ بِكَ بِمَا عَصَمَكَ بِهِ مِنَ الْوَحْيِ، مِنْ لُزُومِ التَّثْبُتِ وَبَيَانِ الْحَقِّ، لَكَادَتْ طَائِفَةٌ أَنْ تُلْبَسَ عَلَيْكَ الْحَقُّ وَتُشَوِّشَ عَلَيْكَ الصَّحِيحُ، وَتَتَسَبَّبَ فِي الْحُكْمِ عَلَى الْقَضِيَّةِ خَطَأً، بِمَا زَيَّنُوهُ لَكَ وَبَيَّنُّوهُ مَا لَا يُرِضِي اللَّهَ مِنَ الْقَوْلِ. وَمَا كَانُوا يَضُرُّونَكَ بِهَذَا مِنْ شَيْءٍ، إِنَّمَا ضَرَّرُهُ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ، فَقَدْ عَصَمَكَ اللَّهُ، وَبَاؤُوا هُمْ بِالْإِثْمِ. وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ وَعَصَمَكَ بِهِ، وَعَلَّمَكَ الْقَضَاءَ بِالْوَحْيِ، وَعَلَّمَكَ مِنَ الْأَحْكَامِ وَمِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُهُ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ كَبِيرًا، بِأَنْ جَعَلَكَ نَبِيًّا، وَفَضَّلَكَ عَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ، وَأَعْطَاكَ الشَّفَاعَةَ الْعُظْمَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ...

{ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ جُحْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } [النساء: 114]

114- لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِلَّا إِذَا كَانَ فِي حَثٍّ عَلَى الصَّدَقَاتِ، أَوْ أَمْرٍ بِالْخَيْرَاتِ وَالطَّاعَاتِ، أَوْ تَأْلِيفٍ بَيْنَ النَّاسِ بِالْمُودَّةِ إِذَا فَسَدَ مَا بَيْنَهُمْ، وَمَنْ يَفْعَلْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ مُبْتَغِيًا بِهَا وَجْهَ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ، مُحْتَسِبًا ثَوَابَ ذَلِكَ عِنْدَهُ، فَسَوْفَ نُجْزِيهِ أَجْرًا كَبِيرًا وَثَوَابًا جَزِيلًا.

{ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } [النساء: 115]

115- وَمَنْ يُخَالِفْ رَسُولَ اللَّهِ وَيَسْأَلْكَ غَيْرَ طَرِيقِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا، عَنْ عَمَدٍ وَتَقْصُودٍ، بَعْدَ مَا ظَهَرَ لَهُ الْحَقُّ مِمَّا حُكِمَ بِهِ، وَعَرَفَ بِذَلِكَ الْأَمَرَ وَالْحُدُودَ، وَيَسْأَلُكَ طَرِيقاً آخَرَ غَيْرَ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ وَاتَّفَقُوا عَلَيْهِ، مُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ، وَنَكَلُهُ إِلَى نَفْسِهِ الْآثِمَةِ، وَنُدْخِلُهُ جَهَنَّمَ فَيُعَذِّبُ فِيهَا، وَبِمَسِّ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ وَاسْتَقَرَّ فِي مَكَانٍ كُلُّهُ نَارٌ وَعَذَابٌ.

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } [النساء: 116]

116- وَاللَّهُ لَا يَغْفِرُ ذَنْبَ مَنْ أَشْرَكَ بِهِ أَوْ كَفَرَ، وَالشِّرْكَ يُحِبُّطُ الْأَعْمَالَ حَتَّى لَا يُبْقِيَ لِمُصَاحِبِهَا حَسَنَةً، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَغْفِرُ ذُنُوبَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ مَا دَامَ لَمْ يُشْرِكْ بِهِ، وَإِنَّ مَنْ أَشْرَكَ بِهِ تَعَالَى شَيْئاً فَقَدْ ابْتَعَدَ عَنِ الطَّرِيقِ الْحَقِّ، وَارْتَكَبَ إِثْمًا عَظِيمًا، وَأَهْلَكَ نَفْسَهُ فَحَسِرَ رَحْمَةَ رَبِّهِ وَجَنَّتَهُ.

{ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَانَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا } [النساء: 117]

117- وَمَا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَّا أَصْنَامًا مَوْثِقَةً، كَاللَّاتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ، وَيُنَادُونَهَا لِحَوَائِجِهِمْ هَكَذَا! وَمَا يَعْبُدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا شَيْطَانًا بَغِيضًا خَارِجًا عَنِ الطَّاعَةِ، فَهُوَ الَّذِي يُزَيِّنُ لَهُمْ عِبَادَتَهَا، فَتَكُونُ طَاعَتُهُمْ لَهُ عِبَادَةً!

{ لَعْنَةُ اللَّهِ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا } [النساء: 118]

118- أَبَعَدَ اللَّهُ إِبْلِيسَ مِنْ رَحْمَتِهِ.
وَقَالَ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ: سَأَخُذُ مِنَ النَّاسِ حِطًّا مُقَدَّرًا وَعَدَدًا مَعْلُومًا مِمَّنْ يُطِيعُونِي، وَهُمْ كَثِيرُونَ جِدًّا { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } [سورة يوسف: 103]

{ وَلَا ضَلَّ اللَّهُ وَلَا مَتَّيْنَهُمْ وَلَا مَرَّهْمُ فَلْيَبْتَئِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرَّهْمُ فَلْيَعْبِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا } [النساء: 119]

119- ولأَعْوَيْنَهُمْ وَأَبْعَدَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، ولأَعِدَّهُمْ بِالْأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ، وَأَزَيَّنَّ لَهُمْ طُولَ الْأَمَلِ، ولأَمْرَهُمْ فَلْيُقْطَعَنَّ أَوْ يُشَقَّقَنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ، وَهُوَ مَا كَانَتْ تَفْعَلُهُ الْعَرَبُ وَتَجْعَلُهُ عَلَامَةً لِلْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ مِنَ التُّوقِ، وَالْأُولَى الَّتِي وَلَدَتْ خَمْسَةَ أَبْطُنٍ تُعْفَى مِنَ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا، وَلَا تُمْنَعُ مِنْ مَرْعَى وَلَا مَاءٍ، وَالْآخَرَى الْمَهْمَلَةُ الَّتِي تُسَيَّبُ لِنَذْرِ وَنَحْوِهِ. وَقَدْ أَبْطَلَهُمَا الْإِسْلَامُ.

ولأَمْرَهُمْ فَلْيَبْدُلَنَّ خَلْقَ اللَّهِ، صُورَةً وَصِفَةً، بِتَغْيِيرِ فِطْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاسْتِعْمَالِ الْجَوَارِحِ وَالْقُوَى لَعَيْرٍ وَظِيْفَتَيْهَا، وَتَغْيِيرِ مَا سَخَّرَهُ اللَّهُ لِلإِنْتِفَاعِ بِهِ إِلَى غَيْرِهِ، كَعِبَادَةِ الْأَحْجَارِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَهِيَ مَسَخَّرَةٌ لِلإِنْسَانِ، وَكَخَصِي الْحَيَوَانَاتِ، وَكَاللَّوَاهِ... .

وَمَنْ يُؤَالِي الشَّيْطَانَ، بِإِثَارِ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ عَلَى مَا يَدْعُو إِلَيْهِ اللَّهُ، فَقَدْ خَسِرَ خَسَارَةً بَيِّنَةً، وَنَدِمَ نَدَامَةً كَبِيرَةً، وَلَا خَسَارَةَ أَعْظَمَ مِنَ اسْتِبْدَالِ النَّارِ بِالْجَنَّةِ.

{ يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا } [النساء: 120]

120- فَالشَّيْطَانُ يَعِدُّهُمْ بِالْفُوزِ وَالسَّلَامَةِ، وَيُزَيِّنُ لَهُمُ الْأَمَانِيَّ الْفَارِغَةَ، كَطُولِ الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالنَّعِيمِ فِيهَا، وَقَدْ كَذَّبَ وَافْتَرَى، فَلَيْسَتْ مَوَاعِيدُهُ سِوَى وَهْمٍ وَغُرُورٍ، وَخَيَالٍ وَأَمَلٍ.

{ أَوْلَيْكَ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا } [النساء: 121]

121- فَأَوْلَيْكَ الْمَغْرُورُونَ، أَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ، مَصِيرُهُمُ النَّارَ، لِأَبْدُ لَهُمْ مِنْهَا، وَلَا خَلَاصَ لَهُمْ مِنْهَا وَلَا مَخْرَجَ.

{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا } [النساء: 122]

122- وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَضُوا بِدِينِهِ، وَأَتَّبَعُوا إِيمَانَهُمْ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَنَفَّذُوا مَا أَمَرُوا بِهِ مِنَ الْخَيْرَاتِ، نُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ⁽²⁸⁾، مَعَ خُلُودٍ دَائِمٍ، وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ لِأَوْلِيَائِهِ قَائِمٌ لَا مَحَالَةَ، وَلَيْسَ هُنَاكَ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قَوْلًا وَخَبْرًا.

(28) أي: أنهار الماء واللبن والخمر والعسل. (روح البيان).

{لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ

اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [النساء: 123]

123- في حديثٍ مُرْسَلٍ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، أَنَّهُ احْتَجَّ الْمُسْلِمُونَ وَأَهْلُ الْكِتَابِ، فَقَالَ

الْمُسْلِمُونَ: نَحْنُ أَهْدَى مِنْكُمْ، وَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: نَحْنُ أَهْدَى مِنْكُمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ.

لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَمَنِّيْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَلَا كَمَا تَصَوَّرْتُمْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ

ذَنْبًا سَوْفَ يُحَاسِبُ عَلَيْهِ، إِنْ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، فَالْعِبْرَةُ بِالطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ، لَا بِالتَّحَلِّيِ وَالتَّمَيُّيِ.

وَإِنَّ الَّذِي يَعْمَلُ السُّوءَ مُتَجَاوِزًا بِذَلِكَ الْحُدُودَ الَّتِي وَضَعَهَا اللَّهُ، فَلَنْ يَجِدَ مَنْ يُدَافِعُ عَنْهُ، أَوْ

يُنَجِّيهِ مِنْ عَذَابِهِ إِذَا حُلَّ بِهِ.

والمقصودُ ما كانَ كلُّ دينٍ في وقتِه، أمَّا بعدَ بعثةِ رسولِ اللهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

فلا دينَ سِوَى الإسلامِ.

وفي تَمَمِّةِ الحديثِ السابقِ مِنْ سَبَبِ النُّزُولِ، أَنَّ الْمُسْلِمِينَ غَلَبُوا أَهْلَ الْكِتَابِ فِي

حُجَّتِهِمْ، بِالآيَةِ التَّالِيَةِ.

وَالْعَمُومُ فِي الْآيَةِ مُخَصَّصٌ بِالتَّوْبَةِ، وَمَنْ يَتَفَضَّلُ اللَّهُ بِالْعَفْوِ عَنْهُ.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ قَوْلُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَمَّا نَزَلَتْ: {مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَى بِهِ}

بَلَغَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَبْلَغًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قَارِبُوا وَسَدِّدُوا،

فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ، حَتَّى النَّكْبَةِ يُنَكَّبُهَا، أَوْ الشُّوْكَةَ يُشَاكُّهَا".

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ حَدِيثِ الْبَابِ: فِيهِ تَكْفِيرُ الْخَطَايَا بِالْأَمْرِ وَالْأَسْقَامِ

وَمَصَائِبِ الدُّنْيَا وَهَمُومِهَا، وَإِنْ قُلْتَ مَشَقَّتْهَا، وَفِيهِ رَفْعُ الدَّرَجَاتِ بِهَذِهِ الْأُمُورِ وَزِيَادَةُ

الْحَسَنَاتِ...

وقال في معنى "قاربوا": أي اقتصدوا فلا تغلوا ولا تقصروا بل توسطوا. وسددوا: أي اقصدوا السداد، وهو الصواب. اهـ.

ويكون معنى الآية هنا: من يعمل سوءاً يُجزَّ به إن عاجلاً أو آجلاً، فأما مجازة الكافر فالنار، وأما المؤمن فيجازى في الدنيا غالباً، بما يصيبه من مرضٍ وحزنٍ وضيقٍ وغيره، فمن بقي له سوءٌ إلى الآخرة فهو في المشيئة، يغفر الله لمن يشاء، ويجازي من يشاء.

{ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا } [النساء: 124]

124- وَمَنْ يَعْمَلِ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ مِنْ عِبَادِهِ، ذُكُورًا أَوْ إِنَاثًا، مَعَ الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ، فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ جَزَاءً أَعْمَالِهِمْ، وَلَا يُنْقَضُونَ شَيْئًا مِنْ ثَوَابِهَا، وَلَوْ كَانَ شَيْئًا قَلِيلًا جَدًّا، حَتَّىٰ لَوْ كَانَ مِثْلَ الْخَيْطِ الَّذِي فِي شِقِّ النَّوَاةِ.

{ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } [النساء: 125]

125- وليس هناك أحسن وأحكم من المسلم الذي أخلص العملَ لربه، فلم يعرفِ سواه ربًّا، ولم يتبع بعمله سوى وجهه، وهو مُحسنٌ، يعملُ الحسَنات، فيأتي بالأعمالِ الصَّالِحَةِ على هَدْيٍ مِنَ الدِّينِ، وبإخلاصٍ، وهما ميزانُ قَبُولِ الأَعْمَالِ، مُتَّبِعًا بِذَلِكَ مِلَّةَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ، الْمُوَافِقَةَ لِدينِ الإسلامِ، المُتَّفِقِ على صِحَّتِهَا، ومُتَّبِعِ مِلَّتِهِ هُمُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد اتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَالْحُلَّةُ أَرْفَعُ مَقَامَاتِ المِحَبَّةِ، وما ذاك إلا لكثرة طاعته لربه، وتنفيد جميع ما أمر به، فلم يشغله شيءٌ عن استجابة نداء ربه، صغيراً كان أو كبيراً، حتى صار إماماً يُقتدى به، وتوصل إلى غاية ما يتقرب به العباد.

{ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا } [النساء: 126]

126- وجميع ما في السماوات والأرض ملكُ الله وعبيده، وهو حاكمهم ومُدبِّرُ أمرهم، وعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، لا يخفى عليه شيءٌ من ذلك مهما دقَّ وصغر.

{ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا }
[النساء: 127]

127- وَيَطْلُبُونَ مِنْكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ بَيَانَ مَا أَشْكَلَ مِنْ أَحْكَامٍ فِي حَقِّ النِّسَاءِ، فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ يُبَيِّنُ لَكُمْ حُكْمَهُ فِيهِنَّ هُنَا، وَفِيمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِمَّا سَبَقَ { وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ... } [النساء: 3]، وَهُوَ فِي النِّسَاءِ الْيَتِيمَاتِ اللَّوَاتِي تَحْتَ تَرْبِيَتِكُمْ، وَتَرْغَبُونَ فِي التَّرْجُوحِ بَعْدَ أَنْ بَلَغْنَ وَلَا تُعْطُونَهُنَّ صُدُقَهُنَّ مِثْلَ النِّسَاءِ الْأُخْرَى، أَوْ لَا تَرْغَبُونَ فِي نِكَاحِهِنَّ وَلَكِنَّكُمْ تُمَسِّكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ وَلَا تُزَوِّجُوهُنَّ لِأَخْرِيْنَ لَتَسْتَفِيدُوا مِنْ أَمْوَالِهِنَّ الَّتِي عِنْدَكُمْ، أَوْ حَتَّى تَرِثُوهَا مِنْهُنَّ بَعْدَ وَفَاتِهِنَّ! فَقَدْ كَانَ هَذَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَهَآكُمُ اللَّهُ عَنْهُ.

وكذا الصَّغَارُ مِنَ الْبَنِيْنَ وَالْبَنَاتِ، لِكُلِّ سَهْمُهُ فِي الْمِيرَاثِ، وَلَا يَحِلُّ مَنَعُهُمْ مِنَ الْمِيرَاثِ كَمَا كَانَ الْأَمْرُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

وَاعْدِلُوا فِي أَمْرِ الْيَتَامَى الَّذِينَ عِنْدَكُمْ، فَوْقَهُمْ حَقُّوهُمْ الْكَامِلَةَ فِي الْمَهْرِ وَالْمَوَارِيثِ وَالْمَعِيشَةِ... وَمَا تَفْعَلُوا فِي حَقُّوهُمْ مِنْ خَيْرٍ بِحَسَبِ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِجَمِيعِ ذَلِكَ، وَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ أَمَّ الْجَزَاءِ.

{ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ مُحْسِنًا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }
[النساء: 128]

128- وَإِذَا شَعَرَتِ الْمَرْأَةُ بِاسْتِعْلَاءِ زَوْجِهَا عَلَيْهَا لِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ، أَوْ رَأَتْ نُفُورًا مِنْهُ وَانصِرَافًا بِوَجْهِهِ عَنْهَا، أَوْ تَحَافِيًا عَنْهَا قِيَاسًا عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ، مِنْ تَقْلِيلِ نَفَقَةٍ أَوْ عَدَمِ مُؤَانَسَةٍ وَمُحَادَاةٍ... فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَصَالِحَا فِيمَا بَيْنَهُمَا، كَأَنْ تُسْقِطَ مِنْ حَقِّهَا أَوْ بَعْضَهُ، مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ كُسُوفَةٍ أَوْ مَبِيتٍ، أَوْ تَهَبُهُ مَالًا، أَوْ تُهْدِيَهُ مَا يُنَاسِبُهُ وَيُجِبُّهُ، مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ

وَمِنْ غَيْرِهِ، مِمَّا يَجْلِبُ لَهُمَا الْمَحَبَّةَ وَيُعِيدُ إِلَيْهِمَا الْمَعَاشِرَةَ الطَّيِّبَةَ، وَالصَّلْحُ فِي هَذَا خَيْرٌ مِنَ الْفُرْقَةِ وَسُوءِ الْعِشْرَةِ وَالْحُصُومَةِ.

وَقَدْ جُعِلَتْ نَفُوسُ الْبَشَرِ مَطْبُوعَةً عَلَى الْبُخْلِ مَعَ الْحِرْصِ، فَلَا تَكَادُ الْمَرْأَةُ تَسْمَحُ بِحَقُوقِهَا لِلرَّجُلِ، وَلَا الرَّجُلُ يَكَادُ أَنْ يَتَنَازَلَ لَهَا عَنْ حُقُوقِهِ، وَهَذَا يَسْتَدْعِي الشَّقَاقَ وَالطَّلَاقَ. فَإِذَا شَحَّ الرَّجُلُ بِحَقُوقِهِ اسْتَمَالَتْهُ الْمَرْأَةُ، وَإِذَا شَحَّتْ هِيَ اسْتَمَالَهَا هُوَ، حَتَّى يَجِدَا مَكَانًا لِلصُّلْحِ وَالِاتِّفَاقِ وَالْمَعَاشِرَةِ الطَّيِّبَةِ.

وَإِنْ تُحْسِنُوا فِي الْعِشْرَةِ وَتَبْتَعِدُوا عَنِ التُّشُوزِ وَالْإِعْرَاضِ، وَتَصْبِرُوا عَلَى مُرَاعَاةِ الْحَقُوقِ الزَّوْجِيَّةِ دُونَ اللُّجُوءِ إِلَى قَطْعِ حُقُوقِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْإِحْسَانِ وَالتَّقْوَى الَّذِي يَعْلَمُ اللَّهُ بِهِ وَمَقَاصِدِكُمْ فِيهِ، فَيُجَازِيكُمْ بِهِ وَيُنِيئُكُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا.

{ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا } [النساء: 129]

129- وَلَا تَقْدِرُونَ عَلَى إِقَامَةِ الْعَدْلِ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ وَلَوْ بِالْغُتْمِ فِي تَحْرِيهِ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ التَّفَاوُتِ فِي الْمَحَبَّةِ وَالنَّظَرِ وَالْمُؤَانَسَةِ...، فَإِذَا مِلْتُمْ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَلَا تُبَالِغُوا فِي ذَلِكَ، وَلَا تَظْلِمُوا الْأُخْرَى فَتَمْنَعُوهَا حَقَّهَا، حَتَّى لَا تَتْرُكُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ، فَلَا هِيَ ذَاتُ زَوْجٍ وَلَا هِيَ مُطَلَّقَةٌ!

فَإِذَا أَصْلَحْتُمْ أُمُورَكُمْ وَابْتَعَدْتُمْ عَنِ الْمِيلِ الَّذِي تَهَاكُمُ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَدَلْتُمْ فِيمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْقِسْمَةِ، وَخَشِيتُمُ اللَّهَ فِيمَا تَأْتُونَ وَمَا تَدْرُونَ، فَإِنَّهُ يَغْفِرُ مَا مَضَى مِنْكُمْ مِنْ مِيلٍ وَظُلْمٍ، تَفْضُلًا مِنْهُ وَرَحْمَةً بِكُمْ.

{ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا } [النساء: 130]

130- فَإِذَا ضَاقَ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمْ يَجِدَا مَوْضِعًا لِلصُّلْحِ وَتَفَرَّقَا، فَقَدْ أَغْنَى اللَّهُ كُلًّا مِنْهُمَا عَنِ الْآخِرِ بِنِعْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَجَعَلَ لِكُلٍِّّ مِنْهُمَا نَصيبًا آخَرَ، وَهُوَ غَنِيٌّ وَاسِعُ الْفَضْلِ عَظِيمُ الْمَنِّ، حَكِيمٌ فِيمَا يَحْكُمُ وَيُقَدِّرُ.

{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا} [النساء: 131]

131- ولله ملكُ السماوات والأرض، وهو الحاكمُ فيهما، فلا يتعدَّزُ عليه شيءٌ مما يُريدُ منهما، ممَّا يَحُصُّ أحوالَ الزَّوجينِ وغيرها.

وقد أمرنا الذين أوتوا الكتابَ بتقوى الله وطاعته كما أمرناكم بها يا أهل القرآن، فإنَّ تُعرضوا عمَّا وصَّاكم الله به وتكفروا، فإنَّه لا يضرُّه شيءٌ من إعراضكم، كما لا ينفعُ شيءٌ من شُكركم وتقواكم، فهو مالكُ السماوات والأرض وما بينهما، وهو غنيٌّ عن خلقه وعبادتهم، محمودٌ في ذاته، إنَّ حمِدوا أو كَفَرُوا.

{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء: 132]

132- الله خالقُ السماوات والأرض ومالكُهما ومُعدِّمهما، وله مُطلقُ التصرفِ فيهما، وكلُّ ما فيهما مُحتاجٌ إليه، فقيرٌ إلى غناه، وكفى به شهيداً أنَّ الكلَّ عبيدُه، وهو المتكفلُ بأمورهم، فلا يُطلبُ إلاَّ منه، ولا يُتوكَّلُ إلاَّ عليه.

{إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا} [النساء:

133]

133- إنَّ يُردُ الله أنْ يُذْهِبْكم أَيُّها الناس، أهلككم وأتى بآخرين مكانكم، يكونون خيراً منكم وأطوعَ في الالتزام بأوامرِ الله وأحكامِ شرِّعه، وما ذلك بمُمتنعٍ على الله، فهو قادرٌ على ما يشاء، لا يُعجزُه شيءٌ ممَّا يُريدُ.

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}

[النساء: 134]

134- مَنْ كانَ يُريدُ بعمله مَغنماً دُنْيويًّا لا يتجاوزُه، فإنَّ لدى الله ما يُعطيه لِعِباده مِنْ منافعِ الدُّنيا إضافةً إلى ما هو أكبرُ وأنفع، وأهمُّ وأدوم، وهو ثوابُ الآخرة، وهو لمن آمن

وأحسن، فمن سأله منهما أعطاه، ومن اقتصر على الدنيا حرمة الآخرة، كالمنافيق الذين أظهروا الإيمان لينالوا مغنماً مع المسلمين، والكافرين الذين همهم ما في الدنيا، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة. والله يسمع دعاء الناس، بصير بما يطلبونه، مُطَّلِعٌ على غرضهم في ذلك.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } [النساء: 135]

135- أيها المؤمنون، كونوا عادلين في أموركم دائماً، لا يصرفكم عن العدل صارف، وابتعوا بذلك وجه الله، لا غرضاً دنيوياً ومصالحاً شخصية، سواء كان قيامكم بالعدل أو قولكم الحق لصالحكم أو لغير صالحكم، فإن كان الأول فذاك، وإن كان الثاني فقد جعل الله لكم مخرجاً وعوضكم خيراً.

وحتى لو كانت الشهادة على الوالدين والقراية، فإن الحق حق، يحكم على كل أحد، ويُقدّم على كل شيء.

ولو كان الذي عليه الحق غنياً أو فقيراً، فإن القول العدل والشهادة المنصفة لا تُراعي غنياً لِماله، ولا تُشفق على فقيرٍ لحاله، والله يتولى شأنهما وينظر في حالهما بعد ذلك، فكلوا أمرهما إلى الله تعالى.

ولا يحملنكم غرض ما في نفوسكم إلى الميلان نحو الباطل والعدول عن الحق، فإذا حررتكم الشهادة، وأبطلنم الحق في أموركم، وتركتنم إقامة العدل، فإن الله عليكم بعملكم الآثم هذا، مُطَّلِعٌ على ما غيرتموه وأبطلتموه، وسوف يجازيكم على ذلك سوء الجزاء.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } [النساء: 136]

136- أيها المؤمنون، آمنوا واثبتوا على إيمانكم، وداوموا عليه وأخلصوا فيه، آمنوا بالله الواحد، وبرسوله محمدٍ خاتم أنبيائه، وبالقرآن الذي أنزله عليه، وبكل كتاب أنزله من قبله.

وَمَنْ يَكْفُرْ بِأَرْكَانِ الْإِيمَانِ: بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَأَنْبِيَائِهِ وَرَسُولِهِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ، فَقَدِ ابْتَعَدَ عَنِ الْحَقِّ ابْتِعَادًا كَلْبِيًّا، وَخَرَجَ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَايَةِ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالِ.

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا } [النساء: 137]

137- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا، ثُمَّ ارْتَدُّوا، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْإِيمَانِ، ثُمَّ عَادُوا إِلَى الْكُفْرِ وَازْدَادُوا ضَلَالَةً فِيهِ، وَأَصْرَبُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَاسْتَمَرُّوا عَلَيْهِ حَتَّى مَاتُوا، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لَهُمْ، مَا أَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ، وَلَا يَهْدِيهِمْ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، وَقَدْ آثَرُوا الضَّلَالَ عَلَى الْهُدَى بَعْدَ أَنْ عَرَفُوا الْحَقَّ جَيِّدًا وَتَرَكُوهُ عَنْ قَصْدٍ، بَلْ تَلَاعَبُوا بِالْإِيمَانِ الْحَقِّ وَاسْتَحَقُّوا بِهِ، فَكَانَ جَزَاءَهُمْ مَا ذُكِرَ.

{ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } [النساء: 138]

138- إِنَّ هَذَا مِنْ شَأْنِ الْمُنَافِقِينَ، الْمُتَلَاعِبِينَ بِاللَّيْنِ، فَبَشِّرْهُمْ إِذَا بَمَا يَسُوؤُهُمْ، بِشَرِّهِمْ بِعَذَابٍ شَدِيدٍ مُوجِعٍ، وَنَارٍ تَأْتِي عَلَى أَفئِدَتِهِمْ، مَعَ خُلُودٍ دَائِمٍ فِي الْعَذَابِ.

{ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْبَسُوا لَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا } [النساء: 139]

139- إِنَّ الْمُنَافِقِينَ اتَّخَذُوا الْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ يَتَّبِعُونَ مِنْهُمْ الْعُونَ وَالسَّانِدَ وَالظَّفَرَ، وَلَا يَتَّخِذُونَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلِيَاءَ لَهُمْ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ يُظْهِرُونَ أَمَانَهُمْ الْإِسْلَامَ، وَلَكِنَّهُمْ يُظْهِرُونَ حَقِيقَةَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ عِنْدَ أَنْصَارِهِمُ الْكَافِرِينَ بِأَنَّهُمْ مِنْهُمْ، يُوَالُوهُمْ، وَيُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ. فَهَلْ يُرِيدُونَ بِمَوْلَاتِهِمْ لَهُمُ الْقُوَّةَ وَالْمَنْعَةَ وَالظُّهُورَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؟ فَإِنَّ الْعَلْبَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْقُدْرَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، يُعْطِيهَا مَنْ شَاءَ، وَيَمْنَحُهَا لِأَوْلِيَائِهِ. { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ } [سورة المنافقون: 8]. فَالْتَجُّوا إِلَى اللَّهِ الْعَزِيزِ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، فَهُوَ نَاصِرُكُمْ وَمَانِحُكُمْ الْقُوَّةَ، وَالْمُنَافِقُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.

{ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا } [النساء: 140]

140- وقد سبق أن نزل الله عليكم في القرآن أنكم إذا كنتم في موضع أو عند ناس يكفرون بآيات القرآن الكريم ويستهزؤون بها فلا تجالسوهم، حتى يدخلوا في حديث غيره، في قوله تعالى: { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ } [سورة الأنعام: 68]. وإذا كان هذا لا يجوز، فكيف بمواليتهم والاعتزاز بهم؟!
فإن رضيتم بالجلوس معهم وهم يكفرون بآيات الله ويستهزؤون بها ويتقصون منها، وأقرتموهم على ذلك، فقد شاركتموهم في الكفر.
ويجمع الله المنافقين والكافرين جميعاً في نار جهنم خالدين فيها، كما اشتهر على الكفر ووالى بعضهم بعضاً في الدنيا، ليدوقوا العذاب المهين، والتكال المقيم.

{ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا } [النساء: 141]

141- إن هؤلاء المنافقين ينتظرون وقوع أمر بكم، ولا يريدون لكم الخير، فإذا رأوا ظفراً وغنيمة توددوا إليكم وقالوا: ألم نكن على دينكم ونساندكم في الجهاد؟ فاجعلوا لنا نصيباً من الغنيمة.

وإن كان للكافرين حظ من الاستيلاء والغلبة قالوا لهم: ألم نتعاون معكم، بالكف عن قتلكم وأسركم، وبتخذي المسلمين عنكم، وإطلاعتكم على أسرارهم، ودفعهم عنكم ما استطعنا، حتى انتصرت عليهم؟
ويحكم الله بين أهل الإيمان وأهل النفاق يوم الحساب، يوم عرض الأعمال على الله، فيثيب أوليائه، ويُعاقب أعداءه.

ولن تكون هناك حجة للكافرين يغلبوا بها المسلمين، في الدنيا والآخرة، فالحق معهم في الدنيا إن غلبوا، وفي الآخرة عندما يحكم الله بين عباده، ولا يقبل منهم سوى دين التوحيد.

أو أن المقصود بالقسم الأخير من الآية: لن يجعل الله للكافرين سبيلاً مطلقاً على المسلمين، بأن يقضوا عليهم. ولكن الحرب سجالاً والدنيا دُول.

{ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالِي يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا } [النساء: 142]

142- إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يَفْعَلُونَ مَا يَفْعَلُ الْمُخَادِعُ، فَيُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ وَيُضْمِرُونَ نَقِيضَهُ، وَهُمْ يَظُنُّونَ - بَجَهْلِهِمْ - أَنَّ أَمْرَهُمْ هَذَا سَيُرْجَحُ حَتَّى عِنْدَ اللَّهِ، الْعَالَمِ بِالسَّرَائِرِ وَالضَّمَائِرِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَسْتَدْرِجُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، وَهُوَ فَاعِلٌ بِهِمْ مَا يَفْعَلُ الْغَالِبُ فِي الْخِدَاعِ، فَهُوَ إِنْ تَرَكَهُمْ مَعْصُومِي الدَّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِتَظَاهِرِهِمْ بِالْإِسْلَامِ، فَقَدْ أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ الدَّرَكَ الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ، بَعْدَ فَضْحِهِمْ وَإِظْهَارِ شَأْنِهِمْ.

وَمِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا قَامُوا إِلَى خَيْرِ شَعِيرَةٍ فِي الْإِسْلَامِ، وَهُوَ الصَّلَاةُ، قَامُوا إِلَيْهَا مُتَنَاقِلِينَ مُتَبَاطِعِينَ، يُصَلُّونَهَا بِلَا تَيِّبَةٍ وَلَا خَشْيَةٍ، وَلَا فَهْمٍ وَلَا رَغْبَةٍ، وَلَا إِيْمَانٍ وَلَا إِخْلَاصٍ، إِنَّمَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لِيَرَاهُمُ النَّاسُ وَهُمْ يُصَلُّونَ لِيَحْسَبُوهُمْ مُسْلِمِينَ. فَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ لَاهُونَ، لَا يَدْرُونَ مَا يَقُولُونَ، وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا زَمَانًا قَلِيلًا.

{ مُتَذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا } [النساء: 143]

143- إِنَّهُمْ مُتَحَيِّرُونَ وَمُتَارِجِحُونَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَمُتَرَدِّدُونَ بَيْنَ الْكَافِرِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَلَا هُمْ مَنْسُوبُونَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ حَقِيقَةً لِإِضْمَارِهِمُ الْكُفْرَ، وَلَا هُمْ يُظْهِرُونَ الْكُفْرَ لِيُقَالَ إِنَّهُمْ كَفَّارٌ، بَلْ ظَاهِرُهُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَاطِنُهُمْ مَعَ الْكَافِرِينَ. وَمَنْ يَصْرِفُهُ اللَّهُ عَنِ الْهُدَى، وَيُضِلُّهُ عَنِ سَبِيلِ النِّجَاةِ، فَلَنْ يَجِدَ لَهُ هَادِيًا وَمُنْقِدًا، لِعَدَمِ اسْتِعْدَادِهِ لِلْهَادِيَةِ وَالتَّوْفِيقِ، وَلِصَرْفِ نَفْسِهِ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَرْيَدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا } [النساء: 144]

144- أيُّها المؤمنون، لا تتشَبَّهوا بالمنافقين فتتَّخذوا من الكافرين أولياءَ لكم تصحبوهم وتُصادقونهم، وتُناصِحوهم وتُواذُوهم، وتُفشون أسرارَ المسلمين إليهم، أتريدون بذلك حُجَّةً ظاهرةً لله عليكم ليعاقبكم عليها ويُعذِّبكم لأجلها؟

{ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا } [النساء: 145]

145- فإنَّ مصيرَ المنافقين هو أسفلُ النَّارِ وأدنى دركاتِ جهنم، وهو قَعْرُها، ولن تجد لهم يومئذٍ من يُنقذهم من حالهم أو يُخفف من عذابهم الشديد.

{ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا } [النساء: 146]

146- إلا من تاب منهم وآب، وندم على ما فات، وأصلح بالإيمان ما أفسده بالكفر، واعتصم بحبلِ ربه وتمسك بكتابه، وبدل بالرياء الإخلاص، فلم يرد بطاعته سوى وجه ربه، فأولئك سيكونون في زمرة المؤمنين يوم القيامة، وسوف يُعطيهم الله - كما يُعطي المؤمنين - الثواب الكبير، والدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ فِي الْجَنَّةِ.

{ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا } [النساء: 147]

147- ولا يعذبكم الله إلا لرفضكم ما شرعه لكم، ولن يُعذِّبكم ما دمتم مؤمنين صالحين شاكرين، والله يُثيب على الشكر، فيشكر لمن شكر له، عليهم بقلوب من آمن، فيجازيهم على ذلك أوفر الجزاء.

الجزء السادس

سورة النساء (الآيات 148-176)

سورة المائدة (الآيات 1-81)

{ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوِّءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا } [النساء:148]

148 - لَا يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يُعْلِنَ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ سُوءًا إِلَّا إِذَا ظَلِمَ. كَأَنْ يَدْعُوَ عَلَى ظَالِمِهِ، أَوْ يَشْتَكِيَ عَلَيْهِ فَيُبَيِّنَ سُوءَ مَا ظَلَمَهُ بِهِ. وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا لِكَلَامِ الظَّالِمِ وَالْمُظْلَمِ، عَالِمًا بِمَا لَمْ يَتَكَلَّمَا.

{ إِنْ تُبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا قَدِيرًا } [النساء:149]

149 - وَإِذَا أَظْهَرْتُمْ خَيْرًا أَوْ أَخْفَيْتُمُوهُ، أَوْ عَفَوْتُمْ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ قَادِرُونَ عَلَى مَوَازِنَتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْفُو عَنِ الْعِصَاةِ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى عِقَابِهِمْ، فَكَيْفَ لَا تَعْفُونَ أَنْتُمْ مَعَ ضَعْفِكُمْ؟ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا لِيُجْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ الثَّوَابَ.

{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ

وَنُكْفِرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا } [النساء:150]

150 - إِنَّ الَّذِينَ تَقَوَّدَهُمْ مَذَاهِبُهُمْ وَأَرَاؤُهُمْ إِلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَهُمْ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا فِي هَذَا الْإِيمَانِ، فَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَيَكْفُرُونَ بِرُسُلِهِ، وَيَقُولُونَ: نُؤْمِنُ بِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ وَنُكْفِرُ بِبَعْضِهِمْ الْآخَرَ، كَالْيَهُودِ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِنُبُوَّةِ عِيسَى وَنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالنَّصَارَى الَّذِينَ آمَنُوا بِالْأَنْبِيَاءِ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ مَسَلَكًا يَسْلُكُونَهُ، مَعَ أَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَخْتَلِفُ، وَالْحَقُّ لَا يَتَعَدَّدُ،

{ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا } [النساء:151]

151 - فهؤلاء كفرهم مُحَقَّق، ولا عِزَّةَ بما ادَّعوا من إيمانٍ وسلكوا من مسلك، وقد هيَّأنا⁽²⁹⁾ لهؤلاء الكافرين وأمثالهم عذاباً مُدليلاً، جزاء كفرهم الذي ظنوا به عِزَّة.

{ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } [النساء: 152]

152 - والذين آمنوا بالله وبجميع رُسُلِهِ، كأمةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، الذين يؤمنون بجميع الأنبياء، ولم يُفَرِّقوا بين أحدٍ منهم كما فعله آخرون، من الإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم الآخر، فأولئك - المؤمنون - سوف يُعطيهم الله ثواب أعمالهم كاملاً ويزيدهم من فضله، وهو غفورٌ يغفرُ ذنوبَ المؤمنين التائبين، ويرحمهم، فيضاعفُ لهم الأجر.

{ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا } [النساء: 153]

153 - يسألك أهل الكتاب ممن فرّقوا بين الرُّسل، أن تُنزلَ عليهم كتاباً من السماء، جملةً واحدةً وبخطِّ سماويٍّ، كشأنِ التَّوراة، وقد سألوا ذلك على سبيلِ التَّعنُّتِ والعناد، والكُفْرِ والإلحاد، كما سأل كفارُ قُرَيْشٍ قبلهم نظيرَ ذلك: { وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَاكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَنْقُرُوهُ } [الإسراء: 93]، فلا نُهتَمَ بهم وبمطالبهم المَغرِضةِ هذه، فقد سألوا موسى أكبرَ من هذا وأعظم؛ عناداً لا استرشاداً، فقالوا: نُريدُ أن نرى الله جَهراً أمامنا! فعاقبهم الله بصاعقةٍ من نارٍ أهلكتهم؛ بطغيانهم وبغيهم، وعنادهم وتعنُّتهم. ثم صَاروا يَعْبُدُونَ العِجْلَ، على الرغم

(29) {أَعْتَدْنَا} معناه: هيَّأنا وقدَّرنا. والتاء في {أَعْتَدْنَا} بدلٌ من الدالِ عند كثيرٍ من علماء اللغة، وقال كثيرٌ منهم: التاء أصلية، وأنه بناءٌ على حدة، هو غيرُ بناءٍ (عَدَّ). وقال بعضهم: إن (عَتَدَ) هو الأصل، وأن (عَدَّ) أُدغمت منه التاء في الدال، وقد وردَ البناءان كثيراً في كلامهم وفي القرآن. (التحرير والتنوير).

مَّا جَاءَهُمْ نَبِيُّهُمْ مُوسَىٰ بِالْمَعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالْأَدَلَّةِ الْوَاضِحَةِ، الدَّالَّةِ عَلَى الْوَهْيَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ
وَوَحْدَانِيَّتِهِ. وَعَقَوْنَا عَنْهُمْ بَعْدَ أَنْ تَابُوا.

وقد أعطينا موسى حجةً بينةً تظهرُ صدقَ نبوته. وهي الآياتُ التسع.

{ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ مِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي
السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا } [النساء:154]

154 – ورفعنا فوق رؤوسهم جبلَ الطورِ ليعطوا ميثاقهم بقبولِ شريعةِ التَّوراة، فلما رأوه
كالظَّلةِ فَوْقَهُمْ خافوا أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِمْ، فوافقوا وعاهدوا.

وقُلْنَا لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ مُوسَى: إِذَا دَخَلْتُمْ بَابَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَادْخُلُوا سَاجِدِينَ خَاضِعِينَ.
فلم يفعلوا، بلْ عاندوا وخالفوا ودخلوا زاحفينَ على أَسْتَاهُمْ!

ووصَّيناهم بأنْ لا يظلموا أنفُسَهُمْ باصطيادِ الحيتانِ في يَوْمِ السَّبْتِ.

وأخذنا منهم على الامتثالِ بهذه الأوامرِ عهداً شديداً ووعداً مؤكِّداً، وإلاَّ عذَّبْهُمْ اللهُ. فخالفوا
وعصوا، وتحايلوا على ارتكابِ المعاصي...

{ فَبِمَا نَفَضْنَاهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلْنَاهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ
بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا } [النساء:155]

155 – فبمخالفتهم ونكثهم عهدهم وموآثيقهم التي ائتمنوا عليها، وكفرهم بالمعجزاتِ

والْحُجَجِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ أَنْبِيَائِهِ، وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِغَيْرِ حَقٍّ، كزكريَّا
ويحيى عليهما السَّلَام. وَقَوْلِهِمُ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلُوبُنَا مُغْلَفَةٌ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا

كلامُكَ وَلَا تَعِيهِ! بلْ هِيَ مَخْتومةٌ بِالْكَفْرِ، وَمَطبوعٌ عَلَيْهَا بِالصِّدْقِ عَنِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ، حَتَّى
صَارَتْ مَحْجوبةً عَنِ الْعِلْمِ، كَالْبَيْتِ الْمَظْلَمِ الَّذِي لَا يَدْخُلُهُ النُّورُ، فَلَا نَافِذَةَ فِيهِ وَلَا بَابَ، فَلَا

يُؤْمِنُونَ إِلَّا إِيمَانًا قَلِيلًا، كَالْإِيمَانِ بِنَبْوَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام، عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ بِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ دُونَ
آخَرِينَ يُعَدُّ كُفْرًا.

{ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْئِمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا } [النساء:156]

156 – وبكفرهم بعيسى عليه السلام، وقولهم على أمه مريم كذباً وزوراً عظيماً، فقد رموها بالزنا، وهي الصديقة التي فضّلها الله على نساء العالمين!

{ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا }
[النساء: 157]

157 – وقولهم في فخرٍ وتبجح، عليهم لعائن الله: إِنَّا قَتَلْنَا هَذَا الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ، عِيسَى بِنَ مَرْيَمَ. وَلَكِنَّ الْحَقَّ أَنَّهُمْ لَمْ يَقْتُلُوهُ وَلَمْ يَصَلْبُوهُ، كَمَا يَدَّعُونَ، وَلَكِنْ أَلْقَى اللَّهُ الشُّبُهَةَ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَظَنُّوهُ عِيسَى، فَقَتَلُوهُ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَتَلُوهُ فِي شَكٍّ وَحَيْرَةٍ مِنْ ذَلِكَ، فَهُمْ أَنْفُسُهُمْ غَيْرُ مُتَأَكِّدِينَ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ هُمْ مُتَرَدِّدُونَ، وَمَتَّبِعُونَ الظَّنَّ، لَا عِلْمَ حَقِيقِيٍّ عِنْدَهُمْ بِذَلِكَ. وَمَا قَتَلُوا عِيسَى يَقِينًا.

{ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } [النساء: 158]

158 – بل رفعه الله إليه. والله عزيز لا يُغالب إذا أراد شيئاً، منيع إذا انتقم فلا يُمنع، حكيم فيما يفعل ويُدبر.

{ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا }
[النساء: 159]

159 – وليس هناك أحدٌ من أهل الكتاب إلا ويؤمنُ بإنسانيّة عيسى عليه السلام ونبوّته، قبل أن تزْهَقَ روحه، يعني عند الاحتضار، فتتكشّف له الحقيقة، ولكن لا يَنفَعُ الإيمانُ في ذلك الوقت، لكونه مُلْحَقاً بِالْبَرَزَخِ.

ويكون عيسى عليه السلام شهيداً على أهل الكتاب يوم القيامة، بما شاهدتهم عليه في الحياة الدنيا، أي قبل رفعه وبعد نزوله، فيشهد أنه بلّغهم الرسالة، وأقرّ بالعبودية لنفسه، ويشهد على اليهود بأنهم كذبوا رسالته، وعلى النصارى بمن صدّقه ومن كذّبه.

{ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا }
[النساء:160]

160 - فسبب ظلم اليهود وما ارتكبه من ذنوب عظيمة، كالكفر بآيات الله، وعبادة العجل، وعداوة الرسل، وقتل الأنبياء، وهتائهم على مريم... حرّمنا عليهم أطعمة طيبة كانت حلالاً لهم، وبسبب صرف أنفسهم وآخرين عن دين الله الحقّ مرّات كثيرة.

{ وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا }
[النساء:161]

161 - وبسبب تعاملهم بالربا، وتحايلهم في أخذه بأنواع الحيل، وقد نُهوا عن ذلك في التوراة.

وبسبب أكلهم أموال الناس بغير الحق، كالرشا في الحكم، والتحرّيف والتزوير بالهدايا، وما إليها من الوجوه المحرّمة. وقد هيأنا للمُصيرين منهم على الكفر - إلاّ من تاب وآمن - عذاباً مؤلماً موجعاً في الآخرة، إضافةً إلى معاقبتهم في الدنيا؛ لظلمهم وعصيانهم.

{ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا }
[النساء:162]

162 - وليس اليهود كلّهم كذلك، فإنّ الثابتين منهم في العلم النافع ممّن أسلم من علمائهم، وأولي البصائر ممّن آمن منهم، مثل عبد الله بن سلام وأصحابه، يؤمنون بالقرآن، وبالكتب المنزلة من قبل، وهم يُقيمون الصلّاة على وجهها، ويُعطون الزكاة المفروضة عليهم، ويؤمنون بالله الواحد الأحد، وبالبعث بعد الموت، والجزاء على الأعمال، فأولئك سنؤتيهم ثواباً جزيلاً وأجراً عظيماً على ما آمنوا وصدّقوا.

{ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا }
[النساء: 163]

163 - وَقَدْ طَلَبَ مِنْكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ، وَشَأْنُكَ فِي الْوَحْيِ
شَأْنُ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَوْحَى إِلَيْهِمْ، فَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ، وَإِلَى مَنْ تَلَوْهُ مِنْ
الْأَنْبِيَاءِ، إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْمَاعِيلَ، وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ، وَالْأَسْبَاطِ - وَهُمْ أَوْلَادُ يَعْقُوبَ -،
وعيسى، ويونس، وهارون، وسليمان، وآتينا داودَ الزُّبُورَ⁽³⁰⁾.

{ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا }
[النساء: 164]

164 - وَرُسُلًا آخَرِينَ قَصَصْنَا عَلَيْكَ خَبَرَهُمْ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ هَذِهِ السُّورَةِ، وَآخَرِينَ لَمْ
نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا، بِلَا وَسِطَةٍ.

{ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمًا } [النساء: 165]

165 - لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا يُبَشِّرُونَ النَّاسَ بِالثَّوَابِ الْعَظِيمِ لِمَنْ أَطَاعُوا أَنْبِيَاءَهُمْ، وَيُنذِرُونَ مَنْ
كَذَّبُوهُمْ وَخَالَفُوهُمْ بِالْعِقَابِ وَالْعَذَابِ، حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُمْ عُذْرٌ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَلئَلَّا يَقُولُوا رَبَّنَا
مَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رُسُلًا يُعَلِّمُونَنَا، وَمَا أَنْزَلْتَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَهْتَدِي بِهَا. وَاللَّهُ عَزِيزٌ فِي مُلْكِهِ لَا
يُغَالِبُ، حَكِيمٌ فِي أَمْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

(30) هو أحدُ أسفارِ الكتابِ المقدَّسِ عند اليهود. أنزلَ على داودَ عليه السلام، وفيه مواعظُ وأمثال، كان بنو إسرائيلَ
يترنِّمونَ بفصله. (ينظر التحرير والتنوير).

{ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا }
[النساء: 166]

166 – فَإِنْ لَمْ يَشْهَدْ لَكَ الْمَشْرُكُونَ وَأَهْلُ الْكِتَابِ أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ، وَجَحَدُوا نَبَوَّتَكَ وَكَذَّبُواكَ، فَاللَّهُ يَشْهَدُ بِنَبَوَّتِكَ وَصِدْقِكَ، وَيَشْهَدُ بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْكَ، أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ، بِنَظْمٍ وَأَسْلُوبٍ يَعْجِزُ عَنْهُ كُلُّ بَلِيغٍ، وَفِيهِ آيَاتُهُ وَهَدْيُهُ. وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ كَذَلِكَ عَلَى صِدْقِهِ، وَكَفَى أَنْ يَكُونَ اللَّهُ شَهِيدًا عَلَى ذَلِكَ، وَأَقَامَ حُجَجًا عَلَى صِحَّةِ نَبَوَّتِكَ، يُؤْمِنُ بِهَا مَنْ لَمْ يُعَانِدْ وَيُخَاصِمِ.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا } [النساء: 167]
167 – وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، وَمَنَعُوا النَّاسَ مِنْ اتِّبَاعِكَ، وَكَتَمُوا أَوْصَافَكَ لِيُبْعِدُوهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِنَبَوَّتِكَ، قَدْ ابْتَعَدُوا عَنِ الْحَقِّ ابْتِعَادًا كَبِيرًا، وَجَمَعُوا بَيْنَ الضَّلَالِ وَالْإِضْلَالِ.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا } [النساء: 168]
168 – وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ كَمَا ظَلَمُوا النَّاسَ، بِانْكَارِ صِفَاتِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَإِنْكَارِ نَبَوَّتِهِ، فَصَدُّوا النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ بِذَلِكَ، لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ وَلَنْ يَهْدِيَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ؛ لَعَدِمَ اسْتِعْدَادَهُمْ لِلْهِدَايَةِ إِلَى الْحَقِّ، وَالْإِسْتِرْشَادِ بِالْآيَاتِ الْوَاضِحَةِ، وَالتَّوَجُّهِ نَحْوَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

{ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا } [النساء: 169]
169 – وَلَكِنْ يُمَهِّدُ لَهُمُ الطَّرِيقَ لِيَدْخُلُوا جَهَنَّمَ، مَخْلَدِينَ فِيهَا إِلَى الْأَبَدِ، وَهَذَا سَهْلٌ يَسِيرٌ عَلَى اللَّهِ، وَلَا صَارَفَ لَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَهُمْ مُحَقَّرُونَ لَا يَسْتَحِقُّونَ الرَّحْمَةَ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُبَالُوا بِأَوَامِرِ اللَّهِ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى سُبُلِ الْخَيْرِ وَطَرِيقِ الْحَقِّ، فَلَا يُبَالِي اللَّهُ بِهِمْ.

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } [النساء: 170]

170 - أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الرُّسُولَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَاءَكُمْ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ وَشَهَادَةِ التَّوْحِيدِ بِإِذْنِ مَنْ اللهُ وَوَحْيٍ مِنْهُ، فَأَمِنُوا بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَأَتَّبِعُوهُ يَكُنْ خَيْرًا لَكُمْ وَأَنْجَى، وَإِنْ تَكْفُرُوا بِذَلِكَ فَإِنَّهُ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَعَنْ إِيْمَانِكُمْ، فَلَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَكُلُّ مَا فِيهِمَا مُنْقَادٌ لَهُ وَيَتَصَرَّفُ فِيهِمَا كَمَا يَشَاءُ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِأَحْوَالِكُمْ وَمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهُدَايَةَ مِنْكُمْ فِيهِدِيهِ، حَكِيمٌ فِيمَا يُشْرَعُهُ وَيُدَبِّرُهُ وَيُقَدِّرُهُ.

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } [النساء: 171]

171 - يا أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، لا تتطرفوا ولا تتجاوزوا الحق في دينكم، ولا تذكروا عن الله إلا ما هو صدق وحق وعدل، بعيداً عن الكذب والضلال والباطل، فلا صاحبة له ولا ولد، وما المسيح عيسى بن مريم إلا عبد الله ورسوله، خلق بكلمة الله وأمره "كن" التي أوصلها إلى مريم، من غير واسطة ولا أب، وهو روح من الأرواح التي خلقها الله وكمّلها بالصفات الفاضلة والأخلاق الكاملة.

و"من" في قوله { وَرُوحٌ مِنْهُ } للتشريف والتكريم، كأن تقول: نعمة من الله، وليست "من" تبعية كما ادعت النصارى وقالت: يعني أنه بعض من الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، كما أن قوله تعالى: { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ } [سورة الجاثية: 13] لا يعني أن هذه الأشياء بعض من الله...

فآمنوا وصدقوا بالله الواحد الأحد، الذي لا صاحبة له ولا ولد، وآمنوا بجميع أنبيائه ورسله، وهم عبيد مثلكم، ولكن الله يوحى إليهم ويكلفهم بتبليغ رسالته، ولا تقولوا إن الآلهة ثلاثة، فتجعلوا عيسى وأمه شريكين مع الله، فانتهوا من هذا الإثم العظيم والشرك الكبير، فإن من قال ذلك أشرك وكفر. (وكانت هناك فرقة من النصارى يقولون بألوهية مريم أيضاً، يقال لهم "المريميون"، ظهروا في القرن السادس الميلادي، القرن الذي بعث فيه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم).

انتَهوا عن القول بالتثليث، فهو خيرٌ لكم من هذا الكذبِ والافتراءِ الباطلِ الذي لا أصلَ له ولا عقلَ يقبله، إنما اللهُ إلهٌ واحدٌ مُنَزَّهٌ عن التعددِ، تعالى وتقدسَ أن يكونَ له ولدٌ مثله، فلا شبهةٌ له ولا كُفء، بل جميعُ ما في السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ مُلكُهُ وَعَبِيدُهُ وتحتَ تصرُّفه، لا يخرجُ عن مُلكِهِ شَيْءٌ مَّا هوَ فيهما، ولو كانَ له ولدٌ لكانَ مثلهُ في صِفَةِ المملَكِيَّةِ، وهوَ الوكيلُ الحافظُ المستقلُّ بحفظِ جميعِ ما في الكونِ، ولا يحتاجُ إلى مَنْ يُعينه، فلا يُتصَوَّرُ له ولد، بل القائلُ بذلكِ في ضلالٍ وكذبٍ وجهلٍ.

{ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا } [النساء: 172]

172 - ولن يستكبرَ المسيحُ عيسى عن أن يكونَ عبداً لله مُطيعاً، والعبوديةُ لله شرفٌ وعزٌّ لمن عقل، كما لا يأنفُ ملائكتهُ المقربونَ من أن يكونوا عبيداً له، ومن يمتنع عن عبادته ويستكبرَ عن طاعته، فسيجمعهم إليه يومَ القيامةِ ليفصلَ بينهم بحُكمه العادل.

{ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } [النساء: 173]

173 - فأما من آمنَ إيماناً صحيحاً، وعملَ عملاً صالحاً موافقاً للشريعة، مُبتغياً به وجهَ الله، فيُعطيهم اللهُ أجورهم كاملاً، ويزيدهم أضعافاً مضاعفةً بفضلِهِ. وأما من عصى واستكبرَ عن عبادته، فيُعذِّبهم عذاباً موجعاً مُهلكاً، ولا يجدونَ هناكَ من يلي أمورهم، ويُدافع عنهم، ويتنصر لهم، ويُخلصهم من عذابِ اللهِ المحيطِ بهم.

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا } [النساء: 174]

174 - أَيْهَا النَّاسَ، لَقَدْ أَتَيْتُمْ مُعْجَزَاتٍ كَافِيَةً مِنْ رَبِّكُمْ، وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ بِوَسْطَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، الَّذِي فِيهِ نُورٌ⁽³¹⁾ بَيْنَ يَفْرَقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

{ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا } [النساء: 175]

175 - فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَأَطَاعُوهُ وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ حَقَّ التَّوَكُّلِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ، فَسَيَرْحَمُهُمْ، وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، فَيُضَاعِفُ لَهُمْ أَجُورَهُمْ، وَيَزِيدُهُمْ نُورًا وَهَدَايَةً وَتَثْبِيثًا عَلَى دِينِهِ، وَدَرَجَاتٍ عَالِيَةً فِي الْجَنَّةِ.

{ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أُثْنَيْنِ فَلَهُمَا التُّلْتَانِ بِمَا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [النساء: 176]

176 - يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْكَلَالَةِ، وَهِيَ مَسْأَلَةُ فَرَائِضِيَّةٍ، فَيَمَنُ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ، فَقُلْ: يُجِيبُكُمُ اللَّهُ عَنْهَا وَيُبَيِّنُ حُكْمَهَا. فَإِذَا مَاتَ شَخْصٌ، وَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ، وَلَهُ أُخْتٌ، فَلِلأُخْتِ نِصْفُ مَا تَرَكَ مِنَ الْمِيرَاثِ، وَيَعْنِي هَذَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَبٌ، فَلَوْ كَانَ حَيًّا لَحَبَّهَا. وَالأخُ يَرِثُ جَمِيعَ مَا لَ أَخْتِهِ إِذَا مَاتَتْ وَلَيْسَ لَهَا وَالِدٌ وَلَا وَلَدٌ. فَإِذَا كَانَ لِلْمَيِّتِ أُخْتَانِ، فَلَهُمَا ثُلَاثُ التَّرِكَةِ. وَإِذَا كَانَ لِلْمَيِّتِ إِخْوَةٌ وَأَخَوَاتٌ، أُعْطِيَ لِلذَّكَرِ مِنْهُنَّ حَظُّ الْأُنثِيَيْنِ.

(31) سَمِّيَ الْقُرْآنُ نُورًا لِكَوْنِهِ سَبَبًا لَوْقُوعِ نُورِ الْإِيمَانِ فِي الْقُلُوبِ، وَلَأنَّهُ تَتَبَّيَّنُ بِهِ الْأَحْكَامُ كَمَا تَتَبَّيَّنُ بِالنُّورِ الْأَعْيَانُ. (روح البيان).

وَيُوضِّحُ اللَّهُ لَكُمْ هَذِهِ الْأَحْكَامَ وَيُجَدِّدُهَا حَتَّى لَا تَشْتَبُوهَا وَتَقَعُوا فِي الْخَطَا. وَهُوَ سُبْحَانَهُ عَالِمٌ
بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ وَمَصَالِحِهَا، فَيُشَرِّعُ مَا هُوَ حَقٌّ وَعَدْلٌ بَعْلَمِهِ وَحِكْمَتِهِ.

سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي
الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ } [المائدة: 1]

1 - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، أَوْفُوا بِالْعُهُودِ الْمَوْجِبَةِ عَلَيْكُمْ، مِمَّا أَحَلَّ اللَّهُ وَحَرَّمَ، وَمَا فَرَضَ وَحَدَّ، وَمَا
تَعَامَلْتُمْ بِهِ مَعَ النَّاسِ.

وَقَدْ أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ بِهَيْمَةَ الْأَنْعَامِ، وَهِيَ الْإِبِلُ، وَالْبَقَرُ، وَالغَنَمُ، وَالْمَعْزُ، إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي
الْقُرْآنِ، فِي الْآيَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ. وَلَا يَحِلُّ اصْطِيادُهَا وَلَا أَكْلُ لَحْمِهَا فِي حَالِ الْإِحْرَامِ
بِالْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ.

وَاللَّهُ يَشْرَعُ مَا يُرِيدُ مِنَ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ، حَكِيمٌ فِي جَمِيعِ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى، فَلَا اعْتِرَاضَ
عَلَيْهِ، وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشُّهُرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ
الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ
أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [المائدة: 2]

2 - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا تَتَهَاوَنُوا بِمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ أُمُورٍ تَخُصُّ مَنَاسِكَ الْحَجِّ وَعَلَامَاتِ
يَعْرِفُ بِهَا الْحَاجُّ أَدَاءَ حَجِّهِ، فَلَا تُحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنْهَا، وَلَا الْقِتَالَ فِي الشُّهُرِ الْحَرَامِ، وَهُوَ ذُو
الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْحَرَمِ، وَرَجَبٍ. وَلَا تَتْرَكُوا إِهْدَاءَ النَّسِكِ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، مِنْ بَعِيرٍ
وَبَقَرٍ وَشِيَاهِ، وَلَا تَتْرَكُوا تَقْلِيدَهَا فِي أَعْنَاقِهَا، لِتَمَيِّزِ بِهِ عَنْ سَائِرِ الْأَنْعَامِ، وَلِتُعْرَفَ وَيَتَجَنَّبَهَا مَنْ
أَرَادَهَا بِسُوءٍ.

ولا تتعرضوا بسوء لمن قَصَدَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ (وكانَ بينهم مُشْرِكُونَ)، يُريدونَ بذلكَ الرِّزْقَ والتَّجَارَةَ، أو التَّعَبُّدَ لِرِضَى اللَّهِ - بزعمهم -، فلا تَمْنَعُوهُمْ ولا تُخَوِّفُوهُمْ، فَإِنَّ مَنْ دَخَلَ الْبَيْتَ كَانَ آمِنًا.

ثم نُسِخَ هذا بقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} [سورة التوبة: 28]، وقوله: {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [سورة التوبة: 5].

فإذا حَلَلْتُمْ مِنَ الْإِحْرَامِ، فقد أُبِيحَ لَكُمْ الاِصْطِيَادُ.
ولا يَحْمِلَنَّكُمْ عداوَةٌ وُبُغْضُ قَوْمٍ سَبَقَ أَنْ مَنَعَكُمْ مِنَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ أَنْ تَظْلِمُوهُمْ وَتَعْتَدُوا عَلَيْهِمْ بِالْقَتْلِ وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ.
وَلْيُعِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَعَلَى الْحِلْمِ وَالْعَفْوِ، وَعَلَى الطَّاعَةِ وَالْحَشْيَةِ، وَفِي التَّقْوَى رِضَا اللَّهِ، وَفِي الْبِرِّ بِالنَّاسِ رِضَاهُمْ، وَأَجْمَلُ ذَلِكَ إِذَا اجْتَمَعَا فِي الْمَرْءِ.
ولا تَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْكَفْرِ، وَالظُّلْمِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَالْمِنْكَرِ وَالْبَاطِلِ.
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاخْشَوْهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ، وَمِنْهَا الْأُمُورُ وَالنَّوَاهِي الْمَذْكُورَةُ سَابِقًا، فَإِنَّ عِقَابَهُ شَدِيدٌ لِمَنْ خَالَفَهُ.

{ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدًا وَحَلْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمِنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمَيْتَرْدِيَّةُ وَالنَّطِيطَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَمْ فَنَسُوا الْيَوْمَ يَمَسُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تُخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [المائدة: 3]

3 - حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَكْلَ الْحَيَوَانِ الَّذِي مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ، وَالِدَمَ الْمَسْفُوحَ مِنْهُ، وَحَلْمَ الْخِنْزِيرِ، وَكُلَّهُ نَجَسٌ، وَذُكِرَ اللَّحْمُ لِأَنَّهُ مُعْظَمُ الْمَقْصُودِ، وَمَا رُفِعَ الصَّوْتُ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ عِنْدَ ذَبْحِهِ، كَقَوْلِهِمْ بِاسْمِ اللَّاتِ وَالْعُزَّى، وَالَّذِي يَمُوتُ بِالْحَنْقِ، وَالَّذِي يُضْرَبُ حَتَّى يَمُوتَ، وَالَّذِي يَتَرَدَّى مِنْ مَكَانٍ عَالٍ فَيَمُوتَ، وَالَّذِي يَمُوتُ بِسَبَبِ نَطْحِ غَيْرِهِ لَهُ، وَمَا عَدَا عَلَيْهِ السَّبُعُ فَأَكَلَ بَعْضَهُ

فمات بسبب ذلك، إلا ما أدركتم دبحه مما ذكر قبل أن يموت، من المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع.

ويحرم ما ذبح منها على النصب، وهي أحجار كانت منصوبة حول الكعبة، وكانت العرب تفعله في الجاهلية.

وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام، وهو طلب القسم والحكم من فداح كان يكتب على واحد منها "افعل"، وعلى الثاني "لا تفعل"، ولا شيء على الآخر، فيأتمر بها الجاهلي، فإن كانت الفارغة أعاد.

والقِدْحُ قِطْعَةٌ خَشَبٍ تُسَوَّى، لا ريش لها ولا نصل.

فالتعامل بالأزلام ضلالٌ وجهالةٌ وشرك، وإذا تردّد المؤمن في أمرٍ تعبد واستخار.

وقد قوي دين الإسلام واكتمل، فلا مطمع لمشرك في أن تعودوا إلى الشرك بعد اليوم، فلا تخافوا من مخالفتكم إياهم، ولا من أن يظهروا عليكم، بل خافوا من عقوبي إذا خالفتم ما أمرتكم به، وتمسكوا بجلبى المتين لأجعلكم فوقهم في الدنيا والآخرة.

وفي يوم عرفة من حجة الوداع نزلت هذه السورة العظيمة، ومنها هذه الآية الكريمة. اليوم أكملت لكم دين الإسلام، فلا تحتاجون إلى دين ولا مذهب سواه، ولا تحتاجون إلى نبي بعد نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم، فهو خاتم الأنبياء، ودينكم آخر الأديان، وناسخ لما سبقه منها، فلا يؤخذ حكم إلا منه.

والمقصود بالإكمال: إكمال الكليات، التي منها الأمر بالاستنباط والقياس. وقد جمع القرآن جميع الأحكام جمعاً كلياً في الغالب، وجزئياً في المهم.

وأتممت عليكم نعمتي بذلك، وأنجزت لكم وعدي، بقولي: {وَلَأَتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ} [سورة

البقرة: 150]

واخترت لكم الإسلام - أيها المسلمون - دون الأديان، ورضيته لكم، فأقبلوا عليه وتمسكوا به، فإنه الحق من ربكم، وفيه سعادتكم، وعزكم ونصركم، وهو ذخركم يوم الدين.

ومن ألبائنه الضرورة إلى أكل شيء من تلك المحرمات، كمجاعة تطوى منها البطون، ويخاف معها الموت أو مبادئه، غير مائل إلى المعصية، فلا يأكل منها زيادة عن حاجته، فإن الله لا يؤاخذهُ بأكله، بل يغفر له ذلك، وهو رحيم به حيث أباح له المحرم عند حاجته إليه.

{ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعٌ

{ الْحِسَابِ } [المائدة:4]

4 - ويسأَلُونَكَ عَمَّا أُحِلَّ لَهُمْ، فقلْ لهم: أُحِلَّ اللَّهُ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ، وهي ما لم تَسْتَحِثُّهُ الطَّبَاغُ السَّلِيمَةُ ولم تَنْفِرْ عنه. وَأُحِلَّ لَكُمْ ما صَادَتْهُ الْجَوَارِحُ الْمُتَعَلِّمَةُ، مِنَ السَّبَاعِ وَالطُّيُورِ، كَالكَلَابِ وَالصُّقُورِ، مُعَلِّمِينَ إِيَّاهَا الصَّيْدَ، فَتَغْرُوهَا بِذَلِكَ، وَتُعَلِّمُوهَا آدَابَ أَخَذِهِ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ مِنْ طُرُقِ التَّعْلِيمِ وَالتَّأْدِيبِ، فَتَمْضِي إِذَا أُرْسِلَتْ، وَتَقِفُ إِذَا مُنِعَتْ، وَتَعُودُ إِذَا دُعِيَتْ، وَتُمْسِكُ الصَّيْدَ لِصَاحِبِهِ لَا لِنَفْسِهَا، فَلَا تَأْكُلُ مِنْهُ شَيْئًا.

فَكُلُوا مَا أَمْسَكَتَهُ لَكُمْ مِنَ الصَّيْدِ، وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا أَكَلْتَهُ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عِنْدَ إِرْسَالِهَا إِلَى الصَّيْدِ.

وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي شَأْنِ هَذِهِ الْحَرَّمَاتِ وَلَا تَقْرَبُوهَا، فَهوَ يُؤَاخِذُ بِمَا جَلَّ وَدَقَّ، وَهوَ سَرِيعٌ إِتْمَامِ الْحِسَابِ إِذَا شَرَعَ فِيهِ.

{ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [المائدة:5]

5 - وكما أَكْمَلَ اللَّهُ الدِّينَ وَأَتَمَّ النِّعْمَةَ فِيهِ، فَقَدْ أَكْمَلَ النِّعْمَةَ فِيهَا أُحِلَّ لَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فِي الدُّنْيَا، فَذَبَائِحُ أَهْلِ الْكِتَابِ حَلَالٌ لَكُمْ، كَمَا يَحِلُّ لَكُمْ إِطْعَامُ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ ذَبَائِحِكُمْ. وَأُحِلَّ اللَّهُ لَكُمْ الزَّوَاجَ مِنَ الْحَرَائِرِ، مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَأَهْلِ الْكِتَابِ، إِذَا أُعْطِيْتُمُوهُنَّ صَدَاقَهُنَّ، تَبْتَعُونَ بِذَلِكَ إِحْصَانَ أَنْفُسِكُمْ بِالزَّوَاجِ الشَّرْعِيِّ، غَيْرَ قَاصِدِينَ الزَّانَا، وَلَا اتَّخِذِينَ عَشِيقَاتٍ.

وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ، الَّذِي يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَبِسَائِرِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، فَقَدْ هَلَكَ مَا عَمِلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَخَسِرَ ثَوَابَ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَصَارَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَإِنْ كَانَ كَافِرًا فَلَا يُعْتَدُ بِعَمَلِهِ أَصْلًا،

وإن كان مسلماً فارتدَّ ومات على الكفر، فقد حِطَّ ما عمَلَهُ مِنْ حَسَنَاتٍ وَأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ قَبْلَ ذَلِكَ، فَكَانَ مِنَ الْهَالِكِينَ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [المائدة:6]

6 - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِذَا أَرَدْتُمْ الصَّلَاةَ فَتَوَضَّؤُوا قَبْلَ أَنْ تُؤَدُّوَهَا، وَهُوَ أَنْ تَغْسِلُوا وَجُوهَكُمْ، وَأَيْدِيَكُمْ مَعَ الْمَرَافِقِ، وَأَنْ تَمْسَحُوا رُءُوسَكُمْ بِالْمَاءِ، وَأَنْ تَغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ مَعَ الْكَعْبَيْنِ. وَإِذَا كُنْتُمْ مُجْنِبِينَ فَاغْتَسِلُوا. وَإِذَا كُنْتُمْ مَرْضَى وَيَضْرِكُمْ اسْتِعْمَالُ الْمَاءِ مَعَهُ، أَوْ كُنْتُمْ مُسَافِرِينَ، أَوْ جِئْتُمْ مِنَ الْغَائِطِ (أَيَّ قِضَاءِ الْحَاجَةِ)، أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ - عَلَى الْخِلَافِ الْوَارِدِ بَيْنَ الْمُفَسِّرِينَ وَالْفُقَهَاءِ، مِنْ مَعْنَى الْجِمَاعِ أَوْ مَسِّ الْبَشْرَةِ - وَلَمْ يَجِدُوا مَاءً تَتَوَضَّؤُونَ بِهِ، فَتَيَمَّمُوا تُرَابًا طَاهِرًا، أَوْ مَا صَعَدَ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ رَمَلٍ وَحَجَرٍ وَغَيْرِهِ، عَلَى أَقْوَالٍ، فَامْسَحُوا وَجُوهَكُمْ بِهِ، ثُمَّ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ. وَلَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ عَلَيْكُمْ بِالْوُضُوءِ وَالتَّيَمُّمِ ضَيْقًا وَحَرَجًا، وَلَكِنْ يُرِيدُ بِذَلِكَ تَطْهِيرَ أَجْسَامِكُمْ وَنَفُوسِكُمْ، فَإِنَّ الْوُضُوءَ وَمَا يَنْبُؤُ عَنْهُ تُكْفِّرُ بِهِ الْخَطَايَا، وَلِيُكَمِّلَ اللَّهُ بِذَلِكَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ فِيمَا شَرَعَهُ لَكُمْ مِنَ التَّوَسُّعِ وَالْيُسْرِ وَالرَّحْمَةِ، وَلَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ بِذَلِكَ وَتَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى مَا رَحَّصَهُ لَكُمْ وَسَهَّلَهُ عَلَيْكُمْ، بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ.

{ وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [المائدة:7]

7 - وَادْكُرُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ، وَالْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَهُ مِنْكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: { وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا } [سورة البقرة: 285]، أَوْ مَا كَانُوا يُبَايِعُونَ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ إِسْلَامِهِمْ، مِنَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي الْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَنْسُوا النِّعْمَةَ الْكَبِيرَةَ الَّتِي أَسْبَغَهَا عَلَيْكُمْ، وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ الَّذِي عَاهَدْتُمْ بِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِخَفَايَا الصُّدُورِ، وَبِالْخَوَاطِرِ وَالْأَسْرَارِ الَّتِي تَخْتَلِجُ فِي الضَّمَائِرِ، فَاحْشُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوهُ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [المائدة:8]

8 - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، قُومُوا بِالْحَقِّ وَاللَّزِمَةَ عَلَيْكُمْ عَدْلًا وَصِدْقًا، لَا جَوْرًا وَظُلْمًا، وَبِإِحْلَاصٍ، لَا لِرِيَاءٍ وَشَمْعَةٍ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ بُغْضُ قَوْمٍ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَعَدَمِ إِقَامَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ، بَلِ اعْدِلُوا فِيهِمْ وَإِنْ أَسَاءُوا إِلَيْكُمْ، وَأَنْصَبُوا فِيهِمْ وَإِنْ مَالُوا وَظَلَمُوا، فَإِنَّ عَدْلَكُمْ مَعَهُمْ أَقْرَبُ إِلَىٰ رِضَا اللَّهِ وَاتَّقَاءِ عَذَابِهِ.

قَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِيهِ تَنْبِيهُ عَظِيمٌ عَلَىٰ وَجوبِ الْعَدْلِ مَعَ الْكُفَّارِ، الَّذِينَ هُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ تَعَالَىٰ، فَمَا الظَّنُّ بِوَجوبِهِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ هُمْ أَوْلِيَاؤُهُ وَأَحْبَاؤُهُ؟! ا.هـ.
فَوَاطِبُوا عَلَىٰ تَقْوَىٰ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَالْخَوْفِ مِنْهُ، فَإِنَّهُ خَبِيرٌ بِأَعْمَالِكُمْ كُلِّهَا، وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

{ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ } [المائدة:9]

9 - وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَصَدَقُوا فِي إِيْمَانِهِمْ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَكَانُوا مُخْلِصِينَ فِيهَا، مُتَحَرِّينَ مَوَافَقَتِهَا الشَّرِيعَةَ، أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَيُثَبِّتَهُمْ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ جَنَّاتٍ.

{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } [المائدة:10]

10 - وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا بِالْآيَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الَّتِي أُيِّدَ بِهَا رُسُلُهُ، وَهِيَ وَاضِحَةٌ بَيِّنَةٌ، يَكُونُونَ مِنْ أَهْلِ جَهَنَّمَ، مَآكِنَ فِيهَا أَبَدًا.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } [المائدة:11]

11 - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، اذْكُرُوا فَضَائِلَ اللَّهِ وَنِعْمَةَ الْمَتَالِيَةِ عَلَيْكُمْ، وَقَدْ أَرَادَ قَوْمٌ أَنْ يَبْطِشُوا بِكُمْ فَيَقْتُلُوكُمْ وَيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ، فَمَنْعَهُمْ وَكَفَّ شَرَّهُمْ عَنْكُمْ، وَرَدَّ كَيْدَهُمْ فِي نُحُورِهِمْ، وَاحْتَدَرُوا اللَّهَ

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ تُخَالِفُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ، وَعَلَى رَهْمٍ فَلْيَعْتَمِدِ الْمُؤْمِنُونَ، وَلْيَفُوضُوا إِلَيْهِ أُمُورَهُمْ كُلَّهَا، فَهُوَ الَّذِي يَدْرَأُ الْمَفَاسِدَ وَيَجْلِبُ الْمَصَالِحَ.

{ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } [المائدة: 12]

12 – وَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ عَهْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَبَعَثْنَا اثْنَيْ عَشَرَ مِنَ الْعُرَفَاءِ عَلَى قِبَائِلِهِمْ بِالْمِبَايَعَةِ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَلِنَبِيِّهِمْ، ذُكِرَ أَنَّهُ لَقِيَ الْجَبَابِرَةَ فِي أَرْضِ فِلَسْطِينَ، وَقَالَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ: إِنِّي مَعَكُمْ، إِذَا وَاظَبْتُمْ عَلَى الصَّلَاةِ، وَدَفَعْتُمْ زَكَاةَ الْأَمْوَالِ، وَصَدَقْتُمْ جَمِيعَ رُسُلِي فِيمَا يُخْبِرُونَكُمْ مِنَ الْوَحْيِ، وَنَصَرْتُمُوهُمْ وَأَعْتَمْتُمُوهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَنْفَقْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَاغْفِرَنَّ ذُنُوبَكُمْ وَأَسْتَرَهَا عَلَيْكُمْ، وَلَا دَخِلَنَّكُمْ جَزَاءَ أَعْمَالِكُمُ الْمَرْضِيَّةِ جَنَّاتٍ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ. وَمَنْ خَالَفَ الْوَعْدَ وَنَقَضَ الْمِيثَاقَ، فَكَفَرَ بِاللَّهِ، وَكَذَّبَ رُسُلِي، فَقَدِ ابْتَعَدَ عَنِ الْهُدَى، وَأَخْطَأَ الطَّرِيقَ الْحَقَّ الَّذِي طَلَبَ مِنْهُ اتِّبَاعُهَا.

{ فَبِمَا نَفَضْنَاهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَانَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [المائدة: 13]

13 – فَبِسَبَبِ نَقْضِهِمُ الْعَهْدَ الْمُؤَكَّدَ الَّذِي أُخِذَ عَلَيْهِمْ، أَبْعَدْنَاهُمْ عَنِ رَحْمَتِنَا، وَطَرَدْنَاهُمْ مِنَ الْهُدَى؛ عَقُوبَةً لَهُمْ، وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ غَلِيظَةً لَا تَلِينُ، تَنْبُو عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ، وَلَا تَتَعَطَّى بِمَوْعِظَةٍ. وَكَانُوا يُحَرِّفُونَ كَلَامَ اللَّهِ وَيَفْتَرُونَ عَلَيْهِ، وَيُؤْوِلُونَهُ، وَيَحْمِلُونَهُ عَلَى غَيْرِ مُرَادِهِ، وَتَرَكُوا قِسْمًا وَافِيًّا مِنَ التَّوْرَةِ فَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ.

وَلَا يَزَالُ هَذَا شَأْنَهُمْ حَتَّى صَارَ الْمَكْرُ وَالْحَيَانَةُ عَادَةً لَهُمْ، فَتَرَى مِنْ آثَارِ ذَلِكَ غَدْرَهُمْ بِكَ وَأَذَاهُمْ لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ الْآنَ، إِلَّا الْقَلِيلَ مِنْهُمْ، وَهُمْ الَّذِينَ أَسْلَمُوا. فَاعْفُ عَنْهُمْ، وَتَجَاوَزْ

عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، مَا دَامُوا عَلَى عَهْدِكَ وَلَمْ يَخُونُوكَ، فَلَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ بِهَذَا الْأَسْلُوبِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ مَنْ عَفَا وَأَحْسَنَ، وَتَجَاوَزَ وَتَفَضَّلَ.

ويبدو أن الأكثرَ يُعتبرون الآيةَ منسوخةً، بآيةِ السيفِ أو غيرها، كما قال ابنُ الجوزيِّ في "النَّوَاسِخِ"، لكنَّ أوردَ قولَ ابنِ جريرِ الطبريِّ: يَجُوزُ أَنْ يُعْفَى فِي عَدْرَةٍ فَعَلَوْهَا مَا لَمْ يَنْصِبُوا حَرْبًا، وَلَمْ يَمْتَنِعُوا مِنْ أَدَاءِ الْجَزِيَّةِ وَالْإِقْرَارِ بِالصَّغَارِ، فَلَا يَتَوَجَّهُ النَّسْخُ.

{وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [المائدة:14]

14 - والذين ادَّعوا أنهم نصارى مُتَابِعُونَ لِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُمْ لَيْسُوا كَذَلِكَ، أَخَذْنَا مِنْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمَوَاقِيقَ بِمُتَابَعَةِ الرَّسُولِ وَمُنَاصَرَتِهِ، وَالْإِيمَانَ بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ كُلِّهِمْ، وَمِنْهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنَّهُمْ خَالَفُوا وَنَبَذُوا قِسْمًا كَبِيرًا مِمَّا عَلَّمُوهُ وَذُكِّرُوهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَصَارُوا مِثْلَ الْيَهُودِ مُنَاقِضِينَ لِلْمَوَاقِيقِ، فَكَانَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ أَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْحِقْدَ وَالتَّبَاغُضَ، حَتَّى صَارَ يَلْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُكْفَرُونَهُمْ، وَلَا يَزَالُ هَذَا شَأْنَهُمْ حَتَّى آخِرِ الدُّنْيَا، وَسَوْفَ يُحَاسِبُهُمُ اللَّهُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَمَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ زُورًا وَبُهْتَانًا، وَمَا نَقَضُوهُ مِنَ الْعَهْدِ وَالْمَوَاقِيقِ الَّتِي أَخَذَهَا عَلَيْهِمْ، وَيُعَذِّبُهُمْ عَلَى ذَلِكَ عَذَابًا شَدِيدًا.

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ} [المائدة:15]

15 - يَا أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، لَقَدْ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْكُمْ وَإِلَى الْعَالَمِينَ جَمِيعًا بِالْحَقِّ وَالهُدَى، يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، تَبْدِيلًا وَتَحْرِيفًا، وَتَأْوِيلًا وَافْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ، كَصِفَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَآيَةِ الرَّحْمِ، وَكِبِشَارَةِ عِيسَى بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَيُعْرَضُ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا أَحَقَّقْتُمُوهُ فَلَا يُظْهِرُهُ. وَقَدْ جَاءَكُمْ نُورٌ عَظِيمٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، الْوَاضِحُ الْبَيِّنُ فِي آيَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ.

{ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [المائدة: 16]

16- يَهْدِي اللَّهُ بِهَذَا الْقُرْآنِ مَنْ أَرَادَ الْحَقَّ وَابْتَعَى رِضَى اللَّهِ وَمَسَالِكَ النِّجَاةِ، وَيُنَجِّهِمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ إِلَى نُورِ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ بِتَوْفِيقِهِ وَهُدَايَتِهِ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ.

{ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [المائدة: 17]

17- لَقَدْ كَفَرَ مَنْ قَالَ مِنَ النَّصَارَى إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ. وَمَا هُوَ إِلَّا عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، نَفْسُهُ وَجِسْمُهُ، يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مِثْلَهُمْ. فَقُلْ لَهُمْ إِبْطَالاً لِرَعْمِهِمُ الْفَاسِدِ هَذَا: مَنْ يَقْدِرُ عَلَى مَنَعِ أَمْرِ اللَّهِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُمِيتَ عِيسَى وَأُمَّهُ مَرْيَمَ، بَلْ وَجَمِيعَ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَحْيَاءٍ؟ فَأَيْنَ هِيَ أَلُوْهِيَّةُ عِيسَى، وَمَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَهُ؟!

إِنَّ جَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَيْنَهُمَا هُوَ مُلْكُ اللَّهِ، وَمِنْهُمْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ، فَيَخْلُقُ مَا يَشَاءُ كَمَا يَشَاءُ، لَا يُجَدُّ مِنْ إِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ شَيْءٌ، سُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَهُ!

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } [المائدة: 18]

18- وَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى: نَحْنُ مُقَرَّبُونَ عِنْدَ اللَّهِ قُرْبَ الْأَوْلَادِ مِنْ وَالِدِيهِمْ، وَمَحْبُوبُونَ لَدَيْهِ، فَهَوَ كَالْأَبِ لَنَا فِي الْخَنُوفِ وَالْعَطْفِ، لَا تَبَاعِنَا دِينَهُ، وَطَاعَتِنَا إِتْيَاهُ. فَقُلْ لَهُمْ تَفْنِيداً لِدَعْوَاهُمْ: فَلِمَ يُجَاسِبُكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وَيُعَاقِبُكُمْ عَلَى السَّيِّئِ مِنْهَا؟ وَكَيْفَ يَصِحُّ زَعْمُكُمْ هَذَا وَقَدْ عَاقَبَكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَأَعَدَّ جَهَنَّمَ لِمَنْ عَصَى وَخَالَفَ أَمْرَهُ؟

بأن أنتم خلقتم من خلقه، كسائر بني آدم، يغفر لمن شاء منكم فضلاً منه، ويجزيهم على أعمالهم الصالحة خيراً، ويُعذب الكافرين منكم بالله ورسوله ويجزيهم سوءاً وشرّاً؛ عدلاً منه. وأنتم وسائر أفراد البشر وما بين السماء والأرض مملوك لله وعبيد له تحت قهره وسلطانه، يتصرف فيها كما يشاء، إحياء وإماتة، إثابة وتعذيباً، وإليه المآب في يوم الحساب، فيجازي كلاً من المحسن والمسيء بما يستحق.

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا

مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [المائدة: 19]

19- يا أهل الكتاب، لقد أرسلنا إليكم رسولنا محمداً صلى الله عليه وسلم، بعد انقطاع من الرسل دام قروناً، حتى لا تحتجوا وتقولوا ما جاءنا رسولاً يبشّرنا بحسن الثواب إن أصبنا وأطعنا، ويُنذِرنا بالعقوبة إن أخطأنا وعصينا، فقد جاءكم البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم خاتماً لجميع أنبيائه، فلا عُذر لكم إذا لم تتبعوه. والله قادر على كل شيء، ومنه إرسال الرسل، ومُعاقبة من لم يتبعهم.

{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ

مُلُوكًا وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ } [المائدة: 20]

20- واذكروا يا بني إسرائيل عندما قال لكم نبي الله موسى عليه السلام: اذكروا فضل الله ونعمته عليكم عندما أرسل إليكم أنبياء كثيرين يُدِّرُونَكُمْ ويدعونكم إلى الحق، وجعلكم في حال سعة وترفة، وخدم وحشم، وجعلكم أفضل أهل زمانكم، وأعطاكم آنذاك ما لم يُعط أحداً من الناس، من إغراق من ظلمكم، وتظليل العمام عليكم، وانفجار الحجر لكم بالماء، وإنزال المن والسلوى...

{ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا

خَاسِرِينَ } [المائدة: 21]

21- وقال لهم موسى عليه السلام: ادخلوا الأرض المقدسة - وهي أريحا أو القدس - التي قدرها وقسمها الله لكم في ذلك الوقت. وكانت بأيديهم في زمان يعقوب عليه السلام، ثم تملكها العمالقة بقيته قوم عاد. ولا تجبنوا عن الجهاد، ولا ترجعوا عن مقصدكم خوفاً من الجبابرة، فتعودوا خاسرين.

{ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ } [المائدة: 22]

22- فقال بنو إسرائيل: يا موسى، إن فيها قوماً شديدي البطش، لطولهم وعظم خلقتهم وقوة أجسادهم، ولا يمكن مقاومتهم، ولن ندخل هذه الأرض المقدسة ما داموا فيها، فلا طاقة لنا بإخراجهم منها، فإذا خرجوا منها دخلناها.

{ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [المائدة: 23]

23- قال رجلان مؤمنان ممن لهم وجاهة ومهابة عند الناس، يخافون الله ولا يخافون أعداءه، ممن أنعم الله عليهما بالإيمان والشجاعة والثبات: ادخلوا باب مدينتهم، وواجهوهم ولا تمهلوهم، فإذا دخلتم عليهم الباب، وتوكلتم على الله وأتبعتم أمره، وهجمتم عليهم وضايقتموهم في الحرب، أيديكم وأظفركم بهم.

{ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ } [المائدة: 24]

24- فقالوا غير مباليين بقولهما، مصريين على قولهم في النكول عن الجهاد ومخالفة الرسول: يا موسى، لن ندخل هذه الأرض أبداً ما دام الجبابرة ماكثين فيها. وقالوا في استهانة وسوء أدب مع الله ورسوله: اذهب أنت وربك فقاتلاه وأخرجاهم حتى ندخلها، ونحن هنا قاعدون منتظرون!!

{ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } [المائدة: 25]

25- قال موسى عليه السلام في استكانة وخضوع لربه عز وجل لما رأى عناد بني إسرائيل وقسوة قلوبهم ونكولهم عن القتال: يا رب، إنه لا يجيب أحدٌ إلى ما دعوت إليه إلا أنا وأخي هارون، فافصل بيننا وبين هؤلاء الخارجين عن طاعتك بقضائك العادل.

{ قَالَ فَإِنَّا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } [المائدة: 26]

26- قال الله تعالى ما معناه: فإن هذه الأرض المقدسة محرمة عليهم أربعين سنة، لا يدخلونها، ويسيرون متحيرين في الأرض، يمشون كل يوم ولا يهتدون إلى الطريق، ولا تحزن لما أصابهم يا موسى ولا تأسف عليهم، فإنهم يستحقون هذا العقاب.

{ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } [المائدة: 27]

27- واقضص على بني إسرائيل قصة ولدي آدم قابيل وهايل، بشكل جلي لا لبس فيه، ليعرفوا عاقبة البغي والحسد والظلم، وذلك عندما أراد قابيل أن يستأثر بنصيب هايل من الزواج، فأبى الآخر، وأبى آدم كذلك، وقابيل مصرّ، فقال أبوها: قربا قربانا، فمن تقبل منه تزوجها. فتقبل من هايل ولم يتقبل من أخيه الظالم، فقال له لقرط حسده من قبول قربانه: سأقتلك، فقال له هايل: إنما يتقبل الله القربان من عباده المطيعين المخلصين.

{ لَعْنُ بَسَطَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } [المائدة: 28]

28- وإذا مددت إلي يدك يا قابيل لتقتلني، فلن أمد يدي إليك لأقتلك، ولن أقابل ما همم به من فعلٍ شنيعٍ بمثله، بل أصبر وأحتسب، وأستسلم خوفاً من الله ومن عقوبته.

{إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ }
[المائدة: 29]

29- إِنِّي أُرِيدُ بِاسْتِسْلَامِي هَذَا أَنْ تَحْتَمِلَ إِثْمَ قَتْلِي وَإِثْمَكَ الَّذِي عَلَيْكَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَيَكُونَ جَزَاءَكَ النَّارَ، وَهُوَ جَزَاءُ الْبَاغِينَ الظَّالِمِينَ.

{ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ } [المائدة: 30]

30- فَحَسَّنَتْ لَهُ نَفْسُهُ السَّيِّئَةَ قَتْلَ أَخِيهِ، فَقَتَلَهُ، عَلَى الرَّغْمِ مِنَ المَوْعِظَةِ الَّتِي سَمِعَهَا مِنْهُ، فَخَسِرَ أَعْظَمَ خَسَارَةٍ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَفِي الصَّحِيحِينَ: " لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دِمِهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ".

وَهَذَا حَدِيثٌ خَطِيرٌ، فَلْيَعْتَبِرْ كُلُّ مَسْئُولٍ، وَقَائِدٍ وَرَعِيمٍ، فَإِنَّ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ كُلُّ مَنْ قَالَ بِمَقَالِهِ أَوْ عَمِلَ بِعَمَلِهِ حَتَّى يَوْمَ الدِّينِ.

{ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ } [المائدة: 31]

31- وَبَقِيَتْ جُنَّتُهُ عَلَى الْأَرْضِ لَا يَدْرِي قَابِيلُ مَا يَفْعَلُ بِهَا، فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَحْفَرُ الْأَرْضَ أَمَامَهُ بِمِنْقَارِهِ وَبِرِجْلِهِ، وَوَارَى فِي الْحُفْرَةِ غُرَابًا مَيْتًا - وَمَا زَالَ هُوَ شَأْنَ الْغُرَابِ - لِيُعَلِّمَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ كَيْفَ يَدْفِنُ أَخَاهُ. فَقَالَ قَابِيلُ: يَا هَلَكَ يَا مَوْتِي، أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَلَا أَهْتَدِي إِلَى مَا أَهْتَدَى هُوَ إِلَيْهِ، فَأُحْفِي جَسَدَ أَخِي تَحْتَ الْأَرْضِ وَأُوَارِيهِ بِالثُّرَابِ؟ فَوَارَاهُ، وَصَارَ نَادِمًا مُتَحَسِّرًا عَلَى قَتْلِهِ.

{ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ } [المائدة: 32]

32- وبسبب مفسد هذه الجناية، من قتل ابن آدم أخاه ظلماً وعدواناً، قضينا على بني إسرائيل في التوراة، أن من قتل نفساً بغير قصاص، أو بغير فساد، فاستحل قتلها بغير سب ولا جنابة، ككفر، أو زناً، أو نحو ذلك، فكأنما قتل الناس كلهم، وعليه وزرها! وكان الحسد منشأ هذه الجناية، وهو غالب على بني إسرائيل. ومع ما نزل عليهم من تعظيم القتل، فقد كانوا أشد طغياناً فيه، فقد أقدموا على قتل الأنبياء والرسل، مما يدل على غاية فساد قلوبهم، ونهاية بعدهم عن طاعة الله تعالى، وبسبب ذلك شدد عليهم وعظم من أمر القتل عندهم.

ومن تورع عن قتل النفس، أو تسبب في إبقائها واستنقاذها من أسباب الهلاك، فكأنما حاز ثواب سلامة الناس كلهم! ولقد جاءتهم رسالنا بالحجج الواضحة، والبراهين الناطقة، تأكيداً لوجوب ما فرضنا عليهم، ومع كل ذلك فقد كان الكثير منهم مسرفاً في القتل، غير مبال به، مع ارتكابهم محرمات أخرى، وإفسادهم في الأرض.

{ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [المائدة: 33]

33- هذا حكم من قطع الطريق وأخاف السبيل وارتكب أنواع الشر. والآية عامة في المشركين وغيرهم ممن جنى هذه الجنايات.

وقد نزلت الآية في قوم أكرمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحسن إليهم، ثم قتلوا وسرقوا، وكفروا وحاربوا... فقطعت أيديهم وأرجلهم.

والحاكم يختار من هذه الأحكام ما يناسب الجريمة. وقال الإمام البغوي: "ذهب الأكثرون إلى أن هذه العقوبات على ترتيب الجرائم لا على التخيير".

فإنما عقوبة من يحاربون دين الله، ورسوله، وأوليائه، ويفسدون في الأرض، أن يقتلوا إذا قتلوا، أو يصلبوا مع القتل إذا قتلوا وأخذوا الأموال، أو تقطعت أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى لمن

اقتصر على أخذ المال، أو يُنْفَوْا مِنْ أَهْلِهِمْ بِالْحَبْسِ إِنَّ أَخَافُوا وَسَعَوْا فِي الْفَسَادِ وَلَمْ يَنْتَهُوا وَلَمْ يَسْرِقُوا.

وما فَصَّلَ مِنَ الْأَحْكَامِ عَذَابٌ وَهَوَانٌ وَفَضِيحَةٌ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَهُمْ إِضَافَةٌ إِلَى ذَلِكَ عَذَابٌ شَدِيدٌ، وَعُقُوبَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الْآخِرَةِ.

{إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة: 34]

34- فإذا تابوا مِنْ عَمَلِهِمْ هَذَا وَسَلَّمُوا أَنْفُسَهُمْ قَبْلَ أَنْ تَقْبِضُوا عَلَيْهِمْ، فَلَا عُقُوبَةَ عَلَيْهِمْ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُمْ وَيَرْحَمُهُمْ.

وَمَنْ قَالَ إِنَّ الْآيَةَ فِيمَنْ كَفَرُوا، فَإِنَّ مَعَى "تَابَ" هُنَا: تَرَكَ الشُّرْكَ وَآمَنَ، فَلَا عُقُوبَةَ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ فِي الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ يَسْقُطُ عَنْهُمْ، أَمَّا حَقُوقُ الْعِبَادِ، مِنْ قِصَاصٍ وَمَالٍ، فَلَا يَسْقُطُ إِلَّا إِذَا عَفَوْا.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}

[المائدة: 35]

35- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، أَقْبِلُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَذَرُوا مَا هَمَّكُمْ عَنْهُ، وَاطْلُبُوا الْقُرْبَ مِنْهُ بِالْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيهِ، مِنْ امْتِثَالِ وَضَرَاعَةِ، وَقُرْبِ وَطَاعَةِ، وَقَاتِلُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ حَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَآتَرُوا الضَّلَالَ عَلَى الْهُدَى، لِتَكُونُوا مِمَّنْ يَفُوزُونَ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ يَوْمَ الدِّينِ.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ

الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة: 36]

36- وَلَوْ كَانَ لِكُلِّ مَنْ كَفَرَ مُلْكٌ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَخَائِرٍ وَأَمْوَالٍ، وَضِعْفُهُ، لَيَفْتَدُوا بِهَا أَنْفُسَهُمْ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَمْ يُقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَلَا مَقَرَّ لَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ قَاسٍ، جَزَاءَ كُفْرِهِمْ وَمَحَارِبَتِهِمْ أَهْلَ الدِّينِ الْحَقِّ.

{ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ } [المائدة: 37]

37- وهم يُحاولون أن يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ، للكَرْبِ الذي هم فيه، ولأنهم لم يُصِيبْهُمُ وشِدَّتُهُ، ولكن لا سَبِيلَ لَهُمْ إلى ذلك، فهم باقُونَ في العذاب، لا مُحِيدَ لَهُمْ عنه.

{ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [المائدة: 38]

38- وَمَنْ سَرَقَ، مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى، فعلى الحاكم أن يَقْطَعَ يَمِينَ كُلِّ مِنْهُمَا مِنَ الرَّسْغِ (مَفْصِلِ مَا بَيْنَ السَّاعِدِ وَالْكَفِّ)، جِزَاءً صَنِيعَهُمَا السَّيِّئِ فِي أَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِأَيْدِيهِمَا بَعِيرِ حَقٍّ؛ عُقُوبَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ سُبْحَانُهُ عَزِيزٌ فِي انْتِقَامِهِ مِنَ الْمُعْتَدِينَ الظَّالِمِينَ، حَكِيمٌ فِيمَا يَشْرَعُ وَيُقَدِّرُ مِنْ عُقُوبَةٍ.

وفي القَطْعِ شُرُوطٌ بَيَّنَّهَا السُّنَّةُ، مِنْ بُلُوغِ مِقْدَارِ السَّرْقَةِ نِصَابًا مُعَيَّنًا، وَأَنْ يَكُونَ مِنْ حِزْزٍ، وَشُرُوطٌ أُخْرَى لِلتَّنْفِيذِ ضَبَطَهَا الْفُقَهَاءُ، تُنظَرُ فِي مَظَاهِرِهَا.

ولا أَمَلٌ فِي الْقَضَاءِ عَلَى جَرِيمَةِ السَّرْقَةِ إِلَّا بِهَذِهِ الْعُقُوبَةِ، وَتُنظَرُ الدِّرَاسَاتُ الْجِنَائِيَّةُ الْمُجَدَّةُ فِيهَا، وَبَيَانٌ مَدَى انْتِشَارِهَا وَازْدِيادِهَا وَصُعُوبَةُ رَدِّ أَصْحَابِهَا، عَلَى الرَّغْمِ مِنَ الْعُقُوبَاتِ الْمُقَدَّرَةِ لَهَا، مِنْ غَيْرِ الْقَطْعِ، وَهِيَ اعْتِدَاءٌ آثَمٌ عَلَى حَقُوقِ النَّاسِ، وَهَبْ لِأَمْوَالِهِمُ الَّتِي حَصَلُوا بِجَهْدٍ وَتَعَبٍ عَلَى مَدَى سَنَوَاتٍ...

{ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ } [المائدة: 39]

39- فَمَنْ تَابَ مِنَ اللُّصُوصِ بَعْدَ ظُلْمِهِ النَّاسَ بِسَّرْقَةِ أَمْوَالِهِمْ، وَأَصْلَحَ أَمْرَهُ، بِأَنْ أَعَادَ إِلَى النَّاسِ مَا سَرَقَهُ مِنْهُمْ، أَوْ أَعْطَاهُمْ بِدَلَّهَا، أَوْ اسْتَحْلَاهَا مِنْ أَصْحَابِهَا، أَوْ أَنْفَقَ قِيمَتَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ لَمْ يَعْرِفْهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ وَلَا يُعَذِّبُهُ فِي الْآخِرَةِ، فَهُوَ يَغْفِرُ ذُنُوبَ عِبَادِهِ، وَيَرْحَمُهُمْ.

قال القُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: الْقَطْعُ لَا يَسْقُطُ بِالتَّوْبَةِ، وَقَالَ عَطَاءٌ وَجَمَاعَةٌ: يَسْقُطُ بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ الْقُدْرَةِ عَلَى السَّارِقِ...

{ أَمْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [المائدة: 40]

40- ألم تعلم أيُّها الإنسانُ أنَّ اللهَ لهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ومُلْكُ ما بينهما، ولهُ الاستيلاءُ القاهرُ عليهما ومَنْ فيهما، فيتصرَّفُ فيهما كما يشاء، بحِكمته، ويعذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بما يَسْتَحِقُّ، ويغْفِرُ لمنْ يَشَاءُ بعفوهِ وكرمه، وهو القادرُ على العقوبةِ والمغفرةِ، لا يقدرُ أحدٌ على منعهِ مِنْ ذلكَ ولا مِنْ كَيْفِيَّتِهِ؟

{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاخْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ وَإِنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [المائدة : 41]

41- أَيُّها الرسولُ الكريمُ، لا تتَحَسَّرْ على هؤلاءِ الذينَ لا يجدونَ فُرصةً للكفرِ إلاَّ سارعوا إليه وناصروا أهله، وهم المنافقونَ الذينَ يُظهرونَ الإيمانَ بالسنتِهِم، ولكنَّ قلوبَهُم خاويةٌ منه، وكذا اليهود، الذينَ يُسارعونَ إلى ذلك.

إِنَّهُمْ جميعاً يَقْبَلُونَ الكذبَ، ويُبَالِغُونَ في قَبولِ كَلَامِ آخَرِينَ لا يَأْتُونَ مَجْلِسَكَ، حُبًّا ومُوالاةً لهم. وَمِنْ صِفَاتِهِمْ أيضاً أَنَّهُمْ يُحَرِّفُونَ الكَلَامَ ويُدِّلُونَهُ مَعَ عِلْمِهِمْ بما هوَ حَقٌّ مِنْهُ، ويقولون: إِنْ أَفْتَاكُمْ مُحَمَّدٌ بهذا فاعملوا بموجبه، وَإِنْ أَفْتَى لَكُمْ بغيره فاحذروا قبوله.

وقد نزلت في يهوديينِ زَنِيًّا، وكانوا يَعْرِفُونَ أَنَّ التَّورَةَ تَقْضِي بِرَجْمِهِمَا، ولكنَّهُمْ لم يَعْمَلُوا بها، فاتَّفَقوا أَنْ يَقْبَلُوا حُكْمَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنْ كَانَ دُونَ الرَّجْمِ، فاستفسرَ رسولُ الله صلي اللهُ عليه وسلم منهم عن الحكمِ في التَّورَةِ، فقالوا: إِنَّهُ الجُلْدُ، وما زالَ بهم حتى اعترفَ أحدُهُمْ بأنَّه الرَّجْمُ، فحَكَمَ بذلك.

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ إِضْلالَ أَحَدٍ أو إِهْلَاكَهُ، فلنَ تَقْدِرَ على دفعِ أمرِهِ، واللهُ لا يُريدُ تَطْهيرَ قلوبِهِمْ مِنْ رَجْسِ الكُفْرِ وَحُبْثِ الضَّلَالَةِ؛ لفسادِ نِيَّاتِهِمْ وشُرورِ ما في أَنفُسِهِمْ، ولتَكْذِيبِهِمُ الحَقَّ وإيثارِهِمُ الباطلَ عليه!

ولهم في الدنيا عارٌ وفضيحة، كماظهار نفاق المنافقين، وخزي اليهود بضرب الجزية عليهم، وقتلهم ونفيهم، ولهم جميعاً في الآخرة عذاب هائل دائم لا ينقطع.

{ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاخُكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضَ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضَ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاخُكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } [المائدة: 42]

42- إَهُمُ الْيَهُودُ، الْمَكْتَبُونَ مِنْ قَبُولِ الْكُذِبِ، وَالْمَكْتَبُونَ مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ، كَالرَّشَا وَغَيْرِهَا. فَإِذَا جَاؤُوا إِلَيْكَ فِي قَضِيَّةٍ لِحُكْمِ بَيْنَهُمْ، فَاحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ، أَوْ اتْرُكْهُمْ غَيْرَ مُكْتَبٍ بِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يَقْصِدُونَ بِتَحَاكُمِهِمْ إِلَيْكَ أَتْبَاعَ الْحَقِّ، بَلْ مَا وَافَقَ هَوَاهُمْ. وَإِذَا أَعْرَضْتَ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً، وَاللَّهُ يَحْفَظُكَ مِنْ ضَرَرِهِمْ. وَكَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخِيراً فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِإِجْرَاءِ الْأَحْكَامِ عَلَيْهِمْ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ... } [سورة المائدة: 49]، فَلَزِمَهُ الْحُكْمُ وَزَالَ التَّخْيِيرُ. فَالآيَةُ بِذَلِكَ تَكُونُ مَنْسُوخَةً.

وذهب الإمام أحمد إلى أنها غير منسوخة، فالحاكم بالخيار إذا ارتفع إليه أهل الذمة. وإذا حكمت بينهم فليكن حكمك بالحق والعدل الذي أمرت به، وهو ما تضمنته شريعة الإسلام، وإن كانوا هم ظلمة أعداء، مُفْتَرِينَ غير عادلين. والله يُحِبُّ الْعَادِلِينَ فِي أَحْكَامِهِمْ، وَيَرْفَعُ شَأْنَهُمْ.

{ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ } [المائدة: 43]

43- وَكَيْفَ يَطْلُبُونَ مِنْكَ حُكْمًا وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِبِنُؤْتِكَ وَصَدَقَ رِسَالَتِكَ وَلَا يَلْزِمُهُمْ قَبُولُهُ، وَالْحَالُ أَنَّ الْحُكْمَ الَّذِي يَبْحَثُونَ عَنْهُ مَوْجُودٌ فِي التَّوْرَةِ كَمَا أَمَرَ بِهِ اللَّهُ، وَهُمْ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ مُتَمَسِّكُونَ بِهَا، وَمَعَ ذَلِكَ يَعْدِلُونَ إِلَى غَيْرِهَا؟ فَلَيْسُوا بِذَلِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِكُتَابِهِمْ؛ لِإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ.

{ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ
وَالْأَخْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ وَلَا
تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } [المائدة: 44]

44- إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هِدَايَةٌ لِلنَّاسِ، وَنُورٌ يُبَيِّنُ الْحَقَّ، وَيُبْضِخُ لِلنَّاسِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ
أَحْكَامٍ وَمُعَامَلَاتٍ وَسُلُوكٍ، يَحْكُمُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ مِنْ لَدُنْ مُوسَى حَتَّى عَيْسَى عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ - وَهُمْ كَثُرَ -، الَّذِينَ أَسْلَمُوا وَجَوْهَهُمْ لِلَّهِ، وَسَلَكُوا طَرِيقَ الْهُدَايَةِ وَالصَّلَاحِ كَمَا طَلَبَ
مِنْهُمْ رَبُّهُمْ، وَحَكَمُوا بِالتَّوْرَةِ لِأَجْلِ الْيَهُودِ وَفِيهَا بَيْنَهُمْ. وَمَا كَانُوا يَخْرُجُونَ عَنْ حُكْمِهَا، وَلَا
يُبَدِّلُونَهَا وَلَا يُحَرِّفُونَهَا، وَكَذَلِكَ الْعِبَادُ وَالْعُلَمَاءُ مِنْهُمْ بِمَا وُجِّهُوا مِنْ قِبَلِ الْأَنْبِيَاءِ، لِيُظْهِرُوهَا وَيَعْمَلُوا
بِهَا وَيَحْفَظُوهَا مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ، وَلَا يُخْلُوا بِأَحْكَامِهَا، وَكَانُوا حُقَاطًا رُقْبَاءَ عَلَيْهَا. ثُمَّ حَرَفَتْ
اليَهُودُ الْكَثِيرَ مِنْهَا.

فَلَا تَخَافُوا النَّاسَ، وَخَافُونَ، فَإِنَّ النِّعَمَ وَالضَّرَّ بِيَدَيْهِ. وَلَا تَسْتَبَدِّلُوا بِآيَاتِي حُطُوظًا دُنْيَوِيَّةً تَافِهَةً
عَنْ طَرِيقِ الرِّشْوَةِ وَالْجَاهِ وَمَا إِلَيْهِ، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْأَحْكَامِ فَإِنَّهُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ.
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَنْ جَحَدَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ أَقْرَبَ بِهِ وَلَمْ يَحْكَمْ فَهُوَ
ظَالِمٌ فَاسِقٌ.

وَصَحَّحَ الْحَاكِمُ قَوْلَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الْآيَةِ: إِنَّهُ لَيْسَ بِالْكَفْرِ الَّذِي يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ، إِنَّهُ لَيْسَ كُفْرًا
يُنْقَلُ مِنَ الْمَلَّةِ، كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ.

قلت: هُوَ تَوْضِيحٌ لْجَانِبٍ مِنْ قَوْلِهِ السَّابِقِ: مَنْ أَقْرَبَ بِهِ وَلَمْ يَحْكَمْ فَهُوَ ظَالِمٌ فَاسِقٌ.
وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ خَاصَّةً، قَالَ: وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي
كُلِّ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ جَاحِدًا بِهِ، هُوَ بِاللَّهِ كَافِرٌ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ؛ لِأَنَّهُ بِجُحُودِهِ
حُكَّمَ اللَّهُ بَعْدَ عِلْمِهِ أَنَّهُ أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ، نَظِيرُ جُحُودِهِ نَبْوَةَ نَبِيِّهِ بَعْدَ عِلْمِهِ أَنَّهُ نَبِيٌّ.
قلت: وَمِثْلُهُ مَنْ اسْتَهْزَأَ بِشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهَا، أَوْ زَعَمَ أَنَّهَا لَا تَصْلُحُ لِلْحُكْمِ.

{ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ
وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [المائدة: 45]

وفرضنا على بني إسرائيل في التَّوراة أن النفسَ المقتولةَ بغيرِ حقٍّ يُقتَصَّ لها بقتلِ قاتلِها، والعينُ تُفَقَأُ بالعينِ، والأنفُ تُجَدَعُ بالأنفِ، والأذنُ تُقَطَّعُ بالأذنِ، والسنُّ تُقَلَعُ بالسنِّ، وسائرُ الجروحِ يُقاسُ عليها في القصاصِ، فيما يمكنُ القصاصُ منه، كاليدِ، والرَّجْلِ، واللِّسانِ. وما لا يُمكنُ القصاصُ منه، ككسرِ عَظْمٍ، أو جرحِ لحمٍ، ونحوه، فلا قِصاصَ فيه، بل فيه حُكومةٌ عدلٍ، فيُحكَمُ له بما يَسْتَحِقُّهُ مِنْ مالٍ، وهو ما يُسَمَّى بالأَرشِ، ويعني دِيَّةَ الجِراحَةِ. وقد قَدَّرَ أئمَّةُ الفقهِ أرشَ كلِّ جِراحَةٍ بمقاديرِ معلومة، تُنظَرُ في مَظَاهِرِهَا.

فَمَنْ عفا عن صاحبه ولم يقتص منه، فهو كفارةٌ لذنبه بما شاء الله.

وَمَنْ لم يحكم بما أنزل الله من هذه الأحكام، فإنهم من الظالمين.

وهذه الأحكامُ مُقرَّرةٌ في شرعنا أيضاً، قال الله سبحانه: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [سورة البقرة: 179]. وقد مرَّ تفسيرُها.

{وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ

هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ} [المائدة: 46]

46- وأتبعنا أنبياء بني إسرائيل برسول الله عيسى بن مريم، مؤمناً بالتَّوراة، عاملاً بما فيها، وأنزلنا عليه الإنجيلَ فيه هدايةٌ إلى الحقِّ، ونورٌ يُفَرِّقُ بينَ الحقِّ والباطلِ، ويُزيلُ الشُّبُهَاتِ، ويُحلُّ المشكِلاتِ، مثلَ التَّوراةِ، فهو متَّبَعٌ لها، حاكمٌ بها، غيرُ مخالفٍ لِمَا فيها، إلا القليلَ ممَّا نُسِخَ بهِ بعضُ أحكامِ التَّوراةِ. والإنجيلُ كُلُّهُ هدايةٌ، وتُخْوِيفٌ وزَجْرٌ عن ارتكابِ المعاصي، لمن اتَّقَى اللهَ وخافَ عِقَابَهُ.

{وَلِيُحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}

[المائدة: 47]

47- وواجبٌ على مَنْ أوتوا الإنجيلَ أن يؤمنوا بهِ ويحكموا بما فيه، ويعملوا بهِ، وفيهِ البِشَارَةُ

ببعثةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، والأمرُ باتِّباعِهِ وتصديقِهِ، والانضواءِ تحتَ شَرِيعَتِهِ، وَمَنْ لم يحكم بما أنزل الله من أحكامٍ وأوامرٍ، فإنهم خارجونَ عن أمرِ الله وطاعَتِهِ، تاركونَ الحقَّ، مائلونَ إلى الباطلِ.

{ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } [المائدة: 48]

48- وأنزلنا عليك أيها النبي القرآن بالصدق، الذي لا شك أنه من عند الله، مُصَدِّقًا ما سبقه من الكتب السماوية، وفيها ذكرُك والثناءُ عليك. والقرآن أمينٌ عليها جميعاً، ورفيقٌ عليها وشهيد، فيشهد لها ويحكمُ عليها، فهو آخرُ الكتبِ وأشملها، وأعظمها وأحكمها، ومحفوظٌ من التحريفِ والتبديل، فاحكمُ بينَ الناسِ جميعاً - ومنهم أهلُ الكتاب، إذا ترفعوا إليك - بما أنزلَ اللهُ عليك في القرآن، ولا تتبِعْ أفكارهم الفاسدة، وأهواءهم الزائغة عما أنزلَ اللهُ عليك من الحقِّ والعدلِ الذي لا محيدَ عنه.

وقد جعلنا لكلِّ أمةٍ من الأمم سبيلاً وسنةً، فالأديانُ كلها بُعِثَتْ متَّفِقةً في التوحيد، مع شرائعٍ مختلفةٍ في الأحكامِ تُناسِبُ الناسَ وزمائمهم وبيئتهم.

ولو شاءَ اللهُ لجعلكم جماعةً واحدةً على دينٍ واحدٍ في جميعِ الأزمان، دونَ اختلافِ أحكام، لا يُنسخُ شيءٌ منها، ولكنه سبْحانهُ شرعٌ لكلِّ رسولٍ شرعة، ثمَّ عدلٌ فيها للرسولِ الذي بعده ما شاء، حتَّى تُسَخِّتَ جميعها برسالةِ الإسلامِ الحاتمة، التي بُعِثَتْ لأهلِ الأرضِ جميعاً، ليختبرَ عبادةً فيما شرعهُ لهم، وينظرَ المطيعَ منهم والعاصي، والمدعِنَ والرافض، والموافقَ والمخالف. فيثيبُ ويُعاقب، كلٌّ بحسبِ نيتهِ وعزمِهِ وعَمَلِهِ، في العُصورِ المختلفة، بالشرائعِ المقرَّرة. فسارعوا إلى الخيرات، وبادرُوا إلى الحسناتِ والأعمالِ الصَّالحات، بطاعةِ اللهِ واتباعِ شرعِهِ، والتصديقِ بكتابه، واتباعِ أوامره.

واعلموا أنكم جميعاً مُنْقَلِبُونَ إلى اللهِ، ليفصلَ بينكم فيما كنتم تختلفون فيه في الدنيا من أمرٍ الدِّين، ويعدِّبَ الجاحدَ المكذِّبَ بالحقِّ، ويجزيَ المؤمنَ المصدِّقَ بالإحسانِ والإكرام.

{ وَأَنَّ احْكُمَ بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ } [المائدة: 49]

49- فاحكم بين أهل الكتاب - إذا احتكموا إليك - بما أنزله الله عليك في القرآن، ولا تتبع أهواءهم الزائغة وأفكارهم المنحرفة، وكن على حذرٍ من أن يدلّس عليك اليهود الحقّ بحبّثهم، ويصرفوك عن بعض ما أنزله الله عليك من الحقّ، فإنهم كفرّة حونة لا يؤمن جانبهم، ولا يحتكمون إليك ليؤمنوا ويرضوا بحكم الله، فإذا أعرضوا عن حكمك وخالفوا الشرع، فاعلم أنّ الله قدر ذلك عليهم ليعاقبهم على بعض ذنوبهم السالفة، ومنها تولّيهم وإعراضهم عن حكم الله. وهناك كثيرٌ من الناس خارجون عن طاعة الله، بعيدون عن الحقّ، يُفضّلون اتّباع الهوى على متابعة الحقّ.

{ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ } [المائدة: 50]

50- فهل يريدون بذلك أحكاماً جاهليّةً ضالّةً يضعها ناسٌ بعقولهم المحدودة، وأفكارهم المضطربة، وأهوائهم المغايرة، دون وحيٍ من الله محكم؟ وأين يجدون حكماً أفضل ممّا أنزله الله على أنبيائه، في عدلٍ وحقٍّ ورحمة، لا يُرادُ به سوى ذلك؟ هذا لمن تدبّر الأمر، وتحقّق بالنظر، وعلم أنّ الله أحكم الحاكمين.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [المائدة: 51]

51- أيّها المؤمنون، لا تُوالوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ولا تبتغوا من عندهم النصر والنصح، ولا تُصافوهم ولا تُؤادوهم ولا تُسرّوا إليهم، فإنّ بعضهم أولياءُ بعضٍ في العون والنصرة، فكلّهم أعداءٌ للإسلام، ويدٌ واحدةٌ على المسلمين، يريدون مضرتكم، ويغنون كسر شوكتكم، فكيف تُحبّوهم وتوالوهم؟

إنّ من يتوالاهم، فيعيّنهم ويتصرّ لآرائهم، ويخذل المسلمين، هو في حكمهم ومن جملتهم، والله لا يهدي من والى الكافرين، وناصر أعداءه، فظلم نفسه والآخرين.

{ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ } [المائدة: 52]

52- فتري الذين في قلوبهم شكٌ ونفاق، ممن يؤالون اليهود، ويبادرون إلى معاونتهم ومودّتهم، يقولون في سبب موقفهم: إنهم يخشون أن يتصر الكافرون على المسلمين. فهم يوالون المسلمين حتى تبقى لهم يدٌ عندهم، أو أنهم لا ينقطعون عنهم لمظنة حاجتهم إلى أموالهم في وقت جذبٍ وقحط!

أي أنهم يوالون القرّيين، وموالاتهم للمسلمين خشية ألا يتم أمرهم، فيدور الأمر عليهم، ويصيبهم مكروه من الكفار! وهذا من تدبّدهم ونفاقهم، وخوفهم على أنفسهم، وجعلهم مصلحتهم المؤقتة مبدأهم.

فَعَسَى أَنْ يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، فَيَنْصُرْكُمْ، عِنْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، أَوْ فَتْحِ قُرَى الْيَهُودِ، مِثْلَ خَيْبَرَ وَفَدَكِ، أَوْ إِجْلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ، أَوْ قَتْلِ وَسِيِّ ذَرَارِيِّ بَنِي قُرَيْظَةَ، أَوْ يُتِمَّ أَمْرَ الْإِسْلَامِ فَيُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَتَبَقَى الْقُوَّةُ وَالْعِزَّةُ وَالنُّصْرَةُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَيُصْبِحُ الْمُنَافِقُونَ الْمَوَالُونَ لِلْيَهُودِ، نَادِمِينَ مُتَحَسِّرِينَ عَلَى مَوَالِيهِمْ لَمْ يَنْفَعَهُمْ مَوْقِفُهُمْ هَذَا شَيْئاً، بَلْ زَادَ اللَّهُ مِنْ حَسْرَتِهِمْ أَنْ فَضَحَهُمْ وَأَظْهَرَ أَمْرَهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا مُسْتَوْرِينَ.

{ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ } [المائدة: 53]

53- وعند ذلك يعجب المسلمون من حالهم، بعد إظهار نفاق المنافقين، ويقولون: أهؤلاء هم القوم الذين أقسموا أغلظ قسم بالله أنهم مؤمنون، وأنهم يساعدونكم وينصرونكم عند مقاتلة اليهود والمشركين، فظهرت مواقفهم العدائية، وبواطنهم السيئة، وممالأهم لأعداء الإسلام؟ لقد بطل كل خير عملوه، فحسروا الدنيا بافتضاحهم ودُّهم وتحسُّرهم، وحسروا الآخرة بفوات ثواب أعمالهم، ودُّخولهم النار.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } [المائدة: 54]

54- أيها المؤمنون، مَنْ يَرِجِعْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ إِلَى مِلَّةِ الْكُفْرِ، فَلَنْ يَصْرُوهَا سِوَى أَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّ اللَّهَ سَيَسْتَبْدِلُ بِكُمْ مَنْ هُمْ خَيْرٌ مِنْكُمْ لِهَذَا الدِّينِ، يُحِبُّهُمْ اللَّهُ، وَيُحِبُّونَ اللَّهَ، فَيَصْدُقُونَ فِي إِيْمَانِهِمْ، وَيُخْلِصُونَ فِي طَاعَتِهِمْ، وَيَمْتَثِلُونَ أَوْامِرَ رَبِّهِمْ، وَيُحِبُّونَ إِخْوَانَهُمُ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَتَوَاضَعُونَ لَهُمْ، وَيُؤَالِيهِمْ، وَيَرْحَمُوهُمْ، وَيَتَعَاطَفُونَ مَعَهُمْ، وَيَتَعَاوَنُونَ مَعَهُمْ عَلَى الْبِرِّ وَالْخَيْرِ وَالتَّقْوَى، وَيَكُونُونَ أَشْدَاءَ مُتَعَزِّزِينَ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ وَخُصَمَاءِ الدِّينِ، مِنَ الْكُفَّارِ الْجَاهِلِينَ، فَيُعَادُوهُمْ وَيُغَالِبُوهُمْ، وَيُقَاتِلُوهُمْ لِنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ، لَا يَهَابُونَ أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِهِ، وَلَا يَحْسَبُونَ حِسَابًا لِلْوَمْنِ مِنْ نَصْرِهِمْ وَخِذْلَانِ مَوَالِيهِمْ، وَلَا يَزُدُّهُمْ عَنْ هَدْيِهِمْ وَغَايَتِهِمْ شَيْءٌ. وَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَلُطْفِهِ وَإِحْسَانِهِ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ هَذَا الْفَضْلَ وَالْإِكْرَامَ وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ مِنْهُمْ.

{ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } [المائدة: 55]

55- فليس اليهودُ بمناصريكم أيها المسلمون، ولو عززتموهم وناصرتموهم، إنما الذي يتولاكم ويؤيدكم هو الله الذي هداكم لدينه، ووليكم كذلك رسوله والمؤمنون، الذين تجدون عندهم المحبةَ والمناصرةَ والمؤاكلةَ، الذين يُطِيعُونَ رَبَّهُمْ بِإِقَامَةِ شَعَائِرِهِ وَالْمَحَافِظَةِ عَلَى أَوْامِرِهِ، فَيُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ وَيُؤَاطِبُونَ عَلَى إِقَامَتِهَا لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ لِلْمَحْتَاجِينَ مِنْ إِخْوَانِهِمْ فِي الدِّينِ، وَهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ الْجَلِيلَةِ وَصِفَاتِهِمُ الطَّيِّبَةِ خَاشِعُونَ مُتَوَاضِعُونَ لِلَّهِ؛ لِإِحْسَانِهِمْ وَحُبِّهِمْ لِعَمَلِ الْخَيْرِ، وَمَسَارِعَتِهِمْ إِلَى رِضَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ.

{ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } [المائدة: 56]

56- ومن یتخذ الله ورسوله والمؤمنین أولیاء، فیتوکل علی الله حق التوکل، ویمتثل أمر رسوله، ویوالی إخوانه المسلمین وینصرهم، فإنه من حزب الله وجماعة المؤمنین، وإن جند الله وأنصاره هم المنتصرون.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ } [المائدة: 57]

57- أيها المؤمنون، لا تتخذوا أعداءكم أولیاء لكم، ثناصروهم وتبتغون العزة من عندهم، من المشركين ومن أهل الكتاب، الذين يستهزئون بعقائدكم ويسخرون من أحكام دينكم، ويتخذونها لعباً وعبثاً؛ لخبث عقولهم وطيشهم وفساد أحلامهم، واتقوا الله بذلك، فلا توالوهم ولا تصادقوهم، إن كنتم مؤمنين حقاً، فإن الإيمان یوجب علیكم معادتهم لا موالاتهم.

{ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ } [المائدة: 58]

58- وإذا أذنتم للصلاة ودعا بعضكم بعضاً لإقامة هذه الفريضة العظيمة، سخر أهل الكتاب والمشركون منها واتخذوها لعباً وعبثاً، مع أنها طاعة لله وإفراد له سبحانه بالعبادة، لكنهم سفهاء وحمقى، لا يعرفون الحق ولذلك يعادونه، أو هم لا يريدون أن يعرفوا ذلك فيلعبون ويعبتون، ولا يستعملون عقولهم ليكونوا جادين راشدين.

{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ نَقِمْوْنَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ } [المائدة: 59]

59- قل أيها النبي لهؤلاء المستهزئين من أهل الكتاب: هل نقيم منّا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبله من إيمان بالله، وما أنزل علينا من وحيه على خاتم أنبيائه، وما أنزل من كتب على الأنبياء من قبل؟ فإن هذا ليس بمطعن ولا عيب فينا، بل هو الإيمان الحق الذي يجب عليكم اتباعه، ولكن أكثركم متمرد خارج عن العقيدة الصحيحة.

{ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ
الْقِرَدَةَ وَالخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ } [المائدة: 60]
60- وقال لهم أيها النبي: هل أخبركم بمن يكون جزاؤه عند الله شرًا من الذي تظنونهُ بالمسلمين
وبدينهم؟ من أبعدهُ من رحمته فكان في عذابٍ مُستدسم، ومن غَضِبَ عليه من اليهودِ فلا أمل
لهُ في رِضَى الله، ومَسَحَ بعضهم بعضَهُم في صورة قِرَدَةٍ وخَنَازِيرٍ، ومن عبدَ غيرَ الله منهم،
كعبادة العجل، أو أفعال الكهنة ومن صدقهم؛ فهؤلاء أسوأ موضعاً، وأبعد عن طريق الحق،
وأشدُّ عُقوبةً، فكيف تستهزؤون بمن أخلصَ العبادة لله وحده، وآمنَ بأبيائه أجمعين، وبالكتبِ
المنزلة عليهم...؟

{ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا
يَكْتُمُونَ } [المائدة: 61]

61- وإذا جاءكم المنافقون صانعوكم وطؤوا على الكفر قلوبهم، وقالوا بألسنتهم: نحن مؤمنون.
والحقيقة أنهم دخلوا إليكم كافرين، وخرجوا كافرين، فلم ينتفعوا بمجالستكم، ولم يعزموا على
السَّماع منكم، والله أعلم بما يُضمرونهُ في سرائرهم.

{ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ }
[المائدة: 62]

62- وترى كثيراً من أولئك اليهود يُبادرون إلى عمل الشرِّ، فيقتربون المآثم والمنكرات، ويعتدون
على الناس بأنواع الظلم والمكر والخيانة، ويأكلون الرِّشا ليحلُّوا الحرام، فما أسوأ ما يتعاطون،
وما أنكر ما يفعلون.

{ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ } [المائدة: 63]

63- فهلاًّ نأهم عن هذه الأعمال الشنيعة علماء اليهود والنصارى، ووعظوهم بالكف عن الكذب والافتراء، والامتناع عن أكل المال الحرام؟ فإن هذه وظيفتهم ليصبروا الناس بما يجهلون من حلال وحرام. فبئس ما يقدمون عليه، وبئس ما هم عليه قائمون.

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَّبِّكَ طُعْيَانًا وَّكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } [المائدة: 64]

64- وقالت اليهود: إن يد الله بحيلة - تعالى الله عن ذلك - . بخلت نفوسهم وأمسكت أيديهم عن فعل الخيرات، فهم المعروفون بالبخل والحسد والجبن، والذلة والصغار، ولعنهم الله وطردهم من رحمته بما تلقطوه من كلام في جانب الله خالقهم العظيم، ورازقهم ورازق الأحياء في الكون كله، فيداه مبسوطتان بالعباء، فهو ذو فضل عميم وعطاء جزيل، لا تنفد خزائنه، يُنفق كما يشاء، من توسيع على عباده له، أو تضيق في الرزق على آخرين منهم، وما قالوه هنا هو من كفرياتهم، وسوف يزيدون عليها ويتمادون فيها، فيكفرون بآيات أخرى تنزل عليك، فيزدادون بذلك تكديبا وكفرا على كفرهم.

وألقينا بين بعضهم البعض عداوات وأحقادا، فصاروا فرقا وجماعات لا تكاد تتوافق قلوبهم ولا تتحد كلمتهم؛ لكثرة اختلافهم وخصوماتهم وجدالهم في دينهم، فصاروا متباغضين متخاصمين، وسيكون هذا شأنهم إلى يوم القيامة.

وكلما أرادوا أن يكيدوك، أو يشعلوا حربا ضد المسلمين، بأساليبهم الخبيثة ومكرهم السيئ وفتنتهم بين الأقسام والجماعات، أطفأها الله، فرد كيدهم وقهرهم، ونصر نبيه ودينه. وهذا من سجيتهم، فإن شأنهم الإفساد في الأرض، بالكيد لأهل الحق، وإثارة الشر والفتنة، وإيقاد نيران الحروب، والله يبعث هذه الصفات وأهلها، ويجزيهم على ذلك سوء العذاب.

{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ } [المائدة: 65]

65- ولو أنّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى آمنوا بالله ورسوله، وابتعدوا عما هُجوا عنه من الحرمات والمآثم؛ لغفرنا لهم ذنوبهم التي اقترفوها، ولأدخلناهم جنات الله الدائمة، ينتعمون فيها سعداء خالدين.

{ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ } [المائدة: 66]

66- ولو أنّ أهل الكتاب أقاموا أحكام التوراة والإنجيل كما أنزلت من غير تحريف ولا تبديل، ومن ذلك مبشرات بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وما أنزل إليهم من ربهم من كتب على أنبياء بني إسرائيل، ففيها كذلك البشارة به صلى الله عليه وسلم. أو أنّ المقصود الإيمان بالقرآن الكريم، لو فعلوا ذلك لوسّع الله لهم في الرزق، فنزلت عليهم السماء بالمطر، وأخرجت لهم الأرض النبات والثمر.

ومن أهل الكتاب طائفة آمنت برسالة الإسلام، وتابعت النبي محمداً صلى الله عليه وسلم، وكثير منهم متعصبون ومُعاندون مُكابرون، يُحرفون الحق ويُعرضون عنه، فما أسوأ عملهم، وما أخيب أملهم!

{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } [المائدة: 67]

67- أيها الرسول الكريم، المبعوث إلى العالمين، أوصل إلى الناس جميع ما أنزله الله إليك، فإذا لم تُوصِل الرسالة التي أرسلت بها إليهم فما بلغت. وقد أدى الرسول عليه الصلاة والسلام الأمانة التي أوتمن عليها أتم أداء، وما كنتم شيئاً، كما جاء في حديث عائشة الصحيح.

والله يحفظك من أعدائك، فلا أحد يقدر على قتلك أو مد يد السوء إليك، فاهتم بأمر التبليغ، ولا تحف ولا تحزن، والله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ولن يجد الكفار سبيلاً إلى الهداية، ما داموا أغلقوا عقولهم وقلوبهم عن سماع الحق وإرادة اتباعه.

وفي حديثٍ حسن، أنَّ الله تعالى لما أنزلَ {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}، أخرجَ الرسولُ عليه الصلاةُ والسلامُ رأسَهُ مِنَ القُبَّةِ، وقالَ لمنَ يحرسُه: "أئبها النَّاسُ، انصرفوا، فقدَ عصمني اللهُ". وقدَ أسلمَ في عَصْرِنَا أَحَدُهُم، أو بعضُهُم، لما اطَّلَعَ على هذا، وقالَ في سببِ إسلامِه: إذا كانَ محمَّدٌ يكذبُ على النَّاسِ، فإنَّه لا يكذبُ على نفسه ولا يُعرِّضُها للخطرِ بصرفِ النَّاسِ عن حراسَتِه، وقدَ عاشَ بعدَ ذلكَ ولم يُقتل، فصَحَّ أنه نبيٌّ.

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [المائدة: 68]

68- وقلْ يا نبيَّ اللهُ: يا أهلَ الكتابِ مِنَ اليهودِ والنَّصارى، لستمُ على شَيْءٍ مِنَ الحقِّ، ولا على صحيحٍ مِنَ الدِّينِ، حتَّى تُحافظوا وتُراعوا ما في التوراةِ والإنجيلِ مِنْ أمورٍ وأحكامٍ دونَ تحريفٍ ولا تبديلٍ، وَمِنْ ذلكَ البشارةُ بمبعثِ خاتمِ الأنبياءِ محمَّدٍ صلى اللهُ عليه وسلَّم، وحتَّى تؤمنوا بالقرآنِ الذي أنزلَ عليه، وإنَّ ما أنزلَ اللهُ عليكِ مِنْ حقِّ يا نبيَّ اللهُ، سوفَ يزيدُ كثيراً مِنَ الكفارِ كُفْرًا وبعداً عنِ الحقِّ، لعدمِ قبولهمُ به؛ لعنادهمُ ومكابرتهمُ، فلا تحزنْ عليهمُ ولا تتحسّرْ على هلاكهمُ وعدابهمُ، فإنَّ هذه نتيجةٌ مِنْ رضيَ بالضلالِ لنفسِه، وهمُ الذينَ جنوا على أنفسهم.

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [المائدة: 69]

69- إنَّ المسلمينَ، واليهودَ، والصابئةَ، والنَّصارى، مَنْ آمَنَ منهمُ باللهِ، وبالمعادِ والجزاءِ يومَ القيامةِ، وعملَ صالحاً، ولا يكونُ العملُ صالحاً إلا بموافقتِه للدِّينِ وإخلاصِه لله تعالى، فلا خوفٌ عليهم - لمنَ توفرتْ فيه هذه الصِّفاتُ - يومَ يخافُ الكافرونَ ممَّا يستقبلونه، ولا همُ يحزنونَ حينَ يحزنُ المقصرونَ على ما فاتهمُ مِنْ ثواب.

والمقصودُ كلُّ في وقتِه، ولا يُقبلُ دينٌ مِنْ أحدٍ بعدَ الإسلامِ سوى دينِ الإسلامِ.

{لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَآرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى
أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ} [المائدة: 70]

70- لقد أخذنا العهدَ والمواثيقَ على بني إسرائيل، وبعثنا فيهم أنبياءً وأرسلنا إليهم رسلاً،
يذكروهم بها ويخوفونهم نقضها، ليسمعوا ويطيعوا ويأتمروا بما أنزل إليهم، ومن ذلك العهد الذي
أخذهُ أنبياءهم عليهم، من الإيمان بالنبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، ولكن كلَّما جاءهم رسولٌ
بما لا يوافق أهواءهم الزائغة، وآراءهم الفاسدة، صار فريقٌ منهم يكذبونهم ويخالفونهم، وآخرون
منهم يقتلونهم!

{وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئْتَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ
بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} [المائدة: 71]

71- لقد ظنَّ كثيرٌ من بني إسرائيل أنه لن يترتب على مواقفهم السيئة من الأنبياء شرٌّ وفساد،
وأنَّ الله لا يحاسبهم عليها، ولا يُصيبهم منها بلاءٌ وعذاب، فتمادوا في العيِّ والفساد، وصاروا
لا يسمعون حقاً ولا يهتدون إليه، ثم تاب الله عليهم حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من
الفساد، ثم ازدادوا ضلالاً وغيّاً وأغلقتوا منافذ التفكيرِ وسماعِ صوتِ الحقِّ في نفوسهم، وعادوا
إلى الفسادِ وقتلوا الأنبياء، والله مُطَّلِعٌ عليهم، وعالمٌ بما عملوا، وسيحاسبهم أشدَّ الحساب.

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا
اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ} [المائدة: 72]

72- لقد كفرَ من قال من النَّصارى إنَّ الله هو المسيح بن مريم، وقد قال المسيح نفسه: يا
بني إسرائيل، اعبدوا الله وحده، فهو ربِّي وربُّكم، ونحنُ جميعاً عبيدُ الله، وإنَّ من يُشرك به في
عبادته فقد حرَّم عليه دخولَ الجنَّة، وأوجب له النَّار. وقد ظلّموا بإشراكهم وكفرهم هذا وعدلوا
عن طريقِ الحقِّ، ولن تجدَ لهؤلاءِ الظَّالمينَ مُعيناً ولا ناصرًا يُنقذهم من عذابِ الله وعقوبته المقدَّرة
عليهم.

{ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [المائدة: 73]

73- لقد كفر منهم كذلك من قال إن الله إله مع إلهين آخرين هما عيسى وأمه مريم، وقالت طوائف أخرى غير ذلك. والحق أنه ما من إله إلا الله، فهو وحده المعبود بحق، الذي لا شريك له ولا شبيهه، وهو إله الكون، ورب جميع الكائنات، محيها ورازقها ومميتها، وليس هناك آلهة من جنس البشر، وعيسى وأمه كانوا من البشر يأكلان الطعام. وقد ظهرت فرقة من النصارى يُقال لها "المريميون" في القرن السادس الميلادي، تقول بالوهيية مريم أيضاً!

فإذا لم ينته النصارى من هذا الكذب والافتراء على الله رب العالمين، فإنه يُصيب الذين كفروا منهم عذاب مؤلم موجه، وناز تأتي على أفئدتهم. وقد خصَّ الله الكافرين منهم بالعذاب، لعلمه أن بعضهم يؤمنون.

{ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [المائدة: 74]

74- أفلا يتوب النصارى من هذا الإفك العظيم، ويستغفرونه من هذا القول الأثيم، ويعودون إلى القول الحق؟ هلا انتهيتُم مما نسبتموه إلى ربكم وثبتم إليه ليتوب عليكم، ويمحکم من فضله ورحمته؟

{ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبِّئُ هُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } [المائدة: 75]

75- والمسيح عيسى بن مريم ما هو إلا عبد رسول وليس بإله، وقد سبقه رسل من أمثاله كانوا بشراً كذلك، ولم يكونوا آلهة. وإذا كان أوتي معجزات خارقة، فإن من سبقه من الرسل كذلك أوتوا معجزات خارقة، وإذا كان قد خلق من غير أب، فإن هناك من خلق من دون أب ولا أم، وهو آدم عليه السلام، ولم يكن إلهاً.

وأمه مريم كذلك كسائر النساء، كانت ولية طاهرة، مؤمنة بابنها نبياً ورسولاً، مُصدقة له فيما يُبلِّغ عن ربه، ولم تكن إلهة. وكان كلاهما يجوعان ويعيشان بالغذاء كسائر آدميين، ويتحلصان

من فضلاتهما كما يتخلَّص منها البشر. فكيف يجوع الإله ويهلك إذا لم يأكل؟ وكيف يتعوطُ الإله؟! بل هذه كلها صفات آدميين كما تُرى.

فانظر كيف نُبيِّئُ لهم الأدلَّةَ والحججَ، والبراهينَ المقنعةَ الواحدةَ تلوَ الأخرى، وانظر بعدها كيف ينصرفونَ عن الحقِّ، وعلى أيِّ مذهبٍ ضالَّ يُقيمونَ؟!!

{ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }

[المائدة: 76]

76- قل أيُّها النبيُّ للمشركينَ وأهلِ الكتابِ منَ العابدينَ غيرِ الله: أتعبدونَ منَ دونِ الله ما لا يقدرُ على ضرركم ولا إيصالِ النفعِ إليكم، والله خالقكم وخالقهم، الذي يجبُ أن يُعبدَ وحده، وهو الذي ينفعُ ويضرُّ ويُجازي على الأعمالِ، والجماداتُ المعبودةُ لا تنطقُ ولا تسمعُ حتى تضرَّ وتنفعُ، والأناسيُّ لا يقدرُونَ على النفعِ والضرِّ إلا إذا شاءَ الله، وهو وحده الذي يتصرفُ في الكونِ كلِّه كما يشاءُ، ولا يقدرُ أحدٌ على أن يمنعهُ من ذلك، فلا نفعَ ولا ضررَ إلا منه، فله وحده يجبُ أن تكونَ العبادة. وهو الذي يسمعُ أقوالَ كلِّ عباده، ويعلمُ جميعَ أحوالهم.

{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ }

{ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ } [المائدة: 77]

77- قل أيُّها النبيُّ: يا أهلَ الكتابِ منَ اليهودِ والنصارى، لا تتجاوزوا الحدَّ في أمرِ دينكم، لا علواً ولا تقصيراً، فإنَّ تجاوزَ الحدِّ مذمومٌ، وكذا التقصيرُ فيه، فليسَ المسيحُ عيسى إلهًا كما يدعي النصارى، ولا هو ابنُ زانيةٍ كما يدعي اليهود، بل هو عبدُ الله ورسوله الكريم، وأُمُّهُ صديقةٌ طاهرة. ولا توافقوا المذاهبَ الباطلةَ التي ابتدعها شيوخُ الضلالةِ منَ أسلافكم، الذين انحرفوا وابتعدوا عن الحقِّ والصوابِ، وأضلُّوا كثيراً من أتباعهم، نتيجةَ خروجهم عن طريق الاستقامة والاعتدالِ إلى طريقِ الشركِ والضلالِ.

{ لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا }

{ وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } [المائدة: 78]

78- لَعَنَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ فِي الزَّبُورِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّ اللَّهِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَعْنُهُمْ هُوَ طَرْدُهُمْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، بِسَبَبِ عِصْيَانِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ، وَاعْتِدَائِهِمْ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ.

{ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } [المائدة: 79]

79- كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِذَا فَعَلُوا مُنْكَرَاتٍ وَارْتَكَبُوا مَآثِمَ، لَا يَنْهَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنْهَا، وَلَا يَعْظُوهُمْ بِتَرْكِهَا، مِثْلَ أَكْلِ الرِّبَا، وَأَخْذِ الرِّشْوَةِ، وَقَبُولِ أَثْمَانِ الشُّحُومِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. فَمَا أَسْوَأَ فَعَلَهُمْ، وَمَا أَنْكَرَ صَنِعَهُمْ.

{ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ } [المائدة: 80]

80- وَتَرَى كَثِيرًا مِّنَ الْيَهُودِ يُوَالُونَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَيَنْتَصِرُونَ لَهُمْ وَيُقَوِّمُونَهُمْ ضِدَّ دِينِ الْإِسْلَامِ، فَمَا أَسْوَأَ عَمَلِهِمْ، وَمَا أَتَعَسَ مَا قَدَّمُوا مِنْ عَمَلٍ لِمَعَادِهِمْ يَوْمَ حِسَابِهِمْ، فَقَدْ جَلَبُوا بِذَلِكَ غَضَبَ اللَّهِ وَسَخِطَهُ عَلَيْهِمْ، وَسَيِّدَخَلَهُمْ بِذَلِكَ النَّارَ، وَيُخَلِّدُهُمْ فِيهَا تَخْلِيدًا.

{ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ } [المائدة: 81]

81- وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُؤَلِّينَ لِلْمُشْرِكِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ حَقَّ الْإِيمَانِ، وَيُؤْمِنُونَ بِخَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، لَمَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ يُنَاصِرُونَهُمْ ضِدَّ دِينِهِ وَأَوْلِيَاءَهُ، وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ خَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، مُعَانِدُونَ لِلْحَقِّ الَّذِي أَوْجَبَ اتِّبَاعَهُ، مُخَالَفُونَ لَوْحِيهِ الْمُنزَّلِ.

الجزء السابع

سورة المائدة (الآيات 82-120)

سورة الأنعام (الآيات 1-110)

(تابع لسورة المائدة)

{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} [المائدة : 82]

82- سَتَجِدُ أَشَدَّ النَّاسِ عِدَاءً لِلْمُؤْمِنِينَ الْيَهُودَ وَالْمَشْرِكِينَ.

أما اليهود: فلعدائهم وجحودهم، وتضاعف كفرهم، وأتباعهم الهوى، وكذبهم وافترائهم، وتمردهم على الحق، حتى قتلوا أنبياء، وهُمُّوا بقتل رسولنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم غير مرة وسخروه، ووضعوا في دينهم توجيهاتٍ بإيذاء من يُخالِفهم! والمشركون يُماثلوهم في صفاتٍ عدَّة، وقد غلب عليهم التقليد فسُدُّوا منافذ الفكر والفطرة في نفوسهم، فلازموا الكفر، وفتنوا المؤمنين عن دينهم، وحاربوا الدينَ الحقَّ بكلِّ ما أُوتوا من قوَّة.. وستجد أقرب الناس مودةً للمؤمنين - من بين ملل الكفر - الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح، وذلك لرأفةٍ في قلوبهم ورقَّة، وفيهم علماء ورُهبانٌ وعُبادٌ يتصفون بالعلم والعبادة والتواضع، وهؤلاء لا يستكبرون عن الانقياد للحقِّ إذا عرفوه وفهموه. ولعلَّ التعبيرَ للكثير من هؤلاء، أو أكثرهم.

قال القاضي البيضاوي: فيه دليلٌ على أنَّ التواضع والإقبال على العلم والعمل، والإعراض عن الشهوات، محمودٌ وإن كان من كافر.

قلت: وهناك فرصةٌ طيبةٌ لدعوة هذه الفئة إلى الإسلام، وأملٌ في إسلامهم. والآيةُ مُرتبطةٌ بما بعدها.

{ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ
رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ } [المائدة: 83]

83- وإذا سمع هؤلاء وأمثالهم ما نزل على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من آيات القرآن، ترى الدموع تسيل من عيونهم، وذلك لما عرفوا من الحق الذي عندهم، من البشارة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، مثلما حدث للنجاشي وقسيسين من حوله، ولم يكونوا مثل اليهود مجتنباً معاندين ومكذبين محرفين، بل قالوا في تواضع وخشوع، وأوبة وإيمان: اللهم إنا آمنا بما أنزلت، فاكْتُبْنَا مَعَ مَنْ يَشْهَدُ بِصِحَّةِ هَذَا، واجعلنا عندك مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وممن يشهدون معهم بالحق.

{ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ }
[المائدة: 84]

84- قالوا: ولماذا لا نؤمن بالله ولا ننزهه عن الشرك كما هو في دين الإسلام، ونؤمن جميعاً بما جاءنا من الحق والتوحيد الذي لا شائبة فيه، ونحن نتمنى ونرغب أن يُدخِلَنَا رَبَّنَا جَنَّته، ويشمَلَنَا برحمته مع عباده المؤمنين الصالحين؟

{ فَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ
الْمُحْسِنِينَ } [المائدة: 85]

85- فجازاهم الله بسبب قولهم هذا، وعلى تصديقهم واعترافهم بالحق، جناتٍ عاليات، تجري من تحت أشجارها ومسكنها أنهار الماء والعسل والخمر واللبن، مع خلود دائم وسعادة تامة، فهذا جزاء من اتبع الحق وأذعن له، دون معاندة ولا استكبار.

{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } [المائدة: 86]

86- والذين خالفوا وعصوا، وكذبوا بآيات القرآن، فإن مصيرهم إلى الجحيم، فهم أهلها المستحقون لها، جزاء عنادهم وكفرهم وتكذيبهم ما هو حق.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ } [المائدة: 87]

87- أيها المؤمنون، لا تحرموا ما أحل الله لكم من اللذائذ والمبشريات، ولا تتعدوا حدود ما أحل لكم إلى ما حرمه، والله لا يحب الظالمين المعتدين حدوده، ولكن ففوا عندها والتزموا بها. وقد نزلت الآية في رجل حرّم اللحم على نفسه لشهوة وجدّها عنده في النساء إذا أكله.

{ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ } [المائدة: 88]

88- وكلوا الحلال الطيب مما رزقكم الله، ولا تسرفوا، وذروا ما حرّمه، إن كنتم مؤمنين. وإن أكل الطيبات والذائذ الحلال لا ينافي التقوى والعمل الصالح.

{ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّعْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ فَكُفَّارَتُهُ إِطْعَامُ
عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَوْ هَلِيكُم أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ
فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كُفَّارُهُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [المائدة: 89]

89- لا يحاسبكم الله على حلفكم بالله إذا كان من غير قصد، مما يسبق إليه اللسان من غير نية قسم، أو ما كان القسم على غلبة ظن عند آخرين، ولكن يحاسبكم عليه إذا كان عن قصد ونية وتأکید. فمن حنث في يمينه، يعني أخطأ النتيجة، أو لم يُنفذ ما قسم عليه، فإن عقوبته أن يطعم عشرة مساكين، من أعدل ما يطعم المرء أهله، أي ما يكفي الشخص في اليوم بشكلٍ وسط، نوعاً ومقداراً.

أو أن يكسو العدد نفسه من المساكين، مما يُطلق عليه كساء، كقميص، أو سروال، أو عمامة.

أو أن يُعْتَقَ عَبْدًا.

فَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ أَوْ لَمْ يَجِدِ الْأُمُورَ السَّابِقَةَ، فَلْيَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَفَّارَةٌ لِمَنْ حَلَفَ وَحَنَثَ، وَمَحُوٌّ لِمَا ارْتَكَبَ مِنْ سَيِّئَةٍ بِسَبَبِهِ.

وراعوا حَلْفَكُمْ إِذَا حَنَثْتُمْ، فَلَا تَتْرَكُوهُ مِنْ غَيْرِ تَكْفِيرٍ.

وهكذا بيّن الله لكم أحكام شريعته ويوضحها، فاشكروه على نعمة هذا التعليم والبيان، الذي هو لخيركم وصالحكم.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [المائدة: 90]

90 – أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، اَعْلَمُوا أَنَّ الْخَمْرَ وَكُلَّ مَا هُوَ مُسْكِرٌ، وَالْقِمَارَ، وَالْأَصْنَامَ الَّتِي تُنْصَبُ لِلْعِبَادَةِ وَتُذَبِّحُ عِنْدَهَا الْقَرَابِينَ، وَالْقِدَاحَ الَّتِي يُسْتَقْسَمُ بِهَا⁽³²⁾، كُلَّ هَذَا خَبِيثٌ مُسْتَقْدَرٌ وَشَرٌّ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، فَهَوَ مِنْ تَزِينِهِ وَتَسْوِيلِهِ، فَاتْرَكُوهُ لِتَفُوزُوا.

{ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ } [المائدة: 91]

91- إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ بِتَعَاطِي هَذِهِ الْمَحْرَمَاتِ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَاتِ وَالْأَحْقَادَ وَالْمَفَاسِدَ وَالشُّرُورَ، فَالْخَمْرُ تُذَهَبُ الْعَقْلَ، وَالْمَيْسِرُ يُعْرِدُ وَيَسْبُ وَيَتَشَاوِرُ، وَقَدْ يَقَعُ عَلَى مَحَارِمِهِ أَوْ

(32) ورد تعريف الأزام عند تفسير الآية (3) من السورة بشكل أوضح، وهو: الاستقسام بالأزام هو طلب القسم والحكم من قِدَاحٍ كَانَ يُكْتَبُ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهَا "افْعَلْ"، وَعَلَى الثَّانِي "لَا تَفْعَلْ"، وَلَا شَيْءَ عَلَى الْآخَرِ، فَيَأْتِي بِهَا الْجَاهِلِيُّ، فَإِنْ كَانَتْ الْفَارِغَةَ أَعَادَ.

يَقْتُلُ آخَرِينَ وَهُوَ لَا يَدْرِي، فَإِذَا صَحَا نَدِمَ. وَالْمَقَامُ يُقَامُ عَلَى الْأَهْلِ وَالْمَالِ، وَقَدْ لَا يُبْقِي لِنَفْسِهِ شَيْئاً، ثُمَّ يُصْبِحُ عَدُوًّا لِمَنْ قَامَرَهُ، وَحَزِيناً مُغْتَظاً، وَقَدْ يَتَشَرَّدُ وَيَتَسَوَّلُ... وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ شِرْكٌ لَا يُقَدَّمُ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَرَكَ التَّوْحِيدَ وَاسْتَسَلَّمَ لِلجَاهِلِيَّةِ الْمُنْكَرَةِ وَالتَّخَلَّفَ الْعَقْدِيُّ الْأَعْمَى.

وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ بِتَرْيِينِهِ الْإِقْدَامَ عَلَى هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ أَنْ يُبْعِدَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّهَا كَلَّهَا تُلْهِي عَنْ الذِّكْرِ، وَتُشَوِّشُ عَلَى الْمُسْكِرِ الْقِرَاءَةَ إِنْ صَلَّى، فَيَنْطِقُ بِالْكَفْرِ وَهُوَ يُرِيدُ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ. وَإِذَا قَامَرَ وَحَصَلَ مَا لَمْ يَحْرَمَ حَتَّى الْبَطْرَ، وَإِذَا خَسِرَ حَزِنَ وَانْقَبَضَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَقْتُلَ نَفْسَهُ أَوْ غَيْرَهُ. وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ يَكُونُ مُتَرْقِباً وَمُفَكِّراً بِحِيلَةٍ يَغْلِبُ بِهَا صَاحِبَهُ وَيَقْهَرُهُ. فَأَيُّنَ يَكُونُ السَّكَّيرُ وَالْمَقَامِرُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ؟ فَانْتَهَوْا وَتَوَقَّفُوا عَنْهَا، فَإِنَّهَا مُنْكَرٌ حَرَامٌ لَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ تَعَاطِيهَا.

وَكَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ آخِرَ حَلْقَةٍ فِي أَسْلُوبِ تَدْرِيجِي رَبَّانِيٍّ لِتَحْرِيمِ الْخَمْرِ وَمَا إِلَيْهَا، وَقَالَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بَعْدَ نُزُولِهَا: انْتَهَيْنَا يَا رَبِّ. وَأَهْرَقُوا مَا عِنْدَهُمْ مِنْ خَمْرٍ.

{ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } [المائدة: 92]

92- فَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالتَّزِمُوا بِمَا شُرِعَ لَكُمْ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَمَنْعُهُ اجْتِنَابُ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَمَا إِلَيْهِمَا، وَاحْذَرُوا الْمَخَالَفَةَ وَالْعِصْيَانَ، فَإِذَا أَبَيْتُمْ وَأَعْرَضْتُمْ، فَقَدْ قَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْكُمْ، وَقَدْ قَامَ رَسُولُنَا بِوُضُوعِهِ فَبَلَّغَ وَأَنْذَرَ، وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا الْعِقَابُ.

{ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [المائدة: 93]

93- نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ وَقَدْ مَاتَ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ كَانَ يَشْرِبُهَا، فَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ.

ليس على من آمن وعمل صالحاً إثمٌ وحرَجٌ فيما شربوا من الخمرِ وأكلوا من مالِ
الميسرِ إذا اتَّقوا الشُّركَ وآمنوا وصدَّقوا وعَمِلوا صالحاً، ثمَّ اتَّقوا اللهَ فداوموا على ذلك ولم يشربوا
الخمرَ بعدَ تحريمها، ولم يلعبوا بالميسرِ بعدَ تحريمه، بل ازدادوا إيماناً، ثمَّ اتَّقوا ما حرَّمَ اللهُ عليهم
وابتعدوا عن معاصيه، وأحسنوا في عملهم وعبادتهم، واللهُ يُحبُّ من اتَّصفَ بصفةِ الإحسان،
ويُنبيهم عليها.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ
مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [المائدة: 94]

94- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، سَيَحْتَبِرُكُمُ اللَّهُ فِي شَيْءٍ مِّمَّا يُصَادُ فِي الْبَرِّ وَأَنْتُمْ مُحْرِمُونَ، مِمَّا يَسْهَلُ صَيْدُهُ
بَأَيْدِيكُمْ، أَوْ بِرِمَاحِكُمْ، لِيَنْظُرَ مَنْ يُطِيعُ مِنْكُمْ وَمَنْ يَعْصِي، فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ. فَمَنْ صَادَ بَعْدَ
هَذَا الْإِعْلَامِ وَهُوَ مُحْرِمٌ فَقَدْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ وَاسْتَوْجَبَ عِقَابَهُ الشَّدِيدَةَ، بِاعْتِدَائِهِ عَنِ مُكَابَرَةِ،
أَوْ عَدَمِ مَبَالَاتِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنْكُم مُّتَعَمِّدًا فَحَزَاءٌ مِّثْلُ مَا
قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ
عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ عَمَّا سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ
عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ } [المائدة: 95]

95- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ مُحْرِمُونَ، مَا يُؤْكَلُ مِنْهُ وَمَا لَا يُؤْكَلُ، إِلَّا مَا بَيَّنَّهُ
الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفَوَاسِقِ... وَقَاسَ عَلَيْهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ حَيَوَانَاتٍ أُخْرَى.
وَمَن قَتَلَهُ مِنْكُمْ عَنْ قَصْدٍ وَعَمْدٍ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ مِثْلُ حَجْمِ ذَلِكَ الصَّيْدِ مِنَ الْأَنْعَامِ، وَيَحْكُمُ
بِهَذَا الْمِثْلِ وَتَقْدِيرِهِ رَجُلَانِ لِهَذَا خِبْرَةٌ فِي هَذَا الشَّأْنِ، وَيَكُونُ هَذَا الْحَيَوَانُ الْمَقْدَرُ هَدْيًا يُرْسَلُ إِلَى
الْحَرَمِ وَيُذَبِّحُ هُنَاكَ، وَيُتَصَدَّقُ بِلَحْمِهِ عَلَى مَسَاكِينِهِ، أَوْ يُكْفَّرُ عَنْ خَطِيئَتِهِ هَذَا بِإِطْعَامِ مَسَاكِينَ
بِمَقْدَارِ ذَلِكَ الْحَيَوَانِ الَّذِي قَتَلَهُ، أَوْ يَصُومُ بِمَقْدَارِ ذَلِكَ، كُلُّ يَوْمٍ عَنْ مَقْدَارِ مَا يَكْفِي شَخْصًا
مِنَ الطَّعَامِ.

وهذه العقوبات جزاء معصية من صاد وهو مُحْرِم ولم يتقيد بأمر الله. وعفا الله عمن صاد وهو مُحْرِم قبل أن ينزل التحريم، ومن عاد فخالف، فإن الله ينتقم منه في الآخرة. والله غالب لا يُغالب ولا يُفهر، شديد فينتقم ممن تعدى حدوده وأصر على مخالفة أوامره، لا يستطيع أحد أن يمنعه من انتقامه، ولا عقوبة من أراد عقوبته.

{ أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } [المائدة: 96]

96- أَجَلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْمَحْرَمُونَ صَيْدٌ مَا فِي الْمَاءِ، وَمَا قَذْفُهُ لَكُمْ الْبَحْرُ مَيْتاً، يَسْتَمْتِعُ بِهِ الْمَقِيمُونَ مِنْكُمْ يَأْكُلُونَهُ طَرِيًّا، وَيَنْتَفِعُ بِهِ الْمَسَافِرُونَ بِجَانِبِ الْبَحْرِ، وَيَتَقَوَّنُوهُ قَدِيداً مُمْلَحاً. وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ مُحْرِمِينَ، إِلَّا مَا اسْتَثْنَتْهُ السُّنَّةُ مِنْ جَوَازِ قَتْلِ الْفَوَاسِقِ، وَالْحَقُّ بِهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ حَيَوَانَاتٍ مُؤَذِيَةً قِيَاساً عَلَيْهَا. وَاتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنَ الصَّيْدِ وَالْحَرَمَاتِ السَّابِقَةِ، وَسَوْفَ تُحْشَرُونَ إِلَيْهِ، وَلَا خَلَاصَ لَكُمْ مِنَ الْحَاسِبَةِ وَالْجَزَاءِ عِنْدَهُ يَوْمَ ذَلِكَ.

{ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [المائدة: 97]

97- لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ - الْبَيْتَ الْحَرَامَ - قِيَاماً لِلنَّاسِ وَمَصْلِحَتَهُمْ، دُنْيَاً وَدِيناً. فَهُوَ سَبَبُ إِصْلَاحِ أُمُورِهِمْ وَجَبْرِهَا، وَهُوَ مَأْمُنٌ وَمَلْجَأٌ لَهُمْ، وَجَمْعٌ لِتِجَارَتِهِمْ، وَمَهْوَى أَفئِدَتِهِمْ، يَقْصِدُونَهُ لِلْحَجِّ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، فَهُوَ أَحَدُ أَرْكَانِ الدِّينِ. وَكَذَلِكَ جَعَلَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ قِيَاماً لَهُمْ، وَالْمَرَادُ جِنْسُ الشَّهْرِ الَّذِي يَصِحُّ عَقْدُ نَيَّْةِ الْحَجِّ فِيهِ، وَهِيَ: رَجَبٌ، وَذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمِحْرَمِ.

وَالْهَدْيُ وَالْقَلَائِدُ أَيْضاً قِيَامٌ لَهُمْ، فَهِيَ مِمَّا يُخْصُّ مَنَاسِكَ الْحَجِّ، وَالْهَدْيُ: التُّسُكُ الَّذِي تُهْدَى لِلْحَرَمِ، فَتُذَبِّحُ هُنَاكَ وَيُوزَعُ لِحُمِّهَا عَلَى مَسَاكِينِهِ. وَالْقَلَائِدُ كَذَلِكَ، وَهِيَ الْبُدْنُ الَّتِي تُقَلَّدُ

بقلائد ليعرف الناس أنها للحرم فلا يتعرض لها أحد، وذكر أن الثواب فيها أكثر، والحج بها أظهر.

وهذا الذي بيئته الله لكم، لتعلموا أن تشريع هذه الأحكام التي فيها منافع دنيوية وأخروية، ودفع لمضار قبل وقوعها، هو من الدلائل على حكمة الله وإحاطته بكل شيء، ما دق منها وما جل، فهو كامل العلم، لا ينقص ولا يخفى عليه شيء منه.

{ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [المائدة: 98]

98- واعلموا أيها الناس، أن الله الذي أحاط علمه بكل شيء، وعلم سرائر أعمالكم وعلايتها، وأحصاها عليكم ليحازيكم بها، هو شديد العقاب لمن انتهك محارمه أو أصر على عصيانه. وهو غفور لذنوب من أناب إليه وأطاعه، رحيم به فلا يعاقبه.

{ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ } [المائدة: 99]

99- ليس على الرسول إلا أن يبلغ الرسالة، وليس له الهداية والتوفيق ولا الثواب، وقد أتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه، فلا عذر لكم إن لم تطيعوا، ومن خالف ولم يمتثل فقد عرض نفسه للعقاب.

ولا يخفى على الله المطيع منكم من العاصي، ولا يغيب عنه شيء مما خفي في الصدور، أو ظهر من أعمال النفوس، ويده الثواب والعقاب، فيعامل كلاً بما يستحق.

{ قُلْ لَّا يَسْتَوِي الْحَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْحَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [المائدة: 100]

100- قل أيها النبي: لا يتعادل الحلال والحرام، ولا يستوي الحسن والرديء، ولا الصالح والطالح، ولو سرك كثرة الحبيث منه، فالقليل من الحلال النافع، خير من الكثير الحرام الضار. وفي الحديث الصحيح: " ما قل وكفى، خير مما كثر وألهى ". فاتقوا الله وآثروا الطيب على

الْحَبِيثِ وَإِنْ قَلَّ، فَالْحُمُودُ الْقَلِيلُ خَيْرٌ مِنَ الْمَذْمُومِ الْكَثِيرِ، فَأَقْبِلُوا عَلَى مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ يَا أَصْحَابَ الْعُقُولِ الرَّاجِحَةِ وَالْأَفْهَامِ الْمُسْتَنِيرَةِ واقنعوا بها، لتنالوا السَّعَادَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْفَوْزَ فِي الْآخِرَةِ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلَ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ } [المائدة: 101]

101- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ مِّمَّا لَا فَائِدَةَ فِي الْبَحْثِ عَنْهَا، فَإِنَّهُ إِذَا ظَهَرَ لَكُمْ جَوَابُهَا غَمَّكُمْ وَسَاءَكُمْ ذَلِكَ، وَإِذَا سَأَلْتُمْ عَنْهَا فِي زَمَنِ نَزْوِلِ الْوَحْيِ تَظْهَرُ لَكُمْ، وَالْعَاقِلُ لَا يَفْعَلُ مَا يَعْصِيهِ، وَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنَ أَسْئَلَتِكُمْ السَّابِقَةَ بَعْدَ التَّشْدِيدِ عَلَيْكُمْ، فَلَا تَعُودُوا إِلَيْهَا، وَهُوَ سُبْحَانَهُ كَثِيرُ الْمَغْفِرَةِ لِدُنُوبِ عِبَادِهِ، حَلِيمٌ، يُغْضِي عَنَ مَعَاصِيهِمْ وَلَا يِعَاقِبُهُمْ بِمَجْرَدِ ارْتِكَابِهَا، بَلْ يُبَيِّنُ لَهُمْ وَيُهَيِّئُ لَهُمْ حَتَّى يَعْرِفُوا خَطَأَهُمْ وَيَتُوبُوا.

{ قَدْ سَأَلْنَا قَوْمًا مِّن قَبْلِكَ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ } [المائدة: 102]

102- قَدْ سَأَلَ قَوْمٌ قَبْلَكُمْ أَنْبِيَاءَهُمْ مِثْلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، فَأُجِيبُوا عَنْهَا ثُمَّ صَارُوا بِسَبَبِهَا كَافِرِينَ، حَيْثُ لَمْ يَعْمَلُوا بِهَا؛ فَأَهْلِكُوا. كَمَا سَأَلَتْ ثَمُودُ صَالِحًا النَّاقَةَ.

{ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } [المائدة: 103]

103- مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا أَقَرَّ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ: الْبَحِيرَةُ، وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي يُشَقُّ أَذُنُهَا وَيُمْنَعُ دَرُّهَا لِلْأَصْنَامِ. وَالسَّائِبَةُ: يُسَبِّوْنَهَا لِأَهْلِيَّتِهِمْ الْمَزْعُومَةِ فَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ. وَالْوَصِيلَةُ: النَّاقَةُ الَّتِي تَلْدُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ أَنْثَى، تَلِيهَا أَنْثَى أَيْضًا، لَيْسَ بَيْنَهُمَا ذَكَرٌ، تُسَبِّبُ لَطَوَاعِيَّتَهُمْ كَذَلِكَ. وَالْحَامُ: إِذْ قَضَى ضِرَابَهُ، يَعْنِي أَتَى الْإِنَاثَ وَتَنَجَّوْا مِنْهُ عَشْرَةَ أَبْطَنَ، أَوْ عَدَدًا مُبْتَهَمًا، وَدَعَاهُ لِلطَّوَاعِيَّتِ كَذَلِكَ، وَأَعْفُوهُ مِنَ الْحِمْلِ.

فهذا كله أفعالٌ وحالاتٌ مردودةٌ ابتدعتها الجاهليةُ ما شرعها الله، ولكن الكافرين يفعلون هذا ويتقربون به إلى الله، ويقولون: الله أمرنا بذلك، وهم كاذبون مُفترون، وأكثرهم لا يعقلون أن ذلك افتراءٌ باطلٌ، لأنهم قلدوا فيه آباءهم، فهو شأنُ الاتباعِ والتقليدِ الأعمى.

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
أُولَٰئِكَ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } [المائدة: 104]

104 - وإذا قيلَ للمُشركين: تعالوا والتزموا بما أنزلَ اللهُ من أحكامِ في الحلالِ والحرامِ، وإلى الرسولِ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم الذي أنزلتْ عليه هذه الأحكام، لتقفوا على حقيقةِ الحال، وتميزوا الحرامَ من الحلال، أجابوا في عنادٍ وضلالٍ: يكفيننا ما وجدنا عليه آباءنا وأجدادنا، ولا نلتفتُ إلى غيرهم، فمعهم الحقُّ وكفى!

ولكن لماذا يُقلدون آباءهم هكذا بدون تعقلٍ ولا تفكيرٍ؟ فإذا كان الآباءُ جهلةً ضالينَ مثلهم، لا يفهمون الحقَّ ولا يعرفون سبيلَ الاهتداءِ إليه، فكيف يتبعوهم والحالةُ هذه؟

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ
جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [المائدة: 105]

105 - أيُّها المؤمنون، احفظوا أنفسكم وأصلحوها بفعلِ الخيراتِ والابتعادِ عن المعاصي، وابدلوا في ذلك ما قدرتم من جهدٍ وطاقه، ولا يضركم بعد ذلك ضلالُ مَنْ ضلَّ وفسادُ مَنْ فسَدَ من النَّاسِ، إذا عملتم بما أمرتم به وكنتم من المهتدين، ولا يؤاخذكم اللهُ بدُنوبِ غيركم، وإنَّ مرجعكم جميعاً إلى اللهِ يومَ الحسابِ، الضالُّ والمهتدي فيكم، فيخبرُ كلَّ عاملٍ بنوعِ عمله وما يترتبُ عليه من جزاء، إن خيراً أو شراً.

وليس في الآيةِ ما يدلُّ على تركِ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ إذا كان ذلك مُمكنًا، قال ابنُ عمر رضي اللهُ عنه: هذه الآيةُ لأقوامٍ يجيئون من بعدنا، إن قالوا لم يُقبل منهم.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرَرْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ ازْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ } [المائدة: 106]

106- أيُّها المؤمنون: إذا حضر أحدكم الموت، وأوصى بشيء، فإنَّ فيما فُرضَ عليكم أن يشهدَ اثنانٍ منكم بما أوصى، يكونانِ مسلمينِ عادليين.

أو أن يكونَ الشاهدانِ اثنينٍ من غيرِ المسلمين، إذا كنتم مسافرينِ وجاءت مصيبةُ الموتِ فأوصيتم إليهما، أو جعلتموهما شاهدينِ لما أوصيتم به - فهذانِ شرطانِ لقبولِ شهادةٍ غيرِ المسلم: الوصيَّة، والسفر، ولم يكنْ مع الموصي أحدٌ من المسلمين - ثمَّ اتَّهما بعضُ الورثة بالكذبِ والخيانةِ فيما أوصيا به أو دُفعَ إليهما من مال، فاحبسوهما بعدَ الصلاةِ وأوقفوهما للسؤال، وليُقْسِما بالله - وهو سبحانه مُعَظَّمٌ في جميعِ الملل - وليقولوا: نحنُ لا نحلفُ بالله كذباً على عَوْضٍ نأخذُه، أو حقٍّ نَحْدُه، ولو كانَ المشهودُ له ذا قرابةٍ منا فلا نُحايه.

ولا نكتمُ الشهادة، فإذا كتمناها أو حرَّفناها فإننا عاصونَ آثمونَ مُستَحِقُّونَ للعقاب.

ويبدو أنَّ الحلفَ للشاهدينِ الكافرينِ، أمَّا المسلمانِ فلا يُحلفان.

ونقلَ القرطبيُّ في تفسيره عن بعضهم، أنَّ هذه الآياتِ الثلاثُ عندَ أهلِ المعاني من أشكل ما في القرآن: إعراباً، ومعنى، وحكماً!. فليُنظرِ التفصيلُ في مظانِّه.

{ فَإِنْ عَثَرَ عَلَى أَهْمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ } [المائدة: 107]

107- فإن اطلَّعَ على أنَّ الشاهدينِ الوصيَّينِ استوجبا فعلاً ما بخيانتيهما وبخلفيهما كذباً، وظهرَ عليهما ذلكَ وتَحَقَّق، بأنَّ وُجدَ عندهما مثلاً ما اتَّهما به وادَّعيا أنَّهما اشترياهُ من الميِّت، فأخرانِ من أولياءِ الميِّتِ يقومانِ مقامَ الشاهدينِ، ويكونانِ من الذينِ اسْتَحَقَّ لأجلهمُ الإثم، يعني من ورثةِ الميِّت، ويكونانِ الأقربينِ إليه، فيُقْسِمَانِ أنَّ حلفَهُما أحقُّ وأصدقُ من حلفِ

الشَّاهِدَيْنِ السَّابِقَيْنِ، ولم تتجاوزِ الحقَّ في هذا الحَلْفِ، ولم نعتدِ فيه على أحد، فإذا اعتدنا في ذلك ظَلَمنا أنفسنا بتعريضها إلى سَخَطِ اللَّهِ وعِقابه.

{ ذَلِكَ أَذْنِي أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ }
وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ { [المائدة: 108]

108- ذاك الذي شرعناه وحكمنا به، من تحليف الشاهدين غير المسلمين وغير ذلك، هو أقرب إلى أن يؤدي الشهود الشهادة على وجهها؛ خوفاً من العقاب، وهو أقرب إلى أن يخافوا ردَّ اليمين بعد يمينهم على الورثة، فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم، فيحجلوا على رؤوس الأشهاد ويغرّموا، فيكون هذا الحكم زجراً لهم من الحلف كذباً. فاحشوا الله وابتعدوا عن الحلف بالكذب وعن خيانة الأمانة، واسمعوا موعظة ربكم وتخوفه وأطيعوه، وهو سبحانه لا يهدي الخارجين عن طاعته ومخالفة شريعته إلى ما ينفعهم من سبل الخير ويؤدي بهم إلى طريق الجنة، لعدم استعدادهم لقبول ذلك أصلاً.

{ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ }
[المائدة : 109]

109- وعندما يجمع الله المرسلين يوم القيامة يسألهم: بم ردَّ عليكم قومكم في الدنيا عندما دعوتهم إلى طاعتي وأتباع شرعي؟ فيقولون ذاهلين من هول ذلك اليوم، وتأدباً مع الرب جلَّ وعلا: لا علم لنا إلا ما علمتنا، وأنت أعلم به منا، تعلم ما غاب ونحن لا نعلم إلا ما نُشاهد.

{ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِأَذْنِي }

وَإِذْ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ { [المائدة : 110]

110- وقال الله تعالى: يا عبد الله ورسوله عيسى بن مريم، تذكّر إنعامي عليك بما أجريته على يديك من المعجزات الخارقة، وخلقتهك بلا أب لتكون آية على قدرتي وإبداعي، وعلى والدتك التي جعلتهك برهاناً على براءتها مما نسبته المفترون إليها من الفاحشة. وأيدتهك بجبريل يصدقك ويؤازرك.

وجعلتهك نبياً داعياً إلى دينه، وأنطقتهك منذ صغرك، فصرت تكلم الناس وأنت طفل صغير في المهدي، كما تكلمهم وأنت كهلاً تجاوزت الثلاثين.

وتذكّر نعمتي عليك كذلك عندما علمته الكتابة، وآتيته الحكمة لثديك الصواب وتتبعه، وتضع الأمور في مواضعها، وتكون من الحكماء الألباء.

وعلمته التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي نزلناه عليك، وهو تكلمة وإحياء للتوراة.

وتصور من الطين شكل طير، ثم تنفخ فيه، فيطير في السماء، بإذني وتقديري.

وثبرئ الأعمى فيصبح مبصراً.

وتشفي المبتلى بالبرص.

وتدعو الموتى من قبورهم فيقومون بإذن الله وإرادته.

وتذكّر كذلك إنعامي عليك عندما منعت اليهود وصرفتهم عنك حين هموا بقتلك، وقد جئتهم بالآيات البيّنات والمعجزات الواضحات، التي تدل على صدق نبوتك وما أرسلت به، فقال الكافرون منهم: ما هذا الذي جئت به سوى سحر وشعوذة.

{ وَإِذْ أُوحِيتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }

[المائدة: 111]

111- واذكر مما امتن الله به عليك - أيها المسيح - حين أهتمت الحواريين من أصحابك، وهم صَفوهُ بني إسرائيل والخَلصُ منهم، أن آمنوا بي وبرسولي عيسى بن مريم، فقالوا: آمنا واستَجَبنا، واشهَدْ بأننا استسَلَمنا لأمرِك، وأخَلصنا لدينك.

{ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رُبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ }
قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ { [المائدة: 112]

112- ومن إنعام الله عليك خَبِرُ المائدة، فاذكر ما قاله الحواريون لك، وهم خالصة أصحابك: هل يستجيب لك ربك إن سألته أن ينزل علينا سُفْرَةً عليها طعامٌ من السماء؟ فقال لهم عيسى عليه السلام: اتقوا الله ولا تسألوا عن هذا، فقد يكون في ذلك فِتْنَةٌ لكم، إن كنتم موقنين مُخلصين، وقد سَبَقَتْ لكم مُعْجَزَاتٌ كافية...

{ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ } [المائدة: 113]

113- قالوا: ليس سألنا للمُعْجِزَةِ فقط، بل نُحِبُّ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا، وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا بازدياد اليقين إذا شاهدنا رِزْقاً يَنْزِلُ علينا من السماء، وَنَعْلَمَ عن مُشَاهِدَةٍ وِعْيَانٍ أَنَّكَ صَدَقْتَ إيماننا بِبُيُوتِكَ، وَلِنَشْهَدَ أَنَّهَا آيَةٌ صَدَقَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، ودلالةٌ ظاهرةٌ على صِدْقِ نُبُوتِكَ، وَنُخْبِرُ بِذَلِكَ مَنْ لَمْ يَحْضُرِ المائدة.

{ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ } [المائدة: 114]

114- قال عيسى بن مريم عليه السَّلام، داعياً الله في خُشُوعٍ وَتَضَرُّعٍ، بعد أن رأى أن الحواريين أبوا إلا أن يدعو بذلك: اللهم أنزل علينا مائدةً طعامٍ من السماء، نَتَّخِذُ ذَلِكَ اليومَ الذي نَزَلَتْ فِيهِ عِيداً نُعَظِّمُهُ نَحْنُ وَمَنْ بَعَدَنَا، وَتَكُونُ دليلاً وَبُرْهَاناً على قُدْرَتِكَ وعلى

إجابتك دعوتي، فيصّدقون كلامي وما أرسلتُ به، واجعله رزقاً هنيئاً، وأنت خيرٌ من يرزق، فأنت خالق الرزق ومُعطيه.

{ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مَنِّكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ } [المائدة: 115]

115- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي مُنَزَّلُ الْمَائِدَةَ عَلَيْكُمْ، فَمَنْ يُكذِّبْ بِهَا مِنْكُمْ بَعْدَ تَنْزِيلِهَا، فَسَوْفَ أُعَذِّبُهُ بِسَبَبِ كُفْرِهِ بِهَا عَذَابًا شَدِيدًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ النَّاسِ.

واختلفت الآثار في نزول المائدة أو عدم نزولها، فذكر أنّ الحواريين خافوا من العذاب فكفوا عن طلبها فلم تنزل.

وآثار أخرى تذكر نزولها، فكان وعد الله ووعدُهُ صدقاً، وأنّ المكذّبين بها مسخّوا قردةً وخنازير.

وذكر أنّ خبر المائدة لم يرد في الإنجيل، ولو أنّ المائدة نزلت لذكرت فيه، ولبقي ذلك العيد إلى يوم القيامة.. لكن توجد قصة عن المائدة في الأناجيل تُشبه هذه في جوانب منها، أوردتها صاحب "الظلال".

وأكثر المفسرين على أنّها نزلت.

{ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ } [المائدة: 116]

116- ويقول الله تعالى لعيسى بن مريم يوم القيامة تبكيتاً وتقريباً للنصارى: أأنت قلت للناس: اجعلوني وأمّي معبودين لكم من دون الله؟

ويجيب عيسى تنزيهاً وتعظيماً له تعالى: سبحانك أن يكون لك شريك، لا ينبغي ولا يحق لي في وقت من الأوقات أن أقول كلاماً باطلاً لا أساس له من الصحة، وإذا كنت قد قلت

كلاماً مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ فَقَدْ أَحْطَتْ بِهِ وَعَلِمَتْهُ يَا رَبِّ، تَعَلَّمْ مَا أُضْمِرُهُ فِي نَفْسِي فَكَيْفَ بِمَا أَعْلِنُهُ؟ وَلَا أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ أَمْرِكَ وَمَا تُخْفِيهِ، وَأَنْتَ تَعَلَّمْ مَا كَانَ فِي الْمَاضِي وَمَا يَكُونُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

{ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } [المائدة: 117]

117- ما قلت للناس إلا ما أمرتني بإبلاغه: أن توجَّهوا بالعبادة إلى الله وحده ولا تُشركوا به شيئاً، فهو ربي وربكم، وكنت مُشاهداً لأحوالهم من إيمانٍ وكُفر، وأعظهم ليعملوا بموجب أمرِك، ولما قبضتني ورفعتنني إلى السماء، كنت أنت الحفيظُ المراقبُ عليهم، وأنت العالمُ المطلِّعُ على قولي لهم وما قالوا هم بعدي وغير ذلك.

{ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُعْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [المائدة: 118]

118- فإذا عدَّبتهم فلا اعتراض على حكمك، فأنت المالكُ المطلق، المتصرفُ فيهم كيف شئت، وهم عبادك في أسرٍ مُلكك ويستحقون ذلك، لأنهم خالفوا أمرِك، وإذا غفرت لهم فليس عن عجزٍ منك على تعذيبهم، فأنت القويُّ القادرُ على الثوابِ والعقاب، الذي لا يُثيبُ ولا يعاقبُ إلا عن حكمةٍ وصوابٍ. وأنت الفعَّالُ لما تشاء، لا تُسألُ عمَّا تفعلُ وهم يُسألون.

{ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [المائدة: 119]

119- قال الله تعالى يومَ يجمعُ الرُّسلُ: في هذا اليوم يُفِيدُ إيمانُ مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا صادقاً في إيمانه وتوحيده، لهم جزاءُ إيمانهم وصدقهم جناتٍ عاليات، تجري من خلالِ أشجارها وفي أسافلها أنهارُ العسلِ واللبنِ وأنواعِ الأشربة، مُقيمين فيها أبداً، لا يزولون عنها ولا يتحولون،

وَيُفِيضُ اللَّهُ عَلَيْهِم رِضْوَانَهُ الَّذِي لَا غَايَةَ وَرَاءَهُ، وَيَرْضَوْنَ هَمَّ، فَلَا شَيْءَ أَعَزُّ مِنْ رِضْوَانِهِ
سُبْحَانَهُ، وَهُوَ الْقَوِيُّ وَالْفَلَّاحُ الَّذِي لَا أَعْظَمَ مِنْهُ وَلَا يُدَانِيهِ مَطْلَبٌ.

{لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المائدة: 120]

120- كلُّ ما في السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وما بينهما مُلْكُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ،
وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، بَلْ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ مُنْقَادَةٌ لِمَشِئَتِهِ وَمَسْحَرَةٌ بِأَمْرِهِ.

سورة الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } [الأنعام: 1]

1- الشكر لله والثناء الطيب على ربنا، الذي خلق السماوات والأرض، الدالة على كمال قدرته وسعة علمه وعظمته في خلقه وتدييره، الذي جعل الظلمات والنور منفعة لعباده في ليالهم ونهارهم. ومع الأدلة الواضحة، والمخلوقات العظيمة الميثوقة في الكون، التي تدل على وجود الله ووحدانيته، فإن الكافرين يميلون عن الحق، ويشركون في العبادة معه أجساماً وأرواحاً هي من مخلوقاته.

{ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجْلاً وَأَجْلاً مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ مَمْرُؤُونَ } [الأنعام: 2]

2- هو الله الذي ابتداء خلقكم من طين، ثم قدر عليكم أجل الموت، وأجل آخر ينتظركم هو يوم القيامة، استقل الله بعلمه ووقت حلوله، فلا يعلمه إلا هو، وبعد كل هذا تشكون في البعث وتجحدونه، غير متدبرين قدرة الخالق وما خلق؟

{ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ } [الأنعام: 3]

3- هو الله المعبود في السماوات وفي الأرض، وهو المالك المتصرف فيهما، الكل خاضع لعظمته، مستكين لعزته وجلاله، يعلم ما تخفون وما تظهرون من أقوال وأفعال، وما تعملون من خيرٍ وشرٍ.

{ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ } [الأنعام: 4]

4- وما نُزِّلَ آيَةً عَلَى الْمَشْرِكِينَ الْمُعَانِدِينَ، أَوْ تُرِيهِمْ مُعْجِزَةً تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَصِدْقِ رَسُولِهِ، إِلَّا صَدُّوا عَنْهَا وَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ.

{ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } [الأنعام: 5]

5- فقد كذبوا بالقرآن وأعرضوا عنه لما جاءهم آية آية، وسوف يرون عواقب ما كذبوا به ووبال استهزائهم ولا مبالاتهم، وسيعلمون من بعد أنه الحق من ربهم.

{ أَمْ يَرَوْنَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنُوا لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ } [الأنعام: 6]

6- ألا يعتبر الكافرون من تاريخ من سبقهم، فينظروا كم أهلكننا من أمة قبلهم، وقد أعطيناهم من القوة والمال والأولاد وطول العمر والتمكين من العيش وسبل الحضارة ما لم تمكن لكم ذلك، وأغدقنا عليهم الأمطار، وفجرنا لهم العيون والأنهار تجري في خلال مساكنهم، فكانوا في خصب ورفاهية، ولكنهم كفروا ولم يشكروا النعمة، وردوا الرسل وسخروا من معجزاتهم، وبطروا واغترؤوا، وظنوا أن ملكهم لا يبلى، وأهم الأقوى، فأهلكناهم بذنوبهم التي اقترفوها، ولم نبق منهم أحداً، وأوجدنا بعد إهلاكهم جيلاً آخر بدلاً منهم، فاحذروا أن يُصيبكم ما أصابهم، وما أنتم بأعز على الله منهم.

{ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ } [الأنعام: 7]

7- إِنْهُمْ كَفَّارٌ مُّكَابِرُونَ معاندون، ولو أننا نزلنا عليك من السماء كتاباً في ورقٍ ونظروا إليها بأعينهم، ولمسوها بأيديهم، ورأوها تنزل عياناً، لأنكروا كل هذه الدلائل المادية المحسوسة التي تُسلّم بنزول هذا الكتاب، وقالوا: لا شك أن هذا سحرٌ واضحٌ بَيِّن، وليس هو بكتابٍ حقيقيٍّ!

{ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ } [الأنعام: 8]

8- وقال الكافرون أيضاً في عنادٍ واستكبار، لا بقصد الإيمان: هلاً أنزل على هذا الرسول ملكٌ من الملائكة يُخبرهم أنه رسولٌ من ربِّه؟ وهم يقصدون الملك بصورته الحقيقية، وهذا ما لا يمكن. ولو أنزلنا ملكاً كما هو، لتَمَّ أمرٌ إهلاكهم، بسبب هول منظره، مع ضعف ما هم فيه من القوة. ثم لا يمهلون بعد إنزاله ومشاهدته لیسلموا بالأمر أو يتوبوا، لأن الموت يكون قد سبقهم.

ومن وجهٍ آخر: إذا أنزل الله الملك ولم يؤمنوا أهلكتهم، ولم يُنزلهُ تعالى لئلا يستحجوا هذا العذاب.

{ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ } [الأنعام: 9]

9- ولو بعثنا إليهم أحد الملائكة، ليكون نبياً مرسلًا إليهم، أو مُصدّقاً للنبي المرسل إليهم، لجعلناه في صورة رجلٍ آدميٍّ على شاكلتهم؛ لئنتفع به بما يناسبهم، ولو كان في صورته الأصلية كما كان بالإمكان النظر إليه أصلاً، ولو جعل في صورة رجلٍ لالتبس عليهم الأمر وقالوا: ما هذا إلا بشر، وليس ملكاً، ثم يقولون في الرسالة ما يقولون في رسالة الرسول البشري.

{ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ }

[الأنعام: 10]

10- لقد سبق لأمثال هؤلاء الكفار أن استهزؤوا وهكّموا برسُلٍ من قبلك كما استهزئ بك أيها النبي، فأحاط بالمستهزئين منهم عقوبة استهزائهم بأنبيائهم، التي كانوا يسخرون منها ولا يُصدّقونها.

{ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ } [الأنعام: 11]

11- قل أيها النبي لهؤلاء المكذبين المستهزئين: امشوا في الأرضِ مُفَكِّرِينَ مُعَبِّرِينَ مِنْ آثَارِ السَّابِقِينَ وحوادثهم وقصصهم، وما حلّ بالمكذبين منهم من عقوبة جزاء كفرهم وسخريتهم من أنبيائهم، مع ما ينتظرهم في الآخرة من عذاب.

{ قُلْ لَمَنْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } [الأنعام: 12]

12- قل لهم أيضاً تذكيراً وتأنيباً: لمن الأرض وما فيها من كائنات: خلقاً ومُلكاً وتصرفاً؟ قل لهم: إنكم إذا فكرتم وتدبرتم لنطقت فطرئكم وأدى بكم عقلكم إلى الاعتراف بالحق وعدم إنكاره، وأنّ كلّ هذا الكون لله وحده.

وقد قضى الله سبحانه على نفسه المقدسة بأن يرحم العباد، ولا يُعجل عقوبتهم، وأن يقبل توبتهم، إحساناً وتفضلاً منه، وسوف يجمعكم جميعاً ليوم لا شك فيه، هو يوم الحساب، ويوم الثواب والعقاب، والخائبون الذين خسروا أنفسهم في ذلك اليوم هم الجاحدون المستهزؤون برسالات ربهم في الحياة الدنيا، المصرون على الكفر، المستكبرون عن قبول الحق، الذين لا يُصدّقون بالمعاد، ولا يخافون سوء ذلك اليوم وهوله.

{ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [الأنعام: 13]

13- وله سبحانه كل ما استقر من كائن، في السماوات والأرض، بالليل والنهار، فالجميع عباده، تحت تدبيره وسلطانه، وهو السميع لأقوالهم وأصواتهم، العليم بحركاتهم وأسرارهم.

{ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتِّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ
أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [الأنعام: 14]

14- قل لهم أيها الرسول الكريم: لا اتَّخِذْ غيرَ الله مَعْبُوداً وَنَاصِراً وَمُعِيناً، سُبْحَانَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ، خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُبْدِعِهِمَا، وَهُوَ يَرْزُقُ وَلَا يُرْزَقُ، يَرْزُقُ الْكَائِنَاتِ كُلَّهَا، وَهُوَ
غَيْرُ مَحْتَاجٍ إِلَيْهَا.

قل لهم كذلك: لقد أُمِرْتُ مِنْ قَبْلِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ،
مُتَوَجِّهاً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، مُخْلِصاً لَهُ دِينِي.

وقيل لي: ولا تكوننَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي أَمْرِ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ.

{ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } [الأنعام: 15]

15- قل لهم في خَوْفٍ وَتَضَرُّعٍ إِلَى رَبِّكَ: إِنِّي أَخَافُ رَبِّي وَأَخْشَاهُ إِذَا عَبَدْتُ غَيْرَهُ، وَخَالَفْتُ
أَمْرَهُ وَهَيْبَتَهُ، أَنْ أَعَذَّبَ عَذَاباً عَظِيماً فِي يَوْمٍ عَظِيمٍ، هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

وهو صلى الله عليه وسلم معصومٌ من هذا، لكنَّه تَذَكِيرٌ وَوَعِيدٌ لِلنَّاسِ بِغَضَبِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ لِمَنْ
كَفَرَ وَعَصَى.

{ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ } [الأنعام: 16]

16- وَمَنْ صَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ الْعَذَابَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ، فَقَدْ رَحِمَهُ رَحِمَةً كَبِيرَةً، وَذَلِكَ هُوَ
النَّجَاهُ وَالْفَلَاحُ، وَالْفَوْزُ بِالسَّعَادَةِ الدَّائِمَةِ، فِي جَنَّةِ اللَّهِ الْخَالِدَةِ.

{ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ } [الأنعام: 17]

17- وإذا أصابك الله ببلية، كمرضٍ وغرق، فلا يُفَرِّجْهَا عَنْكَ غَيْرُهُ، وإذا أصابك بعافيةٍ ونعمة، كصحّةٍ وغنى، فلا رادّ لفضله، ولا يقدرُ أحدٌ على أنْ يُمْسِكَ خَيْرُهُ عَنْكَ، فهو القادرُ على كلِّ شيءٍ، من الخيرِ والشرِّ، والضّرِّ والنّفع.

{ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } [الأنعام: 18]

18- وهو القاهرُ الذي خَضَعَتْ لَهُ الرّقاب، الغالبُ الذي ذلّتْ لَهُ الجبابرة، القادرُ الذي عَنَتْ لَهُ الوجوه. وهو الحكيمُ في تدبيرِ الأشياء، المحسنُ في تقديريها، والعالمُ بأسرارِ عبادِهِ، الخبيرُ بما دقّ مِنْ أحوالهم.

{ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ } [الأنعام: 19]

19- وإذا عاندك المشركونَ وازدادوا استكباراً وإنكاراً لرسالتك، فقلْ لهم يا نبيّ الله: ما هوَ أعظمُ الأشياءِ شهادةً وأصدقها؟ فقلْ لهم أنت: إنّ أعظمها وأجلّها وأصدقها هوَ شهادةُ الله، فهو العالمُ بما جئتكم به، وهو الذي يشهدُ لي بالحق، ولكم بالباطل، وقد أُوحِيَ إِلَيَّ هذا القرآنُ المعجزُ من قبله تعالى، الذي يشهدُ بصحّةِ رسالتي إليكم، لأُنذِرَكُمْ بما فيه من الوعيد، أنتم ومن بلّغهُ القرآنُ من الثقلينِ حتّى يومَ القيامة.

أتشهدونَ أيّها المشركونَ أنّ هناك مع الله آلهةً أُخرى؟ قلْ لهم: لا أشهدُ بهذا ولو شهدتمُ به، فإنّه باطلٌ لا حقّ فيه ولا دليلَ عليه.

وقلْ لهم مُقرّاً بالتوحيدِ والألوهيّةِ لله، مُعلّماً إياهم ذلك: إنّما الله إلهٌ واحد، لا شريكَ له ولا ندّ، ولا أهلَ له ولا كُفء، ولا معبودَ بحقِّ سواه، وبذلك أشهد، وأنا بريءٌ من إشراككم وما تعبّدون.

{ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } [الأنعام: 20]

20- إِنَّ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، يَعْرِفُونَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ. ومعرفة الابنِ مَثَلُ يُضْرَبُ بِهِ لِلْيَقِينِ، فلا يُشَكُّ فِي ذَلِكَ الْبَتَّةَ. وذلك أَنَّ الرُّسُلَ كُلَّهُمْ بَشَرُوا بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَبِعَيْتِهِ، وبأحواله وأُمَّتِهِ، والَّذِينَ خَابُوا وَخَسِرُوا أَنفُسَهُمْ كُلَّ الْخَسَارَةِ، هُمُ الْمُشْرِكُونَ وَأَهْلُ الْكِتَابِ، الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِمَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ مَعْرُوفٌ، بَشَّرَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، وَعَرَفْتُهُ الْأُمَّمُ مِنْذُ الْقِدَمِ.

{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ } [الأنعام: 21]

21- وليس هناك أظلم ولا أكذب من الذي تقوَّلَ على الله فادَّعى أَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وليسَ هُوَ كَذَلِكَ، وَمَنْ ادَّعى أَنَّ لَهُ شَرِيكًا وَهُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، أَوْ كَذَّبَ بِالْمُعْجَزَاتِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، الدَّالَّةِ عَلَى صِحَّةِ رِسَالَتِهِ وَقَالَ إِنَّهَا سِحْرٌ، أَوْ كَذَّبَ بِالْقُرْآنِ وَقَالَ إِنَّهُ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ. وَلَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ مِنَ الْمَفْتَرِينَ وَالْمُكذِّبِينَ أَبَدًا، وَسَيُظْهِرُ كَذِبَهُمْ وَبَاطِلَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَتَفْتَحُ لَهُمْ جَهَنَّمَ أَبْوَابَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

{ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } [الأنعام: 22]

22- وَنَحْشُرُ الْكَافِرِينَ وَأَهْلَتَهُمْ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَسْأَلُهُمْ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ: أَيْنَ الْأَصْنَامُ الَّتِي كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهَا وَتَزْعُمُونَ أَنَّهَا آلِهَةٌ مَعَ اللَّهِ؟

{ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنُّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } [الأنعام: 23]

23- ثمّ لما رأوا ما هم مُقدّمون عليه، ولا بدّ لهم من أن يُجيئوا على ما اختبروا به، قدّموا معذرتهم مُتبرِّرين من شركهم، بقولهم: والله يا ربّنا لم نُشرك بك شيئاً! قالوا هذا بعد أن رأوا أنّه لا يدخل الجنّة سوى أهل التوحيد، فنقوا ما كانوا قائمين عليه في الدنيا. ويوم القيامة طویل، تكون فيه حالات، هذه إحداها.

{ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } [الأَنْعَامُ: 24]

24- فانظر كيف كذبوا على أنفسهم باعتذارهم الباطل وتبرّتهم من الشّرك، وقد زالت عنهم أوثانهم، فلم تُعن عنهم من الله شيئاً، لا في الدنيا، ولا في الآخرة، وقد كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها، فبطل كلّ في ذلك اليوم، بل كانت وبالاً عليهم وعذاباً.

{ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } [الأَنْعَامُ: 25]

25- ومن المشركين من يأتي إليك ويصغي إلى قراءتك، ولكن بعقل غير واع وقلب عار عن الفهم، فقد أنشأنا على قلوبهم أغطيةً لئلا يفهموا القرآن، وفي آذانهم صمماً وثقلاً عن السّماع النافع، وذلك لجهلهم بأمر النبي صلى الله عليه وسلّم ومكانته، وبعدهم عن شأن الرّسالة وعظمتها. وإذا شاهدوا مُعجزات وآيات دالّة على صدقه عليه الصّلاة والسلام، لم يؤمنوا بها، لفرط عنادهم وتقليدِهم آباءهم جهلاً وضلالاً، حتّى إذا جاءوا إليك وخاصموك وناظروك في الحقّ، قال مجادلوك، الكافرون برسالة الله إليك، في تكذيبٍ ومكابرة: ما هذا الذي جئت به ونُحَدِّثنا منه سوى أحاديث وأقاصيص، وتُرّهات وأباطيل لا يُعوّل عليها، مأخوذة من كتب الأوائل.

{ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } [الأَنْعَامُ: 26]

26- وهؤلاء الكفار ينهون الناس عن الاستماع إلى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه، ويتباعدون عنه، تأكيداً لنهيهم وإظهاراً لنفورهم منه، وما يُهلكون بهذا الصنيع سوى أنفسهم، فقد باؤوا بآثامهم وآثام من منعوهم من الإيمان، وعاد وبال فعلهم وضلالهم عليهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في أبي طالب، كان ينهى المشركين أن يؤذوا محمداً صلى الله عليه وسلم، ويتأى عما جاء به.

{ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } [الأنعام: 27]

27- ولو نظرت إليهم حينما يُعاینون نار جهنم وما فيها من أنواع العذاب والأهوال، فعند ذلك يقولون، وقد عرفوا ذنبهم ومصيرهم: يا ليتنا نرجع إلى الدنيا ولا نُكذِّبُ بالقرآن ولا نقول إنَّه أساطيرُ الأولين، بل نؤمنُ ونعملُ صالحاً كما يرضى ربُّنا.

{ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } [الأنعام: 28]

28- وليس الأمر كما قالوا، من عزمهم على التصديق بالآيات وتشوقهم إلى الإيمان إذا عادوا إلى الدنيا، بل قالوا ذلك خوفاً من العذاب، وقد ظهر لهم ما كانوا يُسِرُّونه من إنكار تحقُّق يوم القيامة وعدم الإيمان بثبوت النار والحساب. أو أن المقصود هو ما كانوا يُسِرُّونه من الإيمان بصدق رسالة الرسول ولكنهم كانوا يُخفُّونه عن أتباعهم، هكذا جهلاً وعناداً وحفاظاً على الزعامة. ولو أنهم رجَعوا إلى الدنيا لعادوا إلى حالهم من الكفر والتكذيب والمعاندة، فهم كاذبون في قولهم: { يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } [سورة الأنعام: 27].

{ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ } [الأنعام: 29]

29- وقال الكافرون المكذبون: إِنَّ الحَيَاةَ الَّتِي نَعِيشُهَا فِي الدُّنْيَا هِيَ هَذِهِ فَقَطْ، وَلَا حَيَاةَ غَيْرُهَا، وَلَا قِيَامَةَ لَنَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

{ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } [الأنعام: 30]

30- ولو نظرت إليهم وقد أوقفوا بين يدي ربهم للحساب، وقال لهم: أليس المعاد والعذاب حقاً، وليس باطلاً كما كنتم تزعمون؟ فقالوا في ذل وانكسار، وغم وخوف: بلى، هو حق والله ربنا. وهذا أحدُ المواقفِ الكثيرةِ يومَ القيامةِ. قال لهم ربهم: فذوقوا اليومَ مسَّ العذابِ الذي كنتم تكفرونَ به وتُنكرونه.

{ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ } [الأنعام: 31]

31- لقد خسروا أنفسهم، هؤلاء الذين كفروا بيوم الحساب، وخابوا وندموا، حتى إذا دقت عليهم ساعة يوم القيامة فجأة، قالوا وقد علموا ما قدموا من سوء الفعل: ما أشد ندامتنا على ما قصّرنا وضيعنا من أعمال الطاعة في الحياة الدنيا، وهم يحملون آثامهم وخطاياهم على ظهورهم⁽³³⁾، ألا ما أسوأ وما أثقل ما يحملون.

(33) ذكر الظهور كذكر الأيدي في قوله تعالى: {فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [سورة الشورى: 30]، فإن المعتاد حمل الأثقال على الظهر، كما أن المؤلف هو الكسب بالأيدي. (روح البيان).

{ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } [الأنعام: 32]

32- وما الحياة الدنيا - في غالبها - إلا كاللعبِ واللَّهوِ في عَدَمِ النَّفْعِ والثَّباتِ، فلا يشتغلُ العاقلُ بما هوَ باطلٌ وغرورٌ ولا بقاءَ له، فهوَ سريعُ الزَّوالِ، قليلُ الانتِفَاعِ به، والدَّارُ الآخِرَةُ وما يتعلَّقُ بها منْ ثوابٍ ونعيمٍ، وخُلُودٍ ورضوانٍ منْ الله، خيرٌ وأَعْظَمُ منْ ذلكِ المتاعِ القليلِ، للَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَنِ الْكُفْرِ والعِنَادِ، وَيَفْتَحُونَ قُلُوبَهُمْ لِلْحَقِّ والإيمانِ، أَفَلَا تَفْقَهُونَ ذَلِكَ لِتَتَّبِعُوا عَمَّا هَمَى اللهُ عَنْهُ، وَتُقْبِلُوا عَلَى مَا رَغَبْتُمْ فِيهِ وَحَتَّكُمْ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَنَفَعَةٌ لَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ؟!

{ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } [الأنعام: 33]

33- لقد عَلِمْنَا بما يَعْتَرِكُ مِنْ حُزْنٍ وَغَمٍّ بِسَبَبِ مَخَالَفَةِ قَوْمِكَ لَكَ وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ، وَهُمْ لَا يَتَّهَمُونَ شَخْصَكَ بِالْكَذِبِ، فليستِ العداوَةُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ متعلِّقَةً بِأُمُورٍ شَخْصِيَّةٍ، وَلَكِنَّهُمْ ظالمُونَ مُعتَدُونَ، يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ التي توحى إِلَيْكَ. وقد نزلت في أبي جهل، الذي قال لرسولِ الله صلى الله عليه وسلّم: إنا لا نُكذِّبُكَ، ولكنْ نُكذِّبُ ما جئت به!

{ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ } [الأنعام: 34]

34- ولست أَوَّلَ رَسولٍ يُكذَّبُ مِنْ قَبْلِ قَوْمِهِ، فَقَدْ سَبَقَكَ رُسُلٌ كُذِّبُوا فَصَبَرُوا عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ لَهُمْ، وَثَبَّتُوا وَبَلَّغُوا رِسالَاتِ رَبِّهِمْ، وَأُوذُوا نَتِيجَةَ ذَلِكَ حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ، وَلَا ناقِضَ لِمَا حَكَمَ بِهِ اللهُ مِنْ نَصْرِ أَنْبيائِهِ عَلَىٰ أعدائِهِمْ، وَقَدْ عرفتَ مِنْ خَبَرِهِمْ كيفَ مُنَحِوا النَصَرَ بِتأييدهِ وَقوَّتِهِ، فَتأسَّ بِهِمْ واصرَبْ كما صبرَ أُولو العزمِ مِنَ الرُّسُلِ، فلكَ فِيهِمْ أَسوَةٌ، وَبِهِمْ قُدوَةٌ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ نَصْرُ اللهِ الموعودِ.

{ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ }
[الأنعام: 35]

35- وإذا شقَّ عليك إعراضهم وعظَّم عليك مخالفتهم بما جئت به من القرآن، فإنَّ قَدَرْتَ وهيئاً لك أن تطلب سرباً في الأرض، أو درجاً ومرقاهً في السماء فتصعد فيه، فتأتيهم منهما بآية أفضل مما آتيناهم به ليؤمنوا، فافعل. - وكان عليه الصلاة والسلام حريصاً أن يُتابعه جميع الناس - ولو شاء الله أن يجمعهم على الهدى والإيمان لَفَعَلَ، ولكنهم لا يُجِبُونَ ذلك، ولا يُريدون أن يسمِعوا كلامك، ولا أن يتوجهوا إلى الخير، فلا تكن بهذا الحرص الشديد على إسلامهم، ولا تجزع في مواطن الصبر، ولا تكوننَّ من الجاهلين بذلك.

{ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ } [الأنعام: 36]

36- إنما يستجيب لك ويقبل منك دعوتك من استمع إليك بوعي وفهم وتدبر. أما الكفار الجاهلة موتى القلوب، فسوف يبعثهم الله من قبورهم إلى المحشر، ليكون مرجعهم إلى الله، ويُعدَّهم بأعمالهم.

{ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } [الأنعام: 37]

37- وقال المشركون في تعنتٍ وضلالٍ دون أن يقتنعوا بآياتٍ سابقةٍ رأوها من الرسول صلى الله عليه وسلم: هلا أنزلت عليه آية خارقة تكون دليلاً على نبوته؟

فقل لهم يا نبي الله: إنَّ الله قادرٌ على أن يُنزلَ آية خارقة كما أنزلها من قبل على أنبياء سابقين، ولا يُعجزه شيءٌ من ذلك وهو خالق الكون، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أسباب الإمهال والتأخير، فلو أنه سبحانه أنزلها وفق ما طلبوا ثم لم يؤمنوا لعاجلهم بالعقوبة، كما

فَعَلَ بِالْأُمَّمِ السَّابِقَةَ. { وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ } [سورة الإسراء: 59].

{ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ } [الأنعام: 38]

38- وما من كائن حي في الأرض، أو طائر يطير بجناحيه في الجو، إلا خلق وأصناف مختلفة أمثالكم، في أحوالهم وأرزاقهم وتدابيرهم، ما أغفلنا ولا تركنا شيئاً مهماً، بل كل شيء مسجل ومحفوظ في كتاب عند الله، هو اللوح المحفوظ. ثم يحشر الخلق كلهم إلى الله يوم القيامة. ويبلغ من عدل الله أن يأخذ للحمائم من القرناء، ثم يقول: كوني ثراباً. والكلام الأخير من قول أبي هريرة رضي الله عنه باختصار في تفسير الآية، رواه الحاكم وصححه.

{ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الأنعام: 39]

39- والكافرون الذين كذبوا بالقرآن وسائر الأدلة الواضحات، مثلهم في قلة علمهم وعدم فهمهم، كالصم الذين لا يسمعون، والبكم الذين لا يتكلمون، وهم مع ذلك في ظلام لا يُصرون، فلا يسمعون الآيات سماع المتفهم المتدبر، ولا يقدرُونَ على التطق بالحق، لا يجذِبهم إلى التقليد الأعمى وعدم تجاوزهم مع العقل السوي والفكر السليم، فهم في ظلمات الكفر والجهل والعناد ما كثون، وهو سبحانه المتصرف في خلقه، فمن وجد استعداداً مائلاً إلى الكفر والضلال أضله، ومن وجد فيه خيراً وقابلية لقبول الحق والتجاوب مع الإيمان أرشده إلى الطريق الصحيح.

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }
[الأنعام: 40]

40- وَقُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ لِلْكَافِرِينَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ وَأَعْمَالِكُمُ السَّيِّئَةِ، أَوْ جَاءَتْكُمْ السَّاعَةُ بِهَوْلِهَا وَحَسَابِهَا وَعَذَابِهَا، فَهَلْ تَدْعُونَ غَيْرَ اللَّهِ لِكُشْفِ هَذَا الْكَرْبِ عَنْكُمْ؟ وَأَيْنَ يَبْقَى صِدْقُكُمْ فِي اتِّخَاذِ الْأَصْنَامِ آلِهَةً؟!

{ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ } [الأنعام: 41]

41- بَلْ تَدْعُونَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي وَقْتِ الشَّدَائِدِ وَالضَّرُورَاتِ، وَلَا تَدْعُونَ أَحَدًا سِوَاهُ، فَيَدْفَعُ عَنْكُمْ الضَّرَّ، وَيُرِيْلُ عَنْكُمْ الْكَرْبَ إِذَا شَاءَ، وَتَتْرَكُونَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ بِهِ مَعَ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ، وَلَا تَدْعُوهَا يَوْمَ شَدَّتْكُمْ.

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ } [الأنعام: 42]

42- وَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَى أُمَّمٍ كَثِيرِينَ قَبْلَكَ، فَكَذَّبُوهُمْ، فَعَاقَبْنَاهُمْ بِالْمَحْطِ وَالضِّيْقِ فِي الْعَيْشِ، وَالْأَمْرَاضِ وَالْآلَامِ وَنَقْصِ الْأَنْفُسِ، لَكِي يَتَضَرَّعُوا إِلَيَّ وَيَدْعُونِي وَيَتُوبُوا مِنْ كُفْرِهِمْ.

{ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأنعام: 43]

43- فَهَلَّا لَمَّا نَزَلَ بِهِمْ ابْتِلَاؤُنَا تَدَلَّلُوا وَتَضَرَّعُوا إِلَيْنَا؟ وَلَكِنَّهُمْ أَبَوْا ذَلِكَ وَبَقُوا عَلَى عِنَادِهِمْ وَقَسَاوَةِ قُلُوبِهِمْ وَجُمُودِ عُقُولِهِمْ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَسَوَّلَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنْ مَا أَصَابَهُمْ لَيْسَ بِسَبَبِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي.

{ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَعْتَةً فِإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ } [الأنعام: 44]

44- فلما أعرضوا عما ذكّرناهم به، ونسوا ما وعظوا به، وخالفوا ما أمروا به من قبل رسلهم، وانهمكوا في معاصيهم، حقّ عليهم العذاب، وحان وقت العقاب، فأعطيناهم من الدنيا ما يشتهون، وجعلناهم في نعمة ورحاء، بدل الشدة والبلاء؛ مكرماً بهم واستدراجاً لهم. حتى إذا اتحموا وبطروا بما عندهم من أموالٍ وأرزاقٍ ونعم، ولم يقوموا بحقّها، عاقبناهم فجأة، وأنزلنا بهم العذاب وهم غافلون، وكانوا في قِمة فرحهم وسكرتهم، ليكون العذاب أوقع فيهم وأوجع، فإذا هم آيسون من النجاة والرحمة، أدلة خاضعون، ساكتون مكتئبون.

{ فَطُغِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الأنعام: 45]

45- لقد أعطوا من الدنيا ما يريدون، ثم أخذوا بما كانوا يعملون، فاستؤصلوا بالعذاب عن آخرهم، ولم يبق منهم أحد. والحمد والشكر لله رب العالمين، الذي أجرى عليهم هذا الهلاك، وخلّص الناس من شرورهم وظلمهم وأفكارهم المنحرفة. والمسلم يحمد الله على كفايته شرّ الظالمين.

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِمُ مَّ هُمْ يَصْنَعُونَ } [الأنعام: 46]

46- قل أيها النبيّ للمشركين المكذّبين: أرايتم لو سلب الله سمعكم فكنتم صمّاً، وسلب أبصاركم فكنتم عمياً، وغطّى على قلوبكم فلم تعرفوا من أمور الدنيا شيئاً، فهو الذي خلقها فيكم، وقادر أن يأخذها منكم، فمن إله غيره يأتيكم بذلك كله؟ انظر كيف نبين لهم الأدلة ونكرّرها لتكون منقداً لهم إلى التفكير والإيمان، ومع ذلك فهم يعرضون عنها ويكذبون بها!

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ }
[الأنعام: 47]

47- وقل لهم مُذَكَّرًا إِيَّاهُمْ فِي آخِرِ مَا يَوْعِظُ بِهِ النَّاسَ، قَبْلَ أَنْ لَا يُفِيدَهُمْ وَعِظٌ وَلَا تَذْكَيرٌ: أَرَأَيْتُمْ إِذَا حَلَّ بِكُمْ عَذَابُ اللَّهِ وَنَقَمْتُهُ فَجَاءَهُ مِنْ غَيْرِ مُقَدِّمَاتٍ، فَدَاهَمَكُمْ وَأَخَذَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، أَوْ مُعَايِنَةً وَأَنْتُمْ تَرَوْنَهُ يَنْزِلُ بِكُمْ، لَيْلًا أَوْ نَهَارًا، وَلَا قُدْرَةَ لَكُمْ عَلَى إِنْقَاذِ أَنْفُسِكُمْ مِنْهُ، لِأَنَّهُ يُحِيطُ بِكُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، أَلَيْسَ الْهَلَاكُ وَالتَّكَالُ يَكُونُ عَلَى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ الْمَكْذِبِينَ أَمْثَالِكُمْ؟

{ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [الأنعام: 48]

48- وَلَيْسَ الْمَدْفُ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ إِلَى النَّاسِ إِلَّا أَنْ يُبَشِّرُوهُمْ بِالْخَيْرِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ لِمَنْ أَطَاعَهُ، وَيُنذِرُوهُمْ وَيَخَوِّفُوهُمْ بِالْعِقَابِ وَالْعَذَابِ لِمَنْ عَصَى وَأَبَى. فَمَنْ آمَنَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ وَعَمِلَ صَالِحًا مُوَافِقًا لِلشَّرِيعَةِ، فَلَهُمُ الْأَمَانُ يَوْمَ الْجَزَاءِ عِنْدَمَا يَخَافُ الْكُفْرَةَ الْجَاهِدُونَ، وَلَا يُصِيبُهُمُ الْهَمُّ وَالْغَمُّ كَمَا يُصِيبُهُمْ.

{ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } [الأنعام: 49]

49- وَالْمَكْذِبُونَ بِالْآيَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الَّتِي بَلَّغَهَا الرُّسُلُ، تَبَشِيرًا وَإِنذَارًا، يُصِيبُهُمْ حَظُّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، بِسَبَبِ خُرُوجِهِمْ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ.

{ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِيَّيَّيْ مَلِكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ } [الأنعام: 50]

50- قُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ، وَهُمْ يَقْتَرِحُونَ مِنَ الْآيَاتِ مَا يَقْتَرِحُونَ: إِنِّي لَا أَمْلِكُ خَزَائِنَ رَبِّي، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى التَّصَرُّفِ فِيهَا كَمَا أَشَاءُ، وَلَا أَنْ أَرْزُقَكُمْ مِنْهَا مَا تُرِيدُونَ،

ولا أقول لكم إني أعلم الغيب فأخبركم بما غاب مما مضى وبما سيكون، ولا أعلم من ذلك سوى ما أطلعني الله عليه، ولا أدعي أنني من الملائكة، بل واحد من البشر أنعم الله عليّ بالوحي لأنذركم به. ولا أخرج عما يوحي إليّ، فما أفعله بتوجيه من الله وتسيير منه.

قل لهم: هل يستوي الضال الذي لا يدري كيف يسير، والمهتدي الذي يمشي على نور من ربه ويعرف طريق الحق؟ إلهما لا يستويان، أفلا تتفهمون ذلك لترجعوا إلى الحق؟

{ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وِلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ } [الأنعام: 51]

51- وأنذر وعظ بهذا القرآن من يؤمن بيوم القيامة، الذين يخافون حساب ربهم، يرجون ثوابه ويخافون عقابه، ليس لهم ولي ينصرهم ولا شفيع يتوسلون به سوى الله، ليتقوا ربهم بهذا التذكير.

{ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ } [الأنعام: 52]

52- ولا تُبعد عنك المؤمنين الذين يعبدون ربهم ويذكرونه ويسألونه صباح مساء، يتبعون بذلك وجهه الكريم، في إخلاص تام، لا رياء ولا شفعة، بل قرّهم إليك وحالستهم، فليس عليك شيء من حساب أعمالهم وأرزاقهم، وكذلك ليس عليهم شيء من حسابك، فإذا أبعدهم عنك كنت متجاوزاً الحق.

والمراد انتفاء الطرد. وهو تلبية ودرس للمسلمين.

{ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ } [الأنعام: 53]

53- وكذلك ابتلينا واختبرنا الناس بعضهم ببعض، الفقراء بالأغنياء والعكس، والأشراف بمن دونهم وبالعكس، ليقول المشركون المتكبرون في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كان غالبهم من الضعفاء والعبيد في أول البعثة: أهولاء هداهم الله إلى الإيمان فهم الأحسن من بيننا، نحن نكون تبعاً لهم وهم العبيد والفقراء ونحن الرؤساء والأثرياء؟ اطردهم عنك فلعلك إن طردهم أن نتبعك.

أليس الله مطلعاً على أحوالهم وضمايرهم فهداهم إلى طريق الحق، ووقفهم إلى ما فيه الخير؟ أليس عالماً بمن شكر نعمة الإيمان عليه فقبله عنده؟

{ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ
مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [الأنعام: 54]

54- وإذا أتاك المؤمنون الصالحون، فبشرهم بالسلام والأمان من عند الله، وقد أوجب الله سبحانه على نفسه المقدسة، تفضلاً منه وإحساناً، أن من اقترف منكم ذنباً وهو جاهل⁽³⁴⁾، ثم استغفر منه وتاب إلى الله، وأقلع عنه وعزم على عدم العودة إليه، فإن الله يغفر له، ويرحمه برحمته الواسعة.

{ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ } [الأنعام: 55]

55- وهكذا نوضح الأدلة لبيان صفة أهل الطاعة وأهل الإجرام، وليظهر لك أيها النبي أسلوب تعامل الآخريين مع الرسل، فتعاملهم بما هو مناسب.

(34) قال مجاهد: لا يعلم حلالاً من حرام، فمن جهالته ركب الذنب. وقيل: جاهل بما يورثه ذلك الذنب، وقيل: جهالته من حيث إنه أثر المعصية على الطاعة، والعاجل القليل على الأجل الكثير. (البغوي).

{ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَأَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } [الأنعام: 56]

56- قل لهؤلاء المصيرين على الشرك، قطعاً لأطماعهم الفاسدة: إِنِّي مُنِعْتُ وَصُرِفْتُ عَنْ
عبادة الآلهة المزعومة، التي لا تسمع ولا تتكلم، ولا تضر ولا تنفع. وقل لهم: لا أتبِع أهواءكم
الزائغة، وأفكاركم الباطلة، فإذا فعلت ذلك كنتُ ضالاً، تاركاً سبيل الحق.

{ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ
يَقْضِي الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ } [الأنعام: 57]

57- قل للمشركين أيضاً: إِنِّي عَلَىٰ حُجَّةٍ وَاضِحَةٍ وَبَصِيرَةٍ نَيِّرَةٍ مِنْ دِينِ اللَّهِ الْمَوْحَىٰ بِهِ إِلَيَّ،
وأنتم قد كذبتُم بذلك وأشركتم، وليس عندي الآن العذاب الذي تستعجلون به ليحلَّ بكم
- وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخَوِّفُهُمْ أَنَّ اللَّهَ مُعَاقِبُهُمْ إِذَا كَذَّبُوا وَخَالَفُوا - وما
الحكم والقضاء في هذا وغيره، وتقديمه وتأخيرهِ، إلا لله وحده، فإن شاء عاجلكم به، وإن
شاء أخر، وله حكمة بأيهما قضى، فله القضاء الحق، وهو خير الحاكمين.

{ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِّي الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ }
[الأنعام: 58]

58- قل لهم: لو كان العذاب الذي تستعجلونه بيدي، لانتهى الأمر منذ زمن، ولحلَّ بكم
الهلاك والدمار، وما كنتُم مهلكم وأنا أراكم تُكذِّبونني وتستهزؤون بي وما أُرسلتُ به. والله
أعلم بالمشركين وحالهم، وما يستحقونه من إمهالٍ أو تعجيلٍ بالعذاب، ولذلك لم يجعل أمرهم
بيدي.

{ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا
يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [الأنعام:
59]

59- وعند الله وحده خزائن الغيب، فلا يعلمها إلا هو، ومنها: العذاب الذي تستعجلونه،
فلا أدري هل يكون أم لا، وإن كان فمتى هو؟ والله سبحانه يعلم كل ما يجري على الأرض،
من برّ وبحر، ويعلم عدد ما يسقط من ورق الشجر وما يبقى عليه، وليس هناك من أمر إلا
يعلم حركته وأحواله، مهما دقّ وأينما كان، فلا توجد حبة في باطن الأرض، مهما كان
بعيداً ومظلماً، ولا جماد أو نبات أو حيوان، أو أي شيء، إلا وهو في علم الله ومدون في
اللوحة المحفوظ.

{ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ
مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [الأنعام: 60]

60- وهو الله الذي يقبض أرواحكم إذا نمتم بالليل، ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار،
ثم يوقظكم فيه بعد نومكم بالليل، لتقضوا في الحياة أجلكم المكتوب لكم باستيفاء أعماركم
بالكامل، ثم تموتون وتقومون إلى الله للحساب، فيخبركم بأعمالكم في تلك الليالي والأيام،
ويجازيكم عليها، إن خيراً أو شراً.

{ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ
رُسُلْنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ } [الأنعام: 61]

61- وهو القاهر المتعال، الذي خضع كل شيء لعظمته، لا يعجزه شيء مما يريد، ولا يحول
بينه وبين ما يريد بعباده قوة أو عائق. ويرسل عليكم ملائكة يحصون أعمالكم من خير
وشر، حتى إذا انتهت أيام أحدكم وحان أجل موته، قبضت روحه ملائكة من أعوان ملك
الموت، الموكل بقبض الأرواح، وهم لا يقصرون، فينزلون روحه حيث تستحق، في عليين أو
في سجين.

{ ثُمَّ زِدُوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ } [الأنعام: 62]

62- ثُمَّ زِدَّ الْعِبَادُ بَعْدَ الْبَعثِ وَالْحَشْرِ إِلَى مَوْضِعِ الْعَرْضِ وَالسُّؤَالِ، لِيَحْكَمَ فِيهِمْ وَيُجَازِيَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ بِالْعَدْلِ وَلِيُأْمِرَهُمْ وَمَالِكُهُمْ وَمَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَهُ الْقَضَاءُ يَوْمَئِذٍ دُونَ خَلْقِهِ كُلِّهِمْ، وَهُوَ - جَلَّ جَلَالُهُ - إِذَا حَاسَبَ فِحِسَابِهِ سَرِيعٌ، يُحَاسِبُ النَّاسَ كُلَّهُمْ بِنَفْسِهِ دُونَ الْإِسْتِعَانَةِ بِأَحَدٍ، فِي أَسْرَعِ زَمَانٍ وَأَقْصَرِهِ، عَلَى كَثْرَتِهِمْ وَكَثْرَةِ أَعْمَالِهِمْ.

{ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِن أَنجَانَا مِن هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ } [الأنعام: 63]

63- قُلْ: مَنْ يُخَلِّصُكُمْ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ الَّتِي تُصِيبُكُمْ إِذَا كُنْتُمْ مُسَافِرِينَ فِي الْبَحْرِ فَأَحَاطَتْ بِكُمْ الْأَمْوَاجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَقَدَفَتْكُمْ الرِّيحُ الْعَاتِيَةُ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ، أَوْ فِي صَحَارَى وَمَهَامِهِ الْبَرِّ، أَوْ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ وَالْأَوْدِيَةِ الْعَمِيقَةِ، أَوْ وَقَعَتْ أَحْدَاثٌ طَبِيعِيَّةٌ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، فَاهْتَزَّتِ الْأَرْضُ وَانْفَجَرَتِ الْبَرَكَاتُ وَهَاجَتِ الْأَعَاصِيرُ، أَوْ لَازَمَتْكُمْ الْأَمْرَاضُ وَلَا عِلاجَ، فَتَلَجَّوْنَ إِلَيْهِ وَتَسْتَغِيثُونَ بِهِ سِرًّا وَإِعْلَانًا، قَلْبًا وَلِسَانًا، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، لَا تَدْعُونَ غَيْرَهُ، وَتَقُولُونَ: لَعْنُ أَنْجَانَا اللَّهُ مِنْ هَذَا الْكَرْبِ وَالضَّائِقَةِ لَقَدَّرْنَا نِعْمَةَ الْجَلِيلَةِ، وَقُمْنَا بِحَقِّهَا كَمَا يَنْبَغِي، حَامِدِينَ شَاكِرِينَ.

{ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ } [الأنعام: 64]

64- فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ يُنَجِّيكُمْ مِنْ هَذِهِ الْكُرْبَاتِ وَغَيْرِهَا، لَكِنْ بَعْدَ أَنْ يَبْلُغَكُمْ بَرَّ الْأَمَانِ وَيُعَافِيَكُمْ مِمَّا أَصَابَكُمْ، تَعُودُونَ فَتُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِ، وَلَا تَتَوَفَّوْنَ بِالْعَهْدِ.

{ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا }
[الأنعام: 65]

65- قُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ ابْتِلَائِكُمْ وَإِقَائِكُمْ فِي الْمَهَالِكِ، وَعَلَىٰ التَّنْكِيلِ بِكُمْ بَعْدَ عَوْدَتِكُمْ إِلَى الشَّرْكِ - وَقَدْ بَجَّأَكُمْ مِمَّا أَصَابَكُمْ مِنْ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ - بَعْدَ مِنْ فَوْقِكُمْ، كَالصَّيْحَةِ وَالْحِجَارَةِ وَالرَّيْحِ وَالطُّوفَانِ، أَوْ مِنْ تَحْتِكُمْ، كَالرَّجْفَةِ وَالْحَسْفِ، أَوْ بِأَنْوَاعٍ أُخْرَىٰ مِنْ الْعُقُوبَاتِ... أَوْ يَخْلُطُ عَلَيْكُمْ أَمْرَكُمْ وَيُبَيِّنُ فِيكُمْ الْأَهْوَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ، وَيُسَلِّطُ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ بِالْعَذَابِ وَالْقَتْلِ.

انظر كيف نَعِظُهُمْ ونُذِرُهُمْ، ونبيِّئُ لَهُمُ الْأُمُورَ ونُكْرِزُهُمَا، وننوعُهَا بِأَسَالِيْبٍ مُخْتَلِفَةٍ، لِيَفْهَمُوا ويتدبَّرُوا، ويُدْرِكُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ وَمَا هُوَ مَطْلُوبٌ مِنْهُمْ.

{ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ } [الأنعام: 66]

66- وَكَذَّبَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ بِالْقُرْآنِ وَهُوَ الْكِتَابُ الصَّادِقُ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ، قُلْ لَهُمْ: لَسْتُ رَقِيْبًا عَلَيْكُمْ وَلَا مُسَلِّطًا عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ لِأَلْزِمِكُمْ بِالْإِسْلَامِ، إِنَّمَا أَنَا رَسُوْلٌ مُّبَلِّغٌ، فَمَنْ شَاءَ آمَنَ، وَمَنْ شَاءَ كَفَرَ، وَعَاقِبَةُ كُلِّ ذَلِكَ عَلَىٰ صَاحِبِهِ.

{ لَأَكْلُ نَبِيًّا مُسْتَقَرًّا وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } [الأنعام: 67]

67- لِكُلِّ خَبْرٍ حَقِيْقَةٌ وَمُنْتَهَىٰ يَنْتَهِيٰ إِلَيْهِ وَلَوْ بَعْدَ حَيْنٍ، وَمِنْهُ عَذَابُكُمْ، فَيَتَبَيَّنُ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالصَّادِقُ مِنَ الْكَذِبِ، إِنَّ عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا، أَوْ آجِلًا فِي الْآخِرَةِ، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ فِي الْحَالِيْنَ.

{ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ } [الأنعام: 68]

68- وإذا رأيتَ المشركينَ يتكلمونَ على القرآنِ بالتكذيبِ والاستهزاءِ والطَّعنِ، فاتركهُم ولا تجالسهُم حتى يأخذوا في كلامٍ آخر، فإذا أنساكَ الشَّيطانُ ذلكَ ثمَّ تذكَّرتَ، فلا تقعدُ بعدها معَ القومِ الذينَ تجاوزوا الحقَّ بالتكذيبِ والمخاصمةِ والعنادِ.
وذكرَ بعضُهُم أنَّها منسوخةٌ بآيةِ السيفِ.

{ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } [الأنعام:
69]

69- وليسَ على المؤمنينَ الذينَ يتَّعدونَ عن حديثهم ولا يُشاركونَ في مجالسهم حرجٌ ولا إثمٌ إذا خاضَ المشركونَ في ذلك، ممَّا يُحاسبونَ هم عليه، ولكنَّهُم يُذكِّرونَ لعلَّهُم يتَّهونَ عن ذلك؛ حياءً، أو كراهةً مساءتِهم.

{ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَثَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبَسَّلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَأُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ } [الأنعام:
70]

70- ودعِ الكافرينَ الذينَ فُرضَ عليهم أن يدينوا بالإسلامِ فسَخروا منه وعَبَثوا به ولم يُبالوا، وخُدِعوا بما في الدنيا من لذةٍ ومتاعٍ وولدٍ، حتى أنكروا البعثَ، فذكَّرَ بهذا القرآنُ، وحذَّرَ الناسَ من نعمةِ الله وعذابه، حتى لا تُحْبَسَ نفسٌ وتؤاخَذَ بسببِ عملها السوءِ، وليسَ لها يومَ القيامةِ ناصرٌ يلي أمرها أو قريبٌ يشفعُ لها، فالأمرُ يومئذٍ لله وحده.

ولو بذلتَ هذه النفسُ كلَّ ما تقدِرُ عليه من بَدلٍ، وقدتَ كلَّ فداءٍ، لما أُخذَ منها، ولما نُظِرَ فيه، أولئك الذينَ اتَّخذوا دينهم لهواً ولعباً قد حوسبوا على أعمالهم السيئةِ، وحرموا الثوابَ، وسُلموا للعذابِ، فلهم شرابٌ من ماءٍ حارٍّ جداً يُقطِّعُ أمعاءهم، ونازٌ عظيمةٌ تُحرقُ أجسادهم وتأتي على أفئدتهم، جزاءً كفَرهم وعنادهم وتكذيبهم الرسلِ.

{ قُلْ أُنَدِّعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } [الأنعام: 71]

71- قل للمُشركين: أنترك عبادَةَ اللهِ وحدهُ ونعبُدُ أصناماً جامدةً لا تفقههُ ولا تعي، ولا تنفعُ ولا تضرُّ، ونرجعُ بذلك إلى دركاتِ الكُفْرِ والضَّلَالِ بعدَ أن هدانا اللهُ بالإسلام، وأنارَ لنا سبيلَ الإيمان، وبصّرنا بالحقِّ، فنكونُ كمنْ كانَ معَ جماعةٍ، فابتعدَ عنهم، وسلكَ طريقاً آخرَ، ومضى هائماً على وجهه، قد ذهبَتْ بهِ مرَدُّهُ الجنُّ في المهامه والقفار، ورُفقاءهُ يُنادونهُ ليعودَ إلى الطَّرِيقِ الصَّحيحِ، فيأتِي، ويختارُ الضَّلَالِ.

قل لهؤلاءِ الكفار: إنَّ هدايةَ اللهِ التي أكرمنا بها، وهي الإسلام، هي الطَّرِيقُ المستقيم، ودينُ اللهِ القويم، وقد أمرنا بالإخلاصِ في العبادَةِ له وحدهُ لا شريكَ له.

{ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } [الأنعام: 72]

72- وأمروا بأن يواظبوا على الصَّلَاة، ويتَّقوا اللهُ في جميعِ الأحوال، ويتَّعدوا عن مخالفتِهِ، فهو الذي تُحشرونُ إليه يومَ القيامة، فيحاسبُكم على أعمالِكُمْ ويُجازيكم عليها.

{ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } [الأنعام: 73]

73- وهو الذي خلقَ السَّماءَ والأرضَ وأبدعَ صنعهما على غيرِ مثالٍ سبق، بالحقِّ والعدل، لا عن عبثٍ وبُطلان، ويوجدُ يومَ القيامةِ وما فيها منَ أشياءَ بقوله كُنْ فيكون، كبعثِ الأمواتِ للحساب، فقوله الحقُّ، صدقاً وواقعاً، ووعدُهُ كائنٌ لا محالة، وله الملكُ يومَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ليقومَ الناسُ ويجمَعوا في المحشر، ولا يدَّعي مُلكَ ذلكِ اليومِ لنفسه غيرُهُ، وهو العالمُ بكلِّ ما غابَ وحضر، وبعُدَ وقرب، حَكِيمٌ في كلِّ ما يفعل، خَبِيرٌ بما دَقَّ وجَلَّ.

{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }
[الأنعام: 74]

74- واذكر قول نبي الله إبراهيم لأبيه آزر على عبادة الأصنام: أتجعل هذه الأصنام آلهة لك تعبدونها من دون الله؟ أرى أنك وقومك الذين اتبعوك في ضلال بين وبعد عن الحق، وحيرة وجهل.

{ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ } [الأنعام:
75]

75- وكذلك نمكن إبراهيم من النظر في ملكية الله للسموات والأرض، ليستدل بذلك على قدرته وعظمته ووحدانيته في خلقه وملكه، وليكون من الراسخين في العلم والإيمان، مشاهدةً ويقيناً.

{ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ } [الأنعام:
76]

76- وكان إبراهيم مناظراً لقومه، فأراد أن يعرفهم كذلك خطأهم وجهلهم وبطلان ما هم عليه من عبادة الكواكب والنجوم، بعد بيان بطلان إلهية الأصنام. وفي المساء، عندما بدأ ظلام الليل ينتشر، رأى كوكباً مضيئاً يطلع، فقال لقومه: هذا ربي، في زعمكم الباطل. فلما غاب قال: لا أحب الأرباب المتغيرين من حال إلى حال، والرب دائم لا يعزب ولا يزول.

{ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ } [الأنعام: 77]

77- فلما رأى القمر طالِعاً قد شَقَّ الظُّلْمَةَ وانتَشَرَ ضَوْؤُهُ، قال: هذا رَبِّي، في زَعِمِكُمْ. فلما غابَ مثلَ غِيَابِ الكَوَكَبِ، قال: إذا لم يَدُلَّنِي رَبِّي على الحَقِّ، فسأبْقَى تَائِهاً ضَائِعاً، مثلَ القَوْمِ الضَّالِّينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مَا لَا تَعْقِلُ.

{ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَقَلَّتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ } [الأنعام: 78]

78- فلما رأى الشمسَ طالِعَةً قد بَدَدَتْ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ مِنْ إِشْرَاقِهَا، قال: هذا رَبِّي، في زَعِمِكُمْ، فهوَ أَكْبَرُ مِنَ الكَوَكَبِ وَمِنَ القَمَرِ. فلما غَابَتْ هي الأخرى قال: يا قوم، إنَّ هذه الكَوَاكِبَ والنُّجُومَ لَيْسَتْ بِأَرْبابَ، فَهِيَ تَطْلُعُ وَتَغِيْبُ ثُمَّ تَعُوْدُ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، فَهِيَ كَعَبْرِهَا مِنَ الأَجْرَامِ مُسَخَّرَةٌ مُقَدَّرَةٌ، لَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا تَصْرُفًا، وَأَنَا بَرِيءٌ مِنْ عِبَادَتِهَا، وَمَنْ إِشْرَاكِكُمْ إِيَّاهَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ.

{ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [الأنعام: 79]

79- إِنِّي قَدْ تَوَجَّهْتُ بِعِبَادَتِي وَأَخْلَصْتُ دِينِي لِمَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَمَا فِيهِنَّ مِنْ أَجْرَامٍ وَأَحْيَاءٍ وَنَبَاتٍ وَجَمَادٍ وَبِحَارٍ، مَائِلًا عَنْ كُلِّ بَاطِلٍ وَشِرْكَ فِي الأَدْيَانِ وَالعَقَائِدِ الفَاسِدَةِ، إِلَى الحَقِّ وَالتَّوْحِيدِ الخَالِصِ، وَلَسْتُ مِنَ المُشْرِكِينَ فِي شَيْءٍ مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ.

{ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } [الأنعام: 80]

80- وَجَادَلَهُ قَوْمُهُ فِي أَمْرِ التَّوْحِيدِ وَخَاصَمُوهُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ دُونَ الأَصْنَامِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَتُجَادِلُونِي فِي أَمْرِ اللَّهِ وَقَدْ بَصَّرَنِي بِالحَقِّ وَهَدَانِي إِلَى التَّوْحِيدِ، وَلَا أَخَافُ مِنْ هَذِهِ الأَصْنَامِ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا وَتَظُنُّونَ أَنَّهَا تَصُرُّ مَنْ يَسْتَهْزِئُ بِهَا، فَهِيَ أَحْجَارٌ صَمَاءٌ صَنَعْتُمُوهَا بِأَيْدِيكُمْ، فِإِذَا

أصابني شيءٌ فمن جهة الله وبتقديره ولا علاقة لأصنامكم بها، قد أحاط ربي علماً بكلّ المخلوقات، فلا يخفى عليه شيءٌ منها ومن أحوالها، أفلا تفقهون وتعتبرون مما قلته لكم، فتركوا عبادة الآلهة الباطلة، وتوجهوا إلى الله الواحد الأحد في عبادتكم ودُعائكم، وخوفكم ورجائكم، وفي السراء والضراء!؟

{ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [الأنعام: 81]

81- وكيف أخاف من أصنامكم المصنوعة من حجارة، وهي لا تسمع ولا تتكلم، ولا تدري بأمر عبادتكم لها، وأنتم لا تخافون من إشراككم بالله العظيم وعبادتكم من دونه، وهو خالق السماوات والأرض وما فيهما من أشياء، على كثرتها وتنوعها، وعبادتكم لها لا أساس لها من الصحة، فلم ينزل الله بذلك حجةً ولا دليلاً، وأمر العبادة متروكاً لله وحده، لا يشرع الإنسان شيئاً منها.

فأي الجانبين على الحق والصواب: الذي يعبد ما لا يضر ولا ينفع، أم الذي يعبد من يده الضر والنفع؟ وأيهما أحق بالأمن من عذاب الله، أحبروني بذلك إن كنتم من أهل العلم.

{ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْآمِنُونَ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ } [الأنعام: 82]

82- إن الذين آمنوا حق الإيمان، ولم يخلطوا إيمانهم بشائبة من شرك، فهم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة، وهم المهتدون إلى العقيدة الصحيحة، ومن عداهم في ضلال، كمن ادعى الإيمان وهو يتخذ الطواغيت شفعاء إلى الله، ويعتبر ذلك من تيمات الإيمان بالله!

{ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } [الأنعام: 83]

83- وما احتجَّ به إبراهيمُ على قومه من فسادِ عقيدتهم وصحةِ ألوهيةِ الله وربوبيته، هو ما حكمَ الله عليه بالصدقِ والرُّشد، نرفعُ شأنَ مَنْ نُريدُ فنهبهُ العِلْمَ والحِكْمَةَ والتَّوفيقَ، واللهُ حَكِيمٌ فيما يفعلُ ويُقدِّرُ، عليهمُ بمنْ يَسْتَحِقُّ الهدايةَ والضلالَ، ومنْ يرفعُ درجتهُ أو يخفضُها.

{ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ
وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نُخَوِّضُ الْمُحْسِنِينَ } [الأنعام: 84]

84- ووهبنا لإبراهيمَ بعدَ أنْ كَبُرَ في السنِّ وأيسَت زوجتهُ سارةُ: إسحاقَ، وابنهُ يعقوبَ، لتقرَّ عينهُ باستمرارِ العقبِ، كلاهما صالحٌ مُهتدٍ ونبيٌّ. وقبلَ إبراهيمَ نوحَ، هديناه وجعلناه نبياً كذلك، ووهبنا له ذُرِّيَّةً صالحَةً، فالناسُ كلُّهم منْ ذُرِّيَّتِهِ، والأنبياءُ كلُّهم منْ ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ، منهمُ داودُ، وسُلَيْمانُ، وأيُّوبُ، ويوسفُ، وموسى، وهارونُ، وكذلك نُخَوِّضُهُمْ خيراً كما جَرَيْنَا جَدَّهُمْ إبراهيمَ، ونرفعُ درجاتهم.

{ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ } [الأنعام: 85]

85- ومنْ ذُرِّيَّتِهِ زَكَرِيَّا، وابنهُ يَحْيَى، وعيسى، وكلُّ هؤلاءِ صالحونَ مُهتدونَ، أنبياءُ مُكْرَمونَ.

{ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ } [الأنعام: 86]

86- وكذا إسماعيلَ، واليسعَ، ويونسَ، ولوطَ، وهو ابنُ أخي إبراهيمَ، دخلَ في ذُرِّيَّتِهِ تَغْلِيباً، وكلُّ واحدٍ منْ هؤلاءِ فَضَّلْنَاهُ بِالنَّبُوَّةِ عَلَى الْعَالَمِ كُلِّهِ، في وقتهم. عليهمُ جميعاً صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ.

{ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الأنعام:

87]

87- وَمَنْ شَمَلَهُمْ تَوْفِيقُ اللَّهِ وَهُدَايَتُهُ، بَعْضُ آبَائِهِمْ، وَذُرِّيَّاتِهِمْ، وَإِخْوَانِهِمْ، فَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُمْ وَهُدَيْنَاهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ وَالثَّبَاتِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ.

{ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: 88]

88- تِلْكَ هِدَايَةُ اللَّهِ، يَهْدِي بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ مِمَّنْ وَجَدَ عِنْدَهُمُ الاسْتِعْدَادَ وَالتَّقْبُلَ، وَزَادَهُمْ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا، وَلَوْ أَنَّهُمْ انْحَرَفُوا وَأَشْرَكُوا لَبَطَلَ ثَوَابُ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَلَوْ كَانُوا أَصْحَابَ وَجَاهَةٍ وَفَضْلٍ.

{أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيُؤْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ} [الأنعام: 89]

89- أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ، الَّذِينَ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ، فَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ، وَوَهَبْنَا لَهُمْ مَعْرِفَةَ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ، وَالْقُدْرَةَ عَلَى تَفْهَمِهَا، وَالْحُكْمَ فِيهَا بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَآتَيْنَاهُمُ النُّبُوَّةَ، لِيُعَلِّمُوا النَّاسَ وَيُيَسِّنُوا لَهُمُ الطَّرِيقَ الصَّحِيحَ فِي شُؤْنِهِمُ الْحَيَاتِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ، فَإِنْ يَكْفُرِ الْمُشْرِكُونَ بِالنُّبُوَّةِ، فَقَدْ وَقَفْنَا لِلْإِيمَانِ بِهَا وَالْقِيَامِ بِحَقُوقِهَا قَوْمًا آخَرِينَ لَا يَجْحَدُونَهَا، بَلْ يُقِيمُونَ عَلَيْهَا وَيُدَافِعُونَ عَنْهَا بِأَرْوَاحِهِمْ.

{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ افْتَدَاهُ قُلٌ لَأَسْأَلَنَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} [الأنعام: 90]

90- أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ الْمَذْكُورُونَ هُمُ الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ، فَسِرَّ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ فِي الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ.

وَقُلْ إِنِّي لَا أطلبُ عَلَى تَبْلِيغِي هَذَا الدِّينِ أُجْرَةَ، وَمَا هُوَ إِلَّا تَذَكِيرٌ لِلنَّاسِ وَإِرْشَادٌ لَهُمْ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، وَبَيَانٌ لِلهُدَى وَالْإِيمَانِ، وَتَحذِيرٌ مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ.

{ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ بَجَعَلُونَهَا قِرَاطِينَ تُبَدُّونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ } [الأنعام: 91]

91- وما عظموا الله التعظيم المطلوب، ولا عرفوه حق معرفته، عندما أنكروا الكتب السماوية، وكذبوا الرسل، وكفروا بالوحي المنزل من عند الله، فقل لهؤلاء المشركين المنكرين - أو اليهود - : لماذا تُنكرون تنزيل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم، وتؤمنون بالتوراة المنزلة على موسى لتكون هداية للناس وإرشاداً لهم في الحياة إلى الحق، وأنتم تنقلون منها فقرات وفصولاً وتجعلونها في أوراق، بعد تحريفها وتزويرها وإخفاء كثير من المعلومات فيها، وتقولون للناس هذا من كتاب الله المنزل؟!!

وقد جاءكم من الأخبار والقصاص والآيات في القرآن ما لا عهد ولا علم لكم ولا لآبائكم بها. قل لهم: إن الله هو الذي أنزل هذه الكتب، ومنها القرآن الكريم، ثم دعهم في باطلهم وضلالهم يلهثون.

{ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ } [الأنعام: 92]

92- وهذا القرآن أنزلناه من عندنا لا ريب فيه، كثير الفائدة والنفع، كله حق وهداية، وتوجيه وحكمة، مُصَدِّقٌ للكتب السماوية السابقة، ومنها التوراة، لتُنذِرَ به وتبلِّغهُ أهل مكة ومن حولها في المشارق والمغارب.

والمؤمنون بالله وباليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، يؤمنون بالقرآن المنزل عليك أيها النبي، وهم محافظون على صلواتهم المكتوبة عليهم، فهي عماد الدين.

{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ بُجُزُونَ عَذَابِ الهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ } [الأنعام: 93]

93- وليس هناك أظلم ممن كذب وادعى أن الله شريكاً في الألوهية، من صنم وولد وغير ذلك، أو ممن ادعى النبوة وهو كاذب لم يوح الله إليه بشيء، أو ممن قال إنه سيأتي بكتابٍ مثل القرآن في بيانه وإعجازه.

ولو نظرت فرأيت الكافرين الظالمين في سكرات الموت وكروبهم، وقد بسطت الملائكة الموكلة بقبض أرواحهم أيديها عليهم بالضرب والعذاب على وجوههم وأدبارهم، وأرواحهم متشبثة بأجسادهم لا تريد أن تخرج، حيث إنها تُبشّرُ بالعذاب والإهانة، وتقول لهم الملائكة: أخرجوا أنفسكم كرهاً، فالיום تُعاقبون بالعذاب المذل المهين، جزاء كذبتكم على الله ورسوله، وعنادكم واستكباركم عن اتباع الحق وإعراضكم عما أنزله الله.

{ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَفْنَاكُمْ آوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } [الأنعام: 94]

94- وقد جئتم إلى ربكم للحساب منفردين، بدون أعوانٍ ولا أوثان، بل وقفتم في المحشر بدون لباسٍ ولا نعال، وتركتم وراءكم ما أعطيناكم من المال والولد والنعم، التي شغلتم عن الآخرة، فلم تنفعكم بشيءٍ في يومكم هذا، ولم نجد معكم آلهتكم الذين كنتم تعبدوهم وتستنصرون بهم، وتزعمون أنهم شركاء الله في الربوبية والعبادة، وأنهم سيشفعون لكم عند الله لقضاء حوائجكم. لقد انقطع ما بينكم من أسباب ووسائل فيما كنتم تزعمونه لهم، وذهب عنكم ما ظننتهم من رجائهم، وبطلت أمامكم عقيدتكم الفاسدة في ذلك.

{ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } [الأنعام: 95]

95- إِنَّ اللَّهَ بِقُدْرَتِهِ وَإِبْدَاعِهِ فِي خَلْقِهِ، شَقَّ الْحَبُوبَ وَالنَّوَى تَحْتَ الْأَرْضِ لِنَتِجِ الزُّرُوعِ وَالشَّمَارِ بِأَنْوَاعِهَا وَأَشْكَالِهَا وَطُعُومِهَا، فَيُخْرِجُ الْحَيَّ مِمَّا يَنُمُو مِنْ هَذِهِ الْحَبُوبِ الْيَابِسَةِ الْمَيِّتَةِ، وَهُوَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ، كإِخْرَاجِ مَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ لِلطَّعْمِ وَالقُّوتِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ، أَوْ أَضْرَابِ ذَلِكَ مِمَّا يُخْرِجُ مِنْهَا لِلعُطُورِ وَالصَّنَاعَاتِ، وَكَذَلِكَ دَوْرَةُ الخَلَايَا فِي الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتِ الَّتِي تَكُونُ فِي تَجَدُّدٍ مُسْتَمِرٍّ، فَتَمُوتُ الْقَدِيمَةُ وَيَنْشَأُ مَا هُوَ جَدِيدٌ... وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ فِيهَا كُلَّ هَذَا، بِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، وَتَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ مَا لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى خَلْقِ شَيْءٍ مِنْ هَذَا أَوْ أَقَلِّ مِنْهُ؟!!

{ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } [الأنعام: 96]

96- وَهُوَ الَّذِي شَقَّ ظِلْمَةَ اللَّيْلِ بِالصَّبَاحِ الْمَضِيِّ لِيُؤذِنَ بِالْعَمَلِ وَالنَّشَاطِ، وَجَعَلَ اللَّيْلَ مُظْلَمًا تَسْكُنُ فِيهِ الْأَشْيَاءُ، وَيَرْتَاحُ فِيهِ الْإِنْسَانُ مِنْ عَمَلِ النَّهَارِ، فَيَهْدَأُ وَيَنَامُ. وَجَعَلَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَلِيلًا وَضَبْطًا لِحِسَابِ مُقَدَّرٍ لَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ، لِتَعْرِفُوا بِهِ الْأَوْقَاتِ وَالتَّوَارِيخَ، فِي الْعِبَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ وَالْمَعَاهِدَاتِ، بِالسَّاعَاتِ وَالْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَالسَّنَوَاتِ. وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ تَقْدِيرِ اللَّهِ الْعَزِيزِ، الَّذِي لَا يَصْعُبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، الْعَلِيمِ الَّذِي لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِمَّا بَنَى فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ.

{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [الأنعام: 97]

97- وهو الله الذي أنشأ النجوم وقدرها في أبعاد معينة بعضها عن بعض، وفي جهات مختلفة، مع سطوعها في أوقات محددة، لتكون لكم دليلاً إلى معرفة الجهات في الليالي المظلمة، في البر والبحر.

وقد بينا هذه الآيات التي فيها ذكر لنعم الله لمن يعقل ويتدبر، ويعرف الحق فيتبعه ويعمل بموجبه.

{ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ } [الأنعام: 98]

98- وهو الله الذي خلقكم جميعاً من نفس واحدة، هي آدم، ولكم استقرار في أرحام أمهاتكم، واستيداع في أصلاب آبائكم. وقد بينا هذه الحجج والأدلة لمن يفتنون إلى ذلك ويتدبرون دقة الخلق وإبداعه.

{ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرُجُ مِنْهُ حَبًّا مَتْرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [الأنعام: 99]

99- وهو الذي أنزل الأمطار من السحاب لينتفع بها العباد، فأخرجنا بالماء كل أنواع النباتات، ومن هذه النباتات أخرجنا الزروع والأشجار الخضراء، وأخرجنا من هذه الأشجار والنباتات الثمار والحبوب المتراصة، ومن طلع شجر النخيل أخرجنا أغداقاً فيها ثمر الرطب، مُشْتَبِهًا، وقريبة التناول.

ونُخْرُجُ بالماء بساتين كثيرة مُنتَشِرَةً في الأرض من الأعناب، وكذلك الزيتون، والرمان، وبعض ذلك مُتَشَابِهٌ وبعضه غير مُتَشَابِهٍ، في الهيئة والمقدار، واللون والطعم، وانظروا وتفكروا في ثمر الزيتون عندما ينضج، وإلى ثمر الرمان كذلك، وقد تجمعت حبيباته وتراكب بعضها فوق بعض، في شكل هندسي جميل، مع طعم لذيذ وفائدة صحيّة، فيه وفي الزيتون، وغيرهما من

الثَّامِرِ الْمُتَنَوِّعَةِ، وَإِنَّ فِي ذَلِكَ كَلِّهٖ أَدَلَّةً وَاضِحَةً عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَبَدِيعِ صُنْعِهِ، وَعَلَى عَظَمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِهَا عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ، وَتَصْدِيقِ مَا أَنْزَلَهُ.

{ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُون } [الأنعام: 100]

100- وَقَدْ جَعَلَ الْمُشْرِكُونَ الْجِنَّ شُرَكَاءَ لِلَّهِ فِي الْعِبَادَةِ فَعَبَدُوهُمْ مَعَهُ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ كَمَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ، فَكَيْفَ يَعْبُدُونَ مَخْلُوقًا؟

واختلقوا لله بنين وبنات فكذبوا وافتروا، كما قالت النصارى: عيسى ابن الله، وقالت اليهود: عزير ابن الله، وقال المشركون: الملائكة بنات الله! قالوا كل هذا زوراً وإفكاً، بدون فكر ولا روية، وبدون أية حجة أو علم، بل قالوا ذلك جهلاً بالله العظيم، الذي ليس هو من جنس البشر، فلا صاحبة له ولا ولد، ولا نداء له ولا شبيهه، بل هو الإله الواحد الأحد، المنفرد بالخلق والرزق، فسبحانه، تقدس وتنزه وتعظم عما يصفه به المشركون.

{ بَدِيعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [الأنعام: 101]

101- اللَّهُ مَوْجِدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ مَادَّةٍ أَوْ أَصْلٍ مَوْجُودٍ سَابِقاً، وَمُبْدِعُهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، فَلَا نَظِيرَ لهُمَا.

وكيف يكون له ولد ولم تكن له زوجه، والولد يكون متولداً من شئيين متناسبين، ولا مناسب لله، ولا شبيهة له، فلا ولد له، وهو الخالق الذي أوجد الكون ومن فيه، من والد وولد، وهو عليم بكل شئ علماً تاماً، أزلاً وأبداً، مخلوقاً كان ذلك الشئ أم لم يكن مخلوقاً.

{ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ } [الأنعام: 102]

102- ذلكم الله ربكم⁽³⁵⁾، مالك أمركم، الواحد الذي لا شريك له، خالق كل شيء، مما كان وسيكون، فاعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً، فهو وحده المستحق للعبادة، وهو الحفيظ والرفيق على كل الأشياء، يعرف أحوالها ويدبر شؤونها، ويتولى جميع أمورها.

{ لَأْتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } [الأنعام: 103]

103- لا تراه العيون في الدنيا وإن كانت تراه في الآخرة، وهو يُحيطُ بها ويعرفها على حقيقتها، لأنه خالقها. وهو الرفيق بعباده، الرحيم بأوليائه، الخبير بهم.

{ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ } [الأنعام: 104]

104- قد جاءكم آيات واضحة وحجج باهرات من عند الله، بلعكم إياها رسوله في القرآن والسنة، فمن وعى وآمن فلنفسه تعود الفائدة، ومن أغمض عينيه عنها وأغلق قلبه فلم يأبه بها، فعلى نفسه تعود الحسارة، قل لهم: لست حافظاً عليكم ولا رقيباً على أعمالكم، بل الله يحفظها عليكم ويجازيكم عليها، وإنما أنا مبلغ نذير.

{ وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [الأنعام: 105]

105- وكذلك نُورِدُ الأدلة والبراهين الواحدة تلو الأخرى، بوجوده مُتَلَفَةً، وفي مواطن عدة، وليقول المشركون إثر ذلك: إنك قرأت وتعلمت من أهل الكتاب. ويبيّن الله ذلك لمن يعلم

(35) { ذَلِكُمْ } أي: ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة أيها المشركون، { اللهُ } : المستحق للعبادة خاصة... (روح البيان).

الحقَّ فيَتَّبِعُونَهُ، والباطلَ فيَجْتَنِبُونَهُ، فسُبْحَانَ مَنْ هَدَى بِآيَاتِهِ هَؤُلَاءِ، وَضَلَّ بِهَا أَوْلَئِكَ، وَهُوَ الْمَلِكُ الْعَدْلُ.

{ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } [الأنعام: 106]
106- فَاتَّبِعْ أَيُّهَا النَّبِيُّ مَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ، وَدُمْ عَلَيْهِ وَاعْمَلْ بِهِ، لَا مَعْبُودَ يَسْتَحِقُّ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لَهُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَشْرَعُ إِلَّا هُوَ، وَمَنْ أَرْسَلَهُ وَأَذِنَ لَهُ بِذَلِكَ، وَلَا تَعْتَدُ بِأَقْوَابِلِ الْمُشْرِكِينَ الْبَاطِلَةَ وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى أَذَاهُمْ، فَالْحَقُّ مَعَكَ.

{ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ } [الأنعام: 107]

107- وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَلَّا يُشْرِكُوا لَمَا أَشْرَكُوا، فَلَهُ تَعَالَى الْمَشِيئَةُ وَالْحِكْمَةُ فِيمَا يَشَاءُ وَهُوَ يَخْتَارُهُ. وَلَوْ عَلِمَ مِنْهُمْ اخْتِيَارَ الْإِيمَانِ لَهَدَاهُمْ إِلَيْهِ.

وَمَا جَعَلْنَاكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ رَقِيبًا عَلَيْهِمْ تَحْفَظُ أَعْمَالَهُمْ وَأَقْوَامَهُمْ، وَلَسْتَ وَكِيلاً عَلَيْهِمْ فَتُجَبِّرُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، وَلَا قَائِماً عَلَى أَرْزَاقِهِمْ وَتَدْبِيرِ مَصَالِحِهِمْ، فَهَذَا أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ.

{ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأنعام: 108]

108- وَلَا تَسُبُّوا الْمُشْرِكِينَ وَأَصْنَامَهُمْ؛ لِأَنَّهُ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مَفْسَدَةٌ أَكْبَرُ مِنَ الْفَائِدَةِ الْمَرْجُوعَةِ مِنْهَا، فَيَسُبُّوا اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ؛ تَجَاوِزاً عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ وَجَهلاً مِنْهُمْ، فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يَسُبُّونَ اللَّهَ الْعَظِيمَ، خَالِقَهُمْ وَخَالِقَ الْكَوْنِ كُلِّهِ.

وَقَدْ قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا مُحَمَّدُ، لَتَنْتَهَيْنَ عَنَّا سَبَّكَ آهَتِنَا، أَوْ لَنَهْجُونَ رَبَّكَ. فَنَزَلَتِ الْآيَةُ.

ومثل هذا التزيين الذي زيناه للمُشركين، بحبّ أصنامهم والدفاع عنها، زيننا لكلّ قوم عملهم الذي ارتبطوا به وتفنّنا فيه من خيرٍ وشرٍّ، فهذا ما أرادوه أصلاً وتعلّقوا به، ثمّ إنّ رجوعهم ومصيرهم إلى مالك أمرهم، فيخبرهم بما كانوا عليه، ويجازيهم على ذلك، ثواباً أو عقاباً.

{ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } [الأنعام: 109]

109- وحلف المشركون حلفاً مؤكداً أنّهم إذا جاءتهم معجزة كما اقترحوها، ليصدّقونها ويؤمننّ بها. وقد سبقّت معجزات له صلى الله عليه وسلّم فلم يؤمنوا بها، فكان غرضهم التعنّت والعناد، لا الهداية والإيمان كما قالوا، فقل لهم أيّها النبي: إنّما المعجزات والخوارق من عند الله، إنّ شاء أتى بها وإن شاء أمسكها، وليس لي من الأمر شيء، فلا أقدر على الإتيان بها من عندي. وأنتم - أيّها المؤمنون - ما يدريكم لعلّ المعجزات إذا جاءتهم لا يؤمنون بها، فلا تُصدّقوهم ولو حلفوا.

{ وَثَقَلَبُ أَفْنَدَتْهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } [الأنعام: 110]

110- ونحوّل قلوب المشركين عن إدراك الحقّ فلا يفهمونه، وعيوّنهم عن إبصارها فلا يرونه، تماماً كما رفضوا الإيمان بالآيات والمعجزات الواضحات الدالّة على صدق نبوة رسولنا أوّل مرّة، فهي القلوب نفسها التي أبثت أنّ تستجيب للحقّ، وما زالت تُعانِدُ وتُخاصِمُ بعد كلّ رغبة ورهبة، وبعد كلّ إيضاحٍ ومحجّة، فهم الذين ظلموا أنفسهم ورضوا بالكفر والضلال، وعلم الله فيهم هذا العزم والتوجّه، فتركهم في كفرهم وضلالهم يتردّدون متحيرين.

والمتابع للحوار والجدال مع الملاحدة وأهل الأديان والفرق، يرى العناد واللّحاجة والمخاصمة من مُعظّمهم، وإصرارهم على ما هم عليه من باطل، فهم بذلك يستحقّون ما قال الله فيهم، وما ظلمهم الله ولا أجبرهم على ذلك، بل هذا هو توجّههم واستعدادهم الذي رضوه لأنفسهم، فليكونوا كذلك كما رغبوا.

الجزء الثامن

سورة الأنعام (111-165)

سورة الأعراف (1-87)

{ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ } [الأنعام: 111]

111- ولو أننا أجبنا على اقتراحهم بإنزال مُعْجِزَةٍ، بل أكثر مما سألوا، فأنزلنا ملائكة تُصَدِّقُ النَّبِيَّ الْمُرْسَلِ، وَبَعَثْنَا أَمْوَاتًا مِنَ الْقُبُورِ تُكَلِّمُهُمْ وَتُخَبِّرُهُمْ بِصَدَقِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحَّةِ التَّوْحِيدِ، وَجَمَعْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ يُمَكِّنُ أَنْ يَشْهَدَ بِصَدَقِ هَذِهِ الرَّسَالَةِ، مُوَاجَهَةً وَعِيَانًا، وَجَمَاعَاتٍ وَأَفْوَاجًا، لِمَا تَرَكُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَلِمَا آمَنُوا بِالرَّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ، فَالْهُدَايَةُ إِلَيْهِ لَا إِلَيْهِمْ.

ولكن أكثرهم يجهلون سبب عدم إيمانهم عند مجيء الآيات.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن ذلك كذلك، يحسبون أن الإيمان إليهم، والكفر بأيديهم، متى شاءوا آمنوا، ومتى شاءوا كفروا، وليس ذلك كذلك، ذلك بيدي، لا يؤمن منهم إلا من هديته له فوقته، ولا يكفر إلا من خذلته عن الرشد فأضلته.

قال صاحب "الظلال" رحمه الله: وهذا الأصل الذي يُقرُّه ابن جرير هنا هو الصحيح، ولكنّه يحتاج إلى زيادة الإيضاح، باستلهاً مجموعة النصوص القرآنية عن الهدى والضلالة، ومشية الله وجه الإنسان.

قال: مَشِيَّةُ اللَّهِ هِيَ الْمَرْجِعُ الْأَخِيرُ فِي أَمْرِ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، فَقَدْ اقْتَضَتْ هَذِهِ الْمَشِيَّةُ أَنْ تَبْتَلِيَ الْبَشَرَ بِقَدْرِ مَنْ حَرِيَّةِ الْإِخْتِيَارِ وَالتَّوَجُّهِ فِي الْإِبْتِلَاءِ، وَجُعِلَ هَذَا الْقَدْرُ مَوْضِعَ ابْتِلَاءٍ لِلْبَشَرِ وَامْتِحَانٍ، فَمَنْ اسْتَحْدَمَهُ فِي الْأَتِّجَاهِ الْقَلْبِيِّ إِلَى الْهُدَى وَالتَّطَلُّعِ إِلَيْهِ وَالرَّغْبَةِ فِيهِ - وَإِنْ كَانَ لَا يَعْلَمُ حِينَئِذٍ أَيْنَ هُوَ - فَقَدْ اقْتَضَتْ مَشِيَّةُ اللَّهِ أَنْ يَأْخُذَ بِيَدِهِ وَيُعِينَهُ وَيَهْدِيَهُ إِلَى سَبِيلِهِ، وَمَنْ اسْتَحْدَمَهُ فِي الرَّغْبَةِ عَنِ الْهُدَى وَالصُّدُودِ عَنْ دَلَائِلِهِ وَمُوحِيَاتِهِ، فَقَدْ اقْتَضَتْ مَشِيَّةُ اللَّهِ أَنْ

يُضِلُّهُ وَأَنْ يُبْعِدَهُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَأَنْ يَدَعَهُ يَتَخَبَّطُ فِي الظُّلُمَاتِ. وَإِرَادَةُ اللَّهِ وَقَدْرُهُ مُحِيطَانِ بِالْبَشَرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ، وَمَرَدُّ الْأَمْرِ كُلِّهِ إِلَيْهِ فِي النِّهَايَةِ. اهـ.

{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } [الأنعام: 112]

112- وكما أنَّ هناك أعداءً يُخَالِفُونَكَ وَيُؤْذِنُونَكَ فِي دَعْوَتِكَ، فَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ مِنْ قَبْلِكَ أَعْدَاءً يُنَاصِبُونَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَيُكذِّبُونَهُمْ، وَيُجَاهِدُونَ فِي الْقَضَاءِ عَلَى دَعْوَتِهِمْ، مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَمَرَدَّتْهُمْ وَعْتَاتُهُمُ الْمُضِلِّينَ الْأَشْرَارَ، يُوسِسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْكَلَامَ الْمَزِينِ الْمَرْوَقَ الْبَاطِلَ؛ لِيَعْرِوَهُمْ بِالْخِدَاعِ وَالْأَخْذِ عَلَى غِرَّةٍ. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا كَانَ هَذَا وَلَا ذَاكَ مِنْ أَدَى وَعَدَاوَةٍ، وَلَيْسَ هُوَ عَنْ مُصَادَفَةٍ، بَلْ لِيَبْتَلِيَ بِهِمْ أَوْلِيَاءَهُ، لِيَرَى صَبْرَهُمْ وَقُوَّةَ إِيمَانِهِمْ وَثَبَاتَهُمْ عَلَى مَبْدَأِهِمْ، وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، فَدَعَهُمْ وَمَا يَكذِّبُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكَ.

{ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ } [الأنعام: 113]

113- وَلِتَمِيلَ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ الْبَاطِلِ قُلُوبُ الْكُفْرَةِ الْمَشْرِكِينَ⁽³⁶⁾، الَّتِي تُنْبِئُ عَنْ حُبِّ الشَّهَوَاتِ، وَالانْحِرَافِ إِلَى مَا هُوَ خَادِعٌ وَمُؤَمَّهٌ، وَلِيَرْضَوْهُ وَيُحِبُّوهُ، وَلِيَكْتَسِبُوا مَا هُمْ مُكْتَسِبُونَ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَالْأَعْمَالِ الْمَشِينَةِ، حَتَّى يَلْقَوْا جَزَاءَهُمْ عَلَيْهَا.

(36) خُصَّ مِنْ صِفَاتِ الْمَشْرِكِينَ عَدَمُ إِيمَانِهِمْ بِالْآخِرَةِ، فَعَرَفُوا بِهَذِهِ الصَّلَةِ لِلْإِيمَانِ إِلَى بَعْضِ آثَارِ وَحْيِ الشَّيَاطِينِ لَهُمْ. وَهَذَا الْوَصْفُ أَكْبَرُ مَا أَضْرَّ بِهِمْ، إِذْ كَانُوا بِسَبَبِهِ لَا يَتَوَخَّوْنَ فِيمَا يَصْنَعُونَ خَشْيَةَ الْعَاقِبَةِ وَطَلَبَ الْخَيْرِ، بَلْ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَا يُرِيئُهُمْ مِنْ شَهَوَاتِهِمْ، مَعْرِضِينَ عَمَّا فِي خِلَالِ ذَلِكَ مِنَ الْمَفَاسِدِ وَالْكَفْرِ، إِذْ لَا يَتَرَقَّبُونَ جِزَاءً عَنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَلِذَلِكَ تَصْغَى عَقُولُهُمْ إِلَى غُرُورِ الشَّيَاطِينِ، وَلَا تَصْغَى إِلَى دَعْوَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّالِحِينَ. (التحريم والتنوير).

{ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } [الأنعام: 114]

114- قل لهم أيها النبي: هل أطلب حكماً منصفاً عالماً غير الله ليحكم بيني وبينكم، وهو الذي أنزل إليكم القرآن مبيّناً فيه الحقّ والباطل، والحلال والحرام، وغير ذلك من الأحكام والأخبار والتوجيهات بالحقّ والعدل، وأنتم أمة أمية لا تعرفون شيئاً من ذلك، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى يعلمون أنّ القرآن مُنزلٌ من عند الله، لما يجدون من صفة ذلك في البشارات التي في كتبهم، مما أخبرهم به أنبياءهم في صفة هذا النبيّ ونعت أمته وخبر القرآن. فلا تكوننّ أيها النبيّ من المترددين في كونهم يعلمون ذلك.

{ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [الأنعام:
115]

115- وتمّ كلام ربك⁽³⁷⁾ صدقاً في كلّ ما قال وقرّر، وعدلاً في كلّ ما شرع وحكم، فكلُّ ذلك حقٌّ لا مريّة فيه، فلا يأمر سبحانه إلاّ بخير، ولا ينهى إلاّ عن شرّ، ولا رادّ لقضائه، ولا مُغيّر لحكمه، ولا خُلف لوعده، ولا أحد يقدر على تبديل شيءٍ من كلماته إلى ما هو أفضل. وهو السميع لما يقول عباده في ذلك، العليم بأحوالهم وما يُسرّونه وما يُعلنونه، وما يُصلحهم.

(37) قال الشوكاني رحمه الله: المراد بالكلمات: العبارات أو متعلقاتها من الوعد والوعيد. والمعنى أن الله قد أمّم وعده ووعيده، فظهر الحقّ وانطمس الباطل. وقيل: المراد بالكلمة أو الكلمات: القرآن. (فتح القدير).

والذي قال إن المراد بالكلمة القرآن، هو الإمام الطبري.

وقال البغوي رحمه الله: أراد بالكلمات أمره ونهيّه، ووعده ووعيده.

{ وَإِنْ تُطَعِ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
يَخْرُصُونَ } [الأنعام: 116]

116- وإذا أطعت أغلب الناس فإنهم يصرفونك عن الحق ويبعدونك عن الهدى، ذلك أنهم
مقيمون في عقائدهم وأفكارهم الشركية والكفرية على الظنون والنظريات الباطلة، الناشئة عن
الجهل والضلال، فليستوا على يقين من أمرهم، بل هم يكذبون في دعاويهم.

{ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } [الأنعام: 117]

117- والله أعلم بمن سلك طريق الضلال، وهو أعلم بمن اهتدى إلى طريق الحق، ويهدي
كلاً إلى سبيله، ويجازيهم بما يستحقون.

{ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [الأنعام: 118]

118- فكلوا مما أحل الله لكم من الحيوانات التي ذُكر اسم الله عليها عند ذبحها، فهي
حلال لكم، وليس مما ذُكر اسم غيره عليها، أو مات حتف أنفه، إذا كنتم مؤمنين بآيات الله
المنزلة عليكم، وفيها بيان الحلال والحرام.

{ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا
اضْطُررْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ }
[الأنعام: 119]

119- ولماذا لا تأكلون ما ذُكر اسم الله عليه عند ذبحه وقد وضح لكم ما هو حرام (الآية
145 من هذه السورة)⁽³⁸⁾، فيكون ما عداه حلالاً، على ما وضح هناك، فكلوه، إلا إذا

(38) قوله تعالى: { قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ
جَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِعَبْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }.

اضطُررْتُمْ إِلَى أَكْلِ الْحَرَامِ، فَإِنَّهُ يُبَاحُ لَكُمْ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِكُمْ إِلَيْهِ. وَهَنَّاكَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُضِلُّونَ النَّاسَ بِأَهْوَائِهِمُ الْفَاسِدَةَ، فَيُحِلُّونَ الْحَرَامَ وَيُحَرِّمُونَ الْحَلَالَ مِنْ عِنْدِهِمْ، بِغَيْرِ مُسْتَنَدٍ إِلَى عِلْمٍ أَوْ وَحْيٍ، كَاسْتِحْلَالِ الْمَيْتَةِ، وَتَحْرِيمِ الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِضَلَالِ الْمُضِلِّينَ وَكَذِبِ الْمُفْتَرِينَ، الْمُتَجَاوِزِينَ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ، وَالْحَلَالَ إِلَى الْحَرَامِ.

{ وَذَرُّوا ظَاهِرَ الْإِيمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِيمَ سَيُحْزَرُونَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } [الأنعام:

[120

120- وَاتَّكَبُوا مَعْصِيَةَ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، قَلِيلَهَا وَكَثِيرَهَا، إِنَّ الَّذِينَ يَرْتَكِبُونَ الْمَعَاصِيَ وَيَكْتَسِبُونَ الْآثَامَ، سَيُعَاقَبُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ هَذِهِ بِمَا يَسْتَحِقُّونَهُ.

{ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ

لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ } [الأنعام: 121]

121- وَلَا تَأْكُلُوا لَحْمَ الْحَيَوَانِ الْحَلَالِ الَّذِي لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ عِنْدَ ذَبْحِهِ، فَهُوَ فِسْقٌ وَخُرُوجٌ عَنِ الطَّاعَةِ. وَذَهَبَ عِلْمَاءُ إِلَى أَنَّ الَّذِي لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ هُوَ الْمَعْنِيُّ بِمَا ذُبِحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَأَنَّ هَذَا مَا تَدُلُّ الْآيَةَ، بِدَلِيلِ تَتَمَّةِ الْآيَةِ إِلَى آخِرِهَا، وَبِمَا وَرَدَ فِي الْآيَةِ (138) مِنَ السُّورَةِ، وَأَحَادِيثِ تُسَانِدُهَا، وَأَنَّ التَّسْمِيَةَ مُسْتَحَبَّةٌ وَليستَ وَاجِبَةٌ.

وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُلْقُونَ إِلَى تَابِعِيهِمْ وَمُؤَافِقِيهِمْ مِنَ الْإِنْسِ الْكَلَامَ الْبَاطِلَ لِيُجَادِلُوكُمْ وَيُخَاصِمُوكُمْ بِهِ، كَقَوْلِهِمْ إِنَّ الْمَيْتَةَ قَتَلَهَا اللَّهُ فَلِمَاذَا لَا تَأْكُلُونَ لَحْمَهَا؟! فَإِذَا أَطَعْتُمُوهُمْ فِي اسْتِحْلَالِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، كَأَكْلِ الْمَيْتَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَأَنْتُمْ مُشْرِكُونَ، حَيْثُ تَرَكْتُمْ طَاعَةَ اللَّهِ وَشَرَعَهُ إِلَى طَاعَةِ الْمُشْرِكِينَ وَكَلَامِهِمُ الْبَاطِلَ، وَأَحَلَلْتُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَآثَرْتُمْ عَلَيْهِ غَيْرَهُ، أَوْ جَعَلْتُمْ مَعَهُ شَرِيكاً فِي الْحُكْمِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ } [سورة التوبة: 31].

{ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَّثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ

بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأنعام: 122]

122- وهل يَكُونُ مَنْ كَانَ مَيْتًا وَهَالِكًا بِالْكَفْرِ وَالضَّلَالَةِ، فَأَحْيَيْنَا قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ، وَدَلَّلْنَاهُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَجَعَلْنَا لَهُ الْقُرْآنَ نُورًا يَسْتَضِيءُ بِهِ فِي الْحَيَاةِ، لِيَعْرِفَ طَبِيعَةَ الْأَشْيَاءِ فِي الْحَيَاةِ، وَتَنكشِفَ لَهُ حَقَائِقُ الْوُجُودِ، وَيَعْرِفَ كَيْفَ يَتَصَرَّفُ، كَالَّذِي يَعِيشُ فِي ظَلَامِ الْكُفْرِ وَغِيَاهِبِ الْجَهْلِ وَمَهَاوِي الضَّلَالِ، لَا يَهْتَدِي مِنْهَا إِلَى نُورٍ لِيُخْرِجَ مِنْهَا، وَيَبْقَى فِي خَيْرَةٍ وَتَرُدُّدٍ، وَضَبِقٍ وَحَرْجٍ؟ بَلْ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا.

وكذلك سَوَّلْنَا لِنُفُوسِ الْكَافِرِينَ تَحْسِينَ وَتَزْيِينَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ ظَلَامٍ وَعَمَلٍ ضَالٍّ وَسُلُوكٍ مُنْحَرِفٍ؛ لِيَذُوقُوا جَزَاءَ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَرَفْضِهِمْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ.

{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } [الأنعام: 123]

123- وكما جعلنا في مكة مُجْرِمِينَ كَبَارًا يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ، وَيُصِرُّونَ عَلَى مَعَادَاتِكِ أَيُّهَا النَّبِيُّ، كَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي سَائِرِ الْمَدِينِ أَشْرَارًا مِنْ كُبْرَائِهَا يُعَادُونَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُصَلِّحِينَ، وَيَدْعُونَ إِلَى الضَّلَالَةِ وَيُزَيِّنُونَهَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ، فَالْمَعْرَكَةُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ قَدِيمَةٌ وَمُسْتَدِيمَةٌ. وَالْحَقُّ أَنَّهُمْ أَضَلُّوا أَنْفُسَهُمْ بِذَلِكَ، وَسَيَعُودُ وَبِأَلِّ مَكْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ هَذَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ، بَلْ يَظُنُّونَ أَنَّ مَكْرَهُمْ يَحِقُّ بَعْضِهِمْ.

{ وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ } [الأنعام: 124]

124- وهؤلاء المجرمون من المشركين إذا جاءتهم آيةٌ وحجَّةٌ من الله وحيًا بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم، أنكروا ذلك ولم يُصدِّقوا، وقالوا: لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى يَنْزِلَ عَلَيْنَا الْوَحْيُ بِوَسْطَةِ الْمَلَائِكَةِ كَمَا يُوحَى إِلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يَخْتَارُهُ لِلرِّسَالَةِ وَالْوَحْيِ مِنْ بَيْنِ عِبَادِهِ، وَلَيْسَ الْكَافِرُونَ الْمَجْرُمُونَ هُمُ الَّذِينَ يَخْتَارُونَ ذَلِكَ، وَسَوْفَ يَنَالُ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَنِ اتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ رِسَالَةُ اللَّهِ ذِلَّةً وَإِهَانَةً جَزَاءَ تَكْبُرِهِمْ وَتَطَاوُلِهِمْ، وَعَذَابٌ مُؤَلَّمٌ مَوْجِعٌ جَزَاءَ كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ الْمُسْتَمِرِّ وَأَذْيَتِهِمْ لِرَسُولِ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ.

{ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } [الأنعام: 125]

125- وإذا أراد الله أن يهدي امرءاً ويُعرفه طريق الحق، يَسَّرَ لَهُ أسباب الهداية، وشرح صدره للإسلام، وفتح قلبه للإيمان، وحبَّب إليه العملَ الصالح. ومن أراد له الضلالةَ ضَيَّقَ صدره لقبول الحق حتى لا يجدَ الحَيْرَ مَنْقِذاً إليه، ولا الإيمانَ نُوراً إليه، فيكونُ كمن يُحاول الصُّعودَ إلى أعلى، فهو يَجِدُ مَشَقَّةً بِالْغَةِ وَتَعَباً في إدراكِ ذلك، أو كأنما يَرْتَفِعُ في السماء فينْقُصُ عليه الأكسجين، فيشعرُ بضيقٍ وحرَجٍ في تنفُّسه. وهو ثابتٌ علمياً، وذلك اعتباراً من ارتفاع (3) كم حتى (16) كم فوق سطح البحر، وما بعده لا يقدرُ على الحياة بدون أجهزة التنفُّس.

وكما جعل الله الضيقَ في صدور من أراد له الضلالة، كذلك يجعل اللعنة والعذاب والخذلانَ على من أبى الإيمانَ وأصرَّ على الكفر.

{ وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ } [الأنعام: 126]

126- وهذا الذي جاء به الإسلامُ أيها النبي، هو صِرَاطُ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، وطريقه القويم، وهدايته التي رَضِيَها للناس، فلا اعوجاج فيها ولا انحراف، قد بيَّنا الآياتِ ووضَّحناها، لمن وعى وتدبَّر، وعقلَ عن الله ورسوله.

{ هُمْ ذَاوِ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأنعام: 127]

127- وهؤلاء المؤمنون الواعين يوم القيامة، جنَّةُ اللَّهِ الخالدة، السَّالِمَةُ مِنَ الْمَنْعَصَاتِ وَالْآفَاتِ، واللَّهُ حافظُهُم وناصرُهُم، جزاءً سلوكِهِم الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وامتثالِهِم أمرَ رَبِّهِم.

{ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } [الأنعام: 128]

128 - واذكر أيها النبي يوم يحشر الله الإنسَ والجنَّ للعرضِ والحساب، وقد كان بعضهم يلقى الكلامَ الباطلَ إلى بعض، فقليلٌ للجنِّ: يا جماعةَ الجنِّ، قد أكثرتم من إضلالِ الإنسِ، وأغرثتموهم بالشّهوات، وجعلتموهم من أتباعكم، فصاروا يتبعونَ خطواتكم، فحشروا معكم. وقال أتباعهم ومحبوهم من الإنس: ربنا إنَّ الجنَّ أمرتنا فأغوتنا فأطعناهم، وصيرنا صُحبةً متوالينَ في دارِ الدنيا، حتى حانَ الأجل.

قال الله: مكائكم النارُ أنتم جميعاً، يا من تواليتهم وتعاونتُم على الكُفرِ والضلالِ من الإنسِ والجنِّ، ما كُتبتَ فيها أبداً، إلا ما شاء الله. والله حَكِيمٌ في تقديرِ الجزاء، عليهم بأقوالِ النَّاسِ وأعمالهم.

والاستثناءُ في المشيئةِ هنا مختلفٌ فيه عندَ المفسرين، يُنظرُ شيءٌ من التفصيلِ فيه الآية (107) من سورة هود.

{ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّبُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [الأنعام: 129]

129 - ومثلُ الموالاةِ السَّابِقةِ بينَ الجنِّ والإنسِ في الضلالِ، كذلكَ يكونونَ قُرَناءً مُتَمَاتِلِينَ في العذابِ يومَ القيامةِ، جزاءَ كسبِهِمُ الخبيثِ المتماثلِ. قال قتادة: المؤمنُ وليُّ المؤمنِ أينَ كانَ وحيثُ كانَ، والكافرُ وليُّ الكافرِ أينما كانَ وحيثُما كانَ. وقال الفخرُ الرازيُّ في مسألةٍ من تفسيرِ الآية: الآيةُ تدلُّ على أنَّ الرعيَّةَ متى كانوا ظالمينَ فالله تعالى يُسلِّطُ عليهمَ ظالمينَ مثلهم.

{ يَا مَعْشَرَ الجنِّ وَالإنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَفْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ } [الأنعام: 130]

130 - يا جماعةَ الكفارِ منَ الجنِّ والإنسِ، ألم يُبعثْ إليكم في الحياةِ الدنيا رُسُلٌ منَ الإنسِ والجنِّ تبعَ لهم في هذا البابِ - يُخبرونكم بآياتي البيِّنة، ويخوفونكم - إذا نكلتُم وحالفتم - بأسِي وعذابي يومَ القيامة؟

قالوا: اعترفنا، وشهدنا على أنفسنا بتبليغِ الرسل، وإنذارهم إيانا، وعدمِ إجابتنا لهم.

وقد غرّتهم الدنيا وأهنتهم بزینتها وشهواتها، فاتَّبَعوا الشَّهوات، وخالفوا الحقَّ من كلام الرُّسل، وشهدوا على أنفسهم يوم القيامة أنهم كانوا كافرين في الدنيا بالآيات والنذر.

{ **ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ** } [الأنعام: 131]

131 - هذا، وليعلم أن الله لم يكن ليهلك القرى وظلم، بل ينعون ويبلغون وينذرون بواسطة الرسل، حتى لا يبقى لهم عذر في ذلك.

{ **وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** } [الأنعام: 132]

132 - ولكل من السعداء والأشقياء من الجن والإنس مراتب ومنازل عند الله، حسب توجُّههم وعملهم، وسيجازيهم عليها، إن خيراً أو شراً.

{ **وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مِمَّا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ** } [الأنعام: 133]

133 - وإن ربك - أيها الرسول - غني عن العالمين وطاعتهم، بل هم المحتاجون إليه. وهو الذي يرحمكم بفضله وكرمه، ويمهلكم إذا عصيتم، وهو إذا شاء أهلككم إذا خالفتم أمره، كما فعل بأقوام في القرون الخالية، ويأتي بآخرين من عباده مكانكم يطيعونه، كما أتى بكم وأنتم من نسل قوم آخرين.

{ **إِنَّ مَا تُوَعَدُونَ لَأْتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ** } [الأنعام: 134]

134 - إن الذي تُوعَدون به من الحساب والجزاء والدرجات يوم القيامة آت قريب لا محالة، ولا تُعجزون الله في ذلك⁽³⁹⁾، فهو قادر على بعثكم وإن كنتم عظاماً وزفاتاً.

(39) أي: بفائتين عما هو نازل بكم وواقع عليكم. يقال: أعجزني فلان، أي: فاتني وغلبني. (فتح القدير).

{ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ } [الأنعام: 135]

135- قُلْ لَهُؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ: اعْمَلُوا مَا أَنْتُمْ عَامِلُونَ حَسَبَ طَرِيقَتِكُمُ الضَّالَّةِ بَكْلٌ مَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، وَأَنَا قَائِمٌ عَلَىٰ دِينِ اللَّهِ وَثَابِتٌ عَلَىٰ هُدْيِهِ بِمَا أَوْحَىٰ إِلَيَّ، وَسَوْفَ تَرَوْنَ لِمَنْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ الْحَسَنَةُ، وَالنَّصْرُ الْمَبِينُ، فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. وَلَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ الْمُعْتَدُونَ عَلَىٰ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ⁽⁴⁰⁾، وَسَوْفَ يَلْقَوْنَ الْجَزَاءَ الْمَجَدَّ لَهُمْ.

{ وَجَعَلُوا لِلَّهِ بِمَّا ذَرَأُوا مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } [الأنعام: 136]

136- وَقَدْ ابْتَدَعَ الْمُشْرِكُونَ فُنُونًا فِي تَوْزِيعِ أَجْزَاءِ مِنَ الزُّرُوعِ وَالشَّمَارِ وَأَصْنَافٍ مِنَ الْحَيَوَانَ، لِلَّهِ، وَأُخْرَى لِلْأَصْنَامِ.

فَإِذَا زَادَ مَا لِلَّهِ أَعْطَوْهُ لِأَهْلِيهِمْ مِنَ الْأَصْنَامِ، وَإِذَا زَادَ مَا لِلْأَصْنَامِ لَمْ يُعْطُوهُ لِلَّهِ، وَقَالُوا: هُوَ غَنِيٌّ عَنْهُ. لَقَدْ أَسَاءُوا فِي حُكْمِهِمْ، فَاللَّهُ الَّذِي أَنْشَأَ لَهُمْ هَذِهِ الزُّرُوعَ، وَخَلَقَ لَهُمْ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ، أَخَذُوا حَقَّهُ فَأَعْطَوْهُ لِأَهْلِيهِمْ، وَلَمْ يُعْطُوهُ مِنْ نَصِيبِهَا! وَهَذَا ظُلْمٌ وَجَهْلٌ وَضَلَالٌ.

{ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُزِدُوهُمْ وَيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } [الأنعام: 137]

137- وَكَمَا سَوَّلَتِ الشَّيَاطِينُ لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ هَذِهِ الْأَعْمَالَ، فَقَدْ زَيَّنَتْ لَهُمْ أَيْضًا قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ خَشْيَةَ الْفَقْرِ، وَوَادَ بِنَاتِهِمْ خَشْيَةَ تَعْيِيرِهِمْ بَهَنٍّ، لَتَهْلِكُهُمْ وَتَخْلِطَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ، فِي تَصَوُّرَاتٍ غَامِضَةٍ مُتَلَبِّسَةٍ بِطُقُوسٍ مُّبْهَمَةٍ وَمُنْكَرَةٍ. وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ لِمَا فَعَلَتِ الشَّيَاطِينُ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ ابْتِلَاءٌ مِنْهُ، فَدَعَهُمْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - وَمَا يَكْذِبُونَ وَيَكِيدُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَهُمُ بِالْمُرْصَادِ.

(40) لا يفلح: لا ينجح ولا يفوز. (الطبري).

{ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } [الأنعام: 138]

138- وَمِنْ جَهْلِ الْمُشْرِكِينَ فِي تَقْرِيرِ الْأَحْكَامِ وَأَهْوَائِهِمْ فِي ذَلِكَ أَنْ قَالُوا: هَذِهِ حَيَوَانَاتٌ وَزُرُوعٌ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْتَدِيَ عَلَيْهَا أَوْ يَأْكُلَهَا، فَعَزَلُوهَا وَحَجَرُوهَا لِلْأَصْنَامِ، قَالُوا: إِلَّا مَنْ شِئْنَا أَنْ نُطْعِمَهُمْ مِنْهَا! وَقَالُوا أَيْضًا: هَذِهِ أَنْعَامٌ لَا تُرْكَبُ، وَجَعَلُوا لَهَا عِلَامَاتٍ بِشَقِّ الْأُذُنِ أَوْ غَيْرِهَا، وَسَمَّوْهَا الْبَحِيرَةَ وَالسَّائِبَةَ وَالْوَصِيلَةَ وَالْحَامِ، وَحَيَوَانَاتٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِذَا ذَبَحُوهَا أَوْ رَكِبُوا عَلَيْهَا، بَلْ يَذْكُرُونَ عَلَيْهَا أَسْمَاءَ الْأَصْنَامِ، وَكَذَبُوا فَاسْتَدَوْا هَذِهِ الْأَحْكَامَ إِلَى اللَّهِ، وَسَوْفَ يُعَاقِبُهُمُ اللَّهُ عَلَى كَذِبِهِمْ هَذَا سُوءَ الْعِقَابِ.

{ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } [الأنعام: 139]

139- وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ فِي فُنُونِ تَحْرِيمِهِمْ: الْجَنِينُ الَّذِي فِي بُطُونِ الْحَيَوَانَاتِ السَّابِقَةِ حَلَالٌ لِلرِّجَالِ وَحَرَامٌ عَلَى الْإِنَاثِ! فَإِذَا مَاتَ اشْتَرَكَ فِي أَكْلِهِ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ! هَكَذَا! وَسَوْفَ يُجَازِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى حُكْمِهِمْ هَذَا، الَّذِي افْتَرَوْا بِهِ عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ حَكِيمٌ فِيمَا يَقُولُ وَيَشْرَعُ وَيُقَدِّرُ، لَا كَمَا يَتَصَرَّفُ الْمُشْرِكُونَ بِأَهْوَائِهِمْ، عَلِيمٌ بِأَحْوَالِ عِبَادِهِ وَمَا يَنَاسِبُهُمْ.

{ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } [الأنعام: 140]

140- لَقَدْ خَابَ الْمُشْرِكُونَ وَخَسِرُوا أَفْلَادًا أَكْبَادِهِمْ بِقَتْلِهِمْ، وَذَلِكَ لِضَلَالِهِمْ وَضَيْقِ عُقُوبِهِمْ وَجَهْلِهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ رَازِقُهُمْ وَرَازِقُ أَوْلَادِهِمْ. كَمَا ضَيَّقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ عِنْدَمَا حَرَّمُوا أَشْيَاءَ لَمْ يُنَزِّلِ اللَّهُ بِهَا سُلْطَانًا، كَالْبَحَائِرِ وَالسَّوَائِبِ وَمَا إِلَيْهِمَا، وَمَعَ ذَلِكَ نَسَبُوهَا إِلَيْهِ كَذِبًا وَافْتِرَاءً، لَقَدْ بَعُدُوا عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَمَا كَانُوا أَهْلَ هِدَايَةٍ وَاسْتِقَامَةٍ.

{ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } [الأنعام: 141]

141- هو الله الخالق واهب النعم، الذي أخرج للناس الثمار والزروع، منها ما يهتّم بها الإنسان فيجعلها على شكل عرائش وبساتين، ومنها ما يكون في حياة طبيعية بريّة. أو أن منها ما يكون مُنبسطاً على وجه الأرض، ومنها ما يقوم على ساقٍ ونسق. وهو الذي أنشأ النخيل الذي يُنتج الرطب والتمر الطيب المفيد، والزروع بأنواعها وأطعمتها المختلفة، وكذلك الزيتون ذا الطعم المميز النافع، والرمان اللذيذ، بأصنافه المختلفة، المتشابهة وغير المتشابهة. فكلوا من هذه الثمار الطيبة، ولا تنسوا الفقراء والمساكين من حقها، فأثوهم منه عندما تحصدونها، زكاةً أو صدقة، ولا تسرفوا في الأكل ولا في الإعطاء، فالله لا يحب من تجاوز الحد إلى ما هو مُضِرّ، بنفسه أو بالآخرين.

{ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } [الأنعام: 142]

142- وهو الله الذي خلق لكم الأنعام، لتركبوا بعضها وتحملوا عليها أثقالكم، كالإبل والحيل، وتستفيدوا من غيرها كالشياه، فتأكلوا لحمها وتحلبوا منها، وتتخذوا من أصوافها وأوبرها خُفًا وفُرشاً. فكلوا مما رزقكم الله من هذه الثمار الطيبة والنعم الحلال، ولا تتبعوا مكر الشيطان وطرائقه الخادعة في تحليل وتحريم ما سخّرهُ الله لكم، فهو خالفها وخالفكم، وهو وحده الذي يشرع فيحل ويحرم، والشيطان عدو لكم، فلا يسؤل لأوليائه إلا ما هو شرّ وفتنة وما فيه ضرر.

{ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعزِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبُؤُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [الأنعام: 143]

143- وهذه هي الأنعام التي ادعى المشركون استحلالاً وتحريم أجزاء منها، وتصنيفها كما أفرزها عقولهم الضعيفة وأهواؤهم الزائغة في الجاهلية، فهي ثمانية أزواج، كلٌ منها ذكر وأنثى، فمن العنم - ذي الصوف - اثنان، ومن المعز اثنان، فأيهما حرّم الله: الذكر منهما أم أنثيهما؟

أم الجنين الذي في رحمي الأنثيين؟ فأخبروني بيقين: كيف حرّم الله ما زعمتم من البحيرة والسائبة وما إليهما، وهو لم يُحرّمه، إذا كنتم صادقين في دعوى التحريم؟

{ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْإُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [الأنعام: 144]

144- ثمّ من الإبل اثنتين، ومن البقر اثنتين، فقل لهم أيها النبي: هل حرّم الله الذكر منهما، أم أنثيتهما، أم الجنين الذي في رحمي الأنثيين منهما؟ أم كنتم موجودين ن مشاهدين عندما وصّاكم الله بهذا الذي ابتدعثموه وزعمتم تحريمه؟ فما أعظم جرّمكم! وليس هناك أظلم ممّن كذب على الله وقال إنّ هذا التحريم شريعته، ليبعد الناس عن طريق الحقّ والهدى، من غير علم منه ولا وحي، والله لا يهدي القوم المتجاوزين الحقّ، المفترين على الله.

{ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِعَٰبِرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ } [الأنعام: 145]

145- قلّ للمُشركين الذين حرّموا أشياء من عندهم ونسبوه إلى الله افتراءً عليه: لا أجد فيما أوحى الله إليّ ممّا حرّمه على آكلٍ يأكله، إلّا إذا كان مَيْتَةً - وتفصيلها في الآية الثالثة من سورة المائدة - أو دمًا مُهراقًا، أي مصبوبًا سائلًا، فيعفى عمّا اختلطَ بعظمٍ ولحم، أو لحم خنزير، فإنّه قدّر حبيث، أو ما دُبِحَ خُروجًا عن الطاعة، بأنّ دُبِحَ على اسم الأصنام. فمن دعتُهُ الضّرورة إلى تناول شيءٍ من تلك المحظورات، غير مُعتدٍ في ذلك، بأنّ لا يأخذه من مُضطرٍّ آخر مثله، ولا مُتجاوزٍ قدّر الضّرورة، بأنّ لا يأكل زيادةً على حاجته إليها، فإنّ الله يَغْفِرُ لَهُ ما أكل، ويرحمه.

ويُلحِقُ بما حرّم ما ذُكِرَ في السّنة: الحُمُرُ الأهلِيّة، وكلُّ ذي نابٍ من السّباع، ومخلَبٍ من الطّيّر، فهو تَخْصِيصٌ عامّ، أو ابتداءٌ حُكم.

قال ابن كثير رحمه الله: فعلى هذا يكون ما ورد من التحريمات بعد هذا في سورة المائدة وفي الأحاديث الواردة: رافعاً لمفهوم هذه الآية. ومن الناس من يُسمّي ذلك نسخاً، والأكثر من المتأخّرين لا يُسمونه نسخاً؛ لأنّه من باب رفع مباح الأصل.

{ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اختَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبِعْثِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ }
[الأنعام: 146]

146- وحَرَّمْنَا على اليهود كلَّ حيوانٍ ذي أظفار، وهو ما لم يكن مَشقوقَ الأصابع من البهائم والطَّير، مثل البعير والنَّعام والبطِّ والأورِّ، وحَرَّمْنَا عليهم شُحُومَ البقرِ والغنم، إلَّا شحمَ الظَّهر، أو ما التفَّ بالأمعاء، أو ما اختلطَ منه بالطَّعام؛ وذلك عقوبةٌ لهم على مخالفتهم أوامرنا، كأكلِ الرِّبا، وأكلِ أموالِ النَّاسِ بالباطل، وقتلهم الأنبياء... ونحن صادقون في الإخبار بما حَرَّمْنَا عليهم، وبظلمهم وتعديهم، وعادلون بما جازيناهم به.

{ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ } [الأنعام:
147]

147- فَإِن كَذَّبَكَ الْيَهُودَ، وقالوا إنَّ هذا ممَّا حُرِّمَ على نوحٍ وإبراهيم، ومنَّ بعدهما من الأنبياء حتَّى وصلَ إلينا، فقلْ لهم: إنَّ ربَّكم ذو رحمةٍ عظيمة، فلا يُعاجلُكم بالعقوبة على كذبكم ومعاصيكم، ولكنَّ عذابه لا يُردُّ ولا يُدفع عن المجرمين الكافرين إذا جاءَ وقته، فاحذروا ولا تُنكروا الحقَّ.

{ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } [الأنعام: 148]

148- وسيقول لك المشركون: لو أراد الله لما أشركنا نحن ولا آباؤنا، ولا حرّمنا شيئاً مما حرّمه الآن، ولكنّه شاء ذلك، وإذا شاء أمراً فهو يعنى مشروعيته ورضاءه عنه، وعلى هذا فإنّ ما نقوم به صحيح ومشروع!

وهذا كذبٌ ولجاجة، وقد افترى مثل هذا الكذب أممٌ كافرةٌ خلت من قبلهم، حتّى جاءهم عذابنا وذاقوا عقوبتنا.

قل لهم أيّها النبيّ: هل عندكم كتابٌ أو حجّةٌ ظاهرةٌ أو أمرٌ معلومٌ من عند الله بصدق ما أنتم عليه من الشّركِ وتحريم ما حرّمتموه، حتّى تُبرزوه لنا لنطمئنّ إلى ذلك؟ إنّ الذي تتبعونه ما هو إلّا وهمٌ واعتقادٌ فاسدٌ، وما أنتم بهذا إلّا تكذبون على الله، فإنّ الله لا يرضى لعباده الكفر والشّرك والفواحش، وكيف تُحيلون شرككم إليه وأنتم لم تشهدوا مشيئته؟ ولماذا أرسل إليكم عذابه؟ فلو كانت شُبّهتكم صحيحةً لما أذاقكم العذاب.

{ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } [الأنعام: 149]

149- قل للمشركين: لله البرهانُ البيّنُ الواضح، والحكمةُ التامةُ، والإثباتُ الصّحيح، فيمنّ هداهم، وفيمنّ أضلّهم، ولو شاء أن يخلّق في الناس طبيعةً لا تعرف سوى الاهتداء لفعل، ولكنّه سبحانه شاء أن يبتلي ويخيّر الناس في اعتقادهم، وأن يُيسّر لكلّ ما يُريد، ثمّ يكون الحساب.

{ قُلْ هَلْ سَأَلْتُمْ لَشَهَادَتِهِمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } [الأنعام: 150]

150- قل للمشركين: أحضروا شهداءكم الذين يثبتون أنّ الله حرّم هذا، فإذا شهدوا بذلك، وهم كاذبون، معروفون بالباطل، فلا تشهد أنت بذلك ولا تُصدّقهم، لأنهم يشهدون

كذباً وزوراً، وبَيَّنَّ لَهُمْ فسادَ رأيهم. ولا توافِقِ الكفارَ في أهوائهم الزائغة⁽⁴¹⁾، الذين كذبوا بمعجزاتنا وحججنا البيّنة، ويكذبون بالبعثِ والنشور، ويجعلونَ لله شركاء.

{ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا
تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمُ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [الأنعام: 151]

151- قل للمُشركين: تعالوا لأقرأ وأقصد عليكم ما حرّمه ربكم عليكم، لا ما تدعون أنّه
حرّمه بزعمكم، فهو الحاكم المشرّع لا أنتم:

ألا تشركوا بالله شيئاً، فهو وحده المتصرف في الكون، وهو وحده الذي يجب أن يُعبَد.
وأن تُحسِنوا إلى الوالدين، إحساناً كاملاً لا إساءة معه.

وأن لا تقتلوا أولادكم لما بكم من فقر، فنحن نرزقكم ونرزقهم.

ولا تقربوا الفواحش، ما ظهر منها وما خفي، مثل الزنا في الأماكن المعدّة لها، ومثل الأخذ
الأخذان والعشيقات.

ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله قتلها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق، كالردة، والزنا بعد
الإحصان، وقتل النفس عمداً.

هذا ما فرضه الله عليكم وأمركم به، لتعقلوا أمره وهيبه.

{ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ
لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ
وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [الأنعام: 152]

(41) سمى دينهم هوى لعدم استناده إلى مستند، ولكنه إرضاء للهوى. والهوى غلب إطلاقه على محبة الملائم العاجل
الذي عاقبته ضرر. (التحرير والتنوير).

152- ولا تَعَرَّضُوا مَالِ الْيَتِيمِ - أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ وَالْأَوْصِيَاءُ - إِلَّا بِمَا فِيهِ صَلاَحُهُ وَتَثْمِيرُهُ، حَتَّى يَبْلُغَ الْحُلُمَ. وَأَتَمُّوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْعَدْلِ، فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ.
 لَا تُحْمَلْ نَفْسًا إِلَّا طَاقَتَهَا، فَإِذَا أَخْطَأَتْ بَعْدَ بَدَلٍ جُهِدِهَا فَلَا حَرْجَ عَلَيْهَا.
 وَإِذَا قُلْتُمْ قَوْلًا فِي شَهَادَةٍ أَوْ حُكْمٍ فَاصْدُقُوا، وَلَوْ كَانَ الْمَحْكُومُ وَالْمَشْهُودُ عَلَيْهِ ذَا قَرَابَةٍ مِنْكُمْ.
 وَأَوْفُوا بِمَا عَاهَدَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرٍ وَهَيَّي، فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ عَنْ عَهْدِهِ.
 هَذَا مَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ أَمْرًا مُؤَكَّدًا، لَتَفْهَمُوهُ وَتَتَدَبَّرُوهُ وَتَعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهُ.

{ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [الأنعام: 153]

153- وَقُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ: إِنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ صِرَاطِي الْمُسْتَقِيمَ الَّذِي لَا اِعْوِجَاجَ فِيهِ، فَهُوَ مَا أَسْأَلُكُمْ وَأَدْعُو إِلَيْهِ، فَاتَّبِعُوا تَعَالِيمَهُ وَاَعْمَلُوا بِهِ، وَلَا تَتَّبِعُوا الضَّلَالَاتِ، وَالْبِدْعَ وَالشُّبُهَاتِ، فَتُفَرِّقَكُمْ حَسَبَ تَفَرُّقِهَا عَنْ دِينِ اللَّهِ. هَذَا مَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ، لَتَبْتَعِدُوا عَنِ الْمِرَاءِ وَالْخُصُومَاتِ، وَالِاخْتِلَافِ وَالْفُرْقَةِ، الَّتِي أَهْلَكَتْ مَنْ قَبْلَكُمْ.

{ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ } [الأنعام: 154]

154- وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى، كَامِلًا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُحْسِنِينَ مِنْ قَوْمِهِ، وَبَيَانًا مُفَصَّلًا لِجَمِيعِ مَا يُجْتَاحُ إِلَيْهِ فِي الدِّينِ، وَدَلِيلًا إِلَى الْحَقِّ الْمُبْتَغَى، وَرَحْمَةً بِالْمُكَلَّفِينَ، لِيُؤْمِنَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِالْبَعْثِ، وَيُصَدِّقُوا بِالنُّوَابِ وَالْعِقَابِ.

{ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [الأنعام: 155]

155- وَهَذَا الْقُرْآنُ أَنْزَلْنَاهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هُوَ كِتَابٌ نَافِعٌ جَلِيلٌ عَظِيمٌ الشَّانِ، فِيهِ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ مَا يَضْمَنُ لَكُمْ الْأَمْنَ وَالسَّعَادَةَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، فَاعْمَلُوا بِهِ، وَاتَّقُوا نَوَاهِيهِ؛ لِتُرْحَمُوا وَتَفُوزُوا.

{ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لِعَافِلِينَ }
[الأنعام: 156]

156- قد أنزلنا إليكم القرآن لئلا تقولوا إن الكتاب أنزل على اليهود والنصارى، ونحن لا نفهم قولهم، وليس هو بلساننا، ولا نعرف قراءة ما فيه.

{ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ } [الأنعام: 157]

157- وقطعنا العذر عنكم إذا تحاججتم وقلتم: إذا نزل علينا الكتاب لئلا نكون أهدى منهم إلى الحق، وأسرع إلى الاستجابة لنداء الله منهم، فهذا هو القرآن قد جاءكم من عند الله بلسان عربي مبين، وفيه ما اشتملت عليه التوراة من الهداية والرحمة بالناس، وتبيين الأحكام، وذكر الحلال والحرام.

وليس هناك أظلم ممن خالف الرسل، وكذب بما أوحى الله إليهم، وأعرض عن آيات الله البينات، فلم ينتفع بهدي الرسالة السماوية، وسنجازي إعراضهم هذا وتكذيبهم بآيات الله بما يناسبه من العذاب الشديد المؤلم، بسبب إعراضهم المستمر، وتجاوزهم الحق.

{ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتظروا إِنَّا منتظرون } [الأنعام: 158]

158- هل ينتظر المشركون - بعد تكذيبهم الرسل وكفرهم بالآيات - إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم أو تعذيبهم، أو يأتي ربك - يوم القيامة - { في ظلل من الغمام } [سورة البقرة: 210] للقضاء بين خلقه، أو يأتي بعض أشرط الساعة، كطلوع الشمس من مغربها، وعندما يأتي بعض هذه الآيات، لا ينفع إيمان امرئ بها لم يكن مؤمناً من قبل، أو كان مسلماً فاسقاً فلم يكسب بإيمانه الضعيف عملاً صالحاً، فلا تُفيدة التوبة يومئذ؛ لأن إيمان الجميع يومئذ يكون عن اضطرار.

قل للمُشْرِكِينَ أَيُّهَا النَّبِيُّ: انْتظروا إِذَا إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ فِيهِ إِيمَانُكُمْ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ بِكُمْ الْعَذَابَ يَوْمَئِذٍ.

{ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَأَنتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } [الأنعام: 159]

159- إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَبَعَّضُوهُ؛ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي دِينِهِمْ، فَكَانُوا فِرْقًا، كُلُّ فِرْقَةٍ تَتَشَبَّحُ فِي رَأْيِهَا إِلَى إِمَامٍ لَهَا، لَسْتَ مَسْئُولًا عَنْ تَفْرِقِهِمْ أَوْ عِقَابِهِمْ، وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنْهُمْ، إِنَّمَا يَتَوَلَّى أَمْرَهُمْ رَبُّهُمْ بِحِكْمَتِهِ، وَيُخْبِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، فَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْ، وَيَجَازِبُهُمْ، وَيُجَازِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ.

{ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } [الأنعام: 160]

160- مَنْ جَاءَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَصْلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ خِصَالِ الطَّاعَةِ، فَلَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ أَمْثَالِهَا، فَضْلًا وَتَكْرُمًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. وَمَنْ جَاءَ بِسَيِّئَةٍ وَاحِدَةٍ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَلَا يُجْزَى إِلَّا بِتِلْكَ الْوَاحِدَةِ، عَدْلًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ بِنَقْصِ الثَّوَابِ وَزِيَادَةِ الْعِقَابِ.

{ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [الأنعام: 161]

161- قُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ: إِنَّ اللَّهَ هَدَانِي إِلَى طَرِيقٍ وَاضِحٍ مُسْتَقِيمٍ لَا اِعْوَجَاجَ فِيهِ، هُوَ دِينُ اللَّهِ الْقَائِمُ الثَّابِتُ، مِثْلُ نَبِيِّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ، الْمَائِلِ عَنْ جَمِيعِ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ إِلَى الْحَقِّ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا ادَّعَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أَنَّهُ مِنْهُمْ!

{ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الأنعام: 162]

162- قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: إِنَّ صَلَاتِي، وَعِبَادَتِي، وَمَا أَتَقَرَّبُ بِهِ، فِي الْحَجِّ وَغَيْرِهِ، وَمَحْيَايَ وَمَوْتِي بِمَا يُقَارِبُهُمَا مِنْ إِيْمَانٍ وَطَاعَةٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ، وَكَسْبٍ وَجَزَاءٍ، كُلُّهَا مَقْدَمَةٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

{ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } [الأنعام: 163]

163- وأعمالي هذه خالصة لله عزَّ وجلَّ، لا أشرك فيها غيره، وبهذا القول أو الإخلاص أُمِرْتُ، وأنا أول المسلمين من هذه الأمة، الممثلين لأمر الله، المستسلمين لقضائه وقدره.

{ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } [الأنعام: 164]

164- وقل لهؤلاء المشركين: هل أطلب لكم في دعوتي إليكم ربًّا سوى الله، وهو مالك كلِّ شيءٍ ومدبِّره وحافظه، فلا أتوكلُ إلا عليه، ولا أدعو سواه، ولا أشرك بعبادتي له أحداً. وما تعملُه كلُّ نفسٍ من شرٍّ يُكْتَبُ عليها، وعاقبته يعودُ عليها.

ولا تحملُ نفسٌ حملَ أخرى، لا تقدِرُ على أن تُلقِي من آثامها على آخريين، ولا تقدِرُ على أن تخفِّفَ عن آخريين بجزِّ آثامهم إليها، بل كلُّ نفسٍ مقرونةٌ بعملها، مُحاسبَةٌ عليه. ثم تُبعثون إلى الله يومَ الحساب، فيُخبركم بما عملتم من خيرٍ وشرٍّ، وما كنتم تختلِفون فيه في الحياة الدنيا من حقٍّ وباطلٍ، وما ترتبَ على ذلك من موافقكم من رُشدٍ وغيٍّ، وهُدًى وضلال.

{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } [الأنعام: 165]

165- وهو الله الذي قدرَ بحكمته أن يخلفَ بعضكم بعضاً، جيلٌ يخلفُ جيلاً، وخلفُ يأتي بعدَ سلف، لتُعمَرَ الأرضُ وتبقى الحياةُ ماضيةً، حتى تقومَ الساعةُ.

وفاوتَ بينكم في الأحوال، فأنتم بينَ قويٍّ وضعيفٍ، وغنيٍّ وفقيرٍ، ومُحسِنٍ ومُسيءٍ، وأبيضٍ وأسمرٍ، ليختبركم في ذلك كله، وينظرَ ماذا تفعلون، وهل يظلمُ القويُّ الضعيفَ أم يُساعده؟ وماذا يفعلُ الغنيُّ بشروته؟ وهل يصبرُ الفقيرُ أم ينحرفُ ويعتدي؟... ويُجازي الله كلاً بما عمل. وهو سبحانه إذا عاقبَ فسريعٌ في عقابه، فاحذروا مخالفتَه. وهو غفورٌ لمن استغفره ونَدِمَ على ما عصَى، رحيمٌ بمن والاهُ واتبعَ رضاه.

سورة الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{المص} [الأعراف: 1]

1- حُرُوفٌ مُقَطَّعَةٌ لَمْ يَرِدْ فِي مَدْلُوهَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ صَحِيحٌ، وَعَلِمُهَا عِنْدَ اللَّهِ.

{كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف:

[2]

2- هُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنْ عِنْدِهِ، فَلَا يَكُنْ عِنْدَكَ شَكٌّ فِي ذَلِكَ، أَوْ لَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ ضَيْقٌ مِنْ تَبْلِيغِهِ، وَلَا حَرَجٌ فِي الْإِنذَارِ بِهِ مَخَافَةَ أَنْ يُكَذِّبُوكَ، وَلِيَكُونَ تَذَكِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ، يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَيَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ.

{اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} [الأعراف:

[3]

3- أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّبِعُوا وَاتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ إِلَيْكُمْ فِي الْقُرْآنِ، وَلَا تُقْبِلُوا عَلَى غَيْرِهِ، مِمَّنْ يَبْتَغُونَ إِضْلَالَكُمْ بِأَهْوَائِهِمْ، وَيُلْقُونَ إِلَيْكُمْ أَبَاطِيلَهُمْ؛ لِتَنْحَرِفُوا عَنِ جَادَةِ الْحَقِّ، وَأَنْتُمْ قَلِيلًا مَّا تَعْمَلُونَ بِهَذَا، فَتَتَّكُونَ الْحَقَّ وَتَتَوَجَّهُونَ إِلَى غَيْرِهِ!

{وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ} [الأعراف: 4]

4- وَكَثِيرَةٌ هِيَ الْمَدُنُ وَالْقُرَى الَّتِي دَمَّرْنَاهَا عَلَى أَهْلِهَا، لِمُخَالَفَتِهِمْ رُسُلَنَا وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُمْ، وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى أَبَاطِيلِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ فَنَزَلَ بِهِمْ لَيْلًا وَهُمْ سَاكِنُونَ، وَمِنْهُمْ مَنْ نَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ فِي وَقْتِ الْقَيْلُولَةِ وَهُمْ مُسْتَرِيحُونَ. وَكِلَا الْوَقْتَيْنِ وَقْتُ غَفْلَةٍ وَرَاحَةٍ.

{فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ} [الأعراف: 5]

5- وكانَ مقامُهُمَ عندما نزلَ بِهِمُ العذابُ وقدَ اعترفوا بِذَنبِهِمُ، وَهُمُ يَطمعونَ بِذلكَ الخِلاصِ مِنَ العَذابِ: لقدَ كُنَّا مَسِيعِينَ إِلَى أَنفُسِنَا، مَخالِفِينَ لِأَمْرِ رَبِّنا، وَنَحْنُ مُستَحِقُّونَ العُقُوبَةَ.

{ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ } [الأعراف: 6]

6- وَسوفَ نَسْأَلُ الأُمَّمَ يَوْمَ القِيامَةِ عَمَّا أَحابوا رُسُلَهُمُ، وَسوفَ نَسْأَلُ المُرْسَلِينَ عَن تَبليغِ رِسالَتِهِمُ، وَما الَّذي أَجابَتُهُ أَقوامُهُمُ.

{ فَلَنَقُصِّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ } [الأعراف: 7]

7- وَنُخَبِّرُ كُلَّ النّاسِ عَن عِلْمِ، وَنَبِيُّهُمُ ما قالوهُ وَما عَمِلوهُ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، قَليلًا كانَ أَوْ كَثيرًا، فَاللَّهُ مَحيطٌ بِأَحوالِهِمُ، لا يَغيبُ شَيءٌ مِنْها عَن عِلْمِهِ.

{ وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الأعراف: 8]

8- وَوزنُ الأَعْمالِ، وَالتَّمييزُ بَينَ الصّالِحِ مِنْها وَالفاسِدِ يَوْمَ الحِسابِ، حَقٌّ ثابتٌ عَدْلٌ، فَمَنْ رَجَحَتْ كِفَّةُ مَوازِينِهِ بِالْحَسَناتِ، فَقَدْ فازوا بِالنَّجاةِ وَالثَّوابِ.

{ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ } [الأعراف: 9]

9- وَمَنْ رَجَحَتْ كِفَّةُ مَوازِينِهِ بِالسَّيِّئاتِ، فَهُمُ الَّذينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمُ، نادِمينَ مُتَحَسِّرينَ عَلى ما فَاتَهُمُ مِنَ الثَّوابِ وَالتَّعِيمِ، وَعَلى ما لَحِقَهُمُ مِنَ العَذابِ الأليمِ، وَهذا لِأَنَّهُمُ كانوا يَجْحَدونَ بِجُحُوجِنا وَأَدلَّتِنا، وَيُكَذِّبونَ رُسُلَنا.

{ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ } [الأعراف: 10]

10- وَقَدْ جَعَلنا لَكُمُ الأَرْضَ مَكانًا وَقَرارًا، وَجَعَلنا لَكُمُ فِيها ما بِهِ تَعيشونَ، مِنْ مَكاَسِبِ وَمَطاعِمِ وَمَشارِبِ وَتِجارَتِ، وَكُلُّ ما فِي الأَرْضِ هُوَ مِنْ نِعمَةِ اللَّهِ عَلَياكُمْ، وَمَعَ ذلكَ فَأَنْتُمْ قَليلو الشُّكْرِ لِهِ.

{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ
مِنَ السَّاجِدِينَ} [الأعراف: 11]

11- وقد خلقنا أصلكم آدم من تراب، ثم صورناه بشراً، ثم نفخنا فيه من روحنا، ثم قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجدة تكرم، وهي تعظيم لشأن الله تعالى وجلاله، فسجدوا كلهم وأطاعوا، إلا إبليس عصى وأبى أن يسجد.

{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}
[الأعراف: 12]

12- قال الله تعالى لإبليس ما تفسيره: ما الذي منعك أن تسجد لآدم كما أمرتك؟ قال: أنا أفضل وأحسن من آدم، فقد خلقتني من نار، وخلقته من طين، والنار أشرف من الطين، فلماذا أسجد له؟.

وكان قياسه فاسداً، وعصيانه ظاهراً، فالفضل لمن جعل الله له الفضل، والشريف من شرفه الله، وقد شرف الله آدم فنسخ فيه من روحه، وأمر ملائكته أن يسجدوا له تشريفاً له، والطين أفضل من النار، ففيه الرزانة، والحلم والصبر، وهو محلّ النبات والنمو، والزيادة والإصلاح، والنار من شأنها الإحراق والطيش، والجرأة والسُرعة؛ ولهذا كان الشيطان طائشاً خائناً، شقياً عاصياً لخالقه، ولذلك استحق ما يأتي.

{قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ} [الأعراف: 13]

13- قال الله تعالى لإبليس اللعين ما معناه: اخرج من الجنة، فلا يصح لك أن تبقى فيها وقد استكبرت عن أمري بالسجود لآدم، فاخرج منها ذليلاً حقيراً مهاناً.

{قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [الأعراف: 14]

14- قال إبليس لربه: أمهلني ولا تمتني في الحياة الدنيا حتى يوم البعث.

{ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ } [الأعراف: 15]

15- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مَا مَعْنَاهُ: قَدْ أَمَهَلْتُكَ وَأَخَّرْتُكَ إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِحِكْمَةٍ أَمْتَحِنُ بِكَ عِبَادِي.

{ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ } [الأعراف: 16]

16- قَالَ إِبْلِيسُ لِرَبِّهِ فِي عِنَادٍ وَتَبَجُّحٍ: فِيمَا أَضَلَلْتَنِي وَأَهْلَكْتَنِي لِأُضِلَّنَّ وَلَأَهْلِكَنَّ أَوْلَادَ آدَمَ هَذَا الَّذِي فَضَّلْتَهُ عَلَيَّ، وَلَأَجْلِسَنَّ فِي طَرِيقِكَ الْمُسْتَقِيمِ الَّتِي رَسَمْتَهَا لَهُمْ لِتُوصِلَهُمْ بِهَا إِلَى الْجَنَّةِ؛ تَرَصُّدًا لِلْإِقْبَاعِ بِهِمْ.

{ ثُمَّ لَاتَيْنَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ

شَاكِرِينَ } [الأعراف: 17]

17- ثُمَّ لِأُضِلَّنَّهُمْ، فَأَشَكَّكَنَّهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِيَوْمِ الْحِسَابِ، وَلَأُرْعَبَنَّاهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ بِمَا فِيهَا مِنْ شَهَوَاتٍ وَمَزِينَاتٍ، وَلَأَشْبِهَنَّ عَلَيْهِمْ أَمْرَ دِينِهِمْ حَتَّى يَكْفُرُوا وَيَفْسُقُوا، وَلَأَشْهَيَّنَّهُمْ فِي الْمَعَاصِي وَالْمَأْتَمِّ لِيَقْتَرِفُوهَا، حَتَّى لَا تَجِدَ أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ بِكَ، مُطِيعِينَ لَكَ (42).

{ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَّدْحُورًا لِّمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ }

[الأعراف: 18]

(42) كَمَا ضُرِبَ الْمَثَلُ هَيْئَةَ الْحَرِصِ عَلَى الْإِغْوَاءِ بِالْقَعُودِ عَلَى الطَّرِيقِ، كَذَلِكَ مُثِّلْتُ هَيْئَةَ التَّوَسُّلِ إِلَى الْإِغْوَاءِ بِكَلِّ وَسِيلَةٍ بَهِيئَةِ الْبَاحِثِ الْحَرِيسِ عَلَى أَخْذِ الْعَدُوِّ، إِذْ يَأْتِيهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ حَتَّى يَصَادَفَ الْجِهَةَ الَّتِي يَتِمَكَّنُ فِيهَا مِنْ أَخْذِهِ، فَهُوَ يَأْتِيهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، حَتَّى تَخُورَ قُوَّةُ مَدَافِعَتِهِ، فَالْكَلَامُ تَمَثِيلٌ، وَليْسَ لِلشَّيْطَانِ مَسَلِكٌ لِلإنْسَانِ إِلَّا مِنْ نَفْسِهِ وَعَقْلِهِ، بِإِقْبَاعِ الْوَسْوسَةِ فِي نَفْسِهِ، وَليْسَتِ الْجِهَاتُ الْأَرْبَعُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْآيَةِ بِحَقِيقَتِهِ، وَلَكِنَّهَا مَجَازٌ تَمَثِيلِيٌّ بِمَا هُوَ مُتَعَارِفٌ فِي مَحَاوِلَةِ النَّاسِ وَمَخَاتَلَتِهِمْ.. (التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ).

18- قَالَ اللهُ تَعَالَى لِإِبْلِيسَ اللَّعِينِ تَفْسِيرًا: اخْرُجْ مِنَ الْجَنَّةِ مَذْمُومًا مُهَانًا، مُبْعَدًا مَطْرُودًا، وَمَنْ أَتْبَعَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ يَكُونُ مَصِيرُهُمْ مَصِيرَكَ، فَلَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِكَ، وَمَنْ كَفَّارِ ذُرِّيَّةِ آدَمَ أَجْمَعِينَ.

{ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } [الأعراف: 19]

19- يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ حَوَاءَ الْجَنَّةَ، وَكُلَا مِنْ جَمِيعِ ثَمَارِهَا الطَّيِّبَةِ، وَلَكِنْ لَا تَطْعَمَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ، وَحَدَّدَهَا لهُمَا؛ فَتَصِيرَا بِذَلِكَ مِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ.

{ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ } [الأعراف: 20]

20- فَحَسَدَهُمَا الشَّيْطَانُ، وَأَلْقَى فِي قَلْبَيْهِمَا بوسوسته ومكره عِصْيَانَ أَمْرِ رَبِّهِمَا، لِيَتَرْتَّبَ عَلَى ذَلِكَ ظُهُورُ مَا غُطِّيَ مِنْ عَوْرَاتِهِمَا، وَقَالَ لهُمَا فِي خُبْثٍ وَحَقْدٍ وَكَذِبٍ: إِنَّ اللَّهَ مَنَعَكُمَا مِنْ أَكْلِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ حَتَّى لَا تَكُونَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ لثَلَا تُخَلَّدَا فِي الْجَنَّةِ.

{ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ } [الأعراف: 21]

21- وَحَلَفَ الشَّيْطَانُ لِآدَمَ وَحَوَاءَ بِاللَّهِ أَنَّهُ صَادِقٌ فِي قَوْلِهِ لهُمَا، وَنَاصِحٌ لهُمَا بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ كَانَ قَبْلَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَيَعْرِفُ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ، حَتَّى خَدَعَهُمَا!

{ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ } [الأعراف: 22]

22- فَحَطَّهُمَا الشَّيْطَانُ مِنْ دَرَجَةِ الطَّاعَةِ إِلَى حَالِ الْمَعْصِيَةِ، بِمَا غَرَّهُمَا مِنَ الْقَسَمِ وَطَمَعِ الْخُلُودِ فِي الْجَنَّةِ. فَلَمَّا أَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ أَكْلًا يَسِيرًا ظَهَرَتْ لهُمَا عَوْرَاتُهُمَا، فَجَعَلَا يَرْقَعَانِ وَيُلْزِقَانِ عَلَيْهَا

مِنْ وَرَقِ شَجَرِ الْجَنَّةِ، وَنَادَاهُمَا رُبُّهُمَا لَوْمًا وَتَوْبِيخًا: أَلَمْ أَمْنَعُكُمَا مِنَ الْأَكْلِ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ ظَاهِرُ الْعِدَاوَةِ لَكُمَا فَلَا تُطِيعَاهُ؟

{ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [الأعراف: 23]
23- قَالَ آدَمُ وَحَوَّاءُ: رَبَّنَا إِنَّا أَضْرَرْنَا بِأَنفُسِنَا عِنْدَمَا عَصَيْنَا أَمْرَكَ، وَإِذَا لَمْ تَغْفِرْ لَنَا هَذَا الدُّنْبَ، وَتَرْحَمْنَا بِالرَّضَى عَنَّا، فَسَنَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ.

{ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ } [الأعراف: 24]
24- قَالَ اللَّهُ لهُمَا وَإِلَىٰ بَلِيسَ، مَا مَعْنَاهُ: انزِلُوا مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ لِيَكُونَ بَعْضُكُمْ عَدُوًّا لِبَعْضٍ، وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ اسْتِقْرَارٌ لِمُدَّةٍ مَّحْدُودَةٍ، فِي آجَالٍ مَّعْلُومَةٍ.

{ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ } [الأعراف: 25]
25- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فِي الْأَرْضِ تَعِيشُونَ، وَفِيهَا تَمُوتُونَ، وَمِنْهَا تُنْشَرُونَ لِلْبَعْثِ وَالْحِسَابِ.

{ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ } [الأعراف: 26]
26- يَا بَنِي آدَمَ، لَقَدْ خَلَقْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالزَّرْعِ مَا تَجْعَلُونَ مِنْهُ لِبَاسًا يُؤَارِي عَوْرَاتِكُمْ وَيَسْتُرُ أَجْسَادَكُمْ، وَرِيشًا مِنَ الطَّيْرِ تَتَزَيَّنُونَ بِهِ فِي شُؤُونِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَفْضَلَ مَا تَلْبَسْتُمْ بِهِ هُوَ التَّقْوَى، مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْبُعْدِ عَنِ النَّوَاحِي، وَمَا خَلَقَهُ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ اللَّبَاسِ هُوَ مِنْ حُجَجِ اللَّهِ وَأَدَلَّتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ بِكُمْ، لِتَتَذَكَّرُوا بِذَلِكَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ، وَتَتَعَزَّوْا، وَتَبْتَعدُوا عَنِ الْمَحْرَمَاتِ.

{ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } [الأعراف: 27]

27- يا بني آدم، لا يُوقِعَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ فِي الْفِتْنَةِ وَالْحَنَّةِ، بَأَن يَوْسُوسَ لَكُمْ وَيَحْسَنَ فِي قُلُوبِكُمْ الْبَاطِلَ فَتُطِيعُوهُ، كَمَا فَتَنَ أَبَوَيْكُمْ آدَمَ وَحَوَّاءَ بِذَلِكَ فَأَخْرَجَهُمَا مِنْ دَارِ النَّعِيمِ إِلَى دَارِ التَّعَبِ وَالْعَنَاءِ، وَتَسَبَّبَ فِي نَزْعِ لِبَاسِهِمَا عَنْهُمَا لِيُظْهَرَ لهما عَوْرَاتِهِمَا، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِعَدَاوَةٍ مِنْهُ لجنسِكُمْ، فَكُونُوا عَلَى حَذَرٍ شَدِيدٍ مِنْهُ، فَهُوَ عَدُوٌّ خَبِيثٌ يَأْتِيكُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُ، وَهُوَ وَجَمَاعَتُهُ وَجَنُودُهُ مِنَ الْجِنَّ يَرُونَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَرَوْهُمْ، وَقَدْ جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ قُرْنَاءَ مَتَمَكِّنِينَ مِنْ إِضْلَالِ الْكَافِرِينَ، فَاحْذَرُوهُمْ جَمِيعاً.

{ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [الأعراف: 28]

28- وَإِذَا فَعَلَ الْمُشْرِكُونَ أفعالاً مُنْكَرَةً قَبِيحَةً، كعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَالطَّوْفِ بِالْبَيْتِ عُرياً، قَالُوا: هَكَذَا وَجَدْنَا آبَاءَنَا يَفْعَلُونَ، وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا، فَقَلَّدُوا عَنْ جَهْلِ، وَافْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ. قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ: إِنَّ مَا تَفْعَلُونَهُ فَاحِشَةٌ مُنْكَرَةٌ، وَاللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِعَمَلِ الْفَوَاحِشِ⁽⁴³⁾، بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ يَأْمُرُ بِمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، وَيُحْتُّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، أَتُسْنِدُونَ إِلَى اللَّهِ قَوْلَ مَا لَمْ يَقُلْهُ، وَمَا لَا تَعْلَمُونَ صِحَّةَ ذَلِكَ عَنْهُ؟!

(43) غلبت الفاحشة في الأفعال الشديدة القبح، وهي التي تنفر منها الفطرة السليمة، أو ينشأ عنها ضرر وفساد، بحيث يأبأها أهل العقول الراجحة، وينكرها أولو الأحلام، ويستحيي فاعلها من الناس، ويُتستز من فعلها، مثل البغاء والزنى والوَادِ والسرقة، ثم تنهى عنها الشرائع الحقة... (التحرير والتنوير).

{ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا
بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ } [الأعراف: 29]

29- قُلْ لِلْمُشْرِكِينَ: إِنَّ رَبِّي يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالِاسْتِقَامَةِ.

وتوجهوا إلى الله في عبادتكم عند كل صلاة، وكونوا مخلصين له، كما أنشأكم ربكم ابتداءً ولم
تكونوا شيئاً، فستعودون إليه يوم البعث أحياء بعد أن متُّم وصرُّم عظاماً، ليحاسبكم على
أعمالكم، فامتثلوا أمره، وأخلصوا له العبادة، حتى تفوزوا.

{ قَرِيباً هَدَىٰ وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ } [الأعراف: 30]

30- وبيانه أن هناك قسماً هداهم الله لما حق لهم الهدى، بالاستجابة لنداء الله ورسوله،
وقسماً أضله الله لما حق عليهم الضلالة، فقد أعرضوا عن الحق، واتجهوا نحو الشياطين وأهل
الضلال، يطلبون منهم النصرة والتأييد من دون الله، وهم يظنون أنهم على حق!
فسيعودون كما كانوا: فريق المؤمنين مع آدم وزوجه، وفريق العصاة مع إبليس وقبيله.

{ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }
[الأعراف: 31]

31- يَا بَنِي آدَمَ، البسوا أحسن ثيابكم عند كل طواف أو صلاة، ولا تكونوا كقوم من
الجاهليين الذين يطوفون بالبيت عراة. وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي وغيره: "البسوا
من ثيابكم البياض، فإنها من خير ثيابكم...".

وذكر أن بعضهم كان لا يأكل دسماً أيام الحج، ويكتفون باليسير من الطعام، فقال تعالى ما
معناه: وكُلُوا وَاشْرَبُوا مِمَّا طَابَ لَكُمْ، ولا تتجاوزوا ذلك بتحريم الحلال، أو بالتعدّي إلى الحرام،
أو بالإفراط والشره فيه، فالله لا يحب المتعدّين فيما أحلّ أو حرّم.

{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [الأعراف: 32]

32- قل أيها الرسول للمشركين، وقد حرّموا ما أحلّ الله: من حرّم الزينة التي خلقها الله لعباده من اللباس وكلّ ما يتجمّل به، ومن حرّم ما طاب واستلذ من المأكّل والمشارب؟ قل هي مخلوقة للمؤمنين لكرامتهم على الله، ويشاركون فيها الكفار، وهي خالصة للمؤمنين يوم القيامة، لا يشاركون فيها من كفر وأشرك.

وهكذا نبئ هذه الأحكام لمن يعقل فيعلم، ويتدبّر فيفقه، ويتعظ فيعمل.

{ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [الأعراف: 33]

33- قل أيها النبي: إنّما حرّم الله ما فاحش عمله واستنكر، ممّا ظهر منه أو خفي، وسائر الذنوب والمعاصي التي توجب الإثم، وحرّم التعدي على الناس بغير وجه حق، وأنّ تجعلوا لله شريكاً في عبادته ممّا لم يُنزل به حجة وبرهاناً، وأنّ تكذبوا على الله، فتحرموا أشياء وتُسندوها إليه وهي حلال، أو العكس، ولا علم لكم بذلك أصلاً.

{ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } [الأعراف: 34]

34- ولكلّ جيل من الأجيال أمداً محدود، فإذا جاء الوقت المقدّر لفنائهم فإنهم لا يتأخرون عن أجلهم ولا يتقدّمون؛ فلتسببه إلى ذلك الأمم الغافلة، ولتستيقظ الأجيال النائمة.

{ يَا بَنِي آدَمَ إِذَا يَأْتَيْنَكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَتَّبِعُكُمْ عَلَىٰ آيَاتِي فَمَنْ أَتَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [الأعراف: 35]

35- أيها الناس، إذا أرسلت إليكم رسلاً من جنسكم يُخبرونكم بأحكامي ويبينون لكم أوامري، فمن آمن برسالتهم ولم يُعاندْهم، وأصلح عمله بفعل الطاعات، فلا خوف عليهم إذا خاف الناس يوم الحساب، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا، فقد عوضهم الله خيراً منها.

{ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [الأعراف: 36]

36- والذين جحدوا بما جاء به رسلنا، واستكبروا عن الإيمان به؛ تعالياً واستهزاءً وعناداً، فسيكونون مُلَازِمِينَ النَّارِ، ما كَثُرَ فِيهَا أَبَداً، جزاءً تكذيبهم واستكبارهم.

{ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ } [الأعراف: 37]

37- فليس هناك أظلم ممن تعمَّد الكذب على الله ونسب إليه ما لم يقله، أو كذب بما قاله الله في كتبه المنزلة، أولئك الذين يُصِيبُهُمْ حَظُّهُمْ مِمَّا كُتِبَ لَهُمْ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْأَجَالِ، مَعَ ظُلْمِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ، حَتَّى إِذَا حَانَ أَجْلُهُمْ وَجَاءَهُمُ الْمَلَائِكَةُ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، قَالَتْ لَهُمْ: أَيْنَ هِيَ الْآلِهَةُ الَّتِي كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهَا وَتَدْعُونَ نُصْرَتَهَا؟ ادْعُوهُمْ لِيُنقِدوكم مِنْ عَذَابِ اللَّهِ!

قالوا: لقد ذهبوا عنا وغابوا ولا ندري أين هم، ولم نُعدْ نَرْجُو نَفْعَهُمْ. واعترفوا على أنفسهم وأقربوا بأنهم كانوا على ضلال، وأنهم عبدوا من لا يستحقون العبادة، وأنهم لم يكونوا آلهة أصلاً.

{ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَأَجْبِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ } [الأعراف: 38]

38- قال الله لهم يوم القيامة: ادخلوا النار مع أقوام آخرين من أمثالكم مضوا من الجن والإنس، كلما دخلت أمة منهم النار لعنت ودعت على نظيرها في المعتقد، ويلعن القادة أتباعهم لأنهم يزيدونهم عذاباً، ويلعن التابعون متبوعيهم لأنهم كانوا سبب ضلالهم وعذابهم، وهكذا.

حتى إذا تلاحقوا واجتمعوا كلهم في النار، قالت آخِرُ أُمَّةٍ مِنْهُمْ دَخَلَتْ النارَ - وهم الأتباع - لأولاهم - وهم المتبوعون، من القادة والرؤساء - : رَبَّنَا إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ دَعَوْنَا إِلَى الضَّلَالِ وَصَرَفُونَا عَنِ الْهُدَى، فَرِذْهُمْ ضِعْفَ مَا يَسْتَحِقُّونَ مِنَ الْعُقُوبَةِ بِالنَّارِ.
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ لِكُلِّ مِنَ الْآتِبَاعِ وَالْمَتَّبُعِينَ ضِعْفَ الْعَذَابِ، وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ مَا لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْ ذَلِكَ. أَمَّا الْقَادَةُ فَلَأَنَّهُمْ ضَلُّوا وَأَضَلُّوا، وَأَمَّا آتِبَاعُهُمْ فَلَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي ضَلَالٍ وَتَقْلِيدِ.

{ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذوقوا العذاب بما كُنتُمْ تَكْسِبُونَ }
 [الأعراف: 39]

39- وقال القادة حين سمعوا قول الأتباع: فقد ضللتم كما ضللنا، وكفرتم كما كفرنا، فنحن في الكفر سواء، وفي العذاب سواء، وقالوا على سبيل العصب والتشفي: فذوقوا العذاب جزاء ما كسبتم بضللكم.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتُحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ } [الأعراف: 40]
 40- إن الذين كذبوا بآياتنا المحكمة، وأحكامنا العادلة، واستكبروا عن اتباعها، واحتقروها وبندوها، فأولئك لا ترفع أعمارهم للقبول، ولا تفتح أبواب السماء لاستقبال أرواحهم، ولا يدخلون الجنة يوم القيامة حتى يدخل الجمال في ثقب الإبرة، وهو ما لا يكون. ومثل هذا الجزاء نجزي به الكافرين المجرمين.

{ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } [الأعراف: 41]
 41- نصيبهم من جهنم أن يكون فراشهم النار، ومن فوقهم أغطية من نار، فهي تحيطة بهم، ومثل هذا الجزاء نجزي به الكافرين، الذين أضروا بأنفسهم عندما كذبوا بآياتنا واستكبروا عن قبولها.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الأعراف: 42]

42- والذين آمنوا وأتبعوا إيمانهم بالأعمال الحسنة ولم يستكبروا، لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ وَتَنَالُهُ بَيْسَرٍ وَسُهولة، فأولئك نَصيبُهُمُ الْجَنَّةُ، ما كَثِيرَ فِيهَا أبدأ.

{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف: 43]

43- ونزعنا ما في قلوب المؤمنين أهل الجنة من حقدٍ وضغينة، وأزلنا ما فيها من حسدٍ وبغضاء، تجرى من تحتهم الأنهار زيادةً في رفاهيتهم وسرورهم، وقالوا بقلوبٍ شاكرةٍ مؤمنةٍ: الحمد لله الذي أَرشَدَنَا وَوَقَّقَنَا لِلْفَوْزِ بهذا التَّعِيمِ المقيم، وما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ بِأَنْفُسِنَا وَجَهْدِنَا لو لم يوقِّفْنَا له، لَقَدْ كَانَ حَقًّا ما يَقُولُهُ رُسُلُنَا عَنْ رَبَّنَا مِنَ الْجَزَاءِ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْوَعْدِ بِالْجَنَّةِ. وناديتهم الملائكة في تهنئةٍ واحترام: تلك هي الجنة التي مُنَحْتِمُوهَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وأُعْطِيْتُمُوهَا واقْتَسَمْتُمْ مَنَازِلَهَا بما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي الدُّنْيَا، فَهَنِيئًا لَكُمْ.

{وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [الأعراف: 44]

44- ونادى أصحاب الجنة - بعد الاستقرار فيها - أصحاب النار، تأنيباً لهم وتوبيخاً: لقد وجدنا ما وعدنا ربنا من النعيم والكرامة حقاً وصدقاً كما بلَّغنا على ألسنة رسله، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم من العذاب والهوان حقاً؟ قالوا: نعم، قد وجدناه حقاً كذلك.

فنادى مُنادٍ بَيْنَهُمْ يُسْمِعُ الْقَرِيقِينَ: لعنة الله على الكافرين.

فيزدادُ بذلك أصحاب الجنة سُوراءً، وأصحاب النار حُزناً وغمًّا.

{الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ اللَّهِ وَيَبْغُوهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ} [الأعراف: 45]

45- إِيَّاهُمْ الكَافِرُونَ الَّذِينَ يَصْرِفُونَ النَّاسَ عَنِ دِينِ اللَّهِ كَمَا يُعْرِضُونَ هُمْ عَنْهُ، وَيَطْلُبُونَ إِيمَانَهُ إِلَى البَاطِلِ وَيَدْمُونُهُ وَلَا يُرِيدُونَهُ كَمَا هُوَ، وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالبَعْثِ وَالحِسابِ.

{ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ } [الأعراف: 46]

46- وَبَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ حَاجِزٌ، وَهُوَ السُّورُ المَضْرُوبُ بَيْنَهُمَا { فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُورًا } [سورة الحديد: 13] يَمْنَعُ وَصُولَ أَحَدِ الفَرِيقَيْنِ مِنَ أَهْلِهِمَا إِلَى الآخَرِ، وَعَلَى أَعَالِي هَذَا السُّورِ قَوْمٌ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ، يَنْتَظِرُونَ أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِمْ بِمَا يَشَاءُ، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ. هؤُلاءِ القَوْمِ يَعْرِفُونَ أَهْلَ الجَنَّةِ وَأَهْلَ النَّارِ بِعَلَامَاتِهِمُ المُمَيَّزَةِ، فَيُنَادُونَ أَهْلَ الجَنَّةِ فِي تَحِيَّةٍ وَإِكْرَامٍ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ. وَهُمْ لَمْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ بَعْدَ، وَلَكِنَّهُمْ يَطْمَعُونَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ لِيَدْخُلُوهَا، فَيَكُونُ لَهُمْ ذَلِكَ.

{ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ } [الأعراف: 47]

47- وَإِذَا حُوِّلَتْ أَبْصَارُ أَهْلِ الأَعْرَافِ إِلَى جِهَةِ أَصْحَابِ النَّارِ، وَرَأَوْا مَا هُمْ فِيهِ مِنْ عَذَابٍ وَنَكَالٍ، قَالُوا مُتَعَوِّذِينَ بِاللَّهِ: رَبَّنَا لَا تَجْمَعْنَا مَعَ هؤُلاءِ الكَفَّارِ الظَّالِمِينَ فِي النَّارِ.

{ وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ } [الأعراف: 48]

48- وَنَادَى أَهْلُ الأَعْرَافِ رِجَالًا مِنْ رُؤَسَاءِ الكُفْرِ وَعُظَمَاءِ كَانُوا فِي الدُّنْيَا، يَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِعَلَامَاتِهِمْ: لَمْ يُفِدْكُمْ وَلَمْ يُسَعِفْكُمْ مَا جَمَعْتُمُوهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ مَالٍ وَأَوْلَادٍ وَأَتْبَاعٍ وَأَنْصَارٍ، وَمَا كُنْتُمْ تَتَعَالَوْنَ بِهِ مِنْ اتِّبَاعِ الحَقِّ وَالإِذْعَانِ للإِسْلَامِ، وَصِرْتُمْ الآنَ فِي العَذَابِ دُونَ أَنْ يَصْحَبَكُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

{ أَهْوَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ }
[الأعراف: 49]

49- وقالوا للكافرين أيضاً: أهؤلاء الضعفاء والمفراء من أهل الجنة الذين كنتم تحتقروهم وتستهزؤون بهم، وتعدّبونهم وتحرموهم من حقوقهم، وتحلفون أن لا حظّ لهم من رحمة الله أو خيرٍ يصيبهم، وأنهم ليسوا أهلاً للجنة حتى يدخلوها؟ ثمّ يقال لأهل الأعراف، أو للضعفاء: ادخلوا الجنة برحمتي، غير خائفين ولا تحزونين.

{ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ } [الأعراف: 50]

50- ونادى أهل النار - وهم في الجحيم تُسعّر بهم النار - أصحاب الجنة، وهم في النعيم مُتَلذّذون: صبّوا علينا شيئاً من الماء، أو ممّا رزقكم الله من طعام الجنة، فيقولون لهم: إنّ الله حرّم ماء الجنة وطعامها على الكافرين.

قال سعيد بن جبّير رحمه الله في هذه الآية: يُنادي الرجل أباه أو أخاه فيقول: قد احترقت، أفض عليّ من الماء. فيقال لهم: أجيئوهم. فيقولون: إنّ الله حرّمها على الكافرين.

{ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هَوًى وَوَلِعِبَاءَ وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ } [الأعراف: 51]

51- هم الكافرون، الذين اتّخذوا دين الله الذي أُرِموه باتباعه، هُزءاً وسُخرية، بدل أن يستقبلوه بصدقٍ وجدّ، فاستحلّوا وحرّموا كما تُملي عليهم أهواؤهم، واغترّوا بزينة الدنيا، وشغلتهم شهواتها وزخارفها عن الآخرة، فأعرضوا عنها ونسوها، واليوم نتركهم في العذاب ولا نلتفت إليهم، ونعامهم معاملة من نسيهم، مثلما نسوا هم لقاء هذا اليوم العظيم، ومثلما أنكروا آياتنا العظيمة في الحياة الدنيا، وهي حجج الله التي احتجّ بها عليهم، من الأنبياء والرسل والكتب وغير ذلك، فكانت حجة عليهم.

{ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [الأعراف: 52]

52- وقد أنزلنا القرآنَ وبَيَّنَّا معانيه مِنَ العقائد، وفصَّلنا أحكامه، مع ما فيه مِنْ مَواعظٍ وقَصَصٍ، ووَعْدٍ ووَعِيدٍ، ونَحْنُ على عِلْمٍ بوجهِ تَفْصِيلِهِ، فجاءَ مُحْكَمًا مُبَيَّنًّا وُحْجَةً على الكافرين، وهدايةً إلى الحقِّ، وخيراً وسعادةً للمؤمنين.

{ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } [الأعراف: 53]

53- إِنَّ الكافرين الذين لا يُؤمنون بالقرآن، لا يَنْتَظِرُونَ سِوَى ما أَخْبَرَ بِهِ مِنَ العذاب، فهو ما يُؤوَلُ إليه، وهو بيانُ صِدْقِهِ بظهور ما أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الوَعْدِ والوَعِيدِ، وعِندما يَأْتِي هذا التَأْوِيلُ الرَّهيبُ، وهو يومُ القِيامةِ، يقولُ الذين تَرَكُوهُ وراءَ ظُهُورِهِمُ وأَعْرَضُوا عَنْهُ عِندَما كانوا في الدُّنيا: لَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ رُسُلَ اللَّهِ الذين كُنَّا نَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَنُحَارِجُهُمْ قَدْ جَاءُوا بِالْحَقِّ، فهل لنا مِنْ أولياءٍ ونُصْرَاءٍ يَتَوَسَّلُونَ لَنَا لِنَتَخَلَّصَ مِنْ هَذَا العذابِ، أو نُرَدُّ إلى الدُّنيا فنُؤْمِنَ ونُطِيعَ ونَعْمَلُ صالِحاً، ولا نَكْذِبَ بآياتِ رَبِّنَا.

لَقَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ عِندَما رَفَضُوا الحَقَّ فَعَرَّضُوا لِهَلَاكِ العذابِ، وذهبَ عَنْهُمْ ما اتَّخَذُوهُ مِنْ آلِهَةٍ وشُرَكَاءِ لِلَّهِ، ولم تَنْفَعَهُمْ شَيْئاً.

{ إِنَّ رَبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } [الأعراف: 54]

54- إِنَّ خَالِقَكُمْ وَمَالِكَكُمْ هُوَ الإلهُ الذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ والأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ. قال سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَادِرًا على خَلْقِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ فِي لِحْظَةٍ وَلِحْظَةٍ، فَخَلَقَهُنَّ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، تَعْلِيمًا لخالقِهِ التَّثْبُتَ والتَّأْيِيَّ فِي الأُمُورِ. ثم اسْتَوَى رَبُّنَا على العَرْشِ، على الوجهِ الذي عَنَاهُ، كما يَلِيقُ بِجَلالِهِ سُبْحانَهُ.

ثُمَّ يَأْتِي اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ شَيْئاً فَشَيْئاً حَتَّى يُعْطِيَهُ بظلامه، وكذا يَفْعَلُ النَّهَارُ بِاللَّيْلِ بضياءه، وكلُّ منهما يَطْلُبُ الآخَرَ طلباً سَرِيعاً وكأنَّهُ يَتَعَقَّبُهُ، لِيَخْلُقَهُ، فيَجِيءُ هذا وَيَذْهَبُ ذاك، وهكذا باستمرار.

وخلقَ اللهُ الشمسَ والقمرَ، والنجومَ، وكلُّها مُدَلَّلَاتٌ بأمره، لا يَمْتَنِعُ عليه شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ. فلهُ الخَلْقُ لأنَّهُ خَالِقُهَا وَمَالِكُهَا، ولهُ الأَمْرُ لأنَّهُ يُدَبِّرُهَا وَيَتَصَرَّفُ فِيهَا بما يَشَاءُ، فتعالَى اللهُ وتَمَجَّدُ مالِكُ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ.

{ اَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } [الأعراف: 55]

55- ادعوا رَبَّكُمْ واسألوه في تَذَلُّلٍ وَخُضُوعٍ، وفي السَّرِّ وَبِخْفِ الصَّوْتِ؛ ففي ذلك استِكانَةٌ وَخُشُوعٌ وإِخْلَاصٌ، واللهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَجَاوِزِينَ الحدَّ، في الدُّعَاءِ وَغَيْرِهِ، فلا تَطْلُبُوا ما لَا يَحِقُّ لَكُمْ، ولا يَلِيقُ، ولا يَصْلُحُ، أو ما يَسْتَحِيلُ حِصُولُهُ، أو أن تَدْعُوا بِمَعْصِيَةٍ...

{ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ } [الأعراف: 56]

56- وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بِالْمَعَاصِيِ وَالتَّعَدِّيِّ عَلَى حُقُوقِ النَّاسِ، وَتَغْيِيرِ الْأَنْسَابِ، وَالكَذِبِ عَلَى اللَّهِ، وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الفَسَادِ، بَعْدَ أَنْ أَصْلَحَهَا اللهُ بِبَعَثِ الرُّسُلِ، وَالشَّرِيعَةِ المِحْكَمَةِ. وَادْعُوهُ خَوْفاً مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وَطَمَعاً فِي رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَتَوَابِهِ، فَإِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ عِبَادِهِ الْمُتَّبِعِينَ لِأَمْرِهِ، الخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِهِ.

{ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقِنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [الأعراف: 57]

57- وَهُوَ اللهُ الَّذِي يَبْعَثُ الرِّيحَ مُبَشِّرَةً بالمَطَرِ، حَتَّى إِذَا حَمَلَتِ الرِّيحُ الغَيْمَ المُنْقَلِبَ بِبُحَارِ المَاءِ، دَفَعْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مُجْدِبٍ لَا نَبَاتَ فِيهِ، فَأَنْزَلْنَا بِهِ المَطَرَ، فَأَنْبَتْنَا بِهِ النَّبَاتَ وَالشَّجَرَ، وَأَخْرَجْنَا الثَّمَرَاتِ

مِنْ كُلِّ أَنْوَاعِهَا، وَكَمَا نُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، فَكَذَلِكَ نُحْيِي الْأَجْسَادَ بَعْدَ أَنْ تَصِيرَ رَمِيمًا، لَتَعْلَمُوا أَنَّ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى هَذَا، قَادِرٌ عَلَى ذَاكَ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

{وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ} [الأعراف: 58]

58- والأرضُ الكريمةُ الطيبةُ يخرجُ نباتها حسناً غزيراً النَّفْعِ، بمشيئةِ الله وتيسيره، والأرضُ الخبيثةُ، كالسِّبَاخِ ونحوها، لا يخرجُ نباتها إلا قليلاً وما لا خيرَ فيه. كذلك نبيُّ الآياتِ الباهرةِ⁽⁴⁴⁾ التي تدلُّ على قُدرةِ الله، ونكرزها، لمن يفكرُ فيها، ويعتبرُ منها، فيشكرُ الله على نِعَمِهِ.

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الأعراف: 59]

59- ولقد أرسلنا نوحاً نبياً من عندنا إلى قومه، وقد انتشرت بينهم عبادةُ الأصنام، وكانوا في بلادِ العراق، فقال لهم مُنبهاً ومُحدراً: أيُّها القوم، اعبدوا الله وحدهُ ولا تُشركوا به شيئاً، فليسَ لكم إلهٌ يستحقُّ العبادةَ غيره، فإذا أصررتم على عبادةِ الأوثانِ ولم توحّدوا ربكم وتعبدوه، فإنِّي أخشى أن يُصيبكم عذابٌ منه عظيم.

{قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الأعراف: 60]

60- قال الرؤساءُ والكبراءُ من قومه: إننا نراك بعيداً عن الحقِّ عندما تدعونا إلى تركِ عبادةِ الأصنام، فعلى هذا كان آباؤنا مُقيمين، ولا نُصدِّقُ نبوتك.

{قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: 61]

(44) نبيُّ آيةٍ بعد آية، ونُدلي بحجّةٍ بعد حجّة، ونضربُ مثلاً بعد مثلاً. (الطبري).

61- قَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ، مَا أَنَا بِضَالٍّ عَنِ الْحَقِّ، وَلَكِنِّي رَسُولٌ مَبْعُوثٌ مِنْ قِبَلِ رَبِّكُمْ وَرَبِّ النَّاسِ أَجْمَعِينَ.

{ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [الأعراف: 62]

62- أبلِّغكم ما أمري الله بتبليغيه إليكم، وأنا ناصح لكم بأمانة وإشفاق، فأتحري ما فيه خيركم وصلاحكم، وأرغبكم في قبول أوامره، وأحذركم من نواهيه، حتى لا يصيبكم عقابه، وأنا أعلم أشياء لا علم لكم بها، فاتقوا ربكم، واسمعوا نصيحتي، ولا تكونوا من الكافرين المتكبرين.

{ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [الأعراف: 62]

63- ولماذا تتعجبون وتستبعدون مجيء موعظة وبيان من ربكم، يُوحى به على رجل من جنسكم، ليحذركم من العذاب والهلاك إذا عصيتم، ولتتقوا بذلك نعمته، وليرحمكم ويحسن إليكم إذا آمنتم واتقيتم؟!.

{ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ } [الأعراف: 64]

64- لكنهم استكبروا عن طاعة رسولهم وكذبوه، وأصرُّوا على كفرهم، على الرغم من المدة الطويلة التي دعاهم فيها إلى دين الله، فأنجيناه من بينهم، هو ومن آمن معه في السفينة، من الطوفان العارم، وأغرقنا جميع من كذبوه، ولقد كانوا عمياً عن الحق، لا يهتدون إلى الإيمان.

{ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ } [الأعراف: 65]

65- وأرسلنا إلى قَبِيلَةِ عادِ الأولى أحمهم في النسبِ هوداً، وكانوا بالأحقاف، بين عُمانَ والربعِ الخالي واليمن، وآثارهم مازالت موجودةً في عُمان، فقال لهم نبيهم: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ولا تُشركوا به شيئاً، فليس لكم إلهٌ غيرُ الله، أفلا تخافون أن يُصيبيكم بعذابٍ من عنده؟.

{ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ }

[الأعراف: 66]

66- قَالَ الْكَافِرُونَ مِنْ كُبراءِ قومه وسادتهم، وكانوا من أشدِّ الأقسام تكذيباً وعناداً: يا هود، إِنَّا نَرَاكَ فِي حُمقٍ وَجَهالةٍ، حيثُ تُفارقُ دينَ آبائك وتَدعو إلى دينٍ لا نَعْرِفه، ونحنُ نَظُنُّ أَنَّكَ تكذبُ بادِّعائك الرِّسالةِ.

{ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ } [الأعراف: 67]

67- قَالَ لَهُمْ هودٌ عليه السَّلَام: يا قوم، لستُ في جَهالةٍ وِضلالةٍ كما تَزعمون، ولكنِّي مُرسلٌ إليكم من رَّبِّ العالمين، ورُسُلُهُ مَتَّصِفُونَ بالرُّشدِ والصِّدقِ، والأمانةِ والنُّصحِ، والبلاغَةِ والبيانِ.

{ أبلِّغُكُمْ رِسالَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ ناصِحٌ أمينٌ } [الأعراف: 68]

68- أبلِّغُكُمْ ما أمرني اللهُ بتبليغِهِ إليكم، وأنا أنصَحُكُمْ بأمانةٍ وإخلاصٍ، لا أكذبُ على اللهُ، ولا أكذبُ عليكم، فلماذا تَتَّهَمونني بالجهلِ والسَّفَه؟

{ أوعِبتُم أن جاءكم دِكْرٌ من رَّبِّكُمْ على رَجُلٍ منكم لِيُنذِرْكُمْ وادْكُرُوا إِذْ جَعَلْكُمْ خُلَفاءَ من بَعْدِ قومِ نُوحٍ وَزادكم في الخَلْقِ بَسْطَةً فَادْكُرُوا آلاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [الأعراف: 69]

[69]

69- ولماذا تَتعَجَّبونَ وتَسْتَبعدونَ مجيءَ رَسولٍ إليكم من رَّبِّكُمْ يَكُونُ مِنْ بَيْنِكُمْ، يَعْرِفُكُمْ وَتَعْرِفونَهُ، فَيَحذِّرُكُمْ بِأَسئِهِ إِذا أَعرضتُم عن أمرِهِ، وَأصررتُم على الكُفْرِ والعِصيانِ. وادْكُرُوا فضلَ اللهُ عليكم واشكروا نِعْمَتَهُ، وَقَدْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ ومُلوَكاً بَعْدَ قومِ نُوحٍ، وَقَدْ أَهْلَكَهُم لتكذيبِهِم

رسول ربهم، فلا تكونوا مثلهم. واشكروه كذلك أن ميّزكم في أجسادكم على الناس بالطول والقوة، فتذكروا نعمته ومننه عليكم وكونوا له من الشاكرين، لتكونوا عنده من الفائزين.

{ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } [الأعراف: 70]

70- قالوا في تحدّ وعناد: هل أرسلت إلينا من قبل ربك لنعبده وحده ونترك ما كان يعبده آبائنا وأجدادنا من أصنام وألغنا ذلك ورضينا به؟ فإذا كنت صادقاً في قولك فأتنا بالعذاب الذي وعدتنا به!

{ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَبٌ أُجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ } [الأعراف: 71]

71- قال لهم نبيهم هود: لقد وجب عليكم من الله الشحط والعصب، والعذاب والانتقام، أتخاصمونني وأجادلونني في هذه الأسماء التي وضعتوها للأصنام أنتم وآباؤكم المشركون، وجعلتم منها آلهة، وهو ما لم ينزل الله به حجة ولا دليلاً؟ قيل إنهم سمّوها خالقة، ورازقة، ومنزلة المطر، ونحو ذلك. فانتظروا نزول العذاب بكم كما طلبتموه، وأنا منتظر معكم ليحيق بكم ويهلككم.

{ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ } [الأعراف: 72]

72- فوق العذاب المتربص بهم، وأنجينا هوداً ومن معه من المؤمنين رافةً بهم، وأهلكنا الكافرين الذين كذبوا رسولنا واستكبروا عن الإيمان بآياتنا، واستأصلناهم عن آجرهم، ولم يؤمنوا كما آمن غيرهم لينجوا، بل أصرّوا على الكفر والتكذيب.

{ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتُكُم بَيِّنَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ } [الأعراف: 73]

73- وأرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم في النسب النبي صالحاً عليه السلام، وكانوا فيما بين الحجاز
والشام (مدائن صالح في بلاد الحزمين في عصرنا)، فقال لهم وقد كفروا وأشركوا: يا قوم، اعبدوا
الله وحده ولا تُشركوا في عبادته أصناماً لا تنطق ولا تسمع، ليس لكم من إله غير الله، وهذه
مُعجزة خارقة تدل على صدق نبوتي وإرسالي إليكم من قبل ربكم، هذه ناقة الله - قيل ذلك
تعظيماً لها وتشريفاً، وقد جاءت من عند الله ولم يملكها أحد - فاتركوها تأكل العشب في
أرض الله الواسعة، ولا تمدوا أيديكم إليها بأذى وشر، كذب أو ضرب، حتى لا يصيبكم الله
بعذاب من عنده.

{ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عادٍ وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً
وتنجثون الجبال بيوثاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين } [الأعراف: 74]

74- وتذكروا فضل الله عليكم، حيث جعلكم خلفاء في الأرض من بعد قوم عاد، وأنزلكم
في أرض الحجر، بين الحجاز والشام، تبنون المساكن العالية في سهولها، وتنجثون الجبال وتنجثون
منها البيوت لتسكنوا فيها شتاء، فتذكروا النعم التي قدركم الله عليها، ولا تفسدوا في الأرض (45)
فتكونوا أشراً مستحقين العقاب.

(45) قال العلامة الشوكاني عند تفسيره الآية (60) من سورة البقرة: عثى يعثي عثياً، وعثا يعثو عثواً، وعاث يعث
عيثاً، لغات، بمعنى أفسد... وفي الكشف: العثي: أشد الفساد، فليل لهم: لا تمادوا في الفساد في حال فسادكم؛ لأنهم
كانوا متمادين فيه. (فتح القدير، باختصار).

{ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلًا مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ } [الأعراف: 75]

75- قَالَ السَّادَةُ وَالْأَشْرَافُ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا مِنْ قَوْمِ صَالِحٍ، مِمَّنْ لَمْ يَسْمَعُوا نَصِيحَتَهُ، وَاسْتَهْزَؤُوا بِالْمُعْجِزَةِ الَّتِي أُيِّدَتْ بُبُوتِهِ؛ قَالُوا لِاتِّبَاعِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الضُّعْفَاءِ فِي سُحْرِيَّةٍ وَهَكُّمٍ: هَلْ أَنْتُمْ مُتَأَكِّدُونَ مِنْ أَنَّ صَالِحًا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ، وَلَا شُبُهَةَ عِنْدَنَا فِيهِ.

{ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ } [الأعراف: 76]

76- قَالَ لَهُمُ الْكَافِرُونَ الْمُسْتَكْبِرُونَ فِي عِتْوٍ وَجَلَافَةٍ: وَنَحْنُ بَجَحْدٍ بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ، وَلَا نَسَلِّمْ مِثْلَكُمْ بِنُبُوتِهِ.

{ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ } [الأعراف: 77]

77- فَنَحَرُوا النَّاقَةَ، وَاسْتَكْبَرُوا عَنِ الْإِمْتِثَالِ لِأَمْرِ رَبِّهِمُ الَّذِي بَلَّغَهُمْ نَبِيُّهُمْ، ثُمَّ وَقَفُوا فِي تَحَدٍّ وَتَعَجِيزٍ أَمَامَ تَهْدِيدِهِ قَائِلِينَ: يَا صَالِحُ، ائْتِنَا بِالْعَذَابِ الَّذِي وَعَدْتَنَا بِهِ، إِذَا كُنْتَ حَقًّا نَبِيًّا مُرْسَلًا.

{ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ } [الأعراف: 78]

78- فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِزَلْزَلَةٍ شَدِيدَةٍ مِنْ تَحْتِهِمْ، وَصِيحَةٍ قَوِيَّةٍ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ خَامِدِينَ، مَوْتَى هَامِدِينَ، لَا حَرَكَ بِهَمٍّ، وَلَا حِسٍّ فِيهِمْ.

{ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ } [الأعراف: 79]

79- فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ صَالِحٌ وَهُوَ مُتَحَسِّرٌ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَخَاطَبَهُمْ كَمَا خَاطَبَ رَسُولُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْتَى الْمُشْرِكِينَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ: يَا قَوْمِ، لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي كَمَا طَلَبَ مِنِّي، وَكَانَ فِيهَا فَوْزُكُمْ وَنَجَاتُكُمْ لَوْ أَطَعْتُمْ وَلَمْ تُعَانِدُوا، وَنَصَحْتُكُمْ كَمَا يَنْبَغِي، وَأَنَا مُشْفِقٌ

عليكم، ووددت لو آمنتم عن آخركم، ولكنكم لا تؤدون الناصحين، وتعادون المخلصين، فكان هذا جزاءكم، وفي الآخرة عذابٌ أشدُّ وأبقى.

{ **وَلَوْطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ** } [الأعراف: 80]

80- وقد أرسلنا لوطاً نبياً من عندنا إلى قومه، وكانوا حول البحر الميت بفلسطين، فقال لهم مستنكراً: أتأتون فاحشةً بغیضةً منكرةً لم يسبقكم بها أحد من العالمين؟

{ **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ** } [الأعراف: 81]

81- إنكم تأتون الذكور من الرجال في أدبارهم لشهوتكم وتتركون ما خلق الله لكم من النساء وهن محلُّ الاشتهاء عند ذوي الفطر السليمة والطباع المستقيمة؟ لا شك أنكم متجاوزون بذلك الحلال إلى الحرام، والمستحسن إلى المزدول، والمعروف إلى المنكر المستهجن. فاللواط فعلٌ فاحشٌ بذيء، فيه فسادُ الفطرة، وانحلالُ الخلق، وسوءُ السلوك، وانحرافُ الرجولة. ويسببُ أمراضاً خطيرة، مثلَ الزُّهريِّ، وقصورِ الجهازِ المناعي عن أداءِ وظيفته، فيصبحُ الجسمُ ضعيفاً عاجزاً عن مقاومة أنواع كثيرة من العدوى، مع أمراضٍ أخرى...

{ **وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْتَهَهُونَ** } [الأعراف: 82]

82- وما كان جواب المستكبرين من قومه، إلا أن قال بعضهم لبعض، وقد أبوا نصيحة نبيهم وأعرضوا عن رسالته: أخرجوا لوطاً ومن تبعه من بلدتكم هذه، وقالوا في سُخريةٍ وتهكمٍ: إنهم ينتهرون من الفواحش، ويتنزّهون عن اللواط، ويتقدرون ما نرغب فيه.

{ **فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ** } [الأعراف: 83]

83- فأنجينا لوطاً وأهله الذين آمنوا به، إلا امرأته، التي بقيت على دين قومها، فكانت من الباقيين معهم، وقد هلكوا جميعاً.

{ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ } [الأعراف: 84]

84- فكان جزاء عصيانهم وإصرارهم على هذه الفاحشة المنكرة، أن { أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ } [سورة الحجر: 74]، فانظر، وتأمل، واعتبر، عاقبة هؤلاء المجرمين، وليخذز غَضَبَ اللَّهِ وَعُقُوبَتَهُ يَوْمَ الدِّينِ مَنْ فَعَلَ هَذَا الْفِعْلَ الْمِسْتَقْدَرَ.

{ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ } [الأعراف: 85]

85- وأرسلنا إلى قبيلة مَدْيَنَ - وهو اسم مدينة أيضاً، قُرب مَعَانَ - أخاهم في النسبِ شُعَيْبًا، فقال لهم ناصحاً ومُحذِّراً: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ولا تُشركوا في عبادته أحداً من أصنامكم التي تَزْعُمُونَ أُنَّهَا آلهة، فَإِنَّهُ لَا إِلَهَ لَكُمْ غَيْرُ اللَّهِ، وقد جاءكم آيةٌ بَيِّنَةٌ، ومُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ، تدلُّ على صِدْقِ رسالتي إليكم، فاسمعوا التَّوجِيهَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ، والنصائحِ النَّبَوِيَّةِ، التي تأخذ بيدكم إلى السَّعَادَةِ وَالنَّجَاةِ:

أَمْثُوا الْمِكْيَالَ وَلَا تَنْقُصُوا مِنْ مَقَادِيرِ مَقَايِسِ الْوِزْنِ وَالْكَيْلِ، واعدلوا في وَزْنِ الْمِيزَانِ، وَلَا تَنْقُصُوا النَّاسَ حَقُوقَهُمْ، وَلَا تَخُونُوهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَمُبَايَعَاتِهِمْ خُفِيَةً وَتَدْلِيْسًا. وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بِالْكَفْرِ وَالظُّلْمِ، والتحايلِ والخيانة، بعد إِصْلَاحِ أَمْرِهَا وَأَهْلِهَا بِالشَّرَائِعِ الرَّبَّانِيَّةِ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَفْضَلُ لِمَجْتَمَعِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ مِنَ الظُّلْمِ وَالْفَسَادِ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ، هذا إِذَا تَدَبَّرْتُمْ مَا أَقُولُ وَوَعَيْتُمُوهُ وَأَمَنْتُمْ بِأَنَّهُ الْأَحْسَنُ وَالْأَوْلَى.

{ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُوهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَفَّرْكُمْ وَاَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ } [الأعراف: 86]

86- وقال شُعَيْبٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيْضاً وهو يَعِظُ قَوْمَهُ، وكان يُسَمَّى خَطِيبَ الْأَنْبِيَاءِ، لِنَصَاحَةِ عِبَارَتِهِ، وَجُودَةِ حِوَارِهِ، وَمَهَارَتِهِ فِي الْحَدِيثِ: وَلَا تَقْعُدُوا بِالطَّرِيقِ تَخَوِّفُونَ النَّاسَ وَتُهَدِّدُونَهُمْ بِالْقَتْلِ وَالْأَذَى، وَتَمْنَعُونَ النَّاسَ عَنِ دِينِ اللَّهِ، وَتَقُولُونَ إِنَّ شُعَيْبًا كَذَّابٌ فَلَا يَصْرِفُنَّكُمْ

عَنْ دِينِكُمْ، وَتَتَوَعَّدُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ بِافْتِنَانِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَتَبْغُونَ مِنْ دِينِ اللَّهِ الْمِيلَانَ وَالْعُدُولَ
عَنِ الْحَقِّ لِيُؤَافِقَ أَهْوَاءَكُمْ.

وَتَذَكَّرُوا كَيْفَ أَنْتُمْ كُنْتُمْ قَلِيلًا مُسْتَضْعَفِينَ، فَوَهَبَكُمُ الذَّرِيَّةَ وَزَادَ مِنْ عَدَدِكُمْ حَتَّى صِرْتُمْ كَثِيرًا.
وَتَفَكَّرُوا وَعَاتَبُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَلُوطَ، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ نَتِيجَةً
فَسَادِهِمْ وَعِصْيَانِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ.

{ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ
بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ } [الأعراف: 87]

87- وإذا كان منكم جماعة قد اهتدوا وآمنوا وصدقوا برسالتي إليكم، وجماعة أخرى ضلوا
وكفروا وأبوا أن يُصدّقوني، فانتظروا - جماعة الكفار - وترتّبوا، حتى يفصل الله بيننا وبينكم،
وسترون حينئذٍ حكمه العادل، وكيف أنه ينصر المحقّ ويخذل المبطل، وهو سبحانه أعدل
الحاكمين.

الجزء التاسع

سورة الأعراف (88-206)

سورة الأنفال (1-40)

{ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا
أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ } [الأعراف: 88]

88 . قَالَ السَّادَةُ الزُّعْمَاءُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ مِنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ: سَوْفَ
نُخْرِجُكَ يَا شُعَيْبُ أَنْتَ وَمَنْ آمَنَ مَعَكَ مِنْ بَلَدِنَا، حَتَّى لَا تُرْعَجَنَا بِرِسَالَتِكَ، أَوْ لَنُكْرِهَنَّكُمْ
عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ دِينِ آبَائِنَا.

قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَتَّى لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ الشُّرَكَ وَالْكَفْرَ، مُبْغِضِينَ الظُّلْمَ

والفساد؟

{قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّأْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ} [الأعراف: 89]

89. إِنَّا نَكُونُ كَذِبًا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا عَظِيمًا إِذَا رَجَعْنَا إِلَى مِلَّتِكُمْ وَأَشْرَكْنَا مَعَ اللَّهِ، بَعْدَ أَنْ خَلَّصَنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمِنْ ظُلْمَاتِهَا، وَعَلِمْنَا بُطْلَانَهَا عَنْ طَرِيقِ رَسُولِهِ، وَلَا يَحِقُّ لَنَا وَلَا يُعْقَلُ أَنْ نَعُودَ فِي الْكُفْرِ، إِلَّا حَالٌ مَشِيعَةٌ لِلَّهِ لَعُودِنَا فِي حَالِ انْتِكَاسِنَا وَخِذْلَانِنَا. وَهَذَا كَلَامُ أَصْحَابِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد أحاط الله علماً بأحوال عبادِهِ، فهو يَعْرِفُ نِيَّاتِهِمْ وظواهرِهِمْ، وَمَنْ يَنْوِي الْخَيْرَ وَنَقِيضَهُ، قَدْ قَوَّضْنَا أَمْرَنَا إِلَى اللَّهِ، واعتمدنا عليه في أمورنا كُلِّهَا.

اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَفْصِلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا الَّذِينَ أَبَوْا دِينَكَ، وَعَتَوْا وَعَانَدُوا وَظَلَمُوا، فَأَنْتَ الْحَقُّ، وَأَنْتَ خَيْرُ مَنْ قَضَى وَحَكَمَ.

{وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ} [الأعراف: 90]

90. ثُمَّ أَصْرَبُوا وَاسْتَكْبَرُوا، وَتَمَادَوْا فِي الْعَيِّ وَالضَّلَالِ، وَقَالَ لَهُمْ أَشْرَافُهُمْ وَرُؤَسَاؤُهُمْ، بَعْدَ أَنْ رَأَوْا ثَبَاتَ النَّبِيِّ شُعَيْبٍ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ: إِنَّكُمْ إِذَا اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا وَفَارَقْتُمْ دِينَ آبَائِكُمْ، فَإِنَّكُمْ خَاسِرُونَ مَغْبُونُونَ.

{فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [الأعراف: 91]

91. فَزَلَزَلِ اللَّهُ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهِمْ وَأَهْلَكَهُمْ أَجْمَعِينَ، وَصَارُوا مَوْتَى خَامِدِينَ؛ لَا أَثَرَ لِلْحَيَاةِ وَالْحَرَكَةِ فِيهِمْ.

{الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف:

[92]

92. وصار هؤلاء الذين كذبوا النبيّ شعيباً وأصابهم الهلاك، كأنهم لم يُقيموا في ديارهم ولم يعمروها، لما أصابهم من عقابٍ مُفرِّعٍ رهيب، لقد صار الذين كذبوا شعيباً هم الخاسرين الخائبين، في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وليس الخاسر من استجاب للحقّ واتبع شعيباً.

{ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ } [الأعراف: 93]

93. ثمّ أعرَضَ عنهم نبيُّهم وهم هلكى بين الأنقاض، موجَّهاً إياهم على كُفْرِهِمْ وعنادِهِمْ، مخاطباً إياهم بقوله: لقد بلَّغْتُكم ما أمرتُ به من قِبَلِ رَبِّي، واجتهدتُ في نُصْحِكُمْ وتُحذِيرِكُمْ، ولكنكم استكبرتم ورفضتم؛ فكيف أحزنُ عليكم وقد كفرتم بما جئتكم به، وجحدتم رسالة ربكم!؟

{ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ } [الأعراف: 94]

94. وما أرسلنا نبياً في بلدٍ من البلدان المهلكة، يدعو إلى دين الله وينهاهم عن الشرِّ والمنكر الذي هم فيه، فيكذبونه، إلا ابتليناهم - قبل الإهلاك - بالفقر والحاجة، والسقم والمرض، لعلّ نفوسهم تخضع وتلين، ليلتجئوا إلى الله، ويستجيبوا لأمره، ويتوبوا من ذنوبهم، فيكشف ما نزل بهم.

{ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَعْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } [الأعراف: 95]

95. ولكنهم لم يتأدّبوا بالشدة، ولم ينزجروا بالترهيب والوعيد، فبدّلنا حالهم من البؤس والشدة إلى الرخاء والنعيم، حتى كثر عددهم ونمت أموالهم؛ ليشكروا الله على ذلك، ولكنهم لم يفعلوا، ولم يعدّوا ذلك كله ابتلاءً واختباراً، بل قالوا: هذا شيءٌ طبيعيٌّ يُصيبُ النَّاسَ في كلِّ وقت، وقد سبق لآبائنا أن أصابهم البلاء والشدة، كما نعموا في عيشهم واستمتعوا، ونحن

مثلهم ومثل غيرهم من الناس. فأخذهم الله بالعقوبة وهم في غفلة، وما كان يخطر ببالهم شيء من ذلك.

{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [الأعراف: 96]

96. ولو أن أهل القرى والمهلكة آمنوا بالله ولم يشركوا به، وصدقوا الرسل بما جاؤوا به، وخافوا الله فابتعدوا عما نهى عنه، لباركنا في أرزاقهم وأموالهم من السماء والأرض، من المطر والنبات، فردنا فيها ونفعنا بها، ويسرنا عليهم تحصيلها. ولكنهم عصوا الله وكذبوا رسله، فعاقبناهم بالعذاب والدمار جزاء كفرهم وعصيانهم.

{ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ } [الأعراف: 97]

97. أفأمن أهل القرى والبلدان من العصاة المكذبين أن يأتيهم عذابنا ليلاً وهم

نائمون؟

{ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ } [الأعراف: 98]

98. أم أمن أهل القرى والبلدان من الكافرين أن يأتيهم عذابنا في وقت الضحى وهم

غافلون، مشغولون، يلتهون.

{ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ } [الأعراف: 99]

99. هل آمنوا بأس الله ونقمته، بأن يستدرجهم ليهلكهم وهم ساهون غافلون؟ إنَّه

لا يأمن عقاب الله إلا الذين خسروا أنفسهم وعرضوها لعقابه، لأنهم لا يؤمنون بالجزاء على الأعمال.

وحتى المسلمون عليهم ألا يتمادوا في المعاصي متكئين على رحمة الله من غير عمل،

وكأنهم آمنوا مكر الله، عياداً به من غضبه وسخطه.

{ أَوْلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ } [الأعراف: 100]

100 . أَلَمْ يَتَّبِعْ مَنْ يَخْلَفُونَ الْأُمَّةَ الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ، فَعَمِلُوا أَعْمَالَهُمْ، وَعَصَوْا رُسُلَهُمْ، وَأَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ كَمَا أَصْرُوا، أَنْ لَوْ نَشَاءُ فَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا فَعَلْنَا بِمَنْ قَبْلَهُمْ، وَخَتَمْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، فَلَا يَأْتِيهِمْ بَتْدَكِيرٌ، وَلَا يَعْتَبِرُونَ بِدَلِيلٍ، وَلَا يَتَذَكَّرُونَ مَوْعِظَةً؛ جَزَاءَ عَصِيَانِهِمْ وَتَمْرُدِهِمْ وَاسْتِكْبَارِهِمْ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ!؟

{ تِلْكَ الْفُرَى نَقِصٌ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ } [الأعراف: 101]

101 . تِلْكَ الْفُرَى وَالْبَلَدَاتُ الْخَالِيَةُ نَسْرُدُ عَلَيْكَ بَعْضَ أَخْبَارِ أَهْلِهَا وَأَحْوَالِهِمْ، مِمَّا فِيهِ عِظَةٌ وَتَذَكِيرٌ، وَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ كُلُّ أُمَّةٍ مِنْهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ الْبَيِّنَةِ وَالْأَدَلَّةِ الْكَافِيَةِ عَلَى صِدْقِ مَا أَخْبَرُوا بِهِ، وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، لِقِسَاوَةِ قُلُوبِهِمْ، وَتَمَادِيهِمْ فِي الْعَيِّ وَالضَّلَالِ، وَاسْتِمْرَارِهِمْ فِي التَّكْذِيبِ، وَكُفْرِهِمْ بِمَا يَأْتِي بِهِ رُسُلُهُمْ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ وَالْحُجَجِ الْوَاضِحَاتِ، وَعَاقِبَتِهِمْ اللَّهُ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَمَوَاقِفِهِمْ السَّيِّئَةِ الْمَتَعَنَّةِ، بِأَنْ خَتَمَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ.

{ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ } [الأعراف: 102]

102 . وَلَمْ نَجِدْ لِأَكْثَرِ الْأُمَّةِ الْمَاضِيَةِ وَفَاءً بِالْعَهْدِ، بَلْ خَانُوا، وَنَقَضُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، وَوَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ خَارِجِينَ عَنِ الطَّاعَةِ وَالْإِمْتِثَالِ.

{ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ } [الأعراف: 103]

103 . ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِ الرُّسُلِ الْمَذْكُورِينَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَرْسَلْنَاهُ بِمُعْجَزَاتِنَا وَأَدَلَّتِنَا الْبَيِّنَاتِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، فَكَفَرُوا بِهَا عِنَاداً وَطُغْيَاناً، فَعَاقَبْنَاهُمْ بِالْعَرَقِ، فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمَكْذِبِينَ الْمَعَانِدِينَ.

{ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ } [الأعراف: 104]

104 . وقال نبيُّ الله موسى لفرعون المتكبر: إِنِّي مُرْسَلٌ إِلَيْكُمْ مِنْ قِبَلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ، سَيِّدِهِمْ وَمَالِكِ أَمْرِهِمْ.

{ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ } [الأعراف: 105]

105 . جديزُ بي، وواجبُ عليّ، ألا أُخبرَ عنِ الله إلاّ الحقّ والصدّق، وقد جئتكم من عنده بمُعجزةٍ ظاهرةٍ لتكونَ دليلاً على صدقي، فدع بني إسرائيل يأتوا معي إلى بيت المقدس. وكان فرعون قد استعبدهم واستعملهم في الأعمال الشاقّة.

{ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } [الأعراف: 106]

106 . قال فرعون: يا موسى، إن كنت جئت بمُعجزةٍ حقّاً، فأظهرها لنا، إن كنت صادقاً في دَعَاكَ.

{ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ } [الأعراف: 107]

107 . فألقى موسى عَصَاهُ في الأرض، فإذا هي حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ، ظاهرةٌ للعيان.

{ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ } [الأعراف: 108]

108 . وأخرج يده من جيبه (وهو فتحة القميص من أعلاه)، فإذا هي بيضاء ناصعة تَشعُّ نوراً، لمن ينظر إليها.

{ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ } [الأعراف: 109]

109 . قال السادة الكبراء من قوم فرعون: إن موسى ساحر متمكّن من علم السحر.

{ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ } [الأعراف: 110]

110 . يريدُ أن يُخْرِجَكُم - يا شَعْبَ مِصْرَ - مِنْ دِيَارِكُمْ . فبماذا تُشِيرُونَ فِي أَمْرِهِ أَيُّهَا

السَّادَةُ؟

{ قَالُوا أَرْجَاهُ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ } [الأعراف: 111]

111 . قَالَ لَهُ قَادَتُهُ وَمُسْتَشَارُوهُ: أَخْرَهُ وَأَنْظِرْهُ وَأَخَاهُ، وَابْعَثْ إِلَى أَقَالِيمِ مِصْرَ رَجَالًا

مِنَ الشُّرْطَةِ جَامِعِينَ،

{ يَا تُتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ } [الأعراف: 112]

112 . يَجْمَعُوا السَّحْرَةَ الْمَهْرَةَ وَيَأْتُوكَ بِهِمْ .

{ وَجَاءَ السَّحْرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيينَ } [الأعراف: 113]

113 . وَجَاءَ السَّحْرَةُ وَاجْتَمَعُوا عِنْدَ فِرْعَوْنَ، وَقَالُوا لَهُ: أَيَكُونُ لَنَا عَطَاءٌ إِذَا غَلَبْنَا مُوسَى

بِسِحْرِنَا؟

{ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ } [الأعراف: 114]

114 . قَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنَ: نَعَمْ، لَكُمْ الْأَجْرُ، وَسَتَكُونُونَ فِي مَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ عِنْدِي، وَمِنْ

الرِّجَالِ الْمُقْرَبِينَ إِلَيَّ .

{ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ } [الأعراف: 115]

115 . وَاجْتَمَعُوا فِي السَّاحَةِ الْمَقْرَرَةِ لِلْمَنَازَرَةِ وَالتَّحَدِّي، وَقَالَ السَّحْرَةُ لِمُوسَى عَلَيْهِ

السَّلَامُ: إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ عَصَاكَ أَوَّلًا، وَإِمَّا أَنْ نُلْقِيَ جِبَالَنَا وَعِصِينَا قَبْلَكَ .

{ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقُوا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ } [الأعراف:

116]

116 . قَالَ لَهُمْ مُوسَى : بَلِ أَلْقُوا أَنْتُمْ أَوْلَىٰ . وَيَكُونُ هَذَا أَوْقَعَ فِي نَفُوسِ الْمَشَاهِدِينَ ، حَيْثُ يَرُونَ عَمَلَ السَّحْرَةِ أَوْلَىٰ ، ثُمَّ التَّحَدِّيَ وَالنَّيْجَةَ مِنْ قِبَلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَلَمَّا أَلْقَوْا مَا عِنْدَهُمْ ، خَيَّلُوا عَمَلَهُمْ إِلَى الْأَعْيُنِ عَلَى خِلَافِ الْحَقِيقَةِ ، وَأَفْزَعُوهُمْ فَرْعًا شَدِيدًا ، وَقَدْ أَبَدُوا سِحْرًا زَهِيْبًا ، كَانَتْ عِصْيُهُمْ وَجِبَاهُهُمْ تَبْدُو وَكَأَنَّهَا حَيَّاتٌ وَأَفَاعِيٌّ كَبِيرَةٌ تَتَحَرَّكُ !

{ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ } [الأعراف: 117]

117 . وَعِنْدَ ذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ : أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ . فَأَلْقَاهَا فِي الْأَرْضِ ، فَإِذَا هِيَ تَتَحَوَّلُ إِلَىٰ تُعْبَانٍ كَبِيرٍ ضَخْمٍ ، تَبْتَلِعُ جَمِيعَ مَا أَبَدَى السَّحْرَةَ ، مِمَّا مَوَّهُوا بِهِ وَأَوَّهُوا الْمَشَاهِدِينَ أَنَّهَا حَيَّاتٌ وَأَفَاعِيٌّ ، الَّتِي مَا كَانَتْ سِوَى سِحْرِ ، خَيَّلَ لِلنَّاسِ أَنَّهَا حَقِيقَةٌ !

{ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأعراف: 118]

118 . فَظَهَرَ الْحَقُّ ، وَتَبَيَّنَ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ مُوسَى مُعْجَزَةٌ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا إِنْسَانٌ مِنْ عِنْدِهِ ، وَظَهَرَ بَطْلَانُ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّحْرَةَ ، وَقَالُوا : لَوْ كَانَ مَا يَصْنَعُ مُوسَى سِحْرًا لَبَقِيتُ جِبَالَنَا وَعِصْيَانًا ، فَلَمَّا فُقِدَتْ عَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ .

{ فَعُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ } [الأعراف: 119]

119 . فَغَلِبَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ فِي ذَلِكَ الْحَشْدِ الْكَبِيرِ وَهَزِمُوا ، وَانصَرَفُوا عَنْ مَوْقِعِهِمْ أَدْلَةً مَقْهُورِينَ .

{ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ } [الأعراف: 120]

120 . أَمَّا السَّحْرَةُ فَقَدْ بَهَرَهُمُ الْحَقُّ ، وَلَمْ يَتِمَّالِكُوا إِلَّا أَنْ خَرُّوا لِلَّهِ سَاجِدِينَ ، وَكَانُوا مِنْ سُرْعَةٍ مَا سَجَدُوا كَأَنَّ أَحَدًا دَفَعَهُمْ وَأَلْقَاهُمْ لِلسُّجُودِ !

{ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } [الأعراف: 121]

121 . وَقَالُوا : آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، مَا لِكِهِمْ وَسَيِّدِهِمْ وَالْمُتَصَرِّفِ فِي أَمْرِهِمْ .

{ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ } [الأعراف: 122]

122 . رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ، وَلَيْسَ هُوَ فِرْعَوْنَ مُدَّعِي الرُّبُوبِيَّةِ، فَمَا هُوَ إِلَّا عَبْدٌ.

{ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } [الأعراف: 123]

123 . فَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ، وَقَدْ عَلِمَ أَنْ لَا بَحَالَ لِبَقَاءِ مُلْكِهِ بِالْحِوَارِ وَالْعَقْلِ وَالْمَحَاجِجَةِ: آمَنْتُمْ بِرَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَحَ لَكُمْ بِذَلِكَ؟! إِنَّ هَذَا الصَّنِيعَ الَّذِي قَمْتُمْ بِهِ، مَا هُوَ إِلَّا مُؤَامَرَةٌ وَحِيلَةٌ كَانَتْ عَنْ سَابِقِ تَشَاوُرٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مُوسَى فِي الْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ تَأْتُوا إِلَى هَذَا الْمِيدَانِ، لِتُخْرِجُوا مِنْهَا الْقِبْطَ، وَتَبْقَى لَكُمْ وَلِبَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسَوْفَ تَرَوْنَ عَاقِبَةَ مَا أَفْعَلُ بِكُمْ.

{ لِأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ } [الأعراف: 124]

124 . سَأَقْطَعُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يَدَهُ الْيُمْنَى وَرِجْلَهُ الْيُسْرَى، ثُمَّ أَصْلَبُكُمْ عَلَى جُدُوعِ النَّخْلِ جَمِيعاً⁽⁴⁶⁾، لَتَمُوتُوا جُوعاً وَعَطْشاً، عُقُوبَةً لِإِيمَانِكُمْ.

{ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ } [الأعراف: 125]

125 . قَالَ السَّحَرَةُ - وَقَدْ آمَنُوا - : نَحْنُ عَائِدُونَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَثَوَابِهِ، وَمَصِيرُكُمْ وَمَصِيرُنَا إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُحَكِّمُ بَيْنَنَا، وَلَا نُبَالِي بِوَعِيدِكُمْ، وَعَذَابُهُ أَشَدُّ مِنْ عَذَابِكُمْ.

(46) قَالَ الرَّاعِبُ فِي مَفْرَدَاتِهِ: الصُّلْبُ: الَّذِي هُوَ تَعْلِيقُ الْإِنْسَانِ لِلْقَتْلِ، قِيلَ: هُوَ شَدُّ صُلْبِهِ عَلَى خَشَبٍ، وَقِيلَ: إِنَّمَا هُوَ مِنْ صَلَبِ الْوَدَكِ.

وَقَدْ قَالَ قَبْلَهُ: الصَّلْبُ وَالْإِصْطِلَابُ: اسْتِخْرَاجُ الْوَدَكِ (أَيِ الشَّحْمِ) مِنَ الْعِظْمِ.

{ وَمَا تَنْقُمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ }
[الأعراف: 126]

126 . وما تُنكِرُ مِنَّا سِوَى إِيْمَانِنَا بِآيَاتِ رَبِّنَا وَمُعْجِزَاتِهِ لَمَّا أَتَيْنَا . اللَّهُمَّ صَبِّرْنَا عَلَى التَّمَسُّكِ بِدِينِكَ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ ، وَتَوَقَّنَا عَلَى الْإِسْلَامِ ، مُتَّبِعِينَ نَبِيِّكَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

{ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْأَهْلِيَّةَ قَالَ
سَنُقْتُلُ أبنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ } [الأعراف: 127]

127 . وَقَالَ مُسْتَشَارُو فِرْعَوْنَ وَقَادْتُهُ لَهُ ، وَقَدْ كَثُرَ أَتْبَاعُ مُوسَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَتَذُرُكَ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي أَرْضِ مِصْرَ ، وَهُمْ يَدْعُونَ رَعِيَّتَكَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَالخُرُوجِ عَلَيْكَ ، وَتَكُونُ النَّيْجَةُ أَنْ يَتْرُكَكَ مُوسَى وَيَتْرُكَ مَعْبُودَاتِكَ ؟ ذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ صَنَعَ أَصْنَامًا وَأَمَرَ النَّاسَ بِعِبَادَتِهَا تَقْرِبًا إِلَيْهِ . وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ .

أَجَابَ فِرْعَوْنُ أَصْحَابَهُ بِقَوْلِهِ : لَنْ نَتْرُكَهُمْ هَكَذَا ، بَلْ سَنَفْعَلُ بِهِمْ كَمَا كَانَ يُفْعَلُ بِهِمْ سَابِقًا ، سَنُقْتُلُ كُلَّ ذَكَرٍ مِنْهُمْ يُؤَلَّدُ ، وَنُبْقِي عَلَى إِنْثَاهِمُ ، فَهَرًا وَإِذْلَالًا لَهُمْ ، وَسَنَغْلِيهِمْ بِهَذَا ، فَيَقْلُونَ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَلَنْ يَقْدِرُوا عَلَى الْفَسَادِ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَهُمْ جَمِيعًا مَقْهُورُونَ تَحْتَ أَيْدِينَا .

{ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ } [الأعراف: 128]

128 . قَالَ مُوسَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُوَ يَعِظُهُمْ وَيَقْوِي مِنْ عَزَائِمِهِمْ : اطْلُبُوا الْعُونَ وَالقُوَّةَ وَالتَّوْفِيقَ مِنَ اللَّهِ رَبِّكُمْ ، وَاصْبِرُوا عَلَى مَا تُوعَدُونَ بِهِ وَتُهَدَّدُونَ ، فَإِنَّ الْأَرْضَ مُلْكُ اللَّهِ ، وَمِصْرُ مِنْ أَرْضِهِ ، فَهِيَ لَيْسَتْ لِفِرْعَوْنَ ، بَلْ مِنْ مُلْكِ اللَّهِ ، وَهُوَ يُعْطِيهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَالنَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَالعَاقِبَةُ المَحْمُودَةُ لِعِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ الخَائِفِينَ مِنْ عِقَابِهِ ، وَلَيْسَتْ لِلظَّالِمِينَ .

{ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ
وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } [الأعراف: 129]

129 . قَالَ بنو إِسْرَائِيلَ لِنَبِيِّهِمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: كُنَّا نُظَلِّمُ وَنُعَذِّبُ قَبْلَ أَنْ تُبْعَثَ رَسُولًا، وَهَذَا نَحْنُ نُعَذِّبُ وَنُضْطَهِّدُ بَعْدَ إِرْسَالِكَ.

فَقَالَ لَهُمْ: عَسَى رُبُّكُمْ أَنْ يَقْضِيَ عَلَى عَدُوِّكُمْ الَّذِي أَرَعَبَكُمْ وَتَوَعَّدَكُمْ، وَيَجْعَلَكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَعْدِهِمْ، فِيرَى مَا الَّذِي تَفْعَلُونَ بَعْدَ النَّصْرِ، تُطِيعُونَ فَتَشْكُرُونَ، أَمْ تَعْصُونَ فَتَكْفُرُونَ؟

{ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ } [الأعراف: 130]

130 . وَقَدْ ابْتَلَيْنَا قَوْمَ فِرْعَوْنَ بِالْقَحْطِ وَالْجُوعِ، وَنَقَصْنَا مِنْ مَحْصُولِ زَرَاعَاتِهِمْ وَثَمَرَاتِ أَشْجَارِهِمْ، بِالْآفَاتِ وَقَلَّةِ الْإِنْتاجِ؛ لِيَتَذَكَّرُوا بِذَلِكَ وَيَتَّعِظُوا وَيَتَضَرَّعُوا إِلَى اللَّهِ، وَيَتَزَكَّوْا مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ شِرْكَ.

{ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَّا إِنَّمَا

طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } [الأعراف: 131]

131 . فَإِذَا كَانَتْ سَنَةٌ خِصْبٍ وَرِخَاءٍ، وَصَارُوا فِي سَعَةٍ وَعَافِيَةٍ، قَالُوا: هَذَا مِنْ حَقِّنَا، أَصَابَنَا بِتَعِينَا، وَلَمْ يَرَوْهُ تَفَضُّلاً مِنَ اللَّهِ، وَإِذَا كَانَتْ سَنَةٌ قَحْطٍ وَبَلَاءٍ تَشَاءَمُوا وَقَالُوا: أَصَابَنَا هَذَا النَّقْصُ وَالْبَلَاءُ بِسَبَبِ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ هُوَ وَقَوْمُهُ.

لَكِنَّ مَا قُضِيَ لَهُمْ مِنْ نَصِيبٍ وَقُدِّرَ لَهُمْ مِنْ رِزْقٍ، وَمَا يُصِيبُهُمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ كُلُّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ يَقُولُونَ مَا يَقُولُونَ.

{ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لُتَسْحَرْنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ } [الأعراف: 132]

132 . وَقَالَ قَوْمُ فِرْعَوْنَ لِمُوسَى فِي عِنَادٍ وَإِصْرَارٍ عَلَى الْبَاطِلِ: إِنَّكَ مَهْمَا جِئْتَنَا بِهِ مِنْ مُعْجِزَةٍ لَتُشَبِّهَ بِهَا عَلَيْنَا، أَوْ تَرُدَّنَا بِهَا عَنْ دِينِنَا وَتَصْرِفِنَا عَمَّا نَحْنُ فِيهِ، فَلَنْ نَقْبَلَهَا مِنْكَ، وَلَنْ نُؤْمِنَ بِكَ وَبِرِسَالَتِكَ.

{ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ } [الأعراف: 133]

133 . فكان جزاء كفرهم وإصرارهم على الباطل، أن عاقبناهم بإرسال الطوفان عليهم، فملاً بيوتهم، وأتلف زروعهم، وأغرق أراضيهم... ثم أرسلنا عليهم الجراد فأتلف ما بقي من زروعهم، وأكل ثمارهم ونباتهم، ثم القمل - وكفى به عذاباً -، والضفادع، التي ملأت بيوتهم وأوعيتهم وأطعمتهم، ثم الدم ليحري في مياههم، فصاروا يشربون الدم، ولا يطبخون! ... وكلها آيات وأدلة وعبر إلهية بينة، كافية للردع عن الكفر، والاستسلام لله، والإيمان برسالته، ولكنهم مع كل هذا استكبروا عن الإيمان بها، فكانوا كافرين مجرمين.

{ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشِفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ } [الأعراف: 134]

134 . ولما نزل بهم العذاب، واستقر فيهم، وكادوا أن يهلكوا، قالوا: يا موسى ادع لنا الله بعهدك عندك - وهو النبوة - أن يكشف عنا العذاب الذي ابتلانا به، فإذا أزال ما بنا، أقسمنا لك بأننا سنؤمن بك بما جئتنا به، وسنرسل معك بني إسرائيل، كما طلبت.

{ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ } [الأعراف: 135]

135 . فلما أبعيناهم من العذاب إلى وقت محدد - وهو وقت الغرق - إذا هم يتمردون وينقضون العهد، فلم يؤمنوا!

{ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ } [الأعراف: 136]

136 . فأردنا الانتقام منهم، فأغرقناهم في البحر، بسبب تكذيبهم بآيات الله العظيمة، وعدم اكتراثهم بها، وغفلتهم عنها.

{ وَأَوْثَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ
كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا
كَانُوا يَعْرِشُونَ } [الأعراف: 137]

137 . وأورثنا بني إسرائيل الذين كانوا يُستعبدون ويُقَهرون من قِبَلِ فِرْعَوْنَ وقومه،
ويُدبِحُ أبناءهم ويُسامونَ سوءَ العذاب، أورثناهم الأرضَ بِجَمِيعِ جِهَاتِهَا ونواحيها - ولعلَّ
المقصودَ ما كانَ تحتَ مُلكِ أعدائهم منها، مصرُ والشامُ ونواحيها، فملكهم اللهُ إِيَّاهَا ومكَّنهم
منها - التي باركنا فيها بالخِصبِ وسَعَةِ الرِّزْقِ وكَثْرَةِ النَّفْعِ، وَتَحَقَّقَ ما وَعَدَ اللهُ بِهِ بني إِسْرَائِيلَ
مِنَ النَّصْرِ عَلَى الأعداءِ والتَّمكينِ فِي الأرضِ، بما صَبَرُوا على دينهم وكابدوا الشَّدائدَ والعَذَابَ
مِنَ فِرْعَوْنَ وقومه.

ودمَّرنا ما كانَ يَصْنَعُهُ فِرْعَوْنُ وقومُهُ مِنَ القُصورِ والعمائرِ والمزارعِ فِي أرضِ مِصرَ، وما
كانوا يُقيمونَ مِنْ هَيْئَاتِ مِظَلَّاتٍ وسُقوفٍ فِي البساتينِ.

{ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ
لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ بَجْهَلُونَ } [الأعراف: 138]

138 . وَعَبَّرَ النَّبِيُّ مُوسَىٰ بِبَعْضِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ، فَمَرُّوا بِقَوْمٍ يُلَازِمُونَ أَصْنَامًا
ويعبدونها مِنْ دُونِ اللهِ، فقالوا لموسى عليه السَّلَامُ فِي جَهْلٍ وَغَفْلَةٍ: يَا مُوسَىٰ، اجْعَلْ لَنَا تَمَثَلًا
نَعْبُدُهُ، يَعْنِي نُعَظِّمُهُ وَنَتَقَرَّبُ بِتَعْظِيمِهِ إِلَى اللهِ! كما يَفْعَلُ هؤُلاءِ.
فقال لهم موسى: إِنَّكُمْ قَوْمٌ بَجْهَلُونَ عَظَمَةَ اللهِ وَرَبوبِيَّتَهُ وَتَوْحِيدَهُ.

{ إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأعراف: 139]

139 . إِنَّ هَؤُلاءِ العاكفينَ على هذه الأصنامِ هالِكٌ ما هُم فِيهِ، وباطِلٌ زائلٌ عملهم،
وإنَّ قَصْدُوا بِذَلِكَ التَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ، فلا يَنْفَعُهُمْ عَمَلُهُمْ هذا أصلاً.

{ قَالَ أَغْوِيَ اللَّهُ أَبْنِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } [الأعراف: 140]

140 . قَالَ لَهُمُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَلْ أَطْلَبُ لَكُمْ مَعْبُودًا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ غَيْرَ اللَّهِ وَهُوَ الرَّبُّ الْمَعْبُودُ، وَقَدْ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ فِي زَمَانِكُمْ، فَهَلْ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ الْآنَ يُوَافِقُ مَكَانَتَكُمْ الْمَفْضَلَةَ وَيُنَاسِبُ سْؤَالَكُمْ؟!

{ وَإِذْ أُنجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ
وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ } [الأعراف: 141]

141 . وَتَذَكَّرُوا كَيْفَ نَجَّاهُمْ اللَّهُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ بِإِهْلَاكِهِمْ، وَكَانُوا يُذَيِّقُونَكُمْ أَسْوَأَ الْعَذَابِ وَأَشَدَّهُ، فَيَقْتُلُونَ مَوَالِدَكُمْ الذُّكُورَ، وَيُحْيُونَ عَلَى بَنَاتِكُمْ لِلسُّحْرَةِ وَالْحِدْمَةِ، وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ لَكُمْ وَاحْتِبَارٌ كَبِيرٌ مِنْ رَبِّكُمْ.

{ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى
لَأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ } [الأعراف: 142]

142 . وَقَدْ وَعَدْنَا مُوسَى أَنْ نُكَلِّمَهُ، وَأَنْ نُنَزِّلَ عَلَيْهِ كِتَابَ هِدَايَةٍ وَتَشْرِيحٍ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَمْرَانَهُ بِصِيَامِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا، وَأَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا عَشْرَةَ أَيَّامٍ، فَاكْتَمَلَ وَقْتُ وَعْدِ اللَّهِ لَهُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً. فَقَالَ لِأَخِيهِ هَارُونَ - النَّبِيِّ - وَهُوَ يَتَهَيَّأُ لِلذَّهَابِ إِلَى الْجَبَلِ لِلْمُنَاجَاةِ: كُنْ خَلِيفَتِي فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَثْنَاءَ غِيَابِي، وَكُنْ مُرْشِدًا لَهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْإِمْتِنَانِ، بِالرَّفْقِ وَالْحِلْمِ وَالْإِحْسَانِ وَبِذِ الْاِخْتِلَافِ، وَلَا تُطْعِمْ سَبِيلَ مَنْ سَلَكَ الْفَسَادَ وَعَصَى اللَّهَ، وَلَا تَوَافِقْهُ عَلَى هَوَاهُ، بَلْ اثْبُتْ عَلَى مَا فِيهِ رِضَا اللَّهِ، وَالتَّرَمِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

{ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي وَلَكِنْ انظُرْ
إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى
صَبَعًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } [الأعراف: 143]

143 . وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى فِي الْوَقْتِ الْمَحْدَدِ لَهُ، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَبِّي أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَا قُدْرَةَ لَكَ عَلَى رُؤْيِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى جَبَلٍ (طُورٍ) سِينَاءَ الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنْكَ، فَإِذَا ثَبَتَ فِي مَكَانِهِ وَلَمْ يُفْتَتِّهْ التَّجَلَّى فَسَوْفَ تَرَانِي. فَلَمَّا تَجَلَّى اللَّهُ

سُبْحَانَهُ لِلجَبَلِ جَعَلَهُ مَدْكُوكًا مُتَفَتِّتًا مُسْتَوِيًّا بِالأَرْضِ، وَسَقَطَ مُوسَى مَغْشِيًّا عَلَيْهِ مِنْ هَوْلِ مَا رَأَى، فَلَمَّا أَفَاقَ مِنْ غَشِيَتِهِ، قَالَ تَعْظِيمًا لِأَمْرِ اللَّهِ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ، إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ أَسْأَلَكَ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ، أَوْ أَنْ أَسْأَلَكَ الرَّؤْيَةَ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

{ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ } [الأعراف: 144]

144 . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا مُوسَى، إِنِّي اخْتَرْتُكَ عَلَى النَّاسِ الْمَوْجُودِينَ فِي زَمَانِكَ، بَأَنْ أَنْزَلْتُ عَلَيْكَ أَسْفَارَ التَّوْرَةِ، وَبَتَكْلِيمِي إِلَيْكَ، فَخُذْ مَا أُعْطَيْتُكَ مِنْ شَرَفِ الْإِصْطِفَاءِ وَالتَّفْضِيلِ، وَاشْكُرْ لِلَّهِ جَلِيلَ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ.

{ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الفَاسِقِينَ } [الأعراف: 145]

145 . وَكَتَبْنَا لَهُ فِي أَلْوَاحِ التَّوْرَةِ مِنْ كُلِّ مَا أَمَرُوا بِهِ وَنُحُوا عَنْهُ، مَوَاعِظَ وَأَحْكَامًا مُفْصَّلَةً، مُبَيِّنَةً لِلْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ، مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ، وَمِنْ كُلِّ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الأُمَّةُ فِي دِينِهَا، فَخُذْهَا بِجِدِّ وَعَزْمٍ عَلَى الطَّاعَةِ، وَأْمُرْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَأْخُذُوا أَحْسَنَ مَا فِيهَا، وَهُوَ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهَا وَهَدَاهُمْ إِلَيْهِ، مِمَّا فِيهِ خَيْرُهُمْ وَنَجَاتُهُمْ. وَسَتَرُونَ عَاقِبَةَ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي وَخَرَجَ عَنْ طَاعَتِي كَيْفَ يَكُونُ مَصْرَعُهُ، فَاحْتَرِزُوا وَلَا تَتَّبِعُوا طُرُقَ أَهْلِ الفِسْقِ الخَارِجِينَ عَنِ الطَّاعَةِ.

{ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُفْرًا آيَةً لَأَيُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ العُيِّيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ } [الأعراف: 146]

146 . سَأَبْعِدُ عَنْ دَلَائِلِ عَظْمَتِي وَأَحْكَامِ شَرِيعَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ عَلَى عِبَادِي وَيُحَارِبُونَ أَوْلِيَائِي بِغَيْرِ الْحَقِّ؛ عَقُوبَةً لَهُمْ عَلَى عِنَادِهِمْ وَاسْتِكْبَارِهِمْ، فَلَا يَنْتَفِعُونَ بِآيَاتِي الْجَلِيلَةِ، الَّتِي يَسْتَأْهِلُهَا الْمُؤْمِنُونَ المَصْدَقُونَ وَحَدَهُم.

فإذا شاهد المتكبرون المعجزات والدلائل على أيدي رُسلي لم يؤمنوا بها، وإذا رأوا طريق النجاة، والهدى والسداد، لم يسلكوها.

وإذا رأوا طريق الهلاك والضلال اختاروها لأنفسهم ولم يتركوها، لموافقتها أهواءهم وشهواتهم، وهذا لأنهم كذبوا بأدلتنا الواضحة الصادقة، وحججنا البيّنة الكاشفة، المؤدية إلى الحق واليقين، وقد كانوا ساهين عن التفكير فيها والاتعاظ بها.

{ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }
[الأعراف: 147]

147 . والمكذبون بآياتنا، المصرون على الكفر بها وبلقاء الدار الآخرة، حيث موعد الثواب والعقاب، بطلت أعمالهم التي كانوا يرجون الانتفاع بها، وهم لا يجزون ولا يحاسبون إلا على ما كانوا عليه من الكفر والمعاصي، التي استمروا عليها.

{ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلْقِهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ } [الأعراف: 148]

148 . وبعد أن ذهب موسى إلى مناجاة ربه في الجبل، صنع لهم رجلاً من السامرة في غيابه من خلي وزينة صورة عجل مجسداً، يعني تمثالاً على شكله، وجعله على هيئة بحيث يُخرج صوتاً كصوت البقر، وقال لهم: هذا هو إلهكم! فالتفت عليه القوم وصاروا يعبدونه!!
ألا يرى هؤلاء الجهلة الضالون أن هذا التمثال لا يقدر على الكلام، ولا أن يرشدهم إلى خير!! لقد اتخذوا ما صنعوه بأيديهم إلهاً يعبدونه، فكانوا كافرين، وعلى منكر عظيم.

{ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [الأعراف: 149]

149 . ولما ندموا على ما فعلوا أشد الندم، وعلموا أنهم كانوا على ضلال مبين في عبادة العجل، تابوا وأنابوا، وأدركوا أنهم قد اقتصروا إثماً كبيراً وعملاً شنيعاً، وقالوا: إذا لم يدرنا ربنا برحمته وعفوه، ويتجاوز عن خطئنا ويثبت علينا، لنكونن من الهالكين.

{وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأعراف: 150]

150 . ولما رجع موسى عليه السلام من مناجاة ربه، وقد أخبره سبحانه بما صنع قومه من بعده، غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَقَالَ لَهُمْ: بئس الذي فعلتموه من عبادة العجل في غيبي، فهل استعجلتم بهذا عقوبة الله ونقمته بكم؟!

وَأَلْقَى الْأَوَاحَ التَّوْرَةَ الَّتِي جَاءَ بِهَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ عَلَى قَوْمِهِ، وَأَتَّجَهَ إِلَى أَخِيهِ هَارُونَ وَكَانَ نَائِبُهُ فِي الْقَوْمِ، وَأَخَذَ بِشَعْرِ رَأْسِهِ يَجُرُّهُ نَحْوَهُ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ قَصَرَ فِي تَهْيِئِهِمْ، فَأَجَابَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ غَلِبَ عَلَى أَمْرِهِ، وَقَالَ: يَا أَخِي، لَقَدْ اسْتَدَلَّنِي عَبْدُ الْعِجْلِ وَلَمْ يُبَالُوا بِي، لِقَلَّةِ مَنْ بَقِيَ مَعِي وَأَيَّدَنِي عَلَيْهِمْ، حَتَّى هُمُوا أَنْ يَقْتُلُونِي لِمَا بَدَلْتُ مِنْ نَصِيحَةٍ فِي تَهْيِئِهِمْ عَنْ ذَلِكَ، فَلَا تَأْخُذْ بِشَعْرِ رَأْسِي وَلَا تَغْضَبْ عَلَيَّ حَتَّى لَا تُسِرَّ الْأَعْدَاءَ وَتُفْرِحَهُمْ بِذَلِكَ، وَلَا تَجْعَلَنِي فِي عِدَادِ الظَّالِمِينَ الْمُجْرِمِينَ، وَلَا تَخْلِطَنِي بِهِمْ.

{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [الأعراف: 151]

151 . قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ دَاعِيًا رَبَّهُ لِمَا تَبَيَّنَ عُذْرُ أَخِيهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا صَنَعْتُ بِأَخِي وَأَهْمَمْتُهُ بِهِ، وَتَجَاوَزْ عَنْهُ إِنَّ كَانَ قَدْ قَصَرَ فِي الْإِنْكَارِ، وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَأَنْتَ أَرْحَمُ مَنْ رَحِمَ.

{إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَاهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ} [الأعراف: 152]

152 . إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ إِلَهًا لَهُمْ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، سَيَلْحَقُهُمْ غَضَبُ اللَّهِ وَعُقُوبَتُهُ، وَذِلَّةٌ وَاسْتِكَاثَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَمَا أَغْضَبُوا رَبَّهُمْ وَاسْتَهَانُوا بِأَمْرِهِ، وَهَذَا هُوَ جَزَاءُ الْكَاذِبِينَ عَلَى اللَّهِ، الْمُفْتَرِينَ عَلَى دِينِهِ.

والذُّلُّ هُوَ هَزَائِمُهُمْ وَمَا تَعَرَّضُوا لَهُ مِنْ قَتْلِ، وَضَرْبِ عَلَيْهِمْ مِنْ جِزِيَةٍ، وَعَاشُوا تَحْتَ حُكْمِ الْآخَرِينَ.

وَقَالَ صَاحِبُ الظَّلَالِ: عَلَّمَ اللهُ أَنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجَلَ لَنْ يَتُوبُوا تَوْبَةً مَوْصُولَةً، وَأَنَّهم سَيَرْتَكِبُونَ مَا يُخْرِجُهُمْ مِنْ تِلْكَ القَاعِدَةِ، وَهَكَذَا كَانَ، فَقَدْ ظَلَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَرْتَكِبُونَ الخَطِيئَةَ بَعْدَ الخَطِيئَةِ، وَيُسَاحِطُهُمُ اللهُ المَرَّةَ بَعْدَ المَرَّةِ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الغَضَبِ الدَّائِمِ، وَاللَّعْنَةِ الأَخِيرَةِ.

{وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَأَمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأعراف: 153]

153 . وَالَّذِينَ ارْتَكَبُوا السَّيِّئَاتِ، صَغِيرَةً كَانَتْ أَوْ كَبِيرَةً، حَتَّى لَوْ كَانَتْ كُفْرًا، ثُمَّ تَابُوا عَنْهَا، وَنَدِمُوا، وَعَزَمُوا عَلَى عَدَمِ العُودَةِ إِلَيْهَا، وَأَمَنُوا إِيمَانًا صَاحِحًا، فَإِنَّ رَبَّكَ يَغْفِرُ لَهُمْ، وَيَتُوبُ عَلَيْهِمْ، وَيَرْحَمُهُمْ. قَالَ الفَخْرُ الرَّازِيُّ: وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يُفِيدُ البِشَارَةَ وَالفَرَحَ لِلْمُذْنِبِينَ.

{وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِربِّهِمْ يَرْهَبُونَ} [الأعراف: 154]

154 . وَلَمَّا سَكَتَ سَوْرَةُ الغَضَبِ عِنْدَ مُوسَى، أَخَذَ أَلْوَاحَ التَّوْرَةِ الَّتِي كَانَ قَدْ أَلْقَاهَا، وَكُتِبَ فِيهَا مَا هُوَ بَيَانٌ لِلْحَقِّ، وَهَدَايَةٌ لِلنَّاسِ مِنَ الضَّلَالِ، وَرَحْمَةٌ بِهِمْ مِنَ العَذَابِ، وَإِرْشَادٌ لَهُمْ إِلَى مَا فِيهِ الخَيْرُ وَالصَّلَاحُ، لِمَنْ يَخْشَوْنَ اللهُ وَيَجُوبُونَ أَنْ يَتَّبِعُوا هُدْيَهُ، وَيَخْضَعُوا لِأَحْكَامِهِ.

{وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَهْلِكْنَا بِمَا فَعَلَّ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ العَافِرِينَ} [الأعراف: 155]

155 . وَاخْتَارَ مُوسَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَبْعِينَ رَجُلًا، لِيَحْضُرُوا فِي وَقْتِ مَعِينٍ وَعَدَهُمُ اللهُ فِيهِ، بِمَكَانٍ مَا، رُبَّمَا لِإِعْلَانِ التَّوْبَةِ وَطَلْبِ المَغْفِرَةِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَكِنَّهُمْ هُنَاكَ طَلَبُوا رُؤْيَةَ اللهُ لِيُصَدِّقُوا مُوسَى فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الفَرَاغِ فِي الأَلْوَاحِ! فَأَخَذَتْهُمُ الرِّعْدَةُ وَصُعِقُوا، فَتَوَجَّهَ نَبِيُّ

الله موسى إلى ربه في تدليل وخضوع، يُريد رفع غضبه ومقتنه عنهم، وقال: اللهم ربنا إنك لو أردت إهلاكهم لأهلكتهم قبل هذا الوقت، من قبل فرعون أو عند عبادتهم العجل، ولكنك تجاوزت ورحمت، فاعف عنهم بعفوك وكرمك، وإيائي كذلك.

أهملكنا يا ربنا بما اقترفته السفهاء منا، من عبادة العجل، أو عنادهم وسوء أدبهم مع جلالك وعظمتك. والذي وقع منهم ما هو إلا ابتلاء واختبار منك، فهديت بذلك من شئت منهم وعصمتهم، وأضللت آخرين منهم يستحقون الضلال. أنت يا الله ناصرنا وحافظنا، والقائم بأمرنا، فاغفر لنا ما اقترفنا، وارحمنا برحمتك، فأنت خير من غفرت ورحمت، ولا يغفر الذنوب إلا أنت.

وفيه استعطاف موسى لرفقة الله ورحمته، وتبرؤ من فعل السفهاء.

{ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشياء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون } [الأعراف: 156]

156 . اللهم واقسم لنا في هذه الحياة الدنيا جماع الخير والعافية، والتوفيق لطاعتك ورضاك، وكذا في الحياة الآخرة، لنفوز بالثوبة الحسنى، إنا تبنا إليك. قال الله ما معناه: عُقوبتي وعذابي من شأني، أصيب به من أشياء دون تدخل من غيري، ولي الحكمة والعدل في ذلك كله.

ورحمتي عظيمة شاملة عامة، فسأكتبها لعبادي المؤمنين، وأخص بها الذين يتعدون عن الشرك والمعاصي، ويخافون يوم الحساب، ويخشون عقوبة الله، ويدفعون زكاة أموالهم للفقراء والمساكين، ويؤمنون بآياتنا كلها.

{ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَا أُولَئِكَ إِنَّهُمْ يُنَادُونَكَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ أَطِيبَاتٍ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الأعراف: 157]

157 . الذين يَتَّبِعُونَ الرُّسُولَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي أَرْسَلَهُ اللهُ لِتَبْلِيغِ دِينِهِ، النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي مَا كَانَ يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، وَهَذَا مُعْجِزَةٌ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، - وَصِفَةُ الْأُمِّيَّةِ لَا تُذَكَّرُ لِلْمَدْحِ لِعَيْرِهِ - وَهُوَ الَّذِي يَجِدُهُ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ، اسْمُهُ وَصِفَتُهُ، فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، يَأْمُرُ النَّاسَ بِالْخَيْرِ وَالتَّقْوَى وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الشَّرِّ وَالشُّرْكِ وَقَطْعِ الْأَرْحَامِ وَالْفَوَاحِشِ، وَيُجِلُّ لَهُمْ طَيِّبَاتِ الْأَطْعَمَةِ وَالذَّبَائِحِ مِمَّا كَانَ يُحَرِّمُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ دُونَ حَقِّهِ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ مَا حَبِثَ مِنْهَا، كَالْمَيْتَةِ وَلَحْمِ الْخَنزِيرِ، وَيُسِّرُ عَلَيْهِمْ أُمُورَ دِينِهِمْ، وَيَرْفَعُ عَنْهُمْ مَا يُثْقِلُ كَاهِلَهُمْ، وَمَا فِيهِ تَكَالِيفُ شَاقَّةٌ، وَأُوامِرُ صَعْبَةٌ تَطَوَّقُوهُمْ، مِمَّا كَانَ مَفْرُوضًا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ عُقُوبَةً لَهُمْ.

فَالَّذِينَ آمَنُوا بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنُبُوَّتِهِ، وَوَقَّروهُ، وَنَصَرُوهُ فِي جِهَادِهِ ضِدَّ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ، وَاتَّبَعُوا الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيْهِ، أَوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [الأعراف: 158]

158 . قُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي مُرْسَلٌ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ كَافَّةً، وَلَيْسَ لِلْعَرَبِ وَحْدَهُمْ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، لَا إِلَهَ إِلَّا لَكَوْنَ غَيْرُهُ، وَلَا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاهُ، الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ سِوَاهُ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، كَمَا هُوَ مِنْ صِفَتِهِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَمَا أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ إِخْوَانِهِ مِنَ الرُّسُلِ مِنْ كُتُبِ وَوَحْيِ، وَاتَّبِعُوهُ فِيمَا يُخْبِرُكُمْ بِهِ وَمَا يَطْلُبُهُ مِنْكُمْ، لِتَهْتَدُوا وَتَفُوزُوا، فَإِذَا لَمْ تَتَّبِعُوهُ ضَلَلْتُمْ وَهَلَكْتُمْ.

{ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ } [الأعراف: 159]

159 . وَمِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ طَائِفَةٌ، أَوْ جَمَاعَةٌ عَظِيمَةٌ، يَتَّبِعُونَ الْحَقَّ وَيَهْتَدُونَ بِهِ، وَبِهِ يَحْكُمُونَ، وَبِالْعَدْلِ يَقُومُونَ، وَيُرْشِدُونَ النَّاسَ إِلَيْهِ. وَهَذَا مُقَابِلَ مَنْ عَصَى مِنْهُمْ. وَكَانُوا فِي عَهْدِ مُوسَى، أَوْ مِنْ بَعْدِهِ.

{ وَقَطَعْنَا لَهُمْ اِثْنَيْ عَشْرَةَ اَسْبَاطًا اُمَمًا وَاَوْحَيْنَا اِلَى مُوسَى اِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ اَنْ اَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اِثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ مَّشْرَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَامَ وَاَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُوْنَا وَلٰكِنْ كَانُوْا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ } [الأعراف: 160]

160 . وفرقنا بني إسرائيل وصيرناهم اثني عشرة أمة من قبائلهم. وأوحينا إلى نبيهم موسى عندما طلب منه قومه الماء من العطش وهم في التيه، أن اضرب الحجر بعصاك، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا؛ معجزة له، لكل قبيلة من القبائل المذكورة عين خاص بها قد عرفتها.

وقد أنعمنا عليهم وهم في ظروف شديدة في التيه، فظللنا عليهم السحاب الأبيض ليقيههم حر الشمس المحرق، وكان يسير الغيم بسيرهم، ويقف بوقوفهم! وأنزلنا عليهم طعاماً شهياً لا يتعبون في تحصيله، وهو المن، الذي يجدونه على الأشجار خلواً كالعسل، وطائر السماني، القريب المنال، فكلوا هذا الطعام الطيب المستلذ هنيئاً مريئاً. وما أدخلوا بعصيانهم نقصاً في ملكنا وسلطاننا، فحنن أعز من أن نظلم، ولكن بني إسرائيل جحدوا نعمتنا، وأضروا بأنفسهم، فكانت عاقبة ظلمهم على أنفسهم.

{ وَاِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوْا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوْا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوْا حِطَّةٌ وَاَدْخُلُوْا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيَاَتِكُمْ سَنَزِيْدُ الْمُحْسِنِيْنَ } [الأعراف: 161]

161 . واذكر لليهود قولنا لأسلافهم: ادخلوا هذه القرية - لعلها بيت المقدس - وأقيموا فيها، وكلوا من مطاعمها وثمارها ما شئتم في رعد وهناء، وقولوا عند دخولكم "حطة": حطت عنا ذنوبنا واغفر لنا، وليكن دخولكم من بابها في تواضع وخشوع، فإذا فعلتم ذلك غفرنا لكم ذنوبكم، وزدنا المحسنين منكم إحساناً.

{ فَبَدَّلَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِيْ قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُوْا يَظْلِمُوْنَ } [الأعراف: 162]

162 . لكنَّ فريقاً ظالماً منهم خالفوا وعصوا، فبدلوا ما أمروا به من الخضوع بالقول والفعل، فبدل أن يدخلوا ساجدين مستغفرين، دخلوا بهيئة أخرى مخالفة، وقالوا قولاً آخر غير الذي أمروا به؛ مخالفةً وعناداً.

فأنزلنا على الظالمين المعاندين عذاباً من السماء؛ لفسقهم وعصيانهم.

{ وَأَسَأَلْتُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْتَدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعاً وَيَوْمَ لَا يَقْتُلُونَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَفْسُقُونَ } [الأعراف: 163]

163 . واسأل اليهود وذكّرهم بما يُخفونهُ من التوراة ممّا فيه تجاوزهم لحدود الله، عن القرية التي كانت على ساحل البحر، فكانوا يعتدون فيها يوم السبت، وهو مُعظّم عندهم لا يجوز العمل فيه، فابتلوا بوفرة الحيتان في ذلك اليوم، حتّى تبدو ظاهرة على وجه الماء، ولا تأتيهم في غير هذا اليوم. كذلك نختبرهم بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله، ليظهر منهم ما يظهر، فنجازيهم عليه.

{ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّنَا وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } [الأعراف: 164]

164 . وقالت فرقة منهم لأخرى، كانت تُنكر عليهم عملهم هذا وتُحذّرهم عقوبة الله: لماذا تنهون هؤلاء العصاة المخالفين أمر الله وقد استحقوا الهلاك من قبل ربهم، أو أنّه سيُعذبهم عذاباً موجعاً مؤلماً، فلا فائدة من تذكيركم إياهم. قالوا: نُنكر عليهم ذلك حتّى نُعذر عند الله ونُبرئ ذمّتنا، لما أخذ علينا من النهي عن المنكر، وليُعلم أننا لسنا معهم ولا نوافقهم على فعلهم هذا، ولعلهم بهذا الإنكار يتذكرون، فينتهون ويتوبون.

{ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } [الأعراف: 165]

165 . فلما لم يُبالوا بالنصيحة، وأعرضوا عما ذكروا به، أنقذنا من بينهم الجماعة التي كانت تُذكّرهم وتنهاهم عن عملهم السيئ، وأخذنا المعتدين منهم بعذابٍ شديد؛ بسبب فسقهم المستمرّ.

{ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهَوُّوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ } [الأعراف: 166]

166 . فلما لم يرتدعوا بما عذبناهم، واستكبروا عن قبول الحقّ، وأصروا وعاندوا ولم ينتهوا عما نُهَوُّوا عنه، عاقبناهم وقُلْنَا لَهُمْ: كُونُوا قِرَدَةً أَذَلَّةً صَاغِرِينَ، مُحَقَّرِينَ مُهَانِينَ.

{ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } [الأعراف: 167]

167 . وقد أعلم ربُّكَ أنّهُ سَيَبْعَثُ عَلَى الْيَهُودِ حَتَّى انْتِهَاءِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَنْ يُذِيقُهُمْ أَشَدَّ الْعَذَابِ؛ بسبب مخالفتهم المستمرّة لأوامر الله، وإنَّ الله لَسَرِيعُ الْعُقُوبَةِ لِمَنْ شَاءَ أَنْ يِعَاقِبَهُ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ يَغْفِرُ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ، وَيَرْحَمُ مَنْ آمَنَ.

{ وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [الأعراف: 168]

168 . وفرّقنا اليهودَ في مناطقِ الأرضِ وشتّنا أمرهم، وجعلناهم طوائفَ وفرقًا، منهم المؤمنون الصّالحون المتابعون للرسل، ومنهم الكفّرةُ والفاسيقون المخالفون لهم. وقد بلوناهم واختبرناهم بالخصبِ والعافية، وبالجدبِ والشدّة، لكي يرجعوا إلى طاعة ربّهم وينتَهوا عما نُهَوُّوا عنه.

{ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللِّدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } [الأعراف: 169]

169 . فجاء من بعدهم جيلٌ انتقلت إليهم التوراة من آبائهم، فصاروا يأخذون الرِّشَاءَ مُقابِلَ أفضيةٍ جائرةٍ ويقولون إنَّ حُكْمَهَا مِنَ التوراة، وأخذوا يُزَوِّرونَ ويُحَرِّفونَ فيها بما يوافقُ أهواءَهُم الزائغةَ وآراءَهُم الفاسدةَ، لا يُبالونَ بحلالٍ ولا حرامٍ، ولا حقٍّ ولا باطلٍ، والمهمُّ عندهم المَالُ ومتاعُ الدُّنيا، ثمَّ يقولونَ بعدَ هذه الأفعالِ الشنيعةِ: إنَّ اللهَ سَيَجَاوِزُ عَنَّا ولا يُعَدِّبُنَا! وإذا جاءَهُم صَفَقَةٌ مَالِيَّةٌ فَاجِرَةٌ مِنَ العَدِّ، عادوا إلى ما كانوا عليه، لحرصِهِم على الدُّنيا، وإصرارِهِم على الذُّنوبِ، وكذبِهِم في طلبِ المَغْفِرَةِ، غيرِ تائبينَ ولا مُقْلِعِينَ عنها.

أما أُخِذَ مِنْهُم ميثاقٌ ووعدٌ مُؤكِّدٌ مِنَ التوراةِ أَلَّا يَقُولُوا على اللهِ إِلَّا ما قالَهُ حقًّا، وأنَّ يُبَيِّنُوهُ للناسِ كما هو، فلا يَزِيدُوا ولا يَنْقُصُوا، وقد دَرَسُوا التوراةَ وَعَلِمُوا ذلكَ، وهم يَذْكُرُونَهُ جَيِّدًا، وإنَّ طَلَبَ المَثُوبَةِ الحُسْنَى في الدَّارِ الآخِرَةِ بَدَلَ عَرَضِ زَائِلٍ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنيا، أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ لِمَنْ اتَّقَى اللهَ وخافَ عِقَابَهُ وَثَبَّتَ على الحَقِّ كما أمرَهُ، أَفلا تَعْقِلُونَ ذلكَ فَتَتَدَبَّرُونَ، وَتَفْهَمُونَ فَتَعْتَبِرُونَ، وَتَعْلَمُونَ أَنَّ النِّعَمَ المَقِيمَ خَيْرٌ مِنَ العَذَابِ الأليمِ؟!

{ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ } [الأعراف: 170]

170 . وَالَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِكِتَابِ اللهِ وَيَعْتَصِمُونَ بِحَبْلِهِ المَتِينِ، ولا يَتَزَحَّحُونَ عَمَّا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ المَفْرُوضَةَ عَلَيْهِم، الَّتِي هِيَ أَهْمُ أَرْكَانِ الدِّينِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ - وَفِيهِ الإِشَارَةُ إِلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ - فَإِنَّا لَنْ نُضِيعَ عَمَلَهُمُ الصَّالِحِ، بَلْ نُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا أَحْسَنَ الجِزَاءِ.

{ وَإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [الأعراف: 171]

171 . واذكر لليهود أيضاً ما أَرعَبنا بِهِ أسلافَهُم عندما رَفَعنا فَوْقَهُمُ الجَبَلَ، حَتَّى صارَ كَأَنَّهُ عِمَامَةٌ أو سَقِيفَةٌ فَوْقَهُم، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُ سَيَسْقُطُ عَلَيْهِم، لِأَنَّهُم أَبَوْا قَبُولَ التوراةِ والأخَذَ بِأحكامِها، فَخَافُوا وَاسْتَكاثُوا وَقَبِلُوا، فقلنا لَهُم: خُذُوا ما آتيناكُمْ مِنَ التوراةِ بِجِدِّ واجْتِهَادٍ، وَعَزِمِ على العَمَلِ بِهِ، وَالانقيادِ لِمَا فِيهِ، لِتَكُونُوا بِذلكِ مِنَ المُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ.

{ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } [الأعراف: 172]

172 . واذكر أيها النبي للناس أن الله استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، وأشهد كل واحد منهم على أنفسهم أن الله ربه ومليكه، ففطرهم بذلك على الإيمان، وجبلهم على التوحيد، وأقروا بذلك لله وشهدوا عليه؛ حتى لا تقولوا يوم القيامة إننا ما كنا نعرف الإيمان والتوحيد.

{ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ } [الأعراف: 173]

173 . أو تقولوا يوم القيامة: إن آباءنا هم الذين أشركوا، وهم الذين سنوا هذا الطريق قبلنا، وما نحن إلا ذرية من بعدهم، وجدناهم يفعلون ذلك فتابعناهم عليه وقلدناهم فيه، فتجعلوا هذا عُذراً لكم وتقولوا: أتواخذنا وتعدُّنا بجنائنا آباءنا المشركين، الآخذين بالباطل؟ فليس لكم أن تحتجوا بذلك وقد أخذ الله منكم الميثاق على التوحيد.

{ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [الأعراف: 174]

174 . وكذلك نبين الحجج والبراهين ليتدبرها الناس، ويرجعوا عما هم عليه من الإصرار على الكفر والباطل، إلى نور الإيمان والتوحيد.

{ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ } [الأعراف: 175]

175 . واقرأ عليهم خبر ذلك الرجل من بني إسرائيل، الذي أنعمنا عليه وآتيناه علماً وفضلاً، ولكنه كفر بنعمتنا وآياتنا التي خصصناه بها ونبذها وراء ظهره، فلحقه الشيطان وغلبه على أمره، فكان من الضالين الهالكين، بعد أن كان من المهتدين.

{ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [الأعراف: 176]

176 . ولو شئنا لرفعنا درجته ومنزلته بتلك الآيات، ولكننه مال إلى الدنيا ولداتها، فغرتة وألته عن الحق، فانقاد إليها وساير هواه ومناه، ورغبته وشهوته، ومثله في ذلك كمثل الكلب، الذي إن زجرته ونهرته هث، وإن لم تزره بقي كذلك يلهث! فهذه طبيعته، وكذلك الرجل الذي غرق في هواه وصم عن سماع الحق، إن دعوته إليه أو لم تدعه لم ينتفع بموعظتك، أو ساءت حاله فكان مضطرب القلب، دائم القلق، كحال الكلب في لهاته.

ذلك مثل أهل مكة، الذين كانوا يتمنون هادياً يهديهم، فلما جاءهم الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم كذّبوه، أو كمثل اليهود، الذين كانوا يبشرون بمبعث رسول، ويذكرون صفاته، والقرآن الذي معه، فلما جاءهم بتلك الصفات كفروا به. فاذكر هذه الأمثال والقصاص ليتفكر الناس ويتدبروا ما فيها، ليعتبروا وينزجروا عن الباطل الذي هم عليه.

{ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ } [الأعراف: 177]

177 . بئس مثلاً مثل المكذبين بآياتنا الذين شبهوا بالكلاب، وكانوا يظلمون أنفسهم بأنواع المعاصي والسيئات، والخلود إلى الهوى والضلال، فإن وبال عملهم هذا على أنفسهم.

{ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } [الأعراف: 178]

178 . من هداه الله إلى صراطه المستقيم، ويسر له طريق الهدى والرشاد، ووفقه ليعمل الخيرات، فهو المهتدي المتبع للحق، ومن أضله وخذله، فقد خاب وخسر. والله الحكمة في ذلك، فلا يظلم أحداً، ولا يجبرهم على إيمان أو كفر، بل يهدي من يجاهد ليهدي { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [سورة العنكبوت: 69]، ويضل من يبغي الضلال لنفسه.

{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ
بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ }
[الأعراف: 179]

179 . ولقد خلقنا للنارِ وهيئاً لها كثيراً مِنَ الإِنسِ والجنِّ، وهمُ المَصْرُوثُونَ على الكُفْرِ والضلالِ، الرافِضُونَ للحَقِّ رِغَمَ وضُوحِهِ، فَلهُم قُلُوبٌ لم يَسْتَعْمِلوها لمعرفةِ الحَيرِ والهُدَى، ولا لِيَفْقَهُوا دلائِلَ الإِيمانِ. وَلهُم أَعْيُنٌ لم يَسْتَعْمِلوها لتبصُرِ آياتِ اللهِ الكونيةِ، ولا لمعرفةِ خالقِ الشَّواهِدِ الحسنيَّةِ، وَلهُم آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها كلامَ اللهِ الحَقِّ، ولا مَواعِظُهُ وَزَواجِرَهُ في كتابِهِ الكَرِيمِ، الَّذِي أنزَلَهُ لهُدَايَةِ عِبادِهِ. فَأُولَئِكَ كَالْحَيَواناتِ، قَدْ عَطَلُوا ما وَهَبَهُمُ اللهُ مِنَ الحَواسِّ المِدرِكةِ، ولم يَسْتَحْدِموها لوظائفِها الحَقِيقِيَّةِ، فَصاروا كَالْحَيَواناتِ التي لا تَعْقِلُ، بلْ هُم أَضَلُّ منها، فَهِيَ تُمَيِّزُ بينَ كَثِيرٍ مِنَ المَضارِّ والمَنافعِ، فلا تُقَدِّمُ عليها حَتَّى لا تُهْلِكَ، وهؤلاءِ الكُفَّارُ غَفَلُوا عَمَّا يُصْلِحُهُمُ في الدُّنيا ويُخَلِّصُهُمُ مِنَ عَيدِ اللهِ وَعِقابِهِ في الآخِرَةِ.

{وَلِلَّهِ الأَسْماءُ الحُسنى فَادْعُوهُ بِها وَذَرُوا الَّذينَ يُلْحِدُونَ في أَسْمائِهِ سِيجِرُونَ ما كانوا يَعمَلُونَ } [الأعراف: 180]

180 . وللهِ أَحسَنُ الأَسْماءِ وَأَجْلُها؛ لِأَنَّها تُنبِئُ عَن أَحسَنِ المَعانيِ وَأَشْرَفِها، فَادْعُوهُ بِهذهِ الأَسْماءِ الجَليلةِ، وَدَعُوا الَّذينَ يَميلُونَ وَيَنحَرِفُونَ فيها عَنِ الحَقِّ إلى الباطِلِ، كما يَفْعَلُهُ المَشْرِكُونَ، فَسَمَّوا بِها أَهْتَهُمُ المَزْعومةِ، فَحَرَّفوا اسْمَ "اللهِ" وَسَمَّوا بِهـ "اللاتِ"، واسمَ "العزیزِ" فَسَمَّوا بِهـ "العزى". وَإِنَّ مِنَ اللَّحْدِ في أَسْماءِ اللهِ وَانْحَرَفَ بِها عَنِ القَصْدِ، يُنْزِلُ بِهَمَّ عَقوبَتِهِ، كَمَنْ نَفَى مَعانِيها أو حَرَّفَها.

وأَسْماءُهُ سُبْحانَهُ تَوقِيفِيَّةٌ، لا يَجوزُ لِلمرءِ أَنْ يُكَوِّنها أو يَخْتَرِعَها مِنَ عَندِهِ، فلا يُقالُ لهُ - مثلاً - "عاقِلٌ" و"فَقِيهٌ"، بلْ يُدعى بِأَسْمائِهِ المَذكُورَةِ في القُرْآنِ والحَدِيثِ الصَّحِيحِ.

{وَمِن مَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ } [الأعراف: 181]

181 . وَمِنَ الْأُمَّةِ الَّتِي خَلَقْنَا أُمَّةً فَاضِلَةً يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَيَهْدُونَ النَّاسَ إِلَيْهِ، وَيَعْمَلُونَ بِهِ فِي شُؤْنِهِمُ الْحَيَاتِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ، مَعَ أَنْفُسِهِمْ وَمَعَ الْآخَرِينَ . وَلَا يَخْلُو مِنْهُمْ زَمَانٌ .

{ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ } (الأعراف: 182)

182 . وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْأَدْلَةِ الْبَيِّنَةِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْقَاطِعَةِ الَّتِي خَصَّ اللَّهُ بِهَا أَنْبِيََاءَهُ، لَتُدُلُّ عَلَى صِدْقِهِمْ وَمَا جَاءُوا بِهِ، فَرُدُّوهُمَا وَلَمْ يَقْبَلُوا بِهَا، سَنَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ النَّعِيمِ وَالتَّرَفِّهِ، حَتَّى يَعْتَرُوا بِمَا هُمْ فِيهِ، فَيَزِدَادُوا طُغْيَانًا وَكُفْرًا، لِنَأْخُذَهُمْ بَعْتَةً، وَنَزِيدَ فِي عُقُوبَتِهِمْ .

{ وَأَمْلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ } [الأعراف: 183]

183 . وَأَمْهَلُهُمْ وَأَطِيلُ فِي آمَالِهِمْ، حَتَّى يَظُنُّوا أَنَّهُمْ لَا يُعَاقَبُونَ وَلَا يُؤَاخَذُونَ، إِنْ كَيْدِي بِاسْتِدْرَاجِ الْكَافِرِينَ الْغَافِلِينَ قَوِيٌّ شَدِيدٌ .

{ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ } [الأعراف: 184]

184 . أَلَمْ يُفَكِّرِ الْمَكْذِبُونَ مِنْ كَفَّارِ قُرَيْشٍ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِهِ مَسٌّ جُنُونٍ كَمَا يَدَّعُونَ؟ بَلْ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، يَظْهَرُ أَمْرُهُ هَذَا لِكُلِّ مُتَأَمِّلٍ ذِي عَقْلِ .

{ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ

قَدْ افْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ } [الأعراف: 185]

185 . أَلَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَتَأَمَّلُونَ فِيهِ، لَيْسَتْ دَلِيلًا بِذَلِكَ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَيَتَوَجَّهُوا بِالْعِبَادَةِ إِلَيْهِ وَحْدَهُ، وَيَتَرَكُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَقَدْ تَكُونُ آجَاهُمْ قَرِيبَةً، فَيَمُوتُونَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمِنُوا، ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى الْعَذَابِ؟ فَبِأَيِّ إِنذَارٍ وَتَذَكِيرٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْمِنُونَ وَيَرْتَدِعُونَ، وَفِيهِ مَا يَدُلُّهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، وَيُنْقِذُهُمْ مِنَ النَّارِ؟

{ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } [الأعراف: 186]

186 . ولكنهم يابون إلا الكفر، ويعاندون، ويصرون على التكذيب، ومن أضله الله فلا يقدر أحد على أن يهديه، ونحن نتركهم في ضلالهم وعماهم يتحiron ويترددون.

{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [الأعراف: 187]

187 . ويسألك الكفار عن وقت يوم القيامة متى يثبت، تكديماً لما تقول، واستبعاداً لوقوعه.

فقل لهم: علم ذلك عند الله وحده، لا يُظهره إلا في الوقت الذي يقع فيه بغته. خفي أمر القيامة وعظم أمرها على أهل السماوات والأرض كلهم، لا تأتاكم إلا فجأة في غفلة منكم.

يسألونك ذلك وكأنك عالم بها، فقل: إنما علم ذلك عند الله وحده، لا يعرفه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك.

{ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [الأعراف: 188]

188 . قل أيها النبي الكريم: لا أملك لنفسي جلب منفعة ولا دفع مضرّة إلا إذا شاء الله ذلك، ولو كنت أعلم المستقبل لأكثر من عمل الخير وحصلت منافع جمّة واستعددت لذلك أكثر، ولاجتنب الشرّ ودفعت عن نفسي الآفات والمضرات قبل أن تكون، ما استطعت، ما أنا إلا رسول أنذركم عذاب الله ما لم تتقوه وتتبعوا أوامره، وأبشركم بالخير والجزاء الطيب، إذا آمنتم بالله، وصدقتم رسوله، واتبعتم كتابه. وليس من وظيفة الرسل أن يقفوا على الغيب، إلا ما أخبرهم الله به فكان معجزة له. أمّا وقت الساعة فلا مطمع لأحد في معرفته.

{ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ
حَمَلاً خَفِيئاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَتَتْهُ أُنْقَلَتْ دُعُوا لِلَّهِ رَبِّهُمَا لِيُنْزِلَ لَكُمْ مِنْ سَمَاءٍ مَوْجِدَاتٍ مِمَّا تَبْتَغُونَ مِنْهُ مَوَازِيحَ مَهِيَّبَةً أَزْجَرُوكُمُ الْفِتْرَةَ وَتُبْتَغُونَ الْفِتْرَةَ مِنْهُ بِكُفْرٍ كَثِيرٍ مِمَّا
[الأعراف: 189]

189 . هُوَ اللَّهُ الْقَادِرُ، الَّذِي خَلَقَكُمْ جَمِيعاً مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ هِيَ آدَمُ، وَخَلَقَ مِنْ آدَمَ
حَوَاءَ زَوْجاً لَهَا، لِيَأْلَفَهَا وَيَأْنَسَ بِهَا وَيَسْتَقِرَّ لَهَا.
ولما جامع الزوج زوجته، وحملت أول الحمل، واستمرت فيه، فرح الزوجان واستبشرا،
فلما كبر جنينها وثقلت بحمله، دعا الزوجان ربهما وهما في قلق وترقب، قائلين: لو رزقتنا مولوداً
صحيحاً سالماً، لنكونن ممن يعبدونك ويخلصون الشكر لك.

{ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ }
[الأعراف: 190]

190 . فَلَمَّا أَعْطَاهُمَا مَوْلُوداً سَالِماً كَمَا طَلَبَا، جَعَلَا لِلَّهِ شُرَكَاءَ فِي هَذَا الَّذِي رَزَقَهُمَا،
فَسَمَّوْهُ عِبَادَ اللَّاتِ وَعِبَادَ الْعُزَّى، وَغَيْرَ ذَلِكَ. أَوْ نَدَرُوهُ لِلآلِهَةِ، أَوْ لِحِدْمَةِ مَعَابِدِهَا تَقَرُّباً إِلَى اللَّهِ،
بِزَعْمِهِمْ. تَقَدَّسَ اللَّهُ وَتَنَزَّهَ عَمَّا يُشْرِكُونَ بِهِ وَيَعْتَقِدُونَ فِيهِ.

{ أَيْشُرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلِقُونَ } [الأعراف: 191]

191 . أَيْشُرِكُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى أَصْنَاماً مِنْ حَجَرٍ، لَا تَقْدِرُ عَلَى الْحَرَكَةِ، وَلَا عَلَى الضَّرْرِ
وَالنَّفْعِ، وَلَا هِيَ قَادِرَةٌ عَلَى أَنْ تَخْلُقَ شَيْئاً، وَعَابِدُوهَا أَقْدَرُ مِنْهَا وَأَسْمَعُ وَأَبْصَرُ!! وَهَذِهِ الْأَصْنَامُ
مَصْنُوعَةٌ وَمُشَكَّلَةٌ بِأَيْدِيهِمْ؟! { أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ }؟ [الصفافات: 95].

{ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصراً وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ } [الأعراف: 192]

192 . وَلَا تَقْدِرُ هَذِهِ الْأَصْنَامُ عَلَى الْإِنْتِصَارِ لِمَنْ يَعْبُدُهَا، كَمَا لَا تَسْتَطِيعُ الدَّفَاعَ عَنْ
نَفْسِهَا إِذَا ضُرِبَتْ أَوْ كُسِرَتْ.

{ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ } [الأعراف: 193].

193 . وَإِنْ تَدْعُوا - أَيُّهَا الْمَشْرِكُونَ - هَذِهِ الْأَصْنَامَ لِتُرْشِدَكُمْ إِلَى أَمْرٍ فِيهِ مَصْلَحَةٌ لَكُمْ، لَمَّا سَمِعْتَكُمْ وَلَا اسْتَجَابَتْ لَكُمْ، وَلَا حَقَّقَتْ مَرَادَكُمْ، وَسِوَاءَ عِنْدَهَا مَنْ نَادَاهَا أَمْ لَمْ يُنَادِهَا، فَإِنَّهَا لَا تَسْمَعُ أَصْلًا، فَهِيَ جَمَادٌ مِنْ حَجَرٍ أَصَمٍّ، لَا تُحْسُ وَلَا تَسْمَعُ.

{ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [الأعراف: 194]

194 . إِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، مَا هِيَ سِوَى مَخْلُوقَاتٍ، مِثْلَ عَابِدِيهَا الْمَخْلُوقِينَ، وَأَنْتُمْ وَهُمْ مَمْلُوكُونَ لِلَّهِ مُسَخَّرُونَ لِأَمْرِهِ، وَهِيَ عِنْدَكُمْ، فَارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ إِلَيْهَا لِتَجْلِبَ لَكُمْ نَفْعًا أَوْ تَدْفَعَ عَنْكُمْ ضَرًّا، إِذَا كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي أَنَّهَا آلِهَةٌ تَقْدِرُ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِ؟!

{ أَلَمْ لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَآ تُنظَرُونَ } [الأعراف: 195]

195 . هَلْ لِهَذِهِ الْأَصْنَامِ - الَّتِي تَدْعُونَ أَنَّهَا آلِهَةٌ - أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا لِيَعْبُدُوا أَحْيَاءَ لَهُمْ قُدْرَةً عَلَى الْحَرَكَةِ، لِيُسْعِفُوكُمْ وَيَخْلِّصُوكُمْ مِنْ مُعْضِلَةٍ تَقْعُونَ فِيهَا؟
أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَأْخُذُوا شَيْئًا مَا بِقُوَّةٍ وَيَنْفَعُوكُمْ بِهَا، أَوْ يَدْفَعُوا عَنْكُمْ أَدَى يَلْحَقُكُمْ؟

أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا لِيُبْصِرُوكُمْ أَشْيَاءَ لَا قُدْرَةَ لَكُمْ عَلَى رُؤْيَيْهَا، أَوْ يَشْكُرُوا لَكُمْ عَلَى مَا تُقَدِّمُونَ لَهُمْ مِنْ ذَبَائِحٍ وَقَرَابِينَ؟

أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا دَعَاءَكُمْ وَعِبَادَتَكُمْ لَهَا؟
إِنَّهُمْ لَا يَتِمَّتَعُونَ بِصِفَةٍ مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ، وَلَا بِحَاسَّةٍ مِنْ تِلْكَ الْحَوَاسِّ، وَلَا فَائِدَةً مِنْهُمْ أَلْبَتَّةَ.

فحاجَّجَهُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَقُلْ لَهُمْ: هَاتُوا آهَتَكُمْ الْمَرْعُومَةَ هَذِهِ، وَاسْتَعِينُوا بِهَا عَلَيَّ إِنَّ كَانَتْ قَادِرَةً عَلَى الْإِحَاقِ ضَرَّرَ بِي، وَاجْتَهَدُوا فِي تَرْتِيبِ كُلِّ مَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَكْرٍ وَكَيْدٍ، وَلَا تُمْلِهُونِي وَلَا تُشْعِرُونِي بِمَا سَتَفَعَلُونَهُ، فَإِنِّي لَا أَبَالِي بِكُمْ وَلَا بِأَصْنَامِكُمْ أَصْلًا!

{ **إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ** } [الأعراف: 196]

196 . إِنَّ حَافِظِي وَنَاصِرِي وَمُتَوَلِّيَ أُمُورِي هُوَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي بِيَدِهِ وَحْدَهُ تَحْصِيلُ الْمَنَافِعِ وَدَفْعُ الْمَضَارِّ، الَّذِي أَيْدِي بِنَزِيلِ كِتَابِهِ الْعَظِيمِ، فَهُوَ الَّذِي يَنْصُرُنِي وَيُدْفَعُ عَنِّي ضَرَرَ أَعْدَائِي، وَلَا يَخْذُلُنِي، كَمَا يَتَوَلَّى مَنْ صَلَحَ عَمَلُهُ بِطَاعَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ.

{ **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَدْعَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ** } [الأعراف: 197]

197 . وَأَصْنَامُكُمْ الصَّمَاءُ الْبِكَمَاءِ، الَّتِي تَدْعُونَ أَنَّهَا آلِهَةٌ، وَتَسْتَعِينُونَ بِهَا، لَا تَقْدِرُ عَلَى نَفْعِكُمْ بِشَيْءٍ، وَلَا تَوَلَّى أَيْ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكُمْ، وَلَا مُسَاعَدَتِكُمْ فِيمَا تَرْغَبُونَ، وَلَا إِغَاثَتِكُمْ إِذَا اسْتَنْصَرْتُمْ بِهَا، بَلْ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُدَافِعَ عَنْ نَفْسِهَا إِذَا أُصِيبَتْ بِسُوءٍ!

{ **وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ** } [الأعراف:

[198]

198 . وَإِذَا دَعَوْتُمْ هَذِهِ الْأَصْنَامَ لِتَحْصِيلِ شَيْءٍ مِنْ مَقَاصِدِكُمْ، فَإِنَّهَا لَا تَسْمَعُ حَتَّى تُجِيبَ، وَتَرَاهَا وَكَأَنَّهَا تَنْظُرُ إِلَيْكَ وَهِيَ لَا تُبْصِرُ، وَقَدْ صُنِعَتْ لَهَا أَعْيُنٌ مَرْكَبَةٌ مِنَ الْخَزَرِ وَالْجَوَاهِرِ، وَصُوِّرَتْ عَلَى هَيْئَةٍ وَكَأَنَّ الْحَدِيقَةَ فِيهَا تَنْظُرُ إِلَيْكَ، وَالْحَالُ أَنَّهَا غَيْرُ قَادِرَةٍ عَلَى الْإِبْصَارِ.

{ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** } [الأعراف: 199]

199 . اِرْضَ أَيُّهَا النَّبِيُّ بِمَا سَهَّلَ مِنْ أَحْوَاقِ النَّاسِ، وَاقْبَلْ مَا تَيْسَّرَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَا تَطْلُبْ مَا يَشْتَقُّ عَلَيْهِمْ حَتَّى لَا يَنْفِرُوا مِنْكَ، وَأْمُرْهُمْ بِالْمُسْتَحْسَنِ مِنَ الْأَفْعَالِ - وَيَدْخُلُ فِيهِ جَمِيعُ الطَّاعَاتِ - وَأَعْرِضْ عَنِ السُّفْهَاءِ وَلَا تُكَافِئْتَهُمْ بِمِثْلِ سَفْهَتِهِمْ، وَاحْلُمْ عَلَيْهِمْ.

{ وَإِنَّمَا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [الأعراف: 200]

200 . وإذا أحسست بوسوسة من الشيطان يُريد أن يصرفك عن خير أمرت به، فاستجر بالله واعتصم به، فهو سميعٌ لما تقول، عليمٌ بالتجائك وتضرُّعك إليه.

{ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ } [الأعراف: 201]

201 . إنَّ عبادَ الله المؤمنين المطيعين، إذا أصابَتْهُمْ وَسوسةٌ من الشيطان، أو ألمَّ بهم خاطرٌ سيءٌ، عرفوا أنَّ ذلك من الشيطان، وتذكروا ما أمرهم الله به، فاستعاذوا به من شرِّه، وأنابوا إلى ربِّهم، فإذا هم قد عرفوا خطأهم وقوموه، واستقاموا على الطريق الصحيح.

{ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ } [الأعراف: 202]

202 . وإخوانُ الشياطين من المشركين، يساعدون الشياطين في الانحراف عن الحقِّ وارتكاب المعاصي، ويسهلون عليهم مَهْمَتَهُمْ، فهم يُضِلُّونَ الناسَ، فيكون ذلك إمداداً منهم للشياطين الجنِّ على الإغواء والإضلال. ولا يكفون عن ذلك حتى يُردوهم بالكلية.

{ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهَدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْقَوْمِ الْيُؤْمِنُونَ } [الأعراف: 203]

203 . وإذا طلب المشركون منك أن تأتي لهم بمعجزة، ولم تأتهم بها، قالوا لك في تهكم: لماذا لا تأتي بها من عندك؟

قُلْ رَدًّا عَلَيْهِمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ: أنا لا آتي بشيءٍ من عندي، ولا أفعل إلا ما يوحى إلي من الله تعالى. وهذا القرآن حُجَجٌ بيِّنة، وبراهينُ نيرة، تظهر حتى يُصيرها الإنسان فيتهدي بها، ورحمةٌ تفيض، لمن يؤمن به، ويعتنم خيره العميم.

{ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [الأعراف: 204]

204 . وإذا تُليت آياتُ القرآنِ فاسكُنوا واستمعوا له، تعظيماً وإجلالاً لكلامِ الله، لكي تهتدوا به، وتفوزوا برحمةِ الله.

وقد ذكر السلفُ أنَّها نزلت في القراءة في الصلاة. قال القاضي البيضاوي في تفسيره: نزلت في الصلاة، كانوا يتكلمون فيها فأمرُوا باستماعِ قراءةِ الإمامِ والإنصاتِ له. وظاهرُ اللفظِ يقتضي وجوبهما حيثُ يُقرأ القرآن، وعامةُ العلماءِ على استحبابهما خارجِ الصلاة. اهـ. وذكر الثرطبي وآخرون أنَّها عامةٌ ولا تُخصَّصُ إلاً بدليل.

{ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِّنَ الْغَافِلِينَ } [الأعراف: 205]

205 . واذكر الله في نفسك، مُخلصاً له، مُتضرِّعاً إليه، مُتذللاً بينَ يديه، خائفاً منه، مُستحضراً عظمتَه، وفي صوتٍ خفيض، بينَ الجهرِ والمخافتة، بما يُناسبُ الخُشوعَ والرَّهبةَ، أوَّلَ النَّهارِ وآخرَه. ولعلَّ المقصودَ مداومةَ الذكرِ والمواظبةَ عليه، ليبقى القلبُ موصولاً بالله. ولا تكن ممن ينسون الله، ويتعدون عن ذكره، فإنَّ الفوزَ في ذكره، والحياةَ في الإعراضِ عنه. قال الفخر الرازي: يدلُّ على أنَّ الذكرَ القلبيَّ يجبُ أن يكونَ دائماً... بقدرِ الطاقةِ البشريَّة. والمسلمون تبعوا لما خُوطبَ به النبيُّ صلى الله عليه وسلم.

{ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ } [الأعراف: 206]

206 . إنَّ الملائكةَ المقرَّبينَ إلى اللهِ بالفضلِ والكرامةِ، المرضيِّ عنهم لعصمتهم وبراءتهم، لا يتكبرون عن عبادته، بل يؤدُّونها بحسبِ ما أمرُوا به، ويذكرونه، ويُزَّهونه عمَّا لا يليقُ به من الشُّركِ وغيره، ويسجدون له وحده.

سورة الأنفال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [الأنفال: 1]

1 . يسألك أصحابك أيها النبي عن الأنفال، وهي الغنائم، وكل ما ناله المسلمون من أموال أهل الحرب، فقل لهم: إن اختصاص أمرها وحكمها إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فيقسمها رسوله كما يأمره ربه، ولا رأي فيها لآخر. وكان ذلك يوم بدر. فاحشوا الله واحذروا مخالفة أمره، وأصلحوا فيما بينكم بالحسنى والرد الجميل، فيما وقع بأيديكم من الغنائم، وسلموها للرسول صلى الله عليه وسلم طواعية، ولا تتخاصموا ولا تتشاجروا بسبب المال، فإنه يؤدي إلى الاختلاف والتباغض، وأطيعوا الله ورسوله فيما يأمر وينهى، وفيما يقسمه لكم من هذه الغنائم على ما أراده الله، إذا كنتم مؤمنين حقاً، وملتزمين بأحكام الدين.

{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } [الأنفال: 2]

2 . إنما المؤمنون المخلصون في إيمانهم، الذين إذا ورد ذكر الله وما أمر به، خافت قلوبهم وخشعت؛ استعظاماً لشأنه الجليل وتهيئاً منه سبحانه، وإذا تليت عليهم آيات كتابه الكريم زادتهم تصديقاً و يقيناً، فبادروا إلى فعل ما يأمر، وترك ما ينهى، ويفوضون أمورهم إلى ربهم، لا يرجون غيره، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يرعون إلا إليه.

{ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } [الأنفال: 3]

3 . وهم الذين يواظبون على أداء صلواتهم، ويؤدون زكاة أموالهم، وغير ذلك مما هو واجب عليهم ومستحب لهم.

{أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [الأنفال: 4]

4. أولئك المتصفون بهذه الصفات، هم المؤمنون حق الإيمان، لهم منازل ومقامات عالية في جنات ربهم، ومغفرة عظيمة لسيئاتهم، وريزق حسن كثير لا ينقطع.

{كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنَ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ} [الأنفال: 5]

5. وكما كره بعض المؤمنين تسوية العنائب، فقد كره فريق منهم أيضاً إخراجك من بيتك بالمدينة بوحى وتدبير من عند الله لمقاتلة المشركين.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج مع ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً من أصحابه يطلبون قافلة كبيرة لأبي سفيان، محملة بأطعمة وأموال جزيلة لقريش، قادمة من الشام، فسمع أبو سفيان بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث إلى مكة يستنجد بمشركي قريش، فخرج منهم نحو ألف محارب. وقد تجت القافلة، ثم شاور النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في الحرب، فوافقوه، وكره بعضهم ذلك.

{يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ} [الأنفال: 6]

6. ويجادلوك هؤلاء الكارهون في القتال بعدما تبين لهم أنك ستنفذ أمر الله وتقاتل، ويقولون: ما كان خروجنا إلا للقافلة، ولم نستعد للحرب. ولشدّة كراهيتهم لذلك، كانت حالهم كأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يُشَاهِدُونَ علاماته!

{وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهُمَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ

اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ} [الأنفال: 7]

7. واذكروا مع ما بكم من الجزع وقلة العدد، أن وعدكم الله الفوز بإحدى الغيمنتين: إما قافلة أبي سفيان، وإما النصر على جيش المشركين. وأنتم تحبون التي لا قوة فيها ولا قتال، وهي القافلة. بينما يريد الله أن يظهر دينه، ويرفع راية الحق، ويهلك الكافرين، حتى لا يبق منهم أحداً. ولذلك أمركم بقتالهم.

{ لِيُحَقِّقَ الْحَقُّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ } [الأنفال: 8]

8. ليثبت الإسلام بذلك ويجعله غالباً على الأديان، ويمحق الكفر، ولو كره المشركون.

{ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْدِفِينَ } [الأنفال:

9]

9. واذكروا نعمة ربكم عندما قُربَ التفاوضكم بعدوكم، إذ تستجرون به وتطلبون منه العوث والنصر. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر من الدعاء في تضرع وخشوع، ويطلب من ربه إنجاز ما وعده من النصر.

فأجاب دعاءكم بأني مُرسِلٌ إليكم مَدداً بِالْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُتتابعين، بعضهم في إثر

بعض.

{ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ } [الأنفال: 10]

10. وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشاراً لكم بأنكم ستنصرون، ولتسكن نفوسكم إلى ذلك، وهُدًى ولا تجزع، والله قادر على نصركم على الأعداء بدون ذلك، وما النصر إلا من عنده سبحانه، وهو العزيز القوي الذي لا يُغالب، الحكيم فيما يشترعه من حرب، ويقضيه من تدبير.

{ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم

رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ } [الأنفال: 11]

11. واذكروا إذ يُلقِي ربكم النُّعَاسَ عليكم أماناً منه لِمَا حَصَلَ لَكُمْ مِنَ الْخَوْفِ، وَيُنزِلُ

عليكم مطراً وقد كنتم بحاجة إلى الماء، لتتوضؤوا للصلاة، وتغتسلوا من الجنابة، وليذهب عنكم وسوسة الشيطان وتخوفه إياكم من العطش، وليقوي قلوبكم باليقين والصبر، والثقة بلطف الله وما يُبديه من النصر، وليثبت به الأقدام حتى لا تسوخ في الرمل أثناء الحرب والكر والفر.

وكانَ المشركونَ قد سَبَّوهم في أوَّلِ الأمرِ إلى ماءِ بدر، فَعَطِشوا وخافوا... فأَنزَلَ اللهُ المَطَرَ حتَّى سَالَ منه الوادي، فَشَرِبَ المؤمنونَ واغْتَسَلوا وتَوَضَّؤوا، وسَقُوا دوابَّهم، ومَلَّؤوا الأَسْقِيَةَ، حتَّى طَابَتْ نفوسُهم وزالت عنهمِ وَسْوسَةُ الشَّيْطَانِ. وكانَ المَطَرُ قَبْلَ الثَّعَاسِ.

وكانتِ الأرضُ التي نَزَلَ بها المسلمونَ رَمَلًا، فَقدَرُوا على المشي عليه بعدَ المَطَرِ كيفما أرادوا، والموضعُ الذي نَزَلَ الكَفَّارُ فيه تُرابٌ ووَحَلٌ، فلَمَّا نَزَلَ المَطَرُ عَظَمَ الوَحَلُ، فصَارَ مانِعًا لهم من المشي كيفما أرادوا.

{ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَنْزِلُ عَلَيْكُمْ فَأَنْزَلُوا قُلُوبَ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ } [الأنفال: 12]

12 . وادْكُرْ أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ أَمَدَّ بِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُمْ بِالْعَوْنِ وَالتَّأْيِيدِ، فَتَقْوُوا قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، واحْمِلُوهم على الثَّباتِ، وبَشِّرُوهم بالنَّصْرِ، سَأَلْتَنِي الخَوْفَ والرُّعْبَ فِي قُلُوبِ المشركينَ حتَّى يتوقَّعوا الهزيمةَ في أَيِّ وَقْتٍ. فاضربوا بالسُّيُوفِ رؤوسَهم وأَعْنَاقَهم، وكلَّ طَرْفٍ ومَفْصِلٍ منهم. يعني من الأيدي والأرجل.

{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [الأنفال: 13]

13 . وهذا ما يَسْتَحِقُّهُ الكافرونَ، فقد خالَفُوا أمرَ اللهِ وتركوا شَرعَهُ، وناوَوْوا رَسولَهُ وصاروا في صُفوفِ أعدائه، وَمَنْ يُخَالِفِ أمرَ اللهِ ورَسولِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُعَاقِبُهُ عِقَابًا شَدِيدًا.

{ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ } [الأنفال: 14]

14 . فذُوقُوا هذا العذابَ والنَّكالَ، والهزيمةَ والخُسْرانَ، واعلموا أنَّ للكافرينَ عذابًا مُعَدًّا في النارِ، هو أشدُّ وأفظعُ ممَّا عوقبوا به في الدُّنيا.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ } [الأنفال: 15]

[15]

15. أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِذَا تَقَارَبْتُمْ مِنْ أَعْدَائِكُمُ الْكُفَّارِ مَا شِئْنَ لِقَاتِهِمْ، مُتَوَجِّهِينَ لِمُحَارَبَتِهِمْ، فَلَا تَنْهَزِمُوا مُؤَلِّينَ إِيَّاهُمْ ظُهُورَكُمْ، وَلَا تَفْرُوا وَتَتَّكُوا إِخْوَانَكُمْ الْمَجَاهِدِينَ فِي الْحَرْبِ.

{ وَمَنْ يُؤْهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } [الأنفال: 16]

16. وَمَنْ يَفِرَّ مِنَ الْعَدُوِّ يَوْمَ اللَّقَاءِ، إِلَّا إِذَا كَانَ قَصْدُهُ أَنْ يُرِيَ مُقَاتِلَهُ الْفِرَارَ وَهُوَ يُرِيدُ الْكِرَّةَ عَلَيْهِ، بِانْحِرَافِهِ إِلَى مَوْقِفٍ أَفْضَلَ مِمَّا هُوَ فِيهِ، أَوْ مُنْحَازًا إِلَى جَمَاعَةٍ أُخْرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَنْضَمُّ إِلَيْهِمْ لِيُقَاتِلَ مَعَهُمُ الْعَدُوَّ، يُعَاوِثُهُمْ أَوْ يُعَاوَنُوهُ، حَتَّىٰ لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْجَمَاعَةُ سَرِيَّةً أُخْرَى، فَفَرَّ إِلَىٰ أَمِيرِهِ، أَوْ إِلَىٰ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ، دَخَلَ فِي هَذِهِ الرَّخِصَةِ، قَالَهُ ابْنُ كَثِيرٍ؛ وَمَنْ يَفِرَّ - عَدَا مَا ذُكِرَ مِنْ صُورِ الْفَرِّ وَالْكَرِّ - فَإِنَّ فَاعِلَهُ يَقْتَرِفُ كَبِيرَةً مِنَ الْكِبَائِرِ، وَيَسْتَحِقُّ غَضَبَ اللَّهِ، وَمَكَائِنَهُ جَهَنَّمَ جَزَاءً فِرَارِهِ، وَبِئْسَ الْمَكَانُ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ وَيُعَذَّبُ فِيهِ.

{ فَلَمَّ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [الأنفال: 17]

17. فَلَمَّ تَقْتُلُوهُمْ أَنْتُمْ بِقُوَّتِكُمْ وَقُدْرَتِكُمْ، مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَقَلَّةِ عَدَدِكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ بِتَقْوِيَّتِكُمْ وَإِمَادِكُمْ بِالْمَلَائِكَةِ، وَالْقَاءِ الرَّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ. وَتَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفًّا مِنَ الْحَصَىٰ وَرَمَىٰ بِهَا وَجُوهَ الْمُشْرِكِينَ، فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا امْتَلَأَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحَصْبَاءِ، كَمَا صَحَّحَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ مِنْ رِوَايَةِ الطَّبْرَانِيِّ.

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ مَا مَعْنَاهُ: وَمَا رَمَيْتَ أَيُّهَا النَّبِيُّ أَعْيُنَ الْمُشْرِكِينَ عِنْدَمَا رَمَيْتَهُمْ بِالْحَصَىٰ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ بِإِيصَالِ ذَلِكَ إِلَىٰ وُجُوهِهِمْ وَعْيُونِهِمْ بِقُدْرَتِهِ، لِيُؤْهِنَهُمْ وَيَقَهَّرَهُمْ، وَلِيُنْعِمَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّصْرِ وَالْغَنِيمَةِ، لِيَعْرِفُوا حَقَّهٗ وَيَشْكُرُوا نِعْمَتَهُ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِدَعَائِكُمْ وَاسْتِغَاثَتِكُمْ. عَلِيمٌ بِنِيَّاتِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ.

{ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ } [الأنفال: 18]

18 . ذلكم البلاء الحسن والجهد الطيب من المؤمنين، والله يضعف كيد الكافرين
ويبطل حيلهم، حتى تنتصروا عليهم نصراً كاملاً.

{ **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِي
عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ** } [الأنفال: 19]

19 . إن تستنصروا الله وتستحكموه أيها المشركون ليفصل بينكم وبين المسلمين، فقد
جاءكم ما سألتهم.

وكان أبو جهل قد قال يوم بدر: اللهم أيأنا كان أقطع للرحم، وآتانا بما لا يعرف، فأحبه العداة.
وكان استفتاحاً منه. فنصر الله المسلمين يوم بدر، وقتل أبو جهل.
وإن تنتهوا عن الكفر بالله وحرِبِ رسوله، فهو أفضل لكم وأحسن من الحرب والأسر، الذي
ذقتُم مرارة هزيمته.

وإن ترجعوا إلى الحرب، نعد إلى تسليط المؤمنين عليكم.
ولن تُغني عنكم جموعكم الكثيرة كما لم تُغن عنكم يوم بدر. فإن الله مع المجاهدين
المؤمنين، ولا يُغلب من كان الله ناصره.

{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ** } [الأنفال: 20]

20 . يا عباد الله المؤمنين، أطيعوا الله ورسوله إذا دعاكم إلى الجهاد، ولا تتركوا طاعته
وأنتم تعلمون ما يدعوكم إليه، ولا تتشبهوا بالكافرين المعاندين، الذين يرفضون الإذعان لأوامره.

{ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ** } [الأنفال: 21]

21 . ولا تكونوا كالمشركين والمنافقين، الذين يقولون بألسنتهم سمعنا، وهم لا ينفعون
بسماعهم، لأنهم لا يصدقون ما سمعوه، فكأنهم لم يسمعوا.

{ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ** } [الأنفال: 22]

22. إِنَّ شَرَّ مَنْ دَبَّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ الْحَقَّ، وَلَا يَنْطِقُونَ بِهِ، فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ كَلَامَ اللَّهِ وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَعْمِلُوا عَقُولَهُمْ وَحَوَاسَّهُمْ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ لَهُمْ كَمَا يَنْبَغِي، لِيُمَيِّزُوا بَهَا الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ.

{ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ } [الأنفال: 23]

23. ولو عَلِمَ اللهُ في هؤلاء الكافرين المعاندين خيراً لأفهمهم حتى يقفوا على الحق، ولو أفهمهم فوقفوا على الحق لأعرضوا عنه ورفضوه، فلم ينتفعوا به ولم يقبلوه؛ لعنادهم واستكبارهم.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } [الأنفال: 24]

24. أيها المؤمنون، أجبوا الله ورسوله إذا دعاكم لما يصلحكم في حياتكم من الإيمان والجهاد، الذي فيه عزكم ورفعتمكم. واعلموا أن الله يحجز بين المؤمن والكافر، وبين الكافر والإيمان، فالقلوب بين يديه، يقبّلها كما يريد، وهو قادر على أن يجبركم على الاستجابة لما يدعوكم إليه، ولكنه يُكرمكم فيدعوكم لتستجيبوا عن طواعية لتؤجروا عليها، وترتفعوا بها. واعلموا أنكم ستحشرون إلى ربكم يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم كلّها، فلا مفرّ لكم منه، في الدنيا والآخرة، فالتزموا، وأطيعوا، واثبتوا.

{ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [الأنفال: 25]

25. واحذروا فتنةً وابتلاءً لا تقتصر على الظالمين وأهل المعاصي، بل تعمهم جميعاً. فلا تقصروا في تغيير المنكر، ولا تتكاسلوا عن الإجابة للجهاد. واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالفه.

{ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ
بِنَصْرِهِ وَزَادَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [الأنفال: 26]

26. وتذكروا أيها المؤمنون عندما كنتم قلةً مستضعفةً في مكة تحت أيدي كفار قريش وأنتم في حالة خوفٍ ووجلٍ، تخافون أن يذهب بكم الكفار، فجعل لكم مأوى في المدينة تحصنوا به، ثم قواكم، وزاد في عددكم، ونصركم على أعدائكم يوم بدر، وكنتم فقراء محتاجين، فواساكم إخوانكم الأنصار بأموالهم، وزرقتكم غنائم يوم بدر، ولم تحل إلا لهذه الأمة، لعلكم بذلك تشكرون نعمة ربكم، ليزيدكم من فضله، ويثيبكم عليه.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [الأنفال: 27]

27. أيها المؤمنون، لا تخونوا الله ورسوله بتريك ما أمركم به، وأدوا الأمانات إلى أهلها، ولا تتهاونوا فيما شرعه الله من تنظيم أحوالكم، بل أدوها كما هي، وأنتم تعلمون وبال المعصية وعقوبة الذنب.

{ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ } [الأنفال: 28]

28. واعلموا أيها المؤمنون، أن أموالكم وأولادكم اختبار وامتحان من الله لكم، لينظر هل تطيعونه فيها وتشكرونه عليها، أم تبخلون وتشتغلون بها عنه وتركون إلى الدنيا وزينتها؟ والله عنده الثواب الأكبر، لمن أخلص له وآثر رضاه، والتزم حدوده.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [الأنفال: 29]

29. يا عباد الله المؤمنين، إن اتقيتم الله، بالقيام بطاعته والانتها عن معصيته، يوفقكم لمعرفة الحق من الباطل، ويجعل في قلوبكم نوراً تفرقون به بين الخطأ والصواب، ويكون هذا سبباً لرحمتكم وسعادتكم، وغفران ذنوبكم. ونعم الله كثيرة، وفضله عظيم، يخص به عباده المؤمنين المتقين.

{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْتُوكَ أَوْ يَفْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ
الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: 30]

30. واذكر نعمه الله عليك أيها النبي عندما كان الكافرون في مكة يُحَطِّطُونَ لِيَسْجُنُوكَ
ويُفَيِّدُوكَ، أو يقتلوك، أو يُخْرِجُوكَ منها، فكانوا يتشاورون لأجل ذلك قُبَيْلَ هَجْرَتِكَ، ويُدَبِّرُونَ
الأمرَ بليلى، ولكنَّ الله أحبطَ حِيَلَهُمْ، وردَّ مكرهم، وتديبُ الله أنفذُ وأبلغُ مِنْ مكرهم وشَرِّهم.

{وَإِذَا تَتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ
الْأُولَى} [الأنفال: 31]

31. وإذا تتلى عليهم آيات القرآن الكريم عاندوا وتمردوا، وقالوا في عُتُوِّ واستكبار: قد
سمعنا ما قلت يا محمد، ولو أردنا لقلنا مثل الذي قلت، ما هذا سوى أخبار الأمم الماضية
وحكاياتها مما سطره الأولون، وليس كلام الله.

{وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأنفال: 32]

32. وقالوا وهم في ظلمة الكفر ودوامة الشرك، إصراراً منهم على التَّكْذِيبِ والجُحُودِ،
وتمادياً منهم في الغيِّ والضلال، وإمعاناً منهم في التهكم والاستهزاء: اللهم إن كان هذا الذي
جاء به محمد هو الحق الذي أنزلته من عندك، فعاقبنا بإرسالِ حجارةٍ علينا من السماء، أو
خذنا بعذابٍ شديدٍ مؤلم!

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: 33]

33. وما كان الله ليوقع بهم العذاب فيهلكهم وأنت بين ظهرائهم أيها النبي، ولم
تُعذِّبْ أُمَّةً قطُّ ونبيها فيها. وما كان معذبهم كذلك وهم يطوفون بالبیت ويقولون: عُفْرَانَكَ
عُفْرَانَكَ، أو ما كان معذبهم وفيهم مؤمنون يستغفرون الله. يعني ممن بقي بينهم من المسلمين
المستضعفين.

{ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ
إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } [الأنفال: 34]

34 . ولما خرج من بينهم الرسول صلى الله عليه وسلم وهاجر المسلمون من مكة، قال تعالى ما معناه: وما يمنعهم من أن يعذبوا وهم يمنعون المؤمنين من الطواف بالبيت، وما كانوا مستحقين ولاية المسجد الحرام مع شركهم، إنما أولياء بيت الله المؤمنون الذين يتقون الشرك، فلا يعبدون فيه غير الله، ولكن أكثرهم لا يعلم أن لا ولاية لهم عليه. وقد أوقع الله بهم بأسه يوم بدر وغيره.

{ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ }
[الأنفال: 35]

35 . وما كان صلواتهم عند المسجد الحرام إلا صفيراً، وتصفيقاً، وهو ما لا خير فيه، ولا فائدة منه، ولا هو مما أمر الله به، فذوقوا العذاب الذي سلطه الله عليكم يوم بدر، من قتل وأسرى وخسارة مال، وذلك بسبب إصراركم على الكفر، وعدم مبالاةكم بآيات الله ودعوة نبيه.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً
ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ } [الأنفال: 36]

36 . إن الكافرين الذين ينفقون أموالهم ليمنعوا بها اتباع دين الله، سيفعلون ذلك ويكون ما أنفقوا ندامةً وتأسفاً لهم، لأنهم لم يجنوا من وراءه سوى الخزي والهزيمة، والذين بقوا مصيرين على الكفر منهم، سوف يجمعون ويساقون إلى جهنم، لتسعر بهم نارها، ويمكثوا فيها خائبين مقهورين.

{ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي
جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } [الأنفال: 37]

37 . لِيُمَيِّزَ اللَّهُ بِالْجِهَادِ وَالْإِنْفَاقِ الْكَافِرِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمُفْسِدِينَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ، وَيَضُمَّ الْحَبِيثَ الْفَاسِدَ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ مُتْرَاكِبًا مُتْرَاكِمًا، فَيُلْقِيهِ فِي جَهَنَّمَ. فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ خَسِرَتْ تِجَارَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، حَيْثُ اشْتَرَوْا بِأَمْوَالِهِمْ عَذَابَ الْآخِرَةِ، فَخَسِرُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ.

{ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ }

[الأنفال: 38]

38 . قُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ، إِنْ يَنْتَهُوا عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ كُفْرٍ وَعِنَادٍ وَتَكْذِيبٍ، وَيَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُمْ مَا مَضَى مِنْ كُفْرِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ، وَمِنْهَا إِنْفَاقُهُمْ فِي الْحَرْبِ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ، وَإِذَا عَادُوا إِلَى مُعَادَاتِكَ وَقِتَالِكَ، فَقَدْ سَبَقَتْ سُنَّتُنَا فَيَمُنْ كَذَّبَ وَاسْتَمَرَ فِي الْعِنَادِ أَنْ نُعَاقِبَهُمْ.

{ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ }

{ بَصِيرٌ } [الأنفال: 39]

39 . وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ حَتَّى لَا يَوْجَدَ مِنْهُمْ شِرْكٌ، وَحَتَّى لَا يُفْتَنَ مُسْلِمٌ عَنْ دِينِهِ، وَيَكُونَ دِينُ اللَّهِ هُوَ السَّائِدَ وَالْمُهَيْمِنَ، وَيُخْلَصَ التَّوْحِيدُ لِلَّهِ، وَيُخْلَعَ مَا دُونَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ. فَإِنْ انْتَهَوْا عَنِ الْكُفْرِ، وَكَفُّوا عَنْ قِتَالِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَى إِسْلَامِهِمْ وَإِنَابَتِهِمْ إِلَى الْحَقِّ، وَسَيَعْفُو عَنْهُمْ وَيُجَازِيهِمْ خَيْرًا.

{ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ } [الأنفال: 40]

40 . وَإِذَا أَبَوْا إِلَّا الْكُفْرَ، وَأَصْرُوا وَعَانَدُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ بَاطِلٍ وَشِرْكٍ، فَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَنَّ اللَّهَ نَاصِرِكُمْ وَمُتَوَلِّيْ أُمُورِكُمْ وَمُعِينِكُمْ عَلَيْهِمْ، فَثَقُّوا بِهِ وَلَا تُبَالُوا بِمُعَادَاتِهِمْ لَكُمْ، وَهُوَ نِعَمَ الْمَوْلَى الَّذِي لَا يُضَيِّعُ مَنْ تَوَلَّاهُ، وَنِعَمَ النَّاصِرِ الَّذِي يَنْصُرُ مَنْ تَوَلَّاهُ، وَيُدْفَعُ عَنْهُ شَرَّ الْأَعْدَاءِ.

الجزء العاشر

سورة الأنفال (41-75)

سورة التوبة (1-92)

{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ أَمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقْيِ
الْجُمُعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الأنفال: 41]

41- واعلموا أيها المسلمون أن ما أصبتموه من أموال الكفار في الحرب، فإنه يُقسَّم على خمسة أخماس، خُمُسٌ منها لله ورسوله ولسائر من ذُكِرَ في الآية. وسهْمُ الله ورسوله واحد، وذو القربى هم أقارب الرسول صلى الله عليه وسلم، واليتامى هم المسلمون الصغار الذين لا أب لهم، والمساكين هم الفقراء والمحتاجون، وابن السبيل: المسافر المنقطع. وسهْمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته يوضع في بيت المال لمصالح المسلمين وما فيه قوة الإسلام.

وأربعة الأخماس الباقية توزع على من شهد الحرب.

فامتثلوا أمر الله، واقنعوا بما شرعه لكم من الأخماس الأربعة في الغنائم، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وما أنزلناه على عبدنا محمد يوم بدر، من الآيات والملائكة والنصر، وقد فرق الله فيه بين الحق والباطل. وهو قادر على كل شيء، منها ما شاهدتموه يوم التقى جمع المؤمنين وجمع المشركين.

{إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ
لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ
وَيُحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال: 42]

42- فاذكروا ذلك اليوم أيها المسلمون، عندما كنتم نزلوا بشفير الوادي الأقرب إلى المدينة، والمشركون نازلون بشفير الوادي الأقصى من المدينة، وقافلة أبي سفيان وأصحابه في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر، ولو تواعدتم أنتم والمشركون على القتال لما تلاقيتهم في ذلك الوقت ولا مكانه، فقد خرجتم أنتم لإصابة القافلة، وهم خرجوا لمنعكم من ذلك، وأنتم في قلة عدد لا تؤدون لقاءهم، ولكن الله قدر الميعاد والحرب بتدبيره، لينصر المؤمنين، ويفهر أعداءهم، ويعز دينه، ويرفع كلمة الحق على الباطل، ليموت من يموت عن بينة رآها، وعبرة عاينها، وحجة قامت عليه، ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها، ويصير الأمر ظاهراً، ولا يبقى لأحد حجة ولا شبهة.

أو ليصدر كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح وبينة، فإن وقعت بدر كانت من الآيات الواضحة، والحجج الظاهرة، لمن أراد أن يتدبر ويعتبر.
والله سمع لتضرعكم واستغاثتكم، علم بنياتكم وإخلاصكم، وأنكم تستحقون النصر على أعدائكم.

{ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [الأنفال: 43]

43- واذكر أيها النبي إذ يريك الله المشركين في منامك قليلاً، لتخبر به أصحابك فينبتوا ويتشجعوا، ولو أراكم في المنام كثيراً لجبتم وهبتم الإقدام، واختلقتهم في الإحجام والإقدام على الحرب، وتفرقت آراؤكم، ولكن الله سلمكم من ذلك، وهو علم بما في صدوركم وما تخفيه من الشجاعة والجرع.

{ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ } [الأنفال: 44]

44- واذكروا نعمة الله عليكم معشر المؤمنين، إذ يريك أعداءكم المشركين في عيونكم قليلاً لتجرؤوا عليهم وتطمعوا في النصر قريباً، حتى ظن بعضكم أنهم بين السبعين والمئة!

ويقللُكم في أعينِ أعدائكم فُبَيْلَ الْقِتَالِ إِغْرَاءً لَهُمْ عَلَى قِتَالِكُمْ، حَتَّى قَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّمَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ أَكَلَتْهُ جَزُورٌ! وَكَانَ هَذَا مَدْعَاءَ لَهُمْ لِيَتْرَكُوا الْإِسْتِعْدَادَ وَالْإِسْتِمْدَادَ. وَعِنْدَ الْإِلْتِحَامِ كَثَّرَكُمْ فِي عُيُونِ الْمُشْرِكِينَ، لِيَجْبُنُوا وَتَحْتَلَّ عِزَّتُهُمْ فِي الْحَرْبِ. وَهَذَا التَّدْبِيرُ مِنَ اللَّهِ لِيُلْقِيَ الْحَرْبَ بَيْنَ الْقَرِيبَيْنِ، وَلِيُعَلِّيَ الْإِسْلَامَ وَيُعِزَّ أَهْلَهُ، وَيَنْتَقِمَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُذَهِّبَهُمْ. وَالْأُمُورُ كُلُّهَا تَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ، فَيُصَرِّفُهَا كَيْفَمَا شَاءَ، لَا رَادَّ لِأَمْرِهِ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقَيْتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }

[الأنفال: 45]

45- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، كُونُوا شُجْعَانًا إِذَا حَارَبْتُمْ جَمَاعَةً كَافِرَةً، فَاصْبِرُوا وَاثْبُتُوا لِقِتَالِهِمْ، وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا أثنَاءَ الْقِتَالِ، فَاسْتَعِينُوا بِهِ، وَكَبِّرُوهُ، وَادْعُوهُ لِيَنْصُرَكُمْ وَيُلْقِيَ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِكُمْ، لِيَتَفَوْزُوا بِالنَّصْرِ وَالثَّوَابِ.

{ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ }

[الأنفال: 46]

46- وَأَطِيعُوا اللَّهَ فِي مَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَنَفِّذُوا أَوْامِرَ نَبِيِّكُمْ وَقَائِدِكُمْ، وَلَا تَحْتَلِفُوا فَتَجْبُنُوا وَتَضَعُفُوا أَمَامَ أَعْدَائِكُمْ، وَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِتَخَادُلكُمْ وَفَشَلِكُمْ وَذَهَابِ قُوَّتِكُمْ، وَاصْبِرُوا عَلَى هَوْلِ الْحَرْبِ، وَكُونُوا أَشَدَّ عَزْمًا وَأَسَأَ مِنْ عَدُوِّكُمْ، إِنَّ اللَّهَ يُمِدُّ الصَّابِرِينَ بِقُوَّةٍ مِنْ عِنْدِهِ وَيُعِينُهُمْ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ.

{ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُودُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ }

[الأنفال: 47]

47- وَلَا تَكُونُوا - مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ - مِثْلَ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ مُفَاخِرَةً وَتَكَبُّرًا، لِيُثْنِيَ عَلَيْهِمُ النَّاسُ بِالشُّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ، وَهُمْ يَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنَ الْجَهْرِ بِالْحَقِّ وَاعْتِنَاقِ الْإِسْلَامِ. وَكَانُوا قَدْ أَبَوُ الرُّجُوعَ إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ بَجَّتِ الْقَافِلَةُ إِلَّا أَنْ يَشْرَبُوا الْخَمْرَ عَلَى مَاءِ بَدْرٍ، وَتَعَزَّفَ عَلَيْهِمُ الْقِيَانُ، وَيَنْحَرُوا الْإِبِلَ وَيُطْعِمُوا مَنْ حَضَرَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ، فَأَبْدَهُمُ اللَّهُ

بذلك كَأَسَّ المنايا، وناحت عليهم النوائح بدل أن تغني لهم المغنيات، ورجعوا بالخزي والهزيمة ومقتل الأهل والأصحاب، فلا تشبَّهوا بهم، وليكن خروجكم لإعلاء كلمة الله، ودفع الباطل، وصدِّ العدوان، والله خبيرٌ بأعمال المشركين وإفسادهم، مُطَّلِعٌ على ما تُخفيه صدورهم من كراهيةٍ وعداوةٍ تجاه المسلمين.

{ وَإِذْ زَيْنٌ هُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَأَعَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [الأنفال: 48]

48- واذكر أيها الرسول للمؤمنين إذ وسَّسَ الشَّيْطَانُ في قُلُوبِ المشركين وكُبرائهم وحسَّنَ لهم ما همُّوا به، وشجَّعهم على الخروج، وألقى في روعهم: إِنَّهُ لَن يَغْلِبَكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ أَحَدًا، لكثرة عددكم وقوتكم في سلاحكم، مع ضعف عدوكم وقلة عددهم، وإني مُعينكم وناصركم في أمركم.

وعندما التقت الفتنان، ونظر الشيطان إلى إمداد الملائكة، رجَّع هارياً وهو يقول لأوليائه من المشركين: إِنِّي أَتَبَرُّ مِنْ مُنَاصِرَتِكُمْ في هذه الحرب، إِنِّي أَرَى مِنْ إِنْزَالِ الملائكة وَأُهْبِتَهُمْ للحرب ما لا تَرَوْنَهُ أنتم، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُهْلِكَنِي اللهُ وَيُرْدِينِي في المهالك، والله شديدٌ في عقابه ونكاله.

فخذلهم، ولم يوف بعهدهم، وتركهم يُلاقون مصيرهم وحدهم.

{ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [الأنفال: 49]

49- واذكروا قول المنافقين والذين لم تطمئن قلوبهم بالإيمان، وقد قلل الله عدد جيش المسلمين في غيون المشركين: لقد غرَّ المؤمنين دينهم، واعتمادهم على نصر الله، وسوف يُوردُهم هذا الظنُّ المهالك؛ حيثُ جابهوا قوَّةً أعظمَ منهم.

ومن يفوض أمره إلى الله ويعتمد عليه، فإنه يلتجئ إلى قوي لا يُعالب، وعزيز لا يُقهر، وحكيم ينصر من يستحق النصر.

{ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ

الْحَرِيقِ } [الأنفال: 50]

50- ولو اطلعت أيتها النبي على الملائكة وهم يقبضون أرواح الكفار لرأيت أمراً فظيماً هائلاً، إذ يضربون وجوههم وظهورهم بسياط من نار، ويُبشرونهم بعقابٍ أشدَّ يومَ القيامة، عذاب الحريق الذي يُلهبُ الجسدَ كله.

{ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } [الأنفال: 51]

51- وهذا الجزاء الذي وَقَعَ عليكم أيها الكافرون، هو بسبب ما جنته أيديكم وكسبته قلوبكم، من الكفر والمعاصي ومُحاربة المسلمين، والله لا يعذب عبده من غير ذنب يرتكبونه، ولا يزيد من عذابهم ولو كانوا كفاراً، بل هو جزاء أعمالهم السيئة، واستكبارهم عن اتباع الحق.

{ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ

اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [الأنفال: 52]

52- وشأن هؤلاء الكافرين كشأن قوم فرعون، ومن قبلهم من الأمم المكذبين، الذين جحدوا بآيات الله وكذبوا بمعجزات أنبيائه، فعاقبهم الله بسبب ذنوبهم وأهلكهم، والله قوي شديد العقوبة إذا عاقب، لا يقدر أحد على أن يدفع عقوبته أو يخفف عنها.

{ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُعْزِرُوا مَا بَأْنُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [الأنفال: 53]

53- وهذا لأن الله لا يرفع نعمته عن قوم حتى يُجدثوا شراً، فارتكبوا ذنباً أو يتركوا شكراً، فيبطلوا ويظلموا، ويكفروا ويقتلوا. والله سميع لما يقولون، عليهم بما يفعلون، يُبقي النعمة عليهم أو يسلبها منهم بما يستحقون.

{ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا
آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَانُوا ظَالِمِينَ } [الأنفال: 54]

54- كصنيع قوم فرعون ومن قبلهم من الذين كذبوا بمعجزات الله التي أتت بها أنبياءه، وكذبوا بآياته التي أنزلها هدياً لعباده، فكان جزاؤهم أن عاقبناهم على ذنوبهم وأهلكناهم بها، وكانت عاقبة آل فرعون مع كبيرهم أن أغرقناهم في البحر، وكانوا هم والمكذبون الآخرون من الأقسام السابقين واللاحقين، ظلموا أنفسهم عندما عرضوها للعقاب والنكال، بسبب كفرهم ومعاصيهم، ولم يقدروا نعمة الله التي أسبغها عليهم، من بساتين وزروع وأموال وأولاد وأنعام...

{ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } [الأنفال: 55]

55- إن شر من دب على وجه الأرض، هم الذين أصروا على الكفر ورسخوا فيه، فلا يؤمنون مهما دعوتهم إلى الإسلام.

{ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ } [الأنفال: 56]

56- الذين أخذت منهم عهدهم بأن لا يساعدوا المشركين، فنقضوا العهد ولم يؤفوا به، وكان هذا دأبهم مرّات، فاستمرّوا على الخيانة والغدر، لا يخافون الله فيما ارتكبوهُ من الآثام. ذكر أن المقصود يهود بني قريظة، حيث نقضوا العهد الذي أبرموهُ مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وأعانوا المشركين أكثر من مرّة...

{ فَإِذَا تَشَفَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ } [الأنفال: 57]

57- فإذا ظفرت بهم في الحرب، فنكّل بهم من ورائهم: غلظ عقوبتهم وبالغ في قتلهم، ليتعظ بهم من سواهم، ويخاف أعداؤك الآخرون، فيذكروا ذلك ويعتبروا.

{ وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ }

[الأنفال: 58]

58- وإذا عَلِمْتَ أَيُّهَا النَّبِيُّ مِنْ قَوْمٍ مُعَاهِدِينَ نَقِضْ عَهْدَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، بِمَا يَلُوحُ لَكَ مِنْ دَلَائِلٍ، وَيُظْهِرُ مِنْ إِشَارَاتٍ وَحَرَكَاتٍ، فَاطْرَحْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ، وَأَعْلِمُهُمْ بِذَلِكَ، وَاكْشِفْ خِيَانَتَهُمْ لَهُمْ، لِيَعْلَمُوا أَنَّكَ قَدْ فَسَخْتَ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَصِرْتَ حَرَبًا عَلَيْهِمْ، وَلَا تَبْدَأَهُمْ بِحَرْبٍ قَبْلَ إِعْلَامِهِمْ بِذَلِكَ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ يَخُونُونَ الْعَهْدَ وَيَنْقُضُونَ الْمَوَاقِفَ.

{ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِذْ هُمْ لَا يُعْجِزُونَ } [الأنفال: 59]

59- وَلَا يَظُنُّنَّ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الْحَرْبِ أَنَّهُمْ أَفْلَتُوا بِذَلِكَ فَلَا سُلْطَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ، بَلْ هُمْ فِي قَبْضَةِ اللَّهِ لَا يَفُوتُونَهُ، وَلَنْ يُعْجِزُوا اللَّهَ بِشَيْءٍ وَهُمْ عبيدٌ تَحْتَ قَهْرِ سُلْطَانِهِ.

{ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ } [الأنفال: 60]

60- وَأَعِدُّوا لِأَعْدَائِكُمْ مَهْمَا أَمَكَنَّكُمْ مِنْ كُلِّ مَا يُتَّقَوْنَ بِهِ فِي الْحَرْبِ، مِنْ سِلَاحٍ وَغَيْرِهِ.

وقَدْ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآيَةَ وَقَالَ: " أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ " (ثَلَاثَ مَرَاتٍ)، كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ. وَهَذَا لَكُنَّ الرَّمِيَّ أَقْوَى مَا يُتَّقَوْنَ بِهِ، لِأَنَّهُ أَشَدُّ نِكَايَةً فِي الْعَدُوِّ، فَقَدْ يُرْمَى رَأْسُ الْكُتَيْبَةِ فَيُصَابُ فَيَنْهَزُ مِنْ خَلْفِهِ. وَالْمَقْصُودُ الرَّمَايَةُ بِأَنْوَاعِ السِّلَاحِ، مِنْ سَهْمٍ وَرِصَاصٍ وَمِدْفَعٍ وَقَذْفٍ بِالطَّائِرَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ وَاقْتِنَائِهَا لِلْعَزْوِ، وَمَا يُلَاطِمُهَا فِي الْحُرُوبِ الْحَدِيثَةِ، لِتُحَوِّفُوا بِهِ أَعْدَاءَ اللَّهِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ أَمْرَهُ، وَأَعْدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ، وَلْتُرْهَبُوا بِهِ غَيْرُهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ، الَّذِينَ لَا تَعْرِفُوهُمْ بِأَعْيَانِهِمْ، لَكِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُمْ.

ومهما أنفقتم من أموال في الجهاد وغيره، فإن الله يوفيكم جزاءها كاملاً، في يوم أوحى ما تكونون إليه، ولن تظلموا بنقص الثواب عليها أبداً.

{ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [الأنفال:

[61

61- وإذا مالوا إلى المسالمة والمصالحة فمِلْ إليها معهم وصالحهم، وفوض أمرَكَ إلى الله، فإنه كافيك وناصرك إذا طَوروا في نفوسهم كيداً، فهو يسمع ما يتهامون به في مجالسهم، ويعلم نياتهم، فيؤاخذهم بما يستحقونه.

وذكر مفسِّرون أنها منسوخة بقوله تعالى: { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ
الآخِرِ... } [التوبة: 29] وفي ذلك تفصيل.

{ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ }

[الأنفال: 62]

62- فإذا كانوا قد أرادوا من وراء مسالمتك العذر والخيانة، فإن الله كافيك شرهم، ومخلصك من مكرهم، فهو الذي أيَّدك بالنصر من قبل، وأمدك بالملائكة، وألقى الرعب في قلوب أعدائك، وهو الذي قوّك بالمؤمنين من المهاجرين والأنصار.

{ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ

أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [الأنفال: 63]

63- والله هو الذي أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، على ما كان بينهم في الجاهلية من عداوة وضعينة قاتلة، ومن حمية وعصبية عمياء، وخاصة الأوس والخزرج من الأنصار، الذين كادت الحرب أن تُهلكهم، فكانت الحروب بينهم لا تنقطع، فجمعهم الإسلام وصاروا إخوة يتناصرون في الحق، ويتناصحون على الخير، ولو أنك أنفقت ما في الأرض من أموال لتوثق بينهم المحبة، وتؤلف بين قلوبهم، لما استطعت، لتناهي العداوة بينهم، وتمكن روح الانتقام فيهم، ولكن الله بلطفه ورحمته أوجد هذا التآلف بينهم، ووطد روح المحبة والتآخي بينهم، وهو

سُبْحَانَهُ قَدِيرٌ عَلَى ذَلِكَ، عَزِيزٌ لَا يَصْعُبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، حَكِيمٌ، يَدَبُّرُ الْأُمُورِ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ، وَأَفْضَلِ مَقَامٍ.

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } [الأنفال: 64]

64- أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ، حَسْبُكَ اللَّهُ، فَهُوَ كَافِيكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ وَنَاصِرُكَ، وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ.

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ } [الأنفال: 65]

65- أَيُّهَا النَّبِيُّ، حُثِّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ وَرَغَّبِهِمْ فِي الْجِهَادِ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ مُقَاتِلًا ثَابِتًا مُحْتَسِبًا، يَغْلِبُوا مِئَتِينَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ مِنَ الرِّجَالِ الصَّابِرِينَ فِي الْحَرْبِ، يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الْكَافِرِينَ، وَهَذَا لِأَنَّ الْمَشْرِكِينَ جَهْلَةٌ لَا يُقَاتِلُونَ احْتِسَابًا وَامْتِنَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ، وَلَا طَلَبًا لِنُوبٍ، وَإِنَّمَا يُقَاتِلُونَ لِلْحَمِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَاتِّبَاعًا لِحُطُوتِ الشَّيْطَانِ، فَلَا يَتَّبِتُونَ فِي الْحَرْبِ إِذَا صَدَقْتُمُوهُمْ الْقِتَالِ؛ خَشْيَةً أَنْ يُقْتَلُوا.

وَقَدْ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، حَيْثُ طُلِبَ مِنْهُمْ أَنْ يَتَّبِتَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ مُقَابِلَ عَشْرَةٍ مِنَ الْكُفَّارِ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ التَّالِيَةُ تَخْفِيفًا عَنْهُمْ، وَهُوَ ثَبَاتُ الْوَاحِدِ أَمَامَ اثْنَيْنِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَلَمَّا خَفَّفَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ مِنَ الْعِدَّةِ، نَقَصَ مِنَ الصَّبْرِ بِقَدْرِ مَا خَفَّفَ عَنْهُمْ. وَالْجَمْهُورُ عَلَى أَنَّ التَّالِيَةَ نَاسِخَةٌ لِهَذِهِ.

{ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } [الأنفال: 66]

66- الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ الْحُكْمَ السَّابِقَ، وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فِي الْوَاحِدِ عَنْ قِتَالِ الْعَشْرَةِ، وَفِي الْمِئَةِ عَنْ قِتَالِ الْأَلْفِ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ مُقَاتِلٍ ثَابِتٍ مُحْتَسِبٍ، يَغْلِبُوا مِئَتِينَ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ الْكُفَّارِ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ، فَالوَاحِدُ يُقَابِلُ اثْنَيْنِ. فَإِذَا كَانَ جَيْشُ

المسلمين نصف جيش الكافرين غلبوهم، بإذن الله وتأييده، والله ينصر ويُعين الصابرين، فكيف لا يغلبون عدوهم؟

{ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُشْحَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [الأنفال: 67]

67- ما صحَّ وما استقامَ لنبيٍّ من الأنبياء - والمقصودُ هنا نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم - أن يستبقي أسرى من المشركين، حتى تضعف شوكتهم، وتشتد شوكة المسلمين، فيكونوا هم الأقوى الذين يُرهبون أعداءهم.

أتريدون أيها المسلمون بقبول الفداء منهم بدل قتلهم حطام الدنيا، والله يريد لكم ثواب الآخرة، وإعزاز دينه، وقمع أعدائه؟ وهو العزيز الذي ينصر أوليائه على أعدائه، حكيم في سنَّ شرائع الحرب.

والآية في أسرى بدر، وقد استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فيهم، فمال إلى من يرى قبول الفدية منهم، دون قتلهم.

{ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [الأنفال: 68]

68- ولولا حكم من الله في اللوح المحفوظ، بأن لا يعذب قوماً قبل تقديم ما يبيِّن لهم أمراً أو هجياً، لأصابكم فيما أخذتموه من الفداء من الأسرى عذابٌ كبير.

ذكر أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا أيديهم عما أخذوا من الفداء، فنزلت الآية التالية، فأخذه.

واستقر رأي عامة الفقهاء - من بعد - على أن الإمام مخير في الأسرى، إن شاء قتل، وإن شاء فادى، حسب ما تتطلبه مصلحة المسلمين، وكان من مصلحة المسلمين إذ ذاك أن يقتلوا، ولكن الله سلّم وعفا.

{ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [الأنفال: 69]

69- فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ، فِدْيَةٌ أَوْ غَنَائِمٌ، حَلَالًا لَا إِثْمَ فِيهِ، طَيِّبًا لَا نَعْصَ فِيهِ. وَخَافُوا اللَّهَ وَلَا تُخَالِفُوا أَوْامِرَهُ، وَهُوَ الْعَفْوُ الَّذِي غَفَرَ مَا سَلَفَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ، رَحِيمٌ بِكُمْ عِنْدَمَا أَبَاحَ لَكُمْ الْغَنَائِمَ، وَمَا أَخَذْتُمْ مِنَ الْفِدْيَةِ.

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [الأنفال: 70]

70- قُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَنْ أَسْرْتُمُوهُمْ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، مِمَّنْ أَخَذْتُمْ مِنْهُمْ الْفِدَاءَ: إِذَا عَلِمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ إِيمَانًا وَتَصَدِيقًا، فَسَوْفَ يُعْطِيكُمْ خَيْرًا مِنَ الْمَالِ الَّذِي قَدَيْتُمْ بِهِ أَنْفُسَكُمْ وَأَضْعَافَهُ، وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ شِرْكَ، وَاللَّهُ كَثِيرُ الْمَغْفِرَةِ لَذُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

{ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [الأنفال: 71]

71- وَإِنْ يُرِيدُ الْأَسْرَى نَقْضَ الْعَهْدِ، مِنْ عَدَمِ إِعْطَاءِ الْفِدْيَةِ، أَوْ الْعُودَةِ إِلَى مَحَارِبَتِكَ، أَوْ مُسَاعَدَةِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَدْ سَبَقَتْ مِنْهُمْ الْخِيَانَةُ قَبْلَ بَدْرٍ، بِالْكَفْرِ، فَأَمْكَنَكَ اللَّهُ مِنْهُمْ بِبَدْرِ قِتَالًا وَأَسْرًا، فَلْيَتَوَقَّعُوا مِثْلَ ذَلِكَ إِنْ عَادُوا. وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِخَلْقِهِ وَمَا يُصْلِحُهُمْ، حَكِيمٌ فِي مَا يَشْرَعُهُ.

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرْتُمْهُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [الأنفال: 72]

72- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَجَرُوا قَوْمَهُمْ وَدِيَارَهُمْ، وَأَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ فِي مَا يُرْضِي اللَّهَ، مِنْ صَرْفِهَا عَلَى الْمُحْتَاجِينَ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ، وَمِنْ شِرَاءِ الْأَسْلِحَةِ وَرَبِطِ الْخَيْلِ لِلجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَبَدَلُوا أَنْفُسَهُمْ فِي سَبِيلِ دِينِ اللَّهِ، فَقَاتَلُوا قِتَالَ الْأَبْطَالِ، وَخَاضُوا جُجَحَ الْمَعَارِكِ. وَالْمَقْصُودُ الْمُهَاجِرُونَ. وَالْأَنْصَارُ الَّذِينَ آوَوْا إِخْوَانَهُمُ الْمُهَاجِرِينَ وَأَسْكَنُوهُمْ مَنَازِلَهُمْ، وَأَتَرُوهُمْ عَلَى

أَنْفُسِهِمْ، وَنَصَرُوهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ بِالْقِتَالِ مَعَهُمْ، فَهَؤُلَاءِ وَأَوْلِيَاكُمْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، فِي الْعَوْنِ وَالنُّصْرَةِ وَالْمِيرَاثِ، فَكُلُّ مَنْهُمْ أَحَقُّ بِالْآخِرِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ.

وَالْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ بَقُوا فِي دِيَارِهِمْ وَلَمْ يُهَاجِرُوا لَا يَرِثُونَ الَّذِينَ هَاجَرُوا، وَلَوْ كَانُوا مِنْ ذَوِي قُرْبَاهُمْ، حَتَّى يُهَاجِرُوا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَرِثُونَ. وَإِذَا اسْتَعَانَ بِكُمْ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ لَمْ يُهَاجِرُوا فِي قِتَالِهِمْ ضِدَّ الْمُشْرِكِينَ، فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَنْصُرُوهُمْ، لِأَنَّكُمْ إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ، فَوَاجِبٌ عَلَيْكُمْ نَصْرُهُمْ، إِلَّا إِذَا كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَوْلِيَاكُمْ الْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ وَمُهَاذَنَةٌ إِلَى مُدَّةٍ، فَلَا يَجُوزُ لَكُمْ نَقْضُهُ. وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِأَعْمَالِكُمْ، فَلَا تُخَالِفُوا أَمْرَهُ، وَلَا تَتَجَاوَزُوا مَا حَدَّهُ لَكُمْ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ آخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَكَانُوا يَتَوَارَثُونَ، وَمَنْ آمَنَ وَلَمْ يُهَاجِرْ لَا يَرِثُ مِنْ قَرِيْبِهِ الْمُهَاجِرِ، حَتَّى كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ... وَنَسَخَتْهَا آيَةُ الْمِيرَاثِ: { وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ } [سورة الأنفال: 75].

{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ }

[الأنفال: 73]

73- وَالْكَافِرُونَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فِي الْمُوَارَاةِ وَالْمِيرَاثِ. وَالْجُمْهُورُ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَرِثُ الْكَافِرَ، وَالْكَافِرَ لَا يَرِثُ الْمُسْلِمَ. فَإِذَا لَمْ يُجَانِبُوا الْمُشْرِكِينَ، وَلَمْ تُؤَالُوا الْمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ تَأْخُذُوا بِمَا حَدَّهُ اللَّهُ لَكُمْ فِي الْإِرْثِ، فَسَيُخْتَلِطُ أَمْرُ الْمُؤْمِنِ بِالْكَافِرِ، وَتُخْتَلِفُ الْكَلِمَةُ بَيْنَكُمْ، وَتَظْهَرُ قُوَّةُ الْكُفْرِ، وَيَضْعَفُ الْإِسْلَامُ، وَتُسْفِكُ الدِّمَاءُ.

{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَأُ وَنَصَرُوا أَوْلِيَاكُمْ هُمْ }

الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } [الأنفال: 74]

74- وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَهَاجَرُوا أَوْطَانَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ هُرُوبًا مِنَ الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ إِلَى مَوْطِنِ الْإِسْلَامِ، وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ وَحَارَبُوا الْكُفَّارَ، وَالْأَنْصَارُ الَّذِينَ هَبُّوا لِنَجْدَةِ إِخْوَانِهِمُ الْمُهَاجِرِينَ، فَفَتَحُوا لَهُمْ قُلُوبَهُمْ وَبَيَّوَهُمْ، وَأَزْرَوْهُمْ فَقَاتَلُوا مَعَهُمْ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَأَعْدَاءَهُمْ، فَأَوْلِيَاكُمْ الَّذِينَ حَازُوا رُتْبَةَ الْإِيمَانِ حَقًّا، لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ، وَسَيُجَازَوْنَ بِثَوَابٍ جَزِيلٍ مِنْ رَبِّهِمْ، يَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَيَرْزُقُهُمْ رِزْقًا كَرِيمًا، دَائِمًا مُسْتَمِرًّا، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، وَنَعِيمٍ مُقِيمٍ.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ
بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الأنفال: 75]

75- والذين آمنوا، وهاجروا بعد الهجرة الأولى، وقاتلوا معكم في سبيل الله، فهم من
جملتكم، هم منكم وأنتم منهم، فالإيمان واحد، والملئ واحد، والفضل والشرف لمن سبق.
وذوو القرابة هم الذين يرث بعضهم بعضاً، دون ما سبق تشريع مؤقَّتاً من التوارث
بالحجرة. وهذا حكم الله في كتابه، وهو عليم بكل شيء، ومن ذلك نظام الموارث وأحواله
وتطويره، والحكمة في توزيع حصصه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه،
وورث بعضهم من بعض، حتى نزلت: {وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ}
فتركوا ذلك، وتوارثوا بالنسب.

سورة التوبة

{ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ } [التوبة: 1]

1- هذا تبرؤ من الله ورسوله إلى من عاهدتموه من المشركين أيها المسلمون. وكانت هناك معاهدات بين المسلمين ومُشركي العرب، فخانوا العهد، إلا بعض القبائل، فأمروا بالتبرؤ من عهودهم، في تفصيل يأتي بعضه، وأمهل المشركون أربعة أشهر...

{ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ } [التوبة: 2]

2- فسيروا في الأرض آمين حيث شئتم أيها المشركون، لمدة أربعة أشهر، من شهر شوال إلى الحرم، واعلموا أنكم بسيركم هذا لن تُعجزوا الله بالهرب والتحصن، وأن الله مذل الكافرين ومُعذِّبهم، في الدنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة بالعذاب.

{ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } [التوبة: 3]

3- وهذا إعلام من الله ورسوله للناس جميعاً يوم النحر من أيام الحج، أن الله بريء من المشركين وعهودهم، ورسوله أيضاً بريء منهم، فإن رجعتُم أيها المشركون عما أنتم فيه من الكفر والغدر والضلال، فهو أفضل لكم في حياتكم الدنيا، وفي الآخرة. وإذا أبيتُم إلا الشرك، وأصررتُم على مُحاربة الإسلام وأهله، فاعلموا أنكم لا تقوتون الله ولا تقدرُونَ على الهروب من عقابه، فأنتم عبيده وفي ملكه أينما كنتم. وبشِّر الكافرين بعقابٍ موجه ينالهم في دنياهم، وفي الآخرة أقسى وأفظع.

{ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوا شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَنْهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } [التوبة: 4]

4- وَيُسْتَتَى مِنْ ذَلِكَ الْمَشْرِكُونَ الَّذِينَ لَمْ يَعْدُوا بِعَهْدِهِمْ مَعَكُمْ، بِشَرَطِ أَنْ يَبْقُوا أَوْفِيَاءَ لِنُصُوصِ الْمَعَاهِدَةِ، وَلَا يَنْقُصُوا مِنْهَا شَيْئاً، وَلَا يُنَاصِرُوا أَحَداً مِنْ أَعْدَائِكُمْ عَلَيْكُمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَكْمَلُوا مَدَّةَ الْمَعَاهِدَةِ مَعَهُمْ إِلَى آخِرِهَا، وَلَا تُعَامِلُوهُمْ مُعَامِلَةَ الْغَادِرِينَ. وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُلتَزِمِينَ بِعُهُودِهِمْ، الْمُوفِينَ بِمَوَاقِفِهِمْ.

وكانت قَبِيلَةُ بَنِي ضَمْرَةَ قَدْ بَقِيَ مِنْ عَهْدِهَا تِسْعَةُ أَشْهُرٍ، وَلَمْ تَغْدِرْ.

{ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ } [التوبة: 5]

5- فَإِذَا انْقَضَتِ الْأَشْهُرُ الْأَرْبَعَةُ مِنْ شُهُورِ الْعَهْدِ الَّتِي حَرَّمْنَا فِيهَا دِمَاءَ الْمُشْرِكِينَ وَالتَّعْرُضَ لَهُمْ وَأَجَلْنَاهُمْ فِيهَا، فَحَيْثُما وَجَدْتُمُوهُمْ بَعْدَهَا فَاقْتُلُوهُمْ، فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ، وَأَسِرُوهُمْ، وَاحْبِسُوهُمْ، وَارْبُؤُوهُمْ وَارْصُدُوا تَحْرُكَاتِهِمْ، وَاحْصِرُوهُمْ فِي مَعَاقِلِهِمْ وَحُصُونِهِمْ. فَإِذَا تَابُوا مِنَ الشِّرْكِ وَالضَّلَالِ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ، تَصَدِيقاً لِتَوْبَتِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ، فَدَعُوهُمْ وَشَأْنَهُمْ، وَلَا تَتَّعَرَّضُوا لَهُمْ بِسُوءٍ. وَاللَّهُ يَغْفِرُ لِمَنْ تَابَ، وَيَرْحَمُهُ، فَيُثَبِّتْهُ عَلَى إِيْمَانِهِ وَطَاعَتِهِ.

وَتَسْمَى هَذِهِ آيَةُ السِّيفِ.

{ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ } [التوبة: 6]

6- وَإِذَا اسْتَأْمَنَكَ وَطَلَبَ مَجَاوَرَتَكَ أَحَدُ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ انْقِضَاءِ أَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ الْمَذْكُورَةِ، فَامْنَهُ وَأَجِبْ طَلَبَهُ، حَتَّى يَسْمَعَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَيَتَدَبَّرَهُ، وَيَطَّلِعَ عَلَى دِينِ اللَّهِ، فَيَعْرِفَ مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ. ثُمَّ أَوْصِلْهُ بِأَمَانٍ وَسَلَامٍ، إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي يَأْمَنُ فِيهِ.

وَهَذَا الْأَمْنُ الَّذِي أُعْطِيَ لَهُمْ لِكُونِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ دِينَ اللَّهِ، فَهُمْ مُتَحَاجُونَ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، حَتَّى يَفْهَمُوا ذَلِكَ وَلَا يَبْقَى لَهُمْ عُذْرٌ.

{ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } [التوبة: 7]

7- ولا يَكُونُ لَهُوَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدَ رَسُولِهِ، وَهُمْ يَغْدِرُونَ وَيَنْقُضُونَ الْعَهْدَ، إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَأَكْمَلُوا مَعَهُمْ عَهْدَهُمْ مَا دَامُوا مُسْتَقِيمِينَ مَعَكُمْ وَلَمْ يَغْدِرُوا بِكُمْ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ حُدُودِهِ.

{ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ

وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ } [التوبة: 8]

8- وَكَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْحَالُ أَنَّهُمْ مَتَرَبِّصُونَ بِكُمْ، فَإِذَا ظَفَرُوا بِكُمْ لَمْ يُرَاعُوا فِيكُمْ قَرَابَةً وَلَا عَهْدًا، وَلَمْ يُبْقُوا مِنْكُمْ أَحَدًا، لَكِنَّهُمْ عِنْدَ الْعِزِّ يُدُونَ الرَّغْبَةَ فِي الْإِيمَانِ، وَفِي الْوَفَاءِ وَالطَّاعَةِ مَعَكُمْ، فَيُرْضُونَكُمْ بِذَلِكَ، وَالْحَقُّ أَنَّ قُلُوبَهُمْ تَرْفُضُ الْإِيمَانَ، وَأَكْثَرُهُمْ مُتَمَرِّدُونَ خَارِجُونَ عَنِ الطَّاعَةِ، لَا عَقِيدَةَ تَمْنَعُهُمْ عَنِ الْحَرَامِ، وَلَا مَرُوءَةً تَرُدُّهُمْ عَنِ الْعَدْرِ وَالْخِيَانَةِ.

{ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [التوبة: 9]

9- لَقَدْ اسْتَبَدَلُوا بِأَوَامِرِ اللَّهِ وَعُهُودِهِ مَا تَهَوَّاهُ بِهِ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا وَزَخَارِفِهَا وَشَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ، وَمَنَعُوا النَّاسَ مِنْ اتِّبَاعِ دِينِ اللَّهِ، فَبئسَ مَا قَامُوا بِهِ مِنْ عَمَلٍ.

{ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ } [التوبة: 10]

10- إِنَّهُمْ لَا يُرَاعُونَ فِي مُؤْمِنٍ أَصُولَ قَرَابَةٍ، وَلَا حُقُوقَ عَهْدٍ، فَإِذَا ظَفَرُوا بِهِ قَتَلُوهُ، وَإِنَّ شَأْنَهُمُ الْاِعْتِدَاءُ، بِالظُّلْمِ وَنَقْضِ الْعَهْدِ.

{ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَأِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُقِصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

يَعْلَمُونَ } [التوبة: 11]

11- فَإِنْ رَجَعُوا عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَنَقَضِ الْعَهْدِ وَمُحَارَبَةِ الْإِسْلَامِ، وَقَامُوا بِفُرُوضِ الدِّينِ، فَأَدَّوْا الصَّلَاةَ، وَأَعْطَوْا الزَّكَاةَ، فَهُمْ إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ، لَهُمْ مَا لَكُمْ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْكُمْ. وَنَبِيٌّ تَفَاصِيلَ الْأَحْكَامِ وَالْأُمُورِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْمُشْرِكِينَ وَأَحْوَالِ الْحَرْبِ، لِمَنْ يَتَأَمَّلُ فِيهَا وَيَفْكَرُ، وَيَعْتَبِرُ بِهَا فَيَعْمَلُ.

{ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ } [التوبة: 12]

12- فإذا لم يفعلوا ذلك ونقضوا عهدهم بعدما عقدوه ووثقوه، وعابوا دينكم وقد حوا فيه، فقاتلوا رؤوس المشركين وقادة الكفر، فلا أمان لهم على ميثاق، ولا وفاء لهم بعهد، ولعلهم بذلك يكفون عن الطعن في دينكم، ويرجعون عما هم فيه من الكفر والضلال.

{ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّوْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ اتَّخَشَوْهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [التوبة: 13]

13- ألا تقاتلون المشركين الذين خاؤوا عهدهم في صلح الحديبية وغيره، واجتمعوا في دار الندوة وحاولوا إخراج الرسول من مكة، فقدّر الله له الهجرة بتدبير من عنده، وهم الذين بدّوكم بالمعاداة، بينما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوهم بالحسنى ويلزمهم الحجّة بالكتاب وبالتحدّي، وهم الذين قاتلوكم أوّل مرّة يوم بدر، وقد قالوا بعد أن بلغهم سلامة القافلة: لا ننصرف حتى نستأصل محمداً ومن معه.

أتركون حربهم خوفاً من أن ينالكم مكروه منهم؟ فلا تخشوهم، والله أحق أن يخشى من سبطه وعقابه إذا خولف أمره، فبيده الأمر كله، فقاتلوا أعداءكم المشركين، إذا كنتم مؤمنين بأنّ النفع والضّرّ بيد الله وحده، وأنّه لا يخشى إلاّ منه.

{ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَبْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ } [التوبة: 14]

14- حاربوهم أيها المسلمون، يفتلهم الله بأيديكم، ويذللهم بالأسر تحت أيديكم، ويعذبكم عليهم، ويؤزى صدور طائفة من المؤمنين، لما نالهم من الظلم والأذى من قبلهم.

{ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [التوبة: 15]

15- وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ⁽⁴⁷⁾ بقتل أعدائهم وإذلالهم، الذين كانوا يُعذِّبُونَهُمْ، ويأخذون أموالهم، ويقَاتِلُونَهُمْ. وَيَعْفِرُ اللَّهُ لِمَنْ تَابَ مِنْ كُفْرِهِ، بهداية مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، وَقَدْ عَلِمَ اسْتِعْدَادَهُمْ لِلْإِيمَانِ، وَعَزَمَهُمْ عَلَى اتِّبَاعِ دِينِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمَ بِمَا يُصْلِحُ شَأْنَهُمْ، حَكِيمٌ، يَقْدِرُ مَا فِيهِ مَصْلَحَةُ عِبَادِهِ.

{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَأَنْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [التوبة: 16]

16- أَمْ ظَنَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تُهْمَلُوا وَلَا تُحْتَبَرُوا بِمَا يُظْهِرُ قُوَّةَ إِيْمَانِكُمْ وَإِحْلَاصَكُمْ لِدِينِكُمْ، فَيَتَّخِذَ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ، وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ بَطَانَةً وَأَصْحَابَ سِرِّ يُوَالُوهُمْ وَيَتَلَقَّوْنَ مِنْهُمْ الْأَمْرَ، بَلْ هُمْ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ سَوَاءٌ، يُوَادُّونَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَكُونُونَ فِي صَفِّهِمْ دَائِمًا؟ وَهُوَ سُبْحَانَهُ عَالِمٌ بِشُؤُونِكُمْ، مَطَّلَعٌ عَلَى أَسْرَارِكُمْ.

{ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ } [التوبة: 17]

17- لَا يَنْبَغِي لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا بِيُوتَ اللَّهِ الَّتِي بُنِيَتْ عَلَى اسْمِهِ وَحَدَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ⁽⁴⁸⁾، وَهُمْ يَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُمْ

(47) { غَيْظًا قُلُوبِهِمْ } : كَرَّهَا وَوَجَدَهَا. (البغوي). الغيظ: الغضب المشوب بإرادة الانتقام. والمراد بذهاب الغيظ استراحتهم من تعب الغيظ، وتحرق الحقد. (ينظر التحرير والتنوير).

(48) عَمَّرَ الْمَسَاجِدَ: الْعِبَادَةُ فِيهَا؛ لِأَنَّهَا إِنَّمَا وُضِعَتْ لِلْعِبَادَةِ، فَعَمَّرَهَا بِمَنْ يَحِلُّ فِيهَا مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ، وَمِنْ ذَلِكَ اشْتَقَّتِ الْعُمْرَةُ. (التحرير والتنوير).

يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ، فيقولون: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكاً هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ. سَبْحَانَهُ. فهؤلاء قَدْ بَطَلَتْ أَعْمَالُهُمْ؛ لِشُرْكَهُمْ، فَلَا يُعْتَدُّ بِهَا، وَعَقُوبَتُهُمْ أَنْ يُعَدَّبُوا فِي النَّارِ مُؤَبَّدِينَ فِيهَا.

{ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } [التوبة: 18]

18- إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ حَقًّا بِمَا يُرْضِيهِ سُبْحَانَهُ، مَنْ آمَنَ بِهِ وَاحِدًا لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِیَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَا فِيهِ مِنْ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ، وَوَاطَبَ عَلَىٰ آدَاءِ الصَّلَاةِ كَمَا شَرَعَهَا اللَّهُ، وَأَعْطَى الْمِحْتَاجِينَ مِنَ الْمَالِ الْمُسْتَحَقَّ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَخَفْ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، فَلَمْ يَعْبُدْ سِوَاهُ، وَلَمْ يَأْتِزْ بِغَيْرِ أَمْرِهِ، فَأُولَٰئِكَ السَّائِرُونَ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ، الْفَائِزُونَ بِالْجَنَّةِ.

{ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [التوبة: 19]

19- أَجَعَلْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَخِدْمَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، كإِيمَانِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَجِهَادِ مَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ لَيْسُوا سِوَاهُ، فَالْآخِرُ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ، مَعَ فَضْلِ فِي الْأَوَّلِ لَا يُنْكَرُ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَهْدِي مَنْ انْهَمَكَ فِي الضَّلَالِ، وَأَصْرًا عَلَى الْخَطَا. وَقَدْ كَانَ حَدِيثٌ بَيْنَ بَعْضِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حَوْلَ ذَلِكَ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ وَبَيَّنَّتْ أَنَّ الْجِهَادَ أَفْضَلَ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ.

{ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } [التوبة: 20]

20- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ لِنُصْرَةِ دِينِهِ، وَبَدَلُوا مُهَجَّهُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِهِ، هُمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً، وَأَرْفَعُ شَأْنًا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الَّذِينَ افْتَحَرُوا بِمَا دُونَ ذَلِكَ، وَأَتَرُوا

السَّقَايَةَ وَالْعِمَارَةَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَأَوْلَاكَ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُجَاهِدُونَ هُمُ الَّذِينَ حَازُوا الْخَيْرَ
وَالدَّرَجَاتِ الْعُلْيَا.

{ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ } [التوبة: 21]

21- وهؤلاء مِيزَةٌ كُبْرَى، فَإِنَّ رَبَّهُمْ يُبَشِّرُهُمْ فِي يَوْمِ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ بِالرَّحْمَةِ وَالْأَمْنِ، وَالرِّضَا
وَالْعَافِيَةِ، وَجَنَّاتٍ عَالِيَةٍ فِيهَا النَّعِيمُ الدَّائِمُ، مِنْ كُلِّ مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ.

{ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ } [التوبة: 22]

22- مَعَ خُلُودٍ دَائِمٍ فِي تِلْكَ الْجَنَّاتِ الرَّائِعَةِ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ كَرِيمٌ، يُثَبِّتُ عَلَى الْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ
أَضْعَافَهَا، وَيَذَخِّرُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَحْسَنَ الْأَجُورِ وَأَجَلَ الْعَطَايَا.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ

وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [التوبة: 23]

23- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تُؤَادُّوا وَتُؤَالُوا أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ إِذَا آثَرُوا الْكُفْرَ عَلَى
الْإِيمَانِ، وَأَصْرُوا عَلَى مُعَادَاةِ الْإِسْلَامِ وَمُحَارَبَةِ أَهْلِهِ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ. وَمَنْ تَوَلَّاهُمْ
وَأَتَّخَذُوهُمْ أَصْدِقَاءَ، وَآثَرُوا الْمَقَامَ مَعَهُمْ عَلَى الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ، فَإِنَّهُمْ مُتَعَاوِزُونَ وَمَتَعَدُّونَ لِمَا
حَدَّهُ اللَّهُ، مُؤَثِّرُونَ هَوَاهُمْ عَلَى أَمْرِ رَبِّهِمْ.

{ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ

تُخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا

حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } [التوبة: 24]

24- قُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ لِأَصْحَابِكَ، وَخَاصَّةً مَنْ أَسْلَمَ وَلَمْ يُهَاجِرْ تَمَسُّكَاً بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ: إِذَا كَانَ

آبَاؤُكُمْ، وَأَبْنَاؤُكُمْ، وَإِخْوَانُكُمْ، وَأَزْوَاجُكُمْ، وَذُؤُوقَرَابِيتِكُمْ مِنْ عَشِيرَتِكُمْ، وَأَمْوَالٌ حَصَلَتْكُمْ،

وَأُمَّتَةٌ وَعُرُوضٌ اشْتَرَيْتُمُوهَا لِلتِّجَارَةِ، تُخَافُونَ فَوَاتَ رَجِحِهَا بَقَوَاتٍ وَقَتِ رَوَاجِحِهَا، وَقُصُورٌ وَمَنَازِلُ

تَسْتَطِيبُونَهَا وَتُحِبُّونَ الْإِقَامَةَ فِيهَا، إِذَا كَانَ هَذَا كُلُّهُ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِمَّا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، وَمَنْ

الجهاد في سبيل دينه وإعلاء كلمته، فانتظروا حتى يأتي الله بعقوبته وينكل بكم، والله لا يوفق من خرج عن طاعته، ووالى المشركين، وقدم هواه على دينه.

{ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ } [التوبة: 25]

25- وقد نصركم الله أيها المؤمنون في مواضع كثيرة من الحروب. وفي غزوة حنين -وهي وادٍ بين مكة والطائف - بعد فتح مكة، تجمعت ثقيف وهوازن وغيرها لمحاربتكم، وكنتم في عددٍ كثير، أضعاف عدد المشركين، فأعجبكم ما أنتم عليه من كثرة، حتى قال بعضكم: لن نُغلب اليوم عن قلة، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووكلكم الله إلى أنفسكم، لتعلموا أن ما كان من نصر فهو بتأييده وتقديره. وبينما حملتم على المشركين في أول الأمر، إلا أنكم لم تثبتوا من بعد، فهربتم، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بقي معه، فلم تنفعكم تلك الكثرة شيئاً، وضاقت عليكم الأرض بسعتها، لا تدرُونَ أين تهربون، من الخوف والرعب، ثم ولَّيْتُم الكفارَ ظهوركم مُنهزمين.

{ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَاكِنَاتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ } [التوبة: 26]

26- ثم أنزل الله بعد الهزيمة أمنه ورحمته على رسوله وعلى المجاهدين، وأنزل ملائكته الذين لم تروهم، لتشجيع المسلمين وتقويتهم، ولإلقاء الرعب في قلوب المشركين، وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر وسبي العيال والأموال، وهذا جزاء من آثر الكفر على الضلال، وحارب الله ورسوله.

{ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [التوبة: 27]

27- ثم يتوب الله - من بعد أن أذاقهم ذل الهزيمة - على من شاء أن يتوب عليهم، فيهديهم إلى الإسلام، والله يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والحرب، ويرحمهم ويثيبهم على أعمالهم الطيبة.

ثُمَّ قَدِمَتْ هَوَازِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسْلَمَتْ، فَأَعَادَ إِلَيْهِمْ سِتَّةَ آلَافٍ
أَسِيرٍ، وَأَكْرَمَ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ بِالْعَطَاءِ لِيَتَأَلَّفَ قُلُوبَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ وَاحِدًا مِنْهُمْ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ
خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [التوبة: 28]

28- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدِرُونَ، لَا يَتَطَهَّرُونَ وَلَا يَغْتَسِلُونَ، وَلَا يَتَجَنَّبُونَ النِّجَاسَاتِ،
وَهُمْ فَاسِدُو الْعَقِيدَةِ حَبِيثُو الْبَاطِنِ، فَلَا تَسْمَحُوا لَهُمْ بِالِاقْتِرَابِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بَعْدَ هَذَا
الْعَامِ، التَّاسِعِ لِلْهِجْرَةِ.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ - وَاللَّفْظُ لَهُ - قَوْلُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعَثَهُ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي أَمَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا قَبْلَ حَجَّةِ الْوُدَاعِ، يَوْمَ
النَّحْرِ، فِي رَهْطٍ، يُؤَدُّنُ فِي النَّاسِ: أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكًا، وَلَا يَطُوفَنَّ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا. اهـ.
وَإِذَا خَشِيتُمْ فَقْرًا وَفَاقَةً بِسَبَبِ مَنَعَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ ذَلِكَ، حَيْثُ كَانُوا يَجْلُبُونَ مَعَهُمْ إِلَى مَكَّةَ
الْعُرُوضِ وَالْأَطْعِمَةَ لِلتَّجَارَةِ، فَيَتَبَادَلُونَ مَعَهُمُ التَّجَارَةَ، وَيَشْتَرُونَ مِنْهُمْ الْأَطْعِمَةَ، إِذَا خَشِيتُمْ
ذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ يُغْنِيكُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَيَتَفَضَّلُ عَلَيْكُمْ بِالرِّزْقِ مِنْ أَبْوَابٍ أُخْرَى، بِالْمَطَرِ، وَفَتْحِ
الْبِلَادِ، وَالْغَنَائِمِ، وَعَائِدِ الْجَزْيَةِ، وَمَا إِلَيْهِ، إِنْ شَاءَ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِأَحْوَالِكُمْ وَمَصَالِحِكُمْ،
حَكِيمٌ فِي أَمْرِهِ وَعَطَائِهِ وَمَنْعِهِ، فَيُعْطِي مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ. وَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ، فَأَنْعَمَ
وَتَفَضَّلَ.

{ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا
يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ }
[التوبة: 29]

29- قَاتِلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْ دِينِ اللَّهِ - وَكَانَ ذَلِكَ تَمْهِيدًا لِعَزْوِ الرُّومِ
وَعَمَّالِهِمْ مِنَ النَّصَارَى الْعَرَبِ - الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ إِيمَانًا صَاحِحًا، كَمَا
سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي آيَاتٍ تَالِيَةٍ، فَقَدْ قَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ بْنُ اللَّهِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ،
وَهَذَا لَا يَكُونُ إِيمَانًا بِاللَّهِ، بَلْ هُوَ آرَاءُ فَاسِدَةٌ وَأَهْوَاءُ زَائِعَةٌ.

ولا يجرِّمونَ ما حرَّم اللهُ ورُسُولُهُ كما أوحَى اللهُ به، فأحلُّوا الرِّبَا، وأكلوا أموالَ الناسِ بالباطلِ، وأحلُّوا لحمَ الخنزيرِ، والخمرِ...

ولا يتَّبعونَ الدِّينَ الثابتَ الذي أمرَ اللهُ به، وهو الإسلامُ، فهم لا يتعاملونَ بشريعةِ اللهِ، بل يتلقَّونَ الأحكامَ مِن أبحارِهِم ورهبانِهِم.

فقاتلوهُم، فهم حربٌ على دينِ اللهِ الصَّحيحِ. وهم مُعتدونَ حَقِيقَةً، فهم يَعتدونَ على ألوهيَّةِ اللهِ الخالقِ العَظيمِ، وهم يَعتدونَ على عبادِ اللهِ بتعبيدِهِم لغيرِ اللهِ. والمعتدي يُقاومُ ويُحاربُ. فقاتلوهُم حتَّى يُعلِنوا استسلامَهُم ويدفعوا الجزيةَ المستَحَقَّةَ عليهم عن انقيادٍ وطاعةٍ وهم أذلةٌ مَقهورونَ، ومَن أسلمَ منهم عن اختيارٍ فلا تُؤخَذُ منه الجزيةُ، بل صارَ كأيِّ مُسلمٍ، له ما له، وعليه ما عليه. وإنَّ فتحَ البلادِ الكافِرةِ يُعطي مجالاً لبيانِ دينِ اللهِ الحَقِّ ضدَّ الإعلامِ المُضللِ الذي يُثيرُ حوله الشُّبهاتِ والشُّكوكَ، ثم لا يُكرَهُ أحدٌ على الإسلامِ، فمن شاء آمنَ، ومن شاء بقيَ على دينِهِ ودفعَ الجزيةَ، وهو مبلغٌ قليلٌ يُؤخَذُ منهم مقابلَ حمايتِهِم. ويُبيِّنُ لهم دينَ الإسلامِ ويدعونَ إليه قَبْلَ بدءِ القتالِ.

وأمرُ الجهادِ موكولٌ إلى الإمامِ واجتهاده، لأنَّه أعرَفُ بحالِ النَّاسِ، وبحالِ العدوِّ ونكائيتِهِم.

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ

يَضَاهُؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } [التوبة: 30]

30- وهذه حالُ أهلِ الكتابِ ومقاتلتِهِم، لِيُعلمَ كيفَ انتظَموا في سلكِ المشركينَ، فقد قالتِ اليهودُ: إنَّ عُزَيْراً هو ابنُ اللهِ، تعالى اللهُ عن ذلك. وهو عِزْرَا، الملقَّبُ بالكاتبِ، وكان حافِظاً للتوراةِ، استنسخها اليهودُ مِن فيه بعدَ مقتلِ حَمَلَتِها، وماتَ بعدَ موسى عليه السَّلامُ بنحوِ ألفِ عامٍ. وقالتِ النَّصارَى: المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ ابنُ اللهِ، سُبْحانَهُ وتعالى. فهذا قولُهُم بألسنتِهِم مِن غيرِ أن يَعضُدَهُ برهانٌ ولا مُستند، ولا يُصدِّقُهُ عقلٌ، بل هو كَذِبٌ افتروهُ واحتلَّقوه مِن عندهم جَهلاً وعناداً، يُشاهونَ بذلكَ قولَ المشركينَ مِن قَبْلُ، الذينَ قالوا إنَّ الملائكةَ بناتُ اللهِ! لعنَهُم اللهُ وأهلكَهُم، كيفَ يُصِرُّونَ عن الحَقِّ والأدلةِ عليه ظاهِرِهِ، ويَصِرُّونَ إلى الضَّلالِ والأدلةِ على بطلانِهِ واضحة؟! قد تشابَهتْ قلوبُهُم في الكفرِ والبُطلانِ.

{ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَاءَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } [التوبة: 31]

31- وَمِن كُفْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ اتَّخَذُوا عُلَمَاءَهُمْ وَرُؤَسَاءَهُمْ أَرْبَابًا يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، بَأْنَ أَطَاعُوهُمْ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَتَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ.

وعندما قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَمْ يَعْبُدُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَاءَهُمْ، قَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "بلى، إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ، وَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ".

وهذا تَفْسِيرُ نَبِيِّ اللَّهِ لِمَعْنَى الْعِبَادَةِ، وَلِبَيَانِ أَحَدِ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ، فَلْيُقَسِّنْ عَلَيْهِ مَا هُوَ مِنْ مِثْلِهِ، مِنْ أَوْامِرٍ وَأَحْكَامٍ مُخَالَفَةٍ لِلْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ. وَهِيَ كَثِيرَةٌ فِي عَصْرِنَا.

وكذا جعلَ النَّصَارَى نَبِيَّ اللَّهِ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ابْنًا لِلَّهِ، وَاتَّخَذُوهُ رَبًّا يَعْبُدُونَهُ مَعَهُ.

وقد أُمِرُوا عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْكُتُبِ الْمُنزَلَةِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، إِلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا إِلَهًا وَاحِدًا، وَلَا يُطِيعُوا إِلَّا أَمْرَهُ، فَهُوَ الَّذِي يَشْرَعُ فَيُطَاعُ، وَإِذَا حَلَّلَ شَيْئًا فَهُوَ الْحَلَالُ، وَإِذَا حَرَّمَ فَهُوَ الْحَرَامُ، هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، لَا رَبَّ سِوَاهُ، فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا هُوَ، تَنْزَهُ وَتَقَدَّسَ عَنِ الشُّرَكَاءِ وَالْأَوْلَادِ.

{ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } [التوبة: 32]

32- يُرِيدُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ، مِنَ الْمَشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ، أَنْ يُطِيلُوا التَّوْحِيدَ، وَيَرُدُّوا مَا بُعِثَ بِهِ رَسُولُهُ مِنَ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، بِجِدَالِهِمْ وَأَقْوَابِهِمُ الْبَاطِلَةَ، كَمَا يَسْعَى أَحَدُهُمْ لِإِطْفَاءِ نُورِ الشَّمْسِ أَوْ الْقَمَرِ، وَسَوْفَ يَنْشُرُ اللَّهُ دِينَهُ الْحَقَّ، وَتَصِلُ أَنْوَارُهُ إِلَى أَنْحَاءِ الْأَرْضِ، كَمَا تَصِلُ إِلَيْهَا أَشْعَةُ الشَّمْسِ، وَلَوْ كَرِهَ ذَلِكَ الْكَافِرُونَ، وَحَاولُوا مَنَعَهُ بِمَا يَسْتَطِيعُونَ مِنْ مَالٍ وَإِعْلَامٍ، وَجُنْدٍ وَسِلَاحٍ.

{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } [التوبة: 33]

33- هو الله الحق الذي بعث نبيّه محمّداً صلى الله عليه وسلم بالقرآن المبين لهداية الناس، وبالدين الثابت الصحيح، ليعليه على سائر الأديان، بنسخه إياها، والإبقاء على الصحيح، ولو كره ذلك أعداء الدين، ودفعوه بما يقدرون عليه.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } [التوبة: 34]

34) أيها المؤمنون، إن كثيراً من علماء اليهود والنصارى يتحلّون عن أحكام دينهم بقبول أموال محرّمة عليهم من الناس، فهم يأخذون الرشوة، ويقبلون الهدايا، ويُغيّرون لأصحابها شرع الله الحق، أو يخفّفون أحكامه عنهم، أو يُسامحونهم فيها، وهم يمنعون الناس من اتباع دين الله، بإثارة الشبهات الباطلة حوله، وبكتم ما أمروا بالتبشير به من مبعث رسوله، وتحريف الأخبار حوله، ويقولون إنّه ليس النبيّ المبتسّر به، وهم يعرفون أنّ الصفات الواردة فيه عندهم منطبعة عليه تماماً، ويعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم. والمقصود: التحذير من علماء السوء، الذين يعرفون الحقّ ويكتمونه، أو يُحرفونه، فيخونون الله بذلك.

قال سفيان بن عيينة رحمه الله: من فسّد من علمائنا كان فيه شبهة من اليهود، ومن فسّد من عبّادنا كان فيه شبهة من النصارى.

والذين يجمعون الأموال، من ذهبٍ وفضّةٍ وثقود، ويحصرّون على حفظها عندهم، ولا يدفعون المستحقّات المترتبة عليها للفقراء واليتامى والمعوزين كما حدّده الشرع، فبشرهم بعقابٍ شديدٍ مؤلم.

{ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذَوْقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ } [التوبة: 35]

35- في ذلك اليوم الرّهب، تُوقد النيران الشديدة بجهنّم على ما كنزوه من الذهب والفضّة، لتكوى بها جباههم التي كانوا يرفعونها افتخاراً بالمال، ونواحيهم التي سمّنت من الشبع،

وظهورهم التي أداروها للفقراء؛ إعراضاً عنهم وعن حقوقهم، ويُقال لهم تَبَكَيْتاً وتَقْرِيعاً: هذه هي نَتِيحَةُ ما كَنَزْتُمْ لمنفعةِ أنفسِكُمْ ولم تُنْفِقوها في سَبِيلِ الله، فذوقوا جزاءَ ذلك، وليكونَ أعزُّ الأشياءِ عليكم في الدُّنيا، أضرَّها عليكم في الآخِرة.

{ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } [التوبة: 36]

36- إِنَّ عِدَّةَ شُهُورِ السَّنَةِ فِي حُكْمِ اللَّهِ، الذي أوجبَ على عِبَادِهِ الأخذَ به، هو اثنا عشر شهراً - وهي الشُّهُورُ القَمَرِيَّةُ المعروفةُ - كما في اللُّوحِ المحفوظ، منها أربعةُ أشهرٍ حُرْمٌ، هي: محرَّم، ورجب، وذو القعدة، وذو الحجة، ذلك هو الشرعُ المستقيمُ الذي لا يُعَيَّرُ ولا يُبَدَّلُ، فلا تَظْلِمُوا أنفُسَكُم وتعرِّضوها لعِقَابِ اللَّهِ بارتكابِ ما حُرِّمَ فيهنَّ، بل تكونَ مُدَّةَ سَلامٍ وأمان.

وقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كُلَّهُم، فإنَّهم يقاتلونَ المُسلمينَ جميعهم ولا يستثنونَ منهم أحداً، فهي معركةٌ بينَ الإيمانِ والشُّركِ، وبينَ الحقِّ والباطلِ. واعلموا أيُّها المُسلمونَ أَنَّ اللَّهَ مَعَ عِبَادِهِ المُتَّقِينَ بالولاية والنَّصر، فاتَّقُوا اللَّهَ لتَفوزوا بذلك.

وأشهرُ الأقوالِ على أَنَّ حُرْمَةَ القِتالِ في هذه الأشهرِ الأربعةِ مَنسوخة، بدلائلٍ أُخرى، منها قوله تعالى: { فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ } [التوبة: 5]. والله أعلم.

وتبقى حُرْمَةُ الأشهرِ المذكورةِ واردة، لارتباطها بتوقيتِ الحجِّ، ولأنَّ المعاصي والآثامَ فيها أبلغُ وأغلظُ، وليبتعدَ المُسلمونَ عن الزيادةِ والنقصِ فيها، كما في الآية التالية.

{ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَ عَامًا وَيُحَرِّمُونَ عَامًا لِيُؤَاظَمُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } [التوبة: 37]

37- إِنَّمَا الزيادةُ في عددِ شُهُورِ السَّنَةِ، أو عددِ أَيَّامها، كما كانَ يفعلُهُ العَرَبُ الجاهليُّونَ، لِيَسْتَحِلُّوا بها الحربَ، إِنَّمَا هي زيادةٌ في الكُفْرِ على كُفْرِهِم، ففيها إحلالٌ لِمَا حَرَّمَ اللَّهُ، ومخالفةٌ

لشعره، وكُفِّرَ في الاعتقاد، يُضَلُّ بها المشركون على إضلالهم، ويُخَدَعُونَ بما فيها من تلاعبٍ وتحريف. يُجَلُّونَ الشهرَ المؤخَّرَ عاماً من الأعوام، ويحرمون مكانه شهراً آخر مما ليس بحرام، ليوافقوا بالشَّهرِ الحلالِ الذي حرَّموه ما كان حراماً من الأشهرِ الأربعة، حتَّى يدفَعوا عن أنفسهم إثمَ ما قاموا به من حرب، بزعمهم. ورأوا أنَّهم بذلك قاموا بعملٍ حسن، وظنُّوا الانحرافَ استقامة، والغواية هداية، والله لا يهدي من ابتعد عن دلائل الهدى، وأصرَّ على الكُفْرِ.

وكانوا في الجاهليَّةِ على أنحاء: منهم من يُسمِّي المحرَّم صَفْراً فيُحِلُّ فيه القتال، ومُحرَّم القتال في صَفْرٍ ويُسمِّيهِ المحرَّم، ومنهم من يجعل ذلك سنَّةً هكذا وسنَّةً هكذا...

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ } [التوبة: 38]

38- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ اخْرُجُوا إِلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، تِبَاطُؤْتُمْ وَتَكَاسَلْتُمْ، وَكَرِهْتُمْ مَشَاقَّ الْجِهَادِ وَمَتَاعَهُ فِي الْحَرِّ، وَمِلْتُمْ إِلَى الْإِقَامَةِ وَالرَّاحَةِ، وَالتَّمَتُّعِ بِالشَّهَوَاتِ الدُّنْيَا وَالثَّمَارِ النَّاصِحَةِ! (وكانت الغزوة في وقت نُضُوجِهَا). أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ مِنَ الْآخِرَةِ وَنَعِيمِهَا الدَّائِمِ؟ فَإِنَّ الْإِسْتِمْتَاعَ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِذَائِهَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْحَيَاةِ الْآخِرَى قَلِيلٌ لَا يُذَكَّرُ، وَحَقِيرٌ لَا يُعْبَأُ بِهِ.

{ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [التوبة: 39]

39- وَإِذَا لَمْ تَخْرُجُوا إِلَى الْجِهَادِ الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَوْفَ يَعَاقِبُكُمْ بِهَلَاكِ، أَوْ قَحْطٍ، أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْعُقُوبَاتِ الْمُؤَلِّمَةِ الشَّدِيدَةِ، وَيَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْكُمْ يَجَاهِدُونَ مَعَ رَسُولِهِ، فَيُطِيعُونَهُ وَيَنْصُرُونَهُ، وَيُؤَثِّرُونَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَلَنْ تَضُرُّوا اللَّهَ بِتَخَلُّفِكُمْ عَنِ الْجِهَادِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى نَصْرِ عِبَادِهِ مِنْ دُونِكُمْ، وَاللَّهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى هَذَا وَغَيْرِهِ، لَكِنَّ الضَّرَرَ يَعُودُ عَلَيْكُمْ.

{إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 40]

40- فإذا لم تستجيبوا لنداء رسوله إلى الجهاد وأيستم نصره، فإن الله ناصرته ومؤيده، كما تولى نصرته عندما تسبب الكفار في إخراجهم من مكة، فأذن له بالخروج من بينهم عام الهجرة إلى المدينة، ومعه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وكان يخاف عليه من المشركين، الذين تتبعوا أثره ليقتلوه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وهو يسكنه ويثبتته: "يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟"

فأنزل الله أمته وطمانينته على رسوله، وأيده بالملائكة يحرسونه ويثبتونه، وأحبط تدبير الكفار ومكرهم، وأفشل مؤامرتهم في قتله، وجعل كلمتهم التي اجتمعوا عليها هي السفلى والخاسرة، رغم أنوفهم، فنجاه الله وأبلغه مأمته، ورجعوا هم خائبين خاسرين، وكلمة الله في الحق، والتوحيد، هي العليا، لا تنزل، ولا يعلو عليها شيء، فالحق لا يتغير، والصحيح لا يكون باطلاً.

والله عزيز في انتقامه لا يغالب، حكيم فيما يأمر ويدبر، لا يراجع فيه.

{انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [التوبة: 41]

41- اخرجوا إلى الجهاد على أي حال كنتم، شباباً وكهولاً، فقراء وأغنياء، في نفير عام دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمقاتلة الروم. وجاهدوا بما عندكم من مال، من شراء السلاح وتزويد المجاهدين به، وبأنفسكم تبعونها لله، فهو خير لكم عند ربكم عاقبة ومالاً. وذكر بعض المفسرين أن هذه الآية منسوخة، ورد أن هذا يخص النفير العام.

{لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ السُّفَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [التوبة: 42]

42- لو كَانَ مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ أَيْهَا النَّبِيُّ غَنِيمَةً قَرِيبَةً مِنَ الْمَنَالِ، وَسَفَرًا هَيِّنًا غَيْرَ بَعِيدٍ، لَخَرَجَ مَعَكَ الَّذِينَ اسْتَأْذَنُوا مِنْكَ وَأَظْهَرُوا أَنَّهُمْ ذُووُ أَعْدَارٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَلَكِنْ لَمَّا بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسَافَةُ - إِلَى الشَّامِ - اعْتَدَرُوا.

وسيحلف هؤلاء المتخلفون بالله كذباً ويقولون: لو قَدَرْنَا عَلَى الْمَجِيءِ لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ إِلَى الْجِهَادِ، يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِهَذِهِ الْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ الَّتِي بَجَرْتَهُمْ إِلَى الْعَذَابِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِي حَلْفِهِمْ هَذَا.

{ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمِ الْكَاذِبِينَ } [التوبة: 43]

43- عفا الله عنك أيها النبي، لأي سبب أذنت لهؤلاء الخالفين بالتخلف عن الجهاد حين اعتدروا بعدم الاستطاعة؟ هلاً انتظرت وتأكدت من ذلك حتى ينجلي لك الأمر وتكشف الحال، فتعرف من صدق في الاعتذار ممن كذب؟!

{ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ } [التوبة: 44]

44- لا يستأذئك في العودة عن الغزو المؤمنون بالله واليوم الآخر، لأنهم يرون الجهاد قربة، وفرصة لإثبات شوقهم إلى الشهادة، فيبادرون إلى بذل أموالهم وفداء أنفسهم في سبيل الله، والله عليهم بمن يخشونه ويطلبون رضاه من عباده.

{ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَازْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ } [التوبة: 45]

45- إنما يستأذئك في التخلف عن الجهاد ممن لا عذر لهم، الذين لا يؤمنون بالله، ولا يرجون ثوابه في الدار الآخرة، وشكَّت قلوبهم في صحة ما جتتهم به، فهم في شكهم متحيرون مضطربون.

{ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ
الْفَاعِدِينَ } [التوبة: 46]

46- ولو أراد المتخلفون الخروج معك إلى الجهاد، لتأهبوا لذلك وأعدوا الرّاحلة والسّلاح وما يحتاج إليه المقاتل، ولكن كره الله أن يخرجوا معك لمعرفة بحقيقة ما هم عليه، فعوّقهم وأخّرههم، وقيل لهم: اقعدوا أيها الجبناء الكاذبون مع من لا يقدر على الجهاد، كالنساء والصبيان والمعوقين.

{ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا حِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ
لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } [التوبة: 47]

47- ولو أن هؤلاء المعتذرين المتخلفين خرجوا مخالطين لصفوفكم، لما زادوكم إلا عجزاً وجبناً، وشرّاً وفساداً، وغدراً ومكراً، لأنهم جبناء مخدولون، غير أوفياء ولا مخلصون، ولمشوا بينكم بالفتنة والنميمة فأوقعوا الخلاف بينكم، وبثوا الشائعات في صفوفكم، وهولوا أمر العدو في قلوبكم لتخافوهم، وفيكم من الضعفة من يقبل حديثهم ويصدقوهم، ويستحسنون حديثهم ويطيعوهم، والله عليهم بهؤلاء المتخلفين الظالمين، محيط بظواهرهم وبواطنهم، وقد أخبركم عن حالهم.

{ لَقَدْ ابْتِغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ
كَارِهُونَ } [التوبة: 48]

48- لقد سبق أن حاول المنافقون الإضرار بك وبالمسلمين، عندما فتنهم عن دينهم وصدوهم عن الإسلام، وعندما رجع رأس المنافقين بأصحابه يوم أُحد، وغير ذلك من موافقهم الدنيّة التي تدل على خيانتهم، من خلال مكائدهم، وتفريق أصحابك عنك، لإبطال أمرك، حتى جاء نصر الله، وغلب دينه، وعلا شرعه، على زعم أنوفهم، وهم كارهون لذلك، مُبغضون له.

{ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي اَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ
بِالْكَافِرِينَ } [التوبة: 49]

49- ومن المنافقين من يستأذن منك للعود عن الجهاد ضد الروم، ويقول في سبب ذلك: متى أرى نساء الروم أفتتن، فأذن لي ولا تفتني. لقد سقط هؤلاء وأمثالهم في الفتنة عندما قدموا اعتذارات كاذبة وتخلّفوا عن الجهاد، وإن أعمالهم تدل على أن جهنم تنتظرهم، لتجمّعهم فيها وتُسعر بهم.

{ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا
وَهُمْ فَرِحُونَ } [التوبة: 50]

50- ومن ظاهر عداوة المنافقين، أن الله إذا قدر لك نصراً وغنيمة في غزوة، ساءهم ذلك وحزنوا؛ لحسدِهِم وعداوتهم للإسلام، وإذا قدر عليك شدة قالوا: قد احتطنا لذلك وأخذنا حذرنا ففعدنا عن الغزو، ولولا ذلك لأصابنا ما أصابهم، ثم ينصرفون وهم مسرورون بما حلّ بالمسلمين!

{ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } [التوبة: 51]

51- قل لهم أيها النبي الكريم: لن يصيبنا شيءٌ أبداً إلا ما قدره الله علينا، فنحن تحت مشيئته وإرادته، لا يتغيّر أمرٌ بموافقتكم ومخالفتكم، وبمشاركتكم وانسحابكم، فهو ناصرنا وحافظنا، وملجؤنا وسيّد أمورنا، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون، فهو حسبهم ونعم الوكيل.

{ قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ
عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ } [التوبة: 52]

52- وقل لهم أيها النبي: هل تنتظرون بنا أيها المنافقون، إمّا الشهادة، وإمّا النصر على الأعداء، ونحن ننتظر بكم أحد العذابين: إمّا أن يهلككم الله كما أهلك أمماً سابقة، وإمّا أن

يَعِدُّبَكُم بِأَيْدِينَا بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَالسَّبْيِ، فانتظروا، إِنَّا معَكُمْ مُنْتَظِرُونَ، وَلَنْ يَجِدُوا إِلَّا مَا يَسْتُرُنَا وَيُحْزِنُكُمْ.

{ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ } [التوبة: 53]

53- قُلْ لَهُمْ: أَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ فِي مَتَطَلِّبَاتِ الْعَزْوِ طَائِعِينَ أَوْ كَارِهِينَ، فَلَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَلَنْ يُثَبِّتَكُمْ عَلَيْهِ فِي الْحَالَيْنِ، فَقَدْ كُنْتُمْ مُتَمَرِّدِينَ خَارِجِينَ عَنِ الطَّاعَةِ، رَافِضِينَ لِحُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

{ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ } [التوبة: 54]

54- وَمَا مَنَعَ قَبُولَ نَفَقَاتِهِمْ شَيْءٌ مِّنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا كَفْرُهُمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبُهُمْ رَسُولَهُ، وَلَا تُقْبَلُ الْأَعْمَالُ إِلَّا بِالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ، وَهُمْ لَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِمْ فِي حَالٍ مِّنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا وَهُمْ مُتَشَاوِلُونَ، لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ عَلَى أَدَائِهَا ثَوَاباً، وَلَا يَخَافُونَ عَلَى تَرْكِهَا عِقَاباً، وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً فِي الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ لِذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ يَعُدُّونَهُ خَسَارَةً لَا مَغْنَمًا، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ الْأَعْمَالَ إِلَّا عَنِ طَيْبِ نَفْسٍ وَعَقِيدَةٍ صَحِيحَةٍ.

{ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ } [التوبة: 55]

55- فَلَا يَرْفُقُ شَيْءٌ مِّنْ أَمْوَالِهِمْ وَلَا أَوْلَادِهِمْ، وَلَا تَسْتَحْسِنُ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ مِّنَ اللَّهِ لَهُمْ، لِيَكُونَ ذَلِكَ كُلُّهُ وَبَالاً عَلَيْهِمْ، وَعِقَاباً لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، مِمَّنْ تَعَبٍ فِي جَمْعِهِ، وَكَدِّ فِي تَحْصِيلِهِ، وَنَفَقَةٍ مِنْهُ لِلزَّكَاةِ وَالْجِهَادِ، دُونَ أَنْ يُثَابُوا عَلَيْهِ، وَمَقْتَلِ أَوْلَادِهِمْ فِي الْعَزْوِ، وَهُمْ لَا يَعْتَقِدُونَ اسْتِشْهَادَهُمْ وَلَا احْتِسَابَهُمْ وَاللِّقَاءَ بِهِمْ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ، فَيَكُونُ كُلُّ ذَلِكَ خَسْرَةً عَلَيْهِمْ، وَتَعْذِيباً نَفْسِيًّا لَهُمْ، وَأَكْثَرَ إِيْلَامًا لَهُمْ، وَلِتَخْرُجَ أَرْوَاهُهمُ وَيَمُوتُوا عَلَى كُفْرِهِمْ⁽⁴⁹⁾.

(49) { وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ } : يعني وتخرج أنفسهم، فيموتوا على كفرهم بالله، ووجودهم نبوة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم. (الطبري). أصل الزهوق: خروج الشيء بصعوبة. أي: فيموتوا كافرين مشغولين بالتمتع عن النظر

{ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لِمَنكُم وَمَا هُمْ مِنكُم وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ } [التوبة: 56]

56- وَيَخْلِفُ الْمَنَافِقُونَ خَلِيفًا مُّوَكَّدًا أَنَّهُمْ عَلَى دِينِكُمْ وَمُسْلِمُونَ مِثْلَكُمْ، وَقَدْ كَذَبُوا، فَمَا هُمْ مِنكُمْ، وَلَكِنَّهُمْ جَمَاعَةٌ يَخَافُونَ أَنْ يُظْهِرُوا حَقِيقَةَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالنَّفَاقِ، حَتَّى لَا تُعَامِلُوهُمْ مَعَامِلَةَ الْمُشْرِكِينَ وَتَقْتُلُوهُمْ، فَيُعْلِنُونَ إِسْلَامَهُمْ كَذِبًا، وَيُؤَيِّدُونَهُ بِالْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ.

{ لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ } [التوبة: 57]

57- وَلَوْ أَنَّهُمْ وَجَدُوا حِصْنًا يَتَحَصَّنُونَ بِهِ، أَوْ مَغَارَاتٍ فِي الْجِبَالِ يُخْفُونَ أَنفُسَهُمْ فِيهَا، أَوْ أَنْفَاقًا فِي الْأَرْضِ يَدْخُلُونَهَا، لَصَرَفُوا وُجُوهَهُمْ عَنْكُمْ وَأَقْبَلُوا إِلَيْهَا وَهُمْ يُسْرِعُونَ، لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ.

يعني: لو يجدون مخلصاً منكم ومهرباً لفارقوكم، فهم لا يؤدّون مخالطتكم، لأنهم ليسوا منكم.

{ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ

يَسْخَطُونَ } [التوبة: 58]

58- وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي تَقْسِيمِ الصَّدَقَاتِ، وَيَطْعَنُ عَلَيْكَ فِي تَوَازُعِهَا، لَا لِسَبَبٍ سِوَى مَصْلَحَتِهِمْ الْمَالِيَّةِ، فَإِذَا أُعْطِيَتْهُمْ مِنْ تِلْكَ الصَّدَقَاتِ قَدْرًا مَا يُرِيدُونَ رَضُوا وَفَرِحُوا وَشَكَرُوا لَكَ، وَإِذَا لَمْ تُعْطِهِمْ مِنْهَا غَضِبُوا وَلَمْ يَسْتَحْسِنُوا فِعْلَكَ.

وفي صحيح البخاري ما يُفيد أن هذه الآية نزلت في "خارجي" قال: اعدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. وَتَفْصِيلُهُ فِي "فتح الباري".

في العاقبة، فيكون ذلك لهم نعمة لا نعمة. (روح البيان). الزهوق: الخروج بشدة وضيق، وقد شاع ذكره في خروج الروح من الجسد. (التحرير والتنوير).

{ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ } [التوبة: 59]

59- ولو أنهم قنعوا بما قسم لهم الله ورسوله، وطابت نفوسهم بها، وقالوا: حسبنا الله وكافينا، سيعطينا الله من فضله ورسوله ما نحتاج إليه ونرجوه، فإننا راغبون في أن يوسع علينا من فضله وبركاته، ويغنيننا عن الصدقة وغيرها من أموال الناس، لكان ذلك خيراً لهم وأفضل.

{ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ
وَالْعَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [التوبة: 60]

60- إنما يكون تقسيم الزكوات وتوزيعها بحكم الله على الأصناف الثمانية التالية:
للفقراء المحتاجين الذين لا مال لهم ولا عمل.
والمساكين الذين لا يجدون ما يكفيهم.
والسعاة الذين يرسلون ليحصلوا الزكاة من الناس.
ولمن تجمّع قلوبهم ليسلموا، أو يثبتوا على إسلامهم.
وفي فك رقاب العبيد ليصبحوا أحراراً، وهم لا يقدرّون على دفع ما يلزمهم لأسيادهم لأجل ذلك. وذكر بعضهم أن المقصود أسارى المسلمين.
والصنف السادس هم الذين عليهم دين.
وللعزاة في سبيل الله، يُعطون الزكاة إذا أرادوا الخروج إلى الجهاد ليستعينوا بها على أمر الغزو، ولو كانوا أغنياء.
وللمنقطع في سفره.

وهذا التقسيم واجب فرضه الله، وهو عليم بأحوال الناس ومصالحهم ومستحقّاتهم، حكيم فيما يقسم ويُقدّر ويُسرّع.

{ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنَىٰ قُلُوبِنَا خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ
لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [التوبة:

[61]

61- ومن المنافقين مَنْ يُؤذِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ يُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ يُقَالُ لَهُ! وَإِذَا جِئْنَا وَحَلَفْنَا لَهُ صَدَّقْنَا! قُلْ لَهُمْ: هُوَ أَدْنُ فِي الْحَقِّ وَالْخَيْرِ، وَفِيمَا يَجِبُ سَمَاعُهُ وَقَبُولُهُ، وَلَيْسَ بِأَدْنٍ فِي غَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ يُصَدِّقُ بِاللَّهِ لِمَا ثَبَتَ عِنْدَهُ مِنَ الْأَدَلَّةِ وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَةِ عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ، وَيُصَدِّقُ لِلْمُؤْمِنِينَ لِمَا يَعْلَمُ فِيهِمْ مِنَ الْإِحْلَاصِ وَالصِّدْقِ وَعَدَمِ الْكُذْبِ. وَهُوَ رَحِمَةٌ لِمَنْ أَظْهَرَ الْإِيمَانَ مِنْكُمْ أَتَيْهَا الْمُنَافِقُونَ، حَيْثُ قَبِلَهُ مِنْكُمْ رِفْقًا بِكُمْ لَا تَصْدِيقًا مِنْكُمْ، وَلَمْ يَكْشِفْ أَسْرَارَكُمْ، وَلَمْ يَهْتِكْ أَسْتَارَكُمْ. وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنَ الْإِيذَاءِ، فَلَهُمْ عِقَابٌ شَدِيدٌ مَوْءُومٌ، لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ إِلَّا اللَّهُ.

{ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ } [التوبة:

[62

62- وهؤلاء المنافقون يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ أَكْدَ الْخَلْفِ، وَيُؤْذُونَ مَا يَتَذَرَعُونَ بِهِ مِنْ أَعْدَارٍ، بِأَتَمِّ مَا نَطَقُوا بِكُفْرٍ، وَلَا آذُوا بِلِسَانٍ، وَلَا اجْتَمَعُوا عَلَى شَرٍّ، وَلَا هُمُومًا بِفَسَادٍ، لِيُرْضَوْكُمْ بِذَلِكَ. وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ بِالْإِرْضَاءِ مِنْ غَيْرِهِ⁽⁵⁰⁾، مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقَلْبِ، وَالصِّدْقِ فِي الْقَوْلِ، وَالطَّاعَةِ فِي الْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَالتَّسْلِيمِ بِالْأَمْرِ، إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا صَادِقًا فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، فَإِنَّ هَذَا يَقُودُهُمْ إِلَى إِرْضَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

(50) { يُرْضَوْهُ } : إما للتعظيم للجناب الإلهي بإفراده بالذكر، أو لكونه لا فرق بين إرضاء الله وإرضاء رسوله، فأرضاء الله إرضاء لرسوله، أو المراد: الله أحق أن يُرضوه ورسوله كذلك، كما قال سيبويه، ورجحه النحاس، أو لأن الضمير موضوعٌ موضع اسم الإشارة، فإنه يشار به إلى الواحد والمتعدد، أو الضمير راجع إلى المذكور، وهو يصدق عليهما. وقال الفراء: المعنى: ورسوله أحق أن يُرضوه. (فتح القدير).

{ أَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ }
[التوبة: 63]

63- ألم يعلموا أن الذي يُخَالِفُ أمرَ الله تعالى وأمرَ رسوله صلى الله عليه وسلم، يَكُونُ هُوَ في حَدِّ والإسلامِ في حَدِّ، فيُعَادِي ويُشَاقِقُ الإسلامَ مِنْ هَذَا الْمِنْطَلَقِ؟ سَيَكُونُ عِقَابُهُ نَارَ جَهَنَّمَ، مُسْتَقَرًّا فِيهَا أَبَدًا، مع ذُلِّ وهوانٍ وشَقَاءٍ مُلَازِمٍ لَهُ.

{ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ
مَا تَحْذَرُونَ } [التوبة: 64]

64- والمنافقون يَحْشَوْنَ أَنْ تُنَزَّلَ سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ فِي شَأْنِهِمْ، تَفْضَحُهُمْ وَتَبَيِّنُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْأَسْرَارِ، وما يَتَدَاوَلُونَهُ بَيْنَهُمْ مِنْ أَقْوَابِلِ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، فَقُلْ لَهُمْ: اسْتَهْزِئُوا بِمَا أَنْتُمْ مُسْتَهْزِئُونَ بِهِ، وَأَسِرُوا أَقْوَالَكُمْ حَتَّى لَا يَطَّلِعَ عَلَيْهَا أَحَدٌ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُنزِلُ عَلَى رَسُولِهِ مَا يَفْضَحُكُمْ بِهِ، وَيَبَيِّنُ لَهُ أَمْرَكُمْ.

{ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ }
[التوبة: 65]

65- وإذا سَأَلَتِ الْمُنَافِقِينَ عَنْ سَبَبِ قَوْلِهِمْ وَالِدَّاعِي إِلَى اسْتِهْزَائِهِمْ، قالوا: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ فِي الْكَلَامِ وَنَلْعَبُ⁽⁵¹⁾، قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ: أَبِاللَّهِ، وَآيَاتِ كِتَابِهِ، وَرَسُولِهِ، كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ وَتَنْهَكُمُونَ؟

(51) {نَخُوضُ} في الكلامِ وتحدثُ كما يفعلُ الركبُ لقطعِ الطريقِ بالحديثِ. (روح البيان).

{ لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ تُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا
مُجْرِمِينَ } [التوبة: 66]

66- لا تَسْتَمِرُّوا فِي الْاِعْتِدَارِ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ، فَقَدْ بَدَأَ مِنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَحْرِصُونَ عَلَى كِتْمَانِهِ،
حَيْثُ أَظْهَرْتُمْ الْكُفْرَ بِاسْتِهْزَائِكُمْ وَإِذَائِكُمْ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ إِظْهَارِكُمْ الْإِيمَانَ،
وَإِنْ نَتَّبَعْنَا عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْكُمْ لِتَوْبَتِهِمْ أَوْ تَجَنُّبِهِمُ الْاِسْتِهْزَاءَ، فَإِنَّا سَنُعَاقِبُ جَمَاعَةً مِنْكُمْ
لِاسْتِمْرَارِهِمْ فِي الْاِسْتِهْزَاءِ، وَبِقَائِهِمْ مُصِرِّينَ عَلَى النِّفَاقِ.

{ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ
وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [التوبة: 67]

67- الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ مُتَشَابِهُونَ فِي كَلَامِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ، لِأَنَّهُمْ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ، يَأْمُرُونَ
بِالْمَعْصِيَةِ وَتَكْذِيبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، وَيُمْسِكُونَ أَيْدِيَهُمْ
عَنِ الصَّدَقَةِ وَالْإِنْفَاقِ فِيمَا يُرْضِي اللَّهَ، لَقَدْ نَسُوا ذِكْرَ اللَّهِ وَتَرَكَوا طَاعَتَهُ، فَعَامَلَهُمُ اللَّهُ مُعَامَلَةً
مَنْ نَسِيَهُمْ، فَحَرَمَهُمْ مِنْ تَوْفِيقِهِ وَهُدَايَتِهِ، وَمَنْعَ لُطْفِهِ وَفَضْلِهِ عَنْهُمْ. إِنَّ الْمُنَافِقِينَ خَارِجُونَ عَنِ
الطَّاعَةِ، بَعِيدُونَ عَنِ الْحَقِّ.

{ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ
اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ } [التوبة: 68]

68- وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ الْإِيمَانَ وَيُخْفُونَ الْكُفْرَ، وَالْكَافِرِينَ الَّذِينَ
يُجَاهِرُونَ بِهِ، وَعَدَّهُمْ نَارَ جَهَنَّمَ تُسْعَرُ بِهِمْ جَزَاءَ كُفْرِهِمْ، مُؤَبَّدِينَ فِيهَا، وَفِيهَا مَا يَكْفِيهِمْ مِنْ
الْعِقَابِ وَالْعَذَابِ، وَأَبْعَدَهُمُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَأَذَلَّهُمْ، فَلَا أَمَلَ فِي خَلَاصِهِمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ، فَلَهُمْ
عَذَابٌ دَائِمٌ لَا يَنْقَطِعُ أَبَدًا.

{ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ
فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضِعْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا
أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } [التوبة: 69]

69- أنتم أيها المنافقون مثل الذين من قبلكم، من الأمم الذين خالفوا أمر الله وكذبوا رُسُلَهُ فلعنهم وأهلكهم. وكانوا أكثر منكم قوَّةً وبطشاً، وأكثر أموالاً ومتاعاً ودُّرِيَّةً، وقد تمتَّعوا وانتفعوا بنصيبيهم من شهوات الدنيا وملاذِّها، ورَضُوا بذلك عِوَضاً عن الآخِرَةِ، فاستمتعتهم أيها الكفارُ المنافقون بنصيبيكم من ذلك، كما استمتع الذين من قبلكم من الكفارِ بنصيبيهم من الاقتصارِ على الشَّهواتِ واللَّذائذِ الفانيَّةِ، وسَلَكْتُمْ سَبِيلَهُمْ، ودخلتُم في الكذبِ والباطلِ والاستهزاءِ بالرُّسلِ، كما دخلوا هُم في ذلك، فأولئك المتصفُّون بتلك الصِّفاتِ، من القدماءِ والمُحدِّثين، قد بطلت أعمالُهُم التي كانوا يستحقُّون عليها الأجرَ لو صاحبها الإيمان، ولكنَّهُم لم يؤمنوا، فحَسِرُوا وخابوا، ولم يستحقُّوا عليها أجراً وثواباً، في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخِرَةِ.

{ أَمْ يَأْتِيهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمُ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [التوبة: 70]

70- ألم يُخبر هؤلاء المنافقون خبر مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِمَّنْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ وَكَذَّبَ الرُّسُلَ، مِنْ قَوْمِ نُوحٍ كَيْفَ أَهْلِكُوا بِالطُّوفَانِ، وَمِنْ عَادٍ كَيْفَ أَهْلِكُوا بِالرِّيحِ لَمَّا كَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ هُوداً عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمِنْ ثَمُودَ كَيْفَ أَهْلِكُوا بِالرَّجْفَةِ لَمَّا كَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ صَالِحاً وَعَقَرُوا النَّاقَةَ، وَمِنْ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ كَيْفَ أَهْلَكَ مَلِكُهُمْ ثَمُودَ ثُمَّ أَهْلِكُوا بَعْدَهُ، وَمِنْ أَصْحَابِ مَدْيَنَ كَيْفَ أَهْلَكَهُمْ بِالنَّارِ يَوْمَ الظُّلَّةِ { إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } [سورة الشعراء: 189] لَمَّا كَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ شُعَيْباً عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمِنْ قَوْمِ لُوطٍ المُنْقَلِبَاتِ، حَيْثُ جَعَلَ اللَّهُ عَالِيَهَا سَافِلَهَا، وَأَمْطَرَ عَلَى مَنْ فِيهَا حِجَارَةً، لَمَّا كَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ لوطاً عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لقد جاءَهُم رُسُلُهُم بِالْحُجَجِ القاطِعةِ، والمعجِزاتِ الكافيةِ، ولكنَّهُم كَذَّبُوهُم وَعَصَوْهُم، كما فعلتُم أنتم معشرَ الكفارِ، فاحذروا أن يُصيبيكم ما أصابهم.

وما كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ بِإِهْلَاكِه إِيَّاهُمْ، ولكنَّهُم هُم الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ عِنْدَمَا عَرَّضُوا لِلْعِقَابِ، بتكذيبِهِم الرُّسُلَ، واستكبارِهِم عن قَبولِ الحَقِّ، وردِّهِم المعجِزاتِ، واستهزائِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَتْبَاعِ الرُّسُلِ.

{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 71]

71- والمؤمنون والمؤمنات يتناصرون ويتعاونون على البر والتقوى، ويتعاضدون على ما فيه خيرهم وخير الناس.

فيأمرُونَ بالإيمان والطاعة والإصلاح، وينهَوْنَ عن الشرك والمعصية وما يخالف أحكام الشرع، ويؤدُّون الصَّلواتِ المطلوبة منهم، ويُعطون الحقوق الواجبة المترتبة على أموالهم، ويُطِيعون الله ورسوله، فيما أمر ونهى، أولئك المتصِفون بتلك الصفات، سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ وَيَتَوَلَّاهُمْ بِلُطْفِهِ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مَا يُرِيدُهُ، وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ عَنْ إِنْجَازِ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، حَكِيمٌ، يَضَعُ الْأُمُورَ فِي مَوَاضِعِهَا كَمَا يَنْبَغِي، لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

{وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: 72]

72- وعد الله المؤمنين والمؤمنات جزاءً إيمانهم وأعمالهم الجنة الطيبة جنات تجري من تحتها الأنهار، مُقِيمِينَ فِيهَا أَبَدًا، وَقُصُورًا عَالِيَاتٍ طَيِّبَاتٍ، تَمِيلُ إِلَيْهَا النَّفُوسُ، وَيَطِيبُ فِيهَا الْعَيْشُ، فِي بَسَاتِينَ مُخَصَّصَةٍ لِلإِقَامَةِ وَالخُلُودِ الدائم، وَرِضَاءِ اللَّهِ عَنْهُمْ أَكْبَرُ وَأَجَلٌ مِنْ ذَلِكَ النَّعِيمِ كُلِّهِ، وَهُوَ الْفَلَاحُ وَالنَّجَاحُ، وَالسَّعَادَةُ وَالهُنَاءُ، وَالْفَوْزُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ فَوْزٌ، لِأَنَّهُ يَعْنِي أَنْ لَا يَسْخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَطْمَئِنُّونَ وَيَهْنَأُونَ إِلَى الْأَبَدِ.

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئس المصيرُ} [التوبة: 73]

73- أَيُّهَا النَّبِيُّ، جَاهِدِ الْكُفَّارَ بِالْقَتْلِ، وَالْمُنَافِقِينَ بِالْقَتْلِ كَذَلِكَ إِذَا أَظْهَرُوا الْكُفْرَ، وَبِالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ إِذَا لَمْ يُظْهِرُوهُ، وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا وَلَا تَرْفُقْ بِهِمْ، وَإِنَّ مَكَانَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُوَ نَارُ جَهَنَّمَ، وَبئسَ المَرْجِعُ الَّذِي لَا يَجِدُونَ فِيهِ سِوَى الْعَذَابِ.

{يَجْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [التوبة: 74]

74- يَجْلِفُ الْمُنَافِقُونَ أَنَّهُمْ لَمْ يُكذِّبُوا الرَّسُولَ، وَلَمْ يَشْتُمُوهُ، وَلَمْ يَسْتَهْزِئُوا بِهِ، وَقَدْ نَطَقُوا بِمَا يَكْفُرُونَ بِهِ، فَأَظْهَرُوا مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ بَعْدَ إِظْهَارِ إِسْلَامِهِمْ، وَحَاوَلُوا قَتْلَ الرَّسُولِ أَوْ قَتْلَ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنْ ذَلِكَ، وَمَا كَرِهُوا وَمَا عَابُوا شَيْئًا مِنَ الرَّسُولِ أَوْ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا لِأَنَّ اللَّهَ تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِبِرْكَتِهِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعْمَتِهِ، فَصَارُوا مُسْتَعِينِينَ عَنْ غَيْرِهِمْ بِالْعَنَائِمِ وَغَيْرِهَا. فَلَا عَيْبَ فِيهِمْ إِلَّا هَذَا!

فَإِنْ يَتُوبِ الْمُنَافِقُونَ مِنْ نِفَاقِهِمْ وَكُفْرِهِمْ يَكُنْ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ، وَيَكُونُوا مِثْلَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنْ أَعْرَضُوا عَنِ التَّوْبَةِ وَاسْتَمَرُّوا فِي نِفَاقِهِمْ، يُعَاقِبُهُمُ اللَّهُ بِالْقَتْلِ وَالْحَزْبِ، وَالْهَمُّ وَسُوءُ الذِّكْرِ فِي الدُّنْيَا، وَبِالتَّعْذِيبِ بِالنَّارِ وَأَنْوَاعِ الْعِقَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا صَدِيقٌ يَشْفَعُ لَهُمْ، وَلَا مُؤَيِّدٌ يَدْفَعُ عَنْهُمْ شَرًّا وَيُنْقِذُهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ.

{وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ} [التوبة: 75]

75- وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ عَاهَدُوا اللَّهَ وَقَالُوا: لَئِنْ آتَانَا اللَّهُ بِالْأَمْوَالِ لَنَتَصَدَّقَنَّ وَنُعْطِي حُقُوقَ الْفُقَرَاءِ مِنْهَا، وَلَنَكُونَنَّ مِمَّنْ يُطِيعُ اللَّهَ وَيَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ.

{فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ} [التوبة: 76]

فَلَمَّا أُعْطَاهُمُ الْمَالَ وَالْمَتَاعَ لَمْ يَقُومُوا بِعَهْدِهِمْ، فَمَنَعُوا حَقَّ اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي أُعْطَاهُمْ، وَلَمْ يُنْفِقُوهَا فِي الْخَيْرَاتِ وَالْمِرَاتِ كَمَا عَاهَدُوا، وَأَعْرَضُوا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَلَمْ يَكُونُوا مِنَ الصَّالِحِينَ.

{فَاعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [التوبة: 77]

فَجَعَلَ اللهُ عَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ، وَحَرَمَهُمْ مِنَ التَّوْبَةِ حَتَّى الْمَوْتِ، وَذَلِكَ لِغَدْرِهِمْ بَعْدَ اللهِ الَّذِي عَاهَدُوهُ عَلَيْهِ، وَنَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُ الَّذِي وَاتَّقُوهُ عَلَيْهِ، وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ سَيَكُونُونَ صَالِحِينَ يُوَدُّونَ حَقَّ اللهِ إِذَا أَغْنَاهُمْ، فَالتَّهَوَّأُوا بِالْمَالِ، وَاسْتَسَلَمُوا لِلشَّهَوَاتِ، وَرَكَنُوا إِلَى الدُّنْيَا، وَنَسُوا اللهَ.

{ أَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ } [التوبة: 78]

أَمْ يَعْلَمُ الْمُنَافِقُونَ، أَوْ الَّذِينَ عَاهَدُوا اللهَ عَلَى الطَّاعَةِ وَلَمْ يُطِيعُوهُ، أَنَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَ قُلُوبِهِمْ وَمَا يُضْمِرُونَهُ فِي نَفْسِهِمْ مِنَ النِّفَاقِ، وَمَا يَتَنَجَّجُونَ بِهِ مِنْ مَطَاعِينَ وَمُخَالَفَاتٍ، وَمَعَاصِيٍّ وَمُنْكَرَاتٍ، وَأَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَالشَّهَادَةَ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يُظْهِرُونَهُ أَوْ يُبْطِنُونَهُ؟.

{ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ

فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [التوبة: 79]

إِنَّهُمْ الْمُنَافِقُونَ، الَّذِينَ مِنْ صِفَاتِهِمْ أَنْ لَا يَسْلَمَ أَحَدٌ مِنْ أَلْسِنَتِهِمْ، وَقَدَحِهِمْ وَذَمِّهِمْ، فَيَعْيَبُونَ عَلَى مَنْ تَصَدَّقَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ كَانُوا أَغْنِيَاءَ وَأَكْثَرُوا، قَالُوا: هَذَا يُعْطَى لِلرِّبَايَةِ وَالسُّمْعَةِ، وَإِنْ كَانُوا فُقَرَاءَ فَأَقْلَبُوا، قَالُوا: إِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا، جَازَاهُمْ اللهُ شَرًّا عَلَى سُخْرِيَتِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الطَّيِّبِينَ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِيمَا يُرْضِي اللهُ، وَلِهَذَا الْمُنَافِقِينَ الْمُعْتَدِينَ عَذَابٌ مُؤَلَّمٌ دَائِمٌ فِي الآخِرَةِ.

{ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } [التوبة: 80]

أَيُّهَا النَّبِيُّ الرَّحِيمُ بِأَمْتِهِ، اسْتَغْفِرْ لِلْمُنَافِقِينَ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، إِنَّكَ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ ذُنُوبَهُمْ، وَسَبَبُ ذَلِكَ كُفْرُهُمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبُهُمْ رَسُولَهُ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْمُتَمَرِّدِينَ عَلَى أَوْامِرِهِ، الْمُصْرِيْنَ عَلَى الْكُفْرِ بِهِ.

{ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ } [التوبة: 81]

81- لقد فرح الذين تخلفوا عن الجهاد في غزوة تبوك بقعودهم بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم، وكرهوا أن يبذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله، إيثاراً للراحة والكسل، وطلباً للتنعم والتلذذ، وقال بعضهم لبعض، توامياً فيما بينهم بالباطل، وتثبيتاً لهم على القعود عن الغزو: لا تخرجوا في الحر فإنه لا يُطاق. قل لهم أيها النبي: إن نار جهنم التي تصيرون إليها بسبب مخالفتكم، هي أشد حراً من هذا الحر الذي ترونه مانعاً لكم من الخروج، هذا لو كانوا يعلمون أهوال جهنم وشدّة حرّها، وفكروا بمصيرهم حقاً.

{ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جِزَاءِ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [التوبة: 82]

82- فليتنعموا وليفرحوا في هذه الدنيا، وليضحكوا ما شاؤوا في مدتها القصيرة، وليذوقوا النار والهوان في الدار الآخرة، وليبكوا فيها بكاءً دائماً لا ينقطع، جزاء أعمالهم السيئة، ومعاصيهم المتكررة، وإصرارهم على مخالفة أوامر الله سبحانه.

{ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ } [التوبة: 83]

83- فإذا ردك الله من غزوة تبوك إلى جماعة من هؤلاء المتخلفين - ويعني المنافقين، فقد كان بعض المتخلفين معذوراً - وطلبوا الخروج معك إلى غزوة أخرى، فقل إهانة لهم وعقوبة: لن تخرجوا معي في سفر أبداً، ولن تقاتلوا معي عدواً من الأعداء؛ لأنكم رضيتم بالقعود عن الغزو أول مرة، وفرحتم بالتخلف عن الجهاد، وآثرتم التنعم على مقارعة الأعداء، فابقوا قاعدين مع المتخلفين الذين لا يقدرّون على الجهاد، من النساء والصبيان والمعوقين.

{ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ } [التوبة: 84]

84- ولا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مَاتَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ أَبَدًا، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ لِتَتَوَلَّى ذَنْفَهُ، أَوْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ وَتَدْعُوَ لَهُ، لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ حَتَّى مَاتُوا وَهُمْ كَذَلِكَ. وَالكَافِرُ لَا يُصَلَّى عَلَيْهِ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ صَلَّى عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَأْسِ الْمُنَافِقِينَ، وَذَكَرَ أَنَّهُ بَيْنَ خَيْرَتَيْنِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ} [التوبة: 80] فَنَزَلَتِ الْآيَةُ، فَمَا صَلَّى بَعْدَهَا عَلَى مُنَافِقٍ، وَلَا قَامَ عَلَى قَبْرِهِ.

{وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة: 85]

85- فَلَا يَرْفُقُ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَلَا أَوْلَادِهِمْ، وَلَا تَسْتَحْسِنُ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ، لِيَكُونَ ذَلِكَ كُلُّهُ وَبَالًا عَلَيْهِمْ، وَعِقَابًا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، مِنْ تَعَبٍ فِي جَمْعِهِ، وَكَدِّ فِي تَحْصِيلِهِ، وَتَفَقُّةٍ مِنْهُ لِلزَّكَاةِ وَالْجِهَادِ دُونَ أَنْ يُثَابُوا عَلَيْهِ، وَمَقْتَلِ أَوْلَادِهِمْ فِي الْعَزْوِ، وَهُمْ لَا يَعْتَقِدُونَ اسْتِشْهَادَهُمْ وَلَا احْتِسَابَهُمْ وَاللِّقَاءَ بِهِمْ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ، فَيَكُونُ كُلُّ ذَلِكَ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ، وَتَعْذِيبًا نَفْسِيًّا لَهُمْ، وَأَشَدَّ فِي عُقُوبَتِهِمْ، وَلِتَخْرُجَ أَرْوَاحُهُمْ وَمَيُوتُوا عَلَى كُفْرِهِمْ⁽⁵²⁾.

{وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطُّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ} [التوبة: 86]

(52) {وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}: يَعْنِي وَتَخْرُجَ أَنْفُسُهُمْ، فَيَمُوتُوا عَلَى كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ، وَجُحُودِهِمْ نَبِيَّ اللَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (الطبري). أَصْلُ الزُّهُوقِ: خُرُوجُ الشَّيْءِ بِصُعُوبَةٍ. أَي: فَيَمُوتُوا كَافِرِينَ مُشْتَغَلِينَ بِالتَّمَتُّعِ عَنِ النَّظَرِ فِي الْعَاقِبَةِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ لَهُمْ نَقْمَةً لَا نِعْمَةً. (روح البیان). الزُّهُوقُ: الخُرُوجُ بِشِدَّةٍ وَضَيْقٍ، وَقَدْ شَاعَ ذِكْرُهُ فِي خُرُوجِ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ.

86- وإذا نُزِلَتْ سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ تَأْمُرُ بِالْإِخْلَاصِ فِي الْإِيمَانِ وَالْجِهَادِ مَعَ رَسُولِهِ، طَلَبَ الْإِذْنَ مِنْكَ بِالْقُعُودِ دَوُو الْعَنَى وَالسَّعَةِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَقَالُوا: دَعْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يُجَاهِدُوا لِعُدْرِ.

{ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ } [التوبة: 87]

87- رَضُوا بِأَنْ يَبْقُوا مَعَ الْخَالِفِينَ مِنَ الصَّبِيانِ وَالْعَاجِزِينَ وَالتَّسَاءِ بَعْدَ خُرُوجِ الْجَيْشِ. وَحَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ سَبَبَ عَدَمِ خُرُوجِهِمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُمْ لَا يَفْهَمُونَ مَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا مَا يَضُرُّهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأَخِرَتِهِمْ.

{ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيكَ هُمْ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [التوبة: 88]

88- أَمَّا الرُّسُولُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحَابَتُهُ الْمُؤْمِنُونَ مَعَهُ، فَقَدْ أَنْفَقُوا مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالٍ فِي الْجِهَادِ، وَبَدَلُوا أَنْفُسَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ خَيْرُ الْجَزَاءِ، مِنْ مَنَافِعَ وَنِعَمٍ كَثِيرَةٍ تُسَعِدُ الْقَلْبَ وَتُبْهِجُ النَّفْسَ. وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ بِالْجَنَّاتِ، الْمُحَلَّدُونَ فِيهَا.

{ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة: 89]

89- هِيَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَنَّاتٍ، وَهِيَ الْبَسَاتِينُ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا الْمَثْمِرَةُ الْأَنْهَارُ، مَعَ بَقَاءٍ دَائِمٍ فِيهَا، وَذَلِكَ هُوَ الْفَلَاحُ وَالتَّجَاحُ، الَّذِي لَا مَثِيلَ لَهُ.

{ وَجَاءَ الْمُعَذَّبُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [التوبة: 90]

90- وجاءَ إِلَيْكَ الْمُعْتَذِرُونَ عَنِ الْجِهَادِ مِنَ الْأَعْرَابِ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، لِتَأْذَنَ لَهُمْ بِالتَّخْلُفِ عَنِ الْعَزْوِ. وَآخَرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ مَنَافِقُونَ قَعَدُوا عَنِ الْجِهَادِ وَلَمْ يَسْتَأْذِنُوا أَصْلًا، وَهُمْ قَدْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ. وَسَوْفَ يَنَالُ الْكَافِرِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ عَذَابٌ مُؤَلِّمٌ مُوجِعٌ.

{ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [التوبة: 91]

91- ليسَ هناك ذَنْبٌ في التَّخْلُفِ عَنِ الْجِهَادِ: على الضُّعَفَاءِ الْعَاجِزِينَ عَنِ الْقِتَالِ، وَعَلَى الْمَرْضَى، مُزْمِنًا كَانَ مَرَضُهُمْ أَوْ غَيْرَ مُزْمِنٍ، وَعَلَى الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْجِهُونَهُ بِهٍ لِلْحَرْبِ.

ليسَ على هؤلاءِ إِثْمٌ في التَّخْلُفِ عَنِ الْعَزْوِ، إِذَا نَصَّحُوا فِي حَالِ فُجُودِهِمْ، فَكَانُوا أَهْلَ إِيْمَانٍ وَطَاعَةٍ، وَعَهْدٍ وَمُؤَاوَزَةٍ، لَا أَهْلَ شَائِعَاتٍ وَتُخْوِيفٍ.

فليسَ على مَنْ أَحْسَنَ وَاتَّقَى، وَأَمَّنَ وَنَصَّحَ مِنْهُمْ، أَيُّ عَتَبٍ أَوْ عُقُوبَةٍ. وَاللَّهُ يَغْفِرُ لِلْعَاجِزِينَ وَالْمُحْتَاجِينَ وَيَرْحَمُهُمْ.

{ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ } [التوبة: 92]

92- وليسَ هناك مُعَاتَبَةٌ كَذَلِكَ عَلَى مَنْ لَمْ يَخْرُجْ مَعَكَ مِنَ الَّذِينَ جَاءُوكَ يَطْلُبُونَ أَنْ تَحْمِلَهُمْ عَلَى الدَّوَابِّ لِجَاهِدُوا مَعَكَ، فَقُلْتَ لَهُمْ: لَا أَجِدُ مَا تَرْكَبُونَ عَلَيْهِ، فَرَجَعُوا وَأَعْيُنُهُمْ تَسِيلُ مِنَ الدَّمْعِ، حَزِينِينَ مَغْمُومِينَ، لِأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ مَا يَشْتَرُونَ بِهِ مَسْتَلْزِمَاتِ الْجِهَادِ، لِيُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

الجزء الحادي عشر

سورة التوبة (الآيات 93-129)

سورة يونس

سورة هود (1-5)

{ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } [التوبة: 93]

93 - إِنَّمَا اللَّوْمُ وَالْعِقَابُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَ فِي التُّعُودِ عَنِ الْجِهَادِ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ، الَّذِينَ رَضُوا بِأَنْ يَبْقُوا قَاعِدِينَ مَعَ الضَّعْفَةِ وَالْعَاجِزِينَ، وَقَدْ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَخَدَلَهُمْ، فَعَقَلُوا عَنِ التَّفَكُّرِ فِي عِظَمِ مَا يَقْتَرِفُونَهُ مِنْ إِثْمٍ، وَلَمْ يُقَدِّرُوا عَاقِبَتَهُ السَّيِّئَةَ.

{ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ يُنْمِئُ تُرْدُونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [التوبة: 94]

94 - وَإِذَا عُدْتُمْ مِنَ الْعَزْوِ يَأْتُونَ فَيَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ، بِسَبَبِ تَخَلُّفِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ، قُلْ لَهُمْ أَثْمَانُهَا الرُّسُولُ: لَا تُقَدِّمُوا الْمَعَازِيرَ، فَلَنْ نُصَدِّقَكُمْ، قَدْ أَعْلَمْنَا اللَّهُ أَحْوَالَكُمْ وَمَا تُضْمِرُونَ مِنْ كَذِبٍ وَشَرٍّ، وَسَيَرَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِيمَا بَعْدَ عَمَلِكُمْ: أَتَتُّبُونَ مِنْ نِفَاقِكُمْ أَمْ تُقِيمُونَ عَلَيْهِ؟ ثُمَّ تُرْجَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَالشَّهَادَةَ، وَيَطَّلِعُ عَلَى الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَيُنَبِّئُكُمْ بِهَا عِنْدَ وَقُوفِكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا شَرَّ الْجَزَاءِ.

{ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [التوبة: 95]

95- سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ مِنَ الْعَزْوِ أَتُّبُونَ كَانُوا صَادِقِينَ فِي الْإِعْتِدَارِ عَنِ الْمَشَارِكَةِ فِي الْجِهَادِ، مُخَفِّينَ فِي الْبَقَاءِ مَعَ الْمُتَخَلِّفِينَ مِنَ الْعَجْزَةِ وَالْأَطْفَالِ، لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ وَلَا تُعَاتِبُوهُمْ،

ولتصَفَحُوا عَنْهُمْ وَلَا تُؤَنَّبُوهُمْ، فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ احْتِقَاراً لَهُمْ، إِنَّهُمْ خُبْنَاءُ بُحْسُونَ فِي بَوَاطِنِهِمْ
واعتقاداتهم، ومكائهم المعَدُّ لهم هو جهنم، جزاء ما كسبوا من خطايا وسيئات.

{يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ }
[التوبة: 96]

96- يَخْلِفُونَ لَكُمْ عَمَّا اعْتَدَرُوا مِنْهُ إِلَيْكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ، وَلِتُعَامِلُوهُمْ مُعَامِلَةَ إِخْوَانِكُمْ
المسلمين، فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ بِحَسَبِ مَا طَلَبُوا، فَإِنَّ رِضَاكُمْ عَنْهُمْ لَا يَنْفَعُهُمْ، وَلَا يُجْدِي عِنْدَ
اللَّهِ شَيْئاً، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْخَارِجِينَ عَنِ طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ.

{الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ } [التوبة: 97]

97- وَكُفْرَ الْأَعْرَابِ وَنِفَاقِهِمْ أَعْظَمُ وَأَشَدُّ مِنْ كُفْرِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فِي الْحَضَرِ،
لِجَفَائِهِمْ وَغِلَاطَتِهِمْ، وَتَوَحُّشِهِمْ وَقِسَاوَةِ قُلُوبِهِمْ، وَهُمْ أَحْرَىٰ وَأَخْلَقُ أَلَّا يَعْلَمُوا أَوْامِرَ اللَّهِ
وَنَوَاهِيَهُ، لِعَدَمِ مُحَالَظَتِهِمْ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، وَحِرْمَانِهِمْ مِنْ اسْتِمَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِأَحْوَالِ النَّاسِ، حَكِيمٌ فِيمَا قَسَمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ، وَالْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ.

{وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [التوبة: 98]

98- وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَعُدُّ مَا يَصْرِفُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيَتَصَدَّقُ بِهِ غَرَامَةً وَخَسَارَةً، وَيَنْتَظِرُ بِكُمْ
الْحَوَادِثَ وَالْآفَاتِ، وَالْمَصَائِبَ وَالْبَلَايَا، لِتَتَبَدَّلَ حَالُكُمْ إِلَى الْأَسْوَأِ، جَعَلَ اللَّهُ نَوَائِبَ السُّوءِ
عَلَيْهِمْ، وَاللَّهُ يَسْمَعُ مَقَالَاتِهِمُ السَّيِّئَةَ، وَيَعْلَمُ نِيَّاتِهِمُ الْفَاسِدَةَ، وَمَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنْ عِقَابِ.

{وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ
الرَّسُولِ أَلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [التوبة: 99]

99- وهناك من الأعراب من يؤمن بالله وباليوم الآخر، ويعُدُّ ما يُنفقه في سبيل الله تَقَرُّبًا إلى الله، وَيَتَغَوَّنَ بذلك دُعاءَ الرُّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ، فَقَدْ كَانَ يَدْعُو لِلْمُتَصَدِّقِينَ بِالْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ، أَلَا إِنَّ ذَلِكَ حَاصِلٌ لَهُمْ، فَسَيُتَرَكُهُمْ عَمَلُهُمْ هَذَا إِلَى اللهِ، وَيُدْخِلُهُمْ رَحْمَتِهِ فِي رَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ، وَهُوَ يَغْفِرُ ذُنُوبَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ التَّائِبِينَ عَلَى كَثْرَتِهَا، وَيَرْحَمُهُمْ بِرَحْمَتِهِ.

{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}
[التوبة: 100]

100- والسابقون الأولون ممن اعتنقوا الإسلام وناصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الذين هاجروا إلى المدينة دار الإسلام، ومن الأنصار أهل المدينة الذين آووا إخوانهم المهاجرين وآزروهم، والذين لحقوا بهم من بعدهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة، فاقْتَدَوْا بِهِمْ وَاتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَلَمْ يَقُولُوا فِيهِمْ سُوءًا، فَأُولَئِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِقَبُولِ طَاعَتِهِمْ وَارْتِضَاءِ أَعْمَالِهِمْ، وَرَضُوا عَنْهُ بِمَا نَالُوهُ مِنَ النَّعِيمِ وَالرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ، وَقَدْ هَيَّأَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ جَنَّاتٍ عَالِيَاتٍ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ⁽⁵³⁾، مُسْتَقَرِّينَ فِيهَا أَبَدًا، وَذَلِكَ هُوَ الْفَلَاحُ وَالنَّجَاحُ، وَالسَّعَادَةُ وَالْهَنَاءُ.

وَمَا قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي هَذَا رَحْمَةُ اللهِ: فَيَا وَيْلَ مَنْ أَبْغَضَهُمْ، أَوْ سَبَّهُمْ، أَوْ أَبْغَضَ أَوْ سَبَّ بَعْضَهُمْ... فَأَيْنَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ، إِذْ يَسُبُّونَ مَنْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؟ وَأَمَّا أَهْلُ السَّنَةِ

(53) {تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}: خالفت هذه الآية عند معظم القراء أحواتها، فلم تُذكَرْ فِيهَا (من) مع (تحتها) في غالبِ المصاحف وفي رواية جمهور القراء، فتكون خالية من التأكيد، إذ ليس لحرف (من) معنى مع أسماء الظروف إلا التأكيد، ويكون خلو الجملة من التأكيد لحصول ما يُعْنِي عنه من إفادة التقوي، بتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي، ومن فعل {أَعَدَّ} المؤذن بكمال العناية، فلا يكون المعد إلا أكمل نوعه. وثبتت (من) في مصحف مكة، وهي قراءة ابن كثير المكي، فتكون مشتملة على زيادة مؤكدين. (التحرير والتنوير).

فَأَنَّهُمْ يَتَرَضَّوْنَ عَمَّنْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ... وَيُؤَالُونَ مَنْ يُؤَالِي اللهُ، وَيُعَادُونَ مَنْ يُعَادِي اللهُ، وَهُمْ مُتَّبِعُونَ لَا مُتَّبِعُونَ...

{وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ} [التوبة: 101]

101- وَمَنْ حَوْلَ بَلَدِكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ، وَكَذَا مِنْ أَهْلِ بَلَدِكُمُ الْمَدِينَةِ، اعْتَادُوا عَلَى النِّفَاقِ، وَمَرَنُوا عَلَيْهِ حَتَّى مَهَرُوا فِيهِ، فَصَارُوا يَعْرِفُونَ كَيْفَ يَتَحَامُونَ عَنْ مَوَاضِعِ التُّهْمِ، لَا تَعْلَمُهُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ، لِعِرَاقَتِهِمْ وَرُسُوخِهِمْ فِي النِّفَاقِ، نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ جَمِيعًا، وَلَا تَخْفَى عَلَيْنَا خَافِيَةٌ مِنْهُمْ.

سَنُعَذِّبُهُمْ بِالْقَتْلِ وَالسَّيِّ، أَوْ بِالْجُوعِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْجَعُونَ إِلَى عَذَابِ النَّارِ، الَّتِي تُسْعَرُ بِهِمْ، وَيُجْلَدُونَ فِيهَا.

{وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة: 102]

102- وَطَائِفَةٌ أُخْرَى مِنَ النَّاسِ أَقْرَبُوا بِتَخَلُّفِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ مَيْلًا إِلَى الرَّاحَةِ، مَعَ إِيمَانِهِمْ وَتَصَدِيقِهِمْ، فَخَلَطُوا بَيْنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالطَّالِحِ، وَتَابُوا، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَعْفُو عَنِ التَّائِبِينَ مِنْ عِبَادِهِ فَيَغْفِرُ لَهُمْ، وَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ. وَهُمْ الَّذِينَ أَوْثَقُوا أَنْفُسَهُمْ بِسَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَأَطْلَقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَدَّرَهُمْ بَعْدَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ.

{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: 103]

103- خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ هَؤُلَاءِ صَدَقَةً تَكُونُ كِفَارَةً لِدُنُوبِهِمْ، تُطَهِّرُهُمْ بِهَا مِنْ آثَارِ تَخَلُّفِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ، وَتُنَمِّي بِهَا حَسَنَاتِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَادْعُ لَهُمْ وَاسْتَغْفِرْ، إِنَّ دُعَاءَكَ يَبْعَثُ فِي نَفْسِهِمُ الْأَمْنَ وَالرَّحْمَةَ وَالطَّمَأْنِينَةَ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِدُعَائِهِ عِبَادِهِ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ التَّوْبَةَ وَالرَّحْمَةَ.

{ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ

{ الرَّحِيمُ } [التوبة: 104]

104- أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَى مَنْ تَابَ إِلَيْهِ، فَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُ إِنْ كَانَتْ صَاحِبَةً خَالِصَةً، وَيَقْبَلُ الصَّدَقَاتِ إِذَا كَانَتْ لَوَجْهِهِ تَعَالَى، مِنْ مَالٍ حَلَالٍ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ كَثِيرٌ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنْ عِبَادِهِ الْمُسْتَغْفِرِينَ التَّائِبِينَ، رَوْفٌ بِهِمْ رَحِيمٌ.

{ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

{ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [التوبة: 105]

105- وَقُلْ لِلنَّاسِ أَيُّهَا النَّبِيُّ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ، خَيْرًا كَانَتْ أَوْ شَرًّا، سِرًّا كَانَتْ أَوْ عَلَانِيَةً، فَسَوْفَ يُظْهِرُهَا اللَّهُ، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا تُعْرَضُ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَسَوْفَ تُرْجَعُونَ إِلَى اللَّهِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، الْمُطَّلِعِ عَلَى الْأَعْمَالِ كُلِّهَا، الْحَبِيرِ بِنِيَّاتِ أَصْحَابِهَا، فَيُخَبِّرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا وَمَا كُنْتُمْ تَقْصِدُونَ بِهَا، وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا حَسَبَ ذَلِكَ.

{ وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [التوبة:

[106]

106- وَمِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ فِتْنَةٌ أُخْرَى غَيْرُ الْمُعْتَرِفِينَ، وَهُمْ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خُلِّفُوا، فَلَمْ يَعْتَدِرُوا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَفْعَلُوا كَمَا فَعَلَ أَهْلُ السَّوَارِي، الَّذِينَ رَطَبُوا أَنْفُسَهُمْ بِسَوَارِيِّ الْمَسْجِدِ، فَنَزَلَتْ تَوْبَتُهُمْ، وَتَأَخَّرَتْ تَوْبَتُهُ هَؤُلَاءِ. وَلَمْ يَكُنْ تَأَخُّرُ الثَّلَاثَةِ عَنْ نِفَاقٍ، فَأَمْرُهُمْ مُؤَخَّرٌ مَوْقُوفٌ، حَتَّى يَظْهَرَ أَمْرُ اللَّهِ فِيهِمْ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فَلَمْ يَتُوبْ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ شَاءَ تَابَ عَلَيْهِمْ وَعَفَا عَنْهُمْ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْعَفْوَ، حَكِيمٌ فِيمَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ.

{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَكَانَ لِيُخَلِّفُنَا إِنَّ أَرْدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [التوبة:

[107

107- كَانَ أَبُو عَامِرٍ الرَّاهِبُ (الكَذَّابُ) مِنَ الْخَزْرَجِ، تَرَهَّبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَصَارَ لَهُ شَرَفٌ
عِنْدَهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسَدَهُ وَعَانَدَهُ، وَكَانَ
مَعَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ التَّحَقَّ بِمَلِكِ الرُّومِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ، وَوَعَدَهُ مُسَاعَدَةَ قَوْمِهِ، فَأَعْلَمَ بَعْضُ
أَهْلِ التَّفَاقُقِ وَالرَّيْبِ أَنَّهُ سَيَقْدُمُ بِجَيْشٍ يُقَاتِلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَبْنُوا
مَعْقِلًا يَكُونُ مَرَصِدًا لَهُ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَشَرَعُوا فِي بِنَاءِ مَسْجِدٍ مُجَاوِرٍ لِمَسْجِدِ قُبَاءَ، فَبَنَوْهُ
وَأَحْكَمُوهُ، وَطَلَبُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْتِيَ وَيُصَلِّيَ فِيهِ، وَيَدْعُو لَهُمْ
بِالْبَرَكَةِ، لِيَحْتَجُّوا بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِيهِ عَلَى تَقْرِيرِهِ وَإِثْبَاتِهِ، فَعَصَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ
بِالْوَحْيِ، وَعِنْدَ رُجُوعِهِ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَ بِهَدْمِهِ... قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مَا مَعْنَاهُ: وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ
الَّذِينَ بَنَوْا مَسْجِدًا، بَنَوْهُ لِيُلْحِقُوا الضَّرَرَ بِالْمُسْلِمِينَ، وَلِيَكْفُرُوا فِيهِ، وَيَتَفَرَّقُوا بِهِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ
مِنْ أَهْلِ قُبَاءَ، الَّذِينَ كَانُوا يُصَلُّونَ فِي مَسْجِدِهِمْ، وَلِيَكُونَ مَعْقِلًا وَمَكَانَ إِرْصَادٍ وَتَرْقُبٍ لِمَنْ
عَادَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ.

وَيَحْلِفُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ أَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا بِنَاءِ هَذَا الْمَسْجِدِ إِلَّا النِّيَّةَ الصَّالِحَةَ، لِيُعَمَّرَ بِذِكْرِ اللَّهِ،
وَلِلتَّوَسُّعَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِيمَا حَلَفُوا فِيهِ وَنَوَّوْا عَلَيْهِ.

{لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ
يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ} [التوبة: 108]

108- لَا تَقُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ لِلصَّلَاةِ فِي ذَلِكَ الْمَسْجِدِ أَبَدًا. وَإِنَّ مَسْجِدًا بُنِيَ أَسَاسُهُ عَلَى تَقْوَى
اللَّهِ وَطَاعَتِهِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، أَحَقُّ وَأَفْضَلُ مِنْ أَنْ تَقُومَ فِيهِ لِلصَّلَاةِ. وَالْمَقْصُودُ الْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ
الشَّرِيفُ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الْأَقْوَى. وَقَدْ وَرَدَ أَيْضًا أَنَّ الْمَقْصُودَ مَسْجِدَ قُبَاءَ، وَجَمَعَ
بَعْضُهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ أَنَّ كُلًّا مِنَ الْمَسْجِدَيْنِ مُرَادٌ، لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ
تَأْسِيسَهُ.

فيه رجالٌ يُجْبُونَ أَنْ يُنَظَّفُوا وَيَتَطَهَّرُوا مِنَ النَّجَاسَاتِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ، فَيَرْضَى عَنْهُمْ وَيُكْرِمُهُمْ، وَيُعْظِمُ ثَوَابَهُمْ لِأَجْلِ ذَلِكَ.

وفي حديث أبي هريرة الصحيح أنها نزلت في أهل قباء، وكانوا يستنجون بالماء. ولا يعارض هذا نص رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن المسجد المقصود هو المسجد النبوي الشريف، كما أفاده الألويسي في تفسيره.

{ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [التوبة: 109]

109- أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة محكمة، هي طاعة الله ومراضته، أفضل، أم من أسسه على طرف حفيرة متصدعة مشرفة على السقوط، فأدى ذلك إلى انهياره وسقوطه في نار جهنم، فيكون ذلك جزاءه ومصيره؟ والله لا يصلح عمل المفسدين.

{ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [التوبة: 110]

110- لا يزال بناؤهم الذي سمّوه مسجداً شكاً في معتقدتهم، ونفاقاً يُطِنونَه، وقلماً واضطراباً في قلوبهم، إلا أن تقطع وتنفرق قلوبهم ويموتوا. والله عليمٌ بخلقه وما يعملون، حكيمٌ فيما يفعل بهم.

{ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة: 111]

111- لقد عاوض الله عباده المؤمنين على أنفسهم وأموالهم إذا بذلوا في سبيله بأن لهم الجنة، يُقاتلون في سبيل الله، لا هدف لهم من وراء ذلك سوى إعلاء كلمته، فيقتلون الكفار، أعداء الله وأعداء دينه، ويُقتلون بأيديهم، فيستشهدون في سبيله.

هذا وَعَدَّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، كَتَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، وَأَثَبَتْهُ فِي كُتُبِهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى رُسُلِهِ مِنْ أُولَى الْعَزْمِ، فِي التَّوْرَةِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى مُوسَى، وَالْإِنْجِيلِ الْمُنَزَّلِ عَلَى عِيسَى، وَالْقُرْآنِ الْمُنَزَّلِ عَلَى مُحَمَّدٍ، عَلَيْهِمْ جَمِيعًا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ.

وَلَا أَحَدٌ مِثْلُ اللَّهِ فِي الْوَفَاءِ بَعْدِهِ، فَهَوَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ أَبَدًا.

فَاسْتَبَشِرُوا مَعْشَرَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، وَابْتَهَجُوا بِبَيْعِ أَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ لِلَّهِ، الَّذِي يَأْخُذْكُمْ إِلَى سَاحَاتِ الْجِهَادِ، وَمِنْهَا إِلَى جَنَّاتِ اللَّهِ الْخَالِدَاتِ، كَمَا وَعَدَكُمْ اللَّهُ بِذَلِكَ، وَهُوَ الْفَوْزُ الَّذِي لَا فَوْزَ أَعْظَمَ مِنْهُ، وَالتَّعِيمُ الْمَقِيمُ الَّذِي لَا سَعَادَةَ وَرَاءَهُ.

**{ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } [التوبة: 112]**

112- مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ تَائِبُونَ مِنَ الذُّنُوبِ، صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، حَامِدُونَ لِرَبِّهِمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ، صَائِمُونَ لِلَّهِ، وَالصَّوْمُ مِنْ أَفْضَلِ الطَّاعَاتِ، فَهَوَ يُقَلِّصُ مِنْ شَهَوَاتِ الْإِنْسَانِ وَيُتَمَرِّئُهُ إِلَى اللَّهِ، رَاكِعُونَ لِرَبِّهِمْ سَاجِدُونَ، فِي الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ، وَالرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ مِنْ أَعْظَمِ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ، وَفِيهِمَا أَظْهَرَ صُورَ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ، وَ "أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ" كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ.

وَهُمْ يَنْفَعُونَ النَّاسَ وَيُرْشِدُونَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، وَيُحَذِّرُونَهُمْ مِنَ الشَّرِّ وَالْمَعْصِيَةِ، وَيَأْتَمِرُونَ بِأَوَامِرِ اللَّهِ، فَيُحِلُّونَ مَا أَحَلَّ، وَيُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ. وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّصِفِينَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْجَلِيلَةِ بِكُلِّ خَيْرٍ وَقَلَّاحٍ.

**{ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } [التوبة: 113]**

113- مَا صَحَّ فِي حُكْمِ اللَّهِ، وَمَا اسْتَقَامَ لِلنَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ حَقُّ الْإِيمَانِ، أَنْ يَطْلُبُوا الْمَغْفِرَةَ لِلْمُشْرِكِينَ، وَلَوْ كَانُوا مِنْ دَوَى قَرَابَتِهِمْ، مِنْ بَعْدِ مَا عَرَفُوا أَنَّهُمْ مَاتُوا كُفَّارًا، وَأَنََّّهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل على عمه أبي طالب وهو يحتضر، فحاول معه ليقول "لا إله إلا الله" فلم يفعل، حتى مات، وقال أخيراً إنه على ملة أبيه عبدالمطلب، فقال صلى الله عليه وسلم: "لأستغفرن لك ما لم أنه عنك". فنزلت، كما ورد في الصحيحين وغيرهما، عن سعيد بن المسيب عن أبيه. ويجوز الدعاء للأحياء من الكفار، بتوفيقهم وهدايتهم للإسلام.

{ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَاهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَوَّاهٌ حَلِيمٌ } [التوبة: 114]

114- وما كان استغفار إبراهيم لأبيه، بقوله: {وَأَعْفِرُ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ} [سورة الشعراء: 86] بأن يهديه للإيمان، إلا عن موعِدٍ وَعَدَ بِهِ إبراهيمُ أباهُ بقوله: {لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ} [سورة الممتحنة: 4] فلما تبين لإبراهيم أنه استمر في عداوته لله حتى مات كافراً، قطع الصلة التي بينه وبينه، وترك الاستغفار له، إن النبي إبراهيم كثير التضرع والدعاء، كثير الصبر على أذى الناس، صفوح عنهم. وكان المسلمون يستغفرون لأمواتهم من المشركين، بحجة أن إبراهيم استغفر لأبيه، فنزلت الآية لتزيل الإشكال، فكفوا.

{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [التوبة: 115]

115- وما كان الله ليحكم عليكم بالضلال بعد أن هداكم للإيمان حتى يذكر لكم المنهي عنه لتجتنبوه، أما قبل بيان الأمر فلا يقضي عليكم بالضلال، والله عليم بكل شيء، ومن ذلك ما تأتونه وما تتركونه، وثباتكم في ذلك.

{ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } [التوبة: 116]

116- وكلُّ ما في السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ مِنْ أَحْيَاءٍ وَجَمَادَاتٍ وَنَبَاتَاتٍ مُلْكٌ لِلَّهِ وَحَدَهُ، وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي إِنْ أَرَادَ الْحَيَاةَ لَشَيْءٍ، وَيُمِيتُ مَنْ شَاءَ، فَلَا تَرْهَبُوا مِنَ الأَعْدَاءِ، وَقَاتِلُوهُمْ، وَثِقُوا بِنَصْرِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا نَاصِرَ لَكُمْ غَيْرُهُ، وَلَا مَوْلَى لَكُمْ سِوَاهُ.

{لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: 117]

117- لقد غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَ الصَّحَابَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ - وَذَكَرَ بَيْنَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْرِيفًا لَهُمْ وَتَعْظِيمًا لِقُدْرِهِمْ - الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَهُ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي وَقْتِ الشَّدَّةِ وَالضِّيْقِ، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنِ الْجِهَادِ لَصُعُوبَتِهِ وَزِيَادَةِ الْمَشَقَّةِ فِيهِ، ثُمَّ عَصَمَهُمُ اللَّهُ وَثَبَّتَهُمْ وَغَفَرَ لَهُمْ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ رَؤُوفٌ بِهِمْ إِذْ رَزَقَهُمُ الْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ إِذْ تَابَ عَلَيْهِمْ. وَكَانَ خُرُوجُ الْمِجَاهِدِينَ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي سَنَةِ قَحْطٍ وَجَدْبٍ، وَحَرٍّ شَدِيدٍ، مَعَ قَلَّةِ الزَّادِ وَالْمَاءِ، حَتَّى كَانَ الرَّجُلَانِ يَشُقَّانِ التَّمْرَةَ بَيْنَهُمَا! فَرِحَهُمُ اللَّهُ وَأَعَادَهُمْ مِنَ الْعَزْوِ.

{وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة: 118]

118- وَتَابَ اللَّهُ عَلَى الثَّلَاثَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ تَكَاسُلًا لَا نِفَاقًا، وَقَدْ تَابُوا إِلَيْهِ. وَتَأَخَّرَ نَزُولُ تَوْبَتِهِمْ عَنْ آخِرِينَ مِمَّنْ رَبَطُوا أَنفُسَهُمْ بِسَوَارِيِّ الْمَسْجِدِ حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَتَابَ عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ أَمْرُ الثَّلَاثَةِ مُعَلَّقًا، حَيْثُ لَمْ يَفْعَلُوا مِثْلَمَا فَعَلُوا. وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ، وَعَدِمَ مُجَالَسَتِهِمْ وَمُحَادَثَتِهِمْ. وَتَأَخَّرَ أَمْرُهُمْ إِلَى أَنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ عَلَى رَحْبِهَا وَسَعَتِهَا، وَضَاقَتْ قُلُوبُهُمْ، وَامْتَلَأَتْ نُفُوسُهُمْ حُزْنًا وَعَمًّا، وَتَحَيَّرُوا، فَلَا يَدْرُونَ مَا يَصْعَعُونَ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ إِلَّا بِالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالصَّبْرِ عَلَى قَضَائِهِ، وَالِاسْتِكَانَةِ إِلَيْهِ، وَانْتِظَارِ الْفَرَجِ مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ وَقَفَهُمُ اللَّهُ لِلتَّوْبَةِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَى أَنْ أَنْزَلَ قَبُولَ تَوْبَتِهِمْ؛ لِصِدْقِ مَقَالِهِمْ، وَإِحْلَاصِهِمْ، وَاللَّهُ كَثِيرٌ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ، فَلَا يُعَدِّبُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ بَعْدَ قَبُولِ تَوْبَتِهِمْ، وَلَوْ كَانَتْ كَثِيرَةً.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } [التوبة: 119]

119- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، احذروا مخالفة أمر الله، وتجنّبوا ما لا يرضاه، والزمو الصدق لتكونوا من أهله وتنجّوا من المهالك، وليجعل الله من أمركم فرجاً ومخرجاً.

{ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يُرْعَبُوا
بِأَنْفُسِهِمْ عَنِ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا
يَطُؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } [التوبة: 120]

120- ما كان ينبغي ولا يستقيم لأهل المدينة ومن حولهم من أحياء العرب أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، ولا أن يترقبوا بأنفسهم عن نفسه الكريمة، بل كان عليهم أن يتقدّموا ويكابدوا ما كابدته من المشاق، وإنهم بتخلفهم قد حرّموا أنفسهم ثواباً عظيماً، فإنّ المشركين في الجهاد ولو لم يُجاربوا، لا يُصيبهم شيء من العطش، أو التعب، أو المجاعة، في طاعة الله وجهاد أعدائه، ولا ينزلون منزلاً يُضيقون به صدور الكفار ويُرهبونهم، ولا يُصيبون من عدوّ قتلاً أو أسراً، أو غنيمةً أو هزيمة، إلاّ كُتِبَ لهم بهذه الأعمال أجرٌ كبيرٌ وثوابٌ جزيل، والله لا يُضيع إحسانهم وحرصهم وتفانيهم في إعلاء كلمة الله.

{ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [التوبة: 121]

121- ولا يُنفق هؤلاء المجاهدون نفقة، قليلة كانت أو كثيرة، ولا يتجاوزون في السّير إلى الأعداء وادياً، إلاّ أثبت لهم ذلك في صحائف أعمالهم، ليُجزوا عليها أحسن وأفضل الجزاء، في يوم أحوح ما يكون فيه الناس إلى الحسنات.

{ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ
وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ } [التوبة: 122]

122- وما صَلَحَ الأمرُ ولا اسْتَقَامَ أَنْ يَخْرُجَ جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْعَزْوِ، لِأَنَّ هُنَاكَ مَصَالِحَ أُخْرَى تَتَعَطَّلُ بِذَلِكَ، فَهَلَّا خَرَجَ مِنْ كُلِّ جَمَاعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْهُمْ عُصْبَةٌ تَحْصُلُ بِهِمُ الْكِفَايَةَ، وَيُقِيمُ الْبَاقُونَ فَيَتَعَلَّمُوا أَحْكَامَ الدِّينِ، وَمَا أُنزِلَ مِنْ وَحْيٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا رَجَعَ الْمُجَاهِدُونَ مِنْ كُلِّ قَوْمٍ عَلَّمُوهُمْ مَا تَعَلَّمُوا، لِيَتَذَكَّرُوا وَيَحْذَرُوا وَيَعْرِفُوا أَحْكَامَ الدِّينِ، وَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَهَيَّأَ عَنْهُ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } [التوبة: 123]

123- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، قَاتِلُوا الْكُفَّارَ الَّذِينَ يَلُونَكُمْ، الْأَقْرَبَ فَالْأَقْرَبَ، وَلْيَجِدُوا فِي قِتَالِكُمْ لَهُمْ شِدَّةً وَجُرْأَةً وَعُنْفًا، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ مَنْ اتَّقَاهُ بِالْعَوْنِ وَالنُّصْرَةِ.

{ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } [التوبة: 124]

124- وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ لِبَعْضِهِمْ اسْتَهْزَاءً: أَيُّكُمْ أَزْدَادَ بِهَا إِيمَانًا وَيَقِينًا؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَقَدْ زَادَتْهُمْ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ إِيمَانًا وَتَصَدِيقًا، وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ خَيْرًا بِنُزُولِهَا، لِأَنَّهَا تَزِيدُ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ وَدَرَجَاتِهِمْ.

{ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ } [التوبة: 125]

125- وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ شَكٌّ وَنِفَاقٌ، فَزَادَتْهُمْ شَكًّا إِلَى شَكِّهِمْ، وَنِفَاقًا إِلَى نِفَاقِهِمْ، لِأَنََّّهُمْ يَكْفُرُونَ بِمَا أُنزِلَ كَمَا كَفَرُوا بِمَا أُنزِلَ سَابِقًا، وَاسْتَمَرُّوا حَتَّى مَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ.

{ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ } [التوبة: 126]

126- ألا يرى هؤلاء المنافقون أنهم يُختَبَرُونَ ويُتَلَوْنَ في كلِّ عامٍ مِنَ الأعوامِ مرَّةً أو مرَّتَيْنِ، بالأمراضِ والشدائدِ، أو الغزوِ والجهادِ، فيظهَرُ نفاقَهُم، ونقضُهُم لعهودِهِم، ثمَّ لا يَرجِعُونَ عن نفاقِهِم، ولا يَتَعَطَّوْنَ بما يُصِيبُهُم وَيَفْضَحُ أمرَهُم، ولا يَعتَبِرُونَ بما حوَلَهُم، مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفْرِ الذي مَنَّ اللهُ بِهِ على رَسولِهِ وعلى المؤمنِينَ؟

{ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ } [التوبة: 127]

127- وإذا ما أنزلت سورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كره المنافقون أن يسمعوا كلام الله، فتلفت بعضهم إلى بعض، وقالوا: هل يراكم أحد إذا قمتم من هذا المجلس؟ ثم ولوا جميعاً منصرفين؛ لشدة كراهتهم للقرآن، وبغضهم لمجالس الإيمان، صرف الله قلوبهم عن الإيمان بحسب انصرافهم عن ذلك المجلس، ذلك بأنهم قوم جاهلون، أو حمقى غافلون، لا يفهمون ما يصلحهم مما يضرهم.

{ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ } [التوبة: 128]

128- لقد بعث الله فيكم رسولا رفيع القدر، عظيم الشأن، تعرفون حسبه ونسبه، وهو من أشرفكم وأفضلكم، شاق وصعب عليه أن يرى أذى وضررا يلحقكم، أو عذابا يصيبكم، حريص على هدايتكم وصلاحتكم، وما ينفعكم في دنياكم وآخرتكم، كثير الرحمة بالمؤمنين، رحيم بالمطيعين منكم والمذنبين.

{ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } [التوبة: 129]

129- فإن أعرضوا عن الإيمان بك، وعمّا جنتهم به من الشرع العظيم، فلا تأبه بهم، وامض في تبليغ رسالة ربك، وقُل: الله يكفيني جميع ما أمني، وهو مؤيدي وناصري، لا إله غيره، به وثقت، وعليه اعتمدت، وإليه فوّضت أمري، وهو رب العرش العظيم.

والعرشُ أعظمُ المخلوقات، لا يعرفُ مقدارَ عظمتِهِ إلاّ اللهُ. قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: "ما السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ معَ الكُرْسِيِّ، إلاّ كحَلْقَةٍ مُلقاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ العَرشِ على الكُرْسِيِّ كَفَضْلِ تِلْكَ الفَلاةِ على الحَلْقَةِ". رواهُ ابنُ حَبَّانٍ في صَحِيحِهِ.

سورة يونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ} [يونس: 1]

1- الحروفُ المَقْطَعَةُ لم يَرِدْ فِي مَعْنَاهَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ صَحِيحٌ.
هذه آياتُ القرآنِ المحكِّمِ بأوامرِ اللهِ ونواهيهِ، الحاكِمِ بالعدلِ.

{أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ} [يونس: 2]

2- هل كانَ أمرًا عَجَبًا لِلنَّاسِ أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِيُعَلِّمَهُمْ دِينَ اللهِ، وَيُبَلِّغَهُمْ أَمْرَهُ، وَيُحَذِّرَهُمْ مِنْ مُخَالَفَتِهَا، وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ أَجْرًا حَسَنًا وَمَنْزِلَةً رَفِيعَةً؟!
قال الكافرونَ المَتَعَجِّبُونَ مِنْ هَذَا الأَمْرِ، المَسْتَبْعِدُونَ لَوْحِي اللهُ: إِنَّ مُحَمَّدًا رَجُلٌ سَاحِرٌ ظَاهِرٌ سِحْرُهُ، وَلَيْسَ نَبِيًّا. قالوا ذَلِكَ عِنَادًا وَجَلَّاحَةً، عَلَى الرِّغْمِ مِنْ أَنَّهُ جَاءَهُمْ بِمَعْجَزَاتٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا السِّحْرُ وَغَيْرُهُمْ.

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [يونس: 3]

3- أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ رَبُّ العَالَمِ كُلِّهِ هُوَ اللهُ، الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ، بِالْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. يُدَبِّرُ أَمْرَ الخَلْقِ وَيَقْضِي فِيهِمْ وَحْدَهُ، وَيُقَدِّرُ مَا يَشَاءُ، لَا يَغْفُلُ عَنْ شَيْءٍ، وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ، جَلَّتْ قُدْرَتُهُ، وَعَظُمَتْ حِكْمَتُهُ، لَا يَشْفَعُ أَحَدٌ مِنَ الشَّفَعَاءِ المُقَرَّبِينَ إِلَى اللهِ لِأَحَدٍ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِهِ. ذَلِكَمُ هُوَ اللهُ رَبُّكُمْ، لَا رَبَّ لَكُمْ سِوَاهُ، فَوَحِّدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَفَلَا تَتَّعِظُونَ وَتَتَذَكَّرُونَ أَنَّ مَا فُضِّلَ لَكُمْ هُوَ الحَقُّ؟!!

{إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} [يونس: 4]

4- إلى الله رجوعكم جميعاً أيها الناس يوم البعث، وعد من الله بذلك مؤكداً، إنه بدأ خلقكم، وسيعيد خلقكم بعد موتكم كما بدأ، ليحاسب كلًّا بما عمل، ويجزي من آمن وعمل صالحاً بالعدل والجزاء الأوفى، ويجزي الذين كفروا بشرابٍ من ماءٍ شديد الحرارة، وعذابٍ مؤلمٍ موجه، بسبب إصرارهم على الكفر، ورفضهم اتباع الحق.

{هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [يونس: 5]

5- هو الخالق الحق، القادر العظيم، الذي جعل في الشمس ضياءً وشعاعاً يعطي حرارة وضوءاً، وهي نجم عظيم، وكتلة ملتهبة مضيئة بذاتها. وجعل في القمر شعاعاً ونوراً من غير حرارة، ونوره معكوس من نور الشمس. وقدر في مسيره وتنقله أن يكون في منازل، ثم بروج، يعرفها علماء الفلك خاصة، لتعرفوا بحركة الشمس والقمر عدد الأيام والشهور والسنين، وتعرفوا مواسم زروعكم وحساب معاملاتكم وأجالتكم، وفوائد أخرى لهما يعرفها الإنسان في حياته العلمية والعملية. ما خلق الله ذلك كله إلا للحكمة عظمة ومصالحة مؤكدة. ويبيّن هذه الآيات والأدلة لمن علم الحكمة من خلق الله، واستدل به على وجوده وإبداعه وحكمته.

{إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ} [يونس: 6]

6- إن في تعاقب الليل والنهار، بأن يذهب هذا ويحيى ذاك، والعكس، بحسب طلوع الشمس وغروبها، وما خلق الله في السماوات والأرض من أنواع الحيوان والنبات والجماد، في إبداع يدهش العقول، وإحكام يشهد به المؤمن والكافر، كل ذلك آيات عظمة وحجج

باهرةً تُدُلُّ على وجودِ اللهِ ووحدانيتهِ وكمالِ قدرتهِ وبالغِ حِكمتهِ، هذا لمنْ عَقَلَ وتَدَبَّرَ، واحترَزَ منْ الحِسابِ والعِقابِ.

{ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ } [يونس: 7]

7- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِيَوْمِ الْبَعْثِ، وَقَالُوا لَا جَزَاءَ عَلَيَّ الْأَعْمَالِ، وَانْتَفَوْا بِمَا هُمْ فِيهِ وَعَلَيْهِ مِنْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَظَاهِرِهَا، وَرَكَنُوا إِلَيْهَا دُونَ أَنْ يُفَكَّرُوا بِثَوَابٍ أَوْ عِقَابٍ، وَغَفَلُوا عَنْ آيَاتِ اللَّهِ الْمُبْثُوثَةِ فِي الْكُونِ، وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِيهَا كَمَا يَنْبَغِي، وَلَمْ يَعْرِفُوا الْحِكْمَةَ مِنْ خَلْقِهِمْ وَمِنْ خَلْقِ الدُّنْيَا كُلِّهَا،

{ أُولَئِكَ مَاوَأَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [يونس: 8]

8- أُولَئِكَ مَقَرُّهُمْ النَّارُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، جَزَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ آثَامٍ، وَلَا يَعْتَبِرُونَ مِنْ آيَاتٍ، وَلَا يَسْتَجِيبُونَ لِنِدَائِ الْحَقِّ، وَلَا يَقُومُونَ بِوُضُوفِ الْمَخْلُوقِ.

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ } [يونس: 9]

9- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، الْمُوَافِقَةَ لِلشَّرِيعَةِ، الْخَالِصَةَ لَوَجْهِ اللَّهِ، يُرْشِدُهُمْ رَبُّهُمْ بِسَبَبِ إِيْمَانِهِمْ الْمَقْرُونِ بِعَمَلِهِمْ إِلَى جَنَّاتٍ يَلْقَوْنَ فِيهَا السَّعَادَةَ وَالنَّعِيمَ الْمَقِيمَ، تَجْرِي مِنْ خِلَالِهَا الْأَنْهَارُ، مِمَّا يَزِيدُ فِي سَعَادَتِهِمْ وَنَعِيمِهِمْ.

{ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [يونس: 10]

10- وَدُعَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيهَا: "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ"، وَيَعْنِي تَنْزِيهَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ. وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا "سَلَامٌ"، الَّذِي يُحْيِي بَعْضُهُمْ بِهِ الْبَعْضَ، وَيَعْنِي: سَلَامَتَهُمْ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ. وَخَاتِمَةُ دُعَائِهِمْ أَنْ "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، فَاللَّهُ مَحْمُودٌ دَائِمًا.

يَقُولُ ذَلِكَ أَهْلُ الْجَنَّةِ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الْمِضَاعَفَةِ عَلَيْهِمْ.

وفي صحيح مسلم، أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ "يُلْهِمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهِمُونَ النَّفْسَ"، فلا يقولون ذلك تكليفاً وإلزاماً، فقد انتهى ما هم مكلفون به بانتهاء الدنيا.

{وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَبَدَّلَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [يونس: 11]

11- ولو يُعَجِّلُ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي الاستِجَابَةِ لِدَعْوَةِ النَّاسِ بِالشَّرِّ عَلَى أَنْفُسِهِمْ كَمَا يَسْتَعْجِلُونَ طَلِبَ الْخَيْرِ وَيُنَالُونَهُ، لَعَجَّلَ بِأَجْلِهِمْ وَقَضَى عَلَيْهِمْ، كَمَا كَانَ الْكُفَّارُ يَطْلُبُونَ إِمطَارَهُمْ بِالْحِجَارَةِ مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ يَنْتَظِرُونَ الْعَذَابَ...

كما ذُكِرَ أَنَّ الْآيَةَ فِي دُعَاءِ النَّاسِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فِي حَالِ ضَجْرِهِمْ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ، وَلَوْ اسْتَجَابَ لَهُمْ لِأَهْلِكَهُمْ. فَبَدَّلَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي ضَلَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ السَّيِّئَةِ يَتَرَدَّدُونَ، وَفِي عَمَائِهِمْ يَتَخَبَّطُونَ، إِمْهَالاً لَهُمْ وَاسْتِدْرَاجًا، حَتَّى يَأْتِيَهُمُ الْأَجَلُ الْمَعْلُومُ.

{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [يونس: 12]

12- وَإِذَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ مُصِيبَةٌ، كَمَرَضٍ، أَوْ خَوْفٍ، أَوْ جُوعٍ، جَزَعٌ وَقَلَقٌ، وَدَعَانَا فِي ذِلَّةٍ وَخُشُوعٍ، مُضْطَجِعًا، أَوْ قَاعِدًا، أَوْ قَائِمًا، فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ، لَنَكْشِفَ مَا بِهِ. فَلَمَّا أَرْزَلْنَا مَا أَصَابَهُ مِنْ ضُرٍّ، فَشَقَيْنَاهُ، أَوْ أَعْنَيْنَاهُ، أَعْرَضَ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُصَابَ، وَكَأَنَّهُ لَيْسَ ذَلِكَ الشَّخْصَ الَّذِي كَانَ يَلْهَجُ بِالدُّعَاءِ وَيُلِحُّ فِي طَلْبِ الْإِجَابَةِ. وَزُيِّنَ مِثْلُ هَذَا الْعَمَلِ الْمَشِينِ فِي قُلُوبِ الْمُسْرِفِينَ، الْمُنْهَمَكِينَ فِي الشَّهَوَاتِ، الْمَعْرِضِينَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ.

{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا} كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} [يونس: 13]

13- ولقد أهلكنا أجيالاً من قبلكم يا أهل مكة، كقوم نوح، وعاد، وثمود، لما تمادوا في كفرهم وضلالهم، وجاءتهم رسلهم بالمعجزات والآيات البينات على صدقهم وصحة ما جاؤوا به، فكابروا، وكذبوا، وأبوا أن يؤمنوا، فكان عاقبتهم الإهلاك، وهو الجزاء المناسب للمجرمين المستكبرين، الرافضين للحق، ولرسل الحق.

{ **ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** } [يونس: 14]

14- ثم جعلناكم جيلاً يخلفهم بعد إهلاكهم، لننظر كيف تعملون، فإن كنتم مثلهم فاحذروا، وإن أطعتم كنتم حاملي أمانة ومستخلفين بحق.

{ **وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنِّي بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ عَظِيمٌ** } [يونس: 15]

15- وإذا تلى على المشركين آيات القرآن الكريم الواضحات، الدالة على التوحيد وبطلان الشرك، قال هؤلاء الذين لا يؤمنون بيوم القيامة، ولا يخافون الحساب: ائت بكتاب غير القرآن لا يكون فيه ذم لآلهتنا، ولا ذكر ليوم البعث، أو بدل الآيات التي تحتوي على ذلك بغيرها.

قل لهم أيها الرسول: ليس هذا الأمر إليّ، ولا يصح لي تبديله من عندي، إنما أنا عبد مأمور، ورسول مبلّغ عن الله، ما أتبع إلا ما يوحى إليّ فيما أمركم به وأنهاكم عنه، من غير تغيير ولا تبديل. إنّي أخاف إن بدلت كلمات الله، أو خالفت أمره، عذاباً كبيراً هائلاً يوم القيامة. قال ابن الجوزي في "النواسخ": هذا وأمثاله في بيان آثار المعاصي، وليس من ضرورة ما علّق بشرط أن يقع.

{ **قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** } [يونس: 16]

16- وقل لهم: لو شاء الله ما أنزل القرآن عليّ، ولا قرأته عليكم، ولا أعلمكم به بواسطتي، وقد فُمت بين ظهرائكم أربعين عامًا قبل نزوله عليّ، ولم تجربوا عليّ كذبًا، ألا تلاحظون ذلك وتتدبرونه، لتعلموا أنّه ليس من عندي، فأنا ما راجعت عالمًا، ولا قرأت كتابًا، ولا كتبت كلمة، وهذا كتاب الله البليغ المعجز، الذي احتوى على ما لم تعرفوه، من أحكام وتاريخ وقصص وإخبار بغيبيات...

{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُحْرِمُونَ} [يونس: 17]

17- وليس هناك أظلم ممن تقول على الله وزعم أنّه أرسله وهو ليس برسول، أو أشرك به سبحانه وقال إنّ له ولدًا، أو كذب بآياته ومعجزاته الواضحات، وما أنزل من كتاب وبعث من رسول. ولا يفلح الكافرون المفترون أبدًا، وسيظهر كذبهم وباطلهم في الدنيا، ويُعذبون عليه يوم القيامة.

{وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [يونس: 18]

18- وهؤلاء المشركون يعبدون أحجارًا صنعوها بأيديهم، وهي غير قادرة على ضرهم ولا على نفعهم، فهي جمادات لا تفهم ما يفعل بها، إن عبت أو أهينت وكسرت، وهي لا تقدر على أن تثيب أحدًا ولا أن تعاقبه.

ويقولون: إنّ هذه الأصنام تنفعهم، بأنّها تشفع لهم عند الله لإصلاح معاشهم، أو أنّها ستشفع لهم يوم القيامة.

قل لهم أيها النبي: أنخبرون الله بأنّ له شريكًا، وأنّ له شفيعًا غير إذنه، وهو لا يعلم لنفسه شريكًا في السماوات ولا في الأرض؟ تنزه الله وتقدس عن إشراكهم وأقوالهم الباطلة، ومزاعمهم الفاسدة.

{وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَيْ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [يونس: 19]

19- وكان الناس مُتَّفِقِينَ على عَقِيدَةٍ وَاحِدَةٍ، هِيَ عَقِيدَةُ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ أَشْرَكَ بَعْضُهُمْ وَشَقُّوا عَصَا الْجَمَاعَةِ، فَصَارَ هُنَاكَ مُسْلِمُونَ وَكُفَّارٌ، وَاخْتَلَفُوا، وَلَوْلَا مَا سَبَقَ أَنْ قَضَى بِهِ اللَّهُ، وَهُوَ تَأْخِيرُ الْفَصْلِ بَيْنَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لِحَسَمِ الْخِلَافِ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، بَأَنْ يُنَزَلَ عَلَيْهِمْ آيَاتٌ مُلْحِجَةٌ إِلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَرَفْعِ الْاِخْتِلَافِ، أَوْ بَأَنْ يُهْلِكَ الْمُهَيَّجَ وَيُتْقِيَ الْمَحِقَّ.

{وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْعَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ} [يونس: 20]

20- وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ الْمُعَانِدُونَ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ نَبِيًّا حَقًّا، فَلْيُفَرِّقْ نَبُوَّتَهُ بِمُعْجَزَةٍ، كَعَصَا مُوسَى، أَوْ يُجَلِّجْ جَبَلَ الصَّفَا إِلَى ذَهَبٍ، أَوْ يَجْعَلَ بَدَلَ جِبَالِ مَكَّةَ بَسَاتِينَ وَأَنْهَارًا. قَالُوا ذَلِكَ تَعَنُّتًا لَا طَلَبًا لِلْإِيمَانِ، فَقَدْ سَبَقَتْ لَهُ مُعْجَزَاتٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقُلْ لَهُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ: الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ عَاقِبَةَ الْأُمُورِ، فَانْتَظِرُوا حُكْمَ اللَّهِ فِيَّ وَفِيكُمْ. وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا آنَذَاكَ حَتَّى لَوْ أُجِيبُوا إِلَى طَلِبِهِمْ، وَلَوْ لَمْ يُؤْمِنُوا لِأَهْلِكَهُمْ اللَّهُ، وَلَكِنْ لَطَفَ بِهِمْ وَأَمَهَّلَهُمْ حَتَّى دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ.

{وَإِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُمْ إِذَا هُمْ مَكْرُوفُونَ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا نَمْكُرُونَ} [يونس: 21]

21- وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ بِالرِّحَاءِ وَالسَّعَةِ بَعْدَ أَنْ أَصَابَهُمُ الْقَحْطُ وَالشَّدَّةُ، إِذَا بِهِمْ يُكذِّبُونَ بِفَضْلِنَا وَإِنْعَامِنَا، وَيُسْنِدُونَ ذَلِكَ إِلَى الْعَادَةِ وَالطَّبِيعَةِ. قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَسْرَعُ عَقُوبَةً وَإِلْحَاقًا لِلضَّرْرِ بِكُمْ، وَلَكِنَّهُ يُمَهِّلُكُمْ وَيَسْتَدْرِجُكُمْ حَتَّى يَأْخُذَكُمْ بِعَذَابٍ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ.

وإنّ ملائكتنا الموكّلين بإحصاء أعمال بني آدم، يُثبتون عليكم كلّ ما قلتم وفعلتم، ومن ذلك كيذكّم⁽⁵⁴⁾، الذي سيكون وبالاً عليكم، وعذاباً يُحيط بكم يوم القيامة.

{هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أُنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [يونس: 22]

22- هو الله الذي يمكّنكم من السير في البرّ والبحر بما مهّده وسخّره لكم، حتّى إذا ركبوا السفن، ودفعتهم الرياح بسُرعةٍ مُناسبةٍ تُعجبهم، وفرحوا بذلك واطمأنّوا، هبّت عليها ريحٌ شديدة، وعلا بهم الموج وارتفع من كلّ طرف، وأيقنوا أنّ الهلاك قد أحاط بهم وقرب غرقهم، أخلصوا الدعاء لله وحده، ولم يُشركوا معه في دعائهم أحداً، لا صنماً ولا وثناً، قائلين: يا ربّ، لئن خلّصتنا من هذا الكرب، وأنقذتنا من الغرق، لنكوننّ من الشّاكرين لك بالإيمان والطاعة، ولن نُشرك بك شيئاً.

{فَلَمَّا أُنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغِيكُمُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [يونس: 23]

23- فلما أُنجاهم من ذلك الكرب والشدة، إذا هم يرتدّون إلى جاهليّتهم، فيظلمون النَّاسَ، ويُفسدون في الأرضِ علانيةً، لا يخافون ربّاً ولا يخشون عذاباً. يا أيُّها النَّاسُ، اعقلوا واحذروا، فإنّ هذا الظلم الذي تُمارسونه، والفساد الذي تنشرونه، والدّماء التي تسفكونها، والإعلام المضلّ الذي تبثونه، إنّما هو جنايةٌ على أنفسكم، فوبأله يعود عليكم، وعاقبته ترجع عليكم، ولا تضرّون الله به شيئاً، وما أنتم فيه متاعٌ قليل، ولذّةٌ فانية، وحياةٌ قصيرة، ثمّ تعودون إلينا

(54) ذكر صاحب (التحرير والتنوير) عند تفسير الآية (42) من سورة الطور، أن الكيد والمكر متقاربان، وكلاهما إظهارٌ إخفاءٍ الضّرّ بوجه الإخفاء، تغيراً بالمقصود له الضّرّ.

يومَ الحِسَابِ، فَتُخَبِّرُكُمْ بِمَجْمِيعِ مَا كَسَبْتُمُوهُ، وَتُحَاسِبُكُمْ عَلَيْهِ وَتُؤْفِكُمْ حَقَّهُ، فَانْتَظِرُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ.

{ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [يونس: 24]

24- إِنَّمَا مَثَلُ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي زِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَاجْتِرَارِ النَّاسِ بِهَا، وَسُرْعَةِ انْقِضَائِهَا وَفَنَائِهَا، كَمَطَرٍ أَنْزَلْنَاهُ عَلَى الْأَرْضِ، فَرَوَى نَبَاتُهَا وَشَجَرُهَا، فَكَثُرَ بِهِ الزَّرْعُ وَالثَّمَرُ، مِمَّا يَأْكُلُهُ النَّاسُ مِنَ الْحُبُوبِ وَالثَّمَارِ، وَمَا تَأْكُلُهُ الدَّوَابُّ مِنَ الْحَشِيشِ وَالْمُرَاعِيِّ، حَتَّى إِذَا أَكْمَلَتِ الْأَرْضُ حُسْنَهَا وَبَهَّجَتَهَا، وَتَزَيَّنَتْ وَتَنَضَّرَتْ، وَاکْتَسَتْ بِالْخُضْرَةِ وَالْجَمَالِ، وَظَنَّ أَصْحَابُهَا الَّذِينَ زَرَعُوهَا وَغَرَسُوهَا أَنَّهُمْ مُتَمَكِّنُونَ مِنْ حَصَادِهَا وَقَطْفِ ثَمَارِهَا، جَاءَهَا أَمْرُنَا بِإِهْلَاكِهَا، بَعَثْنَا زَرْعَهَا، وَإِتْلَافِ ثَمَارِهَا، فِي لَيْلٍ أَوْ فِي نَهَارٍ، زَمَنَ غَفَلَتِهِمْ أَوْ عِنْدَ يَقْظَتِهِمْ، وَجَعَلْنَاهَا يَبَابًا كَأَنَّهَا مَحْصُودَةٌ مِنْ أَصْلِهَا، وَكَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ خَضِرَاءَ غِنَاءً بِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ. وبمثلِ هذا نُبَيِّنُ الْأَدْلَةَ، وَنَذَكُرُ الْأَمْثَلَةَ، لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ فَيَتَفَكَّرُونَ، وَيَتَدَبَّرُونَ فَيُعْتَبِرُونَ. فاغترارُ النَّاسِ بالدُّنْيَا كَثِيرٌ، مَعَ أَنَّ زَوَالَهَا سَرِيعٌ، وَالْعِبْرَةُ بِمَا يَبْقَى لَا بِمَا يَفْنَى، وَالْحَسْرَةُ لَا تَنْفَعُ يَوْمَ الدِّينِ.

{ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [يونس: 25]

25- وَاللَّهُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى دَارٍ لَا يَعْتَرِيهَا الزُّوَالُ، وَجَنَّةٍ عَالِيَةٍ سَالِمَةٍ مِنَ الْآفَاتِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْجَنَّةِ، عِنْدَمَا يَتَّجِهَ الْعَبْدُ بِقَلْبِهِ إِلَى رَبِّهِ، وَيَعْزِمُ عَلَى اتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ.

{ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [يونس: 26]

26- لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْعَمَلِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، الْمُنْزِلَةُ الْحُسْنَى فِي الْآخِرَةِ، وَهِيَ الْجَنَّةُ، مَعَ إِكْرَامِهِمْ بزيادةٍ عَظِيمَةٍ فِي الثَّوَابِ، وَهِيَ النَّظَرُ إِلَى وَجهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، وَلَا يَغْشَى وَجُوهَهُمْ غُبَارٌ وَلَا سَوَادٌ، وَلَا كَابَةٌ وَلَا هَوَانٌ، كَمَا يَعْتَرِي وَجُوهَ الْكُفَّارِ يَوْمَ الْحِسَابِ، أَوْلَيْكَ أَهْلُ الْجَنَّةِ، خَالِدُونَ فِيهَا أَبَدًا.

{وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءَ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَمْثَلِ أَغْشِيَتْ وَجُوهَهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [يونس: 27]

27- وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ، فَأَشْرَكُوا بِاللَّهِ، وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وَلَمْ يَمْتَثِلُوا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، فَإِنَّ جَزَاءَهُمُ الْعَدْلَ، أَنْ يُجَازَوْا عَلَى السَّيِّئَةِ بِمِثْلِهَا، وَيَغْشَاهُمْ هَوَانٌ عَظِيمٌ، مَعَ شُعُورِهِمْ بِصَعَارٍ وَإِهَانَةٍ، لِعِلْمِهِمْ بِمَا اقْتَرَفُوهُ، وَخَوْفِهِمْ مِنَ الْعِقَابِ الَّذِي يَنْتَظِرُهُمْ، وَلَا أَحَدٌ يَمْنَعُ عَنْهُمْ يَوْمَئِذٍ عَذَابَ اللَّهِ وَسَخَطَهُ، وَقَدْ تَلَبَّدَتْ وَجُوهُهُمْ بِالسَّوَادِ، مِنَ الْحَزَنِ وَالنَّدَامَةِ وَالْكَابَةِ، حَتَّى صَارَتْ فَاحِمَةً قَائِمَةً، وَكَأَنَّهَا أُلبِسَتْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ الْمَذْهَبِ، أَوْلَيْكَ أَهْلُ النَّارِ، مَا كَثُرَ فِيهَا أَبَدًا.

{وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزِيلُنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ} [يونس: 28]

28- وَذَكَرَهُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ: يَوْمَ نَحْشُرُ النَّاسَ جَمِيعًا، مَسْلِمَهُمْ وَكَافِرَهُمْ، ثُمَّ نَقُولُ لِلْمُشْرِكِينَ: الزَمُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمُ الْأَصْنَامَ، وَلَا تَخْتَلِطُوا بِالْمُؤْمِنِينَ. وَفَرَّقْنَا بَيْنَهُمْ، وَقَطَعْنَا مَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ التَّوَاصُلِ فِي الدُّنْيَا، حَيْثُ يَتَّبِرُ كُلُّ مَعْبُودٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِمَّنْ عَبَدَهُ. وَقَالَ شُرَكَائُهُمُ الْأَصْنَامَ، الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ شُرَكَاءَ لِلَّهِ تَعَالَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَنَا بَطْلَانًا، وَإِنَّمَا كُنْتُمْ تُطِيعُونَ أَهْوَاءَكُمْ، وَتُوَالُونَ الشَّيْطَانَ.

{فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ} [يونس: 29]

29- وتقول هذه الأصنام لعابديها، في يوم الموقف الذي يُنطقُ الله فيه كلَّ شيء: الله هو الشَّاهدُ الحقُّ الكافي بيننا وبينكم، أننا ما أمرناكم بعبادتنا، وما كنا نشعُرُ بها ولا نعلم، لأننا ما كنا نسمع، ولا نُبصر، ولا نَعقل.

قال صاحبُ "روح المعاني": الأظهرُ أن يُرادَ بالشركاءِ جميعُ ما عُبدَ من دُونِ الله تعالى، من ذوي العقولِ وغيرهم. اهـ.

ويَنقَطِعُ طَمَعُ المشركينَ ممَّا كانوا يرجونَ منهم ويعتقدونَ فيهم.

{ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ } [يونس: 30]

30- في يومِ الحِسابِ، ومقامِ الحِشرِ، تُختَبَرُ كلُّ نفسٍ، وتعلمُ ما كسبتُ من خَيْرٍ وشرٍّ، مؤمنةً كانت أو كافرةً. وُرُدُّوا جميعًا إلى رَبِّهِمُ الحَكَمِ العَدْلِ، الصَّادِقِ في رُبوبيته، لا ما اتَّخَذَهُ المشركونَ أربابًا باطلةً، ليحكمَ فيهم وحدهُ سبحانه، ويجزِيهم على أعمالهم. وضاعَ عنهم وزالَ ما كانوا يكذبونَ في الدنيا من أن أصنامهم ستشفعُ لهم وتنفَعهم عندَ الله.

{ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ } [يونس: 31]

31- قُلْ للمُشركينَ، مُحتَجًّا عليهم بِبطلانِ ما هم عليه مِنَ الشُّركِ: من الذي يُنزلُ المطرَ عليكم مِنَ السَّمَاءِ، ويجعلُ لكم الأغذيةَ في الأرضِ، وقد سَخَّرَهَا لكم، فكانتُ سببًا لحياتكم؟

وَمَنْ يَقْدِرُ على خَلقِ السَّمْعِ والأبصارِ لكم غيرُه، في خَلقِها البديعِ، وتركيبِها الدَّقِيقِ، ووظائفِها المتكاملة؟

وَمَنْ سِوَاهُ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ، والمَيِّتَ مِنَ الحَيِّ، كخروجِ النَّبْتِ مِنَ الحَبَّةِ، والحَبَّةِ مِنَ النَّبْتِ، وخروجِ الفَرخِ مِنَ البيضةِ، والبيضةِ مِنَ الطيرِ وغيره؟

فكيف أُودِعَتِ الصِّفَاتُ الظَّاهِرَةُ لِهَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ فِي الْحَيَوَانَاتِ الْمُنَوَّيَّةِ الدَّقِيقَةِ، وَفِي الْحُبُوبِ الْجَافَّةِ الصَّغِيرَةِ؟ كَيْفَ تَنْشَأُ الْحَيَاةَ، وَمَا سِرُّ الْجِينَاتِ وَالْهَنْدَسَةِ الْوَرَاثِيَّةِ؟ وَمَنْ الَّذِي يَقْضِي فِي هَذَا الْكَوْنِ عَلَى سَعَتِهِ، وَيُدَبِّرُهُ أَحْسَنَ تَدْبِيرٍ، فِي حِسَابَاتِ زَمْنِيَّةٍ وَمَكَائِيَّةٍ دَقِيقَةٍ مُقَدَّرَةٍ، مِنْهَا مَا يَكُونُ فِي أَبْعَادٍ خَيَالِيَّةٍ بِمَلَايِينِ السَّنَوَاتِ الضَّوْثِيَّةِ! فَمَنْ الْمَتَّصِرِّفُ فِيهَا جَمِيعًا، وَمَنْ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ؟ وَكَذَا شُؤُونَ الْبَشَرِ، حَيَاتِهِمْ، وَرِزْقُهُمْ، وَعَمَلُهُمْ...

فَسَيَقُولُ الْمَشْرِكُونَ بَدُونَ تَرَدُّدٍ: هُوَ اللَّهُ. وَلَا تَنْفَعُ الْمَكَابِرَةُ وَالْعِنَادُ هُنَا فِي شَيْءٍ. فَقُلْ لَهُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ: أَلَا تَخْشَوْنَ اللَّهَ إِذَا، مَا دُمْتُمْ عَرَفْتُمْ أَنَّ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ بِيَدِهِ، وَالسَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ بِقُدْرَتِهِ... وَكُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ مُلْكُهُ وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ؟ أَلَا تَتَزَكَّوْنَ الشِّرْكَ بَعْدَ عِلْمِكُمْ هَذَا؟

{ قَدْ لَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ } [يونس: 32]

32- الله وحده الذي يخلق ويُدبِّرُ شَأْنَ خَلْقِهِ، الْإِلَهَ الْحَقُّ، الَّذِي لَا يَتَعَدَّدُ، وَلَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ إِلَّا هُوَ، وَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَقَدْ ضَلَّ وَعَوَى، فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الضَّلَالِ، وَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ إِلَى عِبَادَةِ سِوَاهِ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الْإِلَهَ الْحَقُّ؟

{ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } [يونس: 33]

33- وهكذا وجب حُكْمُ اللَّهِ عَلَى الَّذِينَ تَمَرَّدُوا وَأَصْرَبُوا عَلَى الْكُفْرِ، وَصَرَفُوا أَنْفُسَهُمْ عَنِ الْأَدْلَةِ وَالْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ الْوَاضِحَةِ وَالْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ؛ بِأَنَّهُمْ أَشْقِيَاءُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

{ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } [يونس: 34]

[يونس: 34]

34- قُلْ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِبَدْءِ الْخَلْقِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِبَعْثِهِ: هَلْ مِنْ أَوْلِيَانِكُمْ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى إِنْشَاءِ الْخَلْقِ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ، ثُمَّ يُجِيئُهُ بَعْدَ الْمَوْتِ؟ قُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى

ذلك، فكيف تُصرفون عن طريق الرُّشدِ إلى الضَّلال، وكيف تُوجَّهون عن التفكيرِ المستقيم إلى المعوجِّ؟

{قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [يونس: 35]

35- وقُلْ لهم: هل من أوثانِكُمْ من يُرشدُ إلى الحقِّ، ويَضَعُ لَهُ نِظامًا، وَيَعْتُ بِهِ رَسولًا، ويوجِبُ عَلَيْهِمُ اتِّباعَهُ، ولا يَكُونُ لِلنَّاسِ مِنْهُ بَدٌّ؟

قُلْ لهم: أنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ شُرَكَاءَكُمْ لا يَقْدِرُونَ على هدايةِ أَحَدٍ، بل الذي يَهْدِي الضَّالَّ، ويُبَيِّرُ القلبَ، وَيَشْرَحُ الصِّدْرَ، اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ.

وقُلْ لهم في نتيجةِ حتميةٍ: أيُّهما أَحَقُّ بالاتباعِ إِذًا: اللهُ الذي يَهْدِي النَّاسَ، أم الذي لا يَهْدِي إلى شيءٍ، ولا يُبْصِرُ، ولا يَتَحَرَّكُ، ولا يَقْدِرُ على الانتقالِ إلى مَكَانٍ إِلَّا أَنْ يُحْمَلَ وَيُنْقَلَ؟!!

والذين كانوا يَعْبُدُونَ الأَناسِيَّ، كَمَنْ يَعْبُدُ المَسِيحَ عيسَى بنَ مريمَ، والملائكةَ، لا يَهْتَدُونَ بأنفُسِهِمْ، ولا يَقْدِرُونَ على هدايةِ أَحَدٍ، إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ.

فما لَكُمْ أيُّها المَشْرِكُونَ، كَيْفَ تَحْكُمُونَ بالباطِلِ، وتَتَّخِذُونَ شُرَكَاءَ اللهِ، بدونِ أيِّ دَلِيلٍ، ولا عَقْلِ، ولا مَنطِقٍ، تُساوُونَ في العِبادةِ بَيْنَ اللهِ المَتَعَالِ، والأَصْنامِ المَصنُوعَةِ مِنَ الحِجارَةِ؟

{وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُعْزِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} [يونس: 36]

36- وأكثرُ المَشْرِكِينَ لا يَتَّبِعُونَ في دِينِهِمْ حُجَجًا ولو كانتِ واهيةً، بل هي ظُنُونٌ وأوهامٌ وتخيُّلاتٌ لا تَسْتَنِدُ إلى أساسٍ، فهم يَظُنُّونَ أَنَّ اللهُ شُرَكَاءُ، ولكن لا يَتَحَقَّقُونَ مِنْهُ. وهكذا مُجادِلُهُمْ ومُحاورَتُهُم التي يُدافِعُونَ بها عن آرائِهِمْ ومُعتقداتِهِمْ، وإنَّ الظنَّ الفاسِدَ لا يُحَقِّقُ لهم شَيْئًا مِنَ الحَقِّ، واللهُ عَلِيمٌ بأفعالِهِم السيِّئةِ، وإِعراضِهِمْ عن الحَقِّ المَبِينِ.

{ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ
الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [يونس: 37]

37- وما كان هذا القرآن العظيم، بكماله وجلاله، في أخباره وأحكامه، وفي إعجازه ونظامه، وفي منهجه وأسراره، أن يكون مكذوباً على الله، فرق واضح بينه وبين كلام البشر، ولا يقدر أحد على أن يأتي بمثله، أو بسورة من مثله، فلا يكون إلا من عند الله سبحانه. فهو كتاب سماوي يصدق الكتب السماوية السابقة، وحكم عليها، فيذكر ما وقع فيها من تحريف وتبديل، ويبيّن الحقائق والأحكام، لا يشك في القرآن طالب حق، لوضوحه وعلوّ شأنه.

{ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَلَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ } [يونس: 38]

38- أم يقول المشركون إن محمداً اختلق القرآن من قبل نفسه وجاء به من عنده؟ قل لهم أيها النبي: إن كنتم تشكّون في كون القرآن من عند الله، فأتوا بسورة واحدة تشبه القرآن، واستعينوا بكل من قدرتم عليه من إنس وجرّ ليساعدوكم في ذلك، إذا كنتم صادقين في أنني افتريته. وإذا صدقتُم القول، فإنكم ستقولون: إنك بشر مثنا، لا تقدر على أن تأتي بمثله، ولا نحن قادرون على ذلك.

{ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ } [يونس: 39]

39- بل كذب المشركون بالقرآن، فلم يفهموه ولم يحيطوا بعلمه، ولم يقفوا على معانيه الجليلة، وإخباره بالغيوب، ولم يعلموا ما يؤول إليه عاقبة أمرهم، ولو أنهم تأملوا مصير الأولين لعرفوا مصيرهم، فقد كذبت الأمم الخالية رسالهم من قبل؛ عناداً وجهلاً، فانظر كيف كان آخر أمرهم، واحذروا أن يصيبكم ما أصابهم.

{ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ } [يونس: 40]

40- ومنهم من يؤمن بالقرآن ويتنفع بما أرسلت به أيها النبي، ومنهم من يبقى مصراً على كفره فلا يهتدي ولا يؤمن، وهم المفسدون، أتباع الهوى والفساد، ورثك أعلم بهم، وبما يُطنون من كفرٍ وشرٍ.

{ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ }
[يونس: 41]

41- فَإِنْ كَذَّبَكَ الْمَشْرِكُونَ بَعْدَ الزَّامِهِمُ الْحُجَّةَ، فتنبراً منهم، وقل لهم: لي عملي وجزاؤه، ولكم عملكم وجزاؤه، وأنتم لا تؤاخذون بعَملي، ولا أنا أواخذُ بعَمليكم.

{ وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ } [يونس: 42]

42- وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ مَن يَسْتَمِعُ إِلَى كَلَامِكَ الْحَسَنِ، وَإِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ، بَلْ لَا يُصْغُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوهُ، وَعَطَّلُوا بِذَلِكَ حَاسَةً السَّمْعِ عِنْدَهُمْ، وَأَنْتَ لَا تَقْدِرُ عَلَى إِسْمَاعِ الْأَصْمِ، وَلَوْ ضَمَّ إِلَى سَمْعِهِ عَقْلَهُ الَّذِي لَا يَعْقِلُ بِهِ، فَقَدْ أُصِيبَ فِي عَقْلِهِ، وَفِي جَمِيعِ حَوَاسِهِ.

{ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ } [يونس: 43]

43- وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ وَهُوَ يَرَى فِي سَمْتِكَ وَخُلُقِكَ دَلَائِلَ النُّبُوَّةِ، وَلَكِنَّهَا أَبْصَارٌ ظَاهِرَةٌ لَيْسَ وَرَاءَهَا عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ، وَلَا اسْتِبْصَارٌ فِي الْقَلْبِ، أَفَأَنْتَ تُبْصِرُ الْعُمْيَ وَلَوْ ضَمُّوا إِلَى عَدَمِ الْبَصْرِ عَدَمَ الْبَصِيرَةِ؟

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [يونس: 44]

44- إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ، فَقَدْ خَلَقَهُمْ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَزَوَّدَهُمْ بِقُلُوبٍ وَعُقُولٍ وَحَوَاسٍ يَتِمَكَّنُونَ بِهَا مِنَ الْإِيمَانِ إِذَا لَمْ يَطْمِسُوهَا بِالْعِنَادِ وَالْخِصَامِ، إِنَّ شَاءَ اللَّهُ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ لِيُبَيِّنُوا لَهُمْ مَا يَتَوَنَّوْنَ وَمَا يَتْرَكُونَ، وَأَرْسَلَ مَعَهُمُ الْمُعْجِزَاتِ حَتَّى لَا يَبْقَى عِنْدَهُمْ شَكٌّ فِي ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَعْمِلُونَ مَدَارِكَهُمْ لِمَا خُلِقَتْ لَهُ، وَيُعْرِضُونَ عَنِ قَبُولِ الْحَقِّ، وَيُكَذِّبُونَ الرُّسُلَ،

فَيُظْلَمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَيُعْرَضُونَ بِذَلِكَ لِلْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا يَلُومُنَّ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ.

{ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } [يونس: 45]

45- وَذَكَرَهُمْ وَأَنْذَرَهُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ، فَإِنَّهُمْ يَوْمَ يُجْمَعُونَ لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَبْقُوا فِي الدُّنْيَا مِقْدَارَ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ، قَضَوْهَا فِي التَّعَارُفِ بَيْنَ بَعْضِهِمُ الْبَعْضَ! إِنَّهَا حَيَاةٌ قَصِيرَةٌ حَقًّا، كَانَ يَجِبُ أَنْ تُقْضَى فِي الطَّاعَةِ وَالصَّلَاحِ، وَلَكِنَّهُمْ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا، فَخَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بَعْدَ اسْتِعْدَادِهِمْ لِهَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، يَوْمِ الْجَزَاءِ وَالْمِحَاسَبَةِ عَلَى الْأَعْمَالِ، وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ لِسُبُلِ النَّجَاةِ وَالْفَلَاحِ، بَلِ انْحَرَفُوا، فَسَقَطُوا فِي النَّارِ { وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [سورة النمل: 90].

{ وَإِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ } [يونس: 46]

46- وَإِنَّمَا أَنْ تُرِيكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ بَعْضَ الَّذِي نُوجِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَذَابِ، فَتَنْتَقِمَ مِنْهُمْ فِي أَثْنَاءِ حَيَاتِكَ، أَوْ نَتَوَفَّاكَ وَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ إِلَيْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَنُعَذِّبُهُمْ يَوْمَها أَشَدَّ الْعَذَابِ، وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ بَعْدَكَ، وَمُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا.

{ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } [يونس: 47]

47- وَلِكُلِّ أُمَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَسُولٌ تُنْسَبُ إِلَيْهِ وَتُدْعَى بِهِ، وَتُعْرَضُ عَلَى اللَّهِ بِحَضْرَتِهِ، فَإِذَا جَاءَ رَسُولُ كُلِّ أُمَّةٍ إِلَى الْمَوْقِفِ لِيَشْهَدَ عَلَيْهِمْ، حُكِمَ بَيْنَهُمْ بَعْدَ شَهَادَتِهِ بِالْعَدْلِ، فَيَنْجُو الْمُؤْمِنُ وَيُعَاقَبُ الْكَافِرُ، وَلَا يُظْلَمُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، فَلَا يُعَذَّبُ بغيرِ ذَنْبٍ، وَلَا يُنْقَصُ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْءٌ.

{ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [يونس: 48]

48- ويقول لك المشركون وكأنهم يستعجلون العذاب: متى هذا الوعد الذي تعدنا فيه بالعذاب يا محمد، إن كنتم صادقين أنت وأصحابك؟

{ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } [يونس: 49]

49- قل لهم: لا أقدر على دفع ضرر عن نفسي، ولا جلب نفع لها، إلا أن يشاء الله ذلك ويُتدبرني عليه، ولكل جيل مُدَّةٌ مُقدَّرةٌ لأعمارهم، فإذا انقضت أجلهم، لا يتقدمون عليه ساعة ولا يتأخرون عنه.

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ } [يونس: 50]

50- وحدِّثهم بنعمة الله ووَعِيدِهِ، وقل لهم: أرايتم إن أتاكم عذاب الله، ليلاً وأنتم نائمون، أو نهاراً وأنتم مُشغولون، فما الذي تستعجلونه من العذاب وفيه هلاككم، أيها المشركون المجرمون؟

{ أَلَيْسَ لَكُمْ عَذَابٌ يُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ } [يونس: 51]

51- إذا وقع العذاب وحلَّ بكم حقيقةً آمنتم به حينئذ؟ آلا آمنتم بيوم البعث والجزاء على الأعمال، وكنتم من قبل تستعجلون هذا الوعد من نبيكم مُستهزئين مُتهكِّمين، مُستعدين مُكذِّبين؟

{ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ } [يونس: 52]

52- ثم قيل للمُشركين الظالمين يوم القيامة، تقريباً وتوبيخاً: ذوقوا عذاب النار التي كنتم تُكذِّبون بها على الدوام، ولا تُحاسبون إلا على أعمالكم السيئة، ولا تُجزون إلا عليها.

{وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلٌّ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} [يونس: 53]

53- وَيَسْتَحِيرُونَكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ قَائِلِينَ: هَلِ الْعَذَابُ الَّذِي وَعَدْتَنَا بِهِ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ آتِيَةٌ لَا شَكَّ فِيهَا؟ فَقُلْ لَهُمْ: نَعَمْ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ وَصِدْقٌ، وَسَوْفَ يُعِيدُكُمُ اللَّهُ بَعْدَ فَنَائِكُمْ، كَمَا بَدَأَ خَلْقَكُمْ، وَمَا أَنْتُمْ بِقَادِرِينَ عَلَى الْهَرَبِ أَوْ دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ.

{وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [يونس: 54]

54- وَلَوْ كَانَ لِكُلِّ نَفْسٍ أَشْرَكَتْ مَا فِي الدُّنْيَا مِنْ خَزَائِنِ وَأَمْوَالٍ، لَبَدَّلْتَهَا كُلَّهَا حَتَّى تَنْجُوَ مِنَ الْعَذَابِ الرَّهيبِ الَّذِي نَزَلَ بِهَا، وَأَخْفَوْا مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْأَسْفِ وَالْحَسْرَةِ، وَمِنْ الْهَمِّ وَالْعَمَلِ - عَلَى مَا فَعَلُوهُ مِنْ ظُلْمٍ وَارْتِكَابِهِ مِنْ جَرَائِمٍ - لَمَّا رَأَوْا شِدَّةَ الْأَهْوَالِ، وَفُظَاعَةَ الْعَذَابِ، وَجُوزُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ دُونَ أَنْ يَنَالَهُمْ ظُلْمٌ، فَلَيَنْدَمُوا، وَلَيَسْتَغِيثُوا، فَإِنَّهُمْ غَيْرُ خَارِجِينَ مِنَ النَّارِ.

{أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [يونس: 55]

55- أَلَا إِنَّ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُلْكٌ لِلَّهِ وَحْدَهُ. أَلَا إِنَّ جَمِيعَ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، ثَابِتٌ وَقَعٌ كَمَا قَالَ بِهِ، وَمِنْهُ الْبَعْثُ وَالْجَزَاءُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ؛ لَغَفْلَتِهِمْ وَاغْتِرَارِهِمْ بظواهرِ الْأُمُورِ، وَسُوءِ اسْتِعْدَادِهِمْ لِلْبَحْثِ عَنِ الْحَقِّ أَوْ قَبُولِهِ.

{هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يونس: 56]

56- هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْقَادِرُ، الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَإِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ لِيُحَاسِبَكُمْ وَيُجَازِيَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [يونس: 57]

57- أَيُّهَا النَّاسُ، أَقْبِلُوا عَلَى مَا فِيهِ خَيْرٌ لَكُمْ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، وَفِيهِ تَذَكِرَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ، مِمَّا يُلِينُ الْقُلُوبَ بِالرَّغِيبِ وَذِكْرٍ حُسْنِ الثَّوَابِ، وَبِالترهيبِ وَبَيَانِ سُوءِ الْعِقَابِ، وَفِيهِ دَوَاءٌ مِنَ الْجَهْلِ وَالشُّبْهِ وَالشُّكُوكِ، وَهُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ، وَرَحْمَةٌ وَإِحْسَانٌ لِلْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً، فَيَزِيدُهُمْ إِيمَانًا، وَيُبَشِّرُهُمْ بِالْجَزَاءِ الْحَسَنِ.

{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس: 58]

58- قُلْ: لِيَفْرَحِ النَّاسُ بِدِينِ اللَّهِ وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَبِالْإِيمَانِ وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا الَّذِي يَحْرِصُونَ عَلَيْهِ وَيَجْمَعُونَهُ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا وَزَخَارِفِهَا وَزَهْرَتِهَا الْفَانِيَةِ.

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَدْنَى لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ} [يونس: 59]

59- وَقُلْ لِكُفَّارِ مَكَّةَ: أَرَأَيْتُمْ هَذَا الرِّزْقَ الَّذِي قَدَّرَهُ اللَّهُ لَكُمْ لَتَنْتَفِعُوا بِهِ، فَجَعَلْتُمْ تُحْرَمُونَ أَنْوَاعًا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالزُّرُوعِ، وَتُحَلَّلُونَ أُخْرَى، فَهَلْ أَدْنَى اللَّهُ لَكُمْ بِذَلِكَ، أَمْ أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ، وَتَقُولُونَ إِنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ؟

{وَمَا ظُنُّ الَّذِينَ يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ} [يونس: 60]

60- وَمَا الَّذِي يَظُنُّ الْمُشْرِكُونَ الْمَكْذُوبُونَ أَنْ يُفْعَلَ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ حَرَّمُوا وَحَلَّلُوا بِأَهْوَائِهِمْ وَأَضَالِيلِهِمْ، الَّتِي لَا مُسْتَنَدَ عَلَيْهَا وَلَا دَلِيلَ؟ أَيْحَسِبُونَ أَنَّهُمْ لَا يُؤَاخِذُونَ عَلَى أَفْعَالِهِمْ وَلَا يُعَاقِبُونَ؟

وَإِنَّ فَضْلَ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ عَظِيمٌ، وَنِعْمَتُهُ عَلَيْهِمْ لَا تُقَدَّرُ، فَزَوَّدَهُمْ بِالْعَقْلِ، وَسَخَّرَ لَهُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْكُتُبَ، وَأَبَاحَ لَهُمُ الطَّيِّبَ النَّافِعَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْحَبِيثَ الضَّارَّ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ فَضْلَ اللَّهِ، فَيَتَعَامَلُونَ بِالْحَبِيثِ الْمَحْرَمِ، وَيَتْرَكُونَ مَا فِيهِ فَائِدَةٌ وَشِفَاءٌ، وَلَا يَتَنَفَعُونَ بِدِينِ اللَّهِ.

{ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [يونس: 61]

61- وما تكون في أمر من الأمور أيها النبي، وما تتلو من قرآن، الذي هو من أعظم شؤونك، ولا تعملون أي عمل من الأعمال أيها الناس، إلا كنا شهوداً عليكم، نطلع على أحوالكم، ونعلم جميع أموركم، عندما تشرعون فيها وتخوضون، وما يغيب عن ربك وزن ذرة، عالياً كان في السماء، أو أسفل في الأرض، وأصغر من ذلك أو أكبر، وكل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ.

{ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [يونس: 62]

62- ألا إن أولياء الله من عباده المقربين لا خوف عليهم يوم القيامة عندما يخاف الناس ويحزنون، بل هم آمنون فرحون، لا يعتريهم الهم والحزن.

{ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } [يونس: 63]

63- وهم الذين آمنوا حق الإيمان، بكل ما جاء من عند الله، ويتقونه، فيمتهلون ما أمر به، ويحذبون ما نهى عنه، ويستقيمون على الطاعة والامتثال. وكل من كان تقياً فهو ولي.

{ هُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [يونس: 64]

64- لهم البشرى الطيبة في الدنيا العاجلة، وفي الآخرة الآجلة. وبشراهم في الدنيا هي الرؤيا الصالحة، يراها الرجل أو ترى له "كما في الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم وغيره. و"رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة". رواه البخاري في صحيحه.

والرؤيا الصالحة خير وبركة، ودلالة على التوفيق والفوز، إن شاء الله.

وَبُشْرَاهُمْ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَمَا تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَتُبَشِّرُهُمْ بِالْجَنَّةِ: {بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [سورة الحديد: 12].
ولا تَغْيِيرَ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا خُلْفَ لَوَعْدِهِ. وَمَا وَعَدَ بِهِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنَ الْبُشْرَى هُوَ الْفَلَاحُ وَالنَّجَاحُ، وَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، الَّذِي لَا فَوْزَ وَرَاءَهُ.

{وَلَا يَخْزِنَكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [يونس: 65]

65- وَلَا تَعْتَمَّ مِنْ أَقْوَالِ أَعْدَاءِ اللَّهِ الْمَشْرِكِينَ، وَلَا تَتَضَاقِقَ مِنْ مَقَالَاتِهِمُ الرَّدِيعَةَ. إِنَّ الْعَلْبَةَ وَالْقُدْرَةَ كُلُّهَا لِلَّهِ، فَلَا يُفْهَرُ وَلَا يُغْلَبُ، وَهُوَ الَّذِي يَحْمِي أَوْلِيَاءَهُ مِنْ كَيْدِ الْأَعْدَاءِ، وَيَنْتَقِمُ لَهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ، وَهُوَ السَّمِيعُ لِمَا يَقُولُونَ فِي حَقِّكَ، عَلِيمٌ بِأَحْوَالِهِمْ وَمَا يُضْمِرُونَهُ.

{أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} [يونس: 66]

66- أَلَا إِنَّ جَمِيعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ عِبِيدُ اللَّهِ وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ، وَهَؤُلَاءِ الشُّرَكَاءُ الَّذِينَ يَتَوَهَّمُ الْمَشْرِكُونَ أَنَّهُمْ آلِهَةٌ، وَيَعْبُدُونَهَا لِتَشْفَعَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، لَيْسُوا شُرَكَاءَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ حَقِيقَةً، وَالَّذِينَ يَعْبُدُونَهَا لَيْسُوا عَلَى يَقِينٍ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ هُمْ يَتَّبِعُونَ ظَنَّهُمُ الْبَاطِلَ، وَتَخْمِينَهُمُ الْفَاسِدَ، فَمَا هُمْ إِلَّا كَاذِبُونَ مُفْتَرُونَ فِي ذَلِكَ.

{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ} [يونس: 67]

67- هُوَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَسْتَرِيحُوا فِيهِ مِنْ تَعَبِ النَّهَارِ، وَتَهْدُوا فِيهِ وَتَسْكُنُوا، وَخَلَقَ لَكُمْ النَّهَارَ مُضِيئاً لَتَسْعُوا فِيهِ وَتَعْمَلُوا، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى هَذَا أَحَدٌ غَيْرُ اللَّهِ، وَفِي ذَلِكَ دَلَائِلٌ عَلَى تَوْحِيدِهِ، وَعَلَى قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ، لِمَنْ يَسْمَعُ هَذِهِ الْأَدْلَةَ وَيَتَدَبَّرُهَا، وَيَنْبَهُ إِلَيْهَا وَلَا يَعْتَلُّ عَنْهَا.

{ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ
سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [يونس: 68]

68- وقال المشركون إن لله ولداً، كقول الكافرين إن الملائكة بنات الله، وقول النصارى إن عيسى بن مريم ابن الله، وقول اليهود إن عزيزاً ابن الله! تقدس الله وتنزه عن ذلك، هو الغني عن كل ما خلقه، وله جميع ما في السماوات والأرض، وهم تحت سلطانه وقهره، ومفتقرون إلى تدبيره.

ليست لكم أية حجة، ولا تملكون أي برهان على قولكم إن لله ولداً، سوى الكذب والبهتان.

أتقولون على الله العظيم شيئاً لا تعرفونه، ولستم متأكدين منه ولا متثبتين؟ إن الله واحد أحد، ليس ذا طبيعة بشرية حتى يتخذ من البشر ولداً. فالبشر يولدون ويموتون، والله لم يلد، ولا يموت. والبشر محتاجون إلى الله، والله ليس محتاجاً إلى أحد منهم.

{ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ } [يونس: 69]

69- قل أيها الرسول الكريم: إن الذين يكذبون على الله، وينسبون إليه الشريك والولد، لا ينجون من العقاب، ولا يفوزون بالنعيم.

{ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ } [يونس: 70]

70- إن ما فيه المشركون اليوم في الحياة الدنيا، ما هو إلا متاع قليل، ونعيم زائل، وسوف تنقضي آجالهم جميعاً، ثم إلينا مرجعهم يوم القيامة، لنذيقهم العذاب الأليم والشقاء المؤبد، بسبب كفرهم المستعير، وافترائهم الكذب على الله.

{ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ
اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا
إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونَ } [يونس: 71]

71- واقصص على المشركين الذين يكذبونك ويخالفونك، خبر رسولنا نوح عليه السلام مع قومه الذين كذبوه؛ ليعتبروا، وليحذروا أن يصيبهم ما أصابهم، فقد قال لقومه، وكانوا في بلاد العراق، وقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا: إن كان عظيم وشق عليكم طول مكثي بين ظهرانيتكم، وتذكيري إياكم بحجج الله وبيئاته الدالة على توحيدِهِ، وببطلان ما أنتم عليه من الشرك، فإنني لا أبالي بذلك منكم، ولا أنتهي عن دعوتكم إلى الحق والهدى، وفوضت أمري إلى الله، فهو ناصرِي ومؤيِّدي.

فاجتمعوا أنتم وشركاؤكم الذين تعبدوهم، ثم لا تجعلوا أمركم الذي اجتمعتم عليه مستورًا مخفيًا، بل أظهروه واجهروا به، فإذا زعمتم أنكم محضون، فأدوا إلي ما انتهت إليه مشورتكم، ولا تمهلوني ولا تستأذنوني للأهبة والاستعداد إذا أردتم الإضرار بي، فإنني لا أبالي بكم، ولا أخاف منكم، ولا آبه بظنونكم وتحزباتكم، لأنكم لستم على شيء.

{فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [يونس: 72]

72- فإذا كذبتُم وأعرضتُم عن طاعة الله، فإنني لم أطلب منكم أجرًا مقابل تذكيري ووعظي إياكم حتى أتضرر من قطعه عني، فأنا مستغن عن أموالكم، بطلبي الأجر والثواب على ذلك من الله وحده، وأمرت أن أكون مسلمًا مخلصًا، لا أبتغي بالدعوة مالاً ولا غيره.

{فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ} [يونس: 73]

73- فأصروا على تكذيب نوح، فأنجيناه ومن آمن معه في السفينة، وجعلناهم خلفاء في الأرض عن الذين أغرقوا في الطوفان، وأغرقنا الذين كذبوه جميعًا ولم نبق منهم أحدًا. فانظر ماذا كانت نتيجة من أنذرناهم وخوفناهم، الذين كفروا برسالة نبيهم، ولم ينجع فيهم الوعظ والتذكير، والإنذار والتحذير، فكان عاقبتهم الهلاك.

{ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ
مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ} [يونس: 74]

74- ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِ نُوحٍ رُسُلًا إِلَىٰ أَقْوَامِهِمْ، فَجَاءُوهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ وَالْأَدَلَّةِ الْوَاضِحَاتِ، فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِهَا، كَمَا لَمْ يُؤْمِنِ السَّابِقُونَ بِرُسُلِهِمْ وَبِرِسَالَاتِهِمْ، بَلْ كَذَّبُوهُمْ، فَطَبِعْتُهُمْ وَاحِدَةً، وَمَوْقِفُهُمْ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْكُفْرُ وَالْعِنَادُ، وَعَدَمُ التَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ. وَحَسَبَ سُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ مَنْ أَغْلَقَ قَلْبَهُ أَمَامَ نُورِ الْإِيمَانِ، وَحَجَّرَهُ بِالْعِنَادِ، وَعَلَّفَهُ بِالْاِسْتِكْبَارِ، وَمَنَعَ دُخُولَ نَسَمَةِ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ إِلَيْهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِيهِ.

{ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا
مُجْرِمِينَ} [يونس: 75]

75- ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِ أَوْلَيْكَ الرُّسُلِ مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، بِمُحْجَجِنَا وَمُعْجَزَاتِنَا، فَتَكَبَّرُوا وَعَانَدُوا، وَأَبَوْا اتِّبَاعَ الْحَقِّ، وَكَانُوا قَوْمًا كَافِرِينَ مُجْرِمِينَ، مُرْتَكِبِينَ لِدُنُوبٍ عَظِيمَةٍ.

{فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ} [يونس: 76]

76- فَلَمَّا رَأَوْا الْمُعْجَزَاتِ، وَهِيَ حَقٌّ ثَابِتٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَيْسَتْ بِتَخَيُّلَاتٍ وَتَمْوِيهَاتٍ، وَظَهَرَ أَمْرُهَا وَاضِحًا، قَالُوا فِي عِنَادٍ وَعُتُوٍّ: إِنَّ هَذَا سِحْرٌ وَاضِحٌ بَيِّنٌ.

{قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ} [يونس: 77]

77- قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مُنْكَرًا عَلَيْهِمْ جَوَابَهُمْ وَمَوْقِفَهُمُ السَّيِّءِ: أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ الَّذِي جَاءَكُمْ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ إِنَّهُ سِحْرٌ؟ أَسِحْرٌ هَذَا، وَالسَّحْرُ لَيْسَ دِينًا، وَلَا مِنْهَجًا لِلْهَدَايَةِ، وَلَيْسَ فِيهِ عَقِيدَةٌ وَدَعْوَةٌ رَبَّانِيَّةٌ، وَمَا كَانَ السَّحْرُ لِيَفُوزُوا بِحَقِّ وَصَلَاحٍ، وَشَأْنُهُمُ الْكَذِبُ وَالتَّدْجِيلُ.

{قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتْلِفَتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ} [يونس: 78]

78- قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَلَأُوهُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ خَافُوا عَلَى مَنَاصِبِهِمْ وَعَقَائِدِهِمُ الْفَاسِدَةَ: أَجِئْنَا لِنَتَصَرَّفَنَا عَنِ الَّذِي وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، وَيَكُونُ لَكَ وَأَخِيكَ هَارُونَ الْمَلِكُ وَالسُّلْطَانُ فِي أَرْضِ مِصْرَ، وَتَنفَرِدَا بِالْعِظْمَةِ وَالرِّئَاسَةِ دُونِنَا؟! لَا نُصَدِّقُكُمَا فِيمَا جِئْتُمَا بِهِ، وَلَا نَتَّبِعُكُمَا عَلَى دِينِكُمَا، مَهْمَا أَتَيْتُمَا بِهِ مِنْ أَدَلَّةٍ وَمُعْجِزَاتٍ!

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ} [يونس: 79]

79- وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِكِبْرَاءِ دَوْلَتِهِ مِنْ ذَوِي مَشُورَتِهِ، فِي غَطْرَسَةٍ وَتَحَدُّ لِنَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى: ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ يَكُونُ حَادِقًا مَاهِرًا فِي فُنُونِ السِّحْرِ، لِيُجَاهِجُوا بِهِ سِحْرَ مُوسَى.

{فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْتَفُونَ} [يونس: 80]

80- فَلَمَّا اجْتَمَعَ السَّحَرَةُ فِي مَيْدَانِ التَّحَدِّيِّ، قَالَ لَهُمْ مُوسَى فِي ثَبَاتٍ وَإِيمَانٍ: أَلْقُوا الَّذِي عِنْدَكُمْ مِنَ الْعِصِيِّ وَالْحِبَالِ وَمَا كَانَ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ.

{فَلَمَّا أَلْقُوا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَابِطٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس: 81]

81- فَلَمَّا أَلْقُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ، وَخَيَّلُوا لِلنَّاسِ صُورًا وَأَشْكَالًا عَظِيمَةً رَوَّعَتْهُمْ، قَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّ هَذَا الَّذِي فَعَلْتُمُوهُ سِحْرٌ لِلْأَنْظَارِ، وَهُوَ تَخْيِيلٌ وَتَزْيِيفٌ لَا أَصَلَ لَهُ مِنَ الْحَقِيقَةِ، وَلَا يُضَاهِي شَيْئًا مِنْ مُعْجَزَةِ اللَّهِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَسَوْفَ يُظْهِرُ اللَّهُ فَسَادَهُ وَبُطْلَانَهُ لِلنَّاسِ، وَاللَّهُ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ الَّذِينَ يُضَلِّلُونَ النَّاسَ، وَلَا يُؤَيِّدُ أَعْمَالَهُمْ وَلَا يُدِيمُهَا، بَلْ يُزِيلُهَا وَيُظْهِرُ بُطْلَانَهَا.

{وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ} [يونس: 82]

82- وَيُثَبِّتُ اللَّهُ الْحَقَّ وَيُقَوِّمُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ذَلِكَ، مِنَ السَّحْرَةِ وَالطُّغَاةِ وَالْمُكَذِّبِينَ، فَكَرَاهَتِهِمْ لَا تُعْطَلُ مَشِيئَةُ اللَّهِ، وَلَا تَحُولُ دُونَ إِظْهَارِ الْحَقِّ.

{فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ} [يونس: 83]

83- وعلى الرغم من الأدلة الكافية على صدق رسالة موسى عليه السلام، إلا أنه لم يؤمن به إلا أولادُ بعض بني إسرائيل، وكانوا على خوفٍ ووجلٍ من بطش فرعون وملاحقة كبار قومه لهم، خوفًا من تعذيبهم لهم وصرفهم عن الدين الحق الذي اعتنقوه. وكان فرعون متكبرًا متعجرفًا، وحاكمًا طاغيةً متجبرًا، ذا حكومةٍ قويَّةٍ وبطشٍ وإرهاب، متجاوزًا الحدَّ في الظلم والفساد، بسفك الدماء والإهانة وبث الرعب والتكبر... حتى ادَّعى الربوبية!

{وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ} [يونس: 84]

84- وقال موسى لمؤمني قومه عندما رأى تخوُّفهم: يا قوم، إذا كنتم صادقين في إيمانكم، متمسكين بعقيدتكم حقًا، ففوضوا أمركم إلى الله واعتمدوا عليه، فإنه كافيكم كلَّ شرٍّ وضرٍّ، هذا إذا كنتم مستسلمين لقضاء الله، مُخلصين له.

{فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [يونس: 85]

85- فقال قومه المؤمنون: اعتمدنا على الله، وأخلصنا له العبادة والدعاء. اللهم لا تُمكن أعداءنا منّا، ولا تُسلطهم علينا، فيعدِّبونا ويصرفونا عن ديننا، فإنهم جبارون ظالمون، لا يعرفون رحمة، ولا يُراعون حقًا.

{وَبِحَنَّا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [يونس: 86]

86- وخلصنا برحمتك وإحسانك من القوم الكافرين، الذين لا يتصفون بإيمانٍ يردُّ عنهم، ولا إحسانٍ يمنعهم.

{ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } [يونس: 87]

87- وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ هَارُونَ أَنْ اتَّخِذَا لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَوْمِكَمَا بُيُوتًا تَكُونُ
مَعَابِدَ يَتَعَبَّدُونَ فِيهَا، وَاجْعَلُوا وُجُوهَ بُيُوتِكُمْ إِلَى الْقِبْلَةِ - وَكَانُوا يَتَوَجَّهُونَ إِلَى الْكَعْبَةِ فِي
صَلَاتِهِمْ، وَفِي قَوْلٍ إِنَّ بِيوتَهُمْ قِبْلَتَهُمْ - . وَحَافِظُوا عَلَىٰ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ كَمَا فُرِضَتْ عَلَيْكُمْ.
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا، وَبِالْأَجْرِ الْكَبِيرِ فِي الْآخِرَةِ.

{ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن
سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ } [يونس: 88]

88- وَلَمَّا اسْتَمَرَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ فِي الضَّلَالِ وَالْفَسَادِ، وَازْدَادُوا ظُلْمًا وَتَكَبُّرًا، دَعَا مُوسَىٰ رَبَّهُ
قَائِلًا: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْطَيْتَ مُوسَىٰ وَكِبْرَاءَ قَوْمِهِ زِينَةَ الدُّنْيَا وَمَتَاعَهَا، وَأَمْوَالًا كَثِيرَةً فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا، وَيَنْشَأُ عَنِ ذَلِكَ إِضْلَالُ النَّاسِ عَنِ سَبِيلِكَ، فَيُذِلُّونَ الْآخِرِينَ بِقُوَّةِ مَا لَهُمْ، أَوْ يُغْرَوْنَهُمْ
بِالْبَدْحِ وَالغَيْءِ الَّذِي هُمْ فِيهِ، فَلَا يَصْمُدُونَ أَمَامَ إِغْرَاءِ الدُّنْيَا، فَيَتَّبِعُونَهُمْ. اللَّهُمَّ فَاهْلِكْ أَمْوَالَهُمْ،
وَأَذْهِبْ غِنَاهُمْ وَتَرْفَهُمْ، وَأَزِلْ عَنْهُمْ هَذِهِ الْوَسِيلَةَ الطَّاعِيَةَ فِي الظُّلْمِ، وَالْقُوَّةَ الْمَغْرِبِيَّةَ فِي الْفَسَادِ،
حَتَّىٰ لَا يَنْتَفِعُوا بِهَا، وَاجْعَلْ قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً مُسْتَعْلَقَةً، مَا دَامُوا يَزِدَادُونَ إِصْرَارًا وَعِنَادًا فِي الْكُفْرِ،
حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُكَ الشَّدِيدُ الْمَوْجِعُ وَهُمْ كَذَلِكَ، وَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُمْ الْإِيمَانُ عِنْدَئِذٍ.

{ قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } [يونس: 89]

89- قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ لِمُوسَىٰ وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: قَدْ أَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَكُمْ - وَكَانَ هَارُونُ
يَدْعُو بِدُعَاءِ أَخِيهِ، أَوْ يُؤْمِنُ عَلَيْهِ - فَاسْتَقِيمَا عَلَى طَاعَتِي، وَاثْبِتَا عَلَىٰ أَمْرِي، وَلَا تَسْلُكَا
طَرِيقَ الَّذِينَ يَجْهَلُونَ الْحَقَّ فَيَتَرَدَّدُونَ وَيَتَخَبِّطُونَ، فَإِنَّكُمْ عَلَىٰ حَقٍّ، وَسَيَأْتِيَكُمْ النَّصْرُ الَّذِي
وَعَدْتُكُمْ بِهِ.

{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ
قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [يونس: 90]

90- وخرج بنو إسرائيل مع نبيهم موسى من مصر، لكن فرعون وحشوداً حاشدة من جنوده
مضوا إليهم ليطارذوهم ويقتلوهم.

وعبرنا بني إسرائيل البحر، وأدركهم فرعون وجنوده وهم في البحر، لا حقوهم ليقتلوهم ظلماً
وعُدواناً، لا لشيء إلا لإيمانهم، فنجى الله المؤمنين إلى الطرف الآخر من البحر، ومن عليهم
بالتصر، وأغرق فرعون ومن معه فيه.

ولما غمره الماء وعان الموت، وعلم أن لا نجاة له، قال مُعلنًا إيمانه، حيث لا يُقبل الإيمان من
أحد وهو في تلك الحال: آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَأَنَا مِنَ
جُمْلَةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا نَفْسَهُمْ إِلَى اللَّهِ!

{الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين} [يونس: 91]

91- الآن تؤمن يا فرعون حيث لا مجال لك للفرار والاختيار، بعد أن كنت عاصياً
مستكبراً، ضالاً مُفسداً، طاغيةً ظالماً؟

{قَالِيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ}
[يونس: 92]

92- فاليوم نلقي بجنتك الهامدة على مُرتفع من الأرض، لتكون عبرة وعظة للناس، ليعلموا
أن مالك هو الموت مثل غيرك من عبيد الله، وأنت كنت مملوكاً مقهوراً، لا رباً قاهراً كما
ادّعت. والله عبر كثيرة في هذا الكون، يعرفها العقلاء المتدبرون، ولكن أكثرهم عنها غافلون.
قال في "روح المعاني": لتكون لمن يأتي بعدك من الأمم، إذا سمعوا حال أمرك ممن شاهد
حالك وما عراك، عبرة...

وذكر علماء للتشريح والآثار في عصرنا أن جثة فرعون ما زالت موجودة مُحنطة. وكانت سبباً
لإسلام جراح عالمي مشهور، أشرف على الاهتمام بالجثة المهترئة، ووجد في حلقه أملاحاً،

مَّا يَعْنِي أَنَّهُ مَاتَ غَرْقًا فِي الْبَحْرِ كَمَا ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ، بَيْنَمَا لَمْ تُذَكَّرْ كَيْفِيَّةُ وَفَاتِهِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ... وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ.

{وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [يونس: 93]

93- ولقد أنزلنا بني إسرائيل مكانًا طيبًا وإقامةً آمنة - ذُكِرَ أَنَّهُ بِلَادُ مِصْرَ وَالشَّامِ، مِمَّا يَلِي بَيْتَ الْمُقَدَّسِ وَنَوَاحِيَهُ - وَرَزَقْنَاهُمْ الْحَلَالَ الطَّيِّبَ، وَاللَّذِيذَ النَّافِعَ مِنَ الْأَطْعِمَةِ. وَمَا اخْتَلَفُوا فِي أُمُورِ دِينِهِمْ أَوْلًا، بَلْ كَانُوا مُتَّبِعِينَ أَمْرَ رَسُولِهِمْ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا بَعْدَ أَنْ عَلِمُوا مَا فِي التَّوْرَةِ وَوَقَّفُوا عَلَى أَحْكَامِهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَفَسَّرُوهَا تَفْسِيرَاتٍ بَاطِلَةً، وَأَوَّلُوهَا تَأْوِيلَاتٍ بَعِيدَةً، وَتَحَلَّلُوا عَنِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَلَا زَمُوا جَانِبَ الْخِلَافِ وَالْجِدْلِ، بَعْثًا وَحَسَدًا بَيْنَ بَعْضِهِمْ الْبَعْضَ، حَتَّى صَارُوا فِرْقًا عَدِيدَةً. وَإِنَّ اللَّهَ سَيَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ، فِي الَّذِي كَانُوا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، وَيُظْهِرُ الْمَحِقَّ مِنْ غَيْرِهِ.

{فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} [يونس: 94]

94- فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنَ الْقَصَصِ الْمُنزَلَةِ عَلَيْكَ فِي الْقُرْآنِ، وَمِنْهَا قِصَّةُ فِرْعَوْنَ وَمُوسَى، وَأَخْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَاسْأَلِ أَهْلَ الصِّدْقِ مِمَّنْ يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِنَّهَا مُثَبَّتَةٌ فِي كُتُبِهِمْ. لَقَدْ جَاءَكَ الْوَحْيُ الْحَقُّ، وَالْخَبْرُ الصَّادِقُ، وَالَّذِينَ الْخَاتَمُ، فَلَا تَتَرَدَّدُ فِيمَا أَنْتَ فِيهِ، وَلَا تَكُنْ مِنَ الشَّاكِّينَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

وَلَمْ يَشُكَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَسْأَلْ، وَلَكِنْ مَا فِي الْآيَةِ تَثْبِيْتُ لَهُ وَتَنْبِيهُ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى أُمُورِ دِينِهِمْ. وَقَدْ نَزَلَتِ الْآيَاتُ عَلَيْهِ فِي مَكَّةَ، وَكَانَ يُلَاقِي عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ أَدَى وَشِدَّةً وَتَعَنُّتًا مِنْ قَوْمِهِ، وَارْتَدَّ عَدَدٌ مِمَّنْ آمَنَ بَعْدَ حَادِثِ الْإِسْرَاءِ... وَكَذَا الْأَمْرُ فِي الْآيَةِ التَّالِيَةِ.

{وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [يونس: 95]

95- ولا تكن أيها الرسول ممن كذبَ بآياتِ الله وأدلتِّه، فتكون ممن خاب وخسر. وهذا مما لا يتوقع منه صلى الله عليه وسلم، ولكنه تخويفٌ وترهيبٌ، وتعرضٌ بالشاكِّين المكذِّبين، وفرصة لمن شكَّ أن يسأل حتى يتوثق ويتيقن من عقيدته، بدل أن يرتد ويكذب.

{ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ } [يونس: 96]

96- إن الذي لا يأخذ بأسباب الهدى لا يهتدي، ومن أغلق نوافذ القلب عن تلقى ضياء الإيمان لا يؤمن، وقد علم الله فيهم ذلك، فثبت عليهم حكمه وقضاؤه بأهم يموتون على الكفر.

{ وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ } [يونس: 97]

97- ولو كثرت عليهم الأدلة الواضحة، وأنزلت عليهم المعجزات الكثيرة، وجاءتهم الحجج الدامغة، فإنهم لا يؤمنون بها، حتى ينزل بهم العذاب المؤلم الشديد، عند ذلك يؤمنون، ولكنه إيمان لا ينفعهم حينذاك، فكأنهم لم يتلفظوا به.

{ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ

الْحُزِيِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ } [يونس: 98]

98- فهلاً آمن أهل القرى - من الذين مر ذكرهم - قبل أن ينزل بهم العذاب حتى ينفعهم إيمانهم، فإن الإيمان عند نزول العذاب لا ينفع، إلا قوم النبي يونس عليه السلام، فإنهم لما آمنوا عند رؤية أمارات العذاب، كشفنا عنهم ما هددوا به من العذاب المخزي الذي كان سيقع بهم في الدنيا، وتركوا ليمتتعوا في الحياة حتى وقت انقضاء آجالهم.

{ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ }

[يونس: 99]

99- ولو شاء الله أن يؤمن الناس كلهم، لآمنوا جميعاً ولم يتخلف منهم أحد، ولكنه سبحانه شاء أن يترك لهم حرية الاعتقاد والاختيار، بعد أن زودهم بالعقل، وبين لهم طريق الخير

والشر، ليكونوا مسؤولين عن اختيارهم، أفأنت تجبر الناس ليؤمنوا - أيها النبي - ولم يجبرهم الله على ذلك؟ فإن هذا ليس لك.

{ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ } [يونس:

[100

100- ولن تؤمن نفس إلا بإذنه وإرادته، ولن يكون هناك أمرٌ بخلاف مشيئته سبحانه، فلن تؤمن نفس من النفوس التي علم الله أنها لن تؤمن، ولن يكفر من كان في سابق علمه أنه لا يكفر، فهو العالم مسبباً بمن فتح قلبه للإيمان، وبمن استكبر عن قبول الحق وأصر على الكفر، فهذا كله في سابق علمه.

وقال صاحب الظلال: "المقصود أنها لا تصل إلى الإيمان إلا إذا سارت وفق إذن الله وسنته في الوصول إليه من طريقه المرسوم بالسنة العامة [يعني سلوك مسالك الهدى] وعندئذ يهديها الله ويقع لها الإيمان بإذنه، فلا يتم وقوعه إلا بقدر خاص به، إنما الناس يسيرون في الطريق، فيقدر الله لهم عاقبة الطريق، ويوقعها بالفعل جزاء ما جاهدوا في الله ليهتدوا".
ويجعل الله الكفر والضلال على الذين لا يستعملون عقولهم في فهم آيات الله، فهو العادل الحكيم، الذي يهدي من أقبل إليه، ويضل من أبى.

{ قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْجِبُ الْآيَاتِ وَالنُّذُرِ عَنِ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ }

[يونس: 101]

101- قل لهؤلاء الكافرين: تفكروا في خلق السماوات والأرض، وما بثت فيهما من بديع صنعه، وعجائب حكمته، فهذه الأقمار والنجوم، واختلاف الليل والنهار، والسحاب والهواء، والمطر والثلج، والبراري والبحار وما فيها، والزروع والثمار، وأصنافها وفوائدها... ثم الحيوان وتكوينه، والأرواح الساكنة فيه، والإنسان وتفكيره وفهمه، وجوارحه وحواسه وحركاته... وما لا يحصى من خلق الله، وما فيه من حكم وأسرار... لكن كل هذا الكون وما فيه، والطبيعة وما تحكيه، والرسل وما يُنذرون، لن يُفيد قوماً لا يريدون الإيمان.

{فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَاَنْتَظِرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ} [يونس: 102]

102- فهل ينتظر هؤلاء المكذوبون إلا مثل ما نزل من بأس الله ونعمته بمن كذبوا رسلهم من قبل؟

وقل للكافرين من قومك: إذا فانتظروا ما تأملون من هلاكي، فإني منتظر هلاككم.

{ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ} [يونس: 103]

103- ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا بهم عند نزول العذاب، وهلك المكذبين بهم، وكما أنجينا المؤمنين من قبل، فكذلك ننجيهم بعد كل تكذيب، حقًا واجبًا، كتبه الله على نفسه الكريمة.

{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنِ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [يونس: 104]

104- قل يا نبي الله: أيها الناس، إن كنتم في ريب من صحة الدين الذي أَدْعُوكم إليه، وأتعبد الله على هديهِ، فإنني لا أتركه أبدًا، ولا أعبد الأصنام التي تعبدونها من دون الله، ولكن أعبد الله وحده، الذي بيده آجالكم، أحياءكم، ثم يميتكم، ثم يحييكم للحساب والجزاء، فهو الإله الذي يستحق العبادة، وليس أصنامكم التي لا تُحيي ولا تُميت، ولا تضر ولا تنفع. وأوجب الله عليّ أن أكون من المؤمنين، فأنا عند أمره.

{وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يونس: 105]

105- واقم وجهك أيها الرسول لدين الله المستقيم، المائل عن الأديان الباطلة إلى دين الإسلام، واصرف ذاتك وكليتك له، واجتهد في ذلك بأداء الفرائض وجميع ما أمرك الله به، وأخلص العبادة له، ولا تلتفت إلى اعتقادات المشركين الضالة وأعمالهم السيئة.

{وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ }
[يونس: 106]

106- وَلَا تَعْبُدْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ إِنْ أَطَعْتَهُ، وَلَا يَضُرُّكَ إِنْ تَرَكْتَهُ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كُنْتَ فِي عِدَادِ الْمُشْرِكِينَ الظَّالِمِينَ، الَّذِينَ يَضُرُّونَ أَنْفُسِهِمْ، وَيَسْتَحِقُّونَ عَلَيْهِ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ. وَهُوَ تَذَكِيرٌ وَتَحْذِيرٌ لِلأُمَّةِ، وَتَرْهيبٌ وَوَعِيدٌ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ.

{وَإِنْ يَمَسُّنَكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [يونس: 107]

107- وَإِذَا أَصَابَكَ اللَّهُ بِشَوْءٍ، كَشِدَّةٍ وَمَرَضٍ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَرْفَعَهُ عَنْكَ إِلَّا هُوَ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُصِيبَكَ بِخَيْرٍ، كَرِزْقٍ وَعَافِيَةٍ، فَلَا أَحَدَ مِنْ خَلْقِهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعِدَّ فَضْلَهُ عَنْكَ، فَالْحَيْرُ وَالْفَضْلُ بِيَدِهِ سُبْحَانَهُ، وَالْعُقُوبَةُ وَالضَّرُّ بِيَدِهِ كَذَلِكَ، يُعْطِيهَا وَيُوقِعُهَا بِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، بَعْدَلِهِ وَحِكْمَتِهِ، فَهُوَ وَحْدَهُ الْمَسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ، وَهُوَ الَّذِي يَغْفِرُ ذُنُوبَ التَّائِبِينَ الْمُنِيبِينَ، وَيَرْحَمُهُمْ إِنْ أَحْلَصُوا وَصَدَّقُوا فِي تَوْبَتِهِمْ، فَلَا يُعَذِّبُهُمْ.

{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ } [يونس: 108]

108- قُلْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ: أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَدِينُ اللَّهِ الْقَوِيمُ، فَمَنْ اخْتَارَ الْهُدَايَةَ، وَالْإِيمَانَ وَالطَّاعَةَ، فَإِنَّ مَنَفَعَةَ هِدَايَتِهِ تَعُودُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ اخْتَارَ الضَّلَالَ وَالْكَفْرَ وَالْعِصْيَانَ، فَوَبَالَ اخْتِيَارِهِ يَعُودُ عَلَى نَفْسِهِ كَذَلِكَ. وَقُلْ لَهُمْ: لَسْتُ مَوْكَلًا بِكُمْ حَتَّى تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ، وَلَا حَافِظًا لَكُمْ لِمَنْعِكُمْ مِنْ اعْتِقَادِ الْبَاطِلِ، إِنَّمَا أَنَا بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ، مَا عَلَيَّ إِلَّا الْبَلَاغُ.

{وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُذَكَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ } [يونس: 109]

109- وَاتَّبِعْ فِي جَمِيعِ شُؤْنِكَ مَا أَوْحَى اللَّهُ بِهِ إِلَيْكَ، وَتَمَسَّكَ بِمَا أَمَرَكَ بِهِ، وَاصْبِرْ عَلَى مَشَاقِّ طَرِيقِ الدَّعْوَةِ وَمُخَالَفَةِ مَنْ ضَلَّ، حَتَّى يُظْهِرَ اللَّهُ دِينَهُ، وَهُوَ أَحْسَنُ مَنْ قَضَى، وَأَعْدَلُ مَنْ حَكَمَ، لَا يُخْطِئُ فِي حُكْمِهِ، وَلَا يُرَدُّ قَضَاؤُهُ.

سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: 1]

1- الحروف المقطعة لم يرد في معناها حديث ثابت صحيح. القرآن الكريم، كتاب الله العظيم الشأن، الذي أحكم بناؤه، ودق لفظه، وأحسن نظمه، لا اختلاف فيه ولا تناقض، ولا تضارب فيه ولا تباعد. ثم فصلت آياته، وجعلت موضوعاتها في أمور الناس وما يهتمهم في دنياهم وآخرتهم، فاشتملت على العقيدة، والأحكام، والقصاص، والأخلاق، وما يتفرع منها. فهو كلام متقن حكيم، نزل من عند الله، الحكيم في أقواله وقضائه، الخبير بالأمور وعواقبها، العالم بما يصلح به شؤون عباده.

{أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ} [هود: 2]

2- وقد أنزل الله كتابه، وأحكم آياته، وبينها لكم، لئلا تعبدوا إلا إياه، ولتعرفوا كيف تُخلصون العبادة له، فهي وظيفتكم الأساسية في الحياة. وقل للناس أيها النبي: إني مرسل إليك من قبل الله تعالى، أنذركم عذاباً إذا عرضتم عن طاعته، وأبشركم ثواباً إذا آمنتم وأطعتم.

{وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي

فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} [هود: 3]

3- واطلبوا المغفرة من الله لذنوبكم، وتوبوا إليه منها، ولا تعودوا إليها، ليمنحكم حياة طيبة، فيها أمن وعافية، وسكن وراحة، حتى يأتي أجلكم المقدّر لكم، وليعطي كل ذي فضلٍ وحسنه في الدنيا جزاءً فضله وإحسانه في الآخرة. فإذا عرضوا عن أمر الله، وأصروا على تكذيب رسول الله ورسالته، فقل لهم: إني أخاف أن ينالكم يوم القيامة عذاب شديد لا مفر لكم منه، ولا ناصر لكم يومئذٍ يخلصكم منه.

{إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [هود: 4]

4- وَسَوْفَ تَمُوتُونَ، ثُمَّ يُحْيِيكُمُ اللَّهُ، لَتُرْجَعُوا إِلَيْهِ آخِرًا، فَيُجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ يَوْمَ الْبَعْثِ، وَيُجَبِّرْكُمْ بِمَصِيرِكُمْ الَّذِي هُوَ نَتِيجَةُ أَعْمَالِكُمْ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، عَلَى خَلْقِكُمْ، وَإِمَاتَتِكُمْ، وَبَعْثِكُمْ، ثُمَّ مُحَاسِبَتِكُمْ، وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا.

{أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا

يُعلنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [هود: 5]

5- إِنَّ الْمَشْرِكِينَ إِذَا رَأَوْكَ تَقَرَّأَ كِتَابَ اللَّهِ، أَثْنُوا صُدُورَهُمْ وَأَحْنُوا رُؤُوسَهُمْ حَتَّى يَتَهَرَّبُوا مِنْ سَمَاعِهِ، تَخَفِيًّا مِنَ اللَّهِ! وَلَمَّا يَعْتَرِبُهُمْ مِنْ قَلْبٍ وَحَيْرَةٍ، وَكَأَنَّكُمْ يُحْسِنُونَ فِي دَاخِلِهِمْ أَنَّ هَذَا كَلَامُ اللَّهِ، وَيَحْشَوْنَ إِنْ اسْتَمَرُّوا عَلَى سَمَاعِهِ أَنْ يُسْلِمُوا! أَلَا فَلْيَعْلَمْ هَؤُلَاءِ الْغَافِلُونَ، أَنَّهُمْ إِذَا مَضَوْا إِلَى فُرُشِهِمْ لِيَنَامُوا، وَتَعَطَّوْا بِأَسْتَارِهِمْ، وَتَفَكَّرُوا بِمَا يَجْرِي لَهُمْ فِي أَعْمَاقِهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ نَاطِقٌ إِلَيْهِمْ، عَالِمٌ بِمَا يُخْفُونَ، وَسِرُّهُمْ عِنْدَهُ كظَاهِرِهِمْ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ عَلِيمٌ بِمَا تُخْفِيهِ الصُّدُورُ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

الجزء الثاني عشر

سورة هود (6-123)

سورة يوسف (1-52)

{ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ

مُبِينٍ } (هود: 6)

6- وليست هناك دابة في الأرض، من إنسان، وحيوان، وطير، وسمك، وحشرة... إلا وقد تكفل الله برزقها، فقد أودع في السماء والأرض أرزاقاً مذخورة تكفيها كلها، وجعل في هذه الدواب إمكانات لتحصيلها.

وعلمه محيط بها جميعاً، يعلم أين تذهب وأين تجيء وأين تقف في سيرها، ويعلم أين تبيت وتأوي، مع كثرتها وتنوعها، وكل ذلك مكتوب ومثبت في اللوح المحفوظ قبل خلقها: وجودها، وتحركها، ورزقها...

{ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا

سِحْرٌ مُبِينٌ } (هود: 7)

7- وهو الخالق المبدع، الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وكان عرشه على الماء، وأودع فيهما ما تحتاجون إليه، وما تستبدلون به على الخالق، وأودع فيكم الاستعدادات والطاقات المادية والمعنوية الملائمة لما سخره لكم فيهما، ليختبركم، وينظر في مواقفكم وأعمالكم، في الذي تستخدمونه وتتعاملون به، فيما ينفع أو فيما يضر، وهل تتبعون الحق الذي بينه لكم ربكم بواسطة رسوله، أم تضلون وتكفرون؟

ولئن قلت لهُولاء المشركين: إنكم ستبعثون بعد مماتكم ليحاسبنكم الله على أعمالكم، استهزؤوا بكلامك، وقالوا منكرين ذلك مستبعين: إن ما تقوله خديعة وبطلان، لا واقع له ولا أساس.

{وَلَيْنِ أَخْرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (هود: 8)

8- وإذا أَخْرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ الدُّنْيَوِيَّ إِلَىٰ أَجَلٍ مَّعْدُودٍ، لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا اللَّهُ، قالوا في جَهْلِ وَحَقِّ: أَيُّ شَيْءٍ يَحْبِسُ الْعَذَابَ، وما الذي يَمْنَعُ جَحِيئَهُ؟ يَعْنُونَ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ. وَإِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي يَأْتِيهِمْ - وفيه الْعَذَابُ - لَا يُرْفَعُ عَنْهُمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْفَعَهُ عَنْهُمْ، بَلْ سَيُحِيطُ بِهِمْ جَزَاءَ اسْتَهْزَائِهِمْ وَكُفْرِهِمْ. وكانَ في تَأْخِيرِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ بِهِمْ، فَقَدْ أَسْلَمُوا مِنْ بَعْدِ، وَنَفَعَ اللَّهُ بِهِمْ، وَفَتَحَ بِهِمْ فُتُوحَاتٍ...

{وَلَيْنِ أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ} (هود: 9)

9- وإذا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ نِعْمَةً، مِنْ غِنَىٰ وَصِحَّةٍ وَأَمْنٍ، وَذَاقَ لَذَّتَهَا، وَاسْتَمْتَعَ بِهَا، ثُمَّ سَلَبْنَاهَا مِنْهُ، وَجَدْتَهُ مَهْمُومًا مَغْمُومًا عَلَىٰ مَا أَصَابَهُ، يَأْتِسُّ مِنْ رُجُوعِ رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَيْهِ، جَاحِدًا بِتِلْكَ النِّعْمَةِ.

{وَلَيْنِ أَدْقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ} (هود: 10)

10- وإذا أَعْطَيْنَاهُ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا بَعْدَ شِدَّةٍ وَبَلَاءٍ أَصَابَهُ، قَالَ: زَالَتِ الشَّدَائِدُ عَنِّي، فَهُوَ بِذَلِكَ فَرِحَ فَخُورًا، مُغْتَرٌّ مُتَعَاظِمٌ عَلَى النَّاسِ، لَا يَحْسِبُ لَزْوَالِهَا حِسَابًا. وَذَلِكَ دَابُّ الْكَافِرِينَ وَضَعِيفِي الْإِيمَانِ.

{إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} (هود: 11)

11- أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الصَّابِرُونَ، الَّذِينَ اتَّبَعُوا إِيْمَانَهُمْ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمُوَافِقِ لِلدِّينِ، وَأَخْلَصُوا لِلَّهِ فِيهِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا أَصَابَتْهُمْ شِدَّةٌ صَبَرُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِالْفَرَجِ، وَإِذَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالْخَيْرِ وَالْعَافِيَةِ

شَكَرُوا وَلَمْ يَبْطَرُوا، وَلَمْ يَنْسُوا حُقُوقَ النَّاسِ، فَأَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَهُمْ، وَيُثَبِّتُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الْحَسَنَةِ ثَوَابًا عَظِيمًا؛ جَزَاءَ صَبْرِهِمْ عَلَى الشَّدَائِدِ، وَشُكْرِهِمْ عَلَى النِّعَمِ.

{ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ } (هود: 12)

12- فلعلك تترك أيها الرسول تبليغ بعض ما أوحى الله إليك من القرآن، ويضيق صدرك بكلمات الكافرين التي تُنبئ عن مواقفهم السيئة منه.

و"العل" هنا ليس استفهامًا خالصًا، بل المراد منه الزجر. وكان الكافرون يستهزؤون بالقرآن، فيضيق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسمعهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه، فأثارت الآية عزمته لئلا ينال منها ذلك.

وقال الكافرون: هلا نزل على هذا الرسول مال كثير، أو جاء معه ملك يصدق حتى نصدق؟ فلا يضيق صدرك بهذا وبغيره من كلامهم ومقتراحاتهم التي يقولونها تعجيزًا واستهزاء، لا طلبًا للإيمان، فلست مؤكلًا بهم وبإيمانهم، إنما أنت مبلّغ، والله هو القائم بكل شيء، الحافظ له، يعلم من يستحق الهداية فيهديه، ومن يستحق الضلالة فيبقيه عليها.

{ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (هود: 13)

13- أم يقول المشركون إن محمدًا (صلى الله عليه وسلم) اختلق القرآن من عنده وليس هو وحيدًا من عند الله؟ قل لهم أيها الرسول: إذا كان الأمر كما تقولون، فأتوا بعشر سورٍ من مثلي القرآن، مُفْتَعَلَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ، تكون في بلاغته وحسن نظمه ودقة معناه، فأنتم بشرٌ مثلي، وكلمات اللُّغَةِ مُشَاعَةً لي ولكم، واستعينوا بمن شئتم من فصحاءكم وبلغائكم وكهائنكم من الإنس والجنّ ليُساعدوكم في الإتيان بمثله، إن كنتم صادقين في أنني قُمتُ بتأليف القرآن من عندي.

{فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (هود: 14)

14- فإذا لم يستجب لكم المشركون المعاندون المستكبرون، فلم يأتوا بمثل هذا القرآن أو عشر آياتٍ من مثله، فاعلموا جميعاً أنّ القرآن كلامُ الله، أنزله على رسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم، فهو كلامٌ معجزٌ لا يقدرُ أحدٌ على أن يأتي بمثله حتى آخر الدهر. واعلموا أنّ الله واحدٌ لا شريك له، وألهتكم أيها المشركون لا شريك لها بالله، ولو كان لها شيءٌ من ذلك لساعدتكم فيما تُعاندون به الرسول، فهل أنتم داخلون في الإسلام بعد عجزكم عن هذا التحدي المبين؟

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ} (هود: 15)

15- مَنْ أرادَ بأعماله المنفعةَ في الدنيا وحسنَ الإقامة بها، وقيناهم أجورهم فيها كاملة، فوسّعنا لهم في الرزق، وأعطيناهم الصحة... ولم ننقص من حظهم الدنيوي شيئاً مما يستحقونه مقابل ما قاموا به من أعمالٍ خيرية إنسانية، ولكن ليس لهم في الآخرة شيءٌ عند الله، لأنهم لم يتبعوا بذلك وجه الله والآخرة.

{أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (هود: 16)

16- وهؤلاء المشركون المكذبون ليس لهم استحقاق عند الله سوى النار، لأنهم كانوا مصروفًا إلى الدنيا ومتاعها، ولم يحسبوا للآخرة حساباً، فأعمالهم تلك كان لها وزنٌ في الدنيا وقد أخذوا مقابلها آنذاك، أما في الآخرة فلا وزن لها، وبطلت ثواب كل ما عملوه، لأنها من غير إيمانٍ ولا طلبٍ ثوابٍ أخروي.

{أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً
أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ
مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ} (هود: 17)

17- أفمن كان على دليل وبرهان واضح - والمقصود الرسول صلى الله عليه وسلم - وبينة عظيمة الشأن من قبل ربه - وهي القرآن - ويتبعه من يشهد له بصدقه - وهو جبريل، أو الشواهد والمعجزات - وقبل ذلك ما ورد من خبره عليه الصلاة والسلام ووصفه والتبشير به في التوراة، التي كانت نظاماً وقُدوةً للناس، وهدايةً ورحمةً من الله لمن اتبعها، وهي مُصدِّقة للقرآن، شاهدة للنبي صلى الله عليه وسلم، فإن أولئك الذين يؤمنون بكل ما فيها، يؤمنون أيضاً بمحمد صلى الله عليه وسلم، لأنَّه يلزم هذا من ذلك، أفمن كان على بينة مثل هذا النبي، كمن هو في الضلالة والجهالة من الكفار والمشركين!؟

ومن يكفر بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم من الكافرين وأهل الملل كلها، فإنه لا مكان لهم في الآخرة إلا النار، فلا تكن في شك من أمر القرآن - وهو تعريض بمن شك فيه - فإنه الحق من ربك، الذي لا حق بعده، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بذلك، جهلاً وحمقاً منهم، أو عناداً واستكباراً، بعد أن عرفوا أنه الحق.

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ آلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} (هود: 18)

18- وليس هناك أظلم ممن كذب على الله⁽⁵⁵⁾، كمن أشرك به، أو ادعى له كلاماً وليس هو بكلامه، فأولئك الكاذبون المفترون، يُعرضون على الله يوم البعث ليحاسِبَهُمْ على أقوالهم

(55) ذكر العلامة ابن عاشور عند تفسير الآية (94) من سورة آل عمران، أن الافتراء هو الكذب، وأنه مرادف الاختلاق، وكان أصله كناية عن الكذب وتلميح، وشاع ذلك حتى صار مرادفاً للكذب. (التحرير والتنوير).

وأعمالهم، وتقول الملائكة المكلفه بمراقبتهم وإحصاء أعمالهم: هؤلاء هم الذين كذبوا على الله، ألا بعداً وهلاكاً لهؤلاء الظالمين المفترين.

{ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ } (هود: 19)

19- الذين يردون الناس عن الحق، ويمنعونهم من سلوك طريق الهدى، ويريدون لهم طريقاً منحرفاً يأخذ بهم إلى الضلال، ويرددهم إلى الكفر، وهم لا يؤمنون بالآخرة، التي فيها إثابة على اتباع الحق، ومعاقبة على اتباع الباطل.

{ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ

الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ } (هود: 20)

20- فأولئك الضالون المنحرفون لا هروب لهم من الله، فهم تحت قهره وسلطانه، وهو قادر على الانتقام منهم، ولا يقدر مساعدوهم ومناصروهم على أن يمنعوا عنهم شيئاً من العقوبة، وسيضاعف لهم العذاب، لأنهم كانوا يستثقلون سماع الحق، ويصمون آذانهم دون سماعه، ويتعامون عن آيات الله المبتوثة في الكون، فلا يتفكرون في دلالتها وأسبابها والحكمة من خلقها.

{ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } (هود: 21)

21- وسوف يخسر هؤلاء أنفسهم بتعرضها لعذاب النار يوم القيامة، فقد فضّلوا عبادة الآلهة على عبادة خالقهم ورازقهم الحق، وذهب عنهم ما كانوا يعبدونه، فلم تُغن عنهم أصنامهم شيئاً.

{ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ } (هود: 22)

22- ولا محالة أن هؤلاء الكفار هم الأكثر والأبين خسراً، فقد استعاضوا بالجنة ونعيمها، جهنم وسعيرها.

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (هود: 23)

23- إِنَّ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِنِدَائِ رَبِّهِمْ، فَآمَنُوا حَقَّ الْإِيمَانِ، وَأَتَّبَعُوا إِيْمَانَهُمْ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمُوَافِقِ لِكِتَابِ رَبِّهِمْ، وَأَخْلَصُوا فِي طَاعَتِهِمْ وَلَمْ يُرَآوُوا، وَخَشَعَتِ جَوَارِحُهُمْ، وَاطْمَأَنَّتِ نُفُوسُهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ، أُولَٰئِكَ أَهْلُ الْجَنَّةِ، يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا وَيَفْرَحُونَ، خَالِدِينَ فِيهَا، لَا يَمُوتُونَ وَلَا يَهْرَمُونَ.

{ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } (هود: 24)

24- وَمِثَالُ الْفَرِيقَيْنِ: الْكَافِرِ الشَّقِيِّ، وَالْمُؤْمِنِ السَّعِيدِ، كَحَالِ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْعَمَىٰ وَالصَّمَمِ، وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْبَصْرِ وَالسَّمْعِ، فَهَلْ يَسْتَوِي الْفَرِيقَانِ؟ الْكَافِرُونَ أَعْرَضُوا عَنِ الْحَقِّ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَنَفَّعُوا بِحَاسَّتَيْ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ، وَالْمُؤْمِنُونَ انْتَفَعُوا بِهِمَا فَآمَنُوا وَاهْتَدَوْا إِلَىٰ طَرِيقِ الْجَنَّةِ. أَفَلَا تَتَعَبَّرُونَ بِهَذَا الْمَثَلِ وَتَتَأَمَّلُونَهُ، حَتَّىٰ لَا تَخْسَرُوا؟

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ } (هود: 25)

25- وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ الْمَشْرِكِينَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَكَانُوا فِي الْعِرَاقِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ رَسُولًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لِأَنْذِرْكُمْ فِي رِسَالَةٍ وَاضِحَةٍ وَكَلَامٍ بَيِّنٍ.

{ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ } (هود: 26)

26- وَهُوَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ، فَهُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ، الَّذِي لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ اسْتَمَرَّرْتُمْ فِي شِرْكِكُمْ وَعِصْيَانِكُمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

{ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدَائِهِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ } (هود: 27)

27- فَقَالَ الرُّؤَسَاءُ وَالْعَلِيَّةُ الْكُبْرَاءُ مِنْ قَوْمِهِ: مَا نَرَاكَ يَا نُوحُ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا، وَلَيْسَتْ فِيكَ خِصْلَةٌ تُمَيِّزُكَ عَنَّا كَمَا تَقُولُ، وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ فِي دَعْوَتِكَ سِوَى الْفُقَرَاءِ وَالضُّعْفَاءِ وَأَهْلِ الْحَاجَةِ

مِنْ بَيْنِنَا، وَقَدْ اتَّبَعُوكَ دُونَ تَرَوْا وَلَا تَفَكِّرِ، وَاغْتَرَبُوا بِظَاهِرِ قَوْلِكَ، وَلَا تَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا فَضِيلَةً فِي خُلُقِي وَلَا مَالٍ، وَلَا قُوَّةٍ وَلَا عَدَدٍ، بَلْ نَظَنُّكُمْ كَاذِبِينَ فِيمَا تَدَّعَوْنَهُ مِنْ صَلاَحٍ وَإِصْلَاحٍ، وَعَقِيدَةٍ وَدَعْوَةٍ.

{ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ } (هود: 28)

28- قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا قَوْمِي، أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَلِيٍّ وَحُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ مِّن رَّبِّي، وَشَاهِدٍ يَشْهَدُ لِي بِصِحَّةِ دَعْوَايَ، وَبُيُوتَةٍ صَادِقَةٍ أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا، فِيهَا هِدَايَةٌ وَرَحْمَةٌ لِلنَّاسِ، فَخَفِيَتْ وَالتَّبَسَّتْ عَلَيْكُمْ فَلَمْ تَهْتَدُوا إِلَيْهَا، وَلَمْ تَعْرِفُوا قَدْرَهَا، بَلْ بَادَرْتُمْ إِلَىٰ تَكْذِيبِهَا وَرَدِّهَا، وَأَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُلْزِمُكُمْ بِهَا وَأُكْرِهْكُمْ عَلَيْهَا، وَأَنْتُمْ كَارِهُونَ لَهَا، لَا تَخْتَارُونَهَا وَلَا تَتَأَمَّلُونَ فِيهَا.

{ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِتْمَمُوا مَلَأُوا رِجْمًا وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ } (هود: 29)

29- وَيَا قَوْمِي لَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ عَلَىٰ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَالتَّوْحِيحِ لَكُمْ أُجْرَةً تُؤَدُّوْنَهَا إِلَيَّ، إِنَّمَا أَطْلُبُ ثَوَابَ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ. وَلَنْ أُبْعِدَ الْمُؤْمِنِينَ الضُّعْفَاءَ مِنْ حَوْلِي حَتَّىٰ يَجْلِسُوا مَعِيَ دُونَهُمْ، فَقَدْ آمَنُوا، وَسَوْفَ يُلَاقُونَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْحِسَابِ لِيَجْزِيَهُمْ عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ، وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ يَجْهَلُونَ مِيزَانَ الْمَقَارَنَةِ وَالْمِفَاضِلَةِ، وَمَعْرِفَةَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَالْمَرْءُ لَيْسَ بِمَالِهِ وَحَسَبِهِ، إِنَّمَا هُوَ بِإِيمَانِهِ وَطَاعَتِهِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَا الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، مَا دَامُوا مُسْلِمِينَ.

{ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمُوهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } (هود: 30)

30- وَيَا قَوْمِي مَنْ يَدْفَعُ عَنِّي غَضَبَ اللَّهِ وَيَمْنَعُنِي مِنْ عَذَابِهِ إِذَا أَبْعَدْتُ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُمْ أَكْرَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْكُمْ، أَفَلَا تَتَعَطَّوْنَ؟ وَهَلْ تَسْتَمِرُّوْنَ فِي جَهْلِكُمْ بِدَعْوَةِ الرُّسُلِ هَكَذَا؟

{وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ } (هود: 31)

31- ولا أقول لكم إنني أملك أموالاً عظيمةً وأرزاقاً فائضةً من خزائن الله التي لا تنفذ، حتى أظهر نفسي بمظهر العبي الذي أحببته، ولأعطيتكم منه ما ترغبون، إنما عندي رسالة أبلغها، ودعوة أنشرها، وعلم نافع أبته للناس.

ولا أعلم ما في المستقبل لأخبركم بما تريدون، إلا ما أطلعني الله عليه، وما أخبركم به هو ما أوحى به إليّ، وليس من عندي.

ولا أقول إنني ملك من الملائكة حتى تصدقوا نبوتي، فإنني بشر، مؤيد بمعجزات، والنبوة تكون فيهم لا في الملائكة، إنما جبريل رسول الله من الملائكة إلى رسل الله من عباده.

ولا أقول للذين تحتقروهم وتستصغروهم من المؤمنين الضعفاء الذين اتبعوا دين الله لن يؤتيهم الله توفيقاً في الدنيا وأجرًا في الآخرة، متابعتاً لمطالبكم وترضية لكم، فالله أعلم بما في نفوسهم من خيرٍ وشرٍّ، وليس لي إلا ظاهر ما هم عليه، ولو نقصت من حقوقهم وقلت إنهم أشرار وقد آمنوا، فقد ظلمتهم، وكنث قائلاً بما لا أعلم، وعرضت نفسي لعضب الله.

{قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } (هود: 32)

32- قال قوم نوح الكافرون: يا نوح، قد حاججتنا وجادلتنا وأكثرت من ذلك، ولن نؤمن برسالتك، فأنزل علينا العذاب الذي وعدتنا به، إذا كنت صادقاً بأنه سيصيبنا.

{قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ } (هود: 33)

33- قال لهم نوح عليه السلام: ذلكم إلى الله وليس إليّ، فإذا كنتم مستحقين للعذاب أنزله بكم في الوقت الذي يشاء فيه، ولا يستطيع أحد منكم أن يؤخره أو يمنعه إذا جاء.

{وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (هود: 34)

34- وَلَا تَنْفَعُكُمْ نَصِيحَتِي وَلَا تُفِيدُكُمْ مَوْعِظَتِي وَقَدْ أَقْفَلْتُمْ قُلُوبَكُمْ عَنْ سَمَاعِ النَّصْحِ لَكُمْ، وَلَا فَائِدَةً مِنْ ذَلِكَ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُهْلِكَكُمْ؛ لِإِعْرَاضِكُمْ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ، وَإِصْرَارِكُمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، فَاللَّهُ خَالِقُكُمْ، وَهُوَ الْعَالِمُ بِأَحْوَالِكُمْ، الْمَتَصَرِّفُ فِي أُمُورِكُمْ، وَإِلَيْهِ مَأَلِكُمْ، لِيَحَاسِبَكُمْ عَلَى مَوَاقِفِكُمْ، وَيُجَازِيَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا يُجْرِمُونَ} (هود: 35)

35- أَمْ يَقُولُ الْكَافِرُونَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ: إِنَّ نُوحًا كَذَبَ بِإِسْنَادِهِ الْكَلَامَ إِلَى اللَّهِ؟ قُلْ لَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا: إِنِّي إِنْ اخْتَلَقْتُ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ عِنْدِي فَعَلَيَّ إِثْمُهُ وَعُقُوبَتُهُ، وَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا فِيمَا أَقُولُ وَكَذَّبْتُمُونِي، فَعَلَيْكُمْ عِقَابُ ذَلِكَ التَّكْذِيبِ، وَأَنَا بَرِيءٌ مِنْ عُقُوبَةِ جُرْمِكُمْ، فَلَا أَحَاسِبُ إِنْ كَذَّبْتُمْ، لِأَنَّكُمْ عَلَى ضَلَالٍ ظَاهِرٍ، وَعِبَادَةٍ لَا يُقْرَهُهَا عَقْلٌ، وَدَعْوَتِي نَقِيَّةٌ طَاهِرَةٌ، مُؤَيَّدَةٌ بِالْمُعْجَزَاتِ وَالْأَدَلَّةِ الْوَاضِحَةِ الْقَوِيَّةِ، الَّتِي لَا يُنْكِرُهَا عَقْلٌ.

{وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} (هود: 36)

36- وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ كَانَ آمَنَ مِنْ قَبْلُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَحْوَالِهِمْ وَبِمَا يَكُونُونَ عَلَيْهِ - فَلَمْ تَعُدْ هُنَاكَ فَائِدَةً مِنْ دَعْوَتِكَ إِلَيْهِمْ، فَلَا تَحْزَنْ وَلَا تَهْتَمَّ بِمَوَاقِفِهِمْ السَّيِّئَةِ وَأَفْعَالِهِمُ الدُّنْيَا، مِنْ تَكْذِيبٍ وَإِيْدَاءٍ وَاسْتِهْزَاءٍ، فَإِنِّي مُهْلِكُهُمْ.

{وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ} (هود: 37)

37- وَاصْنَعْ سَفِينَةً كَبِيرَةً بِرِعَايَتِنَا وَتَعْلِيمِنَا، وَلَا تُرَاجِعْنِي فِي هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ الْمِعَانِدِينَ، فَقَدْ انْتَهَى أَمْرُهُمْ، وَتَقَرَّرَ مَصِيرُهُمْ، إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ بِالطُّوفَانِ.

{وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ} (هود: 38)

38- وَنَقَذَ نُوحٌ أَمْرَ رَبِّهِ، وَأَقْبَلَ عَلَى صُنْعِ السَّفِينَةِ، وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ قَوْمِهِ اسْتَهْزَؤُوا بِهِ وَبِعَمَلِهِ، وَكَذَّبُوا بِمَا تَوَعَّدَهُمْ بِهِ مِنَ الْعَرْقِ، وَهُوَ يَقُولُ لَهُمْ: إِنْ كُنْتُمْ تَسْخَرُونَ مِنْ عَمَلِنَا الْآنَ، فَإِنَّا سَنَسْخَرُ مِنْكُمْ عِنْدَمَا يُصِيبُكُمُ الْعَذَابُ، حَيْثُ تُغْرَقُونَ وَتَطْلُبُونَ النَّجَاةَ، وَلَا مُغِيثَ لَكُمْ..

{فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثْقِمٌ} (هود: 39)

39- وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ حَيْثُ مِنَ الَّذِي يُصِيبُهُ الْعَذَابُ فَيُذِلُّهُ وَيُهِينُهُ، وَهُوَ الْعَرْقُ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابٌ دَائِمٌ لَا خَلَاصَ لَهُ مِنْهُ.

{حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} (هود: 40)

40- حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا بِإِنزَالِ الْعَذَابِ بِهِمْ، وَهُوَ إِغْرَاقُهُمْ بِالطُّوفَانِ، وَفَارَ التَّنُّورُ، وَهُوَ الْمُوقِدُ، بَأَنَّ يَفُورَ مِنْهُ الْمَاءُ كَمَا تَفُورُ الْقِدْرُ بَعْلِيَانِهَا، أَوْ كَفُورَةِ بُرْكَانِيَّةٍ، لِيَكُونَ ذَلِكَ عَلَامَةً لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامِ، أَمْرَانَهُ أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ ذَكَرًا وَأُنْثَىٰ، مِمَّا حَدَّدَهُ اللَّهُ لَهُ، وَاحْمِلْ فِيهَا أَهْلَكَ: أَوْلَادَكَ وَنِسَاءَكَ، إِلَّا مَنْ سَبَقَ الْقَوْلُ مِنْهُمْ بِالْإِهْلَاكِ، وَهُمْ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا. وَاحْمِلْ فِيهَا مَنْ آمَنَ بِكَ مِنْ قَوْمِكَ. وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا أَفْرَادٌ قَلِيلُونَ، مَعَ طَوْلِ مَكْتَبِهِ بَيْنَهُمْ!

{وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} (هود: 41)

41- وَقَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَنْ أَمَرَ بِحَمْلِهِمْ فِي السَّفِينَةِ: ارْكَبُوا فِيهَا، بِسْمِ اللَّهِ يَكُونُ جَرُّهَا عَلَى الْمَاءِ، وَبِاسْمِهِ تَعَالَى يَكُونُ رَسْوُهَا وَمُنْتَهَى سَيْرِهَا. وَإِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ عَمَّا فَرَطْتُمْ فِيهِ، رَحِيمٌ بِكُمْ إِذْ أَبْجَاكُمْ مِنَ الْهَلَاكِ.

{وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ} (هود: 42)

42- والسَّفِينَةُ تَجْرِي بِهِمْ عَلَى الْمَاءِ، وَالْمَوَاجُ تَتْرَاكُمُ وَتَتَّصَعَدُ كَالْجِبَالِ.
وَنَادَى نُوحٌ ابْنًا لَهُ كَافِرًا، وَكَانَ فِي مَكَانٍ عَزَلَ نَفْسَهُ عَنْ أَبِيهِ وَإِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ: يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا فِي السَّفِينَةِ، وَأَمِنْ مِثْلَ إِخْوَانِكَ، وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ فَتَغْرَقَ مِثْلَهُمْ.

{قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} (هود: 43)

43- قَالَ لَهُ ابْنُهُ: سَأَلْتَجِيءُ إِلَى رَأْسِ جَبَلٍ عَالٍ يَحْفَظُنِي وَيَمْتَنِعُنِي مِنَ الْمَاءِ فَلَا يَصِلُ إِلَيَّ. قَالَ لَهُ أَبُوهُ: يَا بُنَيَّ، لَيْسَ شَيْءٌ يَعِصِمُ الْيَوْمَ مِنَ الْعَذَابِ، إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ فَنَجَا، فَالْتَجِيءُ إِلَيْهِ حَتَّى يَرْحَمَكَ وَيُنَجِّيكَ. وَحَالَ الْمَوْجُ بَيْنَ نُوحٍ وَابْنِهِ، فَصَارَ مِنَ الْمَغْرَقِينَ مَعَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

{وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءِ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (هود: 44)

44- وَقَالَ اللَّهُ لِلْأَرْضِ: ابْلَعِي مَا عَلَى وَجْهِكَ مِنْ مَاءِ الطُّوفَانِ، وَأَنْتِ يَا سَّمَاءُ أَمْسِكِي عَنْ إِرْسَالِ الْمَطَرِ. وَبَدَأَ الْمَاءُ يَنْقُصُ حَتَّى غَارَ مِنْ سَطْحِهَا وَنَضَبَ. وَأُجِزَ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ مِنْ إِهْلَاكِ الْكَافِرِينَ وَإِنْجَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ يَبْقَ كَافِرٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. وَاسْتَقَرَّتِ السَّفِينَةُ عَلَى جَبَلِ الْجُودِيِّ، وَهُوَ فِي وِلَايَةِ شِرْنَاقٍ مِنْ أَرْضِ تُرْكِيَا، وَقِيلَ هَلَاكًا وَخَسَارًا لِلْكَافِرِينَ الظَّالِمِينَ.

{وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} (هود: 45)

45- وَدَعَا نُوحٌ رَبَّهُ قَائِلًا: إِلَهِي، إِنَّ ابْنِي الَّذِي غَرَّقَ مِنْ أَهْلِي، وَقَدْ وَعَدْتَنِي بِإِنْجَاءِ أَهْلِي، وَوَعْدُكَ حَقٌّ لَا تُخْلِفُهُ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ مَنْ حَكَمَ، وَأَعْدَلُ مَنْ قَضَى.

{ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } (هود: 46)

46- قَالَ اللهُ تَعَالَى مَا مَعْنَاهُ: يَا نُوحُ، إِنَّ ابْنَكَ ذَاكَ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِكَ الَّذِينَ وَعَدْتُ بِإِنْجَائِهِمْ، فَلَا قَرَابَةَ حَقِيقِيَّةَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَلَوْ كَانَ بَيْنَهُمَا نَسَبٌ، فَالْعَقِيدَةُ هِيَ الْأَسَاسُ، فَهَوَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ مَا دَامَ كَافِرًا، وَالْكَفْرُ عَقِيدَةٌ فَاسِدَةٌ وَعَمَلٌ سَيِّئٌ، فَلَا تَطْلُبْ مِنِّي مَا لَا تَعْلَمُ أَنَّ حُصُولَهُ صَوَابٌ وَمُوَافِقٌ لِلْحِكْمَةِ، إِنِّي أَنْصَحُكَ خَشِيَّةً أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ بِحَقِيقَةِ ذَلِكَ.

{ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (هود: 47)

47- وَقَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَلْتَجِيءُ إِلَيْكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَقَعَ فِيمَا هَيَّيْتَنِي عَنْهُ، وَأَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَا عِلْمَ لِي بِصَوَابِهِ، وَإِذَا لَمْ تَغْفِرْ لِي مَا صَدَرَ عَنِّي، وَتَرْحَمْنِي بِقَبُولِ تَوْبَتِي، أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ، فَتَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَارْضَ عَنِّي.

{ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُنْتَعِبُهُمْ فِيمَا كَانُوا فِي الْيُسُفَىٰ فَهُمْ أَوَّلُونَ } (هود: 48)

48- وَقَالَ اللهُ نُوحُ: أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ سَلَامًا وَأَمِنَ مِنْ عِنْدِنَا، وَدُعَاءٍ لَكَ بِالْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ، وَعَلَى أُمَّمٍ مُؤْمِنَةٍ مُتَنَاسِلَةٍ مِنْ أَوْلَادِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأُمَّمٌ أُخْرَى مِنْهُمْ لَا يَكُونُونَ عَلَى صِفَتِهِمْ، سَنَدَعُهُمْ يَتَمَتَّعُونَ قَلِيلًا فِي دُنْيَاهُمْ، ثُمَّ يُصِيبُهُمُ الْعَذَابُ الْمُؤَلَّمُ، الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ فِي الْآخِرَةِ.

{ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ } (هود: 49)

49- وَتِلْكَ الْقِصَّةُ مِنْ أَخْبَارِ الْغَيْبِ السَّابِقَةِ، نُوحِيهَا إِلَيْكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ كَمَا وَقَعَتْ، مَا كَانَ لَكَ عِلْمٌ بِهَا وَلَا لِقَوْمِكَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَكَيْفَ يُقَالُ إِنَّ هُنَاكَ مَنْ عَلَّمَكَ وَلَيْسَ مِنْهُمْ أَحَدٌ

يَعْلَمُهَا؟! فَاصْبِرْ عَلَى أذْيَةِ قَوْمِكَ وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ كَمَا صَبَرَ نُوْحٌ وَغَيْرُهُ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ، وَالظَّفَرَ وَالْفَوْزَ، يَكُونُ لَصَالِحِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّابِرِينَ الْمُتَّقِينَ.

{وَالِىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِن أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ }
(هود: 50)

50- وأرسلنا إلى قبيلة عادٍ واحداً منهم في النسب، هو نبيُّ الله هودٌ عليه السَّلام، فقال لهم واعظاً زاجراً: يا قومي، اعبدوا الله وحده، ولا تعبدوا هذه الأوثان التي سمَّيتموها آلهة، فليس لكم سِوى إلهٍ واحد، هو ربُّكم وحالفكم ورازقكم، فهو وحده الذي يُعبَد، وما أنتم بعبادتكُم لهذه الأصنام وقولكم إنّها آلهةٌ إلا كاذبون، ومُدَّعون مُفْتَرُونَ.

{يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (هود: 51)
51- ويا قومي لا أطلب منكم ما لاً على هذا الذي أبلَّغكم، حتّى لا تظنُّوا أنّي أبتغي ثراءً من وراءه، إنّما أطلبُ ثوابَ ذلك من الذي خلَقني ووَهَبني النِّعم، أفلا تتدبِّرونَ ما أقولُ لكم؟

{وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ } (هود: 52)

52- ويا قومي آمنوا بالله ودعوا الشُّركَ واستغفروا الله منه، وتوبوا إليه واثبتوا على طاعته، فإذا فعلتم ذلك يسرَّ عليكم رزقكم، وأرسلَ عليكم مطراً كثيراً مُتتابعاً من غير مَضَرَّة، وأمَدكم بأموالٍ وبنين ليزيدكم بها عزّاً وقوَّةً على ما أنتم عليه، ولا تُعرضوا عمّا نصحتكم به، ولا تُصِرُّوا على الكُفْرِ والتَّكْذِيبِ.

{قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ }
(هود: 53)

53- قال الكافرون لنبيِّ الله هود: يا هود، ما جئتنا بـجُحَّةٍ واضحةٍ ودليلٍ بيِّنٍ على ما تدَّعيه - قالوا ذلك عناداً - ولن نترك عِبادةَ آلهتنا بسببِ قولك، وما نحن بمُصدِّقي رسالتك.

{ **إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ** } (هود: 54)

54- وقالوا له عليه السلام: نحن نظن أن بعض آلهتنا قد أصابتك بحبل وجنون، بسبب مخالفتك إيانا وسبك إياها. فقال لهم: إني أشهد الله على نفسي، واشهدوا أنتم يا قومي، ليكون ذلك حجة عليكم، أنني بريء من هذا الذي تُشركون به،

{ **مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ** } (هود: 55)

55- تعبدون الأصنام دون الله تعالى، فاحتالوا جميعاً أنتم وآلهتكم المزعومة، وامكروا بما تقدرون عليه للإضرار بي، مما زعمتم أنها تلحق السوء بمن لا يعبدها، ولا تمهلوني في ذلك، فإنني لا أخشاكم ولا أخشاهم. وكانوا جبابرة مجرمين، سفاكي دماء.

{ **إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** } (هود: 56)

56- إني اعتمدت على الله، وفوضت أمري إليه، فهو مَالِكِي وَمَالِكِكُمْ، وهو الذي يحفظني ويدرأ عني ما أخشى ضرره، وليس من دابة تدب على الأرض إلا وهو المهيم عليها، ومالك أمرها، والمتصرف فيها كما يشاء، فالقوة له سبحانه، وأمره الحق، ودينه العدل والاستقامة، لا يظلم أحداً إذا حاسبه، ولا ينقص من أجر أحد إذا جازاه.

{ **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ** } (هود: 57)

57- فإن تعرضوا عما جئتكم به من عند الله، فقد قمت بواجبي تجاهكم، وبلغت الرسالة التي كللت بتأديتها، وقامت عليكم الحجة، ويهلككم الله ويستخلف آخرين من غيركم يستقيمون على طاعته ولا يشركون به شيئاً، ولا يُيالي بكم، فلا تقدرون على إلحاق الضرر

به، وَضَرَرَكُمْ وَمَعْصِيَتِكُمْ تَعُودُ عَاقِبَتُهَا عَلَيْكُمْ، وَاللَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ الْعَاصِينَ. إِنَّ رَبِّي أَحَاطَ
عِلْمًا بِكُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ شَهِيدٌ وَحَافِظٌ لِمَا كَانَ وَيَكُونُ، وَيُجَازِي كُلًّا بِمَا عَمِلَ.

{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَا هُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ}
(هود: 58)

58- ولما حلَّ عذابنا بهم، وأهلكنا القومَ الكافرينَ بالرَّيحِ العقيمِ، نَجَّيْنَا هُودًا وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ
بِرَحْمَةٍ مِنَّا، فَقَدْ آمَنُوا وَاسْتَقَامُوا فَاسْتَحَقُّوا رَحْمَةَ اللَّهِ وَلُطْفَهُ، وَخَلَّصْنَا هُمْ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ،
يُنَاسِبُ الْكَفَّارَ الْعُنَاةَ الْغِلَاطِ.

{وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} (هود: 59)

59- وتلك هي قبيلة عاد التي عاقبها الله بعذاب كبير، لأنهم كفروا بآياته ومُعجزاته، وعصوا
رسوله، فَمَنْ عَصَى نَبِيًّا فَقَدْ عَصَى جَمِيعَ الرُّسُلِ، فِرْسَالَتُهُمْ وَاحِدَةٌ، وَهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى التَّوْحِيدِ،
وهؤلاء أبوا إلا الشُّركَ والعِصيانَ، وتعالوا عن قبول الحقِّ، واتبَعوا أَمْرَ كُلِّ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِمْ،
مُسْتَكْبِرِينَ مُعَانِدِينَ لِلْحَقِّ، طَاغٍ مُتَّحِدٌ لِآيَاتِ اللَّهِ.

{وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمٍ}
هُودٍ} (هود: 60)

60- وألحقوا في هذه الحياة الدنيا باللَّعْنَةَ تَتَّبِعُهُمْ وَتُلَازِمُهُمْ، فَصَارُوا لَا يُذَكَّرُونَ مِنْ بَعْدِ إِلَّا
وَتَلَحُّفُهُمْ اللَّعْنَةَ، وَهِيَ الْإِبْعَادُ وَالطَّرْدُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلُعِنُوا فِي الْآخِرَةِ كَمَا لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا، فَلَا
نَصِيبَ لَهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ.

أَلَا إِنَّ قَبِيلَةَ عَادٍ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَجَحَدُوهُ، وَلَمْ يَشْكُرُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، أَلَا بُعْدًا وَهَلَاكًا لِّعَادٍ
قَوْمٍ هُودٍ.

وكان مسكنهم بالأحقاف، وهي منطقة زملية بين عُمانَ والرُّبْعِ الخالي واليمن، وقد اكتشفت
آثار لهم في عُمان.

{وَالِي ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ } (هود: 61)

61- وأرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم في النسب صالحاً - وكان سكنهم بين تبوك والمدينة - فقال لهم: يا قومي اعبدوا الله وحده ولا تشركوا في عبادته أحداً، فلا إله لكم غيره، هو الذي ابتداء خلقكم من الأرض، فخلق أباكم آدم من تراب، ثم تناسلتم بأمره وتقديره، وجعلكم من سكان الأرض وعمارها ما عشتُم فيها، فاستغفروهُ لِمَا سَلَفَ مِنْكُمْ مِنْ ذُنُوبٍ وَخَطَايَا، ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ، وَأَحْسِنُوا فِي تَوْبَتِكُمْ، وَاثْبِتُوا عَلَى إِيمَانِكُمْ وَطَاعَتِكُمْ لِرَبِّكُمْ، فَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، يُجِيبُ دَعْوَةَ التَّائِبِ الْمَخْلُصِ مِنْهُمْ.

{قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ } (هود: 62)

62- قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: يَا صَالِحُ، قَدْ كُنْتَ قَبْلَ دَعْوَتِكَ هَذِهِ رَاجِحَ الْعَقْلِ، فَاضِلًا بَيْنَنَا، وَالْآنَ تُخَالِفُنَا وَتَطْلُبُ مِنَّا أَنْ نَتْرَكَ عِبَادَةَ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَسْلَافُنَا مِنْ تَقْدِيسِ الْأَصْنَامِ وَالسُّجُودِ لَهَا؟ وَنَحْنُ فِي شَكٍّ كَبِيرٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَتَرْكِ آلِهَتِنَا.

{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ } (هود: 63)

63- قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا قَوْمِي، أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى دَلِيلٍ بَيِّنٍ وَبُرْهَانٍ وَاضِحٍ مِمَّا أَوْحَى إِلَيَّ رَبِّي وَأَمَرَنِي بِتَبْلِيغِهِ، فَمَنْ يَمْنَعُنِي مِنْ عَذَابِهِ إِنْ تَسَاهَلْتُ فِي تَأْدِيَةِ رِسَالَتِهِ، وَجَارَيْتُمْكُمْ فِيمَا تَشْتَهُونَ؟ إِنَّكُمْ بِذَلِكَ لَا تَنْفَعُونِي، بَلْ جَعَلُونِي خَاسِرًا مُعَرَّضًا لِسَخَطِ اللَّهِ.

{وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ } (هود: 64)

64- ويا قومي هذه مُعْجَزَةٌ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ نَبَوِّي، هَذِهِ نَاقَةٌ اللَّهِ⁽⁵⁶⁾، جَاءَتْ مِنْ عِنْدِهِ وَلَمْ يَمْلِكْهَا أَحَدٌ، فَاتْرَكُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ، وَلَا تَمُدُّوا أَيْدِيكُمْ إِلَيْهَا بِأَذَى وَشَرٍّ، كَذَبِحٍ أَوْ ضَرْبٍ، حَتَّى لَا يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ عَاجِلٍ.

{فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدَّ غَيْرُ مَكْدُوبٍ} (هود: 65)

65- فَعَصَوْا رُسُلَهُمْ وَنَحَرُوا النَّاقَةَ، مُتَحَدِّينَ الْعَذَابَ الَّذِي وَعَدَهُمْ بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ: ابْقُوا فِي دِيَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَالِيَةٍ، هِيَ بَقِيَّةُ عُمرِكُمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، ثُمَّ تَهْلِكُونَ، وَهَذَا وَعْدٌ صَادِقٌ لَا خُلْفَ فِيهِ.

{فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} (هود: 66)

66- فَلَمَّا جَاءَ مَوْعِدُ الْعَذَابِ، نَجَّيْنَا النَّبِيَّ صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مِنْ خِزْيِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، بِرَحْمَةٍ مِنَّا، فَقَدْ اسْتَجَابُوا لِنِدَاءِ اللَّهِ وَأَطَاعُوا رَسُولَهُ، وَوَفَّقَهُمُ اللَّهُ لِلطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ قَادِرٌ، غَالِبٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَفْلِتُ مِنْ عِقَابِهِ مُجْرِمٌ مُسْتَكْبِرٌ.

{وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} (هود: 67)

67- فَأَهْلَكَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ بِصَيْحَةٍ شَدِيدَةٍ مُدَوِّيَةٍ مِنْ فَوْقِهِمْ وَقَعَتْ عَلَيْهِمْ كَالصَّاعِقَةِ، فَأَصْبَحُوا فِي مَسَاكِنِهِمْ مَوْتَى هَامِدِينَ، لَا حِرَاكَ لَهُمْ وَلَا حِسَّ فِيهِمْ.

(56) إضافة الناقة إلى اسم الجلالة لأنها خلقت بقدرة الله الخارقة للعادة. (التحرير والتنوير). الإضافة للتشريف، والتنبيه على أنها مفارقة لسائر ما يجانسها، من حيث الخلقة، ومن حيث الخلق؛ لأن الله تعالى خلقها من الصخرة دفعة واحدة من غير ولادة. وكانت عظيمة الجثة جداً. (روح البيان).

{ كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا آلَا إِنَّ تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّتَمُودَ } (هود: 68)

68- وكأنتهم لم يقيموا في تلك الديار، ولم يتمتعوا فيها بالمال والأولاد. ألا إن قبيلة تمود كفروا برّبهم، وأبوا أن يطاوعوا الحق، ألا بُعدًا وهلاكًا لثمود الكافرين.

{ وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ } (هود: 69)

69- ولقد جاءت ملائكتنا إبراهيم تبشّره بإسحاق، أو بإهلاك قوم لوط، وهو لا يعرفهم، قالوا له محييين: سلامًا عليك، فأجابهم: سلامٌ عليكم. وذهب سريعًا ليأتيهم بالطعام، ولم يُطِئ، فجاءهم بعجل مشوي.

{ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْفَ إِنَّنَا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ } (هود: 70)

70- فلما رأهم لا يمدون أيديهم إلى الطعام - فالملائكة لا يأكلون - أنكر هذا الموقف منهم، وقد قصد إكرام ضيوفه، واستشعر خوفًا من جهتهم، فقالوا له حين رأوا أثر ذلك عليه: لا تحف، فإننا ملائكة، أرسلنا بالعذاب إلى قوم لوط.

{ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ } (هود: 71)

71- وامرأة إبراهيم (ساره) كانت قائمة بخدمتهم، فلما سمعت ذلك منهم ضحكت واستبشرت بهلاك قوم لوط؛ لكثرة فسادهم وكفرهم وعنادهم. أو أنها ضحكت لسرورها بزوال الخوف عن زوجها إبراهيم بعد أن ذكروا أنهم ملائكة. ومنهم من قال إن معنى ضحكت: حاضت، كما يأتي في اللغة.

فعقبنا سرورها بسرور أتم منه على السنة رسلنا، فبشّرناها بولد لها يكون له عقب ونسل، ووهبنا لإبراهيم من بعد إسحاق يعقوب.

{ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ } (هود: 72)

72- قَالَتْ سَارَةُ: يَا عَجَبًا! أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ، وَهَذَا زَوْجِي كَذَلِكَ شَيْخٌ مُسِنَّ؟ إِنَّ هَذَا أَمْرٌ يَدْعُو إِلَى الْعَجَبِ، فَهوَ مُخَالِفٌ لِلْعَادَةِ.

{قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ} (هود: 73)

73- قَالَ لَهَا الْمَلَائِكَةُ: أَتَعْجَبِينَ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ؟ فَإِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَإِذَا أَرَادَ أَمْرًا قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. فَلَا تَعْجَبِي مِنْ ذَلِكَ، رَحِمَهُ اللَّهُ الْمِتَّابِعَةَ وَخَيْرَاتُهُ الْمِتَّكَاتِرَةَ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبَوَّةِ، وَاللَّهُ مَحْمُودٌ فِي أَفْعَالِهِ، كَرِيمٌ، كَثِيرُ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ.

{فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ} (هود: 74)

74- فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَوْفُ وَالْفَزَعُ، وَبَشَّرَهُ الْمَلَائِكَةُ بِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَبِهَلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ، أَحَدًا يُجَادِلُ رُسُلَنَا - الْمَلَائِكَةَ - فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ بَيْنَهُمْ مُؤْمِنِينَ، فَكَيْفَ تُهْلِكُوهُمْ؟ وَمَا آمَنَ بِهِ سِوَى أَهْلِهِ.

{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ} (هود: 75)

75- إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ صَبُورٌ مُتَأَنِّتٌ، يَتَحَمَّلُ أَسْبَابَ الْغَضَبِ وَأَذَى النَّاسِ، وَيَصْفَحُ عَنْهُمْ، كَثِيرُ التَّضَرُّعِ وَالِدُّعَاءِ، يَتَوَبُّ إِلَى رَبِّهِ سَرِيعًا.

{يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ} (هود: 76)

76- يَا رَسُولَ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ، أَعْرِضْ عَنْ هَذَا الْمَقَالِ، وَدَعْ عَنكَ هَذَا الْجِدَالَ، فَقَدْ حَقَّ عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ بِالْهَلَاكِ، وَنَازِلٌ بِهِمْ بِأَسْ لا يُرَدُّ، وَعَذَابٌ لا يُصْرَفُ.

{وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ} (هود: 77)

77- ولما أتت ملائكتنا لوطاً عليه السّلام، على هيئة شبابٍ حسانِ الوجوه، ساءَهُ أمرهم، وضاقَتْ نفسُهُ بهم، حَشِيَةَ أَنْ يَرَاهُمْ قَوْمُهُ فَيُؤْذُوهُمْ، وقال: هذا اليومُ يومٌ شديد. قال ذلكَ خوفاً من شرِّ يُنتظر.

{ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ } (هود: 78)

78- وجاءَ قومُ لوطٍ إليه وهو في بيته مع أضيافِهِ مُسرِّعين؛ من فرحهم بوجودِ شبابٍ عنده، وكانوا أصحابَ سيِّئاتٍ وفواحشٍ قبلَ ذلك، فيأتونَ الرِّجالَ في أدبارهم، وهو ما لم يسبقْهم إلى هذه الفاحشةِ الدنيّةِ أحد. فقال لهم لوطٌ عليه السّلام: يا قومي، هؤلاءِ بناتي فتزوَّجنَّ، فإنَّهنَّ أطهرُ لكم وأنظفُ من هذا الفعلِ الفاحشِ الذي تَبغونَهُ وتُمارسونَهُ. وذكرَ أنّ تزويجَ المؤمناتِ من الكفارِ كانَ جائزاً من قبل.

أو أنّ القولَ منه لم يكنْ بحريّاً على الحقيقةِ من إرادةِ النِّكاح، بل كانَ مُبالغةً في التواضعِ لهم ليستحيوا منهم ويرقُّوا له إذا سمعوا ذلكَ فيتركوا ضيوفَهُ. كما ذهبَ بعضُهم إلى أنّ المقصودَ بناتِ النبيِّ نساءُ قومه، فإنَّ النبيَّ للأمةِ بمنزلةِ الوالد... فأرشدَهُم إلى ما هو أنفعُ لهم في الدنيا والآخرة.

قالَ لهم: فاتَّقوا اللهَ بتركِ الفواحشِ، ولا تفضَحوني في شأنِ ضيوفي ولا تُحجِّلوني أَمامَهُم، أليسَ بينكم رجلٌ فيه خير، ويهتدي إلى الحقِّ والصَّوابِ؟

{ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقِّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ } (هود: 79)

79- قالوا له مُعرضينَ عن نصيحته، مُصرِّينَ على فعلِ الفاحشة: أنتَ تعلمُ أنّ لا شأنَ لنا في بناتِكَ، وأنتَ تعلمُ سببَ مجيئنا إليك، وإنَّ غرضنا أن نأتي هؤلاءِ الذُّكور.

{ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ } (هود: 80)

80- قالَ لوطٌ عليه السّلامُ وقد بلغَ به الحُزنُ والغضبُ مأخذاً، وييس من استجابتهم وإصلاحهم: لو كانت لي قوَّةٌ ومنعةٌ على دَفْعِكُمْ لَنَكَلْتُ بِكُمْ، أو كانت لي عشيرةٌ قويَّةٌ

لَأُوتِيَتْ إِلَيْهَا وَتَرَسَتْ بِهَا وَانْتَصَرَتْ بِهَا عَلَيْكُمْ دِفَاعًا عَنْ ضُيُوفِي. وَلَمْ تَكُنْ لَهُ عَشِيرَةٌ بَيْنَ قَوْمِهِ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

{ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ } (هود: 81)

81- قالتِ الملائكةُ للوطِ عليه السَّلام: يا لوط، نحنُ ملائكةُ الله، أُرسلنا إليك لُنخبركَ بإهلاكِ قومِكَ الكافرين، فلا تَصْجِرْ ولا تَبْتَسِسْ مِنْ هَؤُلاءِ، ودَعُهُمْ فَإِنَّهُمْ لَنْ يُلْحِقُوا بِكَ ضَرَرًا، فَسِرْ بِأَهْلِكَ بَعْدَ مُضِيِّ أَوَّلِ اللَّيْلِ، ولا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وِراءَهُ، بلِ اسْتَمِرُّوا ذَاهِبِينَ ولو سَمِعْتُمْ شِدَّةَ ما يَنْزِلُ بِقَوْمِكُمْ، إِلَّا أَمْرَاتِكِ، فلا تَسِرْ بِها مَعَ أَهْلِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَلَّفْها مَعَ قَوْمِها، فَإِنَّ هَواها إِلَيْهِمْ، وَإِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ مِنَ العَذابِ.

وإنَّ مَوْعِدَ هَلاكِهِمُ الصُّبْحِ، أَوَلَيْسَ الصُّبْحُ قَرِيبًا؟

ووقتُ الصُّبحِ وقتُ راحةٍ وسُكونٍ، فيكونُ العَذابُ أنكى وأشدَّ وأقَطعَ لَهُمْ، وفي ذلكَ عِبْرَةٌ لِلْغافِلِينَ، وَعِظَةٌ لِأَهْلِ الفَواحِشِ والشادِّينَ، وإنَّ عَذابَ اللهِ في الآخِرَةِ أَشدُّ وأبقى.

{ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ } (هود: 82)

82- فلَمَّا جَاءَ عَذابُنا قَلبنا مُدْهُمَ على رَأْسِها، فَصاروا كُلُّهُمَ تَحْتَ الأَرْضِ أَنْقاضًا، وأرسلنا عَلَيْهِمُ حِجارَةً مِنْ طِينٍ مُتَحَجَّرٍ مُتراكِمٍ، يَتَّبِعُ بَعْضُهُ بَعْضًا.

وقد أثبتتِ دِراساتُ عُلومِ الأرضِ، أَنَّ طَبقاتِ الصُّخورِ في مَنطِقَةِ جَنوبِ البَحْرِ المِيتِ، وَهيَ مَكانٌ سَكَنَ قومُ لوطِ، مَقْلوبَةٌ رَأْسًا على عَقَبِ، كما جَاءَ في نَصِّ الآيَةِ الكَريمَةِ.

{ مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ } (هود: 83)

83- وَهذه الحِجارَةُ مُعلَمةٌ مُميَّزةٌ، لِتُصِيبَ كُلًّا بِاسمِهِ، وَليستَ هذهِ النِّقْمَةُ بِبَعِيدَةٍ مِنَ الظَّالِمِينَ، وَاللهُ يَأْتِي بِها متى شاءَ.

{ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا
 الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ } (هود: 84)
 84- وأرسلنا إلى مَدْيَنَ - أرضُ بَمْعَانَ في الأردنَّ - أخاهم في النسبِ شُعَيْبًا، فقال لهم: يا
 قومي اعبدوا الله وحده، ولا تُشركوا به شيئاً، فليسَ لكم من إله خالقٍ وربِّ رازقٍ يَسْتَحِقُّ
 العبادةَ غيرُه.

ولا تُطَفِّفُوا في الكَيْلِ والوَزَنِ عندما تبيعونَ وتشترونَ، فإنَّ هذا غِشٌّ وخبائنة، وأكلٌ لأموالِ
 النَّاسِ بغيرِ حقٍّ، وإني أراكم في سَعَةٍ وِغْيَى، وَيَنْبَغِي أَنْ تُقَابِلَ نِعْمَةَ اللَّهِ بالشُّكْرِ والإِنْفَاقِ، لا
 كما تفعلون، وإني أخشى إن استمررتُم على ذلك هلاكًا يحصدكم جميعًا.

{ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي
 الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } (هود: 85)

85- ويا قومي أتموا المكيالَ والميزانَ بالعدلِ والقسطِ بيعاً وشراءً، حتَّى لا يُظلمَ أحدٌ، ولا
 تنقصوا النَّاسَ حقَّهم في أيِّ شيءٍ، ولا تكونوا ممن يُفسدونَ في الأرضِ فيظلمونَ النَّاسَ،
 ويُهْلِكُونَ الحَرْثَ والنَّسْلَ.

{ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ } (هود: 86)

86- وما أبقاهُ اللهُ لكم من رِزقٍ حلالٍ في بيعِكم، خَيْرٌ لكم ممَّا يعودُ إليكم بالغِشِّ والخبائنة،
 إذا كنتم مؤمنينَ بالله، مُصَدِّقِينَ بي، ولستُ عليكم برقيب، ولا أحفظُكم من فعلِ الحرامِ،
 وإنما أنا رسولٌ مُبلِّغٌ، وأخُ ناصِحٌ.

{ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ
 إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ } (هود: 87)

87- قالوا في ههكم: يا شعيب، أعبادُتكَ تأمرك أن ندع ما يعبدُ آباؤنا وأجدادنا من الأصنام، وأن نترك ما نفعله بأموالنا ما نشاء من غشٍّ وتطفيف؟ أنت العاقل المهدب، الحكيم المعتر! قالوا ذلك استهزاءً به عليه الصلاة والسلام.

{ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } (هود: 88)

88- قال لهم شعيب: يا قومي، أرايتم إن كنت على دليلٍ وحجةٍ واضحةٍ مما أوحى إليّ ربّي، ومنّ عليّ بفضله فجعلني نبياً، وأرسلني إليكم لأنصحكم وأنذركم لما فيه خيركم، ولا أريد أن أفعل شيئاً أنهأكم عنه، فأنا مستقيمٌ على طاعة ربّي، وطلب الحلالِ بدون ظلم أحد، ولا أريد من وراء تبليغكم وإرشادكم سوى إصلاح نفوسكم وأحوالكم، على قدر جهدي وطاقتي، وما توفيقي في الإصابة والإصلاح إلا بتأييد الله ومعاونته، عليه اعتمدت في جميع أموري، وإليه أرجع وأتوب، فلا تيسير ولا فرج إلا منه، ولا تأييد ولا توفيق إلا به.

{ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لُّوطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ } (هود: 89)

89- ويا قومي لا يحملنكم الخلاف معي ومعاداتي على الإصرار على ما أنتم عليه من الشرك والفساد، حتى لا يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من العرق، أو قوم هود من الريح، أو قوم صالح من الصيحة، وما زمان قوم لوط وخبر هلاكهم منكم بعيد، فاعتبروا.

{ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ } (هود: 90)

90- واطلبوا المغفرة من ربكم، وأقلعوا عما أنتم عليه ولا تعودوا إليه، إن ربّي عظيم الرحمة لمن تاب وأناب، كثير الودِّ والمحبة للمؤمنين.

{قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا
أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ} (هود: 91)

91- قَالَ لَهُ قَوْمُهُ الْمَشْرِكُونَ الْمَفْسِدُونَ: يَا شُعَيْبُ لَا نَفْهَمُ وَلَا نَعْقِلُ كَثِيرًا مِنْ قَوْلِكَ، وَنَحْنُ
نَرَاكَ فِيمَا بَيْنَنَا ضَعِيفًا، لَا تَقْدِرُ عَلَى أَنْ تُلْحِقَ الضَّرَرَ بِأَحَدٍ مِنَّا، وَلَوْلَا تَقْدِيرُنَا لَعَشِيرَتِكَ
لَقَتَلْنَاكَ شَرَّ قِتْلَةٍ، وَمَا أَنْتَ عِنْدَنَا ذَا قِيَمَةٍ وَاحْتِرَامٍ.

{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ} (هود: 92)

92- قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ خَطِيْبًا بَلِيغًا: يَا قَوْمِي، أَعَشِيرَتِي أَكْرَمُ عِنْدَكُمْ
مِنَ اللَّهِ خَالِقِكُمْ وَرَازِقِكُمْ، وَأَكْثَرُ رَهْبَةً وَتَقْدِيرًا فِي قُلُوبِكُمْ مِنْهُ، وَقَدْ نَبَذْتُمْ أَمْرَهُ وَرَاءَكُمْ بِدُونِ
أَيِّ حِسَابٍ لِرِسَالَتِهِ الْعَظِيمَةِ؟! لَكِنَّهُ يَعْلَمُ بِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمُ السَّيِّئَةِ، وَسَوْفَ يُحَاسِبُكُمْ عَلَيْهَا.

{وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ
كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ} (هود: 93)

93- وَيَا قَوْمِي اعْمَلُوا عَلَى طَرِيقَتِكُمْ مَا تُرِيدُونَ، وَاثْبِتُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ
وَالتَّكْذِيبِ، وَأَنَا عَامِلٌ عَلَى طَرِيقَتِي وَمِنْهَاجِي، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنَ الْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ الْخَارِجُ
عَلَى الْحَقِّ، فَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ يُذِلُّهُ، وَمَنِ الْكَاذِبُ فِي دَعْوَاهُ: أَنَا أَمْ أَنْتُمْ، وَانْتَظِرُوا حُلُولَ
العَذَابِ الَّذِي أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ، إِنِّي مُنْتَظِرٌ مَعَكُمْ ذَلِكَ.

{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَنَيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ
فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} (هود: 94)

94- وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بِهَلَاكِ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، أُنْجَيْنَا النَّبِيَّ شُعَيْبًا وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا، فَقَدْ
هَدَيْنَاهُمْ لِلْإِيمَانِ، وَالتَّوْفِيقِ لِلطَّاعَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَأَخَذَتِ أَوْلِيَاءَ الظَّالِمِينَ الصَّيْحَةُ
القَوِيَّةَ، الْمِدْوِيَّةَ الْمُرْعِبَةَ، فَصَارُوا جَمِيعًا جُثَّتًا، هَامِدِينَ، لَا حِرَاكَ بِهِمْ.

{ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ } (هود: 95)

95- وكأنتهم لم يقيموا في هذه الديار قبل ذلك، وكأنتهم لم يكونوا ذوي أهل وأموال، وحركة وعُمران! ألا بُعدًا وهلاكًا لمدين كما هلكت ثمود. وطويت صَفْحَةٌ أُخْرَى مِنْ صَفْحَاتِ الظُّلْمِ والكُفْرِ، وحقَّ عليهم اللعْنُ والعذاب.

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ } (هود: 96)

96- ولقد أرسلنا موسى بن عمران وأيدناه بحجج واضحة، وبراهين كافية، ومُعْجَزَاتٍ عظيمة، تدلُّ على صدق نبوته، وصحَّة رسالته.

{ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ } (هود: 97)

97- أرسلناه إلى فرعون ملك مصر وطاعيتها الكبير، الذي ادَّعى أنَّه الربُّ الأعلى، وإلى قومه الذين تقبلوا منه ذلك، فاتَّبَعُوا أَمْرَهُ وَهَيْه، ولم يكن ذا نَهْجٍ رشيد، ولا حِكْمَةٍ واستقامة، بل كان ضالًّا مُسْتَكْبِرًا، وجاهلًا مُفْسِدًا، مُحَارِبًا لِلدِّينِ اللَّهِ، كافرًا برسالة نبيه.

{ يَفْقَدُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْزُودُ } (هود: 98)

98- يَفْقَدُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كما تقدَّمهم في الدنيا، فيتَّبَعُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كما تَبِعُوهُ فِي الدُّنْيَا، ولكنَّه فِي هَذَا الْمَوْقِفِ يُورِدُهُمُ النَّارَ الْمَوْجَّحَةَ، جزاء كُفْرِهِمْ واستكبارِهِمْ عن اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَبِئْسَ الْمَكَانُ الَّذِي يَتَّصِدُونَهُ وَيَدْخُلُونَهُ، وَهُوَ النَّارُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ.

{ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ } (هود: 99)

99- وَقَدْ أَلْحَقَتْ لَعْنَةُ اللَّهِ بِآلِ فِرْعَوْنَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَاتُوا غَرْقًا عَلَى الْكُفْرِ، وَفِي الْحَيَاةِ الْآخِرَى تَتَّبِعُهُمُ اللَّعْنَةُ أَيْضًا، فَلَا نَصِيبَ لَهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ، فَيُقَدَّفُونَ فِي النَّارِ، وَبِئْسَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَالٍ، حَيْثُ تَتَّبِعُهُمُ اللَّعْنَةُ إِثْرَ اللَّعْنَةِ (57).

(57) { الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ } : الرفدُ قد جاء بمعنى العون، وبمعنى العطية، والملائمُ هنا هو الأول. قال الزجاج: كلُّ شيءٍ جعلته عونًا لشيءٍ وأسندت به شيئًا فقد رُفِدته. والمعنى: بئس العونُ المعانُ رُفِدَهُمْ، وهي اللعنةُ في الدارين، وذلك أن اللعنةُ في الدنيا رُفِدٌ للعذابِ ومددٌ له، وقد رُفِدَتْ بِاللَّعْنَةِ فِي الْآخِرَةِ. (روح البيان).

{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَفْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ} (هود: 100)

100- وذلك الذي قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ وَأَحْوَالِهِمْ مَعَ أَنْبِيَائِهِمْ فِي تِلْكَ الْفُرَى، مِنْهَا مَا هُوَ بَاقٍ تُرَى آثَارُهُ وَتَشْهَدُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ بِالْقُوَّةِ وَالْعُمَرَانِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ هَالِكٌ دَاثِرٌ لَا يُرَى.

{وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ} (هود: 101)

101- ولم نَظْلِمُهُمْ بِالْعَذَابِ وَالْإِهْلَاكِ، وَلَكِنْ هُمْ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَلَبُوا لَهَا الْهَلَاكَ، فَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، وَكَفَرُوا بِرِسَالَاتِ أَنْبِيَائِنَا، وَفْتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ عَنْ دِينِهِمْ، فَكَانَ عِقَابُهُمْ عَدْلًا وَحِكْمَةً مِنَ اللَّهِ، وَلَيْسَ ظُلْمًا. وَمَا نَفَعَتْهُمْ أَصْنَانُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا، فَلَمْ تَشْفَعْ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ كَمَا كَانُوا يَدْعُونَ، بَلْ مَا زَادَتْهُمْ غَيْرَ تَخْسِيرٍ، فَجَلَبَتْ لَهُمُ الْهَلَاكَ وَالذَّمَارَ، وَالْعَذَابَ وَالنَّارَ.

{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} (هود: 102)

102- وَمِثْلُ مَا مَرَّ مِنْ إِهْلَاكِ الْأَقْوَامِ وَالْفُرَى يَكُونُ إِهْلَاكُ رَبِّكَ لَهَا وَلِأَشْبَاهِهَا؛ بِسَبَبِ ظُلْمِهَا وَعُتُوِّهَا، إِنَّ عَذَابَ اللَّهِ وَإِهْلَاكَهُ شَدِيدُ الْأَمِّ، قَوِيُّ الْأَثَرِ، وَإِنَّ بَأْسَ رَبِّكَ لِشَدِيدٍ. وَفِي الصَّحِيحِينَ: "إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ".

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ بِمَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ} (هود: 103)

103- إِنَّ فِي إِهْلَاكِ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ عِظَةً وَعِبْرَةً لِمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَفِيهِ مِنْ تَعْدِيبِ الْكَافِرِينَ الظَّالِمِينَ بِالنَّارِ فِي الْآخِرَةِ مَا يُشْبِهُ إِهْلَاكِهِمْ فِي الدُّنْيَا، فَكِلَاهُمَا عَذَابٌ، لَكِنَّ عَذَابَ

الآخِرَةَ أَشَدُّ وَأَبْقَى، ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي يَجْتَمِعُ النَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ، أَوْلَهُمْ وَآخِرُهُمْ، لِلْمُحَاسَبَةِ
وَالْجِزَاءِ، إِنَّهُ يَوْمٌ مَشْهُودٌ عَظِيمٌ، يَشْهَدُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

{ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُّودٍ } (هود: 104)

104- وما نُؤَخِّرُ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْمَشْهُودَ إِلَّا لِأَنَّهُ سَبَقَتْ كَلِمَةٌ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ فِي مُدَّةٍ مُّعَيَّنَةٍ
مَعْلُومَةٍ عِنْدَهُ، فَلَا يُنْقَضُ مِنْهَا، وَلَا يُزَادُ عَلَيْهَا.

{ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ } (هود: 105)

105- يَوْمَ يَأْتِي ذَلِكَ الْيَوْمَ الْعَظِيمِ، وَقَدْ طَعَى السُّكُونُ الرَّهِيْبُ عَلَى الْجَمِيعِ، فَلَا يَتَكَلَّمُ
أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، فَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَكُونُ شَقِيًّا تَعْيِسًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ سَعِيدًا مَسْرُورًا.

{ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ } (هود: 106)

106- فَأَمَّا الْأَشْقِيَاءُ فَمَا وَاهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ الْمَسْعَرَةَ، فَيَشْهَتُونَ وَيَزْفِرُونَ بِشِدَّةٍ وَأَلْمٍ؛ مِنَ الضَّيْقِ
وَالْحَرِّ وَالْإِحْرَاقِ.

{ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ }

(هود: 107)

107- مَا كَثُرَ فِي جَهَنَّمَ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ.

وَهُوَ تَعْبِيرٌ فِي الْبَقَاءِ الْمُسْتَمِرِّ، فَكَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ إِذَا وَصَفَتِ الشَّيْءَ بِالذَّوَامِ أَبَدًا قَالَتْ:
هَذَا دَائِمٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَهَذَا بَاقٍ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ. فَخَاطَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا
يَتَعَارَفُونَهُ بَيْنَهُمْ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمَقْصُودُ سَمَاوَاتُ الْآخِرَةِ وَأَرْضُهَا.

إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ. وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ بِالشَّقِيِّ وَالسَّعِيدِ.

وَالاسْتِثْنَاءُ فِي الْمَشِيئَةِ عَائِدٌ عَلَى الْعِصَاةِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، مِمَّنْ يُخْرِجُهُمُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ
الشَّافِعِينَ، ثُمَّ تَأْتِي رَحْمَةُ اللَّهِ فَتُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ وَقَالَ مَرَّةً مِنَ الدَّهْرِ: لَا إِلَهَ

إِلَّا اللَّهَ. وَلَا يَبْقَى بَعْدَ ذَلِكَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ فِيهَا وَلَا مَحِيدَ لَهُ عَنْهَا. هَذَا مَا عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، قَدِيمًا وَحَدِيثًا.

{وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَنِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ} (هود: 108)

108- وَأَمَّا السُّعَدَاءُ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَأَتْبَاعِ الرَّسُولِ، فَمَأْوَاهُمْ الْجَنَّةُ، مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، فِي دَلَالَةٍ عَلَى الدَّوَامِ كَمَا مَرَّ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، يَعْنِي خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا. إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ.

وَمَعْنَى الْأَسْتِثْنَاءِ هَاهُنَا أَنَّ دَوَامَهُمْ فِيهَا مِنْ النَّعِيمِ لَيْسَ أَمْرًا وَاجِبًا بِذَاتِهِ، بَلْ هُوَ مَوْكُولٌ إِلَى مَشِيئَتِهِ تَعَالَى، فَلَهُ الْمِنَّةُ عَلَيْهِمْ... قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ.
وَلَا شَكَّ فِي خُلُودِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهَذَا طَيَّبَ اللَّهُ الْقُلُوبَ وَثَبَّتَ الْمَقْصُودَ بِقَوْلِهِ فِي آخِرِ الْآيَةِ:
{عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ} أَي: إِحْسَانًا وَنَعِيمًا لَا يَنْقَطِعُ عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَبَدًا.

{فَلَا تَكُنْ فِي مَرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ} (هود: 109)

109- فَلَا تَكُنْ فِي شَكٍّ مِنْ بُطْلَانِ مَا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، فَإِنَّهُمْ فِي جَهْلٍ وَضَلَالٍ، وَحُجْحٍ وَعَقْلَةٍ، مَا يَعْبُدُونَ شَيْئًا إِلَّا مِثْلَ الَّذِي عَبَدَهُ آبَاؤُهُمْ وَأَجْدَادُهُمْ مِنَ الْأَوْتَانِ، وَقَدْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ مَا حَلَّ بِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ كَذَلِكَ، سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ حَظَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ كَمَا آتَيْنَا آبَاءَهُمْ، وَلَنْ يُبْخَسُوا مِنْ حَظِّهِمْ شَيْئًا!

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ} (هود: 110)

110- وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا عَلَى مُوسَى التَّوْرَةَ، فَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي كَوْنِهِ كِتَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَمِنْ مُؤْمِنٍ بِهِ وَمِنْ كَافِرٍ، وَلَوْ لَا أَنَّ قَضَى اللَّهُ مِنْ قَبْلُ بِتَأْجِيلِ الْعَذَابِ إِلَى الْيَوْمِ الْمَعْلُومِ، لِحُكْمِ بَيْنَهُمْ، وَأَوْقَعَ الْعَذَابَ فِي كَافِرِهِمْ اسْتِحْقَاقًا، وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ قَوِيٍّ مِمَّا جَاءَهُمْ بِهِ الرَّسُولُ.

{ وَإِنَّ كُفْلًا لِّمَا لِيُوقِفِينَهِمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } (هود: 111)

111- وَإِنَّ كُلَّ النَّاسِ، مُؤْمِنَهُمْ وَكَافِرَهُمْ، وَأَوْلَهُمْ وَآخِرَهُمْ، يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، وَيَجْزِيَهُمْ عَلَيْهَا، إِنَّ خَيْرًا أَوْ شَرًّا، وَهُوَ عَلِيمٌ بِأَعْمَالِهِمْ، دَقَّهَا وَجَلَّهَا، لَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْهَا شَيْءٌ.

{ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّعُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (هود: 112)

112- فَالزَّمِ النَّهْجَ الْمُسْتَقِيمَ فِي الدِّينِ أَيُّهَا الرَّسُولُ، مَنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ، فِي ثَبَاتٍ وَدَوَامٍ، كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِذَلِكَ، أَنْتَ وَمَنْ تَابَ مِنَ الشَّرِّكَ مَعَكَ، وَلَا تَتَجَاوَزُوا مَا حَدَّهُ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَنَحَرِفُوا عَنْهُ، فَإِنَّ مُجَاوِزَةَ الْحَقِّ وَالتَّقْصِيرَ فِيهِ طُغْيَانٌ وَظُلْمٌ. فَمَنْ أَحَلَّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ فَقَدْ ظَلَمَ، وَمَنْ أَشْرَكَ كَذَلِكَ، أَوْ زَيَّنَ، أَوْ عَقَّ وَالدَّيْهَ. وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَيُجَازِيكُمْ عَلَى مَا عَمِلْتُمْ، فَاتَّقَوْهُ فِي الْمَحَافِظَةِ عَلَى حُدُودِهِ.

{ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُمُّ لَا

تُنصَرُونَ } (هود: 113)

113- لَا تَسْكُنُوا إِلَى أَهْلِ الظُّلْمِ وَلَا تَرْضَوْا بِظُلْمِهِمْ، لَا تَمِيلُوا إِلَى الْجَبَّارِينَ الطُّغَاةِ الَّذِينَ يَظْلِمُونَ عِبَادَ اللَّهِ، وَلَا تَسْتَعِينُوا بِهِمْ، وَلَا تَسْتَبِدُّوا إِلَيْهِمْ، فَتَكُونُوا كَأَنَّكُمْ قَدْ رَضِيتُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، وَيَكُونُ رَكُونُكُمْ إِلَيْهِمْ إِقْرَارًا لَهُمْ عَلَى مَا يُزَاوِلُونَهُ مِنْ ظُلْمٍ وَمُنْكَرٍ.

قَالَ الْقَاضِي الْبَيْضَاوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: لَا تَمِيلُوا إِلَيْهِمْ أَدْنَى مِيلٍ، فَإِنَّ الرُّكُونَ هُوَ الْمَيْلُ الْيَسِيرُ، كَالْتَزَيُّ بِزَيْبِهِمْ، وَتَعْظِيمُ ذِكْرِهِمْ وَاسْتِدَامَتِهِ. اهـ.

وَقَالَ صَاحِبُ "رُوحِ الْمَعَانِي": فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ يَمِيلُ إِلَى الرَّاسِخِينَ فِي الظُّلْمِ كُلِّ الْمَيْلِ، وَيَتَهَالِكُ عَلَى مُصَاحِبَتِهِمْ وَمُنَادِمَتِهِمْ، وَيُتَعَبُ قَلْبُهُ وَقَالَبُهُ فِي إِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَيْهِمْ، وَيَسْتَنْهَضُ الرَّجُلَ وَالْحَيْلَ فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ إِلَيْهِمْ، وَيَتَهَجُّ بِالتَّزْيِي بِزَيْبِهِمْ، وَالْمِشَارَكَةِ لَهُمْ فِي عَيْبِهِمْ، وَيَمُدُّ عَيْنَيْهِ إِلَى مَا مُتَّعُوا بِهِ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَيَغْبِطُهُمْ بِمَا أُوتُوا مِنَ القُطُوفِ الدَانِيَةِ، غَافِلًا عَنْ حَقِيقَةِ ذَلِكَ، ذَاهِلًا عَنْ مُنْتَهَى مَا هُنَالِكَ!

قال: وَيَبْغِي أَنْ يُعَدَّ مِثْلُ ذَلِكَ مِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا لَا مِنَ الرَّكَانِينَ إِلَيْهِمْ، بِنَاءً عَلَى مَا رُويَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِسُفْيَانَ: إِنِّي أَحْيَيْتُ لِلظَّلْمَةِ، فَهَلْ أَعَدُّ مِنْ أَعْوَانِهِمْ؟ فَقَالَ لَهُ: لَا، أَنْتَ مِنْهُمْ، وَالَّذِي يَبِيعُكَ الْإِبْرَةَ مِنْ أَعْوَانِهِمْ! اهـ.
فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ تُصِيبُكُمْ النَّارُ بِسَبَبِهِ.

وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارٌ يَمْنَعُونَ الْعَذَابَ عَنْكُمْ إِذَا قَدَّرَهُ عَلَيْكُمْ، وَلَا يَجِدُونَ مَعُونَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِإِنْقَادِكُمْ مِنَ الْعَذَابِ، فَقَدْ سَبَقَ فِي حُكْمِهِ تَعَالَى أَنْ يُعَذِّبَكُمْ؛ لِمَلِكِكُمْ إِلَى الظَّالِمِينَ...

{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ} (هود: 114)

114- وَأَقِمِ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ بِتَمَامِهَا⁽⁵⁸⁾، وَدَاوِمِ عَلَيْهَا، أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ، وَأَوَّلُهُ الْفَجْرُ، وَآخِرُهُ الظُّهْرُ وَالْعَصْرُ، لِأَنَّهُمَا بَعْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ مِنْ وَسْطِ السَّمَاءِ. وَسَاعَاتٍ مِنَ اللَّيْلِ قَرِيبَةً مِنَ النَّهَارِ، وَيَعْنِي صَلَاتِي الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ. إِنَّ فِعْلَ الْخَيْرِ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ يُكَفِّرُ السَّيِّئَاتِ وَيُذْهِبُ الذُّنُوبَ السَّابِقَةَ، وَالصَّلَوَاتُ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ وَالْقُرْبَاتِ. وَهَذَا مَوْعِظَةٌ لِمَنْ اتَّعَظَ، وَعِبْرَةٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ.

{وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} (هود: 115)

115- وَاصْبِرْ عَلَى صُعُوبَاتِ مَا كُفِّتَ بِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ ثَوَابَ صَبْرِكَ وَعَمَلِكَ، وَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِحْسَانِ، وَالِاسْتِقَامَةَ مِنَ الْإِحْسَانِ، وَالصَّلَاةَ مِنَ الْإِحْسَانِ... وَكُلَّ ذَلِكَ وَغَيْرَهُ مِمَّا ابْتَغَيْتَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، ثَوَابٌ لَكَ تَلْقَاهُ فِي الْمِيزَانِ.

(58) الْمَرَادُ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ أَدَاؤَهَا، وَإِنَّمَا عَبَّرَ عَنْهَا بِإِشَارَةٍ إِلَى أَنَّ الصَّلَاةَ عِمَادُ الدِّينِ. (رُوحِ الْبَيَانِ). الْأَمْرُ بِالْإِقَامَةِ يُؤْذَنُ بِأَنَّهُ عَمَلٌ وَاجِبٌ؛ لِأَنَّ الْإِقَامَةَ إِيقَاعُ الْعَمَلِ عَلَى مَا يَسْتَحِقُّهُ، فَتَقْتَضِي أَنَّ الْمَرَادَ بِالصَّلَاةِ هُنَا الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ. (التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ).

{ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنَّهُوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ
أُنجَيْنَا مِنْهُمُ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ } (هود: 116)

116- فهلاً وُجِدَ مِنَ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ الَّتِي أَهْلَكْنَاهُمْ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ، ذَوِي رَأْيٍ وَعَقْلٍ وَفَضْلِ، يَقُومُونَ بِالنَّهْيِ عَنِ الْفَسَادِ الْوَاقِعِ بَيْنَهُمْ، مِنَ الشَّرْكِ وَالظُّلْمِ، وَالشُّرُورِ وَالْمَعَاصِي، إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ مِمَّنْ أَصْلَحُوا وَقَامُوا بِالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ، فَأُنجَيْنَاهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ، وَسَاءَتْهُمْ كَانُوا ظَالِمِينَ مُفْسِدِينَ، فَاسْتَمَرُّوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ، وَالشَّهَوَاتِ وَالْمَغْرِبَاتِ، وَالتَّرَفِ وَالبَدَخِ، وَإِثَارِ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَكَانُوا كَافِرِينَ مُجْرِمِينَ، بِفَسَادِهِمْ وَإِفْسَادِهِمْ.

{ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ } (هود: 117)

117- وَمَا كَانَ اللَّهُ ظَالِمًا حَتَّى يُهْلِكَ النَّاسَ وَيُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ مُصْلِحُونَ فِي أَعْمَالِهِمْ، يُؤدُّونَ وَاجِبَهُمْ كَمَا يَنْبَغِي، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ يُهْلِكُهُمْ بِكُفْرِهِمْ وَإِفْسَادِهِمْ وَظُلْمِهِمْ.

{ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ } (هود: 118)

118- وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَ النَّاسَ جَمِيعًا بَعْضُهُمْ مِثْلَ بَعْضٍ، فِي أَفْكَارِهِمْ وَمُعْتَقَدَاتِهِمْ، وَتَقَافَاتِهِمْ وَاتِّجَاهَاتِهِمْ، فَكَانُوا مُجْتَمِعِينَ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ وَمِلَّةٍ وَاحِدَةٍ، لَا يَقَعُ بَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ وَتَنَاحُرٌ، وَصَارُوا كَأَنَّهُمْ نُسخَةٌ مُكَرَّرَةٌ مِنْ بَعْضِهِمْ الْبَعْضُ، وَلَكِنْ لَمْ يَشَأْ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ، بَلْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ بِطَبَائِعٍ مُخْتَلِفَةٍ وَعُقُولٍ مُتَفَاوِتَةٍ، وَوَهَبَهُمُ الْعَزِيمَةَ وَالْقُدْرَةَ عَلَى الْاِخْتِيَارِ، بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمُ الْعَقْلَ وَبَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ، وَيَكُونُ مِنْ مُقْتَضَى هَذَا التَّفَاوُتِ وَالِاخْتِلَافِ بَيْنَهُمْ، أَنْ يَكُونُوا مُتَفَاوِتِينَ وَمُخْتَلِفِينَ فِي عَقَائِدِهِمْ وَأَرَائِهِمْ،

{ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ } (هود: 119)

119- إِلَّا مَنْ أَدْرَكْتَهُمْ رَحْمَةُ اللَّهِ فَاهْتَدَوْا إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ، فَهُمْ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي الْعَقِيدَةِ،
وَلِذَلِكَ خَلَقَ النَّاسَ، حَتَّى يَتَحَمَّلَ كُلُّ تَبَعَةٍ اخْتِيَارِهِ، وَيُجَازِيَ عَلَيْهِ.

نقل الطبري عن ابن عباس قوله: خلقهم فريقين: فريقاً يُرْحَمُ فلا يَخْتَلِفُ، وفريقاً لا يَرْحَمُ
يَخْتَلِفُ، وذلك قوله: {فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ} [سورة هود: 105]. اهـ.

فأهل الرحمة لا يَخْتَلِفُونَ، وإذا اختلفوا فلا يكون اختلافهم مثل اختلاف الآخرين في تباغضهم
وتفرقهم. يقول الحسن البصري رحمه الله: أهل رحمة الله لا يَخْتَلِفُونَ اختلافًا يضرهم.

وهكذا نفذ قضاء الله وحق أمره، وتم حكمه، بأن تمتلئ جهنم من الكافرين الضالين،
المختلفين مع أهل الحق، المعادين لهم، وتمتلئ الجنة بالمؤمنين المتبعين للحق، من الجن والإنس.

**{وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ
وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} (هود: 120)**

120- ونقص عليك كل ما تحتاج إليه من أخبار الرسل والأمم المتقدمين، وما جرى لهم من
تصديق وتكذيب، ونصر للرسل والمؤمنين، وهلاك للكافرين المكذبين، لثبتت به قلبك، فتزداد
يقيناً وطمأنينة، وثباتاً على أداء الرسالة، وتحملاً لأذى الكافرين، أسوة بمن سبقك من
إخوانك المرسلين.

وجاءك في هذه السورة الحق من عند الله، من النبأ الصادق والقصاص الحق، ليتعظ به
المؤمنون، ويرتدع به الكافرون، ويكون لهم جميعاً عبرة بما سبق.

{وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ} (هود: 121)

121- وقُلْ أيها النبي للذين كفروا: اعملوا ما شئتم على طريقتكم التي ترغبونها من الضلال
والشرك، ونحن عاملون على منهجنا النابع من هدى الله، المؤيد بالدليل الحق.

{وَانتظروا إِنَّا منتظرون} (هود: 122)

122- وانتظروا ما يحل بنا، ونحن ننتظر ما يحل بكم من نعمة الله، وسوف تعلمون من
الذي كان على الحق، إن عاجلاً أو آجلاً.

{وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ
بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (هود: 123)

123- ولله ما غاب عن العباد ونظرهم مما في السماوات والأرض، لا يغيب عنه شيء من ذلك، وإليه وحده مرجع الناس كلهم في المعاد، مؤمنهم وكافرهم، ليوفي كلاً جزاء ما عمل، ولا شأن للخلق في الأمر آنذاك، فاعبده وحده، فهو المستحق للعبادة، الجدير بأن تسجد له الجباه، واعتمد عليه، وثق به، وفوض أمرك إليه، فإنه كافيك وناصرك، ولا يغفل الله عن عمل أحد منكم، وهو العليم بأحوالكم وأقوالكم جميعاً، وما تظهرون وما تخفون، من خيرٍ وشرٍ.

* * *

ويرى القارئ أن هذه السورة سُورَةٌ عَظِيمَةٌ، فيها تخويفٌ وترهيبٌ، ووَعِيدٌ شَدِيدٌ لِمَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ لِأَمْرِ اللَّهِ. وفيما مرَّ مِنْ قِصَصِ الْأُمَمِ الْغَايِرَةِ مَعَ أَنْبِيَائِهِمْ تَذَكِيرٌ لِمَنْ تَدَبَّرَ وَاعْتَبَرَ. وقد صحَّ في الحديثِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "شَيِّئَتْنِي هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ". رواه الترمذيُّ والحاكمُ وصحَّحه.

سورة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} (يوسف: 1)

1- الحُرُوفُ الْمُحَقَّطَةُ لم يَرِدْ فِي مَعْنَاهَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ صَحِيحٌ. هذه آياتُ الْقُرْآنِ الْبَيِّنِ فِي أَحْكَامِهِ، الظَّاهِرِ أَمْرُهُ، فِي مَصْدَرِهِ، وَإِعْجَازِهِ، وَمَعْنَاهُ.

{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (يوسف: 2)

2- نَحْنُ أَنْزَلْنَا هَذَا الْكِتَابَ بِاللُّسَانِ الْعَرَبِيِّ؛ لِكَيْ تَعْلَمُوا مَعَانِيَهُ، وَتَفْهَمُوا مَا فِيهِ، وَتُدْرِكُوا أَنَّهُ لَيْسَ بِالْإِمْكَانِ الْإِتْيَانُ بِمِثْلِهِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: لِأَنَّ لُغَةَ الْعَرَبِ أَفْصَحُ اللُّغَاتِ وَأَبْيَنُهَا وَأَوْسَعُهَا، وَأَكْثَرُهَا تَأْدِيَةً لِلْمَعَانِي الَّتِي تَقُومُ بِالنُّفُوسِ، فَلِهَذَا أُنْزِلَ أَشْرَفُ الْكُتُبِ بِأَشْرَفِ اللُّغَاتِ، عَلَى أَشْرَفِ الرُّسُلِ، بِسَفَارَةِ أَشْرَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَشْرَفِ بَقَاعِ الْأَرْضِ، وَابْتَدِئَ إِنْزَالُهُ فِي أَشْرَفِ شُهُورِ السَّنَةِ، وَهُوَ رَمَضَانَ، فَكَمُلَ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ.

{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ

الْعَافِلِينَ} (يوسف: 3)

3- نَحْنُ نُحَدِّثُكَ وَنُبَيِّنُ لَكَ أَخْبَارَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ بِمَا فِيهَا مِنْ عِبَرٍ وَحِكَمٍ وَقَوَائِدِ، فِي أَحْسَنِ بَيَانٍ وَأَجْمَلِ اسْلُوبٍ⁽⁵⁹⁾، بِإِيحَاتِنَا هَذَا الْقُرْآنَ إِلَيْكَ، وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْوَحْيِ أَحَدَ الْأُمِّيِّينَ فِي قَوْمِكَ، غَافِلًا سَاهِيًا عَنْ هَذِهِ الْقَصَصِ الْهَادِفَةِ، لَا عِلْمَ لَكَ بِهَا.

(59) اخْتُلِفَ فِي وَجْهِ كَوْنِ مَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ هُوَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ، فَقِيلَ:

لأن ما في هذه السورة من القصص يتضمَّن من العبرِ والمواعظِ والحكمِ ما لم يكن في غيرها.

وقيل: لما فيها من حسنِ المحاورَةِ، وما كان من يوسفَ عليه السلام، من الصبرِ على أذاهم، وعبودِهِ عنهم.

وقيل: لأن فيها ذكرَ الأنبياءِ والصالحين، والملائكةِ والشياطين، والجنِّ والإنس، والأنعامِ والطير، وسيرِ الملوكِ والمماليك، والتجار، والعلماءِ والجهَّال، والرجالِ والنساء، وحيلهنَّ ومكرهنَّ. =

{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} (يوسف: 4)

4- وادكر أئها الرسول قول نبي الله يوسف لأبيه يعقوب عليهما السلام: يا أبتى، إنى رأيت فى المنام أحد عشر كوكبا، والشمس والقمر، ساجدة لى. ويأتى تأويل هذه الرؤيا فى الآية (100) من السورة.

{قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} (يوسف: 5)

5- قال له أبوه يعقوب عليه السلام: يا بُنى، لا تُخبر إخوتك برؤياك هذه، فإنهم إذا سمعوا منك حسدوك، واحتالوا حيلة كبيرة لإهلاكك. إن الشيطان عدو ظاهر للإنسان، لا يألو جهدا فى إثارة الحسد والفتنة بين الإخوة.

= وقيل: إن {أحسن} هنا بمعنى أعجب.

وقيل: إن كل من ذكر فيها كان ماله السعادة. (فتح القدير، باختصار).

جعل هذا القصص أحسن القصص لأن بعض القصص لا يخلو عن حسن ترتاح له النفوس.

وقصص القرآن أحسن من قصص غيره، من جهة حسن نظمها، وإعجاز أسلوبها، وبما يتضمنه من العبر والحكم، فكل قصص فى القرآن هو أحسن القصص فى بابه، وكل قصة فى القرآن هى أحسن من كل ما يقصه القاص فى غير القرآن. وليس المراد أحسن قصص القرآن حتى تكون قصة يوسف عليه السلام أحسن من بقية قصص القرآن، كما دل عليه قوله: {بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ}. (التحرير والتنوير).

{وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رِبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (يوسف: 6)

6- قَالَ يَعْقُوبُ لَوْلَدِهِ يَوْسُفَ: وَكَمَا أَرَاكَ اللَّهُ هَذِهِ الرُّؤْيَا المِبَارَكَةَ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَخْتَارُكَ وَيَصْطَفِيكَ لِنَبْوَتِهِ، وَيُعَلِّمُكَ تَعْبِيرَ الرُّؤْيَا، أَوْ مَا تَقُولُ إِلَيْهِ عَوَاقِبُ الْأُمُورِ، وَيُكْمِلُ فَضْلَهُ عَلَيْكَ فَيَصُفُّهُ إِلَى النُّبُوَّةِ المَلَكِ، وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَى أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ بِالتَّوْبَةِ وَالمُهْدَايَةِ، كَمَا أَتَمَّ نِعْمَتَهُ مِنْ قَبْلُ عَلَى أَبَوَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ فَكَانَا نَبِيِّينَ، عَلَيْهِمُ جَمِيعًا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ، فَهَمُ مِنْ بَيْتِ مُبَارَكٍ، مِمَّنْ فَضَّلَهُمُ اللَّهُ عَلَى الْعَالَمِينَ، إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ بِالنَّاسِ، فَيَعْلَمُ مَنْ يَسْتَحِقُّ النِّعَمَ العَظِيمَةَ، حَكِيمٌ، يَضَعُ الرِّسَالَةَ فِيمَنْ يَسْتَحِقُّهَا.

{لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَسَائِلِينَ} (يوسف: 7)

7- لَقَدْ كَانَ فِي قِصَّةِ يَوْسُفَ وَخَبْرِهِ مَعَ إِخْوَتِهِ عِبْرٌ وَعِظَاتٌ، وَأَمَارَاتٌ عَلَى حَقَائِقَ كَثِيرَةٍ، وَعَلَامَاتٌ دَالَّةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ، لِمَنْ يَسْتَفْسِرُ عَنْهَا وَيَهْتَمُّ بِهَا.

{إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنََّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (يوسف: 8)

8- إِذْ قَالَ بَعْضُ إِخْوَتِهِ يَوْسُفَ لِبَعْضٍ: وَاللَّهِ إِنَّ يَوْسُفَ وَأَخَاهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا - وَكَانُوا مِنْ أُمَّ غَيْرِ أُمَّهُمَا - وَنَحْنُ جَمَاعَةٌ نَكْفِيهِ الْأُمُورَ أَكْثَرَ مِنْهُمَا، لَا شَكَّ أَنَّ أَبَانَا مُخْطِئٌ فِي المِيلِ إِلَيْهِمَا دُونَنا، إِذْ كَيْفَ يُحِبُّ غُلَامَيْنِ أَكْثَرَ مِنْ جَمَاعَةٍ قَوِيَّةٍ تُدَافِعُ وَتَنْفَعُ أَكْثَرَ مِنْهُمَا؟

{اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ} (يوسف: 9)

9- قَالَ بَعْضُهُمْ وَقَدْ زَيْنَ الشَّيْطَانُ لَهُمُ الشَّرَّ وَأَغْرَاهُمْ بِهِ: اقْتُلُوا يَوْسُفَ هَذَا الَّذِي اسْتَأْثَرَ حُبَّ وَالِدِكُمْ، أَوْ أَبْعُدُوهُ إِلَى أَرْضٍ بَعِيدَةٍ لِتَسْتَرِيحُوا مِنْهُ وَتَصْفُو لَكُمْ مَحَبَّةَ أَبِيكُمْ، فَلَا يَلْتَفِتَ إِلَى غَيْرِكُمْ، ثُمَّ تَتُوبُوا مِنْ خَطِيئَتِكُمْ هَذِهِ، وَتَكُونُوا بَعْدَ ذَلِكَ جَمَاعَةً تَائِبِينَ صَالِحِينَ.

{ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ } (يوسف: 10)

10- قَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ، فَإِنَّ الْقَتْلَ إِثْمٌ عَظِيمٌ، وَلَكِنْ أَلْقُوهُ فِي أَسْفَلِ الْبَعْرِ وَظَلْمَتِهِ، فِي طَرِيقِ الْقَوَافِلِ، يَأْخُذُهُ بَعْضُ الْمَارَّةِ مِنَ الْمَسَافِرِينَ وَيَذْهَبُوا بِهِ بَعِيدًا، إِذَا كُنْتُمْ عَازِمِينَ وَمُصِرِّينَ عَلَى فِعْلِكُمْ.

{ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ } (يوسف: 11)

11- وَذَهَبُوا إِلَى أَبِيهِمْ يَعْقُوبَ وَقَالُوا لَهُ: لِمَاذَا لَا تَتَّقُ بِنَا وَلَا تَأْمَنَّا عَلَى أَحِينَا يُوسُفَ يَا أَبَانَا، أَتَخَافُنَا عَلَيْهِ وَنَحْنُ نَكِينٌ لَهُ الْوَدَّ وَالْإِخْلَاصَ، وَنُشْفِقُ عَلَيْهِ وَنُرِيدُ لَهُ الْخَيْرَ.

{ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (يوسف: 12)

12- إِبْعَثْهُ مَعَنَا غَدًا إِلَى الْبَرِّ لِيَسْعَى وَيَنْشِطَ وَيَلْهَوْ، وَنَحْنُ نَحْفَظُهُ وَنَحْرُسُهُ مِنْ مَكْرُوهِ يَنَالُهُ.

{ قَالَ إِنِّي لَبِخْرُئِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ } (يوسف: 13)

13- قَالَ أَبُوهُمْ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي لِأَغْتَمُّ إِذَا بَعُدَ عَنِّي، وَيَشُقُّ عَلَيَّ مُفَارَقَتُهُ، وَأَخْشَى أَنْ تَغْفُلُوا عَنْهُ، وَتَنْشَغِلُوا بِالرَّعِيِّ أَوْ اللَّعْبِ، فَيَأْكُلَهُ الذَّبُّ. وَكَانَتْ مَحَبَّتُهُ الزَّائِدَةَ لَهُ وَخَوْفُهُ عَلَيْهِ لِمَا يَتَوَسَّسُ فِيهِ مِنْ شَمَائِلِ النَّبَوَّةِ، وَخُلُقِهِ الطَّيِّبِ، وَخَلْقِهِ الْجَمِيلِ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

{ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ } (يوسف: 14)

14- قَالُوا لَوْلَا دِهِمُ: إِذَا عَدَا عَلَيْهِ الذَّبُّ فَأَكَلَهُ مِنْ بَيْنِنَا وَنَحْنُ جَمَاعَةٌ، فَإِنَّا ضَعْفَاءُ عَاجِزُونَ، لَا خَيْرَ فِينَا وَلَا نَفْعَ فِي حَيَاتِنَا.

{ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } (يوسف: 15)

15- فلما ذهبوا بيوسف من عند أبيه، استقر رأيهم على أن يجعلوه في أسفل البئر. وأعلمنا يوسف - تثبيتاً له وتسليةً - لتخلصن مما أنت فيه، ولتخبرن إخوانك بما فعلوا بك في يوم من الأيام وهم لا يعرفونك.

{ وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ } (يوسف: 16)

16- وعاد إخوة يوسف إلى أبيهم في وقت العشاء وهم يتظاهرون بالحزن والأسف والبكاء.

{ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ } (يوسف: 17)

17- وقالوا: يا أبانا إننا ذهبنا نتسابق، وتركنا يوسف عند ثيابنا وأمتعتنا، وعدنا بعد وقت قصير، فإذا به أكله الذئب، ونحن نعلم أنك لن تصدق قولنا هذا، ولو كنا صادقين فيه.

{ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلًا وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } (يوسف: 18)

18- وجعلوا على قميصه دماً مكدوباً، لحيوان آخر غير الذئب، وجاءوا به إليه ليتأكد من قولهم ويصدقهم فيه، فقال لهم غير مُصدِّق لهم: بل زينت لكم أنفسكم أمراً منكرًا، وسهلت لكم فعلاً بشعاً، فسأصبر صبراً حسناً على ما ابتلاني الله به، حتى يُفرِّج عني بعونه ولطفه، كما أستعين به وحده فيما تذكرونه من كذب وبهتان.

{ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ } (يوسف: 19)

19- وجاءت رفقة تسير قريباً من الطريق المؤدي إلى ذلك البئر، فبعثوا إليها من يطلب لهم الماء، فلما جاءها وأرسل دلوها فيها، تشبث يوسف بالحبل، فلما استخرج الدلو إذا به يرى

عُلامًا عليه، فصاحَ فَرِحًا: يا بُشْرَى، لقدَ أصَبْتُ عُلامًا. وأخفاهُ طالِبُ الماءِ وأصحابُهُ عنَ بَقِيَّةِ رُفَقائِهِمْ حَتَّى لا يَرَوْهُ فَيَطْمَعُوا فِيهِ، مُعْتَبِرِينَ إِيَّاهُ بِضَاعَةً لِلتِّجَارَةِ، لِبَيْعِهِ رَقِيقًا. وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا، لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِمْ.

{وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} (يوسف: 20)

20- وباعوا يوسفَ بِثَمَنٍ ناقِصٍ، دَرَاهِمَ قَلِيلَةٍ، وكانوا مِنَ الرَّاعِبِينَ عنهُ، حيثُ أرادوا التَّخَلُّصَ مِنْهُ والحِصُولَ على مالٍ مُقابِلَهُ في أَسْرَعِ وَقْتٍ!

{وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (يوسف: 21)

21- وقالَ مُشْتَرِيهِ - وهوَ عَزِيزُ مِصْرَ، كَبِيرُ وَزرائِها، أو وَزِيرُ مالِها - لامرَأَتِهِ: اعْتَنِي بِهِ وَأَحْسِنِي إِلَيْهِ، فَإِنِّي أَتَوَسَّمُ فِيهِ خَيْرًا، عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا فَيَقْضِي مَصالِحِنَا، أو نَتَّبِنَاهُ فَيَكُونَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَنَا.

وكما أنقذنا يوسفَ مِنْ كَيْدِ إِخوانِهِ، كذلكَ تَتَّبِنَاهُ وجعلنا لَهُ مَكانًا عَظِيمًا في مِصْرَ. ولِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا ما نَشَاءُ. وَاللَّهُ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ، ولا يُرَدُّ أَمْرُهُ، ولا يُمانِعُ، ولا يُخالِفُ، ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ لَطائِفَ صُنْعِهِ، وخَفايا فَضْلِهِ، وحِكمَتَهُ في خَلْقِهِ.

{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ} (يوسف: 22)

22- ولما استَكمَلَ عَقلُهُ، واشتَدَّتْ قوَّتُهُ، آتيناَهُ النُّبُوَّةَ، وعَلِمَ تَأْوِيلَ الرُّؤْيَا، وكانَ ذلكَ جِزاءَ إِحسانِهِ، فقدَ أَحسَنَ في عَمَلِهِ، وعَمِلَ بِطاعةِ رَبِّهِ، وصَبَرَ في مِحْنَتِهِ.

وهذا وَصَفٌ لِحالِ يوسفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا يَعْنِي أَنَّهُ أُوتِيَ النُّبُوَّةَ في هذا المَوْضِعِ مِنْ سِياقِ القِصَّةِ، إذا فَسَّرَ "الحُكْمُ" بالنُّبُوَّةِ، الذي يأتي ذِكرُهُ وَمَعنَاهُ هَكَذا في حَقِّ الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كما في قولِهِ تَعالَى: {وَلَوْطاً آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} [سورة الأنبياء: 74]. أمَّا إذا فَسَّرَ بِمَعْنَى العِلْمِ والفِقهِ في الدِّينِ، فلا يَكُونُ هُنَاكَ إِشْكالًا.

{وَرَاوَدْتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ } (يوسف: 23)

23- ودَعَتْهُ امرأَةُ العَزِيزِ إِلَيْهَا، وَطَالَبَتْهُ بِلُطْفٍ لِيُوقِعَهَا، وَأَغْلَقَتْ أَبْوَابَ الْبَيْتِ بِإِحْكَامٍ، وَقَالَتْ لَهُ: هَلُمَّ، أَسْرِعْ، فَقَدْ تَهَيَّأْتُ لَكَ.

قَالَ يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَأَعْتَصِمُ بِهِ مِمَّا تُرِيدِينَ مِنِّي، إِنَّ زَوْجَكِ سَيِّدِي العَزِيزُ أَحْسَنَ مَنَزِلِي وَأَكْرَمَنِي، فَكَيْفَ أُسِيءُ إِلَيْهِ وَأُخَوِّنُهُ فِي زَوْجَتِهِ؟! إِنَّ الَّذِينَ يُجَازُونَ الحَسَنَ بِالسَّيِّئِ لَا يُفْلِحُونَ، وَلَا يَفُوزُونَ وَلَا يَسْعَدُونَ فِي الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ.

{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } (يوسف: 24)

24- وَقَدْ فَصَدَتْ مُخَالَطَتُهُ وَعَزَمَتْ عَلَى ذَلِكَ عَزْمًا جَازِمًا. وَمَالَ هُوَ إِلَيْهَا فِي لِحْظَةٍ مِنَ اللَّحْظَاتِ، بِمُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ البَشَرِيَّةِ، لَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَتَجَاوَزْ خَاطِرًا قَلْبِيًّا عِنْدَهُ، فَلَمَّا تَمَثَّلَ أَمَامَهُ بُرْهَانٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَآيَةٌ فِي تَنْبِيئِهِ، تُذَكِّرُهُ بِالرِّدْعِ مِنَ الفَاحِشَةِ، وَتُقَوِّي عَزِمَتَهُ بِالصَّبْرِ وَالتَّقْوَى، أَضَاءَ ذَلِكَ نَوْرَ الإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ مِنْ جَدِيدٍ بِقُوَّةٍ، فَتَذَكَّرَ وَأَنَابَ، وَاسْتَعَاذَ بِاللَّهِ وَاعْتَصَمَ بِهِ، وَلَمْ يَهَمَّ بِشَيْءٍ، وَضُرِفَ عَنْهُ حَتَّى ذَلِكَ الخَاطِرُ القَلْبِيِّ.

وَكَمَا أَرَبَانَهُ بُرْهَانًا فَصَرَفْنَاهُ عَمَّا كَانَ فِيهِ، كَذَلِكَ نَصْرِفُ عَنْهُ الخِيَانَةَ وَالزُّنَا، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المِصْطَفَيْنِ الأَخْيَارِ، الَّذِينَ اخْتَرْنَاهُمْ لَطَاعَتِنَا، وَأَكْرَمْنَاهُمْ بِالنَّبُوَّةِ، وَعَصَمْنَاهُمْ مِمَّا يَقْدَحُ فِي سُلُوكِهِمْ وَسِيرَتِهِمْ.

{وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (يوسف: 25)

25- وَقَامَ يَوْسُفُ هَارِبًا إِلَى بَابِ الْبَيْتِ لِيَتَخَلَّصَ مِنْهَا، وَتَبِعَتْهُ هِيَ لِتَمْنَعَهُ مِنَ الخُرُوجِ وَيَرْجِعَ، فَأَمْسَكَتْ بِقَمِيصِهِ مِنْ خَلْفِهِ، فَجَذَبَتْهُ إِلَيْهَا، فَقَطَعَتْهُ، وَاسْتَمَرَّ يَوْسُفُ هَارِبًا، وَهِيَ

تَتَّبِعُهُ لِتُعِيدَهُ، فَلَمَّا خَرَجَا لَقِيَا زَوْجَهَا الْعَزِيزَ عِنْدَ الْبَابِ، فَهَابَتْهُ، وَقَالَتْ فِي مَكْرٍ وَدَهَاءٍ: مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَزِينِي بِزَوْجَتِكَ؟
وَخَافَتْ أَنْ يَقْتُلَهُ، وَهِيَ تُحِبُّهُ، فَقَالَتْ: إِلَّا أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعِقَابُ سِجْنًا، أَوْ ضَرْبًا شَدِيدًا مُوَجَّعًا.

{ قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّن قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } (يوسف: 26)

26- قَالَ لَهُ يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هِيَ طَالِبَتْنِي بِالْفَاحِشَةِ، لَا كَمَا زَعَمْتَ، وَقَدْ رَفَضْتُ ذَلِكَ وَفَرَزْتُ مِنْهَا.

وَحَسَمَ الْخِلَافَ بَيْنَهُمَا شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِ الْمَرْأَةِ كَانَ هُنَاكَ، أَوْ اسْتُدْعِيَ مِنْ بَعْدِ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ شُقًّا مِّنْ قُدَّامٍ، فَقَدْ صَدَقَتِ الْمَرْأَةُ وَكَذَبَ هُوَ، وَيَكُونُ هُوَ الَّذِي أَرَادَ عَمَلَ الْفَاحِشَةِ بِهَا.

{ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ } (يوسف: 27)

27- وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ شُقًّا مِّنْ خَلْفٍ، فَقَدْ كَذَبَتْ فِي ادِّعَائِهَا، وَهُوَ صَادِقٌ بَرِيءٌ. وَوَرَدَ أَنَّ الَّذِي نَطَقَ بِالْحُكْمِ طِفْلٌ تَكَلَّمَ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحَّحَهُ بَعْضُهُمْ وَضَعَفَهُ آخَرُونَ.

{ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِّنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ } (يوسف: 28)

28- فَلَمَّا رَأَى الزَّوْجَ قَمِيصَ يَوْسُفَ وَقَدْ قُطِعَ مِنْ خَلْفٍ، عَرَفَ حِيلَةَ زَوْجَتِهِ وَبِرَاءَةَ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الصَّنِيعَ مِنْ احْتِيَالِكُنَّ أَيُّهَا النِّسَاءُ، إِنَّ مَكْرُكُنَّ كَبِيرٌ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَيْدِ الرِّجَالِ.

{ يَوْسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَعْفَرِي لَدُنْكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ } (يوسف: 29)

29- قَالَ الْعَزِيزُ: يَا يَوْسُفَ، قَدْ ظَهَرَ لَنَا صِدْقُكَ، وَلَكِنْ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، وَاکْتُمَهُ وَلَا تَذْكُرْهُ لِأَحَدٍ، حَتَّى لَا يَشِيعَ بَيْنَ النَّاسِ.

وَأَنْتِ أَيُّهَا الْمَرْأَةُ، تُوبِي مِنْ هَذَا الَّذِي صَدَرَ عَنْكَ وَلَا تَعُودِي إِلَيْهِ، فَإِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْمَدِينِيِّينَ الْمُحْسِنِينَ.

{ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ { (يوسف: 30)

30- وشاع خبرُ يوسفَ وامرأةِ العزيزِ في المدينة، فقالت نِسْوَةٌ مِنْهُنَّ يُنَكِّرُنَ هَذَا الْفِعْلَ مِنْهَا: زَوْجَةُ الْعَزِيزِ تَطْلُبُ مِنْ غُلَامِهَا أَنْ يَفْعَلَ بِهَا الْفَاحِشَةَ؟ لَا شَكَّ أَنَّهَا فُتِنَتْ بِهِ وَأَحَبَّتْهُ حُبًّا شَدِيدًا، وَإِنَّ صَنِيْعَهَا هَذَا حَطًّا ظَاهِرًا مِنْهَا، وَبَعْدَ عَنْ طَرِيقِ الرُّشْدِ وَالصَّوَابِ.

{ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ { (يوسف: 31)

31- فَلَمَّا سَمِعَتْ بِقَوْلِهِنَّ وَتَعْيِيرِهِنَّ، وَكَانَ مِنَ الطَّبَقَةِ الرَّاقِيَةِ، أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ تَدْعُوهُنَّ، وَأَقَامَتْ لَهُنَّ مَأْدُبَةً فِي قَصْرِهَا، وَأَعَدَّتْ لَهُنَّ وَسَائِدًا يَتَّكِنَ عَلَيْهَا، وَرَبَّنَتْ مَائِدَهُنَّ بِأَنْوَاعِ الْأَطْعِمَةِ وَالْفَاكِهَةِ، فَجِئْنَ وَجَلَسْنَ، وَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا، فَبَيْنَمَا كُنَّ يُقَطِّعْنَ اللَّحْمَ أَوْ الْفَاكِهَةَ، قَالَتْ لِيُوسُفَ: إِظْهَرْ لِهِنَّ. وَكَانَ أَجْمَلَ النَّاسِ. فَخَرَجَ عَلَيْهِنَّ، فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَعْظَمَنَّهُ، وَدُهَشْنَ بِرُؤْيَا جَمَالِهِ الْفَائِقِ، وَجَرَحْنَ أَيْدِيَهُنَّ بِالسَّكَاكِينِ الَّتِي مَعَهُنَّ وَهَنَّ يَحْسَبْنَ أَنَّهُنَّ يُقَطِّعْنَ الْفَاكِهَةَ، لِشِدَّةِ تَأَثُّرِهِنَّ بِجَمَالِهِ وَحُسْنِ سَمْتِهِ وَطَلْعَتِهِ.

وَذُكِرَ أَنَّهُنَّ لَمْ يَشْعُرْنَ بِالْأَلَمِ، لِأَنَّ شِغَالَ قُلُوبِهِنَّ بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامِ، وَقُلْنَ مُتَعَجِّبَاتٍ مُنْدَهَشَاتٍ: مَعَادَ اللَّهِ، لَيْسَ هَذَا بَبَشَرٍ، فَلَا مِثَالَ لَهُ، وَلَا أَجْمَلَ مِنْهُ، مَا هَذَا إِلَّا مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكُرَمَاءِ عَلَى اللَّهِ!

وَكَانَ كُلُّ ذَلِكَ مَكْرًا مِنْ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ، لِتَصِلَ إِلَى بُغْيَتِهَا مِنْهُنَّ.

{ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَيَكُونَ مِنَ الصَّاغِرِينَ { (يوسف: 32)

32- فقالت لهنّ: إن كان الأمر كما قلّتنّ، فإنّ هذا الذي رأيتموه الآن ودُهِشْتُنَّ لجماله، هو الذي عَيَّرْتُنِّي في الافتتان به، وعائبتُنِّي في حُبِّه، ولقد بَهَرَنِي كما بَهَرَكُنَّ، وحاولتُ مَعَهُ لِينَالَ مِنِّي فامتنعَ وأبى إباءً شديداً، وإذا لم يُطَاوِعني فيما دَعَوْتُهُ إليه، لِيُعَاقَبَنَّ بالسَّجْنِ، وَيَكُونَنَّ مِنَ الْأَذِلَّةِ الْمُهَانِينَ.

{ قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ بِمَا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ } (يوسف: 33)

33- قال يوسفُ عليه السَّلامُ يُناجِي رَبَّهُ، وَقَدْ عَرَفَ إِصرارَ امرأَةِ العزيرِ على الفَاحِشَةِ، وَمَماذِئِها في غَيِّها، كما تَدَخَّلَتْ نِساءَ القَصْرِ وَخَوَّفَتْهُ مِنْ عاقِبَةِ مَخالَفَتِها، أو أَهَنَّ دَعَوَتُهُ إلى أَنْفُسِهِنَّ كَذلك، فقالَ وهو يَبغِي الخُروجَ مِنْ هَذِهِ الفِتْنَةِ: يا رَبِّ، إِنَّ العُقوبَةَ بالسَّجْنِ أَفضَلُ عِندي مِنْ إتيانِ الفَاحِشَةِ، الذي يُوَدِّي إلى سَخَطِكَ، وإلى الشَّقَاءِ والعَذابِ الأليمِ. (والأولى بالمرءِ في هذا أَنْ يَسْأَلَ اللهَ العَافِيَةَ مِنْ هذا وَذاك). وإذا لم تَدْفَعْ عَنِّي مَكْرَهُنَّ وَحَبائِلَهُنَّ، ووَكَّلْتَنِي إلى نَفْسي، أَمِلْ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ المِذْنِبِينَ.

"وهي دَعَوَةُ الإنسانِ العارِفِ بِبِشَرِيَّتِهِ، الذي لا يَعتَرُّ بِعِصْمَتِهِ، فيريدُ مَزِيداً مِنْ عِنايَةِ اللهِ وَحِياطَتِهِ، يُعاوِنُهُ على ما يَعتَرِضُهُ مِنْ فِتْنَةٍ وَكَيْدٍ وإِغراءٍ". قاله صاحبُ "الظَّلال".

{ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (يوسف: 34)

34- فأجابَ اللهُ دُعاءَ يوسفَ، وأبعدَ عَنْهُ مَكْرَهُنَّ، وَثَبَّتَهُ على العِصْمَةِ والعِقَّةِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ لِدُعاءِ المِتَضَرِّعِينَ إِلَيْهِ، عَلِيمٌ بِأَحْوالِهِمْ وَمَا يُصْلِحُهُمْ.

ومَواقِفُ الشَّبابِ مِنَ الشَّهواتِ وَثَباتُهُمْ أمامَ المِغْرِياتِ في جَوْ مَلِيٍّ بِالْفِتَنِ صَعْبٌ جِدًّا، وَكانتِ امرأَةُ العزيرِ في غايَةِ الجَمالِ، مَعَ ما هِيَ عَلَيهِ مِنْ ثِراءٍ وَجَاهٍ، وامتنعَ يوسفُ عَلَيهِ السَّلامُ مِنَ الفَاحِشَةِ خَوْفاً مِنَ اللهِ، واختارَ السَّجْنَ على ذلكَ، وهذا مِنْ عِصْمَةِ اللهِ لَهُ، وَمَما جَمَلَهُ بِهِ مِنَ الإيمانِ والتَّقوى، والعَزيمَةِ والصبرِ.

وفي الحديثِ الصَّحيحِ قولُهُ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمَنْ يُظَلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: "رَجُلٌ دَعَتُهُ امْرَأَةٌ ذاتُ جَمالٍ وَمَنْصِبٍ، فقالَ: إِنِّي أَخافُ اللهُ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

{ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ } (يوسف: 35)

35- ثمَّ بدأ للعزير وأصحابه، بعد أن رأوا الأدلة على صدق يوسف ونزاهته، أن من المصلحة سجنه لمدة طويلة!

{ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ

فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } (يوسف: 36)

36- ودخل معه السجن غلامان، وقد عرف يوسف بين المساجين بمكارم الأخلاق والعبادة وتعبير الرؤيا، فرأى كلُّ منهما منامًا، فسرد الأول منامه عليه قائلاً: رأيتني أعصر عنبًا.

وقال الآخر: رأيتني أُحمَلُ فوق رأسي خُبْرًا، والطير تأكل منه.

قالا: أخبرنا بتعبير رؤيانا يا يوسف، فنعتقد أنك من الذين يجيدون تعبیر الرؤى والأحلام.

{ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي

إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ } (يوسف: 37)

37- قال لهما يوسف عليه السلام، وقد صرّفهما إلى مقالٍ خيرٍ من هذا، وهو أن يتنبّها إلى

العقيدة الصحيحة، وأنّ له من العلم ما يفوق تعبیر الرؤيا، ليثقا بكلامه ويعودا من الشرك إلى

التوحيد: لا يأتیکما طعامٌ في الحبس حسب عادتیکما، إلا أخبرتکما قبل أن يصل إليکما

بصفتيه: نوعه، وطعمه، وشكله. وهذا مما علّمني إياه ربي بالنبوة - إن كان أوحى إليه إذ ذاك

- أو بما شاء الله من فضله، لأني اجتنبت دين الكافرين بالله واليوم الآخر.

{ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ

ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ } (يوسف: 38)

38- واتبعت دين آبائي المؤمنين، إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب. وما صح ولا استقام لنا

معاشر المؤمنين أو الأنبياء، أن نتخذ شركاء لله. وهذا التوحيد الصافي، الخالص من كل

شائبة، هو من تأييد الله لنا بالنبوة، ومن فضله على الناس بواسطتنا، ولكن أكثر الناس لا يعرفون نعمة الله عليهم بإرسال الرسل إليهم، فلا يستجيبون لهم ولا يوحدون الله.

{ يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } (يوسف: 39)

39- ثم دعاهما إلى الإسلام فقال: أيها الفتيان السجينان، ألهة شتى، متفرقة متباينة، صماء بكماء، لا تضر ولا تنفع، خير وأفضل لكما، أم الإله الواحد، القاهر الذي لا يغلب، الذي بيده الأمر كله؟

{ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (يوسف: 40)

40- إنكم ما تعبدون - أهل الشرك - سوى الفاظ فارغة، وآلهة خالية، ليس لها من حقيقة الربوبية شيء، وقد أطلقتم عليها هذه الأسماء المبخمة والألقاب المعظمة أنتم وآباؤكم بتصرف من عندكم، جهلاً وضلالاً، بدون أي مستند ولا حجة من عند الله، وإنما هكذا يتلقى خلفكم عن سلفهم اتباعاً وتقليداً، بدون علم ولا وعي.

ما الأمر والنهي، والتشريع والقضاء، إلا من عند الله، فله السلطان وله الحكم؛ لأنه الإله الحق المعبود، والمالك للأمر كله، فهو الذي يأمر بالعبادة لمن يستحقها، وبكيفية ذلك، وقد أمر ألا تعبدوا إلا إياه، فلا تتوجه العبادة إلا إليه، لأنه وحده المستحق لذلك، وهذا هو النهج الثابت المستقيم الذي لا يتغير في الدين، وهو الذي أرسلت به الرسل، ونزلت به الكتب، ودلت عليه الحجج والبراهين، وهذا ما أَدْعُوكمَا إليه، من الطاعة والتوحيد، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، لجهلهم بتلك الدلائل، ولذلك فإن أكثرهم مشركون.

{ يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ } (يوسف: 41)

41- أَيُّهَا السَّجِينَانِ، أَمَّا الْأَوَّلُ مِنْكُمَا فَتَعْبِيرُ رُؤْيَاهُ أَنَّهُ يَسْقِي سَيِّدَهُ خَمْرًا. وَأَمَّا الْآخَرُ، فَتَعْبِيرُهُ أَنَّهُ يُصَلِّبُ، وَتَأْكُلُ الطَّيُورُ الْجَوَارِحُ مِنْ رَأْسِهِ.
فُرِّغَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ، وَسَيَكُونُ أَمْرُكُمَا كَمَا قُلْتِ.

{ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ } (يوسف: 42)

42- وَقَالَ يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلأَوَّلِ، وَهُوَ الَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ سَيَنجُو مِنْ حُكْمِ الْقَتْلِ، وَالظَّنُّ هُنَا بِمَعْنَى الْيَقِينِ: اذْكُرْ حَالِي وَطُولَ حَبْسِي ظُلْمًا عِنْدَ سَيِّدِكَ. وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ أَنْسَاهُ أَمْرَ يَوْسُفَ، فِي ظِلِّ حَيَاةِ الْقَصْرِ وَمُلْهِيَاتِهِ، فَمَكَثَ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سِنَوَاتٍ، وَهُوَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ وَالسَّعِ.

{ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ } (يوسف: 43)

43- وَقَالَ مَلِكُ مِصْرَ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ، مُتَلَثِّاتٍ لِحَمًا وَشَحْمًا، يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ بَقَرَاتٍ مَهْزُولَاتٍ. وَرَأَيْتُ سَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ، وَسَبْعًا أُخَرَ يَابِسَاتٍ. فَصَّرَ رُؤْيَاهُ هَذِهِ عَلَى حَاشِيَّتِهِ وَعَلَى الْكَهَنَةِ وَالسَّحَرَةِ، قَائِلًا لَهُمْ: يَا أَهْلَ الرُّؤْيَا وَالْمِشُورَةِ، عَبَّرُوا لِي هَذِهِ الرُّؤْيَا، وَيَبَيِّنُوا لِي حُكْمَهَا، إِذَا كُنْتُمْ عَارِفِينَ بِتَعْبِيرِ الرُّؤْيَى.

{ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ } (يوسف: 44)

44- قَالُوا بَعْدَ إِعْمَالِ الْفِكْرِ: هَذِهِ أَحْلَامٌ مُضْطَرِبَةٌ، وَمَنَامَاتٌ بَاطِلَةٌ، وَلَسْنَا مِنَ الْمَاهِرِينَ بِتَعْبِيرِ الْأَحْلَامِ وَتَأْوِيلِهَا.

{ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ } (يوسف: 45)

45- وقال لهم ذلك السجين الذي بنا من القتل، وتذكر قصة حلمه مع يوسف، بعد مدة زمنية طويلة: أنا سأخبركم بتأويل هذا الحلم، فأرسلوني إلى السجن حيث يوسف، فإنه عالم بتأويل الرؤى والأحلام.

{يوسف أَيُّهَا الصَّدِيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ} (يوسف: 46)

46- ثم قصَّ على يوسف ما رآه الملك في منامه قائلاً، أَيُّهَا الصَّدِيقُ يوسف، أَجِبْنَا فِي تَعْبِيرِ هَذِهِ الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَاهَا الْمَلِكُ، سَبْعُ بَقَرَاتٍ مُمْتَلِئَاتٍ، يَبْتَلِغُهُنَّ سَبْعُ بَقَرَاتٍ مَهْزُولَاتٍ، وَسَبْعُ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ، وَأُخَرَ مِثْلُهُنَّ يَابِسَاتٍ، لَأَرْجِعَ بِالْجَوَابِ إِلَى الْمَلِكِ وَحَاشِيَّتِهِ، وَأَهْلِ رَأْيِهِ وَمَشُورَتِهِ، لِيَعْرِفُوا التَّعْبِيرَ الصَّحِيحَ لَهُ.

{قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ} (يوسف: 47)

47- قَالَ لَهُ يوسُفُ مُعَبَّرًا، وَمُرشِدًا: إِنَّكُمْ سَتَزْرَعُونَ سَبْعَ سَنَوَاتٍ مُتتَابِعَاتٍ يَكُونُ فِيهَا الخِصْبُ والمَطَرُ، فَمَا حَصَدْتُمْ مِنْ نِتَاجِهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَاتْرِكُوا القَمْحَ فِي سُنْبُلِهِ، لِئَلَّا يَفْسُدَ أَوْ يَأْكُلَهُ السُّوسُ، إِلَّا مَقْدَارَ مَا تَأْكُلُونَهُ، وَلِيَكُنْ قَلِيلًا.

{ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ هُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ} (يوسف: 48)

48- ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ تِلْكَ السَّنِينَ سَبْعُ سَنَوَاتٍ مُجْدِبَاتٍ شَدِيدَاتٍ، يُوَكَّلُ فِيهِنَّ مَا ادَّخَرْتُمْ فِي السَّنَوَاتِ السَّابِقَاتِ مِنَ القَمْحِ المَتْرُوكِ فِي السَّنَابِلِ، إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْفَظُونَهُ مِنَ البُذُورِ لِلزَّرْعَةِ.

{ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} (يوسف: 49)

49- ثُمَّ تَقْضِي تِلْكَ السَّنَوَاتِ السَّبْعِ العِجَافِ، وَيَعْتَبُهَا عَامٌ يُمْطَرُ فِيهِ النَّاسُ، فَتَنْمُو الزَّرْعُ وَالثَّمَارُ، وَيَعْصِرُونَ مَا شَاؤُوا مِنْ زَيْتٍ وَفَاكِهَةٍ.

{ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النُّسُوءِ
الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ } (يوسف: 50)

50- وأخبر ذلك الفتى الملك بتأويل رؤياه كما عبّر يوسف عليه السلام، فتعجب منه ومن علمه، وأراد أن يقف على خبره، فقال: ائْتُونِي بيوسف.

فلما ذهب السفير إليه ليحضره، كما أمره الملك، لقي وقفة عند يوسف، فقد أبى أن يصحبه، وفضل أن يبقى في السجن حتى تبرأ ساحتُه، ليخرج طاهراً مبرأً من كل شبهة، وأن كل هذه السنوات التي قضاها في السجن كانت ظلماً في حقه، فقال لرسول الملك: ارجع إلى سيديك واسأله عن خبر النساء اللواتي جرحن أيديهن، وحقيقة أمرهن في هذا. والله أعلم بمكرهن وما صنعتهن بحقي، ولسوف يجازيهن على افترائهن.

{ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاودْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ
قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ }
(يوسف: 51)

51- فأحضرهن الملك بين يديه وقال لهن: ما شأنكن وما خبركن عندما حاولن إغراء يوسف عن نفسه يوم الضيافة، وحدرتنه من مخالفة مولاته إذا لم يُطعها فيما تُريد منه؟ هل أجابكن إلى شيء من ذلك؟ فقلن جميعاً: معاذ الله، لم نر منه سوءاً، ولم نُجرب عليه خيانة. وقالت مولته امرأة العزيز: الآن ظهر الحق وتبين بعد خفائه، فأنا التي حاولت معه، وبدلت جهدي في إغرائه لأجبره على الفاحشة، فأبى إباءً شديداً، وكان عفيفاً في سلوكه نزيهاً، صادقاً في قوله، إنه بريء.

{ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ } (يوسف: 52)
52- قالت: وقد اعترفت بهذا ليعلم يوسف أنني لم أخنه في حرمتيه بظهر الغيب، فلم أتهمه بفعل الفاحشة وهو غائب عني لا يعرف ذلك، ولم أصر على قولي إنه هو الذي راودني عن نفسي، فهو صادق في براءته ونزاهته.

والله لا يُسَدِّدُ عَمَلَ الْخَائِنِينَ، ولا يَهْدِيهِمْ بِمَكْرِهِمْ، والخائِنُ يَعُودُ عَلَيْهِ مَكْرُهُ وَخِيَانَتُهُ.

الجزء الثالث عشر

سورة يوسف (53-111)

سورة الرعد

سورة إبراهيم

{ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ }

(يوسف: 53)

53- قالت: ولا أُنْزُهُ نَفْسِي عنِ الْخَطَا وَالزَّلَلِ، فَإِنَّ النَّفْسَ الْبَشَرِيَّةَ كَثِيرَةُ الْأَمْرِ بِالسُّوءِ والمعصية، تَمِيلُ إلى الشَّهَوَاتِ، وتَتَأَثَّرُ بالمَغْرِبَاتِ، إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ رَبِّي فَصَرَفَهُ عَنِ السُّوءِ، وَعَصَمَهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، إِنَّ رَبِّي لِعَظِيمُ الْمَغْفِرَةِ، كَثِيرُ الرَّحْمَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ عِبَادَهُ خَطَّاءُونَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ وَيَرْحَمُهُمْ، إِنَّ تَابُوا وَأَصْلَحُوا.

وقد أسلمت المرأة، ولكن لا يُعرفُ في أيِّ مَوْضِعٍ مِنْ سَرِدِ الْقِصَّةِ.

{ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ }

(يوسف: 54)

54- ولما تَأَكَّدَ لِلْمَلِكِ بَرَاءَةَ يَوْسُفَ وَنَزَاهَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامِ، قال: جِيئُوا بِهِ لِيَكُونَ مِنْ خَاصَّتِي وَأَهْلِ مَشُورَتِي.

فلَمَّا كَلَّمَهُ وَعَرَفَ فَضْلَهُ وَقَدْرَهُ، قال له: إِنَّكَ الْآنَ عِنْدَنَا ذَا مَكَانَةٍ وَمَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ، وَمُؤْتَمَنٌ عَلَى أُمُورٍ عَظِيمَةٍ.

{ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ } (يوسف: 55)

55- قَالَ لَهُ يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اجْعَلْنِي مَسْئُولاً عَنْ خَزَائِنِ الْأَرْضِ الَّتِي تَحْتَ تَصْرُفِكَ، وَهِيَ مِصْرُ، إِنِّي خَازِنٌ أَمِينٌ، عَلِيمٌ بِشُؤُونِ التَّصْرِيفِ فِيهَا، بَصِيرٌ بِالْحِسَابِ. قَالَ ذَلِكَ لِمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنَ السَّنِينَ الْعِجَافِ، لِيَتَصَرَّفَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَصْلَحِ وَالْأَرْشَدِ. وَكَانَ كَذَلِكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَيَجُوزُ لِلْمَرَّةِ أَنْ يُظْهَرَ عِلْمُهُ لِمَنْ يَجْهَلُهُ.

{ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا

نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } (يوسف: 56)

56- وَبِتَمَكِينٍ لَائِقٍ وَمُنَاسِبٍ، جَعَلْنَا لِيُوسُفَ الْعِزَّ وَالسُّلْطَانَ فِي أَرْضِ مِصْرَ، يَتَّخِذُ مَنْزِلاً فِي أَيِّ مَكَانٍ مِنْهَا، بَعْدَ الضِّيقِ وَالْأَسْرِ وَالْحُبْسِ الَّذِي كَانَ فِيهِ. وَنُصِيبُ بِفَضْلِنَا وَعَطَائِنَا مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا، بَعْدَلِنَا وَحِكْمَتِنَا، وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ صَبَرَ عَلَى أَدَى النَّاسِ، وَأَحْسَنَ فِي صَبْرِهِ وَاحْتِسَابِهِ، حَتَّى آتَاهُ الْفَرَجُ.

{ وَلَا أَجْرَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } (يوسف: 57)

57- وَإِنَّ ثَوَابَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّابِرِينَ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ، أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ مِمَّا يَكُونُ فِي الدُّنْيَا، كَمَا فِي شَأْنِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَغَيْرِهِ.

{ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ } (يوسف: 58)

58- وَلَمَّا عَمَّ الْقَحْطُ بِلَادَ مِصْرَ، وَتَجَاوَزَهَا حَتَّى وَصَلَ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ، وَحَلَّ بِأَلِ يَعْقُوبَ مَا حَلَّ بِأَهْلِهَا، سَمِعُوا أَنَّ بِمِصْرَ مَلِكاً صَالِحاً يَعْدِلُ فِي الْعَطَاءِ وَالتَّوْزِيعِ، فَقَصَدَهُ النَّاسُ مِنْ سَائِرِ الْأَقَالِيمِ، وَبَيْنَهُمْ إِخْوَةُ يَوْسُفَ الَّذِينَ آدَوْهُ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِ وِلَايَتِهِ، فَعَرَفَهُمْ بِحُسْنِ إِدْرَاكِهِ وَفِرَاسَتِهِ، وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ.

{وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} (يوسف: 59)

59- ولما أعطاهم حَقَّهُم، وهياً لهم أحمالهم، قال لهم: أحضروا أحاكم الذي لم تأتوا به معكم، لأزيدكم، وأتم كيلكم، ألا ترون أنني أوفيت لكم ما تستحقون، وأحسنْتُ إليكم في الضيافة والمبيت؟

{فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ} (يوسف: 60)

60- فإذا لم تأتوني بأخيكم في المرّة القادمة، فلا نصيب لكم في شيءٍ عندي، ولا تدخلوا بلادي.

{قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ} (يوسف: 61)

61- قالوا له: سنحاول ذلك مع والده، ونستميله ونحرص على إحضاره، ونحن قادرون على ذلك.

{وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (يوسف: 62)

62- وقال يوسف لأعوانه الكياليين: اجعلوا بضاعتهم التي أتوا بها من الشام في رحالهم⁽⁶⁰⁾ مرّة أخرى من حيث لا يشعرون - وكانوا قد أتوا بها ليستبدلوا بها القمح والطعام - إحساناً بهم، أو لعلهم يعرفون حقّ ردها إذا رجعوا إلى أهلهم، فيرجعون بها في المرّة القادمة.

(60) الرحال: جمع رَحْل، وهو ما يوضع على البعير من متاع الراكب، ولذا سمّي البعير راحلة. (التحرير والتنوير).
الرَّحْل: الوعاء. ويقال لمنزل الإنسان ومأواه (رَحْل) أيضاً، ومنه: نسي الماء في رحله. (روح البيان).

{ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكْتُلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (يوسف: 63)

63- فلما عادوا إلى أبيهم يعقوب عليه السلام، قالوا له: يا أبانا لقد منع العريز منا الكيل⁽⁶¹⁾ في المرة القادمة إذا لم نذهب بأخينا بنيامين معنا إلى مصر، فابعثه معنا، وسيكون محلّ حفظنا ورعايتنا.

{ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } (يوسف: 64)

64- قال لهم يعقوب عليه السلام: هل آمنكم عليه إلا كما ائتمنتكم على أخيه يوسف من قبل، فصانعون بأخيك ما صنعتم به؟ لا أثق في وعدكم بحفظه، ولكن أفوض أمري إلى الله، فهو يكلؤه بحفظه ورعايته، وسيرحم ضعفي وشيبي، وهو خير من رحم.

{ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ } (يوسف: 65)

65- ولما فتح إخوة يوسف متاعهم الذي أتوا به من مصر⁽⁶²⁾، وجدوا بينها بضاعتهم التي أخذوها معهم من البيت ليستبدلوا بها القمح والطعام، فقالوا: يا أبانا، هذه بضاعتنا التي

(61) {الكَيْلُ}: مصدر (كَلَتِ الطعام) إذا أعطيته كيلاً، ويجوز أن يُراد به المكيال أيضاً، على طريقة ذكر المحلّ وإرادة الحال.

(62) {مَتَاعَهُمْ}: أصل المتاع ما يُتَمَتَّعُ به من الغروض والثياب. (التحرير والتنوير). هو في الأصل كل ما انتفع به، والمراد به هنا أوعية الطعام مجازاً، إطلاقاً للكَلِّ على بعض مسميّاته. ويسمّي بعضهم هذا النوع من الجاز - أعني إطلاق الكَلِّ على البعض - حقيقةً قاصرة. (روح البيان).

أَخَذْنَاهَا مِنْ هُنَا قَدْ أُعِيدَتْ إِلَيْنَا، إِحْسَانًا وَتَكْرُمَةً مِنَ الْعَزِيزِ، فَابْعَثْ مَعَنَا أَخَانًا لِنَجْلِبَ الْمِيرَةَ لِأَهْلِنَا مِنْ عِنْدِهِ⁽⁶³⁾، فَهَوَّ عَادِلٌ كَرِيمٌ، وَنَزَادُ عَلَى ذَلِكَ كَيْلٌ بَعِيرٌ إِذَا جَاءَ مَعَنَا. وَالْقُوْتُ الَّذِي نُعْطَاهُ دُونَ نَصِيبِ أَحِينَا قَلِيلٌ، لَا يَكْفِينَا⁽⁶⁴⁾.

{ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ } (يوسف: 66)

66- قَالَ لَهُمْ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَنْ أُرْسِلَ مَعَكُمْ بَنِيَامِينَ (شَقِيقَ يَوْسُفَ) بَعْدَ أَنْ رَأَيْتُمْ مِنْكُمْ مَا رَأَيْتُمْ فِي أَحِيهِ يَوْسُفَ، حَتَّى تُعْطُونِي عَهْدًا مَوْثِقًا تَحْلِفُونَ فِيهِ بِاللَّهِ أَنَّكُمْ سَتُسْعِدُونَهُ إِلَيَّ، إِلَّا أَنْ تُغْلَبُوا أَوْ تَهْلِكُوا جَمِيعًا فِي الدَّفْعِ عَنْهُ. فَلَمَّا أَعْطَوْهُ عَهْدًا مِنَ اللَّهِ بِذَلِكَ كَمَا طَلَبَ، قَالَ تَأْكِيدًا عَلَى الْعَهْدِ: اللَّهُ مُطَّلِعٌ رَقِيبٌ عَلَى مَا نَقُولُ. وَكَانَ لَا غِنَى لَهُمْ عَنِ الْقُوْتِ، فَبِعْتَهُ مَعَهُمْ.

{ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ } (يوسف: 67)

67- وَقَالَ يَنْصَحُهُمْ؛ حَدَرًا مِنْ أَنْ تُصِيبَهُمُ الْعَيْنُ، وَكَانُوا ذَوِي جَمَالٍ وَبَهَاءٍ: يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِصْرَ جَمِيعًا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ، بَلِ ادْخُلُوهَا مُتَفَرِّقِينَ مِنْ عِدَّةِ أَبْوَابٍ، وَلَا أَنْفَعَكُمْ وَلَا أَدْفَعُ عَنْكُمْ

(63) { وَتَمَيِّزُ أَهْلُنَا } : أَي: نَشْتَرِي لَهُمُ الطَّعَامَ فَنَحْمَلُهُ إِلَيْهِمْ. يُقَالُ: مَارَ أَهْلُهُ يَمِيرُ مِيرًا: إِذَا حَمَلَ إِلَيْهِمُ الطَّعَامَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ. وَمِثْلُهُ: امْتَارَ يَمْتَارُ امْتِيَارًا. (البغوي).

(64) { ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ } : الْإِشَارَةُ فِي { ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ } إِلَى الطَّعَامِ الَّذِي فِي مَتَاعِهِمْ. وَإِطْلَاقُ الْكَيْلِ عَلَيْهِ مِنْ إِطْلَاقِ الْمَصْدَرِ عَلَى الْمَفْعُولِ، بِقَرِينَةِ الْإِشَارَةِ. (التحريم والتنوير). { كَيْلٌ يَسِيرٌ } أَي: مَكِيلٌ قَلِيلٌ لَا يَقُومُ بِأَوْدِنَا، أَي: قَوْتِنَا. (روح البيان).

بهذا الاحتراز والنصح شيئاً من قضاء الله تعالى، فإنَّ قَدَرَ الله لا يُرَدُّ، ولكنَّه تَدْبِيرٌ وَسَبَبٌ، فما الحُكْمُ المطلقُ إلاَّ له تعالى، لا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ، ولا يُمَانِعُهُ مِنْهُ قُوَّةٌ، وعليه وحده يَعْتَمِدُ مَنْ أَرَادَ التَّوَكَّلَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

{وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لُدُو عَلِيمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (يوسف: 68)

68- ولما دخلوا مصرَ مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ كما أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ، ما كانت هذه الكيفيَّةُ في الدُّخُولِ تَمْنَعُ شَيْئاً مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، ولكنَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ وَالِدِهِمْ أَظْهَرَهَا؛ دَفْعاً لِإِصَابَتِهِمْ بِالْعَيْنِ؛ خَوْفاً وَشَفَقَةً عَلَيْهِمْ. إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ يَعْقُوبَ ذُو عِلْمٍ جَلِيلٍ، لِمَا عَلَّمْنَاهُ بِالْوَحْيِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ سِرَّ الْقَدْرِ، وَحُسْنَ التَّوَكُّلِ، وما خُصَّ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنَ الْعِلْمِ.

{وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (يوسف: 69)

69- ولما قَدِمُوا عَلَى يُوسُفَ رَحَّبَ بِهِمْ وَأَكْرَمَ نُزُلَهُمْ، وَضَمَّ إِلَيْهِ شَقِيقَةَ بَنِيَامِينَ - وَهُوَ مِنْ أُمَّهِ دُونَ الْآخَرِينَ - وَقَالَ لَهُ بِلُطْفٍ وَحَنَانٍ: أَنَا أَخُوكَ يُوسُفُ، فَلَا تَحْزَنْ بِمَا فَعَلُوهُ مَعِيَ، وَلَا تَأْسَفْ عَلَى صَنِيعِهِمْ وَسُوءِ مُعَامَلَتِهِمْ، وَاکْتُمْ خَبَرْنَا عَنْهُمْ. وَاتَّفَقَا عَلَى خُطَّةٍ لِإِبْقَائِهِ عِنْدَهُ.

{فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السُّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ} (يوسف: 70)

70- فَلَمَّا وَفَّى كَيْلَهُمْ، وَجَهَّزَ رُكْبَهُمْ وَحَمَلَهُ بِالْمِيرَةِ وَالطَّعَامِ، أَمَرَ بَعْضَ أَعْوَانِهِ أَنْ يَضَعَ إِنَاءَ السُّقَايَةِ فِي رِجْلِ بَنِيَامِينَ، وَلَمَّا انْطَلَقُوا نَادَى مُنَادِي يُوسُفَ أَنْ قِفُوا أَيُّهَا الرُّكْبُ فَقَدْ سَرَقْتُمْ لَنَا مَتَاعاً.

{قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ} (يوسف: 71)

71- دُهِشَ الإِخْوَةُ مِنْ هَذَا الْإِتِّهَامِ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِهِمْ، فَعَادُوا فِي انكِسَارٍ وَانزِعَاجٍ، وَقَالُوا وَقَدْ أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ: مَا الَّذِي فَقَدْتُمُوهُ، وَعَمَّ تَبْحَثُونَ؟

{قَالُوا نَفَقِدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ} (يوسف: 72)

72- قالوا: ضاعَ مِنَّا كَأْسُ الْمَلِكِ التَّمِينِ، وَلَمَنْ عَثَرَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَهُ لَنَا حِمْلُ بَعِيرٍ مِنَ الطَّعَامِ، قَالَ الْمُنَادِي: وَأَنَا كَفِيلٌ بِأَنْ أُؤَدِّيَهُ إِلَيْهِ.

{قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ} (يوسف: 73)

73- قَالَ إِخْوَةُ يَوْسُفَ: وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مِنْ حَالِنَا أَنَّنَا لَمْ نَأْتِ لِعَرَضِ الْإِفْسَادِ وَالتَّخْرِيبِ، وَلَيْسَ مِنْ شَيْمِنَا أَنْ نَكُونَ لُصُوصًا، وَلَمْ نَسْرِقْ لَكُمْ شَيْئًا.

{قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ} (يوسف: 74)

74- قَالَ لَهُمُ الْمُنَادِي وَأَصْحَابُهُ: فَمَا عِقَابُ مَنْ وُجِدَتْ الْكَأْسُ فِي رَحْلِهِ، إِذَا كُنْتُمْ كَاذِبِينَ فِي ادِّعَاءِ الْبَرَاءَةِ؟

{قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} (يوسف: 75)

75- قالوا: عِقَابُ مَنْ وُجِدَتْ الْكَأْسُ فِي رَحْلِهِ هُوَ اسْتِرْقَافُهُ - أَوْ أَسْرُهُ - هَذَا هُوَ جَزَاؤُهُ، وَهَذِهِ هِيَ شَرِيعَتُنَا فِي الْحُكْمِ عَلَى السَّارِقِ.

{قَبْدًا بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} (يوسف: 76)

76- فَبَدَأَ الْمُنَادِي بِالْبَحْثِ فِي أَمْتِعَتِهِمْ، تَوْرِيهًا، ثُمَّ فَتَّشَ أَمْتِعَةَ بَنِيَامِينَ أَخِي يَوْسُفَ، فَاسْتَخْرَجَ الْكَأْسَ مِنْ بَيْنِهَا.

وبمثل هذا التدبير الدقيق حصلنا ليوسف مقصوده، وما كان قادرًا على ضم أخيه إلى نفسه في شريعة ملك مصر، فإن السارق فيها يُعاقب ثم يُترك، فأخذ الحكم من إخوة يوسف أنفسهم، حيث تقضي شريعتهم باسترقاق السارق، أو أسره. وهكذا شاء الله سبحانه. نرفع درجات من نشأ بالعلم والحكمة، كما رفعنا درجة يوسف. والله العليم، الذي أحاط بعلمه بكل شيء، وعلمه تعالى فوق علم كل العلماء.

{قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ} (يوسف: 77)

77- قال إخوة يوسف: إذا كان بنيامين سارق، فقد سرق شقيقه يوسف من قبل! فأضمر يوسف مقالتهم في نفسه ولم يُجبههم عنها، ولم يُظهرها لهم، وهو يعلم براءته وبراءة أخيه من السرقة، فقال في نفسه عليه السلام: أنتم شر منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة، وهذه التهمة تنطبق عليكم عندما سرقتم أحاكم من أيكم ثم كذبتهم عليه، فالله أعلم بحقيقة ما تقولون، والأمر ليس كما تصفون.

{قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} (يوسف: 78)

78- وتذكروا العهد الذي أخذته منهم والدهم للحفاظ على أخي يوسف وإعادته إليه، فأخذوا يستعطفون يوسف ويسترحمونه لإطلاق سراحه، قالوا: أيُّها العزيز، إنَّ له أبًا، وهو شيخ كبير طاعن في السن، يُحبُّه حبًّا شديدًا، ولا يُطيق فراقه، فخذ أحدنا عوضًا عنه، إنَّا نراك رجل خير وإحسان، وعدل وإنصاف.

{قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ} (يوسف: 79)

79- قال لهم يوسف عليه السلام: نعوذ بالله أن نأخذ إلا من وجدنا الكأس عنده، فإذا أخذنا غيره ولو برضاه، فقد ظلمنا، كما هو في شريعتكم، ونعوذ بالله أن نكون من الظالمين.

{ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ } (يوسف: 80)

80- فلما يئسوا من يوسف ولم يتمكّنوا من تخليص بنيامين، انفردوا عن الناس يتناجون ويتشاورون فيما بينهم، ما الذي يفعلونه، وكيف يتصرفون؟

قال كبيرهم مذكراً: ألم تعلموا أنّ أباكم قد أخذ عليكم عهداً موثقاً لترُدُّنّه إليه، مع ما تقدّم من صنيعكم بيوسف وكذبكم عليه؟ فلن أفارق أرض مصر حتى يسمح لي أبي بالرجوع إليه راضياً عني، أو يحكم الله لي بما شاء، وهو سبحانه الحكيم العدل، الذي لا يقضي إلاّ بالحق.

{ اَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ } (يوسف: 81)

81- عودوا إلى أبيكم وأخبروه بما حصل، وقولوا: إنّ ابنك بنيامين سرق إناء الملك، وما شهدنا عليه إلاّ بما علمناه من سرقة، وبقي هناك أسيراً جزاء سرقة، وما كنا عالمين بما سيحدث في الغيب.

{ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ } (يوسف: 82)

82- واسأل أهل مصر عن القصة، والرفقة الذين صاحبناهم في السفر، ونحس صادقون فيما أخبرناك به.

{ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } (يوسف: 83)

83- فوصلوا إليه، وأخبروه بذلك، فقال لهم عليه السلام: بل زينت لكم أنفسكم أمراً ما وتقدّموه، وسأصبر على بنيامين كما صبرت على يوسف من قبل، صبراً حسناً يرضي ربي، وعسى أن يأتيني بهما وبأخيها المتوقف بمصر، إنّه عليم بحالي وحالهم، حكيم فيما يتلى به خلقه، وفي قضائه وقدره.

{ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَإِبِيضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ }
(يوسف: 84)

84- وأعرضَ عن بَنِيهِ وَقَدْ تَجَدَّدَ حُزْنُهُ وَزَادَ، وَقَالَ: يَا حُزْنِي وَيَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ. وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنْ شِدَّةِ الْحُزْنِ عَلَى وَلَدِيهِ، وَكَانَ مَعْمُومًا مَكْرُوبًا، قَدِ امْتَلَأَ قَلْبُهُ بِالْأَسَى وَالْغَمِّ، وَلَكِنَّهُ سَاكِتٌ لَا يَبِيْئُهُ.

{ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ } (يوسف: 85)
85- قَالَ لَهُ بَنُوهُ: وَاللَّهِ لَا تَزَالُ تَذْكُرُ يُوسُفَ وَلَا تُفَارِقُ ذِكْرَهُ حَتَّى تَضْعِفَ قُوَاكَ وَتَكُونَ مِنَ الْمَيْتِينَ.

{ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (يوسف: 86)
86- قَالَ لَهُمْ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّمَا أَشْكُو غَمِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَحَدَهُ، وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ لِيُدْفَعَهُ عَنِّي، وَأَنَا أَعْلَمُ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَخَيْرِهِ وَإِحْسَانِهِ، مَا لَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ.

{ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُؤْا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْكَافِرُونَ } (يوسف: 87)

87- ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: اذْهَبُوا إِلَى مِصْرَ وَتَعَرَّفُوا خَبَرَ أَخَوَيْكُمَا يُوسُفَ وَبَنِيَامِينَ، وَلَا تَقْطَعُوا الرَّجَاءَ وَالْأَمَلَ مِنْ فَرَجِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، إِنَّهُ لَا يَقْنَطُ مِنْ فَرَجِ اللَّهِ - وَلَوْ أَحَاطَ بِهِمُ الْكَرْبُ - إِلَّا الْكَافِرُونَ؛ لِإِنْكَارِهِمْ سَعَةَ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَاسْتِيعَادِهِمْ عَفْوَهُ.

{ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلْنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ } (يوسف: 88)

88- فَخَرَجُوا إِلَى مِصْرَ، وَدَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَالُوا لَهُ: أَيُّهَا الْعَزِيزُ، لَقَدْ أَضْرَّتْ بِنَا الْمِجَاعَةُ، وَأَصَابَنَا وَأَهْلُنَا الشَّدَّةُ وَالْجُوعُ، وَأَتَيْنَا بِبِضَاعَةٍ قَلِيلَةٍ رَدِيئَةٍ كَاسِدَةٍ، لَا تَكْفِي

مقدار ما نحتاجه من طعام، فأعطينا ما نحتاجه، ولا تنقص عنا شيئاً، وتفضل علينا بالزيادة، إن الله يثيب المتصدقين، ويجزيهم خيراً.

{ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ } (يوسف: 89)

89- فرّق لهم يوسف، وتصوّر حال أبيه يعقوب وما هو فيه من حزن وفقر، فقال لهم منهيّاً أسرار القصة معهم: هل تذكرون سوء فعلكم مع يوسف وأخيه أيام جهلكم وطيشكم؟

{ قَالُوا أَلَيْسَ لَأَنْتَ يُوْسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } (يوسف: 90)

90- فتبادر إلى ذهنهم أنّ هذا الذي يكلمهم هو يوسف نفسه، فقالوا: أو أنت يوسف؟ قال: نعم، أنا يوسف، وهذا أخي، قد أنعم الله علينا فجمع بيننا بعد الفُرقة، وأنسنا بعد الوحشة، وأعزنا بعد دُلّ، وإنّ من يخشى الله في أموره، ويصبر على ما ابتلي به، فإنّه لا يضيع أجرهم، بل يجزيهم خير الجزاء، ويزيدهم من فضله.

{ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ } (يوسف: 91)

91- فقالوا مُعتدّرين وقد غشاهم الخزي والحجل، مُعترفين بفضله وحلمه، وكرمه وصبره، وعلمه وأدبه: لقد اختارك الله وفضلك علينا، وقد أسأنا إليك، وأخطأنا في حقك.

{ قَالَ لَا تَحْزَبْ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } (يوسف: 92)

92- قال لهم يوسف عليه السلام: لا تأنّب عليكم الآن ولا لوم، ولا مؤاخذه ولا تغيير. غفر الله لكم ورحمكم، وهو أرحم من رحم، يغفر الصغائر والكبائر، ويتفضل على التائب بقبول توبته.

{ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْتَمِسُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بِصَبْرٍ وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ } (يوسف: 93)

(93)

93- ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: اذْهَبُوا إِلَى أَبِي وَأَلْقُوا بِقَمِيصِي هَذَا عَلَى وَجْهِهِ، يَصِرُ بَصِيرًا. - وَكَانَ هَذَا مُعْجَزَةً لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ وَالِدُهُ قَدْ ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ عَلَيْهِ - وَأَتُونِي بِجَمِيعِ آلِ يَعْقُوبَ لِيَكُونُوا عِنْدِي.

{وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ} (يوسف: 94)

94- وَلَمَّا خَرَجَتِ الْقَافِلَةُ مِنْ مِصْرَ مُتَّجِهَةً إِلَى مَكَانِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ آلِهِ: إِنِّي أَشْتُمُّ رَائِحَةَ يُوسُفَ، لَوْ لَا أَنْ تَقُولُوا إِنَّ الشَّيْخَ يَخْرَفُ.

{قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ} (يوسف: 95)

95- قَالُوا: وَاللَّهِ إِنَّكَ فِي خَطَأِكَ السَّابِقِ، مِنْ تَذَكُّرِ يُوسُفَ، وَالْإِفْرَاطِ فِي مَحَبَّتِهِ، وَالْحُزْنِ عَلَيْهِ، وَانْتِظَارِهِ.

{فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (يوسف: 96)

96- فَلَمَّا وَصَلَتِ الْقَافِلَةُ، وَدَخَلَ الْمَشِيرُ عَلَى أَبِيهِ يَعْقُوبَ، وَأَلْقَى قَمِيصَ يُوسُفَ عَلَى وَجْهِهِ، عَادَ بَصِيرًا، وَقَالَ لَهُمْ وَهُوَ فَرِحَ مُسْتَبْشِرًا: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ مِنْ حَيَاةِ يُوسُفَ، وَأَمَرْتُكُمْ بِالْبَحْثِ عَنْهُ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ الْيَأْسِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ؟

{قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ} (يوسف: 97)

97- قَالَ لَهُ أَوْلَادُهُ كَمَا قَالُوا لِيُوسُفَ مُعْتَذِرِينَ: يَا أَبَانَا ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا، فَقَدْ كُنَّا مُذْنِبِينَ مُتَعَمِّدِينَ.

{قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ} (يوسف: 98)

98- قَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَأَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ، فَهُوَ يَغْفِرُ ذُنُوبَ عِبَادِهِ التَّائِبِينَ، وَيَرْحَمُهُمْ فَلَا يُعَذِّبُهُمْ بِهَا، إِذَا عَرَفَ صِدْقَ تَوْبَتِهِمْ مِنْهَا.

{ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ }
(يوسف: 99)

99- وَشَدُّوا رِحَالَهُمْ إِلَى الْكَرِيمِ يَوْسُفَ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ ضَمَّ إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ وَاعْتَنَقَهُمَا بِشَوْقٍ وَخَنَانٍ، وَقَالَ لَهُمْ جَمِيعًا: ادْخُلُوا مِصْرَ وَاسْتَقْرُّوا فِيهَا آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ.

{ وَرَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } (يوسف: 100)

100- وَرَفَعَ يَوْسُفُ أَبْوَيْهِ عَلَى السَّرِيرِ وَأَجْلَسَهُمَا مَعَهُ تَكْرِيمًا لهُمَا، وَسَجَدَ لَهُ أَبَوَاهُ وَإِخْوَتُهُ - وَكَانُوا أَحَدَ عَشَرَ شَخْصًا - سُجُودَ تَحِيَّةٍ وَتَكْرِيمٍ، لَا سُجُودَ عِبَادَةٍ، تَعْظِيمًا وَتَوْقِيرًا لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام.

وقَدْ يَكُونُ السُّجُودُ بَوَاضِعِ الْجِبَاهِ عَلَى الْأَرْضِ، أَوْ بِالْإِنْخِنَاءِ وَالتَّوَضُّعِ. وَكَانَ ذَلِكَ جَائِزًا فِي الْأُمَّمِ الْمَاضِيَةِ، ثُمَّ نُسِحَ فِي شَرِيعَتِنَا، فَلَا سُجُودَ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى.

والتفت يوسفُ إلى أبيه مُذَكِّرًا إِيَّاهُ بِالْحُلْمِ الَّذِي رَأَاهُ وَهُوَ غُلَامٌ، وَقَالَ: يَا أَبَتِي، هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ الَّتِي فَصَّصْتُهَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ: {إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} [سورة يوسف: 4]. فَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ الْأَبْوَانُ، وَالْأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا إِخْوَتُهُ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ هَذِهِ الرُّؤْيَا حَقًّا وَصِدْقًا، وَأَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ وَلَطَفَ بِي عِنْدَمَا أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ، وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ الْبَادِيَةِ إِلَى الْحَضَرِ، بَعْدَ أَنْ أَفْسَدَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي بِالْحَسَدِ وَالْبُغْضِ، إِنَّ رَبِّي ذُو لُطْفٍ وَحِكْمَةٍ فِي تَدْبِيرِ مَا يَشَاءُ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِمَا يُصَلِّحُ النَّاسَ، حَكِيمٌ بِمَا يُقَدِّرُهُ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ.

{ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَليِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } (يوسف: 101)

101- ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى رَبِّهِ حَامِدًا شَاكِرًا وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ وَهَبْتَنِي مَا شِئْتَ مِنْ سُلْطَانٍ وَمَكَانَةٍ، وَتَصَرَّفْتَ فِي مُلْكِ مِصْرَ، وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا مَا شِئْتَ، يَا خَالِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُبدِعَهُمَا، أَنْتَ مُعِينِي وَمُتَوَلِّي أَمْرِي وَنَاصِرِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اقْبِضْني إِلَيْكَ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَأَلْحِقْني بِالصَّالِحِينَ مِنْ آبَائِي الْأَنْبِيَاءِ الْمَكْرَمِينَ.

{ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ }

(يوسف: 102)

102- وَمَا ذُكِرَ مِنْ خَبَرِ يَوْسُفَ هُوَ مِنْ قِصَصِ الْغَيْبِ الَّذِي نُوحِيهِ إِلَيْكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ مُحَمَّدُ، وَليست أساطير، وَمَا كُنْتَ إِذْ ذَاكَ عِنْدَ إِخْوَةِ يَوْسُفَ عِنْدَمَا اجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ وَعَزَمُوا عَلَى إِقْبَاءِ يَوْسُفَ فِي الْجُبِّ وَهُمْ يَكِيدُونَ لَهُ، بَلْ هُوَ وَحْيٌ أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ دُونَ أَنْ تَكُونَ لَكَ مَعْرِفَةٌ مُسَبِّقَةٌ بِهِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ.

{ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } (يوسف: 103)

103- وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ بِمُؤْمِنِينَ لَكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ وَلَوْ حَرَصْتَ عَلَى إِيمَانِهِمْ أَشَدَّ الْحَرِصِ، وَبَالَغْتَ فِي الْحِوَارِ مَعَهُمْ، وَأُورِدْتَ لَهُمُ الْآيَاتِ وَالْحُجَجَ الدَّالَّةَ عَلَى صِدْقِكَ، وَذَكَرْتَ لَهُمْ مِنَ الْقِصَصِ وَالْأَخْبَارِ الْمَغِيْبَةِ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا لِعِنَادِهِمْ وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ.

{ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ } (يوسف: 104)

104- وَأَنْتَ لَا تَطْلُبُ مِنْهُمْ عَلَى تَبْلِيغِكَ الرِّسَالَةَ، وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ أُجْرَةً يُؤَدُّوْهَا إِلَيْكَ، وَمَا هُوَ إِلَّا تَذَكُّرٌ وَعِظَةٌ لَهُمْ وَلِلنَّاسِ عَامَّةً، لِيَتَذَكَّرُوا وَيَعْتَبِرُوا وَيَهْتَدُوا.

{ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ } (يوسف: 105)

(105)

105- وَكَمْ مِنْ آيَاتٍ دَالَّةٍ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مَبْثُوثَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مَعْرُوضَةٍ
أَمَامَ الْأَعْيُنِ، يُشَاهِدُهَا النَّاسُ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا، وَلَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا، لِلْأُلْفَةِ وَالْعَادَةِ الَّتِي
هُمْ عَلَيْهَا، فَاکْتَفَوْا بِرُؤْيَيْهَا هَكَذَا دُونَ التَّعَمُّقِ فِيهَا وَمَعْرِفَةِ الْحِكْمَةِ مِنْهَا، وَلِذَلِكَ لَا تَجِدُ
أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ.

{ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ } (يوسف: 106)

106- وَإِذَا آمَنُوا بِاللَّهِ خَلَطُوا مَعَ إِيْمَانِهِمْ هَذَا أَنْوَاعًا مِنَ الشَّرْكِ، فَإِذَا أَفْرَأُوا بِاللَّهِ الْخَالِقِ الرَّازِقِ
وَجَدْتَهُمْ يَعْبُدُونَ أَصْنَامًا، أَوْ أَفْلَاكًا، أَوْ أَنَاسِيًّا، فَهُمْ مُشْرِكُونَ مُنَاقِضُونَ لِلْإِيْمَانِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ
بِهِ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ الْخَالِصُ، وَعَدَمُ الْإِشْرَاقِ بِهِ، وَلِذَلِكَ فَهُمْ يَسْتَحِقُّونَ الْعِقَابَ. وَالْمَقْصُودُ غَيْرُ
الْمُسْلِمِينَ.

{ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ }

(يوسف: 107)

107- أَفَأَمِنَ الْمُعْرِضُونَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَالْمُشْرِكُونَ بِهِ، أَنْ تُصِيبَهُمْ عُقُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعْمَهُمْ
وَتَقْضِي عَلَيْهِمْ جَمِيعًا؟ أَوْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ وَهُمْ لَا هُونَ لَمْ يَسْتَعِدُّوا لَهَا، فَيَمُوتُوا عَلَى الْكُفْرِ
وَيَسْتَحِقُّوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ؟

{ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ } (يوسف: 108)

108- قُلْ لِلنَّاسِ أَيُّهَا الرَّسُولُ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيْمَانِ وَالتَّوْحِيدِ، هُوَ الْمَسْلُوكُ
الْحَقُّ، وَالطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ، الَّذِي لَا عِوَجَ فِيهِ وَلَا شُبُهَةَ عَلَيْهِ، وَأَنَا عَلَى نُورٍ وَهْدَايَةٍ مِنَ اللَّهِ بِمَا
يُوجِبُهُ إِلَيَّ وَيُسَدِّدُنِي فِيهِ، وَعَلَى عِلْمٍ وَيَقِينٍ مِنْ ذَلِكَ، أَنَا وَالَّذِينَ اتَّبَعُوا هَذَا الدِّينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،
لَا نَلْتَوِي وَلَا نَزْبِعُ عَنْهُ، وَأَجَلُ اللَّهِ وَأَعْظَمُهُ، وَأَنْزَهُهُ عَمَّا يُنْسَبُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرْكِ، وَعَمَّا لَا يَلِيقُ
بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ، وَلَسْتُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي أَمْرِ مِنْ أُمُورِي، بَلْ أُخْلِصُ عَمَلِي لِلَّهِ، فِي صَلَاتِي،
وَنُسُكِي، وَحَيَايِ، وَمَمَاتِي.

{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ }
(يوسف: 109)

109- ولم نرسل قبلك من الرسل نساءً أو ملائكة، بل رجالاً نوحى إليهم كما أوحينا إليك، من أهل الحاضرة لا البادية، لأنهم أعلم وأحلم، والين والطف. أفلا يسير هؤلاء المكذّبون في الأرض، ليزروا بأعينهم آثار الغابرين، أو يسألوا الناس ويفرّوا التاريخ، كيف كانت عاقبة المكذّبين بالرسل، كيف أهلكهم الله بسبب تكذيبهم وإصرارهم على الكفر؟

وإنّ الدار الآخرة الباقية، والجنة ونعيمها، خير لمن ثبت على طاعة الله وتقواه، من الدنيا الفانية ومنعصاتها، أفلا تعقلون وتتدبرون سنن الله في الأقوام السابقين، لتمييزوا الصحيح من السقيم، وتفضّلوا الباقي على الفاني؟

{ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَاءٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ } (يوسف: 110)

110- حتى إذا يئس الرسل من استحابة الكافرين المجرمين، ولم يتابعهم على دعوتهم إلا القليل من المؤمنين، وصبروا على تكذيب الكافرين واستهزائهم، وعلى تماديهم في الكفر والضلال سنوات وسنوات، وقد بلغ الجهد والكرب بالرسل ما بلغ، وصاروا ينتظرون الوعد بالنصر، وكأنهم لا يرونه قريباً، حتى توهموا أنّ نفوسهم كذبتهم حين حدّثتهم بأنهم سينصرون، عندئذ جاءهم نصرنا...

أو أنّ أتباع الرسل ظنوا ذلك...
وبقراءة "كذبوا" بالتشديد، يعني أنّ الرسل كذبوا من قبل أقوامهم تكديباً لا إيمان بعده...
جاءهم نصرنا فجأة، حاسماً فاصلاً...

فنجّي من بينهم من نشاء من الهلاك، وهم الرسل وأتباعهم، ويجلّ بأس الله بالكافرين المكذّبين، ولا يستطيع أحد أن يرذ العذاب عنهم.

{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي

بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (يوسف: 111)

111- لقد كان في خبر الأنبياء مع أممهم، ومن ذلك قصة يوسف مع إخوته وأبيه، ثم سجنه، ومآل أمره، تذكيرة وعبرة لذوي العقول، أهل الفكر والاعتبار.

وما كان هذا القرآن العظيم، الذي احتوى على قصص الأنبياء وغيرها مما فيه فائدة وعبرة، ما كان كلامًا مختلقًا، ولا حكاية شعبية تُسرَد، فإنَّ الكذب لا يُحقَّق هداية، ولا يطمئنُّ إليه النَّاس، ولكنَّه كتابٌ هداية وتوجيه، صدق الكتب السماوية السابقة، وشهد لها بالصحة إذا وافقت الوحي. وفيه بيان ما يحتاجه النَّاس، من عبادات، ونظام حياة، وتربية وأخلاق، وهو هداية من العي والضلال إلى الحق والرشد، ورحمة لهم من ربِّ العباد، ينالون بها خير الدنيا والآخرة. هذا لمن صدق بكتاب الله، وآمن بالإسلام كُله، وأتبع هُده.

سورة الرعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا
يؤمنون } (الرعد: 1)

1- الحروف المقطعة لم يرد في تفسيرها حديث ثابت صحيح، والله أعلم بمعناها.
هذه آيات القرآن الكريم، وما أنزله الله إليك أيها النبي من الوحي في هذا القرآن هو الحق
الذي لا يتطرق إليه الشك، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون به، لعنادهم، أو عدم تدبرهم فيه.

{ الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس
والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون }
(الرعد: 2)

2- هو الله القادر العظيم، الذي خلق السماوات ورفعها إلى أبعاد لا يعرف مداها إلا هو،
بغير دعائم ترونها مستندة إلى الأرض أو غيرها، ولكنها موجودة وإن لم تُر، ربما كالجاذبية التي
في الأرض وفي كواكب أخرى، لتستقر ولا تصطدم بغيرها.
ثم استوى الله سبحانه على العرش، استواءً يليق بذاته وجلاله.

وسخر الشمس والقمر فجعلهما مذللين طائعين لما يراؤ منهما في خدمة الإنسان، وهما
يجريان بسرعة مقدرة، إلى حد معين وأجل محدد، ليتكون من حركتهما الليل والنهار، والشهر
والسنة.

وهو سبحانه الذي يتصرف في شؤون هذا العالم كما يشاء، ويدبره أحسن تدبير، حتى لا
يختل نظامه.

ويبين الله لكم هذه الأمور الدالة على قدرته وتوحيده لتتفكروا وتعتبروا، وتعلموا أنه قادر على
إعادة خلقكم كما بدأه.

{ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ
أُنثَيْنِ يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (الرعد: 3)

3- وهو الذي بسط الأرض ومدّها طولاً وعرضاً، وجعل فيها جبلاً لتثبت ولا تضطرب،
وأجرى فيها أنهاراً وجداولاً وغيوناً، لتسقي الزروع والبساتين، ويشرب منها الإنسان والدواب
والطيور. ومن كل الثمرات المتعددة الأصناف والأشكال جعل الله فيها زوجين اثنين، ذكرًا
وأُنثى، لتبقى وتتكاثر. وهذا الليل والنهار في دأبهما، فيتحرّك الليل بظلامه ليلايمس النهار
شيئاً فشيئاً حتى يحلّ محله، بميزانٍ دقيقٍ ونظامٍ بديعٍ من تدبير الخالق المبدع، وفي كل هذه
الآيات والمخلوقات العظيمة عبرة وتذكرة للناس، ليتفكروا ويتدبروا، ويتعرفوا من خلالها على
وجود خالقهم، وقدرته وعظمته.

{ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى
بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْضِلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }
(الرعد: 4)

4- وسطح الأرض أنواع، ففيه أجزاء يجاور بعضها بعضاً إلا أنّها مختلفة ومُتباينة، ففيها ما
يصلح للزرع وفيها ما لا يصلح، وبعضها كثير الإنتاج وبعضها قليل، وبعضها رخو وبعضها
صلب. فمن قدر لها أن تكون كذلك؟

وفيها بساتين كثيره من أشجار العنب، وزرع فيه أنواع الحبوب والبقول، ونخيل: مجتمع
ومتفرق، أو متمائل وغير متمائل. وكلها يسقى بماء واحد، ولكن الثمار مختلفة الطعم...
ونفضل بعض هذه الزروع والثمار على بعضها الآخر في الطعم والفائدة وغير ذلك.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى { وَنُفْضِلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ }:
" الدقل، والفارسي، والحلو، والحامض ". وهو حديث حسن. والدقل: رديء التمر ويابسُه،
والفارسي: نوع من التمر.

وفي ذلك آيات وأدلة واضحة على قدرة الخالق وبديع صنعه. هذا لمن استعمل عقله وتفكر،
وابتعد بنفسه عن التقليد والهوى.

{ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوَّيْنَا لِنَفْسِ خَلْقِ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
وَأُولَئِكَ الْأَعْلَاقُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (الرعد: 5)

5- وإذا عَجِبْتَ مِنْ شَيْءٍ أَيُّهَا النَّبِيُّ، فَتَعَجَّبْ مِنْ قَوْلِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِذَا صِرْنَا
عِظَامًا وَتُرَابًا بَعْدَ الْمَوْتِ، سَيُعَادُ خَلْقُنَا مِنْ جَدِيدٍ؟

إِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ بَعْثَ الْخَلْقِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ إِيْمَانِهِمْ بِابْتِدَائِهِ، وَكَأَنَّهُمْ لَا يَتَفَكَّرُونَ بِمَا حَوْلَهُمْ مِنْ
الثَّمَارِ وَالزُّرُوعِ، الَّتِي تَمُوتُ، ثُمَّ تَحْيَا مِنْ جَدِيدٍ، بِقُدْرَةِ اللَّهِ، وَهَذَا مَا يَنْكُرُ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ
مَرَّتَيْنِ، وَهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ السَّمَاوَاتِ الْعَظِيمَةَ، وَالْأَرْضَ الَّتِي تَحْمِلُهُمْ، مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، وَفِيهَا مِنْ
الْأَحْيَاءِ وَالْجَمَادَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ مَا يُبْهَرُ الْعُقُولَ، وَيُوقِظُ الْقُلُوبَ... أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَبِ إِلَّا
يَسْتَحْوِذُ هَذَا كُلُّهُ عَلَى فِكْرِهِمْ، وَيُوقِظُ قُلُوبَهُمْ، وَيُثَبِّتُ عُقُولَهُمْ، فَيَتَفَكَّرُوا فِي قُدْرَةِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ
وَتَدْبِيرِهِ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، كَمَا يَبْدُو فِي مَظَاهِرِ الْكَوْنِ وَحَرَكَاتِ مَخْلُوقَاتِهِ
وَتَفَاعُلَاتِهِ؟ وَلَكِنَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عِنْدَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِقُدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ، وَإِنَّ إِنْكَارَ قُدْرَتِهِ فِي هَذَا
إِنْكَارٌ لَهُ سُبْحَانَهُ، وَوَصْفٌ لَهُ بِالْعَجْزِ، وَتَكْذِيبٌ لَهُ وَلِرُسُلِهِ.

وهؤلاء جزاؤهم على كفرهم وتكذيبهم أن تُغَلَّ أعناقهم وتُسْحَبَ في النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا
غُلُّوا عُقُولَهُمْ وَأَغْلَقُوا قُلُوبَهُمْ عَنِ التَّفَكِيرِ وَالتَّدَبُّرِ فِي الدُّنْيَا، وَيَكُونُ مَصِيرَهُمُ الْخُلُودُ فِي النَّارِ،
مُؤَبَّدِينَ فِيهَا، لَا يَتَحَوَّلُونَ عَنْهَا وَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا.

{ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ
لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ } (الرعد: 6)

6- وهؤلاء الكافرون المكذبون يَسْتَعْجِلُونَكَ لِتَأْتِيَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلُوا الْهُدَايَةَ وَالرَّحْمَةَ،
وَالْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، وَقَدْ سَبَقَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْعُقُوبَاتُ لِلْأُمَّمِ الْغَابِرَةِ الَّتِي كَذَّبَتْ أَنْبِيَاءَهَا، وَتُرِكُوا
مُثَلَّةً لِيَعْتَبِرَ بِهِمْ مَنْ بَعْدَهُمْ، وَلَكِنَّ الْكَافِرِينَ غَافِلُونَ لَا يَعْتَبِرُونَ.

وإنَّ اللهَ كَثِيرُ الْمَغْفِرَةِ لِدُنُوبِ عِبَادِهِ، مَعَ كَوْنِهِمْ يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاسْتِمْرَارٍ، بَارْتِكَابِ الدُّنُوبِ
وَالْمَعَاصِي، وَهُوَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِمَنْ أَصَرَ وَلَمْ يُبَالِ بِعُقُوبَةِ اللَّهِ وَلَمْ يَعْتَبِرْ بِمَا يُصِيبُ الْآخِرِينَ.

{ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ } (الرعد: 7)

7- ويقول المشركون كُفْرًا وعنادًا: هَلَا نُزِّلَ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ مُعْجِزَةٌ، مِثْلَ قَلْبِ الْعَصَا إِلَى حَيَّةٍ، وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى... وَهَذِهِ خَوَارِقُ لَا يَقْدِرُ الرَّسُولُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ بِهَا مِنْ عِنْدِهِ، إِنَّمَا يَأْتِي بِهَا اللَّهُ بِحِكْمَتِهِ عِنْدَمَا يَرَى فِيهَا فَائِدَةً، وَهؤُلاءِ يَطْلُبُونَ مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُزِيلَ عَنْهُمْ جِبَالَ مَكَّةَ الْكَثِيرَةَ الشَّاهِقَةَ، وَيَجْعَلَهَا كُلَّهَا بَسَاتِينَ وَمُرُوجًا، وَأَنْ يَجْعَلَ جِبَلَ الصَّفَا ذَهَبًا...

ولو أَنَّ اللَّهَ حَقَّقَ هَذِهِ الْخَوَارِقَ عَلَى يَدِ رَسُولِهِ وَلَمْ يُؤْمِنُوا لِأَهْلِكَهْمَ، وَهُمْ يَطْلُبُونَهَا عِنَادًا وَتَمَادِيًا فِي الْخُصُومَةِ لَا لِلْإِيمَانِ، وَقَدْ أَيْدَى اللَّهُ رَسُولَهُ بِمُعْجِزَةٍ خَالِدَةٍ كَافِيَةٍ هِيَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمَ، تَحْدَى بِهِ الْعَرَبَ أَنْ يَأْتُوا بِعَشْرِ آيَاتٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَبَيْنَهُمْ فَصَحَاءُ الْعَرَبِ بِلَاغَةَ وَخَطَابَةَ آنَذَاكَ. وَلَسْتَ أَيُّهَا النَّبِيُّ سِوَى نَذِيرٍ، تُبَلِّغُهُمْ رِسَالَاتِ اللَّهِ الَّتِي أَمَرَكَ بِهَا، فَتُبْصِرُهُمْ بِالْحَقِّ، وَتُنذِرُهُمْ سُوءَ عَاقِبَةٍ مَنْ لَمْ يَتَّبِعْ دِينَ اللَّهِ. وَلِكُلِّ قَوْمٍ دَاعٍ إِلَى الْحَقِّ، وَأَنْتَ دَاعِيَتُهُمْ إِلَيْهِ، مِثْلُ سَائِرِ الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ.

{ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ } (الرعد: 8)

8- وَعِلْمُ اللَّهِ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ يَعْلَمُ مَا الَّذِي تَحْمِلُهُ كُلُّ أُنْثَى فِي رَحِمِهَا، مِنَ الْإِنْسَانِيِّ فِي الْبَرِّ، وَمِنَ الْحَيَوَانَاتِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، بِأَنْوَاعِهَا، وَأَحْجَامِهَا، وَأَلْوَانِهَا، وَأَعْدَادِهَا... وَيَعْلَمُ مَا تَنْقُصُهُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُهُ، مِنْ جَنِينٍ تَامٍّ أَوْ غَيْرِ تَامٍّ، وَمُدَّةَ بَقَائِهِ فِي الرَّحِمِ نَقْصًا وَزِيَادَةً، وَالْإِخْتِلَافَ فِيهِ بَيْنَ كَائِنٍ وَآخَرَ. وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ بِأَجَلٍ وَقَدَرٍ، وَمِيزَانٍ لَا يَتَجَاوَزُهُ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ.

{ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ } (الرعد: 9)

9- وهو سبحانه يعلم ما غاب عن حسّ البشر ونظرهم، ويعلم ما يشاهدونه، لا يغيّب عنه أمر، وهو الكبير فكلّ شيءٍ دونه، وهو المستعلي على كلّ شيءٍ، بذاته، وعلمه، وقدرته، وسائر صفاته.

{ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ }
(الرعد: 10)

10- ويستوي في علم الله المسرّ بالقول والمعلن به، ومن هو محتفٍ في ظلام الليل ومن هو ظاهرٌ ماشٍ في ضوء النهار.

{ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ }
(الرعد: 11)

11- والله ملائكة يتعاقبون فيكم بالليل والنهار، فإذا صعّدت ملائكة الليل جاء في عقبها ملائكة النهار، وإذا صعّدت ملائكة النهار جاء في عقبها ملائكة الليل، يكونون من أمام الإنسان ومن وراء ظهره، فيحيطون به من جوانبه، يحفظونه بأمر الله وإذنه، فإذا جاء القدر تركوه وقدره.

والله لا يغيّر ما بقوم من نعمة وعافية إلى نعمة وعذاب، حتى يحدثوا شرًا فيتحوّلوا إلى معصية وكفر وظلم، ولا يغيّر ما بهم من ذلّ ومهانة، حتى يتحوّلوا بأنفسهم ويتمسّكوا بأسباب العزّ والنصر. فالله يغيّر ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم.

وإذا أراد الله أن يتلّي قوماً بمرضٍ أو فقراً أو هزيمة، أو غير ذلك من أنواع البلاء، فلا أحد يقدر على ردّ أمره، ولن يكون لهم وليٌّ ولا ناصرٌ يدفع عنهم ما يصيبهم.

{ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ السَّحَابَ الثِّقَالَ } (الرعد: 12)

12- إِنَّ اللَّهَ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ لَتَخَافُوهُ، مِنْ صَاعِقَةٍ تُصِيبُكُمْ، أَوْ مَطَرٍ كَثِيرٍ يَغْمُرُكُمْ بِمَاءِهِ، أَوْ تَكُونُوا مُسَافِرِينَ فَتَجْرَعُوا... وَتَطْمَعُوا فِيمَا عِنْدَهُ مِنْ رَحْمَةٍ، فَتَرْجُوا خَيْرَهُ وَبِرَّهُ، وَبَرَكَتَهُ فِي الْمَطَرِ وَمَنْفَعَتَهُ. وَهُوَ الَّذِي يَخْلُقُ السُّحُبَ الْكَثِيفَةَ الْمِحْمَلَةَ بِالْمَاءِ الْمُنْفَعَتِكُمْ.

{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} (الرعد: 13)

13- وَالرَّعْدُ يَذْكُرُ اللَّهَ فَيُقَدِّسُهُ وَيَحْمَدُهُ، بِكَيْفِيَّةٍ لَا نَعْلَمُهَا {وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} [سورة الإسراء: 44] وَهُوَ مِثْلُ غَيْرِهِ مِنَ الظُّوَاهِرِ الطَّبِيعِيَّةِ وَحَرَكَاتِهَا، مَأْمُورٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، فَلَا يُصَوِّتُ الْعَيْمُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِذَا رَعَدَ سَبَّحَ. وَالْمَلَائِكَةُ كَذَلِكَ تُسَبِّحُهُ وَتَحْمَدُهُ، مِنْ هَيْبَتِهِ وَعَظَمَتِهِ. وَاللَّهُ يُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ نِقْمَةً يَنْتَقِمُ بِهَا مِمَّنْ شَاءَ فَتُهْلِكُهُ، وَالْمُكَدِّبُونَ يُنْكِرُونَ آيَاتِ اللَّهِ، وَيَشْكُونَ فِي قُدْرَتِهِ، وَنِقْمَتِهِ وَعُقُوبَتِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ شَدِيدُ الْكَيْدِ وَالْقُوَّةِ، فِي عُقُوبَةٍ مِّنْ طَعَى وَتَجَبَّرَ، وَعَانَدَ وَتَمَادَى فِي الضَّلَالِ، وَأَصْرَرَ عَلَى تَكْذِيبِ رُسُلِهِ. وَقَدْ نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ عَاتٍ مِّنْ فِرَاعِنَةِ الْعَرَبِ، أُرْسِلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِّنْ أَصْحَابِهِ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَهُوَ يَأْبَى، وَيَقُولُ: مَنْ رَسُولُ اللَّهِ؟ وَمَا اللَّهُ؟ أَمِنْ ذَهَبٍ هُوَ، أَمْ مِنْ فِضَّةٍ هُوَ؟ أَمْ مِنْ نُحَاسٍ؟ فَوَقَعَتْ صَاعِقَةٌ فَذَهَبَتْ بِقَافِ رَأْسِهِ. (ذَكَرَ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ أَنَّ رَجَالَهُ رَجَالَ الصَّحِيحِ).

{لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كُفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} (الرعد: 14)

14- لِلَّهِ وَحْدَهُ التَّوْحِيدُ الْحَالِصُ. وَالْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الْأَصْنَامَ لَا يُجِيبُونَهُمْ بِشَيْءٍ، مِنْ جَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضَرٍّ، وَمَثَلُهُمْ فِي هَذَا كَمَثَلِ ظَمَانَ يَسْطُ يَدُهُ دَاعِيًا الْمَاءَ إِلَى فَمِهِ لِيَتَرَوَّى، وَلَكِنَّ الْمَاءَ لَا يَأْتِي إِلَيْهِ، فَهُوَ جَمَادٌ لَا يَفْهَمُ وَلَا يَشْعُرُ بِعَطَشِ الظَّمَانَ. وَكَذَلِكَ الْكَافِرُونَ، لَا يَنْفَعُهُمْ دُعَاءُ الْأَصْنَامِ، فَهِيَ حِجَارَةٌ لَا تَسْمَعُ وَلَا تَشْعُرُ بِدُعَائِهِمْ، فَدُعَاؤُهُمْ لَهَا ضَيَاعٌ وَخَسَارَةٌ.

{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالَهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصْالِ} (الرعد: 15)

15- ولله وحده يَخَضَعُ وَيَتَقَادُ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، طَواعِيَةً مِنْهُمْ إِنْ أَرادُوا، وإِكْرَاهًا إِنْ لَمْ يُرِيدُوا، فَحُكْمُ اللَّهِ فِي الْإِحْيَاءِ وَالْإِماتَةِ وَمَا إِلَيْهِ حادِثٌ فِيهِمْ، شَأْؤُوا أَمْ أَبْوا. كما تَتَقَادُ لَهُ سُبْحانَهُ ظِلالَهُمْ تَبَعًا لِشُخْوصِهِمْ، صَباحَ مَساءِ، على الدَّوامِ. فإذا الْكَونُ كُلُّهُ خاضِعٌ لَهُ ساجِدًا، أصلاً وَظِلالاً.

{قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرراً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلْماتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرْكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشابَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْواحِدُ الْقَهَّارُ} (الرعد: 16)

16- قُلْ أَيُّها النِّبِيُّ لِلْكَافِرِينَ: مَنْ خالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُدَبِّرُهُما؟ قُلْ لَهُم: هُوَ اللَّهُ وحده. وَقُلْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَتَقْرِيعًا: أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً تَعْبُدُوهُمْ وَتَسْتَنْصِرُونَ بِهِمْ، وَهُمْ عاجِزُونَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً يَسْتَجْلِبُونَهُ، وَلا ضَرراً يَدْفَعُونَهُ، أَوْ بَعْدَما عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ خالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمُدَبِّرُهُنَّ، وَبيدِهِ كُلُّ شَيْءٍ، كانَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَوْحِدُوهُ فِي العِبادةِ وَتَسْتَنْصِرُوا بِهِ وحده، لَكِنْ صِرْتُمْ تَعْبُدُونَ مَعَهُ آلِهَةً مِنْ حِجارَةٍ بِكَماءِ؟!!

وهَلْ يَسْتَوِي مُشْرِكُ جاهِلٍ بِحَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ، وَبَصِيرٌ يَعْبُدُ اللَّهَ وحدهُ وَهُوَ على نُورٍ مِنْ رَبِّهِ؟ أَمْ هَلْ يَسْتَوِي الْكُفْرُ وَالشُّرْكُ وَالضَّلالُ وَهُوَ ظُلْماتِ، مَعَ الإِيمانِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْحَقِّ وَهُوَ النُّورُ الْمُبِينُ؟

أَجْعَلُ هؤُلاءِ الْمُشْرِكُونَ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً تَخْلُقُ كما يَخْلُقُ اللَّهُ، فَتَشابَهُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ أَمْرُ الْخَلْقِ فَقالُوا: اللَّهُ يَخْلُقُ، وَهذِهِ آلِهَتُنَا تَخْلُقُ، فَنَعْبُدُ هَذَا، وَنَعْبُدُ هَذَا؟! قُلْ لَهُم: إِنَّ هذِهِ الْآلِهَةَ لا تَخْلُقُ شَيْئاً كما تَرَوْنَ، بلِ اللَّهِ وحدهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْواحِدُ الَّذِي لا شَرِيكَ لَهُ، الْغالِبُ على كُلِّ ما سِواهِ.

{ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ }
(الرعد: 17)

17- أنزل الله مطراً كثيراً، فسالت من ذلك الماء أودية، كلُّ وادٍ بحسبه وبمقدار طاقته، فحمل الماء الجاري في تلك الأودية عُثَاءً، نتيجة جِيْشَانِ مائه واضطراب أمواجه، وارتطامه بأجسام، فيطفو هذا العُثَاءُ على الماء ويتنفخ فوقه عاليًا حتى يكادُ يَحْبُبُه، وهو ما لا خير فيه.

ومثُلٌ آخَر: المعادن التي تُحْمَى على النار لتُسَبِّكَ وتُصَاعَ منه الحليّ، كالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، بغرض الزينة. أو متاعٍ من أواني وآلاتٍ من معادنٍ أُخْرَى مما يُتَنَفَّعُ به، فله كَذَلِكَ حَبَثٌ مِثْلُ زَبَدِ الماء، يعلو عليه، حتى يكادُ يَحْبُبُ المعدنَ الأَصْل.

وذلك مِثْلُ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ في الواقع المعاش، فإنَّ الزَبَدَ الذي علا السَّيْلُ، والحَبَثُ الذي علا المعدن، سيرمى ويضيع، لأنَّه لا تَمَاسِكُ فيه ولا فائدة منه. وأما الذي يَنْفَعُ النَّاسَ، من الماء الحقيقي، والمعدن الأصلي، فهو الذي يَبْقَى ولا يَذْهَبُ، وَيَصْمَدُ ولا يُطْرَحُ.

وجعل الله هذا مِثَالاً لِلْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فإنَّ الْبَاطِلَ يَتَنَفَّخُ وَيَعْلُو وَيُجْلِجِلُ حتى يكادُ يُخْفِي الْحَقَّ، لكنَّه يَخْتَفِي من ضوئه إذا برز له، وَيَضْمَحِلُ حتى يموت. والحقُّ هَادِيٌّ ثَقِيلٌ مُتَمَاسِكٌ، ذو أصلٍ وجذرٍ قَوِيٍّ، يَبْقَى وَيَشْعُ ولا يموت، وهو الذي يَنْفَعُ النَّاسَ وَيَبْتِئُ لَهُمْ وَمَعَهُمْ.

{ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ } (الرعد: 18)

18- للذين استجابوا لربهم إذ دعاهم فأطاعوه، الجزاء الحسن والحياة الطيبة يوم القيامة في الجنة، والذين لم يستجيبوا لربهم، فعصوا وعاندوا، واستكبروا عن قبول الحق، لو أن لهم ما في الأرض من خزائن وأموال، وضعفها، ليفتدوا بها ويؤمنوا عن أنفسهم عذاب الله، لفعلوا ذلك،

لَمَا يُحِيطُ بِهِمْ مِنْ أَهْوَالٍ وَشِدَائِدٍ، وَيَغْشَاهُمْ مِنْ هَمٍّ وَكَمَدٍ وَكَآبَةٍ، وَلَكِنْ لَا فِدَاءَ وَلَا قَبُولَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، إِنَّمَا هُوَ الْحِسَابُ الْعَسِيرُ مَعَ كُلِّ مَا قَالُوهُ وَفَعَلُوهُ، مِنْ كُفْرٍ وَمَعْصِيَةٍ وَاسْتِهْزَاءٍ، وَلَا يُغْفَرُ لَهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ شَيْءٌ، وَمَثْوَاهُمْ جَهَنَّمَ، وَسَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمَنْزِلًا، نَارٌ تُؤَلِّمُ وَتُحْرِقُ، وَلَا مُغِيثَ.

{ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ }

(الرعد: 19)

19- وَلَا يَسْتَوِي مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ هُوَ الْحَقُّ وَالصَّادِقُ الَّذِي لَا اخْتِلَافَ فِيهِ، وَمَنْ هُوَ أَعْمَى الْقَلْبِ يَتَقَلَّبُ فِي ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ، وَلَا يَدْرِي مَا هُوَ الْقُرْآنُ، وَلَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ، وَلَا يَفْهَمُ مَعْنَاهُ، إِنَّمَا يَعْتَبِرُ وَيَتَّعِظُ أَهْلُ الْعُقُولِ الصَّالِحِينَ، وَالْفِطْرَ السَّالِمَةَ.

{ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ } (الرعد: 20)

20- إِنَّهُمْ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ يَسْتَجِيبُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَيُؤْفُونَ بِعَهْدِهِ إِذَا عَاهَدُوا، وَلَيْسُوا كَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ الْمَوَاقِفَ وَيَغْدِرُونَ بِالْعُهُودِ، سَوَاءٌ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعِبَادِ.

{ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ } (الرعد: 21)

(21)

21- وَمِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الْإِحْسَانُ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَطَيْبُ مُعَاشَرَتِهِمْ، فَيَصِلُونَ أَرْحَامَهُمْ وَلَا يَقْطَعُونَهَا، وَيُحْسِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِ الْحَاجَةِ، وَيَتَكَفَّلُونَ مَعَ إِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنْوَاعِ الْبِرِّ وَالْمَعْرُوفِ، وَيَخَافُونَ وَعِيدَ اللَّهِ بِحَقِّ، فَلَا يَقْرَبُونَ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَزَجَرَ، وَيَخَافُونَ عُسْرَ الْحِسَابِ يَوْمَ الْمَعَادِ، وَيَعْرِفُونَ مَالَ الْمِخَالِفِ وَالْمَرْتَابِ.

{وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ} (الرعد: 22)

22- وهم الذين قَوَّيَتْ عَزَائِمَهُمْ، فصَبَرُوا على التَّكَالِيفِ التي أَمْرُوا بِهَا، وصَبَرُوا عَمَّا تُهْوَى
عنه، كما صَبَرُوا على الجِهَادِ والدَّعْوَةِ، وعلى البَلَاءِ، وفي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، وهَدَّبُوا شَهْوَاتِهِمْ
النَّفْسِيَّةَ والبَدَنِيَّةَ بتَوَجُّهَاتِ الدِّينِ الحَنِيفِ، ولم يَنْتَقِمُوا لأنفُسِهِمْ عَنْ هَوَى وَعَصَبِيَّةِ، بل صَبَرُوا
أَنْفُسَهُمْ وتَأَدَّبُوا بِأَدَبِ الإِسْلَامِ، طَلَبًا لِرِضَاءِ اللهِ، وطَمَعًا فِي جَزِيلِ ثَوَابِهِ.
وأَقَامُوا الصَّلَاةَ، فَوَاضَبُوا عَلَيْهَا وَأَدَّوْهَا بِأَزْكَائِهَا وشُرُوطِهَا وفي مَوَاقِيتِهَا.
وَأَدَّوْا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، وَأَنفَقُوا مِمَّا وَهَبَهُمُ اللهُ مِنْ مَالٍ لِلْمُحْتَاجِينَ فَقَضَوْا حَوَائِجَهُمْ، وَأَسْهَمُوا فِي
أَعْمَالِ الخَيْرِ فَتَصَدَّقُوا سِرًّا وَجَهْرًا، لَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ.
وَيُجَازُونَ الإِسَاءَةَ بالإِحْسَانِ، وَيُدْفَعُونَ الشَّرَّ مَا اسْتَطَاعُوا، وَيَدْرُؤُونَ الأَدَى وَالبَيْحَ مِنَ القَوْلِ
وَالفِعْلِ بِخُلُقٍ جَمِيلٍ، وَكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ، وَعَفْوٍ.
فَأُولَئِكَ المَتَّصِفُونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ الجَلِيلَةِ، لَهُمُ العَاقِبَةُ الحَسَنَةُ، وَالمَرْجِعُ الطَّيِّبُ فِي الآخِرَةِ.

{جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ} (الرعد: 23)

23- لَهُمُ جَنَّاتٌ مُخَصَّصَةٌ للإِقَامَةِ وَالاِسْتِقْرَارِ الدَّائِمِ، يَهْتَوُونَ فِيهَا وَيَسْعَدُونَ، يُجْمَعُ فِيهَا
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الصَّالِحِينَ مِنْ أَهْلِيهِمْ: آبَائِهِمْ، وَأُمَّهَاتِهِمْ، وَأَزْوَاجِهِمْ، وَأَبْنَائِهِمْ، وَأَحْفَادِهِمْ، لِتَقَرَّرَ
أَعْيُنُهُمْ، وَيَزْدَادَ فَرْحُهُمْ، وَالمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَبْوَابِ قُصُورِهِمْ، يُهَنِّئُونَهُمْ بِدُخُولِ
الجَنَّةِ.

{سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} (الرعد: 24)

24- وَيَقُولُونَ لَهُمْ وَهُمْ يَطُوفُونَ بِهِمْ فِي لِقَاءِ حَافِلٍ وَتَكْرِيمٍ جَمِيلٍ: "سَلَامٌ عَلَيْكُمْ"، بِشَارَةً لَهُمْ
بِدَوَامِ السَّلَامَةِ وَالأَمَانِ، فِي دَارِ السَّلَامِ، بِجِوَارِ الصِّدِّيقِينَ وَالأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ الكِرَامِ، جَزَاءَ صَبْرِهِمْ
عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِمْ، فَنِعِمَّتِ العَاقِبَةُ الحَسَنَةُ الجِنَانُ العَالِيَةُ، وَالإِقَامَةُ الدَّائِمَةُ فِيهَا.

{وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} (الرعد: 25)

25- أمّا الأشقياء، الذين يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ بعدما عَرَفُوهُ، بما أَكَّدَهُ عَلَيْهِمْ رُسُلُهُمْ، أو عَرَفُوهُ بِالْأَدِلَّةِ وَالْحُجَجِ الْمُقْبِعَةِ، ولكنْ قَابَلُوهَا بِالْإِعْرَاضِ وَالِاسْتِكْبَارِ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، مِمَّا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ بِالْإِيمَانِ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِيهِمْ بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُجْتَمَعِهِمْ بِالنُّصْحِ وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْخَيْرِ وَالِإِصْلَاحِ، وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِالْكَفْرِ، وَالظُّلْمِ، وَمُعَادَاةِ الدِّينِ الْحَقِّ، وَإِثَارَةِ الْفِتَنِ وَالْحُرُوبِ، وَنَشْرِ الرِّذِيلَةِ وَالْحَلَاعَةِ، وَتَضْلِيلِ النَّاسِ بِهَدَفِ مَصَالِحِ شَخْصِيَّةٍ، فَأُولَئِكَ مَذْمُومُونَ مُبْعَدُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَهُمْ سُوءُ الْعَاقِبَةِ وَالْمَالِ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئسَ الْقَرَارُ.

{اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ} (الرعد: 26)

26- اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَوْسَعُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ، وَفَرِحَ الْمُشْرِكُونَ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَاعِهَا، وَأَشْرَوْا وَبَطَرُوا، وَبَسُطَ الرِّزْقَ لَيْسَ تَكْرِيماً لَهُمْ، بَلِ هُوَ اسْتِدْرَاجٌ وَإِمْهَالٌ، ثُمَّ مُحَاسَبَةٌ وَعِقَابٌ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَدَوَامِهَا، إِلَّا مُتَعَةً قَلِيلَةً سَرِيعَةُ النَّفَادِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ طَلَبُوا الْآخِرَةَ لَمَا مُنِعُوا الْمَالَ وَالرِّزْقَ.

{وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ} (الرعد: 27)

27- وَيَقُولُ الْكَافِرُونَ الْمُتَعَنِّتُونَ - مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ - هَلَا أُنْزِلَتْ عَلَى مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) مُعْجِزَةٌ خَارِقَةٌ مِنْ رَبِّهِ؟ وَهُمْ يَسْأَلُونَ أَكْثَرَ مِنْ مُعْجِزَةٍ، تَعْجِيزًا وَمُكَابَرَةً لَا اسْتِعْدَادًا لِلْإِيمَانِ، وَفِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ نَمَازِجٌ مِنْ مَطَالِبِهِمْ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ تَحْتِهَا عَيْنٌ يُفْجَرُ الْأَنْهَارُ حِلالَهَا تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَيْلًا . أَوْ يَكُونَ

لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرَقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ
سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝

والله قادرٌ على ذلك لا يعجزه شيء، وهو سبحانه إذا أجاب طلبهم ثم كفروا أهلكتهم.
وليس الهداية والضلالة متوقفتين على الآيات والمعجزات، فلهما دواعٍ في النفوس، وأسباب
تؤدي إليهما. وهؤلاء المكابرون مُكذِّبون مُستهزئون، والله يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ مِمَّنْ يَسْتَأْهِلُونَ
الضلال، كهؤلاء الكفار المعاندين، ويهدي إليه مَنْ تَقَبَّلَ الْحَقَّ وَأَنَابَ إِلَى الرَّبِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،
فهم أهلٌ للهداية والإيمان، لأنهم يتبعون الحق ولا يُكابرون، ويرجعون إلى الله وبه يستعينون.

{ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } (الرعد: 28)

28- هم الذين ثبت الإيمان في قلوبهم، فتطيب وتسكن بذكر الله وكلامه المعجز، وترضى به
إلهاً رحيماً ومولى كريماً، ألا بذكر الله وحده تطمئنُّ القلوب، وترتاح النفوس المؤمنة، دون غيره
من الأمور الدنيوية.

{ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ } (الرعد: 29)

29- هم الذين آمنوا بالله حق الإيمان، وأتبعوا إيمانهم بالعمل الصالح الذي يُرضي الرحمن،
فبشرى لهم، أصابوا خيراً، ومالاً حسناً، ومقاماً هنيئاً.

{ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَّتِئَلُّوْا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ

يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ } (الرعد: 30)

30- وكما أرسلنا رسلاً قبلك أيها النبي، كذلك أرسلناك في هذه الأمة - وقد مضت من
قبلها أمم كثيرة - لتقرأ عليهم القرآن العظيم، وتبلغهم رسالة الله، وهم يكفرون بالله ذي
الرحمة الواسعة، والنعمة السابغة، الذي أرسلك إليهم لينقذوا بك من النار، ولكنهم قابلوا
رحمته ونعمته بالكفر والتكذيب.

قُلْ لَهُمْ أَئِيهَا الرُّسُولُ الكَرِيمُ: إِنَّ رَبِّي الرَّحْمَنُ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا مُسْتَحِقٌّ لِلْعِبَادَةِ سِوَاهُ، وَمَهُمَا كَفَرْتُمْ بِهِ وَكَدَّبْتُمْ بِآلَاتِهِ فَلَا مَحِيدَ عَنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، عَلَيْهِ اعْتَمَدْتُ، وَإِلَيْهِ فَوَّضْتُ جَمِيعَ أُمُورِي، وَإِلَيْهِ أَرْجِعُ وَأُنِيبُ.

{وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَنبَأِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} (الرعد: 31)

31- ولو أن كتاباً زُعِرَتْ وَسُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ عَنْ أَمَاكِنِهَا، أَوْ شُقِّقَتْ بِهِ الْأَرْضُ فَتَصَدَّعَتْ، أَوْ كُتِّمَ بِهِ الْمَوْتَى فِي قُبُورِهِمْ فَأَحْيَاهُمْ بِقِرَاءَتِهِ، لَكَانَ هَذَا الْقُرْآنُ هُوَ الْمُتَّصِفَ بِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِعْجَازِ، وَعَجَائِبِ آثَارِ قُدْرَةِ اللَّهِ وَهَيْبَتِهِ. وَلَكِنَّ اللَّهَ أَرَادَ لَهُ أَنْ يَكُونَ كِتَابَ هِدَايَةٍ يُخَاطَبُ الْأَحْيَاءَ الْعُقَلَاءَ.

وَحَقًّا لَقَدْ صَنَعَ الْقُرْآنُ أُمَّةً عَظِيمَةً، وَنَقَلَ شُعُوبًا مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَالْعِزِّ وَالنَّصْرِ وَالْأَمَانِ... وَمَا زَالَ كَذَلِكَ لَوْ جُعِلَ دُسْتُورًا فِي الْحَيَاةِ.

وَمَرْجِعُ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، فَهُوَ الَّذِي يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ فِي الْكُونِ كُلِّهِ، فَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِيهِ، وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ.

وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ النَّاسَ جَمِيعًا لَهَدَاهُمْ فَكَانُوا كَالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ جُئِلُوا عَلَى الطَّاعَةِ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ فِي الْإِنْسَانِ عَقْلاً وَإِرَادَةً، وَوَهَبَهُ الْإِخْتِيَارَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُ الْمَقْدِرَةَ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. فَهَلْ مَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُونَ يَطْمَعُونَ بِإِيمَانِ النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَلْيَتَرَكُوهُمْ لِأَمْرِ اللَّهِ إِذَا، فَهُوَ أَعْلَمُ بِالْكَافِرِينَ وَبِقُلُوبِهِمُ الْمَرِيضَةَ، وَأَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةَ، فَلَيْسَ هُنَاكَ أَبْلَغُ وَلَا أَعْظَمُ مِنَ الْقُرْآنِ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، فَهُوَ حُجَّةُ اللَّهِ بَيْنَ خَلْقِهِ، فَمَنْ تَرَكَهُ وَلَمْ يَهْتَدِ بِهِ فَأَتَى لَهُ الْهُدَايَةُ؟

وَلَا تَزَالُ الْمَصَائِبُ وَالذَّوَاهِي وَأَنْوَاعُ الْبَلَاءِ تَنْزِلُ بِالْكَافِرِينَ، مِنْ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَالسَّلْبِ وَالْقَحْطِ، لَتَمَادِيهِمْ فِي الْكُفْرِ وَاسْتِكْبَارِهِمْ عَنْ اتِّبَاعِ الدِّينِ الْحَقِّ، عَسَى أَنْ يَتَنَبَّهُوا بِذَلِكَ وَيَرْتَدِعُوا. أَوْ تَنْزِلُ الْمَصَائِبُ بِمَنْ حَوْلَهُمْ فَتُرَوِّعُهُمْ وَتُزَلِّزُ قُلُوبَهُمْ، لِيَتَعِظُوا وَيَعْتَبِرُوا، حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ الَّذِي أَمَهَّلَهُمْ إِلَى حِينِهِ، فَيَمُوتُوا، أَوْ يَقُومُوا لِلْجِسَابِ. وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ وَعْدًا، بَلْ هُوَ أَوْفَىٰ مَنْ وَفَىٰ

بوعَدٍ وَعَهْدٍ، وَهُوَ آتِيهِمْ لَا رَيْبَ فِيهِ، فَلِيخْتَارُوا مَا شَاءُوا، فَإِنَّهُمْ مُحَاسِبُونَ عَلَىٰ اخْتِيَارِهِمْ، وَعَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ.

{وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ }
(الرعد: 32)

32- وقد استهزأ أقوامٌ سابقون برسولهم وكذبوا برسالاتهم، فليست وحدك المكدَّب بذلك، وقد أمهلتهم مدةً من الزمان، لئلا تَبْقَى لهم حُجَّةٌ عند الله يوم القيامة ويقولوا: هلا أعطيتنا فرصةً أطول لنفكر ونُتقارن؟ ثم أخذتهم بالعقوبة، فكيف كانت عقوبتي لهم؟ كانت شديدةً مؤلمةً { إِنَّ أَخَذَهُ أَليْمٌ شَدِيدٌ } [سورة هود: 102] فليحذر المشركون من قومك، وليعتبروا.

{أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَل زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ } (الرعد: 33)

33- أفمن كان رقيباً على كل نفس بما كسبت، ومُهيمناً عليها في كلِّ حال، عالمًا بما فعلت من خيرٍ وشرٍّ، في السرِّ والعلن، وهو الله سبحانه، كمن ليس بهذه الصِّفة، من الأصنام التي يعبدونها المشركون، وهي لا تُحرِّك ساكنًا، ولا تنفع نفسها ولا عابديها، ومع ذلك فهم يعبدونها ويُجْبِئونها ويُقدِّمون لها الذبائح والتُدور؟!

قُلْ لَهُمُ أَيُّهَا النَّبِيُّ: سَمُّوا أصنامكم بما شئتم، من آلهةٍ أو غيرها، فإنها ليست في حقيقتها سوى أحجارٍ لا تضرُّ ولا تنفع أحدًا، أم أنكم أيُّها المشركون تريدون أن تُخبروا الله بوجود شركاء له في الأرض وهو لا يعلم؟ أم أنكم تُسموهم شركاء في ألفاظٍ ظاهرةٍ جوفاء لا معنى لها حقيقةً؟ بل سَوَّات لهم نفوسهم تزيين هذا الشرك، وحببت إليهم تمويه هذه الأباطيل حتى ظنوها حقيقةً، فوصلوا إلى درجة عبادتها، والدِّفاع عنها، وامتنعوا عن اتباع الطريق الحق، لتماديهم في الضلال، وإغواء الشيطان لهم، حتى ختم على قلوبهم، فلا يرون شيئاً إلا الكفر؟! ومن أضلَّه الله لنُفوره من الحق، فلا هادي له إليه، ولا قائد له إلى النور.

{لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ} (الرعد: 34)

34- للكافرين عذاب مؤلم في الحياة الدنيا، عندما ينتصر عليهم المسلمون فيقتلواهم ويأسروهم، ويعنمون أموالهم، ولهم في الآخرة عذاب أشد وأبقى، عندما يدخلون جهنم فتسعر بهم النار، وليس هناك مانع وحاجز يقيهم العذاب، ولا يشفع لهم عنده أحد.

{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ بَحْرِيٍّ مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ} (الرعد: 35)

35- أما المؤمنون المتقون، فقد وعدوا من الله بجنة بحري الأنهار من تحت قصورهم وعرفهم الجميلة العالية، في مناظر وأوصاف لم ير مثلها شكلاً وجمالاً في الدنيا، تسر العين، وتبهج النفس، مع فواكه وأطعمة وأشربة لذيذة لا نفاذ لها، وظلال ممدودة لا تقطع، كثيرة البساتين وأنواع الأشجار والثمار، وتلك هي نهاية المؤمنين الذين صبروا على دينهم وطاعة ربهم. والكافرون مآلهم النار، وبئس المصير.

{وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٍ} (الرعد: 36)

36- ومؤمنو أهل الكتاب من اليهود والنصارى يسرون بالوحي المنزل إليك من الله، لما يرون من المطابقة بين القرآن وما بثرت به التوراة والإنجيل، من أنه الكتاب الحق. وأنكرت طوائف منهم بعض القرآن، ومن ذلك التشريعات الجديدة التي لم تكن عندهم. وكذلك المشركون المتحزبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة، كانوا ينكرون منه ما يخالف تقاليدهم وما ورثوه عن آبائهم.

قل لهم أيها الرسول: إنما بعثت بالوحدانية، فأمرت بعبادة الله وحده، وعدم الإشراك به، كما أرسل به الأنبياء السابقون، لا كما أنتم عليه. وإلى هج التوحيد أَدْعُو النَّاسَ كَافَّةً، وإلى الله وحده مرجعي ومصيري للجزاء.

{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ} (الرعد: 37)

37- وكما أنزلنا كتبنا على أنبياء سابقين، كذلك أنزلنا عليك القرآن المحكم أيها النبي، يحكم بالحق والعدل، بلسانٍ عربيٍّ فصيحٍ واضح. وإذا اتبعت أهواء الكافرين الزائغة، وأصاليهم الزائفة، بعدما جاءك العلم اليقين، والحق المبين من الله، فلن يكون لك ناصر من الله ولا حافظ منه يقيك مصارع السوء. وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانحراف، ولكنته قطع لأطماع الكافرين من التنازل لهم عن شيء يخص الحق والتوحيد، وتحذير للمؤمنين مما حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل ربه، ووعيد لأهل العلم من اتباع أهل الضلالة.

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ} (الرعد: 38)

38- وقد أرسلنا قبلك رسلاً من البشر أيضاً، وكانوا مثلك لهم أزواج وأولاد، فلماذا الاعتراض على بشريتك؟ لماذا يريدون رسولاً من الملائكة وقد كانت الرسل من قبل كلهم من البشر، ولم يعث الله ملكاً واحداً بالرسالة؟ أما معجزاتهم، فلم تكن بأمرهم ولا من صنعهم، إنما يأتي بها الله متى شاء، وفق ما تقتضيه حكمته ومشيتته.

والكتب المنزلة من عند الله تختلف أحكامها، لأنها شرعت حسب أحوال الناس وأزمانهم، وقد نزلت في أوقات متفاوتة، ولكل وقت كتاب يناسبه، وما يناسب الناس في هذا الزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها هو القرآن وحده.

{يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} (الرعد: 39)

39- والله سبحانه ينسخ ما يشاء من الأحكام لما تقتضيه الحكمة من أحوال الناس وتطور أمورهم وانتقالهم من حال إلى حال، ويثبتي ما هو نافع لهم على حاله. وعنده أصل الكتاب - وهو اللوح المحفوظ - الذي كتب فيه مقادير الأشياء كلها، لا يبدل ولا يعير مما هو فيه

شيء. وهو سبحانه الحكيم العليم، يقضي ويُقدِّر ما يشاء، لا اعتراض على حكمه ولا على مشيئته.

{ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوْفِّئَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ }
(الرعد: 40)

40- وإما أن نريك - أيها الرسول - بعض ما وعدناهم به من العذاب والحزى، أو أن نتوفَّاك قبل أن يُصيِّبهم ذلك. وإِنَّمَا أَنْتَ رَسُولٌ مُّبَلِّغٌ، تُعَلِّمُهُمْ رسالة الله وتُنذِرُهُمْ عذابه، أمَّا حسابُهُمْ وجزاؤُهُمْ فعند الله.

{ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } (الرعد: 41)

41- ألا يرى هؤلاء المشكِّكون المتعنِّتون أننا ننقص أراضِي الكافرين من أطرافها شيئاً فشيئاً ونُلحِقُها بدار الإسلام؟ والأمر في ذلك لله وحده، يحكم بما يشاء، وقد حَكَمَ للإسلام بالنصر، وللكُفْرِ بالهزيمة والخِذلان، ولا مُراجعة في حكمه ولا اعتراض عليه. والله سريع الحساب والمجازاة، لا يدفَعُهُ دافع.

{ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ } (الرعد: 42)

42- وقد حاول الكافرون قبل هؤلاء أن يلحقوا الأذى بالأنبياء، ويقضوا عليهم بأنواع المكر والحيل، ولكن مكرهم وإرادتهم بيد الله، فردَّ كيدهم، ونسف قوتهم، وجعل العاقبة لِعِبَادِهِ المؤمنين. والله سبحانه يعلم ما يأتون وما يتركون، وما يُعلنون وما يُسرُّون، ويعلم كيف يأخذهم وهم غافلون، وعندما ينزل بهم العذاب، يعلمون حينئذ لمن هي العاقبة الحسنة.

{ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ } (الرعد: 43)

43- وَيَقُولُ الْكَافِرُونَ مِنَ الْيَهُودِ وَالْمَشْرِكِينَ: لَسْتَ رَسُولًا مِنْ قِبَلِ اللَّهِ. قُلْ لَهُمْ: حَسْبِيَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى شَاهِدًا عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ، فَيَشْهَدَ لِي بِتَبْلِيغِ الرَّسَالَةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالْكَفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، وَيَشْهَدَ بِهَذَا أَيْضًا أَهْلُ الصِّدْقِ وَالْإِيمَانِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، لِمَا يَجِدُونَهُ عِنْدَهُمْ مِنَ الْمَبَشِّرَاتِ وَمُطَابَقَةِ الصِّفَاتِ عَلَى الرَّسَالَةِ وَالرُّسُولِ.

وَتُفِيدُ الْأَخْبَارُ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالشَّاهِدِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الصَّحَابِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ.

سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ} (إبراهيم: 1)

1- الحروف المقطعة لم يرد في تفسيرها حديث ثابت صحيح.
هذا كتاب أنزلناه إليك أيها النبي - وليس هو من عندك - لتخرج به الناس من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان، من العقائد الباطلة إلى عبادة الله وحده، ومن التبعية والتقليد الأعمى إلى التفكير والتدبر واتباع الحق، بأمر ربهم وتيسيره وتوفيقه، العزيز الذي لا يفهر، المحمود فيما يقول ويفعل،

{اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ}
(إبراهيم: 2)

2- الله الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن، المهيم عليهن بقوته وجبروته. وويل للكافرين إذا لم يتبعوا الدين الحق من عذاب أليم يوم القيامة.

{الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا
أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ} (إبراهيم: 3)

3- الذين يفضلون الحياة الدنيا، ويكرنون إلى لذاتها وشهواتها، ولا يتفكرون في الآخرة وجزائها، ويمنعون الناس من اتباع الرسل، ويريدون لدين الله طريقاً ملتويًا يناسب أهواءهم الزائغة، وأفكارهم المنحرفة، أولئك في جهل وضلال، بعيدون عن الحق والصواب.

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (إبراهيم: 4)

4- وما أرسلنا رسولا في الأمم السابقة إلا بلغة القوم الذين أرسل إليهم، ليفهموا منه ما يدعوهم إليه بسهولة.

ورساله الإسلام العامة تُترجم وتُبلغ للناس كافة، كما حصل ويحصل. ومن انتهت إليه هذه الدعوة فسلك سبيل الضلالة، واستكبر عن قبول الحق، أضله الله، ومن سلك مسالك الهدى وكان مستعدا لقبول الحق، هداه الله ويسر له ذلك. وهو العزيز الذي يصرف الأمور بمشيئته، لا يُغالب في ذلك، الحكيم الذي يُدبّر الأمور بحكمة، فلا يُراجع ولا يُعقب عليه.

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} (إبراهيم: 5)

5- وقد أرسلنا موسى إلى قومه مؤيِّداً بآياتٍ عظيمةٍ ومُعجراتٍ كبيرةٍ، أن أخرجهم من الكفر والضلال إلى الحق والإيمان، بالدعوة والبيان، والدليل والبرهان، وعظهم وذكّرهم بنعم الله، وبما حدث للسابقين من النعم والمحن. وفي هذا التذكير عظة لمن وقف عليها واعتبر منها، فيتعظ الصابرين لما أصابهم من بلاءٍ ونعمة، ويتعظ الشاكرين لما هو في نعمةٍ وعافية.

{وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدُبُّونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ} (إبراهيم: 6)

6- وقال موسى لقومه بني إسرائيل: اذكروا نعمة الله الكبيرة عليكم عندما أنقذكم من ظلم فرعون وآله، الذين كانوا يذيقونكم أقسى أنواع العذاب وآلمه، ويدبجون كل ذكركم يولد فيكم، وييقون على بناتكم؛ خوفاً من أن يكون زوال ملكه على يدي رجل منكم. وفيما ذكركم من أفعالهم الفظيعة محنة عظيمة، وإقذار الله إياهم وإمهاتهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاءً منه سبحانه؛ جزاءً نبيد بني إسرائيل دينهم الحق، الذي أوصى به إبراهيم بنبيه ويعقوب عليهم السلام، واتباعهم دين القبط.

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} (إبراهيم: 7)

7- واذكروا إذ أعلمكم ربكم أنكم إذا شكرتم نعمه التي أسبغها عليكم، وقابلتموها بالإيمان والطاعة، لأثبتنّها لكم، ولأزيدنّكم منها. وإذا جحدتم نعمتي ولم تشكروها، فإنّ العذاب الموعّد للعاصين شديد، وهو إما بسلب النعمة منكم، أو بمحقّ بركتها، أو بمعاقبتكم، في الأولى أو في العقبي.

{وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ} (إبراهيم: 8)

8- وقال موسى عليه السلام لقومه: الله غنيّ عن شكركم وطاعتكم كلّها، وإذا كفرتم نعمه، أنتم ومن في الأرض من الناس، فإنّه غنيّ بذاته، له ملك السّموات والأرض وما فيهما، لا يضُرُّه جحد من كفر، ولا ينقص من ملكه ولا يزيد منها إيمان أحدٍ أو كفرهم، وهو حميدٌ مستوجبٌ للحمد بذاته، لنعمه العظيمة المتتالية على خلقه. وثواب الحمد والشكر يعود عليكم، فيزيدكم من فضله، ويصلح به حالكم، ويستقيم به أمركم، ولكم عليه أجرٌ في اليوم الآخر.

{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ} (إبراهيم: 9)

9- ألم تسمعوا خبر الذين من قبلكم وما جرى لهم مع أنبيائهم، من قوم نوح، وعاد، وثمود، وكثيرين من بعدهم، لا يعلم عددهم وما حصل لهم إلا الله، جاءتهم رسُلهم بالأدلة القاطعات، والمعجزات الواضحات، فردّوا تبيغهم ومواعظهم في أفواههم، فكذبوها ولم يقبلوها منهم، وقالوا غير مباليين: لقد كفرنا بما جئتم به، ونشك شكاً قوياً في هذا الذي تدعوننا إليه من الإيمان، ولا سبيل إلى التصديق به.

{قَالَتْ رُسُلُهُمْ أِنِّي اللّٰهُ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضِ يَدْعُوْكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوْبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ اِلَىٰ اَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوْا اِنْ اَنْتُمْ اِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُوْنَ اَنْ تَصُدُّوْنَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ اٰبَاؤُنَا فَاْتُوْنَا بِسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ} (إبراهيم: 10)

10- قالت لهم رسلهم منكرين عليهم كفرهم وردتهم السيء: أتشكون في وجود الله ووحدانيته، وهو الذي خلق السماوات والأرض وما فيها من أحياء ونبات وجماد، والفطر السليمة تنطق بذلك، والدليل يشهد عليه؟ وهو سبحانه يدعوكم إلى دينه ليغفر لكم ذنوبكم، ويلطف بكم فلا يأخذكم بالعذاب فور تكذيبكم وعصيانكم، بل يؤخركم إلى أجل حدده لكم، ليراجعوا أنفسهم، وتعيدوا التفكير في موقفكم، وتوبوا. وعاد هؤلاء الكافرون يقولون لرسولهم غير مباليين: ما أنتم سوى بشر مثلنا، كأبي واحد من بني آدم، ولا فضل لكم علينا بشيء، وإنما تريدون بدعوتكم إلى التوحيد أن تصرفونا وتمنعونا من اتباع الدين الذي كان عليه آباؤنا من غير داع لتركه، فأتونا بمعجزة ودليل خارق على صحة دعواكم.

{قَالَتْ هُمْ رُسُلُهُمْ اِنْ نَّحْنُ اِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللّٰهَ يَمُنُّ عَلٰى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهٖ وَمَا كَانَ لَنَا اَنْ نَّاتِيَكُمْ بِسُلْطٰنٍ اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ وَعَلٰى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُوْنَ} (إبراهيم: 11)

11- قالت لهم رسلهم: حقا إننا بشر مثلكم في الصفات الآدمية، ولكن الله يفضل على عباده له ويميزهم بنعم غير موجودة عند الآخرين، وقد فضلنا عليكم بأن أوحى إلينا بالنبوة وأمرنا بتبليغ رسالته إليكم، ولا مقدرة لنا على الإتيان بالمعجزات والحوارق التي تطلبونها إلا بأمر الله ومشيئته، فهو وحده الذي يخلقها ويقدرها. وعلى الله وحده فليعتد المؤمنون إذا أرادوا التوكل عليه، فهو الذي يحفظهم من كيد الأعداء، وشر الأشرار.

{وَمَا لَنَا اَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلٰى اللّٰهِ وَقَدْ هَدٰنَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَنَّ عَلٰى مَا اَدَّيْتُمُنَا وَعَلٰى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُوْنَ} (إبراهيم: 12)

12- قالت الرسل عليهم السلام: وكيف لا نتوكل على الله ربنا وقد هدانا لدينه، وبيّنه لنا بالحجة والدليل، ويسر لنا الطريق إليه، فنحن على هدى ونور منه، وسوف نصبر على

أَذَيْتَكُمْ وَعِنَادِكُمْ وَتَكْذِيبِكُمْ، وَلَا نَضْعُفُ وَلَا نَتْرَجِعُ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، وَعَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ فليَعْتَمِدِ الْمُتَوَكِّلُونَ، مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَى ذَلِكَ فليَثْبِتُوا.

{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَتُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ } (إبراهيم: 13)

13 - وقال الكافرون لرسولهم تهديداً وترهيباً: سنخرجكم من ديارنا، ومن بين أظهرنا، أنتم ومن تبعكم، أو لتصيرونَّ في ملة الكفر التي ندين بها. فأوحى الله تعالى إلى رسوله، رداً عليهم وتخييباً لآمالهم، وقطعاً لمجادلتهم: سنهلك الكفرة الظالمين، لتماديهم في البغي والظلم، وإصرارهم على الكفر والتكذيب.

{ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ } (إبراهيم: 14)

14 - ولنسكننكم أرضهم وديارهم بعد إهلاكهم. وهذا النصر لمن آمن وخاف مقام ربه والوقوف بين يديه يوم الحساب، وخشي وعيده بالعذاب.

{ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ } (إبراهيم: 15)

15 - وطلب الرسل النصر والفتح من الله، فنصرهم، وخاب وخسر كل جبار متكبر، معانداً للحق، مجانباً له.

{ مَنْ وَرَأَيْهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ } (إبراهيم: 16)

16 - وأمام هذا الكافر المتكبر ومن بين يديه نار جهنم بالمرصاد، تنتظره ليلقى فيها ويُعذب، ويُسقى من ماء لا عهد له به، وهو عصاره ما يسيل من جلود أهل النار، من دم وقیح وما إليه.

{يَتَحَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ} (إبراهيم: 17)

17- يُقْبَلُ عَلَى هَذَا الْمَاءِ الْقَدْرِ الْبَغِيضِ لِظَمِّهِ الشَّدِيدِ، مِنْ لَفْحِ النَّارِ وَالْعَذَابِ وَالْحَرَارَةِ الشَّدِيدَةِ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَمَا يَقَعُ فِي فَمِهِ يَتَعَصَّصُهُ وَيَشْرِبُهُ كَرْهًا، وَهُوَ لَا يُحْبِّدُهُ وَلَا يُرِيدُ ابْتِلَاعَهُ، لِحُبِّهِ طَعْمِهِ وَنَتْنِ رِيحِهِ وَحَرَارَتِهِ. وَتَأْتِيهِ أَسْبَابُ الْمَوْتِ وَعِلَامَاتُهُ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ، مِنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ وَالْأَلْمِ وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ، وَلَكِنْ لَا مَوْتَ وَلَا حَيَاةَ. وَالَّذِي يَنْتَظِرُهُ فِيمَا يَسْتَقْبِلُهُ عَذَابٌ أَشَقُّ وَأَصْعَبُ مِمَّا سَبَقَ، وَلَا مَفَرَّ لَهُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا مَهْرَبَ، بَلْ خُلُودٌ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ إِلَى الْأَبَدِ.

{مَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَأَقْدِرُونَ بِمَا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ} (إبراهيم: 18)

18- مِثَالُ أَعْمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - عِنْدَمَا يَطْلُبُونَ ثَوَابَهَا - كَرَمَادٍ تَحْمَلُهُ الرِّيحُ وَتُسْرِعُ بِهِ فِي يَوْمٍ تَشْتَدُّ فِيهِ الْعَاصِفَةُ، فَتُشِيرُهُ وَتَبْعَثِرُهُ، حَتَّى لَا يُقَدَّرَ عَلَى الْإِمْسَاكِ بِهِ. وَكَذَلِكَ الْكَافِرُونَ، الَّذِينَ لَا يَرُونَ أَثَرًا مِنْ ثَوَابٍ أَوْ تَخْفِيفًا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِمَا قَدَّمُوهُ مِنْ أَعْمَالٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ قَائِمَةً عَلَى قَاعِدَةِ الْإِيمَانِ، بَلْ مَا كَانُوا هُمْ يَرْجُونَ ثَوَابَهَا، لِأَنَّهَا مَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِيَوْمِ الْمِعَادِ، وَحِسَابِ الْأَعْمَالِ، وَذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ عَنِ الْحَقِّ، فَلَا خَيْرَ فِيهَا، وَلَا ثَوَابَ عَلَيْهَا.

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ} (إبراهيم: 19)

19- أَلَا تَنْظُرُ وَتُفَكِّرُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا، وَكَيْفَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمَا وَأَبْدَعَهُمَا بِالْحَقِّ، وَلَمْ يَخْلُقْهُمَا بَاطِلًا وَلَعِبًا، بَلْ لِأَمْرِ عَظِيمٍ، وَحِكْمَةٍ كَبِيرَةٍ. وَهَذَا الْخَالِقُ الْعَظِيمُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُهْلِكَكُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ الْمُعَانِدُونَ، وَيَسْتَخْلِفَ جِنْسًا آخَرَ، أَوْ قَوْمًا آخَرِينَ مِنْ غَيْرِكُمْ فِي الْأَرْضِ، يَكُونُونَ أَطْوَعَ لِلَّهِ مِنْكُمْ، وَأَكْثَرَ اسْتِجَابَةً لِأَوَامِرِهِ.

{ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ } (إبراهيم: 20)

20- وليس ذلك صعباً على الله، ولا هو بمتّعذرٍ عليه ولا مُمتنع، وقد أهلك من قبلكم أقواماً وأتى بآخرين، فاعتبروا وأطيعوا، فهو خيرٌ لكم.

{ وَبَرَّزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَّرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ } (إبراهيم: 21)

21- وبعث الله الخلائق من قبورهم، واجتمعوا جميعاً في صعيدٍ واحد، وبرزوا لله في مكانٍ لا يُستترُ فيه أحد، فقال ضعافُ الرأى من الأتباع الذين أدلُّوا أنفسهم، لقادتهم وكبرائهم، الذين كانوا يخطبون فيهم، ويجمعون بهم، ويضلُّونهم بأفكارهم ونظرياتهم: لقد كنا تابعين لكم، نصدِّقكم فيما تقولون، ونكذب ما تكذبون، فهل تنفعوننا في هذا الموقف، وتدفعون عنا بعضاً من العذاب الذي جُوزينا به؟

فقال القادة المستكبرون: لو سلطنا طريق الهدى لهدانا الله ولدعوناكم إليه، ولكننا اخترنا طريق الضلال فأضلنا الله - والله لا يأمر بالضلال - فدعوناكم إليه. ولا فائدة من الشكوى الآن، فسواءً علينا إن حُفنا وقلقنا، أم تبنا وصبرنا، فإنه لا يُجدي شيئاً، فلا مهرب من عذاب الله، ولا نجاة لنا من غضبه.

{ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (إبراهيم: 22)

22- وبعد أن قضى الله بين عباده، وعرف كلُّ مصيره، ودخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، قال الشيطان للأشقياء، وهو الذي أضلَّ كلاً فريقتي المستكبرين وأتباعهم: إن الله وعدكم وعداً حقاً على ألسنة رسوله، وهو البعث والحساب، ووعدتكم وعداً باطلاً، وهو أن لا بعث ولا حساب، فأضلتكم وأخلفتكم، ولم يكن لي فيما دعوتكم إليه قوَّةٌ أُجبركم عليه،

ولا دليلٌ على صدقه وصحته، سوى كلامٍ بَشَّتهُ بينكم وزَيَّنَّتهُ في قلوبكم، فأسرعتُم إلى إجابتي وأطعتموني، فلا تُعاتبوني اليومَ فيما أضَلَلْتُكم به سابقًا، بل عاتبوا أنفسكم حيثُ اتَّبَعْتُم هواكم وأطعتموني، وأغمضتُم عيونكم وصرفتُم قلوبكم عن الحقيقة والأدلة المؤدِّية إليها، فما أنا بِنافعِكُم اليومَ شيئًا، وما أنا بمُعَيْثِكُم ومُخْلِصِكُم مِنَ العذاب، ولا أنتم قادرونَ على إغاثتي وتخليصي ممَّا أنا فيه من كُربٍ وعذاب، إنِّي تَبَرَّأتُ الآنَ ممَّا جَعَلْتُموني شريكًا لله في الدنيا، حيثُ أطعتموني فيما دَعَوْتُكم إليه من عبادة الأصنام وغيرها، فلا تَطْمَعُوا بِنُصْرَتِي لَكُمْ الآنَ، فلم تَبَقْ بَيْنِي وبينكم صلةٌ ولا علاقة.

وإنَّ الكافرينَ الظالمينَ لهم عذابٌ مؤلِّمٌ مُوجِعٌ، لإِعْرَاضِهِمْ عن الحقِّ، وإِصْرَارِهِمْ على اتِّبَاعِ الباطلِ.

{ وَأَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ } (إبراهيم: 23)

23- وعبادُ الله المؤمنون المِتَّقون، الذين اتَّبَعُوا إِيْمَانَهُمْ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، أُدْخِلُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ خِلَالِ أشجارها ومساكنها الأنهار، سارحةً فيها حيثُ ساروا، مُخَلَّدِينَ فيها أبدًا، بأمرِ الله وتوفيقه، وتَحِيَّتُهُمْ بَيْنَ بَعْضِهِمُ الْبَعْضِ فِي الْجَنَّةِ "سَلَامٌ"، وتَعْنِي سَلَامَتَهُمْ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ.

{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ } (إبراهيم: 24)

24- أَلَا تَنْظُرُ أَيُّهَا النَّبِيُّ كَيْفَ وَضَعَ اللَّهُ مَثَلًا فِي مَكَانِهِ الْمُنَاسِبِ، كَلِمَةً طَيِّبَةً، نَافِعَةً مُفِيدَةً، كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ، مُبَارَكَةٍ نَافِعَةٍ، جَذْرُهَا ضَارِبٌ فِي الْأَرْضِ، فَهِيَ قَوِيَّةٌ ثَابِتَةٌ لَا تُزَعِرُهَا الرِّيحُ، وَفَرْعُهَا سَامِقٌ يَعْلُو فِي السَّمَاءِ، فَهِيَ مُشْمِرَةٌ مُفِيدَةٌ، تَسْتَمِدُّ غِذَاءَهَا وَقَوَّهَا مِنْ عُرُوقِهَا الْقَوِيَّةِ الْغَائِرَةِ فِي الْأَعْمَاقِ.

{ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } (إبراهيم: 25)

25- تُعطي ثمرها الكثير الطيب في كل حين وقتة الله لإثمارها، بإرادة خالقها.
وهذه الأمثال التي يضرها الله للناس من واقع حياتهم، فيها زيادة فهم لهم، ليُشاهدوا ذلك
ويُفانوا، ويتذكروا ويفهموا، ويتفكروا ويعتبروا.
والمؤمن كمثل الشجرة الطيبة، ينطق بأجل وأرفع كلمة في الوجود، وهي لا إله إلا الله، وهذه
الكلمة توتي ثمراتها الطيبة إذا أخلص بها قائلها، فيبعضها بالأعمال الصالحة، ويدعو ويُجاهد
وينشر الخير...
والشجرة الطيبة كالنخلة، في قول الأكثرين.

{ وَمِثْلُ كَلِمَةِ خَيْبَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْبَةٍ اجْتُنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ } (إبراهيم: 26)

26- ومثل كلمة خيبة، وهي الكفر بالله، والجهل به، أو الباطل عمومًا، مما لا يرضاه الله،
كشجرة خيبة: رائحة، أو طعمًا، أو صورة، أو كل ذلك، تراها ظاهرة على الأرض، وقد
تتنفس وتتعالى، ولكن جذورها خفيفة وغير عميقة، فإذا استوصلت بدت وكأنها انشلت من
فوق الأرض، فلا أصل لها ولا عرق، وكذلك الكفر والشرك، لا حجة فيهما، ولا ثبات، ولا
قوة، بل فيهما انحراف وأباطيل وأضرار لا تحفى.

{ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ } (إبراهيم: 27)

27 - ويثبت الله عباده المؤمنين على كلمة التوحيد، فيمكنها في قلوبهم في الحياة الدنيا جزاء
صبرهم وإيمانهم، فلا يزالون عنها إذا فتنوا في دينهم، ولا يرتابون بالشبهات. كما يثبتهم
عليها بعد الموت في القبر، وهو أول منزل من منازل الآخرة.
وفي الحديث الصحيح، عند البخاري ومسلم وغيرهما، واللفظ للأول: "إذا أقيمت المؤمن في
قبره، أتى، ثم شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. فذلك قوله: { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ }".

وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ بِظُلْمِهِمْ وَشُرَكَهُمْ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْحَقِّ، فَلَا يَهْدِيهِمْ إِلَى الْجَوَابِ الصَّحِيحِ فِي الْقَبْرِ...

وَيَعْلَمُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ، مِنْ تَوْفِيقِ الْبَعْضِ وَتَثْبِيتِهِمْ، وَإِضْلَالِ آخَرِينَ وَخِذْلَانِهِمْ، بِمَا يَسْتَحِقُّونَ، بِحَسَبِ مَا تَوَجَّبَهُ مَشِيئَةُ اللَّهِ وَحِكْمَتُهُ. {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [سورة الكهف: 49].

{أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ} (إبراهيم: 28)

28- أَمْ تَنْظُرُ أَيُّهَا النَّبِيُّ إِلَى هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ، الَّذِينَ بَدَّلُوا شُكْرَ نِعْمَةِ اللَّهِ جُحُودًا وَتُكْرَانًا، وَأَوَدَعُوا قَوْمَهُمْ - بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى الضَّلَالِ - دَارَ الْخِزْيِ وَالْهَلَاكِ، مِثْلَ كُفَّارِ مَكَّةَ، الَّذِينَ أَسْكَنَهُمُ اللَّهُ حَرَمَهُ، وَأَكْرَمَهُمْ بِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَشْرَكُوا بِهِمْ، وَكَفَرُوا بِنِعْمَتِهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِالْقَحْطِ سَبْعَ سِنَوَاتٍ، وَهَزَمَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ...

{جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارِ} (إبراهيم: 29)

29- وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ مَصِيرُهُمْ جَهَنَّمَ، يُعَدَّبُونَ فِي نَارِهَا، وَيُقَاسُونَ حَرَّهَا، وَيَبْسُ الْمَسْتَقَرُّ نَارٌ تُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَعَلَى الدَّوَامِ.

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلُوبًا تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرُهُمْ إِلَى النَّارِ} (إبراهيم: 30)

30- وَاتَّخَذَ الْمَشْرِكُونَ شُرَكَاءَ اللَّهِ وَجَعَلُوهُمْ أَمْثَالًا لَهُ، فَسَمَّوهُمْ آلِهَةً بِحُجَّةِ أَنَّهُمْ تَنْفَعُ وَتَضُرُّ مِثْلَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَعَبَدُوهَا، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَتِهَا، لِيُرِيغُوهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَيُعِدُّوهُمْ عَنْ نَهْجِ التَّوْحِيدِ.

قُلْ لَهُمْ مُتَوَعَّدًا أَيُّهَا الرَّسُولُ: ابْقُوا فِي الدُّنْيَا مَا شِئْتُمْ، وَتَمَتَّعُوا بِمِلْدَاتِهَا إِلَى حِينٍ، فَإِنَّ آخِرَ مَا تَنْتَهَوْنَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْحِسَابِ هُوَ النَّارُ، فَقَدْ أَبَدَلْتُمْ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا، وَأَتْرَمْتُمُ الضَّلَالَ عَلَى الْهُدَى.

{قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ

يَوْمٌ لَا يَبِغُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ} (إبراهيم: 31)

31- قُلْ لِعِبَادِيَ الْمُؤْمِنِينَ يَلْتَمِزُوا جَانِبَ الطَّاعَةِ، وَيُحَافِظُوا عَلَى صَلَوَاتِهِمْ، بِشُرُوطِهَا وَأَزْكَائِهَا وَفِي أَوْقَاتِهَا، وَيُعْطُوا الْمُحْتَاجِينَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ مِنْ مَالٍ وَمَتَاعٍ، زَكَاةً وَصَدَقَةً، خَفِيَةً وَجَهْرًا، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ الْحِسَابِ، الَّذِي لَا مُعَاوَضَةَ فِيهِ، فَلَا تُشْتَرَى الْحَسَنَاتُ، وَلَا تُبَاعُ السَّيِّئَاتُ، وَلَا أَمْوَالٌ تُفْتَدَى بِهَا الْأَنْفُسُ، وَلَا أَهْلٌ وَلَا أَصْدِقَاءُ يَشْفَعُونَ أَوْ يَعْفُونَ عَنِ الْعُقُوبَةِ، بِلِ عَدَالَةٍ مُطْلَقَةً فِي الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ عَلَى الْأَعْمَالِ.

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ} (إبراهيم: 32)

32- هُوَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَمَا فِيهَا مِنْ كَوَاكِبَ وَنُجُومٍ وَشُهُبٍ وَمُذَنَّبَاتٍ... وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهَا مِنْ مَخْلُوقَاتٍ، وَمَعَادِنَ وَأَشْجَارٍ، وَبَرَارِيٍّ وَبِحَارٍ، وَأَنْزَلَ مِنَ السُّحُبِ مَطَرًا، وَسَقَى بِهِ الزَّرْعَ وَالشَّجَرَ، وَأَخْرَجَ بِهِ أَنْوَاعَ الثَّمَارِ وَالْبُقُولِ، مُخْتَلِفَةً الْأَلْوَانِ وَالطُّعُومِ وَالْمَنَافِعِ، رِزْقًا لَكُمْ تَعِيشُونَ بِهِ وَتَدَّخِرُونَ مِنْهُ.

وَسَخَّرَ لَكُمْ الشُّفْنَ وَالْبُؤَاخِرَ وَالْأَسَاطِيلَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَقُدْرَتِهِ، فَجَعَلَ فِيهِ مَوَازِينَ وَقَوَانِينَ لِتَطْفُوَ عَلَيْهِ الشُّفْنُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ثِقَلِهَا، وَتَتَوَجَّهُونَ بِهَا أَيْنَمَا شِئْتُمْ، فِي أُمُورِ التِّجَارَةِ وَالْعِلْمِ وَالِاسْتِكْشَافِ.

وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ، تَشُقُّ الْأَرْضَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى آخَرَ، فَتَشْرَبُونَ مِنْهَا، وَتَسْقُونَ بِهَا زُرُوعَكُمْ وَحَيَوَانَاتِكُمْ، وَتَسْتَحْدِمُونَهُ فِي أُمُورِ الطَّاقَةِ وَغَيْرِهَا.

{وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} (إبراهيم: 33)

33- وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَهُمَا فِي حَرَكَةٍ دَائِمَةٍ، لَا يَقِفَانِ لِحِظَةٍ، لِيَتَشَكَّلَ مِنْ حَرَكَتِهِمَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ. وَفِيهِمَا أَسْرَارٌ عِلْمِيَّةٌ كَثِيرَةٌ، تُبَيِّنُ إِبْدَاعَ الْخَالِقِ وَقُدْرَتَهُ وَعَظَمَتَهُ، فِي تَكْوِينِهِمَا، وَأَبْعَادِهِمَا الْقِيَاسِيَّةَ الدَّقِيقَةَ عَنْ بَعْضِهِمَا الْبَعْضُ، وَعَنِ الْأَرْضِ، وَوُضُوعِهِمَا، وَتَأْثِيرِهِمَا، وَفَائِدَتَهُمَا لِلْإِنْسَانِ، فَلَا غِنَى لَهُ عَنْهُمَا.

وَسَخَّرَ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، يَأْتِي أَحَدُهُمَا إِثْرَ الْآخَرِ بِنِظَامٍ لَا يَتَغَيَّرُ. وَالنَّهَارُ فِيهِ الْحَرَارَةُ وَالضِّيَاءُ فَيُنَاسِبُ الْعَمَلَ، وَاللَّيْلُ فِيهِ السُّكُونُ وَالظَّلَامُ لِيَرْتَاحَ الْمَرْءُ مِنْ تَعَبِ النَّهَارِ وَيَطْمَئِنَّ وَيَسْكُنَ.

{وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ }
(إبراهيم: 34)

34- وأعطاكم الله من كل شيء سألتموه، مما تحتاجون إليه في جميع أحوالكم. وإن تعدوا نعم الله عليكم لن تتمكنوا من إحصائها، ولو إجمالاً، فإنها كثيرة جداً. ومع ذلك فإن من الناس من يظلم نفسه بالمعصية، فيجعل لله شركاء ويعبدوهم، وهو الذي أنعم عليهم، والشركاء لم يفعلوا شيئاً، فيكون كافريناً بالنعمة والمنعم، جاحداً بفضلِهِ، منكريناً لربوبيته.

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ } (إبراهيم: 35)

35- واذكر أيها النبي قول إبراهيم داعياً ربه: رب اجعل مكة بلداً آمناً وسلاماً، يأمن فيه الناس ولا يخافون، وأبعدني وبني من عبادة الأصنام، وثبتنا على ملة الإسلام.

{رَبِّ إِنِّي أَخْلَلْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }
(إبراهيم: 36)

36- فإن هذه الأصنام التي جعلوا منها آلهة، تسببن في إضلال كثير من الناس، حتى افتتنوا بهنّ وعبدوهنّ، فمن تبعني فيما أدعو إليه من التوحيد، فإنه من أهل ديني وملتي، ومن عصاني ولم يتبعني، فأفوض أمره إليك، فإنك قادر على أن تغفر له وترحمه، ابتداءً، أو بعد توفيقه للتوبة.

وهذا من خصائص إبراهيم عليه السلام، فهو حليم رحيم لا يدعو بالهلاك على بنيهِ، وكأنه قال: ومن عصاني فلا أدعو عليهم، بل أكلمهم إلى رحمتك وهدايتك، فإنك غفور رحيم. فهو لا يستعجل لهم العذاب، بل يتركهم لرحمة الله وهدايته، فإن شاء هداهم ورحمهم وغفر لهم، أو لم يفعل.

وللمفسرين تأويلات شتى في هذا، ومن فسّر العصيان هنا بغير الكفر، فلا إشكال.

{ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ } (إبراهيم: 37)

37- وكان إبراهيم عليه السلام قد ترك زوجته (هاجر) وولدها إسماعيل قريباً من البيت الحرام، فالتجأ إلى ربه داعياً مرةً أخرى يقول: ربنا إني أسكنت بعض ذرّيتي بوادٍ في مكّة لا زرع فيه ولا ثمر، بجوار بيتك المحرّم، ليقيموا الصلّاة عنده، ويعمّروه بذكرك وعبادتك، فارحمهم، واجعل قلوب بعض الناس تميل إليهم وتكون معهم، وارزقهم من أنواع الثمرات، تجبّي إليها، أو تحصل منها ومن حولها؛ ليشكروا نعمتك، ويؤمنوا برسالتك.

{ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ } (إبراهيم: 38)

38- ربنا إنك مطلع على أقوالنا وأعمالنا، وما نجهر به وما نسرّ، ولا يخفى على الله شيءٌ صغيرٌ ولا كبير، إن ظهر أو بطن، في الأرض أو في السماء، فلك اللهم خالص تضرّعي ودُعائي، وعبوديتي وتذلّلي.

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ } (إبراهيم: 39)

39- والشكر لله والثناء الطيب عليه وحده، الذي رزقني على كبر سني ويأسي من الولد إسماعيل وإسحاق، إن ربّي وخالقي مجيب الدعاء.

{ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ } (إبراهيم: 40)

40- ربّي واجعلني محافظاً على إقامة الصلّاة، ومن ذرّيتي كذلك، ربنا وتقبّل دعائي فيما سألتك به.

{ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ } (إبراهيم: 41)

41- رَبَّنَا اغْفِرْ لِي مَا فَرَّطْتُ فِيهِ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، وَلِوَالِدَيَّ، وَجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ ذُرِّيَّتِي وَمِنْ غَيْرِهِمْ، عِنْدَمَا تُحَاسِبُ النَّاسَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَتُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا. وَقَدْ اسْتَعْفَرَ لِوَالِدَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ أَبُوهُ عَلَى الْكُفْرِ، فَكَانَ يَدْعُو بِهَدَايَةِ اللَّهِ لَهُ وَيَطْمَعُ فِي إِيْمَانِهِ، فَلَمَّا مَاتَ وَلَمْ يَأْمَنْ تَبَرُّاً مِنْهُ: { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ } [سورة التوبة: 114]. وَذُكِرَ أَنَّ وَالِدَتَهُ آمَنَتْ.

{ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمَ تَشْخِصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ }

(إبراهيم: 42)

42- وَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّهَ غَافِلٌ عَنِ فِعْلِ الظَّالِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، إِنَّ تَأْخِيرَ الْعَذَابِ عَنْهُمْ لَيْسَ لِلرِّضَى بِأَفْعَالِهِمْ، بَلْ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ إِمِهَالُ الْعُصَاةِ، وَإِذَا لَمْ يَنْفَعَهُمْ هَذَا الْإِمِهَالُ تَوْبَةً وَإِيْمَانًا، فَإِنَّ تَأْخِيرَهُمْ يَكُونُ لِيَوْمٍ لَا تُغْمَضُ فِيهِ الْعُيُونَ، بَلْ تَرْتَفِعُ وَتَبْقَى مَفْتُوحَةً مَذْهُولَةً لَا تَطْرِفُ، مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْهَلَعِ وَالْأَهْوَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

{ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ } (إبراهيم: 43)

43- مُسْرِعِينَ إِلَى الدَّاعِي، لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ، رَافِعِي رُءُوسِهِمْ وَكَأَنَّهَا مَشْدُودَةٌ إِلَى السَّمَاءِ لَا تَتَحَرَّكُ بِمَنَّةٍ وَلَا يَسْرَةَ، وَأَبْصَارُهُمْ شَاخِصَةٌ جَامِدَةٌ لَا تَطْرِفُ، يُدِيمُونَ النَّظَرَ إِلَى جِهَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الرُّعْبِ، فَلَا يَنْظُرُ أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ. وَقُلُوبُهُمْ خَالِيَةٌ جَوْفَاءَ، وَكَأَنَّهَا لَا تَعْقِلُ وَلَا تَفْهَمُ، وَلَا تَدْرِي وَلَا تَتَذَكَّرُ، مِنَ الْفَزَعِ وَالْحَيْرَةِ وَاللَّهْشَةِ!

{ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُبْحِبْ

دَعْوَتِكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أُولَئِكَ تَكُونُوا أَفْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ } (إبراهيم: 44)

44- واذكُرْ لِلنَّاسِ عَوَاقِبَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَخَوْفَهُمْ هَوَلٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ الرَّهِيْبُ، فَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا: رَبَّنَا أَعِدْنَا إِلَى الدُّنْيَا وَأَمَهَلْنَا مُدَّةً قَصِيْرَةً مِنَ الزَّمَانِ؛ نُحِبُّ دَعْوَةَ التَّوْحِيدِ، وَنُؤْمِنُ بِرُسُلِكَ، وَنَتَّبِعُهُمْ فِيمَا يَطْلُبُونَ مِنَّا.

فِيحَابُونَ: أَوْلَمْ تَكُونُوا حَلَفْتُمْ فِي الدُّنْيَا أَنْتُمْ لَا تُبْعَثُونَ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَنَّهُ لَا مَعَادَ وَلَا حِسَابَ؟

**{ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ
الْأَمْثَالَ } (إبراهيم: 45)**

45- وَاسْتَوَظَنْتُمْ بِلَادَ الْأُمَمِ الْمَكْدُوبَةِ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَعَرَفْتُمْ أَخْبَارَهُمْ، وَكَيْفَ أَهْلَكْنَا هُمُ وَعَاقِبْنَا هُمْ، وَلَكِنَّكُمْ لَمْ تَعْتَبِرُوا بِمَا حَلَّ بِهِمْ، بَلْ فَعَلْتُمْ فِعْلَهُمْ، وَتَمَادَيْتُمْ فِي الظُّلْمِ وَالْفَسَادِ، وَبَيْنَا لَكُمْ وَقَائِعٌ، وَأُورِدْنَا لَكُمْ أَخْبَارًا، وَسَرَدْنَا قِصَصًا، وَضَرَبْنَا أَمْثَالَ؛ لِتَتَذَكَّرُوا وَتَعْتَبِرُوا. وَمَا زَالَتِ الْأَخْبَارُ وَالْآثَارُ مَوْجُودَةً، فِي كُتُبِ التَّارِيخِ وَمَشَاهِدِ الْآثَارِ، وَلَكِنَّ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْآثَارِيْنَ لَا يَعْتَبِرُونَ، وَلَا يَذْكُرُونَ لَطَالَيَهُمُ الْعِبْرَ وَالْإِرْشَادَاتِ الدِّيْنِيَّةَ، بَلْ يَدْرُسُونَ وَيَحْلُلُونَ وَيُنْقَبُونَ لِلْعِلْمِ وَالثَّقَافَةِ وَمَعْرِفَةِ الْأَخْبَارِ...

{ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرَهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ } (إبراهيم: 46)

46- وَقَدْ كَادُوا وَمَكَرُوا وَبَدَلُوا كُلِّ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ جُهْدٍ لِلْقَضَاءِ عَلَى رِسَالَةِ التَّوْحِيدِ، وَصَرَفَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ دِينِهِمْ، وَالْإِسْتِهْزَاءِ بِعَقِيدَتِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ هُمْ وَإِرَادَتُهُمْ وَمَا يُحْطُّونَ فِي قَبْضَةِ قُدْرَةِ الْعَزِيْزِ الْجَبَّارِ وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ، وَجَزَاءُ مَكْرِهِمْ عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ، وَإِنْ كَانَ كَيْدُهُمْ وَتَدْبِيرُهُمْ قُوًى شَدِيْدًا، حَتَّى يَكَادُ يُزِيلُ الْجِبَالَ مِنْ أَمَاكِنِهَا، وَهِيَ أَثْقَلُ شَيْءٍ وَأَبْعَدُ مَا يُتَصَوَّرُ عَنِ التَّحْرُكِ وَالزَّوَالِ. وَيَعْنِي أَنَّهُمْ لَمْ يَتِمَكَّنُوا مِنَ الْقَضَاءِ عَلَى مَا أَتَتْ بِهِ الرُّسُلُ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ مُنَاصَبَتِهِمْ الْعِدَاءِ وَمُحَارَبَتِهِمْ وَاتِّبَاعِهِمْ.

{ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفًا وَعْدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيْزٌ ذُو انْتِقَامٍ } (إبراهيم: 47)

47- فلا تَظَنَّ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ أَيُّهَا النَّبِيُّ أَنَّ اللَّهَ يُخْلِفُ وَعْدَهُ مَعَ رُسُلِهِ، وَأَنْتَ مِنْهُمْ، فَقَدْ نَصَرَهُمُ اللَّهُ، وَيَنْصُرُكَ مِثْلَهُمْ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ لَا يُقَهَّرُ وَلَا يُغَالَبُ، يَنْتَقِمُ مِمَّنْ عَادَاهُ وَعَانَدَ رُسُلَهُ وَكَذَّبَهُمْ.

{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} (إبراهيم: 48)

48- وَيَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْحِسَابُ، تَكُونُ الْأَرْضُ عَلَى غَيْرِ هَيْئَتِهَا الْآنَ، وَكَذَلِكَ السَّمَاوَاتُ، وَخَرَجَ جَمِيعُ الْخَلَائِقِ مِنْ قُبُورِهِمْ، الْمُؤْمِنُونَ وَالْكَافِرُونَ، وَظَهَرُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، الْغَالِبِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي دَانَتْ لَهُ الرَّقَابُ، وَخَضَعَتْ لَهُ الْقُلُوبُ وَالْأَلْبَابُ، لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، وَيُجَازِيَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

{وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ} (إبراهيم: 49)

49- وَتَرَى الْكَافِرِينَ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ وَقَدْ جُمِعَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَشُدُّوا بِالْقَيْدِ وَالْأَغْلَالِ، وَقَدْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا عَلَى عَقِيدَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ مِلَّةُ الْكُفْرِ، وَعَلَى عَمَلٍ وَاحِدٍ هُوَ الْعِصْيَانُ وَالْإِفْسَادُ، فَصَارُوا فِي الْآخِرَةِ مَعَ بَعْضِهِمُ الْبَعْضَ مَشْدُودِينَ، يَمْشُونَ صَفًّا وَرَاءَ صَفٍّ...

{سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغَشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ} (إبراهيم: 50)

50- أَثْوَابُهُمْ وَقُمُصَاتُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ، وَهُوَ أَسْوَدُ قَدِيرٍ مُنْتِنٌ يُسْرِعُ فِيهِ اشْتِعَالُ النَّارِ، وَتَعَلَوْ جُوهَهُمُ النَّارُ لِتُسَعَّرَ بِهَا، وَهِيَ أَكْرَمُ عُضْوٍ فِي الْإِنْسَانِ وَأَشْرَفُهُ، وَلَكِنَّهُمْ امْتَهَنُوهُ وَسَجَدُوا بِهِ لِلْأَصْنَامِ وَغَيْرِهَا، وَلَمْ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، فَجَازَاهُمُ اللَّهُ بِالذُّلِّ وَالتَّحْقِيرِ، جَزَاءَ شِرْكِهِمْ وَمَكْرِهِمْ وَاسْتِكْبَارِهِمْ.

{لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (إبراهيم: 51)

51- لِيَجْزِيَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلَّ نَفْسٍ، مُؤْمِنَةً وَكَافِرَةً، مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، جَزَاءً عَادِلًا مُوَافِيًا، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ، مَعَ كَثْرَةِ خَلْقِهِ وَكَثْرَةِ مَا عَمَلُوا.

{ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ }
(إبراهيم: 52)

52- هذا القرآنُ وما فيه من تذكيرٍ وأحكامٍ، تَبْلِيغٌ وَعِظَةٌ لِّجَمِيعِ النَّاسِ، لِيُنصَحُوا وَيُنذَرُوا بِهِ، وَيَوْعَظُوا وَيُخَوَّفُوا، وَلِيَعْلَمُوا وَيُوقِنُوا بِالْأَدَلَّةِ وَالْحُجَجِ، وَالنَّظَرَ وَالتَّأَمُّلَ، أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا وَلَدٌ، وَلِيَتَذَكَّرَ ذَلِكَ وَيَتَّعِظَ بِهِ أَصْحَابُ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ، وَالْأَفْهَامِ الرَّاجِحَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ، وَيَلْتَزِمُوا جَانِبَ التَّقْوَى، وَالثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَى الطَّاعَةِ.

الجزء الرابع عشر

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الحجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ} (الحجر : 1)

1- الحروف المقطعة لم يرد في تفسيرها حديث ثابت صحيح، والله أعلم بمعناها. تلك الآيات العظيمة آيات الكتاب الكامل الجليل، وقرآن عظيم الشأن، واضح بين، فيه أمر الله وهدى، وحكمه وعدله.

{رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} (الحجر : 2)

2- رب شيء يود الذين كفروا لو تحقق وثبت، وهو أن يكونوا مسلمين، سواء عند الموت وقد تقطعت بهم أسباب الحياة، أو يوم القيامة وقد عاينوا العذاب، والمؤمنون في جنات النعيم، فكلما رأوا حالاً من أحوال العذاب، ورأوا حالاً من أحوال المسلمين، ودوا لو كانوا مسلمين.

ويتأكد قوتهم هذا عندما يخرج الله المسلمين العاصين من النار، وكان الكافرون يقولون لهم: ما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا! فعندما يخرجون يقول الكافرون: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا. وهو مختصر حديث رواه وصححه الحاكم.

{ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} (الحجر : 3)

3- دَعُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ يَأْكُلُوا مِنْ أطْعِمَةِ الدُّنْيَا وَمَلَأْذَهَا مَا شَاءُوا، وَلِيَتَمَتَّعُوا بِجَمَالِهَا وَشَهَوَاتِهَا، وَلِيَشْغَلَهُمُ الْأَمَانِيُّ وَطَلَبُ السَّعَادَةِ وَطُولُ الْعُمُرِ، وَالتَّطَلُّعُ إِلَى الصَّفَقَاتِ وَالْأَرْبَاحِ، دَعَهُمْ فِي دَوَامَةِ الْعُرُورِ وَالْمَطَامِعِ، حَتَّى يَأْتِيَهُمُ الْمَوْتُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ يَوْمَ الْحِسَابِ سُوءَ صَنِيعِهِمْ، وَفَسَادَ عَقِيدَتِهِمْ، وَعَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ.

{ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَهِيَ كِتَابٌ مَعْلُومٌ } (الحجر : 4)

4- وما أَوْقَعْنَا الْعَذَابَ بِأَهْلِ قَرْيَةٍ أَوْ مَدِينَةٍ مِنَ الْمَدِينِ إِلَّا بَعْدَ إِنذَارِهِمْ، وَانْتِهَاءِ الْمَدَّةِ الَّتِي ضَرَبْتُمْ لَهُمْ، لَا يُنْسَى أَجْلُهُمْ وَلَا يُعْفَلُ عَنْهُ، بَلْ هُوَ مَعْلُومٌ مُقَدَّرٌ عِنْدَ اللَّهِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

{ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ } (الحجر : 5)

5- وَلَنْ يُقَدَّمَ أَجَلُ هَلَاكِ أُمَّةٍ عَنْ مَوْعِدِهِ وَلَنْ يُؤَخَّرَ عَنْهُ، بَلْ يَأْتِيهِمْ فِي الْمَكَانِ الْمَقْدَّرِ، وَفِي الْوَقْتِ الْمَحْدَدِ.

{ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ } (الحجر : 6)

6- وَقَالَ مُشْرِكُو مَكَّةَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّهَا الْمَدَّعِي نَزُولِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ، إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ بَادِعَاتِكَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ.

{ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } (الحجر : 7)

7- فَهَلَّا أَتَيْتَنَا بِالْمَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ بِصِحَّةِ مَا جِئْتَ بِهِ، إِذَا كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فِي دَعْوَاكَ؟

{ مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ } (الحجر : 8)

8- مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا لِأَمْرٍ فِيهِ فَائِدَةٌ وَحِكْمَةٌ، وَالْمَلَائِكَةُ لَا يُرُونَ، وَلَوْ أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ عَلَى صُورَةِ الْبَشَرِ لَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: هَؤُلَاءِ لَيْسُوا مَلَائِكَةً! وَلَوْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِمْ لِأَهْلِكُهُمُ اللَّهُ وَلَمْ يُمَهِّلَهُمْ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ مِنْ حَالِ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ أَنَّهُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا بِهِمْ، فَكَانَ فِي إِمְهَالِهِمْ خَيْرٌ لَهُمْ. وَقَدْ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ.

{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (الحجر : 9)

9- نحنُ نزلنا هذا القرآنَ مِنْ عِنْدِنَا، سواءً آمَنوا بِهِ أمْ أنكَرُوهُ، ونحنُ حافظوهُ مِنْ التَّغْيِيرِ والتَّبْدِيلِ، والزِّيَادَةِ والنَّقْصَانِ، فلا يَنْدَثِرُ ولا يَلْتَبِسُ بالباطِلِ.
ولم يَتَكَلَّلِ اللهُ بِحِفْظِ كِتَابِ سَمَويِّ سِوَاهُ، وَقَدْ دَخَلَ التَّحْرِيفُ والتَّبْدِيلُ حَدِيثَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتَّارِيخَ الإِسْلامِيَّ، وأنواعَ العُلومِ، ولم يَدْخُلِ القُرْآنَ مِنْهُ شَيْءٌ.

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ } (الحجر : 10)

10- وَقَدْ أَرْسَلْنَا رِسالاً مِنْ قَبْلِكَ أَيُّهَا النَبِيُّ إِلَى فِرْقٍ وَطوائِفِ الأُمَّمِ المَاضِيَةِ.

{ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } (الحجر : 11)

11- وَمَا كَانَ اللهُ يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ رِسالاً مِنْ عِنْدِهِ إِلَّا كَانُوا يُكذِّبُونَهُ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُ.

{ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ } (الحجر : 12)

12- وَنُدْخِلُ مِثْلَ هَذَا التَّكْذِيبِ والاسْتِهْزاءِ فِي قُلُوبِ المَجْرِمِينَ المَعانِدِينَ لِلْحَقِّ.

{ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ } (الحجر : 13)

13- فَهُؤُلَاءِ الكَافِرُونَ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ بالقُرْآنِ، وَقَدْ عَلِمُوا ما حَلَّ بالأُمَّمِ المَاضِيَةِ مِنَ الهَلَاكِ والدمارِ نَتِيجَةَ تَكْذِيبِهِمْ أنبياءَهُم.

{ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ } (الحجر : 14)

14- وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَي هؤُلَاءِ الكَافِرِينَ المِكابِرِينَ باباً ظاهراً مِنَ السَّمَاءِ، وَجَعَلُوا يَصْعَدُونَ فِيهِ وَيَرُونَ فِيهِ مِنَ العَجائِبِ،

{ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ } (الحجر : 15)

15- لما صدقوا ذلك، وقالوا لشدّة كفرهم وقساوة قلوبهم: لقد أغلقت عيوننا ومنعنا من الرؤية، والذي ظهر لنا خيال لا حقيقة، وعقولنا تُخبِزنا أنّ الحقيقة بعكس ذلك! بل أصابنا سحرٌ ساحرٍ فيما جرى لنا!

وللسماء أبواب، وقد أثبتت الأبحاث الفلكية أنّ السماء ليست فراغاً، بل هي مليئة بغازاتٍ مُنوعة، وبعض المواد الصلبة، وإشعاعات، فهو بناءٌ مُحكمٌ مليءٌ بالمادّة والطاقة، ولا يُمكن اختراقه إلاّ عن طريق أبوابٍ تُفتح فيه. وكذلك الغلاف الجويّ، مليءٌ بالأبواب، والمركبات الفضائية عليها أن تسلك مساراً محدّداً حتّى تُخرج من مظان الجاذبيّة الأرضيّة إلى الفضاء الخارجي، وإلاّ احترقت. وإذا عادت فعليها أن تدخل من فتحاتٍ وطرقٍ مُعيّنة داخل الطبقة الخارجية للغلاف الجويّ، وإلاّ بقيت فيه، أو احترقت!

{ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ } (الحجر : 16)

16- ولقد أوجدنا في السماء بُرجاً، وهي النجوم والكواكب، أو منازلها الاثنا عشر التي تتنقل فيها. وجعلنا فيها جمالاً وزينة لمن ينظر إليها، مع اتّساع وإتقان. فالنجوم تتألأ وتخبو، والقمر يُطلُّ بدرًا وهلالاً، ومنظرُ الشروق والغروب للشمس لا يُملّ...

{ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ } (الحجر : 17)

17- وحفظنا السماء وما فيها من الشياطين الملعونة، المطرودة من رحمة الله، حتّى لا ينالها شيءٌ من شرّها،

{ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ } (الحجر : 18)

18- إلاّ الشياطين المتمرّدة التي تتجاوز حدّها الأرضيّ، وتريد أن تتصاعد لتتنصّت إلى الملائكة في السماء، فمن استرق السمع منها قذفناه بشهابٍ ساطعٍ فأحرقه.

{ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْفَيْنَا فِيهَا رِوَاسِيٍّ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ } (الحجر : 19)

19- وهذه الأرض بسطناها ووسّعناها لتكون ملاءمةً لانتفاع الإنسان منها، وألّينا فيها جبالاً ثوابت، لئلا تميل وتتحرّك بأهلها، وأنبتنا فيها زروعاً، وأشجاراً كثيرة، معلومةً ومقدّرةً بمقدارٍ مُعيّن.

{وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ} (الحجر : 20)

20- وجعلنا في الأرض صنوفاً من المطاعم والمشارب وغيرها، وأسباباً للتكسب، وأبواباً للعمل تلجوها، ودواب وآلات تستخدمونها، لتكون عوناً لكم في ابتغاء الرزق، وجعلنا فيها أصنافاً من الأحياء لا ترزقونها، بل الله رازقها وسواها، ومنفعتها لكم.

{وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ} (الحجر : 21)

21- وليس شيء من الأشياء، ولا صنف من الأصناف، إلا عندنا خزائنه، مصادره ومنابعه، وما نُنزّل منه إلا بمقدارٍ مُعيّن، بحسب ما تقتضيه حكمتنا، وتستدعيه مشيئتنا.

{وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاحِحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ} (الحجر : 22)

22- وسخرنا الرياح لتكون ملقحة. وقد ثبت لدى العلماء أنّ العيوم لا تمطر بنفسها، ولو كانت شديدة الرطوبة، فإذا توفّر لها ذرات ملحيّة أو تُلجّيّة بالغة الصغر، والتقت بالكتلة الهوائيّة الرطبة (الغيم)، حصل التكاثف، ثم هطل منها المطر. والرياح هي التي تجلب هذه الذرات، فتكون هي الملقحة، وهي التي تُشكّل السحابة الرعديّة، في تفصيل... وكل ذلك بأمر الله وتقديره.

فيلقح الرياح السحاب ليُدّر المطر، فأنزلنا بسببه الماء، فأسقيناكم منه ماءً عذباً، تشربون منه، ونسقي به زروعكم ودوابكم. والمطر في خزائنا لا في خزائكم، وهي بأيدينا لا بأيديكم. أو أنّ معناه: ما أنتم بقادرين على حفظ هذا الكمّ من المياه التي يُنزّلها الله لكم، فيحفظها لكم في العيون والآبار والأنهار، لتأخذوا منها عند الحاجة.

{ وَإِنَّا لَنَخْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ } (الحجر : 23)

23- وَإِنَّا لَنَخْلُقُ الشَّيْءَ مِنَ الْعَدَمِ، وَنَنْفُخُ الرُّوحَ فِي الْأَشْيَاءِ الْمَيِّتَةِ فَتَحْيَا بِإِذْنِنَا، وَنَحْنُ نُمِيتُ الْحَيَّ فَلَا نُبْقِي فِيهِ أَثَرًا لِلْحَيَاةِ. وَنَحْنُ الْبَاقُونَ بَعْدَ فَنَاءِ الْخَلْقِ، الْمَالِكُونَ لِلْمُلْكِ، الْحَاكِمُونَ وَالْمُتَصَرِّفُونَ فِي الْكَوْنِ وَحَدَنَّا، الْوَارِثُونَ لِلْخَلْقِ جَمِيعًا.

{ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ } (الحجر : 24)

24- وَقَدْ عَلِمْنَا مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ مِنْ لَدُنْ آدَمَ، وَمَنْ هُوَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ، وَمَنْ سَيَأْتِي بَعْدَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

{ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } (الحجر : 25)

25- وَإِنَّ رَبَّكَ وَحْدَهُ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - سَيَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا لِلْمُحَاسَبَةِ وَالْجَزَاءِ، وَهُوَ حَكِيمٌ، يَضَعُ الْأُمُورَ فِي مَوَاضِعِهَا، فَيُقَدَّرُ وَقْتُ الْحَيَاةِ، وَوَقْتُ الْمَمَاتِ، وَوَقْتُ الْجَزَاءِ. عَلِيمٌ، أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَغِيبُ عَنْهُ الْحَقِيرُ وَالْجَلِيلُ، مِمَّا عَمِلَهُ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ.

{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ } (الحجر : 26)

26- وَقَدْ خَلَقْنَا أَصْلَ الْإِنْسَانِ (آدَمَ) مِنْ طِينٍ يَابِسٍ، إِذَا نَفَرْتُهُ سَمِعَتْ لَهُ صَلْصَلَةً، مُتَّخِذٌ مِنْ طِينٍ مُنْتِنٍ.

{ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ } (الحجر : 27)

27- وَخَلَقْنَا الْجِنَّ قَبْلَ الْإِنْسِ، مِنْ نَّارٍ شَدِيدَةِ الْحَرَارَةِ.

{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ } (الحجر : 28)

28- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ: سَأَخْلُقُ إِنْسَانًا مِنْ تُرَابٍ، مِنْ طِينٍ مُنْتِنٍ.

{ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } (الحجر : 29)

29- فإذا أتممت خلقه، وجعلت فيه الروح⁽⁶⁵⁾، وصار بشراً سوياً، فاسجدوا له، سجد تحية وتكريم، لا سجد عبادة.

{ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ } (الحجر : 30)

30- وبعد أن نُفِخَ فِيهِ الرُّوحَ، سَجَدَ لَهُ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ، ولم يتأخروا،

{ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ } (الحجر : 31)

31- إلا إبليس، رفض أن يكون مع الملائكة الساجدين. والملائكة لا تعصي الله، ولذلك سجدت له كما أمر الله، وهي مخلوقة من نور، وإبليس من جنس آخر غير الملائكة، فهو مخلوق من نار { قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } [سورة الأعراف: 12].

{ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ } (الحجر : 32)

32- قَالَ اللهُ لَهُ: يَا إِبْلِيسُ، مَا الَّذِي مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِأَدَمَ كَمَا سَجَدَ لَهُ جَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ؟

(65) { وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي }؛ وجعلت فيه الروح حتى جرى آثاره في تجاويف أعضائه، فحيي، وصار حساساً متنفساً. (روح البيان).

قال النيسابوري: ولا خلاف في أن الإضافة في { رُوحِي } للتشريف والتكريم، مثل: (ناقة الله)، و (بيت الله). قال القرطبي: والروح جسم لطيف، أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم. وحقيقتها إضافة خلق إلى خالق، فالروح خلق من خلقه، أضافه إلى نفسه تشريفاً وتكريماً. (فتح القدير). وإسناد النفخ وإضافة الروح إلى ضمير اسم الجلالة تنويه بهذا المخلوق. (التحرير والتنوير).

{ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ } (الحجر : 33)

33- قال: ما كنتُ لأسجدَ لبشرٍ خلقتهُ مِن طِينٍ مُنْتِنٍ، وأنا أفضلُ وأشرفُ منه عُصْرًا (النَّار). قَالَ ذَلِكَ حَسَدًا وَبُغْضًا لِآدَمَ، وَعِنَادًا وَاسْتِكْبَارًا عَنْ قَبُولِ أَمْرِ اللَّهِ.

{ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ } (الحجر : 34)

34- قَالَ اللَّهُ لَهُ مَا مَعْنَاهُ: فَاخْرُجْ مِنَ الْجَنَّةِ، فَإِنَّكَ مَطْرُودٌ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَكَرَامَةٍ.

{ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ } (الحجر : 35)

35- وَإِنَّكَ مُبْعَدٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَتَلْحَقُكَ لَعْنَتُهُ وَلَعْنَةُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ جَزَاءَ عَصِيَانِكَ.

{ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } (الحجر : 36)

36- قَالَ إِبْلِيسُ: رَبِّي أَمْهَلْنِي وَلَا تُمَتِّنِي إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يُبْعَثُ فِيهِ آدَمُ وَدُرَيْشَتُهُ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

وهذا من تمام حسده وعداوته للإنسان، ليغويهم، فيبعدوا من رحمة الله، كما أبعدَهُ اللهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، فَيَكُونُ أَحَدَ بَثَّارِهِ.

{ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ } (الحجر : 37)

37- قَالَ اللَّهُ لَهُ تَفْسِيرًا: قَدْ أَمَهَلْتُكَ، فَأَنْتَ مِنْ جُمْلَةِ الْمُؤَخَّرِينَ،

{ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ } (الحجر : 38)

38- إِلَى يَوْمِ التَّفْخَةِ الْأُولَى، آخِرِ أَيَّامِ التَّكْلِيفِ، وَهُوَ يَوْمٌ مَعْلُومٌ، لَا يَبْقَى فِيهِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ حَيٌّ.

{ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } (الحجر : 39)

39- قَالَ إبليس: رَبِّي، لَأَتَّكَ أَضَلَّتَنِي وَطَرَدْتَنِي مِنْ رَحْمَتِكَ - وَلَمْ يَذْكُرْ عِصْيَانَهُ - فَسَوْفَ أُزَيِّنُ لِبَنِي آدَمَ الْقَبِيحَ حَتَّى يَعْتَرُوا بِهِ وَيَفْعَلُوهُ، وَأُحِبُّ إِلَيْهِمُ الْمَعَاصِيَ، وَأُرْعَبُهُمْ فِيهَا حَتَّى يَعْمَلُوهَا، وَأُضِلَّنَّهُمْ كُلَّهُمْ بِذَلِكَ،

{إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ} (الحجر : 40)

40- إِلَّا عِبَادَكَ الَّذِينَ أَحْلَصُوا لَكَ بِالطَّاعَةِ وَالتَّوْحِيدِ، وَاتَّقُوا خُرْمَاتِكَ، فَلَا أَقْدِرُ عَلَى تَضْلِيلِهِمْ.

{قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ} (الحجر : 41)

41- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مَا مَعْنَاهُ: هَذَا طَرِيقُ الْحَقِّ الَّتِي لَا تَحِيدُ عَنْهَا، فَالْحَقُّ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَيْهِ طَرِيقُهُ، وَلَا يَعْوجُّ عَلَيْهِ شَيْءٌ،

{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} (الحجر : 42)

42- فَإِنَّ عِبَادِي الْمَخْلِصِينَ الْمُتَّقِينَ لَا قُوَّةَ لَكَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَلَا مَدْخَلَ لَكَ إِلَيْهَا وَلَا سَبِيلَ. قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: مَعْنَاهُ: لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ تُلْقِيهِمْ فِي ذَنْبٍ يَضِيقُ عَنْهُ عَفْوِي. اهـ. إِنَّمَا سُلْطَانُكَ عَلَى مَنْ اتَّبَعَكَ وَرَضِيَ بِطَرِيقَتِكَ مِنَ الزَّائِعِينَ الشَّارِدِينَ، الَّذِينَ خُدِعُوا بِتَزْيِينِكَ الْبَاطِلَ لَهُمْ، وَاسْتَسَلَمُوا لِلشَّهَوَاتِ وَتَرَكَوا الْمَكْرُمَاتِ.

{وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ} (الحجر : 43)

43- وَإِنَّ جَهَنَّمَ تَنْتَظِرُ إبليسَ وَكُلَّ مَنْ اتَّبَعَهُ، فَقَدْ ضَلُّوا وَآثَرُوا الْغَوَايَةَ وَالشَّهْوَةَ، وَالحَدِيدَةَ وَالإفْسَادَ، عَلَى الإِيمَانِ وَالاستِقَامَةِ، وَالجِدِّ وَالصَّلَاحِ.

{هَآ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ} (الحجر : 44)

44- فهذه جهنم التي حُدِّروا منها، لها سبعة أبواب، لكل باب منها صنف من أتباع إبليس يلجون منه، فهم درجات تحت درجات، فهناك من ضلَّ، وهناك من ضلَّ وأضلَّ، ومن أضلَّ جماعةً، أو جيلًا، أو أجيالاً...

{ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ } (الحجر : 45)

45- أما المؤمنون المتقون، الذين امتثلوا أمر الله ولم يخالفوه، فهم في جنات واسعة، وأنهار وعيون تتفجر بالماء المعين.

{ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ } (الحجر : 46)

46- فادخلوا الجنة أيها المؤمنون بسلام وأمان، فلا آفة تُصيبكم، ولا موت يخترمكم، ولا خوف يعترىكم.

{ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ } (الحجر : 47)

47- ونزعنا من صدور المؤمنين ما كانوا يجدونه في الدنيا من حقدٍ وحسدٍ وعداوة، فصاروا في الجنة إخوانًا جالسين على أسرةٍ متقابلين، متحابين سالمين من تلك الشوائب النفسية.

{ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ } (الحجر : 48)

48- لا يُصيبهم في الجنة تعبٌ وأذى، وما هم بخارجين منها، بل مُخلِّدون فيها أبدًا.

{ نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَفْوُ الرَّحِيمُ } (الحجر : 49)

49- أخير عبادي أيها الرسول أنني أَعْفِرُ الذُّنُوبَ مهما كُثِرَتْ وكُثِرَتْ، وأرحمهم ولا أُعَذِّبهم بها إن هم تابوا وأحسنوا، فلا ييأسوا أبدًا.

{ وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ } (الحجر : 50)

50- وَأَنَّ عِقَابِي هُوَ الْعِقَابُ الْمُؤَلَّمُ الْمُوَجَّعُ، الَّذِي لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ، فَلْيَلْزِمُوا صِرَاطِي، وَلْيَتَّعِدُوا مِنْ سَخَطِي وَعِقَابِي.

وهكذا يَبْقَى الْعَبْدُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَالرَّهْبَةِ وَالرَّغْبَةِ، فَإِنَّهُ أَحْسَنُ لِتَرْبِيَةِ نَفْسِهِ.

{ وَنَبَّئْتُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ } (الحجر : 51)

51- وَخَبَّرْتَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ. وَكَانُوا مَلَائِكَةً، وَلَمْ يَعْرِفَهُمْ أَوْلَاءً.

{ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ } (الحجر : 52)

52- فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا لَهُ مُخَيَّبِينَ: سَلَامًا. فَرَدَّ عَلَيْهِمْ تَحِيَّتَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: نَحْنُ خَائِفُونَ مِنْكُمْ. وَذَلِكَ عِنْدَمَا قَدَّمَ إِلَيْهِمُ الطَّعَامَ فَلَمْ يَأْكُلُوهُ!

{ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ } (الحجر : 53)

53- قَالُوا لَهُ: لَا تَخَفْ، إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِمَوْلُودٍ ذَكَرَ، يَكُونُ ذَا عِلْمٍ غَزِيرٍ. وَالْمَقْصُودُ إِسْحَاقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

{ قَالَ أَبَشِّرْهُنِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَآ تُبَشِّرُونَ } (الحجر : 54)

54- قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَفْهِمًا مُتَعَجِّبًا: أَبَشِّرْتُمُونِي بِوَلَدٍ وَأَنَا عَجُوزٌ مُسِنَّةٌ، وَزَوْجَتِي عَاقِرٌ لَا تَلِدُ، فَبِأَيِّ شَيْءٍ تُبَشِّرُونِي بَعْدَ هَذَا؟

{ قَالُوا بِشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ } (الحجر : 55)

55- قَالُوا لَهُ: بِشَرْنَاكَ بِحَقٍّ وَبِقِيْنَةٍ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْيَائِسِينَ بِذَلِكَ.

{ قَالَ وَمَنْ يَفْقَنْطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ } (الحجر : 56)

56- فَقَالَ لَهُمْ: حَاشَا أَنْ أَقْنَطَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ، فَإِنَّهُ لَا يِيَّأَسُ مِنْ رَحْمَتِهِ إِلَّا الْخَاسِرُونَ الْمَحْطُطُونَ، الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ سَعَةَ رَحْمَةِ اللَّهِ وَكَمَالَ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، بَلْ أَرْجُو رَحْمَتَهُ وَأَنْتَظِرُ وَعَدَهُ.

{ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ } (الحجر : 57)

57- ثمَّ قَالَ لَهُمْ: فَمَا سَبَبُ مجيئِكُمْ أَيُّهَا الملائكةُ المرسلونَ سِوَى هذه البِشارة؟

{ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ } (الحجر : 58)

58- قالوا: لقدُ أرسلنا لإهلاكِ قومِ لوطِ المشركينَ المجرمينَ، الذينَ اتَّخذوا منَ الرِّجالِ شهوتَهُمْ دونَ النساءِ. وقدَّ نبيُّهُم عنَ هذا الفِعلِ الشَّنيعِ الذي لم يَسبِقْهُم إليه أحدٌ، فما انتهوا.

{ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ } (الحجر : 59)

59- إِلَّا آلَ بَيْتِ لوطِ، فَإِنَّا سَنُخَلِّصُهُمْ جَمِيعًا مِنَ العذابِ؛ لإيمانِهِم،

{ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ } (الحجر : 60)

60- إِلَّا امرأةَ لوطِ، التي كانتُ كافرةً، ففضَّينا أنَ تبقىَ معَ قومِها في العذابِ.

{ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ } (الحجر : 61)

61- فلَمَّا جاءَ الملائكةُ المرسلونَ إلى آلِ لوطِ، في صورةِ شبَّابٍ حسانِ الوجوهِ،

{ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنكَرُونَ } (الحجر : 62)

62- قالَ لَهُم لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّكُمْ جَماعَةٌ مَجْهُولونَ، لم نَعْرِفِكُمْ ولم نَرَكُم مِن قَبْلِ.

{ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بَمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ } (الحجر : 63)

63- قالوا: نحنُ ملائكةُ اللهِ، جِئناكَ بالعذابِ والهلاكِ الذي كنتَ تَتَوَعَّدُ بِهِ قَوْمَكَ المجرمينَ، وهمُ يُكذِّبونَكَ وَيَسْتَبِعِدونَ نُزولَهُ بِهِم.

{ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ } (الحجر : 64)

64- وَأَتَيْنَاكَ بِالْأَمْرِ الْمَحَقِّقِ الْمَتَيْقِنِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَهُوَ الْعَذَابُ وَالذَّمَارُ الَّذِي يَجِلُّ بِهِمْ، تَصَدِيقًا لَوَعْدِ اللَّهِ، وَنَحْنُ صَادِقُونَ فِيمَا نُخْبِرُكَ بِهِ.

{ فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ } (الحجر : 65)

65- فامضِ بأهلك بعدَ مُضِيِّ جُزْءٍ مِنَ اللَّيْلِ، وَكُنْ خَلْفَهُمْ تَتَفَقَّدُهُمْ وَتَحْفَظُهُمْ حَتَّى لَا يَتَأَخَّرَ أَحَدٌ مِنْهُمْ. وَلَا يَلْتَفِتْ أَحَدٌ مِنْكُمْ وَرَاءَهُ إِذَا سَمِعُوا الصَّيْحَةَ بِالْقَوْمِ وَالْعَذَابَ الَّذِي يَنْزِلُ بِهِمْ، وَامْشُوا فِي طَرِيقِكُمْ كَمَا يُطَلَّبُ مِنْكُمْ بَدُونَ تَرُدُّدٍ.

{ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ } (الحجر : 66)

66- وَأَطَّلَعْنَا لَوْطًا عَلَى مَا يُصِيبُ الْقَوْمَ مِنَ الْهَلَاكِ فِي وَقْتِ الصَّبَاحِ، نَسْتَأْصِلُ فِيهِ شَأْفَتَهُمْ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ.

{ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ } (الحجر : 67)

67- وَجَاءَ قَوْمٌ لَوْطٍ مِنَ الْمَدِينَةِ جَمَاعَاتٍ فَرِحِينَ، يُبَشِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لِيَعْمَلُوا الْفَاحِشَةَ بِضُيُوفِ نَبِيِّهِمْ، فِي فُجُورٍ وَرَذَالَةٍ مَكْشُوفَةٍ، وَارْتِكَاسَةٍ فِي الْحَيَاءِ وَشُدُودٍ.

{ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ } (الحجر : 68)

68- فَقَالَ لَهُمْ لَوْطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَأَنَّهُ يَتَلَمَّسُ مِنْهُمْ وَلَوْ شَيْئًا مِنَ الْأَدَبِ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جِئْتُمْ إِلَيْهِمْ ضُيُوفٌ عِنْدِي - قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ - فَدَعُّوا هَذَا الَّذِي عَزَمْتُمْ عَلَيْهِ وَلَا تَفْضَحُونِي أَمَامَهُمْ، فَإِنَّهُمْ سَيُفَاجِئُونَ بِمَا يُنْكَرُونَ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ، وَيَقُولُونَ إِنَّنِي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أحمِيَهُمْ، وَمِنْ حَقِّ الضَّيْفِ أَنْ يُكْرَمَ لَا أَنْ يُهَانَ!

{ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ } (الحجر : 69)

69- فحافوا الله وابتعدوا عن ضيوفي، ولا تتقصوني وتُخجلوني أمامهم، فإنهم في داري وذمتي، وأنا مسؤول عنهم.

{ قَالُوا أَوْلَم نُنْهَك عَنِ الْعَالَمِينَ } (الحجر : 70)

70- فقالوا له في جفاء وسوء أدب: ألم نمنعك من استضافة أحد من الناس؟

{ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ } (الحجر : 71)

71- ثم نبههم إلى الفطرة السليمة لعلهم ينتهون ويكفون عنه شرهم وقال: هؤلاء بناتي فتزوجوهن، فإنه أظهر لكم وأنظف من هذا العمل الفاحش الذي تبغونه. (تفصيله في الآية 78 من سورة هود).

{ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ } (الحجر : 72)

72- وكانوا غافلين عما يُراد بهم، وقد قرب هلاكهم. وحياتك أيها النبي إنهم في ضلالهم وغيهم يلعبون، وفي حيرتهم وسفههم يترددون⁽⁶⁶⁾.

(66) { لَعَمْرُكَ } : قسم من الله تعالى بحياة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو المشهور، وعليه الجمهور. و(العمُر) بالفتح والضم واحد، وهو البقاء، إلا أنهم خصوا القسم بالفتوح لإيثار الأحف؛ لأن الحلف كثير الدور على ألسنتهم، ولذلك حذفوا الخبر، وتقديره: لعمرك قسمي. (روح البيان).

أقسم تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا تشريف عظيم، ومقام رفيع، وجاء عريض. قال عمرو بن مالك البكري، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، أنه قال: ما خلق الله وما ذراً وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم، وما سمعتُ الله أقسم بحياة أحدٍ غيره. (ابن كثير).

{ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ } (الحجر : 73)

73- وجاءهم الحسْفُ والهلاك، فقد أرسل الله عليهم صيحةً مُدَوِّيةً قاصفةً رهيبَةً عند شروق الشمس.

{ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ } (الحجر : 74)

74- فقلبنا عليهم أرضهم، وجعلنا عالي مدينتهم في السُّفل، فصاروا تحت الأرض. وأمطرناهم بوابلٍ من طينٍ مُتَحَجَّرٍ مُتْرَاكِمٍ، مُعْلَمٍ مُمَيَّزٍ، لِيُصِيبَ كُلًّا بِاسْمِهِ. وقد أثبتت دراسات علوم الأرض أن طبقات الصُّخورِ في مِنطَقَةِ جَنُوبِ البَحْرِ المَيِّتِ - حيثُ سَكَنُهم - مَقْلُوبَةٌ رَأْسًا عَلَي عَقِبٍ، كما وردَ في الآيةِ الكريمة. وَذَكَرَ أَنَّهَا غَارِقَةٌ عَلَي عُمُقِ سِتَّةِ أمتارٍ تحت سطح المياه.

{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ } (الحجر : 75)

75- وإنَّ فيما أصابهم من نِقْمَةِ الله، وحلَّ بهم من دَمَارٍ وَخَرَابٍ، لَعِبْرَةٌ وَعِظَةٌ لِمَن تَأَمَّلَ وَتَفَرَّسَ فِي مِصَارِعِ الغَابِرِينَ، وَتَبَصَّرَ فِي أَحْوَالِ السَّابِقِينَ.

{ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ } (الحجر : 76)

76- وإنَّ آثارهم لثَنِيئٌ عَن حَالِهِم، وَهِيَ بِطَرِيقٍ وَاضِحٍ غَيْرِ خَفِيٍّ، وَقُرَاهِمُ فِي مِنطَقَةِ البَحْرِ المَيِّتِ يَمُرُّ بِهَا النَّاسُ.

{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ } (الحجر : 77)

77- وَفِي ذَلِكَ تَذَكُّرَةٌ تَنْفَعُ القُلُوبَ المُؤْمِنَةَ، الَّتِي تَتَدَبَّرُ وَتَعْتَبِرُ، وَتَعْلَمُ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ، وَأَنَّ عَذَابَهُ شَدِيدٌ.

{ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ } (الحجر : 78)

78- وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ مِنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ ظَالِمِينَ، بِشِرْكِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ نَبِيَّهِمْ.

والأَيْكَةَ: الشَّجَرُ الْمَلْتَفَّ. وكانوا أصحابَ بَسَاتينَ وغياباتٍ كَثِيفَةً.
ذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ أَنَّهُمْ أَهْلُ مَدْيَنَ عَلَى الصَّحِيحِ. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهُمْ غَيْرُهُمْ، وَأَنَّ شُعَيْبًا أُرْسِلَ
إِلَيْهِمَا.

{فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ} (الحجر : 79)

79- فانتقمنا منهم وأهلكناهم، في يومٍ كانَ عذابُهُ عَظِيمًا، ولم يَعتَبِرُوا بما أَصابَ قَوْمَ لُوطٍ،
وكانوا أَقْرَبَ إلى زَمَانِهِمْ. ومدُّهُمْ وآثارُهُمْ مثلُ مُدُنٍ وآثارِ قَوْمِ لُوطٍ، في طَرِيقٍ واضِحٍ بَينَ
الحِجَازِ والشَّامِ، وَيَعتَبِرُ بها مَنْ كانَ ذا فَهْمٍ وتَدَبُّرٍ.

{وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ} (الحجر : 80)

80- وقد كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ - وهُم قَبِيلَةُ ثَمُودَ - رُسُلَنَا، عَندَما كَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ صالِحًا عَلَيهِ
السَّلامِ، فالرَّسالةُ واحِدةٌ، وَمَنْ كَذَّبَ واحِدًا فَقَدْ كَذَّبَ الكُلَّ، وهُوَ يُمَثِّلُهُمْ في عَصْرِهِ عَلَيهِ
السَّلامِ.

{وَأَتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} (الحجر : 81)

81- وأَيَّدنا رُسولَنا صالِحًا بالمعجِزاتِ، فَأَتيناهاهُمُ الناقَةَ، وقد جَاءَتْ مِنْ عَندِ اللَّهِ ولم يَمَلِكها
أحدٌ. وطلبَ مِنْهُمُ رُسولُهُمُ أَلَّا يُؤدُّوها، ولكنَّهُم عَتَوْا وَتَجَرَّروا وعَقَرُوها.

{وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ} (الحجر : 82)

82- وكانوا غِلاظًا جُفَاءً أَشَدَّاءَ، يَنْحِتُونَ بَيوْتَهُمُ مِنَ الجِبالِ، مِنْ غَيرِ حَاجةٍ إِلَيها تُذَكِّرُ، بلْ
أَشْرًا وَعَبَثًا، وَيَعيِشُونَ آمِنِينَ.

وآثارُهُمُ ما زالتِ مَوجودَةً، وتُعرَفُ بِمَدائِنِ صالِحِ، في بِلادِ الحَرَمينِ.

{فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ} (الحجر : 83)

83- فلَمَّا عَصَا رَسُولَهُمْ، أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِصَيْحَةٍ قَوِيَّةٍ مُفْزِعَةٍ فِي الصَّبَاحِ، حَيْثُ السُّكُونُ وَالهُدُوءُ.

{فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (الحجر : 84)

84- فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ أَمْنٍ وَبُيُوتٍ حَصِينَةٍ، وَلَمْ يَدْفَعْ بَلَاءَ اللَّهِ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَزُرُوعَهُمْ وَخَزَائِنَهُمْ...

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} (الحجر : 85)

85- وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ عَبَثًا وَجُزْأًا، بَلْ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَمَا فِيهِمَا مِنْ مَخْلُوقَاتٍ شَتَّى وَنِظَامٍ دَقِيقٍ، وَتَدْبِيرُهَا بِحِكْمَةٍ - فَلَا يَعْتَرِيهِمَا ضَعْفٌ وَخَلَلٌ وَفَوْضَى - يُنْبِئُ عَنْ قُوَّةٍ وَعِظْمَةٍ وَإِبْدَاعٍ.

وَالسَّاعَةُ قَادِمَةٌ لَا مَحَالَةَ، وَهِيَ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي يُقِيمُهُ اللَّهُ تَعَالَى، حَتَّى لَا تَبْقَى مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ، وَحَتَّى لَا يَفُوتَ أَحَدًا أَجْرٌ وَثَوَابٌ عَمَلُهُ فِي الدُّنْيَا، فَلَيْسَ مِنَ الْحَقِّ أَنْ يَمُوتَ الظَّالِمُ وَلَمْ يُعَاقَبْ، وَلَمْ يَأْخُذِ المَظْلُومُ مِنْهُ حَقَّهُ، وَلَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يَمُوتَ المَظْلُومُ بِمَظْلَمَتِهِ وَلَمْ يَنْتَصِرْ لَهُ أَحَدٌ. وَاللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَالْعَدْلُ الَّذِي يُعْطِي الْحُقُوقَ لِأَصْحَابِهَا يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ. فَاعْفُ عَنِ النَّاسِ أَيُّهَا الرَّسُولُ، وَاصْفَحْ عَمَّنْ آذَاكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَاحْلُمْ عَلَيْهِمْ بِإِحْسَانٍ مِنْكَ وَإِكْرَامٍ.

قالوا: وهذا كان قبل تشريع القتال.

{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} (الحجر : 86)

86- إِنَّ رَبَّكَ خَلَّاقٌ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَسَيَأْتِي بِيَوْمِ الْحِسَابِ بِقُدْرَتِهِ. وَهُوَ عَلِيمٌ بِأَحْوَالِ النَّاسِ وَأَعْمَالِهِمْ، قَدْ أَحْصَاهَا عَلَيْهِمْ، وَكُلُّ يُحَاسَبُ وَيُجَازَى، وَيَأْخُذُ حَقَّهُ الْكَامِلَ، بِحُكْمِ اللَّهِ وَعَدْلِهِ.

{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} (الحجر : 87)

87- وقد أنزلنا عليك السبع المثاني، وهي سورة الفاتحة، كما صحَّ عند البخاري، فهي سبع آيات، وهي تُتلى في الصلاة، أو يُثنى فيها على الله عزَّ وجلَّ. وكذلك أنزلنا عليك سائر القرآن.

وقد خُصَّت الفاتحة بالذكر لفضلها، وعِظَم نفعها وأجرها، وهي تُسمى كذلك "أمَّ القرآن"، لأنها أصل القرآن.

{لَا تُمَدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} (الحجر : 88)

88- واستغن بهذا القرآن العظيم - أيها النبي - عن أعراض الدنيا الزائلة، ولا تُتابع فكرك ولا تُدِمَّ نظرك إلى هذا الذي مَتَّعنا به أصنافاً من المشركين وأهل الكتاب من الأغنياء، من المال والولد والنسوة، فإنما هو ابتلاء وامتحان لهم، ولذَّة مؤقتة تزول. ولا تغتم لعدم إيمانهم، ولا تحزن لما ينتظرهم من عذاب، فقد كذبوك ورفضوا الإيمان برسالتك، فهم أهل لما يُصيبهم من عقوبة.

وألن جانبك لإخوانك المؤمنين، وتواضع لهم وارفق بهم، فهم الذين يستحقون منك البر والاهتمام، لا هؤلاء المستكبرون المعاندون.

{وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ} (الحجر : 89)

89- وقل للناس أيها النبي: إني أرسلت إليكم لأنذركم وأخوِّفكم من عذابٍ إن أنتم رفضتم دعوة الله، وإنذاري لكم حق لا يُنكر، وواضح بيِّن لا يخفى.

{كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ} (الحجر : 90)

90- وقد آتيناك القرآن العظيم، كما أنزلنا على أهل الكتاب كتباً سماوية، المتحالفين على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم.

{ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ } (الحجر : 91)

91- الذين جعلوا القرآنَ متفرقاً مجزئاً، فأمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه الآخر، وكانَ عليهم أن يتقبلوه، لأنه مثل التوراة والإنجيل من عند الله.

{ فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّكَ أَجْمَعِينَ } (الحجر : 92)

92- فوَرَبِّكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ سَنَسَأَلُهُمْ كُلَّهُمْ، هؤلاء المتحالفين وغيرهم من ملة الكفر.

{ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (الحجر : 93)

93- وحاسبهم على ما عملوه في الدنيا: ماذا عبدوا، وماذا أحابوا المرسلين؟

{ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } (الحجر : 94)

94- فاجهر بما أمرت به من إظهار هذا الدين وتبليغه، وأمضه، ولا تأبه بما يقول المشركون، ولا ثبال بمكائدهم.

{ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ } (الحجر : 95)

95- ولا تخف أحداً من المستهزئين بك، الساخرين منك ومن القرآن، فقد كفيناك إيأهم، وحفظناك منهم، فلا يقديرون على أذيتك. وكانوا بجموعه من أشقياء مكة وأشرارها.

{ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } (الحجر : 96)

96- الذين يعبدون مع الله أصناماً ويدعون أنها آلهة، فسوف يعلمون مصيرهم، والعذاب الذي كان مدخراً لهم.

{ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ } (الحجر : 97)

97- ونحن نعلم أيها الرسول أنك تتحسر وتغتم من كلمات الشرك والاستهزاء التي يتلفظ بها المشركون.

{ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّن السَّاجِدِينَ } (الحجر : 98)

98- فالجأ إلى الله عندما يضيق صدرك بذلك، بتضرعٍ وخشوع، واحمده واثن عليه بما هو أهله، ونزهه عما يقول فيه المشركون من شركٍ ونقصٍ وعيب.

{ وَاَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } (الحجر : 99)

99- ودُم على عبادة ربك وطاعته، حتى يأتيك الموتُ المتيقنُ منه.

سورة النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } (النحل : 1)

1- أمر الله بالعذاب أو بالساعة آت لا محالة، وقد قضي أمره وانتهى أيها المشركون، فلا تستعجلوا ما أوعدكم به نبيكم من ذلك، فإنه كائن في وقته المقدر له، وتعالى الله وتقدس عما يشرك به المشركون من أوثان وأنداد، وهو سبحانه منزه عن افتراءاتهم وتصوراتهم الفاسدة.

{ يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ } (النحل : 2)

2- والله ينزل الملائكة بالوحي من أمره على عباد له اختارهم للنبوة، ليذروا الناس ويعلموهم أنه لا معبود بحق في الوجود سواي، فاتقوا عذابي بالإيمان ونبذ الشرك.

{ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } (النحل : 3)

3- هو الذي خلق السماوات والأرض وما فيهما بالحق والعدل، لا باطل فيه ولا لعب، وكل ما فيهما ينطق بوحداية الله وقدرته وإبداعه، وقد خلقنا لحكمة وغاية.

{ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ } (النحل : 4)

4- وهو الذي خلق الإنسان من مني ضعيف مهين، فإذا به عندما يكبر يُخاصم ربه بالباطل في وجوده ووحدايته، ويكذبه في وحيه وآياته، وقد خلق عبدا مملوكا لربه.

{ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ } (النحل : 5)

5- وهو الذي خلق لكم الأنعام، من إبلٍ وبقرٍ وغنمٍ ومعزٍ، لتكون لكم دِفئًا، في أصوافِها وأوبرِها وأشعارِها وجلودِها، تلبسوها وتفتشونها وتلتحفون بها، وتأكلون من لحومِها، وتشربون من ألبانِها، وتناجرون بها...

{وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ} (النحل : 6)

6- وعلى هذه الحيوانات مُسحةُ جمالٍ وزينةٌ تُبهجُ نفوسكم وتريحُ أنظاركم، حينَ تردُّونها عشيًّا من المرعى إلى مَبارِكها لتستريح، وحينَ تُرسلونها بالعادةِ إلى المرعى لتسرح.

{وَتَحْمِلُ أُنْفُسَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ}

(النحل : 7)

7- ومن هذه الحيوانات ما تَحْمِلونَ عليها أحمالكم الثَّقيلةَ إلى بلادٍ بعيدة، وتَعَجِزونَ عن حَمْلِها بأنفسكم، وإذا فعلتُم ذلكَ وجدتُم مشقةً بالغةً حتى تَصِلوا إليها، كالحجِّ، والغزو، والتجارة... وإنَّ ربَّكم الذي سَخَّرَ لكم هذه الحيوانات، وهيأها للإطعام والرُّكوب والتَّحميل، ذو رَحمةٍ كبيرةٍ بكم.

{وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (النحل : 8)

8- وخلق لكم الخيل، والبغال، والحَمير، وهي أكثرُ الحيواناتِ استخدامًا للرُّكوب، لمسافاتٍ قَريبةٍ وبعيدة، وتَتَّخِذونَ منها زينةً، في بيوتكم، أو في حدائقِ الحيوانات، أو في مواكِبِ لكم، تَمْتَعونَ بالنظرِ إلى صَوَرِها وحركاتِها وسلوكِها.

ويَخْلُقُ اللهُ ما لا تَعْرِفونَهُ مِنَ الأحياء، وما لم تَسْمَعوا به ولم يُحِطْ به إدراككم، في بلادٍ وأزمانٍ أخرى.

{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} (النحل : 9)

9- وعلى الله تَبْيِينُ الطَّرِيقِ المُستَقِيمِ الذي لا يَحِيدُ عن الحقِّ، فلا يَلْتَوِي ولا يَنْحَرِفُ، ومنَ الطَّرِيقِ ما هو مُنْحَرِفٌ زائِعٌ عن الحقِّ، كاليهودية والنصرانية، ولو أراد اللهُ لجمعكم على مِلَّةٍ

التَّوْحِيدِ وَالزَّمَكَمَ بِهَا، وَسَيَكُونُ ذَلِكَ بِغَيْرِ اخْتِيَارِكُمْ، لَكِنَّ اللَّهَ شَاءَ أَنْ يُعْطِيَكُمْ حَرِيَّةَ الْاِخْتِيَارِ، لَتَكُونُوا مَسْئُولِينَ عَنِ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَخْتَارُونَهَا، وَسَوْفَ تُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا.

{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ } (النحل: 10)

10- هُوَ اللَّهُ رَازِقُكُمْ وَالْمَنْعِمُ عَلَيْكُمْ، الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ الْمَطَرَ، فَتَشْرَبُونَ الْمَاءَ الَّذِي يَجْتَمِعُ مِنْهُ، وَتَسْقُونَ بِهِ أَشْجَارَكُمْ وَزُرُوعَكُمْ وَنَبَاتَاتِكُمْ، وَتَرْعُونَ فِيهَا مَوَاشِيَكُمْ.

{ يُبَيِّتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (النحل: 11)

11- وَيُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ بِهَذَا الْمَاءِ مَا يَكُونُ مَعَاشًا لَكُمْ، مِنَ الزَّرْعِ بِأَنْوَاعِهَا، وَالزَّيْتُونَ، وَالنَّخِيلَ، وَالْأَعْنَابَ، وَغَيْرِهَا مِنْ أَنْوَاعِ الثَّمَرَاتِ، وَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى تَدْبِيرِ اللَّهِ لِهَذَا الْكَوْنِ، وَعَلَى قُدْرَتِهِ وَإِبْدَاعِهِ فِي الْخَلْقِ، لِمَنْ تَفَكَّرَ وَتَدَبَّرَ، وَنَظَرَ فَاعْتَبَرَ.

{ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (النحل: 12)

12- وَذَلَّلَ اللَّهُ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، يَخْلُفُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، اللَّيْلُ بَهْدْوَيْهِ لِسَكِينِكُمْ وَمَنَايِكُمْ، وَالنَّهَارُ بِضِيَائِهِ وَحَرَارَتِهِ لِعَمَلِكُمْ وَمَعَاشِكُمْ. وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ فِي حَرَكَةٍ دَائِمَةٍ، لِيَتَشَكَّلَ مِنْ سَيْرِهِمَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارَ، وَيَسْتَفِيدَ مِنْهُمَا الْإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ، وَلَا غَنَى لَهُ عَنْهُمَا. وَهَذِهِ النُّجُومُ بِأَعْدَادِهَا الْكَثِيرَةِ، وَأَجْرَامِهَا الْمُضِيئَةِ، وَحَرَكَاتِهَا الدَّائِبَةِ فِي مَدَارِهَا، مُدَلَّلَاتٌ بِأَمْرِهِ، يَتَصَرَّفُ فِيهَا وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، وَفِي ذَلِكَ كُلُّهُ أَدِلَّةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ، لِمَنْ فَهَمَ وَتَدَبَّرَ، وَعَقَلَ فَوَعَى.

{ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ } (النحل: 13)

13- وكذلك ما خلقه الله لأجلكم في الأرض، من حيوانٍ ونباتٍ ومعادنٍ، أصنافاً مُتعدِّدةً ولقوائدٍ مُختلفةً، وفي ذلك حُججٌ وأدلةٌ على وجودِ خالقٍ لها، مُتَّصِفٍ بِكَمالِ العِلْمِ والقُدرةِ والخالقِ، وهذا يُفيدُ مَنْ تذكَّرَ وتدبَّرَ، واتَّعَظَ واعتَبَرَ.

{ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَآكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } (النحل : 14)

14- وهو الذي سَخَّرَ لكم البحرَ وما فيه، لتأكلوا اللحمَ الطريَّ اللذيذَ مِنَ البحرِ المالحِ، من أنواعِ أسماكِهِ وحيواناتِهِ البحريَّةِ، أو ليحفظَ ويُمَلِّحَ ويبرِّدَ ويوزِّعَ، فتستفيدَ منه أُمَّمٌ. ولتستخرجوا منه أنواعَ الخليِّ، من اللؤلؤِ والمرجانِ، والقواقعِ والأصدافِ، تتزيَّنونَ بها وتَتَجَمَّلونَ.

وترى السفنَ والبواخرَ تشقُّ الماءَ وتسيرُ عليه، والله هو الذي جعلَ في البحرِ خاصيةً تحمِلُ السفنَ لتطفوَ فوقها، فتستخدِمونها في شؤونِكُمْ، وتبتغونَ بها الرِّزقَ من فضلِ ربِّكم، ولتشكروهُ على ما أنعمَ به عليكم، وسهَّلَ لكم الانتفاعَ به، ولتطيعوهُ وتوحِّدوهُ.

{ وَاللّٰهُ فِي الْاَرْضِ رَواسِيْ اَنْ تَمِيْدَ بِكُمْ وَاَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَ } (النحل : 15)

15- والله الذي ألقى في الأرضِ الجبالَ الثَّابِتَةَ لتحفظَ توازنَ الأرضِ بأمرِهِ، فلا تتحرَّكَ ولا تضطربَ. وشقَّ فيها أنهارًا تنبعُ من أماكنٍ مُختلفةً، وتسيرُ بينَ البُلدانِ لتسقيَ الزُّروعَ والمواشيَ، وليُستفادَ منَ مخزِنِها وطاقتِها. وجعلَ في الأرضِ كذلكَ طرقًا يسيرُ فيها النَّاسُ حتَّى بينَ الجبالِ، وتوجدُ طرقٌ تجاريَّةٌ معروفةٌ منذُ القدمِ، منها ما يُستخدَمُ حتَّى الآنَ، وإنِ اختلفتِ الوسائلُ؛ لتهتدوا بها في سيرِكُمْ منَ بلدٍ إلى آخرِ.

{ وَعَلٰمَاتٍ وَّ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُوْنَ } (النحل : 16)

16- وجعلَ في الأرضِ دلائلَ ومعالمَ تكونُ علاماتٍ على الطُّرُقِ، منَ جبالٍ بأحجامِها وأشكالِها المُختلفةِ، ومناهِلٍ وتلالٍ ظاهرةٍ، يَهْتَدِي بها المسافِرونَ في البرِّ والبحرِ، كما يَهْتَدُونَ بالنُّجومِ في ظلامِ اللَّيْلِ منَ خلالِ أماكنِها ويعرفونَ بها الجِهاتِ.

{ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } (النحل : 17)

17- أفمن يَخْلُقُ كُلَّ هذا - ولا يَقْدِرُ على الخَلْقِ إِلَّا اللهُ - كالذي لا يَخْلُقُ، بل لا يَقْدِرُ على الحركة، ولا يَفْهَمُ ولا يَنْطِقُ، ولا يَسْمَعُ ولا يَعِي؟ فكيف تَعْتَقِدُونَ بهذه الأصنام أيُّها المشركون؟ أم كيف تُشْرِكُونَهَا مع الله؟ أفلا تُلَاحِظُونَ وتُقَارِنُونَ؟ ألا تَعْقِلُونَ وتَتَدَبَّرُونَ؟

{ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ } (النحل : 18)

18- وَنِعْمَ اللهُ وَفَضَائِلُهُ كَثِيرَةٌ وَفَائِضَةٌ عَلَيْكُمْ، مِمَّا ذُكِرَ وَمِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ، وَإِذَا حَاوَلْتُمْ عَدَّهَا فَلَنْ تُحْصُوهَا وَلَنْ تَضْبِطُوا عَدَّهَا، وَأَنْتُمْ غَافِلُونَ عَنْ أَكْثَرِهَا، وَلَوْ حَاسِبَكُمْ اللهُ عَلَى شُكْرِ جَمِيعِهَا لَعَلَبَكُمْ الحِسَابَ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَغْفِرُ لِعِبَادِهِ وَيَعْفُو عَمَّا بَدَرَ مِنْهُمْ مِنْ عَدَمِ القِيَامِ بِحَقُوقِهَا، وَيَرْحَمُهُمْ بِإِدَامَةِ هَذِهِ النِّعَمِ عَلَيْهِمْ.

{ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ } (النحل : 19)

19- وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ فِي نَفُوسِكُمْ مِنْ عَقَائِدَ وَأَفْكَارَ، كَمَا يَعْلَمُ مَا تُظْهِرُونَ مِنْهَا، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

{ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ } (النحل : 20)

20- وهذه الأصنام التي يَتَّخِذُهَا المشركون آلهة، لا يَقْدِرُونَ على خَلْقِ شَيْءٍ، بل هم مَخْلُوقُونَ وَيُصْنَعُونَ، ولا يَشْعُرُونَ بِعِبَادَةِ المشركين لهم.

{ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ } (النحل : 21)

21- فهم جامِدُونَ لا حَيَاةَ فِيهِمْ ولا رُوحَ، فلا يَسْمَعُونَ ولا يَرَوْنَ، ولا يَجْلُبُونَ خَيْرًا ولا يَدْفَعُونَ شَرًّا، ولا يَدْرُونَ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ، فكيف يُرْتَجَى نَفْعُهُمْ أو ضَرُّهُمْ؟

{إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ} (النحل : 22)

22- إنما إلهكم وخالقكم هو الله الذي لا إله غيره، ولا شريك له، والذين كفروا بالبعث والجزاء قلوبهم جاحدة للوحدانية، مستكبرة، لا تتقبل الآيات الواضحة والأدلة الصحيحة على ذلك.

{لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ} (النحل : 23)

23- حقا إن الله مطلع على ما يضمروا هؤلاء الكافرون من الإنكار، وما يظهره من الاستكبار، والله يبغض المستكبرين الذين يتعالون على الحق، فلا يرحمهم منهم اقتناع وإيمان.

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْحُقُوقَ أَلَمْ تُبْهِنُوا وَتَتَذَكَّرُونَ} (النحل : 24)

24- وإذا قيل لهؤلاء المستكبرين الضالين: ما الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: ما هذا الذي يُتلى علينا سوى خرافات وحكايات شعبية باطلة مُسطرة في كتب المتقدمين، وليست وحيًا.

{لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ بَغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا خُبْرٍ} (النحل : 25)

25- قالوا هذا بدون تدبر ولا مبالاة، وسيحملون مسؤوليتهم قولهم هذا وما يترتب عليه، فسيحملون أثام مكابرتهم وضلالهم كاملة يوم القيامة، مع حمل ذنوب من أضلّوهم، فقد كانوا يُزيّنون لهم الكفر، أو يمنعونهم من الإيمان، وصار أتباعهم والمتأثرون بهم يُقلّدونهم بعدما ماتوا، وهم لا يعلمون ولا يشعرون بأن أعمال المقلدين السيئة تُكتب في صحائفهم أيضًا، فقد كانوا هم سببها، وسيعلمون ذلك يوم الحساب. فبئس ما يرتكبونه ويحبونه لأنفسهم من ذنوب، تؤدّي بهم إلى الجحيم.

{قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ
وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} (النحل : 26)

26- لقد احتال كثير من قبلهم لإضلال الناس وصرفهم عن الدين الحق، ولكن الله أهلكتهم، وهدم ما شادوه مما كانوا يفتخرون به، من قُصورٍ عالية، وبنيات ذات أُسسٍ متينة وقواعدٍ صلبة، فهدمت الأساسات الضخمة، والسقوف العالية المتينة، وأطبقت عليهم، فصدمتهم العذاب وحققهم من أعلى ومن أسفل، من حيث لا يخطر لهم على بال، فصاروا أنقاضاً تحت أنقاض، لا صوت لهم ولا حركة فيهم.

{يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ آيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ} (النحل : 27)

27- وفي يوم القيامة يكون عقابهم أكبر، فيذئهم الله ويهينهم على رؤوس الخلق، ويقول لهم تباكيتا وتوبيخا: أين هم شركائي الذين كنتم تعبدونهم وتُدافعون عن ألوهيتهم أمام الأنبياء والناس، ليتصبروا لكم ويخلصوكم من عذابي؟ قال أهل العلم والإيمان من الأنبياء والمؤمنين في الموقف: إن العار والعذاب اليوم على أهل الكفر والضلال.

{الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ
اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (النحل : 28)

28- هؤلاء الذين تأتي إليهم الملائكة المكلفة بقبض الأرواح، وهم في ساعة الاحتضار، وقد ظلموا أنفسهم بكفرهم وعصيانهم، يستسلمون لهم ويظهرون السمع والطاعة، ويقولون وهم في موقف ذل وإهانة: ما كنا نعمل عملاً سيئاً، ولا ارتكبنا خطأ! بلَى أيها المشركون، إن الله عليم بما كسبتم من سوء وضلال وفجور، وسيجازيكم على كل ذلك.

{فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ} (النحل : 29)

29- فادخلوا جهنم، من أبوابها المعدة لكل صنف منكم، بما كسبتم من أعمال سيئة، ما كثر فيها أبداً، وبئس المستقر والمقام لمن تكبر على الله ولم يقرب بوحدايته، الذي ليس فيه سوى العذاب والهوان.

{ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ } (النحل : 30)

30- وقيل للمؤمنين السعداء: ماذا أنزل ربكم على محمد صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: أنزل خيراً ورحمة وبركة. ولمن آمن وعمل صالحاً في هذه الحياة الدنيا مثوبة حسنة وحياة طيبة، وفي يوم القيامة جزاء أفضل وحياة أنعم وأهنأ مما أوتوا في الدنيا، ونعم الدار الآخرة لمن اتقى ربه وصبر على طاعته.

{ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ
الْمُتَّقِينَ } (النحل : 31)

31- لهم جنات معدة لإقامة دائمة، يدخلونها ويسكنون فيها فرحين مبتهجين، تُزيتها الأنهار جارية بين قصورها وأشجارها، ولهم فيها ما يشاءون من أنواع المطعومات والمشارب والثمار اللذيذة. ويمثل ذلك الثواب الكبير يجزي الله به عبادة المؤمنين الصالحين.

{ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }
(النحل : 32)

32- الذين يأتي إليهم ملائكة الموت فيقبضون أرواحهم وقد طابت نفوسهم بقاء الله، وطهرت وزكت بالعلم والإيمان، قائلين لهم ترحيباً بهم: "سلام عليكم"، فلا خوف عليكم ولا أذى يصيبكم، ادخلوا الجنة جزاء عملكم الطيب وصبركم على طاعة ربكم.

{ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا
ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } (النحل : 33)

33- ما يَنْتَظِرُ هؤلاءِ المشركونَ إلا أنْ تأتيَ ملائكةُ الموتِ فتقبضَ أرواحَهُم وهم مُستَمِرُّونَ في ضلالِهِم، أو يأتيَ أمرُ الله بقيامِ السَّاعَةِ وهم قائمونَ على ذلك. وكذلك كانَ أمرُ مَنْ سَبَقَهُم منَ أهلِ الشُّركِ، الذينَ اغتَرَبُوا بالدُّنيا وتَمَادَوْا في الباطلِ، حتَّى حَلَّتْ بِهِم نِقْمَةُ اللهِ وذاقُوا عَذَابَهُ. وما ظَلَمَهُم اللهُ بهذا، فقدَ أُنذِرُوا منَ قَبْلِ رُسُلِهِ، وجاءتْهُمُ المعجِزاتُ، والكتُوبُ، فكفَرُوا وعصَوا، فكانَ ما أصابَهُم بسببِ نُفوسِهِم الظالِمَةِ، التي أَصَرَّتْ على تَكْذِيبِ رُسُلِ رَبِّهَا، واستَمَرَّتْ في غِيَّهَا، مُصِرَّةً على باطلِهَا، غَيْرَ آهِةٍ بِعَوَاقِبِهَا.

{ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } (النحل : 34)

34- فنزلتْ بِهِم عُقُوبَةُ أَعْمَالِهِم، جزاءَ غِيَّهِم وظُلْمِهِم لأنفُسِهِم، وسُوءِ اختيَارِهِم وَعَدَمِ تدبُّرِهِم، وأحاطَ بِهِم عَذَابُ اللهِ، وقد كانوا يستبعدونه ويسخرون بالرسُلِ إذا توعدوهم به.

{ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } (النحل : 35)

35- وقالَ المشركونَ مُحْتَجِّينَ بالقَدَرِ: لو أَرَادَ اللهُ لما عَبَدْنَا معَهُ الأصنامَ، نحنُ ولا آبَاؤُنَا، ولا حَرَمْنَا شَيْئًا مِمَّا نُحَرِّمُهُ الآنَ، ولكنَّهُ شَاءَ ذلكَ، وإذا شَاءَ أمرًا فهوَ يَعْنِي مَشْرُوعِيَّتُهُ وِرِضاهُ عِنْدَهُ، ولذلكَ فَإِنَّ ما نحنُ عَلَيْهِ صَحِيحٌ وَمَشْرُوعٌ!

وهذا كَذِبٌ وَجَدَلٌ عَقِيمٌ، وقد افترى مِثْلَ هذا الكَذِبِ أُمَّمٌ كَافِرَةٌ ضَلَّتْ قَبْلَهُم وَعَاقَبَهُم اللهُ. أما بَلَغَ الرُّسُلُ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ بِشَكْلِ واضِحٍ جَلِيٍّ، وفيها إنكارٌ لِعَمَلِ المشركينَ، وَهَيَّيْ عَنْ مُعْتَقَدَاتِهِم، وَتَنبِيهُهُ إِلَى ضَلالِهِم، وَإِنذارٌ لَهُم وَتَذْكِيرٌ، وَأَنْتُمْ كَذَلِكَ أَيُّهَا المشركونَ، وَاللهُ لا يَرْضَى بِكُفْرٍ وَلَا شِرْكِ، فَكَيْفَ تُحِيلُونَ شِرْكَكُمْ إِلَيْهِ؟!

{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ } (النحل : 36)

36- وقد أرسلنا لكل أمة من الأمم السابقة رسولا يأمرهم بعبادة الله وحده، واجتناب كل ما عداه من وثنية وضلال وفكر لا يوافق دين الله.

فمن هذه الأمم من هداهم الله إلى الحق بعد إنذار الرسل، فاستجابوا لنداء ربهم والتزموا بأحكام دينه، ومنهم من أبى فكفر وأتبع طريق الطاغوت، فثبتت عليهم الضلالة.

"وهذا الفريق وذلك، كلاهما لم يخرج على مشيئة الله، وكلاهما لم يقسره الله قسرا على هدى أو ضلال، إنما سلك طريقه الذي شاءت إرادته الله أن يجعل إرادته حرة في سلوكه، بعدما زودته بمعالم الطريق في نفسه وفي الآفاق"، كما قاله صاحب "الظلال".

فامشوا في الأرض - أيها المكذبون المستهزؤون - مفكرين معتبرين من آثار السابقين وأحداثهم وقصصهم، وما حل بهم من عقوبة ونكال، جزاء كفرهم وتكذيبهم أنبياءهم، مع ما ينتظرهم من عذاب في الآخرة.

{ **إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ** } (النحل : 37)

37- ومهما كنت متألما أيها النبي لما ينتظرهم نتيجة إصرارهم على الكفر، وحريصا على هدايتهم وإيمانهم، فاعلم أن حرصك هذا لن ينفعهم شيئا، إنما وظيفتك البلاغ، والله لا يهدي من اختار طريق الضلالة، ولا يقسرهم على الإيمان، وسوف يلقون جزاء تقليدهم وسوء اختيارهم ومكابرتهم عن اتباع الحق، ولن تجد من ينتصر لهم ويخلصهم من عذاب الله يوم القيامة.

{ **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ بَلَى وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** } (النحل : 38)

38- وأقسم المشركون بالله قسما عظيما مبالغا فيه، أن الله لن يبعث أحدا بعد موته، فلا حياة بعد الموت عندهم، ولا حساب على الأعمال، ولا ثواب ولا عقاب. فإذا مات الظالم، والخائن، والقاتل، والسارق، ولم يؤخذ حق الناس منهم في الدنيا، مات كما يموت المظلوم

والعادِلُ وَغَيْرُهُ! وَلَوْ كَانَ خَائِنَ وَطَنٍ، أَوْ قَاتِلَ مَلَائِينَ الْبَشَرِ، أَوْ آكِلَ أَمْوَالِ فُقَرَاءٍ وَبِتَامَى،
وَخَزَائِنُهُ مَمْلُوءَةٌ بِالْمَالِ وَالذَّهَبِ...!!

بلى، وَعَدَاً صَادِقًا وَحَقًّا ثَابِتًا عَلَى اللَّهِ الْحَكْمِ الْعَدْلِ، أَنْ يَبْعَثَ مَنْ يَمُوتُ، لِيَتِمَّ الْجَزَاءُ عَلَى
أَكْمَلِهِ، وَيُعَاقَبَ الْمَجْرِمُ، وَيُثَابَ الْمُحْسِنُ. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، لَجَهْلِهِمْ بِحِكْمَةِ
اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ.

{ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ } (النحل: 39)

39- لِيُبَيِّنَ اللَّهُ لَهُمْ حَقِيقَةَ مَا كَانُوا يُخْتَلِفُونَ فِيهِ، وَالْحَقُّ الَّذِي خَالَفُوهُ، مِمَّا كَانَ الرَّسُلُ يَدْعُوهُمْ
إِلَيْهِ، وَ { لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى } {سورة النجم:
31}. وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ فِي حَلْفِهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ لَنْ يَبْعَثَ
أَحَدًا.

{ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } (النحل: 40)

40- وَقَدْ غَفَلَ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكُونَ عَنْ قُدْرَةِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ، وَأَنَّ خَلْقَ شَيْءٍ أَوْ إِعْدَامَهُ مِنْ قِبَلِهِ لَا
يَحْتَاجُ سِوَى إِلَى أَمْرِهِ بِهِ، فَيَكُونُ كَمَا أَرَادَ، دُونَ تَأْخِيرٍ، وَلَا يُكَلِّفُهُ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - وَقَفًا أَكْثَرَ
إِنْ كَانُوا كَثُرًا { مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كَنْفُسٍ وَاحِدَةٍ } [سورة لقمان: 28].

{ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا نُجْزِيَ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } (النحل: 41)

41- وَالَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ، وَقَرُّوا بِدِينِهِمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ رَبِّهِمْ، بَعْدَ أَنْ
عَانُوا الظُّلْمَ وَالْأَذَى وَالْعَذَابَ، سَنُعَوِّضُهُمْ خَيْرًا مِمَّا فَقَدُوا، مِنْ مَكَانَةٍ، وَمَالٍ، وَمَنْزِلٍ. وَقَدْ
أَذْحَرَ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ثَوَابًا أَعْظَمَ مِمَّا أُعْطُوا فِي الدُّنْيَا. وَلَوْ كَانَ الْكَافِرُونَ، أَوْ الْمُتَخَلِّفُونَ عَنِ
الهِجْرَةِ، عَرَفُوا مَا لِلْمُهَاجِرِينَ مِنَ الْأَجْرِ، لَتَمَنَّوْا لَوْ كَانُوا مِثْلَهُمْ.

{ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } (النحل: 42)

42- الذين صبروا على أذى قومهم وتحملوا ظلمهم، كما صبروا على مشاق الهجرة والغربة، وقد فوضوا أمرهم إلى الله، واعتمدوا عليه وحده، فلهم أجرهم عنده.

{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذُّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }
(النحل : 43)

43- ولست الوحيد المرسل من البشر حتى يتعجب قومك من ذلك، فقد أرسلنا قبلك رسلاً منهم وليس من الجن والملائكة، ينزل عليهم الوحي كما ينزل عليك، وقد بلغوا دين الله كما تبليغهم، وأيدهم الله بالمعجزات كما أيدك بها.
واسألوا مؤمني أهل الكتب المتقدمة، من العلماء بالتوراة والإنجيل، عن جنس الأنبياء المرسل إليهم، أكانوا ملائكة أم بشرًا؟ اسألوهم إن لم تكونوا عالمين بذلك، فإنهم يعلمونه.

{ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }
(النحل : 44)

44- أرسلناهم بالدلائل والكتب⁽⁶⁷⁾. وقد أنزلنا عليك القرآن الكريم أيها الرسول، لتبين لأهل الكتاب وجه الحق فيما يختلفون فيه. ونفصل للناس ما يلزمهم منه بقولك وفعلك - كما في السنة النبوية - ليتفكروا في آياته وأحكامه، ويعرفوا أنه خيرهم وصالحهم، وفلاحهم.

{ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ }
(النحل : 45)

(67) البيّنات: دلائل الصدق، من معجزات أو أدلة عقلية. (التحرير والتنوير).

45- فهل آمن المشركون العاصون أن ينتقم الله منهم، فيزلزل الأرض من تحت أقدامهم فجأة من دون إنذار، أو ينزل بهم عذابه بأيّ كيفية وهم لاهون غارقون في لذائذ الدنيا وآمالها؟

{أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ} (النحل : 46)

46- أو يأخذهم عذاب الله وهم مُشتغلون بمعاش الدنيا وأسفارها ورحلاتها ومشاريعها التجاريّة وآمالهم العريضة فيها، وهم غافلون عمّا ينتظرهم من حساب، ولا قدرة لأحد منهم على دفع نعمة الله عنهم، أينما كانوا، ومهما ابتعدوا وتحصّنوا.

{أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (النحل : 47)

47- أو أن يأخذهم الله وهم في حال خوفٍ من أن ينزل بهم عذابه، وقد أخذوا أهبتهم واحتاطوا لأمرهم، فلن يجدي هذا أيضاً شيئاً عنهم إذا أراد الله إهلاكهم، ولكنّه رحيمٌ بهم إذ لم يعاجلهم بالعذاب، فيمهلهم ويُعطيهم وقتاً ليتفكروا ويُقرّروا.

{أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتًاهُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ} (النحل : 48)

48- ألا ينظرون إلى ما خلقه الله من أشجارٍ وجبالٍ وشُحوصٍ، وظلالها ترجع وتتنقل من جانبٍ إلى آخرٍ بارتفاع الشمس وانحدارها، وهي خاضعةٌ لأمره، مُذلّلةٌ مُنقادةٌ لإرادته؟

{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} (النحل : 49)

49- وكلُّ ما في السَّمَاوَاتِ وما في الأرض، ممّا له ظلٌّ وما ليس له ظلٌّ، من مخلوقاتٍ مُتحرّكةٍ تدبُّ على الأرض، تسجدُ لله وتُنقادُ لأمره، وكذلك الملائكة، يسجدون له ولا يتكبرون عن عبادته.

{يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (النحل : 50)

50- يَسْجُدُونَ خَائِفِينَ وَجِلِينَ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ وَمَالِكِ أَمْرِهِمْ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ عَلَى الدَّوَامِ.

{وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِذَا تَوَلَّى سَوَآءُ الْأَرْضِ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} (النحل : 51)

51- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرًا وَمُحَدِّثًا: لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ تَعْبُدُوهُمَا، إِنَّمَا الْمَعْبُودُ بِحَقِّ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ، فَهِيَ الرَّبُّ الْخَالِقُ الْمَالِكُ لَا غَيْرَهُ، فَإِذَا كُنْتُمْ خَائِفِينَ مِنْ شَيْءٍ فَخَافُونَ أَنَا، فَالْحَيَاةُ وَالْمَمَاتُ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، بِيَدِي.

{وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ} (النحل : 52)

52- وَلِلَّهِ مُلْكُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَلَهُ وَحْدَهُ الطَّاعَةُ وَالانْقِيَادُ، وَاجِبًا لِازِمًا، وَدَائِمًا ثَابِتًا مُتَوَاصِلًا، وَكُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ بَاطِلٌ زَائِلٌ، وَتَبَقَى الْعِبَادَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَالصَّحِيحَةُ لِلَّهِ الْبَاقِي وَحْدَهُ، فَلَا دِينَ إِلَّا دِينُهُ، وَلَا عِبَادَةَ إِلَّا لَهُ. وَبَعْدَ هَذَا اتَّخَافُونَ غَيْرَ اللَّهِ وَهُوَ الَّذِي بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ؟

{وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ يَجْأَرُونَ} (النحل : 53)

53- وَمَا تَرَوْنَهُ مِنْ نِعْمَةٍ فِي حَيَاتِكُمْ وَمَعَاشِكُمْ فَمِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَهُوَ الْمُنْعِمُ وَالْمُنْتَفِضِلُّ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ كُلِّهِ، لَا غَيْرَهُ، فَالْكُلُّ مُلْكُهُ وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ، وَإِذَا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ، مِنْ مَرَضٍ وَجَمَاعَةٍ، وَكَرْبٍ وَبَلَاءٍ، فَإِلَيْهِ وَحْدَهُ تَضْجُونَ بِالِدُّعَاءِ لِيَكْشِفَ مَا بِكُمْ، فَتَنْطِقُ فِطْرَتُكُمْ وَتَفْقَهُ قُلُوبُكُمْ أَنَّكَ أَنْتَ لَا أَحَدَ يَسْمَعُكُمْ أَوْ يُنْقِذُكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ سِوَاهُ.

{ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} (النحل : 54)

54- فَإِذَا أزالَ عَنْكُمْ مَا أَصَابَكُمْ، وَأَجابَ دُعَاءَكُمْ، إِذَا قَسَمَ مِنْكُمْ يُشْرِكُونَ بِرَبِّهِمْ، وَيَعُودُونَ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَقَدْ عَلِمُوا وَقْتَ الضَّرِّ أَنَّهَا لَا تُنْقِذُهُمْ مِنَ الْكَرْبِ الَّذِي هُمْ فِيهِ.

{لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتُّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} (النحل : 55)

55- ليكونَ حاصلُ أمرِهِم كَفْرُهُم بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَكَانَ كَشْفُ اللَّهِ مَا بِهِمْ مِنْ كَرْبٍ وَبَلَاءٍ مَدْعَاءَ لَهُمْ إِلَى التَّفَكُّرِ وَالاعْتِبَارِ، وَالاعْتِرَافِ بِفَضْلِهِ، ثُمَّ طَاعَتِهِ وَالتَّزَامِ نَهْجِهِ، وَلَكِنَّهُمْ كَفَرُوا وَأَشْرَكُوا. فَابْتُغُوا فِي الدُّنْيَا مُدَّةَ مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا، وَتَلَذُّوا بِمَلَذَاتِهَا، وَتَلَّهُوا بِمَتَاعِهَا، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُهُ وَعِقَابُهُ، فَسَتَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ أَمْرِكُمْ، وَمَا يَنْزِلُ بِكُمْ.

{وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ} (النحل : 56)

56- وَيَجْعَلُ الْمُشْرِكُونَ الضَّالُّونَ لِأَهْلِيهِمْ - الَّتِي لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهَا لَا تَفْقَهُ وَلَا تَسْمَعُ، وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ - نَصِيبًا مِنْ أَرْزَاقِهِمْ، مِنْ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ، تَقَرُّبًا إِلَيْهَا، فَلَا يَأْكُلُونَ لَحْمَهَا، وَلَا يَرْكَبُونَهَا {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا} [سورة الأنعام: 136]. وَسَيُسْأَلُونَ وَيُحَاسَبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى هَذَا الْكُذِبِ وَالْإِفْتِرَاءِ، مِنْ عِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ وَتَقَرُّبِهِمْ إِلَيْهَا، وَتَحْلِيلِهِمْ وَتَحْرِيمِهِمْ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمُ الْكُذِبَ عَلَى اللَّهِ بِذَلِكَ.

{وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ} (النحل : 57)

57- وَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْجَاهِلُونَ يَجْعَلُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا، وَيَدَّعُونَ أَنَّهَا بَنَاتُ اللَّهِ، وَيَعْبُدُونَهَا مَعَهُ! وَاشْتَهَرَ بِهَذَا الْقَوْلِ قَبِيلَتَا خُرَاعَةَ وَكِنَانَةَ. تَنَزَّهَ اللَّهُ وَتَقَدَّسَ عَنْ قَوْلِهِمْ وَإِفْكِهِمْ، يَجْعَلُونَ لِرَبِّهِمُ الْبَنَاتِ الَّتِي يَكْرَهُنَّهَا، وَيَخْتَارُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَا يَشْتَهُونَ مِنَ الْبَنِينَ!

{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ} (النحل : 58)

58- وَإِذَا أُخْبِرَ الْجَاهِلِيُّ الْمُشْرِكُ بِوِلَادَةِ أُنْثَىٰ لَهُ، صَارَ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا مِنَ الْهَمِّ وَالْكَآبَةِ وَالكَرَاهِيَّةِ، وَالنُّفُورِ وَالضُّيْقِ مِمَّا بُشِّرَ بِهِ، وَهُوَ سَاكِتٌ مَهْمُومٌ، قَدْ اِمْتَلَأَ حُزْنًا وَكَمَدًا مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ بَلَاءً نَزَلَ بِهِ!

{ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } (النحل : 59)

59- فَيَتَسَوَّرُ مِنْ قَوْمِهِ وَيَخْتَفِي عَنْ أَنْظَارِهِمْ حَتَّى لَا يَرَوْنَهُ وَهُوَ فِي هَذِهِ الْحَالِ الْمَعِيْبَةِ، يَغِيْبُ عَنْهُمْ أَيَّامًا وَهُوَ يُفَكِّرُ مَا الَّذِي يَصْنَعُهُ بِهَذِهِ الْأُنْثَى: أَيُّقِيهَا حَيَّةً وَيَتَحَمَّلُ هَوَاهَا، أَوْ يُقِيهَا مُهَانَةً لَا يُوْرثُهَا، أَمْ يَدْفِنُهَا حَيَّةً تَحْتَ التُّرَابِ وَيَتَخَلَّصُ مِنْ هَذَا الْعَارِ الَّذِي لِحَقِّهِ؟!

{ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السُّوءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (النحل: 60)

60- لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِيَوْمِ الْحِسَابِ صِفَةُ النَّقْصِ: كحاجتِهم إلى الشَّرَاكَةِ لِلْعَيْشِ مِنْ زَوْجَةٍ وَوَلَدٍ، وَاللَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَصِفَةُ السُّوءِ: كصنيعِهم في الْإِنَاثِ وَوَأْدِهِنَّ، مَعَ انْخِرَافِهِمْ فِي الْعَقِيدَةِ، وَالْفِكْرِ وَالسُّلُوكِ فِي هَذَا وَغَيْرِهِ. وَلِلَّهِ تَعَالَى الصِّفَةُ الْعُلْيَا وَالْكَمَالُ الْمِطْلَقُ، وَلَا مُقَارَنَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُمَانَعُ مِنْ أَيِّ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، الْحَكِيمُ الَّذِي يَضَعُ الْأُمُورَ فِي مَوَاضِعِهَا كَمَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ، فَلَا يُرَاجَعُ وَلَا يُحْطَأُ.

{ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } (النحل : 61)

61- وَلَوْ يُعَاقِبُ اللَّهُ النَّاسَ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَأَعْمَالِهِمُ الْإِجْرَامِيَّةِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، لِأَهْلَكِهِمْ وَلَمْ يُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ عَفْوٌ حَلِيمٌ لَا يُعَاجِلُهُمُ بِالْعُقُوبَةِ الْمَقْدَرَةِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ لَا يُهْمِلُهُمْ بِهَذَا، بَلْ يُرِيهِمْ آيَاتٍ وَعُقُوبَاتٍ وَأَمْثَالًا، عِدَا مَا أَرْسَلَ مِنْ رُسُلٍ وَأَنْزَلَ مِنْ كُتُبٍ، لِيُبْحَثُوا وَيَتَفَكَّرُوا، وَلِيَفْقَهُوا وَيَتَدَبَّرُوا. وَلَيْسَ هَذَا إِلَى الْأَبَدِ، بَلْ إِلَى أَجَلٍ مُّحَدُودٍ، فَإِذَا جَاءَ الْوَقْتُ الَّذِي تُحْصَدُ فِيهِ أَرْوَاحُهُمْ لَا يُؤَجَّلُونَ، فَلَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْ مَوْعِدِ مَوْتِهِمْ أَقَلَّ مُدَّةٍ وَلَا يَتَقَدَّمُونَهُ.

{ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ } (النحل : 62)

62- وهؤلاء المشركون الضالون يجعلون لله ما يعضونه لأنفسهم! فتراهم يشركون به وهم لا يحبون الشراكة في الأمر، بل يحبون أن يستأثروا به كله. ويجعلون له البنات وهم يحبون البنين. وهم مع ضلالهم وفساد معتقدتهم يقولون في كذب واضح إن لهم مكانة حسنة في الدنيا أو في الآخرة! ولكن الحق الذي لا بُدَّ منه أن مصيرهم النار يوم القيامة، مُعَجَّلِينَ إليها غير مؤجلين.

{ تَاللّٰهِ لَقَدْ اَرْسَلْنَا اِلَىٰ اُمَّمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ اَعْمَاهُمْ فَهُوَ وَاٰلِهِمُ الْيَوْمَ وَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ } (النحل : 63)

63- والله لقد أرسلنا إلى الأمم السابقة رسلاً من قبلك، كما أرسلناك إلى قومك أيها النبي، فأغواهم الشيطان ورزق لهم سوء معتقدتهم وانحراف سلوكهم، فهو ملهمهم ومُشجّعهم كما يظهر من أقوالهم وأعمالهم، ولهم في الآخرة عذاب شديد على طاعتهم له، دون طاعة رسلهم.

{ وَمَا اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ اِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } (النحل : 64)

64- وما بعثناك رسولاً إلا لتبين للناس الحق الذي هم فيه مختلفون، من العقيدة، والبعث، وأحكام في الحلال والحرام، وغير ذلك، وتفصل بين أهل الكتاب فيما شجر بينهم من خلاف كذلك، وليكون القرآن الموحي به إليك كتاب هداية لقلوبهم، ورحمة لهم في معاشهم ومعادهم، هذا لقوم يؤمنون بذلك، ويعلمون أن هذا الدين هو الحق من ربهم، وأن فيه فوزهم وفلاحهم.

{ وَاللّٰهُ اَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاٰخِیَا بِهٖ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآیَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُوْنَ } (النحل : 65)

65- وأنزل الله المطر من السحاب، فأحيا به زروعاً وأشجاراً، وأناسي وحيوانات، وفجر به عيوناً، وحزّن منه في الأرض لحاجة الإنسان، بعد أن كانت الأرض يابسة لا حياة فيها. وفي ذلك دليل على قدرة الله تعالى وحكمته. هذا لمن سمع وعقل، وتدبر وفهم.

{ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ } (النحل : 66)

66- ولكم في الأنعام عبرة وعظة كبيرة⁽⁶⁸⁾، تدل على قدرة الله وإبداعه في الخلق، فسقيكم من بطونها الحليب المفيد، وهو مستخلص من فرث ودم. والفرث: محتويات الكرش من علف مخمر، وهو ما يتبقى فيه بعد الهضم.

وتبدأ عملية تصفية الحليب في الكرش، فتتحول الجزيئات الغذائية المعقدة في العلف إلى خلاصات بسيطة تحترق جدار الأوعية الدموية لتصل إلى الغدد اللبنية في الضرع.

والمرحلة الثانية من التصفية تتم بين المواد الموجودة في الدم، فينتج منها الحليب الخالص من قذارة الفرث وثنن الدم، بيدع صنع الله. والإعجاز في: كيف يُسمح لمكونات بدخول الضرع، ولا يُسمح لأخرى!؟

ويخرج إلينا الحليب طيباً سهلاً سائغاً للشرب، هنيئاً لا يُعصُّ به، سالماً نظيفاً غير مُمتزج بدم أو فرث، ولا مُتغيراً بريجهما أو طعمهما أو لونهما.

{ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (النحل : 67)

(68) الأنعام هي الإبل والبقر والغنم والمغز.

67- ولكم عبرة أيضا فيما نسقيكم ونطعمكم من ثمرات النخيل والأعناب وعصيرهما، فتصنعون منه خمرا - والخطاب للمشركين، أو هو بيان للواقع الذي كانوا فيه قبل أن يجرم الخمر - وتأكلون منه رزقا حسنا، من تمر وزبيب، وما استخلص منهما من دبس وخل وغير ذلك. وفيه إشارة إلى أن الخمر ليس رزقا حسنا. وفي ذلك دليل ظاهر للعقلاء أن هذه الثمرات لم تخلق مُصادفة، وأن مكوناتها ومنافعها الغذائية والطبية تدل على صنع خالق عالم حكيم.

{ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ } (النحل : 68)

68- وأهم الله النحل وأرشدتها: أن اتخذي لك بيوتا في الجبال، وعلى الأشجار، ومما يرفعه الناس من أشجار العنب.

{ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (النحل : 69)

69- ثم كلي من جميع الثمرات وامتصي رحيق الأزهار، واسلكي الطرق التي جعلها الله لك سهلة مذللة، من التجوال في البراري والغابات، ثم العودة إلى أماكنها، بما فطرها الله عليه من أفانين لتعرف ما تأكل، وكيف تعود، وكيف تبني خلاياها المتماثلة الجميلة. يخرج من بطونها عسل ذو ألوان: أبيض وأحمر وأصفر وأسود، فيه شفاء للناس من أمراض كثيرة، كما ثبت في تجارب طبية حديثة أيضا، إضافة إلى ما يطعمونه هكذا أو مختلطا في مذاق لذيذ. وفي ذلك كله آية عظيمة على قدرة الله وبديع صنعه، وأنه ليس عن مُصادفة وطبيعة، هذا لقوم تفكروا وتدبروا، ليعتبروا ويؤمنوا.

{ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ } (النحل : 70)

70- واللّٰهُ خَلَقَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا، وَهُوَ الَّذِي يَتَوَقَّأَكُم: أَطْفَالًا، وَشَبَابًا، وَرِجَالًا. وَمِنْكُمْ مَنْ يُعَمَّرُ فِيهِمْ، وَيَرْجِعُ إِلَى أَرْدَا الْعُمُرِ وَأَوْضَعِهِ، حَتَّى يَضْعِفَ عَقْلُهُ وَقُوَّتُهُ، وَيُصِيبُهُ الْعَجْزُ وَالْخَرَفُ، فَلَا يَدْرِي شَيْئًا، بَعْدَ أَنْ كَانَ عَالِمًا عَارِفًا. وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِأَحْوَالِكُمْ وَأَعْمَارِكُمْ، قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ، وَمِنْ ذَلِكَ زِيَادَةُ الْعُمُرِ وَنَقْصُهُ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ خَمْسٍ، بَيْنَهُنَّ الرُّدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ، كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ.

{وَاللّٰهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} (النحل : 71)

71- واللّٰهُ أَثَرُ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي مَا رَزَقَكُمْ مِنْ مَالٍ وَمَتَاعٍ، فَمِنْكُمْ أَغْنِيَاءُ وَمِنْكُمْ فُقَرَاءُ، لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا سُبْحَانَهُ، وَابْتِلَاءٍ مِنْهُ لِعِبِيدِهِ. وَأَصْحَابُ الْمَالِ مِنْكُمْ - أَيُّهَا الْمَشْرِكُونَ - لَا يَرْضَوْنَ أَنْ يُعْطُوا أَمْوَالًا لَهُمْ لِأَرْقَائِهِمْ لِيَكُونُوا شُرَكَاءَ فِيهِ مُتَسَاوِينَ، فَكَيْفَ يَرْضَوْنَ أَنْ تُشَارِكَ مَخْلُوقَاتُ اللَّهِ فِي مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ وَيَعْبُدُونَهَا مَعَهُ؟! أَتَكْفُرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَتُخَالِفُونَ أَمْرَهُ، فَتُشْرِكُونَ بِهِ بَدَلًا أَنْ تَشْكُرُوا نِعْمَتَهُ؟

{وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ وَرَزَقَكُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ أَفِيَالِبَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ} (النحل : 72)

72- وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ زَوْجَاتٍ مِنْ جِنْسِكُمْ وَشِكْلِكُمْ لِتَأْتَسُوا بِهِنَّ وَتَأْتَلِفُوا، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْهُنَّ أَبْنَاءً وَأَحْفَادًا، تَبْتَهَجُونَ بِرُؤْيَيْهِمْ وَتَرَوْنَ فِيهِمْ امْتِدَادًا لِأَعْمَارِكُمْ، وَرَزَقَكُمْ النَّعْمَ وَالْأَطْعِمَةَ الْحَلَالَ، وَبَعْدَ كُلِّ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالنَّعْمِ مِنْ رَبِّهِمْ، يُؤْمِنُونَ بِمَنْفَعَةِ الْأَصْنَامِ الصَّمَاءِ، وَيَكْفُرُونَ بِنِعْمِ اللَّهِ وَأَلَانِهِ، فَيَعْبُدُونَهَا مَعَهُ، وَيَجْعَلُونَ لَهَا نَصِيبًا مِنْ أَرْزَاقِهِمْ وَهِيَ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ!

{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ} (النحل : 73)

73- يعبدون الأصنام التي لا تُجيب لهم نداء، ولا تجلب لهم رزقاً، لا من السماء ولا من الأرض، لا مطراً ولا نباتاً، ولا أي شيء آخر، قليلاً كان أو كثيراً، فهي لا تملك شيئاً ولا تُميزه، لأنها لا تقدر على ذلك أصلاً، فهي أحجار صماء لا تعي ولا تسمع.

{فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (النحل : 74)

74- فلا تُشبهوا الله بشيء من مخلوقاته، ولا تجعلوا له شريكاً، فلا مثل له ولا نظير، والله يعلم ويشهد أن لا إله إلا هو، ويعلم أنكم مخطؤون جاهلون بشرككم، وأنتم لا تعلمون عظم ما تقترفون من إثم بإشراككم تلك الأصنام مع الإله الحق.

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (النحل : 75)

75- ضرب الله لكم مثلاً لتقارنوا وتعلموا: عبد مملوك عاجز لا يقدر على عمل، ولا يقدم شيئاً لسيده لينتفع به، وآخر عامل منتج يكسب مالاً طيباً حلالاً، وينفق منه على المحتاجين والملهوفين سراً وعلانية، فهل يستوي بطال عاجز وعامل نشيط ينفع أهله وجمعه؟ إنهم لا يستوون، ولكن أكثر المشركين الجاهلين لا يعلمون ذلك حقيقة، ولا يطبقونه واقعاً، فهم يسوون في العبادة بين رب العباد وهو خالقهم ورازقهم، ومخلوقاته من الأصنام التي لا تقدر على إنتاج شيء ونفع أحد؟ والله المثل الأعلى.

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (النحل : 76)

76- ومثل آخر ضربته الله لكم: رجلان، أحدهما أحمس أصم لا ينطق ولا يسمع، ولا يفهم ولا يفهم، ولا يفعل شيئاً ينفع به نفسه أو الآخرين، وهو عيال ووبال على أبيه العامل أو من يعوله، فإذا كلفه بشيء رجع ولم يفعل شيئاً. فهل يستوي هو وآخر يقول الحق ويأمر بالمعروف والقسط، وينهج منهجاً صحيحاً مستقيماً ويعمل صالحاً؟

لا شكَّ أنَّهم لا يستَوون، ولكنَّ المشركينَ الضَّالِّينَ يجعلونَ منَ الأصنامِ البكماءِ آلهة، ويُسَوُّونَ بينها وبينَ اللهِ تعالى في العبادَةِ!

قالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما: نزلتْ في عُثْمَانَ بنِ عَمَّانَ ومولَى له، كانَ يُنفِقُ عليه ويكفيه المؤنَّة، وكانَ الآخرُ يكرهه الإسلامَ ويأباه، وينهاه عن الصدقةِ والمعروفِ. والعبارةُ بعمومِ اللَّفظِ وما يرمي إليه.

{وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (النحل : 77)

77- والله وحده يعلم ما غاب عن الإنسان مما في السماء والأرض، ولا يعلم أحد سر هذا الغيب إلا أن يعلمه الله شيئاً منه، وقيام الساعة أحد أمور الغيب الذي استأثر الله بعلمه، وما أمر كونها إلا كظرف العين، بل أسرع منه! والله قادر على هذا وغيره، فإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

{وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (النحل : 78)

78- وقد أخرجكم الله من أرحام أمهاتكم وأنتم لا تظنون ولا تعلمون شيئاً من الحياة، وخلق فيكم السمع لتسمعوا ثم تعوا، والأبصار لتبصروا ثم تتفكروا، والأفئدة لتفقهوا وتعبروا، وتتعلموا شيئاً فشيئاً، ولتشكروا الله ربكم على نعمة هذه الحواس وغيرها، وتذكروا بها فضله عليكم.

{أَمْ يَرَوْنَ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (النحل : 79)

79- ألا ينظر الناس إلى هذه الطيور المذلللات، التي تطير في الجوّ، كيف أن الله أودع فيها القدرة على الطيران، وجعل في الجوّ الهواء ليتلاءم مع حركة طيرانها، ولا يقدر على إبقائهن في

السَّمَاءِ هَكَذَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، خَالِقُ الطَّيْرِ وَطَيْرَانِهَا. وَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ الْعَظِيمِ، لِمَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَيُعَظِّمُهُ، وَيَتَفَعَّلُ بِكَلَامِهِ وَيَعْقِلُهُ.

{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّوهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ} (النحل : 80)

80- وجعل الله لكم من البيوت التي تبنيونها وتأوون إليها سكنًا وطمأنينةً تأمنون فيها وترتاحون. وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتًا كذلك، حيث يخفُّ عليكم حملها في أسفاركم، فتنصبونها في الأرض وترفعونها كالأخبيبة وتأوون إليها أو تستظلُّون بها، كما تستخدمونها في مواطن إقامتكم، كالقباب والأخبيبة والخيام والفساطيط. وكانت تُعمل من الجلود والشعر. وتستفيدون من أصواف الضأن، وأوبار الإبل، وأشعار المعز، فتتخذون منها المال والمتاع والثياب والفرش والأكسية... وتتمتعون بها إلى أجل محدود لكم.

{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَائِلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} (النحل : 81)

81- وخلق الله أشياء تستظلُّون بها من شدة الحرِّ، كالأشجار والجبال والعمام، عدا منافعها الأخرى.

وجعل لكم من الجبال مواضع تلجؤون إليها، كالقلاع والحصون والأشراب. كما جعل لكم ثيابًا تمنعكم من أثر الحرِّ والبرد، من الصوف والقطن والكتان والحريز. ودروعًا ومغافر تمنع وصول السلاح إلى أجسادكم. وهكذا يجعل الله لكم ما تستعينون به على أموركم في حياتكم، لتعرفوا حقَّ النعمة والمنعم، وتؤمنوا.

{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ} (النحل : 82)

82- فإذا أبوا وأعرضوا، وأصرُّوا على الكُفْرِ والعِصيان، فلا شَأَنَ لَكَ بِهِمْ، ولا تَهْتَمَّ بِأمرِهِمْ، فما عَلَيْكَ سِوَى التَّبْلِيعِ، وقد فَعَلْتَ.

{ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ } (النحل : 83)

83- إِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ هَذِهِ النِّعْمَ هِيَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُمْ يَجْحَدُونَ ذَلِكَ عِنْدَمَا يَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ، فَأَكْثَرُهُمْ كَافِرُونَ مُنْكَرُونَ.

{ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لَا يُؤَدُّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ } (النحل : 84)

84- وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ نَبِيًّا يَشْهَدُ بِمَا رَأَى مِنْهَا مِنْ إِيمَانٍ وَكُفْرٍ، وَلَا نَسْمَحُ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ بِالْإِعْتِدَارِ، وَلَا بِطَلْبِ الرِّضَا مِنَ اللَّهِ، بِتَوْبَةٍ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ، فَقَدْ فَاتَ أَوَانُهُ، وَحَانَ وَقْتُ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

{ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ } (النحل : 85)

85- وَإِذَا عَايَنَ الْكَافِرُونَ الظَّالِمُونَ نَارَ جَهَنَّمَ وَقَدْ عَرَفُوا مَصِيرَهُمْ بِظُلْمِهِمْ، فَلَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، وَلَا هُمْ يُمَهَّلُونَ فِي مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، بَلْ يُؤْخَذُونَ سَرِيعًا لِيُلَاقُوا مَصِيرَهُمْ.

{ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ } (النحل : 86)

86- وَإِذَا رَأَى الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَصْنَامَهُمْ الَّتِي جَعَلُوهَا شُرَكَاءَ مَعَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا قَالُوا: رَبَّنَا هَؤُلَاءِ هُمْ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَعْبُدُهُمْ مِنْ دُونِكَ، قَالُوا ذَلِكَ لِإِحَالَةِ الذَّنْبِ إِلَيْهِمْ! فَقَالَتِ الْأَوْثَانُ - وَقَدْ أَنْطَقَهَا اللَّهُ - تَبَرُّوا مِنْهُمْ وَمِنْ أَهْمَامَتِهِمْ، إِنَّكُمْ كَاذِبُونَ، فَلَمْ تَطْلُبْ مِنْكُمْ عِبَادَتَنَا، وَلَا طَلَبْنَا تَسْمِيَتَنَا آلِهَةً.

{وَالْقَوَا إِلَى اللَّهِ يُومِئِدِ السَّلْمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} (النحل : 87)

87- ولم تَبَقْ لِلْمُشْرِكِينَ آيَةٌ حُجَّةٌ يُقَدِّمُونَهَا لِيُزِجُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ عِقَابَ النَّارِ، فَاسْتَسَلَمُوا وَانْقَادُوا لِلْحُكْمِ الْعَادِلِ الصَّادِرِ بِحَقِّهِمْ، وَلَمْ تَنْفَعَهُمْ آلِهَتُهُمُ الْمَزْعُومَةُ شَيْئًا، وَقَدْ ادَّعَوْا أَنَّهَا سَتَنْصُرُهُمْ وَتَشْفَعُ لَهُمْ.

{الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَا لَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ}

(النحل : 88)

88- إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَمَنَعُوا النَّاسَ مِنْ اتِّبَاعِ دِينِ الْإِسْلَامِ، بَلْ حَمَلُوهُمْ عَلَى الْكُفْرِ، فَكَانَتْ عَاقِبَتُهُمْ مُضَاعَفَةً: عَذَابٌ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَعَذَابٌ عَلَى مَنَعِهِمُ النَّاسَ مِنْ اتِّبَاعِ الدِّينِ؛ وَهَذَا جَزَاءُ فَسَادِهِمْ وَإِفْسَادِهِمْ.

{وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا

عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} (النحل : 89)

89- وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ نَبْعَثُ نَبِيًّا فِي كُلِّ أُمَّةٍ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، لِيَشْهَدَ بِمَا رَأَى مِنْهُمْ مِنْ إِيْمَانٍ وَكُفْرٍ، وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ، وَجِئْنَا بِكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - شَاهِدًا تَشْهَدُ عَلَى أُمَّتِكَ. وَقَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ بَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ نَافِعٍ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ. وَالْمَقْصُودُ: الْكُلِّيَّاتِ، فَقَدْ جَمَعَ الْقُرْآنُ جَمِيعَ الْأَحْكَامِ جَمْعًا كُلِّيًّا فِي الْغَالِبِ، وَجُزْئِيًّا فِي الْمُهْمَمِ.

وفيه هِدَايَةٌ لِلْقُلُوبِ مِنَ الضَّلَالِ، وَرَحْمَةٌ بِالنَّاسِ فِي دَعْوَتِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَبِشَارَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ وَقَدْ آمَنُوا بِهِ.

{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ

يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (النحل : 90)

90- إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ عِبَادَهُ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ قَاعِدَةً أَسَاسِيَّةً فِي الْحُكْمِ وَالتَّعَامُلِ، لَا تَمِيلُ مَعَ هَوَى وَمَنْصِبِ.

ويأمرُ بالإحسانِ في الأعمالِ مع العباد، والإحسانِ في العبادةِ لله⁽⁶⁹⁾.
 ويأمرُ بصلَّةِ الأرحامِ، وإعطاءِ الأهلِ والأقرباءِ حقَّهم من البرِّ والصلَّة.
 وينهى عن المحرَّمات، وكلِّ ما تُنكِّرُهُ الفِطْرَةُ والشَّريعةُ، من الأقوالِ والأفعالِ التي يَشيعُ بها
 الفساد.

وينهى عن الظلمِ والتعدِّي على النَّاسِ والتجَرُّ عليهم.
 يعظُّكم اللهُ بهذا ويُنَبِّهُكم إلى أمرِهِ وَهَيْه، لتتذكَّروا بِهِ وتُطيعوا.

**{ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ
 كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } (النحل : 91)**

91- والتزموا بما عاهدتم الله عليه، ونقذوا العهودَ والمواثيقَ كما أمرتم، وحافظوا على ما
 أقسمتم عليه منها ولا تنقضوها بعد تأكيدكم عليها، وقد جعلتم الله شاهداً ورقيباً على الوفاءِ
 بها، والله يعلم ذلك منكم، ويُجازيكم عليه.

**{ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ
 تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ
 تَخْتَلِفُونَ } (النحل : 92)**

(69) ... وأما الإحسانُ فمعناه اللغويُّ يرشدُ إلى أنه التفضلُ بما لم يجب، كصدقةِ التطوع. ومن الإحسانِ فعلٌ ما
 يثابُ عليه العبدُ مما لم يوجبهُ اللهُ عليه، في العباداتِ وغيرها. وقد صحَّ عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أنه فسَّرَ الإحسانَ
 بأنَّ يعبدَ اللهُ العبدُ حتى كأنه يراه، فقالَ في حديثِ ابنِ عمرَ الثابتِ في الصحيحين: "والإحسانُ أنْ تعبدَ اللهُ كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك". وهذا هو معنى الإحسانِ شرعاً. (فتح القدير).
 الإحسان: الإخلاصُ في التوحيد، وذلك معنى قول النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم: "الإحسانُ أنْ تعبدَ اللهُ كأنك تراه".
 (البغوي).

{والإحسانُ}: وأن تُحسنوا الأعمالَ مطلقاً؛ لقوله عليه السلام: "إن الله كتب الإحسانَ في كلِّ شيءٍ" ... ويدخلُ فيه
 الغفوَ عن الجرائم، والإحسانُ إلى من أساء، والصبرُ على الأوامرِ والنواهي، وأداءُ النوافلِ.... (روح البيان).

92- ولا تكونوا - أيها المعاهدون - مثل تلك المرأة التي تُبْرِمُ عَزْلَهَا، ثم لا تَلْبَثُ أَنْ تُفْكَّهُ بعدَ بَرَمِهِ وإحكامه، وتتركه أنقاضاً وأكواماً. فهذا مثل لمن نقضَ عَهْدَهُ بعدَ توكيده. فتتخذونَ عَهْدَكُمْ الذي أقسمتم عليه خديعةً وخيانةً، بنقضكم إياه، وتقولون إنَّ محمداً (صلى الله عليه وسلم) ومن معه قلةٌ ضعيفةٌ وقريشٌ أكثرٌ وأقوى، فتعدرونَ بالعهدِ لتكونوا مع الأكثرِ طلباً لمصالحكم. وما هذا إلا ابتلاءٌ من الله لكم، ليرى عزمكم وصدقكم، ويمتحن وفاءكم. وفي يوم القيامة يفصلُ الله بينَ الناسِ فيما كانوا يتخلفون فيه في الدنيا، ويبيِّن لهم الحقَّ في ذلك، ويُجازي كلًّا بما يستحقُّ.

{ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِتَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (النحل : 93)

93- ولو أرادَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وعلى دينٍ واحدٍ، ولكن شاءَ سبحانه أن يعطيكم حُرِّيَّةَ الاختيار، وقد بيَّن لكم طريقَ الهدى والضلال، فيضلُّ اللهُ مَنْ سَلَكَ مسالكَ الشرِّ والضلال، ويهدي مَنْ سَلَكَ مسالكَ الخيرِ والهدى. وفي كلتا الحالتين يلتزم كلُّ بالعهودِ والمواثيق، ويُجاسِبُ كلًّا بما عمِل، إن خيراً أو شراً.

{ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَرِلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (النحل : 94)

94- ولا تتخذوا حلفكم غشاً وخديعةً في التعاملِ بينَ بعضكم البعض، فتتحرفَ نفسٌ عن طريقِ الحقِّ بعدَ أن كانت ثابتةً عليه، وتأنم وتُعاقب لأنها كانت سبباً في صدِّ الناسِ عن الدين، فإنَّ المسلمَ إذا حلفَ للكافرِ ولم يفِ بوعدِهِ، لم يثقِ الكافرُ به وبدينه، فيكون قد لحقه الإثمُ بسببِ ذلك. ومن فعل ذلك فله عذابٌ كبير.

والوفاءُ خُلُقٌ جميل، وقد دخل كثيرٌ من الناسِ الإسلامَ بسببِ صدقِ مُعاملةِ التجارِ ووفائهم بعهودهم.

{وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (النحل : 95)

95- ولا تَسْتَبَدِلُوا بما عاهدتم الله عليه عَرْضًا قَلِيلًا يَزُولُ سَرِيعًا، فَإِنَّ ما أَعَدَّ اللهُ لَكُمْ مِنْ ثَوَابٍ عَلَى الوَفَاءِ بِالعَهْدِ هُوَ أَجْزَلُ وَأَعْظَمُ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الفَرْقَ بَيْنَ الأمرَيْنِ.

{مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (النحل : 96)

96- وَإِنَّ ما عِنْدَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ مَالٍ وَمَتَاعٍ يَنْتَهِي وَيَزُولُ، فَمُدَّتْهُ قَصِيرَةٌ مَهْمَا كَثُرَ، وما ادَّخَرَهُ اللهُ فِي الآخِرَةِ لِمَنْ صَبَرَ عَلَى طَاعَتِهِ مِنْ ثَوَابٍ وَنَعِيمٍ يَدُومُ وَلَا يَنْقَطِعُ أَبَدًا، وَسَوْفَ يُجَازِي مَنْ صَبَرَ عَلَى تَكْلِيفِ الوَفَاءِ بِالعَهْدِ أَفْضَلَ ما يُجَازِي بِهِ المرءُ عَلَى أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ عَمِلَهَا.

{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (النحل : 97)

97- مَنْ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ إِيمَانًا صَاحِحًا، فَيَكُونُ عَمَلُهُ الصَّالِحُ مُوَافِقًا لِلشَّرِيعَةِ، وَخَالِصًا لَوَجْهِ اللهِ الكَرِيمِ، فَسَيُجْزَى حَيَاةً طَيِّبَةً فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَا يُشْتَرَطُ فِيهَا المَالُ الوَفِيرُ، فَلَيْسَ هُوَ مِقْيَاسًا لِلسَّعَادَةِ، لَكِنَّ المَهْمَ هُوَ الهَنَاءُ والقَنَاعَةُ والعَافِيَةُ، وَالتَّوْفِيقُ لِلطَّاعَةِ، وَفِي الآخِرَةِ يُجْزَى ثَوَابًا هُوَ أَفْضَلُ ما يُجَازَى بِهِ عَلَى أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ عَمِلَهَا.

{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} (النحل : 98)

98- فَإِذَا أَرَدْتَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ الكَرِيمِ، فَاسْأَلِ اللهُ أَنْ يُعِيدَكَ مِنْ وَسْوَاسِ الشَّيْطَانِ المَبْعَدِ عَنِ الخَيْرِ كُلِّهِ، حَتَّى لَا يَلِيسَ عَلَيْكَ قِرَاءَتُكَ وَيَجْلِطَ عَلَيْكَ، وَيَمْنَعَكَ مِنَ التَّدْبِيرِ وَالتَّفَكُّرِ. وَالاِسْتِعَاذَةُ أَمْرٌ مَّنْدُوبٌ إِلَيْهِ، وَيَقُولُ القَارِئُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، أَوْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

{ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } (النحل : 99)

99- إِنَّهُ لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ تَسْلُطٌ وَسَيِّطْرُهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَى رَبِّهِمْ، الَّذِينَ يَسْتَعِينُونَ بِهِ، وَيُقَوِّضُونَ أَمْرَهُمْ إِلَيْهِ، وَبِهِ يَتَّقُونَ.

"فَالَّذِينَ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيُخْلِصُونَ قُلُوبَهُمْ لِلَّهِ، لَا يَمْلِكُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَسَيِّرَ عَلَيْهِمْ، مَهْمَا وَسَّوَسَ لَهُمْ، فَإِنَّ صَلَاتَهُمْ بِاللَّهِ تَعْصِمُهُمْ أَنْ يَنْسَاقُوا مَعَهُ وَيَنْقَادُوا إِلَيْهِ. وَقَدْ يُخْطِئُونَ، لَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَسْلِمُونَ، فَيَطْرُدُونَ الشَّيْطَانَ عَنْهُمْ وَيَتَوَبُونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ قَرِيبٍ". قَالَ صَاحِبُ "الظَّلَالِ" رَحِمَهُ اللَّهُ.

{ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } (النحل : 100)

100- إِنَّمَا تَسْلُطُ الشَّيْطَانِ عَلَى الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ وَيَنْسَاقُونَ مَعَهُ وَيَسْتَسْلِمُونَ لِإِغْوَائِهِ، فَاتَّخَذُوهُ وَايًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَأَشْرَكُوا بِاللَّهِ اسْتِجَابَةً لِمَا سَوَّأَهُ فِي نَفْسِهِمْ.

{ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا

يَعْلَمُونَ } (النحل : 101)

101- وَإِذَا أَنْزَلْنَا آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ، وَجَعَلْنَاهَا بَدَلَ آيَةٍ أُخْرَى سَابِقَةً، نَسَخْنَا لَهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَصْلُحُ لِحَلَّتِهِ فِيمَا يُعَيَّرُ وَيُبَدَّلُ مِنْ أَحْكَامِ، وَيَأْخُذُهُمْ فِيهَا بِالتَّدرِجِ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْتَ كَاذِبٌ، تَأْمُرُ أَصْحَابَكَ بِأَمْرٍ تَنْهَاهُمْ عَنْهُ، هَذَا لَا يَكُونُ مِنْ كَلَامِ الرَّبِّ، بَلْ هُوَ مِنْ كَلَامِكَ! لَكِنَّ أَكْثَرَ الْمُشْرِكِينَ جَاهِلُونَ، لَا يَعْلَمُونَ مَا فِي تَبْدِيلِ الْأَحْكَامِ مِنْ مَصَالِحٍ وَحِكْمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يُبَدِّلُهَا بِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ بِمَا يُوَافِقُ أَحْوَالَ الْعِبَادِ وَمَصَالِحِهِمْ.

{ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ }

(النحل : 102)

102- قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ: لَقَدْ نَزَّلَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ جِبْرِيلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِالصِّدْقِ وَالْعَدْلِ، لِيُثَبِّتَ اللَّهُ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا هُمْ مُؤْمِنُونَ بِهِ، لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا وَيَقِينًا بِمَا نَزَلَ مِنْ عِنْدِهِ أَوْلًا وَأَخِيرًا، وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُهُمْ بِهِ، وَلِيَكُونَ هَادِيًا لَهُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَمُبَشِّرًا لِأَيَّاهُمْ بِالْفَوْزِ وَالنَّصْرِ.

{وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} (النحل : 103)

103- ونحنُ نعلمُ أنَّ المشركينَ يقولونَ إنَّ الذي يُعلِّمُ محمَّدًا رجُلًا نصرانيًّا - وكانَ عليه الصلاةُ والسلامُ يدخلُ عليه ويُكلِّمُه - ولُغَةُ الذي يميلونَ إليه ويشيرونَ إليه أعجميٌّ لا يُفصِحُ ولا يُبينُ، وهذا القرآنُ لُغَةُ عَرَبِيَّةٌ فَصِيحَةٌ بَيِّنَةٌ، فكيفَ لأعجميٍّ لا يَعْرِفُ التكلُّمَ بالعَرَبِيَّةِ جيِّدًا أن يُعلِّمَ محمَّدًا صلى اللهُ عليه وسلم هذا الكتابَ المعجِزَ في بيانهِ وبلاغتهِ؟

{إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (النحل : 104)

104- والذينَ لا يُصدِّقونَ بأنَّ القرآنَ موحىٌ بهِ من عندِ الله، لا يُرشِدُهُم اللهُ إلى حَقِيقَةِ أمرِه، وذلكَ لكُفْرِهِم وإِعراضِهِم عن الإيمانِ بهِ والاهتداءِ إلى آياتِه، ولَهُم عَذَابٌ شَدِيدٌ لإِصرارِهِم على الإِعراضِ عن كِتَابِ اللهِ وتَكذيبِ رَسولِه.

{إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَاذِبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ} (النحل : 105)

105- ورَسولُ اللهُ صَادِقٌ أَمِينٌ لا يَكْذِبُ⁽⁷⁰⁾، إِنَّمَا يَرْتَكِبُ جَرِيْمَةَ الكَذِبِ المشركونَ والمُلحدونَ، الذينَ يَكفرونَ بِآياتِ اللهِ الواضِحَةِ ومُعجِزاتِه الصَّادِقَةِ، فهؤلاءِ هُمُ الكاذِبونَ حَقًّا، ماداموا يُكذِّبونَ ما هوَ واضِحٌ وحَقٌّ.

(70) الافتراءُ هو الكذب، وهو مرادفُ الاختلاق، وكان أصله كنايةً عن الكذب وتلميح، وشاع ذلك حتى صار مرادفًا للكذب. (ينظر التحرير والتنوير، عند تفسير الآية (94) من سورة آل عمران).

{ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِّنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (النحل : 106)

106- إِنَّ الْكَافِرَ حَقًّا مَنْ كَفَرَ بَعْدَ أَنْ رَأَى نَوْرَ الْإِيمَانِ وَاطْمَأَنَّ بِهِ قَلْبُهُ وَاعْتَنَقَ الْإِسْلَامَ، فَارْتَدَّ مُؤَثِّرًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَصُحْبَةَ أَهْلِ الْكُفْرِ عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ، إِلَّا مَنْ فُتِنَ فِي دِينِهِ وَعُدِّبَ وَأُكْرِهَ عَلَى الْكُفْرِ وَلَكِنَّ قَلْبَهُ مَلِيٌّ بِالْإِيمَانِ وَحُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهؤُلاءِ مُؤْمِنُونَ حَقًّا، وَإِنْ نَطَقُوا بِالْكُفْرِ ظَاهِرًا تَحْتَ التَّعْذِيبِ وَالْإِكْرَاهِ.

وَالْكَافِرُ الصَّارِحُ هُوَ مَنْ فَتَحَ صَدْرَهُ لِلْكُفْرِ، وَقَبِلَهُ طَوَاعِيَةً وَاخْتِيَارًا، فَهؤُلاءِ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَسُخْطٌ مِّنَ اللَّهِ، وَهُمْ عَذَابٌ كَبِيرٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِعِظَمِ جُرْمِهِمْ. وَقَدْ نَزَلَتِ الْآيَةُ فِي عَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ، فَقَدْ عُدِّبَ مِنْ قِبَلِ الْمُشْرِكِينَ وَأُجْبِرَ عَلَى كَلِمَةِ الْكُفْرِ، وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ.

{ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } (النحل : 107)

107- ذَلِكَ بَأَنَّ هؤُلاءِ الْمُرْتَدِّينَ فَضَّلُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، بِشَهْوَاتِهَا وَإِغْرَاءِهَا وَأَهْلِهَا، عَلَى الصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَالْعَمَلِ لِلْيَوْمِ الْآخِرِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْكَافِرِينَ إِلَى الْإِيمَانِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ مَا دَامُوا رَافِضِينَ لِسُبُلِهِ وَالطَّرِيقِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَيْهِ، وَلَا يُرْشِدُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، الْخَاصَّةِ بِالْمُؤْمِنِينَ الثَّابِتِينَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ.

{ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ } (النحل : 108)

108- أُولَئِكَ الْكَافِرُونَ الْمُرْتَدُّونَ حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَسَمِعِهِمْ، وَأَبْصَارِهِمْ، فَقَدْ عَانَدُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَأَصْرُوا عَلَى الْخَطَأِ، وَلَمْ يَسْتَخْدِمُوا حَوَاسَّهُمْ لِلْوُضُوءِ إِلَى الْحَقِّ، بَلْ طَمَسُوهَا وَجَنَّبُوهَا مَسَالِكَ الْفِطْرَةِ، وَصَارُوا غَافِلِينَ عَمَّا يَنْتَظِرُهُمْ مِنْ حِسَابٍ وَعِقَابٍ.

{ لَا جَزْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ } (النحل : 109)

109- حَقًّا إِنَّ هَؤُلَاءِ مَغْبُونُونَ خَائِبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ حَصَدُوا مَا بَدَرُوهُ مِنْ كُفْرٍ، وَجَنُوا مَا صَرَفُوا إِلَيْهِ أَعْمَارَهُمْ مِنْ غَيْرِ تَدَبُّرٍ، وَأَثَرُوا الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ.

{ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا لَمْ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ } (النحل : 110)

110- وَإِنَّ رَبَّكَ وَلِيُّ الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ وَنَاصِرُهُمْ، وَقَدْ تَرَكُوا بِلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ، وَفُتِنُوا فِي دِينِهِمْ - وَكَانُوا مِنْ ضِعَافِ الْعَرَبِ - وَأَكْرَهَهُمُ الْمُشْرِكُونَ عَلَى مَوَافَقَةِ مِلَّةِ الْكُفْرِ، وَقَدْ آمَنَتْ قُلُوبُهُمْ، فَكَانُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي جِهَادِهِمْ ضِدَّ الْكَافِرِينَ، وَصَبَرُوا عَلَى مَوَاقِفِ الْإِيمَانِ وَالهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ وَتَكَالَيْفِهَا، فَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُمْ وَيَرْحَمُهُمْ يَوْمَ مَعَادِهِمْ، جَزَاءَ صَبْرِهِمْ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِمْ.

{ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِمُجَادِلٍ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } (النحل : 111)

111- فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْمُخُوفِ لَا يُسْمَحُ لِأَحَدٍ بِأَنْ يُدَافِعَ عَنِ الْآخِرِ، بَلْ كُلُّ نَفْسٍ تَحْتَجُّ وَتُدَافِعُ عَنْ نَفْسِهَا وَتَسْعَى لِحُلَاصِهَا، لَا تَأْبَهُ بِوَالِدٍ وَلَا وَلَدٍ. وَتُعْطَى كُلُّ نَفْسٍ جَزَاءَ مَا كَسَبَتْهُ فِي الدُّنْيَا، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، جَزَاءً وَافِيًا عَادِلًا، لَا يُخَسُّ مِنْ حَقِّهَا شَيْءٌ.

{ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } (النحل : 112)

112- وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً - هِيَ مَكَّةُ - كَانَتْ آمِنَةً مُسْتَقَرَّةً، لَا يُعَارُ عَلَيْهَا وَلَا يُؤَدَّى مِنَ التَّجَا إِلَى الْبَيْتِ فِيهَا وَلَوْ كَانَ قَاتِلًا، وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ النَّاسِ فِي حَرْبٍ وَهَيَجَانٍ وَفِتْنَةٍ. وَيَأْتِيهَا قُوتٌ أَهْلِهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْأَطْعِمَةِ وَالشَّمَارِ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي بِسُهُولَةٍ، وَهُمْ فِي وَادٍ لَا يَنْبُتُ فِيهِ زَرْعٌ، وَحَوْلَهُمْ جِبَالٌ جُرْدَاءٌ، فَجَحَدُوا نِعَمَ اللَّهِ بِدَلِّ شُكْرِهِ عَلَيْهَا، وَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ مَعَهُ، فَابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِالْجُوعِ وَالْفَحْطِ سَبْعَ سِنِينَ، وَجَاهَدُوا حَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ وَالْجَيْفَ.

وكانت بُعوثُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وسراياهُ تُطيفُ بهم، فكانوا يَخافونَ وَيَتَوَقَّعونَ الإِغارةَ عليهم، فأبدلوا بأمنهم خَوْفًا؛ جزاءً بغيهم وشركهم، وعَدَمَ تَقديرهم لِمَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عليهم مِنْ رِزقٍ وَأَمْنٍ، لعلَّهم بذلك يَتَذَكَّرُونَ نِعْمَتَهُ وَيَدْعُونَ الشُّركَ وَيُؤْمِنُونَ بالإسلام.

{وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} (النحل : 113)

113- ومنَ أعظَمِ نِعَمِ اللهِ عليهم أن بعثَ فيهم رَسولاً مِنْ بَيْنِهِم، يَعْرِفونَهُ صَادِقًا أَمِينًا، يَدْعُوهم إلى عِبادةِ رَبِّ هذا البَيْتِ، وَتَرَكَ عِبادةِ الأصنامِ، وَلَكِنَّهم لم يُقَدِّروا هذه النِّعمةَ العَظيمةَ، فَكَفَرُوا بِرِسالَتِهِ وَكَذَّبُوهُ، فَأَخَذَهُم عَذابُ الخَوْفِ والجُوعِ، بظلمِهِم وتَكذيبِهِم رَسولَ رَبِّهم.

{فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} (النحل :

114)

114- فَكُلُوا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ مِنَ الحلالِ الطيِّبِ النَّافعِ، وَاشْكُرُوا نِعْمَتَهُ، فهو المُنْتَفِضُ بِها عَلَيْكم، إِنْ كُنْتُمْ تُريدونَ الاستِقامةَ على دينِهِ، والإِخلاصَ في العِبادةِ لَهُ.

{إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لِعَیْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (النحل : 115)

115- إِنَّمَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُم مِنَ المَطعوماتِ: المَيْتَةَ التي لم تُذَبِّحْ، ما عدا السَّمَكَ والجِرادَ. وَحَرَّمَ الدَّمَ، ولَحْمَ الخِنْزيرِ، سواءً ذُبِحَ أو ماتَ حَتَفَ أنْفِهِ، وما ذُبِحَ على غيرِ اسمِ اللهِ، مِنَ الأصنامِ والطَّواغيتِ ونحوها.

وَمَنْ أُلْجِئَتْهُ الضَّرورةُ إلى أَكلِها وَقَدَّ غَيْرُها مِنَ الأَطعمَةِ، فلا بأسَ مِنْ أَكلِها، مِنْ غيرِ بَعْغٍ ولا اعتداء: مِنْ غيرِ أن يُؤَثِّرَ نَفْسَهُ في هذه الضَّرورةِ على مُضْطَرِّ آخَرَ مثله، ولا أن يَأْكَلَ زيادةً على سَدِّ جَوْعَتِهِ.

فاللهُ يَغْفِرُ لَهُ عِندئذٍ ما أَكَلَ مِنَ الحَرَامِ، وهو رَحِيمٌ بِهِ إِذْ أَحَلَّ لَهُ ذلكَ في حالِ الاضْطِرابِ.

{وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ} (النحل : 116)

116- ولا تكذبوا فتدعوا تحريم ما أحله الله، أو تحليل ما حرّمه، فيما اصطَلَحْتُمْ عليه ووضعتُموه في جاهليّتكم، وتقولوا إنّ الله أمرنا بهذا، فتحرّمون ما سيّئتموه للأصنام... كما في قوله تعالى: {وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حَجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِزْقِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [سورة الأنعام: 138]. قال ابن كثير رحمه الله: ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس فيها مستند شرعي، أو حلّل شيئاً ممّا حرّم الله، أو حرّم شيئاً ممّا أباح الله، بمجرّد رأيه وتشهيه. اهـ. فالتحليل والتحرّم لا يكون إلا بتشريع من الله ورسوله. والذين يكذبون على الله لا فلاح لهم في الدنيا والآخرة، ولا ينجون من عذاب الله⁽⁷¹⁾.

{مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (النحل : 117)

117- وحياتهم في الدنيا واستمتاعهم بملذّاتها قليل زائل لا يستحقّ الذكر، ولهم في الآخرة عذاب شديد دائم، وهناك الحية والحُسران.

{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} (النحل : 118)

118- وحرّمنا على اليهود ما قصصناه عليك من قبل، في سورة الأنعام {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْغِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} [الآية 146]. ولم نظلمهم

(71) الافتراء هو الكذب، وهو مرادف الاختلاق، وكان أصله كناية عن الكذب وتلميح، وشاع ذلك حتى صار مرادفاً للكذب. (ينظر التحرير والتنوير، عند تفسير الآية (94) من سورة آل عمران).

بذلك، بل كانت هذه الأحكام عُقُوبَةً لَهُمْ بِسَبَبِ مَعَاصِيهِمْ الْمُتَكَرِّرَةِ، واستمرارهم في العناد والتكذيب والرّفْضِ، فهم مُسْتَحِقُّونَ لذلك.

وقد استقرّ ما هو حلالٌ وحرامٌ كما هو في دين الإسلام، فقد نسخ كلَّ الشرائع السَّابِقَةِ.

{ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمَلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ } (النحل : 119)

119- وَإِنَّ مَنْ عَمِلَ ذَنْبًا بِجَهَالَةٍ - وَكُلُّ مَنْ عَصَى اللَّهَ فَهُوَ جَاهِلٌ - ثُمَّ أَقْلَعَ عَنْ ذَنْبِهِ، تَائِبًا إِلَى اللَّهِ، عَازِمًا عَلَى عَدَمِ الْعُودَةِ إِلَيْهِ، مُتَبِعًا ذَلِكَ بِعَمَلٍ صَالِحٍ يَدُلُّ عَلَى اسْتِقَامَةِ سُلُوكِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ بَعْدَ إِحْدَاثِ تَوْبَتِهِ يَغْفِرُ ذَنْبَهُ، وَيَرْحَمُهُ وَلَا يُعَذِّبُهُ بِهِ.

{ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (النحل : 120)

120- إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إِمَامًا يُقْتَدَى بِهِ، اجْتَمَعَ فِيهِ مِنَ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ مَا اجْتَمَعَ فِي أُمَّةٍ! مَائِلًا عَنِ الشَّرِكِ إِلَى التَّوْحِيدِ الْحَقِّ، مُسْتَقِيمًا عَلَيْهِ، خَاشِعًا مُطِيعًا لِرَبِّهِ، فَهُوَ إِمَامُ الْخُنْفَاءِ وَأَبُو الْأَنْبِيَاءِ. وَكَانَ بَرِيئًا مِنَ الشَّرِكِ، وَمِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، فَقَدْ كَانَ قَبْلَهُمْ.

{ شَاكِرًا لِّلنَّعْمِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (النحل : 121)

121- وَكَانَ شَاكِرًا لِنِعْمِ اللَّهِ، مُثْنِيًا عَلَيْهِ، قَوْلًا وَعَمَلًا، وَقَدْ اخْتَارَهُ اللَّهُ وَاصْطَفَاهُ مِنْ بَيْنِ عِبَادِهِ نَبِيًّا وَرَسُولًا عَظِيمًا، وَأَرْشَدَهُ وَوَفَّقَهُ إِلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، وَعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ.

{ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } (النحل : 122)

122- وَقَدْ أُعْطِيَ فِي الدُّنْيَا جَمَاعَ أُمُورِ الْخَيْرِ مِمَّا تَكْتَمِلُ بِهِ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ، مِنَ الرِّسَالَةِ، وَالْحُلَّةِ، وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالسَّيْرَةِ الْحَسَنَةِ، وَالشَّانِءِ الْحَسَنِ، حَتَّى إِنَّ جَمِيعَ الْأَدْيَانِ تُثْنِي عَلَيْهِ. وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ عِدَادِ الصَّالِحِينَ فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلْيَا مِنَ الْجَنَّةِ.

{ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (النحل : 123)
123- ثم أمرناك - يا خاتم الأنبياء - أن اتبع ملة إبراهيم في التوحيد، فقد كان على طريقة مستقيمة خالصة، مائلاً عن الشرك، بعيداً عنه.

{ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } (النحل : 124)

124- ولم يكن يوم السبت من شعائر إبراهيم عليه السلام كما يدعي اليهود، إنما جعل يوم عبادة لهم وحدهم، وكانوا بعده. ويبدو أنه كان هناك اختلاف في شأن هذا اليوم أو اختياره، أو أن بعضهم استحلّه وحرّمه آخرون منهم. وفي يوم القيامة يقضي الله بين المختلفين فيه، ويبيّن لهم الحق في ذلك، ويجازي كلًّا بما يستحقّ.

{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } (النحل : 125)

125- ادع إلى الإسلام بالكلمة الطيبة، والحجة المقنعة، والأسلوب الحسن، برفق، مع مراعاة أحوال المخاطبين وبيئاتهم وتخصّصاتهم، وناظر المخاصمين وجادلهم بالوجه الحسن، في حلم وتأنّ، ورحمة مشفوعة بالنصح، إلا من عاند وتعدى.
والله أعلم بمن أعرض عن الإسلام واختار طريق العناد والضلال، وهو أعلم بمن فتح قلبه للحق واختار طريق الهداية والإيمان، وإنما عليك التبليغ وبيان وجه الحق، وليس عليك هدايتهم.

{ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ } (النحل : 126)

126- وإذا أردتم معاقبة أحد، فلتكن معاقبتكم لهم بمثل ما عُوقِبْتُمْ به، فافعلوا بهم مثل ما فعلوا بكم، ولا تزيدوا، وإذا صبرتم عن المعاقبة بالمثل وعفوتهم، فهو فضل منكم وحسن خلق، وللصبر ثواب عظيم. { وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عَظَمِ الْأُمُورِ } [سورة الشورى: 43]، { إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [سورة الزمر: 10].

{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ} (النحل: 127)

127- واصبرِ على أذى النَّاسِ وإعراضِهِمْ، وخاصَّةً في شُؤُونِ الدَّعْوَةِ، وما صَبْرُكَ وثباتُكَ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ وتَوْفِيقِهِ، فهو الذي يُعِينُ على الصَّبرِ، ويُثَبِّتُ العزيمةَ في القلبِ، ويُزَيِّنُ هذا الخُلُقَ الجميلَ في النَّفسِ المؤمنَةِ للدُّعَاةِ الصَّادِقِينَ المحلِّصِينَ، ولا تَحْزَنْ على مَنْ خالفَكَ وأعرضَ عن دَعْوَتِكَ، ولا يَضِيقْ صَدْرُكَ بما يَكِيدُونَ لَكَ، فاللهُ حافظُكَ ومُؤَيِّدُكَ.

{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} (النحل : 128)

128- إِنَّ اللَّهَ وَلِيُّ عِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ وراحمِهِمْ، الذينَ يُطِيعُونَهُ وَيَخْشَوْنَهُ في سِرِّهِمْ وَعَلَانِيَتِهِمْ، والذينَ يُحْسِنُونَ عَمَلَهُمْ مَعَ اللَّهِ، كما يُحْسِنُونَ إلى خَلْقِهِ وَيُشْفِقُونَ عَلَيْهِمْ.

الجزء الخامس عشر

سورة الإسراء

سورة الكهف (1-74)

سورة الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الإسراء : 1)

1- تعالى الله وتقدس، الذي سرى بعبدِه ونبيِّه محمدٍ صلى الله عليه وسلم على البراق، في جزءٍ من الليل، من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى بالقدس، موطن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الذي أفضنا على ما حوله من بركاتنا ورحماتنا، لئري عبدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم من آياتنا ومُعجزاتنا العظيمة، والله سميع، لا يفوته سماع حركة في الكون، بصيرٌ بما خفي وغاب، لا يغيب عنه رؤية شيء.

وكان الإسراء به عليه الصلاة والسلام يقظة لا منامًا، قبل الهجرة بسنة، بدنه وروحه عند أكثر العلماء، ثم عرج به صلى الله عليه وسلم من صخرة بيت المقدس إلى السماوات السبع، واطلع على أحوال الجنة والنار هناك، ورأى الملائكة... وعاد إلى مكة من ليلته. وجزت له صلى الله عليه وسلم حوادث كثيرة في إسرائه ومعراجه، منها أحاديث صحيحة، وكثير منها مكذوبة.

وللمسجد الأقصى فضائل عظيمة، وهو أحد المساجد الثلاثة التي تُشدُّ إليها الرحال.

{وَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِبَالًا} (الإسراء : 2)

2- وآتينا موسى التوراة لتكون هاديًا لبني إسرائيل إلى الحق والخير، فلا يضلون ما تمسكوا بها وجعلوها دليلاً لهم، فلا تتخذوا أولياء من دوني، ولا تكلوا أموركم إلا إليّ، فلا رب لكم سواي.

{ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} (الإسراء : 3)

3- يا بني إسرائيل، ذرية الثلة المؤمنة التي بئيناها وحملناها مع نوح في السفينة، فكونوا مؤمنين مخلصين مثلهم. وكان عبدنا نوح نبيًا رسولاً، شكورًا لربه، يحمده على ما رزقه من طعام وشراب، وعلى كل حال.

{وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقَ كَبِيرًا} (الإسراء : 4)

4- وأعلمنا بني إسرائيل أنّكم ستّجبرون وتطعون في الأرض مرتين طغياناً كبيراً، يُصبح لكم فيهما قوّة وسيطرةٌ كبيرة، تغلبون فيه الناسَ بالظلمِ والعدوان.

{فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً} (الإسراء : 5)

5- فإذا جاء وقتُ الإفسادِ الأولى، بعثنا لمحاربتِكُم ومُغالبتِكُم ناساً ذوي بأسٍ وبطشٍ شديد، يقهرونكم ويملكون بلادكم ويستبيحونه، ويتجولون فيها دون حسابٍ لقوّة أحد، وكان هذا وعداً نافذاً لا يُخالف.

{ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيِّنَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً} (الإسراء : 6)

6- حتّى إذا دُقتُم الويل والعذاب، ومضى زمن، أعدنا لكم القوّة والعلبة، ونصرناكم عليهم، وأعطيناكم المال بعدما تُهب، والولد بعدما سلب، وجعلناكم أكثر جيشاً، فصيرتُم أكثر قوّة، عدداً وعدّة.

{إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً} (الإسراء : 7)

7- وإنّ ثمره صلاحكم وطاعتكم تعود بالخير والنفع عليكم، فإنّكم إذا أحسنتم في أنفسكم وأعمالكم، صلحت أحوالكم، وأعقبكم ذلك نصراً وعزّاً، وإذا انحرفتم وأفسدتم كانت عاقبه ذلك شراً وفساداً، وخراباً وهلاكاً.

فإذا جاءت المرّة الثانية لإفسادكم، بعثنا عليكم ناساً يُدّلونكم، وليدخلوا بيت المقدس كما دخلوه أوّل مرّة واستباحوا ما فيه وصاروا أصحاب القوّة والمنعة فيه، وليدّمروا ويُحربوا ما فيه من مالٍ وحياةٍ ومقدّساتٍ تدميراً فظيماً، ماداموا هم الغالبين الظّاهرين عليه.

{ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا } (الإسراء : 8)

8- وعسى أن يصرف الله هذا العدو عنكم، وإذا عُدْتُمْ إلى الفساد، عُدنا إلى العذاب والنكال، وبعنا عليكم من يقهركم ويذيقكم سوء العذاب. وما ينتظركم في جهنم من عذاب أكبر وأفظع، وقد جعلناه سجنًا للكافرين، لا مفر لهم منه. وقد عاقبهم الله وأذلهم مرات في التاريخ، حتى صاروا شذراً مذبذباً، متفرقين في بلدان العالم، لا موطن لهم، وهم من أقدم الشعوب، ثم أنشؤوا لهم كياناً غصبوه من أمة على حين ضعفٍ منها، وسيأتي اليوم الذي يدلون فيه مرة أخرى إن شاء الله.

{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } (الإسراء : 9)

9- إن هذا القرآن يرشد الناس إلى أحسن الطرق وأصلحها، وأوضح السبل وأبينها، في جميع شؤونهم، فهو نظام حياة شامل، ويُبشِّرُ المؤمنين العاملين بأحكامه أن لهم ثواباً عظيماً.

{ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } (الإسراء : 10)

10- ويُذِرُ هذا القرآن الذين لا يؤمنون بالبعث والحساب، والجنة والنار، أن لهم عذاباً شديداً، حيث تركوا دين الله وراء ظهورهم.

{ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا } (الإسراء : 11)

11- ومن لم يتخذ القرآن له هادياً ودليلاً، تحبَّب في دُنياه وكان في ظلام، ودعا على نفسه بالشرِّ والعذاب كما يدعو لها بالخير والمصلحة، حقيقةً أو بأعماله السيئة التي تُودي به إلى النار، والإنسان عَجُولٌ بطبعه، يُسارعُ إلى ما يظنُّ فيه مصلحته، وإن كانت تحملُ ضرراً بعد النظر، وهو غيرُ مُطَّلِعٍ على عواقب الأمور حتى يضبط قيادة العجلة في نفسه. أو أن المقصود أن الإنسان لعجلته يدعو على نفسه وأولاده بما هو شرٌّ، وأن الله لو استجاب لدُعائه لهلك به!

{ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانَاهُ تَفْصِيلًا } (الإسراء: 12)

12- وجعلنا الليل والنهار آيتين كونيّتين عظيمتين، وعلّمتين لا بُدَّ للإنسانِ منهما، وقد محونا الضوءَ من الليل بإزاحة حركة الشمسِ عنه وجعلناه مُظلمًا، ليسكنَ الإنسانُ وينام، ويرتاح من تعب النهار. وجعلنا النهارَ مُضيئًا ليطلبَ فيه رزقه، ويُجزَ أعماله، ويعلمَ أوقاته وحسابه، والساعاتِ والأيامَ والشهورَ والسنين.

وكلُّ شيءٍ خلقه الله وسخره لكم مُحكمٌ ومُفصلٌ بدقّةٍ وتديبٍ تامٍّ، لا التباسَ معه، ولا تقدّمَ فيه ولا تأخير.

{ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا } (الإسراء: 13)

13- وكلُّ إنسانٍ مُلزمٌ بما صدرَ منه باختياره، من خيرٍ وشرٍّ، على حسبِ ما قُدِّرَ له، فيحاسبُ على ما قدّمَ ويُجازى عليه يومَ القيامة، فيُخرجُ له كتابٌ يراه مفتوحًا، فيه جميعُ أعمالِهِ طوالَ حياته في الدنيا، صغيرها وكبيرها، ما أسرَّ منها وما أعلن.

{ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } (الإسراء: 14)

14- هذه هي أعمالك أيها الإنسان، قد دُوِّنت في هذا الكتابِ كما وُعدت به، لم يشُدَّ عنها شيءٌ، ما نسيتَ وما لم تنسَ، وليسَ فيها شيءٌ خارجِ الحساب، فكلُّها تُحْصَى، اقرأها كلمةً كلمةً، وسترى أنك لم تُظلمَ مقدارَ ذرّةٍ، ولا تُحتاجُ إلى شاهدٍ يشهدُ لك أو عليك، فكفى بك حسيبًا على عمَلِك، وأنت صاحبُه.

{ مَن اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا } (الإسراء: 15)

15- من اهتدى إلى الحقِّ وعَمِلَ بِهِ فَإِنَّ عَاقِبَةَ هِدَايَتِهِ تَعُودُ عَلَيْهِ بِالْحُسْنَى، وَتُكَلِّلُهُ السَّعَادَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ ضَلَّ عَنْ الْحَقِّ فَإِنَّ عَاقِبَةَ ضَلَالِهِ تَعُودُ عَلَيْهِ، وَيُخْزِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُجَازِي بِشَرِّ مَا عَمِلَ، فَكُلُّ يُسْأَلُ عَنْ عَمَلِهِ وَيُجَاسَبُ عَلَيْهِ، وَلَا يَحْمِلُ أَحَدٌ ذَنْبَ أَحَدٍ. وَلَا تُعَذَّبُ أَحَدًا مِنَ الْعِبَادِ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ نَبَعَثَ رَسُولًا يُبَيِّنُ لَهُمُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَيُبَلِّغُهُمُ دِينَ اللَّهِ الْحَقِّ، وَتَقُومَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ.

{ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا }
(الإسراء : 16)

16- وإذا أردنا أن ندمر قرية أو مدينةً وهلك أهلها بأعمالهم السيئة، وقد كثرت فيها المترفون المتنعمون، الخائضون في الفواحش والموبقات، والجبارون الوالغون في الجرائم والحرمات، فانتشروا الفسق والضلال، والظلم والفساد، أمرناهم بالطاعات وسلوك ذب الصلاح، فأبوا وتمردوا، وطغوا وأفسدوا، فحق عليها أمر الله بالهلاك، فأبندنا أهلها، ودمرناها تدميراً كاملاً.

{ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَمْ يَبْتَغُونَ عِبَادَهُ خَيْرًا بَصِيرًا }
(الإسراء : 17)

17- وكثيراً ما أهلكنا الأمم التي كذبت رسلها من بعد زمن نوح عليه السلام، ولستم يا كفار قريش بأكرم على الله منهم، فتوقعوا العذاب ما دُمتم مكذبين مثلهم. والله محيط بذنوب عباده، خبير بظواهرها وبواطنها، بصير بخيرها وشرها.

{ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا }
(الإسراء : 18)

18- من كان يبغي الحياة الدنيا وتعيمها السريع الزوال، مقتصرًا فيها على الاستمتاع بالشهوات والملذات، دون اعتبار لليوم الآخر، فسنعطيه منها ما نشاء وليس كل ما يريد، لمن يريد منهم لا كلهم، ثم هيأنا له جهنم يدخلها مهاناً ذليلاً، مُبْعَدًا مَطْرُودًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

{ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا } (الإسراء : 19)

19- وَمَنِ ابْتَغَى الدَّارَ الآخِرَةَ، وَصَبَرَ عَلَى تَكَالِيفِ الدِّينِ الْحَقِّ، وَالتَّزَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ مُؤْمِنًا صَادِقًا فِي إِيمَانِهِ، مُصَدِّقًا بِالْحِسَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، فَسَيُثَابُ عَلَى عَمَلِهِ خَيْرًا، وَيَلْقَى جَزَاءً مَقْبُولًا، وَيُهَيَّأُ بِذَلِكَ مِنْ قِبَلِ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ.

{ كَلَّا تُؤْتِيهِمْ هُوَلاءٌ وَهَؤُلاءٌ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا } (الإسراء : 20)

20- وَكِلَا الْفَرِيقَيْنِ، أَهْلُ الدُّنْيَا وَأَهْلُ الآخِرَةِ، نُعْطِيهِمْ مِنْ عَطَائِنَا، وَمَا كَانَ رِزْقُ رَبِّكَ مَمْنُوعًا عَنْ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

{ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا } (الإسراء : 21)

21- انظُرْ فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ لِتَلْمَسَ التَّفَاوُتَ بَيْنَ النَّاسِ، مِنْ غَنِيِّ وَقَفِيرٍ، وَمُتَعَلِّمٍ وَجَاهِلٍ، وَقَوِيٍّ وَضَعِيفٍ، وَمُسْلِمٍ وَكَافِرٍ، وَدَرَجَاتُ التَّفَاوُتِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مِنْ نَعِيمٍ وَعَذَابٍ، أَوْسَعُ وَأَكْبَرُ.

{ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَحْدُولًا } (الإسراء : 22)

22- لَا تَعْبُدْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ أَقْدَمْتَ عَلَى فِعْلِ مَذْمُومٍ مَنبُودٍ، وَقَعَدْتَ مَحْدُولًا عَاجِزًا لَا نَاصِرَ لَكَ وَلَا مُنْقِذَ.

{ وَقَفْضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا } (الإسراء : 23)

23- وَأَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُوَحِّدُوهُ بِالْعِبَادَةِ، فَلَا تُشْرِكُوا بِهِ أَحَدًا، وَوَصَّاكُمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ وَبِرَّهُمَا، فَإِذَا كَبُرَا عِنْدَكَ، الْأَبْوَانِ أَوْ أَحَدُهُمَا، وَقَدْ أَسْقِيَاكَ مِنْ رَوْحِيهِمَا حَتَّى ضَعُفَا، وَكَدَّ مِنْ أَجْلِكَ حَتَّى دَبَّلا وَكَادَا أَنْ يَفْنِيَا، وَصِرْتَ أَنْتَ الْقَوِيُّ الَّذِي تَكْدَحُ وَتُنْفِقُ، فَلَا تَتَأَقَّفُ مِنْهُمَا،

ولا تَقُلْ لهما قَوْلًا سَيِّئًا يَجْرَحُ بِهِ شُعُورَهُمَا، وَلَا تَضِقْ بِهما وَلَا تُهِنْهُمَا، وَقَدْ ضَعُفَا واحْتِمَا بك،
بَلْ طَيِّبْ خَاطِرَهُمَا، وَقُلْ لهما كَلِمًا لَيِّنًا طَيِّبًا مَخْفُوفًا بِالْأَدَبِ وَالتَّوْقِيرِ.

{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} (الإسراء :
24)

24- وَتَوَاضَعْ لهما وَتَلَطَّفْ مَعَهُمَا، وَادْعُ لهما بِالْخَيْرِ وَالرَّحْمَةِ، وَقُلْ: اللَّهُمَّ ارْحَمْ وَالدِّيَّ فِي
كِبَرِهِمَا وَعِنْدَ وَفَاتِهِمَا كَمَا رَبَّيَانِي وَرَحِمَانِي وَأَنَا صَغِيرٌ.

{رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا} (الإسراء :
25)

25- وَلَا يَخْلُو المرءُ مِنْ خَطَأٍ وَتَقْصِيرٍ، وَكَلَامٍ قَدْ لَا يَقْصِدُ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا، فَيُؤَوَّلُ عَلَى غَيْرِ
ظَاهِرِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَضْمَرْتُمُوهُ فِي نُفُوسِكُمْ، وَمَا نَوَيْتُمُوهُ فِي قُلُوبِكُمْ، فَإِذَا كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
صَالِحِينَ، مُسْتَغْفِرِينَ مُنِيبِينَ، فَاللَّهُ يَقْبَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ، وَيَغْفِرُ لَكُمْ.

{وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا} (الإسراء : 26)
26- وَصِلْ رَحِمَكَ، وَأَعْطِ ذَوِي قُرْبَاكَ حَقَّهُمْ، وَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ، وَأَعْطِ الْمِسْكِينَ زَكَاةَكَ،
وَتَصَدَّقْ عَلَيْهِ بِمَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ ابْنُ السَّبِيلِ الَّذِي انْقَطَعَ عَنْ بَلَدِهِ وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ مَا يُنْفِقُ
مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ وَيُوصِلُهُ إِلَى بَلَدِهِ. وَكُنْ وَسَطًا فِي الْإِنْفَاقِ، وَلَا تُسْرِفْ إِسْرَافًا.
قَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَوْ أَنْفَقَ إِنْسَانٌ مَالَهُ كُلَّهُ فِي الْحَقِّ لَمْ يَكُنْ مُبَدِّرًا، وَلَوْ أَنْفَقَ مُدًّا فِي غَيْرِ
حَقِّهِ كَانَ تَبْذِيرًا.

قَالَ صَاحِبُ "الظَّلَالِ": فَلَيْسَتْ هِيَ الْكَثْرَةُ وَالْقِلَّةُ فِي الْإِنْفَاقِ، إِنَّمَا هُوَ مَوْضِعُ الْإِنْفَاقِ.

{إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} (الإسراء : 27)
27- إِنَّ الْمُسْرِفِينَ كَانُوا أَصْحَابَ الشَّيَاطِينِ وَأَشْبَاهَهُمْ؛ لِإِنْفَاقِهِمُ الْأَمْوَالَ فِي الشَّرِّ وَالْمَعْصِيَةِ،
بَدَلًا أَدَاءِ حَقِّ نِعْمَتِهَا وَصَرْفِهَا فِي الْحَقُوقِ وَالطَّاعَاتِ، وَالشَّيْطَانُ كَافِرٌ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ، جَاوِدٌ لَهَا.

{ وَإِنَّمَا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا } (الإسراء: 28)

28- وإذا لم تجد ما تُنفقه على مَنْ أمرناك بإعطائهم، مِنْ ذَوِي الْقُرْبَى والمساكين، وأعرضت عَنْهُمْ بسبب ذلك، فقلْ لَهُمْ قَوْلًا لَيِّنًا، وَعِدْهُمْ خَيْرًا حَتَّى يَتيسَّرَ لَكَ رِزْقٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

{ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا } (الإسراء: 29)

29- وَلَا تَبْخَلْ بِمَا رَزَقَكَ اللَّهُ وَكَأَنَّ يَدَيْكَ مُقَيَّدَتَانِ إِلَىٰ عُنُقِكَ، وَلَا تَبْسُطْهُمَا كَذَلِكَ وَتَدْعُهُمَا مَفْتُوحَتَيْنِ لَا تُمَسِّكَانِ شَيْئًا، فَيَذْهَبَ كُلُّ مَالِكَ وَتَقْعُدَ نَادِمًا كَثِيرًا، عَاجِزًا ضَعِيفًا. والمطلوبُ الاتِّصَادُ فِي الْعَيْشِ، وَالْوَسْطِيَّةُ فِي الْإِنْفَاقِ، وَالتَّوَازُنُ بَيْنَ التَّقْتِيرِ وَالتَّبَذِيرِ.

{ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا } (الإسراء: 30)

30- وَاللَّهُ هُوَ الرَّازِقُ، يُوسِّعُ فِي الرِّزْقِ عَلَىٰ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ فَيُعْنِيهِ، وَيُضَيِّقُ عَلَىٰ آخَرِينَ مِنْهُمْ فَيَكُونُونَ أَقْلًا غَنَىٰ أَوْ فُقْرَاءَ، لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا، فَهُوَ خَبِيرٌ بِهِمْ وَبِأَحْوَالِهِمْ، بَصِيرٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْفَقْرَ وَمَنْ يَسْتَحِقُّ الْغِنَىٰ.

{ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا } (الإسراء: 31)

31- وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَوْفًا مِنَ الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ، نَحْنُ نَرْزُقُ أَوْلَادَكُمْ وَإِيَّاكُمْ مَعَهُمْ، فَاللَّهُ يَرْزُقُ الْجَمِيعَ. إِنَّ أَوْلَادَهُمْ وَقَتْلَهُمْ - كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ قَبَائِلُ جَاهِلِيَّةٌ مَعَ بَنَاتِهَا - ذَنْبٌ عَظِيمٌ، وَإِثْمٌ كَبِيرٌ.

{ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا } (الإسراء: 32)

32- وَلَا تَقْرَبُوا مِنَ الرِّزْقِ، وَلَا تَتَعَاطَوْا أَسْبَابَهُ وَدَوَاعِيَهُ، فَإِنَّهَا تُقْرَبُ إِلَى الرِّزْقِ. وَهُوَ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ وَالْفَوَاحِشِ، وَمَسَلِكُ سَيِّئٍ، يورثُ الانْحِلَالَ الْخُلُقِيَّ فِي الْمَجْتَمَعِ، وَتَضْيِيعُ فِيهِ

الأنساب، ويُفقدُ فيه العِرضُ والشَّرَفُ، ويموتُ أَجَلُ خُلُقٍ في الإنسانِ وهو الحياءُ، وتَنفَكُّ الأَسْرُ، وتنتشرُ الأمراضُ الجِنسيَّةُ بِشَكْلِ وبائِيٍّ، مِثْلُ الزُّهْرِيِّ، والمهْرِسِ، والإيدزِ، والسَّيْلانِ، والفُطْرِيَّاتِ، وأمراضٍ أُخْرَى تُصِيبُ الجِهَازَ التَّناسُلِيَّ، وتَشوُّهاتٍ خَلْقِيَّةٍ تَنقَلُ إلى الأبناءِ والأحفادِ. معَ أمراضٍ اجتماعيَّةٍ أُشِيرَ إلى بَعْضِها، وهو يُؤدِّي إلى الطَّلَاقِ، وسوءِ التَّربِيَةِ، والأمراضِ النفسِيَّةِ، والجَرِيْمَةِ، ويُشجِّعُ العُزوبِيَّةَ، والإقدامَ على الاغتِصابِ، ويَنْتَشِرُ الإجهاضُ...

{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا} (الإسراء : 33)

33- ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله قتلها بسببٍ من الأسبابِ إلا بسببِ الحقِّ، كالقصاصِ، والرَّدَّةِ، والرِّنا بعدَ الإحصانِ. ومَنْ قُتِلَ بِعَيرِ حَقِّ، فَقَدْ جَعَلْنَا لِمَنْ يَلِي أمرَهُ سُلْطَةً على القاتِلِ، إن شاء قَتَلَهُ قِصاصًا، وإن شاء عفا عنه مُقابلَ الدِّيَةِ، وإن شاء عفا عنه ولم يأخذ منه شيئًا. ولا يتجاوزنَّ الوليُّ الحقَّ المشروعَ له، فيقتلُ غَيْرَهُ، أو يقتلُ اثْنينِ، أو يُمَثِّلُ بالقاتِلِ، فهو مَنْصُورٌ بما رُسمَ له من استيفاءِ حَقِّه، وكَفَى.

{وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} (الإسراء : 34)

34- ولا تتعرضوا لمال اليتيم - أيها الأولياء والأوصياء - إلا بما فيه صلاحه وتثميته، حتى يبلغ الحلم.

وأوفوا بالعهود والعقود التي تتعاهدون عليها، فكلُّ مَسْئُولٍ ومُحاسَبٍ على ما عاهدَ عليه وعَقَدَهُ. وتكونُ في مَضْمُونِها وشروطِها مُوافِقَةً لأحكامِ الشَّرِيعَةِ.

{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} (الإسراء : 35)

35- وأتموا المكيالَ والميزانَ بالعدل، في البيعِ والشراءِ، وزنوا بالميزانِ السَّوِيِّ، الذي لا اعوجاجَ فيه ولا انحرافَ، فذلكَ خَيْرٌ وأفضَلُ في مُعامَلاتِكُمْ وأحسَنُ عاقِبَةً لآخِرَتِكُمْ، وقتِ الثَّوابِ والعقابِ.

{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} (الإسراء : 36)

36- ولا تَتَّبِعْ ما لا عِلْمَ لَكَ بِهِ، ولا يَخْتَلِطُ عَلَيْكَ الوَهْمُ واليَقِينُ، فيلزمُ التَّثَبُّتُ مِنْ صِحَّةِ الخَبَرِ والواقِعَةِ، ولولا ذلكَ لاخْتَلَطَ الحَقُّ بالباطِلِ، وأخذَ النَّاسُ بالظَّنِّ والخَبَرِ الواهي، وجوارحُ الإنسانِ أمانةٌ عنده، كالسَّمْعِ، والبَصَرِ، والفؤادِ، فكلُّها مَسْئولةٌ مُحاسَبُ على وظيفَتِها.

{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} (الإسراء : 37)

37- ولا تَمْشِ في الأرضِ خَيْلاءً مُتَكَبِّرًا، فَإِنَّكَ لَن تَقطَعَ الأرضَ بِمَشِيكَ على هذهِ الهَيْئَةِ، ولا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُطاولَ الجِبَالَ بِتَمائِلِكَ وإعجابِكَ بِنَفْسِكَ، ولنْ يَنْفَعَكَ هذا شَيْئًا.

{كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا} (الإسراء : 38)

38- كلُّ ما ذُكِرَ مِنَ الأفعالِ والصِّفاتِ السيِّئَةِ فيما سَبَقَ مَكْرُوهَةٌ عندَ اللهِ، مَبغُوضَةٌ إليه.

{ذَلِكَ بِمَا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا} (الإسراء : 39)

39- وذلكَ الذي ذَكَرناهُ مِنَ الأَمْرِ بالصِّفاتِ الحَميدَةِ، والنهيِ عنِ الصِّفاتِ المردوَلَةِ، هوَ بَعْضُ ما أوحيناهُ إِلَيْكَ مِنَ الأحكامِ المِحْكَمَةِ، لتأمرَ النَّاسَ بها.

ولا تُشْرِكْ باللهِ في عِبادَتِهِ شَيْئًا، فَتُرْمَى في نارِ جَهَنَّمَ، مَطْرُودًا مُبْعَدًا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَفَضْلِهِ. والمخاطَبُ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتَّنْبِيهُ فِيهِ لِلأُمَّةِ، فَالتَّوْحِيدُ رَأْسُ العَقِيدَةِ وَمَبْدَأُ الأَمْرِ، والتَّحذِيرُ مِنَ الشَّرِكِ يَأْتِي في أوَّلِ التَّحذِيراتِ.

{ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا } (الإسراء : 40)

40- كيف تقولون إنَّ الملائكة بناتُ الله أيُّها المشركون الجاهلون؟ فهل اختار لكم ربُّكم أولادًا ذكورًا واتَّخذ لنفسه من الملائكة إناثًا؟ كيف تجعلون لربِّكم شيئًا تَكْرهونه لأنفسِكُمْ؟ إنَّكم تقولون قولًا مُستنكرًا من أساسه، عظيمًا في جرأته وشناعته.

{ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا } (الإسراء : 41)

41- ولقد ذكرنا في هذا القرآن، وكررنا فيه، ونوعنا أسلوب ما ندعوهم به إلى الإيمان والإسلام، بالحجج والبيّنات، والترغيب والترهيب، والموعظة والحكمة، ليتذكروا ويتعظوا، ويفقهوا ويتدبروا، ولكن ذلك لم يزيدهم إلا بُعدًا عن الحق، وإعراضًا عنه.

{ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا } (الإسراء : 42)

42- قُلْ لهم أيُّها النبيّ: لو كان مع الله آلهة أخرى - كما يزعم المشركون - لنافستة في الملك وطلبت مغالبتة بالقوّة والقهر كما يفعل ملوك الدنيا.

{ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا } (الإسراء : 43)

43- تنزه الله وتقدّس عما يقول المشركون من الإفك العظيم الذي يفترونه، وتعالى عن الشُّرك والشُّبهه تعاليًا كبيرًا، فهو الإله الواحد الأحد، الذي لا شريك له ولا شبيهه.

{ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ

لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } (الإسراء : 44)

44- تُقدّسُه السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ، مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالْإِنْسِ، وَالْجِنِّ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ إِلَّا وَيُسَبِّحُ اللَّهَ وَيَحْمَدُهُ، وَيَشْهَدُ بُوْحْدَانِيَّتِهِ، وَيَنْطِقُ بِعَظَمَتِهِ، مِنْ حَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ وَجَمَادٍ، طَوْعًا أَوْ كَرْهًا، كُلُّ بِطَرِيقَتِهِ وَلُغَتِهِ، وَلَكِنَّكُمْ لَا تَفْهَمُونَ تَسْبِيحَهُمْ، فَأَنْتُمْ غَيْرُ مُطَّلِعِينَ عَلَىٰ أَسْرَارِ خَلْقِهِمْ، وَلَا تَعْرِفُونَ لُغَتَهُمْ.

وكانَ اللهُ حَلِيمًا إِذْ لَمْ يُعَاجِلْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ وَقَدْ بَارَزْتُمُوهُ بِالْمَعْصِيَةِ، بَلْ أَمْهَلَكُمْ إِلَى حِينٍ، وَإِذَا تُبْتُمْ وَرَجَعْتُمْ إِلَى الْحَقِّ، عَفَا عَنْكُمْ وَعَفَّرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ.

وقد أكَّدَ عالمُ يابانيُّ مُتَخَصِّصٌ، هوَ رَئِيسُ مَعهَدِ هادو للبحوثِ العِلْمِيَّةِ، أَنَّ آيَةَ ذَرَّةٍ فِي عَالَمِ الوجودِ لها إدراكٌ وفهْمٌ وشعورٌ، وتُعظِّمُ خالقها وتُسَبِّحُه عن بصيرةٍ.

{ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا } (الإسراء

: 45)

45- وإذا قرأت القرآن أُنشأ النبي، جعلنا بينك وبين المشركين الذين لا يؤمنون باليوم الآخر مانعًا وحائلًا يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به. وكان يتوَصَّى بعضُهم بين بعضٍ ألاَّ يستمعوا إلى القرآن، فإذا سمعوه جاهدوا ألاَّ يلامس قلوبهم وألاَّ يتأثروا به! فعاقبهم اللهُ بذلك.

{ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ

وَلَوْ أَنَّ عَلَى أَذْبَارِهِمْ نُفُورًا } (الإسراء : 46)

46- وجعلنا على قلوبهم - عندما يسمعون القرآن - طبقة كالغلاف فلا يفهمونه، وفي آذانهم ثقلاً فلا ينتفعون بسماعه. وإذا وحَّدت اللهُ أثناءَ قِراءَتِكَ القرآنَ، انصَرَفوا راجعين؛ نُفُورًا من كَلِمَةِ التوحيد، التي تعني تغيير عقيدتهم الشركية وحياتهم الجاهلية.

{ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ

تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا } (الإسراء : 47)

47- نحنُ أعلمُ بما يستمعون به رؤساء المشركين عندما كانوا يستمعون إلى قِراءَتِكَ سرًّا، فقال كباروهم الذين ظلّموا أنفسهم وظلّموا قومهم: إذا اتبعتُم محمَّدًا فإنما تتبعون رجلاً مسَّهُ السَّحَر، فهو مجنون.

{ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا } (الإسراء : 48)

48- انظر أيها النبي كيف متلوك وبم شبّهوك، فقالوا هنا إنك مسحور مجنون، ومنهم من قال إنك كاهن، وقال غيرهم إنك شاعر... لقد صدّوا فطرتهم عن سماع الحق فنطقوا بالكفر، فضلّوا ولم يستطيعوا أن يسلكوا طريق الهداية، ولا علّوا موقفهم بكلام مفيد أو حجة مقنعة.

{ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا } (الإسراء : 49)

49- وقال المشركون متعجبين منكرين: إذا متنا وتحوّلت أجسادنا إلى عظام وثراب، فهل نحيا ونبعث من جديد كما كنّا أحياء من قبل؟

{ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا } (الإسراء : 50)

50- قل لهم أيها الرسول: كونوا حجارة قاسية، أو حديدًا صلبًا، ممّا هو أمتن وأثخن من العظام والثراب،

{ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا } (الإسراء : 51)

51- أو كونوا أيّ خلق يكبر في أفهامكم ممّا هو أشدّ وأبعد عن الحياة من الحجارة والحديد. فسيقولون لك: من الذي يرُدنا إلى الحياة بعد كلّ هذا؟

قل لهم: إن الذي خلقكم أوّل مرّة هو الذي يحييكم مرّة أخرى، وليست المرّة الثانية في الإحياء أصعب على الله من الأولى، فالله ليس كالبشر في محدوديّة قدرته، بل هو قويّ قادر، يأمر بالخلق فيكون كما يريد، في الوقت الذي يريد.

فيستنكرون هذا الجواب منك، ويحركون رؤوسهم نفيًا واستهزاء. ويقولون استبعادًا لأمر البعث: متى سيكون ذلك؟ فقل لهم: عسى أن يكون ذلك اليوم قريبًا، فهو آتٍ لا بُدّ، فاحذروا ولا تغفلوا.

{ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا } (الإسراء : 52)

52- يَوْمَ يَدْعُوكُمْ اللَّهُ مِنْ قُبُورِكُمْ لِلْحَشْرِ، فَتَقُومُونَ جَمِيعًا وَتُبْعَثُونَ اسْتِجَابَةً لِأَمْرِهِ، حَامِدِينَ لَهُ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَتَظُنُّونَ أَنَّكُمْ لَمْ تَمُكِّثُوا فِي الدُّنْيَا، أَوْ فِي الْقُبُورِ، إِلَّا زَمَنًا قَلِيلًا.

{ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا } (الإسراء : 53)

53- وَقُلْ لِعِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ يَتَحَلَّلُوا بِاللِّينِ وَالْحِلْمِ فِي كَلَامِهِمْ وَحِوَارِهِمْ مَعَ الْآخَرِينَ، وَيَقُولُوا الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ، وَيَخْتَارُوا أَحْسَنَ الْكَلَامِ وَمُهَدَّبَهُ، لِيَكُونَ أَوْقَعَ فِي النَّفْسِ، وَأَكْثَرَ تَأْتِيرًا، وَأَفْضَلَ اسْتِجَابَةً. وَالشَّيْطَانُ يَتَحَيَّنُ الْخَطَأَ لِيَنْفُخَ فِيهِ وَيَجْعَلُهُ سَبَبًا لِلْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ ظَاهِرُ الْعَدَاوَةِ لَهُمْ. وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ تُبْعِدُهُ عَنْ مَجْلِسِ أَصْحَابِهَا وَأَحَادِيثِهِمْ، فَيَكُونُونَ مُتَأَلِّفِينَ مُتَوَادِّينَ، بَعِيدِينَ عَنْ هَمْزَاتِهِ وَنَزَعَاتِهِ.

{ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْحِمَكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا } (الإسراء : 54)

54- رَبُّكُمْ مُطَّلِعٌ عَلَى نَفُوسِكُمْ، وَيَعْلَمُ اسْتِعْدَادَ كُلِّ مِنْكُمْ وَقَابِلِيَّتَهُ لِلهُدَى أَوْ الضَّلَالِ، فَإِنْ شَاءَ رَحِمَكُمْ فَوْقَكُمْ لِلْإِيمَانِ، وَإِنْ شَاءَ خَذَلَكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ فَأَمَاتَكُمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، بَعْلَمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَعَذَّبَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِكُفْرِكُمْ بِهِ، { وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } [سورة الكهف: 49]. وَمَا جَعَلْنَاكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - كَفِيلًا بِهَدَايَةِ الْمَشْرِكِينَ، وَقَادِرًا عَلَى إِصْلَاحِ قُلُوبِهِمْ، إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ، مُبَلِّغٌ.

{ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زُبُورًا } (الإسراء : 55)

55- وَعِلْمُ اللَّهِ مُحِيطٌ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَعْلَمُ أَحْوَالَهُمْ وَدَرَجَاتِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، فَيَخْتَارُ مَنْ شَاءَ لِنُبُوتِهِ وَوِلَايَتِهِ. وَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى آخَرِينَ مِنْهُمْ، فَقَدْ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَآتَى عِيسَى مُعْجَزَاتٍ، كإحياء الموتى بإذن الله، وَفَضَّلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْعَالَمِينَ، فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَرِسَالَةُ الْإِسْلَامِ نَسَخَتْ سَائِرَ الرِّسَالَاتِ

السَّابِقَةَ. وَآتَيْنَا دَاوُدَ الزَّبُورَ، وَكُلُّهُ دُعَاءٌ وَتَمَجِيدٌ وَثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ جَعَلْنَا لَهُ فِضَالًا
وَشَرْفًا، لِعِلْمِهِ وَطَاعَتِهِ لَا لِمَلِكِهِ. عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ جَمِيعًا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ.

{ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا } (الإسراء : 56)

56- قُلْ لِلْمُشْرِكِينَ أَيُّهَا الرَّسُولُ: ادْعُوا هَذِهِ الْأَصْنَامَ أَوْ الْجِنَّ أَوْ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ
لِيَكْشِفُوا عَنْكُمْ مَا يُصِيبُكُمْ مِنْ فَقْرٍ وَمَرَضٍ وَقَحْطٍ وَغَيْرِهِ، أَوْ يُحَوِّلُوهَا إِلَى غَيْرِكُمْ. إِنَّهُمْ لَا
يَمْلِكُونَ ذَلِكَ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، فَهَمْ لَيْسُوا آلِهَةً، إِنَّمَا الْإِلَهُ الْحَقُّ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، هُوَ اللَّهُ
وَحْدَهُ، وَهُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ لَا غَيْرُهُ.

**{ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ
عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } (الإسراء : 57)**

57- إِنَّ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُوهُمْ الْمُشْرِكُونَ وَيَعْبُدُونَهُمْ (وَكَانُوا جِنًّا أَسْلَمُوا) يَطْلُبُونَ مِنَ اللَّهِ
الْقُرْبَ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَيَنْظُرُونَ فِي أَفْضَلِ وَأَحْسَنِ مَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ لِيَفْعَلُوهُ،
وَيَرْجُونَ بِذَلِكَ رَحْمَتَهُ وَعَفْوَهُ، وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ وَيَتَّقُونَهُ، وَإِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ مُخِيفٌ، يَحْذَرُهُ
الْعَاقِلُونَ، وَيَحْتَرِزُ مِنْهُ الْعَارِفُونَ.

وَفِي الصَّاحِحِينَ وَغَيْرِهِمَا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنَّ، فَأَسْلَمَ
الْجِنِّيُّونَ، وَالْإِنْسُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

**{ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي
الْكِتَابِ مَسْطُورًا } (الإسراء : 58)**

58- وَلَيْسَ هُنَاكَ قَرْيَةٌ أَوْ مَدِينَةٌ مِنْ مَدَنِ الْكُفَّارِ إِلَّا وَنَحْنُ مُهْلِكُوهَا وَمُيَبِّدُو أَهْلِهَا قَبْلَ أَنْ
تَقُومَ الْقِيَامَةُ، أَوْ مُعَذِّبُوهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا، وَهَذَا حُكْمٌ كَتَبَهُ اللَّهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، لَا يَتَغَيَّرُ.

{ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا } (الإسراء : 59)

59- وما صرفنا أن نبعث الآيات والمعجزات التي اقترحها كُفَّار قُرَيْش، إلا خشية ألا يؤمنوا بها، فإنهم إن كفروا بها أهلكناهم، وقد سبق أن أنزلنا معجزاتٍ على أقوامٍ سابقين، فكذبوا بها فأهلكناهم.

وفي مُسندِ أحمدَ بإسنادٍ صحيح، أنَّ أهلَ مَكَّةَ سألوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم أن يجعلَ لهم الصِّفا ذهبًا، وأن يُنحِّيَ الجبالَ عنهم فيزدريعوا، فقيلَ له: إن شئتَ أن تستأنيَ بهم، وإن شئتَ أن نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكتُ من قبلهم. قال: "لا، بل أستأني بهم". فأنزلَ اللهُ هذه الآية. اهـ.

وقد آتينا ثمودَ النَّاقَةَ مُعْجِزَةً واضِحَةً دالَّةً على قُدْرَةِ الخالقِ وإبداعِهِ، وعلى صِدْقِ رَسولِهِ، وكانَ ذلكَ بطلبِ قَوْمِهِ، فكفروا بكونِها من عندِ اللهِ، وكذبوا رَسولَهُ، وعقروها، وقد حُذِّروا من ذلك. ونُرْسِلُ المعجزاتِ وآياتِ القرآن، أو العِبَرِ والدَّلالاتِ، تَخْوِيفًا وإنذارًا للعباد، ليؤمنوا ويرتدعوا عمَّا هم عليه.

{ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا } (الإسراء : 60)

60- وقد قلنا لك أيها النبي إنَّ النَّاسَ في قبضةِ قُدْرَةِ اللهِ وتحتَ تصرُّفه، وقد منعهم اللهُ من إيدائك وعصمك منهم.

وما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا التي أَرَيْنَاكَ رأيَ العين، وهي الإسراءُ والمعراج، إلا اختبارًا للنَّاسِ وامتحانًا لهم، لتعلمَ الصَّادِقَ منهم في إيمانِهِ، والكاذِبَ أو الضَّعيفَ فيه.

وقد ارتدَّ بعضُ النَّاسِ بعدَ حادِثَةِ الإسراءِ، وازدادَ آخرونَ يَقيِنًا.

روى البُخاريُّ في صحيحِهِ قولَ ابنِ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما في هذا: هي رُؤْيَا عَيْنِ أَرِيهَا رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ليلةَ أُسْرِي به إلى بَيْتِ المقدِسِ. اهـ.

وكذلكَ شَجَرَةُ الرُّقُومِ الملعونةُ التي ذكرها اللهُ في القرآنِ وخوَّفَ بها المكذِّبينَ، التي أَرَيْنَاكها في رحلتِكَ في المعراجِ، فكذبوا بها.

وفي مُسْنَدِ أَبِي يَعْلَى وَأَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ: يُخَوِّفُنَا مُحَمَّدٌ بِشَجَرَةِ الرَّقُومِ، هَاتُوا تَمْرًا وَزُبْدًا تَرْقُمُوا!

والآياتُ التي وردَ فيها ذِكْرُ شَجَرَةِ الرَّقُومِ فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ (62-66)، وَالذُّخَانِ (43-46).

وَيُخَوِّفُ الْكَافِرِينَ بِالْوَعِيدِ وَالْعَذَابِ، فَلَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا تَمَادِيًا فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ.

{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا}

(الإسراء : 61)

61- واذكُرْ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ سَجْدَةً تَكْرِيمًا لَا سَجْدَةَ عِبَادَةٍ، بَعْدَ أَنْ سَوَّيْنَا خَلْقَهُ وَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا، فَسَجَدَ لَهُ جَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ مُلَبِّينَ أَمَرَ اللَّهُ، إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي أَنْ يَسْجُدَ، وَقَالَ احْتِقَارًا لَهُ وَمُسْتَعْلِيًا عَلَيْهِ: أَأَسْجُدُ لِهَذَا الَّذِي خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ؟ لَقَدْ عَصَى إِبْلِيسُ أَمْرَ رَبِّهِ، وَغَفَلَ، أَوْ تَغَافَلَ عَنِ النَّفْحَةِ الرَّبَّانِيَّةِ الَّتِي أودَعَهَا فِي الطِّينِ الَّذِي خَلَقَ مِنْهُ آدَمَ، وَعَادَاهُ مِنْذُ أَوَّلِ خَلْقِهِ.

{قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَخْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا

قَلِيلًا} (الإسراء : 62)

62- وَقَالَ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ يُخَاطَبُ رَبَّهُ فِي جُرْأَةٍ وَوَقَاحَةٍ: أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَخْلُوقَ الَّذِي كَرَّمْتَهُ وَفَضَّلْتَهُ عَلَيَّ، إِذَا مَدَدْتَ فِي عُمْرِي وَأَبْقَيْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لِأَسْتَوْلِيَنَّ عَلَى ذُرِّيَّتِهِ وَأُضِلَّيَنَّهُمْ عَنِ الْهُدَى، إِلَّا الْقَلِيلَ مِنْهُمْ.

{قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا} (الإسراء : 63)

63- قَالَ لَهُ رَبُّهُ: اذْهَبْ، فَقَدْ أَخَّرْتُكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَاعْمَلْ عَلَى ضَلَالٍ مَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ، فَمَنْ آثَرَ طَاعَتَكَ عَلَى طَاعَتِي فَإِنَّ جَزَاءَكَ وَجَزَاءَ مَنْ تَبِعَكَ جَهَنَّمَ، جَزَاءً وَافِرًا كَامِلًا لَا يُنْقَصُ لَكُمْ مِنْهُ.

{وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} (الإسراء : 64)

64- اسْتَحْفََّ وَاخْدَعَ مِنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَخْبِكَ وَتَهْوِيلِكَ وَتَزْيِينِكَ، وَصَحَّ عَلَيْهِمْ بِجُنُودِكَ كُتْلَهُمْ، رَاكِبَهُمْ وَمَاشِيَهُمْ، وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ بِمَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ لِإِضْلَالِهِمْ⁽⁷²⁾، وَشَارِكِهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ، بِكَسْبِهَا مِنْ الْحَرَامِ، وَإِنْفَاقِهَا فِي الْحَرَامِ، وَجَعَلَ نَصِيبٍ مِنْهَا لِلْأَصْنَامِ. وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَوْلَادِ، بِتَرْبِيَّتِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ، أَوْ قَتْلِهِمْ خَوْفًا مِنَ الْفَقْرِ، أَوْ تَسْمِيَّتِهِمْ بِمَا يَكْرَهُ اللَّهُ، وَعَدْتُمْ بِالْمَغْرِبَاتِ الْكَاذِبَةِ، أَمَلْتُمْ بِالْعُمْرِ الطَّوِيلِ، وَالْمَلِكِ الْعَرِيضِ، وَشَفَاعَةِ الْأَصْنَامِ لَهُمْ إِذَا وَقَعُوا فِي الضُّيْقِ، وَقُلْ لَهُمْ: لَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ وَلَا بَعثَ. وَمَا مَوَاعِيدُ الشَّيْطَانِ لَهُمْ إِلَّا حَيْلٌ وَتَكْذِيبٌ، وَتَزْيِينٌ لِلْبَاطِلِ بِمَا يُظَنُّ أَنَّهُ حَقٌّ.

{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا} (الإسراء : 65)

65- إِنَّ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ، الْمُتَحَصِّنِينَ مِنْكَ بِالْإِيمَانِ وَالتَّوَكُّلِ، لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ تَسَلُّطٌ وَتَفْوُذٌ بِأَعْوَانِهِمْ، فَهُمْ فِي حِفْظِ اللَّهِ وَحِرَاسَتِهِ، وَكَفَى بِاللَّهِ حَافِظًا وَمُعِينًا.

{رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}

(الإسراء : 66)

(72) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: إِنَّ خَيْلًا وَرَجُلًا مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ، فَمَا كَانَ مِنْ رَاكِبٍ يُقَاتِلُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَهُوَ مِنْ خَيْلِ إبْلِيسَ، وَمَا كَانَ مِنْ رَاكِبٍ يُقَاتِلُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَهُوَ مِنْ رَجَلِ إبْلِيسَ. وَبِجُورٍ أَنْ يَكُونَ اسْتَفْزَارُهُ بِصَوْتِهِ وَإِجْلَابُهُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ تَمَثِيلًا لِتَسَلُّطِهِ عَلَى مَنْ يُغْوِيهِ، فَكَأَنَّهُ مَغْوَاؤُ أَوْقَعَ عَلَى قَوْمِ فَصَوَّتَ بِهِمْ صَوْتًا يُرْجِعُهُمْ مِنْ أَمَاكِنِهِمْ وَيُقْلِعُهُمْ عَنْ مَرَازِكِهِمْ، وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِجُنُودِهِ مِنْ خَيْالَةٍ وَرَجَالَةٍ حَتَّى اسْتَأْصَلَهُمْ. (البيان).

تَمَثِيلٌ لِحَالِ صَرْفِ قُوَّتِهِ وَمَقْدَرَتِهِ عَلَى الْإِضْلَالِ بِحَالِ قَائِدِ الْجَيْشِ، يَجْمَعُ فِرْسَانَهُ وَرَجَالَتَهُ.. وَمَا كَانَ قَائِدُ الْجَيْشِ يَنَادِي فِي الْجَيْشِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْغَارَةِ، جَازَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: {وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ} مِنْ جَمَلَةِ هَذَا التَّمَثِيلِ... وَالْمَعْنَى: أَجْمَعُ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَسَائِلِ الْفِتْنَةِ وَالْوَسْوَسَةِ لِإِضْلَالِهِمْ. (التحريم والتنوير).

66- وكان عليكم أن تعرفوا عداوة الشيطان لكم فتبتعدوا عنه، وتوجهوا إلى ربكم الذي يسخر لكم ما شاء ويسهل لكم مصالحكم، فهو الذي يدفع لكم السفن في البحر لتطلبوا رزقكم بالتجارة فيه، وتنقلوا من بلد إلى بلد، وهذا من فضله عليكم ورحمته بكم.

{ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَ فَلَمَّا بَلَغَا مَجَاكُم إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا } (الإسراء : 67)

67- وإذا أصابكم الخوف في البحر، فقويت الرياح، وهاج الموج، وتمايلت السفينة منذرة بالغرق، ذهب عنكم كل من كنتم تدعوهم وتعبدهم إلا الله، وعرفتم أنه لن يغيثكم إلا هو، فلما خلصكم من ذلك الكرب، وأنقذكم من هول البحر وأمواجه، وأوصلكم سالمين إلى البر، أعرضتم عن توحيد ربكم، ورجعتم إلى الشرك والمعصية. وهذه عادة الإنسان، الذي ينسى النعم، ويجحد المعروف، إلا من عصم الله، وتثبت على الإيمان.

{ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا } (الإسراء : 68)

68- وإذا نجوتم فصرتم في طرف البر، أظننتم - أيها الغافلون - أنكم ناجون من بطش الله وانتقامه؟ أفأمنتم أن يزلزل الأرض من تحت أقدامكم، أو يثير بركاناً فيقتدركم منه، فيهلككم جميعاً؟ ولن تجدوا من يحميكم من عذابه وسخطه.

{ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا } (الإسراء : 69)

69- أم أمنتم أن يرُدكم الله إلى البحر الذي أنجاكم منه مرة أخرى، فيبعث عليكم ريحاً شديدة جداً، تُدوي لسرعتها، وتكسر ما تمُرُّ به لقوتها، فيغرقكم بسبب كفركم وإعراضكم عن الله تعالى؟ ولن تجدوا من يتابع أمر غرقكم فيثأر لكم.

{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} (الإسراء : 70)

70- ولقد جعلنا بني آدم ذوي كرامةٍ وشرفٍ، ومحاسنٍ وفضائلٍ، بما أودع الله فيهم من فطرةٍ، وأكرمهم من عقلٍ، وجعلهم خُلَفَاءَ في الأرض، وسخر لهم ما في السموات والأرض. وسهلنا لهم التنقل في البرِّ والبحر بما ذللناه لهم من الدوابِّ والسُّفُنِ وغيرها من المراكب، ورزقناهم أنواعَ المطاعمِ والمشاربِ، مما لَدَّ وطابَ ونفع. وقد فضَّلنا بني آدم بهذا التَّكريمِ، وباستِخلافِهِ في الأرض، على كثيرٍ من المخلوقات، تفضيلاً كبيراً بيئاً.

{يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِتْيَالًا} (الإسراء : 71)

71- ويومَ القيامةِ ننادي كلَّ جماعةٍ ينسبُ إليهم إلى الإمامِ والقائدِ الذي اتَّبَعوه، فمن أُعطيَ صحيفةً عملِهِ يمينه، فأولئك يقرؤونها بفرحٍ وابتهاجٍ، ولا يُنقصون من أجورِ أعمالهم شيئاً، ولو كان مثقالَ القشْرِ الرِّفيعِ الذي في وسطِ النَّوَاةِ.

{وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا} (الإسراء : 72)

72- ومن كان في هذه الدنيا ضالاً لا يُبصرُ سبيلَ الرُّشدِ، ولا يَهتدي إلى طريقِ الحقِّ الذي بينه له اللهُ في كتبه وعلى ألسنةِ رسله، فهو في الآخرةِ أيضاً لا يَهتدي إلى مَنْ يُسَعِّفه ويُنجيه، فهو ثمرةُ عمله السيِّءِ، ومن كان غافلاً لاهياً وأفاق على جدِّ لقي ما لا يُحِبُّ، بل هو أكثرُ ضلالاً منه في الدنيا، لعدمِ إمكانِ تدارِكِ ما فاته، ولا عودته إلى الدنيا ليعملَ صالحاً.

{وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِينَا إِلَيْكَ لِيَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَلْتَمِدُونَكَ خَلِيلًا} (الإسراء : 73)

73- وقد كادَ المشركونَ أن يوقعوكَ في الفتنة، ويصرفوكَ عما أوحيناك إليك من الأحكام، لما يُراجعونك فيه ويقترحونه، ويطلبون منك أن تُخْتَلِقَ على الله غيرَ ما أوحاهُ إليك، ولو وافقتهم على ذلك لالتخذوكَ صديقاً وولياً لهم.

{وَلَوْلَا أَن تَبَتَّنَاكَ لَفَدَّ كِدْتُ تَزَكُّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا} (الإسراء : 74)

74- ولو لم نُنَبِّتَكَ على الحقِّ لكِدْتُ أن تَمِيلَ إليهم شَيْئًا قَلِيلًا، لَشِدَّةِ كَيْدِهِمْ واحتِيالِهِمْ.

{إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا} (الإسراء : 75)

75- ولو أَتَكَ مِلْتَ إليهم ولو شَيْئًا قَلِيلًا، لَأَذَقْنَاكَ عَذَابًا مُضَاعَفًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَعَذَابًا مُضَاعَفًا فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ، ثُمَّ لَا تَجِدُ مُعِينًا يَمْنَعُكَ مِنْ عَذَابِنَا.

وقد عصم الله رسوله الكريم من فتنه المشركين والركون إليهم. وهذا درس كبير للمسلمين بعدم التنازل لهم عن شيء من أحكام دينهم للكافرين، فهو نظام متكامل لا يصلح التفريط بجزء منه. وفرق بين العزة بالإسلام والفخر به، وبين التنازل عنه أو عن بعضه.

{وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا} (الإسراء : 76)

76- وقد كاد مشركو مكة أن يُزِعِجُوكَ بعداوتهم ومكرهم ليُخْرِجُوكَ منها، ولو أنهم فعلوا ذلك لما بقوا في مكة بعدك إلا زمنًا يسيرًا حتى يهلكوا.

قال مفسرون: وقد كفهم الله عن ذلك حتى أمر رسوله بالهجرة.

وذكر آخرون أنهم فعلوا ذلك، فعاقبهم الله، حيث أمكن منهم رسوله يوم بدر، فقتل أشrafهم وسبى ذراريهم... أو أنه دخل مكة وفهر أهلها ثم أطلقهم جلمًا وكرمًا. صلى الله عليه وسلم. وللتوفيق بين الأمرين يُقال: إن المشركين كانوا سببًا في خروجه عليه الصلاة والسلام، ثم أمره الله بالهجرة.

{سُنَّةٌ مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا} (الإسراء : 77)

77- وهذه طريقتنا مع رسلنا من قبلك، إذا أخرجهم قومهم من بين أظهرهم عاقبناهم، ولا تجد لطريقتنا تبديلًا أو تغييرًا.

{ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا } (الإسراء : 78)

78- أَقِمِ الصَّلَاةَ مِنْ مِيلَانِ الشَّمْسِ - وَهُوَ انْحِرَافُهَا مِنْ وَسْطِ السَّمَاءِ - إِلَى بُدُؤِ اللَّيْلِ. فَتَدْخُلُ فِيهِ الصَّلَاةُ الْأَرْبَعَةُ: الظُّهْرُ، وَالْعَصْرُ، وَالْمَغْرِبُ، وَالْعِشَاءُ. وَقُرْآنَ الْفَجْرِ: صَلَاةُ الصُّبْحِ. إِنَّ صَلَاةَ الْفَجْرِ يَشْهَدُهُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ. وَتَفْسِيرُ "مَشْهُودًا" بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ.

{ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا } (الإسراء: 79)

79- وَقَدْ بَعَدَ نَوْمَكَ وَصَلَّ صَلَاةَ التَّهَجُّدِ أَيُّهَا النَّبِيُّ، زِيَادَةً عَلَى سَائِرِ الْفَرَائِضِ عَلَيْكَ، وَوَاطَبْتَ عَلَيْهَا، لِتُقِيمَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَقَامًا يَحْمَدُكَ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، وَيُكْرِمَكَ فِيهِ إِكْرَامًا عَظِيمًا. وَيَبْدُو أَنَّهُ مَقَامُ الشَّفَاعَةِ لِلنَّاسِ، حَيْثُ يُرِيحُهُمُ اللَّهُ بِشَفَاعَتِهِ مِنْ شِدَّةِ وَهَوْلِ يَوْمِ الْحِشْرِ وَكَرْبِهِ، بَأَن يُحَاسِبَهُمُ اللَّهُ وَيَقْضِي بَيْنَهُمْ، وَيَعْتَذِرُ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

والتَّهَجُّدُ، أَوْ قِيَامُ اللَّيْلِ، فِيهِ صَلَاةُ الْوَتْرِ، وَهُوَ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، أَوْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، وَهُوَ سُنَّةٌ لِلْمُسْلِمِينَ عُمُومًا، وَلَهُ فَضْلٌ كَبِيرٌ، وَثَوَابٌ عَظِيمٌ. يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ ذَابُّ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ، وَمَنْهَاجٌ عَنِ الْإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلْسَيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ". وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَاللَّفْظُ لِلتِّرْمِذِيِّ.

وَحُكْمُ قِيَامِهِ بِمَا يَخْصُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُبَيَّنٌ فِي تَفْسِيرِ آخِرِ آيَةٍ مِنْ سُورَةِ الْمُرْتَلِّ.

{ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا } (الإسراء : 80)

80- وَقُلْ فِي دُعَائِكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ: { رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ } : وَهُوَ الْإِدْخَالُ الْمَرْضِيُّ لِمَكَانٍ لَا يُرَى فِيهِ مَكْرُوهٌ، وَفُسِّرَ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ مَهَجْرِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. { وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ } : أَمَّا لَا أَرَى فِيهِ مَكْرُوهًا، وَهُوَ مَكَّةُ الْمُكْرَّمَةِ. فَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ الصَّحِيحِ: كَانَ

النبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ، ثُمَّ أَمَرَ بِالهِجْرَةِ، فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ...}. اهـ.

واجعل لي من عندك قوَّةً كبيرةً ومنعةً أستعين بها على الأعداء وأنتصر عليهم.

{وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} (الإسراء : 81)

81- وَقُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: جَاءَ الْإِسْلَامُ الْحَنِيفَ، وَالشَّرْعُ الْعَظِيمَ، وَزَالَ الشِّرْكَ وَالْكَفْرَ، فَلَا عِبَادَةَ لِلْأَصْنَامِ بَعْدَ الْيَوْمِ، وَلَا ثَبَاتَ لِلْبَاطِلِ، وَلَا مَكَانَ لَهُ مَعَ وَجُودِ الْحَقِّ.

{وَوُنزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} (الإسراء

: 82)

82- وَوُنزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا يَكُونُ شِفَاءً وَعِلَاجًا لأمراضِ النَّفْسِ وَالْقَلْبِ، مِنْ ضَلَالَةٍ وَجَهَالَةٍ، وَوَسْوَسةٍ وَشَكٍّ، وَزَيْغٍ وَقَلْقٍ، وَهَوَى وَطَمَعٍ، وَانْحِرَافٍ وَزَلَلٍ، فَيُسَكِّنُ النَّفْسَ، وَيُطَمِّئِنُ الْقَلْبَ. وَهُوَ رَحْمَةٌ، فِيهِ الْإِيمَانُ الصَّحِيحُ، وَالذَّلِيلُ إِلَى الْحَقِّ، وَالثَّبَاتُ عَلَيْهِ، وَالرَّغْبَةُ فِي الْخَيْرِ وَالْعَمَلُ الصَّالِحِ، وَالتَّمَهِيدُ إِلَى رِضَى اللَّهِ وَدُخُولِ جَنَّتِهِ. وَهَذَا كُلُّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْقُرْآنِ، الْمُتَّبِعِينَ لهُدْيِهِ، الَّذِينَ جَعَلُوهُ دُسْتورًا لَهُمْ، يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ، وَيَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ.

أَمَّا الْكَافِرُونَ بِهِ، فَلَيْسَ الْقُرْآنُ شِفَاءً لَهُمْ وَلَا رَحْمَةً، فَهَمْ يَكْفُرُونَ بِمُنزَلِهِ، وَيُكذِّبُونَ الْمُنزَلَ عَلَيْهِ، فَيَزِيدُونَ ضَلَالًا، وَظُلْمًا وَفَسَادًا، لِبُعْدِهِمْ عَنْهُ وَمُنَاقَضَتِهِمْ لِأَحْكَامِهِ، فَهَمْ خَائِبُونَ خَاسِرُونَ.

{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُؤُوسًا} (الإسراء :

83)

83- وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ بِالْمَالِ وَالْعَاقِيَةِ، وَنَالَ مَا يَرْغَبُ وَيَشْتَهِي، بَطَرَ وَاسْتَعْلَى، وَجَحَّ فِي الظُّلْمِ وَطَعَى، وَأَعْرَضَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ، فَلَمْ يَذْكُرْهُ وَلَمْ يَشْكُرْهُ.

وَإِذَا أَصَابَتْهُ الْمِصَائِبُ وَالْحَوَادِثُ، وَنَالَ مِنْهُ الشَّدَائِدُ وَالنَّوَازِلُ، انْكَفَأَ عَلَى نَفْسِهِ، فَحَزِنَ وَقَنَطَ، وَظَنَّ أَنْ لَنْ يَحْصُلَ لَهُ خَيْرٌ بَعْدَ هَذَا؛ لضعفهٍ وَشِدَّةِ جَزَعِهِ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ.

{ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا } (الإسراء : 84)

84- قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: كُلُّ مَنْ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ يَعْمَلُ عَلَىٰ نَاحِيَّتِهِ، وَمَذْهَبِهِ وَمِنْهَجِهِ، الَّذِي يُوَافِقُ حَالَهُ وَوَجْهَتَهُ، وَرَبُّنَا أَعْلَمُ مَنَّا وَمِنْكُمْ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ طَرِيقًا، وَمَنْ هُوَ أَضَلُّ، وَسَيَجْزِي كُلًّا بِمَا عَمِلَ.

{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } (الإسراء : 85)

85- وَيَسْأَلُكَ الْمَشْرِكُونَ عَنْ حَقِيقَةِ الرُّوحِ، فَقُلْ لَهُمْ: هُوَ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ الَّذِي اخْتَصَّ اللَّهُ بِهِ، وَسِرٌّ مِنْ أَسْرَارِهِ الَّذِي أَوْدَعَهُ فِي بَعْضِ كَائِنَاتِهِ، وَلَمْ يُطْلِعْكُمْ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَعِلْمُكُمْ مَحْدُودٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ عِلْمِ اللَّهِ، وَمَا وَهَبَكُمْ مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلَ.

{ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا } (الإسراء : 86)

86- وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَذْهَبَ هَذَا الْقُرْآنَ الْمَوْحَىٰ بِهِ إِلَيْكَ، وَحَرَمْنَاكَ وَالْبَشَرِيَّةَ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْخَيْرِ الصَّادِقِ، وَالْخَيْرِ الْعَمِيمِ، الَّذِي هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ لَا تَجِدُ مَنْ يَتَعَهَّدُ لَكَ بِإِعَادَةِ مَا حَرَمْنَاكَ مِنْهُ إِلَيْكَ،

{ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا } (الإسراء : 87)

87- وَلَكِنْ لَا نَشَاءُ ذَلِكَ، رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ بِكَ وَبِالنَّاسِ، وَفَضْلُهُ كَبِيرٌ عَلَيْكَ، وَمِنَّتُهُ عَظِيمَةٌ عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، بِإِنزَالِ هَذَا الْقُرْآنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نِعَمِهِ.

{ قُلْ لَّيِّنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } (الإسراء : 88)

88- قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: لَوْ أَنَّ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ كُلَّهُمْ اجْتَمَعُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَمَا قَدَرُوا عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَوْ بَدَّلُوا كُلُّ مَا فِي وَسْعِهِمْ مِنْ عِلْمٍ وَإِبْدَاعٍ وَمَوْهَبَةٍ وَمَهَارَةٍ، فَهَوَ

كلامُ الله المعجِزُ المحكِّم، لا يَقْدِرُ مخلوقٌ على أن يأتي بمثله، ولا بعشر آياتٍ منه، ولا بسورةٍ قصيرةٍ منه لا تتجاوزُ الثلاث آيات. ولو كان من كلام الخلق لأتوا بمثله.

{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا} (الإسراء : 89)

89- ولقد بيَّنا للناسِ وكررنا لهم في هذا القرآنِ بأساليبٍ شتى، الأدلَّةَ والبراهينَ التي تُوضِّحُ الحقَّ لهم، ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يُريدون الصَّواب، أو لا يُريدون العملَ به، فيعانِدون ويحَدِّثون، ويُفسِّرونَ الأمورَ ويُتبعونها كما يوافقُ أهواءَهُم ومصالحَهُم الدُّنيويَّةَ الظَّاهِرةَ.

{وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا} (الإسراء : 90)

90- وقال لك مشركو مكَّة في تحدِّ وعناد: لا نسلِّمُ بأنَّ هذا القرآنَ من عندِ الله، ولا نُؤمِنُ بنبوتِكَ، حتَّى تفجرَ عيناَ تجري في أرضنا كالنَّهر.

{أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرُ الْأَنْهَارُ خِلالَهَا تَفْجِيرًا} (الإسراء : 91)

91- أو يكون لك بُستانٌ فيه أشجارُ النَّخيلِ والعِنَبِ الكثيرة، وتُفجَّرُ⁽⁷³⁾ فيها العيونُ والينابيعُ فتجري في خِلالها الأنهارُ جريانًا.

{أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالِهٍ وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلًا} (الإسراء : 92)

(73) أي: تُجرىها بقوة. (فتح القدير).

92- أو تُسْقَطَ عَلَيْنَا السَّمَاءَ قِطْعًا كَمَا زَعَمْتَ أَنْ رَبِّكَ إِنْ شَاءَ فَعَلَ، أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ مُقَابَلَةً وَعِيَانًا يَشْهَدُونَ بِصِحَّةِ مَا تَقُولُ.

{ أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَبِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا } (الإسراء : 93)

93- أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذَهَبٍ، أَوْ تَصْعَدَ فِي السَّمَاءِ وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَيْكَ، وَلَنْ نُصَدِّقَ صُعُودَكَ فِيهَا حَتَّى تُنَزِّلَ مِنْهَا عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَأُ فِيهِ أَمْرًا بِاتِّبَاعِكَ.

قُلْ لَهُمْ تَعَجُّبًا: تَعَالَى اللَّهُ وَتَنْزَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، مَا أَنَا إِلَّا رَسُولٌ مِّنَ الْبَشَرِ، وَالْمُعْجِزَاتُ لَيْسَتْ مِنْ صُنْعِ الرُّسُلِ، وَلَيْسَ مِنْ أَدْبِهِمْ مَعَ رَبِّهِمْ أَنْ يَطْلُبُوهَا مِنْهُ إِذَا لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ بِهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِعِبَادِهِ وَمَا يَصْلُحُ مِنْ أَنْزَالِهِ عَلَيْهِمْ. وَبَيْنَهَا مَا لَا يُجَابُونَ إِلَيْهِ، كُنُزُورِ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ. وَقَدْ تَرَكَوا الْقُرْآنَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَهِيَ الْمُعْجِزَةُ الْكُبْرَى الْكَافِيَةُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى نُبُوَّةِ النَّبِيِّ.

{ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا } (الإسراء : 94)

94- وما منع أكثر الناس من الإيمان بالرسول بعد أن جاءهم الوحي بذلك مقرونًا بالمعجزات، إلا كونهم مستبعدين ومُنكرين أن يكون الرسول من البشر!

{ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا } (الإسراء : 95)

95- قُلْ لَهُمْ فِي حِكْمَةٍ: لَوْ وُجِدَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ كَمَا يَمْشِي الْبَشَرُ، سَاكِنِينَ فِيهَا، لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا مِنْ جِنْسِهِمْ، لِيَفْهَمُوا مِنْهُ وَيَتَمَكَّنُوا مِنْ مُحَاطَتِهِ. وَكُلُّ يَأْنَسُ بِجِنْسِهِ وَنَوْعِهِ وَيَمِيلُ إِلَيْهِ.

{ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا } (الإسراء : 96)

96- قُلْ لِلْمُشْرِكِينَ: كَفَىٰ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَحْدَهُ شَهِيدًا عَلَىٰ صِدْقِ رَسُولِي إِلَيْكُمْ، وَأَنِّي بَلَّغْتُهَا، وَأَنْتُمْ عَانِدْتُمْ وَكَفَرْتُمْ، وَهُوَ عَالِمٌ بِظَوَاهِرِ عِبَادِهِ وَبَوَاطِنِهِمْ، بَصِيرٌ بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَسْبَابِ تَصَرُّفَاتِهِمْ، فَيَهْدِي مَنْ يَتَقَبَّلُ الْحَقَّ مِنْهُمْ، وَيُضِلُّ مَنْ يُعَانِدُ وَيَرْفُضُ.

{ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا }
(الإسراء : 97)

97- وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ إِلَى الْحَقِّ، بِمَا عَلِمَ مِنْ نَبِيِّهِمْ فِي تَقَبُّلِ ذَلِكَ، فَهُوَ الْمُهْتَدِي حَقًّا. وَمَنْ يُضِلُّهُ اللَّهُ، بِمَا عَلِمَ مِنْ نَبِيِّهِمْ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ إِعْرَاضُهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَعَدَمُ اسْتِعْدَادِهِمْ لَتَقَبُّلِهِ، فَهُمْ الضَّالُّونَ الَّذِينَ لَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَنْصَارًا مِنْ دُونِ اللَّهِ يَهْدُوهُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَيَدُلُّوهُمْ عَلَى طَرِيقِ النِّجَاةِ، وَيَعْصِمُوهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - حِينَ يُبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ - زَاحِفِينَ مُنْكَبِّينَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ، عُمِيًّا لَا يُبْصِرُونَ، وَبُكْمًا لَا يَنْطِقُونَ، وَصُمًّا لَا يَسْمَعُونَ، كَمَا صَمُّوا وَعَمُوا عَنِ الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا، وَرَفَضُوا السُّجُودَ لِلَّهِ خَالِقِهِمْ. وَمَصِيرُهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ، كُلَّمَا سَكَنَ لَهَا زِدْنَاهُمْ وَقُودًا وَجَمْرًا لِيَسْتَمِرَّ عَذَابُهُمْ فِيهَا.

وعندما تعجَّب رجلٌ من مشي الكافرِ على وجهه وسأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، أجابه قائلاً: "أليس الذي أمشاهُ على الرجلينِ قادراً على أن يمشيهُ على وجهه يومَ القيامة؟". رواه البخاري.

قال ابن حجرٍ في "الفتح": يؤخذ من مجموع الأحاديث، أن المقرَّبين يُحشرون زكباناً، ومن دوتهم من المسلمين على أقدامهم، وأمَّا الكفارُ فيحشرون على وجوههم.

{ ذَلِكَ جَزَاءُهم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا } (الإسراء : 98)

98- وذلك العذابُ جزاؤهم الذي يستحقُّونه؛ بسببِ كفرهم بآياتِ الله، وإنكارهم البعث. وقالوا: إذا كُنَّا عِظَامًا بِالْيَةِ وَرُفَاتًا، أُنْبَعَثُ مِنْ جَدِيدٍ وَنَصِيرُ أَحْيَاءٍ كَمَا كُنَّا؟

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً} (الإسراء : 99)

99- ألا يتفكروا هؤلاء المشركون ويعلمون أن الله الذي خلق السماوات والأرض، بعظمتهما وسعتهما وشدهما وإحكامهما وما فيهما، قادرٌ على أن يخلقهم أحياءً بعد أن كانوا أمواتاً، وهم أصغرُّ وأضعفُ منهما؟ وقد جعل موعداً لموتهم أو بعثهم، سيأتيهم لا محالة، ولكن أبي الكافرون إلا جحوداً بآياتنا، وتمادياً في باطلهم.

{قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَثُوراً} (الإسراء : 100)

100- قُلْ لهؤلاء المعاندين المكابرين، الذين ما يزالون يطالبون بالمعجزات كما يوافق أهواءهم، من ثبوت الذهب والبساتين والينابيع المتفجرة، قل لهم: لو كنتم تملكون خزائن رزق الله ونعمه الكثيرة، لبخلتُم بها على عباد الله، وامتنعتم من إنفاقها خوفاً من أن يُصيبيكم الفقر، وكان الإنسان بخيلاً، قليل الإنفاق. قال ابن كثير رحمه الله: الله تعالى يصف الإنسان من حيث هو، إلا من وفقه الله وهداه، فإن البخل والجزع صفة له...

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاَسْأَلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً} (الإسراء : 101)

101- وقد آتينا نبي الله موسى تسع معجزات واضحات، هي: العصا، واليد البيضاء من غير سوء، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وأخذ فرعون وقومه بالسنين، ونقص الثمرات. واسأل مؤمني أهل الكتاب عن ذلك، إذ جاء موسى آباءهم بالنبوة مؤيداً بالمعجزات، فقال لهم فرعون: إني أظنك يا موسى قد سحرت، واختل عقلك، ولذلك قلت ما قلت.

{ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا } (الإسراء : 102)

102- قال موسى عليه السلام يُرَدُّ عَلَيْهِ فِي ثَبَاتٍ واطمئنان: لَقَدْ عَلِمْتَ يَقِينًا يَا فِرْعَوْنُ أَنَّ هَذِهِ آيَاتِ الْعَظِيمَةِ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِتْيَانِ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ، وَمَا أَنْزَلَهَا إِلَّا خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُدَبِّرُهُمَا، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ مَكشُوفَةٌ، مُنِيرَةٌ لِلْبَصَائِرِ. فَلَسْتُ سَاحِرًا وَلَا مُخْتَلِّ الْعَقْلِ، وَمَا أَرَاكَ يَا فِرْعَوْنُ إِلَّا هَالِكًا، مَا دُمْتَ مُكذِّبًا بِآيَاتِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

{ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا } (الإسراء : 103)

103- فَعَزَمَ فِرْعَوْنُ عَلَى اللُّجُوءِ إِلَى الْقُوَّةِ حِفْظًا عَلَى مُلْكِهِ، فَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مُوسَى وَقَوْمَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ وَلَا يُبْقِيَ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَلَكِنَّهُ عُوقِبَ جَزَاءَ تَكْذِيبِهِ وَتَكْبُرِهِ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ، فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْبَحْرِ، وَنَجَّيْنَا مُوسَى وَقَوْمَهُ.

{ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا } (الإسراء : 104)

104- وَقُلْنَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ إِهْلَاكِ فِرْعَوْنَ: اسْكُنُوا أَرْضَ مِصْرَ وَالشَّامَ، فَإِذَا جَاءَتْ السَّاعَةُ أَتَيْنَا بِكُمْ جَمِيعًا إِلَى الْمَوْقِفِ مَخْتَلِطِينَ، أَنْتُمْ وَعَدُوَّكُمْ، لِنُجَازِيَ كُلًّا بِمَا عَمِلَ.

{ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } (الإسراء : 105)

105- لَقَدْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، فَفِيهِ حُكْمُ اللَّهِ وَأَمْرُهُ وَهَيْئُهُ، الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا صِدْقًا وَعَدْلًا، وَنَزَّلْنَاهُ عَلَى رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ مَحْرُوسًا مَحْفُوظًا، دُونَ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ، وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَسُولًا مُبَشِّرًا لِلْمُطِيعِينَ بِالثَّوَابِ، وَنَذِيرًا لِلْعَاصِينَ مِنَ الْعِقَابِ.

{ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا } (الإسراء : 106)

106- وأنزلنا القرآن على محمد رسول الله مُفَرَّقًا مُنَجَّمًا حَسَبَ الْوَقَائِعِ، وليس دُفْعَةً وَاحِدَةً؛ لَتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى تُوْدَةٍ وَتَرْسُلٍ، فَإِنَّهُ أَكْثَرُ عَوْنًا عَلَى الْفَهْمِ، وَأَيْسَرُ لِلْحِفْظِ، وَأَوْفَعُ فِي النَّفْسِ بَعْدَ الْوَقَائِعِ وَالْمَصَالِحِ.

{ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجْرُونَ لِلأَذْقَانِ
سُجَّدًا } (الإسراء : 107)

107- قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ: آمِنُوا بِهَذَا الْقُرْآنِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا بِهِ، فَهوَ كَلَامُ اللَّهِ وَحَقٌّ فِي ذَاتِهِ، وَإِيمَانُكُمْ بِهِ لَا يَزِيدُهُ كَمَالًا، وَعَدَمُ إِيمَانِكُمْ بِهِ لَا يُقَلِّلُ مِنْ كَمَالِهِ شَيْئًا. إِنَّ الْعُلَمَاءَ الْعَارِفِينَ بِالْكِتَابِ السَّمَاوِيَّةِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزَلَ الْقُرْآنُ - وَقَدْ عَرَفُوا مَضْمُونَهَا وَعَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِيهَا - إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يُبَادِرُونَ إِلَى السُّجُودِ عَلَى وُجُوهِهِمْ؛ تَعْظِيمًا لِأَمْرِ اللَّهِ، وَشُكْرًا لَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ.

{ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا } (الإسراء : 108)

108- وَيَقُولُونَ: تَعَالَى اللَّهُ رَبَّنَا وَتَنَزَّ عَنْ إِخْلَافِ وَعْدِهِ الَّذِي وَعَدَ بِهِ أَنْبِيَآءُهُ السَّابِقِينَ مِنْ بَعَثِ هَذَا النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، فَإِنَّ مَا وَعَدَ بِهِ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَوَأَقِعَ مُطَابِقٌ.

{ وَيَجْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا } (الإسراء : 109)

109- وَيَقْعُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ سَاجِدِينَ لِلَّهِ، خُضُوعًا لَهُ وَشُكْرًا لِإِنجَازِ الْوَعْدِ، يَبْكُونَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَيَزِيدُهُمْ سَمَاعُ الْقُرْآنِ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا، وَعِلْمًا وَيَقِينًا.

{ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا } (الإسراء : 110)

110- قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: ادْعُوا اللَّهَ بِاسْمِهِ، أَوْ بِاسْمِ الرَّحْمَنِ، فَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ، فَهوَ ذُو الأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَ"الرَّحْمَنُ" وَاحِدٌ مِنْ أَسْمَائِهِ.

وَلَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ بِالْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ، وَلَا تَخْفِضْهُ بَحِيثٌ لَا يُسْمَعُ، وَلِيَكُنْ بَيْنَ الْجَهْرِ وَالْمُحَافَاةِ.

رَوَى الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا - وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، قَالَ: نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَارٍ فِي مَكَّةَ، فَكَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ الْمَشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: {وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ} فَيَسْمَعُ الْمَشْرِكُونَ قِرَاءَتَكَ، {وَلَا تُخَافِتْ بِهَا} عَنْ أَصْحَابِكَ، أَسْمِعَهُمُ الْقُرْآنَ وَلَا تَجْهَرُ ذَلِكَ الْجَهْرَ، {وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا}، يَقُولُ: بَيْنَ الْجَهْرِ وَالْمُخَافَةِ.

{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا} (الإسراء: 111)

111- وَقُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالْمِجْدُ وَالشُّنَاءُ لَهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَتَنْزُهِهِ عَنِ الشَّرِيكِ وَالْوَالِدِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي أُلُوْهِيَّتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ وَنَاصِرٌ لِيَرْفَعَهُ مِنْ دُؤْلٍ، فَهُوَ عَزِيزٌ بِنَفْسِهِ، عَظِيمٌ فِي شَأْنِهِ، قَوِيٌّ غَالِبٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَمُجَدِّدٌ وَعَظْمَةٌ تَعْظِيمًا، وَاثِنٌ عَلَيْهِ، بِحَمْدِهِ، وَذَكَرَ صِفَاتِهِ الْعُلْيَا وَأَسْمَاءَهُ الْحُسْنَى.

* * *

فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الزُّمَرَ، وَبَنِي إِسْرَائِيلَ"، وَهِيَ سُورَةُ الْإِسْرَاءِ.

سورة الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا } (الكهف : 1)

1- الحمد لله والشكر له أولاً وآخراً، الذي أنزل على عبده ونبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) القرآن العظيم، الذي هو نعمة عليه خاصة، وعلى سائر الناس عامة، لا اختلاف فيه ولا التواء، ولا زيغ فيه ولا هوى، ولا لبس فيه ولا خلط.

{ قِيَمًا يُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا } (الكهف : 2)

2- بل هو مستقيم واضح، وهدى جلي، مُصَدِّقٌ للكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ السَّابِقَةِ، نَاسِخٌ لشرائعها، يُنذِرُ اللهُ به مَنْ خَالَفَهُ وَكَذَّبَهُ عُقُوبَةً شَدِيدَةً مِنْ عِنْدِهِ، وَيُبَشِّرُ به الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، الَّذِينَ أَتَّبَعُوا إِيمَانَهُم بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، أَنَّ لَهُمْ ثَوَابًا حَسَنًا فِي الْآخِرَةِ، هُوَ الْجَنَّةُ وَنَعِيمُهَا.

{ مَا كَيْفِينَ فِيهِ أَبَدًا } (الكهف : 3)

3- خالدين فيها أبداً، لا يحولون عنها ولا يزولون.

{ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا } (الكهف : 4)

4- ولينذر الله بهذا القرآن مَنْ أَشْرَكَ بِهِ وَجَعَلَ لَهُ وَلَدًا، كَالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَبَدُوا الْمَلَائِكَةَ وَقَالُوا إِنَّهَا بَنَاتُ اللَّهِ، وَأَهْلِي الْكِتَابِ الَّذِينَ قَالُوا عَنْ أَنْبِيَاءٍ أَوْ غَيْرِهِمْ إِنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ! سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

{ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِابْنَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا } (الكهف : 5)

5- وليس لهم علم بهذا الذي يقولونه أبداً، ولا لآبائهم وأجدادهم، عظمت كلمة منكراً ومُستبشعةً تصدر عن أفواههم، ما يقولون إلا كلاماً فاسداً لا مُستند له ولا صحة فيه، بل هو كذب واختلاق من عندهم.

{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} (الكهف : 6)

6- فلعلك أيها النبي مهلك نفسك حزناً وأسفاً من بعد توليهم عن الإيمان بهذا القرآن الجليل.

{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} (الكهف : 7)

7- لقد جعلنا ما على الأرض من زينة وجمال، وأموال وأولاد، اختياراً لهم وابتلاء، لنعلم من الذي يُحسن ويُخلص ولا يَغترُّ بتلك الزينة الفانية، ليستحق بذلك حسن الجزاء على حسن العمل.

{وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا} (الكهف : 8)

8- وسوف نُبيد ما على هذه الأرض من حياة وزينة، فتصبح قبل يوم القيامة سطحاً يابساً لا يُنبث شيئاً.

{أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا} (الكهف : 9)

9- أم ظننت أيها النبي أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا أعجب آياتنا وأبينها قدرة؟ بل يوجد ما هو أعجب من ذلك وأغرب.

والكهف: غار في الجبل، والرقيم: لوح مكتوب عليه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم. وذكر أكثر من ثلاثين موقعاً في العالم لأهل الكهف، وأن الذي اكتُشف في الأردن عام 1389 هـ، هو أكثر الكهوف مطابقة للمواصفات الواردة عنه في القرآن الكريم.

{إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا} (الكهف : 10)

10- ولجأ الفتية إلى الكهف ليختفوا فيه، وقد فرّوا من قومهم حتى لا يفتنوهم عن دينهم ويكرهوهم على الكفر، فأووا إليه ودعوا الله قائلين: اللهم هب لنا من عندك هدايةً وفضلاً، تسرّنا فيه وتحفظنا من القوم الكافرين، ويسّر لنا من هجرتنا إليك خيراً وسلاماً، ممّا فيه صلاح أمرنا.

{فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا} (الكهف : 11)

11- فألقينا عليهم نوماً ثقيلاً، لا يتنبّهون فيه إلى الأصوات، سنواتٍ كثيرة.

{ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا} (الكهف : 12)

12- ثم أيقظناهم من نومهم، ليتبين أي الفريقين المختلفين منهم أو من غيرهم، أضبطُ للمدة التي ناموا فيها، ليتعرّفوا حالهم من بعد، ويزدادوا يقيناً بكمال قدرة الله، هم وغيرهم، ويكون آيةً بيّنة للكافرين.

{وَنَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} (الكهف : 13)

13- نحنُ نقصُّ عليك خبرهم أيها النبي كما وقع صدقاً وعدلاً، إنهم شبابٌ مؤمنون، استجابوا لنداء ربهم - وهم أكثرُ قبولاً للحقّ من الكبار - وزدناهم تبصراً وتوفيقاً.

{وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا} (الكهف : 14)

14- وقوينا عزمهم وثبتنا قلوبهم على الإيمان، فقالوا في عزةٍ وثباتٍ منكرين على قومهم: ربُّنا وحالفنا ورازقنا هو ربُّ السماوات والأرض، لن نعبدَ إلهاً غيره، وهو الواحدُ الأحد، ولو قلنا غير ذلك لكان باطلاً بعيداً عن الحقِّ والصدق.

{ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا } (الكهف : 15)

15- هؤلاءِ قومنا المشركون، قد جعلوا مع الله آلهة يعبدونها، من حجرٍ وخشبٍ وغيره، فهلاً أتوا بدليلٍ وبرهانٍ واضحٍ على أنها حقاً آلهة، ولها صفاتُ الخلقِ والإماتةِ والرِّزقِ وما إليه؟ فليس هناك أكثرُ تجاوزاً للحقِّ ممَّن كذبَ على الله وقال إنَّ هذه الآلهة شركاءُ معه في الألوهية؟

{ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ
وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا } (الكهف : 16)

16- وإذ فارتقتُم قومكم وجميع ما يعبدونه، إلا عبادة الله، وهم مشركون ظالمون، ولا طاقة لكم بمحابتهم، ففروا منهم بدينكم والجدوا إلى الكهف، ييسرُ عليكم ربُّكم فيه رحمته، ويُخلصكم من ظلم الظالمين وفتنة الكافرين، وييسرُ لكم حالكم، فتسلمون وتأمنون.

{ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ
الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ
تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا } (الكهف : 17)

17- وإذا طلعت الشمسُ دخلت كهفهم وهي تميلُ إلى الجانبِ الأيمن، فيكونُ بائنه نحوَ الشمال، وإذا غربت تتركهم وتعدلُ عنهم إلى الجانبِ الأيسر، فتدخلُ من شمالِ بائنه، وهم في مُتسعٍ منه داخله. وهذا من حكمة الله وحسن تدبيره، فالشمسُ ضروريةٌ للإنسان، ولتبقى أبدانهم سالمة، وإلا أفسدتها الرطوبةُ المستمرة.

وهذا من هداية الله لهؤلاء الشبابِ المؤمن، حيثُ أرشدهم إلى ذلك الكهفِ المناسبِ لإيوائهم، ومن هداة الله فهو المهتدي حقاً، ومن يضلُّه فلن يجدَ من يرشده إلى الهدى ويُخلصه من الضلال.

{ وَتَحْسَبُهُمْ آيْقاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ
بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوِ لَيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَكَلِمَاتٍ مِنْهُمْ رُعباً } (الكهف : 18)

18- ولو رأيتهم لظننتهم مُنتهين، لدلالة هَيْتَهُمْ على ذلك، وهم نائمون. ونُقِلُّهُمْ نحوَ اليمينِ ونحوَ الشمالِ حتَّى لا تفسدَ أجسادُهُم منَ المكثِ الطويلِ على الأرض، وكلُّبُهُم قد مدَّ ذراعِيهِ عندَ الباب، لو أنك شاهدتَهُم وهم في تلكِ الحال، لأعرضتَ عنهم هاربًا، ومِلتَ منهم خوفًا ورُعبًا.

{وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا} (الكهف : 19)

19- وكما أَمَنَّاهم في الكهفِ وحَفِظناهم فيه، كذلك أَيْقَظناهم من نومهم، ليسألَ بعضهم بعضًا، فقالَ واحدٌ منهم: كم رَقَدْتُمْ؟ قالوا رَقَدْنَا يَوْمًا، أو قِسْمًا منه. فلَمَّا نَظَرُوا إلى شُعُورِهِم وأَظْفَارِهِم استَدْرَكُوا قائلين: اللهُ أَعْلَمُ بِمِقْدَارِ نَوْمِكُمْ، فابْعَثُوا واحِدًا منكم بِدَرَاهِمِكُم الفِضِّيَّةِ هذه إلى المدينة، فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَحَلُّ وَأَطْيَبُ طَعَامًا، فَلْيَأْتِكُمْ بِثَوْتٍ منه، وَلْيَتَرَفَّقْ في ذهابِهِ وإيابه وشِرائِهِ، وليَكُنْ في سِتْرِ وَكْتِمَانٍ، حتَّى لا يَشْعُرَ بكم أَحَدٌ ولا يَعْرِفُوا مَكَانَكُمْ.

{إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا} (الكهف : 20)

20- إِنَّهم إذا اطلَّعوا عليكم وظَفَرُوا بكم يُعِيدُوكُمْ حتَّى يَقْتُلُوكُمْ بالحجارة، أو يُدخِلُوكُمْ في دينهم، فإذا دخلتُمْ في مِلَّتِهِمْ خَسِرْتُمْ دينكم وأخِرْتكم.

{وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا} (الكهف : 21)

21- وكما أَمَنَّاهم وبعثناهم، كذلك أطلَّعنا عليهم أهلَ ذلكِ الزَّمانِ، ليعلموا أنَّ وَعْدَ اللهِ يبعثُ الخلائقَ للحسابِ والجزاءِ ثابتٌ مُتَحَقِّقٌ، وأنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ لا شكَّ فيه أبَدًا. وكان النَّاسُ

يَتَخَصَّمُونَ إِذْ ذَاكَ وَيَتَجَادَلُونَ فِي أَمْرِ السَّاعَةِ، بَيْنَ مُنْكَرٍ وَمُثَبِّتٍ، فَجَعَلَ اللَّهُ ظُهُورَ أَصْحَابِ
الْكَهْفِ آيَةً عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ.

وقالوا بعد أن توفاهم الله: ابنوا على باب كهفهم بناءً حتى لا يدخل عليهم الناس. ورؤهم
أعلم بهم وما يتنازعون فيه. قال القرقي الأقوى منهم، ولعلمهم الحكام: لنجعلن فوقهم
مسجداً.

{ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ
سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً
ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا } (الكهف : 22)

22- وسيقول المختلفون في عدد أهل الكهف: هم ثلاثة أشخاص، ورابعهم كلبهم. ويقول
آخرون: إنهم خمسة أشخاص، وسادسهم كلبهم، إطلاقاً للكلام من غير علم ولا تثبت.
ويقول غيرهم: هم سبعة أشخاص، وثامنهم كلبهم. وليس هذا رجماً بالغيب، فهو الصحيح.
قل: إن ربِّي أعلم بعددهم، فلا يخفى عليه شيء، ولا يعلم عددهم من عبادة الله إلا القليل.
وقد صحَّ السندُ إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه من هذا القليل، وأنَّ عددهم سبعة، كما
أفاده ابن كثير.

فلا يُجادل في شأنِ الفتيّة مع الخائضين فيه، إلا مُحاججةً سهلةً هَيَّئَةً، فلا فائدة تُذكر من
ذلك، ولا حاجة للخوض في الأمور التي لا علم للمرء فيها، ولا تطلب الفتيا بشأن عددهم
من أحدٍ منهم، فإنَّه لا علم لهم به، وفيما أعلمك الله به كاف.

{ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً } (الكهف : 23)

23- ولا تقل لشئ عزمتم على فعله مستقبلاً سأفعل كذا عدداً، أو بعد شهر،

{ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادُّرُّرٌ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا
رَشْدًا } (الكهف : 24)

24- إِيَّا أَنْ تَقُولَ: "إِنْ شَاءَ اللَّهُ"، فَإِنَّهُ أَدَّبَ مَعَ الَّذِي لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا هُوَ، وَلَا تَدْرِي أَنْتَ مَا هُوَ حَاصِلٌ فِي الْوَقْتِ الَّذِي وَعَدْتَ بِهِ. وَإِذَا نَسِيتَ أَنْ تَقُولَ "إِنْ شَاءَ اللَّهُ" فِي حِينِهِ، فَقُلْ ذَلِكَ عِنْدَ تَذَكُّرِكَ لَهُ.

وَقُلْ: عَسَى أَنْ يُوَفَّقَنِي رَبِّي لِأَمْرٍ هُوَ أَظْهَرُ وَأَعْظَمُ فِي الدَّلَالَةِ مِنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، مِنْ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوَّتِي، لِيَكُونَ ذَلِكَ إِرْشَادًا لِلنَّاسِ وَبَيِّنَةً لَهُمْ. وَقَدْ فَعَلَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ، فَقَدْ آتَاهُ مِنْ عِلْمِ غُيُوبِ الْمُرْسَلِينَ وَخَبْرِهِمْ، مَا كَانَ أَوْضَحَ فِي الْحُجَّةِ، وَأَقْرَبَ إِلَى الرُّشْدِ مِنْ خَبَرِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ.

{وَلْيَبُثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا} (الكهف : 25)

25- وَقَدْ بَقِيَ أَهْلُ الْكَهْفِ رَاقِدِينَ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ شَمْسِيَّةٍ، وَهِيَ ثَلَاثِمِائَةٌ وَتِسْعٌ قَمَرِيَّةً.

{قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} (الكهف : 26)

26- قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ فِي مُدَّةِ مَكْتِهِمْ، الَّتِي هِيَ مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُدَّةِ لَبِثِهِمْ فِي الْكَهْفِ مِنْكُمْ، وَقَدْ أَخْبَرْنَا بِذَلِكَ، وَعِلْمُ الْغَيْبِ عِنْدَهُ، فَلَا شَيْءَ يَغِيبُ عَنِ اللَّهِ، فَهُوَ يَعْلَمُ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مِمَّا يَغِيبُ عَنْ عِلْمِ الْبَشَرِ وَغَيْرِهِمْ. مَا أَبْصَرَهُ بِكُلِّ مَوْجُودٍ! وَمَا أَسْمَعَهُ لِكُلِّ مَسْمُوعٍ، لَيْسَ لِأَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ يَتَوَلَّى أَمْرَهُمْ، وَلَا يُشْرِكُ فِي قَضَائِهِ أَحَدًا، مَهْمَا كَانَ شَأْنُهُ.

{وَإِنلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا} (الكهف : 27)

27- وَاقْرَأْ عَلَى أَصْحَابِكَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ، وَبَلِّغْهُ النَّاسَ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يُعَيِّرَ آيَاتِ الْقُرْآنِ إِلَّا اللَّهُ، وَإِذَا لَمْ تَتَلَّ الْقُرْآنَ وَلَمْ تَتَّبِعْهُ فَلَا مَلْجَأَ لَكَ تَأْوِي إِلَيْهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} (الكهف : 28)

28- واحبس نفسك أيها النبي مع المؤمنين الذين يعبدون ربهم، ويدعون وجهه ويذكرونه صباح مساء، لا تملّ مجالستهم، ولا تستعجل الخروج من عندهم، فإنهم يريدون بذلك وجه الله، ويتبعون رضاه. ولا تصرف عينك عنهم إلى غيرهم طالبا مجالسة الأشراف والأغنياء من أهل الدنيا. ولا تكن مُطيعاً - في إبعاد الفقراء من مجلسك - للذي جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا، مشغولاً عن عبادتنا بالمال والثروة، واتباع ما يطلبه هواه من الشهوات، وكانت أعماله سفهاً وضياًعاً، حيث أثر الهوى على الهداية والإيمان.

{وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} (الكهف : 29)

29- وقُلْ لهؤلاء الغافلين: إن هذا الذي أوحى إليّ هو الحقُّ والصدق من عند ربكم، الذي أراد به هدايتكم وإنقاذكم من العذاب، فمن شاء منكم فليؤمن به، ومن شاء منكم فليكفر، وسوف يتحمل كلُّ مسؤوليّة اختياره، وقد هيأنا للكافرين بالله ورسوله ناراً عظيمة، أحاط بها سُورُها، وإن يستغيثوا من شدّة العطش والعذاب، يُغاثوا، ولكن بماءٍ غليظٍ حارٍّ جدًّا، كعكِرِ الزّيت، يُنضج لحم الوجوه لشدّة حرارته، فإذا قُرب منهم سقطت فروة وجوههم فيه! بئس ذلك الماء الحارُّ الذي يُغاثون به، وساءت النار منزلاً ومقيلاً.

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} (الكهف : 30)

30- إن الذين آمنوا بالله ورسوله، وصدقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة، لا نُضيع ثوابها، بل نُكرمهم ونزيدهم أجرًا.

{أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِمِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا} (الكهف : 31)

31- فلهم جنات عالية للإقامة والاستقرار، تجري من تحت غرفهم وقصورهم الأنهار، يتزيّنون فيها بأساور من ذهب، ويلبسون ثياباً زاهية جميلة بلون أخضر، من ديباج ناعم رقيق، وآخر كثيف محكم. متكّمين على الأسرّة في الحجال، وهي أستاژ مرّيّة كالقبة، مُتَنَعِّمِينَ مُتَرَفِّهِينَ، نِعَمَ هَذَا الثَّوَابُ الَّذِي جُوزُوا بِهِ، وَهُوَ الْجَنَّةُ، وَحَسُنَتْ مَجْلِسًا وَمُسْتَقَرًّا.

{وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا} (الكهف : 32)

32- واضرب مثلاً للمؤمنين الذّاكرين، والكافرين الغافلين: رجلين، جعلنا للكافر بُسْتَانَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ، مُحَاطَيْنِ بِأَشْجَارِ النَّخِيلِ، وَجَعَلْنَا وَسَطَ الْبُسْتَانَيْنِ زَرْعًا، فَجَمَعْنَا لَهُ الْقُوتَ وَالْفَاكِهَةَ.

{كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَافَهُمَا نَهْرًا} (الكهف : 33)

33- وكلا البستانين أثمرتا، ونضجت ثمارهما، فكانت كُلهما صالحة للأكل، ولم ينقص منها شيء، فلم يُصِبْها مَرَضٌ، وَلَمْ تَقَلِّ. وَفَجَّرْنَا⁽⁷⁴⁾ بَيْنَهُمَا نَهْرًا، فَكَانَ رَافِدًا لِسَقِيهِمَا، وَجَمَالًا لِمَنْظَرِهِمَا.

(74) التفجير مصدر فجر بالتشديد، مبالغة في الفجر، وهو الشقّ باتساع. ومنه سمّي فجر الصباح فجرًا؛ لأن الضوء يشقّ الظلمة شقًا طويلاً عريضاً، فالتفجير أشدّ من مطلق الفجر، وهو تشقيق شديد باعتبار اتساعه؛ ولذلك ناسب النبيّون هنا [في الآية 90 من سورة الإسراء]، والنهر في قوله تعالى: {وَفَجَّرْنَا خِلَافَهُمَا نَهْرًا}. (التحرير والتنوير، عند تفسير الآية 90 من سورة الإسراء).

{وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا} (الكهف: 34)

34- وكان لصاحب البستانين أموال كثيرة، فقال لصاحبه المؤمن، وهو يُخاصمه ويفتخر عليه: أنا أكثر أموالاً منك، وأكثر خدماً وحشماً منك، وأولاداً وعشيرة.

{وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا} (الكهف: 35)

35- ودخل الكافر بستانه وهو متكبر مُنكِر للمعاد، وقال في غرور: لا أظن أن هذا البستان سيفنى أبداً، فأشجاره كثيرة متماسكة، ومن أصناف جيدة، والماء موجود بكثرة!

{وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا} (الكهف: 36)

36- قال: ولا أظن القيامة كائنة، وإذا كان هناك بعث ومرجع إلى الله، فسيكون لي عنده خير من هذا البستان مرجعاً ومالاً، فما أولاني هذه النعم في الدنيا إلا لأني محظي ومقدّر عنده!

{قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ مِّنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ

رَجُلًا} (الكهف: 37)

37- قال له صاحبه المؤمن وهو يُحاوره بالحسنى، يُذكره ويُنذره: ويحك! أكفرت بالذي خلق أصلك من تراب، ثم خلقك من نطفة مهينة، ثم مد في عمرك وجعلك بشراً سويّاً؟

{لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا} (الكهف: 38)

38- لكني لا أقول بمقولتك، بل أقر برُبوبية الله ووحدانيته، ولا أشرك في عبادتي له أحداً.

{وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مَنَّا مَالًا

وَوَلَدًا} (الكهف: 39)

39- وهلاً إذ دخلت بُستانك وعجبك ما فيه، ذكرتَ خالقك الذي وهبكَ هذه النعمة، فحمدته وشكرته على ذلك وقلت: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله؟ فالأمر ما شاء هو وحده، وما لم يشأ شيئاً لا يكون، ولا أقدرُ على حفظِ مالي ودفعِ مكروهٍ عنه إلا بحولِهِ وقوته. ولما رأيتني أقلّ منك ثروةً وولداً تكبرتَ عليّ وتعاضمت، ولم تُفكّرْ بعَضَبِ اللهِ ونقمتِهِ؟

{فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا} (الكهف : 40)

40- فعسى أن يعطيني ربي خيراً من بُستانك جزاءَ فقري وصبري، وإيماني واحتسابي، وأن يعثَ على بُستانك عذاباً مُقدراً من السماء، كصاعقة، فيصبح أرضاً جرداء ملساء، لا نبات فيها، عُقوبةً كُفرك واستكبارك.

{أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا} (الكهف : 41)

41- أو يصبح مأوه غائراً في الأرض بعيداً، لا تنالهُ الأيدي، وإذا حفرت الأرض بحثاً عنه فلن يجده.

{وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا} (الكهف : 42)

42- وأحاطَ الهلاكُ والدمارُ ببُستانهِ وأمواله، وكان غافلاً، يستبعدُ ذلك، فأصبح أسفاً حزيناً، يضربُ كفّاً بكفّ، على ما أنفقَ عليه من أموال، وهو ساقطٌ على دعائمه، وفوقها أشجارُ العنب، وهو يقول مُتنبّهاً ومُتذكراً موعظةً صاحبه المؤمن: يا ليتني لم أُشركَ بربي أحداً، ولو آمنْتُ وشكرت، لزادني وحفظني في ديني ومالي.

{وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا} (الكهف : 43)

43- ولم تكن له جماعة تقدر على الانتصار له ودفع الهلاك عن ماله وبستانه من دون الله، فهو سبحانه القادر على نصره وحده، وما كان هو قادراً على دفع ضرر عن نفسه، ولا منع نعمة الله عنه.

{ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً } (الكهف : 44)

44- وفي تلك الحال من وقوع الهلاك يرجع كلُّ أحدٍ إلى موالاته الله والخضوع له، فالله أفضل جزاءً ومثوبةً لعباده المؤمنين، وأحسن عاقبةً ومآلاً لأولياءه والمتوكلين عليه.

{ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا } (الكهف : 45)

45- واذكر لقومك أيها النبي ما يشبه الدنيا في زيتها وسرعة زوالها لئلا يفتروا، كما أنزلناه من السحاب، فاختلط الماء بنبات الأرض حتى رَوَاهُ، فنصر عودُه، وفاحت رائحته، وبان زهره من كلِّ لون، وبعد حين أصبح يابساً لا روح فيه، ثم رقَّه الرياح وتطيره لحيته وكأنه لم يكن، بعد أن كان نصيراً مبهجاً! وكان الله قادراً على كلِّ شيء، ومن ذلك الإحياء والإماتة.

{ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمْلاً } (الكهف : 46)

46- الأموال والأولاد زينة الدنيا وزهرتها، وكلُّ ذلك يفتى ويذول، ولا توزن قيمة الإنسان بالزينات الفانيات - مع عدم النهي عن المباح منها في حدود الشرع - ولكن القيمة الحقيقية لما هو صالح باقٍ من الأعمال والأقوال والعبادات، فهي أفضل عند ربك جزاءً، وأحسن ما يؤمل في الآخرة.

{ وَيَوْمَ نُسِيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمَّ نُعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا } (الكهف : 47)

47- واذكُرْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الَّذِي تَذْهَبُ فِيهِ الْجِبَالُ مِنْ أَمَاكِنِهَا، وَتُسَيِّرُهَا كَالسَّحَابِ، وَتَرَى الْأَرْضَ بَادِيَةً ظَاهِرَةً، فَلَا جَبَلَ فِيهَا وَلَا هَضْبَةَ، وَلَا بِنَاءَ وَلَا شَجَرَ، وَالخَلْقُ مَكْشُوفُونَ، فَقَدْ جَمَعْنَا كُلَّهُمْ فِي الْمَوْقِفِ، وَلَمْ نَتْرِكْ مِنْهُمْ أَحَدًا.

{ وَعَرِّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا } (الكهف : 48)

48- وَأَحْضِرُوا جَمِيعًا، وَقَامُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ مُصْطَفَيْنَ، لَقَدْ جِئْتُمُونَا - أَيُّهَا الْمُنْكَرُونَ لِيَوْمِ الْبَعْثِ - أَحْيَاءَ، حُفَاءَ، عُرَاءَ، كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، لَيْسَ مَعَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا تَفْتَخِرُونَ بِهِ، بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنَّنَا لَنْ نَبْعَثَكُمْ مَرَّةً أُخْرَى، وَلَنْ نُوقِفَكُمْ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

{ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا } (الكهف : 49)

49- وَوَضِعَتْ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ فِي أَيْدِي أَصْحَابِهَا، وَفِيهَا كُلُّ مَا قَالُوهُ وَعَمِلُوهُ فِي الدُّنْيَا، كَبِيرًا كَانَ أَوْ صَغِيرًا، وَتَرَى الْكُفْرَةَ الْمُجْرِمِينَ خَائِفِينَ مَدْعُورِينَ مِمَّا فِي كِتَابِهِمْ مِنَ الْجَرَائِمِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَالذُّنُوبِ الْعِظَامِ، وَهُمْ يَقُولُونَ مُتَعَجِّبِينَ وَمُتَحَسِّرِينَ: يَا وَيْلَتَنَا وَهَلَاكُنَا، مَا شَأْنُ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَتْرُكُ ذَنْبًا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا إِلَّا وَسَجَّلَهُ! وَوَجَدُوا كُلَّ مَا عَمِلُوهُ فِي الدُّنْيَا مَسْطُورًا مُثَبَّتًا أَمَامَهُمْ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، فَلَا يُقَدَّرُ عُقُوبَةُ الْمُجْرِمِ إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا يَسْتَحِقُّهُ، وَقَدْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ ثَوَابِ الْمُحْسِنِ، بَلْ يُضَاعِفُ لَهُ الْأَجْرَ، وَهُوَ الْحَكْمُ الْعَدْلُ، وَالْمُحْسِنُ الْكَرِيمُ.

{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا } (الكهف : 50)

50- واذكُرْ قَوْلَنَا لِلْمَلَائِكَةِ: اسْجُدُوا لِآدَمَ سُجُودَ نَحِيَّةٍ وَإِكْرَامٍ، بَعْدَ أَنْ سَوَّيْنَاهُ وَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا، فَسَجَدُوا لَهُ جَمِيعًا، طَاعَةً لِرَبِّهِمْ، إِلَّا إِبْلِيسَ اللَّعِينَ، وَكَانَ مِنَ الْجِنِّ، فَخَرَجَ عَنْ

طَاعَةَ رَبِّهِ، وَأَبَى أَنْ يَكُونَ مِنَ السَّاجِدِينَ، أفتَسْخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ نُصْرَاءَ وَأَمْنَاءَ تَسْمَعُونَ مِنْهُمْ، وَتُطِيعُوهُمْ بَدَلَ أَنْ تُطِيعُونِي، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَأَعْدَاؤُكُمْ؟ بئسَ هَذَا الْبَدَلُ (إِبْلِيسُ) لِمَنْ عَصَى رَبَّهُ، فَظَلَمَ نَفْسَهُ وَعَرَّضَهَا لِلْعَذَابِ.

{ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُتَّخَذُ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا } (الكهف : 51)

51- إِنَّ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينَ الَّذِينَ تُطِيعُوهُمْ عَبِيدٌ خُبْتَاءُ، وَأَعْدَاءٌ لَكُمْ، لَا يُطَاعُونَ وَلَا هُمْ يُكْرَمُونَ، فَمَا أَحْضَرْتُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَقَدْ خَلَقْتُهُمَا قَبْلَهُمْ. وَمَا أَشْهَدْتُ بَعْضَهُمْ خَلْقَ بَعْضٍ، وَلَا اسْتَعَنْتُ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي الْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، فَمَا كُنْتُمْ تُتَّخَذُ مِنَ الْمُضِلِّينَ الْفَاسِقِينَ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا فِي شَأْنِ الْخَلْقِ حَتَّى تُنْظَرَ شِرَاكَتُهُمْ فِي الطَّاعَةِ وَالْمُوَالَاةِ.

{ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا } (الكهف : 52)

52- واذْكُرْ يَوْمَ يَقُولُ اللَّهُ لِلْمُشْرِكِينَ رَجْرًا لَهُمْ وَتَوْبِيحًا: نَادُوا شُرَكَائِيَ مِنَ الْأوثَانِ وَغَيْرِهَا، الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُمْ شُفَعَاءُ لَكُمْ وَشُرَكَاءُ لِي فِي الْأُلوهِيَّةِ، فَاسْتَجِيبُوا بِهِمْ لِيُشْفَعُوا لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَيُنْقِدُوكُمْ مِنَ الْعَذَابِ. فَلَمْ يُجِيبُوهُمْ وَلَمْ يُعِشُوهُمْ. وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَهْلِكًا يَشْتَرِكُونَ فِيهِ، وَهُوَ النَّارُ.

{ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا } (الكهف : 53)

53- وَرَأَى الْمُشْرِكُونَ النَّارَ عِيَانًا، وَأَيَّقِنُوا أَنَّهُمْ وَاقِعُونَ فِيهَا، وَلَمْ يَجِدُوا أَيَّ طَرِيقٍ يَعْدِلُونَ عَنْهَا، فَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِمْ جَهَنَّمُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ.

{ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا } (الكهف : 54)

54- ولقد بيّنا للنّاس في هذا القرآن، وكرّرنا فيه ونوعنا الأدلّة والبراهين التي تُوضّح لهم الحقّ، ليتذكّروا ويتّعظوا ويتدبّروا. وكان الإنسان - بحسب طبعه - كثير المخاصمة والمجادلة. وكثير من النّاس يدفّعون الحقّ جدالاً ولو عرفوه! وهذا عنادٌ واستكبارٌ وجدالٌ بالباطل، وصِفَةٌ للمشركين والمنافقين.

{ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولِينَ
أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا } (الكهف : 55)

55- وما منع النّاس من الإيمان بعد أن جاءهم الهدى والبيان، ويتوبوا إلى ربّهم من الكفر والتكذيب والمجادلة بالباطل، إلا انتظار أن يأخذهم العذاب الذي وعدوا به عن آخرهم، أو أن يُشاهدوه عياناً ومواجهةً، فعند ذلك يُبادرون إلى الإيمان، على الرّغم من مُشاهدتهم الآيات الواضحة والمعجزات الكافية الدّالة على صدق أنبيائهم قبل ذلك.

{ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ
الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا } (الكهف : 56)

56- وما إرسالنا الرّسل إلا لنبشّروا المؤمنين الصّادقين منهم بالثواب، ويُنذروا الكافرين المكدّبين بالعذاب، ولكنّ الكافرين يُعانِدون ويُجادِلون بالباطل، ويقترِحون معجزاتٍ تعنتاً، ليُبطِلوا بجدهم الحقّ الذي جاء به الرّسل، واتّخذوا آياتي والمعجزات التي أيّدتهم بها وما أنذروا به من العقاب والعذاب استهزاءً وسُخريّةً.

{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا }
(الكهف : 57)

57- وليس هناك أظلم ممّن وعظّ بآيات الله وحججه، ومنها القرآن الكريم، فأعرض عنها ولم يتدبّرهما، ونسي ما جنت يداؤه من الكفر والمعاصي ودفع الحقّ بالجدال الباطل. لقد جعلنا على قلوبهم أغطيةً لئلا يفهموه، وفي آذانهم صمماً وثقلاً لئلا يسمّوه، فقد استهزؤوا بآيات

الله ونُذِرِهِ، وَعَلِمَ اللهُ أَنَّهُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا تَحْقِيقًا، فَقَدَّرَ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَ بِسَبَبِ ذَلِكَ. فَإِذَا دَعَوْهُمْ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِلَيْهِ أَبَدًا، فَلَا اسْتِعْدَادَ عِنْدَهُمْ لِاتِّبَاعِهِ، وَلَنْ يَهْدِيَهُمُ اللهُ مَا دَامَتْ قُلُوبُهُمْ مُثْقَلَةً دُونَهُ.

{وَرَبُّكَ الْعَفْوُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا} (الكهف : 58)

58- وَرَبُّكَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ، وَهُوَ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ، وَلَوْ أَنَّه يُعَاقِبُ الْكُفَّارَ فِي الدُّنْيَا بِأَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ، لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ فِي الدُّنْيَا؛ لِاسْتِحْقَاقِهِمْ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ لَهُمْ مَوْعِدًا، هُوَ يَوْمُ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، لَنْ يَجِدُوا مَلْجَأً غَيْرَهُ، وَلَا مَهْرَبَ لَهُمْ مِنْهُ.

{وَتِلْكَ الْقَرْيُ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا} (الكهف : 59)

59- وَأَهْلُ الْقَرْيِ مِنَ الْأُمَّمِ السَّابِقَةِ، كَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ لُوطَ، أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَقَدْ جَعَلْنَا لِأَهْلَاكِهِمْ مَوْعِدًا مُخَدَّدًا، فَلَمْ يَتَحَاوَزُوهُ، فَلَا يَعْرِضُونَ أَحَدًا إِمهَالِ اللهِ لَهُمْ.

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرِحْ حَتَّىٰ أَبْلُغَ بَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُفْبًا} (الكهف : 60)

60- وَادْكُرْ قَوْلَ نَبِيِّ اللهِ مُوسَى لِفَتَاهُ الَّذِي كَانَ يَجِدُمُهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ - كَمَا وَرَدَ اسْمُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ - : لَا أَزَالُ أَسِيرُ حَتَّىٰ أَصِلَ إِلَى بَحْرَيْنِ - وَلَعَلَّهُ مَا بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ الْمَتَوَسِّطِ وَالْأَحْمَرِ - وَإِنْ اسْتَعْرَقَ ذَلِكَ ذَهْرًا طَوِيلًا.

وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "قَامَ حَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ. فَعَتَبَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يُرِدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: إِنَّ لِي عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ". رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَغَيْرُهُمَا، وَاللَّفْظُ لِلْبُحَارِيِّ.

{فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا} (الكهف : 61)

61- فلَمَّا وَصَلَا إِلَىٰ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، نَسِيَا حَوْثَهُمَا هُنَاكَ - وَهُوَ السَّمَكُ - . وَمَضَىٰ مُوسَىٰ يَسِيرٌ فِي الْبَحْرِ كَالسَّرْبِ فِي الْأَرْضِ، فَيَبْقَىٰ أَثَرُهُ مِنْ بَعْدِهِ (75).

{ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا } (الكهف : 62)

62- فلَمَّا جَاوَزَا الْمَكَانَ الَّذِي نَسِيَا فِيهِ الْحَوْتَ، قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ يَوْشَعَ: أَعْطِنَا غَدَاءَنَا، فَقَدْ لَحِقْنَا فِي سَفَرِنَا هَذَا التَّعَبُ وَالْجُوعُ.

{ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا } (الكهف : 63)

63- قَالَ لَهُ يَوْشَعَ: أَرَأَيْتَ عِنْدَمَا كُنَّا فِي مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ وَالتَّجَأْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ وَأَقَمْنَا عِنْدَهَا، فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ هُنَاكَ - وَكَانَ مُوسَىٰ نَائِمًا إِذْ ذَاكَ - وَمَا أَنَسَانِي ذِكْرُهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ.

{ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَازْتَدَا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا } (الكهف : 64)

64- قَالَ لَهُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَذَا مَا كُنَّا نُرِيدُهُ، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ أَمَارَةً لِلِقَاءِ الْحَضِرِ. فَرَجَعَا مِنْ طَرِيقَهُمَا، يَتَّبِعَانِ أَثَرَهُمَا، لئَلَّا يُخْطِئَا طَرِيقَهُمَا.

(75) { سَرِبًا } أي: مسلِّكًا كالسرب، وهو بيتٌ في الأرض، وثقبٌ تحتها، وهو خلافُ النفق؛ لأنه إذا لم يكن له منفذٌ يُقالُ له سرب، وإذا كان له منفذٌ يُقالُ له نفق. وذلك أن الله تعالى أمسك جريَّةَ الماءِ على الحوتِ فصارَ كالطاقِ عليه، وهو ما عُقِدَ من أعلى البناءِ وبقي ما تحته خاليًا، يعني أنه انجاب الماءُ عن مسلِّكِ الحوتِ فصارَ كوةً لم تلتئم. هكذا فسَّرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم هذا المقام، كما في حديثِ الصحيحين. (روح البيان).

{فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا} (الكهف: 65)
65- فوجدوا هناك عبداً من عبادنا المؤمنين، هو الخضر عليه السلام، آتيناؤه الوحي والنبوة من عندنا، كما هو عند جمهور العلماء، وعلمناه من لدنا علماً خاصاً، لا يعلم إلا من جهتنا. ولعله علم الإخبار بالغيوب.

{قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا} (الكهف: 66)
66- فقال له موسى عليه السلام بأدب الأنبياء والعلماء: هل تسمح لي أن أرافقك على أن تعلمني مما وهبك الله من العلم الراشد، الذي تُصيب به خيراً؟

{قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} (الكهف: 67)
67- قال له الخضر عليه السلام: إنك لا تقدر على صحتي، فسترى مني ما تكره في شريعتي، وأنا على علم لم يعلمك الله إياه.

{وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا} (الكهف: 68)
68- وكيف تصبر على شيء لا يحيط به علمك، وتسكت على ترك الإنكار مما يخالف الشرع؟

{قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا} (الكهف: 69)
69- قال له موسى عليه السلام: ستجدني صابراً معك إن شاء الله، غير معترض عليك، ملتزماً بما تقول.

{قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا} (الكهف: 70)
70- قال الخضر: فإذا تبعني فلا تعترض على أفعالي، ولا تناقشني في شيء حتى أفسره لك.

{فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا
إِمْرًا} (الكهف : 71)

71- فانطلق موسى والحضر عليهما السلام يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة، فركباها، فثقبها الحضر، بأن قلع لوحاً منها، فقال له موسى: أخرجت السفينة لتغرق من فيها؟ لقد فعلت فعلاً منكراً.

{قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} (الكهف : 72)

72- قال له الحضر مذكراً: ألم أقول لك إنك لا تستطيع الصبر معي؟

{قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا} (الكهف : 73)

73- قال موسى عليه السلام: لا تؤاخذني بنسياني ما اتفقنا عليه من عدم الاعتراض عليك، ولا تكلفني مشقة، ولا تشدد علي، وعاملني باليسر.

{فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا
ثُكْرًا} (الكهف : 74)

74- فقيل الحضر عذره، فنزلا من السفينة، وانطلقا يمشيان على الساحل، حتى إذا لقيَا غلامًا، كان يلعب مع أمثاله، لم يكن فيهم أحسن ولا أنظف منه، فقتله الحضر، فقال له موسى عليه السلام: أقتلت نفساً صغيرة طاهرة من الذنوب لم تقتل نفساً يوجب قتلها؟ لقد قُمت بعملٍ تُنكره العقول، وتنفّر عنه الطباع.

الجزء السادس عشر

سورة الكهف (75-110)

سورة مريم

سورة طه

{ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا } (الكهف : 75)

75- قَالَ لَهُ الْحَضِرُ مُدَكِّرًا: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ مِنْ قَبْلُ إِنَّكَ لَا تَصْبِرُ عَلَيِ الْعِزْرَاضِ عَمَّا أَفْعَلُهُ؟

{ قَالَ إِنْ سَأَلْتِكَ عَنِ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا } (الكهف : 76)

76- قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا سَأَلْتِكَ عَنِ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا مِمَّا تَفْعَلُهُ لَمْ فَعَلْتَهُ، فَلَا تُصَاحِبْنِي، فَقَدْ قَبِلْتَ عُذْرِي مِنْ قَبْلِ، وَلَا عُذْرَ لِي بَعْدَهُ.

{ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا } (الكهف : 77)

77- وَانطَلَقَا يَمْشِيَانِ، حَتَّى إِذَا وَصَلَا إِلَى قَرْيَةٍ، طَلَبَا الضَّيَافَةَ مِنْ أَهْلِهَا، فَلَمْ يُطْعِمُوهُمَا، وَكَانُوا لِنَامًا، بُحْلَاءً. فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا مَائِلًا يَكَادُ أَنْ يَسْقُطَ، فَرَدَّهُ الْحَضِرُ فَأَقَامَهُ بِيَدِهِ. فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ لِيُضَيِّفُونَا فَلَمْ يُطْعِمُونَا، لَوْ أَرَدْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيِ عَمَلِكَ هَذَا أَجْرًا مِنْهُمْ.

{ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا } (الكهف : 78)

78- قَالَ لَهُ الْحَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَذَا وَقْتُ فِرَاقِ مَا بَيْنِي وَبَيْنِكَ، فَإِنَّكَ لَمْ تَلْتَزِمَ بِشَرِّطِ الصُّحْبَةِ مَعِي، وَسَأُخْبِرُكَ بِمَالٍ وَعَاقِبَةٍ مَا لَمْ تَصْبِرْ عَلَيْهِ مِمَّا حَدَّثَ مَعَنَا، لَكُونِهِ مُنْكَرًا عِنْدَكَ مِنْ حَيْثُ الظَّاهِرِ.

قال في "إرشاد الساري": كانت أحكام موسى كغيره من الأنبياء مبنية على الظواهر، ولذا أنكر حرق السفينة، وقتل الغلام، إذ التصرف في أموال الناس وأرواحهم بغير حق حرام في الشرع الذي شرعه لأنبيائه عليهم السلام، إذ لم يكلفنا بالكشف عن البواطن، لما في ذلك من الحرج. وأما وقوع ذلك من الحضير، فالظاهر أنه شرع له أن يعمل بما كشف له من بواطن الأسرار، وأطلع عليه من حقائق الأشياء...

{أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا} (الكهف : 79)

79- أما السفينة التي خرقتها، فكانت لمساكين يعملون ويكتسبون في البحر، فأردت أن أجعلها معيبة، وكان أمامهم ملك ظالم يأخذ كل سفينة جيدة غصبا.

{وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يزهقهما طغيانا وكفرا} (الكهف : 80)

80- وأما الغلام الذي قتلته، فلو أنه كبر لكان كافرا، وكان أبواه مؤمنين صالحين، وعلمنا أنه لو بلغ لدعاهما إلى الكفر، ولاستجابا له وتابعاه في دينه، لخبثهما الشديد له، وخبث الشيء يُعجب ويصم. والطغيان: الزيادة في الضلال.

{فأردنا أن يبدلنا ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما} (الكهف : 81)

81- فأردت بقتلي له أن يبدل الله والديه من هو خير منه دينًا وخلقا، ويكون أبر منه بهما.

{وأما الجدار فكان لعلامين ييمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا} (الكهف : 82)

82- وأما الجدار الذي أصلحته، فكان لعلامين ييمين صغيرين في المدينة - وهي القرية المذكورة - وتحته مال مدفون من ذهب وفضة يخصهما، وكان أبوهما صالحا تقيا، ولو ترك

الجِدَارُ يَنْقُضُ لظَهَرَ الكَنْزِ مِنْ تَحْتِهِ، وَلَمَّا اسْتَطَاعَ الصَّغِيرَانِ أَنْ يَدْفَعَا عَنْهُ مَكْرُوهُمَا، فَأَرَادَ رُبُّكَ أَنْ يَكْبِرَا وَيُدْرِكَا قُوَّتَهُمَا، لِيَسْتَخْرِجَا حِينَذَاكَ كَنْزَهُمَا وَهُمَا قَادِرَانِ عَلَى حِمَايَتِهِ.

وهذا الذي فعلته كان رحمة من الله بأصحاب السفينة، ووالدي الغلام، وولدي الرجل الصالح. وما فعلت ذلك باختيارى ورأيتى، لكني أمرت به، وفعلته بأمر الله - وهذا دليل على نبوته - . وما فعلته وأوقفته على بيانه ونتيجته، هو ما لم تقدر على الصبر عليه.

وليس هناك أي دليل شرعي ثابت على أن الحضر مازال حيًا، وما يرد في مثل هذا أقاويل وحكايات لا تنهض حجة على ذلك.

{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا } (الكهف : 83)

83- وَيَسْأَلُكَ بَعْضُهُمْ أَتِيهَا النَّبِيُّ عَنْ شَأْنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ، فَقُلْ لَهُمْ: سَأَذْكَرُ لَكُمْ مِنْ أَنْبَاءِهِ وَقَصِّصِهِ قُرْآنًا.

وهو قائد فاتح مؤمن، وحاكم صالح عادل، ولم يكن نبياً ولا ملكاً، وليس واحداً ممن انتصر له بعض المؤرخين والمفسرين، كالإسكندر المقدوني، والصعب الحميري، وكورش الأخميني. وذكر كثير منهم أنه الأول، وهو خطأ ووهم، فالمقدوني كان من أنصار فلسفة أرسطو، ولا يُسمى ذا القرنين أصلاً، كما أن القائد المؤمن لا يُسمى الإسكندر، ولعل الذي جمع بينهما هو ما ورد من معارك المقدوني وانتصاراته. وقد ذكر كثير من المؤرخين أن ذا القرنين كان في عصر إبراهيم الخليل عليه السلام. والله أعلم. والمهم أن يُعتبر من سيرته.

{ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا } (الكهف : 84)

84- إِنَّا جَعَلْنَا لَهُ قُدْرَةً وَتَمَكَّنَّا فِي الْأَرْضِ، وَحَصَّافَةً فِي الرَّأْيِ، وَحُسْنَ تَدْبِيرِ، وَجُنُودًا وَأَعْوَانًا، وَمَهَّدْنَا لَهُ الْأَسْبَابَ، وَأَعْطَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي تَدْبِيرِ مُلْكِهِ وَفَتْوحَاتِهِ عِلْمًا وَمُكْنَةً يَصِلُ بِهَا إِلَى مَقْصُودِهِ.

{ فَاتَّبِعْ سَبَبًا } (الكهف : 85)

85- فَأَرَادَ بُلُوغَ الْمَغْرِبِ، فَسَلَّكَ طَرِيقًا تُوصِلُهُ إِلَيْهِ.

{ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا } (الكهف : 86)

86- حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مَغْرِبَ الشَّمْسِ، رَأَاهَا - فِي نَظَرِهِ - تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ ذَاتِ طِينَةٍ سَوْدَاءَ، لَعَلَّهَا مَصَبٌ نَهْرٌ، حَيْثُ يَخْتَلِطُ الطِّينُ بِالْمَاءِ، وَكُلُّ يَرَى الشَّمْسَ تَغِيْبُ فِي مَكَانٍ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ ذُو الْقَرْنَيْنِ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْمَحِيْطِ، رَأَى الشَّمْسَ تَغِيْبُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ. وَوَجَدَ عِنْدَ تِلْكَ الْعَيْنِ أُمَّةً مِّنَ الْأُمَّةِ، فَأَلْهَمْنَا ذَا الْقَرْنَيْنِ: إِنَّمَا أَنْ تَعْمَلَ فِيهِمُ الْقَتْلَ إِذَا لَمْ يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا أَنْ تُحْسِنَ إِلَيْهِمْ وَتَدْعُوهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَتُعَلِّمَهُمُ الْهُدَى.

{ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا } (الكهف: 87)

87- قَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ لِدَوِي مَشُورَتِهِ وَأَهْلِ الرَّأْيِ مِنْهُمْ: أَمَّا مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَأَصْرَّ عَلَى الْإِقَامَةِ عَلَى الْكُفْرِ فَسَوْفَ نَقْتُلُهُ، ثُمَّ يُرْجَعُ إِلَىٰ رَبِّهِ فِي الْآخِرَةِ، فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا مُنْكَرًا فَظِيْعًا.

{ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جِزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا } (الكهف : 88)

88- وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَاسْتَجَابَ لِدَعْوَتِنَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَهُ، وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا بِحَسَبِ مَا يَفْتَضِيهِ الْإِيمَانُ، فَلَهُ الْمَثُوبَةُ الْحُسْنَىٰ فِي الدَّارَيْنِ، وَلَا نُكَلِّفُهُ فِي الدُّنْيَا بِمَا هُوَ شَاقٌّ عَلَيْهِ، بَلْ نُكَلِّفُهُ لَهُ الْقَوْلَ، وَنُعَامِلُهُ بِالْيُسْرِ مِنْ أَمْرِنَا.

قَالَ صَاحِبُ "الظَّلَالِ" رَحِمَهُ اللَّهُ: "وهذا هُوَ دُسْتُورُ الْحُكْمِ الصَّالِحِ، فَالْمُؤْمِنُ الصَّالِحُ يَنْبَغِي أَنْ يَجِدَ الْكِرَامَةَ وَالْجِزَاءَ الْحَسَنَ عِنْدَ الْحَاكِمِ، وَالْمُعْتَدِي الظَّالِمُ يَجِبُ أَنْ يَلْقَى الْعَذَابَ وَالْإِيْدَاءَ...". إِلَىٰ أَنْ قَالَ: "أَمَّا حِينَ يَضْطَرُّ مِيزَانُ الْحُكْمِ، فَإِنَّ الْمُعْتَدُونَ الْمَفْسِدُونَ مُقَرَّبُونَ إِلَى الْحَاكِمِ، مُقَدَّمُونَ فِي الدَّوْلَةِ، وَإِذَا الْعَامِلُونَ الصَّالِحُونَ مَنبُذُونَ أَوْ مُحَارَبُونَ، فَعِنْدَئِذٍ تَتَحَوَّلُ السُّلْطَةُ فِي يَدِ الْحَاكِمِ سَوَاطِ عَذَابٍ وَأَدَاةٍ فَسَادٍ، وَيَصِيرُ نِظَامُ الْجَمَاعَةِ إِلَى الْقَوَضَى وَالْفَسَادِ".

{ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا } (الكهف : 89)

89- ثُمَّ سَلَكَ طَرِيقًا بِاتِّجَاهِ الْمَشْرِقِ .

{ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا }
(الكهف : 90)

90- حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ، وَهُوَ الْأُفُقُ الشَّرْقِيُّ فِي عَيْنِ الرَّائِي، وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى أُمَّةٍ لَيْسَ لَهُمْ بِنَاءٌ يَسْتَتِلُونَ فِيهِ، وَلَا لِبَاسٌ يَسْتَتِرُونَ بِهِ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ .

{ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا } (الكهف : 91)

91- وَكَانَ حُكْمُهُ فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، كَحُكْمِهِ فِي الْقَوْمِ السَّابِقِينَ . وَقَدْ أَحَاطَ عَلِمْنَا بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْجُنْدِ وَالْعُدَّةِ وَالتَّنْظِيمِ وَالتَّخْطِيطِ وَالفُتُوحَاتِ .

{ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا } (الكهف : 92)

92- ثُمَّ سَلَكَ طَرِيقًا ثَالِثًا، وَهُوَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَدْعُو وَيُجَاهِدُ، فَإِنْ أَطَاعُوهُ، وَإِلَّا حَارَبَهُمْ، وَقَوَّى بِهِمْ جُنْدَهُ .

{ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا } (الكهف : 93)

93- حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ وَجَدَ أَمَامَهُمَا أُمَّةً لَّا يَكَادُونَ يَفْهَمُونَ كَلَامَ أَحَدٍ، وَلَا يَفْهَمُ النَّاسُ كَلَامَهُمْ، لِعَرَابَةِ لُغَتِهِمْ وَبُعْدِهَا مِنْ لُغَاتِ النَّاسِ .

{ قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا } (الكهف : 94)

94- فقالوا له بواسطة مترجمهم: يا ذا القرنين، إن قبيلتي ياجوج ومأجوج⁽⁷⁶⁾ يفسدون في أرضنا بالقتل والنهب والأذى، ولا يدعون شيئاً إلا أفسدوه، فهل نجمع لك أموالاً عظيمة من عندنا لتجعل بيننا وبينهم حاجزاً يمنعهم من الوصول إلينا؟

{ قَالَ مَا مَكِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا } (الكهف : 95)

95- قَالَ لَهُمْ ذُو الْقَرْنَيْنِ: مَا قَوَّيْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ وَأَعْطَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَالتَّمَكِينِ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ مِنَ الَّذِي تَجْمَعُونَ لِي مِنَ الْمَالِ، فَدَعُوا هَذَا وَسَاعِدُونِي بِقُوَّتِكُمْ وَمَا عِنْدَكُمْ مِنْ مَوَادٍّ، لِأَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ حَاجِزًا قَوِيًّا وَسَدًّا حَصِينًا.

{ أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا } (الكهف : 96)

96- أَعْطَوْنِي قِطْعَ الْحَدِيدِ الضَّخْمَةِ. فَجَلَّبَوْهَا لَهُ، وَصَارَ بَيْنِي بَهَا مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ. حَتَّى إِذَا سَوَّى بَهَا مَا بَيْنَ طَرْفَيْهِ، قَالَ لِلْعُمَّالِ: انْفُخُوا فِي النَّارِ بِالْكَبِيرَانِ. حَتَّى إِذَا صَارَ الْحَدِيدُ أَحْمَرَ كَالنَّارِ، قَالَ لَهُمْ: أَعْطُونِي النُّحَاسَ الْمَذَابَ لِأُفْرِغَهُ عَلَيْهِ.

{ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا } (الكهف : 97)

97- فَمَا اسْتَطَاعَ يَاجُوجُ وَمَأْجُوجُ أَنْ يَعلُوا عَلَى ذَلِكَ السَّدِّ، لِارْتِفَاعِهِ وَمَلَأْسَتِهِ، وَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَنْقُبُوهُ وَيَخْرِقُوهُ، لِصَلَابَتِهِ وَتَحَانُتِهِ.

(76) رَجَّحَ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ فِي تَفْسِيرِهِ، أَنَّهُمُ الْمَغُولُ وَالتَّارُ، بَعْدَ كَلَامِ، قَالَ: "وَالَّذِي يَجِبُ اعْتِمَادُهُ أَنْ يَاجُوجُ وَمَأْجُوجُ هُمُ الْمَغُولُ وَالتَّارُ".

{ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا } (الكهف : 98)

98- قَالَ ذُو الْقَرَيْنَيْنِ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي تَوَاضُعٍ، شَاكِرًا لِلَّهِ عَلَى مَا وَفَّقَهُ إِلَيْهِ: هَذَا السَّدُّ نِعْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِأَهْلِ هَذِهِ الْبِلَادِ وَمَنْ بَعَدَهُمْ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ عِنْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ قَبْلَ ذَلِكَ، جَعَلَهُ مَدَكُوكًا وَسَوَّاهُ بِالْأَرْضِ. وَمَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ حَقٌّ ثَابِتٌ لَا خُلْفَ فِيهِ. وَذُكِرَ أَنَّ آثَارَ هَذَا السَّدِّ مَازَلَتْ مَوْجُودَةً فِي جُورْجِيَا، فِي فَتْحَةِ دَارِيَالِ بِجِبَالِ الْقَوْقَازِ، الَّتِي كَانَتْ الْقَبَائِلُ الْمَتَوَحِّشَةُ تُغَيِّرُ مِنْهَا عَلَى مَنَاطِقِ جَنُوبِ الْقَوْقَازِ وَشَرْقِ الْبَحْرِ الْأَسْوَدِ وَغَرْبِ بَحْرِ قَرْوِينَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

{ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا } (الكهف : 99)

99- وَتَرَكْنَا النَّاسَ يَوْمَئِذٍ - عِنْدَ بَحْيِ الْوَعْدِ، بِخُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، أَوْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَدْخُلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ كَمَوْجِ الْمَاءِ، فَيَخْتَلِطُونَ، لِكَثْرَتِهِمْ. وَنُفِخَ فِي الصُّورِ إِثْرَ ذَلِكَ، فَجَمَعْنَا النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ. وَخُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ.

{ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا } (الكهف : 100)

100- وَأَظْهَرْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْكَافِرِينَ بِمَرَأَى مِنْ أَهْلِ الْمِحْشَرِ، لِيَرَوْا مَا فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّارِ الْمَلْتَهَبَةِ قَبْلَ دُخُولِهَا، لِيَكُونَ ذَلِكَ أْبْلَغَ فِي خَوْفِهِمْ وَحُزْنِهِمْ.

{ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا } (الكهف : 101)

101- الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ - وَهُمْ فِي الدُّنْيَا - مُحَاطَةً بِغِشَاوَةٍ غَلِيظَةٍ تَحْجُبُ عَنْهُمْ آيَاتِي وَذِكْرِي، فَقَدْ تَعَامَوْا عَنْهَا، وَصَمُّوا آذَانَهُمْ عَنِ سَمَاعِ الْحَقِّ، لِئَلَّا يَعْقِلُوا عَنِ اللَّهِ دِينَهُ.

{ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا } (الكهف : 102)

102- أفضل الكافرون أن يتخذوا عبادا لي آلهة يعبدونهم من دوني، وأنصارا يتقون بهم بأسى؟ سيظهر لهم تبرؤهم منهم يوم القيامة. وقد هيأنا لهم جهنم لتكون لهم منزلا يسكنون فيه، ومثوى يخلدون فيه.

{ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا } (الكهف : 103)

103- قل: هل أخبركم بالذين خسروا أعمالهم خسارة بينة، وندموا أشد الندامة؟

{ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } (الكهف : 104)

104- الذين ضاع جهدهم وبطل عملهم الذي عملوه في الدنيا، وهم يظنون أنهم يقومون بأعمال حسنة مرضية؟

{ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا } (الكهف : 105)

105- أولئك الأחסرون هم الذين جحدوا آيات الله ومُعجزاته التي أيد بها رسله، وكفروا بيوم المعاد، فلا حساب في نظرهم ولا جزاء بعد الموت، فهؤلاء بطلت أعمالهم مهما ظنوا أنها حسنة، لأنهم لم يصدروا فيها عن إيمان وعمل صالح، فهي غير قائمة على شريعة مشروعة ومقبولة عند الله، بل هي من أهوائهم وتسويل الشيطان لهم، فلا تجعل هؤلاء يوم القيامة وزنا ولا اعتبارا.

وفي الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم: "إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة". وقال: "افترؤوا: {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا}".

{ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا } (الكهف : 106)

106- فإذا كَانَ الأمرُ كذلك، فَإِنَّ جزَاءَهُمْ جَهَنَّمُ؛ بسَبَبِ كُفْرِهِمْ، واستِهْزَائِهِمْ بِآيَاتِي ومُعْجَزَاتِي، وتكذيبِهِمْ كُتُبِي ورُسُلِي.

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا } (الكهف : 107)

107- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا، وَاتَّبَعُوا إِيْمَانَهُمْ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِشَرَعِ اللَّهِ، كَانَتْ لَهُمْ فِيمَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ، جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ مَنْزِلًا وَمَقَامًا.

وفي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ الْمَرْفُوعِ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرَ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ".

{ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا } (الكهف : 108)

108- مُتَمِيمِينَ فِيهَا أَبَدًا، لَا يَطْلُبُونَ تَحْوِلًا عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا، وَلَا يُفَضِّلُونَ سِوَاهَا.

{ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا } (الكهف : 109)

109- قُلْ: لَوْ كَانَ الْبَحْرُ حَبْرًا مُعَدًّا لِلْقَلَمِ الَّذِي تُكْتَبُ بِهِ كَلِمَاتُ رَبِّي، لَفَنِيَ مَاءُ الْبَحْرِ قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ كَلِمَاتُ رَبِّي، لَعَدَمِ تَنَاهِيهَا، وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِ مَاءِ الْبَحْرِ بِحُورًا أُخْرَى تَمُدُّهُ بِالْمَاءِ.

{ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ

عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } (الكهف : 110)

110- قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ: مَا أَنَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ، إِلَّا أَنِّي تَمَيَّزْتُ عَنْكُمْ بِوَحْيِ اللَّهِ إِلَيَّ، فَمَنْ زَعَمَ أَنِّي كَاذِبٌ فَلْيَأْتِ بِمِثْلِ مَا أُوحِيَ إِلَيَّ. وَإِنَّ الْإِلَهَ الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَمَنْ كَانَ يَأْمَلُ الْكِرَامَةَ وَالْبُشْرَى مِنْ رَبِّهِ، وَحَسَنَ الثَّوَابِ مِنْ عِنْدِهِ،

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا يَكُونُ مُوَافِقًا لِلشَّرْعِ، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا، فَلَا يُرَائِي بِعَمَلِهِ، وَلَا يُرَدُّ بِهِ سِوَى وَجْهِهِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا زَكَاةُ الْعَمَلِ الْمَتَقَبَّلِ: لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِلَّهِ، صَوَابًا عَلَى شَرِيعَةِ رَسُولِ اللَّهِ.

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الدَّهَبِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَقِفُ الْمَوْقِفَ أُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ، وَأُرِيدُ أَنْ يُرَى مَوْطِنِي. فَلَمْ يُرَدِّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا، حَتَّى نَزَلَتْ: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}.

* * *

وَسُورَةُ الْكَهْفِ سُورَةٌ عَظِيمَةٌ، وَلَهَا فَضَائِلٌ، مِنْهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ الصَّحِيحِ مَوْقُوفًا: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، أَضَاءَ لَهُ النُّورَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ". رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ".

سورة مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{كهيعص} (مريم : 1)

1- حروف مُقَطَّعَةٌ لم يَرِدْ فِي معناها حَدِيثٌ ثَابِتٌ صَحِيحٌ. ولم يَتَّفِقِ المفسِّرونَ على معناها.

{ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا} (مريم : 2)

2- هذا ذِكْرٌ وَبَيَانٌ لِمَا رَحِمَ اللَّهُ بِهِ عَبْدَهُ وَنَبِيَّهُ زَكَرِيَّا وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ.

{إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا} (مريم : 3)

3- إِذْ دَعَا رَبَّهُ سِرًّا، فِي خُفْيَةٍ عَنِ النَّاسِ، فَهُوَ أَبْعَدُ عَنِ الرِّبَاءِ، وَأَظْهَرُ فِي الإِخْلَاصِ.

{قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا} (مريم :

4)

4- قال: اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعُفْتُ، وَخَارَتْ قُوَايَ، وَانْتَشَرَ المِشِيبُ فِي شَعْرِ رَأْسِي، وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِي إِبْرَأَةَ خَائِبًا فِي وَقْتِ مِنَ الأَوْقَاتِ، وَلَمْ تُرَدِّدْنِي فِيما سَأَلْتُكَ.

{وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا} (مريم : 5)

(

5- وَإِنِّي خَشِيتُ الأَ يَحْسِنَ أهلي وَقَرَابَتِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي أُمَّتِي مِنْ بَعْدِ مَوْتِي، وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَقِيمًا لا تُنْجِبُ، فَهَبْ لِي مِنْ فَضْلِكَ ابْنًا مِنْ صُلْبِي.

{يَرْثِي وَيَرْثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا} (مريم : 6)

6- يَرْتَبِي فِي النُّبُوَّةِ وَيَخْلُقُنِي فِي أُمَّتِي، وَيَرِثُ الْعِلْمَ وَالنُّبُوَّةَ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ، فَيَكُونُ امْتِدَادًا لِهَذَا النَّسَبِ الْمُبَارَكِ وَعِلْمِهِمْ وَخِلَافَتِهِمْ، وَاجْعَلْهُ مَرْضِيًّا قَوْلًا وَفِعْلًا عِنْدَكَ وَعِنْدَ خَلْقِكَ.

{ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا } (مریم : 7)

7- فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، وَقَالَ لَهُ بِوَسِطَةِ الْمَلِكِ: يَا زَكَرِيَّا، إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِوَلَدٍ اسْمُهُ يَحْيَى، لَمْ يُسَمَّ أَحَدٌ قَبْلَهُ بِهَذَا الْاسْمِ.

{ قَالَ رَبِّ أُنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا } (مریم : 8)

8- قَالَ زَكَرِيَّا مُنَاجِيًّا رَبَّهُ، مُتَضَرِّعًا إِلَيْهِ، وَهُوَ فَرِحَ وَمُتَعَجِّبٌ: رَبِّي، كَيْفَ يُوَلِّدُ لِي غُلَامًا وَامْرَأَتِي عَقِيمٌ لَا تُنْجِبُ، وَأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ طَاعِنٌ فِي السِّنِّ!؟

{ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا } (مریم : 9)

9- قَالَ الْمَلِكُ يُرَدُّ عَلَى زَكَرِيَّا وَتَعْجِبِهِ مِنْ ذَلِكَ: كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ: إِيجَادُ وَلَدٍ مِنْ شَيْخٍ عَجُوزٍ وَامْرَأَةٍ عَاقِرٍ سَهْلٌ يَسِيرٌ عَلَيَّ، وَقَدْ خَلَقْتُكَ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا مِنْ قَبْلِ.

{ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا } (مریم : 10)

10- قَالَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَبِّي اجْعَلْ لِي عِلَامَةً عَلَى مَا وَعَدْتَنِي بِهِ. فَأَوْحَى إِلَيْهِ رَبُّهُ: عِلَامَتُكَ أَلَّا تَسْتَطِيعَ أَنْ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ مَعَ أَيَّامِهِنَّ، وَأَنْتَ صَاحِبٌ مُعَافَى فِي جَمِيعِ جَوَارِحِكَ.

{ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا } (مریم : 11)

11- فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ مِحْرَابِهِ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ صَلُّوا فِي الْعِدَاةِ وَالْعِشَاءِ، شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى نِعْمَتِهِ.

{ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا } (مریم : 12)

12- فَوَهَبْنَا لَهُ يُحْيِي، وَعَلَّمْنَاهُ التَّوْرَةَ الَّتِي يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ، وَقُلْنَا لَهُ: يَا يُحْيَى خُذِ الْكِتَابَ
بِحِدِّ وَاجْتِهَادٍ، وَأَعْطَيْنَاهُ النُّبُوَّةَ، أَوْ الْفَهْمَ وَالْعِلْمَ، وَهُوَ صَغِيرٌ.

{ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا } (مریم : 13)

13= وآتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَشَفَقَةً عَظِيمَةً، وَطَهَارَةً نَفْسٍ، وَطَاعَةً وَإِخْلَاصًا، فَلَمْ يَتَّقِرِفْ
ذَنْبًا.

{ وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَمَا يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا } (مریم : 14)

14- وَطَاعَةً لِّوَالِدَيْهِ وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمَا، وَلَمْ يَكُنْ مُتَكَبِّرًا مُتَعَالِيًّا عَنِ قَبُولِ الْحَقِّ، أَوْ مُتَطَاوِلًا
عَلَى الْخَلْقِ.

{ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا } (مریم : 15)

15- وَسَلَامٌ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ يُحْيَى وَأَمَانٌ لَهُ يَوْمَ وُلِدَ: مِنْ أَنْ يَنَالَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ شَيْئًا، وَيَوْمَ
يَمُوتُ: يَسَلِّمُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَوَحْشَتِهِ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا: يَأْمَنُ مِنْ هَوْلِ الْقِيَامَةِ وَعَذَابِ
النَّارِ.

{ وَادْكُزْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا } (مریم : 16)

16- وَادْكُزْ فِي الْقُرْآنِ أَيُّهَا الرَّسُولُ قِصَّةَ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، عِنْدَمَا اعْتَرَلَتْ أَهْلِهَا، وَذَهَبَتْ إِلَى
شَرْقِ دَارِهَا، أَوْ شَرْقِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

{ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا } (مریم : 17)

17- فَتَوَارَتْ عَنْهُمْ وَجَعَلَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُمْ سِتْرًا وَحَاجِزًا، فَبَعَثْنَا إِلَيْهَا جِبْرِيْلَ، فَتَصَوَّرَ لَهَا عَلَى
صُورَةِ إِنْسَانٍ كَامِلٍ الْخَلْقَةَ.

{ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا } (مریم : 18)

18- فلَمَّا رَأَتْهُ أَمَامَهَا وَهِيَ فِي مَكَانٍ مَعزُولٍ، خَافَتْ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهَا وَقَالَتْ: إِنِّي أَلْتَجِيءُ إِلَى اللَّهِ وَأَحْتَمِي بِهِ مِنْ أَنْ تَمَسَّنِي بِسُوءٍ، إِنْ كُنْتُ مُؤْمِنًا تَخَافُ اللَّهَ وَتَخْشَى عِقَابَهُ.

{ قَالَ إِيمًا أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا } (مریم : 19)

19- قَالَ لَهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَمْ أَرِدْ مَا يَسُوؤُكَ أَيُّهَا الصَّادِقَةُ، مَا أَنَا إِلَّا رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِأَهَبَ لَكَ بِأَمْرِهِ وَلَدًا طَاهِرًا، نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ.

{ قَالَتْ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا } (مریم : 20)

20- قَالَتْ لَهُ مَرِيَمُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: وَكَيْفَ يُوَلَّدُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَقْرَنْ بِي زَوْجٌ، وَلَمْ أَكُنْ فَاجِرَةً؟ تَعْنِي أَنَّ الْوَلَدَ يَكُونُ مِنْ نِكَاحٍ أَوْ سِفَاحٍ، وَهِيَ لَيْسَتْ كَذَلِكَ.

{ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مُقْضِيًّا }

(مریم : 21)

21- قَالَ جِبْرِيلُ: قَالَ رَبُّكَ: كَذَلِكَ هُوَ سَهْلٌ عَلَيَّ يَسِيرٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ زَوْجٌ، وَلَمْ تَوْجِدْ مِنْكَ فَاجِشَةً، وَلِنَجْعَلَ هَذَا الْغُلَامَ عَلَامَةً لِلنَّاسِ، وَدَلَالَةً عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِنَا، وَنِعْمَةً عَظِيمَةً مِنْ عِنْدِنَا، وَلِيَكُونَ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَيَهْتَدِي النَّاسُ بِهَدْيِهِ. وَكَانَ هَذَا أَمْرًا مُقَدَّرًا وَمُسَطَّرًا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، فَلَا بُدَّ مِنْهُ.

{ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا } (مریم : 22)

22- فَحَمَلَتْ بَعِيسَى، بَعْدَ أَنْ نَفَخَ اللَّهُ فِيهَا بِوَسِطَةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَتَنَحَّتْ بِحَمْلِهَا مَكَانًا بَعِيدًا مِنْ أَهْلِهَا.

{ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا }

(مریم : 23)

23- فأجأها وَجِعُ الْوِلَادَةِ إِلَى جِدْعِ نَخْلَةٍ كَانَتْ هُنَاكَ، قَالَتْ وَهِيَ تَعْلَمُ أَنَّهَا سَتُبْتَلَى بِمَوْلُودِهَا وَلَا يُصَدِّقُ النَّاسُ كَلَامَهَا: يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ، وَكُنْتُ شَيْئًا حَقِيرًا لَا يُذَكَّرُ وَلَا يُعْتَدُّ بِهِ، مَتْرُوكًا لَا يُعْرَفُ وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِ أَحَدٍ.

{فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} (مریم : 24)

24- فنَادَاهَا جَبْرِيلُ مِنْ تَحْتِهَا: لَا تَحْزَنِي، قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ أَسْفَلَ مِنْكَ جَدْوَلًا يَسْرِي فِيهِ الْمَاءُ.

{وَهَزِي إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا حَنِيًّا} (مریم : 25)

25- وَحَزَّكَ نَحْوُكَ جِدْعُ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا مَجْنِيًّا نَاضِجًا جَاهِرًا لِلْأَكْلِ.

{فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ

أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا} (مریم : 26)

26- فَكُلِّي يَا مَرْيَمُ مِنَ الرُّطْبِ وَاشْرَبِي مِنَ النَّهْرِ، وَطِيبِي نَفْسًا وَلَا تَحْزَنِي، فَإِذَا رَأَيْتِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ وَسَأَلَكِ عَنْ شَيْءٍ، فَقُولِي لَهُ - لَعَلَّهُ إِشَارَةٌ - : إِنَّي نَذَرْتُ لِلَّهِ أَنْ أَصُومَ، فَلَنْ أُكَلِّمَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ هَذَا الْيَوْمَ. رُبَّمَا كَرَاهَةَ مُجَادَلَةِ السُّفَهَاءِ، وَاكْتِفَاءً بِكَلَامِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

{فَأَنْتَ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا} (مریم : 27)

27- فَأَنْتَ مَرْيَمُ بَوْلِيدِهَا عِيسَى حَامِلَةٌ إِيَّاهُ، فَلَمَّا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِهَا - وَكَانُوا صَالِحِينَ - اسْتَنَكَرُوا مِنْهَا ذَلِكَ، وَقَالُوا: يَا مَرْيَمُ لَقَدْ اقْتَرَفْتَ أَمْرًا مُنْكَرًا عَظِيمًا.

{يَا أُخْتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا} (مریم : 28)

28- يَا شَبِيهَةَ هَارُونَ فِي الْعِبَادَةِ - وَكَانَ رَجُلًا مَشْهُورًا بِالزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ فِي وَقْتِهِمْ - مَا كَانَ أَبُوكِ عِمْرَانُ رَجُلٌ سَوْءٍ يَعْمَلُ الْفَوَاحِشَ، وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ زَانِيَةً، فَكَيْفَ حَصَلَ لَكَ هَذَا!؟

{فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا} (مریم : 29)

29- فأشارت إلى طفلها الرضيع عيسى: أن كلموه. قالوا مُنكرين جوابها: كيف نُكلمُ صبيًا في المهد؟! وكيف يتكلم هو؟!

{ قَالَ إِيَّيْ عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا } (مریم : 30)

30- فتكلم عيسى عليه السلام وقال: إِيَّيْ عَبْدُ اللَّهِ - وَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ هَذَا أَوَّلَ كَلَامِهِ - قَضَى رَبِّي أَنْ يُوَيِّنِي الْإِنجِيلَ، وَيَجْعَلَنِي نَبِيًّا.

{ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا } (مریم : 31)

31- وجعلني نفاعًا، مُعلِّمًا للخير، أينما كنت، وأمرني بالصلاة والزكاة مُدَّةَ حَيَاتِي.

{ وَبِرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا } (مریم : 32)

32- وأوصاني أن أكون مُحسنًا إلى والدي، ولم يجعلني مُستكبرًا، عاصيًا.

{ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا } (مریم : 33)

33- والسَّلامُ والأمانُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ: فلم يَنْلني الشَّيْطَانُ بسوء، وَيَوْمَ أَمُوتُ: أَسَلَمَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا: أَسَلَمَ مِنْ هَوْلِ القِيَامَةِ وَعَذَابِ جَهَنَّمَ.

{ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ } (مریم : 34)

34- ذَلِكَ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ عِيسَى بِنُ مَرْيَمَ، قَوْلَ الْحَقِّ وَالصِّدْقِ الَّذِي يَشْكُ فِيهِ النَّاسُ وَيَخْتَلِفُونَ، فَمِنْ قَائِلٍ يَقُولُ: إِنَّهُ كَاذِبٌ وَسَاحِرٌ، وَآخَرَ يَقُولُ: إِنَّهُ إِلَهٌ أَوْ ابْنُ إِلَهٍ، وَمَا هُوَ إِلَّا نَبِيٌّ كَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

{ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } (مریم :

(35

35- ما صَحَّ وما اسْتَقَامَ أَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِنَفْسِهِ وَلَدًا، وليسَ هذا مِنْ صِفَتِهِ، سُبْحَانَهُ، تَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ عَمَّا افْتَرَاهُ النَّصَارَى عَلَيْهِ، إِنَّمَا شَأْنُهُ إِذَا أَرَادَ إِحْدَاثَ أَمْرٍ أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ، فَيَكُونُ كَمَا يُرِيدُ.

{ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } (مریم : 36)

36- وَمِنْ تَمَامِ قَوْلِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَهْدِ: إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ، فَكُنَّا مَخْلُوقُونَ، وَلَهُ عَبِيدٌ، فَاعْبُدُوهُ وَأَطِيعُوهُ، وَوَحِّدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ الطَّرِيقُ الْقَوِيمُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَتَّبِعُوهُ.

{ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ } (مریم : 37)

37- فَاخْتَلَفَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فِيهِ وَصَارُوا فِرْقًا وَأَحْزَابًا، وَانْحَرَفَ مُعْظَمُهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَبَدَّلُوا تَعَالِيمَ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامِ، فَالْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ لِلْكَافِرِينَ مِنْ يَوْمِ الْهَوْلِ وَالْعَذَابِ.

{ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (مریم : 38)

38- مَا أَسْمَعَهُمْ وَمَا أَبْصَرَهُمْ عِنْدَمَا يَأْتُونَنَا يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَقَدْ كَانُوا ضُلًّا وَعُمِيًّا عَنِ آيَاتِنَا، وَهُمْ الْآنَ كَذَلِكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فِي غَوَايَةٍ وَبُعْدٍ عَنِ الْحَقِّ ظَاهِرٍ، فَلَا يَعْقِلُونَ وَلَا يَتَذَكَّرُونَ.

{ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } (مریم : 39)

39- وَخَوْفِ الْمَشْرِكِينَ الظَّالِمِينَ مِنْ يَوْمِ النَّدَامَةِ الْكُبْرَى، عِنْدَمَا يُحَاسِبُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ كُلِّهَا، وَيُقَرَّرُ مَصِيرُهُمْ إِلَى النَّارِ، وَهُمْ الْيَوْمَ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يَنْتَظِرُهُمْ مِنْ حِسَابٍ عَظِيمٍ، وَهُمْ لَا يُصَدِّقُونَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ يَوْمَ الدِّينِ.

{ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ } (مریم : 40)

40- ونحن نرث الأرضَ وجميعَ مَنْ عليها، فنهلك الأحياءُ كُلُّهم، ويبقى مالِكُ الملكِ وحده، وإلينا مرجعُ النَّاسِ كُلِّهم، فنحكمُ بينهم، ونجازيهم على أعمالهم بما يستحقُّون.

{وَأذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} (مریم : 41)

41- واذكُر في القرآنِ خبرَ إبراهيمَ واثلهُ على النَّاسِ، إنَّه كانَ كثيرَ الصَّدقِ، مُلَازِمًا له، نبيًّا عَظِيمًا.

{إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا} (مریم : 42)

42- إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ آزَرَ - وَكَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ - يَا أَبَتِ لِمَاذَا تَعْبُدُ شَيْئًا لَا يَسْمَعُ صَوْتَكَ، وَلَا يَسْتَجِيبُ لِدَعَائِكَ، وَلَا يَرَى وَقُوفَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا خَضُوعَكَ لَهُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى نَفْعِكَ وَلَا ضُرِّكَ.

{يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا} (مریم : 43)

43- يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مِنَ الْعِلْمِ وَمَعْرِفَةِ أَسْرَارِ الْكُونِ مَا لَمْ يَأْتِكَ مِنْهُ، وَلَنْ تَعْرِفَ مِثْلَهُ، فَاقْبَلْ نَصِيحَتِي وَأَطِعْنِي أَدُلُّكَ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي يَأْخُذُ بِيَدِكَ إِلَى النَّجَاةِ مِنَ الْمَهَالِكِ.

{يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا} (مریم : 44)

44- يَا أَبَتِ لَا تُطِعِ الشَّيْطَانَ بِعِبَادَتِكَ هَذِهِ الْأَصْنَامُ، فَهُوَ الَّذِي يُحْسِنُ لَكَ ذَلِكَ، وَالشَّيْطَانُ مُخَالِفٌ لِأَمْرِ رَبِّهِ، مُسْتَكْبِرٌ عَنْ طَاعَتِهِ، مَطْرُودٌ مِنْ رَحْمَتِهِ.

{يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} (مریم : 45)

45- يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَشَى أَنْ يُصِيبَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْعِدُكَ اللَّهُ فِيهِ إِنْ أَقَمْتَ عَلَى الْكُفْرِ، فَتَكُونَ مُصَاحِبًا لِلشَّيْطَانِ فِي النَّارِ، كَمَا كُنْتَ مِثْلَهُ عَاصِيًّا فِي الدُّنْيَا.

{ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا } (مریم : 46

(

46- قَالَ لَهُ أَبُوهُ، مِنْ مَنْطِقِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يَتَحَمَّلُونَ ذِكْرَ آلِهَتِهِمْ بِسُوءٍ: أَتَكْرَهُ آلِهَتِي وَتُعْرِضُ عَنْهَا، وَتَنْهَى النَّاسَ عَنْ عِبَادَتِهَا؟ إِذَا أَصْرَزْتَ عَلَى مَوْفِقِكَ وَلَمْ تَنْتَه عَنِ التَّعْرِضِ لَهَا لِأَقْتَصَنَ مِنْكَ وَأَسْبَبْتَكَ، فَابْعُدْ عَنِّي إِذَا كُنْتَ تُرِيدُ النَّجَاةَ لِنَفْسِكَ.

{ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا } (مریم : 47)

47- قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَلَامٌ عَلَيْكَ، لَنْ تَنَالَ مِنِّي أَدَى وَمَكْرُوهُمَا يَا أَبِي، وَسَادَعُو اللَّهَ أَنْ يَهْدِيكَ إِلَى الْحَقِّ، وَيُوقِّعَكَ لِلتَّوْبَةِ، وَيَغْفِرَ ذَنْبَكَ، مَا دُمْتَ حَيًّا. إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ بِي، حَيْثُ أَكْرَمَنِي وَهَدَانِي لِعِبَادَتِهِ وَالْإِحْلَاصِ لَهُ، وَعَوَّدَنِي عَلَى إِجَابَةِ دَعْوَتِي. وَلَمْ يَدْعُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ بَعْدَ أَنْ عَلِمَ أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الشَّرْكِ { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتْيَاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ } [سورة التَّوْبَةِ: 114].

{ وَأَعْتَرْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا } (مریم)

(48 :

48- وَأَبْتَعِدُ عَنْكُمْ وَأَتَبَرَّأُ مِنْكُمْ وَمِنْ آلِهَتِكُمْ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، وَأَعْبُدُ رَبِّي الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَسَى أَلَّا أَكُونَ خَائِبًا ضَائِعَ السَّعْيِ بِعِبَادَتِي لَهُ، فَيَتَقَبَّلَهَا مِنِّي بِكَرَمِهِ. وَفِيهِ أَدَبٌ مَعَ اللَّهِ، وَتَعْرِضٌ بِشَقَاوَةِ مَنْ يَعْبُدُ الْآلِهَةَ.

{ فَلَمَّا اعْتَرَضَهُمْ وَمَا يَعْْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا }

(مریم : 49)

49- فَلَمَّا اعْتَرَضَ الْمُشْرِكِينَ وَآلِهَتَهُمُ الْمَرْعُومَةَ، أَبَدَلَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُمْ، فَوَهَبَهُ إِسْحَاقَ، وَوَلَدَ لِهَذَا يَعْقُوبَ، وَكَانُوا جَمِيعًا أَنْبِيَاءَ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

{وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا} (مریم : 50)

50- وأعطيناهم من فضلنا ونعمتنا خير ما يؤتى البشر، من خيري الدين والدنيا، وجعلنا الناس يُثنون عليهم ثناءً حسناً، في كل الأديان، وهم مستحقون لذلك، فقد كانوا صادقين في دعوتهم، مُخلصين في طاعتهم. وقد استجاب الله دعاء إبراهيم عليه السلام: {واجعل لي لسان صدق في الآخرين} [سورة الشعراء: 84].

{وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} (مریم : 51)

51- واذكر في القرآن كذلك خبر موسى بن عمران، الذي اصطفاه الله من بين الناس لحمل رسالته، فكان رسولاً، نبياً من أولي العزم.

{وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} (مریم : 52)

52- ونادينا موسى من جانب الطور (الجبل)، الناحية التي تلي يمين موسى، فقرَّبناه وكلمناه مُناجاة. وهو المُسَاوَرَةُ بالكلام.

{وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا} (مریم : 53)

53- وأجبنا دعاءه فوهبنا له أخاه هارون ليكون نبياً معه، يُسَاعِدُهُ ويؤازره في دعوته. وكان أفصح منه لساناً. عليهما الصلاة والسلام.

{وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} (مریم : 54)

54- واذكر في القرآن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام - جَدَّ نَبِينَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم - إِنَّهُ كَانَ صَادِقًا فِي وَعْدِهِ وَفِيًّا، لم يعد أحداً إلا وفي له. وقال لوالديه: {أفعل ما تُؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين} [سورة الصافات: 102] فصَدَق. وكان رسولاً نبياً، أرسله الله إلى قبيلة جرهم العربية.

{وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا} (مریم : 55)

55- وكان يأمر أهله بطاعة الله سبحانه، بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة. وكان رضيًا عند ربه، لاستقامة أقواله وأفعاله.

{وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} (مریم : 56)

56- وأتل في القرآن خبرَ إدريس، الذي كان قبل نوح، عليهما السلام، إنه كان كثيرَ الصّدق، مُلتزمًا له، نبيًا كريمًا.

{وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} (مریم : 57)

57- وأعلينا قدره ورفعنا ذكره.

وقد سلّم عليه رسولنا صلى الله عليه وسلم في السماء الرابعة عندما عُرج به، كما في صحيح البخاري.

{أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا}
(مریم : 58)

58- أولئك الذين تفضل الله عليهم وأعلى مرتبتهم بين البشر، من النبيين، من ذرية آدم: إدريس ونوح، ومن ذرية من حملناهم مع نوح: إبراهيم، ومن ذرية إبراهيم: إسماعيل وإسحاق ويعقوب، ومن ذرية إسرائيل (وهو يعقوب): موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى. هؤلاء من جملة من أرشدناهم إلى الحق واصطفيناهم للنبوّة، إذا سمعوا كلام الله المتضمّن لآلائه وبيان قدرته وعظّمته، بادروا إلى السجود لرّبهم، وقد خشعت قلوبهم لذكره، وفاضت عيونهم خشيةً منه، إقرارًا منهم بالعبودية له سبحانه.

{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا} (مریم : 59)

59- فجاء من بعد هؤلاء النبيين ومن تبعهم من عباد الله الصالحين، عقب سوء، تركوا الصلاة المفروضة عليهم، وانهمكوا في الملذات، وآثروا شهوات أنفسهم على طاعة ربهم، فسوف يجزون بذلك شرًا وخسرانًا.

{إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا} (مریم : 60)

60- إِلَّا مَنْ تَابَ مِنْ ذُنُوبِهِ، وَصَدَقَ فِي إِيْمَانِهِ، وَقَرَنَ تَوْبَتَهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ جَنَّةَ رَبِّهِمْ، وَلَا يُنْقَصُ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِهِمْ شَيْءٌ.

{جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا} (مریم : 61)

61- وَهِيَ جَنَّاتٌ مُعَدَّةٌ لِلْإِقَامَةِ الدَّائِمَةِ، وَعَدَّ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهَا وَإِنْ لَمْ يَرَوْهَا، وَإِنَّ مَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِهِ آتٍ لَا مَحَالَةَ.

{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} (مریم : 62)

62- لَا يَسْمَعُونَ فِي الْجَنَّةِ كَلِمًا بَاطِلًا تَافِهًا لَا خَيْرَ فِيهِ مِثْلَمَا هُوَ فِي الدُّنْيَا، لَكِنْ يَسْمَعُونَ كَلِمًا طَيِّبًا، فِيهِ سَلَامٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ، وَمِنْ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ مِنَ الْأَرْزَاقِ فِي مِثْلِ أَوْقَاتِ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، أَوْ أَنَّ الْمَقْصُودَ الدَّوَامُ.

{تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا} (مریم : 63)

63- تِلْكَ الْجَنَّةُ الْعَالِيَةُ الرَّائِعَةُ، الَّتِي نُعْطِيهَا لِمَنْ كَانَ تَقِيًّا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ آثَرُوا طَاعَةَ رَبِّهِمْ وَصَبَرُوا عَلَيْهَا، وَلَمْ تَصْرِفْهُمْ مُغْرِبَاتُ الدُّنْيَا عَنِ الْإِتِمَامِ بِالذِّينِ.

{وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} (مریم : 64)

64- قَالَ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَام: وما نَنْزِلُ إِلَى الأَرْضِ - نحنُ الملائكةُ - إِلَّا بِأَمْرِ اللهِ، لَهُ أَمْرُ الدُّنْيَا، وَأَمْرُ الآخِرَةِ، وما بَيْنَ ذَلِكَ. وما كَانَ اللهُ تَارِكًا أَنْبِيَاءَهُ.
وفي صَحِيحِ البُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ، أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لجبريل: "ما يَمْنَعُكَ أَنْ تَزورَنَا أَكثَرَ مما تَزورُنَا؟" فنَزَلَتِ الآيَةُ.

{ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } (مریم :

65)

65- اللهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَالِكُهُمَا وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمُدَبِّرُهُمَا، وَالْحَاكِمُ فِيهِمَا، فلا يَنْسَى، ولا يَنَام، ولا يَغْفُلُ عَنْهُمَا، فالزَّمْ طاعَتَهُ، واصْبِرْ عَلَى مَشاقِّ عِبادَتِهِ، وتكاليفِ أَمْرِهِ وَهَيْه، هلْ تَعْلَمُ اللهُ مِثْلًا وَشَبِيهًا؟

{ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أُنذِرْنَا مَا كُنَّا نَمُنُّ بِأَنَّ نَخْرُجَ حَيًّا } (مریم : 66)

66- وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ، الْمُنْكَرُ لِلْبَعْثِ: إِذَا مِتُّ وَكُنْتُ رُفَاتًا، سَأُخْرَجُ حَيًّا مِنَ الْقَبْرِ مَرَّةً أُخْرَى؟! قَالَ ذَلِكَ اسْتِهْزَاءً وَاسْتِيعَابًا لِلْمَعَادِ.

{ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلمْ يَكُنْ شَيْئًا } (مریم : 67)

67- أَلَا يَتَذَكَّرُ وَيَتَفَكَّرُ هَذَا الْإِنْسَانُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا فِي وَقْتِ مِنَ الْأَوْقَاتِ، ثُمَّ خَلَقْنَاهُ فَكَانَ حَيًّا؟ فَإِذَا كُنَّا خَلَقْنَاهُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا، أَلَسْنَا قَادِرِينَ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِهِ وَقَدْ كَانَ شَيْئًا؟

{ فَوَرِّتْكَ لِنَحْشُرَهُمُ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لِنُحْضِرَهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا } (مریم : 68)

68- فَوَرِّتْكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ، سَنَجْمَعُ هؤُلاءِ الْمُنْكَرِينَ لِلْمَعَادِ فِي الْمَحْشَرِ، مَعَ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ كَانُوا يُضِلُّونَهُمْ، بَارِكِينَ عَلَى الرَّكْبِ حَوْلَ جَهَنَّمَ، فِي ذِلَّةٍ وَفَرْعٍ، يَنْتَظِرُونَ أَنْ يُقَدَّفَ بِهِمْ فِيهَا فِي آيَةِ لِحْظَةٍ.

{ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا } (مریم : 69)

69- ثُمَّ لَنُخْرِجَنَّ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ مِنْهُمْ قَادَتَهُمْ وَرُؤَسَاءَهُمْ الْأَكْثَرَ شَرًّا وَفُجُورًا وَجُرْأَةً عَلَى اللَّهِ وَخُرُوجًا عَنْ طَاعَتِهِ، فَيُقَدَّمُونَ إِلَى النَّارِ.

{ثُمَّ لَنُخْرِجَنَّ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ مِنْهُمْ قَادَتَهُمْ وَرُؤَسَاءَهُمْ الْأَكْثَرَ شَرًّا وَفُجُورًا وَجُرْأَةً عَلَى اللَّهِ وَخُرُوجًا عَنْ طَاعَتِهِ، فَيُقَدَّمُونَ إِلَى النَّارِ. (مریم : 70)}

70- ثُمَّ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَيُعَابَى عَذَابَهَا وَيَخْلَدَ فِيهَا.

{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا} (مریم : 71)

71- وَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ إِلَّا وَيُرَدُّ عَلَى النَّارِ، الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَكَانَ وَرُودُكُمْ عَلَيْهَا أَمْرًا وَاجِبًا، قَضَاهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ.

وورود المؤمنین علی جہنم هو المرور علی الصراط، الذي يكون علی متنها، مثل حد السيف، فيرون جہنم وهي تكاد أن تتميز من الغيظ، ويُقدف بالكافرين فيها... فورود المتقين غير ورود الظالمين عليها.

{ثُمَّ نُحْيِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذُرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا} (مریم : 72)

72- وَعِنْدَ مُرُورِ الْخَلَائِقِ عَلَى النَّارِ، نُحْيِي الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يُشْرِكُوا بِهِمْ مِنْهَا، وَنَذُرُ فِيهَا الْمُشْرِكِينَ جَائِثِينَ فِيهَا عَلَى رُكْبِهِمْ، فَقَدْ أَلْقَوْا فِيهَا عَلَى هَيْئَاتِهِمْ عِنْدَمَا كَانُوا حَوْلَ جَهَنَّمَ.

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا} (مریم : 73)

73- وَإِذَا قُرِئَتْ عَلَى الْمُشْرِكِينَ آيَاتُنَا مِنَ الْقُرْآنِ، الظَّاهِرَةُ فِي إِعْجَازِهَا، الْمِحْكَمَةُ فِي مَعْنَاهَا وَدَلَالَتِهَا، قَالُوا لِلْمُؤْمِنِينَ: أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ مِنَّا وَمِنْكُمْ أَفْضَلُ مَنْزِلَةً وَمَكَانَةً، وَأَحْسَنُ نَادِيًّا وَمَجْلِسًا؟ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي مَكَّةَ أَكْثَرَهُمْ مِنَ الضَّعْفَةِ، وَيَسْتَتِرُونَ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ، وَالْمُشْرِكُونَ رُؤَسَاءَ الْقَوْمِ، وَعَدَدُهُمْ أَكْثَرُ، وَمَجَالِسُهُمْ أَكْبَرُ، حَيْثُ يُلْقَى فِيهَا الشُّعْرُ، وَتُدَارُ فِيهَا الْحَمْرُ، فَقَالُوا - مُحْتَجِّينَ بِذَلِكَ - إِنَّهُمْ الْأَفْضَلُ إِذَا!

{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِئِيًّا} (مریم : 74)

74- ولكن ليتفكروا ويتدبروا، ولا ينظروا إلى العدد والمنزلة الدنيوية، فكم أهلكنا من الأمم السابقة بسبب ضلالهم وتكذيبهم أنبياءهم، وكانوا أكثر متاعاً وأموالاً، وأحسن منظرًا وشكلاً.

{قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا} (مریم : 75)

75- قُلْ لِلْمُشْرِكِينَ أَيُّهَا النَّبِيُّ: مَنْ كَانَ مِنَّا وَمِنْكُمْ عَلَى الْبَاطِلِ، فليبقه الله على ذلك، وليمهله حتى يأتيه أجله. حتى إذا جاءهم ما وعدوا به، إمَّا بقتلهم وأسرههم عند غلبة المسلمين عليهم، أو بقيام الساعة ودخولهم النار، فسيعلمون عند ذلك مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانَةً وَمَنْزِلَةً، وأقلُّ أنصارًا وأعوانًا، المؤمنون أم الكافرون؟

{وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا} (مریم : 76)

76- وَيَزِيدُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُهْتَدِينَ بهدي الله إيمانًا و يقينًا، والطاعات والأعمال الصالحة خيرٌ عند الله جزاءً، فتبقى فوائدها وتدوم عوائدها، وخيرٌ عاقبةً ومرجعًا على صاحبها، فتيجتها النعيم المقيم، ورضاء رب العالمين.

{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا} (مریم : 77)

77- أَرَأَيْتَ ذَلِكَ الْمُشْرِكِ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَأَدْلَيْنَا، ومنها إعادة بعث الأموات للحساب والجزاء، وقال لمسلمٍ مُسْتَهْزِئًا: سأعطى في الآخرة أموالاً وأولادًا؟ وكان لِحَبَابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَيْنٌ عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، فجاء إليه يطلب منه دَيْنُهُ، فقال له: لا أُعْطِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم)، فردَّ عليه: لا أَكْفُرُ حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ ثُمَّ تُبْعَثَ، فقال: دَعْنِي حَتَّى أَمُوتَ وَأُبْعَثَ، فَسَأُوتِي مَالًا وَوَلَدًا، فأقضىك. والخبر في الصحيحين.

{أَطَّلَعَ الْعَيْبُ أُمَّ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} (مریم : 78)

78- فَهَلْ نَظَرَ هَذَا الْكَافِرُ فِي الْعَيْبِ وَرَأَى أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ، أَمْ أَنَّهُ شَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَرْجُو بِذَلِكَ جَنَّتَهُ؟

{كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا} (مریم : 79)

79- كَلَّا، مَا أَبْعَدَ مَا قَالَ، وَمَا أَبْعَدَهُ عَنِ التَّوْحِيدِ، وَسَنَحْفَظُ عِنْدَنَا قَوْلَهُ هَذَا، لِنَجْزِيَهُ بِهِ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَنُطِيلُ مُدَّةَ عَذَابِهِ، أَوْ نَزِيدُهُ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ، بَدَلًا مَا ادَّعَى لِنَفْسِهِ مِنْ إِمْدَادِهِ بِالْمَالِ وَالْوَالِدِ.

{وَنَزِئْتُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا} (مریم : 80)

80- وَنَسْلُبُ مِنْهُ مَا قَالَهُ مِنْ مَالٍ وَوَالِدٍ وَتُهْلِكُهُ، وَيَأْتِينَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِنَفْسِهِ، لَا يَصْحَبُهُ أَحَدٌ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يُؤْتَى زِيَادَةً عَمَّا قَالَ.

{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} (مریم : 81)

81- وَاتَّخَذَ الْكَافِرُونَ الْأَصْنَامَ أَوْ غَيْرَهَا مِنَ الْمَعْبُودَاتِ آلِهَةً يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، لِيَعْتَزُّوا بِهَا وَيَسْتَنْصِرُوهَا وَيَسْتَشْفِعُوا بِهَا لَتَمْنَعَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ.

{كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا} (مریم : 82)

82- كَلَّا، مَا أَبْعَدَ عَمَلَهُمْ هَذَا عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، فَسَيَأْتِي الْيَوْمَ الَّذِي يَجْحَدُ فِيهِ الْآلِهَةُ عِبَادَةَ الْكَافِرِينَ إِيَّاهُمْ، بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ أَهْوَاءَهُمْ، فَيَتَبَرَّوْنَ مِنْهُمْ وَمَا اخْتَارُوهُ مِنَ الْكُفْرِ، وَعَمَلُوهُ مِنَ الْمَعَاصِي، هَوَى مِنْهُمْ، وَيَكُونُونَ أَعْدَاءً لَهُمْ وَسَبَبًا لُدُّهُمْ وَهَوَانِهِمْ، خِلَافَ مَا رَجَّوْا مِنْهُمْ مِنَ الْعِزِّ وَالْعَوْنِ.

{أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا} (مریم : 83)

83- أَلَمْ تَنْظُرْ كَيْفَ جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ قُرْنَاءَ لِلْكَافِرِينَ وَمَكَّنَّا لَهُم مِّنْ إِضْلَالِهِمْ، فَيُغْرَوْنَهُمْ وَيَخْتُونُهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي وَالْمُحَرَّمَاتِ؟

{فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا} (مریم : 84)

84- فلا تعجل على الكافرين بالهلاك والعذاب أيها النبي، لتكذيبهم إيتاك وإعراضهم عن رسالتي ربك، فإنما نؤخرهم ونمهلهم لأجل معدود، نحصيه لهم مدة ثم يهلكون.

{يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا} (مریم : 85)

85- ويوم القيامة نحشر المؤمنين المتقين⁽⁷⁷⁾، معززين مكرمين، إلى ربهم وفودًا راكبين، منتظرين إنعامه وتكريمه لهم.

{وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا} (مریم : 86)

86- ونسوق الكفرة المكذبين إلى جهنم مشاة عطاشًا، كما تُساق الإبل إلى الماء وهي عطشى.

{لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} (مریم : 87)

87- ليس هناك من يشفع لهم كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض بإذن ربهم، ومن اتخذ عند الله عهدًا يستأهل معه أن يشفع شفع، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والقيام بحقها.

{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا} (مریم : 88)

(77) الذين اتقوا في الدنيا فخافوا عقابه، فاجتنبوا لذلك معاصيه، وأدوا فرائضه. (الطبري).

88- وقال المشركون: لقد اتخذ الله ولدًا، فهو مثله إله، وصاروا يعبدون الولد الإله - بزعمهم - كما فعلت النصارى ذلك في عيسى، واليهود في عزير، والمشركون قالوا: الملائكة بنات الله! تعالى الله وتقدس عما افتروه علوًا عظيمًا.

{لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا} (مریم : 89)

89- لقد جئتم بافتراءكم وقولكم الباطل هذا أمرًا منكرًا شديد التكرار والإثم.

{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا} (مریم : 90)

90- تكاد السماوات أن تنشق عند سماع هذا القول المنكر من فجرة بني آدم، وأن تتصدع الأرض، وأن تسقط الجبال وتنهّد، غضبًا لله عز وجل، وهيبه وخوفًا منه،

{أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا} (مریم : 91)

91- من أجل أن نسبوا للرحمن ولدًا.

{وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا} (مریم : 92)

92- ولا يصلح ولا يليق بجلال الله وعظمته أن يتخذ ولدًا، ولا يوصف بذلك أبدًا، فالكف مملوك له، ولا كفاءة له.

{إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا} (مریم : 93)

93- وكل من في السماوات والأرض، من الإنس والجن والملائكة عبيد لله وتحت تصرفه، ويأتون إلى محل حكمه في أرض المحشر بأمره، في خضوع ودل واستكانة.

{لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا} (مریم : 94)

94- وقد علم الله عددهم، وعد أنفاسهم، وأحصى أيامهم، وأحاط بأعمالهم وأقوالهم، فلا يخفى عليه شيء، ولا يخرج من تحت سيطرته أحد.

{ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا } (مریم : 95)

95- وَجَمِيعُهُمْ يَأْتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَحِيدًا مُنْفَرِدًا، مُنْقَطِعًا مِنَ الْاِتِّبَاعِ وَالْاَنْصَارِ وَالْاَمْوَالِ، وَكُلُّهُمْ يَسْتَجِيرُونَ بِاللَّهِ وَيَحْتَاجُونَ إِلَى رَحْمَتِهِ، فَكَيْفَ يَتَّخِذُ مِنْهُمْ وَلَدًا، وَلَا يُجَانِسُهُ وَلَا يُنَاسِبُهُ مِنْهُمْ أَحَدًا؟! سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا } (مریم : 96)

96- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَصَدَقُوا فِي إِيْمَانِهِمْ، وَقَرَنُوهُ بِالْاَعْمَالِ الْمُوَافِقَةِ لِلشَّرِيعَةِ، الْمَرْضِيَّةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ، سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُمْ مَوَدَّةً، فَيُحِبُّهُمْ، وَيَغْرِسُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ حُبَّهُمْ. وَفِي حَدِيثِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيْلَ: إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ". قَالَ: "فِيْنَادِي فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ الْمِحْبَّةُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا }. وَإِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيْلَ: إِنِّي أَبْغَضْتُ فُلَانًا. فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ الْبِغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ".

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ فِي الْفَتْحِ: يُؤَخِّدُ مِنْهُ أَنَّ مِحْبَةَ قُلُوبِ النَّاسِ عِلَامَةٌ مِحْبَةِ اللَّهِ.

وَالْمِرَادُ بِمِحْبَتِهِ سُبْحَانَهُ، إِرَادَةُ الْخَيْرِ لِلْعَبْدِ، وَحُصُولُ الثَّوَابِ لَهُ.

وَبِمِحْبَةِ الْمَلَائِكَةِ: اسْتِغْفَارُهُمْ لَهُ، وَإِرَادَتُهُمْ خَيْرَ الدَّارَيْنِ لَهُ، وَمَيْلُ قُلُوبِهِمْ إِلَيْهِ، لِكَوْنِهِ مُطِيعًا لِلَّهِ، مُحِبًّا لَهُ.

وَمِحْبَةُ الْعِبَادِ: اعْتِقَادُهُمْ فِيهِ الْخَيْرِ، وَإِرَادَتُهُمْ دَفْعَ الشَّرِّ عَنْهُ مَا أَمَكْنَ. قُلْتُ: وَالِدُعَاءُ لَهُ فِي ظَهْرِ الْعَيْبِ.

{ فَإِنَّمَا يَسْتَرْوَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا } (مریم : 97)

97- وَإِنَّمَا سَهَّلْنَا الْقُرْآنَ بِلُغَتِكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَهِيَ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْفَصِيحَةُ الْبَيِّنَةُ، لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، الْمُسْتَجِيبِينَ لِنِدَائِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتُحَوِّفَ بِهِ قَوْمًا مُعَانِدِينَ مُخَاصِمِينَ، مَعُوِّجِينَ عَنِ الْحَقِّ، مَائِلِينَ بِهِ إِلَى الْبَاطِلِ.

{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِيسُ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا} (مریم: 98)
98- وقد أهلكنا قبلهم أُمَّةً كَثِيرِينَ، مِمَّنْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، فَلَا تَرَى مِنْهُمْ أَحَدًا،
وَلَا تَسْمَعُ لِأَحَدِهِمْ صَوْتًا.

سورة طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ طه } (طه : 1)

1- الحروف المَقَطَّعة لم يَرِدْ في مَعناها حديثٌ صَحِيح، وقد ذهبَ كثيرٌ من أعلام التفسيرِ إلى أنَّ مَعناها هُنا: يا رَجُل.

{ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى } (طه : 2)

2- ما أنزلنا هذا القرآنَ عليكَ لِتَتَعَبَ وَتَتَكَبَّدَ الشَّدائدَ في مُحاورَةِ المشركينَ وَتَتَحَسَّرَ على كُفْرِهِم.

{ إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى } (طه : 3)

3- ولكنْ لَتُبَلِّغْ آياتِهِ، وَتُذَكِّرْ بها مَنْ يَخْشَى اللهَ وَيَتَأَثَّرُ لِسَماعِها وَيَنْتَفِعُ بها.

{ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى } (طه : 4)

4- إِنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنَ الخالِقِ العَظيمِ، الذي خَلَقَ الأرضَ وما فيها، وَالسَّمَاوَاتِ السَّبْعَ العَظيمةَ، وهما أَكْبَرُ إعجازًا مِنْ خَلْقِ الإنسانِ { لَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [سورة غافر: 57].

{ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } (طه : 5)

5- اللهُ جَلَّ جَلالُهُ ذو الرَّحمةِ العَظيمةِ الدَّائمةِ، اسْتَوَى على العَرْشِ، اسْتِواءً يَلِيقُ بِجَلالِهِ.

{ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى } (طه : 6)

6- وَجَمِيعُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَوْجُودَاتِ، وَمَا تَحْتَ الْأَرْضِ، مُلْكُهُ، وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ، فَهُوَ خَالِقُهَا وَمَالِكُهَا، يَتَصَرَّفُ فِيهَا بِالْإِيجَادِ وَالتَّوْبِيخِ وَالْإِعْدَامِ كَمَا يَشَاءُ، لَا يُشَارِكُهُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ.

{ وَإِنْ يَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى } (طه : 7)

7- وَإِنْ تَرَفَّعَ صَوْتُكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ فَإِنَّهُ يَعْلَمُهُ، وَيَعْلَمُ مَا أَسْرَرْتَ إِلَى غَيْرِكَ وَلَمْ تَرَفَّعْ بِهِ صَوْتُكَ، بَلْ أَخْفَى مِنْ ذَلِكَ، كَالَّذِي تُسِرُّهُ فِي نَفْسِكَ، أَوْ خَاطِرٍ يَمُرُّ بِبَالِكَ.

{ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } (طه : 8)

8- هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، فَلَا مَعْبُودَ بَحَقِّ سِوَاهُ، لَهُ أَحْسَنُ الْأَسْمَاءِ وَأَجْلُّهَا. وَفِي الصَّحِيحِينَ وَغَيْرِهِمَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ". وَاللَّهُ تَعَالَى يُدْعَى بِأَسْمَائِهِ كُلِّهَا {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} [سورة الأعراف: 180].

{ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى } (طه : 9)

9- وَهَلْ أَتَاكَ خَبْرُ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى أَيُّهَا الرَّسُولُ؟

{ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى } (طه : 10)

10- إِذْ ظَهَرَ لَهُ نَارٌ - فِي طَرِيقِ رُجُوعِهِ مِنْ مَدِينِ إِلَى مِصْرَ - مِنْ جَانِبِ الطُّورِ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ: أَقِيمُوا مَكَانَكُمْ، إِنِّي أَبْصَرْتُ نَارًا، لَعَلِّي آجِيئُكُمْ مِنْهَا بِشُعْلَةٍ لَتَتَدَفَّقُوا، أَوْ أَجِدُ هُنَاكَ مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى الطَّرِيقِ. وَكَانُوا قَدْ ضَلُّوا طَرِيقَهُمْ.

{ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى } (طه : 11)

11- فَلَمَّا أَتَى النَّارَ نُودِيَ: يَا مُوسَى،

{إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} (طه : 12)

12-إِنِّي أَنَا رَبُّكَ هَذَا الَّذِي يُكَلِّمُكَ، فَانزِعْ نَعْلَيْكَ، إِنَّكَ بِوَادِي طُوًى الْمُقَدَّسِ فِي طُورِ سَيْنَاءَ.

{وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى} (طه : 13)

13-وَأَنَا اصْطَفَيْتُكَ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ لِلنَّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ، فَاسْتَمِعْ لِمَا أَقُولُهُ لَكَ.

{إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} (طه : 14)

14- إِنِّي أَنَا اللَّهُ، ذُو الْأُلُوهِيَّةِ وَالْمَعْبُودِيَّةِ عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الْمَسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدِي، فَاعْبُدْنِي وَوَحِّدْنِي وَلَا تَعْبُدْ غَيْرِي، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِتَذَكِّرَنِي فِيهَا.

{إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ} (طه : 15)

15- إِنَّ الْقِيَامَةَ كَائِنَةٌ وَآتِيَةٌ لَا مَحَالَةَ، أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي، فَلَا يُتَصَوَّرُ أَنْ أُطْلِعَ عَلَيْهَا غَيْرِي. (وَمِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ إِذَا بِالْغَوَا فِي كَيْتْمَانِ الشَّيْءِ أَنْ يَقُولُوا: كَتَمْتُهُ حَتَّىٰ مِنْ نَفْسِي، أَي: لَمْ أُطْلِعْ عَلَيْهِ غَيْرِي). وَلِيَكُونَ النَّاسُ عَلَىٰ أَهْبَةٍ وَحَدَرٍ، وَلَا جَزِيَّ كُلِّ عَامِلٍ بِمَا عَمِلَ.

{فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَزْدَىٰ} (طه : 16)

16- فَلَا يَصْرِفُكَ عَنْ ذِكْرِهَا وَمُرَاقِبَتِهَا مَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ وَاتَّبَعَ أَهْوَاهُ وَشَهَوَاتِهِ الدُّنْيَوِيَّةَ، فَتَحَسَرَ بِذَلِكَ وَتَهْلِكُ.

{وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ} (طه : 17)

17- وَمَا تَلَكَ الَّتِي بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ؟

قِيلَ لَهُ ذَلِكَ لِإِيقَاضِهِ وَتَنْبِيهِهِ إِلَىٰ مَا سَيَكُونُ مِنْ شَأْنِهَا.

{ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى } (طه : 18)

18- قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: هِيَ عَصَايَ، أَعْتَمِدُ عَلَيْهَا عِنْدَمَا أَمْشِي، وَأَضْرِبُ بِهَا أَوْرَاقَ الشَّجَرِ لَتَسْقُطَ فَتَأْكُلُهَا غَنَمِي، وَلِيَ فِيهَا حَاجَاتٌ وَمَنَافِعُ أُخْرَى.

{ قَالَ أَلْقَهَا يَا مُوسَى } (طه : 19)

19- قَالَ لَهُ رَبُّهُ: أَلْقِ تِلْكَ الْعَصَا مِنْ يَمِينِكَ يَا مُوسَى.

{ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى } (طه : 20)

20- فَأَلْقَاهَا عَلَى الْأَرْضِ، فَإِذَا بِهَا تَحَوَّلَتْ إِلَى حَيَّةٍ عَظِيمَةٍ تَمْشِي.

{ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى } (طه : 21)

21- قَالَ لَهُ رَبُّهُ: خُذِ الْحَيَّةَ بِيَمِينِكَ وَلَا تَخَفْ مِنْهَا، سَنُعِيدُهَا بَعْدَ أَخْذِكَ لَهَا إِلَى حَالَتِهَا الْأُولَى.

{ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى } (طه : 22)

22- وَضَعْ يَدَكَ تَحْتَ إِبْطِكَ وَأَخْرِجْهَا تَرَاهَا بَيْضَاءَ مُشْرِقَةً تَتَأَلَّأُ، مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ وَلَا آفَةٍ، وَهَذِهِ مُعْجَزَةٌ أُخْرَى عَلَى صِدْقِ نَبْوَتِكَ.

{ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى } (طه : 23)

23- لِنُرِيكَ بِذَلِكَ بَعْضَ آيَاتِنَا الْكُبْرَى.

{ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى } (طه : 24)

24- اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ بِهَذِهِ الْمِعْجَزَاتِ، فَإِنَّهُ قَدْ ظَلَمَ وَبَغَى وَتَجَاوَزَ الْحَدَّ، حَتَّى ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ، وَادْعُهُ إِلَى عِبَادَتِي.

{ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي } (طه : 25)

25- قَالَ مُوسَى دَاعِيًا رَبَّهُ: اللَّهُمَّ وَسِّعْ صَدْرِي، وَأَهْمِنِي الصَّبْرَ، وَجَمِّلْنِي بِالْحِلْمِ، وَثَبِّتْنِي بِالْحُسْنَى.

{ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي } (طه : 26)

26- وَسَهِّلْ عَلَيَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ، لِأَتَحَمَّلَ مَشَاقَّ الدَّعْوَةِ، وَأُوَدِّعَهَا كَمَا تُحِبُّ.

{ وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي } (طه : 27)

27- وَفُكِّ حُبْسَةً مِّن لِّسَانِي. وَكَانَتْ فِي لِسَانِهِ عُقْدَةً، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

{ يَفْقَهُوا قَوْلِي } (طه : 28)

28- لِيَفْهَمُوا بِذَلِكَ كَلَامِي.

{ وَاجْعَلْ لِّي وِزِيرًا مِّنْ أَهْلِي } (طه : 29)

29- وَاجْعَلْ لِي مُسَاعِدًا مِّنْ أَهْلِي، يَتَحَمَّلُ مَعِيَ أَعْبَاءَ الدَّعْوَةِ.

{ هَازُونَ أَخِي } (طه : 30)

30- وَهُوَ هَازُونٌ أَخِي. وَكَانَ أَكْبَرَ مِنْ مُوسَى، وَأَفْصَحَ مِنْهُ لِسَانًا.

{ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي } (طه : 31)

31- قَوِّ بِهِ ظَهْرِي، وَأَحْكِمْ بِهِ عَزِيمَتِي.

{ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي } (طه : 32)

32- وَأَشْرِكُهُ فِي الرِّسَالَةِ وَالتَّبْلِيغِ.

{ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا } (طه : 33)

33- كي نوحِّدَكَ ونُقَدِّسَكَ كثيرًا.

{ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا } (طه : 34)

34- ونذكرك كثيرًا، بدعوتنا الناس، وأدائنا الرسالة، وبطاعتك وعبادتك.

{ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا } (طه : 35)

35- إِنَّكَ كُنْتَ عَالِمًا بِأَحْوَالِنَا وَضَعِفِنَا، وَبِعِظَمِ مَا دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ، وَإِنَّهُ لَا تَوْفِيقَ إِلَّا بِكَ، وَلَا تَأْيِيدَ إِلَّا مِنْكَ.

{ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى } (طه : 36)

36- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُوسَى: قَدْ أُعْطِيتَ جَمِيعَ مَا سَأَلْتَهُ يَا مُوسَى.

{ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى } (طه : 37)

37- وَقَدْ أَنْعَمْنَا عَلَيْكَ بِنِعْمٍ سَابِقَةٍ غَيْرِ هَذِهِ الَّتِي أُحِبَّتْ إِلَيْهَا.

{ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى } (طه : 38)

38- إِذْ أَلْهَمْنَا أُمَّكَ مَا أَلْهَمْنَاهَا بِهِ وَأَنْتَ رَضِيعٌ،

{ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْفِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوُّ لِي وَعَدُوُّ لَهُ

وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي } (طه : 39)

39- أَنْ ضَعِي وَلَدِكَ فِي صُنْدُوقٍ، ثُمَّ اطَّرَحِيهِ فِي نَهْرِ النَّيْلِ، وَأَمَرْنَا النَّهْرَ بِالْقَائِهِ إِلَى الشَّاطِئِ،

لِيَأْخُذَهُ - مِنْ بَعْدُ - عَدُوِّي وَعَدُوُّهُ فِرْعَوْنُ، حَيْثُ وَقَفَ بِهِ النَّهْرُ عِنْدَ قَصْرِهِ. وَجَعَلْتُ النَّاسَ

يُحِبُّونَكَ، حَتَّى عَدُوَّكَ. وَلِتَتَرَبَّى بِمَرَايَ وَحِفْظِي وَرِعَايَتِي، فَلَا يَضُرُّكَ أَحَدٌ.

وكان فرعون يقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل، فأراد الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام أن يتربى في بيته، ويحبه، ولتكون عاقبته كما يأتي!

{ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ } (طه : 40)

40- إذ تمشي أختك لتتعرف خبرك، فتقول لفرعون وأهله: هل أدلكم على امرأة ترضعه وتربيته بالأجرة؟ وكان الله تعالى قد حرم عليه المراضع، فلم يكن يقبل ثدي امرأة. فرجعناك إلى أمك لتقر عينها بلقائك، ولا تحزن على فراقك. وقتلت ذلك القبطي الكافر - وكان ينوي دفعه لا قتله - وأخذك الهمة والغم، فحلصناك منه. وكان فرعون عزم على قتل موسى، ففر هاربًا إلى مدين. وابتليناك ابتلاءً، فهربت من الخوف، وامتنحت بالعبودية، والخدمة ورعي الغنم، فبقيت في مدين سنوات، حتى انقضى الأجل، فجئت إلى المكان الذي ناديناك فيه، موافقًا لقدّر الله.

{ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي } (طه : 41)

41- وقد اصطفتك رسولاً لنفسي إلى خلقي، وجعلتك القائم بحجتي.

{ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي } (طه : 42)

42- اذهب أنت وأخوك هارون بآياتي ومعجزاتي، ولا تضعفا في ذكري والدعوة إلى عبادتي.

{ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ } (طه : 43)

43- اذهبا إلى فرعون فقد تجبر وعصى، حتى قال أنا ربكم الأعلى!

{ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ } (طه : 44)

44- وارفقاً به عندما تدعوانه، خاطباًه باللطف واللين ولا تُعنفاه، ليكون ذلك أوقع في نفسه، وأكثر قبولاً لديه، ولعله بذلك يتأمل ويتدبر، أو يخاف من الله ويحذر عقابه.

{ قَالَ رَبَّنَا إِنَّنا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَينا أَوْ أَنْ يَطْغَى } (طه : 45)

45- قال موسى وهارون عليهما السلام: ربنا إننا نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة قبل أن نرهبه المعجزات، أو أن يزداد بذلك استكباراً وعناداً، ويتجاوز الحد في الإساءة إلينا.

{ قَالَ لَا تَخَافا إِنِّي مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرى } (طه : 46)

46- قال الله لهما: اطمئنا ولا تخافا منه، إنني معكما بحفظي وتأبيدي، أسمع كلامكما وكلامه، وأرى ما يراد بكما، والأمر بيدي، فلا تهتما.

{ فَأْتِياهُ فَقُولا إِننا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعنا بَني إِسْرائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئناكَ بِآيةٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامَ عَلى مَن اتَّبَعَ الْهُدى } (طه : 47)

47- فاذهبا إليه وقولا له: إننا رسولان من قبل ربك إليك، فأطلق بني إسرائيل مما أوجبتهم عليهم، ولا تبيتهم تحت العذاب. وكانوا يكلفوهم بالأعمال الشاقة، ويقتلون أبناءهم، ويستخديمون نساءهم.

وقد أتيناك بمعجزة من ربك تدل على صحة رسالتنا إليك، ولك السلامة من العذاب إذا اتبعت الحق، وصدقت بالمعجزة.

{ إِننا قَدْ أَوْحى إِلَينا أَنَّ الْعَذابَ عَلى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى } (طه : 48)

48- وقد أوحى الله إلينا أن عذابه يُصيب من كذب رسله وأعرض عن آياته.

{ قَالَ فَمَن رَّبُّكُما يا مُوسى } (طه : 49)

49- قال لهما فرعون منكراً أن يكون هناك رب غيره: فمن ربكما الذي أرسلكما إلي يا موسى، فإني لا أعرفه؟

{ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى } (طه : 50)

50- قَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ مَا يَنْبَغِي لَهُ وَمَا يُصْلِحُهُ وَيُؤَافِقُهُ، عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ شِكْلًا وَمَضْمُونًا، وَهَيَّأَهُ لَوْظِيفَتِهِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا فِي الْحَيَاةِ.

{ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى } (طه : 51)

51- قَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ: فَمَا حَالُ الْقُرُونِ السَّابِقَةِ وَالْأُمَّمِ الْكَثِيرَةِ الْمَاضِيَةِ، وَمَاذَا يَكُونُ شَأْنُهَا وَقَدْ هَلَكْتَ، وَمَاذَا لَمْ تُحَاسَبْ؟

{ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى } (طه : 52)

52- قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَذَا مِنَ الْغُيُوبِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، وَإِنَّ عَمَلَهُمْ مَضْبُوطٌ عَلَيْهِمْ وَمُسَجَّلٌ عِنْدَ اللَّهِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، إِنَّ رَبِّي لَا يُخْطِئُ وَلَا يَفُوتُهُ أَمْرٌ، وَلَا يَنْسَى شَيْئًا مِمَّا جَرَى وَيَجْرِي، صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا، وَسَوْفَ يُحَاسِبُهُمْ وَيَجْزِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ كُلَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ.

{ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى } (طه : 53)

53- اللَّهُ الَّذِي بَسَطَ لَكُمْ الْأَرْضَ وَمَهَّدَهَا لِتَسْتَقَرُّوا عَلَيْهَا، وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا طُرُقًا وَمَسَالِكًا بَيْنَ الْأَوْدِيَةِ وَالْجِبَالِ لِتَنْقَلُوا مِنْ خِلَالِهَا بَيْنَ الْأَقْطَارِ وَالْبُلْدَانِ، وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّحَابِ مَطَرًا، فَأَخْرَجَ بِالْمَاءِ أَصْنَافًا وَأَلْوَانًا مِنْ نَبَاتَاتٍ وَثِمَارٍ كَثِيرَةٍ، مُخْتَلِفَةٍ فِي الطَّعْمِ وَاللَّوْنِ، وَالرَّائِحَةِ وَالشَّكْلِ.

{ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى } (طه : 54)

54- فَكُلُوا مِنْهَا مَا يَصْلُحُ لِأَبْدَانِكُمْ، وَارْعَوْا فِيهَا أَنْعَامَكُمْ⁽⁷⁸⁾ لِتَسْرَحَ وَتُنْتِجَ مَا يَنْفَعُكُمْ، وَفِي ذَلِكَ آيَاتٌ وَأَدِلَّةٌ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ، لِأَصْحَابِ الْعُقُولِ الْمُتَدَبِّرَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ.

(78) هِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ وَالْمَغَزُ.

{ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى } (طه : 55)

55- مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ أَصْلُكُمْ وَمَبْدَوُكُمْ، وَفِيهَا تُدْفَنُونَ إِذَا مِتُّمْ، وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ أَحْيَاءً مَرَّةً أُخْرَى لِلْبَعْثِ وَالْحِسَابِ.

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى } (طه : 56)

56- وَلَقَدْ أَبْصَرْنَا فِرْعَوْنَ وَعَرَفْنَا آيَاتِنَا وَمُعْجَزَاتِنَا بِتَفَاصِيلِهَا، وَلَكِنَّهُ كَذَّبَ بِهَا اسْتِكْبَارًا وَعِنَادًا، وَأَبَى أَنْ يُؤْمِنَ.

{ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى } (طه : 57)

57- وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى بَعْدَ أَنْ رَأَى آيَةَ الْعَصَا، مُتَّهِمًا إِيَّاهُ بِالسَّحْرِ: أَجِئْتَنَا مِنْ مَدْيَنَ بَعْدَ طَوْلِ غِيَابِكَ لِتَسْحَرَنَا وَتَجْمَعَ النَّاسَ عَلَيْنَا وَتَطْرُدَنَا مِنْ أَرْضِنَا وَيَبْقَى الْأَمْرُ لَكَ وَلِبَنِي إِسْرَائِيلَ؟

{ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى }

(طه : 58)

58- فَسَوْفَ نَأْتِيكَ بِسِحْرٍ مِنْ مِثْلِ سِحْرِكَ، فَحَدِّدْ مَوْعِدًا يَكُونُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، لَا نَتَخَلَّفُ عَنْهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، فِي مَكَانٍ مُعَيَّنٍ، يَكُونُ مُسْتَوِيًّا، لَا يَحْجُبُ أَحَدًا عَنْ مُشَاهَدَةِ مَا يَجْرِي.

{ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ ضُحًى } (طه : 59)

59- قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِفِرْعَوْنَ وَجَمَاعَتِهِ: الْمَوْعِدُ الَّذِي بَيْنَنَا هُوَ يَوْمُ الزَّيْنَةِ - وَكَانَ يَوْمَ عِيدِهِمْ - وَأَنْ يَجْتَمِعَ النَّاسُ فِي وَقْتِ الضُّحَى.

{فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى} (طه : 60)

60- ومضى فرعونُ يُدبِّرُ الأمرَ ويُحِطُّ لِيُغْلِبَ موسى عليه السَّلامَ، فجمعَ السَّحرةَ الكبارَ مِنْ أنحاءِ مصرَ، وكانتْ سُوفُهُمْ راجحةً في ذلكَ الوقتِ، ثمَّ أتى إلى الميدانِ في وقتِهِ.

{قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى} (طه : 61)

61- وقال موسى للسَّحرةِ يَعْظُمُهُمْ وَيُخَوِّفُهُمْ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ عَاقِبَةَ الكَذِبِ والحيلةَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ: وَيَلْكُمْ، لا تَكْذِبُوا على الله، ولا تُخَيِّلُوا للنَّاسِ أَشْيَاءَ وَهْمِيَّةً وَتَدَّعُوا أَنَّهُا حَقِيقَةٌ وَهِيَ لَيْسَتْ كَذَلِكَ، فإذا فعلتُمْ ذلكَ عَذَّبَكُمُ اللهُ عَذَابًا مُهِلِكًا، وقد خَسِرَ وخابَ مَنْ كَذَبَ على الله، فانظروا ما تُقَدِّمُونَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لا خَلاصَ لَكُمْ مِنْ عَذَابِهِ إذا بارزْتُمُوهُ بالكذبِ عَلَيْهِ.

{فَتَنَارَغُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى} (طه : 62)

62- فاختلَفَ السَّحرةُ وتشاجروا فيما بينَهُمْ بعدما سَمِعُوا كلامَ موسى عَلَيْهِ السَّلامَ، وتشاوروا في كَيْفِيَّةِ مُغالَبَتِهِ، وتجادَبوا الحديثَ سِرًّا فيما بينَهُمْ.

{قَالُوا إِنْ هَذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطُرُيقَتِكُمُ الْمُثَلَى} (طه : 63)

63- وانتهوا إلى قولِهِم: هذانِ الرَّجُلانِ سَاحِرانِ ماهرانِ في صِناعَةِ السَّحرِ، يُريدانِ أَنْ يَسْتَوْلِيا على أرضِ مصرَ بِسِحْرِهِمَا، فَإِنَّهُمَا إذا غلباكُم تَبِعْتُهُما العامَّةُ وقاتلوا مَعَهُما فِرْعَوْنَ، وَيُريدانِ بذلكَ أَنْ يَقْضِيا على عَقِيدَتِكُمْ ومَذْهَبِكُمُ القَوْمِ الذي يَقودُهُ أشرافُكُمْ،

{فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى} (طه : 64)

64- فاجتمعوا عَلَيْهِما جميعًا بقوَّتِكُمْ وعزمِكُمْ، وتقدَّموا صَفًّا واحداً، وألقوا ما بأيديكم معاً، حتَّى تُرهبوهُما وتُرهبوا النَّاسَ جميعًا، وقد فازَ اليومَ مَنْ غلبَ الآخرَ.

{قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى} (طه : 65)

65- قَالَ السَّحْرَةَ: يَا مُوسَى، إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ عَصَاكَ أَوْلَا، وَإِمَّا أَنْ تُلْقِيَ مَا بَأْيَدِينَا قَبْلَكَ.

{قَالَ بَنُ أَلْفُو فَإِذَا جِبَاهُهُمْ وَعِصِيَّتُهُمْ يُحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمَا تَسْعَى} (طه : 66)

66- قَالَ لَهُمْ مُوسَى مُتَحَدِّثًا: بَنُ أَلْفُوا أَنْتُمْ أَوْلَا.

فَأَلْقَوْهَا، فَإِذَا جِبَاهُهُمْ وَعِصِيَّتُهُمْ تَمُوجُ فِي السَّاحَةِ، وَخِيَلْ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِسِحْرِهِمُ الشَّدِيدِ - أَنَّهُمَا تَمَشِي حَقِيقَةً، لَوْلَا عِلْمُهُ بِأَنَّهُ لَا حَقِيقَةَ لَهَا.

{فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى} (طه : 67)

67- وَلِعَظَمَ هَذَا السَّحْرِ وَمَا جَاءُوا بِهِ، أَسَرَ مُوسَى فِي نَفْسِهِ خَوْفًا، لَطَبِيعَةِ بَشَرِيَّةٍ، أَوْ خَشْيَةً أَنْ يَفْتَتِنَ النَّاسَ بِسِحْرِهِمْ وَيَغْتَرُّوا بِهِمْ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَ عَصَاهُ، فَيَلْتَبَسَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرَ، وَيَشْكُوا فِي أَمْرِهِ.

{قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى} (طه : 68)

68- فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى: لَا تَخَفْ، وَادْفَعْ عَنْ نَفْسِكَ هَذَا الْخَاطِرَ، فَأَنْتَ الْغَالِبُ عَلَيْهِمْ، وَلَكَ الظَّفَرُ دَوْنَهُمْ.

{وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْفَافًا مِمَّا صَنَعُوا وَإِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ

أَتَى} (طه : 69)

69- وَأَلْقَى عَصَاكَ الَّتِي فِي يَمِينِكَ عَلَى الْأَرْضِ، فَإِنَّهَا سَتَنْقَلِبُ إِلَى حَيَّةٍ عَظِيمَةٍ هَائِلَةٍ، وَسَتَبْتَلِعُ كُلَّ مَا صَنَعُوا مِنْ سِحْرٍ، وَإِنَّ مَا قَامُوا بِهِ هُوَ حِيلَةٌ سَاحِرٍ، فَهِيَ تَمُوءُ وَتَخِيلُ، وَلَيْسَ حَقِيقَةً، وَمَا كَانَ كَذِبًا وَتَلْفِيفًا لَا يُثْمِرُ وَلَا يَنْجَحُ، وَلَا فَوْزَ لِلْسَّاحِرِ وَلَا نَجَاحَ لَهُ، كَيْفَمَا احْتَالَ، وَأَيَّمَا ذَهَبَ، فَإِنَّهُ سَيَنْكَشِفُ أَمْرُهُ، وَيَبِينُ بَاطِلُهُ.

{ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى } (طه : 70)

70- وألقى موسى عصاه، وحدثت المعجزة الكبيرة، فقد ابتلعت عصاه كلاً ما صنعوا من سحر، وعلم السحرة أن هذا شيء آخر غير فنهم الذي يعرفونه جيّداً، ولم يملكوا سوى الاعتراف بهذه الآية العظيمة، فخرّوا سُجَّدًا لله، مؤمنين به تائبين إليه، وقالوا في خشوع ورهبةٍ سكنت قلوبهم: آمنا برب هارون وموسى، وكفرنا برؤيية فرعون.

{ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَأَصْلَبَنَّاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى } (طه : 71)

71- قال فرعون للسحرة وقد غلب في كيدِهِ، وانقلب أنصارُهُ إلى ضِدِّهِ: أصدقتُم موسى قبل أن أسمح لكم بذلك؟ إنَّه رئيسُكم ومعلِّمُكم الذي علَّمكم السحر، وقد اتَّفقتُم معه على ما جرى لتُظهروه بمظهرِ المنتصر، وسوف أجازيكم على ذلك بأن أقطع أيديكم اليمنى مع أرجلكم اليسرى، وأصلبَنَّكم على جُدُوعِ النَّخْلِ لتموتوا جوعاً وعطشاً⁽⁷⁹⁾، وستعلمون بعد ذلك من هو أقوى عذاباً وأدومهُ: أنا أم رب موسى، الذي تدعون أنه سيُعذب الضالين بعذابٍ شديد؟

{ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } (طه : 72)

72- قال السحرة وقد آمنوا حقَّ الإيمان: لن نختارك على ما جاءنا به موسى من الدلائل والمعجزات والله الذي خلقنا، فأين هي عصيتنا وحبالنا التي ملأت الساحة الكبيرة كلها؟

(79) الصُّلب: الذي هو تعليقُ الإنسانِ للقتل، قيل: هو شدُّ صُلبه على خشب... (مفردات الراغب).

فاحكم بما تُريد، واصنع ما أنت صانع، فإنَّ أمرَكَ وسُلطانَكَ مُقتَصِرٌ على هذه الحياة، وهي مؤقتةٌ زائلةٌ، وقد رغبنا فيما هو باق.

{ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } (طه : 73)

73- إِنَّا صَدَقْنَا بما جاءَ به موسى، وآمنا بالله وحده، ليغفرَ لنا ما اقتَرَفنا مِنَ الآثامِ والمعاصي عندما كنَّا كُفَّارًا، وخاصَّةً عملَ السِّحر، الذي أكرهتْنا على تعلُّمه ومُعَارَضَةِ موسى به - ودُكِرَ أنَّ مُعْظَمَهُم كانوا مِنْ بني إِسْرَائِيلَ - والله خَيْرٌ مِنْكَ ثَوَابًا إِنْ أُطِيعَ، وأدومُ مِنْكَ عَذَابًا إِنْ عُصِيَ.

{ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى } (طه : 74)

74- وَإِنَّ مَنْ يَأْتِي رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَدْ مَاتَ مُشْرِكًا، فَإِنَّ عِقَابَهُ أَنْ يَصَلِيَ جَهَنَّمَ، لَا يَمُوتُ فِيهَا فَيَسْتَرِيحُ، وَلَا يَحْيَا حَيَاةً يَنْتَفِعُ بِهَا.

{ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى } (طه : 75)

75- وَمَنْ يَلْقَاهُ مُؤْمِنًا وَقَدْ صَدَّقَ إِيمَانَهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمُوَافِقِ لِدِينِ اللَّهِ، فَأُولَئِكَ لَهُمُ الْمَنَازِلُ الْعَالِيَةُ الرَّفِيعَةُ فِي جَنَّاتِ اللَّهِ.

{ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى } (طه : 76)

76- وَهِيَ جَنَّاتٌ مُعَدَّةٌ لِلْإِقَامَةِ الدَّائِمَةِ فِيهَا، وَمِنْ نَعِيمِهَا وَجَمَالِهَا أَنَّ الْأَنْهَارَ تَجْرِي بَيْنَ قُصُورِهَا وَبَسَاتِينِهَا، وَيَمْكُثُ فِيهَا أَصْحَابُهَا عَلَى الدَّوَامِ، فَلَا رَحِيلَ عَنْهَا وَلَا اسْتِبْدَالَ بِهَا، وَهِيَ ثَوَابٌ مَنْ طَهَّرَ نَفْسَهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمِعَاصِي، بِطَاعَةِ اللَّهِ وَالْأُوبَةِ إِلَيْهِ.

{ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ

دَرْكًا وَلَا تَحْشَى } (طه : 77)

77- ولما رَفَضَ فِرْعَوْنُ أَنْ يُرْسَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ مُوسَى إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ يَسْرِىَ بِهِمْ فِي اللَّيْلِ مِنْ مِصْرَ لِلتَّخْلُصِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَاسْتِعْبَادِهِ لَهُمْ. فَاجْعَلْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ بِعَصَاكَ يَكُنْ يَابِسًا بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا تَخَافُ أَنْ يَصِلَكَ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ مِنْ ورائِكَ، وَلَا تَخْشَى أَنْ يُغْرِقَكَ وَقَوْمَكَ الْبَحْرُ مِنْ أَمَامِكَ.

{ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَعَشِيَهُمْ مِنْ الْيَمِّ مَا عَشِيَهُمْ } (طه : 78)

78- فَلَحِقَهُمْ فِرْعَوْنُ وَمَعَهُ جُنُودُهُ، فَعَلَاهُمْ وَغَمَرَهُمْ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ مَا غَمَرَهُمْ، فَأُغْرِقُوا جَمِيعًا، وَنَجَّى اللَّهُ مُوسَى وَقَوْمَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

{ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى } (طه : 79)

79- وَقَدْ أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ بِهَذَا وَأَغْوَاهُمْ، بِكُفْرِهِ وَاسْتِكْبَارِهِ عَنِ قَبُولِ الْحَقِّ، وَبِقَوْلِهِ لَهُمْ: { أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى } [سورة النازعات: 24]. ولم يُرْشِدْهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ عِنْدَمَا أَمَرَهُمْ بِتَكْذِيبِ رَسُولِ اللَّهِ مُوسَى.

{ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجَينَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى } (طه : 80)

80- فَادْكُرُوا ذَلِكَ وَاعْتَبِرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَدْ خَلَّصْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ فِرْعَوْنَ، الَّذِي كَانَ يَسْتَعْبِدُكُمْ، وَيَقْتُلُ أَبْنَاءَكُمْ. وَوَاعَدْنَاكُمْ - بِوَأَسْطَةِ نَبِيِّكُمْ - جَانِبَ طُورِ سَيْنَاءَ مِمَّا يَلِي يَمِينَهُ⁽⁸⁰⁾، لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ وَإِنزَالِ التَّوْرَةِ عَلَيْهِ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ الَّذِي تَجِدُونَهُ عَلَى الْأَشْجَارِ حُلُومًا كَالْعَسَلِ، وَأَنْتُمْ فِي التَّيِّهِ، وَطَائِرُ السَّمَاءِ الْقَرِيبِ الْمِينَالِ.

{ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى } (طه : 81)

(80) الطُّورُ: الجبلُ الواقعُ بينَ بلادِ الشَّامِ ومِصرَ، ويُقالُ له: طُورُ سَيْنَاءَ. (التحرير والتنوير، عند تفسير الآية 52 من سورة مريم).

81- فَكُلُوا مِنْ هَذَا الطَّعَامِ الطَّيِّبِ الِهْنِيِّ الَّذِي رَزَقْنَاكُمْ، وَلَا تَظَلِّمُوا أَنْفُسَكُمْ بِكُفْرَانِ هَذِهِ النِّعْمَةِ وَغَيْرِهَا، فَتُسْرِفُوا فِيهَا، أَوْ تَمْنَعُوا حَقَّهَا، أَوْ تَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى الْمَعَاصِي، فَتَجْلُبُوا بِذَلِكَ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَسَخَطَهُ، وَمَنْ يَفْعَ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَلَكَ وَسَقَطَ فِي النَّارِ.

{ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى } (طه : 82)

82- وَإِنِّي كَثِيرٌ الْغُفْرَانِ لِدُنُوبِ مَنْ رَجَعَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ شِرْكِ وَمَعْصِيَةٍ، وَآمَنَ بِمَا يَجِبُ الْإِيمَانَ بِهِ، وَصَدَّقْتُهُ جَوَارِحُهُ بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَالْأَعْمَالِ الْمُوَافِقَةِ لِلشَّرْعِ، وَلَزِمَ الْإِسْتِقَامَةَ حَتَّى يَمُوتَ.

{ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى } (طه : 83)

83- وما الذي جعلك تتقدم على قومك وتسارع إلى حضور ميعاد المناجاة قبلهم يا موسى؟

{ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى } (طه : 84)

84- قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّهُمْ قَادِمُونَ وَقَرِيبُونَ مِنَ الطُّورِ، وَقَدْ سَارَعْتُ إِلَى الْمِيْعَادِ لِلْمُبَادَرَةِ إِلَى رِضَاكَ يَا رَبِّ، وَشَوْقًا إِلَى مُنَاجَاتِكَ.

{ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ } (طه : 85)

85- قَالَ لَهُ رَبُّهُ، وَقَدْ أُعْطِيَ التَّوْرَةَ: لَقَدْ ابْتَلَيْنَا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِ مُغَادِرَتِكَ إِيَّاهُمْ وَاسْتِحْلَافِكَ هَارُونَ عَلَيْهِمْ، فَقَدْ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ⁽⁸¹⁾، وَدَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ، فَعَكَفُوا عَلَيْهِ يَعْبُدُونَهُ!

(81) يذكر أهل التفسير أن السامري منسوب إلى قبيلة السامرة، وأنه من بني إسرائيل، لكن الشيخ ابن عاشور يفند هذا الرأي، وأنه ليس منسوباً حتى إلى بلدة السامرة القريبة من نابلس، قال: "ويحتمل أن يكون السامري نسباً إلى قرية اسمها (السامرة) من قرى مصر، كما قال بعض أهل التفسير، فيكون فتي قبلياً أندس في بني إسرائيل لتعلقه بهم في مصر، أو لصناعة يصنعها لهم". (التحرير والتنوير).

{فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي} (طه : 86)

86- فعادَ موسى إلى قومه من الميعادِ ومعه الألواح التَّوراة، وقد اشتدَّ غَضَبُهُ وخُنْفُهُ عليهم، وقال لهم بعد أن ألقى الألواح: يا قوم، أما وعدكمُ اللهُ ما هوَ خيرٌ لكم وفيه حُسْنُ عاقبتكم؟ أفضالَ عليكم انتظارُ ما وعدكمُ اللهُ به ونسيتمُ نِعْمَتَهُ، أم أردتمُ بصنيعكم السيِّءِ هذا أن يَجِبَ عليكم غضبٌ شديدٌ من ربكم، فأخلفتمُ وعدكم إيتاي بالثباتِ على الدِّينِ حتَّى أرجع من الميعادِ؟

{قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أُوزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ} (طه : 87)

87- قالَ له بنو إسرائيل: ما أخلفنا وعدنا إيتاك باختيارنا، ولكن أنفُسنا غلبتنا على ذلك، وكُنَّا قد استعَرنا حُلِيًّا من القبطِ قبلَ الخُروجِ من مِصر، فألقيناها في النَّارِ لتتخلَّصَ من الحرام، وكذلك ألقى السَّامِرِيُّ ما كانَ معه منها،

{فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ} (طه : 88)

88- فذابَ ذلكَ الذهب، فشكَّلَ السَّامِرِيُّ منه تمثالاً على صورةِ عِجل، وجعلَ له فتحات، فإذا تحركَ فيه الهواءُ أخرجَ صوتًا كصوتِ البقر، وقالَ هوَ ومن فتنَ به أوَّلَ رؤيته له: هذا هوَ إلهكم وإله موسى، وقد نسيه هُنا وذهبَ يبحُثُ عنه في جبل الطُّور!

{أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا} (طه : 89)

89- ألا يَرى هؤلاءِ الجهلةُ الضَّالُّونَ أنَّ هذا التَّمثالَ لا يَقدرُ على الكلام، ولا يُجيبهم إذا خاطبوه، فلا حياةَ فيه ولا رُوح، ولا يَقدرُ على إيدائهم، ولا يَنفَعهم بشيء؟!؟

{وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا
أَمْرِي} (طه : 90)

90- وقد نبههم هارون إلى الإثم الذي وقعوا فيه قبل أن يرجع إليهم موسى، وقال لهم: يا قوم، لقد وقعتم في الفتنة والابتلاء، وضللتم بفعالكم هذا، فرثكم الحق هو الله وحده، فاتبعوني فيما أمرتكم به من عبادة الله، وأطيعوا أمري في ترك عبادة العجل.

{قَالُوا لَنْ نُبْرِحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى} (طه : 91)

91- فأجابهم بنو إسرائيل في حمق وعناد: لا نزال قائمين على عبادة هذا العجل حتى يرجع إلينا موسى ويرى ما نحن فيه. وقاموا على هارون عليه السلام حتى كادوا أن يقتلوه!

{قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا} (طه : 92)

92- ولما عاد موسى إلى قومه غضبان - وقد أخبره ربه بضلالهم - توجه إلى أخيه هارون الذي خلّفه فيهم، وأخذ بلحيته وقال له: ما الذي منعك عندما رأيتهم يعبدون العجل،

{أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي} (طه : 93)

93- أن تتبعني فتغضب لله وتصلح ما أفسدوه، أخالفت أمري؟

{قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَلَمْ تَفْرُقْ قَوْلِي} (طه : 94)

94- قال هارون عليه السلام وهو يستعطف أخاه: يا ابن أُمِّي، لا تأخذ بلحيتي ولا بشعر رأسي، فإني لم أفصّر معهم في التحذير والترهيب، وإني خشيت إن لحقت بك فأخبرتك بحالهم، أو قاتلت بعضهم ببعض، أن تقول إنك فرقت بذلك بين بني إسرائيل ولم تُراع ما أمرتك به من الإصلاح.

{ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ } (طه : 95)

95- قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا شَأْنُكَ يَا سَامِرِيُّ، وَمَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ وَالْكَفْرِ الْمُبِينِ؟

{ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي } (طه : 96)

96- قَالَ السَّامِرِيُّ: عَلِمْتُ مَا لَمْ يَعْلَمْ الْقَوْمُ، وَقَطَنْتُ إِلَى مَا لَمْ يَفْطَنُوا إِلَيْهِ، فَأَخَذْتُ قَبْضَةً مِّنَ الثَّرَابِ مِّنْ أَثَرِ الْمَلِكِ، فَأَلْقَيْتُهَا عَلَى عَجَلِ الذَّهَبِ، فَصَارَ لَهُ خُورٌ، وَهَكَذَا زَيَّنْتُ لِي نَفْسِي أَنْ أَتَصَرَّفَ.

{ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا } (طه : 97)

97- قَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَاذْهَبْ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، وَعَقُوبَتُكَ فِي الدُّنْيَا مَا دُمْتَ حَيًّا، أَنْ تَقُولَ لِلنَّاسِ: لَا مِسَاسَ، فَابْتَعِدْ عَنْهُمْ وَلَا تُخَالِطَهُمْ، لَا تَمَسَّ أَحَدًا وَلَا يَمَسُّوكَ - وَأَمَرَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يُخَالِطُوهُ - . وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا يَا سَامِرِيُّ لِلْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا مَقَرَّ لَكَ مِنْهُ. وَانظُرْ إِلَى الْعَجَلِ الذَّهَبِيِّ الَّذِي رَعَمْتَ أَنَّهُ مَعْبُودُكَ، وَظَلَلْتَ مُقِيمًا عَلَى عِبَادَتِهِ، لَنُحَرِّقَنَّهُ بِالنَّارِ حَتَّى يَصِيرَ رَمَادًا، ثُمَّ لَنُذَرِّيَنَّهُ فِي الْبَحْرِ حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ أَثَرٌ.

{ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا } (طه : 98)

98- فَهَذَا الَّذِي يُحَرِّقُ وَيَنْفَى لَيْسَ إِلَهًا، إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَلَا رَبَّ لَكُمْ سِوَاهُ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَبَرَزُقَكُمْ، وَقَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا هُوَ.

{ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا } (طه : 99)

99- وكذلك نُقِصُ عَلَيْكَ خَبَرَ مُوسَى أَيُّهَا النَّبِيُّ مِنْ حَوَادِثِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ كَمَا وَقَعَتْ، تَذَكُّرَةً لِلْمُسْتَبْصِرِينَ، وَعِظَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ، وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ عِنْدِنَا هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، مُتَضَمِّنًا تِلْكَ الْقِصَصَ وَالْحَوَادِثَ وَغَيْرَهَا، لِنُبَشِّرَ بِهَا وَنُنذِرَ، وَلِنَتَفَكَّرَ فِيهَا النَّاسُ وَيَعْتَبِرُوا.

{ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا } (طه : 100)

100- وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْقُرْآنِ وَلَمْ يَهْتَدِ بِهَدْيِهِ، فَإِنَّهُ يَحْمِلُ مَعَهُ يَوْمَ الْجَزَاءِ ذَنْبًا ثَقِيلًا، وَيَنْتَظِرُ عُقُوبَةً كَبِيرَةً.

{ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا } (طه : 101)

101- مَا كَثُرَ فِي الْعَذَابِ أَبَدًا، وَبِئْسَ هَذَا الْحِمْلُ الَّذِي حَمَلُوهُ وَجَرَّهَمُ إِلَى النَّارِ، وَهُوَ الْكُفْرُ بِالْقُرْآنِ.

{ يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا } (طه : 102)

102- وَادْكُرْ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي يَنْفُخُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ فِي الصُّورِ - وَهُوَ قُرْنٌ -، وَنَحْشُرُ الْكَافِرِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقَ الْعُيُونِ، سُودَ الْوُجُوهِ.

{ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا } (طه : 103)

103- وَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ خَفِيَةً، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّكُمْ بَقِيْتُمْ فِي الدُّنْيَا عَشْرَةَ أَيَّامٍ.

{ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا } (طه : 104)

104- وَنَحْنُ مُطَّلِعُونَ عَلَى مَا يَقُولُونَ فِي مُدَّةِ لَبِثِهِمْ بِهَا، بَلْ يَقُولُ أَعْدَهُمْ رَأْيًا وَأَكْمَلَهُمْ عَقْلًا: لَمْ تَلْبَثُوا سِوَى يَوْمٍ وَاحِدٍ!

قالوا ذلك لسرعة انقضائها، أو لما فوجئوا به من أهوال يوم القيامة، التي يشيب لها الولدان.

{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا } (طه : 105)

105- وَيَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنْ مَصِيرِ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ يُزِيلُهَا كُلَّهَا مِنْ أَمَاكِنِهَا، وَيَحْقُفُّهَا حَتَّى يَجْعَلَهَا كَالرَّمْلِ، وَتَصِيرَ هَبَاءً مَنثورًا.

{فَيَذُرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا} (طه : 106)

106- وَيُثْقِي الْأَرْضَ سَطْحًا مُسْتَوِيًّا أَمَلَسَ.

{لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا} (طه : 107)

107- لَا تَرَى فِيهَا يَوْمئِذٍ مِيلًا وَلَا أَثْرًا، وَلَا مُنْخَفَضًا وَلَا مُرْتَفَعًا.

{يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} (طه)

(108 :

108- فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَسْتَجِيبُ النَّاسُ مُسَارِعِينَ إِلَى دَاعِي اللَّهِ، وَهُوَ إِسْرَافِيلُ، النَّافِخُ فِي الصُّورِ، لَا يَمِيلُونَ وَلَا يَعْدِلُونَ عَنْهُ، وَخَفِيَتِ الْأَصْوَاتُ وَسَكَتَ أَصْحَابُهَا مَهَابَةً مِنَ اللَّهِ وَرَهْبَةً مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَا تَسْمَعُ سِوَى أَصْوَاتِ خَافِتَةٍ وَوَقَعَ أَقْدَامُ.

{يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا} (طه : 109)

109- فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّهيبِ، لَا تَنْفَعُ شَفَاعَةُ أَحَدٍ لِأَحَدٍ، إِلَّا إِذَا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ وَرَضِيَ بِشَفَاعَتِهِ وَمَقُولَتِهِ، وَكَانَ مُؤْمِنًا.

{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} (طه : 110)

110- وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحِيطٌ بِعَمَلِ هَؤُلَاءِ الْمُحْشُورِينَ جَمِيعًا، مَا أَسْرُوا وَمَا أَخْفَوْا، وَمَا عَمِلُوا مِنْ حَسَنَاتٍ وَسَيِّئَاتٍ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَثْرَتِهِمْ وَكَثْرَةِ مَا عَمِلُوا، وَهُمْ غَيْرُ مُطَّلَعِينَ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ وَعَيْبِهِ.

{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} (طه : 111)

111- وقد خضعت النفوس وذلت الوجوه، واستسلمت للحَيِّ الذي لا يموت، القائم على حفظ كلِّ شيءٍ وتدييره، فلا قُوامَ ولا حياةَ إلاَّ به، وقد خسرَ في هذا اليومَ مَنْ أشركَ باللهِ ولم يتَّخذْ عندهُ عهدًا.

{ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا } (طه : 112)

112- وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ، وَيَعْمَلِ الْأَعْمَالَ الْحَسَنَةَ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ، صَادِقٌ فِي إِيمَانِهِ - وَالْإِيمَانُ شَرْطٌ مَبْدِئِيٌّ وَأَسَاسِيٌّ لِقَبُولِ أَيِّ عَمَلٍ - فَسَوْفَ يُجْزَى عَلَيْهَا خَيْرَ الْجَزَاءِ، لَا يُزَادُ فِي سَيِّئَاتِهِ، وَلَا يُنْقَصُ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَلَا يُمْنَعُ ثَوَابًا يَسْتَحِقُّهُ، بَلْ يُضَاعَفُ لَهُ الثَّوَابُ أضعافًا.

{ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا }

(طه : 113)

113- ومثلما أنزلنا آياتٍ فيها القصاصُ والوعيدُ من يومِ الجزاءِ، كذلك أنزلنا هذا القرآنَ كلَّهُ، لِيُشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالثَّوَابِ، وَيُنذِرَ الْكَافِرِينَ بِالْعِقَابِ، بَلْعَةً عَرَبِيَّةً بَيِّنَةً وَاضِحَةً، وَكَرَّرْنَا فِيهِ آيَاتِ الْوَعِيدِ وَالْإِنذَارِ، بِأَسَالِيبٍ مُخْتَلِفَةٍ، لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ وَيَتَّعِدُونَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، أَوْ أَنْ يُوجَدَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ طَاعَةً وَقَبُولًا، فَيُؤْمِنُوا.

{ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ

زِدْنِي عِلْمًا } (طه : 114)

114- فتعالَى اللهُ وتقدَّس، مالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَالمُتَصَرِّفُ فِيهِ، الْحَقُّ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ حَقٌّ وَعَدْلٌ.

وَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - فَلَا تَعْجَلْ بِقِرَائَتِهِ، لَا تُرَدِّدْهُ قَبْلَ أَنْ يُنْهِيَهُ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِئَلَّا يَشُقَّ ذَلِكَ عَلَيْكَ، بَلْ أَنْصِتْ، وَقُلْ: { رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا }.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا جَاءَهُ جِبْرِيْلُ بِالْوَحْيِ، يَقُولُ كُلَّ آيَةٍ مَعَهُ، خَشْيَةً أَنْ يَصْعَدَ وَلَمْ يَحْفَظْهُ، فَأَرْشَدَ إِلَى مَا هُوَ أَهْمٌ وَأَنْفَعُ، وَهُوَ الْإِنْصَاتُ، وَطَلَبُ زِيَادَةِ الْعِلْمِ النَّافِعِ مِنَ اللَّهِ. أَمَّا

الحِفظُ فسيَجْمَعُهُ اللهُ لَهُ في صَدْرِهِ { لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ }
[سورة القيامة: 16، 17].

{وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} (طه : 115)

115- ولقد أمرنا آدمَ بعدم الأكلِ مِنْ شَجَرَةٍ مَعِينَةٍ عِنْدَمَا كَانَ فِي الْجَنَّةِ، وَلَكِنَّهُ نَسِيَ الْعَهْدَ ولم يهتَمَّ به، ولم نجدَ لَهُ صَبْرًا عَنْ أَكْلِهَا وَثَبَاتًا عَلَى أَمْرِنَا.

{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى} (طه : 116)

116- واذكُرْ قَوْلَنَا لِلْمَلَائِكَةِ - بعدَ أَنْ سَوَّيْنَا خَلْقَةَ آدَمَ وَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا - : اسْجُدُوا لِآدَمَ، سَجْدَةً تَشْرِيفٍ وَتَكْرِيمٍ، فَسَجَدُوا جَمِيعًا، إِلَّا إِبْلِيسَ، اسْتَكْبَرَ وَامْتَنَعَ مِنَ السُّجُودِ لَهُ.

{فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى} (طه : 117)
(117)

117- فقلنا لِآدَمَ: إِنَّ هَذَا الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ حَوَاءَ، فَتَنَّبَهُ، وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ، لِأَنَّكَ يَكُونُ سَبَبًا فِي إِخْرَاجِكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَتَتَعَبُ وَتَشْقَى فِي الدُّنْيَا.

{إِنَّ لَكَ أَلًا يَجُوعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِى} (طه : 118)

118- إِنَّ لَكَ فِي الْجَنَّةِ أَنْ تَكُونَ فِي عَيْشٍ هَنِيءٍ رَغِيدٍ، فَلَا تَبْقَى فِيهَا جَائِعًا وَلَا تَشْقَى فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، بَلْ تَأْكُلُ وَتَتَلَذَّذُ بِأَحْسَنِ الْأَطْعِمَةِ وَالْفَوَاكِهِ، وَلَا تَعْرِى فِيهَا وَلَا تَتَعَبُ فِي صُنْعِ الثِّيَابِ وَالْبَحْثِ عَنْهَا، بَلْ تُكْسَى أَحْسَنَ اللَّبَاسِ وَأَجْمَلَهَا.

{وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى} (طه : 119)

119- وَإِنَّ لَكَ فِي الْجَنَّةِ أَلًا تَبْقَى فِيهَا عَطِشًا، بَلْ تَرَوَى وَهَنًا بِمَائِهَا وَعَصَائِرِهَا. وَلَا يُصِيبُكَ فِيهَا حَرٌّ فَتُؤَذَى، بَلْ تَكُونُ فِي قُصُورٍ بَحْرِيٍّ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وَأَشْجَارٍ مَمْدُودَةٍ الظَّلَالِ.

{ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى } (طه : 120)

120- فوسوس الشيطان في نفس آدم قائلاً له: يا آدم، هل أدلك على شجرة إذا أكلت منها خلدت فلا تموت، وملك لا يفنى، وهو الجنة؟

{ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى } (طه : 121)

121- فضغف آدم وزوجه أمام هذا الطمع المغربي، وصدقا الشيطان بعد أن أقسم لهما أنه ينصحهما بذلك، فأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الاقتراب منها، فظهرت - نتيجة ذلك - عوراهما، فجعلتا يرفعان ويلزقان بهما أوراقا من شجر الجنة، وعصى آدم ربه بأكل الشجرة، فأخطأ الطريق وضل عن مطلوبه عندما اغتر بقول العدو، وطلب الخلود بأكل ما هبى عنه، فخاب ولم يحقق هدفه.

{ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى } (طه : 122)

122- ثم اصطفاه ربه ووقفه للتوبة، فتاب وأناب، فقبل توبته ورحمه، وأرشده إلى الثبات عليها.

{ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } (طه : 123)

123- وقال الله تعالى لآدم عليه السلام وإبليس اللعين: انزلا من الجنة، وسيكون بعضكم عدوا لبعض (الناس والشياطين)، فإذا أرسلت إليكم أنبياء، وأنزلت عليكم كتبا، فمن اتبع رسلي، واهتدى بهديي، فلا يضل في الدنيا، ولا يخاف سوء الحساب في الآخرة.

{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَمُخْشِرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } (طه : 124)

(

124- وَمَنْ خَالَفَ هُدَايَ، وَكَذَّبَ رُسُلِي، فَإِنَّهُ يَعِيشُ فِي الدُّنْيَا حَيَاةَ قَلَقٍ وَحَيْرَةٍ، وَشَكٍّ وَحَرَجٍ، وَضِيقٍ وَشَقَاءٍ، وَإِنْ بَدَأَ مُتَنَعِّمًا. وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى الْبَصَرِ.

{ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا } (طه : 125)

125- ويقولُ العبدُ لربِّهِ يَوْمَذاك: يا رَبِّ، لماذا أعميت عينيَّ وقد كنتُ أرى بهما في الدُّنيا؟

{ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمِ تُنْسَى } (طه : 126)

126- فيقولُ له رَبُّهُ: إِنَّكَ كما أعرَضْتَ عن هدايتي وآياتي البيِّنة الواضحة، فتعاميت عنها وتركتها غيرَ مُبالٍ بها، فكذلك تُعاملُ مُعاملةً من ينسأكَ في هذا الموقفِ، وتُترَكُ أعمى هكذا، فالجزاءُ من جنسِ العملِ.

قال قتادة: نُسُوا من الخيرِ، ولم يُنسُوا من العذابِ.

{ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى } (طه):

(127)

127- ويمثِلُ العقوبةَ الموافقةَ للجُرمِ والجنايةِ، نُعاقِبُ من أشركَ وآثرَ هواه وشهواته على اتِّباعِ دينِ الله، وكفَرَ بآياته وبالمعجزاتِ التي أُيِّدَ بها رُسُلُه، والعذابُ الذي يُعدُّهُمُ اللهُ في الآخرةِ أعظمُ وأشدُّ ألمًا مما يُعدُّهُمُ به في الدُّنيا وفي القبرِ، وأكثرُ دوامًا، فإنَّهُم يُخلَّدونَ في جهنَّمَ أبدًا.

{ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ

لأُولِي النُّهَى } (طه : 128)

128- أفلم يبيِّنْ للمُشركينَ المُكذِّبينَ بما جئتَهُمُ به، كَمْ أَهْلَكْنَا من أُممٍ سابقَةٍ كذَّبوا برسالاتِ رَبِّهِمُ، وهم يَمْشونَ بديارِهِمُ ويمشونَ بينَ آثارِهِمُ؟ إنَّ في ذلكَ لَعِبْرَةً لأصحابِ العقولِ السليمةِ.

{ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامٍ وَأَجَلٍ مُسَمًّى } (طه : 129)

129- ولولا حُكْمٌ سَبَقَ أَنْ قَضَى اللهُ بِهِ، وهو تَأخِيرُ الْعَذَابِ عَنْهُمْ، أو عَدَمُ إِهْلَاكِهِمْ بِالْكُلِّيَّةِ، لَكَانَ الْعَذَابُ لِزِمَامًا لَهُمْ كَمَا لَزِمَ سَابِقِيهِمْ. وكذلك ما ضَرَبَ اللهُ لَهُمْ مِنْ أَجَلٍ فِي عُمُرٍ يَقْضُونَهُ إِلَى وَقْتِهِ.

{ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى } (طه : 130)

130- ومادامَ اللهُ أَمَهْلَهُمْ، فَاصْبِرْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ، وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِرِسَالَةِ رَبِّكَ (ذَكَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ). وَالزِّمُّ ذَكَرَ اللهُ وَعِبَادَتَهُ، وَنَزَّهَهُ وَقَدَّسَهُ وَأَنْتَ حَامِدٌ لَهُ، فِي الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ، وَمِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ، وَكَذَلِكَ مِنَ النَّهَارِ، لِتَرْضَى وَتَطْمَئِنَّ بِمَا يُبَيِّنُكَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَى.
ذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ أَنَّ أَكْثَرَ الْمُتَأَوِّلِينَ قَالُوا إِنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ.

{ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى } (طه : 131)

131- وَلَا تُطِلْ نَظْرَكَ رَغْبَةً وَمَيْلًا إِلَىٰ مَا أَمَدَدْنَا بِهِ أَصْنَافًا مِنَ الْكُفَّارِ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا، مِنْ كَثْرَةِ الْمَالِ وَالْوَلَدِ، لِنَبْتَلِيَهُمْ بِهَا، وَنُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ. وَمَا آتَاكَ اللهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْهُدَى وَالنَّبُوَّةِ، وَادَّخَرَهُ لَكَ مِنَ الثَّوَابِ وَالْمَنْزِلَةِ فِي الْآخِرَةِ، أَفْضَلُ مِمَّا مَتَّعَهُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَأَدْوَمُ وَأَهْنَأُ.

{ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى } (طه : 132)

132- وَأْمُرْ أَهْلَ بَيْتِكَ وَأُمَّتَكَ بِالصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ وَالْمُؤَاطَبَةِ عَلَيْهَا، وَاصْبِرْ عَلَىٰ أَدَائِهَا، فَإِنَّهَا صِلَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ. وَلَا نُكَلِّفُكَ بَرزقَ أَحَدٍ، وَلَا بَرزقَ نَفْسِكَ، فَتَحْنُ نَرْزُقُكَ وَنُكْفِيكَ هَمَّ

ذلك، وإنما نُكَلِّمُكَ بِالتَّبْلِيغِ وَالصَّبْرِ عَلَى الدَّعْوَةِ. وَالخَاتَمَةُ المِحْمُودَةُ لِمَن اتَّقَى الله فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ.

{ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوْلَمَ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى } (طه: 133)

133- وقال مشركو مكة: هلا يأتينا محمدًا بدليل على صدق نبوته؟ ويعنون الأدلة التي توافق أهواءهم، كما مرَّ في الآيات (90-93) من سورة الإسراء⁽⁸²⁾.

أولاً يرون أن الله قد أنزل على عبده أكبر معجزة تدل على نبوته، وهو هذا القرآن، الذي يحتوي على أخبار الأولين بما يوافق الكتب السماوية المتقدمة، ويصححها، وقد عاش بينهم الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أنه لم يكن له علم بأخبار الغيوب؟

{ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنُخْزِيَ } (طه: 134)

134- ولو أننا أهلكناهم في الدنيا بعذاب يستأصلهم قبل أن نبعث إليهم هذا الرسول والكتاب الذي معه، لقالوا يوم الحساب: يا ربنا هلا أرسلت لنا رسولاً مؤيداً بمعجزات حتى نتبعه ونصدق بآياتك ونؤمن بكتابك، من قبل أن نهان بهذا العذاب، ونخزي به ونفتضح على رؤوس الأشهاد؟

(82) { وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّجِيلٍ وَعَنْبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيلاً . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِزُفْيِكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا } .

{قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى} (طه) :
(135)

135- قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ الْمَكْذِبِينَ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا وَمِنْكُمْ مُنْتَظَرٌ مَا يَوُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ، فانتظروا النتيجة، فستعلمون عن قريبٍ من هم أهل الطريق المستقيم، ومن الذي اهتدى إلى الحقِّ واجتنب الضلال، نحن أم أنتم؟

* * *

في حديثٍ حسنٍ أو صحيحٍ رواه ابن ماجه، قوله صلى الله عليه وسلم: "اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ بِهِ أجاب، في سورٍ ثلاث: البقرة، وآل عمران، وطه".

الجزء السابع عشر

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ } (الأنبياء : 1)

1- اقترَبَ يَوْمُ الْحِسَابِ، وَوَزُنُ الْأَعْمَالِ، وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَظِيمَةٍ، لَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَا لَهُمْ، وَلَا يَعْمَلُونَ لَهُ.

{ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ } (الأنبياء : 2)

2- مَا يَنْزِلُ إِلَيْهِمْ أَمْرٌ جَدِيدٌ مِّنَ الْقُرْآنِ فِيهِ تَذَكِيرٌ وَإِنذَارٌ، إِلَّا اسْتَمَعُوهُ بِنُفُوسٍ لَا مُبَالِيَةَ، لَاهِينَ مُسْتَهْزِئِينَ، غَيْرِ جَادِّينَ وَلَا مُتَدَبِّرِينَ، لَا يَعْتَبِرُونَ وَلَا يَتَّعِظُونَ.

{ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ

وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ } (الأنبياء : 3)

3- قُلُوبُهُمْ ذَاهِلَةٌ غَافِلَةٌ. وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ خُفْيَةً: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي يَدَّعِي النَّبُوَّةَ إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ، وَالَّذِي أَتَى بِهِ سِحْرٌ، أَفَتَتَّبِعُونَهُ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ سِحْرٌ؟

{ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (الأنبياء : 4)

4- قَالَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُقَالُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، خُفْيَةً كَانَ أَوْ جَهْرًا، فَهُوَ سَمِيعٌ لِأَقْوَالِكُمْ، عَلِيمٌ بِأَحْوَالِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ.

{ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ }
(الأنبياء: 5)

5- بل قال مُشركون: ما هذا القرآن الذي يدّعي محمدٌ أنّه يُوحى إليه سوى تَخْلِيطِ أَحْلَام. وقال بعضهم: بل هو كَذِبٌ، يدّعي أنّه من عند الله وما هو إلا من تأليفه. وقال آخرون منهم: بل هو شاعر، وما يتلوه شعرٌ وليس قرآناً موحى به! فلينزل علينا مُعْجِزَةً كما جرى مع الرُّسُلِ السَّابِقِينَ، إن كان نبيّاً حقّاً!

{ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ } (الأنبياء : 6)

6- ما آمن أهل القرى الذين أهلكناهم بالآيات التي افترحوها على أنبيائهم، أفئؤم بها مُشركو مكة إذا جاءهم؟

{ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }
(الأنبياء : 7)

7- وإنّ جميع من أرسلنا قبلك من الرُّسُلِ كانوا رجالاً، من جنس البشر، نُوحى إليهم كما نُوحى إليك، وما كان أحدٌ منهم من الملائكة، فاسألوا أهل العلم الصادقين من الأديان السَّابِقَةِ: هل كان الرُّسُلُ الذين بُعثوا إليهم من البشر أم لا؟ فإنهم سيقرُّون بذلك ولا يُنكرون.

{ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ } (الأنبياء : 8)

8- وما جعلنا الرُّسُلَ أجساداً مُستغنين عن الطَّعام، بل هم مثلُ النَّاسِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، ولا يَضُرُّ هذا بنبوَّتهم. وما هم بمُعَمَّرِينَ على الدَّوام، بل يموتون.

{ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمْ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ } (الأنبياء : 9)

9- ثمَّ صَدَقْنَا الأنبياء ما وَعَدْنَاهُمْ بِهِ مِنَ النَّصْرِ، فَجَنَيْنَاهُمْ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُمْ مِنْ بَاسِ أَعْدَائِهِمْ وَكَيْدِهِمْ، وَأَهْلَكْنَا الْمَكْذِبِينَ. فاحذروا ولا تُكذِّبوا نبيكم ولا تُخالفوه.

{ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (الأنبياء : 10)

10- لقد أنزلنا إليكم كتاباً عظيماً الشأن، كثير النفع، فيه عرّكتم وشرفكم لو أنكم اتبعتموه، هو القرآن الكريم، أفلا تتفكرون في ذلك، وتقدرون هذه النعمة الجليلة؟

{ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ } (الأنبياء : 11)

11- وكم أهلكتنا من أهل القرى الذين كذبوا رسلهم، واستأصلناهم فلم نبق منهم أحداً، وأتينا بقوم آخرين ليسوا منهم، أفلا تعتبرون؟

{ فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَنَّا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ } (الأنبياء : 12)

12- ولما شعر أهل القرى بعذاب الله، وتيقنوا أنه نازل بهم، إذا هم يفزعون ويفرون من قراهم لئلا يلحقهم العذاب!

{ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ } (الأنبياء : 13)

13- لا تهربوا أيها المكذبون المعاندون، وارجعوا إلى قراكم لتقضوا بقیة أعماركم فيما كنتم تنعمون فيه من عيش هنيء، ومساکین طيبة - استهزاء بهم - لعلكم تُفصدون مرةً أخرى، وتُسألون عن أموالكم وعبيدكم، وخدمكم وعمالكم، وقراكم ومشاريعكم، ماذا تفعلون بها، وما الذي تدرّون منها؟

{ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ } (الأنبياء : 14)

14- ولما علموا أن الهلاك أحاط بهم، وأن لا مفر لهم منه، قالوا حين لا ينفعهم الندم: يا هلاکنا ویا حسرتنا، لقد کُنَّا مُستحقّين للعذاب بتكدينا آيات الله ورسله.

{ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِئِينَ } (الأنبياء : 15)

15- وما زالوا يُرَدِّدُونَ تِلْكَ الْمَقُولَةَ، مُعْتَرِفِينَ بِظُلْمِهِمْ، حَتَّى حَصَدْنَا هُمْ كَالزَّرْعِ، وَاسْتَأْصَلْنَا هُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، وَلَمْ نُبْقِ فِيهِمْ حَرَكَةً وَلَا صَوْتًا.

{ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ } (الأنبياء : 16)

16- وما خلَقْنَا السَّمَاءَ وما فيها، والأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وما بَيْنَهُمَا، هُوَ وَعِبَتْنَا، بَدُونِ حِكْمَةٍ وَفَائِدَةٍ.

{ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ هَؤُلَاءِ لَاتَّخِذُنَا مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ } (الأنبياء : 17)

17- لو أردنا أن نجعل هؤولا لأنفسنا، لجعلنا شئنا إلهيا يُناسِبنا، غيرَ حادثٍ ولا فانٍ، ولكن لم نُردْ ذلك، فلا يكون.

{ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ } (الأنبياء : 18)

18- فليس من شأننا اللّهُ، بل شأننا أن نُبيِّنَ الحقَّ ونغلبه على الباطل، فيمحِّقه، فإذا هو ذاهبٌ مُضْمَحِلٌّ، ولكم الهلاكُ والعذابُ أيُّها المشركون، ممَّا تصفون به الله، وتكذبون عليه.

{ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ } (الأنبياء : 19)

19- وله جميع من في السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ مَخْلُوقَاتِ، مُلْكًا وَتَدْبِيرًا وَتَصَرُّفًا، وَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا يَتَعَالَوْنَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ، وَلَا يَتَّعَبُونَ وَلَا يَمَلُّونَ مِنْهَا.

{ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ } (الأنبياء : 20)

20- يُقَدِّسُونَ اللهَ وَيُنَزِّهُونَهُ بِاسْتِمْرَارٍ، لَيْلًا وَنَهَارًا، لَا يَكِلُّونَ وَلَا يَضْعَفُونَ.

{ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ } (الأنبياء : 21)

21- أم أن المشركين جعلوا لأنفسهم آلهة من الأرض، من حجارة ومعادن وأخشاب، فهي تحيي الموتى وتبعثهم من قبورهم؟ إنها لا تقدر على شيء من ذلك، فكيف جعلوها آلهة وعبدوها؟!

{ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } (الأنبياء : 22)

22- لو كان في السماء والأرض أكثر من إله لخربتا ودُمرتا؛ لتعدد الإرادات والأوامر، فهذا يتصرف بشيء، وذاك يدبر أمرًا آخر، فتتقاتل وتتدافع الآلهة كما هو شأن المملوك في الأرض، فتخرب الدنيا. وما دام أمر السماوات والأرض ثابتًا، وعلى دقة ونظام واحد متكامل، فهذا يعني أنه لا توجد عده آلهة، بل إله واحد يدبر الكون كله، ويتصرف فيه وحده. فتعالى الله رب العرش العظيم وتقدس عما يتفوه به هؤلاء المشركون، ويدعون له الولد والشريك.

{ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } (الأنبياء : 23)

23- وهو سبحانه الحاكم المطلق، الحكيم الذي لا يخطئ، العدل الذي لا يظلم، فلا يناقش ولا يعترض عليه، والخلق هم الذين يسألهم الله عما يفعلون، لأنهم مملوكون ومكلفون بما أمرهم به ربهم، ومحاسبون على ما قدموا من أعمال.

{ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ } (الأنبياء : 24)

24- بل إن المشركين اتخذوا لأنفسهم آلهة يعبدونها من دون الله. قل لهم أيها الرسول: هاتوا دليلاً على صحة دعواكم بأن هذه الحجارة والأخشاب آلهة حقًا. وهذا كتاب ربي الذي أنزله علي، وهناك الكتب المنزلة على الأنبياء من قبلي، وكلها على نقيض ما تقولون وتزعمون. بل أكثرهم جاهلون لا يفرقون بين الحق والباطل، فهم مستمرون في الإعراض عن الحق، والتكذيب بالرسول.

{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } (الأنبياء: 25)

25- وما أرسلنا قبلك من رسولٍ إلا وأمرناه بالدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فاعبدوني وحدي ولا تشركوا معي أحداً.

{ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ } (الأنبياء : 26)

26- وقال فريق من العرب المشركين: الملائكة بنات الله! تعالى الله عن ذلك وتقدس، ما هم إلا عبادٌ خلقهم الله مثل غيرهم، وهم مقربون عنده مكرمون.

{ لَا يَسْئِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } (الأنبياء : 27)

27- لا يتقدمون على ربهم بقولٍ أو عمل، بل هم مأمورون مطيعون، يُنقذون ما يؤمرون به.

{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } (الأنبياء : 28)

28- وعلمه تعالى محيطٌ بهم وبأحوالهم، لا يخفى عليه خافيةٌ مما عملوا ومما يعملون، ولا يطلبون الشفاعة إلا لمن رضي الله أن يشفعوا له، ولا يكونون إلا من أهل لا إله إلا الله. وهم وجلون خوفاً ورهبةً منه تعالى.

{ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ بُجْرِيهِمْ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } (الأنبياء : 29)

29- ومن يقل من الملائكة إنه إله من دون الله، فهذا جزاؤه جهنم، كسائر المشركين المجرمين، الذين يلقون ذلك المصير.

وهذا على سبيل الافتراض، وهو ردُّ على المشركين وتبكيته لهم فيما يدعون.

{أَوْلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ

شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} (الأنبياء : 30)

30- ألا يتدبّر هؤلاء الكافرون في آيات الله الكونية، ويتمعنون في خلق السماوات العظيمة المنيعة، وفي الأرض وما فيها ومن عليها، وقد كانتا أولاً ملتحمتين ملتزقتين، فشققناهما وفصلنا بعضهما عن بعض؟

وخلقنا من الماء كل ذي حياة، فهو أصل كل حي، وهو أعظم موائده، وأكثر ما يحتاج إليه ويتفّع به. أفلا يعلمون ذلك ويتدبرونه ليؤمنوا ويهتدوا؟

ويقول العلماء: إن جميع الكائنات الحية مكوّنة من 80% من الماء، وإن جسم الإنسان 70% منه ماء، ولا يقدر على العيش أكثر من أربعة أيام بدون ماء.

وذكر رئيس معهد هادو للبحوث العلمية في طوكيو في مؤتمر علمي، أن للماء ذاكرة، وأنه صورة من صور الطاقة الكامنة، التي تمكنه من السمع والرؤية والشعور والانفعال، واختزان المعلومات ونقلها والتأثر بها، إلى جانب تأثيرها في تقوية مناعة الإنسان، وربما علاجه أيضاً من الأمراض العضوية والنفسية.

{وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ}

(الأنبياء : 31)

31- وجعلنا في الأرض جبالاً ثابتة، لئلا تتحرك وتميل بسكاتها، وجعلنا في هذه الجبال ثغوراً وفجوات، لتكون طرقاً ومنافذ للناس يسلكونها ويتنقلون منها إلى ما وراءها، ولعلهم يستدلون بها على مقاصدهم في أسفارهم ورحلاتهم، ويشكرون الله على ذلك.

{وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْهًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} (الأنبياء : 32)

32- وجعلنا السماء عالية، كالسقف للأرض، محفوفةً ومحروسةً من أن ينالها تغير، أو يصيبها خلل. وهم عن آياتها الكثيرة غافلون ذاهلون، لا يتفكرون فيها ولا يتدبرون أمرها،

على الرِّغمِ مِنْ ظُهُورِهَا وَوُضُوحِهَا، كَالشَّمْسِ، وَالقَمَرِ، وَالنُّجُومِ، وَالسَّحَابِ... الدَّالَّةِ عَلَى عِظَمَةِ الخَالِقِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ.

{ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } (الأنبياء: 33)
33- وهو الذي خلق الليل بظلامه وسكونه، والنهار بضياؤه وحركته، والشمس بوهجها وحرارتها ومنفعتيها، والقمر بنوره وسيره وفائدته... وكل الكواكب ومجموعات النجوم والمجرات تدور حول نفسها في حركة محورية، وتدور في مداراتها في حركة انتقالية. والكون كله يتحرك. وهذا دليل على وجود الخالق الحي القيوم، القائم بتدبير هذا الكون العظيم.

{ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ } (الأنبياء: 34)
34- وما جعلنا لإنسان قبلك - أيها الرسول - خلودًا وبقاءً في الدنيا، فكُلُّهم ميِّتون، أفإن متت أنت فستكتب الحياة لهؤلاء الكفار الذين يتربصون بك الموت؟

{ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالسَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } (الأنبياء: 35)
35- كلُّ نفسٍ على وجه الأرض سوف تموت، ونختبركم بالمكاره والمصائب، والنعيم والرِّخاء، وتبادل بين هذه وهذه، ابتلاءً وتمحيصًا، لنرى ما تُظهِرونه من هداية أو ضلال، وشكر أو كفر، وسوف تُرجعون إلينا يوم الحساب، لنحاسبكم على أعمالكم كُلِّها.

{ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذُكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ } (الأنبياء: 36)

36- وإذا رأى المشركون أيها النبي، سَخِرُوا مِنْكَ واستهزؤوا بك، وقالوا مُنتَقِصِينَ مِنْكَ: أهذا الذي يذُكُرُ آلِهَتَكُمْ بسوء، ويُسَفِّهُ عُقُولَكُمْ لِأَنَّكُمْ تَعْبُدُونَهَا، ويقولُ إِنَّهَا لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ؟ وهم كافرون بالقرآن الذي جعله الله هدايةً للناس، فهم أحقُّ بأن يُنكَرَ عليهم، ويُستَهزَأَ بعقولهم.

{ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ } (الأنبياء : 37)

37- خُلِقَ الْإِنْسَانُ مَطْبوعًا عَلَى الْعَجَلَةِ وَالتَّسْرُعِ، فَهُوَ قَلِيلُ الصَّبْرِ، لَا تَكَادُ تَنْفَكُ عَنْهُ الْعَجَلَةُ، وَلَوْ كَانَ فِيهَا يَطْلُبُهُ مَضْرَّةٌ لَهُ. وَالْكَافِرُونَ يَسْتَعْجِلُونَ الْعَذَابَ، تَكْذِيبًا لَهُ وَمُعَانَدَةً مِنْ أَنْفُسِهِمْ. لَا تَسْتَعْجِلُوا، فَسَوْفَ تَنَالُكُمْ النِّقْمَةُ وَالْعَذَابُ، إِنَّ عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا، أَوْ آجِلًا فِي الْآخِرَةِ. وَاللَّهُ سَرِيعُ الْإِنْتِقَامِ، وَهُوَ إِنْ أَمْهَلَكُمْ، فَلَنْ يُؤَخَّرَ الْعُقُوبَةَ عَنْكُمْ إِذَا جَاءَ مَوْعِدُهَا.

{ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (الأنبياء : 38)

38- وَيَقُولُونَ تَكْذِيبًا وَعِنَادًا: مَتَى يَفْعُ عَلَيْنَا هَذَا الْعَذَابَ، أَوْ مَتَى تَحِينُ السَّاعَةُ، إِذَا كُنْتُمْ صَادِقِينَ بِأَنَّهَا آتِيَةٌ؟

{ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ } (الأنبياء : 39)

39- لَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُونَ هَوْلَ وَفْطَاعَةَ هَذَا الَّذِي يَسْتَعْجِلُونَهُ لَمَا اسْتَهْزَؤُوا بِهِ أَوْ جَحَدُوهُ، عِنْدَمَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَمْنَعُوا مِنْ وُجُوهِهِمْ شِدَّةَ النَّارِ وَهَبْهَا، الَّتِي تُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ، وَلَا أَحَدٌ يَنْتَصِرُ لَهُمْ وَيُخَلِّصُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي هُمْ فِيهِ.

{ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ } (الأنبياء : 40)

40- بَلْ تَلْتَهُمُ النَّارُ فَجَاءَتْ، فَتَفْزِعُهُمْ وَتُخَيِّرُهُمْ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا عَنْهُمْ، وَلَا مَفَرَّ لَهُمْ مِنْهَا، فَيَسْتَسْلِمُونَ لَهَا. وَلَا يُؤَخَّرُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ، وَلَا هُمْ يُمَهَّلُونَ لِيَسْتَرْجِعُوا.

{ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } (الأنبياء : 41)

41- وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا أَنْبِيَاءَ قَبْلِكَ، فَاسْتَهْزَأَ بِهِمُ الْكَافِرُونَ كَمَا يَسْتَهْزِئُ بِكَ كُفَّارُ قَوْمِكَ، فَأَحَاطَ بِالَّذِينَ اسْتَهْزَؤُوا مِنْهُمْ الْعَذَابُ الَّذِي كَانُوا يَتَحَدَّثُونَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُمْ أَنْ يَأْتُوهُمْ بِهِ، وَيَسْتَبْعِدُونَ وَقَوْعَهُ.

{ قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ } (الأنبياء : 42)

42- قُلْ لَهُؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ الْمُسْتَهْزِئِينَ: مَنْ الَّذِي يَحْفَظُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ؟ وما الذي غَرَّكُمْ بِرَبِّكُمْ الْكَرِيمِ الْحَلِيمِ أَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ إِذَا تَمَادَيْتُمْ فِي كُفْرِكُمْ وَعِنَادِكُمْ وَتَكْذِيبِكُمْ رَسُولَهُ؟ بَلْ هُمْ عَنِ الْقُرْآنِ وَمَوَاعِظِهِ وَأَيَاتِ اللَّهِ وَتُذْرِهِ غَافِلُونَ، غَيْرُ مُبَالِغِينَ وَلَا مُعْتَبِرِينَ.

{ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ } (الأنبياء : 43)

43- أَمْ أَنْ آلِهَتُهُمُ الْمَزْعُومَةُ هِيَ الَّتِي تَحْفَظُهُمْ وَتَمْنَعُ عَذَابَ اللَّهِ عَنْهُمْ؟ كَلَّا، إِنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَمْنَعَ عَنْ نَفْسِهَا ضَرْأًا يُصِيبُهَا، وَلَا أَحَدًا يُجِيرُهَا وَيَنْتَصِرُ لَهَا مِنْ عِنْدِنَا وَيُخَلِّصُهَا مِمَّا يُصِيبُهَا، فَكَيْفَ تَنْتَصِرُ هِيَ لِعَابِدِيهَا؟!

{ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ نَارَ الْأَرْضِ تَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْعَالِيُونَ } (الأنبياء : 44)

44- بَلْ عَرَّ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ نِعْمَةٍ وَمَالٍ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ عُمُرًا مَدِيدًا، وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ بِذَلِكَ عَلَى شَيْءٍ، وَمَا هُوَ إِلَّا إِمَهَالٌ لَهُمْ. أَلَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ كَيْفَ أَنَّ نَارَ الْأَرْضِ تَنْقُصُ مِنْ أَطْرَافِ أَرْضِيهِمْ وَتَنْتَرِعُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ بَعْلَبَةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهَا شَيْئًا فَشَيْئًا، أَفَهُمُ الَّذِينَ سَيَغْلِبُونَ الْمُؤْمِنِينَ؟ بَلْ هُمُ الْمَغْلُوبُونَ الْمَهْزُومُونَ. وَالآيَةُ مَدِينَةٌ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْمَكِّيَّةِ.

{ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ } (الأنبياء : 45)

45- قُلْ لَهُمْ أَثِمَاتُ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ: إِنَّمَا أَنْذَرْتُكُمْ وَأُخَوِّفُكُمْ بِالْقُرْآنِ، أَنْ يُصِيبَكُمْ الْعَذَابُ إِنْ أَنْتُمْ
أَعْرَضْتُمْ عَنْ دِينِ اللَّهِ، وَحَارَبْتُمْ رَسُولَهُ، وَلَكِنَّ الَّذِي أَصَمَّهُ اللَّهُ فِي أُذُنَيْهِ لَا يَسْمَعُ الْكَلَامَ، وَإِنْ
أَنْذَرَ بِمَا يُؤْذِيهِ، كَمَا لَا يُجْدِي الْإِنْدَارُ مَنْ أَعَمَى اللَّهُ بَصِيرَتَهُ، وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ.

{وَلَمَّا مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ} (الأنبياء : 46)

46- وَإِذَا أَصَابَهُمْ أَدْنَى شَيْءٍ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ، تَذَكَّرُوا مَا فَرَّطُوا فِيهِ، وَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ الَّتِي
أُودِتْ بِهِنَّ إِلَى هَذَا الْعَذَابِ، وَقَالُوا مُتَحَسِّرِينَ: يَا هَلَاكُنَا، لَقَدْ أَسْرَفْنَا وَتَجَاوَزْنَا الْحَدَّ وَأَغْفَلْنَا
أَمْرَ اللَّهِ.

{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} (الأنبياء : 47)

47- وَنُحْضِرُ الْمِيزَانَ الَّذِي تُوزَنُ بِهِ صِحَافُ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْحِسَابِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَلَا يُظْلَمُ
أَحَدٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَلَا يُنْقَصُ مِنْ ثَوَابِهِ إِنْ أَحْسَنَ، وَلَا يُزَادُ فِي عُقُوبَتِهِ إِنْ أَسَاءَ، وَإِنْ كَانَ
عَمَلُهُ زِنَةً حَبَّةِ الْخَرْدَلِ فِي صِغَرِهَا وَقِلَّتِهَا جُنْنَا بِهَا، وَكَفَى بِنَا مُحْصِينَ لِتِلْكَ الْأَعْمَالِ، فَلَا يَخْفَى
عَلَيْنَا مِنْهَا شَيْءٌ.

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ} (الأنبياء : 48)

48- وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ التَّوْرَةَ، وَفِيهَا التَّفْرِيقَةُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَمَا يُنِيرُ الْقُلُوبَ
وَيُخَلِّصُهَا مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ، وَعِظَةٌ وَتَذَكُّرٌ لِمَنْ خَشِيَ اللَّهَ وَلَمْ يُخَالِفْ أَمْرَهُ.

{الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ} (الأنبياء : 49)

49- الَّذِينَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ وَإِنْ لَمْ يَرَوْهُ وَلَمْ يَرَوْا عَذَابَهُ، وَهُمْ مِنْ حِسَابِ وَأَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
خَائِفُونَ وَجِلُونَ، يَرْجُونَ رَحْمَةَ رَبِّهِمْ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ.

{وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ} (الأنبياء : 50)

50- وهذا القرآن جليلٌ في قدره، عظيمٌ في منفعته، أنزلناه تذكيراً للناس، وإنذاراً وبُشْرَى، كالنُّورِ وغيرِها مِنَ الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، أَفْتَكْرُونَهُ وَتَسْتَبْعِدُونَهُ وَهُوَ ظَاهِرٌ جَلِيٌّ فِي مُعْجَزَتِهِ، وَفِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ؟

{وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ} (الأنبياء : 51)

51- وَقَدْ هَدَيْنَا إِبْرَاهِيمَ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَأَهْمَنَاهُ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ، قَبْلَ مُوسَى وَهَارُونَ، وَكُنَّا عَالِمِينَ بِأَحْوَالِهِ وَمَحَاسِنِ صِفَاتِهِ، وَاسْتِعْدَادِهِ لِحَمْلِ الرِّسَالَةِ.

{إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ} (الأنبياء : 52)

52- إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ آزَرَ وَقَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ: مَا هَذِهِ الْأَصْنَامُ الَّتِي تُلَازِمُونَ عِبَادَتَهَا؟

{قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ} (الأنبياء : 53)

53- قَالُوا لَهُ: هَكَذَا وَجَدْنَا آبَاءَنَا وَأَجْدَادَنَا يَعْبُدُونَهَا، وَنَحْنُ نَتَّبِعُهُمْ وَنُقَلِّدُهُمْ فِي ذَلِكَ.

{قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (الأنبياء : 54)

54- قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّكُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ زَائِعُونَ مُنْحَرِفُونَ، عَلَى غَيْرِ هِدَايَةٍ وَدَلِيلٍ تَعْبُدُونَ.

{قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ} (الأنبياء : 55)

55- قَالُوا لَهُ مُتَعَجِّبِينَ مِنْ تَخَطُّبَتِهِ إِيَّاهُمْ: أَتَقُولُ ذَلِكَ جَادًّا أَمْ لَعِبًا وَهَزْلًا، فَإِنَّا لَمْ نَرِ مَنْ تَكَلَّمَ عَلَى آلِهَتِنَا، وَعَابَ عَلَيْنَا عِبَادَتَهُمْ قَبْلَكَ؟

{قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}

(الأنبياء : 56)

56- قَالَ لَهُمْ مُصَحِّحًا وَمُنَبِّهًا: إِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ أَحْجَارٌ عَمِلْتُمُوهَا بِأَيْدِيكُمْ ثُمَّ زَعَمْتُمْ أَنَّهَا
آلِهَةٌ، فَلَيْسَ فِيهَا أَيْتُهُ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْأُلُوهِيَّةِ، إِنَّمَا خَالِقُكُمْ وَرَازِقُكُمْ هُوَ اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ، الَّذِي خَلَقَهُنَّ وَمَنْ فِيهِنَّ مِنَ الْأَحْيَاءِ وَالنَّبَاتِ وَالْحِمَادِ، وَأَنْتُمْ جُزْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأَحْيَاءِ
الْمَخْلُوقَةِ بِأَمْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنََّّهُ هُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا يُعْبَدُ سِوَاهُ.

{ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ } (الأنبياء : 57)

57- وَوَاللَّهِ لَأَمْكُرَنَّ بِأَصْنَامِكُمْ وَأَجْتَهِدَنَّ فِي تَحْطِيمِهَا بَعْدَ أَنْ تَنْتَهَوْا مِنْ عِبَادَتِهَا وَتَمَضُّوا.

{ فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا هُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ } (الأنبياء : 58)

58- فَحَطَّمَهَا وَجَعَلَهَا قِطْعًا، إِلَّا الصَّخْرَةَ الْكَبِيرَةَ بَيْنَهَا، لَمْ يَكْسِرْهَا، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ
وَيَسْأَلُونَهُ عَمَّنْ دَاهَمَ آلِهَتَهُمْ فَكَسَرَهَا وَأَذَلَّهَا هَكَذَا، وَكَيْفَ لَمْ يُدْفَعْ عَنْهَا وَهُوَ كَبِيرُهَا؟! ثُمَّ
يَرْجِعُونَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَيُدْرِكُونَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ وَهْمٍ وَخَطَأٍ.

{ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ } (الأنبياء : 59)

59- وَحِينَ رَجَعُوا إِلَى أَصْنَامِهِمْ مَرَّةً أُخْرَى وَرَأَوْهَا مَكْسُورَةٌ، تَنَادَوْا قَائِلِينَ: مَنْ الَّذِي أَهَانَ
آلِهَتَنَا وَفَعَلَ بِهَا كُلَّ هَذَا؟ لَا شَكَّ أَنَّ ظَالِمٌ مُتَعَدِّدٌ، قَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِعِقَابٍ كَبِيرٍ.

{ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ } (الأنبياء : 60)

60- قَالَ بَعْضُ مَنْ سَمِعَ إِبْرَاهِيمَ يَتَعَرَّضُ لَهَا وَيُهْدَدُ بِكَسْرِهَا: سَمِعْنَا شَابًّا يَعِيبُهَا يُقَالُ لَهُ
إِبْرَاهِيمُ.

{ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ } (الأنبياء : 61)

61- قَالُوا: فَأَحْضِرُوهُ لِنَرَاهُ النَّاسُ كُلَّهُمْ وَيَشْهَدُوا مَا نُوَقِّعُ بِهِ مِنْ عِقَابٍ.

{ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ } (الأنبياء : 62)

62- فلما اجتمع الناس - وكان هذا مقصود خليل الله إبراهيم عليه السلام - قالوا له: أنت الذي حطمت آلهتنا وكسرتها هكذا يا إبراهيم؟

{ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ } (الأنبياء : 63)

63- قال لهم عليه السلام: بل الذي كسرها هو هذا الصنم الكبير - الذي تركه ولم يكسره - فاسألوهم إذا كان بالإمكان أن ينطقوا ويدلوكم عليه.

{ فَرَجِعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّا كُنَّا الظَّالِمُونَ } (الأنبياء : 64)

64- فارجعوا بهذا الجواب، بل أفحموا ولم يعرفوا كيف يردون عليه. وعندما تدبروا أن قوله حق، وأن هذه الآلهة المزعومة ما هي سوى أحجار صماء لا قدرة لها على الحركة والكلام، ولا الدفاع عن نفسها، قالوا فيما بينهم: بل أنتم المخطئون بعبادة من لا يتكلم ولا يفهم، ولا يضُر ولا ينفع.

{ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ } (الأنبياء : 65)

65- ثم أتركوا رؤوسهم وهم في خيبة وحيرة، وقالوا في عناد الكافر ومنطق المهزوم: لقد علمت يا إبراهيم أن هذه الآلهة لا تتكلم، وأننا كنا نعبدُها مع علمنا بذلك!

{ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ } (الأنبياء : 66)

66- قال لهم عليه السلام: إذا كانت هذه الأحجار لا تنطق، ولا تستطيع الدفاع عن نفسها، فكيف تُسْمونها آلهة، وكيف تعبدونها من دون الله، وهي لا تنفعكم بشيء، ولا تضرُّكم بشيء؟!

{ أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (الأنبياء : 67)

67- تُبَّا لَكُمْ عَلَى إِضْرَارِكُمْ وَتَشْبِيْكُمْ بِالْبَاطِلِ، وَعِبَادَتِكُمْ لِهَذِهِ الْجَمَادَاتِ الَّتِي تَدْعُونَ
أُلُوْهِيَّتَهَا وَقَدْ صَنَعْتُمُوهَا بِأَيْدِيكُمْ، وَهِيَ غَيْرُ قَادِرَةٍ عَلَى نَفْعِكُمْ وَلَا الْإِضْرَارِ بِكُمْ، أَفَلَا
تَتَفَكَّرُونَ فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ ضَلَالٍ وَجَهْلِ، وَتَتَدَبَّرُونَ فِيمَنْ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ حَقًّا؟

{ قَالُوا حَرْقُوهُ وَانصُرُوا آلهتكم إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ } (الأنبياء : 68)

68- ولما انقطعَتْ حُجَّتُهُمْ، وَضَاقَتْ حَيْلَتُهُمْ، لَجُّوا إِلَى الظُّلْمِ وَالتَّعَسُّفِ، وَقَالُوا: أَحْرِقُوهُ
بِالنَّارِ، حَتَّى لَا يَجْرُوَ أَحَدٌ بَعْدَهُ أَنْ يَقُولَ مَقُولَتَهُ فِي آلهتِنَا، فانتقموا لها إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَنْصُرُوهَا
حَقًّا.

{ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ } (الأنبياء : 69)

69- وَعِنْدَمَا أَلْقُوهُ فِي النَّارِ، قُلْنَا لَهَا: يَا نَارُ لَا تُحْرِقِيهِ، بَلْ كُونِي لَهُ بَرْدًا وَسَلَامًا وَعَافِيَةً.

{ وَأَزَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ } (الأنبياء : 70)

70- وَأَزَادُوا أَنْ يَمْكُرُوا بِهِ فَيَحْرِقُوهُ لِيُطْفِئُوا بِذَلِكَ نَوْرَ الْحَقِّ، وَلَكِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي مَكَّرَ بِهِمْ
وَجَعَلَهُمْ خَائِبِينَ مَغْلُوبِينَ.

{ وَبِحَيْنَانِهِ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ } (الأنبياء : 71)

71- وَأُنْحِنَا إِبْرَاهِيمَ وَلُوطًا مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، وَأَمْرَانَهُمْ أَنْ يَقْصِدُوا بِلَادَ الشَّامِ الْمِيَارَكَةَ⁽⁸³⁾،
ففيها بُعِثَ أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ، وَانْتَشَرَتْ شَرَائِعُهُمْ فِي الْعَالَمِ.

{ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ } (الأنبياء : 72)

(83) وكانوا في العراق.

72- وَوَهَبْنَا لِإِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ اسْتِجَابَةً لِدُعَائِهِ، ثُمَّ حَفِيدَهُ يَعْقُوبَ، عَطِيَّةً، أَي زِيَادَةً عَمَّا سَأَلَ. وَجَمِيعُ هَؤُلَاءِ أَهْلُ خَيْرٍ وَصَلَاحٍ.

{ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } (الأنبياء : 73)

73- وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يُقْتَدَى بِهِمْ، يَهْتَدُونَ الْأُمَّةَ إِلَى الْحَقِّ وَالْعَدْلِ كَمَا أَمَرْنَاهُمْ وَعَلَّمْنَاهُمْ، وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِالشَّرَائِعِ الْمُنزَلَةِ عَلَيْهِمْ، ففِيهَا الْخَيْرُ وَالْفَلَاحُ، وَالْبِرُّ وَالصَّلَاحُ، مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ الْعِبَادِ، وَأَمَرْنَاهُمْ بِالْمُوَاطَّأَةِ عَلَى الصَّلَاةِ، وَإِعْطَاءِ الزَّكَاةِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَكَانُوا مُخْلِصِينَ فِي عِبَادَتِنَا، صَادِقِينَ فِي طَاعَتِنَا.

{ وَلَوْطًا أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِذْ هُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَاسِقِينَ } (الأنبياء : 74)

74- وَأَنْعَمْنَا عَلَى عَبْدِنَا لُوطٍ، فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ نَبِيًّا، وَأَتَيْنَاهُ الْعِلْمَ الَّذِي يُنَاسِبُ مَقَامَ النَّبُوءَةِ، فَخَالَفَهُ قَوْمُهُ وَكذَّبُوهُ، فَأَجَجِينَاهُ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْمُنْكَرَاتِ وَالْفَوَاحِشَ، وَأَشْنَعُهَا فِعْلُ اللَّوْطِ، إِذْ هُمْ كَانُوا قَوْمًا عَاصِينَ خَارِجِينَ عَنِ الطَّاعَةِ، مُكذِّبِينَ نَبِيِّهِمْ.

{ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ } (الأنبياء : 75)

75- وَجَعَلْنَاهُ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ رَحِمْنَاهُمْ مِنْ عِبَادِنَا، إِنَّهُ مِنَ الْمُطِيعِينَ لِرَبِّهِمْ، الْمُفْلِحِينَ فِي عَمَلِهِمْ، الْفَائِزِينَ فِي آخِرَتِهِمْ.

{ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ } (الأنبياء : 76)

76- وَادْكُرْ عَبْدَنَا وَرَسُولَنَا نُوحًا، إِذْ دَعَا رَبَّهُ قَبْلَ الْأَنْبِيَاءِ الْمَذْكُورِينَ، لِيُخَلِّصَهُ مِنْ أذى قَوْمِهِ الْكَافِرِينَ، فَاسْتَجَبْنَا دُعَاؤَهُ، وَأَجَجِينَاهُ وَأَهْلَهُ الْمُؤْمِنِينَ، مِنَ الْعَمِّ الشَّدِيدِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ.

وقد أقامَ فيهِم ألفاً إلاّ خمسينَ عاماً وهم يُكذِّبونَه. وكانوا في بلادِ العِراق!

{ وَنَصَرْنَا مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَعْرِفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ } (الأنبياء : 77)

77- وحَمِينَاهُ وَمَنَعَاهُ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمُعْجِزَاتِنَا، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَيِّئِينَ مُنْهَمِكِينَ فِي الْفَوَاحِشِ، مُلَازِمِينَ لِلْكَفْرِ، فَأَهْلَكْنَاهُمْ جَمِيعًا بِالطُّوفَانِ.

{ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتِمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ } (الأنبياء : 78)

78- واذكُرْ خَبَرَ رَسُولِنَا دَاوُدَ وَابْنِهِ سُلَيْمَانَ، إِذْ طَلَبَ مِنْهُمَا الْحُكْمَ فِي زَرْعٍ أَوْ شَجَرٍ عَنَبٍ رَعَتْ فِيهِ الْأَغْنَامُ لَيْلًا مِنْ غَيْرِ رَاعٍ لَهَا، فَأَفْسَدَتْهُ، وَكَانَ قَضَاؤُهُمَا بَعْلِمِنَا وَبِمَرَأَى مَنَّا.

{ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمَآ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطُّيُورَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ } (الأنبياء : 79)

79- فَفَهَّمْنَا سُلَيْمَانَ الْقَضِيَّةَ أَوْ الْفُتْيَا فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ، وَقَدْ أَعْطَيْنَا كَلَّمَآ مِنْهُمَا النُّبُوَّةَ وَالْعِلْمَ الْكَثِيرَ.

ذُكِرَ أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَضَى لِلْمُتَضَرِّرِ بِالْغَنَمِ، وَقَضَى ابْنُهُ سُلَيْمَانُ بِأَنْ تُدْفَعَ الْغَنَمُ إِلَى صَاحِبِ الْأَرْضِ لِيَنْتَفِعَ بِدَرَّهَا وَصُوفِهَا، وَيُدْفَعَ الْحَرْثُ إِلَى صَاحِبِ الْغَنَمِ لِيَقُومَ عَلَيْهِ حَتَّى يَعُودَ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَتَرَادَا.

وَدَلَّلْنَا الْجِبَالَ وَالطُّيُورَ مَعَ النَّبِيِّ دَاوُدَ، فَكَانَتْ تُقَدِّسُ اللَّهُ مَعَهُ عِنْدَمَا يَقْرَأُ الزُّبُورَ، لِحُشُوعِهِ وَطِيبِ صَوْتِهِ بِتِلَاوَتِهِ، وَنَفَعَلُ ذَلِكَ مَعَهُ وَمَعَ أَمْثَالِهِ، بِفَضْلِنَا وَرَحْمَتِنَا.

{ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ } (الأنبياء : 80)

80- وعَلَّمَنَا دَاوُدَ صِنَاعَةَ الدُّرُوعِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَرَدَهَا حِلَقًا، لَتَقِيَكُم فِي الْحَرْبِ مِنْ ضَرْبَاتِ السُّيُوفِ وَغَيْرِهَا، فَهَلْ تَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ؟

{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ} (الأنبياء : 81)

81- وَسَخَّرْنَا الرِّيحَ لِلنَّبِيِّ سُلَيْمَانَ، فَكَانَ يَقَطَعُ بِهَا الْمَسَافَاتِ الْبَعِيدَةَ فِي وَقْتٍ يَسِيرٍ كَالْعَاصِفَةِ، وَتَجْرِي بِأَمْرِهِ وَتَأْخُذُهُ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ الْمُبَارَكَةِ، وَكُنَّا عَالِمِينَ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، مِمَّا يَلْزِمُهُ وَمَا يَوُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ.

{وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ} (الأنبياء : 82)

82- وَسَخَّرْنَا لَهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ فِي الْبِحَارِ وَيَسْتَخْرِجُونَ لَهُ اللَّالِئَ وَالْجَوَاهِرَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ النَّفَائِسِ، وَيَعْمَلُونَ لَهُ صَنَائِعَ كَثِيرَةً غَيْرَ الْغَوْصِ، مِنَ الْأُمُورِ الْغَرِيبَةِ وَالْعَجِيبَةِ، وَكُنَّا نَحْفَظُهُمْ مِنْ أَنْ يُفْسِدُوا أَوْ يُخْرِجُوا عَنْ أَمْرِهِ، أَوْ يَنَالُوهُ بِسُوءٍ.

{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} (الأنبياء : 83)

83- وَادُّكَّرَ عَبْدَنَا وَنَبِيَّنَا أَيُّوبَ، الَّذِي ابْتَلَيْنَاهُ بِمَرَضٍ شَدِيدٍ، فَتَضَرَّعَ إِلَى رَبِّهِ وَدَعَاهُ قَائِلًا: يَا رَبِّ، قَدْ أَصَابَنِي الضُّرُّ وَالْبَلَاءُ، فَكَشِفْ عَنِّي ذَلِكَ وَاشْفِنِي، وَأَنْتَ أَجَلُّ وَأَكْبَرُ مَنْ عُرِفَ بِالرَّحْمَةِ.

{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ} (الأنبياء : 84)

84- فَاسْتَجَبْنَا دُعَاؤَهُ، فَأَزَلْنَا مَا بِهِ مِنْ مَرَضٍ، وَأَعَدْنَا إِلَيْهِ أَهْلَهُ - بِأَنْ أَحْيَاهُمْ اللَّهُ لَهُ -، وَأَعَطَيْنَاهُ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ - فَوُلِدَ لَهُ ضِعْفُ مَا كَانَ -، نِعْمَةً وَهَبَةً لَهُ مِنْ عِنْدِنَا، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ

عِبْرَةً وَعِظَةً لَأَمْثَالِهِ الْمَبْتَلِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لِيَصْبِرُوا وَيُثَابُوا، وَلئِلاَّ يَظُنُّوا أَنَّ مَا يُصِيبُهُمْ هُوَ لَهُوَ هَاجِرٌ عَلَى اللَّهِ، فَقَدْ ابْتَلَيْنَا النَّبِيَّ أَيُّوبَ بِمَرَضٍ شَدِيدٍ، وَالْأَنْبِيَاءَ أَكْرَمَ النَّاسِ وَأَفْضَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ.

{ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ } (الأنبياء : 85)

85- واذكُرْ إِسْمَاعِيلَ، وَإِدْرِيسَ، وَذَا الْكِفْلِ. وَالْأَكْثَرُ أَنَّ الْأَخِيرَ نَبِيٌّ أَيْضًا، فَقَدْ ذُكِرَ ضِمْنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَكُلُّ هَؤُلَاءِ كَانُوا ثَابِتِينَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَعُهُودِهِمْ مَعَ اللَّهِ، أَقْوِيَاءَ فِي عَزَائِمِهِمْ، صَابِرِينَ عَلَى تَكَالِيفِ الدَّعْوَةِ وَالتَّبْلِيغِ.

{ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ } (الأنبياء : 86)

86- وَجَعَلْنَاهُمْ فِي جُمْلَةِ مَنْ رَحِمْنَاهُمْ مِنْ عِبَادِنَا، إِنَّهُمْ مِنَ الْمُطِيعِينَ لِرَبِّهِمْ، الْمُفْلِحِينَ فِي عَمَلِهِمْ، الْمُقْبُولِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ.

{ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } (الأنبياء : 87)

87- واذكُرْ عَبْدَنَا وَنَبِيَّنَا يُونُسَ بْنَ مَتَّى، صَاحِبَ الْحَوْتِ، الَّذِي دَعَا قَوْمَهُ فَأَبَوْا، فَوَعَدَهُم بِالْعَذَابِ، مُنْتَظِرًا أَنْ يَجْلَّ بِهَمِّهِمْ، ثُمَّ هَجَرَهُمْ وَهُوَ غَاضِبٌ عَلَيْهِمْ، قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُ بِالْهَجْرَةِ، وَقَدْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَقْضِيَ عَلَيْهِ بِعُقُوبَةٍ، وَلَنْ يُضَيِّقَ عَلَيْهِ، فَكَرَبَ الْبَحْرَ، وَابْتَلَعَهُ الْحَوْتُ، وَبَقِيَ فِي بَطْنِهِ وَلَمْ يَهْضَمْهُ، بِأَمْرِ اللَّهِ، فَدَعَا وَهُوَ فِي ظُلْمَةِ بَطْنِ الْحَوْتِ، وَظُلْمَةِ اللَّيْلِ، قَائِلًا: { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } : لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاكَ يَا رَبِّ، يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ، إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي بِهَجْرَتِي قَوْمِي دُونَ إِذْنِ وَأَمْرِ مِنْكَ، فَاعْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ.

{ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ } (الأنبياء : 88)

88- فَاسْتَجَبْنَا دُعَاءَهُ، وَقَبِلْنَا تَوْبَتَهُ، وَأَخْرَجْنَاهُ مِنْ بَطْنِ الْحَوْتِ، وَبَجَيْنَاهُ مِنْ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَكَذَلِكَ نَسْتَجِيبُ دُعَاءَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْكُرْبِ وَالشَّدَائِدِ إِذَا دَعَوْنَا وَاسْتَعَاثُوا بِنَا. وَخَاصَّةً بِدُعَاءِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَدْ صَحَّ فِي الْحَدِيثِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "دَعْوَةُ ذِي النُّونِ الَّتِي

دعا بها في بطن الحوت: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} لم يدعُ بها مُسلمٌ في كُرْبَةٍ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ". واللفظ للحاكم.

{وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ} (الأنبياء : 89)

89- واذكُرْ خَبَرَ عَبْدِنَا وَنَبِيَّنَا زَكَرِيَّا، الَّذِي كَبَّرَ فِي السَّنِّ، وَرَوْحُهُ عَاقِرٌ، فَلَمْ يُرْزَقْ بَوْلَدًا، فَدَعَا رَبَّهُ وَهُوَ غَيْرُ يَائِسٍ مِنْ رَحْمَتِهِ وَإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ: اللَّهُمَّ لَا تُبْقِنِي وَحِيدًا لَا وَارِثَ لِي، أَسْأَلُكَ أَنْ تَهَبَّنِي وَلَدًا يَكُونُ نَبِيًّا فِي النَّاسِ كَمَا كُنْتُ، وَأَنْتَ الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ الْخَلْقِ، وَأَفْضَلُ مَنْ بَقِيَ حَيًّا.

{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا

رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} (الأنبياء : 90)

90- فَاسْتَجَبْنَا لَهُ دُعَاؤَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ، بَعْدَ أَنْ أَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ فَجَعَلْنَاهَا وُلُودًا.

وَكَانَ الْأَنْبِيَاءُ الْمَذْكُورُونَ عَابِدِينَ صَالِحِينَ، يُسَارِعُونَ فِي عَمَلِ الطَّاعَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُرْبَاتِ، حُبًّا فِي اللَّهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنَ الثَّوَابِ، وَخَوْفًا وَرَهْبَةً مِنْ نِقْمَتِهِ وَعَذَابِهِ، وَكَانُوا مُتَضَرِّعِينَ إِلَى رَبِّهِمْ، مُؤْمِنِينَ مُخْبِتِينَ.

{وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} (الأنبياء

: 91)

91- واذكُرْ أَمْتَنَا مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، الَّتِي تَبَتَّلَتْ وَامْتَنَعَتْ عَنِ الزَّوْاجِ، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا مِنَ الْحَرَامِ، فَنفَخْنَا فِيهِ بِوَأَسْطَةِ جِبْرِيْلَ، وَجَعَلْنَا حَالَهَا مَعَ ابْنِهَا الْمَسِيحِ عِيسَى مُعْجِزَةً لِلنَّاسِ، فَحَمَلَتْ مِنْ دُونِ نِكَاحٍ، وَوُلِدَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ.

{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} (الأنبياء : 92)

92- إِنَّ دِينَكُمْ دِينٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ مِلَّةُ التَّوْحِيدِ وَالْإِسْلَامِ، وَأَنَا رَبُّكُمْ، خَالِقُكُمْ وَرَازِقُكُمْ، وَمُنزِلُ هَذَا الدِّينِ عَلَيْكُمْ، فَوَحِّدُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي.

{ وَتَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلًّا إِلَيْنَا رَاجِعُونَ } (الأنبياء : 93)

93- وَتَفَرَّقَتِ الْأُمَمُ فِي أَمْرِ دِينِ اللَّهِ وَاحْتَلَفُوا، وَصَارُوا فِرْقًا وَأَحْزَابًا، وَكَانُوا بَيْنَ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ، وَكُلُّهُمْ رَاجِعُونَ إِلَيْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيُجَازَى كُلُّ بِمَا عَمِلَ.

{ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ } (الأنبياء : 94)

94- فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ، الْمُوَافِقَةِ لِلشَّرِيعَةِ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِهَا، مُصَدِّقٌ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ مِنَ اللَّهِ، فَلَنْ يُجْرَمَ ثَوَابَ عَمَلِهِ، وَنَحْنُ حَافِظُونَ لَهُ سَعْيِهِ، وَمُثَبِّتُونَ كَلَّهُ فِي صَحِيفَةِ عَمَلِهِ، لَا يَضِيعُ مِنْهُ شَيْءٌ.

{ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ } (الأنبياء : 95)

95- وَمُتَنَعِّعٌ عَلَى أَهْلِ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهُمْ لِظُلْمِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ اللَّهِ أَنْ يَرْجِعُوا مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الدُّنْيَا، قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

{ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ } (الأنبياء : 96)

96- حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَ الْمَجَالُ لِحُرُوجِ قَبِيلَتِي يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِنْ وَرَاءِ سَدِّ ذِي الْقَرْنَيْنِ، إِذَا هُمْ مِنْ كُلِّ مُرْتَفَعٍ يُسْرِعُونَ، لِيَنْشُرُوا الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ. وَهَذَا مِنْ عِلَامَاتِ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى، وَيَكُونُ بَعْدَ مَقْتَلِ الدَّجَالِ.

{ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ } (الأنبياء : 97)

97- فَإِذَا حَصَلَتْ هَذِهِ الْأَهْوَالُ وَالْبَلَابِلُ، اقْتَرَبَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَعَدُّ اللَّهِ الْحَقُّ الَّذِي وَعَدَ بِهِ عِبَادَهُ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَإِذَا الْكُفَّارُ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُهُمْ لَا تَطَّرِفُ⁽⁸⁴⁾؛ لِشِدَّةِ مَا يَرَوْنَ مِنْ

(84) شَاخِصَةٌ أَبْصَارُهُمْ: أَجْفَأُهُمْ لَا تَطَّرِفُ. (مفردات الراغب).

يقال: شَخِصَ بصره فهو شَاخِصٌ: إِذَا فَتَحَ عَيْنِيهِ وَجَعَلَ لَا يَطَّرِفُ. وبصره: رَفَعَهُ. وَشَخِصَ شَخِصًا: ارْتَفَعَ. (روح البيان).

الأهوال والأمر العظام، ويقولون: يا هلاكنا ويا حسرتنا، لقد كُنَّا في الدنيا غافلين عن هذا الذي حصل لنا من الحساب والجزاء، بل كُنَّا مُعتدِّين، مُجانِبين الحق، عندما كذَّبنا بآيات الله ورُسُلِهِ، وعبَدنا ما لا يُعبَدُ.

{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} (الأنبياء : 98)

98- إِنَّكُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ الَّتِي كُنْتُمْ تَرْجُونَ شَفَاعَتَهَا، وَقُوْدُ جَهَنَّمَ، وَإِنَّكُمْ لَدَاخِلُونَ فِيهَا، وَلَسَوْفَ تُسَعَّرُ نَارُهَا بِكُمْ وَمِنْكُمْ.

{لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ} (الأنبياء : 99)

99- وَلَوْ كَانَتْ أَصْنَامُكُمْ هَذِهِ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا آلِهَةً حَقًّا، لَدَافَعَتْ عَنْ نَفْسِهَا وَلَمْ تَدْخُلِ النَّارَ. وَكُلُّكُمْ مَا كُنْتُمْ فِيهَا أَبَدًا، أَنْتُمْ وَأَصْنَامُكُمْ.

{لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ} (الأنبياء : 100)

100- لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ زَفِيرٌ شَدِيدٌ، مِنَ الْعَمِّ وَالْأَلَمِ الْفَظِيعِ، وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ؛ لِشِدَّةِ الْكَرْبِ وَالْبَلَاءِ وَالْعَذَابِ الَّتِي يُصِيبُهُمْ.

{إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} (الأنبياء : 101)

101- أَمَّا الَّذِينَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُمُ السَّعَادَةَ، وَكَانُوا عَلَىٰ إِيمَانٍ وَصَلَاحٍ، فَأُولَٰئِكَ مُبْعَدُونَ مِنَ النَّارِ.

{لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَتَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ} (الأنبياء : 102)

102- لَا يَسْمَعُونَ صَوْتَهَا وَأَجِيحَ حَرِيقِهَا، وَهُمْ بِأَقْوَانِ الدَّوَامِ فِيهَا يَشْتَهُونَ مِنَ النَّعِيمِ.

الشخص: إحدادُ البصرِ دونَ تحرك، كما يقعُ للمبهوتين. (التحرير).

{ لَا يَجْزِيهِمْ الْفَرْخُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } (الأنبياء : 103)

103- ولا يَهُمُّهُمْ ولا يَعْمَهُمْ يَوْمَ الْهَوْلِ الْأَكْبَرِ، لَأَنْهُمْ يُعْطَوْنَ الْأَمَانَ بِأَنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَتَسْتَقْبِلُهُمْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَتُبَشِّرُهُمْ بِذَلِكَ، وَتَقُولُ لَهُمْ: هَذَا يَوْمُ الثَّوَابِ الَّذِي تُجْزَوْنَ بِهِ، وَهَذَا يَوْمُ سُورِكُمْ الَّذِي وَعِدْتُمْ بِهِ.

{ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ } (الأنبياء : 104)

104- في يَوْمِ الْقِيَامَةِ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ الصَّحِيفَةِ لِمَا كُتِبَ فِيهَا⁽⁸⁵⁾، وَكَمَا بَدَأْنَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي بَطْنِ أُمَّهَاتِهِمْ، حُفَاءً غُرْلًا (غَيْرَ مَحْتُونِينَ)، فَسَنُعِيدُ خَلْقَهُ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْبَعْثِ كَذَلِكَ، وَعَدَّا عَلَيْنا أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ، لَا مَحَالَةَ.

وفي الحديثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللهِ غُرَاءَ غُرْلًا. ثُمَّ قَالَ: { كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ }".

{ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } (الأنبياء : 105)

105- وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا فِي الْكِتَابِ السَّمَاوِيَّةِ، بَعْدَ كِتَابَتِهِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، أَنَّ أَرْضَ الْجَنَّةِ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحِينَ الْمُتَّقِينَ⁽⁸⁶⁾.

(85) في إضافة السجل إلى الكتاب قال الألوسي رحمه الله: أي كطي السجل كائنًا للكتاب، أو الكائن للكتاب، فإن الكتاب عبارة عن الصحف وما كتب فيها، فسجلها بعض أجزاءها، وبه يتعلق الطي حقيقة. (روح المعاني). ويفهم من كلامه رحمه الله أن المقصود مجموعة أوراق أو صفحات من الكتاب. ويكون معنى الكتاب عنده الكتاب العادي الذي نعرفه، يعني جنس الكتاب، أعني هيئته وشكله، بغض النظر عن مصدره أو محتواه. (الكتاب في كتاب الله تعالى / محمد خير يوسف).

(86) ذهب كثير من أهل التفسير إلى أن المقصود بالأرض هنا أرض الجنة، لكن قال الشوكاني رحمه الله: "الظاهر أن هذا تبشير لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بوراثة أرض الكافرين، وعليه أكثر المفسرين". (فتح القدير).

{ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ } (الأنبياء : 106)

106- إِنَّ فِيهَا ذِكْرٌ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، أَوْ فِي الْقُرْآنِ، مِنَ الْأَخْبَارِ، وَالْمَوَاعِظِ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ، وَالآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، كِفَايَةً لِمَنْ آثَرَ الْعِبَادَةَ وَالطَّاعَةَ عَلَى الْعِصْيَانِ.

{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } (الأنبياء : 107)

107- وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلنَّاسِ كُلِّهِمْ، بِمَا أُرْسِلْتَ بِهِ مِنْ شَرِيعَةٍ عَامَّةٍ، فِيهَا الْعَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ، وَالْأَحْكَامُ الْعَادِلَةُ، وَالذَّعْوَةُ إِلَى السُّلُوكِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّتِي تُوَدِّي إِلَى السَّعَادَةِ وَالْأَمَانِ فِي الدَّارَيْنِ.

{ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } (الأنبياء : 108)

108- قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ أَيُّهَا الرَّسُولُ: إِنَّ الَّذِي يُوحَىٰ إِلَيَّ وَأُبَلِّغُكُمْ إِيَّاهُ وَأَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْتَسْلِمُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ، مُنْقَادُونَ لِحُكْمِهِ كَمَا أُوحِيَ إِلَيَّ؟

{ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِن أُدْرِيَ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ } (الأنبياء :

109)

109- فَإِذَا أَبَوَا، وَتَرَكُوا مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَقُلْ لَهُمْ: قَدْ أَعْلَمْتُكُمْ مَا أُمِرْتُ بِهِ، وَحَدَّرْتُكُمْ مِنَ التَّمَادِي فِي الْكُفْرِ، وَالتَّكْذِيبِ بِالرَّسَالَةِ، وَأَنَا بَرِيءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ، وَحَرْبٌ عَلَيْكُمْ، وَأَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِنِّي، فَنَحْنُ سَوَاءٌ فِي الْإِعْلَامِ بِذَلِكَ، وَلَا أُدْرِي مَتَى يَكُونُ نَصْرُ اللَّهِ وَغَلْبَةُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْكُمْ، أَهوَ قَرِيبٌ زَمَانُهُ أَمْ بَعِيدٌ.

{ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ } (الأنبياء : 110)

110- والله عالم بما تعملون، من الكيد للإسلام، وتكذيب رسوله، وعيب أهله، يعلم ما تُظهِرُونَهُ مِنْ أَقْوَالٍ وَإِنْ كَثُرَتْ، فَلَا يَشْعَلُهُ سَمْعُ كَلَامٍ عَنْ سَمْعٍ آخَرَ، وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ فِي صُدُورِكُمْ مِنْ أَسْرَارٍ وَإِنْ دَقَّتْ.

{ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ } (الأنبياء : 111)

111- ، ولا أدري، فلعل تأخير العذاب عنكم امتحان لكم، لينظر كيف تعملون، وانتظار بكم إلى أجل مُسمًى لحكمة في ذلك، الله أعلم بها.

{ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ } (الأنبياء : 112)

112- وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: اللهم أفض بيننا وبين المشركين بحُكْمِكَ الْحَقِّ، وَرَبُّنَا ذُو رَحْمَةٍ كَبِيرَةٍ بِعِبَادِهِ، وَالْعَوْنُ وَالنَّصْرُ مِنَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ.

وقد ذكر مُفسِّرون أنَّه دُعَاءٌ بِالْعَذَابِ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهم عُوِقِبُوا يَوْمَ بَدْرٍ.

سورة الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ } (الحج : 1)

1- أَيُّهَا النَّاسُ، أَطِيعُوا رَبَّكُمْ واحذروا عقابه، وتجنّبوا كلّ ما نهاكم عنه، وخاصّةً الشّرك، فإنّ زلزالَةَ القيامةِ أمرٌ عظيمٌ هائل، وفيه من الشّدائدِ والأهوالِ ما لا يُتصوّر.

{ يَوْمَ تَرُؤُهَا تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ

سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ } (الحج : 2)

2- في ذلك اليوم العَصيبِ الذي ترون فيه الزلزالَةَ، تَنشغلُ كُلُّ أُمٍّ مُرضِعَةٍ عن وليدها الصّغيرِ الذي لا يزالُ يرضعُ ثديها، فتدّهلُ عنه وتنساهُ وهي أكثرُ النَّاسِ شَفَقَةً عليه، لِشِدَّةِ هَوْلِ ذلكَ اليومِ، وتلكَ الزلزالَةُ العَظيمةُ. وتلقِي كُلُّ حَامِلٍ جَينِها قَبْلَ تَمَامِها، مِنَ الخَوْفِ والفَزَعِ وشِدَّةِ الكَرْبِ. وترى النَّاسَ كالسُّكَارَى وكأَنَّهُم غائبونَ عن الوَعْيِ، وهُم ليسوا سُكَارَى حَقِيقَةً، ولكنَّ شِدَّةَ عَذَابِ اللَّهِ، وهَوْلَ ما هُم فيه، أدَهَشَتْ عُقولَهُم، فَمَنْ رَأَهُم ظَنَّهُم سُكَارَى.

{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ } (الحج : 3)

3- وَمِنَ النَّاسِ مَن يُخاصِمُ ويُجادِلُ في شأنِ اللَّهِ وقُدْرَتِهِ على البعثِ مِن غيرِ عِلْمٍ ولا بُرْهانٍ صَحيحٍ، ويقولُ ما لا خَيْرَ فيه مِنَ الأباطيلِ، ويُنكِرُ ما هوَ حَقٌّ وصَوابٌ، وَيَتَّبِعُ بذلكَ كُلَّ شَيْطانٍ مارِدٍ على الحَقِّ، مُتَمادٍ في الشَّرِّ، مُتجرِّدٍ مِن كُلِّ خَيْرٍ وفَضيلةٍ، مِنَ الجِنِّ والإنسِ، مِن مثلِ رؤوسِ الكُفْرِ وأهلِ الضَّلالةِ، الناشرينَ للفسادِ في كُلِّ عَصْرٍ.

{ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ } (الحج : 4)

4- قُضِيَ عَلَى الشَّيْطَانِ أَنْ مَنِ اتَّبَعَهُ وَقَلَّدَهُ، فَسَوْفَ يُضِلُّهُ فِي الدُّنْيَا وَيُغْوِيهِ، وَيَقْوُدُهُ فِي الآخِرَةِ إِلَى عَذَابِ النَّارِ، وَبُئْسَ الْمَصِيرُ.

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَقَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرْدُّ إِلَىٰ أَوَّلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَّهِيحٍ (الحج : 5)

5- أَيُّهَا الْمُنْكَرُونَ لِلْمَعَادِ، إِذَا كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى بَعْثِ النَّاسِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، فَإِنَّ هُنَاكَ أَدِلَّةً مُّشَاهِدَةً تُبَيِّنُ قُدْرَتَهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ ذَلِكَ. فَقَدْ خَلَقْنَا أَصْلَكُمْ مِنْ تُرَابٍ. وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْعُنَاصِرَ الَّتِي تَدْخُلُ فِي تَرْكِيْبِ جَسْمِ الْإِنْسَانِ هِيَ الْعُنَاصِرُ نَفْسُهَا الَّتِي تَكُونُ فِي الطَّيْنِ وَالتُّرَابِ، مَعَ اخْتِلَافِ النَّسَبِ، وَهِيَ (22) عُنْصُرًا.

ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَكُمْ مِنْ نُطْفَةٍ، وَهِيَ الْمَنِيُّ، لِلْمَرَأَةِ وَالرَّجُلِ، الَّذِي يَحْمِلُ مَلَائِينَ الْحَيَوَانَاتِ الْمِنَوِيَّةِ. فَإِذَا اسْتَقَرَّ الْمَنِيُّ فِي رَحِمِ الْمَرَأَةِ وَبَقِيَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا تَحَوَّلَ إِلَى عَلَقَةٍ، وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ الدَّمِ الْعَلِيظِ الْمَتَجَمِّدِ، الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِجِدَارِ الرَّحِمِ وَيَعِيشُ عَلَى امْتِصَاصِ دَمِ الْأُمِّ.

ثُمَّ تَتَحَوَّلُ إِلَى مُضْغَةٍ تُشْبِهُ قِطْعَةَ لَحْمٍ مَمْضُوعٍ، وَهِيَ تَتَأَلَّفُ مِنْ جُزْءِ مُخَلَّقٍ مُصَوَّرٍ تَعْرِفُهُ إِذَا أُخْرِجَ لَكَ مِنْ دَاخِلِهَا أَنَّهُ بَشَرٌ سَوِيٌّ، وَمِنْ قُرْصٍ لَحْمِيٍّ لَيْسَ عَلَيْهِ تَصْوِيرٌ وَلَا تَخَلُّقٌ وَلَا أَعْضَاءٌ، هُوَ الْمَشِيمَةُ، وَهِيَ مُرْتَبَطَانِ مَعًا، يُشَكِّلَانِ دَاخِلَ الرَّحِمِ وَحَدَّةً لَا تَنْقَصِمُ، وَإِلَّا مَاتَ الْجَنِينُ وَانْتَهَى الْحَمْلُ... إِنَّهَا مُضْغَةٌ وَاحِدَةٌ مُخَلَّقَةٌ وَغَيْرُ مُخَلَّقَةٍ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ.

وَنَوْضَحُ لَكُمْ ذَلِكَ لِتَذْكُرُوا دَقَائِقَ خَلْقِ اللَّهِ، وَعَظِيمَ قُدْرَتِهِ وَإِبْدَاعِهِ فِي إِنْشَاءِ خَلْقِهِ وَأَطْوَارِ خَلْقِهِمْ، وَبُقْيَ فِي أَرْحَامِ الْأُمَّهَاتِ مَا نَشَاءُ أَنْ نُبْقِيَهُ حَتَّى يَضَعْنَهُ. فَإِذَا لَمْ نَشَأْ ذَلِكَ أَسْقَطْنَاهُ قَبْلَ إِتْمَامِ مَوْعِدِ الْحَمْلِ.

ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ طِفْلاً لَا حِيلَةَ لَهُ.

ثُمَّ تَكْبَرُونَ وَتَقْوَى أَجْسَامِكُمْ وَتَكْتَمِلُ حَوَاشِكُمْ، وَمِنْكُمْ مَنْ يَمُوتُ قَبْلَ أَنْ يَشْتَدَّ عُودُهُ، وَمِنْكُمْ مَنْ يَكْبُرُ حَتَّى يَصِيرَ شَيْخًا هَرِمًا، فَيَضَعُفُ عَقْلُهُ وَقُوَّتُهُ حَتَّى لَا يَعْلَمَ شَيْئًا بَعْدَ عِلْمٍ كَثِيرٍ وَخَبْرَةٍ وَمِرَاسٍ!

فهذا كُلُّهُ مِنْ تَدْبِيرِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ.

وترى الأرضَ يابسةً قاحلةً لا نباتَ فيها ولا شجرًا، فإذا أنزلنا المطرَ وسقيتَ به، تحركَ نباتُها وانبعثتَ فيها الحياةُ وانتفختَ وارتفعتَ، وأخرجتَ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ حَسَنٍ ما يُوحى بالحياةِ والحركةِ ويسرُّ الناظرينَ.

{ ذَلِكِ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (الحج : 6)

6- وهذا كُلُّهُ دَلِيلٌ عَلَى الْإِلَهِ الْحَقِّ، الْخَالِقِ الْمَدْبُرِ الْمَبْدِعِ، وَأَنَّهُ سَيُحْيِي الْمَوْتَى يَوْمَ الْبَعْثِ كَمَا خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَكَمَا أَحْيَا الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يُرِيدُهُ.

{ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ } (الحج : 7)

7- وَأَنَّ قِيَامَ السَّاعَةِ وَبَعَثَ النَّاسِ لِلْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ آتٍ بِلَا شَكٍّ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ جَمِيعَ الْمَوْتَى فِي الْقُبُورِ.

{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ } (الحج : 8)

8- وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ وَيُخَاصِمُ فِي شَأْنِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ بِغَيْرِ عِلْمٍ صَحِيحٍ وَمَعْرِفَةٍ مَقْبُولَةٍ، وَلَا اسْتِنَادٍ إِلَى وَحْيٍ أَوْ مَصْدَرٍ فِيهِ حُجَّةٌ وَبُرْهَانٌ، بَلْ هُوَ مُجَرَّدُ رَأْيٍ وَهَوَى. فَهُوَ مُعَانِدٌ لِلْحَقِّ، جَاهِلٌ مُقَلِّدٌ.

{ ثَابِتِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ }

(الحج : 9)

9- وَهُوَ يَمِيلُ بِجَانِبِهِ وَيَشْمَخُ بِأَنْفِهِ تَكْبُرًا وَإِعْرَاضًا عَنِ الْحَقِّ، لِيُزَيِّغَ النَّاسَ وَيَصْرِفَهُمْ عَنِ دِينِ اللَّهِ، فَهَذَا لَهُ الذُّلُّ وَالْهَوَانُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ نُصْلِيهِ عَذَابَ النَّارِ الْمَحْرَقِ.

{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} (الحج : 10)

10- هذا ما جنته يداك من المعاصي والعناد على الكفر، أيها المخاصم العنيد، المتكبر على الحق، والله لا يظلم عباده، فلا يعاقبهم بدون ذنب، وإذا عاقبهم فلا يريد في عقوبتهم أكثر مما يستحقونه.

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَاسِرٌ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} (الحج : 11)

11- ومن الناس من هو متذبذب، يعبد الله على شك أو طرف من الدين لا يثبت عليه، فإذا استفاد مالا وولدا في الدين استقر عليه ورضيه، وإذا اعتراه مكروه فيهما تركه ورجع كافرا، فضيع بذلك الدنيا والآخرة، وتلك هي الخسارة البيّنة. أي أن نظرته إلى الحق كانت لمصلحة دنيوية، وليست لقناعة ذاتية.

{يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نُنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ} (الحج : 12)

12- يترك عبادة الله، خالقه ورازقه، ويعبد الأصنام، التي لا تضره إذا لم يعبدها، ولا تنفعه إذا عبدها، وهذا هو الضلال، البعيد عن الحق والرشاد.

{يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ} (الحج : 13)

13- وضرره من عبادتها في الدنيا (بالخزي والدل) قبل الآخرة (بتوقع الشفاعة له)، أقرب من نفعها له فيها. وهو أسلوب بلاغي يعني أنه لا نفع فيها ألبتة، أو يقال: إن نفع بتخيله، فيكون ضرره أقرب من نفعه. أما الضرر الذي يقع عليه منها في الآخرة، فمحقق ومتيقن. فبئس هذا الذي يتخذ وليا وناصرًا، وبئس الذي يعاشر ويخالط.

{إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} (الحج : 14)

14- إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ، الَّذِينَ يُتَّبِعُونَ إِيْمَانَهُمْ بِالْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ، جَنَّاتٍ عَالِيَاتٍ، تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا. وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، فَيُعَاقِبُ الْكَافِرِينَ لِكُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَيُثِيبُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ.

{ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ } (الحج : 15)

15- مَنْ كَانَ يَظُنُّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَنْصُرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلْيَمْتُمْ غِيظًا، لِيَرْبِطَ حَبَلًا بِسَقْفِ بَيْتِهِ وَيَمُدَّهُ ثُمَّ يَخْنُقْ بِهِ نَفْسَهُ، فَلْيَنْظُرْ: هَلْ يَشْفِي صَنِيعُهُ هَذَا مَا يَجِدُ فِي صَدْرِهِ مِنَ الْكَمَدِ وَالْغَيْظِ؟! وَهُوَ تَهَكُّمٌ بِهِ، أَوْ زِيَادَةٌ فِي غَيْظِهِ، وَلَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ شَيْئًا، وَلَنْ يُؤَخَّرَ مِنْ نَصْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاللَّهُ نَاصِرُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

{ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ } (الحج : 16)

16- وبمثل هذا البيان والحكم البالغة أنزلنا القرآن، الذي يتضمّن آيات واضحة بليغة، والله يهدي من يشاء من عباده، ممن وجد عندهم استعدادًا وقبولاً للحق.

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } (الحج : 17)

17- إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْيَهُودَ، وَالصَّابِغَةَ: وَهُمْ قَوْمٌ أَهْلُ دِيَانَةِ الْعِرَاقِ، وَالنَّصَارَى، وَالْمَجُوسَ: عَبَدَةَ النَّارِ، وَالْمُشْرِكِينَ: عَبَدَةَ الْأَوْثَانِ، إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْحِسَابِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، فَيُعَاقِبُ مَنْ كَفَرَ بِالنَّارِ، وَيُثِيبُ مَنْ آمَنَ بِالْجَنَّةِ وَالرَّضْوَانِ، وَاللَّهُ مُرَاقِبٌ لِأَحْوَالِ النَّاسِ، شَاهِدٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا أَعْلَنُوا أَوْ أَسْرَوْا.

{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ } (الحج : 18)

18- وكلُّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ وَتَحْتَ سَيِّطَرَتِهِ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ يَسْجُدُ لِعَظَمَتِهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَّاتِ وَالْحَيَّاتِ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَالنُّجُومُ الْكَثِيرَةُ، وَالْجِبَالُ الْكَبِيرَةُ، وَالشَّجَرُ وَالنَّبَاتُ، وَكُلُّ مَنْ دَبَّ عَلَى الْأَرْضِ، فَهَذِهِ كُلُّهَا مُنْقَادَةٌ لِحُكْمِهِ تَعَالَى، خَاضِعَةٌ لِأَمْرِهِ، خَاشِعَةٌ، مُسَبِّحَةٌ لَهُ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ، يَسْجُدُ لَهُ طَوْعًا، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَجِبَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ بِسَبَبِ امْتِنَاعِهِمْ وَاسْتِكْبَارِهِمْ عَنِ السُّجُودِ لِرَبِّهِمْ.

وَمَنْ أَدَّلَهُ اللَّهُ وَكَتَبَ عَلَيْهِ الشَّقَاءَ، فَلَا يُكْرِمُهُ بِالسَّعَادَةِ أَحَدًا، وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُ الْهُوَانَ الَّذِي لِحَقِّهِ، وَلَا يُثَابُ بِثَوَابٍ حَسَنٍ، وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، فَيَكْرِمُ مَنْ شَاءَ، وَيُهِينُ مَنْ شَاءَ، بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ.

{ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ } (الحج : 19)

19- هَذَانِ فَرِيقَانِ اخْتَلَفَا وَتَخَاصَمَا فِي شَأْنِ اللَّهِ أَوْ دِينِهِ، بَيْنَ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ، فَالَّذِينَ كَفَرُوا أُعِدَّتْ أَوْ فُصِّلَتْ لَهُمْ مُقَطَّعَاتٌ مِنْ نَّارٍ عَلَى قَدْرِ أَجْسَادِهِمْ، لِيَلْبَسُوهَا إِذَا صَارُوا إِلَى النَّيرانِ، يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْمَاءُ الْحَارُّ الشَّدِيدُ الْحَرَارَةَ.

{ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ } (الحج : 20)

20- يُذَابُ بِهَذَا الْمَاءِ الْحَارِّ مَا فِي بُطُونِهِمْ مِنَ الْأَمْعَاءِ وَالْأَحْشَاءِ، وَكَذَلِكَ الْجُلُودُ، الَّتِي تُشَوَّى بِحَرِّ الْحَمِيمِ، فَتَسَاقَطُ.

وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، فَيَنْقُذُ الْحَمِيمَ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ، فَيَسْلِتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ."

{ وَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ } (الحج : 21)

21- وَهُمْ سِيَّاطٌ أَوْ مَطَارِقٌ مِنْ حَدِيدٍ، يُضْرَبُونَ بِهَا.

{ كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } (الحج : 22)
 22- كَلَّمَا حَاوَلُوا الْخُرُوجَ مِنْ جَهَنَّمَ - لِمَا يَلْحَقُهُمْ مِنْ غَمٍّ وَكَرْبٍ عَظِيمٍ مِنْ عَذَابِهَا -
 ضُربوا بالمقامع فأعيدوا من أعاليها إلى أسافلها، وقالت لهم الملائكة: ذوقوا هذا العذاب
 المحرق المهين، الذي كنتم به تُكذِّبون.

{ إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا
 مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ } (الحج : 23)
 23- والمؤمنون الصالحون، الذين صدقوا في إيمانهم، وأحسنوا في أعمالهم، يُدخِلهم الله
 جناتٍ عاليات، تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار، يُزَيَّنون فيها بأساورٍ من ذهب،
 ويؤتون لؤلؤًا صافيًا جميلًا، ويلبسون فيها الحرير، في مُقابلِ ثيابٍ من نارٍ للكافرين.

{ وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ } (الحج : 24)
 24- وهَدَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَوَفَّقَهُمْ إِلَى الْكَلَامِ الطَّيِّبِ الْمُبَارِكِ الَّذِي يُرِضِي رَبَّهُمْ، كَمَا هَدَاهُمْ
 إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، الَّتِي تَأْخُذُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً
 الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحِنَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ } (الحج : 25)
 25- إِنَّ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ زَادُوا فِي إِجْرَامِهِمْ، بَأَن فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ عَن دِينِهِمْ وَمَنَعُوهُمْ مِنْ إِيْتَانِ
 الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لِقَضَاءِ مَنَاسِكِهِمْ، وَقَدْ جَاؤُوا مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، بِدَعْوَى الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ هُمُ
 الْقَائِمُونَ عَلَيْهِ، الْمَسْؤُولُونَ عَنْهُ، وَقَدْ جَعَلَهُ اللهُ قِبْلَةً وَمُتَعَبِّدًا، لِلْمُقِيمِ وَالْبَعِيدِ سَوَاءً، وَمَنْ يُرِدْ
 بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ شَرًّا، وَيَنْوِي فِيهِ اقْتِرَافَ إِثْمٍ، أَوْ أَمْرٍ فَطَّيْعٍ مِنَ الْمَعَاصِي، بِعَزِيمَةٍ وَإِصْرَارٍ مِنْهُ،
 كَشْرِكٍ وَغَيْرِهِ، نُذِقْهُ عَذَابًا مُؤَلِّمًا كَبِيرًا.

{ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ
 وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } (الحج : 26)

26- واذكُرْ لَهُؤْلَاءِ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، أَنَّا أَنْزَلْنَا إِبْرَاهِيمَ مَكَانَ هَذَا الْبَيْتِ، وَأَرْشَدْنَاهُ إِلَيْهِ، وَأَذِنَّا لَهُ فِي بِنَائِهِ، وَأَمْرَانَهُ بِتَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ لَنَا فِيهِ، وَتَنْزِيهِ بَيْتِي الْحَرَامِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَقْدَارِ، لِمَنْ يَطُوفُ بِهِ، وَيَقُومُ بِالْعِبَادَةِ فِيهِ، فَيُصَلُّونَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، يَرْكَعُونَ لَهُ وَيَسْجُدُونَ، وَلَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا.

{وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} (الحج : 27)

27- وناذِرِ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا إِبْرَاهِيمَ، أَدْعُهُمْ إِلَيْهِ وَأْمُرْهُمْ بِهِ، يَأْتُوا الْبَيْتَ مُشَاءَةً، وَرُكْبَانًا عَلَى كُلِّ بَعِيرٍ مَهْزُولٍ، قَدْ جَهَدَهُ السَّيْرُ فَهَزَلَ مِنَ التَّعَبِ وَالْجُوعِ، وَهِيَ آتِيَةٌ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ بَعِيدَةٍ.

{لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} (الحج : 28)

28- لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ، ذُنُوبِيَّةً وَأُخْرُوبِيَّةً، مِنْ تِجَارَةٍ، وَعِبَادَةٍ. وَلِيَذْكُرُوا اللَّهَ فِي الْأَيَّامِ الْعَشْرِ الْمُبَارَكَاتِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، ذَاتِ الْفَضْلِ الْكَبِيرِ، وَلِيَشْكُرُوهُ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ، مِنَ الْهَدْيِ وَالْأَضَاحِي، وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ وَالْمَعْزُ، فَاذْبَحُوهَا يَوْمَ النَّحْرِ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا، وَكُلُوا مِنْ لُحُومِهَا، وَأَطْعِمُوا مِنْهَا الْمِضْطَرَّ الْفَقِيرَ.

{ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} (الحج : 29)

29- ثُمَّ لِيُؤَدُّوا نُسُكَهُمْ، وَيَحْلِقُوا شُعُورَهُمْ، وَيُقَلِّمُوا أَظْفَارَهُمْ، وَيَلْبَسُوا ثِيَابَهُمْ، وَلِيُوفُوا بِمَا نَدَرُوهُ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ فِي حَجَّتِهِمْ، مِنْ هَدْيٍ وَغَيْرِهِ، وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْقَدِيمِ -الذي هو أوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلْعِبَادَةِ - طَوَافَ الْإِفَاضَةِ، وَهُوَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْحَجِّ.

{ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ حَيْزٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} (الحج : 30)

30- ذلك ما أمركم الله به من أداء المناسك، ومن يعظم حُرْمَاتِ اللَّهِ، بعمل ما أمر به، والانتهاج عما هُي عنه، فهو خير له عند الله، فيثاب على ذلك يوم الحساب، ويكرم بدخول الجنة.

وأحل لكم لحم الأنعام⁽⁸⁷⁾، إلا ما يتلى عليكم، من قوله تعالى: { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لِعَظِيمِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ } [سورة المائدة: 3]. فاجتنبوا الأوثان القدرية، واجتنبوا قول الزور، فهي كذب وبُهتان، ومن الكبائر.

{ حُنْفَاءٌ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } (الحج : 31)

31- مائلين من كل دين منحرف إلى الدين الحق، مخلصين لله، غير مشركين به شيئاً من الأشياء، ومن يشرك بالله فقد ضلّ وتاه، وهو كأنما سقط من السماء، فتأخذه الطير بسرعة وتاكل لحمه، أو تسقطه الريح وتقذف به إلى مكان بعيد مهلك. فهذا مثال للمشرك الذي يسقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر، فتتقاذفه الأهواء المرديّة حتى تهلكه.

{ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ } (الحج : 32)

32- هذا، ومن يعظم أوامر الله، ويلتزم شرائع دينه، ومن ذلك الهدى والأصاحي، فإنه من أفعال المتقين الذين يخشون ربهم.

{ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ } (الحج : 33)

33- ولكم في هذه البدن (الإبل والبقر) منافع، من نسلها ولبنها وركوبها، إلى أن تجعلوها هدياً، فإذا سمئتموها بذلك فلا يُنتفع بها، إلا عند الضرورة. ثم إن انتهاءها إلى البيت الحرام، ويعني أرض الحرم، في متى، حيث وقت حلول نحرها ووجوبه⁽⁸⁸⁾.

(87) هي الإبل والبقر والغنم والمعز.

(88) المعنى: ثم بعد تلك المنافع، هذه المنفعة العظمى، وهي وقت حلول نحرها ووجوبه، حال كونها متهيئة إلى {البيت العتيق} أي: إلى الحرم، الذي هو في حكم البيت، فإن المراد به الحرم كله، كما في قوله تعالى: {فَلَا يَتْرُقُوا الْمَسْجِدَ

{ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ إِِلَهُةٌ
وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ } (الحج : 34)

34- وشرع الله لكل أهل دين أن يذبحوا له نسكهم على وجه التقرب، ليدكروا اسم الله عند ذبحها على ما رزقهم من هذه الأنعام⁽⁸⁹⁾، فمعبودكم واحد أيها الناس، وهو الله الواحد الأحد، وإن تنوعت شرائع الأنبياء، فأسلموا وجوهكم إليه، وأطيعوه، وأخلصوا له العبادة، ولا تشركوا به شيئاً، وبشر المؤمنين الخاشعين لله، الراضين بحكمه، بالثبوت الحسنى.

{ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمُ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } (الحج : 35)

35- الذين إذا ذكر الله عندهم خافت وحشعت له قلوبهم، والصابرين على ما أصابهم من البلاء والمحن والتكاليف، والمواظبين على الصلاة في أوقاتها، فلا يصرّفهم عنها شيء، والذين يُنفقون مما آتاهم الله في وجوه البرّ والإحسان.

{ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً
فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ } (الحج : 36)

36- والبُدن - وهي الإبل البدينة، وقد تُطلق على البقر أيضاً - جعلناها من شعائر الدين، فتهدى إلى بيت الله الحرام، وتذبح هناك، فهي من نسك الحج. ويكون لكم بذلك ثواب كبير، مع ما يُنتفع بها في الدنيا، فاذكروا اسم الله عليها عند ذبحها، وقولوا: "بسم الله والله أكبر"، وهي قائمة معقولة إحدى يديها، قد صفت رجلها وإحدى يديها. فإذا وقعت على الأرض مذبوحة، فكلوا منها، وأطعموا المتعفف عن السؤال، الراضي بما يُعطى، والمتعزّض لكم بالسؤال.

الحرام بعد عامهم هذا { [سورة التوبة: 28] أي: الحرم كله. فإن البيت وما حوله نُزّهت عن إراقة دماء الهدايا، وجعل مئى منحراً. (روح البيان).

(89) هي الإبل والبقر والغنم والمعز.

وبمثل هذا ذلّلناها لكم لنتنّفِعوا بها، على الرّغم من كبر حَجْمِها، فترَكبوها، وتَحَلُّبوها، وتَدَبَّحوها، لعلّكم بذلك تشكرون الله على نِعَمِهِ.

{لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ} (الحج : 37)

37- لَنْ يَصِلَ إِلَى اللَّهِ شَيْءٌ مِنْ لُحُومِ هَذِهِ الْهَدَايَا وَالْأَضْحَايِ الَّتِي تَتَصَدَّقُونَ بِهَا، وَلَا مِنْ دِمَائِهَا، وَلَنْ تَنْفَعَهُ شَيْئًا، وَلَكِنْ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ التَّقْوَى مِنْ قُلُوبِكُمْ، وَالْإِخْلَاصُ فِي مَا تَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَيْهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ، وَجَعَلَهَا طَائِعَةً مُنْقَادَةً، لِتُعَظِّمُوهُ، وَتَعْرِفُوا نِعَمَهُ عَلَيْكُمْ، وَمَا أَرْشَدَكُمْ لِمَعَالِمِ دِينِهِ وَمَنَاسِكِ حَجَّهِ، وَبَشِّرِ الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ، الْمِخْلِصِينَ لَهُ، بِمَا يُفْرِحُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ.

{إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} (الحج : 38)

38- إِنَّ اللَّهَ يَحْفَظُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ شَرَّ أَعْدَائِهِمُ الْمُشْرِكِينَ، وَيَنْصُرُهُمْ عَلَيْهِمْ، إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْخَائِنِينَ فِي عُهْدِهِمْ وَمَوَاقِفِهِمْ، الْجَاهِدِينَ لِنِعْمِهِ عَلَيْهِمْ.

{أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} (الحج : 39)

39- أَذِنَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَأُودُوا، وَإِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ، وَلَوْ بَدَّوْا ضَعْفَاءَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هِيَ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقِتَالِ.

{الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هُلْدِمَتِ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج : 40)

40- الَّذِينَ أَخْرَجَهُمُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ مَكَّةَ بِغَيْرِ إِسَاءَةٍ وَلَا ذَنْبٍ ارْتَكَبُوهُ، إِلَّا لِعِبَادَتِهِمُ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَهُوَ لَيْسَ بِذَنْبٍ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ كَبِيرٌ!

ولولا إذن الله للمؤمنين بقتال الكفار، وتشجيعهم على الجهاد، لأبادهم الكافرون وهدموا مساجدهم.

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، وصد شر بعضهم بآخرين، لفسدت الأرض، وأكل القوي الضعيف، وهذت معابد الرهبان، وبيوت العبادة للنصارى واليهود، ومساجد المسلمين، التي يذكر فيها اسم الله كثيراً.

ولينصرن الله من ينصر دينه ونبيه، والله قوي قادر على كل ما يريد، منيع في سلطانه، نافذ أمره، لا يقدر أحد على رده.

{ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } (الحج : 41)

41- الذين إن نصرناهم وآتيناهم الحكم والسلطان في الأرض، ثبتوا على دين الله، وحافظوا على حدوده، فأقاموا الصلاة في وقتها ولم يفرطوا فيها، وأعطوا الزكاة للفقراء والمحتاجين كما أمرهم الله، وأمروا بالخير والعدل والصلاح، ونهوا عن الشر والبغي والفساد. ومرجع كل أمر إلى حكم الله، ليجازي كلاً بما عمل.

{ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ } (الحج : 42)

42- وإن يكذبك هؤلاء المشركون، فقد كذب رسل من قبلك. فقد خالف قوم نوح نبيهم وكذبوه على مدى قرون. وهكذا كان موقف عاد من نبيهم هود، وموقف ثمود من صالح، عليهما السلام.

{ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِ لُوطٍ } (الحج : 43)

43- وقوم إبراهيم أصروا على عبادة الأصنام وكذبوا نبيهم حتى أوقدوا النيران ورموه فيها، وأنقذه الله. وقوم لوط أصروا على فاحشة اللواط وكذبوا نبيهم كذلك.

{ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ } (الحج : 44)

44- وكذا كان موقفُ أصحابِ مَدْيَنَ مِنْ نبيِّهم شُعَيْبٍ. وكذَّبَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ كَلِيمَ اللَّهِ مُوسَى.

وكلُّ هؤلاءِ الأنبياءِ كانوا مؤيِّدينَ بِالآيَاتِ والمعجزاتِ العظيمةِ، والدلائلِ البينةِ التي تُثبِتُ صِحَّةَ ما جاؤوا به مِنْ عِنْدِ رَبِّهم، ولكنَّ أقوامهم عاندوا واستكبروا، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ، فأمهلتُ الكافرينَ المكذِّبينَ وأخرتهم إلى أَجَلٍ مُسَمًّى، ثمَّ أهلكتهم بعدَ مُضيِّ وقتِ الإمهالِ، فكيفَ كانتِ عُقوبتي لهم؟ فاعتبروا يا كُفَّارَ مَكَّةَ.

{ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبُئِرَ مُعَطَّلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ } (الحج : 45)

45- وكم مِنْ قَرْيَةٍ دَمَرْنَاهَا عَلَى أَهْلِهَا لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا رُسُلَ اللَّهِ وَأَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ، فَأَعْمَدْتُمَا وَحِيطَاتُهَا سَاقِطَةً عَلَى سُقُوفِهَا. وكم مِنْ بئرٍ قَدْ نَضَبَ مَآؤُهَا وَغَارَ فِي الْأَرْضِ، بعدَ أَنْ كَانَتْ مَلِيئَةً تَنْضَحُ بِالْمَاءِ، يَنْتَفِعُ بِهَا أَهْلُهَا. وكم مِنْ قَصْرٍ كَانَتْ مُرْتَفَعًا حَصِينًا، مَلِيئًا بِالْحَرَكَةِ وَالْحَيَاةِ!

{ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } (الحج : 46)

46- أَفَلَا يَسِيرُونَ فِي الْأَرْضِ، وَيَقْرَءُونَ التَّارِيخَ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى الْآثَارِ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي أَحْوَالِ الْأُمَمِ وَالْحَضَارَاتِ، وَيَعْتَبِرُونَ مِنْ مَصَارِعِهِمْ، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْفَجَائِعِ وَالنِّقَمِ، فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ خَاشِعَةٌ تَفْقَهُ وَتَعْتَبِرُ، وَأَذَانٌ تَسْمَعُ وَتَعِي؟ وَلَيْسَتْ الْمَشْكَلَةُ فِي عُيُونِهِمْ الَّتِي يُبْصِرُونَ بِهَا، وَلَكِنَّهَا فِي بَصِيرَتِهِمْ الَّتِي عَمِيَتْ، وَقُلُوبِهِمْ الَّتِي انْغَلَقَتْ، فَلَا يَدْخُلُهَا نُورُ الْإِيمَانِ، وَلَا تَنْفُذُ إِلَيْهَا الْآيَاتُ وَالْعِبَرُ.

{ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ } (الحج : 47)

47- وَيَسْتَعْجِلْكَ كُفَّارُ مَكَّةَ بِالْعَذَابِ الَّذِي خَوَّفْتَهُمْ بِهِ، لِأَنَّهُمْ لَا يُصَدِّقُونَكَ، وَلَا يُؤْمِنُونَ
بِنَبِيِّكَ، فَيَسْتَهْزِئُونَ بِكَ، وَيَتَحَدَّوْنَكَ إِنْ أَتَيْتَهُمْ بِالْعَذَابِ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ إِنْ وَعَدَ
بِالانتِقَامِ مِنْ أَعْدَاءِ دِينِهِ. وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الانتِقَامِ فِي أَيِّ وَقْتٍ، وَلَكِنَّهُ لَا يُعَجِّلُ بِالْعُقُوبَةِ، فَهُوَ
يُحِبُّ لِعِبَادِهِ أَنْ يَهْتَدُوا، وَيُعْطِيَهُمْ فُرْصَةً كَافِيَةً وَمُنَاسِبَةً لِيَتَفَكَّرُوا وَيَتَّعِظُوا، وَهُوَ حَلِيمٌ صَبُورٌ،
يُمَهِّلُ الْكَافِرِينَ حَتَّىٰ لَوْ آذَوْا أَنْبِيَاءَهُ وَقَتَلُوا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، لَمَّا لَبَّىٰ لَهُمْ عُذْرٌ عِنْدَ اللَّهِ، إِذَا
أَهْلَكَهُمْ فِي الدُّنْيَا، أَوْ أَدخَلَهُمُ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
وَتَقْدِيرُ الزَّمَنِ عِنْدَ اللَّهِ غَيْرُ مَا هُوَ عِنْدَ الْبَشَرِ، فَالْيَوْمُ الْوَاحِدُ عِنْدَهُ بِمِقْدَارِ أَلْفِ سَنَةٍ عِنْدَكُمْ،
وَلِذَلِكَ فَهُوَ لَا يَسْتَعْجِلُ الْعُقُوبَةَ.

{ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ } (الحج : 48)

48- وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَنْظَرْتُ أَهْلَهَا وَأَمَهَّلْتُهُمْ، وَهُمْ ظَالِمُونَ، يُكذِّبُونَ رُسُلِي وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ،
ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ بِالْعَذَابِ بَعْدَ انْتِهَاءِ الْأَجَلِ الْمَضْرُوبِ لَهُمْ، وَإِلَيَّ مَرْجِعُ أَهْلِ الثُّرَى وَالنَّاسِ جَمِيعًا،
لِأَحْكَمِهِمْ أَوْ عَلَيْهِمْ، مِنْ خِلَالِ مَوَاقِفِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ.

{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ } (الحج : 49)

49- قُلْ لِلنَّاسِ أَيُّهَا الرَّسُولُ: إِنَّمَا أَنَا مُبَلِّغُ رِسَالَةِ اللَّهِ، وَمُنذِرٌ بَيِّنٌ فِيمَا أَنْذَرْتُ بِهِ، وَأَمْرُ الْعَذَابِ
إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَجَلُهُ لِلْعَاصِينَ مِنْكُمْ، وَإِنْ شَاءَ أَخَّرَهُ، أَوْ رَفَعَهُ عَنْهُمْ.

{ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } (الحج : 50)

50- فَمَنْ آمَنَ مِنْكُمْ وَعَمِلَ عَمَلًا حَسَنًا، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ مَا أَسْلَفَ مِنْ ذَنْبٍ، وَلَهُ عِنْدَهُ
رِزْقٌ كَرِيمٌ لَا يَنْقَطِعُ أَبَدًا.

{ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } (الحج : 51)

51- وَالَّذِينَ خَالَفُوا أَمْرَ نَبِيِّنَا، وَبَدَلُوا جُهْدَهُمْ لَصَرْفِ النَّاسِ عَنِ دِينِنَا، فَأُولَئِكَ قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ
نَارًا شَدِيدَةً لِيُعَذَّبُوا فِيهَا.

{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (الحج : 52)

52- ولم يُرسل قَبْلَكَ رَسُولاً ولا نَبِيًّا إِلَّا إِذَا قرأ شيئاً مِنَ الآياتِ ألقى الشَّيْطَانُ الشُّبُهَةَ والتَّخِيلَاتِ في قراءةِ ذلكِ النَّبِيِّ، ألقاها على أنصارِهِ وأوليائه مِنَ المشركينَ والمنافقينَ، ليُجادِلوهُ بالباطلِ، ويُرُدُّوا ما جاءَ بهِ مِنْ عندِ رَبِّهِ، فيبطلُ اللهُ ما يُنيرُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ شُبُهَةِ وأباطيلِ بتوفيقِ النَّبِيِّ للردِّ عليها، أو بإنزالِ آياتٍ أُخرى مِنَ القرآنِ تُردُّ عليها. ويأتي اللهُ بهذه الآياتِ مُحْكَمَةً مُثَبَّتَةً، لا تقبلُ الرَّدَّ والمعارضَةَ، ولا تَبقى هُنَاكَ شُبُهَةً في الوجهِ الصَّوابِ.

واللهُ عَلِيمٌ بما يفعَلُهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، حَكِيمٌ فيما يَحْكُمُ ويُدبِّرُ. ويوردُ هنا بعضُهُمْ قِصَّةَ الغرانيقِ المشهورةِ، وهي كَذِبٌ لم يَصحَّ منها شيءٌ.

{ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ } (الحج : 53)

53- وليَجْعَلَ اللهُ بما يُلقي الشَّيْطَانُ مِنْ هذه الأباطيلِ ابتلاءً واختياراً لِلَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ شكٌّ مِنَ المنافقينَ، والقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنَ المشركينَ المعاندينَ، وإِنَّهم لفي ضلالٍ مُبينَ، ومُخالِفَةٍ للحقِّ، وعداوةٍ ظاهرةٍ.

{ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (الحج : 54)

54- وليَعْلَمَ العُلَمَاءُ المُخْلِصُونَ الثابتونَ على الحقِّ، أَنَّ ما أوحينا إلى رَسُولنا وأثبتناه في القرآنِ، هو الحقُّ المُنزَلُ مِنْ رَبِّهِمْ، فيؤمنوا بِهِ ويصدِّقوه، فتسكُنُ لَهُ قُلُوبُهُمْ وتخشعَ لَهُ، وإنَّ اللهُ يُرشدُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ إلى نُورِ الحقِّ ويرزُقُهُم أَتباعه، ويُبصِّرُهُم بالباطلِ ويرزُقُهُم اجتنابه.

{وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ} (الحج : 55)

55- وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي شَكٍّ مِّنْ هَذَا الْقُرْآنِ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْقِيَامَةُ فَجَاءَهُ وَهُمْ فِي هَوٍّ وَعُرُورٍ، فَلَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ تَوْبَةٌ وَلَا عَمَلٌ، أَوْ يَأْتِيَهُمْ يَوْمٌ عَذَابُهَا، وَسَيَكُونُ يَوْمًا شَدِيدًا، لَا مَثِيلَ لَهُ، وَلَا يَوْمَ بَعْدَهُ.

{الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} (الحج : 56)

56- فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ الْأَمْرُ وَالسُّلْطَانُ كُلُّهُ لِلَّهِ بِلَا مُنَازَعٍ، فَلَا مُلْكَ يَوْمَئِذٍ لِأَحَدٍ سِوَاهُ، لَا حَقِيقَةً وَلَا بَحَازًا، وَيَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، فَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَخْلَصُوا فِي إِيْمَانِهِمْ، وَأَتَّبَعُوهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمُوَافِقِ لِلدِّينِ، فِي نَعِيمٍ مُّقِيمٍ بِالْجَنَّةِ.

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} (الحج : 57)

57- وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَانَدُوا وَأَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمُعْجَزَاتِنَا الْوَاضِحَاتِ، فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّؤَلِّمٌ قَاسٍ يُهَيِّنُهُمْ وَيُذَلِّمُهُمْ، مُتَقَابِلٍ اسْتِكْبَارِهِمْ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا.

{وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} (الحج : 58)

58- وَالَّذِينَ فَارَقُوا أَوْطَانَهُمْ، وَتَرَكَوا أَهْلِيَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَلَبِ رِضَاةِ اللَّهِ، وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِهِ نُصْرَةً لِدِينِهِ، فَقُتِلُوا، أَوْ مَاتُوا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ، فَقَدْ حَصَلَ لَهُمُ الْأَجْرُ وَالثَّوَابُ، وَسَيُجْرِي اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ رِزْقِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنَ النَّعْمِ الْكَثِيرَةِ مَا تَقَرَّرَ بِهِ عُيُوثُهُمْ، وَاللَّهُ خَيْرٌ مَنْ يُثِيبُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَخَيْرٌ مَنْ يَرْزُقُهُمْ وَيُنْعِمُ عَلَيْهِمْ، وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ.

{لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ} (الحج : 59)

59- سَيُذْخِلُهُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا، وَهُوَ الْجَنَّةُ، يَرْضَوْنَهَا وَيَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَيْهِ وَيَشْكُرُونَهُ عَلَى مَزِيدِ إِكْرَامِهِ، فِيهِ مَا تَشْتَهِيهِ أَنْفُسُهُمْ وَتَبْتَهِجُ لَهُ قُلُوبُهُمْ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ عَلِيمٌ بِجِحْرَتِهِمْ وَجِهَادِهِمْ وَمَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنْ ثَوَابٍ، حَلِيمٌ بِهِمْ، فَيَعْفُو عَنْهُمْ وَيَغْفِرُ لَهُمْ وَيُكْرِمُهُمْ.

{ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ }
(الحج : 60)

60- هذا، وَمَنْ عَاقَبَ الْجَانِي، فَأَخَذَ مِنْهُ حَقَّهُ بِمِثْلِ مَا جَنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى عُقُوبَتِهِ مَرَّةً أُخْرَى زِيَادَةً عَلَى حَقِّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصُرُهُ عَلَى مَنْ جَنَى عَلَيْهِ، وَيُمَكِّنُهُ مِنَ الْإِنْتِقَامِ مِنْهُ، وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ. وَاللَّهُ عَفُؤٌ، مُحِبٌّ لِلْعَفْوِ، فَأَحِبُّوا الْعَفْوَ مِثْلَهُ، غَفُورًا، يَتَجَاوَزُ عَنْ ذُنُوبِ النَّاسِ إِذَا رَأَى مِنْهُمْ تَوْبَةً وَنَدَمًا، فَاعْفُوا عَنْهُمْ أَنْتُمْ كَذَلِكَ وَاعْفِرُوا لَهُمْ، لِيُعَامِلَكُمُ اللَّهُ بِعَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ، كَمَا تَعَامَلْتُمْ بِذَلِكَ مَعَ عِبَادِهِ.

{ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } (الحج : 61)

61- وَاللَّهُ مَالِكُ الْمَلِكِ وَمُدَبِّرُ الْأَمْرِ كُلِّهِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَجْعَلُ الضُّيَاءَ فِي النَّهَارِ وَيُقَلِّلُ مِنْهُ حَتَّى يَدْخُلَ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ الْخَفِيفَةِ، ثُمَّ يَأْتِي الظَّلَامَ، وَتَخْفُ ظِلْمَتُهُ شَيْئًا فَشَيْئًا، حَتَّى يَدْخُلَ فِي نَوْرِ النَّهَارِ.

وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِأَقْوَالِ النَّاسِ، خَبِيرٌ بِهَا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، سَوَاءً جَهَرُوا بِهَا أَمْ أَسْرَوْا، فَلَيَتَّقُوا اللَّهَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، فَإِنَّهَا تُحْصَى عَلَيْهِمْ ثُمَّ تُوزَنُ. فَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الطَّبِيعَةِ، لَا تَخْتَلِفُ، وَاللَّهُ سُنَّانٌ فِي الْمَجْتَمَعِ كَذَلِكَ، فَلْيَحْذَرُوا وَلْيَعْتَبِرُوا.

{ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ }
(الحج : 62)

62- ذلك بأن الله هو الإله الحقّ، فلا يُعبَدُ إلا هو، وأن ما يعبدُهُ المشركونَ من الأصنام وغيرِها هو الباطل، فلا ألوهيةَ لها، فهي لا تخلُق، ولا تُضَرّ، ولا تنفع. وأن الله هو العليُّ على جميع الأشياء، فلا شيء أعلى منه، الكبيرُ الذي لا أعظم منه ولا أكبر، فكلُّ شيءٍ دونَه.

{ أَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ } (الحج : 63)

63- ألم تنظرُ أيُّها المبصرُ كيف أنزلَ اللهُ المطرَ من السحاب، فيُصبِبُ الأرضَ، ويختلطُ ببُذورِ النَّباتِ وجذورِ الشَّجرِ، فتصيرُ خَضراءَ، بعد أن كانتَ جرداءَ قاحلةً؟ واللهُ عالمٌ بحَقِيَّاتِ الأُمورِ، خبيرٌ بدقائقِها، ومنها مَصالِحُ العبادِ ومَقاديرُ المطرِ. وهو سبحانه قادرٌ على إعادةِ الحياةِ إلى الأمواتِ عندَ البعثِ، كما أعادَ الحياةَ إلى الأرضِ بإحياءِ النَّباتِ فيها.

{ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } (الحج : 64)

64- اللهُ مُلكُ السَّمَاوَاتِ والأرضِ، وله تديرُهُما والتصرُّفُ فيهما، وهو الغنيُّ الذي لا يحتاجُ إلى شيءٍ، وكلُّ شيءٍ يحتاجُ إليه، المحمودُ في جميعِ صِفَاتِهِ وأقوالِهِ وأفعالِهِ.

{ أَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ } (الحج : 65)

65- ألم تنظرُ وتنفكّرُ أيُّها العاقلُ كيف ذلَّلَ اللهُ لكم ما في الأرضِ لتستفَعوا بها وتقتضوا بها حوائجكم، من الدوابِّ والنَّباتِ والمعادينِ وغيرِها.

وهذه السُّفنُ بأنواعِها وأحجامِها تمخرُ عُبابَ البحارِ، بتسخيرِهِ وهَيئَتِهِ الميأةَ لذلك، بحسبِ ما يَضَعُ اللهُ فيها من نواميسَ وقوانينَ فيزيائيةٍ، فتطفو عليها، فتحمِلُكم وما ترغَبونَ من حاجاتِكُم لتنفُلكُم إلى ما وراءَ البحارِ.

ومن لُطفِهِ وقُدْرَتِهِ تَعَالَى إمساكُ السَّماءِ لئلاَّ تقعَ على الأرضِ، إلا إذا شاءَ ذلك، بما وضعَ فيها أيضًا من نواميسَ، وجعلها قوِيَّةً مُتماسكةً.

والله رؤوفٌ بعباده، رحيمٌ بهم، فأمن لهم الأرض التي يعيشون عليها حتى لا تسقط عليها
أجرامُ سماويةً فتُهلكهم، وسخر لهم ما فيها لأجل مصالحهم.

{ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ } (الحج : 66)

66- وكيف تكفرون بالله أو ت عبدون غيره، وهو الذي خلقكم ولم تكونوا شيئاً، ثم يميتكم
عندما تحين آجالكم، ثم يبعثكم من قبوركم للبعث والحساب. إن الإنسان جحودٌ بنعم الله
وآلائه، على الرّغم من ظهورها ووضوحها.

{ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُونَكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ

هُدًى مُّسْتَقِيمٍ } (الحج : 67)

67- لكل أمة من الأمم وضعنا شريعة خاصة بهم يعملون بها، فلا تتأثر بمنزعة المشركين
وأهل الملل لك، ولا يصرفنك ذلك عما أنت عليه من الحق، وادعهم وادع الناس جميعاً إلى
توحيد الله وعبادته، فإنك على طريق سوي لا اعوجاج فيه.

{ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ } (الحج : 68)

68- وإذا ناقشوك وخاصموك في أمر الدين وقد ظهرت الحجّة عليهم، فقل لهم على سبيل
الوعيد والتهديد: الله أعلم بما تخوضون فيه من العناد والبطلان.

{ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } (الحج : 69)

69- وفي يوم القيامة يقضي الله بينكم فيما كنتم تختلفون فيه، وستعرفون المحق من المبطل
حينئذ، وكلُّ يُجَازَى على ما عمل.

{ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

يَسِيرٌ } (الحج : 70)

70- أَمْ تَعْلَمُ وَتَتَفَكَّرُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْهُ أَقْوَالُ الْكَافِرِينَ وَأَعْمَالُهُمْ؟ وَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مُدَوَّنٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ عِنْدَ رَبِّكَ. وَعِلْمُ اللَّهِ بِجَمِيعِ ذَلِكَ سَهْلٌ عَلَيْهِ، فَلَا يَصْعَبُ عَلَيْهِ أَمْرٌ، وَلَا يَنْدُ عَنهُ شَيْءٌ.

{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} (الحج : 71)

71- وهؤلاء المشركون يعبدون الأصنام عن جهلٍ وُطْلانٍ، فلم يُنزلِ اللهُ بِجَوازِ عِبَادَتِهَا حُجَّةً وَدَلِيلًا، وَلَيْسَتْ هُنَاكَ ضَرُورَةٌ عَقْلِيَّةٌ لِعِبَادَتِهَا، وَإِنَّمَا اخْتَلَقُوا ذَلِكَ مِنْ عُقُولِهِمُ الْمَرِيضَةِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يُؤَافِقُهُمْ وَيُؤَيِّدُهُمْ عَلَى مَذْهَبِهِمْ هَذَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَا مَنْ يَنْصُرُهُمْ وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ.

{وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونُ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْبِيئِكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكُمُ النَّارِ وَعَدَّاهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (الحج : 72)

72- وَإِذَا قُرِئَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْوَاضِحَاتِ، الَّتِي فِيهَا دَعَوْتُهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنْ شِرْكِ وَضَلَالٍ، تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الْكَافِرِينَ الْكِرَاهَةَ وَالْإِنْكَارَ بِعُبُوسِهَا وَإِعْرَاضِهَا، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ صِحَّتِهَا وَقُوَّةِ حُجَّتِهَا، وَيَكَادُونَ أَنْ يَيْطِشُوا بِالَّذِينَ يَقْرَأُونَ عَلَيْهِمْ الْآيَاتِ مِنْ شِدَّةِ غَيْظِهِمْ.

قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ: أَفَأَحْبَبْتُمْ مَا يَغِيظُكُمْ أَكْثَرَ، وَمَا يَكُونُ وَبِأَلِهِ عَلَيْكُمْ أَعْظَمُ؟ نَارُ جَهَنَّمَ، الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ، وَبِئْسَ هَذَا الْمَنْزِلُ الَّذِي تَصِيرُونَ إِلَيْهِ، وَتَذُوقُونَ فِيهِ أَشَدَّ الْعَذَابِ.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ} (الحج : 73)

73- أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا فِي حَقَارَةِ الْأَصْنَامِ وَسَخَافَةِ عُقُولِ عَابِدِيهَا، حَقِيقٌ بِأَنَّ تَسْتَمِعُوا إِلَيْهِ وَتَتَفَكَّرُوا فِيهِ. إِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ الَّتِي تَدْعُونَ أَنَّهَا آلِهَةٌ وَتَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا، وَلَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ أَصْنَامِ الْأَرْضِ عَلَى ذَلِكَ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الذُّبَابَ حَشْرَةٌ صَغِيرَةٌ، خَفِيفَةٌ ضَعِيفَةٌ. وَإِذَا اخْتَطَفَ شَيْئًا مِنْهُمْ، أَوْ مِمَّا عَلَيْهِمْ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ كَفَّهُ عَنْهُمْ، وَلَا اسْتِرْجَاعَهُ مِنْهُ، فَهُمْ جَامِدُونَ لَا يَتَحَرَّكُونَ، لَا يَنْفَعُونَ وَلَا يَضُرُّونَ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْتَصِرُوا لِأَنْفُسِهِمْ، وَلَا أَنْ يُدَافِعُوا عَنْ عَابِدِيهِمْ بِشَيْءٍ. لَقَدْ ضَعُفَ الصَّنَمُ كَمَا عَلِمُوا، وَضَعُفَ الذُّبَابُ، الَّذِي هُوَ مِنْ أضعفِ وَأذَلِّ الْحَيَوَانَاتِ. فَلْيَنْظُرُوا مَا يَعْبُدُونَ.

{ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } (الحج : 74)

74- إِنْهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يُعْظَمُوهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ، حِينَ عَبَدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ، وَاللَّهُ هُوَ الْقَوِيُّ بِقُدْرَتِهِ عَلَى جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ، الْعَزِيزُ الَّذِي غَلَبَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَهَرَهُ.

{ اللَّهُ يَضْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمَنْ النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } (الحج : 75)

75- وَاللَّهُ يَخْتَارُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَنْ يَكُونُ وَسِيطًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، كَمَا يَخْتَارُ مِنْ عِبَادِهِ رُسُلًا يُبَلِّغُونَهُمْ رِسَالَاتِهِ. وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِأَقْوَالِ عِبَادِهِ وَرُسُلِهِ جَمِيعًا، بَصِيرٌ بِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ.

{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ } (الحج : 76)

76- يَعْلَمُ مَا قَبْلَ أَحْوَالِ الرُّسُلِ، وَأَحْوَالِهِمْ وَأَحْوَالَ أَقْوَامِهِمْ وَمَا يُبَلِّغُونَهُ، وَمَا يَكُونُ الْأَمْرُ بَعْدَهُمْ. وَإِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ كُلُّهَا، فَهُوَ الَّذِي بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ، وَلَهُ الْحُكْمُ الْأَخِيرُ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (الحج

: 77)

77- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، صَلُّوا لِلَّهِ، وَاحْضَعُوا فِي صَلَاتِكُمْ لَهُ جَلًّا جَلَالَهُ، وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا، وَوَحِّدُوهُ فِي عِبَادَتِكُمْ لَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ، وَتَمَسَّكُوا بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، لِكَيْ تَسْعَدُوا وَتَفُوزُوا بِرِضَى اللَّهِ وَجَنَّتِهِ.

{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ} (الحج : 78)

78- وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَا يَنْبَغِي، وَأَخْلِصُوا جِهَادَكُمْ لَهُ وَحْدَهُ، وَلَا تَخَافُوا فِي ذَلِكَ أَحَدًا، فَقَدْ اخْتَارَكُمْ لِدِينِهِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأُمَمِ، وَشَرَّفَكُمْ بِأَكْمَلِ شَرَعٍ، وَخَصَّكُمْ بِأَفْضَلِ رَسُولٍ، وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ ضَيْقٍ وَمَشَقَّةٍ، فَلَمْ يُكَلِّفْكُمْ بِمَا لَا تُطِيقُونَ، وَإِذَا شَقَّ عَلَيْكُمْ أَمْرٌ مِنْهُ فِي ظُرُوفٍ تَطْرَأُ عَلَيْكُمْ، فَقَدْ جَعَلَ لَكُمْ فِي ذَلِكَ فَرْجًا وَمَخْرَجًا، وَوَسَّعَ عَلَيْكُمْ كَمَا وَسَّعَ مِثْلَهُ عَلَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: جَعَلَ اللَّهُ حُرْمَةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَحُرْمَةِ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ. وَاللَّهُ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزِلَ الْقُرْآنُ، فِي الْكُتُبِ الْمَتَّقِدَّةِ، كَمَا سَمَّاكُمْ بِهِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ، لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَكُمْ، وَتَكُونُوا أَنْتُمْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ أَنَّ أَنْبِيَاءَهُمْ قَدْ بَلَّغُوهُمْ، كَمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ، الْمُنَزَّلُ عَلَى رَسُولِ الْأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَابِلُوا هَذِهِ النِّعْمَةَ الْعَظِيمَةَ بِشُكْرِ اللَّهِ وَمُلازِمَةِ طَاعَتِهِ، فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ فِي أَوْقَاتِهَا وَوَاطِبُوا عَلَى أَدَائِهَا، وَآتُوا الْفُقَرَاءَ وَالْمُحْتَاجِينَ حَقَّهُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ. وَاللَّهُ نَاصِرُكُمْ وَمُتَوَلِّي أَمْرِكُمْ، وَنِعْمَ الْوَلِيُّ الْحَافِظُ هُوَ، وَالنَّاصِرُ لَكُمْ، وَلَنْ يَضِيعَ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَلِيَّهُ وَلَنْ يُخَذَلَ.

الجزء الثامن عشر

سورة المؤمنون
سورة النور
سورة الفرقان (1-20)

سورة المؤمنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ } (المؤمنون : 1)

1- قَدْ سَعِدَ الْمُؤْمِنُونَ وَفَازُوا بِبُعِيَّتِهِمْ.

{ وَالَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ } (المؤمنون : 2)

2- الَّذِينَ هُمْ سَاكِنُونَ خَائِفُونَ فِي صَلَاتِهِمْ، قَدْ خَشَعَتْ قُلُوبُهُمْ وَخَضَعَتْ جَوَارِحُهُمْ.

{ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ } (المؤمنون : 3)

3- وَالَّذِينَ هُمْ مُعْرِضُونَ عَنِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ، وَمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ.

{ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ } (المؤمنون : 4)

4- وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ.

وَكَانَ أَصْلُ الزَّكَاةِ وَاجِبًا فِي مَكَّةَ، ثُمَّ فُرِضَتْ بِمَقَادِيرِهَا فِي الْمَدِينَةِ.

{ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ } (المؤمنون : 5)

5- وَالَّذِينَ يُحَافِظُونَ عَلَى فُرُوجِهِمْ مِنَ الْحَرَامِ، فَهَمْ أَعْقَّةٌ، لَا يَرْتَكِبُونَ الْفَوَاحِشَ.

{إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} (المؤمنون : 6)

6- ولا يَقْرَبُونَ سِوَىٰ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ مِنَ السَّرَّارِيِّ⁽⁹⁰⁾، فلا حَرَجَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ وَلَا لَوْمٌ.

{فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} (المؤمنون : 7)

7- فَمَنْ طَلَبَ غَيْرَ زَوْجَاتِهِ وَإِمَائِهِ، فَهُوَ مِنَ الْمُعْتَدِينَ، الْمُتَجَاوِزِينَ الْحَلَالَ إِلَى الْحَرَامِ.

{وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} (المؤمنون : 8)

8- وَالَّذِينَ هُمْ مُؤْتَمِنُونَ عَلَىٰ أَمَانَاتِهِمْ وَعُهُودِهِمْ، حَافِظُونَ لَهَا وَمُؤْفُونَ بِهَا، فَلَا يَخُونُونَ وَلَا يَغْدِرُونَ.

{وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} (المؤمنون : 9)

9- وَالَّذِينَ يُحَافِظُونَ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ الْمَفْرُوضَةِ عَلَيْهِمْ، فَيُؤَدُّوْنَهَا فِي وَقْتِهَا، وَبَارِكَانِهَا وَشُرُوطِهَا.

{أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} (المؤمنون : 10)

10- فَأُولَٰئِكَ الْمُؤْمِنُونَ هُمْ أَصْحَابُ حَقِّ يَنْتَظِرُهُمْ لِيَنَالُوهُ.

{الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (المؤمنون : 11)

11- الَّذِينَ يَنَالُونَ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ وَيَمْكُثُونَ فِيهَا أَبَدًا، لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا. وَالْفِرْدَوْسُ "أَعْلَى الْجَنَّةِ، وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ"، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ.

(90) {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ}: المرادُ بذلكُ الإماماء. (فتح القدير وغيره).

فإذا تزوجها صاحبها قيل لها سُرِّيَّة.

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ} (المؤمنون : 12)
12- ولقد خلقنا أصلَ الإنسانِ (آدم) مُستَلاً مِنَ الطِّينِ.

{ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ} (المؤمنون : 13)
13- ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَ الْإِنْسَانِ مِنْ مَّيِّ، وَأَوَدَعْنَاهُ مُسْتَقَرًّا مَتَمَكِّنًا مَحْفُوظًا مِنَ الْفَسَادِ،
وهو الرَّحِمِ.

{ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} (المؤمنون : 14)

14- {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً}: وهي قِطْعَةٌ مِنَ الدَّمِ الْعَلِيظِ الْمَتَجَمِّدِ يَتَعَلَّقُ بِجِدَارِ الرَّحِمِ.
{فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً}: وهي قِطْعَةٌ لَحْمٍ كَأَنَّهَا مَمْضُوعَةٌ. {فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا}: حيثُ
يَتَحَوَّلُ قِسمٌ مِنْ كُتَلِ الْمُضْغَةِ إِلَى أَنْسِجَةٍ عَظْمِيَّةٍ، لِتَشْكِيلِ الْعَمُودِ الْفِقْرِيِّ، وَالهَيْكَلِ الْعَظْمِيِّ،
فِيظْهَرُ أَوَّلُ مَلامِحِ الْإِنْسَانِ فِي أَوَّلِ الْأَسْبُوعِ السَّابِعِ. {فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا}: فَتَنْتَشِرُ
الْعَضَلَاتُ فِي الْعِظَامِ، وَتُكْتَسَى بِاللَّحْمِ فِي نِهَايَةِ الْأَسْبُوعِ السَّابِعِ، وَتَعْتَدِلُ الصُّورَةَ الْأَوَّلِيَّةَ،
حيثُ يَسْتَوِي الْعَمُودُ الْفِقْرِيُّ وَغَيْرُهُ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ، فَنَفَخْنَا فِيهِ الرُّوحَ، وَجَعَلْنَا لَهُ
السَّمْعَ وَالبَصَرَ، حَتَّى اسْتَوَى إِنْسَانًا نَاطِقًا عَاقِلًا. فَتَعَالَى اللَّهُ وَتَعَاظَمَ شَأْنُهُ، فِي عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ
وَإِبْدَاعِهِ، الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ.

{ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ} (المؤمنون : 15)
15- ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ النِّشْأَةِ تَمُوتُونَ.

{ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ} (المؤمنون : 16)
16- ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ تُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُبُورِكُمْ لِلْحِسَابِ وَالجَزَاءِ.

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقٍ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ} (المؤمنون : 17)

17- ولقد خلقنا فوقكم سبع سموات طباقاً، بعضُها فوق بعض، وما كنا مُهمِلين أمرَ المخلوقات، بل كنا لهم حافظين، ولشؤونهم ومصالحهم مُدبرين.

{ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ }
(المؤمنون : 18)

18- وأنزلنا من السماء مطراً بمقدار ما يكفيكم من الشرب والسقي، لا كثيراً فيفسدُ الزرع والبيوت، ولا قليلاً ينقص عن حاجتكم وحاجة مواشيكم وزروعكم. وجعلناه ساكناً ثابتاً في الأرض، يغذى به النبات، أو يزيد من ماء العيون والآبار والأنهار، ونحن قادرون على إزالته، فلن تجدوا إذا ما تنتفعون منه، فتموتون أنتم وداواؤكم عطشاً.

{ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ }
(المؤمنون : 19)

19- فأخرجنا لكم بهذا الماء بساتين خضراء جميلة نافعة، من نخيل وأعناب وغيرها، لكم فيها فواكه وخضروات من جميع الثمار، وتأكلون من زروعها وثمارها ما ترغبون.

{ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصَبْغٍ لِلَّذِينَ } (المؤمنون : 20)

20- وأنشأنا لكم بالماء شجرة زيتون تخرج من جبل سيناء، تُثمر الدهن، وهو الزيت، فيسرج منه، ويُصبغ فيه الحُبز، أي يُغمس فيه للائتمام. وذكر أن طور سيناء (وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام) خص بالزيتون لأنه نبت به أولاً.

وفي حديث صحيح أو حسن رواه الحاكم وغيره، قوله صلى الله عليه وسلم: "ائتدموا بالزيت وادهنوا به، فإنه يخرج من شجرة مباركة".

{ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لُّسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ } (المؤمنون : 21)

21- وَإِنَّ لَكُمْ آيَةً وَّاعْتِبَارًا فِي الْأَنْعَامِ⁽⁹¹⁾ الَّتِي سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ، فَنَسْقِيكُمْ اللَّبَنَ الْمَفِيدَ اللَّذِيذَ مِنْ بُطُونِهَا، وَلَكُمْ مَنَافِعُ أُخْرَى كَثِيرَةٌ مِنْهَا، فَتَلْبَسُونَ مِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا، وَتَأْكُلُونَ مِنْ لَحْمِهَا، وَتَتَاجِرُونَ فِيهَا.

{وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ} (المؤمنون : 22)

22- وَتَرْكَبُونَ ظُهُورَهَا فِي الْبَرِّ، وَتَحْمِلُ أَمْتِعَتَكُمْ الثَّقِيلَةَ إِلَى أَمَاكِنَ بَعِيدَةٍ، كَمَا سَخَّرَ لَكُمْ السُّفْنَ بَحْرِي فِي الْبَحْرِ، تَحْمِلُكُمْ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ.

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ} (المؤمنون : 23)

23- وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا عَبْدَنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ الْكَافِرِينَ، وَكَانُوا بِالْعِرَاقِ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، وَيُنذِرُهُمْ انْتِقَامَ اللَّهِ وَعَذَابِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِي اعْبُدُوا اللَّهَ وَوَحِّدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَلَيْسَ لَكُمْ فِي الْوُجُودِ مَعْبُودٌ سِوَاهُ، أَفَلَا تَخَافُونَ عُقُوبَتَهُ إِذَا عَبْدْتُمْ غَيْرَهُ؟

{فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ} (المؤمنون : 24)

24- فَقَالَ كُفْرَاءُ قَوْمِهِ وَرُؤَسَاءُ الْكُفْرِ مِنْهُمْ: مَا نُوحٌ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ جِنْسِكُمْ، وَفِي مِثْلِ حَالِكُمْ، وَهُوَ يُرِيدُ بِادِّعَائِهِ النَّبُوَّةَ أَنْ يَسُودَكُمْ وَيَرْفَعُ شَأْنَهُ عَلَيْكُمْ، وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ نَبِيًّا أَرْسَلَ مَلَكًا مِنْ عِنْدِهِ، وَلَمْ نَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ نَبِيًّا فِي تَارِيخِ آبَائِنَا وَأَجْدَادِنَا السَّابِقِينَ!

{إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ} (المؤمنون : 25)

25- وَقَالُوا: مَا نُوحٌ إِلَّا رَجُلٌ مَجْنُونٌ بِادِّعَائِهِ النَّبُوَّةَ، فَانْتَظِرُوا مُدَّةً لَعَلَّهُ يُفَيْقُ مِنْ جُنُونِهِ، أَوْ تَحْمَلُوهُ حَتَّى يَمُوتَ فَتَتَخَلَّصُوا مِنْهُ.

(91) هِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ وَالْمَعْزُ.

{ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ } (المؤمنون : 26)

26- ولما يمس نوح عليه السلام من إيمان قومه، وقد صبر على دعوتهم مئات السنين، دعا ربه قائلاً: اللهم انصُرني عليهم، بسبب تكذيبهم إياي، وإصرارهم على الكفر.

{ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ } (المؤمنون : 27)

27- فاستجبنا دعاءه، وأوحينا إليه أن اصنع السفينة بحفظنا ورعايتنا لك، وبأمرنا وتعليمنا لكيفية صنعها، فإذا جاء أمرنا بإنزال العذاب بهم، وهو إغراقهم بالطوفان، وفار التنور، وهو الموقد يفور منه الماء، أو كفورة بُركانية، تكون علامة له عليه السلام، فأدخل في السفينة من كل صنف من الحيوانات والنباتات - مما عينه الله له - زوجين اثنين، ذكراً وأنثى، واحمل فيها أهلك⁽⁹²⁾، إلا من سبق قضاء الله عليهم بالهلاك، وهم الذين لم يؤمنوا منهم، زوجته وابن له. ولا تدعني في الذين كفروا من قومك، ولا تأخذك رافة بهم عندما تُعابن عذابهم، فقد قضيت عليهم بالإغراق، ولا أقبل شفاعة فيهم.

{ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَجَّأَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } (المؤمنون : 28)

28- فإذا اعتدلت أنت ومن معك من أهلك وأتباعك المؤمنين على السفينة، فقل: الحمد لله الذي أنعم علينا فأججنا من القوم الكافرين الظالمين.

{ وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ } (المؤمنون : 29)

(92) هم أولاده ونساؤهم. (الطبري).

المراد به امرأته وبنوه. (روح البيان).

يريد قربانته، ثم استثنى... (ابن عطية).

29- وقُلْ: { رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ } : اللَّهُمَّ أَنْزِلْنَا إِنْزَالًا مُبَارَكًا، يَكُونُ فِيهِ نَفْعٌ وَخَيْرٌ وَبِرَكَّةٍ، فَأَنْتَ خَيْرُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ.

{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ } (المؤمنون : 30)

30- إِنَّ فِي إِهْلَاكِ الْكَافِرِينَ، وَإِنْجَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الطُّوفَانِ، لَعِبْرًا كَثِيرَةً، وَآيَاتٍ جَلِيلَةً، تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ نَبْوَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَصِدْقِ مَا أَنْذَرَ مِنْهُ. وَإِنَّا لَمُخْتَبِرُونَ الْعِبَادَ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، لَنَنْظُرَ مَنْ يَعْقِلُ فَيَتَدَبَّرُ وَيُؤْمِنُ وَيُطِيعُ، أَوْ يُعَانِدُ فَيَأْبَى وَيَكْفُرُ وَيَعْصِي.

{ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ } (المؤمنون : 31)

31- ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِ إِهْلَاكِ قَوْمِ نُوحٍ قَوْمًا آخَرِينَ. ذُكِرَ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِهِمْ عَادٌ وَثَمُودُ.

{ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ } (المؤمنون : 32)

32- فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ - هُودًا أَوْ صَالِحًا - وَأَمَرْنَاهُمْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِمْ بِأَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَيُؤَخِّدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ أَحَدًا، فَلَا يُوْجَدُ فِي الْكُونِ إِلَهٌ غَيْرُهُ. أَفَلَا تَخَافُونَ اللَّهَ بِشِرْكِكُمْ وَكُفْرِكُمْ، وَتَكْذِيبِكُمْ رَسُولَ رَبِّكُمْ؟

{ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلقاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ } (المؤمنون : 33)

33- وَقَالَ كُفْرًا قَوْمِهِ الْمُعَانِدُونَ الْمُتَكَبِّرُونَ، الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ يَوْمَ الدِّينِ، وَقَدْ أَعْطَيْنَاهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَوَسَّعْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ مَا نَشَاءُ، قَالُوا: مَا هَذَا الدَّاعِي إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ بَنِي جَنْسِكُمْ، يَأْكُلُ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي تَأْكُلُونَهُ، وَيَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي تَشْرَبُونَ مِنْهُ،

{وَلَيْنَ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَّاسِرُونَ} (المؤمنون : 34)

34- وإذا اعتبرتم كلام إنسانٍ مثلكم مُقَدَّسًا يَجِبُ أَنْ يُنْفَذَ، فإنكم خائبون مُخْطِئُونَ،

{أَيَعِدُّكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ} (المؤمنون : 35)

35- أهو يعدكم أنكم إذا متُّم وبلبئتم، وصرتمُ ترابًا وعظامًا، ستخرجون من قبوركم أحياءً
وتحاسبون على أعمالكم!؟

{هِيَهِاتَ هِيَهِاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ} (المؤمنون : 36)

36- قالوا: إن هذا الذي وُعدتم به بعيدٌ بعيد.

{إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ} (المؤمنون : 37)

37- قالوا: ليست هناك حياةٌ سوى حياتنا الدنيا هذه، يموتُ بعضنا فيها ويولدُ آخرون،
ولن نُبعثَ بعد الموت!

{إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ} (المؤمنون : 38)

38- وقالوا: ما هذا الذي يدعي أنه أرسل إليكم إلا رجلٌ اختلق على الله الكذب، ولسنا
مُصدِّقين بما يقول، ولا بما يعدُّ به من المعاد.

{قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ} (المؤمنون : 39)

39- قال نبيهم وقد يس من إيمانهم: اللهم انتقم منهم بسبب تكذيبهم إياي، وإصرارهم
على الكفر.

{قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ} (المؤمنون : 40)

40- فاستجاب الله دُعَاةَهُ، وقال له: سَيَنْزِلُ بِهِمُ الْعَذَابُ قَرِيبًا، وَلَيَصِيرُنَّ نَادِمِينَ مُتَحَسِّرِينَ عَلَى عِنَادِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ لِلدِّينِ الْحَقِّ.

{ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عُنَاءَ فِئْتَانٍ لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } (المؤمنون : 41)

41- فنزل بهم الهلاك المدمر، وأخذتهم صيحة العذاب بالحق والعدل، فصاروا جثثًا هامدين، هلكت يابسين، كالحشيش والعيدان التي تأخذها السُّيول الجارفة، فهلكوا وانقطعوا من كل خير؛ لظلمهم ومخالفتهم رسول ربهم.

{ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ } (المؤمنون : 42)

42- ثم أنشأنا من بعد هلاكهم أممًا آخرين، وهم قوم صالح، وقوم لوط، وقوم شعيب، وغيرهم.

{ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ } (المؤمنون : 43)

43- لا تتقدم أمة من الأمم الوقت الذي عُيِّنَ لهلاكها ولا تتأخر عنه، بل تهلك في الوقت الذي قدر الله لها فيه.

{ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ

أَحَادِيثَ فِئْتَانٍ لِّلْقَوْمِ لَّا يُؤْمِنُونَ } (المؤمنون : 44)

44- ثم أرسلنا رسلنا يتبع بعضهم بعضًا، كلما بعثنا واحدًا منهم إلى قومهم بالحجج المقنعة، والمعجزات الكافية، كذبوه وعاندوه واستهزؤوا به، يعني أكثرهم، فأهلكناهم، أمة تلو أمة، وجعلناهم أحاديث تُقال في المجالس، وتواريخ تُقرأ في الكتب، فبعدها وهلاكًا لقوم كفروا وظلموا.

{ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ } (المؤمنون : 45)

45- ثم أرسلنا موسى بن عمران وأخاه هارون بآياتنا ومُعْجَزَاتِنَا التَّسْعِ المعروفَات، وَحُجَّةٍ وَاضِحَةٍ، دُكِرَ أَتَمُّهَا الْعَصَا، لظهورها وَكُونِهَا دَامِعَةً قَاطِعَةً.

{ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَيْهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ } (المؤمنون : 46)

46- أرسلناهما إلى فرعون وقومه، فاستكبروا عن قبول الحق وعاندوا، وكانوا قَوْمًا ظَالِمِينَ مُتَعَالِينَ، لَا يَأْتِجُونَ بِحَقِّ، وَلَا يَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَةِ نَبِيِّ.

{ فَقَالُوا أَنْزَمُنْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ } (المؤمنون : 47)

47- فقال بعضهم لبعض: أنؤمن لرجلين يدعيان النبوة وهما بشر مثلنا، وقومهما بنو إسرائيل خَدَمَ مُذَلَّلُونَ لَنَا كَالْعَبِيدِ؟
استبعدوا أن يكون من البشر أنبياء، وآمنوا بفرعون إلهًا!!

{ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ } (المؤمنون : 48)

48- فكذبوا النبيين الكرميين، وأصرُّوا على الكفر والتكذيب، فكانوا من العزقى المهلكين.

{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ } (المؤمنون : 49)

49- ولقد أنزلنا على موسى التوراة بعد إهلاك فرعون وجنوده، ليسترشدوا بها ويهتدوا إلى الصراط المستقيم.

{ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ } (المؤمنون : 50)

50- وجعلنا المسيح عيسى وأمه مريم معجزة عظيمة دالة على قدرة الله تعالى، بولادته منها من غير أب، وجعلنا مأواهما في مكان مرتفع ومستور من الأرض، فيه ماء جارٍ ظاهر.

{ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } (المؤمنون : 51)

(

51- يا رُسُلَ اللَّهِ أَجْمَعِينَ، كُلُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ النَّافِعِ، وَاَعْمَلُوا الْأَعْمَالَ الْحَسَنَةَ الْمَرْضِيَّةَ عِنْدَ رَبِّكُمْ، إِنِّي عَلِيمٌ بِمَا تَقُومُونَ بِهِ مِنْ عَمَلٍ.
قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: دَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الْحَلَالَ عَوْنٌ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

{ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ } (المؤمنون : 52)

52- وَإِنَّ دِينَكُمْ يَا مَعْاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ دِينٌ وَاحِدٌ، وَمِلَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَهُوَ دِينُ التَّوْحِيدِ وَالْإِسْلَامِ، وَأَنَا رَبُّكُمْ، رَبُّ وَاحِدٍ، فَاحذَرُوا عِقَابِي، وَلَا تُخَالِفُوا أَمْرِي.

{ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } (المؤمنون : 53)

53- فَتَقَطَّعَتِ الْأُمَّةُ أَمْرَ دِينِهَا، وَخَالَفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَجَعَلُوا دِينَهُمُ الْوَاحِدَ أَدْيَانًا وَفِرْقًا، وَكُلُّ حِزْبٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَتَحَرِّينَ فَرِحُونَ مُعْجَبُونَ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ، وَكَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى حَقٍّ!

{ فَذَرْنَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ } (المؤمنون : 54)

54- فَذَرْنَهُمْ فِي كُفْرِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ إِلَىٰ حِينٍ انْتِهَاءِ أَجَلِهِمْ. أَوْ دَعْنَهُمْ فِي عَمَائِيَّتِهِمْ وَحَيْرَتِهِمْ إِلَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ مَا وُعدُوا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ.

{ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنِ } (المؤمنون : 55)

55- أَيُظَنُّ هَؤُلَاءِ الْمَكْدُبُونَ الْمَغْرُورُونَ، أَنَّ مَا نُعْطِيهِمْ مِنَ الْمَالِ وَالْحَرْثِ وَالْوَالِدِ،

{ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ } (المؤمنون : 56)

56- هُوَ جَزَاءُ أَعْمَالِهِمُ الْخَيْرَةِ، وَلِكِرَامَةٍ لَهُمْ عِنْدَنَا؟ كَلَّا بَلْ هُوَ اسْتِدْرَاجٌ لَهُمْ، وَإِمِهَالٌ لَهُمْ وَإِنظَارٌ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ كَالْأَنْعَامِ، لَا يَتَذَبَّرُونَ مَا يُدْعَوْنَ إِلَيْهِ وَلَا يَعْتَبِرُونَ.
وَمِنْ هُنَا قِيلَ: مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَلَمْ يَرِ بِهِ نِقْصَانًا فِيمَا أَعْطَاهُ سُبْحَانَهُ مِنَ الدُّنْيَا، فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مُسْتَدْرَجٌ قَدْ مُكِرَ بِهِ.

وقال فتأدّه رحمه الله: لا تعتبروا الناس بأموالهم وأولادهم، ولكن اعتبروهم بالإيمان والعمل الصالح.

{ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ } (المؤمنون : 57)

57- إن الذين هم حذرون وجلون خوفاً من الله ورهبةً منه، مع إيمانهم وعملهم الصالح،

{ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ } (المؤمنون : 58)

58- والذين يصدقون بآيات الله المنزلة، وبشواهد الكون المعجزة، الدالة على قدرة الخالق وعظمته،

{ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ } (المؤمنون : 59)

59- والذين لا يشركون ربهم شيئاً، بل يوحّدونه ويخلصون له في العبادة والعمل،

{ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ } (المؤمنون : 60)

60- والذين يُعطون العطاء وقلوبهم خائفة، خشية أن لا تُقبل منهم صدقاتهم، وخوفاً من أن ذلك قد لا يُنجيهم من عذاب الله، عندما يُبعثون إليه ويُحاسبهم على أعمالهم،

{ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ هَا سَابِقُونَ } (المؤمنون : 61)

61- أولئك المتصِفون بتلك الصفات الجليلة، يُبادرون إلى الأعمال الصالحة، وهم سابقون إلى نيلها والظفر بها.

{ وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } (المؤمنون:

62)

62- ولا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا بَقْدَرِ مَا تُطِيقُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَلَدَيْنَا صَحَائِفُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي سَجَّلَهَا مَلَائِكَتُنَا، تُظْهِرُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ مَا كَانُوا يَقُولُونَ وَيَعْمَلُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَلَا يُظْلَمُونَ فِي مُحَاسِبَتِهِمْ، فَلَا يُنْقَصُونَ ثَوَابًا، وَلَا يُزَادُونَ عَذَابًا.

{ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ } (المؤمنون : 63)

63- بلْ قُلُوبُ الْكَافِرِينَ فِي غَفْلَةٍ وَجَهَالَةٍ مِّنْ هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَلَهُمْ أَعْمَالٌ دُونَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ كُفْرٍ وَغَفْلَةٍ، مِنْ مَعَاصٍ وَذُنُوبٍ أُخْرَى، مُسْتَمِرُّونَ فِيهَا وَمُعْتَادُونَ عَلَى فِعْلِهَا، لَا يَنْقَطِعُونَ عَنْهَا.

{ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ } (المؤمنون : 64)

64- وَلَا يَزَالُونَ عَلَىٰ هَذَا، حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا أَغْنِيَاءَهُمْ، وَالْمُتَتَعِّمِينَ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ وَكُبْرَائِهِمْ بِالْعَذَابِ وَالْبَلَاءِ، إِذَا هُمْ يَصْرُخُونَ وَيَسْتَعِيثُونَ.

{ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ } (المؤمنون : 65)

65- وَقُلْنَا لَهُمْ: لَا تَجْرِعُوا وَلَا تَصْرُخُوا مِمَّا حَلَّ بِكُمْ هَذَا الْيَوْمَ مِنَ الْعَذَابِ، فَإِنَّهُ غَيْرُ نَافِعِكُمْ، وَلَا مُغِيثَ لَكُمْ مِنْهُ.

{ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ } (المؤمنون : 66)

66- لَقَدْ كَانَتْ آيَاتِي مِنَ الْقُرْآنِ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ، وَتُقْرَأُ بَيْنَكُمْ، فَكُنْتُمْ تُعْرِضُونَ عَنْ سَمَاعِهَا أَشَدَّ الْإِعْرَاضِ، وَتَمْتَنِعُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَلَا تَأْبَهُونَ بِأوامِرِهِ.

{ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْتَجِرُونَ } (المؤمنون : 67)

67- تَسْتَكْبِرُونَ وَتَفْتَحِرُونَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَتَقُولُونَ إِنَّكُمْ أَهْلُ بَيْتِ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تَسْمُرُونَ فِيهِ بِذِكْرِ الْقُرْآنِ وَالطَّعْنِ فِيهِ، فَتَهْجُرُونَ الْحَرَمَ بِذَلِكَ، وَلَا تُعْمَرُونَهُ بِالْعِبَادَةِ كَمَا أَرَادَ اللَّهُ.

{ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ } (المؤمنون : 68)

68- أفلم يتدبّروا القرآن، ويتفهّموا أحكامه وأخباره، ووعدّه ووعدّه، ليعتبروا، ويعرفوا أنّه كتابٌ سماويٌّ معجز، وبرهانٌ على صدق النبيّ محمّدٍ صلى الله عليه وسلم؟ أم أنّه جاءهم ما لم يعهدوه في آبائهم وأجدادهم فأنكروه؟ إنّ الواجب عليهم أن يؤمنوا، ولا يبقوا كآبائهم، فقد نزل القرآن فيهم دون سابقهم، وعليهم أن يدركوا هذه النعمة العظيمة، فيشكروا الله عليها ويؤمنوا.

{ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ } (المؤمنون : 69)

69- أم أنّهم لم يعرفوا نبيهم محمّدًا صلى الله عليه وسلم الذي أرسل من بينهم، في صغره وكبره، في صدقه وأمانته، وفي حلمه ووفائه بالعهود، وفي صبره وشفقته على قومه، وفي كلّ كمال ينشده الإنسان من خلق وعمل، ولذلك فهم يُنكرون نبوته؟!

{ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ } (المؤمنون : 70)

70- أم أنّ سفهاء المشركين يقولون إنّ محمّدًا قد أصابه مسٌّ من الجنون فهو يهذي بما لا يعرف؟! بل جاءهم بالحقّ والعدل، والصدق الذي لا يُنكر، لوضوحه، ولتأيدِهِ بالمعجزات الظاهرة والمقنعة، ولكنّ أكثرهم مُعانِدون، كارهون للحقّ، مُبغضون للحجّة والدليل مادام ليس في هواهم، فلا عجب أن لا يؤمنوا وهم كذلك، وقد دَلّ موقفهم على طبيعتهم المنحرفة، وزيغهم وضلالهم.

{ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ

فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ } (المؤمنون : 71)

71- ولو اتّبع الله مرادهم فيما يفعل، وأجابهم إلى ما في أنفسهم من الهوى، وشرع الأمور على معتقداتهم الشّركيّة، لفسد ما في السماوات والأرض، وبطل ما فيهما من حياة وعمل، لأهوائهم الفاسدة، واختلاف آرائهم وتناقضها وتهافتها، وعدم واقعيتها وملاءمتها للحقائق

الكونية، لجهلهم وعدم معرفتهم بنواميسها ودقتها، بل أتيناهم بالقرآن الكريم، الذي فيه الحق المطلق، وفيه عزهم وفخرهم، ولكنهم معرضون عن مصدر عزهم وشرفهم هذا، غير مُبالين به ولا مُقبلين عليه.

{ **أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَجُ رِبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** } (المؤمنون : 72)

72- أَمْ تَسْأَلُهُمْ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَجْرًا فَلْأَجْلِ ذَلِكَ يَتَّعِدُونَ عَنْكَ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِرِسَالَتِكَ؟ وما يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ رِزْقٍ فِي الدُّنْيَا وَثَوَابٍ فِي الآخِرَةِ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ مِثَّةِ النَّاسِ، وَهُوَ أَفْضَلُ مَنْ يُعْطِي وَيَتَكْرَمُ، وَمَا عِنْدَهُ خَيْرٌ مِمَّا عِنْدَ غَيْرِهِ.

{ **وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** } (المؤمنون : 73)

73- وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، دِينَ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ وَلَا هَوَى.

{ **وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ** } (المؤمنون : 74)

74- وَإِنَّ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ، وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، زَائِعُونَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، جَائِرُونَ مُنْحَرِفُونَ.

{ **وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُودِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** } (المؤمنون : 75)

75- وَلَوْ رَأَفْنَا بِهِمْ، وَرَفَعْنَا عَنْهُمْ سُوءَ الْحَالِ الَّذِي هُمْ فِيهِ، لِمَا قَابَلُوا هَذِهِ النِّعْمَةَ بِالشُّكْرِ وَالإِيمَانِ، بَلِ اسْتَمَرُّوا فِي عِنَادِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ رَبِّهِمْ، مُتَرَدِّدِينَ فِي الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ.

{ **وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ** } (المؤمنون : 76)

76- وَلَقَدْ ابْتَلَيْنَاهُمْ بِالشَّدَائِدِ وَالنَّكَبَاتِ، فَمَا خَضَعُوا بِذَلِكَ لِرَبِّهِمْ وَمَا انْقَادُوا لِأَمْرِهِ، وَمَا دَعَوْهُ لِيَكْشِفَ مَا بِهِمْ، لِشِدَّةِ عُنُوتِهِمْ وَإِمَاعَتِهِمْ فِي الْكُفْرِ.

{ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ } (المؤمنون : 77)
77- حتى إذا جاء يوم القيامة، وحق عليهم الجزاء، وأصابهم عذاب شديد بما كانوا يعملون، إذا هم آيسون من كل خير، ومنقطعون من كل رجاء.

{ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ } (المؤمنون : 78)
78- هو الإله الحق، الذي أنشأ لكم السمع والأبصار لتسمعوا وتبصروا آيات الله، والأفئدة لتتفكروا وتستدلوا بها على قدرته وعظمته، ولكنكم قليلاً ما تشكرون هذه النعم، التي تنفعكم لو أحسنتم استعمالها.

{ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } (المؤمنون : 79)
79- وهو الذي خلقكم ونشركم في الأرض، وإليه تُبعثون وتُجمعون يوم القيامة.

{ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (المؤمنون : 80)
80- وهو وحده الذي يحيي الموتى، ويميت الأمم، وهو الذي يجعل الليل والنهار متعاقبين، فيذهب هذا ويحيى الآخر، وهكذا، لا يفتر كل منهما من طلب الآخر، ويجعل فيهما الزيادة والنقصان. أفلا تتفكرون في هذا وتتدبرونه، بأسماعكم وأبصاركم وأفئدتكم، لتستدلوا بها على الخلاقي العليم؟

{ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ } (المؤمنون : 81)
81- بل قال هؤلاء المشركون مثلما قال أسلافهم السابقون من إنكار البعث.

{ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ } (المؤمنون : 82)
82- وقالوا في جهلٍ وعدم تقديرٍ لقدرة الله القادر: إذا متنا وبلينا، وصيرنا تراباً وعظاماً لا حياة فيها، أحيأ وتبعث من جديد؟

{ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } (المؤمنون : 83)

83- قالوا: لقد سبق أن ذُكِرَ لنا هذا مِنْ خَبَرِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، كما وَعَدُوا آبَاءَنَا وَأَجْدَادَنَا بذلك، وما هذا سِوَى حِكَايَاتِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَأَكَاذِبِهِمْ الَّتِي سَطَّرُوهَا فِي كُتُبِهِمْ.

{ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (المؤمنون : 84)

84- قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ: لِمَنْ هَذِهِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ: خَلْقًا، وَمُلْكًا، وَتَدْبِيرًا، إِنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ؟

{ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } (المؤمنون : 85)

85- فلا يَسْعَهُمْ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا: إِنَّهُ لِلَّهِ، فَهُوَ الْخَالِقُ الْمَالِكُ. قُلْ لَهُمْ: أَتَعْلَمُونَ هَذَا وَتُقَرُّونَ بِهِ، وَلَا تَتَذَكَّرُونَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَمَنْ فِيهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ابْتِدَاءً قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ إِحْيَائِهِمْ ثَانِيًا؟ بَلِ الْإِعَادَةُ أَسْهَلُ، فَالْخَلْقُ الْأَوَّلُ مِنْ لَا شَيْءٍ، وَهَذَا خَلْقٌ مِنْ شَيْءٍ.

{ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } (المؤمنون : 86)

86- قُلْ لَهُمْ أَيْضًا: مَنْ هُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَمَا فِيهَا مِنَ النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ، وَمِنْ الْمَلَائِكَةِ الْخَاضِعِينَ لِأَمْرِهِ؟ وَمَنْ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْمُرْتَفِعِ عَلَى السَّمَاوَاتِ كُلِّهَا؟

{ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ } (المؤمنون : 87)

87- فَسَيَقُولُونَ كَذَلِكَ: لِلَّهِ. فَقُلْ لَهُمْ: أَلَا تَحْذَرُونَ عِقَابَهُ إِذَا بَاصَرَارِكُمْ عَلَى الشُّرْكِ وَتَكْذِيبِكُمْ رَسُولَهُ؟

{ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (المؤمنون :

(88

88- قُلْ لَهُمْ: مَنْ بِيَدِهِ الْمَلِكُ الشَّامِلُ لهذا وغيره، وَمَنِ الْمَدْبُرُ وَالْمَتَصَرِّفُ فِيهِ كَمَا يُرِيدُ، وَمَنِ الَّذِي يُؤْمِنُ مَنْ شَاءَ مِنَ السُّوءِ وَيَحْمِيهِ مِنَ الْمَكَارِهِ، وَلَا يَمْنَعُهُ أَحَدٌ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي قَدَرَهُ عَلَيْهِ وَالسُّوءِ الَّذِي أَرَادَ بِهِ؟ أَجِيبُوا إِنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ.

{ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ } (المؤمنون : 89)

89- فسَيَقُولُونَ: اللهُ بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ. فَقُلْ لَهُمْ: فَكَيْفَ تُخَدَعُونَ وَتُصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ، وَيُحْيَى لَكُمْ الْهُدَى ضَلَالًا، وَأَنْتُمْ تُقْرُونَ لَهُ بِكُلِّ مَا سَبَقَ!؟

{ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } (المؤمنون : 90)

90- بلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالتَّوْحِيدِ، وَالبَعَثِ وَالجَزَاءِ الْعَادِلِ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ إِنَّهُ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، وَفِي عِبَادَتِهِمْ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ.

{ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ } (المؤمنون : 91)

91- لم يَتَّخِذِ اللهُ وَلَدًا، فَلَا يُشَبِّهُهُ أَحَدٌ، وَليْسَ هُوَ بِحَاجَةٍ إِلَى أَحَدٍ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْأُلُوْهِيَّةِ، وَلَوْ كَانَ هُنَاكَ إلهَانِ أَوْ أَكْثَرَ، لَانْفَرَدَ كُلُّ إِلَهٍ بِنَصِيْبِهِ مِنَ الْخَلْقِ وَاسْتَقَلَّ بِهِ عَنِ الْآخِرِ، وَتَفَرَّدَ بِالتَّصَرُّفِ فِيهِ، وَلَمَّا وُجِدَ هَذَا التَّنْظِيمُ وَالتَّنَاسُقُ الشَّامِلُ فِي الْكُونِ كُلِّهِ. ثُمَّ إِنَّ الْأَمْرَ لَا يَبْقَى هَكَذَا دُونَ تَنَافُسٍ وَتَخَاصُّمٍ، فَسَيَعْلُو إِلَهُ عَلَى آخِرِ وَيُجَارِبُهُ وَيُعَالِيهِ لِيَقْضِيَ عَلَيْهِ وَيَسْتَأْتِرَ بِمُلْكِهِ، كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي مُلُوكِ الدُّنْيَا. فَتَنَزَّهَ اللهُ وَتَقَدَّسَ عَمَّا يَصِفُونَهُ بِهِ مِنْ دَعْوَى الْوَالِدِ وَالشَّرِيكِ.

{ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } (المؤمنون : 92)

92- هُوَ اللهُ الَّذِي أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ مَا شَاهَدَهُ النَّاسُ وَبِمَا غَابَ عَنْهُمْ، فَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ عَمَّا يُشْرِكُ بِهِ الْجَاهِلُونَ.

{ قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيدُ مَا يُوعَدُونَ } (المؤمنون : 93)

93- قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: يَا رَبِّ، إِذَا أَرَيْتَنِي مَا يُوعَدُونَ مِنَ الْعَذَابِ،

{ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } (المؤمنون : 94)

94- اللَّهُمَّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِيهِمْ إِذَا حَلَّتْ نِقْمَتُكَ بِالْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

{ وَإِنَّا عَلَى أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ } (المؤمنون : 95)

95- وَنَحْنُ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ تُرِيكَ مَا يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالْهَلَاكِ.

{ ادْفَعْ بِآلِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ } (المؤمنون : 96)

96- ادْفَعْ إِسَاءَةَ الْمَسِيءِ بِالْعَفْوِ وَالْإِعْرَاضِ، وَأَحْسِنُ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ، نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَكَ بِهِ، وَبِمَا يَقُولُونَ مِنَ الشَّرْكِ.

{ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ } (المؤمنون : 97)

97- وَقُلْ: { رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ } : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيَاطِينِ الْمَغْرِبَةِ، الَّتِي تُخَالِفُ هُدَى دِينِكَ،

{ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ } (المؤمنون : 98)

98- { وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ } : وَأَعُوذُ بِكَ يَا رَبِّي أَنْ يَحْضُرُوا حَوْلِي وَفِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِي.

{ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ } (المؤمنون : 99)

99- حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ هَوْلًا مِنَ الْكَافِرِينَ أَوْ الْمُفْرِطِينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ أَجَلَ الْمَوْتِ، قَالَ نَادِمًا مُتَحَسِّرًا عَلَى مَا أَفْتَى فِيهِ عُمَرَهُ: يَا رَبِّ، رُدُّونِي إِلَى الدُّنْيَا،

{لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} (المؤمنون : 100)

100- لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ مِنْ إِيْمَانٍ وَطَاعَةٍ، وَأُصْلِحُ مَا أَفْسَدْتُهُ مِنْ مَالٍ وَعَمَلٍ. كَلَّا، لَا بُحْبُوبَةَ إِلَى مَا طَلَبَ، وَمَا قَالَهُ كَلِمَةً لَا تَسْتَحِقُّ الْجَوَابَ، وَأَمَامَهُمْ حَاجِزٌ مَا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَى أَنْ يُبْعَثُوا مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ} (المؤمنون : 101)

101- فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ لِقِيَامِ السَّاعَةِ، وَقَامَ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ، فَلَا تَنْفَعُ الْأَنْسَابُ يَوْمَئِذٍ، وَلَا يَسْأَلُ قَرِيبٌ عَنْ حَالِ قَرِيْبِهِ، وَلَا صَدِيقٌ عَنْ صَدِيقِهِ، بَلْ يَفِرُّ كُلٌّ مِنَ الْآخِرِ وَيَسْتَعِلُّ بِنَفْسِهِ، لِهَوْلِ مَا يَرَاهُ، وَعِظَمِ مَا يَدْهَمُهُ.

{فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (المؤمنون : 102)

102- فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُم بِالْحَسَنَاتِ وَرَجَحَتْ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ، فَأُولَئِكَ هُمُ النَّاجُونَ، الْفَائِزُونَ بِالْجَنَّةِ وَالرِّضْوَانِ.

{وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} (المؤمنون : 103)

103- وَمَنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُمْ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ، فَقَدْ ضَيَّعُوا أَنْفُسَهُمْ وَخَابُوا وَخَسِرُوا، وَهُمْ مَا كَانُوا فِي جَهَنَّمَ أَبَدًا.

{تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ} (المؤمنون : 104)

104- تُحْرِقُ النَّارُ وَجُوهَهُمْ، وَهُمْ فِيهَا عَابِسُونَ مُكْتَبُونَ، قَدْ قَلَصَتْ شِفَاهُهُمْ مِنْ شِدَّةِ لَفْحِ النَّارِ.

{أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ} (المؤمنون : 105)

105- ويُقال لهم تذكيراً وتوبيخاً: يا أهل النار، أما كانت آياتي تُتلى عليكم، في الكُتُبِ التي أنزلتها، وفيها تحذيرٌ من الكُفْرِ، وتحذيرٌ من النار، فكنتم تُكذِّبونَ بها، وتُعاندونَ وتستَهزؤونَ؟

{ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ } (المؤمنون : 106)

106- قالوا مُعْتَرِفِينَ: رَبَّنَا اسْتَوْلَتْ عَلَيْنَا الشَّقَاوَةُ⁽⁹³⁾، وَقَامَتْ عَلَيْنَا الْحُجَّةُ، وَكُنَّا قَوْمًا مُنْحَرِفِينَ زَائِعِينَ عَنِ الْحَقِّ، مُكذِّبِينَ بِالآيَاتِ.

{ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ } (المؤمنون : 107)

107- رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنَ النَّارِ، وَأَعِدْنَا إِلَى الدُّنْيَا، فَإِذَا عُدْنَا مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الكُفْرِ والمعاصِي، فَإِنَّا ظَالِمُونَ مُسْتَحِقُّونَ لِلْعُقُوبَةِ.

{ قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ } (المؤمنون : 108)

108- فيقولُ اللهُ لهم: ابعُدوا وَاخْرِسُوا، وَابْثُقُوا فِي النَّارِ صَاغِرِينَ، أَذِلَّةً مُهَانِينَ، وَلَا تَعُودُوا إِلَى هَذَا الكَلَامِ، فَلَنْ أَرْفَعَ العَذَابَ عَنْكُمْ.

{ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ } (المؤمنون : 109)

109- لَقَدْ كَانَ جَمَاعَةٌ مِّنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ يُوْحِدُونَنِي، وَيَدْعُونَنِي لِأَغْفِرَ لَهُمْ، وَأَرْحَمَهُمْ، وَاللَّهُ خَيْرٌ مِّنْ رَّحِمٍ وَعَفَا،

{ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ } (المؤمنون : 110)

(93) أي: غلبت علينا لذاتنا وشهواتنا، فسمي ذلك شقوةً لأنه يؤولُ إلى الشقاء. (فتح القدير).

110- فاستهزأتم بهم واتخذتموهم سُخرية، وصحكتهم من عبادتهم لي، ومن دعائهم وتضرعهم إليّ، حتى شغلكم هذا الاستهزاء عن ذكر الله، والاستماع إلى آياتي، والتفكير في الحق الذي يدعو إليه⁽⁹⁴⁾.

{إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ} (المؤمنون : 111)

111- لقد أنبتهم اليوم جزاء صبرهم على أذيتكم واستهزائكم بهم، وجعلتهم من السعداء المفلحين، الفائزين بالجنة والنعيم.

{قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ} (المؤمنون : 112)

112- وقيل لأهل النار: كم سنة بقيتم في الدنيا أحياء؟

{قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ} (المؤمنون : 113)

113- قالوا: لقد مكثنا مدة قليلة، فاسأل المتماكين من العد، فقد دهمنا من العذاب ما أنسانا معرفة ذلك.

{قَالَ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (المؤمنون : 114)

114- قيل لهم: حقًا لقد مكثتم مدة يسيرة في الحياة الدنيا، فقد انقضت ومضت، ولو كان لكم علم وتفكير، لعرفتم حقايرة الدنيا ومتاعها الزائل، وصبرتم على ما كلفتم به من طاعة الله، في عمركم القصير.

(94) {حَتَّىٰ أَنسَوُكُمْ ذِكْرِي}: نسوا ذكر الله لشدة اشتغالهم بالاستهزاء. (فتح القدير).

أي: الاستهزاء بهم، فإن أنفسهم ليست سبب الإنساء. (روح البيان).

إسناد الإنساء إلى الفريق مجاز عقلي؛ لأنهم سببه، أو هو مجاز بالحذف، بتقدير: حتى أنساكم السخري بهم ذكري. والقرينة على الأول معنوية، وعلى الثاني لفظية. (التحرير).

{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} (المؤمنون : 115)

115- أَظَنَنْتُمْ أَنِّي خَلَقْتُكُمْ هَمَلًا، لَعِبًا وَبَاطِلًا، دُونَ حِكْمَةٍ وَمِنْ غَيْرِ هَدَفٍ وَغَايَةٍ، وَأَنَّكُمْ لَا تُبْعَثُونَ بَعْدَ الْمَوْتِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَالشَّوَابِ وَالْعِقَابِ؟

{فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} (المؤمنون : 116)

116- تَنْزَعَهُ اللَّهُ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْعَبَثِ، وَتَعَالَى عَنْ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا مِنْ دُونِ قَصْدٍ وَفَائِدَةٍ، فَهُوَ الْمَالِكُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ.

{وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}

(المؤمنون : 117)

117- وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ وَيَعْبُدُ مَعَهُ سِوَاهُ، لَا دَلِيلَ لَهُ عَلَى قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، وَلَا بَيِّنَةَ لَهُ فِي دَعْوَى شِرْكِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحَاسِبُهُ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا فَوْزَ لِلْكَافِرِينَ الْكَاذِبِينَ، وَلَا نَجَاةَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

{وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ} (المؤمنون : 118)

118- وَتَوَجَّهْ إِلَى اللَّهِ فِي دُعَائِكَ، وَاطْلُبْ مِنْهُ الرَّحْمَةَ وَالْعُفْرَانَ، وَقُلْ: {رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ}، فَإِنَّهُ خَيْرٌ مَنْ رَحِمَ ذَا ذَنْبٍ، فَقَبِلَ تَوْبَتَهُ، وَلَمْ يَعاقِبِهِ.

سورة النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (النور : 1)

1- هذه سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ أَنْزَلْنَاهَا، وَفَرَضْنَا أَحْكَامَهَا عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنْ بَعْدَكُمْ، وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ وَاضِحَاتٍ الدَّلَالَةَ، لِتَتَّعِظُوا وَتَعْمَلُوا بِهَا.

{ الرَّائِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ

إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ } (النور : 2)

2- الرَّائِيَةُ الْبِكْرُ، وَالزَّانِي الْبِكْرُ، اضْرِبُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ. فَإِذَا كَانَ مُتَرَوِّجِينَ رُجْمًا، كَمَا ثَبَتَ فِي السُّنَّةِ. وَلَا تَأْخُذْكُمْ شَفَقَةٌ بِهِمَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِمَا، فَشَدَّدُوا الضَّرْبَ عَلَيْهِمَا، لِيَرْتَدِعَا، وَيَرْتَدِعَ أَمْثَلُهُمَا بِذَلِكَ، فَافْعَلُوا ذَلِكَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

وَلِيَحْضُرَ جَلْدَهُمَا جَمَاعَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي زَجْرِهِمَا، وَأَكْثَرَ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا لَهُمَا. وَيُشْتَرَطُ فِي تَرْتُبِ الْحَدِّ عَلَى الْبِكْرِ أَيْضًا، أَنْ يَكُونَ بِالْعَا عَاقِلًا.

{ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ } (النور : 3)

3- الزَّانِي لَا يُطَاوَعُهُ عَلَى فِعْلِهِ إِلَّا زَانِيَةٌ عَاصِيَةٌ، أَوْ مُشْرِكَةٌ لَا تَرَى حُرْمَةَ الزَّانَا. وَلَا يَلِيْقُ بِمِثْلِهِ أَنْ يَنْكِحَ الْمُؤْمِنَةَ الْعَفِيفَةَ. وَالزَّانِيَةُ كَذَلِكَ، لَا يُطَاوَعُهَا عَلَى فِعْلِهَا إِلَّا زَانٍ عَاصٍ، أَوْ مُشْرِكٌ لَا يَرَى حُرْمَةَ الزَّانَا، وَحُرْمَ الزَّانَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ.

{ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا

لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (النور : 4)

4- والذِينَ يَقْذِفُونَ الْعَفِيفَاتِ بِالزَّانَا، وَلَمْ يُثْبِتُوا دَعْوَاهُمْ بِأَرْبَعَةِ شُهُودٍ يَشْهَدُونَ عَلَى قَوْلِهِمْ
بِالصَّحَّةِ، فَاضْرِبُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً، وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً مُدَّةَ حَيَاتِهِمْ، وَهُمْ عَاصُونَ خَارِجُونَ
عَنِ الطَّاعَةِ، وَذَلِكَ جَزَاءُ كَذِبِهِمْ وَهْتِكِهِمْ سِتْرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَشْوِيهِ سَمْعَتِهِمْ فِي الْمَجْتَمَعِ،

{إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (النور : 5)

5- إِلَّا مَنْ تَابَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَصَلَحَ أَمْرُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ، وَيَغْفِرُ لَهُ وَيَرْحَمُهُ، بَعْدَ أَنْ
يُجْلَدَ. وَيُرْفَعُ عَنْهُ الْفِسْقُ، وَتُقْبَلُ شَهَادَتُهُ. وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ يَبْقَى مَرْدُودَ الشَّهَادَةِ.

{وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاحَهُمْ وَمَنْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ
بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} (النور : 6)

6- وَالذِينَ يَقْذِفُونَ زَوْجَاتِهِمْ بِالزَّانَا، وَلَا يَجِدُونَ مَنْ يَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يُقْضَى
عَلَيْهِمْ بِالْمَلَاعِنَةِ، فَيُحْضَرُ أَحَدُهُمْ زَوْجَتُهُ عِنْدَ الْقَاضِي، وَيَشْهَدُ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ - مُقَابِلَ أَرْبَعَةِ
شُهُودٍ - يَقُولُ فِيهَا إِنَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزَّانَا،

{وَالخَامِسَةُ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} (النور : 7)

7- وَفِي الشَّهَادَةِ الْخَامِسَةِ يَقُولُ إِنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ كَاذِبًا فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزَّانَا.

{وَيَذَرُوهَا عَنْهَا الْعَدَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ} (النور : 8)

8- وَيَذْفَعُونَ عَنِ الْمَرْأَةِ الْحَدَّ، وَهُوَ الرَّجْمُ، إِذَا شَهِدَتْ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ أَنْ مَا رَمَاهَا بِهِ
زَوْجُهَا مِنَ الزَّانَا كَذِبٌ غَيْرُ صَاحِحٍ،

{وَالخَامِسَةُ أَنْ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ} (النور : 9)

9- وَفِي الشَّهَادَةِ الْخَامِسَةِ تَشْهَدُ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ زَوْجُهَا صَادِقًا فِي رَمِيهَا بِالزَّانَا.
ثُمَّ يُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا.

{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ} (النور : 10)

10- ولولا فضلُ الله عليكم بتشريع هذه الأحكام، ورحمته بكم فيما يُناسِبكم منها، لشقَّ عليكم ذلك، ووَقَعْتُمْ في ضيقٍ وحرَج. والله تَوَّابٌ، يتوبُ على مَنْ أنابَ وأصلح، حَكِيمٌ فيما أَمَرَ وَهَى.

{إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (النور : 11)

11- رافقت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاهما، وعندما رجع ودنا من المدينة، وأذن ليلة بالرحيل، مشت هي حتى جاوزت الجيش لتقضي حاجتها. ولما عادت لمست صدرها فإذا عقدها انقطع. فرجعت تلتئمسه، فوجدته بعدما استمر الجيش، وعادت إلى مكانها فلم تجد أحدا هناك. فنامت وهي تظن أنهم سيفقدونها ويعودون إليها. وكان الصحابي الجليل صفوان بن المعطل من وراء الجيش، فرآها، فأناح لها راحلته فركبتها، وانطلق يقود بها الراحلة حتى أتوا الجيش، فأشاع المنافقون أنه فعل بها! فبرأها الله مما قالوا في آيات أنزلها في هذه السورة من كتابه الكريم.

إن الذين جاءوا بالكذب والبُهتان الذي افتروه على أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، هم جماعة منكم، ولا تظنوا ذلك شرا لكم - والخطاب الأ خير للنبي عليه الصلاة والسلام وآل أبي بكر - بل هو خير لكم، ففيه ثواب على صبركم، ورفعته منازلكم في الآخرة، وظهور كرامتكم، واهتمام وتعظيم لعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعتناء بأم المؤمنين رضي الله عنها، فقد أنزل الله براءتها في آيات تلتى في كتابه إلى قيام الساعة. مع تشديد الوعيد على المنافقين وبيان أساليبهم العدائية.

ولكل من تكلم بهذا الإفك العظيم نصيب من العذاب، والذي ابتدأ به وخطط له وأشاعه من بينهم، له عذاب كبير على فعله الشنيع هذا. وهو رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول.

{لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ} (النور : 12)

12- وقد خاضَ بعضُ المسلمينَ في هذا الكلامِ السيِّءِ دونَ تثبُّتٍ. هَلَّا إِذْ سَمِعْتُمْ ذَلِكَ الْكَلَامَ غَيْرَ اللَّاتِقِ بِأُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ أَنَاسٍ غَيْرِ مُؤْتَمِنِينَ، ظَنَنْتُمْ خَيْرًا بِأَخْوَانِكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ؟ فَالْعَدُوُّ دَائِمًا يَعْمَدُ إِلَى إِسَاءَتِكُمْ. وَإِذَا كَانَ هَذَا الْاِتِّهَامُ لَا يَلِيقُ بِكُمْ لَكُونِكُمْ مُؤْمِنِينَ، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِعَرَضِ رَسُولِكُمْ؟ فَهَلَّا قُلْتُمْ إِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ كَاذِبٌ ظَاهِرٌ مَكْشُوفٌ؟

{لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ} (النور : 13)

13- هَلَّا جَاءَ هؤُلاءِ الْكَاذِبُونَ عَلَى إِفْكِهِمْ وَأَدْعَائِهِمْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءٍ يَشْهَدُونَ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِمْ؟ فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ مِنَ الْمُنْفِسِدِينَ، وَمَحْكُومٌ عَلَيْهِمْ بِالْكَذِبِ فِي شَرِيعَةِ اللَّهِ.

{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (النور : 14)

14- وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَأْفَتُهُ بِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بَأَنْ عَفَا عَنْكُمْ وَقَبِلَ تَوْبَتَكُمْ لِإِيْمَانِكُمْ، لِأَصَابِكُمْ بِسَبَبِ مَا خُضْتُمْ فِيهِ مِنْ حَدِيثِ الْإِفْكِ عَذَابٌ كَبِيرٌ لَا يَنْقَطِعُ. وَالخِطَابُ لِلخَائِضِينَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ الْمُنَافِقِينَ.

{إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ} (النور : 15)

15- إِذْ تَلَقَّفُونَ هَذَا الْخَبَرَ السَّيِّئَ وَيُرْوِيهِ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَتَقُولُونَ قَوْلًا لَا عِلْمَ لَكُمْ بِهِ، وَلَا تَتَّبِعْتُمْ لَكُمْ فِيهِ، وَتَحْسَبُونَ هَذَا الْقَوْلَ يَسِيرًا فِي حَقِّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، زَوْجِ رَسُولِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، وَالْحَالُ أَنَّهُ قَدْ ذُفَّ وَشَائِعَةٌ خَطِيرَةٌ، يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ وَزْرٌ كَبِيرٌ، وَعَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِقَدْرِ شِنَاعَتِهِ وَأَثَارِهِ السَّيِّئَةِ.

{ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ } (النور : 16)

16- وهالآ إِذْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْكَلَامَ الْمُنْكَرَ قُلْتُمْ: لَا يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ الْمَفْتَرَى وَلَا أَنْ نَذْكُرَهُ لِأَحَدٍ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ أَنْ يُقَالَ هَذَا الْكَلَامُ عَلَى رُوحِ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هَذَا كَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ، وَكَلَامٌ مُلْفَقٌ مُخْتَرَعٌ.

{ يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (النور : 17)

17- يَنْصَحُكُمْ اللَّهُ فِي هَذَا الشَّأْنِ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ أَبَدًا، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَشَرَعِهِ.

{ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (النور : 18)

18- وَيُوضِّحُ اللَّهُ لَكُمْ هَذِهِ الْأَحْكَامَ الدَّالَّةَ عَلَى مَحَاسِنِ شَرِيعَتِهِ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِأَحْوَالِ عِبَادِهِ، حَكِيمٌ فِيمَا يَشْرَعُهُ لَهُمْ مِنْ أَحْكَامٍ.

{ إِنَّ الَّذِينَ يُجْبُونَ أَنْ تَشِيَعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } (النور : 19)

19- إِنَّ الَّذِينَ يُجْبُونَ أَنْ تَشِيَعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُوَ إِقَامَةُ الْحَدِّ عَلَيْهِمْ، أَوْ مَا يُنَاسِبُهُ مِنْ تَعْزِيرٍ، مَعَ مَا يَتَلِيهِمْ اللَّهُ مِنَ الْبَلَايَا وَالْمِحْنِ، وَفِي الْآخِرَةِ لَهُمْ عَذَابُ النَّارِ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْأُمُورَ وَمَا يُنَاسِبُهَا مِنْ وَعِيدٍ، وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا يَعْلَمُهُ، فَزُودُوا إِلَيْهِ الْأُمُورَ تَرشُدُوا وَتَنْجُوا.

{ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ } (النور : 20)

20- وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ عَلَيْكُمْ، وَرَحْمَتُهُ بِكُمْ، لَعَجَّلَ بِعَقُوبَتِكُمْ، وَلَكِنَّهُ رَحِيمٌ وَتَابٌ عَلَيْكُمْ. وَهَذَا لَعِبْرُ الْمُنَافِقِينَ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ
بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ
يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (النور : 21)

21- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا تَتَّبِعُوا مَسَالِكَ الشَّيْطَانِ وَطُرُقَهُ الْخَبِيثَةَ، وَمَا يُوَسْوِسُ بِهِ فِي نَفْسِكُمْ
وَيُزَيِّنُهُ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ إِشَاعَةِ الْفَاحِشَةِ، وَمَنْ يَسْلُكْ طُرُقَهُ فَإِنَّهُ يَكُونُ سَاعِيًا وَآمِرًا بِالْأَفْعَالِ
الْقَبِيحَةِ، الَّتِي يُنْكِرُهَا الشَّرْعُ لَضَرَرِهَا وَآثَارِهَا السَّيِّئَةِ.

ولولا فضلُ اللهِ عليكمِ ورحمتهُ بكم، ومنها بيانُ عقوبةِ مَنْ يُشيعُ الفاحِشَةَ في المجتمع، ثمَّ
توفيقكم للتَّوْبَةِ، لما طَهَّرَ أَحَدًا مِنْكُمْ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْأَخْلَاقِ الدَّنِيئَةِ أَبَدًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُطَهِّرُ مَنْ
شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، بِتَسْدِيدِهِمْ وَهَدَايَتِهِمْ لِلتَّوْبَةِ، ثُمَّ قَبُولِهَا مِنْهُمْ. وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِأَقْوَالِ عِبَادِهِ، عَلِيمٌ
بِنِّيَاتِهِمْ فِي الْإِحْلَاصِ وَالتَّوْبَةِ.

{ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (النور :
22)

22- وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُنْفِقُ عَلَى قَرِيبٍ لَهُ، وَلَمَّا كَانَ مِمَّنْ خَاضَ فِي الْإِفْكِ قَطْعَهُ
عَنْهُ، وَحَلَفَ أَنْ لَا يُنْفِقَ عَلَيْهِ، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْمَسَاكِينِ. وَلَمَّا نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا، وَأُقِيمَ حَدُّ الْقَذْفِ عَلَى مَنْ أُقِيمَ، وَمِنْهُمْ مِسْطَحُ ابْنُ خَالَةِ أَبِي بَكْرٍ... نَزَلَتْ الْآيَةُ.

وَلَا يَجْلِفَنَّ أَهْلُ الصَّدَقَةِ وَالْإِحْسَانِ مِنْكُمْ أَنْ لَا يُؤْتُوا ذَوِي قُرْبَاهُمْ وَالْفُقَرَاءَ مِنْهُمْ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ، وَلْيَعْفُوا عَمَّا صَدَرَ مِنْهُمْ مِنَ الْإِسَاءَةِ وَالْأَذَى، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يُثَبِّتَ اللَّهُ عَلَى
إِحْسَانِكُمْ وَعَفْوِكُمْ عَنْهُمْ، بِأَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَهُوَ الَّذِي يَغْفِرُ الذُّنُوبَ، وَيَرْحَمُ عِبَادَهُ،
وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ؟

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَلَى وَاللَّهِ إِنَّا نُحِبُّ يَا رَبَّنَا أَنْ تَغْفِرَ لَنَا. وَعَادَ إِلَى صِلَةِ قَرِيبِهِ
بِالتَّفَقُّةِ.

{ إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (النور : 23)

23- إن الذين يقذفون العفيفات البعيدات عن التهم، المؤمنات، بالزنا، أبعدوا من الرحمة، فعذبوا في الدنيا بالحد، وفي الآخرة بالنار، ولهم مع اللعن عذاب كبير هائل.

{ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (النور : 24)

24- في يوم الحساب والجزاء، تشهد ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم على أقوالهم وأفعالهم السيئة، فتنتطق بقدرة الله، وتخبز كل جارحة بما جنته.

{ يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ } (النور : 25)

25- في ذلك اليوم يحاسبهم الله ويجازيهم على أعمالهم، ويعلمون عند معاينتهم العذاب أن وعد الله حق، وأن حسابه عدل.

{ الْحَبِيبَاتُ لِلْحَبِيثِينَ وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيبَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ بِمَا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } (النور : 26)

26- الحبيبات السئيات من النساء مناسبات ولائقات بالحبيثين السئيين من الرجال، والحبيثون منهم لا تقون بالحبيثات منهن وموافقون لهن، والطيبات العفيفات من النساء مختصات بالطيبين من الرجال، والطيبون منهم مختصون بالطيبات منهن، وهم بعيدون عما يقوله أهل الزور والبهتان، لهم مغفرة عظيمة عند ربهم، بسبب صبرهم على ما قيل فيهم، وحنه عدن يقيمون فيها.

والإشارة فيها إلى عائشة رضي الله عنها. قالوا: وحيث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب الطيبين، فإن الصديقة رضي الله عنها أطيب الطيبات بالضرورة.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (النور : 27)

27- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا تَدْخُلُوا بِيوتًا - ماعدا بيوتكم - حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا مِنْ أَهْلِهَا (ثَلَاثًا)، وَتُسَلِّمُوا عَلَى السَّاكِنِينَ فِيهَا، فَإِنَّ الاسْتِئْذَانَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الدُّخُولِ فَجَاءَ.

{ فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ازْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } (النور : 28)

28- فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِي الْبُيُوتِ أَحَدًا يَأْذَنُ لَكُمْ بِالدُّخُولِ، فَاصْبِرُوا وَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُسَمَّحَ لَكُمْ بِهِ، لِأَنَّ فِيهِ تَصَرُّفًا فِي مُلْكِ الْغَيْرِ بِغَيْرِ رِضَاهِ، وَالدُّخُولُ بِغَيْرِ إِذْنٍ سَبَبٌ لِلْقِيلِ وَالْقَالِ. وَإِذَا طُلِبَ مِنْكُمْ الرُّجُوعُ فَارْجِعُوا وَلَا تُلْحِقُوا فِي الدُّخُولِ، فَإِنَّهُ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ، وَأَنْفَعُ لِدِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ. وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا تَأْتُونَ وَمَا تَتْرَكُونَ مِمَّا كَلَّفَكُمْ بِهِ، وَمِنْهُ الدُّخُولُ بِإِذْنٍ أَوْ بِغَيْرِ إِذْنٍ.

{ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ } (النور : 29)

29- لَيْسَ عَلَيْكُمْ حَرَجٌ أَنْ تَدْخُلُوا بِغَيْرِ اسْتِئْذَانٍ بِيُوتًا لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ، كَأَمَاكِنِ إِبْوَاءِ الْأَمْتِعَةِ وَالرِّحَالِ. وَالْمَقْصُودُ الْبُيُوتُ غَيْرُ الْمَخْصَصَةِ لِسُكْنَى طَائِفَةٍ مُعَيَّنَةٍ، كَالْفَنَاقِ وَالْحَوَانِيتِ وَالْحَمَّامَاتِ وَمَا إِلَيْهَا. وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِمَا تُظْهِرُونَ وَمَا تُسْرُونَ. وَهُوَ وَعَيْدٌ لِمَنْ يَدْخُلُ أَمَاكِنَ بِقَصْدِ الْفَسَادِ، أَوْ لِلإِطْلَاعِ عَلَى أَسْرَارِ النَّاسِ وَعَوْرَاتِهِمْ.

{ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ } (النور : 30)

30- قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَصْرِفُوا أَبْصَارَهُمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْحَرَامِ، كَالنَّظَرِ إِلَى الْعَوْرَاتِ وَإِلَى النَّسَاءِ الْأَجْنَبِيَّاتِ، وَإِلَى مَا يُوْرِثُ الْفِتْنَةَ وَيُوقِعُ فِي الْمَحْدُورِ. وَليَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُمْ، كَالزَّانَا وَاللَّوَاطِ وَغَيْرِهِ، فَإِنَّ غَضَّ الْبَصَرِ وَحِفْظَ الْفَرْجِ خَيْرٌ لَهُمْ وَأَطْهَرُ لِقُلُوبِهِمْ، وَأَصْلَحُ لِنَفْسِهِمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ، وَسَيُجَازِي كُلًّا بِمَا عَمِلَ.

{ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطُّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يُضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (النور : 31)

31- وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ كَذَلِكَ يَصْرِفْنَ أَبْصَارَهُنَّ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُنَّ النَّظَرُ إِلَيْهِ، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ عَنِ الْحَرَامِ، وَلَا يُظْهِرْنَ شَيْئًا مِمَّا يَتَرَبَّنَ بِهِ مِنَ الْحُلِيِّ، إِلَّا مَا لَا يُمَكِّنُ إِخْفَاؤَهُ، كَالرِّدَائِ وَالنِّيَابِ، أَوِ الْخَاتَمِ وَالْحِضَابِ. وَفِيهِ خِلَافٌ مَشْهُورٌ، بَيْنَ مَنْ قَالَ إِنَّ الْمَقْصُودَ بِـ "مَا ظَهَرَ مِنْهَا" الْوَجْهَ وَالكَفَّانَ، وَمَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَلْيُرْسِلْنَ بِخُمُرِهِنَّ - جَمْعُ خِمَارٍ، وَهُوَ السِّتْرُ - عَلَى صُدُورِهِنَّ، لِئَلَّا يُرَى مِنْهَا شَيْءٌ. وَلَا يُظْهِرْنَ زِينَتَهُنَّ الْحَفِيَّةَ إِلَّا لِأَزْوَاجِهِنَّ، أَوْ آبَائِهِنَّ، أَوْ أَبْنَائِهِنَّ، أَوْ أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ، أَوْ إِخْوَانِهِنَّ، أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ، أَوْ نِسَائِهِنَّ - يَعْنِي الْمُسْلِمَاتِ دُونَ الْكَافِرَاتِ - أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ مِنَ الْإِمَاءِ، وَلَوْ كُنَّ كَافِرَاتٍ، أَوْ الْأَجْرَاءِ وَالْأَتْبَاعِ الَّذِينَ لَا مِيلَ وَلَا حَاجَةَ لَهُمْ إِلَى النِّسَاءِ، كَالْأَبْلَهِ وَالْمَغْفَلِ، وَالطَّاعِنِ فِي السِّنِّ الَّذِي فَنِيَتْ شَهْوَتُهُ، وَالْمَسْجُوعِ الَّذِي قُطِعَ دَكْرُهُ وَخَصِيَّتُهُ. أَوْ الْأَطْفَالَ الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوا بَعْدَ مَعْنَى الْعَوْرَةِ وَحَرَكَاتِ النِّسَاءِ وَسَكَنَاتِهِنَّ. وَلَا يُضْرِبْنَ بَعْضَ أَرْجُلِهِنَّ بِبَعْضٍ لِيَتَقَعَّعَ خِلَافَهُنَّ فَيُعْلَمَ أَنَّهُنَّ ذَوَاتُ زِينَةٍ، إِغْرَاءً لِلرِّجَالِ. كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ النَّهْيُ عَنْ أَنْ يَتَعَطَّرْنَ لِيَشُمَّ الرِّجَالُ عِطْرَهُنَّ. وَاتْرَكُوا الْفَوَاحِشَ وَالْأَخْلَاقَ الرَّذِيلَةَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ مِمَّا قَصَرْتُمْ فِيهِ، لِتَفُوزُوا بِرِضَى اللَّهِ وَالسَّعَادَةِ فِي الدَّارَيْنِ.

{ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (النور : 32)

32- وَرَوَّجُوا مَنْ لَا زَوْجَ لَهُ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ وَالْأَقْرِبَاءُ، رَجَالاً كَانُوا أَوْ نِسَاءً، وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبِيدِكُمْ وَجَوَارِيكُمْ أَيُّهَا السَّادَّةُ، وَإِذَا كَانُوا فُقَرَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُغْنِيهِمْ بَعْدَ الزَّوْجِ. حَتَّى قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: التَّمَسُّوا الْغِنَى فِي النِّكَاحِ.

وَاللَّهُ غَنِيٌّ ذُو فَضْلٍ وَسَعَةٍ، عَلِيمٌ بِعِبَادِهِ وَأَحْوَالِهِمْ، فَيَسِطُ الرِّزْقَ لِمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ، وَيُضَيِّقُ عَلَى مَنْ شَاءَ، بِحِكْمَتِهِ.

{وَلَيْسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَعُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنَ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ عُفُورٌ رَّحِيمٌ} (النور : 33)

33- وَالَّذِينَ هُمْ فُقَرَاءٌ وَلَا يَجِدُونَ مَا يَتَزَوَّجُونَ بِهِ، فَلْيَتَعَفَّفُوا عَنِ الْحَرَامِ، وَلْيَصُونُوا أَنْفُسَهُمْ عَنِ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، حَتَّى يَوْسَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ رِزْقِهِ.

وَالَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ تُكَاتِبُوهُمْ مِنَ الْعَبِيدِ، بَأَنْ يُعْطَوْكُمْ قَدْرًا مِنَ الْمَالِ لِيَتَحَرَّرُوا، وَلَهُمْ صَنْعَةٌ أَوْ قُوَّةٌ عَلَى الْكَسْبِ يَسْتَطِيعُونَ بِهِ أَنْ يُؤَدُّوهُ إِلَيْكُمْ، فَاسْمَحُوا لَهُمْ بِذَلِكَ - وَهُوَ أَمْرٌ نَدْبٌ وَاسْتِحْبَابٌ - وَسَاعِدُوهُمْ فِي ذَلِكَ، وَأَعْطُوهُمْ مِمَّا أَعْطَاكُمْ اللَّهُ مِنَ الرِّزْقِ، لِيَكُونَ عَوْنًا لَهُمْ عَلَى تَحْرِيرِهِمْ.

وَلَا تُجْبِرُوا إِمَاءَكُمْ عَلَى الزَّانَا إِذَا أَرَدْنَ الصَّوْنَ وَالْعِفَّةَ، لِتَطْلُبُوا بِذَلِكَ الْمَالَ مِنْ كَسْبِهِنَّ أَوْ صَدَاقِهِنَّ أَوْ بَيْعِ أَوْلَادِهِنَّ. وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ أَنَّ التِّي لَا تُرِيدُ الْعَفَافَ زَنْتًا، وَلَكِنَّهُ بَيَانٌ لِقُبْحِ الْأَمْرِ وَشِنَاعَتِهِ، أَوْ أَنَّهُ حَرَجٌ مَخْرَجٌ الْغَالِبِ. وَقَدْ نَزَلَتِ الْآيَةُ فِي إِمَاءٍ كُنَّ يُرَدْنَ الْعَفَافَ وَسَيِّدَهُنَّ (كَبِيرُ الْمُنَافِقِينَ) يُكْرِهِنَّ عَلَى الْفُجُورِ وَالزَّانَا، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ لِبَيَانِ حُكْمٍ وَتَوْضِيحِ حَالَةٍ.

فَمَنْ أَجْبَرَهُنَّ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ إِيْمَهُنَّ عَلَى مَنْ أَجْبَرَهُنَّ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُنَّ مَا دُمْنَ مُكْرِهَاتٍ، وَيَرْحَمُهُنَّ وَلَا يُعَذِّبُهُنَّ عَلَى ذَلِكَ.

{وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ} (النور : 34)

34- ولقد أنزلنا في هذا القرآن آيات، فيها بيانٌ لحدودِ وآدابِ وأحكام، وشبَّها من حالكم بحال الذين مضوا من قبلكم، كقصّة أمّ المؤمنين عائشة المحاكية لقصّة مريم الصديقة، التي أتهمها اليهودُ بالزنا، وموعظةً وعبرةً للمؤمنين الحذرين الوجِلين، الذين ينزجرون عن المحرّمات، ويعتبرون من القصص والأخبار.

{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (النور : 35)

35- الله سبحانه نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مثلُ نُورِهِ كمثلِ كُوَّةٍ فِي حَائِطٍ، فِيهَا سِرَاجٌ يَجْمَعُ ضَوْءَهُ لئَلَّا يَتَفَرَّقَ، السِّرَاجُ فِي قِنْدِيلٍ زُجَاجِيٍّ صَافٍ، القِنْدِيلُ الزُّجَاجِيُّ مُضِيءٌ مُتَالِئٌ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ مُشْرِقٌ كالدُّرِّ، يَسْتَمِدُّ هَذَا المِصْبَاحُ وَقودَهُ مِنْ زَيْتِ زَيْتُونٍ شَجَرَةٍ كَثِيرَةِ المَنَافِعِ، وَتَكُونُ فِي مَكَانٍ مُسْتَوٍ بَارِزٍ، فَلَا يَمْنَعُ عَنْهَا الشَّمْسُ شَيْءً، مِنْ حِينَ طُلُوعِهَا حَتَّى تَغْرُبَ، وَهَذَا أَحْسَنُ لَزَيْتِهَا وَأَلْطَفُ، فَيَكَادُ لَصَفَائِهِ وَنِقَائِهِ أَنْ يُشْرِقَ بِنَفْسِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَمَسَّهُ نَارٌ، فإِذَا مَسَّهُ أَضَاءٌ كَثِيرًا.

نورٌ عظيمٌ كائنٌ على نُورٍ: نورُ النَّارِ ونورُ الزَّيْتِ. يُرْشِدُ اللهُ لهُدَايَتِهِ مَنْ يَخْتَارُهُ مِنْ عِبَادِهِ، مِمَّنْ يَعْلَمُ طَهَارَتَهُ وَصَلَاحَهُ.

وهذا مثلٌ من الأمثالِ التي يَضْرِبُهَا اللهُ لِلنَّاسِ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ مِنْهُمُ المِهادِيَةَ وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ.

{ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ } (النور : 36)

36- المَسَاجِدُ أَحَبُّ البِقَاعِ إِلَى اللهِ فِي الأَرْضِ، أَمَرَ اللهُ أَنْ تُطَهَّرَ مِنَ الدَّنَسِ والقَدَرِ والكلامِ اللِّغْوِ وَكُلِّ ما لَا يَلِيْقُ بِهَا، يَذْكَرُ فِيهَا وَيَتْلُو كِتَابَهُ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ،

{رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا
تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} (النور : 37)

37- رجالٌ مؤمنونٌ مخلصون، هم عمّار بيوته، فلا تشغلهم التجارة بأرباحها، ولا بيع ولا شراء عن التسبيح، والتحميد، وطاعة ربهم ومحبتهم، وعن الصلاة في مواقيتها، وإعطاء حقوق الفقراء من أموالهم، فالطاعة مقصدهم أينما كانوا، يخافون يوم الحساب والجزاء، حيث تضطرب القلوب والأبصار، وتتغير من الفزع ومن شدة هول ذلك اليوم وأحواله.

{لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}
(النور : 38)

38- ليجزيهم الله على أعمالهم الصالحة، ويعطيهم من كرمه وفضله زيادة عما يستحقون، والله كريم واسع الفضل، يعطي من يشاء من الأجر بلا عد ولا كيل، ما لا تبلغه أمنيته.

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَخْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا
وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (النور : 39)

39- وأعمال الذين كفروا لا قيمة لها ولا وزن لآثارها، ولو بدت في شكل الأعمال الخيرية، بل هي كسراب يتراءى في شدة الحر في أرض منبسطة مستوية، يظنه العطشان ماءً، حتى إذا جاء إلى ما توهمه، لم يجده شيئاً، لكن وجد الله له بالمرصاد، فحاسبه على أعماله كلها، ووقاه جزاءه كاملاً، والله سريع الحساب، على كثرة من يحاسبهم، وكثرة أعمالهم.

{أَوْ كظلماتٍ في بحرٍ لَّجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظلماتٌ بعضها فوق بعضٍ إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نورٍ} (النور : 40)

40- أو أن أعمالهم هذه التي حسبوا أنها ستنفعهم - وهي لا تنفعهم، لأنها غير مبنية على الإيمان - كظلمات، خلّوها من نور الحق، في بحر عميق كثير الماء، يعلوه موج عظيم، من

فوقه موجٌ مُتراكم، وأعلاه سحابٌ مُظلم، فهي ظلماتٌ مُتكاثَةٌ ومُتراكِمَةٌ بعضُها على بعض، إذا أخرج المرءُ يده لم يكِدْ يراها، وهي أقربُ شيءٍ إليه، من شدَّةِ الظلام. ومن لم يجعلِ اللهُ له دينًا وإيمانًا فلا دينَ له، ومن لم يَهدهِ اللهُ فهو جاهلٌ هالك، لا قيمةَ لأقواله وأعماله مهما بدت طيبة، فالمهمُّ طاعةُ الله، ومُوافقةُ دينه، والتصرفُ كما تُمليه أوامره، لا كما يرغبُ الكافرُ ويتصرفُ بهواه.

{ أَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ } (النور : 41)

41- أَمْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ وَيُنَزِّهُهُ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالْإِنْسِ، وَالْجِنِّ، وَالْحَيَوَانِ، وَحَتَّى الْجَمَادِ، وَلَكِنْ لَا نَفَهُمْ تَسْبِيحَهُمْ، وَالطَّيْرِ تُسَبِّحُهُ وَتَعْبُدُهُ وَهِيَ تَبْسُطُ أَجْنِحَتَهَا فِي الْهَوَاءِ، وَقَدْ عَلِمَ كُلُّ طَرِيقَةَ عِبَادَةِ رَبِّهِ وَتَنْزِيهِهِ، بَعْدَ أَنْ أُرْشِدَهُ اللَّهُ إِلَى ذَلِكَ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَهُ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ.

{ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ } (النور : 42)

42- وَكُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَهُ سُبْحَانَهُ، خَلْقًا وَمُلْكًا وَتَدْبِيرًا، فَلَا عِبَادَةَ إِلَّا لَهُ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا حُكْمَ إِلَّا لَهُ.

{ أَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ } (النور : 43)

43- أَمْ تَنْظُرُ إِلَى السَّحَابِ كَيْفَ يَسُوِّفُهُ اللَّهُ بَلُطْفٍ إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ، ثُمَّ يَجْمَعُ بَيْنَ مُتَفَرِّقِهِ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ مُتْرَاكِمًا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، فَتَرَى الْمَطَرَ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْزِلُ مِنْ بَيْنِهِ، وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّحَابِ مِنْ قِطْعٍ عَظِيمَةٍ مِنْهُ تُشْبِهُ الْجِبَالَ بَرَدًا، فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ، وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ فَيَنْجُو.

والبرد لا يتكوّن إلا في السُّحُبِ التي تَكونُ على شَكلِ الجبال، التي قَدْ يَصِلُ ارتفاعُها إلى (15) كم، وتتألّفُ مِنْ طبَقَةٍ سَفَلَى بارِدَةٍ وأُخرى عَالِيَةٍ حَارَّةٍ، وتَنشأ دَوَاماتٌ شَدِيدَةٌ بسببِ الاختِلافِ في درَجَاتِ الحرارة، وتَكونُ سببًا في تبريدِ السَّحابِ، الذي يُشكِّلُ حَبَّاتِ البردِ. ويَكاذُ ضَوْءُ بَرَقِ هذا السَّحابِ أَنْ يَخِطِفَ الأبصارَ لِشِدَّةِ لمعانِهِ وَقوَّةِ تأثيرِهِ.

{ يَغْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ } (النور : 44)

44- وَيَتَصَرَّفُ اللَّهُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَيَأْتِي بِأَحَدِهِمَا بَعْدَ الْآخَرِ، وَيَنْقُصُ مِنْ هَذَا وَيَزِيدُ فِي الْآخَرِ، وَيُعَيِّرُ أَحْوَالَهُمَا بِالْحَرَارَةِ وَالْبُرُودَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ، لِمَنْ كَانَتْ لَهُ بَصِيرَةٌ يَتَدَبَّرُ بِهَا.

{ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (النور : 45)

45- وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ تَدْبُّ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ، وَهُوَ النُّطْفَةُ، أَي: خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ نَوْعٍ مِنَ الْمَاءِ يَخْتَصُّ بِتِلْكَ الدَّابَّةِ. أَوْ خَلَقَهَا مِنْ مَّاءٍ، بِنَسَبٍ مُخْتَلَفَةٍ، فَالْمَاءُ أَصْلُ الْحَيَاةِ { وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ } [سورة الأنبياء: 30]. وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ مُكَوَّنَةٌ مِنْ 80% مِنَ الْمَاءِ، وَأَنَّ جِسْمَ الْإِنْسَانِ مُعْظَمُهُ مَاءٌ، وَأَنَّ كَافَّةَ وَظَائِفِ الْجِسْمِ الْحَيِّ تَتَوَقَّفُ فِي غِيَابِ الْمَاءِ...

وَمِنْ هَذِهِ الدَّوَابِّ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ، كَالْأَفَاعِي وَالِدِيدَانِ وَمَا شَاكَلَهَا مِنَ الزَّوَاجِفِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ، كَالْإِنْسَانِ وَالطَّيْرِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ، كَالْأَنْعَامِ. وَيَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ، مِمَّا ذُكِرَ وَغَيْرِهِ، وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، فَيَخْلُقُ مَا يَشَاءُ كَمَا يَشَاءُ.

{ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (النور : 46)

46- لقد أنزلنا في هذا القرآن آياتٍ مُحْكَمَةً فِيهَا أَحْكَامٌ عَادِلَةٌ، وَحِكْمٌ وَأَمْثَالٌ بَيِّنَةٌ، وَاللَّهُ يُرْشِدُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ - بِالتَّفَكُّرِ فِيهَا وَالِاعْتِبَارِ بِهَا - إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمَةِ، الَّتِي تَوْدِي إِلَى السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ.

{ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ } (النور : 47)

47- وَيَقُولُ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ لَمْ يَتَّبِعُوا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ: آمَنَّا بِاللَّهِ رَبَّنَا، وَمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَرَسُولًا، وَأَطَعْنَا أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ يُعْرِضُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ عَمَّا يَأْمُرُ بِهِ الدِّينَ، مِنْ بَعْدِ ادِّعَائِهِمُ الْإِيمَانَ وَالطَّاعَةَ، وَمَا أُولَئِكَ بِمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُمْ يُظَاهِرُونَ خِلَافَ مَا يُبْطِنُونَ.

{ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ } (النور : 48)

48- وَإِذَا دُعِيَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ إِلَى دِينِ اللَّهِ، وَأَنْ يَحْكُمَ رَسُولُهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خُصُومِهِمْ، إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَأْبَى وَيَسْتَكْبِرُ عَنْ قَبُولِهِ، لِمَعْرِفَتِهِمْ أَنَّ الْحُكْمَ بِالْحَقِّ لَيْسَ فِي مَصْلَحَتِهِمْ، وَرَسُولُ اللَّهِ لَا يَحْكُمُ إِلَّا بِالْحَقِّ.

{ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ } (النور : 49)

49- فَإِذَا كَانَ الْحَقُّ فِي طَرَفِهِمْ، وَعَلِمُوا أَنَّ سَيَحْكُمُ لَهُمْ، أَتَوْا إِلَيْهِ مُطِيعِينَ مُنْقَادِينَ لِحُكْمِهِ.

{ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَّرْضٌ أَمْ اِزْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الظَّالِمُونَ } (النور : 50)

50- فَهَلْ سَبَبُ إِعْرَاضِهِمْ هُوَ وَجُودُ مَرَضٍ فِي قُلُوبِهِمْ لِكُفْرِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ، أَمْ شَكُّوا فِي أَمْرِ نَبْوَةِ رَسُولِنَا، أَمْ خَافُوا أَنْ يَظْلِمَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِي الْحُكْمِ؟ بَلْ إِنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَفَجَرُوا بِإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْحَقِّ.

{ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (النور : 51)

51- إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ فِي إِيمَانِهِمْ، إِذَا دُعُوا إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَقَضَاءِ الرَّسُولِ بَيْنَهُمْ،
اسْتَجَابُوا لِنِدَاءِ الْحَقِّ وَقَالُوا: سَمِعْنَا كَلَامَ اللَّهِ وَأَطَعْنَا حُكْمَهُ. فَأُولَئِكَ هُمُ السُّعَدَاءُ الْفَائِزُونَ.

{ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } (النور : 52)

52- وَمَنْ يُطِيعِ أَمْرَ اللَّهِ وَأَمْرَ رَسُولِهِ، وَيَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقِبُ مَا نَهَى عَنْهُ، فَأُولَئِكَ النَّاجُونَ،
الْفَائِزُونَ بِجَنَّةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ.

{ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُفْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (النور : 53)

53- وَحَلَفَ الْمُنَافِقُونَ حَلْفًا عَظِيمًا أَنَّكَ إِذَا أَمَرْتَهُمْ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْجِهَادِ خَرَجُوا، قُلْ لَهُمْ أَثْمَانُ
النَّبِيِّ: لَا تَخْلِفُوا حَلْفًا فَاجِرًا، فَإِنَّ طَاعَتَكُمْ طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ، هِيَ بِاللِّسَانِ فَقَطْ، لَا بِالْعَمَلِ. وَاللَّهُ
خَبِيرٌ بِأَعْمَالِكُمُ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَمَا تُضْمِرُونَ مِنْ كُفْرٍ، وَتَكْذِيبُونَ فِي حَلْفٍ.

{ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ
تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } (النور : 54)

54- وَقُلْ لَهُمْ: أَطِيعُوا اللَّهَ وَاسْتَجِيبُوا لِأَمْرِهِ، وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ وَلَا تُخَالِفُوهُ، فَإِذَا أَعْرَضُوا وَتَرَكُوا مَا
جِئْتَهُمْ بِهِ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ مَا كُفِّتَ بِهِ مِنَ الدَّعْوَةِ وَالتَّبْلِيغِ، وَعَلَيْهِمْ مَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ الاسْتِجَابَةِ
وَالطَّاعَةِ، وَإِذَا أَطَعْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدْ اهْتَدَيْتُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَمَا عَلَى رَسُولِنَا إِلَّا أَنْ يُبَلِّغَكُمْ مَا أُوحِيَ
إِلَيْهِ، فِي وَضُوحٍ وَبَيَانٍ، وَقَدْ فَعَلَ، وَلَا سَيْطَرَةَ لَهُ عَلَى قُلُوبِكُمْ.

{ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا
يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (النور : 55)

55- وعدَ اللهُ مَنْ آمَنَ مِنْكُمْ بِصِدْقٍ وَإِحْلَاصٍ، وَأَحْسَنَ فِي الْعَمَلِ، أَنْ يَسْتَخْلِفَهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَيَجْعَلَ الْحُكْمَ بِأَيْدِيهِمْ، كَمَا جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِيمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِيُثَبِّتَ دِينَ الْإِسْلَامِ الَّذِي اخْتَارَهُ لَهُمْ وَيَجْعَلُهُ فَوْقَ كُلِّ الْمَلِكِ وَالنَّحْلِ، وَلِيُبَدِّلَنَّ حَالَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ وَصَبْرِهِمْ عَلَى أَدَى أَعْدَائِهِمْ أَمْنًا وَعِزًّا، يُوَحِّدُونَنِي فِي عِبَادَتِهِمْ آمِنِينَ، غَيْرَ خَائِفِينَ أَحَدًا غَيْرِي، وَمَنْ خَرَجَ عَنْ طَاعَتِي وَارْتَدَّ بَعْدَ بَيَانِ الْحَقِّ وَظُهُورِ الدِّينِ، فَقَدْ كَفَرَ وَعَصَى.

وَصَحَّ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ قَوْلُهُ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ الْمَدِينَةَ، وَأَوْثَمُ الْأَنْصَارِ، رَمَتْهُمْ الْعَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، فَكَانُوا لَا يَبْتَغُونَ إِلَّا فِي السَّلَاحِ، وَلَا يُصْبِحُونَ إِلَّا فِيهِ، فَقَالُوا: أَتَرُونَ أَنَّا نَعِيشُ حَتَّى نَبِيْتَ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ لَا نَخَافُ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ الْآيَةَ.

وقد أنجز الله وعده، وأظهر دينه، ونصر أوليائه، فما مات رسوله حتى دانت له الجزيرة العربية، ومكّن أصحابه من فتح البلاد ونصرهم.

{ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (النور : 56)

56- وداوموا على الصلاة في أوقاتها، بشروطها وأركانها، وأعطوا الزكاة لمستحقيها من الفقراء والمحتاجين، وأطيعوا الرسول وتمسكوا بسنته، لتؤجروا بذلك وترحموا.

{ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ } (النور : 57)

57- ولا تظننَّ الذين كفروا بالله وكذبوا بما جئت به مُعْجِزِينَ اللهُ عَنْ إِدْرَاكِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ، وَإِنْ جَالُوا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ، وَهَرَبُوا وَاسْتَخَفُوا، فَهوَ قَادِرٌ عَلَيْهِمْ، وَلَهُمْ أَجَلٌ لَنْ يَسْتَقْدِمُوهُ وَلَنْ يَسْتَأَخِرُوهُ، فَهُمْ مَهْزُومُونَ مَقْهُورُونَ فِي الدُّنْيَا، مُخْزَوْنَ مُهَانُونَ فِي الْآخِرَةِ، يُعَذِّبُهُمُ اللهُ فِي النَّارِ عَذَابًا مُؤَلِّمًا مُوجِعًا، وَبِئْسَ مَثْوَاهُمْ وَمَأْلَهُمْ ذَاكَ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ تَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ

العِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ { (النور : 58)

58- أيها المؤمنون، ليستأذنينكم في الدخول عليكم العبيد والإماء، والأطفال المميزون من الأحرار، الذين لم يبلغوا سن البلوغ بعد، ثلاث أوقات في اليوم والليلة: من قبل صلاة الفجر، حيث يكون الناس نياماً، وفي وقت القيلولة، حين تخلعون ثيابكم التي لبستموها في النهار، ومن بعد صلاة العشاء، لأنه وقت النوم.

وهي أوقات خلوة وعورة، لا يحب المسلم أن يطالع عليه فيها أحد. أما في غير هذه الأوقات، فلا حرج عليكم من السماح لهم بالدخول عليكم، ولا حرج عليهم في الدخول عليكم من غير استئذان، لأن العبيد والخدم والصبيان طوافون عليكم بالخدمة والعمل، يدخل بعضكم على بعض.

وهكذا يوضح الله أحكامه لكم، وهو عليم بأحوال الناس وأوقات شغلهم وراحتهم، حكيم بما يشرعه لكم.

{ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ { (النور : 59)

59- وإذا بلغ الأطفال الأحرار سن الاحتلام، فليستأذِنوا في جميع الأوقات في الدخول عليكم، مثل غيرهم من الرجال، كما سبق في الآية (27) من هذه السورة: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا } . وهكذا يوضح الله لكم أحكامه الدالة على ما فيه نفعكم وصلاحتكم، وهو عليم بأمور خلقه، حكيم بما يشرعه لكم.

{ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ { (النور : 60)

60- والنساء العجائز اللواتي لا يُردن الرجال، ولا يتشوفن إلى الزواج، لكبر سنهن، فلا حرج عليهن أن يخلعن ثيابهن الظاهرة أمام الرجال، كالجلباب والقناع الذي فوق الخمار، وهن لا

يَقْصِدْنَ إِبْرَارَ جَمَالٍ أَوْ إِظْهَارَ زِينَةٍ عَلَيْهِنَّ، وَإِذَا تَرَكْنَ ذَلِكَ وَاحْتَشَمْنَ فَهَوَ أَفْضَلُ لهنَّ، فَهَوَ أْبَعْدُ عَنِ التُّهْمَةِ، وَأَدْفَعُ لِكَلَامِ السُّفْهَاءِ عَنْهُنَّ. وَاللَّهُ سَمِيعٌ بِمَا يَجْرِي فِي مَجَالِسِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، عَلِيمٌ بِمَقْصِدِهِمْ مِنْ ذَلِكَ.

{ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ يَمِينَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } (النور : 61)

61- لَيْسَ هُنَاكَ بِأَسُّ وَلَا حَرْجٌ عَلَيْكُمْ فِي مُؤَاكَلَةِ الْأَعْمَى، وَالْأَعْرَجِ، وَالْمَرِيضِ، وَلَا حَرْجٌ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ أَيْضاً (وَكَانُوا يَتَحَرَّجُونَ مِنْ ذَلِكَ). وَلَا حَرْجٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ (وَمِنْهَا بُيُوتُ أَوْلَادِكُمْ وَزَوْجَاتِكُمْ)، أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ، أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ، أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ، أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ، أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ، أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ، أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ، أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ، أَوْ مَا تَحْتَ أَيْدِيكُمْ وَتَصَرُّفِكُمْ، كِبُسْتَانٍ أَوْ مَاشِيَةٍ مَّوَكَّلَةٍ بِكُمْ، أَوْ بُيُوتِ أَصْدِقَائِكُمْ، فَلَا حَرْجٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْهَا، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا حَاضِرِينَ، مُجْتَمِعِينَ كُنْتُمْ أَوْ مُنْفَرِدِينَ.

وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَأْنَفُونَ وَيَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَأْكُلَ الرَّجُلُ الطَّعَامَ وَحْدَهُ، حَتَّى يَكُونَ مَعَهُ غَيْرُهُ، فَرَحَّصَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ، فَقَالَ: { لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً }. وَإِذَا دَخَلْتُمْ أَحَدَ الْبُيُوتِ الْمَذْكُورَةِ، فَسَلِّمُوا عَلَى أَصْحَابِهَا تَحِيَّةً حَسَنَةً مَّشْرُوعَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ نَافِعَةً، تَطْيِيبُ بِهَا نَفْسُ الْمُسْتَمِعِ (وَهُوَ قَوْلُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ). وَهَكَذَا يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْأَحْكَامَ الْعَادِلَةَ الْكَافِيَةَ، لِتَتَدَبَّرُوهَا، وَتَعْمَلُوا بِمُوجِبِهَا، فَإِنَّهَا خَيْرٌ لَكُمْ.

{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (النور : 62)

62- إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ فِي إِيمَانِهِمْ، الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ بِحَقِّ، إِذَا كَانُوا مَعَ رَسُولِهِمْ فِي أَمْرٍ مِنْهُمْ، كاجْتِمَاعِ مَشُورَةٍ أَوْ جِهَادٍ، لَمْ يَنْصَرِفُوا عَنْهُ إِلَّا بَعْدَ الْإِذْنِ مِنْهُ. إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ لِبَعْضِ أُمُورِهِمْ، هُمُ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ إِيمَانًا صَادِقًا عَمِيقًا، فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ، وَادَّعَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ، فَإِنَّ الْاسْتِئْذَانَ مِنْ اجْتِمَاعِ يَكُونُ مُدِيرُهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَخْلُو مِنْ تَفْضِيلٍ عَلَيْهِ، وَفِي ذَلِكَ شَائِبَةٌ تَبَعَتْ عَلَى الْاسْتِغْفَارِ لَهُمْ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لِعِبَادِهِ وَيَرْحَمُهُمْ، إِنَّ هُمْ تَابُوا وَأَنَابُوا.

{ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (النور : 63)

63- وَلَا تُنَادُوا الرَّسُولَ بِاسْمِهِ أَوْ بِكُنْيَتِهِ كَمَا يَدْعُو بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، وَيَا أَبَا فُلَانٍ، وَيَا ابْنَ فُلَانٍ، بَلْ شَرَّفُوهُ وَزِيدُوا مِنْ إِكْرَامِهِ، وَقُولُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَيَا نَبِيَّ اللَّهِ. أَوْ أَنَّ الْمَقْصُودَ: لَا تَطْنُوا أَنَّ دُعَاءَ الرَّسُولِ كَدُعَاءِ غَيْرِهِ، فَاحْذَرُوا أَنْ يَدْعَوْ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ دُعَاءَهُ مُسْتَحَابٌ.

وَيَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ أَمْرَهُ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ رَسُولَهُ، وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ، الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْجَمَاعَةِ خَفِيَّةً، فَيَلُودُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ وَيَسْتَتِرُ بِهِ حَتَّىٰ يَخْرُجَ. فَلْيَخَشْ هَؤُلَاءِ الْمُخَالِفِينَ الْعَاصُونَ لِأَمْرِ رَسُولِهِ أَنْ يُصِيبَهُمْ بَلَاءٌ أَوْ مِحْنَةٌ فِي الدُّنْيَا، بِقَتْلِ أَوْ غَيْرِهِ، أَوْ أَنْ يَنَالَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ فِي الْآخِرَةِ.

{ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (النور : 64)

64- ولله كُُلُّ ما في السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، خَلَقًا ومُلْكًا وتَدْبِيرًا، وهو يَعْلَمُ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الأَوْضَاعِ والأَحْوَالِ، والأَقْوَالِ والأَفْعَالِ، والإِيمَانِ والنَّفَاقِ، لا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ. وَعِنْدَما يُرْجَعُ إِلَيْهِ الخَلائِقُ يَوْمَ الحِسابِ، يُنْجِبُهُم بِالذِّي عَمِلُوهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، قَلِيلًا كانَ أو كَثِيرًا. وَعِلْمُ اللَّهِ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، فلا تَخَفِ عَلَيْهِ خَافِيَةً.

سورة الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } (الفرقان : 1)

1- تعالَى اللهُ وتَمَجَّدَ وجَلَّ شَأْنُهُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَكَثُرَ فَضْلُهُ وَخَيْرُهُ لِلْعِبَادِ، الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ، لِيُحَذِّرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ، وَيُنذِرَهُمْ بِأَسَ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ.

{ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا } (الفرقان : 2)

2- الَّذِي لَهُ مُلْكُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالْمُتَصَرِّفُ فِي تَدْبِيرِهِمَا وَحْدَهُ، لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ كَمَا ادَّعَى الضَّالُّونَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ عِنْدَ خَلْقِهِ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْمُبْدِئُ وَالْمُعِيدُ، الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَهَيَأَ فِيهِ مَا يُنَاسِبُهُ لِحَيَاتِهِ، بِحِكْمَةٍ وَإِتْقَانٍ وَإِبْدَاعٍ، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ.

{ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا } (الفرقان : 3)

3- وَاتَّخَذَ الْمُشْرِكُونَ أَصْنَامًا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَقَدْ صَنَعُوهَا بِأَيْدِيهِمْ، مِنْ أَحْجَارٍ وَأَشْجَارٍ، فَهِيَ لَا تَقْدِرُ عَلَى الْحَرَكَةِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ تَكُونَ آلِهَةً تَخْلُقُ شَيْئًا، وَهِيَ لَا تَمْلِكُ أَنْ تَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهَا وَعَنْ غَيْرِهَا ضَرًّا يُصِيبُهُمْ، وَلَا أَنْ تَجْلِبَ لِنَفْسِهَا وَلِعَابِدِيهَا نَفْعًا يُفِيدُهُمْ، وَلَا تَمْلِكُ تَصَرُّفًا فِي أَيِّ شَيْءٍ، مِنْ إِمَاتَةٍ، وَإِحْيَاءٍ، وَبَعْثٍ بَعْدَ الْمَوْتِ، إِنَّمَا كُلُّ ذَلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا } (الفرقان : 4)

4- وقال المشركون في جهلٍ وافتراء: ما هذا القرآن الذي جاء به محمدٌ سوى كذب، اختلقه من عنده، وأعانه على جمعه ونظمه ناسٌ من اليهود، يسردون عليه قصصاً وأخباراً من عندهم فيضعها في القرآن. قالوا هذا باطلاً بغير حق ولا دليل، وهم يعلمون أنهم كاذبون.

{ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } (الفرقان : 5)

5- وقال هؤلاء المشركون: إن ما في هذا القرآن حكايات وقصص قديمة، وسيّر شعبيّة سطرها الأولون، استنسخها محمدٌ مما يُقال منها صباحاً ومساءً. وهم يعلمون أنه عليه الصلاة والسلام كان أمياً، لا يقرأ ولا يكتب.

{ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً } (الفرقان: 6)

6- قل أيها الرسول: إن هذا القرآن ليس بمختلق، بل هو كلام الله الذي يعلم الغيب وجميع ما خفي في السماوات والأرض، وفي القرآن من أخبار الأمم الماضية وأخبار المستقبل ما لا يعلمها إلا هو سبحانه، فآمنوا ولا تكذبوا، ليغفر لكم ويرحمكم، فهو يغفر لعباده إن تابوا وأنابوا، ويرحمهم إذا آمنوا واستقاموا.

{ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذيراً } (الفرقان : 7)

7- وقال الكافرون وهم مستمرون في عنادهم: ما لهذا الرسول يأكل الطعام كما نأكل نحن، ويمشي في الأسواق يلتمس فيها التكبس والتجارة، فهلاً كان معه ملك من الملائكة يصدقها بما يقول، ويخبر الناس أنه داع صادق لدين الله، منذر من قبله؟

{ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحوراً } (الفرقان : 8)

8- أو أن ينزل عليه كنز من السماء ينفق منه، ولا يحتاج فيه إلى التردد إلى الأسواق. أو أن يكون له بستان يأكل منه ولا يحتاج إلى العمل فيه؟

وقال هؤلاء المشركون: إنكم إن اتبعتم محمدًا فلا تتبعون سوى رجلٍ مسح الجنب فغلب على عقله!

{ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا } (الفرقان : 9)

9- انظر أيها النبي كيف جاؤوا بما يكذبون به عليك، وضربوا لك أمثالا، وطلبوا منك مطالب، واختزعوا أقاويل، فاحرفوا عن الحق، وتحيروا، فلا يستطيعون معرفة طريق الهداية، لاستكبارهم وعنادهم!

{ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا } (الفرقان : 10)

10- تعالى الله وجلت قدرته، فهو إن أراد أنشأ لك أفضل مما طلبوه منك: بساتين خضراء مليئة بأنواع الشجر والتمر، تجري من خلالها الأنهار، ويجعل لك فيها قصورا عالية.

{ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا } (الفرقان : 11)

11- لكنهم يقولون ذلك عنادا وتكديبا، وليس بغرض الإيمان، وإن كفرهم بيوم البعث هو الذي يحملهم على تكذيب ما جئت به، وقد هيأنا لمن كفر بيوم القيامة نارا شديدة تسعير بهم.

{ إِذَا رَأَوْهُم مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا } (الفرقان : 12)

12- إذا رأيتم جهم من بعيد، وهم في المحشر، أظهرت غيظا، وزفرت زفيرا منكرا حنقا عليهم⁽⁹⁵⁾.

(95) { تَغِيْظًا } أي: صوت تعيظ، على تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاط، أي: الغضبان إذا غلى صدره من الغيظ، فعند ذلك يهمهم، والهمهمة: ترديد الصوت في الصدر... وفي المفردات: التغيظ: إظهار الغيظ، وهو أشد الغضب، وقد يكون ذلك مع صوت مسموع. { وَزَفِيرًا } : هو صوت يُسْمَعُ من جوفه، وأصله: ترديد النفس حتى تنتفخ الضلوع منه. (روح البيان، باختصار).

{ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا } (الفرقان : 13)

13- وإذا أُلْقُوا فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ فِي جَهَنَّمَ، مُكْتَفِينَ أَوْ مُوثَقِينَ بِالسَّلَاسِلِ الْعَلِيظَةِ مَعَ شَيَاطِينِهِمْ، وَفِي أَرْجُلِهِمُ الْأَصْفَادَ، نَادَوْا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ بِالْوَيْلِ وَالْهَلَاكِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

{ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا } (الفرقان : 14)

14- لَا تَدْعُوا فِي هَذَا الْيَوْمِ الشَّدِيدِ بِهَلَاكِ وَاحِدٍ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، بَلِ ادْعُوا بِوَيْلَاتٍ وَحَسْرَاتٍ كَثِيرَةٍ. وَأَنْتَى يَكُونُ الْهَلَاكُ مُنْقِذًا؟ بَلْ هُوَ زِيَادَةٌ هُمْ وَعَمَّ عَلَيْهِمْ.

{ قُلْ أَدْلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا } (الفرقان : 15)

15- قُلْ لِلْكَافِرِينَ أَيُّهَا الرَّسُولُ: أَدْلِكِ السَّعِيرُ وَمَا فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ لِلْأَشْقِيَاءِ الَّذِينَ رَفَضُوا الْإِيمَانَ بِرِسَالَاتِ رَبِّهِمْ، أَفْضَلَ، أَمْ جَنَّاتُ اللَّهِ الْخَالِدَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَخْلِصِينَ، وَوَعَدَهُمْ بِهَا جَزَاءً طَاعَتِهِمْ وَصَبْرِهِمْ عَلَى مَا كَلَّفَهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَتَكُونُ مَأْلَهُمْ وَمُقَامَهُمُ الدَّائِمُ؟

{ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا } (الفرقان : 16)

16- لَهُمْ فِي الْجَنَانِ مَا يَشَاءُونَ مِنَ اللَّذَائِدِ وَالْمِشْتَهَاتِ وَأَنْوَاعِ النَّعِيمِ، فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ، وَمَلَابِسِهِمْ وَقُصُورِهِمْ، مَا كَثِيرٌ فِيهَا أَبَدًا، لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَتَحَوَّلُونَ عَنْهَا. وَهَذَا الْجَزَاءُ وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ يَطْلُبَهُ النَّاسُ مِنْ رَبِّهِمْ وَيَسْأَلُوهُ وَيَتَنَافَسُوا فِيهِ، وَهُوَ كَائِنٌ لَا بُدَّ.

{ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ } (الفرقان : 17)

17- وَيَوْمَ يَحْشُرُ اللَّهُ الْكَافِرِينَ مَعَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَيَقُولُ لِأَهْلِيهِمُ الْمَرْعُومَةِ تَوْبِيخًا لِعَابِدِيهِمْ: أَأَنْتُمْ دَعَوْتُمْ هَؤُلَاءِ إِلَى عِبَادَتِكُمْ وَأَضَلَلْتُمُوهُمْ، أَمْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَهْوَى فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ غَيْرِ دَعْوَةٍ مِنْكُمْ لَهُمْ؟

{قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا} (الفرقان : 18)

18- قَالَ المعبودون: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا، تَنَزَّهْتَ عَنِ الوَلَدِ وَالشَّرِيكِ، لَيْسَ لِأَيِّ مَخْلُوقٍ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ إِهْلًا يَلْتَجِيْ إِلَيْهِ، لَا نُحْنُ وَلَا هُمْ، وَلَمْ نَدْعُهُمْ إِلَى عِبَادَتِنَا قَطُّ، بَلْ فَعَلُوا ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَمْرِنَا، وَنَحْنُ بُرَاءٌ مِنْهُمْ وَمِنْ عِبَادَتِهِمْ، وَلَكِنْ أَعْطَيْنَاهُمْ وَأَبَاءَهُمْ طَوَّلَ العُمُرِ وَالصَّحَّةَ وَأَنْوَاعَ النَّعْمِ، لِيَشْكُرُوها وَيَعْرِفُوا حَقَّ المِنْعَمِ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَتَّعِظُوا، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا، وَاسْتَعْرَقُوا فِي الشَّهَوَاتِ، وَانْهَمَكُوا فِي الحَرَامِ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ، حَتَّى غَفَلُوا عَمَّا أَنْزَلْتَهُ عَلَى رَسُلِكَ مِنَ الدِّينِ الحَقِّ. وَكَانُوا قَوْمًا هَالِكِينَ، غَلَبَ عَلَيْهِمُ الشَّقَاءُ وَالخِذْلَانُ.

{فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مِّنْكُمْ نُدِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا} (الفرقان : 19)

19- أَيُّهَا الكَافِرُونَ، هَاهُمْ الَّذِينَ عَبدْتُمُوهُمْ فِي الدُّنْيَا كَذَّبْتُمْ فِي ادِّعَائِكُمْ أَنَّهُمْ آلِهَةٌ⁽⁹⁶⁾، وَفِي كَوْنِهِمْ أَوْلِيَاءٌ لَكُمْ يَنْصُرُونَكُمْ وَيَشْفَعُونَ لَكُمْ، فَلَا تَمْلِكُونَ دَفْعَ العَذَابِ عَنِ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا عَوْنًا وَمُسَاعَدَةً مِنْ جِهَةِ أَحَدٍ لِيُنْقِذَكُم مِنَ العَذَابِ الَّذِي حَلَّ بِكُمْ. وَمَنْ يَكْفُرْ مِنْكُمْ أَيُّهَا المِكْفَلُونَ، فَسَوْفَ نُذِيقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَذَابًا عَظِيمًا.

{وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِتْمَمَ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا} (الفرقان : 20)

20- وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الأنبياءِ السَّابِقِينَ إِلَّا كَانُوا بَشَرًا مِثْلَكَ، يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ كَمَا تَأْكُلُ، وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ لِلتَّجَارَةِ وَالتَّكْسُّبِ كَمَا تَفْعَلُ، وَلَيْسَ هَذَا مُخِلًّا بِمَقَامِ النُّبُوَّةِ. وَابْتَلَيْنَا

(96) فِي حَذْفِ فِعْلِ القَوْلِ فِي هَذِهِ الآيَةِ اسْتِحْضَارٌ لِصُورَةِ المَقَامِ، كَأَنَّهُ مَشَاهِدٌ غَيْرُ مُحْكَمٍ، وَكَأَنَّ السَّمَاعَ آخَرَ الآيَةِ قَدْ سَمِعَ لِهَذِهِ المَحَاوِرَةِ مَبَاشِرَةً دُونَ حِكَايَةِ، فَفَرَعَ سَمِعَهُ شَهَادَةُ الْأَصْنَامِ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ فَرَعَ سَمِعَهُ تَوَجُّهُ خِطَابِ التَّكْذِيبِ إِلَى المَشْهُودِ عَلَيْهِمْ. وَهُوَ تَفْتِنٌ بَدِيعٌ فِي الحِكَايَةِ، يَتَّعَمَدُ عَلَى تَخْيِيلِ المُحْكَمِ واقِعًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ دُوفُوا مَسَّ سَقَرَ} [سورة القمر 48]. (التحرير).

بَعْضَكُمْ بَبْعُ لِنَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، وَمَنْ يَنْجَحُ فِي الْاِحْتِبَارِ، فَالْفَقِيرُ فِتْنَةُ لِلْعَنِيِّ، وَالْعَنِيُّ فِتْنَةُ
لِلْفَقِيرِ، وَالصَّحِيحُ فِتْنَةُ لِلْمَرِيضِ، وَالْمَرِيضُ فِتْنَةُ لَهُ، وَالشَّرِيفُ فِتْنَةُ لِلْوَضِيعِ... فَهَلْ تَصْبِرُونَ
عَلَى هَذَا الْاِبْتِلَاءِ بِحَقٍّ، وَتَقُومُونَ بِوَضِيعَتِكُمُ الْمَطْلُوبَةَ مِنْكُمْ؟ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِأَحْوَالِ عِبَادِهِ، حَكِيمٌ
بِمَا يَبْتَلِيهِمْ بِهِ، عَلِيمٌ بِمَنْ صَبَرَ مِنْهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَمَنْ جَزَعَ، وَسَيُحَاسِبُكُمْ عَلَى كُلِّ ذَلِكَ،
وَيُجَازِي كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّ.

الجزء التاسع عشر

سورة الفرقان (21-77)

سورة الشعراء

سورة النمل (1-55)

{ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا } (الفرقان : 21)

21- وقال الكافرون الذين لا يؤمنون بالمعاد: هلا أنزل علينا الملائكة كما ينزلون على الأنبياء فيحبرونا بصدق نبوة محمد، أو نرى الله جهره فيحبرنا بذلك؟ لقد استكبروا عن قبول الحق في شأن أنفسهم، وطعوا بقولهم هذا، وأفحشوا بطلب ما لا ينبغي.

{ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا } (الفرقان : 22)

22- إنهم لن يروا الملائكة وهم بخير، بل يروهم عندما يخبروهم بمصيرهم السيء، وهو الحية والحسran، والنار والعذاب، فيا لذلك اليوم الرهيب، الذي لن يكون بشري للكافرين المجرمين بأية حال، يوم يقول لهم الملائكة: حرام محرم عليكم دخول الجنة.

{ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا } (الفرقان : 23)

23- وأتينا على أعمالهم التي عملوها في الدنيا وقد ظنوا أنها حسنة، فجعلناها يوم الحساب باطلة لا ثواب عليها، كالرماذ المتفرق التافه الذي لا قيمة له، لأنها لم تكن قائمة على أساس الإيمان والشرع الذي رضي الله لخلقه.

{ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقْرَرًا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا } (الفرقان : 24)

24- في ذلك اليوم العَصِيبِ يَكُونُ الْمُؤْمِنُونَ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ، فَرِحِينَ مُبْتَهَجِينَ، قَدْ اسْتَقْرَؤُوا فِي جَنَّاتِ اللَّهِ الْخَالِدَةِ الطَّيِّبَةِ، أَفْضَلَ وَأَجْمَلَ مَأْوَى لَهُمْ، بِخِلَافِ حَالِ الْمُشْرِكِينَ الْمُتَكَبِّرِينَ...

{ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَتُنزَّلُ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا } (الفرقان : 25)

25- وَمِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَنَّ السَّمَاءَ تَنْشَقُّ وَتَنْفَرُجُ عَنِ الْغَمَامِ⁽⁹⁷⁾، وَتُنزَلُ الْمَلَائِكَةُ مِنَ السَّمَاوَاتِ عَلَى نَمَطٍ غَيْرِ مَعْهُودٍ؛ لِتُحِيطَ بِالخَلْقِ فِي الْمِحْشَرِ، ثُمَّ يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَهُمْ.

{ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا } (الفرقان : 26)

26- فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ الْمَلِكُ الْحَقِيقِيُّ كُلُّهُ لِلَّهِ الرَّحْمَنِ، الْمَلِكِ الدِّيَانِ، لَا يُشَارِكُهُ فِي الْمَلِكِ وَالْأَمْرِ وَالْحُكْمِ أَحَدٌ، لَا حَقِيقَةً وَلَا بَحَازًا، وَكَانَ يَوْمًا شَدِيدًا صَعْبًا عَلَى الْكَافِرِينَ، الَّذِينَ لَمْ يَحْسُبُوا حِسَابَ هَذَا الْيَوْمِ، وَهُمْ يَعْرِفُونَ كَيْفَ يَكُونُ قَضَاءُ اللَّهِ فِيهِمْ، وَقَدْ حَارَبُوا دِينَهُ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَجَعَلُوا الدُّنْيَا مَقْصِدًا لَهُمْ وَغَايَةً.

{ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا } (الفرقان : 27)

27- وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّهِيْبِ يَعَضُّ الْكَافِرُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْأَسَى وَالنَّدَمِ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي سَلَكْتُ مَعَ الرَّسُولِ طَرِيقًا لِأَكُونَ مَعَهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ. وَقَدْ نَزَلَتْ فِي عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ الْمَشْرِكِ، فِي قِصَّةِ آذَى فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

{ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا } (الفرقان : 28)

28- وَيَقُولُ: يَا حَسْرَتِي وَيَا هَلَاكِي، لَيْتَنِي لَمْ أَجْعَلْ فُلَانًا صَدِيقًا لِي أَتَقَبَّلُ بِهِ وَأَعْتَمِدُ عَلَيْهِ. وَيَعْنِي الشَّيْطَانَ أَوْ غَيْرَهُ مِنَ الْإِنْسَانِيِّ الْمُضِلِّينَ.

(97) {بِالْغَمَامِ}: هُوَ السَّحَابُ، يَسْمَى بِهِ لِكَوْنِهِ سَاتِرًا لِنُورِ الشَّمْسِ، وَالغَمُّ: سِتْرُ الشَّيْءِ، أَي: بِسَبَبِ طُلُوعِ الْغَمَامِ مِنْهَا. وَهُوَ الْغَمَامُ الَّذِي ذُكِرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ } [سورة البقرة: 210]. قِيلَ: هُوَ غَمَامٌ أَيْضُ رَقِيقٌ مِثْلُ الضَّبَابَةِ... (رُوحِ الْبَيَانِ).

{لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا} (الفرقان: 29)

29- ويقولُ في ألمٍ وندم: لقد أغواي وصرَفني عن القرآنِ بعد أن بلغني وعلمتُ ما فيه، والشَّيطانُ - وهو كُلُّ مَنْ صَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ - يَخْذُلُ المرءَ عن الحقِّ، ويدعوهُ إلى الباطلِ، ويُمْنِيهِ، ويُطَوِّلُ في أمَلِهِ حتَّى يَنسى رَبَّهُ، ثمَّ يَتْرُكُهُ ولا يَنْفَعُهُ، ليلتقى مَصيرُهُ السيِّءَ.

{وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} (الفرقان: 30)

30- وقال الرَّسولُ مُحَمَّدٌ صلى اللهُ عليه وسلم: يا رَبِّ، إِنَّ قَوْمِي تركوا هذا القرآنَ الجليلَ وهجروه، ولم يُصدِّقوا ما فيه، وقالوا هوَ شِعْرٌ وسِحْرٌ، وعدلوا عنه إلى اللُّهُوِ والباطلِ، بدلَ أن يَمْتَثِلُوا ما فيه ويعملوا بأحكامِهِ. وكانَ هذا في مَكَّةَ قَبْلَ الهِجْرَةِ.

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا} (الفرقان: 31)

31- وكما جعلنا لك أعداءً مِنَ المشركينَ يُؤذونَكَ أيُّها الرَّسولُ، كذلكَ جعلنا للأنبياءِ في الأممِ الخاليةِ أعداءً مِنَ الكفِّرةِ المجرمينِ، فاصبرْ كما صبروا، واللهُ يَهْدِي مَنْ اتَّبَعَ دِينَهُ وَيَنْصُرُهُ على أعدائِهِ، وَمَنْ كانَ اللهُ ناصِرُهُ فلا يذِلُّ.

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ

تَرْتِيلًا} (الفرقان: 32)

32- وقال المشركونَ تعنتًا ولجاجةً: هَلَّا نَزَلَ هذا القرآنُ دُفْعَةً وَاحِدَةً على مُحَمَّدٍ كما نزلتِ الكُتُبُ السَّابِقَةُ على الأنبياءِ، بدلَ أن تنزلَ سُورٌ وآياتٌ مُتَفَرِّقاتٌ بينَ مُدَّةٍ وأخرى؟ وقد نزلناه مُتَفَرِّقًا لِنُقَوِّي بِهِ فُؤَادَكَ، وبيناهُ وفصلناه تَفْصِيلًا.

وقد أنزل اللهُ تعالى القرآنَ الكريمَ إلى السَّماءِ الدُّنيا جُمْلَةً وَاحِدَةً في لَيْلَةِ القَدْرِ، ثمَّ نَزَلَ مُتَفَرِّقًا على رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم على مدى ثلاثٍ وعشرينَ سنةً، بحسبِ الحوادثِ والوقائعِ، وعندَ الحاجةِ إلى مَعْرِفَةِ الأحكامِ؛ لِيُثَبِّتَ في القلوبِ، وفيه تيسيرٌ لحفظِهِ وفهمِ معانيهِ، وتجديدٌ للإعجازِ وتذكيرٌ به، وردُّ على الطَّاعِنِينَ والمُشَكِّكِينَ والمُنافِقِينَ، وفوائدٌ أُخرى.

{ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا } (الفرقان : 33)

33- ولا يأتيتك الكافرون بشبهة واقتراح باطل، إلا جئناك في مقابلته بحجة واضحة وجواب شافٍ صحيح، نَقْدِفُ بِهِ عَلَى بَاطِلِهِمْ فَيَدْمَعُهُ وَيُزْهِقُهُ، وَيَكُونُ أَبِينِ أَفْصَحِ مِنْ مَقَالِهِمْ.

{ الَّذِينَ يُحْشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُورًا مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا } (الفرقان:

34)

34- إِنَّ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يُسَاقُوتُونَ وَيُجْرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ، هُمْ أَسْوَأُ مَنْزِلَةً، وَأَبْعَدُ طَرِيقًا عَنِ الْحَقِّ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدًّا عَلَى سَوْءِ سُؤَالٍ فِي هَذَا: "أَلَيْسَ الَّذِي أَمَشَاهُ عَلَى الرَّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمَشِّيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟". رواه البخاري.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي "الْفَتْحِ": الْحِكْمَةُ فِي حَشْرِ الْكَافِرِ عَلَى وَجْهِهِ، أَنَّهُ عُوقِبَ عَلَى عَدَمِ السُّجُودِ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا بَأَن يُسْحَبَ عَلَى وَجْهِهِ فِي الْقِيَامَةِ، إِظْهَارًا لَهْوَانِهِ. وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: يُؤْخَذُ مِنْ جَمْعِ الْأَحَادِيثِ، أَنَّ الْمُقَرَّبِينَ يُحْشِرُونَ رُكْبَانًا، وَمَنْ دَوَّهَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ فَيُحْشِرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ.

{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا } (الفرقان : 35)

35- وَقَدْ أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ عَلَىٰ مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ مِنْ قَبْلُ، وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ مُؤَيَّدًا وَمُعِينًا لَهُ، وَنَبِيًّا مِثْلَهُ.

{ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا } (الفرقان : 36)

36- وَقُلْنَا لهُمَا: اذْهَبَا إِلَى قَوْمِ فِرْعَوْنَ الْفَاسِقِينَ. فَذَهَبَا إِلَيْهِمْ، وَدَعَوَاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، فَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمُعْجَزَاتِنَا، فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِهْلَاكًا.

{ وَقَوْمٌ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرَّسُولَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا لَهُمُ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا } (الفرقان : 37)

37- وقوم نوح لما كذبوا رسولهم، وقد مكث فيهم ألفاً إلا خمسين عاماً، أهلكناهم بالطوفان، وجعلنا قصصهم وعقوبتهم عبرةً للآخرين، وقد هيأنا للكافرين عذاباً شديداً في الآخرة، سوى العذاب الذي لا قوة في الدنيا.

{ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا } (الفرقان : 38)

38- وأهلكننا عاداً لما كذبوا نبيهم هوداً، وكانوا في عُمانَ واليمنَ، وكذلك أهلكننا ثمودَ قومَ صالح، وكانوا فيما بينَ الحجازِ والشَّامِ (مدائنَ صالحٍ في بلادِ الحَرَمينِ)، وأصحابَ الرِّسِّ، لعَلَّهم أصحابُ الأُحدودِ، وأجيالاً آخِرِينَ كَثِيرِينَ بَيْنَ هؤُلاءِ الأَقوامِ.

{ وَكَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأُمْتَالَ وَكَلَّا تَبَرْنَا تَبِيرًا } (الفرقان : 39)

39- وقد بيَّنا لكلِّ هذه الأممِ بالأدلةِ والمعجزاتِ صدقَ ما جاءَ بهِ الأنبياءُ من عندِ ربِّهم، ولم نُعاقِبهم إلا بعدَ الإنذارِ، وعندما استكبروا وأبوا إلا الكُفْرَ والعِصيانَ، أهلكناهم إهلاكاً.

{ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَقْلَمَ يَكُونُوا يَرُودُهَا بَنٌ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا } (الفرقان : 40)

40- ولقد أتى قومك على آثارِ مدينةِ سدُومِ عندَ البحرِ الميِّتِ، التي كانَ فيها قومٌ لوطٍ - وهي في طريقِ تجارتهم بينَ الشَّامِ والحِجازِ - وكانوا يأتونَ الفاحِشَةَ، وكذبوا نبيَّهم لوطاً ولم يُطيعوه، وبقوا مُصِرِّينَ على فعلِ اللُّواطِ، فأهلكناهم بالحجارةِ، وقد قلَّبتنا قُرَاهمَ على رأسِها. أما كانوا يَعتَبِرونَ ممَّا أصابَ أهلها، ويَعلَمونَ أنَّ اللهَ قادِرٌ على أن يُهلِكَهم كما أهلِكَهم؟ لكنَّ سببَ عدمِ اعتبارهم هو كُفْرهم بالبعثِ والجزاءِ، فلا يتوقَّعونَ أن يبعثهم اللهُ بعدَ موتهم ويُجاسِبهم على أعمالهم.

{ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهْدَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا } (الفرقان : 41)

41- وإذا رَأَى المشركونَ مِنْ قَوْمِكَ جعلوا منك مَوْضِعَ هُزْءٍ وسُخْرِيَةٍ، فعَابُوكَ ونَقَصُوا منك، وقالوا في ازدراء: أهذا هو الذي بعثه الله رسولاً إلينا؟

{إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آهِنَاتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا} (الفرقان : 42)

42- وقالوا: لقد كادَ أَنْ يَصْرِفَنَا هذا الرَّجُلُ عَنْ عِبَادَةِ أَصْنَامِنَا لو لم نَتَّبِعْ عَلَيْهَا! ولكنَّهم سَيَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كانوا في غَايَةِ الضَّلَالِ، عندما يُعَايِنُونَ العَذَابَ يَوْمَ القِيَامَةِ وقد أَحاطَ بهم.

{أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً} (الفرقان : 43)

43- انظُرْ إلى هؤلاءِ القومِ الذينَ جعلوا مِنْ هَوَاهُمْ دِينًا ومَذْهَبًا لهم، واعجَبْ لشِنَاعَةِ حالِهِمْ في ذلك، أفَأَنْتَ تَحْفَظُهُمْ مِنْ اتِّبَاعِ هَوَاهُمْ وتَقْوُدُهُمْ إلى الهدى مِنْ دونِ الله؟

{أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا} (الفرقان : 44)

44- أَمْ تَظُنُّ أَنَّ أَكْثَرَ المشركينَ يَفْقَهُونَ ما يَسْمَعُونَهُ منك، ويتدَبَّرُونَ ما تَتْلُو عَلَيْهِمْ مِنَ القرآنِ الكريمِ؟ ما هم إِلَّا كالبهائمِ، بل هم أسوأُ منها، فهي تَعْرِفُ لِمَ خُلِقَتْ له، وتَنقَادُ لصاحبها الذي يَتَعَهَّدُها، وتَعْرِفُ مَنْ يُحْسِنُ إليها، وتَطْلُبُ ما يَنْفَعُها، وتَجْتَنِبُ ما يَضُرُّها، وتَهْتَدِي لمراعيتها ومشاربها، وهؤلاءِ الكافرونَ لا يَعْرِفُونَ طريقَ الحقِّ، ولا يُطِيعُونَ رَبَّهُم الذي خَلَقَهُمْ ورزَقَهُم، ولا يَعْرِفُونَ إحسانَهُ إليهم.

{أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا} (الفرقان : 45)

45- أَلَمْ تَنْظُرْ إلى صُنْعِ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ، وهو ما يَكُونُ بينَ بزوغِ الفجرِ إلى طلوعِ الشَّمسِ، لأنَّهُ ظلٌّ لا شمسَ له، ولو شاءَ لجَعَلَهُ ثابتًا لا يَزُولُ، كما هو حالُ ظلِّ الجنَّةِ، ولكنَّهُ

سُبْحَانَهُ شَاءَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ لَتَكُونَ دَلِيلًا عَلَى ظُهُورِهِ، وَلَوْ لَمْ تَكُنِ الشَّمْسُ لَمَا عُرِفَ الظِّلُّ.

{ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا} (الفرقان : 46)

46- ثُمَّ قَبَضْنَا الظِّلَّ قَلِيلًا قَلِيلًا، بَطْلُوعِ الشَّمْسِ وَسَيْرِهَا. وَمَرَجَعُ الظِّلِّ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، لَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِي إِزَالَتِهِ.

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا} (الفرقان : 47)

47- وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ كَاللِّبَاسِ لِمَنْفَعَتِكُمْ، يَسْتُرْكُمْ بِظِلَامِهِ كَمَا يَسْتُرْكُمْ اللَّبَاسُ، وَجَعَلَ النَّوْمَ رَاحَةً لِلْأَبْدَانِ، بِقَطْعِ الحَرَكَاتِ الَّتِي يُزَاوِلُهَا المرءُ أثنَاءَ اليَقَظَةِ، وَجَعَلَ النَّهَارَ وَقْتًا يَنْتَشِرُ فِيهِ النَّاسُ لَطَلْبِ المعَاشِ وَالمَكْسَبِ.

{وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا} (الفرقان : 48)

48- وَهُوَ الَّذِي بَعَثَ الرِّيَّاحَ لَتُبَشِّرَ بِنُزُولِ المَطَرِ، بَعْدَ تَشَكُّلِ السَّحَابِ، وَأَنْزَلْنَا مِنْهُ مَاءً يُتَطَهَّرُ بِهِ.

{لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْبِيَ كَثِيرًا} (الفرقان : 49)

49- لِنُحْيِيَ بِالمَطَرِ أَرْضًا جَدْبَةً لَا نَمَاءَ فِيهَا، وَنُسْقِي مِنْهُ حَيَوَانَاتٍ وَبَشَرًا كَثِيرًا مُتَحَاجِينَ إِلَيْهِ.

{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِ لَكُم مِّنْهُ آيَاتٍ لِّئَلَّامِي لَكُم مِّنْهُ} (الفرقان : 50)

50- وَقَدْ أَنْزَلْنَا المَطَرَ فِي أَرْضٍ دُونَ غَيْرِهَا، وَفِي بَلَدَةٍ دُونَ بُلْدَانٍ أُخْرَى، لِيَتَفَكَّرُوا فِي قُدْرَةِ اللَّهِ، وَيُحْسِنُوا وَبِلَتَجَوُّوا إِلَيْهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ جَحَدُوا وَكَفَرُوا، وَأَسْنَدُوا بِحِيَاءِ المَطَرِ وَمَنْعِهِ إِلَى أُمُورٍ طَبِيعِيَّةٍ، وَهُوَ بِأَمْرِ اللَّهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، إِنْ شَاءَ أَعْطَى، وَإِنْ شَاءَ مَنَعَ.

وفي حديثٍ قُدسيٍّ رواه الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا: "أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ".

{وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا} (الفرقان : 51)

51- ولو أردنا لبعثنا رسولا لأهل كل قرية، يدعوهم إلى الله، ولكن قصصنا الأمر عليك، فبعثناك للقرى كلها، وجعلناك رسولا للعالمين؛ تعظيما لشأنك، فقابل هذا الإجلال بالاجتهاد في الدعوة إلى دين الله، وتبليغ كتابه للناس.

{فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا} (الفرقان : 52)

52- فلا تطيع الكافرين فيما يريدونك عليه، ولا تلتن لهم، وادعهم بهذا القرآن، بتلاوة ما فيه من الآيات، وتذكيرهم بمواعظه، وبمصير الأمم المكذبة فيه، فإن في ذلك جهادا كبيرا.

{وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا} (الفرقان : 53)

53- وهو الذي أجرى كلا نوعي البحرين في مجرييهما، فهذا نهر جار طعمه عذب لذيذ، وهذا بحر ماؤه مالح مر لا يُطاق شربه، وقد جعل الله بينهما حاجزا، وسترا ممنوعا، فإذا دخل ماء أحدهما على الآخر لم يختلطا.

ويحدث هذا عند مصاب الأنهار في البحار، وبعض هذه الأنهار يمتد مسيرها ثمانين كيلومترا ولا يتمازج ماؤه مع ماء البحر! ومعظم أسماك المياه العذبة الداخلة في البحر لا تدخل مياه البحر المالحة، وأسماك المالحة لا تدخل العذبة! وقد اكتشف هذا حديثا، وصور الحاجز بالسفن الفضائية، وهذا الحاجز يكون في حالة مروج وذهاب وإياب...

{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا} (الفرقان : 54)

54- وهو الذي خلق الإنسان من ماء مهين، وهو المني، أو خلق آدم من الماء المخلوط بالطين، ثم جعل منه الذكر والأنثى، والذكر يُنسب إليه (النسب)، والأنثى يُصهر بها (المصاهرة)، وينشأ منهما التعارف والتواصل. والله قادرٌ على كُلِّ شيء، ومن ذلك خلق البشر من مادةٍ واحدة.

{وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا} (الفرقان : 55)

55- وهؤلاء المشركون يعبدون أصنامًا لا تجلب لهم نفعًا إذا عبدوها، ولا تمنع عنهم ضررًا إذا لم يعبدوها، فهم أهل هوى وجهل، لا عقل وتدبر. وكان الكافر موالياً للشيطان ومعاوناً له في عداوة ربّه والإشراك به.

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} (الفرقان : 56)

56- وما أرسلناك إلا مبشراً للمؤمنين المطيعين بالثواب الحسن، ومُنذراً للكافرين العاصين المكذبين بالعذاب والنكال.

{قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا} (الفرقان : 57)

57- قل أيها النبي الكريم: لا أطلب منكم على تبليغ الدين والإنذار بالقرآن أجراً تُعطوني، إلا ما أنفقتم من أموالكم في سبيل الله وطلب مرضاته.

{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا} (الفرقان : 58)

58- والجاناً إلى الله واعتمداً عليه، وفوض أمرك إليه، فهو الحي الباقي الذي لا يموت، ينصرك ويؤيدك بقوته وتأييده، ونزهه عن كل نقص وعيب، وأثن عليه بصفات الكمال والجلال، والله مُطَّلِعٌ على أحوال عباده وأفعالهم وما يفترون من ذنوب، ومنهم المشركون الذين لا يزالون يؤذونك، وسوف يُحاسبك كلاً على ما عمل.

{الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا} (الفرقان : 59)

59- الله الذي خلق السماوات العظيمة وما فيها من شمس وكواكب ومخلوقات لم نرها، والأرض وما فيها من حيوان ونبات وجماد، في ستة أيام، ثم استوى على العرش، يُدبّر الأمر ويقضي بين الخلق، هو الله المتّصف بالرحمة العظيمة، والجود والإحسان، فاسأل خبيراً به إن شئت تحقيق ما ذكر. ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بربه. أو أن الضمير يعود إلى الله سبحانه، أي: فاسأل الله الخبير بحقائق الأمور، يُفدك به.

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا} (الفرقان : 60)

60- وإذا قيل للمُشركين اسجدوا للرحمن، قالوا في جهل وعناد: وما هو الرحمن؟ لا نعرفه ولا نُقرُّ به! أنسجد لمجرد قولك اسجدوا له؟ وزادهم ذلك بُعداً عن الدين والإيمان. وكانوا يُنكرون أن يُسمى الله باسمه "الرحمن".

{تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا} (الفرقان : 61)

61- تعالى الله أهل المجد والثناء، الذي جعل في السماء النجوم والكواكب، أو منازلها الاثني عشر، التي تتنقل في مدارها الخاص بها فيها، وجعل فيها الشمس الوهاجة، والقمر المضيء.

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} (الفرقان : 62)

62- وهو الذي جعل كلاً من الليل والنهار يخلف الآخر، فيذهب هذا ويجيء ذاك، بشكلٍ مُستمر، وبانتظام ودقة، لمن أراد أن يتفكر في قدرة الله وإبداعه، فيعتبر ويزداد إيماناً، أو يشكره على نعمه وآلائه، وما سخّره له من الليل والنهار وغيرهما.

{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} (الفرقان : 63)

63- وَمِنْ صِفَاتِ عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ، أَنَّهُمْ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ بِتَوَدَّةٍ وَسَكِينَةٍ، فَهَمْ مَتَوَاضِعُونَ هَيِّنُونَ، غَيْرُ مُسْتَكْبِرِينَ وَلَا مُتَجَبِّرِينَ، وَإِذَا قَالَ لَهُمُ السُّفَهَاءُ كَلَامًا لَا يَلِيقُ، لَمْ يُقَابِلُوهُمْ بِمِثْلِهِ، فَعَفَوْا وَصَفَحُوا، وَحَلُمُوا وَلَمْ يَجْهَلُوا، وَلَمْ يَقُولُوا إِلَّا خَيْرًا.

{وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا} (الفرقان : 64)

64- وَهُمْ الَّذِينَ يُحْيُونَ اللَّيْلَ أَوْ بَعْضَهُ، فَيَسْجُدُونَ لِلَّهِ وَيَخْشَعُونَ، وَيَقُومُونَ فِي صَلَاتِهِمْ قَارِنِينَ عَابِدِينَ.

{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا} (الفرقان : 65)

65- وَالَّذِينَ يَقُولُونَ فِي رَهْبَةٍ وَخُشُوعٍ: رَبَّنَا أَبْعِدْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ، إِنَّ عَذَابَهَا مُلَازِمٌ مُسْتَمِرٌّ، غَيْرٌ مُفَارِقٌ.

{إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} (الفرقان : 66)

66- إِنَّهَا بئسَ الموضع، وبئسَ المكانُ المقامُ فيه.

{وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} (الفرقان : 67)

67- وَهُمْ الْأَخْيَارُ الْمُعْتَدِلُونَ، الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَزِيدُوا فَوْقَ الْحَاجَّةِ، وَلَمْ يَتَجَاوَزُوا حَدَّ الْكِرَمِ، وَكَذَلِكَ لَمْ يَبْخَلُوا وَلَمْ يُمَسِّكُوا أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْإِنْفَاقِ، بَلْ كَانُوا وَسَطًا وَعَدْلًا.

{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا} (الفرقان : 68)

68- وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ الْمُؤَخِّدُونَ الْمُخْلِصُونَ، الَّذِينَ لَا يُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا.

ولا يَتَّقُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَهَا، إِلَّا بِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُزِيلُ هَذِهِ الْحُرْمَةَ، كَالرَّدَّةِ، وَالزَّنَا بَعْدَ الْإِحْصَانِ، وَقَتْلِ النَّفْسِ عَمْدًا.

ولا يَتَّقُونَ الزَّنَا، {إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} [سورة الإسراء: 32].
وَمَنْ يَفْعَلْ مَا ذُكِرَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، فَسَيُلَاقِي عُقُوبَةً وَنَكَالًا يُنَاسِبُ عَمَلَهُ السَّيِّئَ.

{يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُخْلَدُ فِيهِ مُهَانًا} (الفرقان : 69)

69- يُعَلِّظُ لَهُ الْعَذَابُ وَيُضَاعَفُ لَهُ أضعافًا، وَيَبْقَى فِي ذَلِكَ الْعَذَابِ أَبَدًا، وَهُوَ ذَلِيلٌ مُهَانٌ. وَمُضَاعَفَةُ الْعُقُوبَةِ يَأْتِي مِنَ انضمامِ المعصيةِ إلى الكُفْرِ.

{إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} (الفرقان : 70)

70- إِلَّا مَنْ تَابَ مِنْ تِلْكَ الْمُنْكَرَاتِ فِي الدُّنْيَا، وَآمَنَ إِيمَانًا صَاحِحًا، وَعَمِلَ أَعْمَالًا حَسَنَةً، فَأُولَئِكَ يَمْحُو اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ، وَيُعْطُونَ بَدَلًا مِنْهَا الثَّوَابَ الْحَسَنَ، تَفَضُّلاً وَتَكْرُمًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ.

أَوْ أَنَّ الْمَعْنَى: أَبَدَهُمُ اللَّهُ بِالْعَمَلِ السَّيِّئِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَبَدَهُمُ بِالشَّرِّ إِخْلَاصًا، وَبِالْفُجُورِ إِحْصَانًا، وَبِالْكُفْرِ إِسْلَامًا.

وَاللَّهُ يَغْفِرُ ذُنُوبَ عِبَادِهِ التَّائِبِينَ وَيَرْحَمُهُمْ، فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ إِذَا آمَنُوا وَعَمِلُوا صَالِحًا.

{وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا} (الفرقان : 71)

71- وَمَنْ تَابَ مِنْ ذُنُوبِهِ، كَبِيرَةً كَانَتْ أَوْ صَغِيرَةً، وَنَدِمَ عَلَيْهَا، وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ فَأَطَاعَهُ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعًا طَيِّبًا مَرْضِيًّا عَنْهُ، فَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُ، وَيَعْفُو عَنْهُ.

{وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} (الفرقان : 72)

72- وَمِنْ صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ الْمُتَّقِينَ، أَنَّهُمْ لَا يُدْلُونَ بِشَهَادَاتٍ كَاذِبَةٍ، وَلَا يُسَاعِدُونَ أَهْلَ الْبَاطِلِ عَلَى بَاطِلِهِمْ بِالْكَذِبِ الْمُتَعَمَّدِ، فَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ، وَقَدْ قُورِنَ بِالشَّرِّ وَعُقُوقِ

الوالدين، كما في الحديث الذي أخرجه الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا، مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ الْمَرْفُوعِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ: "أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ (ثَلَاثًا)؟: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَوْ قَوْلُ الزُّورِ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّكِنًا، فَجَلَسَ، فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا، حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ".

وَإِذَا حَدَّثَ أَنْ مَرُّوا بِالْكَلامِ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ، أَعْرَضُوا عَنْهُ، وَأَكْرَمُوا أَنْفُسَهُمْ عَنِ الْخَوْصِ فِيهِ.

{ وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُجُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا } (الفرقان : 73)

73- وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ آيَاتُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْأَحْكَامِ، وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، لَمْ يُصِمُّوا إِذَاهُمْ عَنِ سَمَاعِ الْحَقِّ، وَلَمْ يُعْمُوا عُيُوبَهُمْ عَنْ دَلِيلِهِ وَحَقَائِقِهِ، بَلْ أَكْبُوا عَلَيْهَا مُتَدَبِّرِينَ بِأَذَانٍ وَاعِيَةٍ، وَعُيُونَ مُبْصِرَةٍ.

{ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا } (الفرقان : 74)

74- وَهُمْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ، وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يَرْزُقَهُمُ الذَّرِيَّةَ الْمُؤْمِنَةَ، الطَّيِّبَةَ الْمُبَارَكَةَ، وَأَنْ يُقَرَّرَ عُيُوبَهُمْ وَيُفْرَحَ قُلُوبَهُمْ بِأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ، بِتَوْفِيقِهِمْ لَطَاعَتِهِ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ وَاجْعَلْنَا أُمَّةً يُقْتَدَى بِنَا فِي الْخَيْرِ، وَهُدَاهُ يُهْتَدَى بِهَا. وَبِهَذَا يَكُونُ أَجْرُهُمْ مُتَوَاصِلًا، وَمُضَاعَفًا.

{ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا } (الفرقان : 75)

75- فَهَؤُلَاءِ الْمُتَّصِفُونَ بِصِفَاتِ "عِبَادِ الرَّحْمَنِ"، يَنَالُونَ جَنَّةَ اللَّهِ الدَّائِمَةَ، وَتَبْتَدِرُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ مِنْ كُلِّ بَابٍ، مَعَ التَّقْدِيرِ وَالْإِكْرَامِ.

{ خَالِدِينَ فِيهَا فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا } (الفرقان : 76)

76- وَيُقِيمُونَ فِي الْجَنَّةِ عَلَى الدَّوَامِ، لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا، وَمَا أَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا مَوْضِعًا، وَمَا أَطْيَبَهَا مَنَزَلًا وَمُقَامًا.

{قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا} (الفرقان : 77)

77- قُلْ لِلنَّاسِ أَيْهَا الرَّسُولُ: لَا يُبَالِي اللَّهُ بِكُمْ، وَلَا يَعْتَدُ بِكُمْ إِذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ وَلَمْ تَعْبُدُوهُ، فَإِنَّمَا خَلَقَكُمْ لِلْعِبَادَةِ، وَأَنْتُمْ أَيْهَا الْكَافِرُونَ أَنْكَرْتُمْ آيَاتِي وَكَذَّبْتُمْ رُسُلِي وَلَمْ تَعْبُدُونِي، وَسَوْفَ يَكُونُ جَزَاءُ تَكْذِيبِكُمْ هَذَا لِازِمًا لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَفِيهِ هَلَاكُكُمْ وَعَذَابُكُمْ، وَنَدَمُكُمْ وَخَيْبَتُكُمْ.

سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{طسم} (الشعراء : 1)

1- حروفٌ مُقَطَّعَةٌ لم يَرِدْ في تفسيريها حديثٌ ثابتٌ صحيحٌ، واختلفَ المفسِّرونَ في دلالتيها.

{تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} (الشعراء : 2)

2- هذه آياتٌ مِنَ الْقُرْآنِ الظَّاهِرِ إعجازُه، البَيِّنِ في أحكامِه، الذي يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

{لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} (الشعراء : 3)

3- لعلَّكَ أيُّهَا النَّبِيُّ مُهَلِّكٌ نَفْسَكَ حِرْصًا على إيمانِ المشركين، وحُزْنًا على تكذيبهم إِيَّاكَ.

{إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ} (الشعراء : 4)

4- إذا شِئْنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ أَمْرًا قَاهِرًا مِنَ السَّمَاءِ يُلْجِئُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَيُجِيزُهُمْ عَلَيْهِ، فَتَظَلُّ أَعْنَاقُهُمْ مُتَقَادَةً لَهُ قَسْرًا وَلَا يَعْصُونَ اللَّهَ، وَلَكِنْ لَا تُرِيدُ ذَلِكَ بِهِمْ، بَلْ تُرِيدُ مِنْهُمْ الْإِيمَانَ الْإِخْتِيَارِيَّ.

{وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُجَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ} (الشعراء : 5)

5- وَلَا تَأْتِيهِمْ مَوْعِظَةٌ وَتَذَكِيرٌ فِي آيَاتِ جَدِيدَةٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ الرَّحْمَنِ، إِلَّا أَعْرَضُوا عَنْهُ وَكَفَرُوا بِهِ.

{فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (الشعراء : 6)

6- فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْقُرْآنِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، وَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ خَبْرٌ مَا كَذَّبُوا بِهِ، مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالْعَذَابِ.

{ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ** } (الشعراء : 7)

7- ألا ينظرون إلى قدرة الخالق العظيم، وعجائب ما في الأرض التي تدل على كمال قدرته وإبداعه، وقد أنبت فيها من كل صنف حسن ما يوحي بالنضارة والحياة؟

{ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ** } (الشعراء : 8)

8- وفي ذلك دلالة واضحة على ما يوجب الإيمان بالله، والتسليم بقدرته، ومع هذا لا يجد أكثرهم يؤمن به، ويصدق رسوله.

{ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** } (الشعراء : 9)

9- والله عزيز قهر كل شيء، رحيم بعباده، فلا يعاجلهم بالعقوبة وإن عصوا، بل يمهّلهم إلى أجل، لئلا يكون لهم عذر بعد ذلك.

{ **وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** } (الشعراء : 10)

10- واذكر أيها النبي عندما نادى ربك عبده موسى بن عمران من جانب الطور الأيمن بسيناء، فاصطفاه نبياً، وأمره أن يأتي القوم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي، واستعبدوا بني إسرائيل، وذبحوا أبناءهم،

{ **قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ** } (الشعراء : 11)

11- قوم فرعون الفاسقين، وقل لهم يا موسى: ألا تصرفون أنفسكم عن عقوبة الله بطاعته؟

{ **قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ** } (الشعراء : 12)

12- قال موسى عليه السلام مُناجياً ربه: يا رب، إنني أخاف أن يكذبوني أول الأمر،

{ **وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ** } (الشعراء : 13)

13- وَيَضِيقُ صَدْرِي بِتَكْذِيبِهِمْ إِيَّايَ، وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي مِنَ الْحُبْسَةِ الَّتِي فِيهِ، وَأَحْشَى بِهَذَا أَنْ أضعِفَ أثنَاءَ المِوَاجَهَةِ مَعَ فِرْعَوْنَ، فَاجْعَلْ أُخِي هَارُونَ أَيضًا نَبِيًّا لِيُؤَاوِرَنِي وَيُسَاعِدَنِي فِي أَدَاءِ رِسَالَتِي، وَيَنْهَضَ بِالجدَلِ والمِحَاجَجَةِ مَعِي، فَهوَ أَفصَحُ مِنِّي لِسَانًا،

{ وَهَمُّ عَلِيٍّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ } (الشعراء : 14)

14- وهَمُّ عَلِيٍّ تَبَعُهُ ذَنْبٌ، وَهُوَ قَتْلُ القِبطِيِّ - الَّذِي كَانَ سَبَبَ خُرُوجِهِ مِنْ مِصرَ - فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي بِهِ.

{ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ } (الشعراء : 15)

15- قَالَ لَهُ رَبُّهُ: كَلَّا لَنْ يَقْتُلُوكَ، فَلَا تَخَفْ مِنْ ذَلِكَ، اذْهَبْ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِآيَاتِي وَمُعْجَزَاتِي، فَإِنِّي أَسْمَعُ وَأَرَى مَعَكُمْ، وَأَحْفَظُكُمَا بِنَصْرِي وَتَأْيِيدِي.

{ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (الشعراء : 16)

16- اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ المِتَكَبِّرِ، وَقُولَا لَهُ: لَقَدْ بَعَثْنَا اللهُ رِسُولَيْنِ إِلَيْكَ وَنَدْعُوكَ إِلَى الهُدَى.

{ أَنْ أُرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ } (الشعراء : 17)

17- وَدَعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَذْهَبُوا مَعِي إِلَى فِلِسْطِينَ، وَلَا تَسْتَعْبِدْهُمْ.

{ قَالَ أَلَمْ نُزِدْكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ } (الشعراء : 18)

18- فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَا رَبِّيْنَاكَ فِي بَيْتِنَا عِنْدَمَا كُنْتَ طِفْلًا صَغِيرًا، وَبَقِيَتْ سِنَوَاتٌ تَعِيشُ بَيْنَنَا؟

{ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ } (الشعراء : 19)

19- ثُمَّ قَتَلْتَ رَجُلًا مِنَّا، فَجَحَدْتَ بِفَعَلْتِكَ⁽⁹⁸⁾ تِلْكَ نِعْمَتَنَا عَلَيْكَ؟

(98) الفَعْلَةُ بالفتح: المرَّة الواحدة من الفعل، يعني قتل القبطي. (التفاسير).

{قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ} (الشعراء : 20)

20- قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ حَيْثُذِ وَأَنَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ رَسُولًا.

{فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ} (الشعراء :

21)

21- فَخَرَجْتُ هَارِبًا مِنْكُمْ إِلَى مَدِينٍ لَمَّا خِفْتُ انْتِقَامَكُمْ مِنِّي، فَوَهَبَنِي اللَّهُ النُّبُوَّةَ وَأَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ.

{وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ} (الشعراء : 22)

22- وَمَا ذَكَرْتُ مِنْ تَرْبِيَّتِي فِي بَيْتِكَ عِنْدَمَا كُنْتُ صَبِيًّا، هِيَ نِعْمَةٌ فِي ظَاهِرِهَا، وَلَكِنَّهَا جَاءَتْ مِنْ ظُلْمِكَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَتْلِكَ أَبْنَاءَهُمْ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَتَرَبَّيْتُ فِي بَيْتِ الْوَالِدِيِّ لَا بَيْتِكَ.

{قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ} (الشعراء : 23)

23- قَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ جَاحِدًا مُتَمَرِّدًا: وَأَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ وَكَانَ يَدَّعِي أَنَّهُ هُوَ الرَّبُّ.

{قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ} (الشعراء : 24)

24- قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا فِيهِمَا مِنْ مَخْلُوقَاتٍ، وَهُوَ مَالِكُهُمَا وَمُدَبِّرُ أَمْرِهِمَا وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا كَمَا يَشَاءُ، لَا يُعِينُهُ وَلَا يُشْرِكُهُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ، إِنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ.

{قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ} (الشعراء : 25)

25- قَالَ فِرْعَوْنُ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَشْرَافِ قَوْمِهِ: أَلَا تَعَجَّبُونَ مِمَّا تَسْمَعُونَ، مِنْ ادِّعَاءِ مُوسَى أَنْ هُنَاكَ إِلَهًا غَيْرِي؟

{ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ } (الشعراء : 26)

26- قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُوَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ آبَاءَكُمْ الْأُولِينَ.

{ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ } (الشعراء : 27)

27- قَالَ فِرْعَوْنُ مُنْفَرًا قَوْمَهُ مِنْهُ: إِنَّ هَذَا الَّذِي يَدَّعِي أَنَّهُ مَرْسَلٌ إِلَيْكُمْ لَا عَقْلَ لَهُ، فَهَوَّ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ لَا نَعْقِلُهُ وَلَا نَعْرِفُ صِحَّتَهُ.

{ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ } (الشعراء : 28)

28- قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُكْمِلًا حَدِيثَهُ: هُوَ اللَّهُ رَبُّ الْمَشْرِقِ الَّذِي تُشْرِقُ مِنْهُ الشَّمْسُ، وَرَبُّ الْمَغْرِبِ الَّذِي تَغْرُبُ فِيهِ الشَّمْسُ، وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَهُمَا هَكَذَا، فِي نِظَامٍ كَوْنِيٍّ رَائِعٍ، وَدِقَّةٍ فِي الْحِسَابِ مُتْنَاهِيَّةٍ، وَلَا أَحَدَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِيهِمَا وَيُعَيِّرَ مِنْ هَيْئَاتِهِمَا، وَمَنْ ادَّعَى أَنَّهُ إِلَهٌ، فَلْيَجْعَلِ الْمَشْرِقَ مَغْرِبًا، وَالْمَغْرِبَ مَشْرِقًا. هَذَا لِمَنْ تَفَكَّرَ وَعَقَلَ مَا يُقَالُ لَهُ.

{ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ } (الشعراء : 29)

29- لَمْ يَعُدْ يَتَحَمَّلُ فِرْعَوْنُ هَذَا الْحِوَارَ الْمَدْعُومَ بِالْحُجَّةِ وَالذَّلِيلِ، فَلَجَأَ إِلَى التَّهْدِيدِ بِالْقُوَّةِ وَقَالَ: إِذَا جَعَلْتَ لِنَفْسِكَ إِلَهًا غَيْرِي فَسَوْفَ أَحْبِسُكَ. وَيُحَكِّي مِنْ سَجْنِ فِرْعَوْنَ مَا لَا يُوصَف!

{ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ } (الشعراء : 30)

30- فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ مَا يَزَالُ يُرِيدُ أَنْ يُقْنِعَهُ بِالْحِوَارِ وَالذَّلِيلِ: فَمَا تَقُولُ إِذَا أَتَيْتَكَ بِبُرْهَانٍ قَاطِعٍ وَمُعْجِزَةٍ بَاهِرَةٍ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ نَبَوِّي؟

{ قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } (الشعراء : 31)

31- قَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ: فَهَاتِ حُجَّتَكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي دَعْوَاكَ.

{ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ } (الشعراء : 32)

32- فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ، فَإِذَا بِهَا تَتَحَوَّلُ إِلَى ثُعْبَانٍ فِي غَايَةِ الْجَلَاءِ وَالْوَضُوحِ، وَلَيْسَ تَخْيِيلًا وَتَمْوِيهَاً كَمَا يَفْعَلُ السَّحْرَةَ.

{ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ } (الشعراء : 33)

33- وَنَزَعَ مُوسَى يَدَهُ مِنْ أَعْلَى فَتَحَتِ قَمِيصَهُ، فَإِذَا بِهَا بَيْضَاءُ تَشِعُّ نُورًا، لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهَا.

{ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ } (الشعراء : 34)

34- قَالَ فِرْعَوْنُ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الرُّعَمَاءِ وَالْوَجَهَاءِ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ خَبِيرٌ بَارِعٌ فِي السَّحْرِ.

{ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ } (الشعراء : 35)

35- قَالَ: وَيُرِيدُ أَنْ يَغْلِبَكُمْ بِسِحْرِهِ هَذَا وَيُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ، لِيَتَصَرَّفَ فِيهَا هُوَ وَقَوْمُهُ، فِيمَاذَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ؟

{ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ } (الشعراء : 36)

36- قَالَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ مِنْ ذَوِي مَشُورَتِهِ: أَخَّرْ أَمْرَهُ وَأَخِيهِ هَارُونَ، وَأَرْسِلِ الشُّرَطَةَ لِيَجْمَعُوا لَكَ مِنْ مَدَائِنِ مِصْرَ،

{ يَا تَوَكُّ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٌ } (الشعراء : 37)

37- لِيَأْتُوكَ بِكُلِّ خَبِيرٍ حَازِقٍ بِالسَّحْرِ.

{ فَجَمَعَ السَّحْرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ } (الشعراء : 38)

38- فُجِمِعَ السَّحْرَةُ مِنَ الْأَقَالِيمِ الْمِصْرِيَّةِ الْقَرِيبَةِ وَالْبَعِيدَةِ، وَأَمْرُوهُمْ بِالْحَضُورِ وَقْتَ الضُّحَى مِنْ يَوْمِ الزَّيْنَةِ.

{ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ } (الشعراء : 39)

39- وقيلَ لجمَاهيرِ الناسِ حَتَّى لَهُمْ عَلَى الْمِبَادِرَةِ وَالْمِشَاهِدَةِ: هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ جَاهِزُونَ، لِنَنْظُرَ مَا يَفْعَلُ الْفَرِيقَانِ؟

{ لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْعَالِيَيْنِ } (الشعراء : 40)

40- قالوا: ولنكونَ في جانبِ السَّحْرَةِ إِذَا غَلَبُوا مُوسَى وَأَخَاهُ.

{ فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَيْنَ لَنَا لِأَجْرٍ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيَيْنِ } (الشعراء : 41)

41- فلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ فِي الْوَقْتِ الْمَحْدَّدِ، جَلَسُوا إِلَى فِرْعَوْنَ يُحْيُونَهُ، وَقَالُوا لَهُ: هَلْ لَنَا جَائِزَةٌ عِنْدَكَ إِذَا غَلَبْنَا مُوسَى فِي صَنِيعِهِ؟

{ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } (الشعراء : 42)

42- قَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنَ: نَعَمْ، لَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ، وَسَأَقْرِّبُكُمْ عِنْدِي وَأَجْعَلُكُمْ مِنْ جُلَسَائِي.

{ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ } (الشعراء : 43)

43- ثُمَّ قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْسَّحْرَةِ: أَلْقُوا هَذَا الَّذِي بِأَيْدِيكُمْ عَلَى الْأَرْضِ.

{ فَأَلْقُوا جِبَاهَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ } (الشعراء : 44)

44- فَأَلْقَى السَّحْرَةُ جِبَاهَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ الَّتِي بِأَيْدِيهِمْ، وَقَالُوا كَمَا يَقُولُ الْجَهْلَةُ: بِقُوَّةِ فِرْعَوْنَ وَعِظْمَةِ سُلْطَانِهِ نَحْنُ الْعَالِيُونَ لَا مُوسَى.

{ فَأَلْفَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ } (الشعراء : 45)

45- ثم ألقى موسى عصاه، فإذا هي تَخِطُّفُ وتَبْتَلِعُ بِسُرْعَةٍ جَمِيعَ ما صَنَعَهُ السَّحْرَةُ مِنْ إِنْكِرٍ وَكَذِبٍ، فَإِنَّ ما قَامُوا بِهِ كَانَتْ خَيْيالاً وَمَوِيهاً على صُورِ الحَيَّاتِ، لا حَقِيقَتُها.

{ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ } (الشعراء : 46)

46- فَخَرَّ السَّحْرَةُ سَاجِدِينَ، لِيَقِينَهُمْ أَنَّ ما جَاءَ بِهِ موسى خَارِجٌ عَنِ حُدُودِ السَّحْرِ.

{ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } (الشعراء : 47)

47- وَقَالُوا فِي إِيمَانٍ وَخُشُوعٍ: آمَنَّا بِرَبِّ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، خَالِقِهِمْ وَمَالِكِ أَمْرِهِمْ.

{ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ } (الشعراء : 48)

48- رَبِّ موسى وَهَارُونَ، وَفِرْعَوْنَ لَيْسَ رَبًّا كَمَا يَدَّعِي هُوَ وَأَتْبَاعُهُ الجَاهِلُونَ.

{ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَبُ نَكْمُ أَجْمَعِينَ } (الشعراء : 49)

49- وَجاءَ فِرْعَوْنَ مَرَّةً أُخْرَى إلى التَّهْدِيدِ وَالوَعِيدِ، وَقَدْ أَفْحَمَ وَانْقَطَعَتْ حُجَّتُهُ مِنْ أَتْهَامِ موسى بِالسَّحْرِ، فَتَوَجَّهَ إلى السَّحْرَةِ قَائِلاً: آمَنْتُمْ بما جَاءَ بِهِ موسى قَبْلَ أَنْ أَسْمَحَ لَكُمْ بِذَلِكَ؟! كَانَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْتَظِرُوا أَمْرِي، فَأَنَا رَبِّيسُكُمْ، فَإِذَا سَمَحْتُ لَكُمْ بِذَلِكَ آمَنْتُمْ، وَإِذَا مَنَعْتُكُمْ مِنْهُ امْتَنَعْتُمْ!

وقال في خُبثٍ وَهُوَ يَكْذِبُ: إِنَّ موسى هُوَ السَّاحِرُ الكَبِيرُ فيكُمْ، وَقَدْ دَبَّرْتُمْ هَذَا الأَمْرَ بَلِيلٍ لَتَقُومُوا بِمُؤامِرَةٍ على البَلَدِ { إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُ فِي المَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا } [سورة الأعراف: 123]. وَسَتَرُونَ ما أَفْعَلُهُ بِكُمْ، سَأَقْطَعُ أَيْدِيَكُمْ اليُمْنَى مَعَ أَرْجُلِكُمْ اليُسْرَى، وَلَا أَصْلَبُ نَكْمُ فِي جُدُوعِ النَخْلِ لَتَمُوتُوا جُوعًا وَعَطْشًا⁽⁹⁹⁾.

{ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ } (الشعراء : 50)

(99) الصُّلْبُ: الذي هُوَ تَعْلِيْقُ الإنسانِ لِلقَتْلِ، قِيلَ: هُوَ شَدُّ صُلْبِهِ على خَشَبٍ... (مفردات الراغب).

50- قَالَ السَّحَرَةُ وَقَدْ آمَنُوا غَيْرَ مُبَالِغِينَ بِتَهْدِيدِ فِرْعَوْنَ: لَا يَضُرُّنَا ذَلِكَ وَقَدْ آمَنَّا بِرَبِّنَا وَلِقَائِهِ،
وَسَنَصْبِرُ، وَعِنْدَمَا نُرْجَعُ إِلَيْهِ نَرَى الثَّوَابَ الْكَبِيرَ عِنْدَهُ.

{إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ} (الشعراء : 51)

51- إِنَّا نَأْمُلُ مِنْ رَبِّنَا أَنْ يَرْحَمَنَا وَيَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا وَمَا أَمَرْتَنَا بِهِ مِنَ السَّحْرِ، لِمَادَرْتَنَا إِلَى
الْإِيمَانِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِنَا، وَتَصَدَّقْنَا بِنَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ.

{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ} (الشعراء : 52)

52- وَبَعْدَ سَنَوَاتٍ مِنَ الدَّعْوَةِ بَيْنَ فِرْعَوْنَ وَآلِهِ، لَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا عِنَادًا وَاسْتِكْبَارًا عَنِ اتِّبَاعِ
الْحَقِّ، فَأَمَرْنَا مُوسَى أَنْ اخْرُجْ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْلًا، فَإِنَّ فِرْعَوْنَ وَجُنْدَهُ سَيُلَاحِظُكُمْ فِي الصَّبَاحِ.

{فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} (الشعراء : 53)

53- فَبَعَثَ فِرْعَوْنُ شُرَطَتَهُ إِلَى أَنْحَاءِ أَقَالِيمِ مِصْرَ يَجْمَعُونَ لَهُ الْجَيْشَ، لِيَتَّبِعُوا مُوسَى وَقَوْمَهُ.

{إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ} (الشعراء : 54)

54- وَخَاطَبَهُمْ قَائِلًا: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِصَابَةٌ قَلِيلَةٌ،

{وَأَيْتُهُمْ لَنَا لَعَائِظُونَ} (الشعراء : 55)

55- وَقَدْ أَغْضَبُونَا بِمُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَنَا، وَخُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِنَا بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنَّا،

{وَإِنَّا بِجَمِيعِ حَاذِرُونَ} (الشعراء : 56)

56- وَنَحْنُ جَمِيعًا حَاذِرُونَ مُخْتَاطُونَ مِنْ شَرِّهِمْ، وَنُرِيدُ أَنْ نَقْضِيَ عَلَيْهِمْ.

{فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} (الشعراء : 57)

57- وأراد الله بهذا أن يُخْرِجَهُمْ. فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ بَسَاتِينِهِمْ وَأَنْهَارِهِمْ الَّتِي كَانَتْ عَلَى حَافَتِي النَّيْلِ،

{ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ } (الشعراء : 58)

58- وَمِنْ أَمْوَالِهِمُ الَّتِي خَزَنُوهَا تَحْتَ الْأَرْضِ، وَمَسَاكِينِهِمُ الرَّائِعَةَ، وَمَجَالِسِهِمُ الْحَسَنَةَ.

{ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ } (الشعراء : 59)

59- وَهَكَذَا مَلَكْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَمْوَالَهُمْ وَكُنُوزَهُمْ، بَعْدَ أَنْ عَادُوا إِلَى مِصْرَ.

{ فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ } (الشعراء : 60)

60- فَلَحِقَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ.

{ فَلَمَّا تَرَأَى الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ } (الشعراء : 61)

61- فَلَمَّا تَقَارَبَ الْجَيْشَانِ، بَحِثُ رَأَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْآخَرَ، قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى: سَيَلْحَقُ بِنَا فِرْعَوْنُ وَجَيْشُهُ وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِمْ.

{ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ } (الشعراء : 62)

62- قَالَ لَهُمْ مُوسَى، مُدَكِّرًا إِيَّاهُمْ بِوَعْدِ اللَّهِ لَهُ: كَلَّا، لَنْ يَصِلَ إِلَيْكُمْ فِرْعَوْنُ، وَإِنَّ رَبِّي أَمْرَنِي أَنْ أَسْأَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ، وَهُوَ الَّذِي يَدُلُّنِي عَلَى طَرِيقِ النِّجَاةِ.

{ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَاَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ }

(الشعراء : 63)

63- فَأَمَرْنَا مُوسَى بِوَحْيٍ مِنْ عِنْدِنَا، أَنْ اضْرِبِ الْبَحْرَ بِعَصَاكَ. فَضْرَبَهُ بِهَا، فَاَنْشَقَّ الْبَحْرُ، فَكَانَ كُلُّ جَانِبٍ مِنْهُ كَالجَبَلِ الْكَبِيرِ.

{وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ} (الشعراء : 64)

64- وَقَرَّبْنَا هُنَالِكَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ، حَتَّىٰ دَخَلُوا فِيمَا انْفَلَقَ مِنَ الْبَحْرِ، فِي أَثَرِ مُوسَى وَصَحْبِهِ.

{وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ} (الشعراء : 65)

65- وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْهَلَاكِ عَلَىٰ أَيْدِي أَعْدَائِهِمْ، وَمَنْ الْعَرَقَ فِي الْبَحْرِ.

{ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ} (الشعراء : 66)

66- ثُمَّ أَعْرَفْنَا فِرْعَوْنَ وَمَنْ مَعَهُ، بِأَنَّا أَطْبَقْنَا عَلَيْهِمْ مَا انْفَلَقَ مِنَ الْبَحْرِ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} (الشعراء : 67)

67- وَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ آيَاتٌ وَعِبْرٌ، مِنْ بَيَانِ صِدْقِ مَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى، وَمَنْ تَأْيِيدِ عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالنَّكَالِ بِأَعْدَائِهِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَمَا كَانَ أَكْثَرَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ مُؤْمِنِينَ.

{وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} (الشعراء : 68)

68- وَإِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ، يَنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِ وَأَعْدَاءِ أَوْلِيَائِهِ، رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ أَنْجَاهُمْ مِنْ ظَلَمِ فِرْعَوْنَ وَكَيْدِهِ.

{وَإِنَّا عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ} (الشعراء : 69)

69- وَادْكُرْ لِأُمَّتِكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ خَبَرَ نَبِيِّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ.

{إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ} (الشعراء : 70)

70- عِنْدَمَا قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ الْمَشْرِكِينَ: أَيَّ شَيْءٍ تَعْبُدُونَ؟

{ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظُرُ لَهَا عَافِيَةً } (الشعراء : 71)

71- قالوا: نَعْبُدُ أَصْنَامًا، ولا نزالُ نُفِيْمُ على عِبَادَتِهَا ولا نتركها.

{ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُم إِذْ تَدْعُونَ } (الشعراء : 72)

72- فقال لهم إبراهيم عليه السلام: هل تسمع هذه الأصنام دُعَاءَكُم عندما تدعونها؟

{ أَوْ يَنْفَعُونَكُم أَوْ يَضُرُّونَ } (الشعراء : 73)

73- أو أئها تَنفَعُكُم بشيءٍ بسببِ عِبَادَتِكُم لها، كجلبِ رِزق، وطولِ عُمُر، ونَصْرِ على الأعداء؟ وهل تدفع عنكم ضراً إذا تركتم عِبَادَتَهَا، فحبست رِزقاً لكم، أو دخلت بيوتكم وأخذت أولادكم وأموالكم؟

{ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ } (الشعراء : 74)

74- قالوا في جهلٍ وغباء: إئها لا تفعل شيئاً من هذا أو ذاك، ولكننا وجدنا آباءنا وأجدادنا يعبدونها، ونحن نُقلدُهم في ذلك، فنفعل كما كانوا يفعلون.

{ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ } (الشعراء : 75)

75- قال لهم إبراهيم عليه السلام: أفرايتم هذه الأصنام التي تعكفون على عِبَادَتِهَا،

{ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ } (الشعراء : 76)

76- أنتم وأباؤكم وأجدادكم الأولون،

{ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ } (الشعراء : 77)

77- فإنها عدوٌ لي، لا أعبدُها ولا أبالي بها، ولا أنتظرُ منها نفعاً، ولا أتوقّع منها ضراً، فإذا كانت آلهةً حقاً فلتمسسني بسوء. لكن رب العالمين ليس كذلك، فهو وليي في الدنيا والآخرة، وهو الذي بيده الأمر كله، وأنا أعبدُه لأنه الإله الحق.

{الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ} (الشعراء : 78)

78- الإله الذي خلَقني، فهو يُرشدني إلى ما يُصلِحني، ويدُلُّني على طريق النِّجاة.

{وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ} (الشعراء : 79)

79- وهو الذي يرزُقني أنواع الطَّعام والشَّراب، وقد هَيَّأ لي الاستِفادةَ منها بما يُناسِبُ طَبِيعَتِي وجِسمي.

{وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} (الشعراء : 80)

80- وإذا قدَّرَ اللهُ أن مَرِضْتُ، فهو الذي يُبرِّئني مِنَ المَرَضِ، لا أَحَدَ غَيْرِهِ، وما الأَدويةُ والعِلاجاتُ سِوَى أسباب، إن شاءَ جعلَ فيها الشِّفاءَ، وإن لم يَشَأْ لا يَكُونُ شِفاءً.

{وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ} (الشعراء : 81)

81- وهو الإله القادر، الذي يُمِيتُنِي في الدُّنيا، ثمَّ يبعثُنِي بعدَ الموتِ يَوْمَ القِيامةِ، ولا يَقْدِرُ على ذلكَ سِوَاهُ.

{وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ} (الشعراء : 82)

82- وهو العَفورُ الرَّحِيمُ، الذي أرجو أن يَغْفِرَ لي ذُنُوبِي يَوْمَ الحِسابِ، فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا هُوَ.

{رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} (الشعراء : 83)

83- وقالَ مُناجياً رَبَّهُ: يا رَبِّ، أدعوكَ أن تَهَبَنِي العِلْمَ والحِكمةَ، وأن تَجْعَلَنِي مَعَ الصَّالِحِينَ وفي مَنزِلَتِهِمْ.

{وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ} (الشعراء : 84)

84- واجعل لي ذكراً جميلاً، وثناءً حسناً، وقبولاً عاماً في الأمم التي بُجِيءُ بعدي.

{ **وَاجْعَلْ لِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ** } (الشعراء : 85)

85- واجعلني في الآخرة ممن يستحقون سُكْنَى جَنَّةِ النَّعِيمِ.

{ **وَاعْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ** } (الشعراء : 86)

86- واعفِرْ لِأَبِي واهديه، فَإِنَّهُ مِمَّنْ ضَلَّ وَكَفَرَ.

وكان استغفاره لأبيه عن موعِدٍ وعده به، بقوله: { **لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ** } [سورة الممتحنة: 4]، فلما استمرَّ في عداوته لله حتى مات كافراً، قطع الدعاء له { **فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ** } [سورة التوبة: 114].

{ **وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ** } (الشعراء : 87)

87- وَلَا تُهَيِّئْ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ لِلْحِسَابِ.

{ **يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ** } (الشعراء : 88)

88- فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ، الَّذِي لَا يَنْفَعُ الْمَرْءَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِ الدُّنْيَا وَلَا يَحْمِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَلَا يَقْدِرُ الْأَبْنَاءُ - وَهُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى وَالِدِيهِمْ - عَلَى أَنْ يُفْدَوْهُمْ وَيُخَلِّصُوهُمْ مِنَ الْعَذَابِ.

{ **إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** } (الشعراء : 89)

89- لَا يَنْفَعُ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ صَاحِحٍ، خَالٍ مِنَ الشَّرْكِ وَالنَّفَاقِ.

{ **وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ** } (الشعراء : 90)

90- وَأُذْنِبَتِ الْجَنَّةُ مِنْ أَهْلِهَا الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ خَافُوا عَذَابَ رَبِّهِمْ فَكَفُّوا عَنِ الْمَعَاصِي وَالْمَحْرَمَاتِ.

{ وَبُرِّزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ } (الشعراء : 91)

91- وَأُظْهِرَتْ جَهَنَّمَ وَكُشِفَ عَنْهَا لِلْكَافِرِينَ الضَّالِّينَ، لِيَرَوْا فِيهَا مَوْقِعَهُمُ الَّذِي يَنْتَظِرُهُمْ، لِيَزِدَادُوا تَأَلُّمًا وَتَحَسُّرًا.

{ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ } (الشعراء : 92)

92- وَقِيلَ لِلْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَسْتَعِرُّونَ فِي عِبَادَتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،

{ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ } (الشعراء : 93)

93- مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَتَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ سَيَنْفَعُونَكُمْ، فَهَلْ يَنْصُرُونَكُمْ بِدَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ الْيَوْمَ، أَوْ يَنْتَصِرُونَ لِأَنْفُسِهِمْ بِدَفْعِهِ عَنْهُمْ؟ بَلْ أَنْتُمْ وَهُمْ حَصَبُ جَهَنَّمَ.

{ فَكُفِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ } (الشعراء : 94)

94- فَذُهِبُوا فِي جَهَنَّمَ حَتَّى اسْتَقَرُّوا فِي قَعْرِهَا، الْأَصْنَامُ، وَعَابِدُوهَا، وَقَادَتْهُمْ الَّذِينَ دَعَوْهُمْ إِلَى الشِّرْكِ وَالضَّلَالِ.

{ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ } (الشعراء : 95)

95- وَمَعَهُمْ فِي الْجَحِيمِ إِبْلِيسُ وَجُنُودُهُ، مِمَّنْ اتَّبَعَهُ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

{ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ } (الشعراء : 96)

96- قَالَ الضَّالُّونَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لِلْأَصْنَامِ وَالشَّيَاطِينِ وَهُمْ يَتَخَصَّمُونَ:

{ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (الشعراء : 97)

97- وَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا عَلَى خَطَاٍ وَاضِحٍ، وَفِي ضَلَالٍ بَيِّنٍ فِي الدُّنْيَا،

{إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} (الشعراء : 98)

98- عندما كُنَّا نَعْبُدُكُمْ وَنَجْعَلُكُمْ فِي رُتْبَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْتُمْ أَدْنَى مَخْلُوقَاتِهِ!

{وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ} (الشعراء : 99)

99- وما أغوانا عن الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ إِلَّا هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينِ، وَأَتْبَاعُهُمْ مِنْ رُؤُوسِ الضَّلَالِ،

{فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ} (الشعراء : 100)

100- فلا يوجدُ هُنَا مَنْ يَشْفَعُ لَنَا وَيُنْقِذُنَا مِنْ هَذَا الْعَذَابِ، مِنْ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ،

{وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ} (الشعراء : 101)

101- ولا قَرِيبٌ شَفِيقٌ يُهَمُّهُ أَمْرُنَا وَيَتَوَجَّعُ لَنَا، فَيُؤَسِّسِنَا أَوْ يَنْفَعُنَا،

{فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (الشعراء : 102)

102- فلو كانتْ لَنَا رَجْعَةٌ إِلَى الدُّنْيَا فَنَكُونُ مُؤْمِنِينَ، وَنَعْمَلُ بِطَاعَةِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الصَّالِحِينَ.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} (الشعراء : 103)

103- وفي ذَلِكَ عِبْرَةٌ لِمَنِ اعْتَبَرَ، وَمَوْعِظَةٌ لِمَنِ اتَّعَظَ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُهْمُهُمْ أَمْرُ الْإِيمَانِ، وَيُؤَثِّرُونَ الدُّنْيَا عَلَى الدِّينِ.

{وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} (الشعراء : 104)

104- وَاللَّهُ قَوِيٌّ لَا يُغَالَبُ، يُعَذِّبُ الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ عَبَدُوا الْأَصْنَامَ وَأَطَاعُوا الشَّيَاطِينَ وَرُؤُوسَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِأَمْرِهِ وَأَطَاعُوهُ، وَأَتَرُوا اتِّبَاعَ الْحَقِّ عَلَى الْهَوَى وَالشَّهَوَاتِ.

{ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ } (الشعراء : 105)

105- كَذَّبَ قَوْمُ نُوحٍ رُسُلَهُمْ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ دَعْوَتِهِ بَيْنَهُمْ مِائَتِ السِّنِينَ.
وجاءَ لفظُ الرُّسُلِ بالجمع، باعتبارِ أنَّ رسالتَهُمْ واحِدَةٌ، فَإِنَّ الآخَرَ جاءَ بما جاءَ بهِ الأوَّلُ،
فمَنْ كَذَّبَ واحِدًا فقد كَذَّبَهُمْ.

{ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ } (الشعراء : 106)

106- إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ فِي النَّسَبِ نُوحٌ: أَلَا تَخَافُونَ اللَّهَ بَعِبَادَتِكُمُ الْأَصْنَامَ، أَلَا تَدْفَعُونَ
عَذَابَهُ عَنْكُمْ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَطَاعَتِهِ؟

{ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ } (الشعراء : 107)

107- إِنِّي رَسُولٌ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ لِأَجْلِ مَصْلَحَتِكُمْ.

{ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا } (الشعراء : 108)

108- فَاحْشُوا اللَّهَ وَلَا تُخَالِفُوا أَمْرَهُ، وَانْتَهُوا عَمَّا هَاكُمُ عَنْهُ مِنَ الشُّرْكِ، وَأَطِيعُونِي فِيمَا
أُبَلِّغُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ.

{ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ } (الشعراء : 109)

109- وَلَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى تَبْلِيغِ رِسَالَةِ اللَّهِ مَالًا تُكَافِرُونَنِي عَلَيْهِ، إِنَّمَا أَطْلُبُ الثَّوَابَ مِنَ اللَّهِ
وَحْدَهُ.

{ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا } (الشعراء : 110)

110- فَاحْذَرُوا عِقَابَ اللَّهِ يَا قَوْمَ، وَابْتَعِدُوا عَمَّا هَاكُمُ عَنْهُ، وَأَطِيعُوهُ فَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ مِنَ
التَّوْحِيدِ وَإِحْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَطِيعُونِي فِيمَا أَمْرُكُمْ بِهِ بِوَحْيٍ مِنْهُ.

{ قَالُوا أَنْتُمْ مِنْ لَدُنْكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ } (الشعراء : 111)

111- قَالَ الْكَافِرُونَ الْمَسْتَكْبِرُونَ لَنَبِيِّ اللَّهِ نُوحٍ: أَنْؤْمِنُ بِرِسَالَتِكَ وَقَدْ اتَّبَعَكَ أَدْنَى فِعَاتِ
الْمَجْتَمَعِ مِنَ الضَّعْفَةِ وَالْفُقَرَاءِ، فَتَسَاوَى مَعَهُمْ بِذَلِكَ!؟

{ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (الشعراء : 112)

112- قَالَ لَهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَيْسَ عَلَيَّ مِنْ مُسْتَوَى مَكَانَتِهِمْ شَيْءٌ، إِنَّمَا كُفِّتُ أَنْ
أَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ فَاسْتَجَابُوا، وَأَنَا أَقْبَلُ مِنْهُمْ تَصْدِيقَهُمْ، وَلَوْ كَانُوا عَلَى أَيِّ حَالٍ مِنَ الْمَعِيشَةِ،
وَمِنْ أَيِّ طَبَقَةٍ فِي الْمَجْتَمَعِ.

{ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ } (الشعراء : 113)

113- وَمَا مُحَاسِبَتُهُمْ عَلَى مَا يَعْمَلُونَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى سَرَائِرَهُمْ، وَلَوْ
شَعَرْتُمْ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا لَعَلِمْتُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ، وَلِمَا عِبْتُمُوهُمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ.

{ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ } (الشعراء : 114)

114- وَلَنْ أَطْرِدَ عِبَادَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ، سَوَاءً آمَنْتُمْ أَمْ لَمْ تُؤْمِنُوا.

{ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ } (الشعراء : 115)

115- مَا أُرْسِلْتُ إِلَّا نَذِيرًا، مُكَلِّفًا بِرِسَالَةٍ وَاضِحَةٍ بَيِّنَةٍ، أَعْظُ النَّاسَ وَأَزْجُرُهُمْ عَنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِ
اللَّهِ، شُرَفَاءَ كَانُوا أَوْ دُوَاهُمْ، فَالرَّسَالَةُ لِلْجَمِيعِ.

{ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ } (الشعراء : 116)

116- وَلَكِنَّ قَوْمَ نُوحٍ كَانُوا كَافِرِينَ مُجْرِمِينَ، فَلَمْ يُجِيبُوا دَعْوَتَهُ، وَلَمْ يَتَحَمَّلُوا وَعْظَهُ، فَأَرَادُوا
إِسْكَاتَهُ بِأَيِّ طَرِيقَةٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا نُوحُ، إِذَا لَمْ تَتَوَقَّفْ عَنِ الدَّعْوَةِ إِلَى هَذَا الدِّينِ، وَعَنْ دَمِّ
أَهْلِنَا، فَسَوْفَ تَكُونُ مِنَ الْمَرْجُومِينَ بِالْحِجَارَةِ!

{ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ } (الشعراء : 117)

117- فَنَاجِي نُوْحَ رَبِّهٖ قَائِلًا: اَللّٰهُمَّ اِنَّ قَوْمِي اسْتَمَرُّوْا فِي تَكْذِيْبِيْ، وَاَصْرُوْا عَلٰى الْكُفْرِ، عَلٰى الرَّغْمِ مِنْ طَوْلِ الْمَدَّةِ الَّتِي دَعَوْهُمْ فِيْهَا.

{ فَافْتَحْ بَيْنِيْ وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَبَنِّجْنِيْ وَمَنْ مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ } (الشعراء : 118)

118- اَللّٰهُمَّ فَاحْكُم بَيْنِيْ وَبَيْنَهُمْ حُكْمًا يَسْتَحِقُّهُ كُلُّ مَنَّا، وَاَنْقِذْنِيْ وَمَنْ تَبِعَنِيْ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ مِنْ شُرُوْرِهِمْ وَمَكَائِدِهِمْ.

{ فَانْجِنَاْهُ وَمَنْ مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُوْنِ } (الشعراء : 119)

119- فَانْجِنَاْهُ وَمَنْ اٰمَنَ مَعَهُ فِي السَّفِيْنَةِ الْمَمْلُوْةِ بِالْاَمْتِعَةِ وَالنَّاسِ وَمِنْ كُلِّ زَوْجِيْنَ اٰثْنِيْنَ مِنَ الْحَيٰوٰنٰتِ، الَّتِي اَمَرَ اللّٰهُ نَبِيَّهٗ اَنْ يَحْمِلَهَا مَعَهُ.

{ ثُمَّ اَعْرِفْنَا بَعْدَ الْبٰقِيْنَ } (الشعراء : 120)

120- ثُمَّ اَعْرِفْنَا - بَعْدَ اِنْجَائِهِمْ - قَوْمَهُ الْبٰقِيْنَ، مِنْ الْكٰفِرِيْنَ.

{ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيَةً وَمَا كَانَ اَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِيْنَ } (الشعراء : 121)

121- وَفِيْ ذٰلِكَ عِبْرَةٌ لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَعِظَةٌ لِمَنْ اَنْعَضَ، وَكَانَ اَكْثَرُهُمْ كٰفِرِيْنَ.

{ وَاِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيْزُ الرَّحِيْمُ } (الشعراء : 122)

122- وَاللّٰهُ قَوِيٌّ لَا يُغَالَبُ، يُعَاقِبُ الْمُجْرِمِيْنَ بِمَا يَسْتَحِقُّوْنَ، وَيَعْفُو عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِيْنَ الْمُنِيْبِيْنَ وَيَرْحَمُهُمْ.

{ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِيْنَ } (الشعراء : 123)

123- كَذَّبَتْ قَبِيْلَةُ عَادٍ رَسُوْلَهُمْ هُوْدًا، وَهِيَ بِذٰلِكَ كَذَّبَتْ كُلَّ الْمُرْسَلِيْنَ، فَرِسَالَتِهِمْ وَاِحْدَةً، وَعَقِيْدَتَهُمْ وَاِحْدَةً.

{ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ } (الشعراء : 124)

124- إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ فِي النَّسَبِ هُودٌ: أَلَا تَخَافُونَ عَذَابَ اللَّهِ وَتَدْفَعُونَهُ عَنْ أَنْفُسِكُمْ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَطَاعَتِهِ؟

{ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ } (الشعراء : 125)

125- قَالَ لَهُمْ: إِنِّي رَسُولٌ إِلَيْكُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، مُؤْتَمَنٌ عَلَىٰ وَحْيِهِ، صَادِقٌ فِيمَا أُبَلِّغُكُمْ.

{ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا } (الشعراء : 126)

126- فَاحْشُوا اللَّهَ وَاحْذَرُوا نِقْمَتَهُ، وَأَطِيعُونِي فِيمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَأَهَاكُمُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَخَيْرٌ تَتَمَنَّوْنَهُ.

{ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (الشعراء : 127)

127- وَلَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ أَجْرَةً مِنْ مَالٍ أَوْ مَتَاعٍ مُقَابِلَ تَبْلِيغِ رِسَالَةِ رَبِّي، حَتَّىٰ لَا تَقُولُوا إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُثْرِيَ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ، إِنَّمَا أَطْلُبُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ.

{ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ } (الشعراء : 128)

128- يَا قَوْمَ، مَا لَكُمْ تُضَيِّعُونَ جُهُودَكُمْ وَأَوْقَاتَكُمْ مِنْ دُونِ فَائِدَةٍ، فَتَبْنُونَ فِي مُلْتَمَىٰ كُلِّ طَرِيقٍ مَعْلَمًا، أَوْ مُجَسَّمًا بَارِزًا لَا حَاجَةَ لَكُمْ إِلَيْهِ!؟

{ وَتَسْخِطُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ } (الشعراء : 129)

129- وَتَبْنُونَ قُصُورًا مُشِيدَةً، أَوْ مَصَانِعَ ضَخْمَةً لِلْمِيَاهِ، وَكَأَنَّكُمْ سَتَخْلُدُونَ فِي الدُّنْيَا، وَلَا تَحْسِبُونَ حِسَابًا لِلْمَوْتِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

{ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ } (الشعراء : 130)

130- وَإِذَا أَخَذْتُمْ شَيْئًا أَوْ عَاقَبْتُمْ عَلَىٰ أَمْرٍ، فَضَرَبْتُمْ أَوْ انْتَقَمْتُمْ، فَعَلْتُمْ ذَلِكَ بِقُوَّةٍ وَغِلْظَةٍ، وَجَبْرُوتٍ وَغَضَبٍ، دُونَ مُرَاعَاةِ آدَبٍ أَوْ حِسَابِ أَثَرٍ مَكْرُوهٍ لَهُ.

{فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} (الشعراء : 131)

131- فاحذروا غضب الله واتركوا هذه الأفعال، وأطيعوني فيما أمركم به، فإنه أفضل لكم.

{وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ} (الشعراء : 132)

132- واحذروا عقاب الله، الذي أنعم عليكم وأعطاكم من الخيرات ما تعرفون، فإنه قادر على سلبها منكم.

{أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَينَ} (الشعراء : 133)

133- أعطاكم من الأنعام ما يفي بحاجاتكم ويفعكم في معاشكم، من الإبل والبقر والغنم والمعز، وسهل لكم الاستفادة منها، وهبكم البين نعمة وزينة وهجة لكم، وعونا لكم في أعمالكم.

{وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} (الشعراء : 134)

134- وأعطاكم البساتين الكثيرة والأثمار التي تملأ أرضكم، فتزدادون غبطة ورفاهية.

{إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (الشعراء : 135)

135- وإني أخشى إن لم تتقوا ربكم، ولم تشكروه على هذه النعم، أن يعاقبكم عقوبة عظيمة، في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

{قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ} (الشعراء : 136)

136- لكن عادًا لم يشكروا ربهم، ولم يتعظوا بنصائح نبيهم، فقالوا له في استخفاف ولامبالاة: إن كلامك وعدمه عندنا سواء، وإنك إن وعظت أو لم تعظ، لم نرجع عما نحن عليه.

{ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ } (الشعراء : 137)

137- وقالوا: ما هذا الذي جئت به سوى خرافاتٍ وحكاياتٍ اختلقها الأولون.

{ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ } (الشعراء : 138)

138- وقالوا مُسْتَمِرِّينَ في كُفْرِهِم: ولا بَعَثَ بعدَ الموت، فلا نُحَاسِبُ على أَعْمَالِنَا ولا نُعَذِّبُ عَلَيْهَا.

{ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ } (الشعراء : 139)

139- وهكذا كَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ هُودًا، واستكبروا عن اتِّبَاعِ الْحَقِّ، فأهْلَكْنَاهُمْ بِرِيحٍ شَدِيدَةٍ عَاتِيَةٍ، جَزَاءَ فِعْلِهِمُ السَّيِّئِ، وفي ذَلِكَ عِبْرَةٌ كَثِيرَةٌ لِلْأَحْيَاءِ، لِمَنْ تَفَكَّرَ مِنْهُمْ وَتَدَبَّرَ، وَعَقَلَ فَوَعَى. وَمَعَ كُلِّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ، وَالتَّبْلِيغِ الْمُسْتَمِرِّ، وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ، وَسَرْدِ الْأَخْبَارِ الَّتِي فِيهَا عِظَاتٌ وَعِبَرٌ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يُؤْمِنُ!

{ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } (الشعراء : 140)

140- وَاللَّهُ قَوِيٌّ لَا يُقَهَّرُ، يُمِهُلُ الْكَافِرَ، وَقَدْ يَمُدُّ لَهُ فِي الْأَجْلِ، وَهُوَ لَهُ بِالْمُرْصَادِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ، وَلَا يُخَالِفُونَ أَمْرَ نَبِيِّهِ.

{ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ } (الشعراء : 141)

141- كَذَّبَتْ قَبِيلَةُ ثَمُودَ رَسُولَهُمْ صَالِحًا، وَمَنْ كَذَّبَ رَسُولًا وَاحِدًا فَقَدْ كَذَّبَ جَمِيعَ الرُّسُلِ، لِأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى عَقِيدَةٍ وَاحِدَةٍ.

{ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ } (الشعراء : 142)

142- إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ فِي النَّسَبِ صَالِحٌ: أَلَا تَخَافُونَ عَذَابَ اللَّهِ وَمَقْتَهُ، وَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَ غَيْرَهُ، وَهُوَ خَالِقُكُمْ وَالْمُنْعِمُ عَلَيْكُمْ؟

{إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} (الشعراء : 143)

143- وَقَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَام: إِنِّي رَسُولٌ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، أَمِينٌ عَلَى وَحْيِهِ، أَصَدُّكُمْ خَبَرَ مَا أَرْسَلَنِي بِهِ.

{فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} (الشعراء : 144)

144- فَاتَّقُوا غَضَبَهُ وَانْتِقَامَهُ بِتَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، وَأَطِيعُونِي فِيمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، فَإِنِّي لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا خَيْرًا.

{وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الشعراء : 145)

145- وَلَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ مَالًا عَلَى هَذَا الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، إِنَّمَا أَطْلُبُ ثَوَابَهُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

{أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ} (الشعراء : 146)

146- هَلْ تَتَطَّنُونَ أَنْتُمْ سَتُتْرَكُونَ فِي الدُّنْيَا هَكَذَا آمِنِينَ مُتَنَعِّمِينَ؟

{فِي بَحَّتَاتٍ وَعُيُونٍ} (الشعراء : 147)

147- فِي بَسَاتِينَ جَمِيلَةٍ وَأَنْهَارٍ جَارِيَةٍ سَعْدَاءَ مُخَلَّدِينَ؟

{وَزُرُوعٍ وَخَلِّ طَلَعَهَا هَضِيمٌ} (الشعراء : 148)

148- وَبَيْنَ زُرُوعٍ خَضْرَاءٍ فَسِيحَةٍ، وَثَمَارٍ يَانِعَةٍ شَهِيَّةٍ، وَخَلِّ قَدْ رَطَبَ ثَمَرُهُ فَأَيْنَعِ وَطَابَ؟

{وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ} (الشعراء : 149)

149- وَتَنْحِتُونَ الْبُيُوتَ مِنَ الْجِبَالِ فِي حِدْقٍ وَمَهَارَةٍ لِلتَّرَفِّهِ وَالتَّنَعُّمِ؟ (وهي مدائن صالح المعروفة، في بلادِ الحَرَمَيْنِ).

{ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا } (الشعراء : 150)

150- فاتَّقُوا اللَّهَ وانتهوا عن مخالفة أمره والشرك به، وأطيعوني فيما أُبَلِّغُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ، فَإِنَّكُمْ سَتُحَاسِبُونَ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ.

{ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ } (الشعراء : 151)

151- وَلَا تُطِيعُوا مَنْ يَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ وَالضَّلَالِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

{ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ } (الشعراء : 152)

152- الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِالْمِعَاصِي، وَلَا يُصْلِحُونَ فِي أَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ، فَقَدْ اخْتَلَطَ الْفَسَادُ بِأَعْمَالِهِمْ كُلِّهَا، لِبُعْدِهِمْ عَنْ دِينِ اللَّهِ وَطَرِيقِهِ الْمُسْتَقِيمِ.

{ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ } (الشعراء : 153)

153- فَأَجَابَهُ قَوْمُهُ وَقَدْ أَوْغَلُوا فِي الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ: مَا أَنْتَ إِلَّا مَسْحُورٌ مَخْدُوعٌ.

{ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } (الشعراء : 154)

154- قَالُوا: وَلَسْتَ سِوَى بَشَرٍ مِثْلِنَا، وَإِذَا كُنْتَ صَادِقًا فِي ادِّعَائِكَ النَّبُوَّةَ، فَأَتِنَا بِمُعْجَزَةٍ.

{ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ } (الشعراء : 155)

155- فَقَالَ لَهُمْ: هَذِهِ نَاقَةٌ مُبَارَكَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لَمْ يَمْلِكْهَا أَحَدٌ، تَشْرَبُ مِنَ النَّهْرِ يَوْمًا، وَأَنْتُمْ تَشْرَبُونَ مِنْهُ يَوْمًا، وَلَا تُزَاحِمُوهَا فِي يَوْمِهَا.

{ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ } (الشعراء : 156)

156- وَلَا تَقْرَبُوهَا بِسُوءٍ، كَضَرْبٍ أَوْ دَبْحٍ، فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ حَلَّتْ بِكُمْ نِقْمَةُ اللَّهِ، وَأَصَابَكُمْ مِنْهُ عَذَابٌ كَبِيرٌ.

فَمَكَّثُوا حِينًا مِنَ الدَّهْرِ يَنْتَفِعُونَ بِلَبْنِهَا... ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى دَبْحِهَا!

{ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ } (الشعراء : 157)

157- فذبحوا الناقة، وأصبحوا نادمين عندما عاينوا العذاب الذي وعدهم به نبيهم.

{ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ } (الشعراء : 158)

158- فقد حلت بهم نعمة الله، وزلزلت الأرض من تحتهم زلزلاً شديداً، وجاءتهم صيحة عظيمة جعلتهم هامدين لا حراك بهم.

وفيما حل بهم من العذاب عبرة لمن أراد أن يعتبر.

وعلى الرغم من أن المعجزة كانت واضحة لجميعهم، إلا أن أكثرهم كفروا وعصوا.

{ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } (الشعراء : 159)

159- والله قوي لا يُغالب، ينتقم ممن أصرَّ على الكفر واستمرَّ فيه، في الدنيا أو في الآخرة، أو يدوق العذابين. وهو سبحانه رحيم بعباده المؤمنين المطيعين، فيغفر لهم ويكرمهم بجنات النعيم.

{ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ } (الشعراء : 160)

160- وكذب قوم لوط نبيهم، وهم بهذا كذبوا جميع المرسلين، فإن رسالتهم واحدة.

{ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ } (الشعراء : 161)

161- إذ قال لهم لوط أخوهم في النسب، أو الإنسانية، أو لكونه واحداً منهم، وقد ذكروا أنهم كانوا من أصحابه، قال لهم: ألا تحفون الله بمخالفتكم أمره واستمراركم في عمل الفواحش والمعاصي؟

{ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ } (الشعراء : 162)

162- إني رسول إليكم من قبل ربكم، صادق فيما أخبركم به من عنده، أمين على وحيه.

{ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا } (الشعراء : 163)

163- فابتعدوا عما نهاكم عنه لئلا يُعذّبكم، وأطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه، فإنه لصالحكم، في حياتكم وبعد مماتكم.

{ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ } (الشعراء : 164)

164- ولا أطلب منكم أجرًا على تبليغ رسالة الله، إنما أطلب ثوابه من الله وحده.

{ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ } (الشعراء : 165)

165- يا قوم، أتأتون الذكور من بني آدم في أدبارهم،

{ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ } (الشعراء : 166)

166- وتتركون ما خلق الله لكم من الأزواج وهن محلّ الاشتهاء؟ بل أنتم قوم شادون ظالمون، متجاوزون الحلال إلى الحرام.

{ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ } (الشعراء : 167)

167- لكن قومك تمادوا في عيهم وفحشهم وقالوا: إذا لم تكف عنا دعوتك، ولم تنته عن الإنكار علينا، فستكون من المنفيين من أرضنا.

{ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ } (الشعراء : 168)

168- قال لهم عليه السلام: إنني من المبعضين لعملكم غاية البغض، وأنا بريء منكم ومما تعملون.

{ رَبِّ بَنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ } (الشعراء : 169)

169- ودعا ربّه قائلاً: اللهم خلّصني وأهلي منهم ومن سوء عملهم، ومن العذاب الذي يستحقّونه، فإنّهم مجرمون عاصون.

{فَنَجِّينَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ} (الشعراء : 170)

170- فنَجِّينَاهُ وَأَهْلَهُ كُلَّهُمْ مِنْ بَيْنِهِمْ،

{إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ} (الشعراء : 171)

171- إِلَّا امْرَأَتَهُ الْعَجُوزَ الْكَافِرَةَ، التي كانت مائلاً إلى قومها، فكانت من الباقيين معهم في القرية.

{ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخِرِينَ} (الشعراء : 172)

172- ثمّ أهلكنا الآخريين من غير المؤمنين.

{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ} (الشعراء : 173)

173- وأمطرنا عليهم حجارة، زيادةً في عذابهم والسُّخْطِ عليهم، فبئسَ مطرهم الذي كذبوا نبيهم أن يأتيهم به.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} (الشعراء : 174)

174- وفي ذلك كُله عِبْرَةٌ لأصحابِ العقولِ المستقيمة، الذين يقرؤون فيتدبرون ويعتبرون. فإنّ ما كان عليه قوم لوطٍ فاحشةً سيئةً بغیضةً، وشذوذٌ منكر، إضافةً إلى ما يُسبِّبه من أمراضٍ جنسيّةٍ وغير جنسيّة، كشفَ عنها الطبُّ الحديث. ومع أنّ النصح لهم كان دعوةً إلى فطرةٍ وطهارةٍ واستقامة، إلا أنّهم رفضوه وأصرُّوا على الفاحشة، فكان أكثرهم كافرين بدعوة نبيهم.

{وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} (الشعراء : 175)

175- واللّٰهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ، قَدْ يُعَاقِبُ الْكَافِرِينَ الْمَيَّمَرِّدِينَ عُقُوبَةً شَدِيدَةً فِي الدُّنْيَا، لَتَكُونَ عِبْرَةً لِّآخَرِينَ، وَسَيُعَذَّبُونَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابًا أَشَدَّ وَأَبْقَى. وَالْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ يَرْحَمُهُمْ رَبُّهُمْ، لَصَبْرِهِمْ عَلَى طَاعَتِهِ وَمَا كَلَّفَهُمْ بِهِ.

{ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ } (الشعراء : 176)

176- وَكَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ رَسُولَهُمْ، وَمَنْ كَذَّبَ رَسُولًا فَقَدْ كَذَّبَ الرَّسُولَ كُلَّهُمْ، فَرِسَالَتَهُمْ وَاحِدَةً، وَمُعْتَقُدَهُمْ وَاحِدًا. وَالْأَيْكَةُ: الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمَلْتَفَّ، وَأَصْحَابُهَا أَهْلُ مَدْيَنَ، أَوْ غَيْرِهِمْ.

{ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ } (الشعراء : 177)

177- إِذْ قَالَ لَهُمْ رَسُولُهُمْ شُعَيْبٌ: أَلَا تَتَّقُونَ عَذَابَ اللَّهِ بِتَرْكِ مَعَاصِيهِ؟

{ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ } (الشعراء : 178)

178- إِنِّي رَسُولٌ إِلَيْكُمْ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ لِأَنْذِرْكُمْ، وَأَنَا صَادِقٌ فِيمَا أُبَلِّغُكُمْ مِنْ وَحْيِهِ، مُؤْتَمِّنٌ عَلَى ذَلِكَ.

{ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا } (الشعراء : 179)

179- فَاتَّقُوا اللَّهَ عَمَّا هَاكُمُ اللَّهُ عَنْهُ لَتَحْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَأَطِيعُوا فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَأَهَاكُمُ عَنْهُ، فَلَا أَمْرَ لَكُمْ إِلَّا بِالْخَيْرِ، وَلَا أَهَاكُمُ إِلَّا عَنِ شَرِّ.

{ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ } (الشعراء : 180)

180- وَلَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ مَالًا عَلَى هَذَا الَّذِي أُبَلِّغُكُمْ، فَإِنِّي أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَمَنْهُ أَطْلُبُ الْأَجْرَ وَالْثَوَابَ.

{ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ } (الشعراء : 181)

181- أتموا الكيلَ إذا دَفَعْتُمُوهُ إِلَى النَّاسِ، وَلَا تُعْطُوهُ لَهُمْ نَاقِصًا.

{ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ } (الشعراء : 182)

182- وزنوا الأشياءَ بالميزانِ السويِّ، الذي لا حيلةَ فيه.

{ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } (الشعراء : 183)

183- ولا تنقصوا النَّاسَ أموالهم، ولا تُفسدوا في الأرضِ بقطعِ الطَّرِيقِ وما إليه.

{ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَةَ الْأُولَى } (الشعراء : 184)

184- واحشوا اللهَ واحذروا نِقْمَتَهُ إِذَا خَالَفْتُمْ أَمْرَهُ، الذي خلقكم وخلقَ الأُمَمَ الماضينَ.

{ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ } (الشعراء : 185)

185- قَالَ لَهُ قَوْمُهُ مُكَذِّبِينَ بِنَبْوَتِهِ وَرِسَالَتِهِ: مَا أَنْتَ سِوَى رَجُلٍ مَسْحُورٍ، قَدْ مَسَّكَ الْجِنُّ.

{ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ } (الشعراء : 186)

186- وقالوا له: مَا أَنْتَ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ مِثْلُنَا، لَا فَرْقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، وَمَا نَظُنُّكَ إِلَّا مِنْ الْكَاذِبِينَ فِي ادِّعَائِكَ النَّبَوَّةَ.

{ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } (الشعراء : 187)

187- وقالوا مُتَحَدِّينَ وَهُمْ مَتَمَادُونَ فِي ضَلَالِهِمْ: فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا قِطْعَ الْعَذَابِ مِنَ السَّمَاءِ إِذَا كُنْتَ صَادِقًا فِي دَعْوَاكَ.

{ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ } (الشعراء : 188)

188- قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْمَالِكُمْ وَبِمَا تَسْتَوْجِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ.

{ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } (الشعراء : 189)
189- فاستمروا في تكذيب نبيهم، فعوقبوا بعذاب يوم الظلّة، أصابهم حرٌّ شديد، ثمّ أظلمت لهم سحابةٌ كبيرة، فانطلقوا يستظلّون بظلّها ممّا أصابهم من الحرّ، فلمّا تمّ اجتماعهم تحتها، أرسل الله عليهم منها ناراّ وعذابا، وشرّرا وهبّا عظيما، فكان ذلك عذاب يوم شديد وهول فظيع.

{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ } (الشعراء : 190)
190- وفي ذلك آيةٌ وعبرة لمن بعدهم، ليتدبّروا ويعتبروا. ومع أنّ نبيهم كان يأمرهم بالإصلاح والتّقوى، والعدل والإحسان، إلّا أنّ أكثرهم كذّبوه وحارب دعوته.

{ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } (الشعراء : 191)
191- وإنّ ربّك عزيز لا يُغالب، ينتقم من من كذّب رُسُلَهُ بعد إنذارهم، إن عاجلا أو آجلا. وهو رحيم بمن آمن واتقى، وأطاع واهتدى.

{ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (الشعراء : 192)
192- وإنّ هذا القرآن مُنزل من عند ربّ العالمين.

{ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ } (الشعراء : 193)
193- نزل به جبريل عليه السّلام، الأمين على وحي الله تعالى.

{ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ } (الشعراء : 194)
194- نزل به على قلبك أيّها النبيّ محمد حتّى وعيته، لتبلّغه النّاس وتُخوف المكدّبين بما فيه من عقوبات ووعد ووعيد.

{ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } (الشعراء : 195)

195- وهو بُلَغَةٌ عَرَبِيَّةٌ فَصِيحَةٌ وَاضِحَةٌ.

{ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ } (الشعراء : 196)

196- وهذا القرآنُ مذكورٌ خبرُهُ في الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ السَّابِقَةِ تَبْشِيرًا بِهِ.

{ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ } (الشعراء : 197)

197- أَمَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ذَلِيلًا وَعَلَامَةً أَنْ يَكُونَ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْعُدُولُ عَالِمِينَ بِالْقُرْآنِ؟

{ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ } (الشعراء : 198)

198- ولو أنزلنا هذا القرآنَ المعجِزَ في لُغَتِهِ وَنَظْمِهِ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَعْجَمِ لَا يَعْرِفُ التَّكْلِمَ بِالْعَرَبِيَّةِ،

{ فَقرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ } (الشعراء : 199)

199- ثمَّ قرَأَهُ عَلَيْهِمْ قِرَاءَةً صَاحِحَةً بَلِيغَةً، فَكَانَ ذَلِكَ إِعْجَازًا يُضَافُ إِلَى إِعْجَازِ نَظْمِهِ وَمَعْنَاهُ، لَمَا آمَنُوا بِهِ، وَلَا سَتَمَرُوا فِي كُفْرِهِمْ وَمُخَاصَمَتِهِمْ؛ لَقَرِطِ عِنَادِهِمْ وَمُكَابَرَتِهِمْ.

{ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ } (الشعراء : 200)

200- وهكذا أدخَلنا الكُفْرَ بِالْقُرْآنِ وَالتَّكْذِيبَ بِهِ فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ، لِإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْجُحُودِ بِهِ، وَأَنْفَقْتَهُمْ مِنْ اتِّبَاعِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلِقَسَاوَةِ قُلُوبِهِمْ.

{ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ } (الشعراء : 201)

201- وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ، أَوْ بِالْحَقِّ، حَتَّى يُعَاقِبُوا الْعَذَابَ الشَّدِيدَ، وَلَكِنْ لَا يَنْفَعُهُمُ الْإِيمَانُ حِينَئِذٍ.

{ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } (الشعراء : 202)

202- فيُنزِلُ بِهِمُ الْعَذَابُ فَجْأَةً، وَهُمْ غَافِلُونَ، مُنْهَمِكُونَ فِي مُتَعِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا.

{ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ } (الشعراء : 203)

203- وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَاتِ الرَّهِيْبَةِ يَتَحَسَّرُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَيَقُولُونَ: هَلْ نَحْنُ مُؤَخَّرُونَ قَلِيلاً لِنُؤْمِنَ وَنَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ؟

{ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ } (الشعراء : 204)

204- أَتَسْتَعْجِلُونَ الْعَذَابَ، وَتَقُولُونَ لِنَبِيِّكُمْ: إِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولُ فَلْيَنْزِلْ عَلَيْنَا عَذَابَ اللَّهِ؟

{ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ } (الشعراء : 205)

205- أَرَأَيْتَ لَوْ أَمَهَلْنَا الْمُشْرِكِينَ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ، وَطَيَّبْنَا مَعَاشَهُمْ؟

{ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ } (الشعراء : 206)

206- ثُمَّ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مِنَ الْعَذَابِ،

{ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ } (الشعراء : 207)

207- فَإِنَّهُ لَا يُفِيدُهُمْ تَمَتُّعُهُمْ فِي الْحَيَاةِ شَيْءًا، وَلَا يُجْدِي عَنْهُمْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ نَعِيمٍ وَرَفَاهِيَّةٍ.

{ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ } (الشعراء : 208)

208- وَمَا أَهْلَكْنَا أَهْلَ قَرْيَةٍ أَوْ مَدِينَةٍ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَنْذَرْنَاهُمْ وَذَكَّرْنَاهُمْ بِوَسِيَّةِ الرُّسُلِ،

{ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ } (الشعراء : 209)

209- لِيَكُونَ إِهْلَاكُهُمْ تَذَكُّرًا وَعِبْرَةً لِّغَيْرِهِمْ، فَلَا يَعْصُوا مِثْلَ عَصِيَانِهِمْ. وَمَا كَانَ ذَلِكَ ظُلْمًا لَهُمْ، فَقَدْ اسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ بَعْدَ تَذَكُّيرِهِمْ وَإِنذَارِهِمْ وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.

{ وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ } (الشعراء : 210)

210- وهذا القرآن محفوظٌ من عند الله وبأمره، فلم تنزل به الشياطين كما يدعي المشركون، بل نزل به أمين الوحي جبريل.

{ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ } (الشعراء : 211)

211- فليس هذا القرآن من مصلحة الشياطين حتى ينزلوه، لأنهم أنصار الشر والفساد، والقرآن يدعو إلى الخير والصلاح، وهم لا يقدرُونَ على تنزيله أصلاً.

{ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ } (الشعراء : 212)

212- فهم محجوبون ومنوعون من الاستماع إلى ما تتكلم به الملائكة في السماء، فإذا فعلوا رجموا بالشهب.

{ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ } (الشعراء : 213)

213- فإذا علمت ذلك فلا تُشرك في عبادتك مع الله أحداً، فإنك إذا فعلت ذلك عُوقبت بالعذاب الشديد.

وهو ما لا يمكن صدوره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: يُحذِّر الله به غيره، يقول: أنت أكرم الخلق عليّ، ولو اتخذت إلهاً غيري لعذبْتُك.

{ وَأَنْذِرِ الْأَقْرَبِينَ } (الشعراء : 214)

214- وأنذر الأقربين من عشيرتك، وبلِّغهم أنك رسولُهم، ونذيرٌ لهم بين يدي عذابٍ شديد، وأنه لا يُنجي أحداً منهم إلا إيمانه.

وقد أُنذَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا، كما أُنذَرَ قَوْمَهُ وَالْآخِرِينَ، وَبَلَغَ هَذَا الدِّينَ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي إِنذَارٍ عَامٍ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ.

{وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (الشعراء : 215)

215- وَأَلِنْ جَانِبَكَ، وَتَوَاضَعْ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنْ صَحَابَتِكَ الْمُؤْمِنِينَ.

{فَإِنْ عَصَاكَ فُلْنُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ} (الشعراء : 216)

216- فَإِذَا عَصَاكَ وَلَمْ يَتَّبِعَكَ مَنْ أُنذَرْتَهُمْ، فَقُلْ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الْكُفْرِ، وَمِمَّا تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ} (الشعراء : 217)

217- وَاعْتَمِدْ عَلَى اللَّهِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ، وَفَوِّضْ أَمْرَكَ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ قَوِيٌّ لَا يُغَالِبُ، يَقْهَرُ مَنْ يُعَادِيكَ بِعِزَّتِهِ، وَيَنْصُرُكَ وَيُؤَيِّدُكَ بِرَحْمَتِهِ.

{الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ} (الشعراء : 218)

218- الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ، عَابِدٌ خَاشِعًا.

{وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ} (الشعراء : 219)

219- وَالَّذِي يَرَاكَ فِي قِيَامِكَ وَرُكُوعِكَ وَسُجُودِكَ فِيمَا بَيْنَ الْمُصَلِّينَ إِذَا أَمَّتْهُمْ.

{إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (الشعراء : 220)

220- إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لَأَقْوَالِ الْعِبَادِ، الْعَلِيمُ بِأَحْوَالِهِمْ، الْمُطَّلِعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَمَا يُسْرُونَ وَيُعْلِنُونَ فِي عِبَادَاتِهِمْ وَغَيْرِهَا.

{ هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ } (الشعراء : 221)

221- قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَنْزَلُ بِالْقُرْآنِ، إِذْ لَيْسَ هُوَ مِنْ مَصْلَحَتِهِمْ وَلَا رَغْبَتِهِمْ، فَهَلْ أَخْبَرْتُمْ عَلَى مَنْ تَنْزَلُ إِذَا؟

{ تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَقَاكٍ أَثِيمٍ } (الشعراء : 222)

222- إِذَا تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ كَذَّابٍ فَاجِرٍ، كَالْكُهَّانِ وَالْمِشْعُودِينَ الْكَاذِبِينَ الْفَاسِقِينَ⁽¹⁰⁰⁾، وَرَسُولَ اللَّهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَزَّةٌ عَنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ.

{ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ } (الشعراء : 223)

223- هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينُ يُحَاوِلُونَ الْاسْتِمَاعَ إِلَى مَا يَقُولُهُ الْمَلَائِكَةُ لِيَعْرِفُوا وَلَوْ شَيْئًا قَلِيلًا مِنَ الْغَيْبِ، فَإِذَا عَرَفُوا كَلِمَةً مِنْهُ أَلْقَوْهَا إِلَى أَتْبَاعِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ، فَيَتَحَدَّثُونَ بِهَا، وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ. فِيمَا يَقُولُونَ.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، أَنَّ نَاسًا سَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْكُهَّانِ، فَقَالَ: "إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِشَيْءٍ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا. فَقَالَ: "تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطِفُهَا الْجِنُّ فَيُفَرِّقُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ كَقَرْقَرَةِ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذِبَةٍ".

{ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ } (الشعراء : 224)

(100) المراد بهم كلُّ من كان كاهنًا، فإن الشياطين كانت تسترقق السمع، ثم يأتون إليهم، فيلقونهُ إليهم. (فتح القدير).

224- والقرآن ليس مثل الشعر، والأنبياء ليسوا مثل الشعراء، فالأنبياء راشدون مُسَدَّدون، أهل هدايةٍ وصلاحٍ وتقوى، يتبعهم المؤمنون الصادقون، والشعراء يتبعهم الضالون من الإنس والجن، لا أهل الهدى والسداد.

{ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ } (الشعراء : 225)

225- ألا تنظر كيف أن الشعراء في كلِّ لغوٍ يخوضون، فيمدحون الشيء بعد أن ذمُّوه، ويهجون قوماً ثمَّ يُثنون عليهم، فهم حائرون في أودية الكلام، هائمون على وجوههم كأنهم لا مقصد لهم في الحياة.

{ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ } (الشعراء : 226)

226- وهم يكذبون في شعرهم، فيقولون فعلنا وفعلنا وهم لا يفعلون، ويفتخرون بأحوال ومواقف شجاعةٍ ليست سوى وهمٍ وخيالٍ وانفعال.

{ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ } (الشعراء : 227)

227- إلا الشعراء الذين صدقوا في إيمانهم، وأحسنوا في أعمالهم، ولم يشغلهم الشعر عن طاعة ربهم وذكره، فكانوا من الذَّاكِرِينَ الله كثيراً في شعرهم، الذَّابِّينَ عن الإسلام وأهله، المحرِّضِينَ على الدعوة والجهاد ومكارم الأخلاق، فانتصروا لدينهم، وجاهدوا الكُفَّارَ بلسانهم كما جاهدوهم بسُيوفهم، بعد أن ظلموا وأخرجوا من ديارهم بغير حق، وسيعلم المشركون المعادون للإسلام والمسلمين، ومعهم الشعراء الضالون، ماذا يكون مصيرهم، وأين يكون مستقرهم بعد الموت، وهو شرُّ مرجع، وأسوأ مصير.

سورة النمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ { (النمل : 1)

1- الكَلِمَاتُ الْمَقْطَعَةُ لم يَرِدْ فِي تَفْسِيرِهَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَاحْتُلِفَ فِي مَدْلُولِهَا. هَذِهِ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، الْكِتَابِ الْبَيِّنِ الْوَاضِحِ فِي أَحْكَامِهِ وَأَخْبَارِهِ.

{ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ { (النمل : 2)

2- هِدَايَةٌ وَإِرْشَادًا إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، لِلْمُصَدِّقِينَ بِهِ وَالْعَامِلِينَ بِمَا فِيهِ، وَبِشَارَةً لَهُمْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ.

{ الَّذِينَ يُتِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ { (النمل : 3)

3- الَّذِينَ يُحَافِظُونَ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ وَيُؤَدُّوْنَهَا فِي أَوْقَاتِهَا، وَيُعْطُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا فِيهِ مِنْ حِسَابٍ وَجَزَاءٍ.

{ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ { (النمل : 4)

4- إِنَّ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عَلَى الْأَعْمَالِ، زَيَّنَّا أَعْمَالَهُمُ السَّيِّئَةَ فِي قُلُوبِهِمْ، حَتَّى رَأَوْهَا حَسَنَةً، فَهُمْ يَتِيهُونَ فِي ضَلَالِهِمْ وَلَوْ كَانَ وَبِالْأَعْمَالِ عَلَيْهِمْ، وَيَنْعَمِسُونَ فِي أَعْمَالِهِمْ دُونَ التَّفَكُّرِ بِجَلَالِهَا وَحَرَامِهَا، وَيَنْهَمِكُونَ فِي هَوَايَاتِهِمْ نَافِعَةً كَانَتْ أَوْ ضَارَّةً، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي آثَارِ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَهَذَا جَزَاءٌ لَهُمْ عَلَى مَا كَذَّبُوا بِهِ مِنَ الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَلَوْ آمَنُوا بِهَا لَوَزَنُوا أَعْمَالَهُمْ قَبْلَ يُحَاسِبُوا عَلَيْهَا هُنَاكَ.

{ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ { (النمل : 5)

5- أولئك لهم عذابٌ شديدٌ في الدنيا بالقتلِ والأسر، وهم أكثرُ خسارَةً في الآخرة، فينتظِرُهُم عذابٌ أشدُّ وأبقى.

{ وَإِنَّكَ تَتْلَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ } (النمل : 6)

6- وَإِنَّكَ تَتْلَى هَذَا الْقُرْآنَ وَحِيًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، الْحَكِيمِ فِيمَا يَأْمُرُ وَيَنْهَى، الْعَلِيمِ بِالْأُمُورِ كُلِّهَا، مَاضِيهَا وَحَاضِرِهَا وَمُسْتَقْبَلِهَا، فَكُلُّ مَا يُخْبِرُ بِهِ فِي الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ صِدْقٌ وَعَدْلٌ.

{ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نَاراً سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِسَهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ } (النمل : 7)

7- واذكُرْ لِقَوْمِكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ قَوْلَ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى لِأَهْلِهِ وَهُمْ فِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِمْ مِنْ مَدْيَنَ إِلَى مِصْرَ: إِنِّي أَبْصَرْتُ نَاراً، سَاتِيكُمْ مِنْ هُنَاكَ بِخَبْرٍ يَدُلُّنَا عَلَى الطَّرِيقِ، أَوْ بِشُعْلَةٍ مِنْهَا لَتَتَدَفَّقُوا بِهَا.

{ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (النمل : 8)

8- فَلَمَّا أَتَى النَّارَ نُودِيَ فَقِيلَ: بَارَكَ اللَّهُ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا، مُوسَى وَالْمَلَائِكَةُ الْحَاضِرِينَ، وَتَقَدَّسَ اللَّهُ وَتَنَزَّهَ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ.

{ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (النمل : 9)

9- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: يَا مُوسَى، إِنَّ الَّذِي يُنَاجِيكَ وَيُخَاطِبُكَ هُوَ اللَّهُ، ذُو الْأُلُوهِيَّةِ وَالْمَعْبُودِيَّةِ عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ، أَنَا الْعَزِيزُ الَّذِي فَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ وَغَلَبَهُ، الْحَكِيمُ فِيمَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ.

{ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ } (النمل : 10)

10- وَأَلْقِ عَصَاكَ عَلَى الْأَرْضِ. فَلَمَّا أَلْقَاهَا وَرَأَاهَا تَتَحَرَّكُ وَتَضْطَرِبُ كَأَنَّهَا حَيَّةٌ، هَرَبَ مِنْ الْخَوْفِ وَلَمْ يَرْجِعْ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا مُوسَى لَا تَخَفْ مِمَّا تَرَى فَأنتَ فِي حِفْظِي، وَأَنْبِيَائِي الْمُرْسَلُونَ لَا يَخَافُونَ عِنْدَ الْوَحْيِ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِمْ خَوْفٌ أَحَدٌ. أَوْ لَا يَكُونُ لَهُمْ عِنْدِي سُوءٌ عَاقِبَةٌ لِيَخَافُوا مِنْهُ.

{إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} (النمل : 11)

11- لَكُنْ مَنْ ظَلَمَ مِنْ سَائِرِ الْعِبَادِ وَأَذْنَبَ فَإِنَّهُ يَخَافُ، إِلَّا مَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا، فَإِنِّي أَغْفِرُ ذَنْبَهُ وَأَرْحَمُهُ.

{وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِذْهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} (النمل : 12)

12- وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ - وَهُوَ فَتْحَةُ الْقَمِيصِ مِنْ أَعْلَى الصَّدرِ - ثُمَّ أَخْرِجْهَا، تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مُتَالِفَةً تَشْعُ نُورًا، مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ وَلَا أَدَى كَالدَّرِصِ وَنَحْوِهِ. وَيَبْدُو أَنَّ الْمُقْصُودَ إِدْخَالَ الْيَدِ فِي الْجَيْبِ وَوَضْعُهَا تَحْتَ الْإِبْطِ، وَهَذَا مَا فَهِمَ مِنَ الْآيَةِ (22) مِنْ سُورَةِ طه: {وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى}. وَهَذِهِ مُعْجَزَةٌ أُخْرَى مِنْ بَيْنِ تِسْعِ مُعْجَزَاتٍ أُيِّدْتُكَ بِهَا لِتَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، فَإِنَّهُمْ فَاسِقُونَ خَارِجُونَ عَنِ الطَّاعَةِ وَالذِّينِ الْحَقِّ.

{فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ} (النمل : 13)

13- فَلَمَّا جَاءَهُمْ هَذِهِ الْمَعْجَزَاتُ، وَظَهَرَتْ عَلَى يَدَيِ مُوسَى بَيِّنَةٌ وَاضِحَةٌ، قَالُوا: هَذَا سِحْرٌ ظَاهِرٌ بَيِّنٌ!

{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْفَنَتَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} (النمل : 14)

14- فكذبوا بها بألسنتهم وظاهر أمرهم، وعلموا في أنفسهم يقيناً أنها من عند الله وليست سحراً، فعلوا ذلك ظلماً من أنفسهم لكونهم مشركين، وترفعوا واستكباراً عن الإيمان بما جاء به موسى عليه السلام. فانظر أيها الرسول كيف كانت نتيجة فرعون وقومه المفسدين في الأرض.

{ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ } (النمل : 15)

15- ولقد أعطينا كلاً من داود وابنه سليمان علماً جماً، يليق بمقام النبوة التي أكرمهما الله بها، فحمداً لله وشكراً له هذه النعمة الكبرى، وقالوا: الحمد لله الذي فضّلنا بما آتانا من العلم على كثير من عباده المؤمنين.

{ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ } (النمل : 16)

16- وورث سليمان أباه داود في الملك والنبوة، فصار نبياً ملكاً، وقال مُقَدِّراً نعمة الله عليه: أيها الناس، لقد علّمنا الله لغة الطيور والدواب وما تتخاطب به، وأعطانا كل شيء يتعلّق بالملك والتمكين فيه، حتى سحر لنا الإنس والجنّ والطير والريح، وهذا فضل من الله علينا وإحسان منه لا يخفى.

{ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ } (النمل : 17)

17- وجمع لسليمان عساكره من الأماكِنِ المختلفة لمسيره، من الجنّ والإنس والطير، فهم مجتمعون مصطفون عنده، لا يتقدّم أحد على مرتبة الآخر ولا في المسير عليه.

{ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } (النمل : 18)

18- حتى إذا مرَّ مع جيشه بوادي النمل، قالت نملةٌ مخاطبةٌ نملًا من جنسها بلعنتها: ادخلوا مساكنكم حتى لا يحطمكم سليمانٌ وجنوده وخيوله دون أن يشعروا بذلك.

{فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} (النمل : 19)

19- فسَمِعَ سُلَيْمَانُ مَا قَالَتِ النَّمْلَةُ، وَتَبَسَّمْ سُورًا بِمَا فَهَّمَهُ اللَّهُ مِنْ كَلَامِهَا، وَقَالَ فِي عِبَادَتِهِ وَخُشُوعٍ: اللَّهُمَّ أَهْمِنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي مَنَنْتَ بِهَا عَلَيَّ، مِنْ النُّبُوَّةِ وَالْمُلْكِ وَتَعَلُّمِ مَنْطِقِ الْحَيَوَانَ، وَنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَالِدَيَّ بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَوَقَّفْنِي لِأَقْوَمِ بِالْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ الَّتِي تُحِبُّهَا وَتَرْضَىٰ بِهَا، وَأَدْخِلْنِي فِي جُمْلَةِ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكَ إِذَا تَوَفَّيْتَنِي، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَتِهِمْ.

{وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ} (النمل : 20)

20- وَبَحَثَ سُلَيْمَانُ عَنِ الطَّيْرِ، وَطَلَبَ مَا فُقِدَ مِنْهَا، فَلَمْ يَرَ مِنْ بَيْنِهَا الْهُدْهَدَ، فَقَالَ: مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ، أَمْ أَنَّهُ غَابَ مِنْ غَيْرِ إِذْنِي؟ وَالْهُدْهَدُ طَائِرٌ ذَكِّي حَذِرٌ، سَرِيعُ الْمَلَاظَمَةِ، قَوِيٌّ الذَّاكِرَةِ، وَاسِعُ الْحِيلَةِ، وَيُكْنَىٰ بِأَبِي الْأَحْبَارِ. وَلَا يَجُوزُ قَتْلُهُ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ.

{لَأَعَدِّبَنَّهٗ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّيَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ} (النمل : 21)

21- لَأُؤَدِّبَنَّهٗ بِمَا يَسْتَحِقُّ لِعَدَمِ طَاعَتِهِ، كَتَنَفِ رِيشِهِ. أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ، أَوْ لِيَأْتِيَنَّيَ بِعُدْرٍ وَاضِحٍ مَقْبُولٍ.

{فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ} (النمل : 22)

22- فَأَقَامَ الْهُدْهَدُ زَمَانًا يَسِيرًا، ثُمَّ جَاءَ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ وَقَالَ لَهُ: لَقَدْ أَطَّلَعْتُ عَلَى مَا لَمْ تَطَّلِعْ عَلَيْهِ، وَجِئْتُ لَكَ مِنْ مَمْلَكَةِ سَبَأٍ بِخَبَرٍ صِدْقٍ وَحَقٍّ.

{إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهِيَ عَرْشٌ عَظِيمٌ} (النمل : 23)

23- لقد وجدت امرأة - هي بلقيس - تحكّم قومها، وقد أوتيت كل ما يحتاج إليه الملوك، ولها سرير كبير جداً تجلس عليه، مُزخرف بأنواع الجواهر والآلئ.

{ وَجَدْتُمَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ
عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ } (النمل : 24)

24- وجدتُها وقومها يسجدون للشمس في عبادتهم من دون عبادة الله وحده، وقد حسّن الشيطان الأعمال الشركية في قلوبهم، فمنعهم بذلك من طريق الحق والصواب، فهم لا يهتدون إليها.

{ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا
تُعْلِنُونَ } (النمل : 25)

25- منعهم من ذلك لئلا يسجدوا لله تعالى، الإله الحق العالم بالخفيات، الذي يظهر المحبوء المكنون مما في السماء والأرض، وهو الذي يعلم ما تُسرون مما في قلوبكم، وما تُعلنونه من خلال أقوالكم وأعمالكم، ويُجازي كلاً بما يستحق.

{ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } (النمل : 26)

26- هو الله الذي لا معبود بحق سواه، فلا يُعبد إلا هو، ربُّ العرش العظيم، أعظم المخلوقات.

{ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } (النمل : 27)

27- قال سليمان عليه السلام للهدد: ستتحري وتثبت مما ذكرته، أصدقت فيما أخبرت به، أم أنك كاذب فيه؟

{ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ } (النمل : 28)

28- وهذا اختبارٌ لك فيما زَعَمْتَ، اذهبِ برسالتِي هذهِ إلى الملكةِ وقومِها وألقِها إليهم، ثمَّ نَحِّ عَنْهُمْ، وَكُنْ قَرِيبًا مِنْهُمْ، وانظُرْ بماذا يُجيبون؟

{قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ} (النمل : 29)

29- ووقعتِ الرِّسالةُ بينَ يديها، فتعجَّبتُ ممَّا فيها، وقالتُ لمن حوَّلها من أصحابِ الرأيِ ووجهاءِ القومِ: أَيُّها السَّادَةُ والأمرَاءُ، لقد أُلقيتِ إليَّ رسالةٌ مَحْتومَةٌ، عاليةٌ وَقَدِيرَةٌ في شَكْلِها ومَضمونِها!

{إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} (النمل : 30)

30- إنَّها منَ النبيِّ الملكِ سُلَيْمَانَ بنِ داودَ، وإنَّ فيها: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} أي: أبدأُ بِسْمِ اللَّهِ ذي الرَّحمةِ الواسِعةِ، ورحمتهُ بالمؤمنينَ خاصَّةً.

{أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأَثُونِي مُسْلِمِينَ} (النمل : 31)

31- وفيها: لا تَمْتَنِعُوا ولا تَتَكَبَّرُوا عَلَيَّ كما يَفْعَلُ جَبَابِرَةُ الملوِكِ، وَأَثُونِي مُسْلِمِينَ مَوْحِدِينَ.

{قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ} (النمل : 32)

32- ثمَّ خَاطَبَتْهُمُ بِقَوْلِها: أَيُّها السَّادَةُ والوجهاءُ، أَشيروا عَلَيَّ بما عِنْدَكُم منَ الرأيِ والتَّدييرِ فيما عَرَضَ عَلَيَّ منَ هذا الأمرِ، فما كُنْتُ قَاضِيَةً وَفَاصِلَةً في شَأْنٍ حَتَّى تَحْضُرُونِي وتُشِيرُوا عَلَيَّ.

{قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ} (النمل : 33)

33- قالوا لها: نحنُ أصحابُ قُوَّةٍ في الأجسادِ، وكثيرةٌ في الأعدادِ، وأصحابُ بَجْدَةٍ وشِجَاعَةٍ وبِلاءٍ في القِتالِ، ونحنُ جاهزونٌ للحربِ إذا أَرَدتِ أَيُّتُها الملكةُ، والكَلِمَةُ الأَخيرَةُ لِكِ، فَأُمرِينا بما تَرَيْنَ منَ الصُّلحِ أو الحربِ، فنحنُ مُطيعونٌ لأَمْرِكِ.

{ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَظَهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ }
(النمل : 34)

34- قالت الملكة: إن الملوك إذا دخلوا بلدًا غنوه أفسدوه وخرّبوه، وقصدوا من فيه من الحُكّام والأشراف والجنود فأهانوهم غاية الهوان، إمّا بالقتل أو بالأسر، ليستقيم لهم الأمر. وكما قالت الملكة، فإنهم يفعلون ذلك.

{ وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ } (النمل : 35)

35- فلجأت إلى المهادنة والمصانعة، وقالت لقومها: سأبعث إليهم هديّة كبيرة تناسب الملوك الكبار، فلعلّه يقبلها ويكفّ عنا، وسأرى ما الذي يكون جوابه عن طريق رسلي.

{ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ } (النمل : 36)

36- فلما جاء رسولها سليمان، وسلّم الهدية إليه، قال له: أتصانعونني بالمال لأترككم وشرككم؟ فإن الذي وهبني الله من النبوة، وأنعم عليّ بالملك والمال والجنود، هو أعظم وأفضل مما أنتم فيه، بل إن همتكم في الدنيا والفرح بزيتها والتفاخر بها، والانقياد للهدايا والتشخف فيها، ولست على ما تظنون من ذلك، ولا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف.

{ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ }
(النمل : 37)

37- ارجع إليهم بالهدية أيها الرسول، فسوف نأتيهم بجيش لا طاقة لهم بمقاومته، وسنخرجهم من سبأ مهانين بعد أن كانوا في عزّ وتمكين، أسرى ومستعبدين، إذا لم يأتوني مسلمين.

{ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ } (النمل : 38)

38- فرجع الرسول إلى الملكة بما قال سليمان عليه السلام، فعرفت أنه لا طاقة لها ولقومها به، فتوجهت إليه في أتباعها ووجهاء قومها، وبعثت إليه أنها قادمة لتتنظر في أمره، وما يدعو إليه من دين.

وقال سليمان عليه السلام لمن تحت يده: من يأتيني بعرش بلقيس قبل أن يصلوا إلي مؤمنين طائعين؟ وهذا لاختبار عقلها، وإراءتها بعض الخوارق الدالة على صدق نبوته.

{ قَالَ عَفْرَيْتُ مِّنَ الْجِنَّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ }
(النمل : 39)

39- قال مارد قوي من الجن: أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مجلسك، ولي قوة على حمل عرشها الكبير، ولن أبدل منه شيئاً، ولا آخذ من جواهره.

{ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ }
(النمل : 40)

40- قال سليمان عليه السلام: أريد أعجل من ذلك. فقال واحد من بني إسرائيل له علم من الكتاب: أنا آتيك بسريرها قبل أن ينضم جفن عينك بعد فتحه! فلم يشعر سليمان إلا وسرير ملكها يحمل بين يديه! فلما رآه ماثلاً عنده على حاله، قال في خضوع وخشوع: إحضار السرير في هذه المدة المتناهية في القصر، من فضل الله ونعمته علي، وليختبرني: أشكر فضله على ذلك وأعترف بأنه من منته وحسن تدبيره ولطفه، أم لا أشكره عليه؟

ومن شكر الله على نعمه فإما ينفع نفسه بذلك، لأنه يُعرفها الحق، ويستجلب لها المزيد من الخير والنفع، ومن لم يشكر، فإن الله غني عن شكره، وعن عبادة الناس وشكرهم أجمعين. وهو سبحانه كريم، فينعم على من لم يشكره أيضاً، ولا يعجل في عقوبتهم.

{ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ }
(النمل : 41)

41- قَالَ سُلَيْمَانُ لِلصُّنْعَةِ المَاهِرِينَ مِنْ حَوْلِهِ: غَيَّرُوا بَعْضَ صِفَاتِ سَرِيرِ المَلِكَةِ لِنَحْتَبِرَهَا بِذَلِكَ، وَنَنْظُرْ هَلْ تَعْرِفُ أَنَّهُ عَرْشُهَا، أَمْ أَهْمَا لَا تَهْتَدِي إِلَى ذَلِكَ؟

{ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتَيْنَا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ }
(النمل : 42)

42- فَلَمَّا وَصَلَتْ عُرْضَ عَلَيْهَا عَرْشُهَا، وَقَدْ غَيَّرَ مَا فِيهِ، وَقِيلَ لَهَا: أَمِثَلْ هَذَا السَّرِيرِ كَانَ سَرِيرُكَ الَّذِي كُنْتَ بَجَلِيسِينَ عَلَيْهِ فِي مَمْلَكَتِكَ؟ قَالَتْ وَقَدْ نَظَرْتُ فِيهِ، وَكَانَتْ صَاحِبَةً عَقْلٍ وَدَكَاءَ: إِنَّهُ يُشَبِّهُهُ وَيُقَارِبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ هُوَ! قَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوْ قَالَ هُوَ وَقَوْمُهُ: وَأَوْتَيْنَا نَحْنُ العِلْمَ بِاللَّهِ وَقُدْرَتَهُ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ المَرَاةِ، أَوْ قَبْلَ عِلْمِهَا، وَكُنَّا مُؤْمِنِينَ قَبْلِهَا.

{ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تُعْبُدُ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ } (النمل : 43)

43- قَالَ اللّهُ تَعَالَى مَا مَعْنَاهُ: وَمَنْعَهَا مِنَ الإِيمَانِ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللّهِ، لِأَنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ رَاسِخِينَ فِي الكُفْرِ.

{ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ } (النمل : 44)

44- ثُمَّ قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي القَصْرَ، وَكَانَ مِنْ رُجَاحٍ، يَجْرِي مِنْ تَحْتِهِ المَاءُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ كَذَلِكَ، ظَنَّتْهُ مَاءً كَثِيرًا يَجْرِي، فَكشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا لِئَلَّا يَتَلَّ ثَوْبُهَا بِالمَاءِ، فَقَالَ لَهَا سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ لَمَحَ اسْتِعْرَابَهَا وَدَهَشَتَهَا: إِنَّهُ قَصْرٌ مُّمَلَّسٌ مُسْتَوٍ مِنْ رُجَاحٍ، وَليْسَ مَاءً. فَعَرَفَتْ أَنَّ مُلْكَ سُلَيْمَانَ أَعَزُّ مِنْ مُلْكِهَا، وَسُلْطَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سُلْطَانِهَا. وَلَمَّا عَايَنْتْ هَذَا الأَمْرَ العَظِيمَ، وَجَمَعَتْ إِلَيْهِ المَعْجَزَاتِ السَّابِقَةَ، قَالَتْ فِي تَبَتُّلٍ وَخُشُوعٍ: اللّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي بِعِبَادَةِ غَيْرِكَ، وَتَابَعْتُ دِينَ سُلَيْمَانَ، وَأَحْلَصْتُ مَعَهُ العِبُودِيَّةَ لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ} (النمل : 45)

45- وقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم في النسب صالحاً عليه السلام، فقال لهم: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً. فآمن بعضهم، وبقي على كفرهم آخرون، فصاروا فريقين يختصمون ويتجادلون في الدين. (ورد شيء من ذلك في سورة الأعراف، الآيات: 75-79).

{قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (النمل : 46)

46- فقال صالح عليه السلام للفريق الكافر، بعدما رأى عتوهم ومكابرتهم عن اتباع الحق، وطلبهم إنزال العذاب بهم إن كان ما يقول حقا، قال: يا قوم، لماذا تستعجلون العقوبة التي فيها شر لكم، قبل التوبة وطلب الرحمة من الله، التي لكم فيها خير وفلاح، فهلا طلبتم مغفرته قبل عذابه، فإن طلب الخير أفضل من طلب الشر، ولعله يقبله منكم فيرحمكم؟

{قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ} (النمل : 47)

47- قالوا في جهالة وحمق: تشاء منا بك وبمن أتبعك، ولم نر منكم خيرا، بل تتابعنا علينا الشدائد.

فقال لهم نبيهم عليه السلام: إن ما تشاءمون به هو بيد الله تعالى، وما يصيبكم من خير وشر من عنده سبحانه، وما ينالكم من الشر هو بسبب أعمالكم، وأنتم تختبرون بتعاقب السراء والضراء، وبالأمير والنهي.

{وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ} (النمل : 48)

48- وكان في قرية ثمود (الحجر، بين الحجاز والشام) تسع عصابات، يفسدون فيها وفي غيرها من القرى والبلدان، ولا يصلحون في شيء من الأشياء، بل كان دأبهم الكفر والضلال.

{ قَالُوا تَفَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ }

(النمل : 49)

49- قالوا بعد أن تشاوروا في أمر صالح عليه السلام: احلفوا بالله لنقتلنه مع أهله بعنة، ثم نقول لأوليائه: لم نحضر مقتل صالح وأهله ولا نعرف من هذا الأمر شيئاً، ونحن صادقون فيما نقول.

{ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } (النمل : 50)

50- وغدروا من خلال الاتفاق على خطبتهم المذكورة، ومكرنا بهم فأبطلنا حيلتهم، وأفشلنا مؤامرتهم، وهم لا يدرون بذلك.

{ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ } (النمل : 51)

51- فانظر ماذا كانت نتيجة مؤامرتهم، فقد أهلكناهم وقومهم، ودمرناهم تدميراً. وهؤلاء الرهط كانوا زعماء الكفر ورؤساء الضلال في ثمود، وقد عقروا الناقة التي منعهم نبئهم من ذلك، تحدياً وعناداً، واستمطاراً للعذاب!

{ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (النمل : 52)

52- وهذه منازلهم وهي ساقطة متهدمة، ليس فيها أحد؛ بسبب ظلمهم وتكذيبهم نبئهم. وفي ذلك عبرة كبيرة لمن كان ذا عقل وفهم وتدبر.

{ وَأُنَجِّنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } (النمل : 53)

53- وأنقذنا صالحاً ومن آمن معه، وكانوا صالحين، يبتعدون عن المعاصي والآثام.

{ وَلَوْطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ } (النمل : 54)

54- وأرسلنا لوطاً إلى قومه نذيراً لهم، فقال وهو يُحذّرهم ويتصّحّهم ويُشفقّ عليهم من العذاب: يا قوم، أتفعلون هذه الفعلة المنكرة القبيحة التي لم يسبقكم إليها أحد، وأنتم تعلمون من أنفسكم أنها فاحشة سيئة؟

{أَنتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ} (النمل : 55)

55- أتأتون الرجال في أدبارهم لقضاء شهوتكم وتدعون ما خلق الله لكم من الزوجات وهنّ محلّ الشهوة؟ بل أنتم سُفهاء ماجنون، تجهلون عاقبة فعلكم الفاحش، الذي هو انتكاسة للفطرة والرجولة، وشذوذ وانحراف في السلوك، وأمراض جنسيّة وعيّر جنسيّة، وعقوبة في الدنيا، وعذاب في الآخرة.

الجزء العشرون

سورة النمل (56-93)

سورة القصص

سورة العنكبوت (1-45)

{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ}

(النمل : 56)

56- فما كان جواب قوم المجرمين إلا قولهم: أخرجوا لوطاً وأهله من بين أظهركم، فإنهم يتنزهون عن اللواط ويستقذرونه.

{فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ} (النمل : 57)

57- فأنقذنا لوطاً وأهله من بينهم، إلا امرأته الكافرة، قضينا أن تكون مع الباقين المهلكين من قومها في القرية.

{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ} (النمل : 58)

58- وقدفناهم بحجارة من السماء عقوبة لهم، وبئس العذاب الذي أمطروا به.

{قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ} (النمل : 59)

59- قل أيها النبي الكريم: الحمد لله على نعمه العظيمة، ومنها إهلاك الكافرين من الأمم الغابرة، والسلام على أنبياء الله الذين اختارهم الله لتبليغ رسالته، فبلغوا ونصحو وصبروا على أذى قومهم. هل الله الخالق المبدع خير لمن عبده، أم الأصنام الصماء خير لمن يعبدونها من المشركين، وأي الفريقين ينجو ويفلح؟

{أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ
مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْتُمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ} (النمل : 60)

60- وَمَنْ خَلَقَ هَذِهِ السَّمَاوَاتِ الْعَالِيَةَ الْمَحْكَمَةَ، وَمَا فِيهَا مِنْ كَوَاكِبٍ عَظِيمَةٍ وَمُجُومٍ كَثِيرَةٍ
لَا تُحْصَى، وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهَا مِنْ إِنْسَانٍ وَطَيْرٍ وَدَابَّةٍ، وَمِنْ بَحَارٍ وَقِفَارٍ، وَنَبَاتٍ وَشَجَرٍ، وَمَعْدِنٍ
وَجِبَلٍ... وَأَنْزَلَ لِمَنْفَعَتِكُمْ مِنَ السَّحَابِ مَطَرًا، فَأَحْيَيْنَا بِهِ بَسَاتِينَ جَمِيلَةً لَكُمْ، ذَاتَ مَنَاطِرَ
بِهَيَّةٍ، فِيهَا أَنْوَاعُ الثَّمَرِ الشَّهِيَّةِ، مَا كَانَ بَاسِطِطَاعَتِكُمْ أَنْ تُنْبِتُوهَا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ، وَمَعَ ذَلِكَ
تُشْرِكُونَ مَعَ اللَّهِ أَصْنَامًا لَيْسَ بِمَقْدُورِهَا أَنْ تَتَحَرَّكَ؟! بَلْ إِنَّهُمْ قَوْمٌ مُنْحَرِفُونَ عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ
وَالْتَّوْحِيدِ، وَلِذَلِكَ يَفْعَلُونَ مَا يَفْعَلُونَ.

{أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا
أَلَيْتُمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (النمل : 61)

61- مَنْ الَّذِي جَعَلَ هَذِهِ الْأَرْضَ سَاكِنَةً ثَابِتَةً لَا تَتَحَرَّكُ وَلَا تَضْطَرِبُ، لِيَتِمَّكَنَ أَهْلُهَا مِنَ
الِاسْتِقْرَارِ عَلَيْهَا، وَجَعَلَ فِيهَا أَنْهَارًا جَارِيَةً تَنْتَفِعُونَ بِهَا، وَجِبَالًا ثَابِتَةً لئَلَّا تَمِيدَ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا،
وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ فَاصِلًا يَمْنَعُهُمَا مِنَ الْمِمَارَاجَةِ حِينَ يَلْتَقِيَانِ، فَلَا يَخْتَلِطُ مَاءُ هَذَا بِمَاءِ ذَاكَ.
فَهَلْ هُنَاكَ إِلَهٌ آخَرُ غَيْرُ اللَّهِ شَارِكُهُ فِي هَذَا الْخَلْقِ وَالْإِبْدَاعِ؟ بَلْ أَكْثَرُهُمْ جَاهِلُونَ، لَا يَعْلَمُونَ
مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ جَهْلٍ وَضَلَالٍ يُزْرِي بِعُقُولِهِمْ.

{أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْتُمْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا
مَا تَذَكَّرُونَ} (النمل : 62)

62- وَمَنْ الَّذِي يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ الْمُضْطَرِّ، الَّذِي أَحْوَجَتْهُ الشَّدَّةُ، وَخَنَقَهُ الْكَرْبُ، فَيَكْشِفُ
مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ؟ وَمَنْ الَّذِي يُهْلِكُ جِيلًا وَيُنْشِئُ آخَرَ، وَيَجْعَلُكُمْ مِنْ سُكَّانِ الْأَرْضِ، فَتَكُونُونَ
خُلَفَاءَ لِسَلْفٍ؟ أَهُنَاكَ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ يُقَدِّرُ ذَلِكَ وَيَتَصَرَّفُ فِيهِ؟ وَلَكِنْ مَا أَقَلَّ تَذَكُّرَكُمْ لِلنُّعْمَةِ،
وَتَبَصُّرَكُمْ بِالْحَقِّ!

{ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْهَ مَعِ
اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } (النمل : 63)

63- وَمَنْ الَّذِي يُرْشِدُكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيَالِي فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ إِذَا سَافَرْتُمْ، بِمَا جَعَلَ لَكُمْ مِنَ
الدَّلَائِلِ وَالْعَلَامَاتِ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ؟ وَمَنْ الَّذِي يَبْعَثُ الرِّيَّاحَ لِتُبَشِّرَ بِنُزُولِ الْمَطَرِ بَعْدَ
تَشَكُّلِ السَّحَابِ؟ هَلْ هُنَاكَ إِلَهٌ آخَرَ يُسَاعِدُ اللَّهَ فِي ذَلِكَ؟ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَمَّا
يُشْرِكُونَ بِهِ.

{ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ قُلْ هَاتُوا
بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (النمل : 64)

64- أَم مَنْ هُوَ الَّذِي يُوجِدُ الْخَلْقَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، ثُمَّ يُعِيدُهُ وَيُعِيدُ خَلْقَهُ مَرَّةً أُخْرَى؟ وَمَنْ الَّذِي
يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ فَيُنزِلُ مِنْهَا الْمَطَرَ، وَمِنَ الْأَرْضِ أَنْوَاعَ الزَّرْعِ وَالشَّمْرِ؟ أَيُوجِدُ مَعَ اللَّهِ مَنْ
يَرْزُقُكُمْ؟ قُلْ لَهُمْ: هَاتُوا دَلِيلَكُمْ إِذَا عَلَى مَا تَدَّعَوْنَهُ مِنْ وَجُودِ آلِهَةٍ أُخْرَى مَعَ اللَّهِ، إِذَا كُنْتُمْ
صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ.

{ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ }
(النمل : 65)

65- قُلْ لِلْمُشْرِكِينَ الْمَكْدُوبِينَ أَيُّهَا الرَّسُولُ: لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مِمَّنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ
إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَدْرِي أَحَدٌ مِنْهُمْ مَتَى يُبْعَثُ بَعْدَ الْمَوْتِ.

{ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ } (النمل : 66)
66- بَلْ تَوَقَّفَ عِلْمُهُمْ وَعَجَزَ عَنْ مَعْرِفَةِ شَأْنِ الْآخِرَةِ، بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ تَحَقُّقِ هَذَا الْيَوْمِ
وَوُقُوعِهِ، بَلْ هُمْ فِي عَمَايَةٍ عَنْ دَلَائِلِهِ، وَجَهْلٍ كَبِيرٍ بِهِ.

{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ } (النمل : 67)

67- وقال الكافرون بالبعث بعد الموت: إذا متنا، وتحولت أجسادنا، نحن وآباؤنا وأجدادنا الأقدمون، إلى عظامٍ وتراب، فهل سنخرج من قبورنا أحياء بعد ذلك؟

{لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} (النمل : 68)

68- قالوا: لقد سبق أن وعد آباؤنا وأجدادنا بذلك، وما هذا سوى حكايات السابقين وأكاذيبهم التي سطروها في كتبهم.

{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ} (النمل : 69)

69- قل لهم: امشوا في الأرض وانظروا في الآثار، واقروا التاريخ، لتعرفوا ما آل إليه أمر المشركين المكذبين بالرسول، واعتبروا من ذلك، حتى لا تكون عاقبتكم مثل عاقبتهم.

{وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ} (النمل : 70)

70- ولا تحزن عليهم لإضرارهم على الكفر أيها الرسول، ولا يأخذك الهم والغم لإعراضهم عنك، ولا يضيق صدرك بمكائدهم ومؤامراتهم، فإن الله يؤيدك ويعصمك منهم.

{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (النمل : 71)

71- ويقول لك المشركون مستبعدين الأمر: متى يكون وقت العذاب الموعود به إن كنتم صادقين في قولكم؟

{قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ} (النمل : 72)

72- قل لهم: عسى أن يكون اقتراب بعض العذاب الذي تستعجلونه. وقد أصابهم من ذلك يوم بدر.

{وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ} (النمل : 73)

73- وَإِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَىٰ جَمِيعِ النَّاسِ، بِمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ، لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يُقَدِّرُونَهَا وَلَا يَشْكُرُونَ لِلْمُنْعَمِ بِهَا، وَهُوَ يَرْحَمُهُمْ وَلَا يُعَاجِلُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ.

{ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ } (النمل : 74)

74- وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِأَقْوَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ، وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ أَسْرَارٍ، وَمَا يُظْهِرُونَهُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ، فَلَا يَغِيبُ عَنِ اللَّهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَسَوْفَ يُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهَا.

{ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } (النمل : 75)

75- وَمَا مِنْ شَيْءٍ يَخْفَىٰ عَلَى النَّاسِ، فِي السَّمَاءِ كَانَ أَوْ فِي الْأَرْضِ، صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا، إِلَّا وَهُوَ مَدُونٌ عِنْدَ اللَّهِ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ، بَيْنَ مَنْ يَنْظُرُ فِيهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُصُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } (النمل : 76)

76- إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْجَلِيلَ يَذْكُرُ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ أَكْثَرَ الْأُمُورِ الَّتِي يَخْتَلِفُونَ فِيهَا، مِمَّا كَانَ سَبَبًا فِي ضَلَالِهِمْ وَانْحِرَافِهِمْ، وَلَوْ أَنَّهُمْ تَأَمَّلُوا فِيهِ وَأَنْصَفُوا، لَاهْتَدَوْا إِلَى الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ، وَلَكِنَّهُمْ عَانَدُوا وَكَابَرُوا وَقَلَدُوا، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا، كَقَوْلِ النَّصَارَىٰ فِي الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَأَمْرِ النَّبِيِّ الْمَيْشَرِ بِهِ...

{ وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ } (النمل : 77)

77- وَإِنَّ الْقُرْآنَ هِدَايَةً لِمَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، فَيُرْشِدُهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْحَقِّ، وَرَحْمَةً لَهُمْ وَسَعَادَةً فِي الدَّارَيْنِ، فَيَأْخُذُهُمْ إِلَى الْفَوْزِ وَالظَّفَرِ.

{ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ } (النمل : 78)

78- إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، أَوْ بَيْنَهُمْ هُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ، وَقَضَائِهِ الْفَصْلِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُرَدُّ حُكْمُهُ، الْعَلِيمُ بِأَقْوَالِ الْعِبَادِ وَأَفْعَالِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ.

{فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ} (النمل : 79)

79- فَعَمَّ بِأَدَاءِ رِسَالَتِكَ كَمَا يَتَّبِعِي، وَفَوَّضَ أَمْرَكَ كُلَّهُ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّكَ عَلَى هِدَايَةٍ وَاسْتِقَامَةٍ، وَحَقٌّ وَاضِحٌ بَيِّنٌ، وَإِنْ خَالَفَكَ الْمَشْرِكُونَ وَكَذَّبُوكَ.

{إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ} (النمل : 80)

80- إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ مَنْ كَانَ مَيِّتَ الْقَلْبِ، فَهَوَ لَا يَفْقَهُ وَلَا يَعِي مَا تَقُولُ، كَمَا لَا تَسْمِعُ مَنْ سَدَّ أذُنِيهِ عَنِ سَمَاعِ الْحَقِّ، فَهَوَ لَا يُرِيدُ سَمَاعَهُ، وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُذَ إِلَى قَلْبِهِ، فَهَوْلَاءِ مُعْرِضُونَ عَنِ رِسَالَةِ رَبِّهِمْ، مُخَالَفُونَ لِأَمْرِهِ.

{وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِّيِّ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ}

(النمل : 81)

81- وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُرْشِدَ أَعْمَى الْقَلْبِ وَتَصْرِفَهُ عَنِ الضَّلَالِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، وَلَا تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ فَتَحَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، وَصَدَّقَ أَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَعِنْدَئِذٍ يَسْمَعُ مَا تَتْلُوهُ عَلَيْهِ، وَمَا تُرْشِدُهُ إِلَيْهِ، لِأَنَّهُ مُسْلِمٌ مُخْلِصٌ فِي إِيْمَانِهِ، مُنْقَادٌ لِلْحَقِّ الْمَطْلُوبِ مِنْهُ.

{وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا

يُوقِنُونَ} (النمل : 82)

82- وَإِذَا وَجِبَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ، عَلَى غَيْرِ هَيْئَةِ الْإِنْسَانِ، تُخَاطِبُهُمْ وَتَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ النَّاسَ كَانُوا لَا يُوقِنُونَ بِالْعَلَامَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

{وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ} (النمل : 83)

83- وَادْكُرْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عِنْدَمَا نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ قَوْمٍ جَمَاعَةً مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِرِسَالَاتِ اللَّهِ وَمُعْجَزَاتِهِ، فَيُحْبَسُ أَوْلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ، حَتَّى يَتَلَاخَقُوا وَيَجْتَمِعُوا فِي مَوْقِفِ التَّوْبِيخِ وَالْمِنَاقَشَةِ قَبْلَ أَنْ يُقَدَّفُوا فِي النَّارِ، لِيَزِدَادُوا حَسْرَةً وَغَمًّا.

{ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آذًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (النمل: 84)

84- حَتَّىٰ إِذَا اجْتَمَعُوا وَوَقَفُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَىٰ لِلْحِسَابِ، قَالَ لَهُمْ: أَكَذَّبْتُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ الَّتِي آيَدْتُ بِهَا رُسُلِي، وَأَعْرَضْتُمْ عَنِ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلْتُهَا لِأَجْلِكُمْ، النَّاطِقَةُ بَلَقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا، أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا، وَمَاذَا لَمْ تُفَكِّرُوا فِيهَا؟ بَلْ كُنْتُمْ مُكَذِّبِينَ جَاهِلِينَ.

{ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ } (النمل : 85)

85- وَوَجِبَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ الْمَحَقَّقُ، بِسَبَبِ شِرْكِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَجُتُّوا وَلَمْ يَنْطِقُوا بِحُجَّةٍ وَاحِدَةٍ.

{ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } (النمل : 86)

86- أَلَمْ يَنْظُرُوا وَيَتَفَكَّرُوا كَيْفَ خَلَقْنَا اللَّيْلَ وَمَا فِيهِ مِنْ سُكُونٍ وَظِلَامٍ، لَيْسَتْ رِيحًا مِنْ تَعَبِ النَّهَارِ وَيَنَامُوا، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مُشْرِقًا لِيَعْمَلُوا وَيَتَدَبَّرُوا فِيهِ أَمْرَ مَعَاشِهِمْ؟ وَفِي ذَلِكَ دَلَائِلٌ وَعِبْرَةٌ عَلَى عَظَمَةِ اللَّهِ وَإِبْدَاعِهِ فِي خَلْقِهِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَعَلَى صِدْقِ الْآيَاتِ النَّاطِقَةِ بِذَلِكَ، لِمَنْ تَدَبَّرَ وَصَدَّقَ بِهِ.

{ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلًّا أَتَاهُ دَاخِرِينَ } (النمل : 87)

87- وَيَوْمَ يُنْفَخُ إِسْرَافِيلُ فِي الصُّورِ - وَهُوَ قَرْنٌ - فِي آخِرِ عُمُرِ الدُّنْيَا، يَعْتَرِي الْفَزَعُ وَالرُّعْبُ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَّا يَفْزَعُ، كَالشُّهَدَاءِ، فَهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ، لَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ الْفَزَعُ. وَهَذِهِ هِيَ النَّفْخَةُ الْأُولَى، وَالثَّانِيَةُ تَكُونُ نَفْخَةَ الصَّعْقِ، وَهُوَ الْمَوْتُ، ثُمَّ نَفْخَةُ النَّشُورِ مِنَ الْقُبُورِ. وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ كَثِيرٍ وَآخَرِينَ. وَكُلُّ الْمَبْعُوثِينَ عِنْدَ النَّفْخَةِ جَاءُوا لِيَقِفُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لِلْحِسَابِ صَاغِرِينَ مُنْقَادِينَ.

{ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ } (النمل : 88)

88- وترى الجبال يومئذ كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه، والحق أنها زائلة عن أماكنها، وتسير كسير السحاب، حتى تقع على الأرض فتستوي بها. وهذا من صنع الله الذي أجاد وأحكم كل ما خلق، والله عليم بأفعال عباده، ظواهرها وبواطنها، خيرها وشرها، وسيجازيهم على ذلك كله.

وذهب مفسرون إلى أن المقصود بالحديث في الجبال هنا ما يجري لها في الدنيا. ويقول المفكر الإسلامي زغلول النجاري في موقعه: الجبال ليست كتلاً هامدة، ولكنها تتحرك جانبياً بالتضاغط والتشقق والطي، كما تتحرك رأسياً بالتصدع والرفع من أسفل إلى أعلى بواسطة مختلف قوى الأرض الداخلية، وبفعل عوامل التعرية...

ثم يقول: والجبال تمر مع الأرض مر السحاب، وتترنح معها في دورانها حول محورها، وتجري معها في مدارها حول الشمس، ولعل هذه الحركات هي صورة من صور الخضوع لله الخالق سبحانه وتعالى، بالعبادة، والطاعة، والتسبيح والذكر، والسجود.

{ مَنْ جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ } (النمل : 89)

89- من أطاع الله وعمل صالحاً فيجازى خيراً يوم القيامة، ويُعطى أفضل من حسنته تلك، وهم آمنون سالمون من خوف ذلك اليوم العصيب.

{ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (النمل : 90)

90- ومن أتى الله في ذلك اليوم مشركاً، مُسيئاً لم يُحسن في شيء، ألقوا في النار على وجوههم منكوسين. هل نحاسبون ونجزون إلا على ما كنتم تعملون من أعمال؟

{ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبَدَ رَبُّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } (النمل : 91)

91- قُلْ لَهُمْ أَثِمَاتُ الرَّسُولِ: إِنَّمَا فُرِضَ عَلَيَّ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ، رَبَّ مَكَّةَ الَّتِي فِيهَا بَيْتُهُ الْحَرَامُ، وَهِيَ أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى رَسُولِهِ، الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ حَرَمًا، آمِنًا، لَا يُسْفَكُ فِيهَا دَمٌ، فَإِذَا سُفِكَ غُلِّطَتْ الْعُقُوبَةُ وَإِنْ كَانَتْ خَطَا، وَيَأْمَنُ فِيهَا اللَّاجِئُ... وَلَا يُقَطَّعُ شَوْكُهَا، وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهَا... وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ الْخَاصَّةِ بِهَا. وَهُوَ رَبُّهَا وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، خَلَقًا وَمُلْكًا وَتَدْبِيرًا، لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ. وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَوْحِدِينَ الْمِيخْلِصِينَ، الطَّائِعِينَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ أَثَبَّتَ عَلَيَّ ذَلِكَ.

{وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ}
(النمل : 92)

92- وَأُمِرْتُ أَنْ أُوَاطِبَ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَى النَّاسِ وَأُبَلِّغَهُمْ وَأُنذِرَهُمْ بِهِ، فَمَنْ اهْتَدَى بِهِ وَاتَّبَعَ أَحْكَامَهُ، فَإِنَّ مَنْفَعَةَ اهْتِدَائِهِ تَعُودُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّ عَنْهُ وَكَفَرَ بِهِ فَقُلْ: إِنَّ مِهْمَتِي أَنْ أُنذِرَكُمْ بِالْقُرْآنِ، وَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْ ضَلَالِكُمْ شَيْءٌ، إِنَّمَا وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ.

{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (النمل : 93)

93- وَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيَّ بِالنَّبُوءَةِ، وَوَقَّفَنِي لِتَبْلِيغِ كِتَابِهِ، وَتَأْدِيَةِ رِسَالَتِهِ، وَسَيُرِيكُمْ اللَّهُ عِلَامَاتٍ وَأَدِلَّةً تَدُلُّ عَلَى قُدْرَتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، فِي أَنْفُسِكُمْ وَفِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، تَعْرِفُونَهَا مَعْرِفَةً تَدُلُّكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَاللَّهُ غَيْرُ غَافِلٍ عَنِ عَمَلِ النَّاسِ، فَهُوَ شَهِيدٌ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ، وَسَيُجَازِي كُلًّا بِمَا عَمِلَ، فَاحْذَرُوا، فَقَدْ بُلِّغْتُمْ.

سورة القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{طسم} (القصص : 1)

1- الحروف المقطعة لم يرد في تفسيرها حديث صحيح، والله أعلم بمعناها.

{تلك آيات الكتاب المبين} (القصص : 2)

2- هذه آيات القرآن الكريم، المبيّن لحقائق الأمور، وصحيح القصص والأخبار.

{تتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون} (القصص : 3)

3- نذكر لك من خبر نبي الله موسى بن عمران وفرعون المتكبر، بالصدق والعدل كما حدث، لمن يصدق بما في القرآن، فهو الذي يستفيد ويعتبر.

{إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم

ويستخبي نساءهم إنه كان من المفسدين} (القصص : 4)

4- لقد تجرّ فرعون وطغى لما ملك مصر، وجعل أهلها فرقا وطبقات، ليشير بينهم العداوة والبغضاء، يظلم بني إسرائيل خاصة ويقهرهم، وكانوا خيار الناس في ذلك الوقت، فكان يستخدمهم في أحسن الأعمال، وفي أشقها على النفس، له ولرعيته، ويقتل كل ولد يولد فيهم، وذلك لما أخبر بأنه سيولد مولود فيهم يكون زوال ملكه على يده، ويأتي نساءهم أحياءً للسحرة والخدمّة، فكان بهذا من أكبر المجرمين المفسدين في الأرض.

{ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين}

(القصص : 5)

5- وَتُرِيدُ أَنْ نَبْعَمَ عَلَى الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ وَيُدَلُّونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَعُلَمَاءَ يُقْتَدَى بِهِمْ، وَخُلَفَاءَ يَرْتَوْنَ مُلْكَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ.

{ وَتُمْكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ } (القصص : 6)

6- وَأَنْ تُنَبِّتَ أَمْرَهُمْ فِي مِصْرَ وَغَيْرِهَا، وَنَجْعَلَهُمُ الْمُتَصَرِّفِينَ فِيهَا، وَتُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ⁽¹⁰¹⁾ الطَّاغِيَتَيْنِ وَجُنُودَهُمَا الْمُجْرِمِينَ، مَا كَانُوا يَخَافُونَهُ مِنْ أَمْرِ الْمُسْتَضْعَفِينَ، مِنْ ذَهَابِ مُلْكِهِمْ عَلَى يَدِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ.

{ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ } (القصص : 7)

7- وَقَدَفْنَا فِي قَلْبِ أُمِّ مُوسَىٰ بِالْهَامِ مِنْ عِنْدِنَا، أَنْ أَرْضِعِي ابْنَكَ مُدَّةً، وَأَخْفِيهِ مَا أَمْكَنَكَ إِخْفَاؤَهُ، فَإِذَا خَشِيتِ مِنْ مَعْرِفَةِ جِوَارِسِ فِرْعَوْنَ بِهِ، فَضْعِيهِ فِي صُنْدُوقِ وَأَلْقِيهِ فِي هَرِّ النَّيْلِ، وَلَا تَحْزَنِي مِنْ ضَيَاعِهِ أَوْ غَرَقِهِ، وَلَا تَعْتَمِّي بِمُفَارَقَتِهِ، فَسَنَرُدُّهُ إِلَيْكَ قَرِيبًا لِرَضْعِيهِ، وَنَجْعَلُهُ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ الْمُرْسَلِينَ.

{ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ } (القصص : 8)

8- فَالْقَطَعْتُهُ فِي النَّهْرِ كَمَا أَمَرْتِ، فَمَرَّ بَدَارِ فِرْعَوْنَ، فَعَثَرَ عَلَيْهِ أَهْلُهُ وَأَصْحَابُهُ وَأَخَذُوهُ، لِيَكُونَ لَهُمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ عَدُوًّا، وَهَمًّا وَغَمًّا. إِنَّ فِرْعَوْنَ الْمُتَكَبِّرَ، وَوَزِيرَهُ هَامَانَ الظَّالِمَ، وَجُنُودَهُمَا أَجْمَعِينَ، كَانُوا عَاصِينَ آثِمِينَ، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ.

(101) هو وزيرُ فرعونَ وأكبرُ رجاله، فدُكِرَ لِحَلِّهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَلِنَبَاهَتِهِ فِي قَوْمِهِ، فَلَهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ صَغَارٌ وَلَعْنَةٌ لَا شَرَفَ. (ابن عطية).

{ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } (القصص : 9)

9- ولما همَّ فِرْعَوْنُ بِقَتْلِهِ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمَذْكُورِ أَمْرُهُ مَعَهُمْ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أَسِيَّةُ: هَذَا الْعُلَامُ نَأْنَسُ بِهِ صَغِيرًا فَلَا تَقْتُلُوهُ، وَقَدْ يَنْفَعُنَا كَبِيرًا فَيَكُونُ سِنْدًا لِأَسْرَتِنَا أَوْ دَعْمًا لِمَلِكِنَا، أَوْ نَتَّبَعُهُ فَيَكُونُ بَهْجَةً لَنَا فِي الْبَيْتِ⁽¹⁰²⁾. فَسَمِعُوا مِنْهَا ذَلِكَ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِعَاقِبَةِ أَمْرِهِمْ مَعَهُ، وَأَنَّ هَلَاكَهُمْ يَكُونُ بِسَبَبِهِ وَعَلَى يَدِهِ.

{ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } (القصص : 10)

10- وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ خَالِيًا إِلَّا مِنْ ذِكْرِ مُوسَىٰ وَهَمَّهُ، وَكَادَتْ أَنْ تَذُكَّرَ حَقِيقَةَ أَمْرِهِ مِنْ شِدَّةِ قَلْقِهَا عَلَيْهِ، لَوْلَا أَنْ تَبَتَّنَا قَلْبِهَا وَأَلْهَمْنَاهَا الصَّبْرَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهَا السَّكِينَةَ، لِتَكُونَ مِنَ الْمَصْدُقِينَ بِمَا وَعَدْنَاهَا بِهِ، مِنْ رَدِّ وَلَدِهَا إِلَيْهَا.

{ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } (القصص : 11)

11- وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ: اتَّبِعِي أَثْرَهُ عَلَى الشَّاطِئِ وَتَطَلِّي خَبْرَهُ. فَكَانَتْ تُبْصِرُهُ عَنْ بُعْدٍ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أَنَّهَا تُرَاقِبُهُ.

{ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ } (القصص : 12)

12- وَمَنْعْنَا مِنْ الْمَرَاضِعِ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِهِ، فَمَا كَانَ يَقْبَلُ ثَدْيًا، فَقَالَتْ أُخْتُهُ لَالِ فِرْعَوْنَ: هَلْ تُرِيدُونَ أَنْ أَدُلَّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَضْمَنُونَ هَذَا الْوَلِيدَ لِأَجْلِكُمْ وَيُرْضِعُونَهُ، وَلَا يُقْصِرُونَ فِي خِدْمَتِهِ وَتَرْبِيَّتِهِ؟

(102) { قُرْتُ عَيْنِي } : قَرَّتْ عَيْنُهُ تَقَرَّرَ: سُرَّت. (مفردات الراغب).

{فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (القصص : 13)

13- فَفَبَلَ آلَ فِرْعَوْنَ رَأْيَهَا، فَأَعَدْنَا مُوسَىٰ إِلَىٰ أُمِّهِ لِتَقَرَّ عَيْنُهَا بِهِ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِ، وَلِتَيَقَّنَ أَنَّ مَا وَعَدَهَا اللَّهُ بِهِ مِنْ رَدِّهِ إِلَيْهَا حَقٌّ وَصِدْقٌ لَا خُلْفَ فِيهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ الْحِكْمَةَ مِنْ أَعْمَالِ اللَّهِ، وَيَشْكُونَ فِي وَعْدِهِ لَهُمْ.

{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُبْحِرِي الْمُحْسِنِينَ} (القصص : 14)

14- وَلَمَّا بَلَغَ مُوسَىٰ سِنَّ الرِّجَالِ وَاسْتَوَىٰ فِي شَخْصِيَّتِهِ، آتَيْنَاهُ الفَهْمَ والعِلْمَ بالدينِ والشَّرِيعَةَ، وَكَمَا أَحْسَنَّا إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَكَذَلِكَ نُبْحِرِي مَنْ أَحْسَنَ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ.

{وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ أَبِيهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ} (القصص : 15)

15- وَدَخَلَ مُوسَىٰ مَدِينَةً مِنْ مَدِينِ مِصْرَ فِي وَقْتٍ غَيْرِ مَعهودٍ لَا يَتَوَقَّعُهُ أَهْلُهَا، فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَتَضَارَبَانِ، أَحَدُهُمَا مِنْ طَائِفَتِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْآخَرُ مِنْ أَعْدَائِهِ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، فَطَلَبَ الإِسْرَائِيلِيَّ المُسَاعِدَةَ وَالنَّجْدَةَ مِنْ مُوسَىٰ عَلَى عَدُوِّهِ القِبْطِيِّ، فَضْرَبَهُ مُوسَىٰ بِقَبْضَةٍ كَفَّهَ فَفْتَلَهُ، فَلَمَّا رَأَىٰ مُوسَىٰ أَنَّهُ قُتِلَ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَصْدِهِ ذَلِكَ، قَالَ نَادِمًا: هَذَا مِنْ إِغْوَاءِ الشَّيْطَانِ وَإِثَارَتِهِ لِي، إِنَّهُ بَيِّنُ الضَّلَالَةِ، ظَاهِرُ العِدَاوَةِ لِلإِنْسَانِ.

{قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ} (القصص : 16)

16- فَالتَّجَأَ إِلَىٰ رَبِّهِ وَدَعَاهُ قَائِلًا: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي بِقَتْلِ ذَلِكَ الرَّجُلِ، فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَعَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، إِنَّهُ يَعْفِرُ ذُنُوبَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ التَّائِبِينَ، وَيَرْحَمُهُمْ وَلَا يُعَذِّبُهُمْ عَلَيْهِمْ.

{ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ } (القصص : 17)

17- فدعا ربه وقال شاكرًا: اللهم كما مننت عليّ فغفرت لي، فلن أكون معينًا للمجرمين المخالفين لأمرك.

{ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ } (القصص : 18)

18- وغدا في المدينة خائفًا يتوقع أن يناله ضرر من أهلها، ويتصدّ بخدرٍ ما يكون من هذا الأمر. وبينما هو في أحد طرقاتها، إذا بالإسرائيلي الذي استعان به بالأمس يصيح ويستغيثه على قبطي آخر، فقال له موسى: إنك ضالٌّ منحرفٌ كثير الشر.

{ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ } (القصص : 19)

19- فلما أراد موسى أن يضرب القبطي، عدوه وعدو الإسرائيلي، قال له الإسرائيلي (على ما روي عن ابن عباس وأكثر المفسرين) وقد ظنّ أن موسى قصده ليفتك به، لما رأى من غضبه عليه: يا موسى، أتريد أن تقتلني كما قتلت القبطي بالأمس؟ ما تريد إلا أن تكون ظالمًا متعاليًا في الأرض، وما تريد أن تكون ممن يصلح بين الناس بالحسنى.

{ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ } (القصص : 20)

20- وجاء رجل من شيعه موسى من آخر المدينة، يسرع في المشي إليه، وقال له: يا موسى، إن أصحاب الرأي من قوم فرعون يتشاورون في أمرك بقصد قتلك، فخرج من مصر قبل أن يظفروا بك، وأنا أنصحك بذلك، وأخاف عليك منهم.

{ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } (القصص : 21)

21- فخرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَهُوَ حَائِفٌ وَجِلٌّ، يَتَلَقَّتْ وَيَخْشَى أَنْ يُلْحَقَ بِهِ، وَقَالَ دَاعِيًا رَبَّهُ:
اللَّهُمَّ خَلِّصْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ الظَّالِمِينَ.

{وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ} (القصص : 22)
22- ولما سَلَكَ طَرِيقًا وَاضِحًا يَأْخُذُهُ إِلَى مَدِينَةِ مَدْيَنَ، اسْتَبَشَّرَ بِذَلِكَ وَقَالَ: عَسَى أَنْ يُيَسِّرَ
لِي رَبِّي أَمْرًا أَفْضَلَ، وَيُرْشِدَنِي إِلَى الطَّرِيقِ الْأَقْوَمِ، فَأَنْجُو وَأَمِّنْ.

{وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ
قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} (القصص : 23)
23- وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْبَيْرِ الَّتِي يَشْرَبُ مِنْهَا أَهْلُ مَدْيَنَ، وَجَدَ حَوْلَهَا جَمَاعَةً يَسْقُونَ مِنْهَا
أَنْعَامَهُمْ، وَوَجَدَ أَبْعَدَ مِنْهُمْ امْرَأَتَيْنِ تَمْنَعَانِ غَنَمَهُمَا مِنَ الْمَاءِ، فَفَرَّقَ لِهَمَا وَقَالَ: مَا خَبْرُكُمَا وَمَاذَا
لَا تَسْقِيَانِ؟ قَالَتَا: لَا نَسْقِي حَتَّى يَصْرِفَ الرُّعَاءَ مَوَاشِيَهُمْ، وَلَا نُزَاحِمُ الرِّجَالَ حَتَّى لَا نُؤْذَى،
وَوَالِدُنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فِي السَّنِّ، وَلَيْسَ لَنَا رَجُلٌ يَقُومُ مَقَامَهُ.

{فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} (القصص :
24)

24- فَسَقَى مُوسَى لِهَمَا رَحْمَةً بِهَمَا، ثُمَّ مَضَى إِلَى ظِلِّ شَجَرَةٍ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَنَاجَى رَبَّهُ
قَائِلًا: اللَّهُمَّ إِنِّي فَقِيرٌ مُّحْتَاجٌ إِلَى نِعْمَتِكَ وَفَضْلِكَ.

{فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا
فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ لَبُحُوتٍ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (القصص : 25)
25- وَرَجَعَتْ إِحْدَى الْفَتَاتَيْنِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ تَمْشِي فِي حِيَاءٍ وَقَالَتْ لَهُ: إِنَّ أَبِي
يَطْلُبُ مِنْكَ الْمَجِيءَ إِلَيْهِ لِيُعْطِيَكَ أَجْرَةَ سَقَايِكَ. فَضَمَّ إِلَيْهِ، وَسَرَدَ عَلَيْهِ مَا جَرَى لَهُ فِي مِصْرَ،
وَقَتْلَهُ الْقِبْطِيِّ، فَقَالَ لَهُ: لَا تَخَفْ، لَقَدْ أَنْقَذَكَ اللَّهُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ الْكَافِرِينَ الْمُعْتَدِينَ.
وَالْمَشْهُورُ أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ هُوَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ غَيْرُهُ.

{قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} (القصص: 26)

26- قَالَتْ إِحْدَى الْفَتَاتَيْنِ لَأَبِيهَا: يَا أَبَتِ، اتَّخِذْهُ أَجِيرًا لِيرَعَى أَعْنَامَنَا وَيَقُومَ بِأَمْرِهَا، فَإِنَّهُ قَوِيٌّ أَمِينٌ، وَإِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتُوجِرَ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْقُدْرَةِ وَالْأَمَانَةِ.

قال صاحب "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان": وهذان الوصفان ينبغي اعتبارهما في كلِّ مَنْ يَتَوَلَّى لِلإِنْسَانِ عَمَلًا، بِإِجَارَةٍ أَوْ غَيْرِهَا، فَإِنَّ الْخَلَلَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِفَقْدِهِمَا، أَوْ فَقْدِ أَحَدِهِمَا، وَأَمَّا بِاجْتِمَاعِهِمَا فَإِنَّ الْعَمَلَ يَتِمُّ وَيَكْمُلُ. اهـ. يَعْنِي الْقُوَّةَ وَالْأَمَانَةَ.

{قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} (القصص : 27)

27- قَالَ وَالِدُ الْفَتَاةِ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُزَوِّجَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ اللَّتَيْنِ رَأَيْتَهُمَا، عَلَى أَنْ تَعْمَلَ أَجِيرًا عِنْدِي ثَمَانِي سَنَوَاتٍ، فَإِذَا أَكْمَلْتَهَا عَشْرًا فَهُوَ تَفْضُلٌ مِنْكَ، وَلَا أُرِيدُ أَنْ أُكَلِّفَكَ بِمَا لَا تُطِيقُ، وَسَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ حَسَنَ الْمَعَامَلَةِ، وَافِيًا بِالْعَهْدِ.

{قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} (القصص : 28)

28- قَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ذَلِكَ الشَّرْطُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَأَيُّ الْأَجَلَيْنِ أَتَمَمْتُ، الثَّمَانِي أَوْ الْعَشْرَ، فَلَا حَرْجَ عَلَيَّ، وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعَاهَدْنَا عَلَيْهِ.

{فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} (القصص: 29)

29- ولما أتمَّ موسى مدَّةَ عمله بمَدِينِ، ومضى بأهله⁽¹⁰³⁾ نحو مصر، أبصرَ نارًا من الجِهَةِ التي تلي الجبلِ بسِينَاءَ، فقالَ لهم: أقيموا مَكَانَكُمْ، لعلِّي أجيئُكُمْ مِنْ هُنَاكَ بِخَبْرٍ يَدُلُّنا على الطَّرِيقِ، أو بشُعْلَةٍ منها لتندَفِّقُوا بها.

{ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى
إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } (القصص : 30)

30- فلَمَّا أَتَى النَّارَ نُودِيَ مِنْ جَانِبِ الْوَادِي مِمَّا يَلِي الْجَبَلَ عَنْ يَمِينِهِ، فِي الْقِطْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّجَرَةِ: يَا مُوسَى، إِنَّ الَّذِي يُكَلِّمُكَ هُوَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ.

{ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا هَتْرًا كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ
إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ } (القصص : 31)

31- وَأَلْقِ عَصَاكَ عَلَى الْأَرْضِ. فَلَمَّا رَآهَا تَتَحَرَّكُ وَتَضْطَرِبُ كَأَنَّهَا حَيَّةٌ، هَرَبَ مِنَ الْخَوْفِ
وَلَمْ يَرْجِعْ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا مُوسَى لَا تَخَفْ مِمَّا تَرَى، فَأَنْتَ فِي سَلَامٍ وَأَمَانٍ هُنَا.

{ اسْأَلْكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ
فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ } (القصص : 32)

32- أَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ - وَهُوَ فَتْحَةُ الْقَمِيصِ مِنْ أَعْلَى الصَّدْرِ - ثُمَّ أَخْرَجَهَا، تَخْرُجُ
بَيْضَاءَ مُتَلَأَثَةً تَشْعُ نُورًا، مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ وَلَا أَدَى كَالْبَرْصِ وَنَحْوِهِ. وَاضْمُمْ إِلَى جَنْبِكَ عَضُدَكَ
وَذِرَاعَكَ لِيُخَفَّ مَا أَصَابَكَ مِنَ الرَّعْبِ. وَهَاتَانِ الْمَعْجَزَتَانِ: الْعَصَا وَالْيَدُ، دَلِيلَانِ مِنَ اللَّهِ عَلَى
صِحَّةِ نُبُوَّتِكَ، إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ مِنَ الْكِبْرَاءِ وَالْأُتْبَاعِ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا مُخَالِفِينَ لِلْحَقِّ، خَارِجِينَ
عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ.

{ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ } (القصص : 33)

(103) بامرأته صفوريا وولده. (روح البيان).

33- قَالَ مُوسَى مُنَاجِيًا رَبَّهُ: يَا رَبِّ، لَقَدْ قَتَلْتُ وَاحِدًا مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، وَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي بِهِ إِذَا قَبِضَ عَلَيَّ فِرْعَوْنُ وَرَجَالُهُ.

{ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ }
(القصص : 34)

34- وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَكْثَرُ فَصَاحَةً مِنِّي، فَاجْعَلْهُ نَبِيًّا مِثْلِي، وَأَرْسَلْهُ مَعِيَ إِلَى فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ مُعِينًا لِي، يُبَيِّنُ لَهُمْ مَا أَقُولُ، وَيُجَادِلُهُمْ بِكَلَامِي، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِي فِيمَا أَقُولُ، وَلَا يُفْصِحُ لِسَانِي كَثِيرًا عِنْدَ مُحَاجَّتِهِمْ. وَكَانَتْ فِي لِسَانِهِ حُبْسَةٌ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

{ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ }
(القصص : 35)

35- فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ وَقَالَ لَهُ: سَنُقَوِّي أَمْرَكَ بِأَخِيكَ، وَنُؤَيِّدُ جَانِبَكَ بِهِ، وَنَجْعَلُ لَكُمَا حُجَّةً وَبُرْهَانًا عَلَيْهِمْ، وَلَنْ يَقْدِرُوا عَلَى إلْحَاقِ الْأَذَى بِكُمَا، وَلَنْ يَكُونَ لَهُمْ غَلْبَةٌ عَلَيْكُمَا، بِسَبَبِ مَا أُيِّدْتُكُمَا بِهِ مِنْ آيَاتِنَا الرَّبَّانِيَّةِ الْعَظِيمَةِ، فَأَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْغَالِبُونَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

{ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ }
(القصص : 36)

36- فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِمُعْجَزَاتِنَا الْقَاطِعَاتِ، وَدَلَائِلِنَا الْوَاضِحَاتِ، قَالُوا لَهُ: مَا هَذَا الَّذِي جِئْتَ بِهِ إِلَّا سِحْرٌ اخْتَرَعْتَهُ مِنْ عِنْدِكَ، وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَمْ نَسْمَعْ بِدَعْوَةِ التَّوْحِيدِ الَّتِي تَدْعُو إِلَيْهَا فِي آبَائِنَا وَأَجْدَادِنَا السَّابِقِينَ.

{ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ }
(القصص : 37)

37- وقال لهم موسى: الله أعلم بمن جاء بالهدى والحق من عنده سبحانه، أنا أم أنتم، وهو أعلم بمن ستكون له العاقبة المحموده والمرضية، في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولن يفوز المشركون، ولن ينجوا من العقاب.

{ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِي مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ } (القصص: 38)

38- وقال فرعون الطاغية: أيها السادة والوجهاء، إنني لا أعرف لكم إلهًا غيري. ثم توجه إلى وزيره قائلاً له: يا هامان، اصنع لي آجرًا، وابن لي منه بناءً عاليًا، لأنظر إلى إله موسى، الذي ذكر أنه إلهه وإله العالمين، وأنا أظنه كاذبًا في ادعائه هذا.

وقد اكتشف أن الطين هو مادة بناء الأهرامات، مع خلطه بالتراب الكلسي المتوفر في المنطقة، واستخدام حرارة عالية فيه، وهو الآجر، يعني طيخ الطين، أو ما يكون أقوى منه، وليست أحجارًا قطعت من صخور أو جبال كما ذكر من قبل. وهي من صنع الفراعنة، الذي يدل على جنس ما قام به هامان من بناء الصرح العالي، الذي دمره الله تعالى { وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ } { سورة الأعراف: 137 }.

{ وَأَسْتَكَبَرَهُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ } (القصص: 39)

39- وطغى فرعون وتجبر هو وجنوده في أرض مصر وأكثروا فيها الفساد، بغير أمر حق ولا نظر إصلاح، فضلوا وكفروا، وظنوا أنهم لن يُعثنوا بعد الموت للحساب والجزاء.

{ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ } (القصص: 40)

40- فجمعنا فرعون وجنوده وألقيناهم في البحر، وأغرقناهم فيه جميعًا، فانظر أيها الرسول كيف كان مآل المشركين المعتدين، ليكونوا عبرة للعالمين.

{ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ } (القصص: 41)

41- وجعلناهم قُدوةً في الضلال، يدعون إلى الكفر والمعاصي وتكذيب الرُّسل، ممَّا يؤدِّي بهم إلى النار، وفي يوم القيامة لا ينصُرهم أحد، ولا يدفع عنهم العذاب.

{وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ} (القصص : 42)

42- ولعناهم في هذه الدنيا، ويلعنهم الملائكة، والمؤمنون يلعنوهم خَلْقًا عن سلفٍ حتى قيام الساعة، وهم في يوم القيامة من المبعدين المطرودين من رَحمة الله، وسيكونون في أسوأ حالٍ وأشدَّ عذاب.

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بِصَائِرٍ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (القصص : 43)

43- ولقد أنزلنا على موسى التَّوراة، بعدما أهلكنا القُرُون الأولى، كقوم نوح وعادٍ وثمودٍ وغيرهم، ليتدبَّر النَّاسُ ما فيها ويتفكَّروا ويعتبروا، وتكون بصيرةً لهم من العمى والضلال، وهدايةً لهم إلى الحقِّ، ورحمةً تنالهم من الله، لعلهم بذلك يتذكَّرون ما فيها من المواعظِ وأسباب الهداية.

{وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ} (القصص : 44)

44- وما كنت - أيها النبي - بجانب الجبلِ العربيِّ في سيناء، عندما ناجى موسى ربَّه، وأحكمتنا أمرَ نبوته وما ألزمناهُ وقومه، وما كنت من الحاضرينَ لما أوحى إليه هناك، وهذا إخبارٌ لك بالغيوبِ الماضية، وهو معجزةٌ لك وبرهانٌ على نبوتك.

{وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَابِتًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} (القصص : 45)

45- ولكننا خلقنا بينَ زمانِكَ وزمانِ موسىَ أمماً كثيرةً، فطالَتْ عليهمُ المِدةُ، فنسُوا عهدَ اللهِ وميثاقَهُ، وتغيَّرتِ الأحكامُ والشَّرائعُ، فكانَ لا بُدَّ مِن وحيِّ جَدِيدٍ، وشَريعَةٍ جَدِيدَةٍ، تُحدِّدُ عهدَ النَّاسِ برَبِّهِمْ.

وما كُنْتَ مُقيماً بينَ أهلِ مَدِينٍ مثلَ موسىَ وشُعَيْبٍ عليهما السَّلَامُ تُدَكِّرُهُمْ وتَعِظُهُمْ، ولكنَّا بَعَثْنَاكَ رَسُولاً، وأنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ، ولولا ذلكَ لَمَا عَرَفْتَ خَيْرَهُمَا وخَيْرَ غَيْرِهِمَا مِنَ الأنبياءِ والأُممِ.

{ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } (القصص : 46)

46- ولم تُكُنْ مَوجوداً - كذلك - بناحيةِ الجَبَلِ وقتَ نِدائنا موسىَ وتكليفِهِ بِدَعْوَةِ فِرْعَوْنَ وقومِهِ، ولكنْ أرسَلناكَ بالقرآنِ لِتُنذِرَ بِهِ قَوْمَكَ أَوَّلاً، وهذا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِهِمْ، أَنْ قَصَّ عَلَيْهِمْ مِثْلَ هذِهِ الأنبياءِ، ولم يُرْسَلْ إِلَيْهِمْ رَسولٌ منذُ عهدِ إِسْماعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. أو أَنَّ المَقصودَ بِالقومِ أَهلُ الفِترَةِ، بينَ عيسىَ ومحمَّدٍ عليهما الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، وهِيَ نَحْوُ سِتَّةِ قُرُونٍ؛ لِيَتَّعِظُوا بِإِنذارِكَ، ولَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ.

{ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } (القصص : 47)

47- ولو أَصَابَتْهُمُ عِقوبَةٌ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَمَعاصِيهِمْ، لقالوا: رَبَّنَا هَلَّا أرسَلْتَ إِلينا رَسولاً مِنْ عِنْدِكَ مُؤيِّداً بِمُعْجِزاتٍ، فَنَتَّبِعَ آياتِكَ الظَّاهِرَةَ على يَدَيْهِ، وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِما جاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِكَ؟

{ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرانِ تَظَاهَرا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ } (القصص : 48)

48- ولما جاءَ أَهلَ مَكَّةَ الأمرُ الحَقُّ المُنزَّلُ مِنْ عِنْدِنَا، وهوَ القرآنُ، قالوا: هَلَّا أُوتِيَ مُحَمَّدٌ مِنَ المِعْجِزاتِ كما أُوتِيَ موسىَ منها؟

أَوْ لَمْ يَكْفُرْ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ بِالآيَاتِ الَّتِي أُتِيَ بِهَا مُوسَى، كما كفرَ مُشْرِكُو مَكَّةَ بِمُعْجَزَةِ الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالوا: إِنَّ مُحَمَّدًا وَمُوسَى سَاحِرَانِ تَعَاوَنَا بِتَصْدِيقِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْآخَرَ وَتَأْيِيدِهِ إِيَّاهُ، وقالوا: نَحْنُ نَكْفُرُ بِالتَّوْرَةِ وَالْقُرْآنِ!

{ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (القصص: 49)

49- قُلْ لَهُمْ أَتْيَاهَا النَّبِيِّ: فَهَاتُوا كِتَابًا آخَرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَكُونُ أَعْظَمَ وَأَجَلَّ مِنَ الْقُرْآنِ وَالتَّوْرَةِ أَسْرَ عَلَى هَدْيِهِ، إِذَا كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي قَوْلِكُمْ بِأَكْثَرِ مَوْحَىٰ بِهِمَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَالتَّوْرَةُ أَعْظَمُ كِتَابٍ سَمَاوِيٍّ بَعْدَ الْقُرْآنِ، وَقَدْ حَكَمَ بِهَا نَبِيُّونَ كَثْرًا بَعْدَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالْإِنْجِيلُ نَزَلَ مُتَمِّمًا لَهَا. وَقَدْ بُدِّلَا وَحُرِّفَا، وَنُسِخَتْ جَمِيعُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

{ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (القصص: 50)

50- فَإِذَا لَمْ يَسْتَجِبِ الْمُشْرِكُونَ لِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَاعْلَمْ أَنَّ مَوْقِفَهُمْ هَذَا لَيْسَ عَنْ حُجَّةٍ وَدَلِيلٍ، بَلْ هُوَ عِنَادٌ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، وَمُتَابَعَةٌ لِأَهْوَاءِهِمْ الضَّالَّةِ وَأَفْكَارِهِمُ الرَّائِعَةَ، وَلَيْسَ هُنَاكَ أَضَلُّ مِمَّنْ تَابَعَ هَوَاهُ وَرَغْبَتَهُ بِغَيْرِ دَلِيلٍ مِنَ اللَّهِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ فَاعْرَضَ عَنِ الدِّينِ الْحَقِّ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ.

{ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } (القصص: 51)

51- وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ مُتَوَاصِلًا بَعْضُهُ إِتْرَ بَعْضٍ، بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ، لِيَتَذَكَّرَ الْقَوْمُ بِذَلِكَ أَمْرَ اللَّهِ بَعْدَ كُلِّ قِصَّةٍ وَحَادِثَةٍ وَخَبَرٍ، وَلِيَكُونَ أَكْثَرَ تَأْثِيرًا فِي نَفْسِهِمْ.

{ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ } (القصص: 52)

52- الْعُلَمَاءُ الْأَوْلِيَاءُ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ، هُمْ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ.

{ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ } (القصص : 53)

53- إَهِمَّ مُؤْمِنُو أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ إِذَا سَمِعُوا آيَاتِ الْقُرْآنِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا: آمَنَّا بِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَىٰ، إِنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي كُنَّا نَعْرِفُهُ فِي كُتُبِنَا، فَقَدْ كُنَّا مُسْلِمِينَ مُوَحَّدِينَ قَبْلَ نَزُولِ الْقُرْآنِ، وَكُنَّا مُصَدِّقِينَ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ ذَكَرَ صِفَتِهِ وَالْحَدِيثَ عَنِ الْقُرْآنِ مَوْجُودٌ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ.

{ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } (القصص : 54)

54- أُولَئِكَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يُعْطَوْنَ ثَوَابَهُمْ مَرَّتَيْنِ، لِإِيمَانِهِمْ بِكِتَابِهِمْ أَوَّلًا، ثُمَّ لِإِيمَانِهِمْ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ وَذَلِكَ لِصَبْرِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ عَلَى الْحَقِّ. وَهُمْ يَدْفَعُونَ الْأَذَى بِالْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَيُنفِقُونَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الْحَلَالِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ.

{ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ } (القصص : 55)

55- وَإِذَا سَمِعُوا الْقَبِيحَ مِنَ الْقَوْلِ، وَالْأَذَى وَالسَّبَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، أَعْرَضُوا عَنْهُمْ، وَقَالُوا فِي حِلْمٍ وَأَنَاةٍ: لَنَا حِلْمُنَا وَلَكُمْ سَفْهُكُمْ، أَوْ لَنَا دِينُنَا وَلَكُمْ دِينُكُمْ، لَا نَشْتُمُكُمْ كَمَا تَشْتُمُونَنَا، لَا نُرِيدُ مَسَلَكَ الْجَاهِلِينَ، وَلَا نُحِبُّ صُحْبَتَهُمْ وَلَا مُجَاوَرَتَهُمْ.

{ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } (القصص : 56)

56- إِنَّكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا تَقْدِرُ عَلَى أَنْ تَهْدِيَ مَنْ أَحْبَبْتَ هِدَايَتَهُ، إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الضَّلَالَ.

وقد ثبت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد عرض عليه الإسلام فقبل وفاته فأبى؛ خوفاً من أن تُعيّره قريش بذلك!

{ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنْخَطِفُ مِنَ الْأَرْضِ أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } (القصص : 57)

57- وقال المشركون للرسول عليه الصلاة والسلام: إذا اتبعنا دين الإسلام فسيجتمع العرب علينا ويخرجوننا من ديارنا. وقد كذبوا، ألا يرى هؤلاء المشركون كيف عصمنا دماءهم وجعلناهم في حرم آمن، بحرمه بيت الله، بينما العرب من حول مكة يتقاتلون ويتذابحون؟ ويُجلب إلى مكة أنواع الثمار والبضائع الموجودة من حولها وهم بوادٍ غير ذي رزق، رزقاً من عندنا، ولكن أكثرهم لا يتدبرون ذلك، ولا يتفكرون فيما يقوله الله بحق، ولذلك قالوا ما قالوا.

{ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِشَتَهَا فَنُتِلَّكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ } (القصص : 58)

58- وقد أهلكنا كثيراً من أهل القرى، الذين طغوا وبتروا وكفروا بِنعمة الله ولم يُقدِّروها، وهذه آثار مساكينهم التي دمرناها، تمرُّون بها في أسفاركم، لم تُسكن من بعدهم، إلا سَكناً قليلاً، من قبل المارة والمسافرين، ونحن الذين نُميتهم، ثم يرجع إلينا جميع ما آتيناهم من النعم التي كانوا يتفاخرون بها، ونحاسبهم عليها.

{ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ } (القصص : 59)

59- والله لا يهلك أهل مدينة أو قرية حتى يبعث في أعظمها رسولا يُنذِرهم ويُبيِّن لهم ما يأتون وما يدرون، ممَّا نوحى إليه من آياتنا الناطقة بالحق، ولا تُهلك أحداً منهم إلا إذا كذبوه وكفروا بآياتنا ونعمنا عليهم.

{ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ }
(القصص : 60)

60- وما كسبتم من مالٍ أو أحرزتم أمراً من أمور الدنيا، فهو متاع قليل وزينة مؤقتة مصيرها الزوال والفناء، وما أعدّه الله لعباده المؤمنين من الثواب العظيم والنعم المقيم، أفضل وأبقى، فالباقي خير من الفاني، أفلا تتفهمون ذلك وتتدبرون ما يقول لكم ربكم؟

{ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ }
(القصص : 61)

61- وهل يستوي من وعدناه الجنة والنعم المقيم من المؤمنين، فهم مدركونه لا محالة، ومن متّعه في الدنيا بمالٍ فانٍ ونعيمٍ زائلٍ من الكافرين، مع ما فيها من المنعصات والهموم والأمراض، ثم يحضرون يوم القيامة للعذاب؟

{ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } (القصص : 62)

62- ويناديهم الله في ذلك اليوم الرهيب، توبيخاً وإهانةً لهم: أين هي الأصنام التي زعمتم أنها آلهة، وجعلتموها شركاء معي في العبادة؟

{ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ } (القصص : 63)

63- قال الذين وجب عليهم العذاب، من الشياطين ودعاة الكفر والضلال: هؤلاء الذين أضللناهم لم نكرههم على اتباعنا، بل زينا في قلوبهم الكفر والضلال كما هو نحن عليه، فاستجابوا لنا وصاروا ضاللاً، ونحن نتبرأ إليك مما اختاروه من الكفر والمعاصي لهوى في نفوسهم، وما كانوا يعبدوننا، بل كانوا يعبدون أهواءهم وشهواتهم.

{ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ }
(القصص : 64)

64- وقيلَ للمشركين: أين هم شركاؤكم الذين جعلتموهم آلهة؛ ليخلصوكم مما أنتم فيه من العذاب والهوان، وقد كنتم ترغمون في الدنيا أنهم سينصرونكم؟ فنادوهم، فلم يجيبوهم، ورأوا العذاب أمامهم، وعرفوا أنهم صائرون إليه، وودوا حينئذ لو كانوا من المؤمنين المهتدين.

{ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ } (القصص : 65)

65- وفي ذلك اليوم يسأل الله الكافرين: ماذا كان جوابكم للأنبياء الذين أرسلتكم إليكم؟

{ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ } (القصص : 66)

66- فعموا عن الأنبياء، وخفيت واشتبهت عليهم الأخبار والأعداء، ولم يهتدوا إلى الحجاج والأدلة التي كانوا يواجهون بها الأنبياء في الحياة الدنيا عنادًا واستكبارًا، وعلموا أنها لن تُفيدهم شيئًا، فما كان يسأل بعضهم بعضًا عن ذلك ليردوا على السؤال.

{ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ } (القصص : 67)

67- فأما من تاب من الشرك، وجمع بين الإيمان الصحيح والعمل الحسن في الدنيا، فعسى أن يكونوا من السعداء الناجين يوم القيامة. و "عسى" من الله الكريم تحقيق، إذا داوموا على التوبة والإيمان.

{ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ } (القصص : 68)

68- والله يخلق ما يشاء، من ذوي الأرواح، ومن النبات والجماد، وهو الذي يختار ما يشاء، ويتصرف كما يريد، ويوجه الأمور كما يشاء، لا ينزعها ولا يشاركه في ذلك أحد، ولا يفتتح عليه شيء، وما شاء هو الذي يكون، وما لم يشأ لم يكن. وما كان لأحد أن يختار ويرجع الأمور كلها إلى الله، تنزهه وتقدس أن يشركه في اختياره أحد، كالأصنام والأنداد وغيرها مما يدعى ألوهيته.

{ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ } (القصص : 69)

69- والله يعلم ما تنطوي عليه سرائرهم، وما تخفي صدورهم من النيات والاعتقادات.

{ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } (القصص : 70)

70- وهو الله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين، لا معبود بحق سواه، ولا رب يخلق ويختار سواه، وهو المحمود في كل ما يفعل ويختار، في الدنيا وفي الآخرة، لعدله وحكمته، وله الحكم النافذ في كل شيء، ولا راد لما يقضي، ولا معقب لما يحكم، وإليه ترجعون جميعاً يوم البعث، ليحازي كلاً بما عمل.

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ } (القصص : 71)

71- قل للمشركين أيها الرسول: أحيروني، إذا أدام الله عليكم ظلام الليل إلى قيام الساعة، من غيره يقدر على أن يأتي بنهار تبصرون فيه وتعملون، ألا تسمعون وتفكرون، وتفهمون فتؤمنون؟

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بَلِيلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ } (القصص : 72)

72- وقل لهم: أرايتم لو أدام الله عليكم النهار بضيائه وحره إلى قيام الساعة، من غير الله يأتاكم بليل تسريحون فيه من عمل النهار، أفلا ترون ما يحيط بكم من الآيات الدالة على قدرة الله ووحدانيته؟

{ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } (القصص : 73)

73- فَكَانَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَتَسْتَرِيحُوا مِنْ عَمَلِ النَّهَارِ، وَخَلَقَ النَّهَارَ لِتَعْمَلُوا فِيهِ وَتَطْلُبُوا الرِّزْقَ، لِتَعْرِفُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ بِذَلِكَ وَتَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا.

{ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } (القصص : 74)

74- وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ اللَّهُ لِمَنْ عَبَدُوا مَعَهُ آلِهَةً أُخْرَى، تَوْبِيحًا وَإِهَانَةً لَهُمْ: أَيْنَ هُمْ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ آلِهَةٌ، وَأَشْرَكْتُمُوهُمْ مَعِيَ فِي الْعِبَادَةِ؟

{ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } (القصص : 75)

75- وَأَخْرَجْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَّةِ نَبِيَّهُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ لِيَشْهَدَ عَلَيْهِمْ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَقُلْنَا لِلْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ: هَاتُوا دَلِيلَكُمْ عَلَى صِحَّةِ مَا ادَّعَيْتُمُوهُ مِنْ أَنَّ لِلَّهِ شُرَكَاءَ. فَعَلِمُوا أَنَّهُ الْإِلَهِ الْوَاحِدُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ، وَغَابَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدَّعُونَهُ مِنَ الشِّرْكِ فِي الدُّنْيَا.

{ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ } (القصص : 76)

76- إِنَّ قَارُونَ الْعَبْيَّ كَانَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فِي عَصْرِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَتَكَبَّرَ عَلَى قَوْمِهِ وَظَلَمَهُمْ، وَأَعْطَيْنَاهُ مِنَ الْأَمْوَالِ الْمَدَّخِرَةِ مَا إِنَّ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ يَتَنَقَّلُ حَمْلُهَا عَلَى جَمَاعَةٍ قَوِيَّةٍ مِنَ النَّاسِ، لَكَثْرَتِهَا، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُو قَوْمِهِ يَنْصَحُونَكَ، لَا تَبْتَطِرْ وَلَا تَتَفَاخَرْ بِمَا أُوتِيَتْ مِنْ مَالٍ، فَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْأَشْرِينَ الْبَطْرِينَ، الَّذِينَ يَتَطَاوَلُونَ عَلَى النَّاسِ، وَلَا يَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى مَا أَعْطَاهُمْ بِهِ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ.

{ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } (القصص : 77)

77- واطْلُبْ بِهَذِهِ الْأَمْوَالِ الَّتِي أَعْطَاكَهَا اللَّهُ طَاعَتَهُ وَشُكْرَهُ وَالْإِنْفَاقَ مِنْهَا فِيمَا يُرِضِيهِ، لِيَجْلِبَ لَكَ ذَلِكَ الرِّضَى وَالثَّوَابَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَتْرُكْ حِظَّكَ مِنَ الدُّنْيَا، مِمَّا أَحَلَّ اللَّهُ

لَكَ مِنْهَا مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ، وَالْمَسْكَنِ وَالْمَنْكَحِ، وَأَحْسِنُ بَطَاعَةَ اللَّهِ كَمَا أَحْسَنَ إِلَيْكَ بِنِعْمَتِهِ، وَأَحْسِنُ إِلَى خَلْقِهِ كَمَا أَحْسَنَ هُوَ إِلَيْكَ، وَلَا تَطْلُبْ بِأَمْوَالِكَ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ وَالْإِسَاءَةَ إِلَى الْخَلْقِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ أَفْسَدَ وَعَصَى، وَأَجْرَمَ وَبَغَى.

{ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ } (القصص : 78)

78- قَالَ لَهُمْ قَارُونَ غَيْرَ آيَةٍ بِنُصَحِهِمْ: هَذِهِ الْأَمْوَالُ الَّتِي عِنْدِي حَصَلْتُهَا بِعِلْمِي وَخَبْرَتِي فِي الْمَكْسَبِ وَالتَّجَارَةِ. أَوْلَمْ يَسْمَعْ قَارُونَ مِنْ كَلَامِ الْأَنْبِيَاءِ أَوْ مِمَّا يُفْضُهُ النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ مَنْ كَانَ أَشَدَّ قُوَّةً مِنْهُ وَأَكْثَرَ جَمْعًا لِلْأَمْوَالِ وَالْخَدَمِ وَالْحَشَمِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَنْ حُبَّةٍ لَهُمْ، وَلِذَلِكَ أَهْلَكَهُمْ؛ لَكُفْرِهِمْ، وَعَدَمِ شُكْرِهِمْ لِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. وَلَا يُسْأَلُ أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُجْرِمِينَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَكَثْرَتِهَا الَّتِي تُوجِبُ الْعَذَابَ، وَكَفَى بِالشُّرْكِ مُوجِبًا لِلْعَذَابِ، فَيَدْخُلُونَ النَّارَ بِغَيْرِ سُؤَالٍ وَلَا حِسَابٍ، وَإِنَّمَا يُسْأَلُونَ سُؤَالَ تَقْرِيعٍ وَتَوْبِيخٍ.

{ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونَ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } (القصص : 79)

79- وَفِي يَوْمِ خُرُوجِ قَارُونَ عَلَى قَوْمِهِ بِزِينَةٍ عَظِيمَةٍ وَمَوْكَبٍ فَاحِرٍ، مَعَ خَدَمِهِ وَحَشَمِهِ، قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ زُخْرَفَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا: يَا لَيْتَ لَنَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْخَدَمِ وَالزَّيْنَةِ مِثْلَمَا أُعْطِيَ قَارُونَ، لَا شَكَّ أَنَّهُ ذُو حَظٍّ وَافِرٍ وَحَيَاةٍ سَعِيدَةٍ.

{ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ } (القصص : 80)

80- وَقَالَ لَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالتَّقْوَى: بِئْسَ مَا قُلْتُمْ، إِنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ أَفْضَلُ مِمَّا تَتَمَنَّوْنَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، هَذَا لِمَنْ آمَنَ بِصِدْقِ وَعَمَلِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا يُؤْتَى ذَلِكَ إِلَّا الصَّابِرُونَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، الصَّابِرُونَ عَنِ الْمَعَاصِي وَالشَّهَوَاتِ.

{فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ} (القصص : 81)

81- وفي يوم زينته وفخره وطغيانه حسفنا به وبداره وأمواله الأرض، فابتلعتهم، وغارت بهم، فما كانت هناك جماعة من أنصاره تدفع عنه نعمة الله وعذابه، وما كان هو قادرًا على الانتصار لنفسه.

{وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآئُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآئُ لَوْلَا أَنْ يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ} (القصص : 82)

82- وأصبح الذين رأوا قارون في زينته وتمنوا أن يكونوا في مكانه ومنزله بالأمس القريب يقولون، وقد ندموا على ما قالوا: عجبًا! إن الله سبحانه يعطي المال من يشاء من عباده ولا يعني هذا أنه يحبهم ويرضى عنهم، ويمنعه ممن يشاء ولا يعني أنه يكرههم ويهينهم، فله الحكمة في ذلك، ولولا لطف الله بنا وتجاوزة عن تقصيرنا فيما تمننا، لخسف بنا الأرض كما خسف بقارون. ألم تر أن الكافرين بنعمة الله لا يسعدون ولا يفوزون؟

{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} (القصص : 83)

83- تلك الدار الآخرة ونعيمها المقيم، نجعلها لعبادنا المؤمنين المتواضعين، الذين لا يتعاضمون ولا يتجبرون على الخلق، ولا يبغيون ظلمًا وعدوانًا عليهم، والعاقبة الحميدة لمن كان صالحًا تقياً.

{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (القصص : 84)

84- مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَهُ ثَوَابٌ أَكْبَرُ مِنْهَا وَأَفْضَلُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ، فَلَا يُجْزَى الْمَسِيئُونَ إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا عَمِلُوا مِنْ سَيِّئَاتٍ، وَلَا يُزَادُونَ عَلَيْهَا⁽¹⁰⁴⁾.

{ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادِ قُلِّ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (القصص : 85)

85- إِنَّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ أُيُّهَا الرَّسُولُ، وَأَوْجِبَ عَلَيْكَ الْعَمَلَ بِهِ وَتَبْلِيغَهُ لِلنَّاسِ، سَيُعِيدُكَ إِلَى مَوْلِدِكَ بِمَكَّةَ كَمَا أُخْرِجْتَ مِنْهَا، وَقُلْ لِمَنْ خَالَفَكَ وَكَذَّبَكَ: إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ مُهْتَدٍ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ وَخَطَأٍ ظَاهِرٍ.

{ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ } (القصص : 86)

86- وَمَا كُنْتَ تَطُنُّ أَنَّكَ سَتَكُونُ نَبِيًّا يُوحَى إِلَيْكَ بِهَذَا الْقُرْآنِ، وَلَكِنْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْهُ بِكَ وَبِالْعِبَادِ، وَإِذَا مَنَحَكَ اللَّهُ هَذِهِ النِّعْمَةَ الْعَظِيمَةَ، فَلَا تَكُنْ عَوْنًا لِّلْكَافِرِينَ عَلَى دِينِهِمْ، بَلْ عَادِهِمْ وَخَالَفِهِمْ.

{ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (القصص : 87)

87- وَلَا تَهْتَمَّ بِالْمُشْرِكِينَ وَمَكَائِدِهِمْ، وَلَا تَدْعُ لِاقْتِرَاحَاتِهِمْ وَمُلَابَسَاتِهِمْ تَأْثِيرًا عَلَيْكَ، فَيَكُونُوا سَبَبًا لِمَنْعِكَ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَتَبْلِيغِهِ، بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَاصْطَفَاكَ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ لِتَبْلِيغِهِ،

(104) مَنْ جَاءَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِإِحْلَاصِ التَّوْحِيدِ، فَلَهُ خَيْرٌ، وَذَلِكَ الْخَيْرُ هُوَ الْجَنَّةُ وَالنَّعِيمُ الدَّائِمُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ، وَهِيَ الشِّرْكَ بِاللَّهِ، فَلَا يُثَابُ إِلَّا جَزَاءَ مَا كَانَ يَعْمَلُ. (الطبري، باختصار).

أي: ثوابُ الله خيرٌ من حسنَةِ العبد، فكيف والله يضاعفه أضعافاً كثيرة؟.. (ابن كثير). { وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ } : كَالشِّرْكَ وَالرِّيَاءِ وَالْجَهْلِ وَنَحْوَهَا... (روح البيان).

وَادْعُ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا تَكُنْ مِنَ الْمَشْرِكِينَ بِمُظَاهَرَتِهِمْ وَإِعَانَتِهِمْ عَلَى ضَلَالِهِمْ.

وظاهرُ الخطابِ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، والمرادُ تحذيرُ أمته.

{وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (القصص : 88)

88- وَلَا تَعْبُدْ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا، فَلَا عِبَادَةَ إِلَّا لَهُ جَلَّ جَلَالُهُ، كُلُّ شَيْءٍ سَيِّئٌ وَيَعْدَمُ إِلَّا ذَاتَهُ الْعَلِيَّةَ، فَهُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، الَّذِي يَبْقَى وَيَدُومُ وَلَا يَمُوتُ، لَهُ الْقَضَاءُ النَّافِذُ فِي مُلْكِهِ، لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيُحَاسِبَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَيُجَازِيَكُمْ عَلَيْهَا بِمَا تَسْتَحِقُّونَ.

سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{الم} (العنكبوت : 1)

1- حروف مَقْطَعَةٌ لم يَرِدْ في تفسيرها حديثٌ ثابتٌ صحيح.

{أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ} (العنكبوت : 2)

2- أَظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُمْ سَيُتْرَكُونَ أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا دُونَ أَنْ يُبْتَلَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، لِيَتَبَيَّنَ الصَّادِقُ فِي إِيمَانِهِ مِنَ الكَاذِبِ، والمِخْلِصُ مِنَ المِنَافِقِ؟

{وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} (العنكبوت : 3)

3- ولقد اختبرنا المؤمنين من قبلهم، فليُمَيِّزَنَّ اللهُ الذين صدقوا في قولهم آمنا، والكَاذِبِينَ منهم في ذلك، بأوامرنا ونواهيها لهم، فيتبيَّنُ المَطِيعُ والعاصي منهم.

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} (العنكبوت : 4)

4- أَمْ ظَنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنَّهُمْ سَيُعْجِزُونَنَا فَلَا نَتَمَكَّنُ مِنْ مُحَاسِبَتِهِمْ وَالْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ؟ أَلَا بئسَ ما حَكَمُوا بِهِ حِينَ ظَنُّوا ذَلِكَ.

{مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (العنكبوت : 5)

5- مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْحِسَابِ عَلَى الْأَعْمَالِ، وَيَرْجُو الثَّوَابَ عَلَيْهَا مِنْ رَبِّهِ، فَإِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ مُحَقَّقًا، وَلَنْ يُحَيِّبَ اللَّهُ رَاجِي رَحْمَتِهِ مَا دَامَ عَمِلَ صَالِحًا. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَسْمَعُ دُعَاءَ عِبَادِهِ، وَيَعْلَمُ طَاعَتَهُمْ وَإِحْلَاصَهُمْ.

{ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } (العنكبوت : 6)

6- وَمَنْ جَاهَدَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ مَنَفَعَةَ جِهَادِهِ وَطَاعَتِهِ تَعُودُ عَلَى نَفْسِهِ، وَاللَّهُ غَيْرُ مُتَحْتَاجٍ إِلَى عِبَادَةِ الْعِبَادِ، وَلَا يَضُرُّهُ مَعْصِيَتُهُمْ.

{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا

يَعْمَلُونَ } (العنكبوت : 7)

7- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَخْلَصُوا، وَقَامُوا بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ تُوَافِقُ شَرِيعَةَ رَبِّهِمْ، لَنَعْفُوَنَّ عَنْهُمْ، وَنَمَحُوَّ عَنْهُمْ مَا اقْتَرَفُوهُ مِنْ سَيِّئَاتٍ، وَنُنِيبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ الَّتِي عَمِلُوهَا أَحْسَنَ الثَّوَابِ.

{ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا

تُطِعُهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } (العنكبوت : 8)

8- وَأَمَرْنَا الْإِنْسَانَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ، يَرْبُهُمَا وَيُعْطِفُ عَلَيْهِمَا، وَيَتَعَهَّدُهُمَا وَيُشْفِقُ عَلَيْهِمَا، وَيُنْفِقُ عَلَيْهِمَا. وَإِذَا حَرَصَا عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي شَيْئًا لَا يَصِحُّ وَلَا يَسْتَقِيمُ، وَلَكِنَّهُ عَقِيدَتُهُمَا، فَلَا تَسْمَعُ مِنْهُمَا، وَلَا تُطِعُهُمَا فِيهِ، ف"لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ" كَمَا صَحَّ فِي الْحَدِيثِ. ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا، مَنْ آمَنَ وَمَنْ كَفَرَ، لِأَجْزِي كُلًّا بِمَا عَمِلَ.

{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ } (العنكبوت : 9)

9- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَصَدَقُوا فِي إِيْمَانِهِمْ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الْحَسَنَةَ فِي الدُّنْيَا، لَنَجْعَلَهُمْ فِي زُمْرَةِ الصَّالِحِينَ، وَلَهُمُ الثَّوَابُ الْعَظِيمُ يَوْمَ الدِّينِ.

{ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ

جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ }

(العنكبوت : 10)

10- وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَلَمْ يَتَّبِعُوا الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَإِذَا أُودُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَامْتَحِنُوا بِسَبَبِ إِيْمَانِهِمْ، جَعَلُوا مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْأَذَى مِثْلَ عَذَابِ اللَّهِ فِي شِدَّتِهِ، وَأَنَّهُ لَا عَذَابَ أَكْبَرَ مِنْهُ، فَجَزَعُوا مِنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَصْبِرُوا، وَارْتَدُّوا.

وإذا حصل للمؤمنين نصرٌ وغنيمةٌ يقولون لهم: نحن إخوانكم في الدين، وكُنَّا مَعَكُمْ عَلَى عَدْوِكُمْ. أوليسَ اللهُ مُطَّلِعًا عَلَى مَا تُخْفِيهِ صُدُورُ النَّاسِ جَمِيعًا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَمِنْ عَقَائِدٍ وَأَسْرَارٍ وَمَوَاقِفٍ؟

{وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} (العنكبوت : 11)

11- وَلْيَلُوَنَّ اللَّهُ النَّاسَ بِحِكْمَتِهِ، لِيَنْظُرَ الصَّادِقَ فِيهِمْ وَالكَاذِبَ، وَيُمَيِّزَ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْمُنَافِقِ.

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} (العنكبوت : 12)

12- وَقَالَ كُفَّارٌ قُرَيْشِيٍّ لِمَنْ آمَنَ: ارْجِعُوا إِلَى الْكُفْرِ وَسَنَحْمِلُ خَطَايَاكُمْ وَأَثَامَكُمْ إِذَا كُنْتُمْ تُؤَاخِذُونَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَدَّعُونَ. وَهُمْ كَاذِبُونَ فِي ادِّعَائِهِمْ هَذَا، فَإِنَّهُمْ غَيْرُ قَادِرِينَ عَلَى نَزْعِ خَطَايَا غَيْرِهِمْ وَحَمْلِهَا عَنْهُمْ.

{وَلْيَحْمِلْنَ أَثْقَانَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ} (العنكبوت : 13)

13- وَسَوْفَ يَحْمِلُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ أَثَامَ مَا اقْتَرَفُوهُ مِنْ ذُنُوبٍ فِي الدُّنْيَا، وَأَثَامَ مَنْ تَسَبَّبُوا فِي إِضْلَالِهِمْ وَحَمَلُوهُمْ عَلَى الْكُفْرِ، دُونَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ ذُنُوبِ الْآخَرِينَ شَيْءٌ، وَيُحَاسِبُونَ عَلَى كُلِّ ذَلِكَ، وَيُسْأَلُونَ عَمَّا اخْتَلَفُوهُ مِنَ الْكُذِبِ وَالْبَاطِلِ عَلَى النَّاسِ، بِرَعْمِهِمْ حَمَلَ خَطَايَاهُمْ عَنْهُمْ، وَبِتَزْيِينِ الشَّرِّ لَهُمْ.

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} (العنكبوت : 14)

14- وقد أرسلنا نُوحًا إلى قَوْمِهِ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ، فمَكَثَ فِيهِمْ تِسْعِمِئَةً وَخَمْسِينَ عَامًا لِأَجْلِ ذَلِكَ، فَأَعْرَضُوا عَنْهُ وَكَذَّبُوهُ، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِالطُّوفَانِ وَأَغْرَقَهُمْ جَمِيعًا، وَكَانُوا مُصْرِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ.

{ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ } (العنكبوت : 15)

15- وَأَنْجَيْنَا نُوحًا وَمَنْ رَكِبَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ مِنْ أَهْلِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ مِنَ الْعَرَقِ، وَجَعَلْنَاهَا عِبْرَةً وَعِظَةً لِلنَّاسِ، لِبَقَائِهَا زَمَنًا طَوِيلًا عَلَى جَبَلِ الْجُودِيِّ، يُشَاهِدُهَا الْمَارَّةُ. وَقَدْ التَّقَطَّتْ صُورَةُ الْمَوْقِعِ مَهْبِطِ السَّفِينَةِ عَلَى الْجَبَلِ بولايةِ شِرْزَاقِ مِنَ الْفَضَاءِ، وَبَدَأَ فِيهَا بَقَايَا السَّفِينَةِ الْمُتَحَجَّرَةَ وَاضِحَةً. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

{ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (العنكبوت : 16)

16- وَأَرْسَلْنَا إِبْرَاهِيمَ إِلَى قَوْمِهِ - وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ - فَقَالَ لَهُمْ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاحذَرُوا غَضَبَهُ وَنِقْمَتَهُ إِذَا اسْتَمَرَّرْتُمْ فِي الْإِشْرَاقِ بِهِ، فَإِنَّ رَجُوعَكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَطَاعَتَكُمْ لِرَبِّكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَفْضَلُ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ جَهْلِ وَضَلَالِ، إِذَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَتُمَيِّزُونَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

{ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } (العنكبوت : 17)

17- إِنَّ الَّذِي تَعْبُدُونَهُ تَمَاثِيلُ مَصْنُوعَةٌ مِنْ حَجَرٍ وَشَجَرٍ، ثُمَّ تَكْذِبُونَ وَتَقُولُونَ إِنَّهَا آلِهَةٌ. وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَجْلُبُوا لَكُمْ رِزْقًا، فَاطْلُبُوا رِزْقَكُمْ مِنْ بَارئِكُمْ، فَهُوَ رَازِقُكُمْ وَرَازِقُ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ. وَأَخْلِصُوا الْعِبَادَةَ لَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى عَلَيْكُمْ، فَإِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ يَوْمَ الدِّينِ، لِيُحَاسِبَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَيُجَازِيَكُمْ عَلَيْهَا بِمَا تَسْتَحِقُّونَ.

{ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَّمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } (العنكبوت : 18)

18- وَإِنْ تُكَذِّبُونِي وَلَا تُصَدِّقُوا بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَقَدْ سَبَقَ أَنْ كَذَّبَتْ أُمَّمٌ رُسُلَهُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، فَلَمْ يَضُرُّوا سِوَى أَنْفُسِهِمْ، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَنْ يُبَلِّغَكُمْ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْتَرِعَ التَّصَدِيقَ مِنْ قُلُوبِكُمْ.

{ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } (العنكبوت : 19)

19- أَوَلَمْ يَنْظُرُوا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَيُوجِدُهُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُونُوا شَيْئًا، ثُمَّ يُعِيدُهُمْ أَحْيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ إِمَاتَتِهِمْ، أَوَلَا يَسْتَدِلُّونَ بِالْخَلْقِ عَلَى الْبَعْثِ؟ وَإِنَّهُ عَلَى اللَّهِ لَسَهْلٌ يُسِيرُ.

{ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (العنكبوت : 20)

20- قُلْ لِقَوْمِكَ - الْخِطَابُ لِإِبْرَاهِيمَ أَوْ لِنَبِينَا، عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - : امشُوا فِي الْأَرْضِ، وَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ اللَّهُ خَلْقَ الْأَشْيَاءِ، مِنْ خِلَالِ مَعْرِفَةِ أَطْوَارِ الْحَيَاةِ، لِلْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ، وَفِي الْآخِرَةِ يَخْلُقُ اللَّهُ الْأَشْيَاءَ مَرَّةً أُخْرَى، حِينَ يَبْعَثُهَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَالَّذِي خَلَقَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ الْخَلْقِ.

{ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ } (العنكبوت : 21)

21- وَاللَّهُ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ مِنَ الْعِبَادِ، وَهُمْ الَّذِينَ اخْتَارُوا طَرِيقَ الضَّلَالِ وَكَفَرُوا بِالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ، وَهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا وَاخْتَارُوا طَرِيقَ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَصَبَرُوا عَلَى مَا كَلَّفَهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَآمَنُوا بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، وَانْتَظَرُوا ثَوَابًا وَرَحْمَةً مِنْ رَبِّهِمْ، فَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ جَمِيعًا أَيُّهَا النَّاسُ، مُؤْمِنُكُمْ وَكَافِرُكُمْ، فَيُحَاسِبُ كُلًّا بِمَا عَمِلَ، وَيُجَازِيهِمْ بِالْعَدْلِ.

{ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } (العنكبوت : 22)

22- وما أنتم بماعين الله من أن يجري حكمه وقضائه فيكم، أينما كنتم ومهما تحصنتم، في الأرض أو في السماء، فكل شيء ملكه، وحكمه وتصرفه نافذ في كل مكان، ولا أحد يقدر على منع عذاب الله إذا قدره عليكم، ولا أن يدفعه عنكم إذا نزل بكم.

{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسُؤُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }
(العنكبوت : 23)

23- والذين كفروا بالمعجزات التي أتت بها رسلي، وبالكتب التي أنزلتها عليهم، وجحدوا بالبعث والنشور، فهؤلاء يائسون من رحمة الله ورحمته، فلا نصيب لهم فيها يوم القيامة، ولهم عذاب شديد.

{ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } (العنكبوت : 24)

24- فلما دعا إبراهيم قومه إلى التوحيد، وبالع في محاورتهم ودعوتهم إلى الدين الحق، ودحض شبهاتهم الفاسدة والسخيفة، ولم تكن عندهم حجة للرد عليه، عاندوا وكابروا، وقالوا: اقتلوا إبراهيم أو أحرقوه بالنار. فألقوه في نار كبيرة، ولكن الله سلمه منها، وجعلها عليه بردًا وسلامًا. وفي إنقاذه منها، وحفظه من حرها، وسلب مادة الإحراق منها، دلائل بيّنة على قدرة الله تعالى، لمن تأمل فيها وصدق بها.

{ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ } (العنكبوت : 25)

25- وقال إبراهيم عليه السلام في وعظه وإنذاره لقومه: إنما عبدتم هذه الأصنام لتتواددوا بين بعضكم البعض، وتتألفوا وتتواصلوا عند اجتماعكم على عبادتها في الحياة الدنيا، أما في يوم القيامة فيتحوّل هذا التحابب بينكم إلى كفر وبغض، فتجحدون ما كان بينكم من

ذلك، ويلعنُ الأتباعَ منكمُ المتبوعين، والعبدةَ معبوديهم، ومنزلكمُ الذي تأوونَ إليه جميعًا هو النار، ولا مُعينَ لكمُ يومئذٍ ولا مُنقذَ ليخلصكمُ منها.

{فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (العنكبوت : 26)

26- وآمنَ لوطٌ بدعوةِ إبراهيم، عليهما السَّلام، وكانَ منَ أقربائه. وقالَ إبراهيم: سأتركُ قومي الكُفَّارَ وأهاجرُ إلى الجِهةِ التي أمرني بها رَبِّي حيثُ لا أُمْنَعُ منَ عِبَادَتِهِ، واللهُ قَوِيٌّ يَمْنَعُ عَنِّي أَعْدَائِي وَلَا يُغَالِبُ، حَكِيمٌ فِي أَمْرِهِ وَهَيِّهِ، فلا يَأْمُرُ إِلَّا بِمَا فِيهِ صَلاحي.

{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا

وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} (العنكبوت : 27)

27- ولما فارقَ قومه أقرَّ اللهُ عينَهُ وأجابَ دُعاءَهُ، فوهبَ لَهُ إِسْحَاقَ، وقد كانَ عَجوزًا كبيرًا في السَّنِّ، وكذلكَ زوجته. ثمَّ وهبَ لَهُ يَعْقُوبَ، زيادةً عمًّا سألَ، وهو ابنُ ابنِهِ إِسْحَاقَ. وجعلَ في ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ، فلمَّ يُعَثِّ نَبِيٌّ بَعْدَهُ إِلَّا وَهُوَ منَ سُلَالَتِهِ. وجعلَهُ منَ السُّعْداءِ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفي الآخِرَةِ، فاتاهُ النُّبُوَّةَ، وهي أكْمَلُ ما يَكُونُ بِهِ الْإِنْسَانُ، معَ الثَّناءِ عَلَيْهِ منَ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَدْيَانِ، فكانَ إمامًا لِلنَّاسِ، وَخَلِيلَ اللَّهِ، وهو في الآخِرَةِ منَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الثَّوَابُ، وَيَكُونُ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ.

{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأنتأثونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ}

(العنكبوت : 28)

28- وأرسلنا لوطًا إلى قومه ليعظهم ويُنذِرهم، فقال لهم: إنكم تقومون بفاحشة منكرة لم يسبقكم إليها أحد، وهي فعلةٌ قبيحةٌ مشينة، وشاذةٌ منكرة، مُناقضةٌ للفطرة، تنفرُ منها النفوسُ الكريمة، ويترتَّبُ عليها أمراضٌ كثيرة، جنسيَّةٌ وغيرُ جنسيَّة.

{أَأنتأثونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأَثُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ

إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} (العنكبوت : 29)

29- إِيَّاكُمْ تَأْتُونَ الرِّجَالَ فِي أَدْبَارِهِمْ وَتَتْرَكُونَ مَا خَلَقَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَوَاجَاتٍ، وَتَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى النَّاسِ فَتَقْتُلُوهُمْ وَتَأْخُذُونَ أَمْوَالَهُمْ، وَتَفْعَلُونَ فِي مَجْلِسِكُمْ الَّذِي يَجْتَمِعُونَ فِيهِ مَا هُوَ مُنْكَرٌ وَفَاحِشٌ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ.

ذُكِرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَلَاوِطُونَ فِيهِ جِهَارًا بَعْضُهُمْ أَمَامَ بَعْضٍ، أَوْ يَضْرِبُونَ وَيَضْحَكُونَ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِ لُوطٍ لَمَّا أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا سُخْرِيَّةٌ مِنْهُ: لِيَنْزِلَ بِنَا عَذَابُ اللَّهِ إِذَا كُنْتَ صَادِقًا فِيمَا تَعِدُّنَا بِهِ.

{ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ } (العنكبوت : 30)

30- قَالَ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ لَا أَمَلَ فِي إِصْلَاحِهِمْ: اللَّهُمَّ انصُرْنِي بِانزَالِ الْعَذَابِ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِدِينَ فِي أَخْلَاقِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ وَسُوءِ أفعالِهِمْ.

{ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ } (العنكبوت : 31)

31- وَلَمَّا جَاءَتْ الْمَلَائِكَةُ تُبَشِّرُ إِبْرَاهِيمَ بِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، قَالُوا لَهُ: جِئْنَا لِنُهْلِكَ أَهْلَ الْقَرْيَةِ الَّتِي تَعْمَلُ الْفَاحِشَةَ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ، فَهُمْ ظَالِمُونَ مُتَمَادُونَ فِي الْعِيِّ وَالْفَسَادِ، لَا يَنْتَهُونَ عَنْ فَاحِشَةِ اللَّوَاطِ.

{ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّه وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ } (العنكبوت : 32)

32- قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُجَادِلُهُمْ: لَكِنَّ فِيهَا لُوطًا، فَكَيْفَ تُهْلِكُونَهُمْ وَهُوَ بَيْنَهُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أَعْلَمُ مِنْكَ بِمَنْ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، سَنُنَجِّيهِ وَأَهْلَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ، إِلَّا امْرَأَتَهُ الْكَافِرَةَ، فَإِنَّهَا مِنَ الْبَاقِيْنَ فِي الْقَرْيَةِ لِيُصِيبَهَا مَا أَصَابَهُمْ.

{وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} (العنكبوت : 33)

33- ولما أتت ملائكتنا لوطاً لم يعرفهم أولاً، فساءه أمرهم، وضاحت نفسه بهم، خشية أن يراهم قومه فيؤذوهم، فقالوا له يهدؤونه ويطمئنونه: لا تخف من قومك، فنحن ملائكة الله، سنخلصك وأهلك من العذاب، إلا امرأتك العجوز التي لم تؤمن من بين أهلك، فإنها من الباقيين في العذاب.

{إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} (العنكبوت : 34)

34- سننزل بأهل هذه القرية المجرمين عذاباً من السماء، بسبب فسقهم وفجورهم، وإصرارهم على معصية الله.

{وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (العنكبوت : 35)

35- ولقد تركنا من هذه القرية آثراً ودماراً، فيها عبرة ظاهرة، لقوم يتدبرون ويعتبرون. وقرى قوم لوط كانت في منطقة البحر الميت، وهي مليئة بالآثار الدالة على ما وقع بهم من العذاب. وقد أثبتت دراسات علوم الأرض أن طبقات الصخور في منطقة جنوب البحر الميت مقلوبة رأساً على عقب، كما ورد في قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سَجِيلٍ مِّنْ مَّوَدِّجٍ} [سورة هود: 82].

{وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} (العنكبوت : 36)

36- وأرسلنا إلى مدين أخاهم في النسب شعيباً، وكانوا كفاراً يعشون في البيع والشراء، ويفسدون في الأرض⁽¹⁰⁵⁾، فقال لهم: يا قوم، اعبدوا الله وحده لا شريك له، واحشوا عذابه

(105) سُموا مدين باسم أبيهم، وهو مدين بن إبراهيم. وقيل: باسم مدينتهم. (فتح القدير، عند تفسير الآية 84 من سورة هود).

يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّهُ مُحَاسِبُكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَقِطِ الطَّرِيقِ، وَالتَّحَايِلِ عَلَى النَّاسِ.

{ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ } (العنكبوت : 37)

37- فكذبوا نبيهم شعيبًا ووجدوا رسالته، فزلزل الله الأرض من تحت أقدامهم، وأخذتهم صيحة عظيمة، فأصبحوا في مكائهم حامدين هامدين، لا جراك بهم، ولا حس لهم.

{ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ } (العنكبوت : 38)

38- وأهلكنا عادًا قوم هود، وكانوا كفارًا عتاة جبارين، يسكنون الأحقاف، بين حضرموت وعمان، وأهلكنا ثمود قوم صالح، وكانوا بين الحجاز والشام، ولهم آثار معروفة في "مدائن صالح" ببلاد الحرمين، وكانوا أقوياء، أهل مدنية وثراء، فكذبوا رسولهم واستكبروا عن اتباعه. فأهلكهم الله جميعًا، وقد تبين لكم ذلك من خلال آثارهم التي تمرون بها. ووسوس الشيطان في قلوبهم فحسّن لهم ما يقومون به من أعمال الكفر والمعاصي، فأطاعوه، فمنعهم من سلوك الطريق المستقيم، واتباع الحق المبين، وكانوا عقلاء متمكنين من التمييز بين الحق والباطل، والحق ظاهر قوي بأدلتها، ولكنهم عاندوا فجحّدوا.

{ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ } (العنكبوت : 39)

39- وأهلك الله قارون، الذي كان من بني إسرائيل، من أقرباء موسى عليه السلام، وكان ثريًا جدًّا، فأعماه ذلك، فطغى وتجبّر على قومه، ولم يشكر نعمة الله عليه. وأهلك الله فرعون، الذي استكبر واستعلّى وادّعى أنّه الربُّ الأعلى! ومثله وزيره هامان، الذي طلب منه فرعون أن يبيّن له صرحًا عاليًا جدًّا ليطلع منه على رب موسى، كما ادّعى ذلك عليه لعنة الله، فبناه له.

وقد آيد الله نبيه موسى بمعجزاتٍ كبيرةٍ ظاهرةٍ في إعجازها، كافيةٍ للإيمان برسالته، ولكنهم كفروا واستكبروا عن الإيمان والطاعة في هذه الأرض، التي وُلدوا فيها ليعمروها على أساس من التقوى والصلاح. وما كانوا ليفوتوا أمر الله، فهو لهم بالمرصاد.

{ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } (العنكبوت : 40)

40- فعاقبنا كلاً بما يناسبه ويلائم جرمه، فمنهم من أهلكناهم بريحٍ عاصفٍ فيها حصباء، وهم عادٌ قومٌ هود، وكانوا أقوياءً متجبرين. ومنهم من أهلكناه بالصيحة القوية، التي خلعت قلوبهم وأخذت أصواتهم، من الهلع والفرع، فصاروا جاثمين هامدين، لا حركة لهم، وهم ثمود ومدين. ومنهم من خسفنا به وبداره الأرض، كقارون، الذي أشرب وبطر، وكفر بنعمة ربه. ومنهم من أعرقناهم بماء الطوفان، وماء البحر، كقوم نوح، وفرعون وجنده. وما كان الله ليهلكهم بدون ذنب، ولكنهم عوقبوا لكفرهم وتكذيبهم أنبياءهم، ولظلمهم وفسادهم، ولم يرتدعوا عن ذلك.

{ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنَ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } (العنكبوت : 41)

41- إن مثل المشركين الذين اتخذوا من الأصنام أو غيرها آلهةً يعبدونها ويعتمدون عليها من دون الله، ويرجون نصرها ومنفعتها، هو كمثل بيت العنكبوت في ضعفه وهنئه، الذي لا يدفع عنها حرًا ولا بردًا، ولا ريحًا ولا مطرًا. فما هو سوى حيوطٍ حريريةٍ دقيقةٍ وناعمةٍ جدًا، تفرزها وتكون منها نسيجًا شبكيًا، لا يجس بها المرء وهو يقطعها، فهو أضعف البيوت وأوهنها.

وكذلك المشركون، الذين لا يحصلون على نفعٍ من آلهتهم التي يدعونها، إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت، الذي لا يجدي شيئًا. ولو علموا ذلك لما اتخذوهم أولياء.

{ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (العنكبوت : 42)

42- والله يعلم أن الذي يعبدونه ليس بشيء يُعبأ به، ولن يُفيدهم شيئاً، وليحاسبنهم على عدم استعمال عقولهم، وعلى استكبارهم عن اتباع الحق، والله هو القادر القاهر، الحكيم في أمره وتدييره، فكيف يُشركون به أصناماً لا تعي ولا تتكلم؟!

{ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِيَعْقِلَها إِلَّا الْعَالِمُونَ } (العنكبوت : 43)

43- وهذه الأمثلة والأشباه والأمثال التي في القرآن، نُبيئها للناس لنُقرب بها الحقائق إلى أفهامهم ومداركهم، ولا يتدبرها ويستنتج منها العبر والفوائد إلا الراسخون في العلم، الذين يعقلون عن الله، فيعملون بطاعته، ويتجنبون سخطه.

{ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ } (العنكبوت : 44)

44- خلق الله هذه السماوات العظيمة، وهذه الأرض وما فيها، بالحق والعدل، ولحكمة وغاية، وليس عبثاً ولعباً، وفي ذلك دلالة على توحيد الله وإبداعه وقدرته وحسن تدييره، للمُصدقين بذلك.

{ ائْتِ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } (العنكبوت : 45)

45- داوم على تلاوة كتاب الله أيها الرسول الكريم، وبلغه الناس، وحافظ على إقامة الصلاة، فإن المداومة عليها تُعين على ترك المنكرات والفواحش، وذكّر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه سبحانه، قال جلّ شأنه: { فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ } [سورة البقرة: 152]. والله يعلم ما تصنعونه من خيرٍ وشرٍّ، لا يخفى عليه شيء من ذلك، ويُحاسب كلاً بما عمل، ويُجازيه بما يستحق.

الجزء الحادي والعشرون

سورة العنكبوت (46-69)

سورة الروم

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة الأحزاب (1-30)

{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي
أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } (العنكبوت : 46)

46- ولا تُجادلوا أهل الكتاب، من النصارى وغيرهم، إلا بالأسلوب الحسن، والحوار الهادئ المشفوع بالنصح، كمقابلة الحشونة باللين، والغضب بالحلم والأناة، إلا من اعتدى منهم وعاند، وكابر وخاصم، ولم ينفع فيهم الرفق، ولا قبول الحجّة المقنعة، والدليل القاطع، فيدافعون بما يليق بهم، وقولوا لهم: آمنا بما أنزل إلينا من القرآن، وبما أنزل إليكم من التوراة والإنجيل، وإلهنا وإلهكم واحد لا شريك له، ونحن مخلصون له في عبادته، مُطيعون لأوامره.

{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ
بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ } (العنكبوت : 47)

47- وكما أنزلنا الكتب السابقة على الأنبياء، كذلك أنزلنا عليك القرآن، فالذين آتيناهم الكتاب من اليهود والنصارى، من أحبارهم والمخلصين وعلمائهم المؤمنين الصادقين، يؤمنون بالقرآن الكريم، ومن العرب من يؤمن به كذلك، وما يكذب بمعجزاتنا التي أيّدنا بها رسلنا إلا المكابرون المصرون على الكفر.

{وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذْ لَأْتَتَابَ الْمُبْطِلُونَ } (العنكبوت : 48)

48- وَقَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ مَا كُنْتَ تَقْرَأُ كِتَابًا وَلَا تُحْسِنُ كِتَابَتَهُ، وَكُلُّ قَوْمِكَ يَعْرِفُونَ هَذَا مِنْكَ، وَلَوْ كُنْتَ تَقْرَأُ أَوْ تَكْتُبُ لَشَكَ الْمَشْرِكُونَ فِي أَمْرِكَ، وَاهْتَمُّوكَ بِالنَّقْلِ وَالتَّالِيفِ وَالتَّرْكِيبِ، وَلِقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: إِنَّ الَّذِي بَجَدُهُ عِنْدَنَا فِي وَصْفِ النَّبِيِّ الْجَدِيدِ أَنَّهُ أُمَّيٌّ وَأَنْتَ لَسْتَ كَذَلِكَ.

{ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ }

(العنكبوت : 49)

49- فَلَيْسَ الْقُرْآنُ مِمَّا يُرْتَابُ فِيهِ، بَلْ هُوَ آيَاتٌ وَاضِحَاتٌ، رَاسِحَاتٌ فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَافِظِينَ لَهُ، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُحَرِّفَهُ، وَمَا يَكْفُرُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْمَكَابِرُونَ الْمُعْتَدُونَ، الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْحَقَّ ثُمَّ يُعْرِضُونَ عَنْهُ.

{ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ }

(العنكبوت : 50)

50- وَقَالَ الْمَشْرِكُونَ: هَلَّا أَنْزَلْتَ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ مُعْجَزَاتٍ كَمَا أَنْزَلْتَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، مِثْلَ عَصَا مُوسَى وَنَاقَةِ صَالِحٍ؟ قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: إِنَّ ذَلِكَ بِيَدِ اللَّهِ، يَأْتِي بِهَا إِنْ شَاءَ، وَلَوْ عَلِمَ هِدَايَتَكُمْ بِهَا لَأَجَابَكُمْ إِلَيْهَا، وَلَوْ أَنَّهُمْ أَنْزَلَتْ وَلَمْ تُؤْمِنُوا بِهَا لِأَهْلِكْكُمْ، وَإِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ مُّبِينٌ لِلْعَالَمِينَ أَجْمَعِينَ، وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْبَلَاغُ.

{ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ }

{ يُؤْمِنُونَ } (العنكبوت : 51)

51- أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ مُعْجَزَةُ هَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ، وَهُوَ يُقْرَأُ عَلَيْهِمْ وَيَعْرِفُونَهُ جَيِّدًا، وَفِيهِ مِنَ الْإِعْجَازِ وَالتَّحَدِّيِّ مَا يَكْفِي دَلِيلًا أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ أَوْ بِآيَاتٍ مِنْ مِثْلِهِ؟ وَفِي بَقَائِهِ مَحْفُوظًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنَالَهُ تَغْيِيرٌ أَوْ تَبْدِيلٌ، وَكَوْنِهِ مُتَّحَدِّى بِهِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، آيَةٌ أُخْرَى عَظِيمَةٌ، وَهُوَ نِعْمَةٌ كَبِيرَةٌ لِلنَّاسِ، وَتَذَكْرَةٌ وَعِظَةٌ لِمَنْ آمَنَ وَاهْتَدَى بِهِ،

ففيه بيانٌ للحقِّ، ودَحْضٌ للباطلِ، وفيه أحداثٌ وعبرٌ، وقَصَصٌ وتوجيهاتٌ، وأحكامٌ ووصايا،
كُلُّها لأجلِ مَصْلَحَةِ الإنسانِ وسعادَتِهِ.

**{ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا
بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } (العنكبوت : 52)**

52- قُلْ لَهُمُ أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ: اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَالِمٌ بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَمَا أُبَلِّغُهُ لَكُمْ، وَعَالِمٌ بِكُمْ
وَبتَكذيبِكُمْ رسالته، والأمرُ إليه في الحُكْمِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْعَالِمُ بِكُلِّ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ. وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْأَصْنَامِ وَطَاوَعُوا الطَّوَاغِيتَ، وَكَفَرُوا
بِاللَّهِ وَهُوَ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ وَمَالِكُ أَمْرِهِمْ، هُمُ الْخَاسِرُونَ النَّادِمُونَ، الَّذِينَ يُجْزَوْنَ شَرًّا عَلَى
أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

**{ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْ لَأَجَلَ مُسَمًّى بَلَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ } (العنكبوت : 53)**

53- وَيَسْتَعْجِلُكَ الْمُشْرِكُونَ بِالْعَذَابِ، وَلَوْ لَأَنَّ اللَّهَ قَدَّرَ لَهُمُ الْعَذَابَ فِي وَقْتٍ مُعَيَّنٍ، لَحَلَّتْ
بِهِمْ نِقْمَتُهُ، وَسَيَأْتِيَهُمْ فَجَاءٌ وَهُمْ غَافِلُونَ عَنْهُ.

{ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ } (العنكبوت : 54)

54- إِنَّهُمْ يَسْتَعْجِلُونَ الْعَذَابَ وَهُوَ مُحِيطٌ بِهِمْ، فَهُوَ وَقِعٌ بِهِمْ لَا مَحَالَةَ، وَلَنْ يَبْقَى كَافِرٌ إِلَّا
وَيَدْخُلُ جَهَنَّمَ.

**{ يَوْمَ يَعْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }
(العنكبوت : 55)**

55- فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمُخَوِّفِ الْمُهُولِ، الَّذِي يُؤَمَّرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ كُلِّ
الْجِهَاتِ، مِنْ فَوْقِهِمْ، وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ، وَبِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ، وَيَقُولُ اللَّهُ لَهُمْ: ذُوقُوا جَزَاءَ مَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا، وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَعْجِلُونَهُ مِنَ الْعَذَابِ، فَقَدْ حَلَّ أَجَلُهُ.

{ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ } (العنكبوت : 56)

56- يا عبادي المؤمنين، إنَّ أرضي واسعة، وفيها ما يمكنُ أن تُقيموا شعائر دينكم، وتعبُدوه كما أمركم، فاعبدوني ولا تُشركوا بي شيئاً، وأطيعوني ولا تُحملوا ما أمرتكم به. وأكثرُ المُفسرينَ على أنَّه أمرٌ للمستضعفينَ في مكَّةَ بالهجرة.

{ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } (العنكبوت : 57)

57- كُلُّ نَفْسٍ حَيَّةٍ سَيَأْتِي عَلَيْهَا الْمَوْتُ، فلا تُقيموا في دارِ الشُّركِ خوفاً من أن يُصيبكم الموتُ إذا هاجرتم، ثمَّ إلينا مرجعكم جميعاً لنحاسِبكم على أعمالكم، ونُجازيكم بما تستحقون.

{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ } (العنكبوت : 58)

58- والذين آمنوا وأخلصوا في إيمانهم، وأتبعوا إيمانهم بالعملِ الصَّالحِ الموافقِ لما أمر الله به، لنُسكننهم منازلَ عاليةً في الجنة، تجري الأنهارُ من خلالِ أشجارها ومسكنها، فتزِيدها بهجةً وجمالاً، ماكنين فيها أبداً، فنعمَ هذا الجزاءُ على ما عملهُ المؤمنون،

{ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } (العنكبوت : 59)

59- الذين صبروا على أذى المشركين، وتحملوا مشاقَّ الدَّعوةِ والجِّهادِ، فكانوا من الصَّابرينَ على طاعةِ ربِّهم، مُعتمدينَ عليه في جميعِ أحوالهم.

{ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (العنكبوت :

60)

60- وما أكثرَ الدوابَّ التي تحتاجُ إلى غذاءٍ ولا تقدرُ على حمله لضعفها، ولا تدخرُ شيئاً لعد، ثمَّ الله يرزقها وإياكم، فييسرُ لكم حيثُ كنتم، فلا تخشوا الفقرَ إذا هاجرتم وتركتم أموالكم، وهو السَّمِيعُ لأقوالكم، العليمُ بما تُكنونهُ في قلوبكم.

{وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} (العنكبوت : 61)

61- وإذا سألت المشركين: من الذي استقلَّ بِخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ وَمَنِ الَّذِي سَيَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَذَلَّلَهُمَا لِمَصَالِحِ الْإِنْسَانِ؟ لَقَالُوا: هُوَ اللَّهُ. قُلْ لَهُمْ: إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلِمَاذَا تَعْبُدُونَ غَيْرَهُ وَتَدْعُونَ أَهْمَ آلِهَةٍ؟!

{اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (العنكبوت : 62)

62- اللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الرَّازِقُ، الَّذِي يَزِيدُ فِي رِزْقِ عِبَادِهِ لَهُ وَيَجْعَلُهُمْ أَغْنِيَاءَ، وَيُضَيِّقُ عَلَى آخَرِينَ فَيَكُونُونَ فُقَرَاءَ، وَاللَّهُ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَعَارِفٌ بِمَنْ يَصْلِحُ لَهُ الْغِنَى، وَمَنْ يَصْلِحُ لَهُ الْفَقْرُ.

{وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} (العنكبوت : 63)

63- وإذا سألتهم: من الذي أنزلَ المَطَرَ مِنَ السَّحَابِ، فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ وَقَدْ كَانَتْ جَرْدَاءَ قَاحِلَةً، فَأَنْبَتَتِ الزَّرْعَ وَالثَّمَرَ، وَجَرَتْ بِهِ الْأَنْهَارُ؟ لَقَالُوا: اللَّهُ أَنْزَلَ المَطَرَ. قُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِقْرَارِهِمْ بِفَضْلِ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُمْ يُشْرِكُونَ بِهِ فِي عِبَادَتِهِمْ أَصْنَامًا لَا تَنْفَعُهُمْ بِشَيْءٍ، فَأَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ سُفَهَاءٌ جَاهِلُونَ.

{وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا هُتُوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ هِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} (العنكبوت : 64)

64- وليست هذه الدنيا سوى استمتاعٍ وعبثٍ، تَنقُضِي لَدُّهَا بَعْدَ قَلِيلٍ، كاجتماعِ صِيبَانٍ عَلَى لُعبَةٍ، فَيَبْتَهَجُونَ بِهَا سَاعَةً ثُمَّ يَتَفَرَّقُونَ. وَالدَّارُ الْآخِرَةُ فِيهَا الْحَيَاةُ الْحَقِيقِيَّةُ الدَّائِمَةُ، فَلَا مَوْتَ فِيهَا وَلَا زَوَالَ عَنْهَا، وَلَوْ عَلِمُوا ذَلِكَ لَمَا آثَرُوا عَلَيْهَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا.

{فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}

(العنكبوت : 65)

65- وإذا ركب المشركون السفينة، وهاج بهم البحر، وتحركت بهم ذات اليمين وذات الشمال، وخافوا الغرق، تركوا ما كانوا عليه من شرك، وتوجهوا في دعائهم واستغاثتهم إلى الله وحده، وتدللوا له بالطاعة والعبادة، فإذا أنقذهم من الغرق، وآمنهم مما كانوا فيه من خوف، عادوا إلى شركهم وجاهليتهم.

{لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} (العنكبوت : 66)

66- وهكذا يشركون بالله ليكونوا كافرين بما أنعمنا عليهم من النجاة، وليتمتعوا باجتماعهم وتوآدهم على عبادة الأصنام، فسوف يعلمون عاقبة ما يفعلون، عندما يحاسبون، ويؤمر بهم إلى ما لهم المعلوم.

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ

يَكْفُرُونَ} (العنكبوت : 67)

67- ألم يشاهدوا ويعتبروا كيف جعلنا بلدهم مكة مكانًا آمنًا من القتل والأسر، والسلب والنهب، والناس من حولهم يسبي بعضهم بعضًا، ويُغيرون ويُنهبون ويتقاتلون؟ أو بعد هذه النعمة يعبدون الأصنام، ويكفرون بنعمة الله وفضله عليهم، ويكذبون نبي الله ويحقدون رسالة ربهم؟

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى

لِلْكَافِرِينَ} (العنكبوت : 68)

68- وليس هناك أعظم كذبًا ممن ادعى مع الله آلهة وعبدها معه، أو كذب بالقرآن والرسول حين مجيئه. ولكن أليس المثلوى الأخير لهذا الكافر جهنم، ليبقى فيها مُعَذَّبًا وخالدًا مُخَلَّدًا؟

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (العنكبوت : 69)
69- والذين جاهدوا المشركين في سبيلنا بإخلاصٍ وتقوى، لَنُبَصِّرَنَّهم طريقنا السوية التي
تأخذ بيدهم إلى الفوز والفلاح، وإنَّ الله مع المحسنين، الذين جاهدوا وتحملوا مشاقَّ الدعوة،
وصبروا على تكاليفِ الدين، فيؤيِّدُهُم ويُعِينُهُم في الحياةِ الدنيا، ويجزيهم ثوابًا عظيمًا يومَ
القيامة.

سورة الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{الم} (الروم : 1)

1- الحروف المقطعة لم يرد في تفسيرها حديث صحيح، والله أعلم بمعناها.

{عَلَيْتِ الرُّومُ} (الروم : 2)

2- عَلَيْتِ الرُّومُ في حربها مع الفرس،

{فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَّغْلِبُونَ} (الروم : 3)

3- في أقرب أرض الروم إلى فارس، فاستولى سابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها، وأقاصي بلاد الروم، حتى اضطر هرقل ملك الروم إلى اللجوء إلى القسطنطينية، وحوصر فيها مدة طويلة. وبعد أن هزمت الروم، ستنتصر على فارس،

{فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ} (الروم : 4)

4- بعد بضع سنوات، وهو ما بين الثلاث والتسع. والحكم والقضاء لله وحده، قبل الغلبة على الروم وبعدها. وعندما تنتصر الروم يفرح المسلمون،

{بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} (الروم : 5)

5- بنصر الله إياهم على فارس. وكان المشركون يحبون أن تنتصر فارس لأنهم أهل شرك، ويحب المسلمون أن تظهر الروم عليهم لأنهم أهل كتاب. والله ينصر من يشاء، فالأمر له وحده، وهو العزيز في انتقامه من أعدائه، الغالب الذي لا يفهر، الرحيم بعباده المؤمنين.

{وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (الروم : 6)

6- ووَعَدُ اللهُ بَنَصْرِ الرُّومِ عَلَى الفُرسِ وَعَدُّ حَقٌّ لَا يُخْلَفُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ، وَمِنْهُمْ مُشْرِكُو مَكَّةَ، لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي كَلَامِ اللهِ وَوَعْدِهِ، وَقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ فِي أَعْمَالِهِ.

{يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} (الروم : 7)

7- إِنَّمَا يَعْلَمُونَ ظَاهِرَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، كَأَمْرِ التَّكْسِبِ وَالتَّجَارَةِ، وَالعِرَاسِ وَالحِصَادِ، وَالشَّهَوَاتِ وَالمَلذَّاتِ، وَهُمْ سَاهُونَ عَنِ الدَّارِ الْآخِرَةِ، جَاهِلُونَ بِهَا، لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا وَلَا يَعْمَلُونَ لَهَا.

{أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ

مُتَسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} (الروم : 8)

8- أَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي أَنفُسِهِمْ وَطَبِيعَةِ تَكْوِينِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، وَفِي مَا حَوْلَهُمْ مِنْ أَعَاجِبِ الخَلْقِ، وَهَذِهِ السَّمَاوَاتِ الكَبِيرَةِ، وَالأَرْضِ وَمَا فِيهَا، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَأَنَّ اللهُ لَمْ يَخْلُقْهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَالعَدْلِ، وَالحِكْمَةِ وَفَائِدَةٍ، وَهُمَا مَخْلُوقَانِ إِلَى أَجَلٍ مُّحَدَّدٍ، هُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ، وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ بِالبَعْثِ وَالحِسَابِ، فَهُمْ مُعْرِضُونَ عَمَّا يَنْتَظِرُهُمْ بَعْدَ المَوْتِ.

{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً

وَأَنزَلُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ

لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} (الروم : 9)

9- أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ لِيَنْظُرُوا فِي آثَارِ المِكْدِّينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَيَسْأَلُوا العُلَمَاءَ عَنِ قِصَصِهِمْ، وَيَقْرَءُوا فِي الكُتُبِ عَنِ مَآلِهِمْ، وَيَعْتَبِرُوا مِنْ عَاقِبَةِ أَمْرِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ؟ فَقَدْ كَانُوا أَقْوَى مِنْهُمْ أَبْدَانًا، وَحَرَثُوا الأَرْضَ لِلزَّرَاعَةِ وَقَلَّبُوا تُرَابَهَا لِاسْتِخْرَاجِ مَا فِيهَا مِنْ مَّاءٍ وَمَعْدِنٍ وَغَيْرِهِ، وَاسْتَعْلَمُوا وَعَمَرُوهَا بِالعَرَسِ وَالصَّنَاعَاتِ وَالعِمَارَاتِ، أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرَهَا مُشْرِكُو مَكَّةَ.

وَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ، وَمُؤَيِّدِينَ بِمُعْجَزَاتٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، فَكَذَّبُوهُمْ وَعَانَدُوهُمْ، وَجَحَدُوا بِرِسَالَاتِ رَبِّهِمْ، فَأَهْلَكْنَاهُمْ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ بِمُعَاقِبَتِهِمْ، بَلْ كَانَ ذَلِكَ

جزاء فسادهم وجرائمهم ومعاصيهم، وعنادهم واستكبارهم، فهم الذين ظلموا أنفسهم بذلك.

{ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ } (الروم : 10)

10- ثم كانت النار عاقبة الذين أساءوا العمل، لأنهم كذبوا بمعجزات الله الظاهرة، واستهزؤوا بها واحتقروها، مع أنه لم يكن بمقدور أحد أن يأتي بمثلها.

{ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } (الروم : 11)

11- الله سبحانه ينشئ الخلق ابتداءً ولم يكونوا شيئاً، ثم يعيد نشأته بعد موته يوم البعث، ثم ترجعون إليه - أيها الناس - ليحازيكم على أعمالكم.

{ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ } (الروم : 12)

12- وعندما تقوم القيامة، ييأس المشركون من كل خير، فيسكتون ويكتسبون، وتنقطع حجتهم.

{ وَإِلَّمْ يَكُن لَّهُم مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءَ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ } (الروم : 13)

13- ولم تنفعهم عبادتهم للأصنام وغيرها، التي اتخذوها آلهة من دون الله، فلم تشفع لهم يوم القيامة وقد قذفوا في النار، فحسدوها وتبرؤوا منها عندما تبين لهم حقيقة أمرها.

{ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِعِدِ يُتَفَرَّقُونَ } (الروم : 14)

14- في ذلك اليوم العصيب، الذي يحاسب فيه كل على عمله، يتمييز المؤمنون عن الكافرين، ويتفرق بعضهم عن بعض، فلا يجتمعون بعدها أبداً.

{ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ } (الروم : 15)

15- فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّ، وَعَمِلُوا صَالِحًا بِإِخْلَاصٍ، فَهُمْ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ النَّضِرَةِ الْجَمِيلَةِ يَنَعَمُونَ وَيَسْعَدُونَ.

{وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْأَجْرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ} (الروم: 16)

16- وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَجَحَدُوا بِالمعجزاتِ التي أُيِّدَ بها رُسُلُه، وبالآدلةِ والبراهينِ الدالةِ على وحدانيتهِ وقدرتهِ، وبالبعثِ والحسابِ بعدَ الموتِ، فأولئك مُقيمونَ في العذابِ، لا يغيبونَ عنه أبداً.

{فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ} (الروم : 17)

17- فَتَقَدَّسَ اللَّهُ وَتَنَزَّهَ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ المَشْرِكُونَ مِنْ نَقْصٍ وَعَيْبٍ، فَسَبَّحُوهُ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ وَنَزَّهُوهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِشَأْنِهِ، عِنْدَ المَسَاءِ وَالمَلِيْلِ يُقْبَلُ، وَعِنْدَ الصُّبْحِ وَالنَّهَارِ يُسْفَرُ.

{وَلَهُ المُحْمَدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ} (الروم : 18)

18- وَلَهُ الفَضْلُ وَالنَّعْمَةُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، المَحْمُودُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، يَحْمَدُهُ أَهْلُهَا وَيُصَلُّونَ لَهُ، حِينَ يَشْتَدُّ اللَّيْلُ بِظُلَامِهِ، وَعِنْدَمَا يَتَجَلَّى النَّهَارُ بِضِيَّائِهِ.

{يُخْرِجُ الحَيِّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} (الروم : 19)

19- هُوَ اللَّهُ الخَالِقُ القَادِرُ، الَّذِي يُخْرِجُ الحَيِّ مِنَ المَيِّتِ، فَيُخْرِجُ الزَّرْعَ مِنَ الحَبَّةِ، وَالفَرْخَ مِنَ البَيْضَةِ، وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ، فَيُخْرِجُ الحَبَّةَ مِنَ الزَّرْعِ، وَالبَيْضَ مِنَ الطَّيْرِ وَغَيْرِهِ، وَيُمِيتُ أَشْيَاءَ لَتَكُونَ مادَّةً لِحياةٍ أُخرى فِي الإنسانِ وَالكُونِ. كما يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، فَيُخْرِجُ نَبَاتَهَا وَزَرْعَهَا، كَذَلِكَ يُحْيِيكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ، فَيُخْرِجُكُمْ أَحْيَاءً مِنْ قُبُورِكُمْ إِلَى المَحْشَرِ لِلحِسَابِ.

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} (الروم : 20)

20- وَمِنْ آيَاتِهِ الدَّالَّةُ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ، أَنْ خَلَقَ أَسْلَافَكُمْ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ كَثِيرٌ تَنْتَشِرُونَ فِي الْأَرْضِ.

{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (الروم : 21)

21- وَمِنْ آيَاتِهِ الْعَظِيمَةِ أَنْ خَلَقَ لِأَجْلِكُمْ، إِنَاثًا مِنْ جِنْسِكُمْ، تَتَزَوَّجُونَ بِهِنَّ، لَتَمِيلُوا إِلَيْهِنَّ وَتَتَأَلَّفُوا مَعَهُنَّ وَتَطْمَئِنُّوا، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ مَحَبَّةً وَرَأْفَةً، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ صِلَةٌ رَحِمَ. وَفِي ذَلِكَ آيَاتٌ وَعِبْرَةٌ، لِمَنْ أُوتِيَ فِكْرًا وَوَعْيًا، وَتَدَبَّرًا وَفَهْمًا.

{ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ } (الروم : 22)

22- وَمِنْ آيَاتِهِ الْكَبِيرَةِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ، خَلْقُ السَّمَاوَاتِ الْعَظِيمَةِ، بَارْتِفَاعِهَا وَسَعَتِهَا، وَمَا فِيهَا مِنْ كَوَاكِبٍ وَنُجُومٍ وَأَجْرَامٍ، تَسِيرُ وَتَدُورُ بِمَوَازِينَ دَقِيقَةٍ، دُونَ أَنْ يَتَصَادَمَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ.

وَخَلَقَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا مِنْ بَحَارٍ وَيَابِسَةٍ، وَجِبَالٍ وَوُودِيَانٍ، وَحَيَوَانَاتٍ بِأَنْوَاعِهَا الْبَرِّيَّةِ وَالْبَحْرِيَّةِ، وَشَجَرٍ وَزَّرْعٍ، وَمَعْدِنٍ وَنَقْطٍ...

وَمِنْ آيَاتِهِ اخْتِلَافُ لُغَاتِكُمْ، فَلِكُلِّ قَوْمٍ لُغَتُهُ، وَلِكُلِّ قَبِيلَةٍ لَهْجَتُهَا، وَهِيَ بِالْآلَافِ، وَلَا يَفْهَمُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ إِلَّا أَنْ يَتَعَلَّمُوا لُغَتَهُمْ، أَوْ تُتَرَجَّمْ لَهُمْ!

وَمِنْ آيَاتِهِ كَذَلِكَ اخْتِلَافُ أَلْوَانِكُمْ، بَيْنَ أبيضٍ وَأَسْوَدٍ، وَأَحْمَرَ وَأَصْفَرَ، وَكُلُّكُمْ أَبْنَاءُ رَجُلٍ وَاحِدٍ.

وَفِي ذَلِكَ كُتُبٌ بَرَاهِينُ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَكَمَالِ إِبْدَاعِهِ، لِمَنْ أُوتِيَ عِلْمًا وَفَهْمًا وَتَدَبَّرًا.

يَذَكِّرُ الْعُلَمَاءُ فِي هَذَا الْعَصْرِ أَنَّ لِكُلِّ شَخْصٍ لَوْثُهُ الْخَاصُّ بِهِ، وَأَنَّ الْعَيْنَ الْبَشَرِيَّةَ تُفَرِّقُ بَيْنَ دَرَجَاتٍ عَدِيدَةٍ جَدًّا مِنَ اللَّوْنِ الْوَاحِدِ. وَيُلاحِظُ أَنَّ الَّذِينَ بَشَرْتُهُمْ سَوْدَاءٌ، أَوْ شَدِيدَةُ السُّمْرَةِ، يَعِيشُونَ فِي خَطِّ الاسْتِواءِ، وَالْمَادَّةُ الدَّاكِنَةُ مِنْ خِصَائِصِهَا امْتِصَاصُ الْأَشِعَّةِ فَوْقَ الْبِنْفَسَجِيَّةِ الضَّارَّةِ.

{ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ } (الروم : 23)

23- وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ هَيَّا لَكُمْ أَسْبَابَ الرِّاحَةِ بِالنُّومِ، وَمَكَّنَكُمْ مِنْ طَلَبِ الرِّزْقِ لَيْلاً وَنَهَاراً، وَفِي ذَلِكَ أُدْلَةٌ عَلَى قُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ، لِمَنْ شَأْنُهُ أَنْ يَعِيَ مَا يَسْمَعُ، وَيَعْتَبِرَ مِمَّا يَرَى.

{ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (الروم : 24)

24- وَمِنْ آيَاتِهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ لِتَخَافُوا مِنَ الصَّوَاعِقِ الَّتِي تَقْتُلُ وَتُحْرِقُ، وَهِيَ تُذَكِّرُ بَعْدَايِهِ وَنِقْمَتِهِ، وَتَدُلُّ عَلَى قُوَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَقَدْ تَكُونُ إِشَارَةً إِلَى رَحْمَةٍ فَتَطْمَعُونَ فِي الْمَطَرِ الَّذِي تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ. وَيُنزِّلُ الْمَاءَ مِنَ السَّحَابِ فَيُحْيِي بِسَبَبِهِ الْأَرْضَ، مِنْ زَرْعٍ وَثَمَرٍ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ جَدْبَةً يَابِسَةً لَا نَبَاتَ فِيهَا، وَفِي ذَلِكَ آيَةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى الْإِحْيَاءِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، لِمَنْ اسْتَعْمَلَ عَقْلَهُ وَكَانَ مِنَ الْمُتَبَصِّرِينَ.

{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ
تَخْرُجُونَ } (الروم : 25)

25- وَمِنْ آيَاتِهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَدُومَ قِيَامُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَيَثْبُتَا هَكَذَا بِأَمْرِهِ دُونَ أَنْ يَعْتَرِيَ نِظَامَهُمَا خَلَلٌ وَعَيْبٌ، ثُمَّ إِذَا أَمَرَكُمْ بِالخُرُوجِ مِنَ الْقُبُورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ مِنْهَا وَتُبْعَثُونَ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

{ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِطُونَ } (الروم : 26)

26- وَلَهُ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، خَلْقًا، وَمُلْكًا، وَتَصَرُّفًا، وَالْكُلُّ خَاضِعُونَ لَهُ وَمُطِيعُونَ، لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْ أَمْرِهِ وَلَا يَمْتَنِعُونَ، طَوْعًا وَكَرْهًا.

{ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (الروم : 27)

27- هو الله الخالق القادر، الذي يخلق ابتداءً، ثم يعيد الخلق بعد الموت، والإعادة أسهل عليه من الخلق، وكلاهما بالنسبة إلى قدرة الله سواء. والمراد تقريب الأمر إلى عقول الجهلة المنكرين للبعث، وإعادة إيجاد شيء له أثر، أيسر من إيجاد من العدم. وله جل شأنه الحكمة التامة، والصفة الكاملة، و{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [سورة الشورى: 11]، كما عُرفَ بذلك بين المعتد بهم من أهل السماوات والأرض، وهو العزيز الذي غلب كل شيء وقهره، الحكيم في أقواله وأفعاله.

{ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُوهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (الروم : 28)

28- ضرب الله لكم مثلاً يتبين فيه بطلان الشرك، تفهمونه من أنفسكم: هل يرضى أحدكم أن يكون عبيداً له شركاء له في ماله، فتكونون أنتم وهم سواء في المال؟ تخافون أن يشاركوكم ويقاسموكم فيه كما تخافون أن يشارككم الحُرُّ في مال بينكما؟ إن أحدكم لا يرضى ذلك ولا يخاف منه، لأن هذا الأمر غير جارٍ أصلاً، فالعبيد كالمال مملوكون. فإذا لم ترضوا بهذا لأنفسكم، ولم تخافوا منه، فكيف ترضون أن تكون أصنامكم التي تعبدونها شركائي وهي من عبدي ومخلوقاتي؟!

ومثل هذا نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَنُبَيِّنُهَا، لِقَوْمٍ يَسْتَعْمِلُونَ عُقُولَهُمْ، ويتدبرون في ضرب الأمثال لهم.

{ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ } (الروم : 29)

29- بل اتبع المشركون أهواءهم الزائغة، وأفكارهم المنحرفة بعبادتهم الأصنام، دون أن يكون لهم مُسْتَنَدٌ عِلْمِيٌّ، فلا يقدر أحدٌ على هدايتهم وقد أضلَّهُمُ اللهُ؛ لعنادهم واستكبارهم عن اتباع الحق، ولا ناصر لهم من أمر الله، ولا مُنْقِذَ لهم من عذابه.

{ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ
الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (الروم : 30)

30- فلا تَلْتَفِتْ إليهم ولا تَحْزَنْ عليهم، واهتمَّ بما أمَرَكَ اللهُ به، وسَدِّدْ وَجْهَكَ نَحْوَ دِينِهِ،
مائلاً مِنْ كُلِّ باطِلٍ إليه، واستَقِمْ عليه، فهو ما هَدَاكَ اللهُ إليه، وفَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ دِينُ
التَّوْحِيدِ، الَّذِي يُطَابِقُ الفِطْرَةَ السَّليمةَ، لا يَنْحَرِفُ عَنْهُ إِلَّا مُعَانِدٌ مُسْتَكْبِرٌ. لا تَغْيِرَ لِدِينِ اللهِ،
فَالدِّينُ وَالْفِطْرَةُ: الإسلام، الَّذِي هُوَ دِينُ الأنبياءِ جَمِيعاً، الدِّينُ الَّذِي لا عِوَجَ وَلا انْحِرَافَ فِيهِ
عَنِ الحَقِّ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ، وَلِذَلِكَ فَهَمْ يَصُدُّونَ عَنْهُ.

{ مُبِينًا إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (الروم : 31)

31- فتَوَجَّهوا إِلَى اللهِ تَائِبِينَ مُخْلِصِينَ فِي طَاعَتِكُمْ، واحشَوْهُ وراقبُوهُ فِي أقوالِكُمْ وأعمالِكُمْ،
وواظبوا على إقامَةِ الصَّلَاةِ، وَلا تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ باللهِ،

{ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } (الروم : 32)

32- مِنَ الَّذِينَ اختلفوا فِي دِينِهِمْ وَبَدَّلُوهُ وَصاروا يَعْبُدُونَ أصناماً وَغَيْرَها على اختلافِ
أهوائِهِمْ، وَكانوا فِرَقاً وَأحزاباً عَدِيدَةً، كُلُّ يَتَّبِعُ إمامَهُ وَرئيسَهُ، وَكُلُّ فِرْقَةٍ مِنْ هؤُلاءِ المَنحَرِفِينَ
مَسْرُورُونَ، ظَنًّا مِنْهُمْ بأنَّهُمْ على حَقِّ!

{ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَدَّاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ
يُشْرِكُونَ } (الروم : 33)

33- وَإِذَا أَصابَ النَّاسَ شِدَّةٌ وَبلاءٌ، دَعَوْا اللهُ وَحدهُ، وَرجَعوا إِلَيْهِ، وَلم يَسْتَغِيثُوا بالأصنامِ
والأوثانِ، فَإِذا فَرَّجَ عَنْهُمْ، وَأَنعمَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلِهِ، إِذا قَسَمَ مِنْ هؤُلاءِ الَّذِينَ دَعَوْهُ فِي حالِ
الاضْطِرارِ يُشْرِكُونَ بِهِ، وَيَعْبُدُونَ مَعَهُ الأصنامَ!

{ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } (الروم : 34)

34- لِيَكُونَ عَاقِبَتَهُمْ فِي ذَلِكَ كَفْرُهُمْ بِمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْنِ وَالْعَافِيَةِ، وَالْمَالِ وَالْوَالِدِ، فَتَمَتَّتَعُوا بِهَذِهِ الشَّهَوَاتِ الْفَانِيَةِ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ نَتِيحَةَ مَا تُقَدِّمُونَ عَلَيْهِ وَتَنْسَوْنَ فِيهِ أَمْرَ رَبِّكُمْ.

{ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ } (الروم : 35)

35- أم أنزلنا على المشركين علماً فهو ينطق بشركهم، أو حجةً تحتج لهم وتأمريهم بالشرك؟ ليس لهم شيء من ذلك.

{ وَإِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ }

(الروم : 36)

36- وإذا أسبغنا على الناس نعمة، من صحة ومال، وجاه وولد، بطروا وأشروا، وعصوا وأفسدوا، بدل أن يشكروا ربهم ويزيدوا من طاعتهم له. وإذا أصابهم قحط وبلاء، بسبب أعمالهم السيئة وجرائمهم المتكررة، إذا هم آيسون من الخير، لا يتوقعون بعدها رحمة من ربهم!

{ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }

(الروم : 37)

37- أولاً ينظرون كيف يوسع الله الرزق على من يشاء من عباده، ويضيّق على آخرين منهم؟ إن في هذا لعبرة لمن يؤمن بأن الله بيده كل شيء، من رزق وغيره، ولو أنهم تفكروا في هذا وتدبروه، لعلموا أن المتصرف في رزقهم وأمرهم كله هو الله سبحانه، فلم يبطروا، ولم يياسوا.

{ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (الروم : 38)

38- فأعطِ الأقرباءَ حَقَّهُمْ مِنَ الصَّلَةِ وَالصَّدَقَةِ، وَالْمَسْكِينَ الَّذِي لَا مَالَ عِنْدَهُ، وَابْنَ السَّبِيلِ الَّذِي سَافَرَ وَاحْتَاجَ إِلَى نَفَقَةٍ، فَهَذَا أَفْضَلُ لِمَنْ يَبْتَغُونَ الثَّوَابَ مِنَ اللَّهِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الْإِنْفَاقِ لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَهُمْ بِذَلِكَ مِنَ الْفَائِزِينَ.

{ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّاً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ } (الروم : 39)

39- وَإِذَا أُعْطِيتُمْ عَطِيَّةً تُرِيدُونَ بِهَا أَنْ يُرَدَّ عَلَيْكُمْ بِأَكْثَرِ مِمَّا أَهْدَيْتُمُوهُ، فَلَا ثَوَابَ عَلَيْهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ جَائِزًا. وَإِذَا أُعْطِيتُمْ صَدَقَةً تَبْتَغُونَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُمْ، وَيُضَاعِفُ لَهُمُ الثَّوَابَ.

{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } (الروم : 40)

40- اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَلَا قُدْرَةَ لَكُمْ عَلَى الْكَسْبِ، وَأَعْطَاكُمْ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَسَائِرَ الْأَعْضَاءِ وَالْحَوَاسِّ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْعَامِ وَالزُّرُوعِ، ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ فَلَا يَمْتَنِعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ وَيَبْعَثُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ، فَهَلْ مِنْ أَصْنَامِكُمْ الَّتِي تَزْعُمُونَ أَنَّهَا آلِهَةٌ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؟ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، لَا أَنْتُمْ وَلَا أَصْنَامُكُمْ، فَاللَّهُ هُوَ الْمُسْتَقِيلُ بِالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ.

{ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } (الروم : 41)

41- ظَهَرَ الْفَسَادُ، مِنَ الْمَعَاصِي وَقَطْعِ الطَّرِيقِ وَالظُّلْمِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَغَيْرِهَا، فِي الْبَرِّ، وَفِي الْمَدِينِ وَالْقُرَى الَّتِي عَلَى الْأَنْهَارِ وَالْبِحَارِ، بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ وَجَرَائِمِهِمْ، وَلِيُعَاقِبَهُمُ اللَّهُ عَلَى فِسَادِهِمْ بِابْتِلَائِهِمْ، بِنَقْصِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمَرَاتِ، لَعَلَّهُمْ بِذَلِكَ يَرْجِعُونَ عَنْ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ.

{ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ }
(الروم : 42)

42- قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ: سِيرُوا فِي الْأَرْضِ واقْرؤُوا التَّوَارِيخَ، وانظروا في الآثار، واستمعوا إلى القَصَصِ والأخبار، لتعلموا كيف كانت عاقبة الذين من قبلكم، كان أكثرهم مشركين، فأهلكهم الله وأذاقهم سوء العاقبة، جزاء تكذيبهم رسل ربهم، وإصرارهم على الكفر والظلم والإفساد في الأرض.

{ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ }
(الروم : 43)

43- فَسَدِّدْ وَجْهَكَ نَحْوَ دِينِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ وامض فيه، قبل أن يأتي يوم القيامة، الذي لا يستطيع أحد على رده، لأنه بأمر الله سبحانه، يومئذ يتفرق الناس، فريق في الجنة، وفريق في النار.

{ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ } (الروم : 44)

44- مَنْ جَحَدَ آيَاتِنَا وَكَفَرَ بِنِعْمِنَا، فعليه وبال كُفْرِهِمْ وتكذيبهم، وهو العذاب المؤبد في النار، ومن أطاع الله وعمل الأعمال الصالحة، فلأنفسهم يستعدون، ولجنات النعيم يتهيئون.

{ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ } (الروم : 45)

45- لِيُثِيبَ اللَّهُ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا⁽¹⁰⁶⁾ أكثر من ثواب أعمالهم، ويجزيهم أضعاف حسناتهم، فهو سبحانه يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ، ويغض الكافرين، ولكنه يعدل فيهم فلا يعدُّهم بأكثر مما يستحقون.

(106) { وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } يقول: وعملوا بما أمرهم الله. (الطبري)، وهي ما أريد به وجهه الله تعالى ورضاه. (روح البيان).

{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَحْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } (الروم : 46)

46- وَمِنْ حُجَجِهِ الدَّالَّةُ عَلَى قُدْرَتِهِ، أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَةً بِالْمَطَرِ، لِيُصَيِّبَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، فَيُعِيْثُ بِهِ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ، مِنَ الرِّيحِ وَالْخِصْبِ وَالنَّمَاءِ، وَلِتَحْرِيَ السُّفُنُ فِي الْبَحْرِ عِنْدَ هُبُوبِهَا بِأَمْرِهِ، وَلِتَطْلُبُوا مِنْ رِزْقِهِ بِالْكَسْبِ وَالتَّجَارَةِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَلِتَشْكُرُوا رَبَّكُمْ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ.

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ } (الروم : 47)

47- وكما أرسلناك إلى قومك، فقد أرسلنا من قبلك رسلاً كثيرين إلى أقوامهم، فجاءوهم بالمعجزات الواضحات، والبراهين القاطعات، الدالة على صدقهم وصحة رسالتهم، كما جئت قومك بالبيّنات، فمنهم من آمن بهم ومنهم من كذبهم، فانتقمنا من الذين كذبوهم وخالفوهم وعدّ بناهم، وكان حقاً علينا أن ننصر المؤمنين ونتقم من أجلهم، وننقدهم من العذاب.

{ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوُدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } (الروم : 48)

48- اللهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَبْعَثُ الرِّيحَ، فَتُحَرِّكُ السَّحَابَ وَتَنْشُرُهُ، فَيَمْدُهُ وَيَبْسُطُهُ فِي الْجَوِّ بَسْطًا، مُتَّصِلًا تَارَةً وَقِطْعًا مُتَفَرِّقَةً تَارَةً، فَتَرَى الْمَطَرَ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْزِلُ مِنْ بَيْنِهِ، فَإِذَا أَنْزَلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، إِذَا هُمْ يَفْرَحُونَ بِهِ وَيُسْرُونَ.

{ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ } (الروم : 49)

49- وقد كانوا من قبل أن ينزل عليهم المطر آيسين من نزوله، فما كانوا قادرين على أن يفعلوا شيئاً، وما كانوا يجدون مقدمات المطر، وقد ذهب وقته أو كاد.

{فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الروم : 50)

50- فانظر إلى نتيجته نزل المطر الذي رحمهم الله به، كيف اهتزت الأرض وانتعشت وأنبتت من كل زوج بهيج، بعد أن كانت يابسة قاحلة لا حياة فيها، إن الذي أحيا الأرض بعد موتها، قادر على إحياء البشر بعد موتهم، وهو قادر على هذا وعلى كل شيء، {هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كُنْ فَيَكُونُ} [سورة غافر: 68].

{وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ} (الروم : 51)

51- وإذا أرسلنا ريحاً يابسة على زرعهم فأفسدته، وأرأوه أصفر ميتاً بعد استواء واحضرار، ضجروا وحنقوا وأنكروا ما سبق أن أنعمنا عليهم من النعم والخيرات.

{فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ} (الروم : 52)

52- فإنك لا تسمع من كان ميت القلب بتلاوة آيات القرآن وكلامك المؤثر، فهم لا يفقهون ولا يعون ما تقول، ولا تسمع من سد أذنيه عن سماع الحق، لأنهم لا يريدون سماعه، ولا يريدون أن ينفذ إلى قلوبهم، فهم معرضون عن رسالة الله، غير مستعدين لقبولها.

{وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِّي عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ} (الروم : 53)

53- ولا تستطيع أن تهدي العمي القلب وتصرفهم عما هم فيه من ضلال، أنت لا تسمع إلا الذين فتحوا قلوبهم للإيمان، وصدقوا بأن القرآن من عند الله، فهؤلاء هم الذين يسمعون حقاً ما تتلو عليهم وما تُرشدهم إليه، لأنهم مسلمون مخلصون في إيمانهم، منقادون للحق.

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} (الروم : 54)

54- الله الذي خلقكم من نُطفةٍ ضَعِيفَةٍ، ثمَّ جعلكم تَتَنَقَّلُونَ في أَطوارِ الخَلْقِ حالاً بعدَ حالٍ، فجعلكم بعدَ ضَعْفِ النُّطفَةِ والطُّفولَةِ شَبَاباً ورجالاً ذَوِي قُوَّةٍ وبأسٍ، ثمَّ جعلكم مِن بعدِ قُوَّتِكُمْ تَنحَدِرُونَ إلى الضَّعْفِ والشَّيْبَةِ، فَتَضَعُفُ هِمَّتِكُمْ، وَتَقِلُّ حَرَكَتِكُمْ، وَتَخْتَلُّ صِحَّتِكُمْ، وَتَعُودُونَ ضُعْفَاءَ كما كُنْتُمْ. وَاللَّهُ يَخْلُقُ ما يَشَاءُ كما يَشَاءُ، وَهُوَ العَلِيمُ بِتَدْبِيرِ خَلْقِهِ، القَدِيرُ على ما يَشَاءُ.

{ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ } (الروم : 55)

55- وَعندَما تَقُومُ القِيامَةُ يَحْلِفُ الكافِرُونَ أَنَّهُمْ لَمْ يَبِثُوا في الدُّنْيا أَكْثَرَ مِن ساعَةٍ واحِدَةٍ! رَبِّما لِيَقولُوا إِنَّهُمْ لَمْ يُعْطُوا وَقْتاً كافِياً حَتَّى يُفَكِّروا في دِينِ اللَّهِ! وَمِثْلُ هذا الكَذِبِ كانوا يَكْذِبُونَ في الدُّنْيا، وَيَقولُونَ لا بَعَثَ بعدَ المَوتِ، ولا ثَوابَ ولا عِقابَ...

{ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ في كِتابِ اللَّهِ إلى يَوْمِ البَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ البَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ } (الروم : 56)

56- وَقَالَ لَهُمُ العُلَماءُ مِنَ المُؤْمِنِينَ: لَقَدْ بَقِيتُمْ في قِضائِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ مِن يَوْمِ خَلْقِكُمْ في الدُّنْيا إلى يَوْمِ البَعْثِ، وَهذا هُوَ يَوْمُ البَعْثِ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعِدُونَ بِهِ في الدُّنْيا، وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ مُقْصِرِينَ في النَظَرِ والتَدَبُّرِ، مُعانِدِينَ لِلرِسلِ وَمُصْرِبِينَ على الكُفْرِ والتَّكْذِيبِ، وَما كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِالْبَعْثِ وَالْحِسابِ على الأَعْمالِ.

{ فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ } (الروم : 57)

57- فِفي يَوْمِ القِيامَةِ لا يَنْفَعُ الكافِرِينَ اِعْتِذارُهُمْ عَن أَعْمالِهِمُ السَّيِّئَةِ، وَلا يُنْظَرُ إلى طَلِبِهِمْ بِرَفْعِ العَتَبِ وَاللَّوْمِ عَنْهُمْ وإِرجاعِهِمْ إلى الدُّنْيا لِيَعْمَلُوا صالِحاً كما يَقولون، بلْ يُجاسِبُونَ على كُلِّ ما عَمِلُوا مِن قَبْلُ.

{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ} (الروم : 58)

58- ولقد بيّنا للناس في هذا القرآن الحقّ وكرّناهُ بأنواع الخطابِ والبيان، وضرّنا لهم فيه الأمثال، وسردنا لهم فيه القصص لنقرّبه إلى أفهامهم، وليتفكروا فيه ويتبعوه، وإذا أتيت هؤلاء المشركين بدليلٍ وحجّةٍ لقالوا عنادًا واستكبارًا: هذا كذبٌ وباطل!

{كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (الروم : 59)

59- وهكذا يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون دين الله ولا يتحرّون طلب الحقّ، ويستَهزؤون برسوله وكتبه، ويصرون على ما هم عليه من كفرٍ ومعصية.

{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} (الروم : 60)

60- فإذا عرفت - أيها النبي - أنّ حالهم هكذا، وأنهم جاهلون إلى هذا الحدّ، فاصبر على مخالفتهم وعنادهم، إنّ الله ناصرٌك ومُنجزٌ ما وعدك به، ولا يحملنك على القلق والتسرّع باطلُ المبطلين، الذين لا يؤمنون بما تؤمن به من التوحيد والبعث والحساب.

سورة لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{الم} {لقمان : 1}

1- الحروف المقطّعة لم يرد في تفسيرها حديث صحيح، واختلف المفسّرون في معناها.

{تلك آيات الكتاب الحكيم} {لقمان : 2}

2- هذه السورة آيات من القرآن الناطق بالحكمة، المنزل من لدن حكيم خبير.

{هدى ورحمة للمحسنين} {لقمان : 3}

3- هداية للقلوب، وإرشاداً لها إلى الحق والسداد، ورحمة لمن أحسن العمل وأتبع الشرع.

{الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون} {لقمان : 4}

4- الذين يواظبون على إقامة الصلاة بأركانها وشروطها وفي أوقاتها، ويعطون الزكاة لمستحقيها من الفقراء ومن في حكمهم، ويؤمنون بالبعث بعد الموت، والحساب والجزاء، والجنة والنار،

{أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون} {لقمان : 5}

5- أولئك المؤمنون على نور وبصيرة من الله، وعلى استقامة وسداد، وهم الذين أدركوا ما طلبوه، وفازوا بالثواب والخلود في الجنان.

{ومن الناس من يشترى هو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً

{أولئك هم عداب مهين} {لقمان : 6}

6- وبعض الناس يقبلون على الحديث الذي لا ينتفع به ولا يرضي الله، كالمزكّر منه والباطل، وكل ما شغل عن عبادة الله وذكره، من السّهات والمضحكات والأدب الماجن

والغناء ونحوه، ليصرفوا الناس عن دين الله الحق جهلاً منهم به وبعظمته، ويستتهزؤوا بالنهج المستقيم الذي رضيَهُ اللهُ لعباده، يأخذُ بهم إلى السعادة والنجاة، فأولئك لهم عذاب مؤلمٌ مُوجع، مع الذل والهوان، جزاء إهانتهم الحق وإيثارهم الباطل عليه.

{ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّضَهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ } { لقمان : 7 }

7- وهذا المستهزئُ اللّاهي إذا قرئت عليه آيات القرآن الكريم، أدبر عنها في تكبر واستعلاء ولم يلتفت إليها، كأنه لم يسمعها لصمم فيه، وما به صمم، فأعلمه بمصيره يوم القيامة، وهو العذاب الشديد الدائم.

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ } { لقمان : 8 }

8- إن الذين آمنوا وأخلصوا في إيمانهم، وأتبعوه بالأعمال الصالحة الموافقة للشريعة، لهم في اليوم الآخر جنات يتنعمون فيها ويسعدون.

{ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } { لقمان : 9 }

9- ماكين فيها أبداً، لا يموتون فيها ولا يبعثون غيرها من النعيم، وهذا وعد من الله حق، لا شك فيه، والله عزيز لا يمتنع من إنجاز ما وعد به شيء، حكيم يضع الأمور في مواضعها كما ينبغي أن تكون.

{ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ } { لقمان : 10 }

10- الذي خلق السموات السبع العالية الواسعة بغير أعمدة وركائز ترونها. يذكر العلماء في هذا العصر أنه إشارة إلى قوة الجذب التي لا ترى، فيما بين المجرات والكواكب والكُتل التي في السماء.

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ جِبَالًا مِّنْ ضَخْمَةٍ مَّرْتَفَعَةٍ لِتَبْتَئَ بِهَا وَلَا تَضْطَرِبَ بِكُمْ، وَنَشَرَ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّحَابِ مَطَرًا، فَأَنْبَتْنَا بِسَبَبِهِ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ مَا هُوَ حَسَنٌ مَنَظَرُهُ، وَمُفِيدٌ نَوْعُهُ.

{ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } (لقمان : 11)

11- هذا ما خلقه الله وقدره، فأخبروني ما الذي خلقته الأصنام أو غيرها مما تعبدونه وتدعون ألوهيته؟ بل المشركون في جهل وعمى واضح بين.

{ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ } (لقمان : 12)

12- ولقد آتينا لقمان العقل والفهم والبطنة، والإصابة في الأمور والعمل بها. ذكر أنه كان عبدا حبشيا في زمن داود عليه السلام، وكان وليا حكيما ولم يكن نبيا. أن اشكر لله على ما منحك من فضله، وهبك من الحكمة، ومن يشكر لله يعد نفعه عليه، فإنه يستجلب له المزيد من الخير في الدنيا، ويزيد من أجره في الآخرة، ومن جحد نعمة الله فلن يضره بشيء، فهو سبحانه محمود بلسان الحال، وهو غني عن حمد حامدين، وشكر الشاكرين، وكفران النعمة يكون وبالاً على صاحبه، فيجلب له النعمة والهلاك، والسخط والعذاب.

{ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } (لقمان : 13)

13- واذكر قول لقمان لابنه وهو يعظه ويخوفه: يا بني، لا تشرك بالله، فإن عبادة غير الله معه ظلم عظيم، فإنه وضع للشيء في غير موضعه، وتسوية للإله بغيره، وشكر لمن لم يفعل شيئا ولا يستحقه.

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي سَامِيٍّ أَنْ أَشْكُرَ لِي
وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} (لقمان : 14)

14- قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ مَا مَعْنَاهُ: وَأَمَرْنَا الْإِنْسَانَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ، يَبْرُهُمَا وَيَعْطِفُ عَلَيْهِمَا، وَيَتَعَهَّدُهُمَا وَيُشْفِقُ عَلَيْهِمَا، وَيُنْفِقُ عَلَيْهِمَا، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ فِي بَطْنِهَا ضَعْفًا عَلَى ضَعْفٍ، وَمَشَقَّةً بَعْدَ مَشَقَّةٍ، وَفِطَامُهُ فِي سَامِيٍّ بَعْدَ الْوِلَادَةِ، أَنْ أَشْكُرَ لِي بِالطَّاعَةِ وَفِعْلٍ مَا يُرْضِي، وَلِوَالِدَيْكَ بِالصَّلَةِ وَالْبِرِّ وَالذُّعَاءِ، وَإِلَىٰ مَصِيرِكَ، وَعَلَيَّ حِسَابُكَ، لِأَجْرِيكَ أَوْفَرَ الْجَزَاءِ.

{وَأِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا
مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (لقمان : 15)

15- وَإِذَا بَدَلَا جُهِدَهُمَا وَحَرَصَا عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي شَيْئًا لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا وَلَا يَسْتَقِيمَ، لَكِنَّهُ عَقِيدَتُهُمَا، فَلَا تَسْمَعُ مِنْهُمَا، فَـ"لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ" كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، وَلَكِنْ دَارَهُمَا فِي الدُّنْيَا، وَصَاحِبُهُمَا بِالْعَشْرَةِ الْجَمِيلَةِ، بِمَا يُؤَافِقُ الشَّرْعَ وَيَقْتَضِيهِ الْكَرَمُ وَالْمَرْوَةُ، كِاطْعَامِهِمَا، وَعِيَادَتِهِمَا إِذَا مَرِضَا، وَاتَّبِعْ طَرِيقَ مَنْ أَقْبَلَ عَلَى طَاعَتِي، وَلَا تَتَّبِعْ طَرِيقَهُمَا فِي الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ، ثُمَّ إِلَيَّ مَصِيرُكُمْ جَمِيعًا، مَنْ آمَنَ وَمَنْ كَفَرَ، لِأَجْرِي كُلًّا بِمَا عَمِلَ.

{يَا بُنَيَّ إِنَّ تَكُ مِنْ ثَمَرِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي
الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} (لقمان : 16)

16- قَالَ لُقْمَانُ يَعِظُ ابْنَهُ: يَا بُنَيَّ، إِنَّ الْخَصْلَةَ مِنَ الْإِسَاءَةِ وَالْإِحْسَانَ، مَهْمَا كَانَتْ صَغِيرَةً حَقِيرَةً، كَرْنَةَ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ⁽¹⁰⁷⁾، فَتَكُونُ فِي أَحْفَى مَكَانٍ، كَجَوْفِ صَخْرَةٍ، أَوْ فِي أَيِّ مَكَانٍ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يُخْضِرُّهَا اللَّهُ، وَيُجَاسِبُ مَنْ عَمِلَ بِقَدْرِهَا، إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ بِكَيْفِيَّةِ اسْتِخْرَاجِهَا وَإِحْضَارِهَا، عَالِمٌ بِكُنْهَى وَمَكَانِهَا.

(107) الخَرْدَلُ نَبَاتٌ عَشْبِيٌّ، تُسْتَعْمَلُ بَزْوَرُهُ فِي الطَّبِّ، وَيُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الصَّغَرِ. (يَنْظُرُ الْمَعْجَمُ الْوَسِيطَ).

{ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } (لقمان : 17)

17- يا بُنَيَّ، واضْبُ على إقَامَةِ الصَّلَاةِ فِي وَقْتِهَا، وَمُحْدِودِهَا وَأَرْكَانِهَا، وَأْمُرْ بِمَا هُوَ خَيْرٌ وَحَسَنٌ مِنَ الْأُمُورِ، وَأَنَّهُ عَمَّا هُوَ فَاحِشٌ وَسَيِّئٌ، بِحَسَبِ طَاقَتِكَ وَجُهْدِكَ، إِنْ اسْتَطَعْتَ بِالْيَدِ فَبِالْيَدِ، وَإِلَّا فَبِلِسَانِكَ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِكَ، وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ مِنَ الْأَذَى بِسَبَبِ أَمْرِكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِكَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنَّ مَا تَقُومُ بِهِ إِصْلَاحٌ وَفَضِيلَةٌ عَظِيمَةٌ تُوجِبُ مِنْكَ التَّهَيُّؤَ لَذَلِكَ وَالصَّبْرَ عَلَيْهِ، وَالصَّبْرُ مِنْ قُوَّةِ الْعَزْمِ، وَالهِمَّةِ الْعَالِيَةِ.

{ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } (لقمان : 18)

18- وَلَا تُعْرِضْ بَوَجْهِكَ عَنِ النَّاسِ إِذَا كَلَّمْتَهُمْ أَوْ كَلَّمُوكَ؛ اسْتِكْبَارًا عَلَيْهِمْ وَتَحْقِيرًا لِنَفْسِهِمْ، وَلَكِنْ أَلِنْ جَانِبَكَ لَهُمْ، وَابْسُطْ وَجْهَكَ لَهُمْ. وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ أَشْرًا مُتَكَبِّرًا كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ الْخِيَلَاءِ وَالتَّكَبُّرِ، إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْمُتَبَخِّرَ فِي مِشْيَتِهِ، الْمُفْتَخِرَ بِمَالِهِ وَجَاهِهِ.

{ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ } (لقمان : 19)

19- وَتَوَسَّطْ فِي مَشْيِكَ وَاعْتَدِلْ فِيهِ، لَا سَرِيعًا وَلَا بَطِيئًا، وَلَا تَرْفَعْ صَوْتِكَ فِيمَا لَا حَاجَةَ لَكَ فِيهِ، فَإِنَّ خَفْضَ الصَّوْتِ أَدَبٌ وَثِقَةٌ بِالنَّفْسِ، وَالرَّعْفُ بِهِ وَرَفْعُهُ عَالِيًا سُوءٌ خُلِقَ وَصِفَةٌ مَذْمُومَةٌ وَغَايَةٌ فِي الْكِرَاهَةِ. إِنَّ أَقْبَحَ الْأَصْوَاتِ وَأَوْحَشَهَا عَلَى السَّمْعِ هَيْقُ الْحَمِيرِ.

{ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ } (لقمان : 20)

20- أَلَمْ تَنْظُرُوا كَيْفَ ذَلَّلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا يَلْزَمُكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالرِّيحِ وَالْمَطَرِ، وَالشَّجَرِ وَالثَّمَرِ، وَالذَّوَابِّ وَالطَّيْرِ، وَجَمِيعِ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَأَوْسَعَ عَلَيْكُمْ

نِعْمَةُ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، الْوَاضِحَةِ وَالْخَفِيَّةِ، مِنْ إِسْرَافِ الرُّسُلِ، وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ، وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَالْعَقْلِ وَالْفَهْمِ... وَهُنَاكَ مَنْ يُنَاقِشُ وَيُخَاصِمُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَإِسْرَافِ الرُّسُلِ وَالْمَعَادِ، بِغَيْرِ دَلِيلٍ عِلْمِيٍّ وَلَا اسْتِنَادٍ إِلَى حُجَّةٍ صَحِيحَةٍ، وَلَا كِتَابٍ صَحِيحٍ يُبَيِّنُ مُعْتَقَدَهُ.

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ } (لقمان : 21)

21- وَإِذَا قِيلَ لِلْمُشْرِكِينَ الْمُجَادِلِينَ: تَعَالَوْا وَاتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنَ الْحَقِّ وَالتَّوْحِيدِ وَالشَّرْعِ الْحَنِيفِ، قَالُوا فِي جَهْلٍ وَعِنَادٍ: بَلْ نَتَّبِعُ الْأَمْرَ الَّذِي وَجَدْنَا آبَاءَنَا وَأَجْدَادَنَا عَلَيْهِ، فَعَبَدُوا مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَتَقَلَّدَهُمْ فِيمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ! أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الشَّرْكِ وَالضَّلَالِ الَّذِي يُوَدِّي بِهِمْ إِلَى النَّارِ الْمُسْتَعْرَةِ، فَهَلْ يَتَّبِعُونَ آبَاءَهُمْ وَلَوْ كَانُوا كَذَلِكَ؟

{ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } (لقمان : 22)

22- وَمَنْ انْقَادَ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَهُ، وَأَخْلَصَ لَهُ الطَّاعَةَ، وَأَحْسَنَ فِي عَمَلِهِ، فَقَدْ تَعَلَّقَ بِأَوْثَقِ مَا يُتَعَلَّقُ بِهِ مِنَ الْأَسْبَابِ، وَاعْتَصَمَ بِمَا لَا يُخَافُ انْقِطَاعَهُ، وَإِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ تَصِيرُ الْأُمُورِ، لِيُجَازِيَ كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّ.

{ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } (لقمان : 23)

23- وَمَنْ كَفَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ بِنُبُوتِكَ فَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ، فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَفْتَحُ لَهُمْ صَحَائِفَ أَعْمَالِهِمْ، لِنُرِيَهُمْ جَمِيعَ مَا عَمِلُوهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي فِي الدُّنْيَا وَنُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ، وَلَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ مِمَّا أَحْفَوْهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَضَلًّا عَمَّا أَظْهَرُوهُ فِي مَقَالِهِمْ وَقَعَالِهِمْ.

{ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ } (لقمان : 24)

24- نُعِمُّ عَلَيْهِمْ زَمَانًا قَلِيلًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُهِلُهُمْ، لَيْسَتْ مَتَاعًا بِمَا يَشَاؤُونَ إِلَى انْقِضَاءِ آجَالِهِمْ، ثُمَّ نُلْجِئُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى عَذَابٍ شَدِيدٍ شَاقٌّ لَا يَنْفَكُ عَنْهُمْ.

{وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (لقمان : 25)

25- وَإِذَا سَأَلْتَ الْمَشْرِكِينَ: مَنْ الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا؟ فَسَيَعْتَرِفُونَ وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ اللَّهُ، فَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى اعْتِرَافِهِمْ بِذَلِكَ، وَالزَّامِهِمْ بِمَا يُوجِبُ بُطْلَانَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ بَاطِلٍ وَشِرْكَ، وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَجُوبَ مَعْرِفَةِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ عَلَيْهِمْ، فَهُمْ جَاهِلُونَ غَيْرَ مُكْتَرِثِينَ.

{لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} (لقمان : 26)

26- لِلَّهِ كُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، خَلْقًا، وَمُلْكًا، وَتَدْبِيرًا، فَالْعِبَادَةُ لَهُ وَحْدَهُ، لَا لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْهُمْ جَمِيعًا، الْمَحْمُودُ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا.

{وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (لقمان : 27)

27- وَلَوْ أَنَّ جَمِيعَ الْأَشْجَارِ الَّتِي فِي الْأَرْضِ بُرِيَتْ وَجُعِلَتْ أَقْلَامًا، وَجُعِلَ الْبَحْرُ مِدَادًا، يَمُدُّ هَذِهِ الْأَقْلَامَ بِهِ كُلَّمَا انْتَهَى مِدَادُهَا، وَمُدَّ هَذَا الْبَحْرُ بِسَبْعَةِ أَبْحُرٍ أُخْرَى بَعْدَ انْتِهَائِهِ، وَكُتِبَ بِهَا كَلَامُ اللَّهِ، لَمَا نَفِدَ كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ، لِعَدَمِ تَنَاهِيهِ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، قَدْ غَلَبَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَهَرَهُ، حَكِيمٌ فِي حُكْمِهِ وَأَمْرِهِ وَجَمِيعِ شُؤُونِهِ. وَالْمِرَادُ بِالسَّبْعَةِ الْكَثْرَةُ وَالْمِهَالْغَةُ، لَا الْحَصْرُ.

{مَا خَلَقْنَاكُمْ وَلَا نَعْتُكُمْ إِلَّا كَنْفُسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (لقمان : 28)

28- ما خلقكم جميعاً أيها الناس، ولا بعثكم بعد الموت، إلا كخلق وبعث نفس واحدة، فالكل على الله سهل يسير، ولا يتعدد عليه شيء، وأمره سبحانه لا يحتاج إلى تأكيد وتكرار، إنما يقول للشيء، أو الأشياء: كن، فيكون. والله يسمع جميع أقوالكم، بصير بأعمالكم كلها.

{ أَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } (لقمان : 29)

29- ألا تشهد كيف أن الله بقدرته يدخل الليل في النهار شيئاً فشيئاً، ويدخل النهار في الليل كذلك، بميزان ودقة متناهية، وسخر الشمس والقمر فجعلهما مذللين طائعين لما يراؤ منهما في خدمة الإنسان، وهما يجريان إلى حد معين، وإلى وقت محدد، ليتكون من حركاتهما الليل والنهار، والشهر والسنة... إتهما من صنع الله الخالق المدبر، الذي أحاط علمه بجميع ما تعملون، ظاهره وخفيه.

{ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ } (لقمان : 30)

30- ذكر الله تلك الآيات وبينها لكم، لتستدلوا بها على أنه الإله الحق، وأن ما يعبدوه المشركون من دونه باطل معدومة ألوهيته، وأن الله هو العلي على الأشياء فلا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، فكل شيء حقيق بالنسبة إليه، جل جلاله، وعظمت قدرته.

{ أَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ } (لقمان : 31)

31- ألم تنظر كيف تجري السفن والبواخر والأساطيل في البحر بتسخير الله، فجعل فيه موازين لتطفو عليه بالرغم من ثقلها، ليرىكم دلائل ألوهيته وقدرته؟ وفي تسخير البحر لكم ولطفه بكم لتجري فيه السفن محملة بالأطعمة وغروض الأموال ومواد التجارة، آيات وعبر لمن كان كثير الصبر على الشدة والضراء، كثير الشكر لله وهو في النعيم والرخاء.

{ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ } (لقمان : 32)

32- وإذا علاهم موجٌ من أمواج البحر كالجبال والسحاب في عظمه، خافوا والتجؤوا إلى الله يدعونه بإخلاص، ولم يُشركوا به شيئاً من الأوثان وغيرها، فلما أنقذهم من الكرب وخلّصهم من الغرق إلى حيث السلامة والأمان، فمنهم من توسّط واعتدل فسلك الطريق المستقيم، ومنهم من أشرك وكفر بنعمتنا عليه، وما يكفر بآياتنا إلا كلُّ خائنٍ غادر، جحودٍ للنعم.

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاحْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ } (لقمان :

33)

33- أيها الناس، أطيعوا ربكم ولا تُخالفوا أمره، واحشوا يوم القيامة فإنه يومٌ عظيم، والحساب فيه شديد، يوم لا يُغني والدٌ عن ولده ولا ينفعه شيئاً، ولا يُغني ولدٌ عن والده ولا يُقبل أن يفديه بشيء، إنَّ المعاد حق، والثواب والعقاب على الأعمال حق، فلا تلهينكم الدنيا بلداتها وشهواتها عن طاعة الله، ولا يخدعنكم الشيطان فيحملكم على العمل بالمعاصي بتزيينها في نفوسكم.

{ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (لقمان : 34)

34- إنَّ الله استأثر بمعرفة وقت قيام الساعة، لا يعلم ذلك أحدٌ غيره، لا نبيٌّ مرسلٌ ولا ملكٌ مُقرَّب.

وهو الذي يعلم زمان نزول المطر ومكانه ومقداره.

ويعلم ما في الأرحام: أذكر هو أم أنثى، تام أم ناقص، وعمره ورزقه، وما يكون شأنه منذ كونه نطفة، وعلمه شاملٌ لكلِّ أجنة الكائنات الحيّة، وعلمه بما قدّم قبل الخلق. ولا تدري نفس ما الذي تجنيه وتستفيده في المستقبل، من خيرٍ وشرّ.

ولا تَدْرِي نَفْسٌ، بَرَّةٌ أَوْ فَاجِرَةٌ، فِي أَيِّ مَكَانٍ سَتَمُوتُ.
إِنَّ الَّذِي يَعْلَمُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي زَمَانِهِ وَمَكَانِهِ، هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ الْأَشْيَاءِ، وَخَبِيرٌ
بِتَفَاصِيلِهَا جَمِيعًا، ظَوَاهِرِهَا وَبَوَاطِنِهَا، وَمَا يُحِيطُ بِهَا.

سورة السجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{الم} (السجدة : 1)

1- الحروف المقطعة لم يرد في تفسيرها حديث صحيح، والله أعلم بمرادها.

{تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (السجدة : 2)

2- تنزيل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم لا شك أنه من عند الله رب العالمين.

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ

يَهْتَدُونَ} (السجدة : 3)

3- بل يقول المشركون إن محمدًا اختلق القرآن من تلقاء نفسه. بل هو القول الحق والكلام الصّدق المنزل من عند ربك، لتدعو به قومًا وتُنذِرهم، ما أتاهم رسول من قبل زمانك منذ إسماعيل عليه السلام - أو أن المقصود أهل الفترة، بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام - لعلهم يتعظون بإنذارك، ويتبعون الحق بدعوتك.

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا

لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وِلْيٍ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} (السجدة : 4)

4- هو الله الذي خلق السماوات العظيمة وما فيها من كواكب ونجوم ومجرات، والأرض وما فيها من نبات وحيوان وجماد، في ستة أيام، ثم استوى على العرش، بالمعنى الذي أراده سبحانه وتعالى. ليس لكم أحد غيره يتولاكم في أموركم فينفعكم، ولا شفيع يشفع لكم عنده إلا بإذنه إذا حلّ بكم العذاب، فهو الذي يتولى المصالح، ويدفع النقم، بيده الأمر كله، أفلا تسمعون هذه المواعظ لتتذكروا وتعتبروا، وتعلموا أن لا رب سواه؟

{ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ } (السجدة : 5)

5- الذي يُدَبِّرُ أمرَ الدُّنيا وشؤونها⁽¹⁰⁸⁾، وَيَنْزِلُ أمرُهُ وَقَضَاؤُهُ مِنْ أَعْلَى السَّمَاوَاتِ إِلَى أَدْنَى الْأَرْضِينَ، ثُمَّ يَصْعَدُ الْأَمْرُ إِلَيْهِ بَعْدَ تَدْبِيرِهِ⁽¹⁰⁹⁾، فِي يَوْمٍ قَدْرُهُ مَسِيرُهُ أَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَهُ فِي الدُّنْيَا.

{ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } (السجدة : 6)

6- ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ الْعَظِيمُ، الَّذِي يَعْلَمُ مَا غَابَ عَنِ الْبَشَرِ عِلْمُهُ وَرُؤْيَيْتُهُ، جَلِيلُهُ وَحَقِيرُهُ، كَمَا أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مَا هُوَ مُشَاهِدٌ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي غَلَبَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَهَرَهُ، الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ فِي تَدْبِيرِهِ شُؤْنَهُمْ.

{ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ } (السجدة : 7)

7- الَّذِي أَحْسَنَ خَلْقَ الْأَشْيَاءِ، فَأَتَقَنَهَا وَأَحْكَمَهَا، وَجَعَلَ لَهَا مَا يُنَاسِبُهَا وَيُؤَافِقُهَا شَكْلًا وَمَضْمُونًا، كَمَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ، لَا يَجِدُ فِيهَا نَقْصًا وَاحْتِلَافًا، وَبَدَأَ خَلْقَ جِنْسِ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ، وَهُوَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

{ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ } (السجدة : 8)

8- ثُمَّ جَعَلَ ذُرِّيَّتَهُ يَتَنَاسَلُونَ مِنْ مَاءٍ ضَعِيفٍ مِّمْتَهَنٍ، هُوَ الْمَخْيِيُّ، مِنْ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ.

{ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ } (السجدة : 9)

(108) { يُدَبِّرُ الْأَمْرَ } : التَّدْبِيرُ حَقِيقَتُهُ التَّفَكِيرُ فِي إِصْدَارِ فِعْلٍ مَتَقَنَّ، أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ... وَهُوَ إِذَا وُصِفَ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى كُنَايَةً عَنْ لَازِمِ حَقِيقَتِهِ، وَهُوَ تَمَامُ الْإِتْقَانِ. (التَّحْرِيرُ، بِإِخْتِصَارٍ).

(109) { ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ } : اِحْتِلَفَ فِي مَعْنَاهُ، وَقَالَ الْعَلَامَةُ إِسْمَاعِيلُ حَقِي : أَي : يَصْعَدُ ذَلِكَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ تَعَالَى وَيَتَبَثُّ فِي عِلْمِهِ مَوْجُودًا بِالْفِعْلِ.

9- ثُمَّ سَوَّاهُ بِتَكْمِيلِ أَعْضَائِهِ، وَلَحْمِهِ وَأَعْصَابِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، وَخَلَقَ لَكُمْ السَّمْعَ لِتَسْمَعُوا بِهَا مَا حَوْلَكُمْ وَتَعُوا، وَالْأَبْصَارَ لِتُبْصِرُوا بِهَا كَذَلِكَ، وَالْأَفْئِدَةَ لِتَتَفَكَّرُوا وَتَسْتَدِلُّوا بِهَا عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَلَكِنَّكُمْ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ هَذِهِ النِّعَمَ الَّتِي تَنْفَعُكُمْ.

{ وَقَالُوا أَيُّدَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ } (السجدة : 10)

10- وَقَالَ الْمَشْرِكُونَ الْمُعَانِدُونَ: إِذَا هَلَكْنَا وَغَبِنَا فِي الْأَرْضِ، وَاخْتَلَطَتْ أَجْسَادُنَا بِالتُّرَابِ وَتَبَعَثَتْ فِيهِ، هَلْ نُخْلَقُ وَنُبْعَثُ مِنْ جَدِيدٍ بَعْدَ تِلْكَ الْحَالِ؟ بَلْ هُمْ جَاهِلُونَ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ عَلَى الْأَعْمَالِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِذَلِكَ لَكَانُوا مُؤْمِنِينَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى.

{ قُلْ إِنَّا نَتَوَفَّأَكُم مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ } (السجدة : 11)

11- قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِقَبْضِ أَرْوَاحِكُمْ، يَقْبِضُهَا بِأَمْرِ رَبِّهِ، ثُمَّ تُرْجَعُونَ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْمَعَادِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

{ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ } (السجدة : 12)

12- وَلَوْ تَرَىٰ حَالَ الْمَشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَدْ أَطْرَقُوا رُؤُوسَهُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ذَلِيلِينَ، مِنَ الْحَيَاءِ وَالْخِزْيِ وَالنَّدَمِ، وَيَقُولُونَ: الْآنَ يَا رَبَّنَا صِرْنَا نَعْرِفُ وَنُدْرِكُ، وَنَسْمَعُ وَنُبْصِرُ، فَأَعِدْنَا إِلَى الدُّنْيَا لِنُطِيعَكَ وَنَعْمَلَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَلَا نُشْرِكَ بِكَ شَيْئاً، إِنَّا مُؤْمِنُونَ بِكَ، مُوقِنُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ.

وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ لَوْ رُذُّوا إِلَى الدُّنْيَا لَعَادُوا لِمَا هُوَ عَنْهُ.

{ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } (السجدة : 13)

13- ولو أردنا لهدينا كلَّ نفسٍ إلى الإيمان، وأجبرناها على القيام بما يُرضي الله، كالملائكة الذين لا يعصونه فيما أمرهم به، ولكنَّهُ سبحانه ترك حُرِّيَّةَ الاختيار للإنسان، وبينَ له طريقَ الخيرِ والشَّرِّ، وجعله مَسْئولاً عما يَخْتارُ وَيَعْمَلُ. وقد ثبتَ وتَحَقَّقَ القَوْلُ مِنِّي، لأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الكَافِرِينَ والضَّالِّينَ المُخَالِفِينَ للحَقِّ، مِنَ الجِنَّ والإنسِ أَجمَعين، وأنتمُ منهمُ أيُّها المشركون، فقد أغواكم إبليسُ فأطعتموه، واحترمُ الضَّلالَ على الهدى. والعصاةُ مِنَ المسلمِينَ يُعَذَّبُونَ في جَهَنَّمَ ثمَّ يَخْرَجُونَ منها، إلاَّ مَنْ عفا اللهُ عنهم، فلا يُعَذَّبُونَ.

{ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }
(السجدة : 14)

14- فذوقوا عذاب النار بسبب ترككم الإيمان والعمل للقاء هذا اليوم، إننا تركناكم في العذاب ترك المنسي، وذوقوا عقوبة شديدة دائمة في جهنم، لا يُطفأ نارها، ولا يُخفف عذابها، بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي.

{ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ }
(السجدة : 15)

15- إنما يُصدِّقُ آياتنا الذين إذا وُعظوا بها استمعوا إليها وعملوا بما فيها، من غير تردُّدٍ ولا تكبر، وبأدروا إلى السُّجودِ لربِّهم على وُجوههم؛ تواضعاً له وخَوْفاً من عذابه، ونزهوه عن كلِّ ما لا يليقُ بذاته وأسمائه وصفاته، وأثنوا عليه الخيرَ كُلَّهُ، لما هداهم إلى دينه، وأسبغ عليهم من نعمه، وهم لا يستكبرون عن الإيمان به وطاعته والسُّجودِ له.

{ تَتَخَفَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضْجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ }
(السجدة : 16)

16- تتباعد أطرافهم عن الفرش وتنبو عن مواضع النوم، فيقومون الليل يتهجِّدون، يعبدون الله ويدعونهُ خَوْفاً من عذابه، وطمعاً في كرمه وجنته، وينفقون ممَّا رزقناهم في وجوه البرِّ والإحسان، من الزكوات والصدقات.

وفي الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين من قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطرقة للداء عن الجسد". وقال أنس رضي الله عنه: فينا نزلت معاشر الأنصار، كُنَّا نُصَلِّي الْمَغْرِبَ، فَلَا نَرْجِعُ إِلَى رِحَالِنَا حَتَّى نُصَلِّي الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

{ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (السجدة : 17)

17- فلا تعلم نفس من النفوس ما أُعِدَّ لهم من الثواب الجليل، والتعيم الكثير، واللذة والشور، مما تُقَرُّ به أعينهم، جزاء ما كانوا يعملونه من الأعمال الصالحة.

{ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ } (السجدة : 18)

18- فهل الذي عمَّر قلبه بالإيمان، وانقادت جوارحه لطاعة الله، كمن كفر به، وجمد رسالاته، وخرج عن طاعته؟ إنهم لا يستوون في الثواب يوم القيامة أبداً.

{ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (السجدة : 19)

19- أمَّا الذين آمنوا وصدقوا في إيمانهم، وعملوا الأعمال الصالحة لوجه الله وحده، فلهم جنات النعيم، مأوى اللذات، ونعيم الأرواح، ومحل الأفراح، في جوار ربِّ كريم، ضيافة وكرامة، بما كانوا يعملون في الدنيا من الطاعات والفرائض.

{ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ } (السجدة : 20)

20- وأمَّا الذين كفروا وخرجوا عن طاعة ربهم، فمحلهم النار التي تُسعر بهم، خالدين فيها، كلما حاولوا الخروج منها - لما يلحقهم من الحرِّ والشدة والكرب - ضربوا بالمقامع، فأعيدوا من أعاليها إلى أسافلها، وقالت لهم الملائكة: ذوقوا العذاب الذي كنتم تكذبون به في الحياة الدنيا.

{ وَلَنذِيْقُنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْيَنِ ذُوقَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } (السجدة : 21)
21- ولَنذِيْقُنَّهُمْ هَؤُلَاءِ الْفَاسِقِينَ الْمَكْذِبِينَ طَرَفًا مِنَ الْعَذَابِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَبْلَ عَذَابِ الْآخِرَةِ،
مِنَ الْمَصَائِبِ وَالْآفَاتِ، وَالْأَسْرِ وَالْقَتْلِ، وَالْمَرَضِ وَالْفَقْرِ، لَعَلَّ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ يَتُوبُ وَيَرْجِعُ إِلَى
اللَّهِ.

{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ } (السجدة :
22)

22- وَلَيْسَ هُنَاكَ أَظْلَمُ مِمَّنْ وُعِظَ بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَلَمْ يَتَدَبَّرْ فِيهَا، أَوْ تَنَاسَاهَا
وَجَحَدَهَا، وَسَنَتَقِمُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الْمَكْذِبِينَ انْتِقَامًا شَدِيدًا.

{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ }
(السجدة : 23)

23- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى التَّوْرَةَ الْمَصَدَّقَةَ لِلْقُرْآنِ، فَلَا تَكُنْ فِي شَكٍّ مِّنْ لِّقَاءِ مُوسَى. وَقَدْ رَأَى
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ، وَوَصَفَهُ، كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.
ووردَ أَنَّ الْمَعْنَى: لَا تَكُنْ فِي شَكٍّ مِّنْ تَلَقِّي الْكِتَابِ، فَإِنَّكَ تَتَلَقَّاهُ كَمَا تَلَقَّى مُوسَى الْكِتَابَ.
وَجَعَلْنَا التَّوْرَةَ هَادِيًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الضَّلَالَةِ.

{ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ } (السجدة : 24)
24- وَجَعَلْنَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ هُدَاةً وَقَادَةً فِي الْخَيْرِ، يَدْعُونَ إِلَى الْحَقِّ بِأَمْرِ اللَّهِ، عِنْدَمَا صَبَرُوا
عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَنُصْرَةِ دِينِهِ وَالْأَذَى فِي سَبِيلِهِ، وَكَانُوا مَصَدِّقِينَ بِآيَاتِنَا، قَدْ رَسَخَ الْإِيمَانُ فِي
قُلُوبِهِمْ، وَلِذَلِكَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ أُمَّةً، وَعِنْدَمَا انْحَرَفُوا عَنِ تَعَالِيمِ التَّوْرَةِ وَبَدَّلُوهَا، وَصَارَتْ قُلُوبُهُمْ
قَاسِيَةً، أَذَلَّهُمُ اللَّهُ وَلَعَنَهُمْ.

{ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } (السجدة : 25)

25- والله يقضي بين المؤمنين والمشركين يوم القيامة، فيما كانوا يختلفون فيه من أمور العقيدة والدين، ويميز بين المحق والمبطل.

{ أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَقْلًا يَسْمَعُونَ } (السجدة : 26)

26- أولم يتبين لهؤلاء المكذبين كثرة من أهلكنا قبلهم من الأمم السابقة، مثل عاد وثمود وقوم لوط، وهم يمشون بمساكينهم ويشاهدون آثار هلاكهم، وإن فيما حل بهم من دمار وهلاك بسبب تكذيبهم ومخالفتهم الرسل مواعظ وعبراً، أفلا يسمعون أخبارهم ويتعظون بها؟

{ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَقْلًا يُبْصِرُونَ } (السجدة : 27)

27- ألا يشاهدون دلائل وحدانية الله وآثار قدرته في الأرض، كيف يسوق السحاب الحامل للمطر، أو يجري الماء من العيون والأنهار، إلى ما هو يابس منها، لا نبات فيها ولا حياة، فيخرج بذلك الماء الزرع والعشب بأنواعه، فتأكل منه دوابهم، وهم يأكلون من حبوبه ويقولون، أفلا يبصرون ذلك فيتعظون، ويشكرون لله ويؤمنون؟

{ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (السجدة : 28)

28- ويقول المشركون من قبيل التكذيب والاستهزاء: ومتى يفتح لكم ويفصل الله بيننا وبينكم، وينتقم منا لكم، إذا كنتم صادقين في ادعائكم ذلك؟

{ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ } (السجدة : 29)

29- قل لهم أيها الرسول: إذا جاء يوم الحكم والقضاء، وحلّ بكم بأس الله وغضبه يوم القيامة، فلن ينفع الكافرين إيمانهم إن آمنوا يومئذ، ولا يمهلون ليتوبوا ويعتدروا.

{ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ } (السجدة : 30)

30- فأعرض عنهم ولا تُبالِ بتكذيبهم وسُخريتهم، وبلِّغ ما أنزل إليك من ربك، وانتظرِ النصرَ من الله، إنهم يترَبِّصونَ بكم ومنتظرونَ الغلبةَ عليكم، وسترى عاقبةَ أمرهم. ووردَ أنَّ هذه الآيةَ منسوخةٌ بآيةِ السيف. وقالَ صاحبُ "روح المعاني": لا يخفى أنَّه يُحتملُ أنَّ المرادَ الإعراضُ عن مُناظرَتهم لعدمِ نفعِها، أو تخصيصُها بوقتٍ مُعيَّن، فلا يتعيَّنُ النسخ.

* * *

وقد صحَّ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، أنَّه كانَ لا ينامُ حتَّى يقرأَ {الم . تنزيل} السَّجدة، و{تبارك الذي بيدهِ المُلكُ}. رواه الترمذي، والحاكم في المستدرک، وغيرهما.

سورة الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا }
(الأحزاب : 1)

1- أيُّها النبيُّ الكريم، داوم على طاعةِ اللهِ واثبتْ عليها، وابتعدْ عن معاصيهِ حذرًا من عقوبتهِ، ولا تسمعْ من الكافرينِ والمنافقينِ ولا تستشِرْهم في أمرٍ من أمورِك، واللهُ علِيمٌ بعواقبِ الأمور، حَكِيمٌ فيما يأمرُ وينهى ويُدبّر. والخطابُ لأمتِهِ كذلك، صلى اللهُ عليه وسلم.

{ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } (الأحزاب : 2)
2- واتبِعْ ما يُوحى إليك اللهُ واعمَلْ بموجبهِ، واللهُ مُحيطٌ بما تعملون، خبيرٌ بما تُظهِرونَ وما تُخفون، لا يخفى عليه شيءٌ.

{ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا } (الأحزاب : 3)
3- واعتمدْ على اللهِ في أمورِك كُلِّها وثقْ به، وكفىٰ به حافيظًا لمن فوضَ إليه أمره.

{ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ } (الأحزاب : 4)

4- ما جعلَ اللهُ للشَّخصِ الواحدِ قلبينِ في جوفهِ⁽¹¹⁰⁾، وكما لا يكونُ هذا، كذلك لا تصيرُ زوجةُ الشَّخصِ أمًّا له إذا قالَ لها: أنتِ عليّ كظهرِ أمِّي، كما كان الأمرُ في الجاهليَّة. وكذلك

(110) جوفُ الإنسانِ بطنه، كما في اللغات، وذكره لزيادةِ التقرير، كما في قوله تعالى: {وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبِ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [سورة الحج: 46]. (روح البيان). =

= الجوف: باطنُ الإنسان: صدرهُ وبطنه، وهو مقرُّ الأعضاءِ الرئيسيَّةِ عدا الدماغ. (التحرير والتنوير).

لا يَصِيرُ أَدْعِيَاؤَكُمْ أَبْنَاءَ لَكُمْ إِذَا تَبَيَّنْتُمُوهُمْ، كَمَا كَانَ الْأَمْرُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَيْضًا. فَهَذَا الظُّهَارُ وَالتَّبَيُّ قَوْلٌ بِأَفْوَاهِكُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسَاسٌ مِنَ الصِّدْقِ وَالْحَقِيقَةِ، فَإِنَّ زَوْجَاتِكُمْ أُمَّهَاتٌ لِأَوْلَادِكُمْ، وَأَدْعِيَاؤَكُمْ أَوْلَادٌ لَعَيْرِكُمْ. وَاللَّهُ يُثَبِّتُ الْحَقَّ كَمَا هُوَ، وَيُرْشِدُكُمْ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ فَاتَّبِعُوهُ.

والظُّهَارُ مُحَرَّمٌ، وَيَأْتِي بَيَانُ حُكْمِهِ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ سُورَةِ الْمِجَادِلَةِ.

{ اذْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } (الأحزاب : 5)

5- فانسبوا أَدْعِيَاءَكُمْ إِلَى آبَائِهِمْ، فَهوَ الْكَلَامُ الْعَدْلُ، وَالْحُكْمُ الْحَقُّ الَّذِي قَضَى بِهِ اللَّهُ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِشَخْصٍ ابْنُ فُلَانٍ وَهُوَ لَيْسَ ابْنًا لَهُ. فَإِذَا لَمْ تَعْرِفُوا آبَاءَهُمْ لِتَنْسِبُوهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهَمَّ إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ، وَأَوْلِيَاؤُكُمْ وَنُصْرَاؤُكُمْ فِيهِ، فَادْعُوهُمْ بِالْأُخُوَّةِ وَالْمُوَالَاةِ، كَمَا يُقَالُ: سَالِمٌ مَوْلَى حُدَيْفَةَ. وَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ إِذَا نَسَبْتُمْ بَعْضَهُمْ إِلَى غَيْرِ آبَائِهِمْ خَطَأً بَعْدَ الْبَحْثِ وَالتَّحَرِّيِ، وَلَكِنَّ الْإِثْمَ عَلَى مَنْ تَعَمَّدَ نِسْبَةَ شَخْصٍ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ. وَاللَّهُ يَغْفِرُ لِمَنْ تَابَ وَإِنْ كَانَ مُتَعَمَّدًا، رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ التَّائِبِينَ.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِعَيْرِ أَبِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُهُ، إِلَّا كَفَرَ بِاللَّهِ، وَمَنْ ادَّعَى قَوْمًا لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ نَسَبٌ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ". وَالْمَقْصُودُ بِالْكَفْرِ هُنَا كَفَرُ التَّعَمُّدِ، تَغْلِيظًا وَرَجْرًا لِفَاعِلِهِ. وَهُوَ رَجْرٌ شَدِيدٌ.

{ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَاءِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا } (الأحزاب : 6)

6- النَّبِيُّ أَقْرَبُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَشَدُّ وِلَايَةً وَنُصْرَةً لَهُمْ، فَلَا يَأْمُرُهُمْ إِلَّا بِمَا فِيهِ خَيْرُهُمْ وَصَلَاتُهُمْ، وَيَكُونُ حُكْمُهُ مُقَدَّمًا عَلَى اخْتِيَارِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ، فَيُطِيعُونَهُ وَيُلَبُّونَ أَمْرَهُ.

وَزَوَّجَاتُ النَّبِيِّ بِمَنْزِلَةِ أُمَّهَاتِهِمْ فِي حُرْمَةِ نِكَاحِهِنَّ، وَتَعْظِيمِ قَدْرِهِنَّ.
 وَذَوُو الْقُرَابَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِالتَّوَارِثِ مِنْ بَعْضٍ فِي الْقُرْآنِ مِنْ وَرَاثَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
 بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، إِلَّا إِذَا كَانَ مَا تُعْطَوْنَهُمْ مِنْ بَابِ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْوَصِيَّةِ. وَمَا ذُكِرَ مِنْ
 التَّوَارِثِ بَيْنَ أَوْلِي الْأَرْحَامِ بَدَلَ الْهَجْرَةِ وَالْإِحْءَاءِ، هُوَ الْحُكْمُ الْمَقْدَّرُ وَالْمَكْتُوبُ فِي الْقُرْآنِ، أَوْ فِي
 اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

فَالْأَيَّةُ نَاسِخَةٌ لِمَا كَانَ مَعْمُولًا بِهِ مِنْ قَبْلُ، مِنْ التَّوَارِثِ بِالْهَجْرَةِ وَالْإِيمَانِ.

**{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ
 وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا } (الأحزاب : 7)**

7- وَاذْكُرْ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، وَالِدَّعْوَةَ إِلَى دِينِ اللَّهِ، وَالْوَفَاءِ بِمَا
 وَكَّلَ إِلَيْهِمْ، وَأَنْ يُصَدِّقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، مَعَ التَّنَاصُرِ وَالتَّنَاصُحِ وَالِاتِّفَاقِ، وَكَذَا أَخَذْنَا مِنْ أَوْلِي
 الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ هَذَا الْمِيثَاقَ، لِبَيَانِ مَزِيدِ فَضْلِهِمْ: مِنْكَ أَيُّهَا الرُّسُولُ، وَمِنْ نُوحٍ، وَإِبْرَاهِيمَ،
 وَمُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ، وَعِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ، أَخَذْنَا مِنْهُمْ عَهْدًا قَوِيًّا عَظِيمَ الشَّأْنِ عَلَى ذَلِكَ.

{ لَيْسَ أَلِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا } (الأحزاب : 8)

8- لَيْسَ أَلِ اللَّهِ النَّبِيِّينَ الصَّادِقِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَلَامِهِمُ الصَّادِقِ الَّذِي بَلَّغُوهُ النَّاسَ، وَعَنِ
 اسْتِحْجَابَتِهِمْ لَهُمْ، وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ مِنْ أَقْوَامِهِمْ عَذَابًا مُؤَلِّمًا مُوجِعًا.

**{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
 وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا } (الأحزاب : 9)**

9- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، اذْكُرُوا فَضْلَ اللَّهِ وَنِعْمَتَهُ الْعَظِيمَةَ عَلَيْكُمْ فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ، عِنْدَمَا حُوصِرْتُمْ
 مَعَ الرُّسُولِ فِي الْمَدِينَةِ، إِذْ جَاءَتْكُمْ جُيُوشُ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ وَاجْتَمَعَتْ عَلَى
 مُحَارَبَتِكُمْ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا شَدِيدَةً، لَمْ تُبْقِ لَهُمْ خَيْمَةً ثَابِتَةً، وَلَا نَارًا مُوقَدَةً، وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
 جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا، هُمُ الْمَلَائِكَةُ، أَلْقَتْ فِي قُلُوبِ الْأَحْزَابِ الرُّعْبَ وَالْخَوْفَ، فَلَمْ يَقِرَّ لَهُمْ قَرَارٌ،
 فَانْهَزَمُوا.

وكان الله بصيراً بما تعملون، من بذل جهدكم لنصرة دين الله وموالاته رسوله، والتجائنكم وتضرعكم إلى ربكم ليكشف شرهم عنكم وينصركم عليهم.

{ إِذْ جَاؤُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا } (الأحزاب : 10)

10- واذكروا كيف جاؤوكم من أعلى الوادي من قبل المشرق، ومن بطن الوادي من قبل المغرب، وقد مالت العيون وشخصت من الحيرة والرعب، وخافت القلوب وفزعنا فزعاً عظيماً، وتظنون بالله الظنون المحتلقة، فمن مخلص ثابت الإيمان يؤمن بنصر الله، ومن خائف لا يتحمل ما يرى، وظن المنافقون أن الأحزاب سيقضون على المسلمين.

{ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا } (الأحزاب : 11)

11- في ذلك الوقت العصيب، والحصار الشديد، اختبر الله المؤمنين، ليميز المخلص من غيره، وقد اضطربوا اضطراباً شديداً، وزوعوا من كثرة الأعداء ومناوشاتهم للدخول إلى المدينة والفتك بالمسلمين ونسائهم وأطفالهم.

{ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا } (الأحزاب : 12)

12- وظهر النفاق في هذا الاختبار الرباني، فقال المنافقون الذين كانوا يُظهرون الإيمان وهم ليسوا كذلك، ومعهم ضعفاء الإيمان الذين تأثروا بكلامهم وشبههم وشائعاتهم، مع ما أصابهم من الخوف والفزع، قالوا: إن الذي وعدنا الله ورسوله من النصر والفتح ما هو إلا قول باطل. وهذه عادة المنافقين عند الشدة والمحنة.

{ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا } (الأحزاب : 13)

13- واذكُرْ إِذْ قَالَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمِنَافِقِينَ أَوْ الْمَخْذُولِينَ وَقَدْ جَزِعُوا: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَا تُعْسِكِرُوا خَارِجَ الْحَنْدَقِ وَارْجِعُوا إِلَى مَنَازِلِكُمْ، فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِالْقِتَالِ.
وَجَمَاعَةٌ أُخْرَى يَسْتَأْذِنُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَرْكِ مَوَاقِعِهِمْ، وَيَقُولُونَ إِنَّا نَخْشَى عَلَى بِيوتِنَا مِنَ الْخَطَرِ، فَلَيْسَ دُونَهَا مَا يَحْجُبُهَا مِنَ الْعَدُوِّ وَنَحْنُ غَائِبُونَ عَنْهَا، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَدَّعُونَ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِالِاسْتِئْذَانِ الْهَرَبَ مِنَ الْقِتَالِ.

{وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا}
(الأحزاب : 14)

14- ولو أنَّ هؤُلاءِ دَخَلَ عَلَيْهِمُ الْكُفَّارُ مِنْ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ وَاحْتَلَوْهَا، وَطُلِبَ مِنْهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا، لَاسْتَجَابُوا لِذَلِكَ مُسْرِعِينَ، وَلَمْ يَوَّخِرُوا جَوَابَهُمْ إِلَّا زَمَانًا يَسِيرًا، فَهَمَّ غَيْرُ مُتَمَسِّكِينَ بِالْدِّينِ، وَلَا مُحَافِظِينَ عَلَى الْعَهْدِ وَالْإِيمَانِ.

{وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا}
(الأحزاب : 15)

15- ولقد كان هؤُلاءِ المُسْتَأْذِنُونَ الْمُتَدَبِّبُونَ عَاهَدُوا اللَّهَ قَبْلَ مُحَاصِرَتِهِمْ أَنْ لَا يَفِرُّوا مِنَ الْجِهَادِ، وَسَيَسَأُهُمُ اللَّهُ عَنِ الْعَهْدِ الَّذِي لَمْ يُفُوا بِهِ.

{قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا}
(الأحزاب : 16)

16- قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: لَنْ يُفِيدَكُمُ الْهَرَبُ مِنَ الْقِتَالِ، وَلَنْ يَحْمِيَكُمُ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى فُرْشِكُمْ أَوِ الْقَتْلِ بِالسَّيْفِ وَغَيْرِهِ، فَلْأَجَلْ وَاحِدٍ، وَإِذَا حَدَّثَ أَنْ هَرَبْتُمْ لَتَسَلَّمُوا مِنَ الْقَتْلِ، فَلَنْ تَمْتَّعُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا زَمَانًا يَسِيرًا، فَالْمَوْتُ مَصِيرٌ كُلِّ حَيٍّ.

{قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا}
(الأحزاب : 17)

17- قُلْ لَهُمْ: مَنْ الَّذِي يَمْنَعُكُمْ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ وَتَنْفِيذِ حُكْمِهِ فِيكُمْ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ شَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ خَيْرًا؟ إِنَّهُ لَا أَحَدَ، فَالْأَمْرُ كُلُّهُ بِيَدِهِ سُبْحَانَهُ، نَفْعًا كَانَ أَوْ ضَرًّا، وَلَنْ يَجِدُوا لَأَنْفُسِهِمْ غَيْرَ اللَّهِ يَجْلِبُ لَهُمُ الْخَيْرَ، وَلَا نَصِيرًا سِوَاهُ يُسَاعِدُهُمْ وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ الشَّرَّ.

{قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا} (الأحزاب : 18)

18- وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُتَّبِطِينَ غَيْرَهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى الْجِهَادِ - وَهُمْ الْمِنَافِقُونَ - وَالْقَائِلِينَ لِأَصْحَابِهِمُ الَّذِينَ خَرَجُوا: تَعَالَوْا وَأَقِيمُوا مَعَنَا وَلَا تُحَارِبُوا. مَعَ كَوْنِهِمْ يَخْدُلُونَ النَّاسَ، فَإِنَّهُمْ لَا يُشَارِكُونَ فِي الْقِتَالِ بِأَنْفُسِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا.

{أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} (الأحزاب : 19)

19- بُخْلَاءٌ بِأَبْدَانِهِمْ عِنْدَ الْقِتَالِ، وَبُغْلُوهُمْ فِي الْمَحَبَّةِ لَكُمْ، وَبَأْمْوَالِهِمْ فِي النِّفَقَةِ وَالنُّصْرَةِ. فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ مِنْ قِبَلِ الْعَدُوِّ، وَظَنُّوا أَنَّ الْبَأْسَ سَيَقَعُ بِهِمْ كَمَا يَقَعُ بِغَيْرِهِمْ، رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَأَعْيُنُهُمْ تَدُورُ مِنَ الْقَلْقِ وَشِدَّةِ الْهَلَعِ، كَنَظْرِ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، فَإِذَا انْجَلَى الْخَوْفُ وَأَمِنُوا، بَسَطُوا فِيكُمْ أَلْسِنَتَهُمُ السَّلِيطَةَ الْمَقْدِيعَةَ، وَأَذُوكُمْ وَانْتَقَصُوكُمْ، وَهُمْ بُخْلَاءٌ بِالنَّفَقَةِ، لَكِنَّهُمْ حَرِيصُونَ عَلَى أَخْذِ الْغَنَائِمِ مَعَ الْمُجَاهِدِينَ الْمُسْلِمِينَ!

فَهؤُلَاءِ الْمُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ لَمْ يُؤْمِنُوا بِإِخْلَاصٍ، بَلْ أَظْهَرُوا إِيمَانَهُمْ أَمَامَ النَّاسِ وَهُمْ كَافِرُونَ فِي بَوَاطِنِهِمْ، وَلِذَلِكَ أَبْطَلَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمُ الَّتِي يُظُنُّ أَنَّ فِيهَا خَيْرًا، وَهَذَا أَمْرٌ سَهْلٌ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي بِهِمْ وَقَدْ خَانُوا الدِّينَ وَالْعَهْدَ.

{يَخْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا} (الأحزاب : 20)

20- ومع أَنَّ اللهَ خَذَلَ الأحزابَ وهزَمَهُم فَرَحَلُوا، إِلَّا أَنَّ الْمِنَافِقِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا! لَجُنْبِهِمْ وَخَوْفِهِمْ، وَصُعُوبَةِ تَصَدِيقِهِمْ أَنْ يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ هَكَذَا، وَيَهْرَبَ جَمِيعُ الْأَحْزَابِ بِدُونِ حَرْبٍ تُذَكِّرُ! وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُعَسِّكِرُونَ قَرِيبًا مِنْهُمْ!

وَإِذَا حَدَّثَ أَنْ أَتَتِ الْأَحْزَابُ مَرَّةً أُخْرَى، تَمَنَّوْا لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا خَارِجَ الْمَدِينَةِ، مَعَ الْأَعْرَابِ فِي الْبَادِيَةِ، يَسْأَلُونَ عَنْ أَخْبَارِكُمْ، وَمَا جَرَى عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَحْزَابِ؛ خَوْفًا وَجُبْنًا مِنْ أَنْ يَشْهَدُوا حَرْبًا. لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا بَيْنَكُمْ لَمَا قَاتَلُوا مَعَكُمْ إِلَّا قَلِيلًا، فَلَا تُبَالُوا بِهِمْ، وَلَا تَأْسُوا عَلَيْهِمْ.

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (الأحزاب : 21)

21- لَقَدْ كَانَ حَقًّا عَلَيْكُمْ أَنْ تَقْتَدُوا بِرَسُولِ اللَّهِ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، فِي انْتِصَارِهِ لِدِينِ اللَّهِ، وَتَحْمُلِهِ الْأَذَى، وَصَبْرِهِ، وَمُرَابَطَتِهِ، وَثَبَاتِهِ، وَانْتِظَارِهِ الْفَرَجَ مِنْ رَبِّهِ، فَهُوَ قُدْوَةٌ لَكُمْ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَأَحْوَالِهِ وَشَمَائِلِهِ، لِمَنْ كَانَ يَخْشَى اللَّهَ وَيَرْجُو ثَوَابَهُ يَوْمَ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ، وَذَكَرَ اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا فِي عَامَّةِ أَحْوَالِهِ.

{وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} (الأحزاب : 22)

22- وَالْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ الرَّاسِخُونَ فِي إِيمَانِهِمْ لَمَّا رَأَوْا الْأَحْزَابَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ، وَتَذَكَّرُوا مَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْإِبْتِلَاءِ وَالشَّدَّةِ، ثُمَّ النَّصْرِ عَلَى الْكَافِرِينَ، قَالُوا فِي إِيمَانٍ وَيَقِينٍ: هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الْإِبْتِلَاءِ وَالِاخْتِيَارِ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فِي الْإِبْتِلَاءِ، وَفِي الْإِنْتِصَارِ، وَمَا زَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا بِاللَّهِ وَتَصَدِيقًا بِوَعْدِهِ، وَتَسْلِيمًا لِأَمْرِهِ وَقَدَرِهِ، وَطَاعَةً لِرَسُولِهِ.

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَى نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} (الأحزاب : 23)

23- مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا وَعَدُوا اللَّهَ بِهِ، مِنَ الثَّبَاتِ عَلَى الْعَهْدِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ مَاتَ شَهِيدًا فِي سَاحَةِ الْجِهَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ فُرْصَةً لِلْجِهَادِ لِيُقَاتِلَ طَلَبًا لِلشَّهَادَةِ، وَمَا غَيَّرُوا عَهْدَهُمْ مَعَ اللَّهِ، وَلَا نَقَضُوا أَبَدًا.

{لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} (الأحزاب : 24)

24- لِيَجْزِيَ الَّذِينَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ وَيُثَبِّتَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ، بِسَبَبِ صَبْرِهِمْ وَصِدْقِهِمْ وَوَفَائِهِمْ، وَلِيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ خَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ وَنَقَضُوا عَهْدَهُ، إِنْ شَاءَ ذَلِكَ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ فَيَهْدِيَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ، وَيَرْحَمُهُمْ.

{وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا} (الأحزاب : 25)

25- وَرَدَّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ مِنَ الْأَحْزَابِ حَانِقِينَ، لَمْ يَشْفُوا صُدُورَهُمْ بِنَيْلِ مَا أَرَادُوا، فَلَمْ يَظْفَرُوا بِبَصَرٍ وَلَا غَنِيمَةٍ، وَوَقَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالرِّيحِ وَالْمَلَائِكَةِ، فَفَرَّ أَعْدَاؤُهُمْ دُونَ أَنْ يُقَاتِلُوهُمْ، وَاللَّهُ قَوِيٌّ فِيمَا يُرِيدُهُ، لَا تَمْنَعُهُ قُوَّةٌ مِنْ ذَلِكَ، عَزِيمٌ فِي انتِقَامِهِ، غَالِبٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

{وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا} (الأحزاب : 26)

26- وَالَّذِينَ سَاعَدُوا الْأَحْزَابَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَهُمْ بَنُو قُرَيْظَةَ مِنَ الْيَهُودِ، الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَهُمْ مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَالُواوُا الْمُشْرِكِينَ، أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ مِنْ حُصُونِهِمْ وَمَعَاقِلِهِمْ، فَحَاصَرَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى جَهِدُوا مِنَ الْحِصَارِ، وَاسْتَسَلَمُوا لِلْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، فَقَتَلُوا رِجَالَهُمْ، وَأَسْرُوا نِسَاءَهُمْ وَذُرَارِيَهُمْ.

{وَأَوْزَيْنَاكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا} (الأحزاب : 27)

27- ومَلَكِكُمْ أَرْضَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَحُصُونَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَأَرْضًا لَمْ تَطَّأَهَا أَقْدَامُكُمْ مِنْ قَبْلِ -
وَهِيَ خَيْبَرٌ أَوْ غَيْرُهَا - وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَسَيُمَكِّنُكُمْ مِنْ فُتُوحَاتٍ أُخْرَى بِتَأْيِيدِهِ
وَقُدْرَتِهِ.

**{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُمْ
وَأَسْرَحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا } (الأحزاب : 28)**

28- أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ، قُلْ لَزَوْجَاتِكُمْ: إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ السَّعَةَ وَالتَّنَعُّمَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفَهَا
- وَكُنَّ سَأَلْنَهُ النِّفَقَةَ وَرَاجَعْنَهُ فِي ذَلِكَ - فَأَقْبِلْنَ لِأُمْتِّعْكُمْ مَتَاعَ الطَّلَاقِ - وَهُوَ مَالٌ أَوْ مَتَاعٌ
يُعْطَى لَهُنَّ تَكَرُّمًا لَهُنَّ - وَأُطْلَقْنَ طَلَاقًا حَسَنًا لَا ضَرَرَ فِيهِ.

**{ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا
عَظِيمًا } (الأحزاب : 29)**

29- وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَالثَّوَابَ الْجَزِيلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَالتَّعِيمَ الْبَاقِي فِي الْآخِرَةِ،
وَتَصَبَّرْنَ عَلَى الرُّسُولِ فِي الْحَالِ الَّتِي هِيَ فِيهَا، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ هَيَّأَ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ، جَزَاءً
إِحْسَانِيًّا، ثَوَابًا عَظِيمًا، وَرِزْقًا كَرِيمًا.

**{ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ
عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا } (الأحزاب : 30)**

30- يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ، وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، لَكُنَّ اخْتِصَاصٌ وَمِيزَةٌ لَكُونِكُنَّ زَوْجَاتِ رَسُولِ اللَّهِ،
فَمَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِمَعْصِيَةٍ ظَاهِرَةٍ، كُنْشُورٍ وَعِصْيَانٍ، تُضَاعَفُ لَهَا الْعُقُوبَةُ ضِعْفَيْنِ، فِي الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ، وَهَذَا سَهْلٌ يَسِيرٌ عَلَى اللَّهِ، فَلَا يَمْنَعُهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَلَوْ كَانَتِ الْمُعَاقَبَاتُ نِسَاءً
رَسُولِهِ، فَهُوَ حَكَمٌ عَدْلٌ لَا يَظْلِمُ فِي قَضَائِهِ وَحُكْمِهِ أَحَدًا.

الجزء الثاني والعشرون

سورة الأحزاب (31-73)

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة يس (1-27)

{ وَمَنْ يَفْتُنْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً }
(الأحزاب : 31)

31- وَمَنْ يَخْشَعْ مِنْكُمْ وَتَسْتَجِبْ لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا، مِنْ عِبَادَةِ وَنَفَقَةِ وَصِلَةٍ وَغَيْرِهَا، نُضَاعِفْ لَهَا الثَّوَابَ، وَهَيَّاْنَا لَهَا رِزْقًا حَسَنًا مَرْضِيًّا فِي الْجَنَّةِ.

{ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا } (الأحزاب : 32)

32- يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ، لَسْتُنَّ فِي الْقَدْرِ وَالْمِنْزَلَةِ مِثْلَ سَائِرِ النِّسَاءِ إِنْ دَاوَمْتُنَّ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، لِمَا اِمْتَزَّتْ بِهِ مِنْ شَرَفِ الرُّوْحِيَّةِ لِرَسُولِ اللَّهِ وَأُمُومَةِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا تُلِنَّ الْقَوْلَ، وَلَا تُرَفِّقَنَّ الْكَلَامَ إِذَا خَاطَبْتُنَّ الرِّجَالَ، فَيَطْمَعَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ فُجُورٌ أَوْ شَهْوَةٌ وَيَجِدُ سَبِيلًا إِلَى الطَّمَعِ فَيَكُنَّ، وَقُلْنَ قَوْلًا حَسَنًا فِيهِ خَيْرٌ وَصَلَاحٌ، مِنْ غَيْرِ خُضُوعٍ.

{ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } (الأحزاب : 33)

33- وَالزَّمْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَخْرُجْنَ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، وَلَا تَمْشِينَ بِتَبَخُّرٍ وَتَكْسُرٍ وَتَعَنُّجٍ، وَلَا تُبَدِينَ مَحَاسِنَكُمْ كَشَأَنِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَحَافِظْنَ عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَآتِينَ الزَّكَاةَ مِنْ أَمْوَالِكُنَّ لِمُسْتَحَقِّيَّهَا،

وَدَاوِمْنَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاثْبُتْنَ عَلَيْهَا، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْأَحْكَامِ وَالتَّوْجِيهَاتِ أَنْ يُذْهِبَ عَنْكُمْ الْآثَامَ وَالدُّنُوبَ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَيُطَهِّرَكُمْ مِنْهَا تَطْهِيراً بَلِيغاً⁽¹¹¹⁾.

{وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً}
(الأحزاب : 34)

34- وَأذْكُرْنَ فَضَلَ اللَّهِ عَلَيْكُنَّ وَمَا مَيَّزَكُنَّ بِهِ، مِنْ ذَلِكَ نُزُولِ الْوَحْيِ فِي بُيُوتِكُنَّ دُونَ سَائِرِ النَّاسِ، فَاعْمَلْنَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَّمَنَهَا النَّاسَ، وَاللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، عَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُ شَأْنَهُمْ.

{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} (الأحزاب : 35)

35- فِي حَدِيثٍ حَسَنٍ أَوْ صَحِيحٍ، أَنَّ أُمَّ عُمَارَةَ الْأَنْصَارِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرِّجَالِ، وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يُذَكَّرْنَ بِشَيْءٍ. فَنَزَلَتْ الْآيَةُ.

{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ}: الدَّاخِلِينَ تَحْتَ مِظَلَّةِ الْإِسْلَامِ، الْمُنْقَادِينَ لِحُكْمِ اللَّهِ.
{وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}: الْمَصَدِّقِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، الْمَخْلِصِينَ فِي إِيمَانِهِمْ. {وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ}: الْقَائِمِينَ بِالطَّاعَةِ، الْمِمْتَثِلِينَ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. {وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ}: فِي أَقْوَالِهِمْ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَهُوَ مِنْ دَلَائِلِ الْإِيمَانِ. {وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ}: عَنِ الْمَعَاصِي، وَعَلَى مَا أَمَرُوا بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ، وَعَلَى مَا يُقَدِّرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَلَايَا. {وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ}: الْمَتَوَاضِعِينَ لِلَّهِ بِقُلُوبِهِمْ وَجَوَارِحِهِمْ، الْخَائِفِينَ مِنْ غَضَبِهِ وَعُقُوبَتِهِ. {وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ}: زَكَاهُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، وَتَطَوُّعاً وَإِحْسَاناً وَمَعْرُوفاً مَعَ النَّاسِ. {وَالصَّائِمِينَ}

(111) وَيُطَهِّرَكُمْ مِنَ الدَّنَسِ الَّذِي يَكُونُ فِي أَهْلِ مَعَاصِي اللَّهِ تَطْهِيراً. (الطبري). وَاسْتِعَارَةُ الرَّجْسِ لِلْمَعْصِيَةِ وَالتَّرْشِيحُ بِالتَّطْهِيرِ لِمَزِيدِ التَّنْفِيرِ عَنْهَا. (رُوحِ الْبَيَانِ).

وَالصَّائِمَاتِ { : فَرَضًا أَوْ نَفْلًا . } وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ { عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُمْ . }
 { وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ { بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ ، قَائِمِينَ وَقَاعِدِينَ وَمُضْطَجِعِينَ ، تَسْبِيحًا
 وَتَحْمِيدًا وَتَكْبِيرًا وَتَهْلِيلًا ، وَقِرَاءَةً لِلْقُرْآنِ ؛ هَيَأُ اللَّهُ لِلْمُتَّصِفِينَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ الْجَلِيلَةِ ، جَزَاءً
 طَاعَتِهِمْ وَإِحْلَاصِهِمْ ، ذِكْرًا وَإِنَانًا : مَغْفِرَةً لِمَا اقْتَرَفُوهُ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَثَوَابًا عَظِيمًا ، هُوَ الْجَنَّةُ .

**{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ
 وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا } (الأحزاب : 36)**

36- ولا يَصِحُّ ولا يَسْتَقِيمُ لِرَجُلٍ ولا لامرأةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا حَكَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِشَيْءٍ ، أَنْ
 يَخْتَارُوا مِنْ أَمْرِهِمْ مَا شَاءُوا ، بَلِ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْمَعُوا وَيُطِيعُوا ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 وَيَعْمَلْ بِرَأْيِهِ وَهَوَاهُ ، دُونَ حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَقَدْ ضَلَّ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ ، وَانْحَرَفَ انْحِرَافًا بَيِّنًا .
 وَقَدْ نَزَلَتْ فِي ابْنَةِ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ ، عِنْدَمَا طَلَبَ مِنْهَا
 أَنْ تَقْبَلَ الزَّوْجَ مِنْ مَوْلَاهُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، فَأَبَتْ ، فَنَزَلَتْ الْآيَةُ ، فَوَافَقَتْ .

**{ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي
 نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا
 زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا
 وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا } (الأحزاب : 37)**

37- واذكُرْ قَوْلَكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - لِمَوْلَاكَ زَيْدٍ ، الَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْإِسْلَامِ ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ
 بِالْعِتْقِ مِنَ الرِّقِّ وَمَزِيدِ الْقُرْبِ : أَتَيْ عَلَى زَوْجَتِكَ زَيْنَبَ ، وَاتَّقِ اللَّهَ فِي أَمْرِهَا ، وَلَا تُطَلِّقْهَا . وَكَانَ
 قَدْ اشْتَدَّ لِسَاثُهَا عَلَيْهِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . وَتُسِّرُ فِي نَفْسِكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ مَا اللَّهُ مُظْهِرُهُ ، وَهُوَ أَنْ
 زَيْدًا سَيُطَلِّقُهَا وَتَنْزَوِّجُهَا بَعْدَ ، وَتَخَافُ مِنَ اعْتِرَاضِ النَّاسِ وَلَوْمِهِمْ ، لِكَوْنِكَ تَزَوَّجْتَ زَوْجَةً مِنْ
 تَبَنِّيَتِهِ سَابِقًا بَعْدَ طَلَاقِهَا مِنْهُ ، وَاللَّهُ أَحَقُّ وَأَوْلَى أَنْ تَخَافَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ .

فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ حَاجَتَهُ مِنْهَا وَطَلَّقَهَا ، جَعَلْنَاهَا زَوْجَةً لَكَ ، حَتَّى لَا يَبْقَى حَرَجٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي
 الزَّوْجِ مِنْ زَوْجَاتِ أَدْعِيَائِهِمُ الَّذِينَ تَبَنَّوْهُمْ مِنْ قَبْلِ ، بَعْدَ طَلَاقِهِمْ وَانْقِضَاءِ عِدَّتِهِمْ ، وَكَانَ أَمْرُ
 اللَّهِ وَحُكْمُهُ نَافِذًا وَحَاصِلًا لَا مَحَالَةَ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تبى زيد بن حارثة قبل النبوة، فكان يقال له "زيد بن محمد"، فنزل الوحي بمنع التبى، كما مر في الآيتين الرابعة والخامسة من هذه السورة.

{ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرْجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا } (الأحزاب : 38)

38- ما كان هناك إثم ولا حرج على النبي فيما قسم الله له وأحله، وهذه سنة الله في أنبيائه من قبل، فلا يأمرهم بشيء يكون فيه عليهم إثم، وكان أمر الله وحكمه كائناً وواقعاً، لا معدّل عنه.

{ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا } (الأحزاب : 39)

39- الذين يبلّغون رسالات الله إلى الناس ويؤدونها بأمانة⁽¹¹²⁾، ويخافونه ولا يعصونه، ولا يخافون أحداً سواه، مهما كذبتم المناوئون وأدوهم وسخروا منهم، وكفى بالله مراقباً أعمال عباده، ومحاسبهم عليها.

{ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } (الأحزاب : 40)

40- ما كان محمد صلى الله عليه وسلم أباً أحدٍ من رجالكم، فليس هو أباً لزيد وإن كان تبناً قبل النبوة، ولكنه رسول الله إليكم وإلى الناس أجمعين، وخاتم الأنبياء كلهم، فلا نبى بعده. وهو رحيم بكم، ومشفق عليكم كالأب. والله عليم بكل شيء في الكون من أمور الناس وغيرهم، لا تخفى عليه خافية.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا } (الأحزاب : 41)

(112) المراد ما يتعلق بالرسالة، وهي سفارة العبد بين الله وبين ذوي الألباب من خلقه، أي: إيصال الخبر من الله إلى العبد. (روح البيان). يمدح تبارك وتعالى {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ} أي: إلى خلقه، ويؤدونها بأمانتها. (ابن كثير).

41- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، اذْكُرُوا اللَّهَ، بِالتَّسْبِيحِ، وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّمجِيدِ، وَالتَّقْدِيسِ، ذِكْرًا كَثِيرًا، يَعْظُمُ أَغْلَبَ الْأَوْقَاتِ وَالْأَحْوَالِ، عَلَى مَا هَدَاكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ.

{ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } (الأحزاب : 42)

42- وَقَدِّسُوهُ وَنَزِّهُوهُ مِنَ الشَّرْكِ وَالتَّقْصِيرِ وَكُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، صَبَاحًا وَمَسَاءً.

{ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا } (الأحزاب : 43)

43- وَاللَّهُ يَذَكِّرْكُمْ مَا ذَكَّرْتُمُوهُ، وَيَرْحَمْكُمْ بِذَلِكَ، وَيُنِي عَلَيْكُمْ عِنْدَ مَلَائِكَتِهِ، وَهُمْ يَدْعُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَكُمْ كَذَلِكَ، لِيُخْرِجَكُمُ اللَّهُ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالْمَعَاصِي إِلَى نُورِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، وَكَانَ رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ إِذْ هَدَاهُمْ لِلْحَقِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَعَدَّ لَهُمْ مَا يَسُرُّهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

{ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا } (الأحزاب : 44)

44- وَالتَّحِيَّةُ الَّتِي يُحَيُّونَ بِهَا يَوْمَ لِقَائِهِ، هِيَ قَوْلُهُ جَلَّ جَلَالُهُ لَهُمْ: سَلَامٌ، وَيَعْنِي: سَلِمْتُمْ مِنْ كُلِّ مَخُوفٍ، وَهَيَّأَ اللَّهُ لَهُمْ مَكَانًا حَسَنًا وَثَوَابًا طَيِّبًا.

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } (الأحزاب : 45)

45- أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ، لَقَدْ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا عَلَى أَنَّ الرُّسُلَ قَامُوا بِتَبْلِيغِ رِسَالَةِ رَبِّهِمْ، وَشَاهِدًا عَلَى مَنْ بُعِثَتْ إِلَيْهِمْ، تُشَاهِدُ أَحْوَالَهُمْ وَمَوَاقِفَهُمْ مِنَ الرِّسَالَةِ، وَمُبَشِّرًا لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِينَ بِالْحَقَّةِ، وَمُنذِرًا لِلْكَافِرِينَ وَالْعَاصِينَ بِالنَّارِ.

{ وَذَاعِبًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا } (الأحزاب : 46)

46- وداعياً الخلق إلى توحيد الله وطاعته بأمره لك، وكالسراج المضيء الذي يُنير الطريق في الظلام الدامس، فيُهدى بك في ظلمات الجهل والضلال.

{وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا} (الأحزاب : 47)

47- وبشر المؤمنين منهم بأن لهم ثواباً عظيماً وعطاءً جزيلاً يوم القيامة.

{وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} (الأحزاب : 48)

48- ولا تسمع من الكافرين والمنافقين ولا تشاورهم، ولا تُدارهم في أمر الدعوة ولا تُلن جانبك لهم، ولا تُبال ببيدائهم، واصبر على ما ينالك منهم، وكل أمرهم إلى الله، واعتمد عليه وثق به في جميع أمورك، وكفى بالله حافظاً. وذكروا أنها منسوخة بآية القتال.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُوهُنَّ فَامْتَنِعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا} (الأحزاب : 49)

49- أيها المؤمنون، إذا عقدتم على المؤمنات، ثم طلقتموهن قبل أن تُجامعوهن، فلا تُلزمهن العدة، وهن أن يتزوجن بعد الطلاق مباشرة، فأعطوهن المتعة، وهو ما تُكرّم به المرأة المطلقة من مال أو متاع، ويختلف بحسب حال الزوج وعرف البلد. وخلوا سبيلهن من غير إضرار بهن، فلا تُؤذوهن ولا تُسمعوهن كلاماً جارحاً.

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّائِي آتَيْتِ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عُمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّائِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} (الأحزاب : 50)

50- أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمَ، لَقَدْ أَحَلَّلْنَا لَكَ مِنَ النِّسَاءِ زَوْجَاتِكَ اللَّوَاتِي أُعْطِيَتْهُنَّ مُهُورُهُنَّ، وَأَبْجَا لَكَ التَّسْرِيَّ بِمَا تَمَلَّكْتَهُنَّ عَنْ طَرِيقِ الْغَنَائِمِ، وَالزَّوْجِ مِنْ بَنَاتِ عَمِّكَ، وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ مِنْ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، وَبَنَاتِ خَالِكَ، وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ مِنْ بَنِي زُهْرَةَ، اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَيَحِلُّ لَكَ الزَّوْجُ مِنَ الْمَرَأَةِ الَّتِي وَهَبْتَ نَفْسَهَا لَكَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تَتَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ صَدَاقٍ خَالِصَةٍ لَكَ، لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ غَيْرِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَاحْتُلِفَ فِي تَعْيِينِ الْوَاهِبَةِ نَفْسَهَا، وَقَدْ تَعَدَّدْنَ، كَمَا يَأْتِي فِي الْآيَةِ التَّالِيَةِ، وَقَدْ زَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاحِدَةً أَحَدَ أَصْحَابِهِ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْقُرْآنِ، حَيْثُ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَاجَةٌ فِي النِّسَاءِ.

قَدْ عَلِمْنَا وَبَيَّنَّا مَا فَرَضْنَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الزَّوْجِ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَهُوَ أَلَّا يَتَزَوَّجُوا أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِ نِسَاءٍ حُرَّاتٍ، مَعَ اشْتِرَاطِ الْوَلِيِّ وَالْمَهْرِ وَالشُّهُودِ، وَمَا أَوْجَبْنَا مِنَ الْأَحْكَامِ عَلَيْهِمْ فِي التَّزْوُجِ بِالْإِمَاءِ، وَلَمْ نُوجِبْ عَلَيْكَ شَيْئًا مِنْهُ، فَاخْتَارَ اللَّهُ لَكَ مَا هُوَ أَوْلَى وَأَفْضَلُ فِي دُنْيَاكَ، وَزَادَكَ الْوَاهِبَةَ نَفْسَهَا لَكَ مِنْ غَيْرِ عَوَظٍ، لِثَلَاثِ يَكُونُ عَلَيْكَ ضَيْقٌ فِي ذَلِكَ. وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ، كَثِيرَ الرَّحْمَةِ.

{ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا } (الأحزاب : 51)

51- تُؤَخِّرُ الزَّوْجَ بِمَنْ تَشَاءُ مِنَ النِّسَاءِ الْوَاهِبَاتِ أَنْفُسَهُنَّ لَكَ، وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ فَتَتَزَوَّجَهُنَّ، وَمَنْ رَدَدْتَهَا فَبِمَاكَ أَنْ تَعُودَ فَتُؤْوِيهَا إِلَيْكَ، لَا حَرَجَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ. وَفِي الصَّحِيحِينَ وَغَيْرِهِمَا قَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كُنْتُ أَعَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَقُولُ: أَتَهَبُ الْمَرَأَةَ نَفْسَهَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ. اهـ. وَهَذَا التَّخْيِيرُ الَّذِي خَيَّرَكَ اللَّهُ مَعَهُنَّ أَقْرَبَ إِلَى رِضَاهُنَّ، وَأَقْلُ حُزْنُهُنَّ، إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مِنَ اللَّهِ، وَيَرْضَيْنَ بِمَا أُعْطِيَتْهُنَّ كُلَّهُنَّ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ أَمْرِ النِّسَاءِ وَالْمَيْلِ إِلَى بَعْضِهِنَّ. وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا فِي الصُّمَائِرِ وَالسَّرَائِرِ، حَلِيمٌ، يَعْفُو عَمَّا يَغْلِبُ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الْمَيُولِ وَنَحْوِهَا.

{ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا } (الأحزاب : 52)

52- لا يحلُّ لك أيُّها النبيُّ أن تتزوَّج نِسَاءً أُخْرِيَاتٍ بَعْدَ هَذِهِ التَّسْعِ، اللَّوَاتِي خَيَّرْتَهُنَّ فَاخْتَرْتَكِ، جِزَاءً عَلَى صَنِيعِهِنَّ، وَلَا أَنْ تَسْتَبَدِّلَ بِهِنَّ غَيْرَهُنَّ، بَأَنْ تُطَلَّقَ وَاحِدَةً وَتَتَزَوَّجَ بِدَلَّهَا، وَلَوْ أَعْجَبَكَ جَمَاهُنَّ، إِلَّا أَنْ يَكُنَّ إِمَاءً، فَلَكَ الزَّوْجُ بِمَا شِئْتَ مِنْهُنَّ. وَكَانَ اللَّهُ حَافِظًا وَمُطَلِّعًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَاحْذَرُوا تَجَاوَزَ حُدُودِهِ.
وهناك اختلاف بين المفسرين في كون الآية منسوخة أو محكمة.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا } (الأحزاب : 53)

53- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا تَدْخُلُوا مَنَازِلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَنْ تُدْعَوْا إِلَى طَعَامٍ فَيُؤْذَنَ لَكُمْ لِتَأْكُلُوهُ، غَيْرَ مُنْتَظِرِينَ نُضْجَهُ وَاسْتِوَاءَهُ، وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا وَكُلُوا، فَإِذَا أَكَلْتُمْ فَتَفَرَّقُوا وَاخْرُجُوا مِنْ مَنْزِلِهِ، وَلَا تَجْلِسُوا لِتَسْتَأْنِسُوا بِالْحَدِيثِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَشُقُّ عَلَى النَّبِيِّ لِأُمُورٍ نَخَصَّهُ وَأَهْلَهُ، وَهُوَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَطْلُبَ مِنْكُمْ الْإِنْصِرَافَ، وَاللَّهُ لَا يَتْرُكُ تَأْدِيبَكُمْ وَبَيَانَ الْحَقِّ حَيَاءً.

وإذا أردتم حاجة من أزواجه، فاطلبوها من وراء ستر، فهو أطيب لقلوبكم وقلوبهن من الشكوك والخواطر الشيطانية.

ولا يحلُّ ولا يستقيم لكم أن تفعلوا ما يتأذى منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكرهه في شيء من الأشياء، ولا أن تنكحوا زوجاته بعد وفاته أبداً، فإن ذلك كان عند الله أمراً عظيماً وذنباً كبيراً.

{إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً} (الأحزاب : 54)

54- إِنْ تُظْهِرُوا شَيْئاً عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ، أَوْ تُسْرُوهُ فِي صُدُورِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَسِيحَازِيكُمْ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ.

{لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً}

(الأحزاب : 55)

55- وَلَا إِثْمَ عَلَيْهِنَّ فِي تَرْكِ الْحِجَابِ أَمَامَ آبَائِهِنَّ، وَأَبْنَائِهِنَّ، وَإِخْوَانِهِنَّ، وَأَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ، وَالنِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ مِنَ الْإِمَاءِ (وَتَفْصِيلُهُ فِي الْآيَةِ 31 مِنْ سُورَةِ النُّورِ)، وَاحْشَيْنَ اللَّهَ فِي كُلِّ مَا تَأْتِينَ وَتَذَرْنَ، فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، إِنَّ اللَّهَ شَاهِدٌ عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ كُلِّهَا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِهِمْ وَأُمُورِهِنَّ.

{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً}

(الأحزاب : 56)

56- إِنَّ اللَّهَ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ، فَيُثْنِي عَلَيْهِ عِنْدَ مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُعْلِي ذِكْرَهُ وَيَرْحَمُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ وَيَدْعُونَ لَهُ، عَلَى كَثْرَتِهِمْ، وَفِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ، فَصَلُّوا عَلَيْهِ أَنْتُمْ أَيْضاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَهُوَ دُعَاءٌ لَهُ بِالرَّحْمَةِ وَبِرَفْعِ دَرَجَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ، اقْتِدَاءً مِنْكُمْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَلِمَا لَهُ مِنْ حَقِّ عَلَيْكُمْ، وَتَعْظِيماً لَهُ وَمَحَبَّةً وَإِكْرَامًا، وَسَلِّمُوا عَلَيْهِ، أَي قُولُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَأَكْمَلُ هَيْئَاتِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا جَاءَ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ".

وَجَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا".

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمِينَ لَا يَنْقُطِعَانِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

{ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا }
(الأحزاب : 57)

57- إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ، بِالْكَفْرِ بِهِ، أَوْ الشَّرْكِ وَمَا إِلَيْهِ، وَيُؤْذُونَ رَسُولَهُ، بِتَكْذِيبِهِ، وَالِاسْتِهْزَاءِ بِهِ، أَوْ رَمِيهِ بِالْكَهَانَةِ وَغَيْرِهَا مِمَّا يَمَسُّ نَبَوَّتَهُ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَهِيَ لَهُمْ عَذَابًا مُذِلًّا وَمُهِينًا فِي الْآخِرَةِ.

{ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا }
(الأحزاب : 58)

58- وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، بَغَيْرِ جِنَايَةٍ يَسْتَحِقُّوْنَهَا، أَوْ يَنْسِبُونَ إِلَيْهِمْ مَا لَمْ يَفْعَلُوهُ وَلَمْ يَقُولُوهُ، فَقَدْ قَالُوا كَذِبًا فَظِيْعًا، وَارْتَكَبُوا إِثْمًا ظَاهِرًا وَفِعْلًا شَنِيعًا.

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } (الأحزاب : 59)

59- أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ، مُرِّ زَوْجَاتِكَ وَبَنَاتِكَ، وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا، بِأَنْ يَسْتَتِرْنَ وَيَحْتَشِمْنَ، وَيُرْحِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَرْدِيَّتِهِنَّ وَمُلَائِهِنَّ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَقْرَبُ أَنْ يُمَيِّزَنَّ عَنِ الْمَتَرِّجَاتِ وَالْعَوَاهِرِ وَمَنْ إِلَيْهِنَّ، فَلَا يُتَعَرَّضُ لَهُنَّ بِسُوءٍ مِنْ قِبَلِ الْفَاسِقِينَ. وَاللَّهُ كَثِيرُ الْمَغْفِرَةِ لِمَنْ خَالَفَ ثُمَّ تَابَ فَالْتَزَمَ، وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ، فَيَعْفُو وَيَرْحَمُ.

{ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا } (الأحزاب : 60)

60- إِذَا لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ النِّفَاقِ وَالْكَفْرِ، وَضَعْفَاءِ الْإِيمَانِ الَّذِينَ لَا يَثْبُتُونَ عَلَى الْإِيمَانِ كَمَا يَنْبَغِي، وَيَتَأَثَّرُونَ بِمَقُولَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَمَثَلُهُمُ الْمُنْتَدَبُونَ الَّذِينَ يَثْبُتُونَ

الشُّكُوكَ والأخبارَ الكاذِبَةَ، والشَّائعاتِ الملقَّمةَ والخُوفَ، لِيُثيروا الفِتَنَ والاضطِّراباتِ في المجتمعِ المسلمِ، لِنَحْرَضَنَّكَ عَلَيْهِمْ وَنَدْعُوَنَّكَ إِلَى قِتَالِهِمْ، ثُمَّ لَا يَبْقُونَ مَعَكَ فِي الْمَدِينَةِ إِلَّا زَمَانًا يَسِيرًا.

{ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تُقْبُوا أَحِدُوا وَقْتُلُوا تَقْتِيلًا } (الأحزاب : 61)

61- مطرودين مبعدين من رحمة الله، أينما وجدوا أسروا وقتلوا أبلغ قتل.

{ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا } (الأحزاب : 62)

62- وهذه سنة الله وحكمه في المفسدين والمنافقين من الأمم الماضية كذلك، إذا تمردوا ولم يرجعوا إلى الحق، أن يفعل بهم ذلك، ولن نجد لهذه السنة تبديلاً وتغييراً، فهي مبنية على الحق والعدل.

{ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ

قَرِيبًا } (الأحزاب : 63)

63- يسألك الناس عن وقت مجيء القيامة، قل لهم أيها الرسول: لا يعلم وقتها إلا الله، ولم يُطلع عليه أحداً. وأي شيء يُعلمك بوقت قيامها؟ فاعلمها تقع قريباً.

{ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا } (الأحزاب : 64)

64- إن الله أبعَد الكافرين وطردهم من رحمته، وهياً لهم في الآخرة ناراً شديدةً مُستعرةً.

{ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } (الأحزاب : 65)

65- يبْقُونَ فِي جَهَنَّمَ دَائِمًا، لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَزُولُونَ عَنْهَا، وَلَا يَجِدُونَ فِيهَا حَافِظًا وَمُتَوَلِّيًا يُعِيْثُهُمْ، وَلَا مُعِينًا يُنْقِذُهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ.

{ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ } (الأحزاب :

66)

66- في ذلك اليوم الشديد ثقلب وجوههم في النار من جهة إلى جهة، ليدوقوا ألم العذاب أكثر، فيقولون نادمين مقهورين: يا ليتنا سمعنا كلام الله وأطعنا رسوله في الحياة الدنيا، حتى لا نُعذب في هذا المكان.

{ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَّرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا } (الأحزاب : 67)

67- وقالوا: ربنا إننا اتبعنا أشرفنا وقادتنا ومسؤولينا، فحرفوا أفكارنا، وزيتوا لنا الباطل، وأبعدونا عن طريق الإيمان والهداية.

{ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا } (الأحزاب : 68)

68- ربنا فاتهم ضِعْفَيْنِ عَذَابٍ غَيْرِهِمْ، لَضَلَالِهِمْ، وإضلالهم، وأبعدهم من رحمتك بعدًا كثيرًا.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ جَمًّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا } (الأحزاب : 69)

69- أيها المؤمنون، لا تكونوا كبعض بني إسرائيل الذين آذوا نبيهم موسى بما آذوه به، فأظهر الله براءته وطهره من أذيتهم وإفكهم فيه⁽¹¹³⁾، وكان ذا وجهة ومنزلة وكرامة عند ربه، فلا تفعلوا مع نبيكم كما فعله أولئك، ولا تسمعوا أكاذيب المنافقين وشائعاتهم فيه، لئلا تقعوا في حبالهم وترتكبوا محظورًا.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا } (الأحزاب : 70)

(113) في الحديث الصحيح: "كانت بنو إسرائيل يغتسلون غراءً، ينظرون بعضهم إلى بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آذر، فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فخرج موسى في إثره يقول: ثوبي يا حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى، فقالوا: والله ما يموسى من بأس. وأخذ ثوبه، فطفق بالحجر ضربًا". فقال أبو هريرة: والله إنه لندب بالحجر، ستة أو سبعة، ضربًا بالحجر. رواه الشيخان واللفظ للبخاري.

والآدر: المنفوخ الخصية.

والندب: أثر الضرب في الحجر.

70- أيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، اخشَوْا اللَّهَ وَأَطِيعُوهُ وَلَا تُخَالِفُوا أَمْرَهُ، وَقُولُوا قَوْلًا مُسْتَقِيمًا لَا اِعْوِجَاجَ فِيهِ،
غَيْرَ جَائِرٍ وَلَا بَاطِلٍ.

{ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }
(الأحزاب : 71)

71- فَإِنْ تَفَعَّلُوا ذَلِكَ يُثَبِّتْكُمْ وَيُزَكِّ أَعْمَالَكُمْ الْحَسَنَةَ، وَيُضَاعِفِ الْأَجْرَ لَكُمْ، وَيَتَقَبَّلَهَا مِنْكُمْ،
وَيُؤَفِّقُكُمْ لِلتَّوْبَةِ، وَيَغْفِرُ ذُنُوبَكُمْ، وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ظَفَرَ بِالتَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَأُجِيرَ مِنَ
العَذَابِ الْأَلِيمِ.

{ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا
وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } (الأحزاب : 72)

72- إِنَّا عَرَضْنَا الْفَرَائِضَ وَالتَّكْلِيفَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ، وَأَوْجَبْنَا تَلْقِيَهَا بِحُسْنِ
الطَّاعَةِ وَالانْقِيَادِ، وَالْمَحَافِظَةَ عَلَيْهَا وَأَدَاءَهَا وَعَدَمَ الْإِخْلَالَ بِهَا، فَإِنْ أَحْسَنْتَ أُثْبِتَتْ، وَإِنْ
عَصَيْتَ وَضَيَّعْتَ عُوقِبَتْ، عَرَضْنَا عَلَيْهَا عَرَضَ تَخْيِيرٍ لَا إِجْبَارٍ، فَأَبَتْ أَنْ تَحْمِلَ هَذِهِ الْأَمَانَةَ،
خَوْفًا مِنْ أَنْ لَا تَقُومَ بِحَقِّهَا. وَعَرَضَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَمَانَةَ عَلَى الْإِنْسَانِ، إِنْ قَامَ بِحَقِّهَا أُثْبِتَ، وَإِنْ
تَرَكَهَا عُوقِبَ، فَقَبِلَ حَمْلَهَا، وَبَيَّنَّ اسْتِعْدَادَهُ لِلالتِّزَامِ بِهَا، وَالْمَحَافِظَةَ عَلَيْهَا، وَأَدَائَهَا كَمَا يَجِبُ،
إِنَّهُ كَانَ بِذَلِكَ مُفْرِطًا فِي الظُّلْمِ لِنَفْسِهِ وَالإِضْرَارِ بِهَا، مُبَالِغًا فِي الْجَهْلِ بِمَا قَبْلَهُ، مُعْتَدًا بِنَفْسِهِ
عِنْدَمَا وَافَقَ عَلَى شُرُوطِ هَذِهِ الْأَمَانَةِ الصَّعْبَةِ.

{ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } (الأحزاب : 73)

73- لِيُعَذِّبَ اللَّهُ بِذَلِكَ مَنْ لَا يَقُومُ بِحَمْلِ هَذِهِ الْأَمَانَةِ كَمَا يَنْبَغِي، وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ
وَالْمُنَافِقَاتِ، الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ الْإِيمَانَ وَيُطِئُونَ الْكُفْرَ، وَالْمُشْرِكُونَ وَالْمُشْرِكَاتِ، وَهُمْ الَّذِينَ ظَاهَرُوا
وَبَاطَنُوا الشِّرْكَ بِاللَّهِ وَمُخَالَفَةُ أَمْرِهِ، وَلِيَغْفِرَ اللَّهُ بِذَلِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لِمَا فَرَطَ مِنْهُمْ، الَّذِينَ

آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَقُوا فِي إِيْمَانِهِمْ وَأَخْلَصُوا فِيهِ، وَأَدَّوْا الْأَمَانَةَ كَمَا يَنْبَغِي، وَاللَّهُ كَثِيرُ الْمَغْفِرَةِ لِدُنُوبِ عِبَادِهِ التَّائِبِينَ، رَحِيمٌ بِمُؤْمِنِيهِمْ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

وهذه هي طبيعَةُ الإنسان... فمنهم مَنْ يَفِي بِعَهْدِ اللَّهِ وَمِيثَاقِهِ وَيَصْبِرُ، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْتَرِمْ بِبَعْضِهِ ظَاهِرًا وَهُوَ لَا يُرِيدُهُ بَاطِنًا، وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْصِي وَيَخُونُ، وَيُكْذِبُ الْحَقَّ وَيُفْسِدُ، فَلَا يَقُومُ بِذَلِكَ ظَاهِرًا وَلَا بَاطِنًا، وَهُمْ الْكُفَّارُ وَالْمُشْرِكُونَ.

سورة سبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ
الْخَبِيرُ } (سبأ : 1)

1- الشُّكْرُ لِلَّهِ والثناء عَلَيْهِ بما هُوَ أَهْلُهُ، الذي لَهُ كُلُّ ما فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، خَلَقًا، ومُلْكًا، وتَدْبِيرًا، فالجميعُ مُلْكُهُ وَعَبِيدُهُ وتحتَ قَهْرِهِ وسُلْطَانِهِ، وهُوَ المَحْمُودُ فِي الْآخِرَةِ على ما قَضَى بِالْحَقِّ وَعَدَلَ، وَأَثَابَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّعِيمِ المَقِيمِ وزيَادَةً على ما يَسْتَحِقُّونَ، وهُوَ المَحْمُودُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ، يَحْمَدُهُ مَلَائِكَتُهُ وَعِبَادُهُ لَهُ وَمَنْ لَا نَفَقَةَ تَسْبِيحِهِمْ، وهُوَ الْحَكِيمُ فِي تَقْدِيرِهِ وتَدْبِيرِهِ، الْخَبِيرُ بظواهرِ الأَشْيَاءِ وبواطنِهَا.

{ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجُفُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ
الْعَفُورُ } (سبأ : 2)

2- يَخْلُقُ ما يَشَاءُ فِي باطنِ الأَرْضِ، مِنْ قَطْرِ المَاءِ، وبذورِ النَّبَاتِ والشَّجَرِ، والرَّمَالِ والصُّخُورِ، والموتى مِنْ أصنافِ الحيوانِ، وما يُخْرِجُ مِنْهَا، مِنَ النَّبَاتِ والمعادِنِ وَغَيْرِهَا، عَدِيدًا وَكَيْفِيَّتِهَا وَوَقْتِهَا وَأَيْنَ تَصِيرُ، وما يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ ضِيَاءٍ ومَطَرٍ وقُوَّةٍ ومَقاديرَ، وما يَصْعَدُ فِيهَا مِنَ المَلَائِكَةِ والأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَغَيْرِهَا. وهُوَ الرَّحِيمُ بعبادِهِ فلا يُعاجِلُهُمُ بالعُقُوبَةِ، العَفُورُ لذنُوبِ التَّائِبِينَ مِنْهُمْ وإنْ أفرطوا فِيهَا.

{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ
مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ }
(سبأ: 3)

3- وَقَالَ الكافِرُونَ المَكذِّبُونَ بالبعثِ: لا حياةَ بعدَ الموتِ، ولا تَأْتِينَا القِيامَةُ كما تَزْعُمُ. قُلْ لَهُمْ أَثِمُهَا الرَّسُولُ: بَلَى وَاللَّهِ سَتُبْعَثُونَ بعدَ الموتِ، وَتَفْجَأُكُمْ السَّاعَةُ بِقِيامِهَا، فلا يَعْلَمُ وَقْتِهَا إِلَّا

الله، العالم بما غاب عن الإنسان والملائكة وجميع العباد، لا يغيب عن علمه مقدار ذرة كائنة في السماوات أو في الأرض، أو أصغر منها أو أكبر، وكل ذلك مُدَوَّن في اللوح المحفوظ.

{لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} (سبأ : 4)

4- ليُثِيبَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ عَلَى مَا قَدَّمُوا مِنْ أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ فِي الدُّنْيَا، أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لِمَا فَرَطَ مِنْهُمْ مِنْ ذُنُوبٍ، وَرِزْقٌ حَسَنٌ طَيِّبٌ أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

{وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٍ} (سبأ : 5)

5- وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي الْكُفْرِ بِآيَاتِنَا، وَاجْتَهَدُوا بِالصَّدِّ عَنْ رِسَالَاتِنَا، وَالتَّكْذِيبِ بِرُسُلِنَا، وَجَاهَدُوا فِي إِبْطَالِهَا، فَأُولَئِكَ لَهُمْ سَيِّئُ الْعَذَابِ، وَأَشَدُّهُ وَأَلَمُهُ⁽¹¹⁴⁾.

{وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ

الْحَمِيدِ} (سبأ : 6)

6- وَيَعْلَمُ أُولُو الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ مِنْ أَصْحَابِكَ، وَمُؤْمِنِي أُمَّتِكَ، وَمَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْكِتَابُ الْحَقُّ الْمُنزَلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَيْكَ، لَا شَكَّ فِيهِ، وَأَنَّهُ يُرْشِدُ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يُقَهَّرُ وَلَا يُغَالَبُ، الْمَحْمُودِ فِي ذَاتِهِ وَجَمِيعِ شُؤُونِهِ.

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمْرِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ

جَدِيدٍ} (سبأ : 7)

(114) {سَعَوْا}: السَّعْيُ: المشي السريع، وهو دون العدو، ويستعمل للجد في الأمر، خيراً كان أو شراً، قال تعالى: {وَسَعَى فِي خَزَائِمِهَا} [سورة البقرة: 114]... (مفردات الراغب).

{سَعَوْا فِي آيَاتِنَا}: اجتهدوا بالصد عنها ومحاوله إبطالها، فالسعي مستعار للجد في فعل ما. (التحرير).

{آيَاتِنَا}: أدلتنا وحججنا. (الطبري). آياتنا القرآنية، بالرد والظعن فيها، ومنع الناس عن التصديق بها. (روح البيان).

7- وقال الكافرون مُسْتَهْزِئِينَ: هل نَدُلُّكُمْ على أمرٍ عَجَب! رَجُلٌ يُخْبِرُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَتَقَطَّعَتْ أَجْسَادُكُمْ وَتَفَرَّقَتْ فِي الْأَرْضِ، عُدْتُمْ بِعَدَا أَحْيَاءٍ مَرَّةً أُخْرَى؟! يَعْنُونَ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

{أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ
الْبَعِيدِ} (سبأ : 8)

8- وقالوا في كُفْرِهِمْ: هل كَذَبَ مُحَمَّدٌ عَلَى رَبِّهِ إِذْ نَسَبَ إِلَيْهِ الْقَوْلَ بِالْبَعْثِ، وَاحْتَلَقَهُ مِنْ عِنْدِهِ، أَمْ أَنَّ بِهِ جُنُونًا فَتَوَهَّمَ ذَلِكَ وَقَالَه⁽¹¹⁵⁾؟
إِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَادِقٌ رَاشِدٌ، وَلَكِنَّ مُنْكَرِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ جَهْلَةٌ بَعِيدُونَ عَنِ الْفَهْمِ وَالْإِدْرَاكِ لِمَا هُوَ حَقٌّ، وَهُمْ سَائِرُونَ بِهَذَا إِلَى الْعَذَابِ وَالْهَلَاكِ.

{أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءُ نُخْسِفْ بِهِنَّ
الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِنَّ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ} (سبأ :
9)

9- أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى مَا حَوْلَهُمْ، مِنْ أَمَامِهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ، وَأَيْنَمَا سَاءُوا، كَيْفَ يَجِدُونَ السَّمَاءَ وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِمْ، وَالْأَرْضَ وَقَدْ انبَسَطَتْ مِنْ تَحْتِهِمْ، فَإِذَا شِئْنَا زَلَزَلْنَا الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِ أقدامِهِمْ، أَوْ أَسْقَطْنَا عَلَيْهِمْ قِطْعًا مِنَ السَّمَاءِ كَمَا فَعَلْنَا بِأَقْوَامٍ سَابِقِينَ؛ لَكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ اللَّهِ، وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى الْبَعْثِ، لِكُلِّ عَبْدٍ مُتَّفَكِّرٍ رَاجِعٍ إِلَى رَبِّهِ، تَائِبٍ إِلَيْهِ.

{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحُدَيْدَ} (سبأ : 10)

(115) {أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا}: الافتراء هو الكذب، وهو مرادفُ الاختلاق، وكان أصله كناية عن الكذب وتلميح، وشاع ذلك حتى صار مرادفًا للكذب. (ينظر: التحرير والتنوير، عند تفسير الآية 94 من سورة آل عمران).

10- ولقد آتينا عبدنا داودَ النبوةَ، والزَّبورَ، والملِكَ، والصَّوتَ الحَسَنَ المؤثِّرَ، فهو نِعْمَةٌ إذا وُجِّهَ إلى طاعةِ الله، وأمرنا الجِبَالَ أَنْ سَبَّحِي مَعَهُ إِذَا سَبَّحَ، وكذلك الطَّيْرَ، وألنا له الحديدَ، يَتَصَرَّفُ فِيهِ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالعَجِينِ، مُعْجِزَةً لَهُ.

{ أَنْ اَعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (سبأ : 11)

11- وفُلنا له: اَعْمَلْ مِنَ الحَديدِ دُرُوعًا كَامِلَةً طَوِيلَةً، وَنَظَّمْ حَلَقَاتِ الدَّرْعِ بِشَكْلِ حَسَنٍ، فلا تَجْعَلِ المِسامِيرَ فِي حَلَقَاتِهِ دَقِيقَةً فَتَفْلِتَ، ولا غَلِيظَةً فَتَكْسِرَ الحَلِقَ، ولكن اِقْصِدْ فِي ذَلِكَ وَتَوَسَّطْ عَلَى قَدْرِ الحَاجَةِ. وَاَعْمَلُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ يا آلَ داودَ عَلَى ما أَعْطَاكُم اللهُ مِنَ النِّعَمِ، إِنِّي مُرَاقِبٌ أَحْوالِكُمْ، بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ، وَسَأُجَازِيكُم عَلَى ذَلِكَ.

{ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ } (سبأ : 12)

12- وَسَخَّرْنَا لِعَبْدِنَا سُلَيْمَانَ بِنِ داودَ الرِّيحَ، تَجْرِي بِهِ فِي الغَدَاةِ مَسِيرَةً شَهْرًا، وَفِي العِشِيِّ كَذَلِكَ، وَأَذَبْنَا لَهُ النُّحَاسَ كَمَا لَيَّنَّا لِدَاوُدَ الحَديدَ، مُعْجِزَةً لَهُ، وَسَخَّرْنَا لَهُ الجِنَّ، يَعْمَلُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِأَمْرِنَا، وَمَن يَخْرِجْ مِنْهُمْ عَمَّا أَمْرناهُ بِهِ مِنْ طاعةِ سُلَيْمَانَ، نُصَلِّهِ عَذَابًا كَعَذَابِ جَهَنَّمَ.

{ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَمَمَائِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ داوودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ } (سبأ : 13)

13- يَعْمَلُ لَهُ الجِنُّ ما يَشَاءُ مِنْ أبنِيَّةٍ وَفُصُورٍ جَمِيلَةٍ، وَمَمَائِيلٍ مِنْ نُحَاسٍ وَرُجَاجٍ وَرُحَامٍ، وَأَوَانٍ لِلطَّعامِ كالأَحْواضِ العَظِيمَةِ، وَقُدُورٍ لَطَبَخِ الطَّعامَ، ثابِتاتٍ فِي أَمَكانِها لا تَتَحَرَّكُ، لِعِظَمِها، فَاعْمَلُوا شاكِرِينَ يا آلَ داودَ عَلَى ما أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكُم فِي الدُّنْيا، وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي مَنْ يَقومُ بِحَقِّ الشُّكْرِ فِي كُلِّ أَحْوالِهِ، قَلْبًا وَلِسانًا.

{ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْعَيْبَ مَا لَبِئُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ } (سبأ : 14)

14- فلَمَّا حَكَمْنَا عَلَى سُلَيْمَانَ بِالْمَوْتِ، مَا دَلَّ الْجِنُّ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا حَشَرَهُ الْأَرْضَةَ، وَهِيَ سُوسَةُ الْحَشَبِ، فَكَانَتْ تَأْكُلُ عَصَاهُ الَّتِي كَانَ مَتَوَكِّئًا عَلَيْهَا، فَلَمَّا ضَعُفَتْ سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ، فَعَلِمَتِ الْجِنُّ أَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ كَمَا يَدَّعُونَ، لَشَعَرُوا بِمَوْتِهِ، وَلَمَّا بَقُوا فِي الشَّقَاءِ وَالْعَمَلِ الصَّعْبِ الَّذِي كَانَ يُكَلِّفُهُمْ بِهِ سُلَيْمَانٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

{لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ} (سبأ : 15)

15- لَقَدْ كَانَ لِقَبِيلَةِ سَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ مَأْرَبٌ بِالْيَمَنِ عِلَامَةٌ بَارِزَةٌ وَعِبْرَةٌ وَاضِحَةٌ، فَكَانَ لَهُمْ بُسْتَانَانِ عَظِيمَانِ عَنْ يَمِينٍ بِلَدِّهِمْ، وَشِمَالِهِ، فَكُلُوا مِنْ ثَمَارِ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِنَّ عَلَيْكُمْ، وَاهْتَفُوا بِهِنَّ، وَاشْكُرُوا لَهُ عَلَى هَذَا الرِّزْقِ الْكَرِيمِ، وَلَا تُسْرِفُوا وَلَا تَبْطَرُوا، وَلَا تَنْسُوا الْفُقَرَاءَ مِمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ. إِنَّهَا بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ مُبَارَكَةٌ، تُنْبِتُ لَكُمْ مَا تَشْتَهُونَ مِنَ الرِّزْقِ وَالثَّمَرِ، وَرَبُّكُمْ يَرْزُقُكُمْ، وَيَغْفِرُ لَكُمْ مَا فَرَطَ مِنْكُمْ، مَا دُمْتُمْ مُؤَحِّدِينَ شَاكِرِينَ.

{فَاعْرَضُوا فَأرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ} (سبأ : 16)

16- فَاعْرَضُوا عَنِ التَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ، وَلَمْ يَشْكُرُوا رَبَّهُمْ عَلَى نِعْمِهِ عَلَيْهِمْ، بَلْ ضَلُّوا وَعَبَدُوا الشَّمْسَ، فَأرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ السَّيْلَ الشَّدِيدَ الَّذِي لَا يُطَاقُ، وَبَدَّلْنَاهُمْ بِبُسْتَانَيْهِمُ الْكَبِيرَيْنِ الْمَلِيئَيْنِ بِأَنْوَاعِ الثَّمَارِ، بُسْتَانَيْنِ ذَوَاتِي ثَمَرٍ مُّرٍّ، وَنَبَاتِ الْأَثَلِ ذِي الْأَغْصَانِ الْمُعَقَّدَةِ وَالْأَوْرَاقِ الدَّقِيقَةِ، وَشَجَرِ السِّدْرِ ذِي الشُّوكِ الْكَثِيرِ وَالثَّمَرِ الْقَلِيلِ.

{ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَافِرَ} (سبأ : 17)

17- وَقَدْ جَزَيْنَاهُمْ بِذَلِكَ لِكُفْرِهِمُ النَّعْمَةَ وَضَلَالِهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وَلَا نُجَازِي بِمِثْلِ هَذَا الْجَزَاءِ الشَّدِيدِ إِلَّا الْكَافِرِينَ.

{ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ } (سبأ : 18)

18- وَمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ جَعَلْنَا قُرَاهُمْ مُتَوَاصِلَةً، مِنْ بِلَادِهِمْ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى قُرَى الشَّامِ، فَلَا يَقِيلُونَ بِقَرْيَةٍ حَتَّى يَجِدُوا أَمَامَهُمْ قُرَى أُخْرَى وَاضِحَةً، وَجَعَلْنَا بَيْنَ كُلِّ قَرْيَةٍ وَأُخْرَى مَسَافَةً مُعَيَّنَةً يَعْرِفُهَا الْمَسَافِرُونَ، فَامشُوا فِيهَا بِاللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَقَتَّمَا شِئْتُمْ، آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ، لَا تَخَافُونَ عَدُوًّا، وَلَا جُوعًا، وَلَا عَطَشًا.

{ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَا لَهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ } (سبأ : 19)

19- وَطَالَتْ بِهِمُ النَّعْمَةُ، فَبَطَرُوا وَطَعَوْا، وَأَثَرُوا الْأَدْنَى عَلَى الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَقَالُوا: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَوَاطِنِ تِجَارَتِنَا وَتَنْقُلْنَا، وَاجْعَلْهَا قِفَارًا وَصَحَارِي، حَتَّى نَرْكَبَ الرِّوَاحِلَ وَنَتَزَوَّدَ. فَأَضْرَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عِنْدَمَا كَفَرُوا وَطَعَوْا، فَجَعَلْنَا لَهُمْ أُحْدُوثَةً وَعِبْرَةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَفَرَقْنَا لَهُمْ كُلَّ تَفْرِيقٍ، فِي كُلِّ وَجْهِ وَصَوْبٍ مِنَ الْبِلَادِ. وَفِيمَا ذُكِرَ مِنْ قِصَّتِهِمْ عِبْرٌ وَدَلَالَاتٌ لِكُلِّ صَابِرٍ عَنِ الْمَعَاصِي وَالشَّهَوَاتِ، شَاكِرٍ لِنِعْمِ اللَّهِ.

{ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } (سبأ : 20)

20- وَقَدْ حَقَّقَ فِيهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ عِنْدَمَا وَجَدَ فِيهِمْ طَرِيقَهُ، فَزَيَّنَ لَهُمُ الْمَعَاصِي، وَأَمْلَهُمْ وَمَنَّاهُمْ، فَاتَّبَعُوهُ، إِلَّا جَمَاعَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ ثَبَتُوا عَلَى الدِّينِ الْحَقِّ.

{ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ } (سبأ : 21)

21- وَمَا كَانَ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا حُجَّةٍ، إِلَّا أَنَّهُ اسْتَنَاعَاهُمْ وَغَرَّرَ بِهِمْ، وَدَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَإِنَّمَا سَلَّطْنَاهُ عَلَيْهِمْ لِنُمَيِّزَ الْمُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ مِنَ الْكَافِرِ بِهِ، فَيَكُونُ هُنَاكَ امْتِحَانٌ يُعْرَفُ مِنْ خِلَالِهِ الصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ، فَالْمُؤْمِنُ يَثْبُتُ فِي الْاِحْتِبَارِ، وَالَّذِي إِيمَانُهُ غَيْرُ

ثابتٍ يَتَقَلَّبُ بِشُبُهَةِ الشَّيْطَانِ وَدَعْوَتِهِ، فَيُظْهِرُ الْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ، وَالْحَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ. وَاللَّهُ رَقِيبٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِ الْعِبَادِ وَشُؤُونِهِمْ.

{قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ} (سبأ : 22)

22- قُلْ أَيُّهَا الرُّسُولُ لِلْمُشْرِكِينَ: ادْعُوا الْأَصْنَامَ الَّتِي زَعَمْتُمْ أَنَّهَا آلِهَةٌ، لِيَجْلُبُوا لَكُمْ نَفْعًا، كإِنزَالِ مَطَرٍ أَوْ إنبَاتِ زَرْعٍ، أَوْ يَدْفَعُوا عَنْكُمْ ضُرًّا، كإِبْعَادِ قَحْطٍ أَوْ شِفَاءٍ مِنْ مَرَضٍ، لَعَلَّهُمْ يَسْتَجِيبُونَ لَكُمْ، إِنْ صَحَّ زَعْمُكُمْ، لَكِنَّ الْحَقَّ أَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ، لَا فِي السَّمَاءِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، لَا اسْتِقْلَالًا وَلَا شِرَاكَةً، وَلَا يَعْتَمِدُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي تَصْرِيْفِ شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِ الْكَوْنِ، وَلَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبِيدِهِ.

{وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} (سبأ : 23)

23- وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا لِشَافِعٍ أَذِنَ لَهُ فِيهَا، مِنْ نَبِيِّنَ وَمَلَائِكَةٍ وَنَحْوِهِمْ، وَلَا يَجْتَرِئُ أَحَدٌ أَنْ يَشْفَعَ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِهِ لَهُ، فَكَيْفَ يَأْذُنُ لِلْكَافِرِينَ وَأَصْنَامِهِمْ وَهُمْ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ شُفَعَاؤُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ؟! حَتَّىٰ إِذَا انْجَلَى الْفَرْعُ عَن قُلُوبِ الشَّافِعِينَ وَالْمُشْفُوعِينَ، لِمَا أَصَابَهُمْ مِنَ الرَّهْبَةِ وَالْخَوْفِ، سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: لَقَدْ قَالَ رَبُّنَا الْقَوْلَ الْحَقَّ الْفَصْلَ، وَهُوَ الْعَلِيُّ فَوْقَ خَلْقِهِ، الْكَبِيرُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ.

{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (سبأ : 24)

24- قُلْ لِلْمُشْرِكِينَ أَيُّهَا الرُّسُولُ: مَنْ الَّذِي يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَيُنزِلُ لَكُمْ الْمَطَرَ، وَيُنْبِتُ لَكُمْ الزَّرْعَ، اللَّهُ أَمْ أَصْنَامُكُمْ؟ قُلْ: هُوَ اللَّهُ - وَكَانُوا يَعْتَرِفُونَ بِذَلِكَ - وَلَا جَوَابَ عِنْدَهُمْ سِوَاهُ.

وقُلْ لهم: نحنُ أو أنتم على صوابٍ، أو في انحرافٍ واضحٍ، ولا يكونُ كِلانا على صوابٍ أو ضلالٍ، ونحنُ قد أبدينا حُجَّتنا، وأظهرنا بطلانَ ألوهيةِ أصنامِكُم، فأنتم على بُطلانٍ.

{ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ } (سبأ : 25)

25- قُلْ لهم: نحنُ بريؤونَ منكم وأنتم بريؤونَ منّا، ولا تُسألونَ عنْ ذُنوبنا يومَ القيامةِ، ولا نحنُ نُسألُ عنْ أعمالِكُم، وقد دعوناكُم إلى الحقِّ فأبيئتم.

{ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ } (سبأ : 26)

26- قُلْ لهم: اللهُ يَجْمَعُ بَيْننا يومَ القيامةِ في صعيدٍ واحدٍ للحِسابِ، ثمَّ يَحْكُمُ بَيْننا بالعدلِ، ويفصِّلُ فيما كُنَّا نَخْتَلِفُ فيه، ويجزِي كُلاًّ منّا بما عَمِلَ، إنْ خيراً أو شَرّاً، ويلقَى كُلَّ جزاءَه، واللهُ هوَ الحاكمُ الذي يفصِّلُ في الخِصوماتِ، وهوَ العليمُ بظواهرِ الأمورِ وبواطنِها.

{ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَهَنْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (سبأ : 27)

27- قُلْ لهم أيُّها النبي: أروني تلكَ الآلهةَ التي جعلتموها شُرَكَاءَ معَ اللهُ، وهي أحجارٌ وأخشابٌ، لا تعي ولا تتكلَّم، هلْ يخلُقونَ شيئاً أو يرزُقون؟ فبأيِّ وجهٍ وأيةِ صِفَةٍ وأيِّ حقٍّ جعلتموها آلهةً؟ كلاًّ، ليسَ اللهُ نظيرٌ ولا شريك، بل هوَ اللهُ الغالبُ الذي قهرَ كُلَّ شيءٍ، الحكيمُ في تدبيره وتقديره.

{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (سبأ : 28)

28- وقد أرسلناك للناسِ جميعاً، عربَّيهم وأعجميهم، أبيضهم وأسودهم، ذكَّرتهم وأنثاهم، حتَّى قيامِ الساعةِ، تُبشِّرُ مَنْ أطاعَ اللهُ بالجنةِ، وتُنذِرُ مَنْ عصاهُ بالنارِ، ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يعلمونَ أنَّكَ رَسولٌ، إمَّا جهلاً منهم، أو عناداً، فهم في جهلٍ وضلالٍ، وخيرةٍ وظلامٍ.

{ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (سبأ : 29)

29- ويقول المشركون مستبعبدين الأمر: ومتى يكون يوم القيامة الذي نُخَوِّفوننا به، إن كنتم صادقين في زعمكم؟

{ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ } (سبأ : 30)

30- قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ عَلَيْهِ سَاعَةً وَاحِدَةً.

{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ } (سبأ : 31)

31- وقال الكافرون في تعنتٍ وعناد: لن نؤمن بهذا القرآن، ولا بالكتب السماوية السابقة. ولو ترى أيها النبي هؤلاء الكافرين يوم القيامة وقد أوقفوا للحساب، وهم يتخاصمون ويتجادلون، يقول الأتباع لقادتهم ومسؤوليهم: لو لم نُضِلُّونا بأفكاركم، ولم نُحوِّلوا بيننا وبين معرفة الحق، لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.

{ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ } (سبأ : 32)

32- قال لهم زعماءهم ومُسْتَكْبِرُوهم: أَنَحْنُ مَنَعْنَاكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بَعْدَ أَنْ أَصْرَرْتُمْ عَلَى الدُّخُولِ فِيهِ؟ بَلْ أَنْتُمْ اخْتَرْتُمْ الْكُفْرَ بِأَنْفُسِكُمْ، وَأَثَرْتُمُوهُ عَلَى الْإِيمَانِ عِنَادًا وَإِجْرَامًا مِنْكُمْ، وَهَوَى وَرَغْبَةً فِي أَنْفُسِكُمْ، وَلَمْ نَزِدْ عَلَى أَنْ دَعَوْنَاكُمْ إِلَى أَفْكَارِنَا وَنَظَرِيَّاتِنَا فَاسْتَجَبْتُمْ.

{ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (سبأ : 33)

33- قَالَ الْأَتْبَاعُ الْمُسْتَضْعَفُونَ لِمَسْئُولِيهِمْ وَقَادَتِهِمْ: بَلْ هُوَ مُحَاوَلَاتُكُمْ الْمِتَكَرَّرَةُ لِلتَّغْيِيرِ بِنَا وَإِضْلَالِنَا، وَدِعَايَاتُكُمْ الْمَهْوَلَةُ لِأَفْكَارِكُمْ الْمُنْحَرِفَةَ، وَحِيلِكُمْ الْمِتَتَالِيَةَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنْتُمْ تَدْعُونَنَا لِلْكَفْرِ بِاللَّهِ وَدِينِهِ، وَأَنْ نَجْعَلَ مَعَهُ شُرَكَاءَ. وَأَضْمَرُوا الْحَسْرَةَ وَالنَّدَامَةَ لِمَا رَأَوْا الْعَذَابَ حَاضِرًا يَنْتَظِرُهُمْ، وَجَعَلْنَا الْفِيُودَ فِي أَعْنَاقِ الْكَافِرِينَ، مِنْ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ، وَلَمْ يُجْزُوا إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ الشُّوْءِ وَالشَّرِّ.

{ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ } (سبأ : 34)

34- وما أرسلنا رسولا في قرية من القرى، إلا وكذبته رؤساؤها وأغنياؤها، وقالوا لأنبيائهم: نحن لا نؤمن بنبوتكم، ولا نصدق رسالتكم.

{ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ } (سبأ : 35)

35- وقال المترفون المستكبرون: نحن أكثر أموالاً وأولاداً من هؤلاء الضعفاء المؤمنين، وهو دليل كرامتنا على الله ورضاه عنا، ولو لم يُجِبْنَا لما أعطانا ذلك، ولن يُعَذِّبَنَا فِي الْآخِرَةِ وَقَدْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا وَأَكْرَمَنَا فِي الدُّنْيَا!

{ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (سبأ : 36)

36- قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرُّسُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُوَسِّعُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، مَنْ أَحَبَّ مِنْهُمْ وَمَنْ لَمْ يُحِبَّ، وَيُضَيِّقُ عَلَى مَنْ شَاءَ كَذَلِكَ، ابْتِلَاءً وَاحْتِبَارًا مِنْهُ، وَلَهُ حِكْمَةٌ فِيهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، وَلَا يَنْسِبُونَ ذَلِكَ إِلَى حِكْمَتِهِ تَعَالَى.

{ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ

لَهُمْ جِزَاءٌ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ } (سبأ : 37)

37- وَإِنَّ أَمْوَالَكُمْ الْكَثِيرَةَ وَأَوْلَادَكُمْ لَنْ يَنْفَعَوْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَنْ يُقَرَّبُوكُمْ عِنْدَنَا، وَلَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ مَكَانًا فِي الْجَنَّةِ، إِلَّا مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا فِي الدُّنْيَا، وَعَمِلَ الْأَعْمَالَ الْحَسَنَةَ، فَهَؤُلَاءِ هُمْ

المقبولون عند ربهم، وسيُجازيهم ثوابًا مُضاعفًا على أعمالهم، وهم مُطمئنون سالمون من كل شرٍّ وأذى، في عُرفِ الجنةِ ومنازلها العالِيَةِ.

{وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ} (سبأ : 38)

38- والذين يَسْعَوْنَ فِي الكُفْرِ بِآيَاتِنَا⁽¹¹⁶⁾، والصدِّ عن رسالاتنا، والتكذيبِ برُسُلنا، ويُجاهدون في إبطالها، أولئك يُحْضَرُونَ لِلْحِسَابِ والعذاب، لا يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّارِ شَيْءٌ.

{قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} (سبأ : 39)

39- قُلْ لَهُمْ أَثْمَارُ الرُّسُولِ: إِنَّ اللهَ يَوْسِعُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيُضَيِّقُ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ، فَلَا تَخْشَوْا الْفَقْرَ، وَأَنْفِقُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ، وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي الْخَيْرِ فَاللهُ يُخْلِفُهُ عَلَيْكُمْ بِمَا يَقُومُ مَقَامَهُ، بِالْمَالِ وَالْبَرَكَاتِ فِيهِ فِي الدُّنْيَا، أَوْ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ، وَاللهُ خَيْرُ مَنْ يُعْطِي وَيَرْزُقُ.

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ} (سبأ : 40)

40- واذكُرْ يَوْمَ يَحْشُرُ اللهُ الْمَشْرِكِينَ جَمِيعًا، الْمُسْتَكْبِرِينَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْهُمْ، ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ: أَهؤُلَاءِ الْمَشْرِكُونَ كَانُوا يَعْبُدُونَكُمْ، عِنْدَمَا كَانُوا يَقُولُونَ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللهِ، وَيُصَوِّرُونَ الْأَصْنَامَ عَلَى هَيْئَةِ الْمَلَائِكَةِ - بَزْعِمِهِمْ - لِيُقَرَّبُوهُمْ إِلَى اللهِ؟

{قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} (سبأ : 41)

41- قَالَ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: تَقَدَّسَتْ وَتَعَالَيْتَ عَنِ الشَّرِيكِ يَا رَبَّنَا، نَحْنُ نَعْبُدُكَ وَنُؤَلِّيكَ، وَلَمْ نَطْلُبْ مِنْهُمْ مَا يَدَّعُونَ، بَلْ كَانَ هَوَاهُمْ مَعَ الشَّيَاطِينِ، الَّذِينَ كَانُوا يُزَيِّنُونَ لَهُمْ

(116) السعيُّ مستعارٌ للاجتهادِ في العمل، كقوله تعالى: {ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى} [سورة النازعات: 22].
وإذا عدي بـ (في) كان في الغالب مراداً منه الاجتهادُ في المضرة... (التحرير والتنوير).

عبادة غير الله تعالى، فيطيعوهم، ويعبدون الملائكة، والأصنام وما إليها، وكان أكثرهم
يصدقون الشياطين أهما آلهة!

{قَالِيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ
الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ} (سبأ : 42)

42- فاليوم أيها المشركون، لا ينفعكم من كنتم ترجون شفاعتهم من الملائكة، والأصنام،
التي كنتم تظنون أهما تنفعكم يوم الشدة، وهي لا تملك نفعًا ولا ضرًا. ونقول للمشركين الذين
ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب: ذوقوا عذاب النار التي كنتم تكذبون بها، وتقولون إنه لا
ثواب ولا عقاب، ولا جنة ولا نار.

{وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ
آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا
سِحْرٌ مُّبِينٌ} (سبأ : 43)

43- وإذا قرأ عليهم رسول الله آيات من القرآن، الدالة على الحق والتوحيد الواضح، قالوا:
إن محمدًا يريد أن يبعدكم ويمنعكم من دين آباءكم الحق! وقال المشركون: ما هذا القرآن
الذي يتلوه علينا محمد سوى كذب واختلاق من عنده، وقالوا: ما هذا القرآن الذي جاء به
سوى سحر ظاهر يخدع به الناس!

{وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِّنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ} (سبأ : 44)

44- ولم نؤت المشركين من أهل مكة كتبًا يقرؤوها ويعلمون بها بطلان ما جئت به، ولم
نرسل إليهم قبلك نبيًا يذكر لهم ما يدعون من استبعاد نبوتك ورسالة الإسلام، فمن أين
جاءوا بهذا الصد والإنكار سوى أنهم جاهلون ومشركون ضالون؟

{وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرٍ} (سبأ : 45)

45- وقد كذَّبَ الكافرونَ مِنَ الأُمَمِ المَاضِيَةِ رُسُلَنَا، وما بَلَغَ هؤلاءِ المَشْرِكُونَ مِنَ القُوَّةِ والنَّعْمَةِ وطُولِ العُمُرِ عَشْرَ ما أَعْطَيْنَا تِلْكَ الأُمَّةَ مِنْهَا، فلمَ تَنْفَعُهُمْ قُوَّتُهُمْ شَيْئًا، ولمَ يَمْنَعُهُمْ ما هُمْ فِيهِ مِنْ جَاهٍ وَنِعْمَةٍ وَسُلْطَانٍ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، فانظُرْ كيفَ كانَ انْتِصاري لِرُسُلِي، وَعِقابي لَهُم.

{ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ فُرَادَىٰ تُتَفَكَّرُونَ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ } (سبأ : 46)

46- قُلْ لَهُمُ أَيُّهَا الرُّسُولُ الكَرِيمُ: إِنِّي أَنْصَحُكُمْ بِخِصْلَةٍ وَاحِدَةٍ لِتَصِلُوا بِهَا إِلَى مَعْرِفَةِ الصَّوَابِ، أَنْ تَطْلُبُوا الحَقَّ بِإِحْلَاصٍ لِأَجْلِ اللَّهِ، مُتَفَرِّقِينَ: اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، وَوَاحِدًا وَاحِدًا، مِنْ غَيْرِ ارْتِباطٍ بِأَحَدٍ، بَلْ بِتَفَكِيرٍ مُسْتَقِيلٍ، ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ مِنْ جَدِيدٍ فِي حَالِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَحْوَالُهُ وَدَعْوَتُهُ وما يَتْلُوهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مَجْنُونٌ؟ ما هُوَ إِلَّا رَسُولٌ إِلَيْكُمْ، يُنذِرُكُمْ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ فِي الآخِرَةِ.

{ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } (سبأ : 47)

47- قُلْ لَهُمُ: أنا لم أَطْلُبْ مِنْكُمْ أَجْرَةً مِنْ مَالٍ أَوْ مَتاعٍ مُقَابِلَ تَبْلِيغِ رِسالَةِ اللَّهِ، حَتَّى لا تَقُولُوا إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُثْرِيَ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ، إِنَّمَا أَطْلُبُ الأَجْرَ والثَّوَابَ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَإِذا كانَ هُنَاكَ شَيْءٌ فَهُوَ لَكُمْ، وَهُوَ ما لا يوجَدُ، وَاللَّهُ عَالمٌ بِأَمْرِي، وَمُطَّلِعٌ عَلَى سَرِيرَتِي.

{ قُلْ إِنْ رَبِّي يَفْضِلُ بِالْحَقِّ عَلَافَةَ الغُيُوبِ } (سبأ : 48)

48- قُلْ لَهُمُ أَيُّهَا النَّبِيُّ: إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالوَحْيِ الحَقِّ، وَيَرْمِي بِهِ عَلَى الباطِلِ، وَهُوَ العالِمُ بِالغَيْبِ، فلا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّمَاءِ.

{ قُلْ جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِيهِ الباطِلُ وَمَا يُعِيدُهُ } (سبأ : 49)

49- قُلْ: جاءَ الإسلامُ والتَّوْحِيدُ، فلمَ يَبْقَ للباطِلِ مَقالَةٌ ولا رِياسَةٌ، فَقَدْ مَضَى وَهَلَكَ الكُفْرُ والشِّرْكَ، ولا بقاءَ للباطِلِ بَعْدَ أَنْ سَطَعَ نُورُ الحَقِّ وَثَبَتَ أَهْلُهُ.

{ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ }
(سبأ : 50)

50- قُلْ لِلْمُشْرِكِينَ: إِنْ كُنْتُ ضَلَلْتُ فَإِنَّ إِثْمَ انْحِرَافِي وَضَلَالِي يَعُودُ بِالشَّرِّ وَالسُّوءِ عَلَيَّ، فَلَا عَلَيْكُمْ مِنِّي، وَإِنْ اهْتَدَيْتُ إِلَى الْحَقِّ فَهوَ بِوَحْيِ اللَّهِ إِلَيَّ وَتَوْفِيقِهِ لِي، وَلَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَأَنَا تَحْتَ مَشِيئَتِهِ، أُبَلِّغُ مَا يَأْمُرُنِي بِهِ، وَهُوَ سَمِيعٌ لِمَنْ دَعَاهُ، قَرِيبٌ لِإِجَابَةِ لِمَنْ رَجَاهُ.

{ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ } (سبأ : 51)

51- وَلَوْ تَرَى الْمَكْدُوبِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَدْ خَافُوا وَارْتَعَدُوا مِنْ رَهْبَةِ الْمَوْقِفِ وَهَوْلِ الْعَذَابِ، فَلَا مَهْرَبَ لَهُمْ مِمَّا يُرِيدُ اللَّهُ بِهِمْ، وَأُخِذُوا مِنَ الْمَوْقِفِ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْجَحِيمِ، مَقَرَّهُمُ الْأَخِيرَ.

{ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ } (سبأ : 52)

52- وَقَالُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: آمَنَّا بِاللَّهِ، وَمَا أَرْسَلَ مِنَ الرُّسُلِ، وَمَا أَنْزَلَ مِنَ الْكُتُبِ. وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ لَهُمْ تَنَاقُلُ هَذَا الْإِيمَانِ وَقَدْ بَعُدُوا عَنْ مَكَانِ قَبُولِهِ، وَهُوَ الدُّنْيَا، وَصَارُوا إِلَى دَارِ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ؟

{ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِرُونَ بِالْعَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ } (سبأ : 53)

53- وَقَدْ كَفَرُوا بِذَلِكَ مِنْ قَبْلُ فِي الدُّنْيَا، وَكَانُوا يَرْمُونَ الْكَلَامَ بِالظَّنِّ وَالتَّخْمِينِ، مِنْ جِهَةِ بَعِيدَةٍ مِنْ أَمْرِ مَنْ تَكَلَّمُوا فِي شَأْنِهِ، فَيَقُولُونَ لِلرُّسُولِ إِنَّهُ شَاعِرٌ، أَوْ كَاهِنٌ، أَوْ مَجْنُونٌ، وَيُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ... وَلَا يُقَدِّرُونَ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى كَلَامِهِمْ هَذَا.

{ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ }
(سبأ : 54)

54- وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، أَوْ الرَّجُوعِ إِلَى الدُّنْيَا⁽¹¹⁷⁾، كَمَا جَرَى لِأَمْثَالِهِمْ مِنَ الأُمَّمِ السَّابِقَةِ المَكْذِبَةِ بالرُّسُلِ، إِنَّهُمْ كَانُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي شَكٍّ وَرَيْبَةٍ مِنْ أَمْرِ البَعْثِ وَالحِسَابِ.

(117) أي: أوقعت الحيلولة والمنع بين هؤلاء الكفار وبين ما يشتهون... (روح البيان).

سورة فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (فاطر : 1)

1- الحمد لله والثناء عليه بما هو أهله، مُوجِدِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُبدِعِهما على غيرِ مثالٍ سابق، جاعِلِ الملائكةِ وسائطَ بينه وبينَ خلقه لتبليغهم أوامره، ذوي أَجْنِحَةٍ يَطِيرُونَ بها، منهم مَنْ لَهُ جَنَاحان، ومنهم مَنْ لَهُ ثَلَاثَة، ومنهم مَنْ لَهُ أَرْبَعَة، ومنهم مَنْ لَهُ أَكْثَر، وَيَزِيدُ اللَّهُ فِي الْخَلْقِ، أو الأَجْنِحَة، ما يَشَاءُ، واللَّهُ قَادِرٌ على كُلِّ شَيْءٍ، لا يَصْعَبُ عَلَيْهِ أمر.

{ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (فاطر : 2)

2- إذا أَطْلَقَ اللَّهُ لِلنَّاسِ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ، مِنْ نِعْمَةٍ، وَأَمْنٍ، وَعِلْمٍ، وَصِحَّةٍ، فلا يَقْدِرُ أَحَدٌ على مَنعِ عَطَائِهِ، وإذا حَبَسَهُ عَنْهُمْ فلا يَقْدِرُ أَحَدٌ على مَنعِهِ لَهُمْ، واللَّهُ عَزِيزٌ يَغْلِبُ ولا يُغْلَبُ، حَكِيمٌ، فلا يُقَدَّرُ إِلَّا ما فِيهِ مَصْلَحَةٌ وَحِكْمَةٌ.

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } (فاطر : 3)

3- أَيُّهَا النَّاسُ، تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ الكَثِيرَةَ عَلَيْكُمْ، وَتَوَمَّوا بِأداءِ حَقِّها، فَاشْكُرُوا لوَهابِها وَاعبُدوه، فَإِنَّهُ لا خالِقَ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِي بها لَكُمْ، مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَيُنزِلُ المَطَرَ، وَيُنْبِتُ الزَّرْعَ لِأَجْلِكُمْ، فَهُوَ الإِلَهُ الحَقُّ الَّذِي يَجِبُ إِلَّا يُعْبَدَ إِلَّا هُوَ، فَكَيْفَ تَكْذِبُونَ وَتَدْعُونَ أَنَّ الْأَصْنَامَ أَيْضًا آلِهَةٌ؟

{ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ } (فاطر : 4)

4- وإذا كذبتك المشركون أيها الرسول وخالفوا ما جئت به، فقد سبق أن كذب مشركون مثلهم أنبياءهم، فصبروا، فتأس بهم، واصبر مثلهم، وإلى الله مآل الأمور كلها يوم القيامة، فيحزي كلاً بما عمل.

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ }
(فاطر: 5)

5- أيها الناس، إن قيام الساعة حق لا ريب فيه، فلا تلهينكم الحياة الدنيا بزينتها ونعيمها عن الآخرة، ولا يخدعنكم الشيطان ويصرفنكم عن اتباع الحق، بكيدِهِ وتزيينهِ الشرِّ والمعاصي في نفوسكم.

{ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ }
(فاطر: 6)

6- إن الشيطان عدو قديم لكم، فاجعلوه أنتم أيضاً عدواً لكم، وكونوا على حذر منه حتى لا يضللكم، فإنه يجهد في دعوتكم إلى الكفر والضلال، لتوافقوه، وتدخلوا معه عذاب السعير.

{ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ }
(فاطر: 7)

7- الذين كفروا وكذبوا رسل الله مصيرهم عذاب مؤلم قاس، جزاء كفرهم وطاعتهم الشيطان، والذين آمنوا وأخلصوا في إيمانهم، وأتبعوه بالعمل الصالح، فأولئك يغفر الله ما فرط منهم من ذنوب، ولهم ثواب عظيم.

{ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ } (فاطر: 8)

8- أفمن حسن الشيطان له عمله السيئ، حتى بدا له أن ما يقوم به من أعمال هي جيدة وصحيحة، أفتحزن عليه وتأنم لحاله؟ فإن الله يضل من يشاء من الناس، ويهدي من يشاء منهم، فهو المطلع على قلوبهم والعالم بما يملون إليه، وما يستعدون له ويعزمون عليه، فلا تتحسّر على حالهم، ولا تهتمّ بكفرهم وهلاكهم، فالله عليهم بما يعملون من الأعمال السيئة.

{ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ } (فاطر : 9)

9- الله سبحانه هو الذي بعث الرياح لتحرك السحاب وتشره، ثم سقناه إلى أرض يابسة جرداء لا نبات فيها، فأحييناها بالمطر، فأنبثنا فيها الزرع والتمر، وكما أحيا الله الأرض بعد موتها، كذلك يكون إحياءكم بعد الموت للبعث والحساب.

{ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ } (فاطر : 10)

10- من أراد أن يكون قويًا عزيزًا، مهابة منيعًا، فليتعزّز بطاعة الله، ولينتقو بالتقرب إليه والالتزام بأوامره، فإنه بذلك يحصل له مقصوده، فإن العزة كلها لله، فهو المالك والمتصرف في شؤون خلقه، فيعز من يطيعه، ويذل من يخالفه، إن عاجلاً أو آجلاً.

والله يقبل منكم الكلام الطيب المبارك، وإليه سبحانه يصعد الذكر، والتلاوة، والدعاء. والعمل الحسن الموافق للشرع هو الذي يرفع الكلام الطيب، الذي يدل على الإخلاص، وعلى موافقة ما شرع الله لعباده من القول والعمل.

والذين يعملون السيئات، أو يراون بأعمالهم ليوهموا أنهم في طاعة الله، لهم عذاب شديد مؤلم، ومكر أولئك المفسدين، المشركين أو المرئيين، يفسد ويطل، ولا يبقى له أثر من خير، فهو لم يئن على الشرع والطاعة، وإنما بُني على الهوى والضلال.

{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} (فاطر: 11)

11- هو الله الخالق القادر، الذي خلق أصلكم من تراب، ثم جعل نسلكم من نطفة، وهي الخلية للرجل والمرأة، ثم جعلكم أزواجًا: ذكرًا وإناثًا. وما تحمل من أنثى من حمل، ولا تضع من مولود، إلا وهو عالم به، لا يخفى عليه من ذلك شيء. ولا يعطى أحد من طول عمر، ولا ينقص من عمر آخر، إلا وهو مسجل في اللوح المحفوظ، وإن تقدير الأعمار وكتابة الآجال أمر سهل هين على الله.

{وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ سَائِعٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِيَبْتَلُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (فاطر: 12)

12- ومن آثار قدرة الله ونعمته: البحرين، العذب والمالح، وهما بالرغم من كونهما ماء، إلا أنهما لا يستويان، فهذه الأنهار الجارية بين العمران والبراري عذبة سهل شرابها، وهذه البحار الواسعة مرة أو شديدة الملوحة، ومع ذلك فإنكم تأكلون من كليهما لحوم الأسماك والحيتان العضة الطرية، وتستخرجون من المالح اللؤلؤ والمرجان وتتخذون منهما زينة، وترى السفن والبواخر تشق البحار مقبلًا ومُدبرًا، لتطلبوا رزقكم من فضل الله، في البحار، أو بالتجارة في الأسفار، ولتشكروه على ما سخره لكم، وأنعم به عليكم.

{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ} (فاطر: 13)

13- هو الذي يدخل الليل في النهار، ويدخل النهار في الليل، ويأخذ من طول هذا فيريد على قصر هذا، فيتفاوت بذلك طولهما حسب الفصول والأقطار، كل بمقدار وميزان، وسخر الشمس والقمر فجعلهما مذللين طائعين لما يراؤ منهما في خدمة الإنسان، ويجريان

بسرعةٍ معروفةٍ، إلى حَدِّ مُعَيَّنٍ، لِيَتَكَوَّنَ مِنْ حَرَكَاتِهِمَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالشَّهْرُ وَالسَّنَّةُ. وَالَّذِي قَدَّرَ هَذَا كُلَّهُ هُوَ اللَّهُ رَبُّكُمْ، الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْمَلِكُ وَالتَّصَرُّفُ فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ. أَمَّا أَصْنَامُكُمْ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَتَدْعُونَ أَنَّهَا آلِهَةٌ، فَلَا تَمْلِكُ أَصْغَرَ وَأَحْقَرَ شَيْءٍ، كَالْقِشْرَةِ الرَّقِيقَةِ الَّتِي تَكُونُ عَلَى النَّوَاةِ.

{إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ

بِشْرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} (فاطر : 14)

14- إِنَّهَا جَمَادَاتٌ لَا تَفْقَهُ شَيْئًا، وَإِذَا دَعَوْتُمُوهَا لَا تَسْمَعُ دُعَاءَكُمْ، وَلَوْ أَنَّهَا سَمِعَتْ - فَرَضًا - فَلَا قُدْرَةَ لَهَا عَلَى إِجَابَةِ طَلِبِكُمْ، فَلَا رُوحَ فِيهَا وَلَا حَيَاةَ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَتَرَبَّأُ هَذِهِ الْأَصْنَامُ مِنْكُمْ، حَيْثُ يُنْطِقُهَا اللَّهُ فَتَتَكَلَّمُ وَتَقُولُ: {مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ} [سورة يونس: 28]، أَي: لَمْ تَكُونُوا تَعْبُدُونَنَا بَطَلِينَا، وَإِنَّمَا كُنْتُمْ تُطِيعُونَ أَهْوَاءَكُمْ، وَتُؤَالُونَ الشَّيَاطِينَ. وَلَا يُنَبِّئُكَ بِمِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ مِثْلُ خَبِيرٍ بِهَا، فَهُوَ الْعَالِمُ بِالْغَيْبِ، وَالْمُطَّلِعُ عَلَى عَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} (فاطر : 15)

15- أَيُّهَا النَّاسُ، أَنْتُمْ الْمُحْتَاجُونَ إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ بِدَاتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ عِبَادَتِكُمْ أَوْ مُسَاعَدَتِكُمْ، وَهُوَ الْمَحْمُودُ فِي إِحْسَانِهِ إِلَيْكُمْ وَإِلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ.

{إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ} (فاطر : 16)

16- وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ لِأَذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَأَهْلِكْكُمْ جَمِيعًا، وَأَتَى بِخَلْقٍ جَدِيدٍ.

{وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ} (فاطر : 17)

17- وَلَيْسَ هَذَا بِصَعْبٍ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى إِذَا قَالَ لِلشَّيْءِ كُنْ، فَيَكُونُ.

{وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِمْلَهَا لَا يَحْمِلُنَّ مِنْهُ شَيْئًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى
اللَّهِ الْمَصِيرُ} (فاطر : 18)

18- ولا يَحْمِلُ أَحَدٌ ذَنْبَ آخَرَ، ولا يُعَاقَبُ بِذَنْبِ غَيْرِهِ، وإذا دَعَتْ نَفْسٌ أَنْتَقَلَّتْهَا الذُّنُوبُ
والآثَامُ غَيْرَهَا إلى حَمَلٍ ما عَلَيْهَا مِنْ ذُنُوبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّمَا لا تَسْتَجِيبُ، ولا يُحْمَلُ عَنْهَا
شَيْءٌ، وَإِن كَانَ طَالِبُهُ مِنْ ذَوِي قَرَابَتِهِ، فَالْكُلُّ مَشْغُولٌ بِنَفْسِهِ وَحَالِهِ. وَهَمَّ قَدْ حَمَلُوا أَنْتَقَالَ
إِضْلَالَهُمْ مَعَ أَنْتَقَالَ ضَلَالَهُمْ، وَالْكُلُّ مِنْ أَوْزَارِهِمْ، لا مِنْ أَوْزَارِ غَيْرِهِمْ⁽¹¹⁸⁾.
وهؤلاء الكافرون لا يَتَعَطَّوْنَ بِكَلَامِكَ، لِأَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ عَلَى الْأَعْمَالِ، إِنَّمَا
يَنْفَعُ الْوَعْظُ وَالْإِنذَارُ مَنْ يَخَافُونَ اللَّهَ وَهَمَّ لَمْ يَرَوْهُ، وَيَخْشَوْنَ عَذَابَهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهُمْ، وَوَضَبُوا
عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ كَمَا فَرَضَهَا عَلَيْهِمْ.
وَمَنْ أَصْلَحَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ عَمَلًا حَسَنًا، فَإِنَّ نَفْعَهُ وَثَوَابَهُ يَعُودُ عَلَيْهِ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَرْجِعُ وَالْحِسَابُ،
فِيحَازِي كُلًّا بِمَا عَمِلَ، وَبِمَا يَسْتَحِقُّ مِنْ نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ.

{وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ} (فاطر : 19)

19- وكما لا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ، كَذَلِكَ لا يَسْتَوِي الْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ، وَالْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ.

{وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ} (فاطر : 20)

20- وكما لا تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ، كَذَلِكَ لا يَسْتَوِي الْكُفْرُ وَالْإِيمَانُ، وَالْبَاطِلُ وَالْحَقُّ.

(118) إِذَا كَانَ الْمَقْصُودُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا إِشْكَالَ فِي الْآيَةِ، وَهُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ كَثِيرٍ وَغَيْرُهُ.. قَالَ: "وَإِن تَدْعُ نَفْسٌ
مُتَقَلِّتَةً بِأَوْزَارِهَا إِلَى أَنْ تُسَاعِدَ عَلَى حَمَلِ مَا عَلَيْهَا مِنَ الْأَوْزَارِ، أَوْ بَعْضِهِ، {لَا يُحْمَلُنَّ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ} أَي:
وَإِن كَانَ قَرِيبًا إِلَيْهَا، حَتَّى وَلَوْ كَانَ أَبَاهَا أَوْ ابْنَهَا، كُلُّ مَشْغُولٌ بِنَفْسِهِ وَحَالِهِ".

وَوَجَّهَهُ الْعَلَامَةُ الشُّوْكَانِي بِأَوْضَحِّ مِنْهُ، فَقَالَ: الْمَعْنَى لا تَحْمِلُ نَفْسٌ حَمْلَ نَفْسٍ أُخْرَى، أَي: إِثْمَهَا، بَلْ كُلُّ نَفْسٍ تَحْمِلُ
وِزْرَهَا. وَلا تَخَالِفُ هَذِهِ الْآيَةُ قَوْلَهُ: {وَلِيَحْمِلُنَّ أَنْثَقَالَهُمْ وَأَنْثَقَالًا مَعَ أَنْثَقَالِهِمْ} [سورة العنكبوت: 13]؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا حَمَلُوا
أَنْتَقَالَ إِضْلَالَهُمْ مَعَ أَنْتَقَالَ ضَلَالَهُمْ، وَالْكُلُّ مِنْ أَوْزَارِهِمْ، لا مِنْ أَوْزَارِ غَيْرِهِمْ، وَمِثْلُ هَذَا حَدِيثٌ: "مَنْ سَنَّ سَنَةً سَيِّئَةً،
فَعَلِيهِ وَزْرُهَا، وَوَزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"، فَإِنَّ الَّذِي سَنَّ السَّنَةَ السَّيِّئَةَ إِذَا حَمَلَ وَزْرَ سَنَّتِهِ السَّيِّئَةَ".

{ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحُرُورُ } (فاطر : 21)

21- وكما لا يَسْتَوِي الظِّلُّ والحَرُّ، كذلك لا يَسْتَوِي الثَّوَابُ والعِقَابُ، والجَنَّةُ والنَّارُ.

{ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلَا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللّهُ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي القُبُورِ } (فاطر : 22)

22- ولا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ والأَمْوَاتُ، كما لا يَسْتَوِي المؤمنونَ الذينَ فَتَحُوا قُلُوبَهُمَ لِلدِّينِ الحَقِّ، والكافِرونَ الذينَ اسْتَكْبَرُوا وَأَصْرُوا على الكُفْرِ، واللّهُ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ، مَن يَنْعِظُ وَيَسْتَجِيبُ. ولا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَهْدِيَ المُشْرِكِينَ الذينَ صَمُّوا آذَانَهُمَ عَنِ السَّمْعِ، وَقَلُوبَهُمَ عَنِ الوَعْيِ والتَّفَعُّهِ، فَهَم كالأَمْوَاتِ، الذينَ تَدْعُوهُمْ فلا يُجِيبُونَ.

{ إِنَّ أَنتَ إِلا نَذِيرٌ } (فاطر : 23)

23- ما أَنتَ إِلا نَبِيٌّ مُنذِرٌ، فما عَلَيْكَ إِلا أَنْ تُبَلِّغَ، واللّهُ هُوَ المُطَّلِعُ على القُلُوبِ، فَيَهْدِي مَن يَسْتَحِقُّ الهِدَايَةَ، وَيُضِلُّ المُسْتَكْبِرَ المُعَانِدَ.

{ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ } (فاطر : 24)

24- إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بالدِّينِ الحَقِّ، تُبَشِّرُ المؤمنِينَ المُطِيعِينَ بالمَثُوبَةِ الحُسْنَى، وتُنذِرُ الكافِرِينَ العاصِينَ بالعُقُوبَةِ والنَّارِ. وما مِنْ أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ إِلا وَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسولًا يُنذِرُهُم.

{ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ المُنِيرِ } (فاطر : 25)

25- وإذا كَذَّبَكَ المُشْرِكُونَ، فَقَدْ كَذَّبَ مُشْرِكُونَ أمثالَهُم مِّن مَّضُوا، فَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بالمُعْجِزَاتِ البَيِّنَةِ والأَدْلَةِ القاطِعَةِ، وبالصَّحُفِ والكتبِ المُنزَلَةِ عَلَيْهِم مِنَ اللّهِ، المَضِيئَةِ فِي أخبارِها الصَّادِقَةِ وَأحكامِها العادِلَةِ،

{ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} (فاطر : 26)

26- فكذبوهم، وكفروا برسالات ربهم، فعاقبتهم بما يستحقون من الهلاك والدمار، فكيف رأيت إنكاري عليهم وعقوبتي البليغة فيهم؟

{أَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ} (فاطر : 27)

27- ألم تنظر كيف أنزل الله المطر من السحاب، فأخرج به أصنافاً من الثمرات المختلفة الألوان، مع أنها من تربة واحدة، وتسمى بماء واحد؟ ومن الجبال طرقاً وخطوط، بيضٌ وحمر، وهي مختلفة الألوان كذلك، وجبال سوداء داكنة اللون؟

{وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} (فاطر : 28)

28- وكذلك ما خلق الله من الناس، والدواب، والأنعام⁽¹¹⁹⁾، فالوانها مختلفة، على الرغم من أن كلاً منها يعود إلى أصل واحد؟ إنما يخشى الله حق الحشية العلماء العارفين به، الذين يُدبِّمون التفكير في خلقه وبديع صنعه، ويعلمون أنه قادر على كل شيء وأنه سبحانه لم يخلقهم عبثاً.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الحشية". يعني أن العالم الحقيقي هو الذي يخاف الله ويتقيه، فمن لم يكن كذلك فإن علمه غير مقبول عنده.

والله عزيز في ملكه، كامل القدرة، لا يتهر، كثير المغفرة لذنوب التائبين من عباده.

(119) {وَالدَّوَابِّ}: جمع دابة، وهي ما يدب على الأرض من الحيوان، وغلب على ما يُركب من الخيل والبغال والحمير، ويقع على المذكور. {وَالْأَنْعَامِ}: جمع نعام، محرّكة، وقد يُسكن عينه: الإبل والبقر والضأن والمعز، دون غيرها، فالخيل والبغال والحمير خارجة عن الأنعام. (روح البيان).

{ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ
تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ } (فاطر : 29)

29- إن الذين يُداومون على قراءة كتاب الله الكريم، وحافظوا على إقامة الصلاة في وقتها، وبأركانها وشروطها، وأنفقوا مما رزقناهم في الطاعات والقربات في السر والعلاية، فأولئك يرجون ثواباً من عند الله على تجارتهم الطيبة المباركة، التي لا تكسب ولا تفسد.

{ لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ } (فاطر : 30)

30- ليؤفئهم الله ثواب ما قدموه من أعمال صالحة⁽¹²⁰⁾، ويضاعف في حسنتهم من رحمته وكرمه، والله غفور لما فرط من ذنوب المؤمنين المطيعين، شكور لطاعتهم ولو كانت يسيرة، ويجازيهم عليها أحسن الجزاء.

{ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ
بَصِيرٌ } (فاطر : 31)

31- والذي أوحينا إليك من القرآن أيها الرسول هو الحق الذي لا شك فيه، المصدق للكُتب السماوية السابقة، والله خبير بأحوال عباده، بصير بظواهرهم وبواطنهم، وبما يستحقونه من جزاء.

{ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ
سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } (فاطر : 32)

32- ثم جعلنا القرآن الكريم ينتهي إلى من اخترنا من عبادنا، وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الأمة من هو مُقتصد في العمل بالقرآن، وبما أوجبه الله عليه، فيضرب بنفسه عندما يعرضها للعقوبة، ومنهم وسط في الأمر، فيطبع تارةً ويُخالِفُ أخرى، ومنهم من يُجرُّ

(120) { لِيُؤْفِيَهُمْ } : التوفية: جعل الشيء وافياً، أي: تاماً، لا نقيصة فيه ولا غبن. (التحرير).

الْفَضْلَ وَيَسْبِقُ إِلَى الْجَنَّةِ، بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ، فَيَعْمَلُ الْوَاجِبَاتِ وَيَتْرُكُ الْمَحْرَمَاتِ، وَإِذْ خَصَّ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ مِنْهُ عَلَيْهِمْ.

{ جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ }
(فاطر : 33)

33- وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدْخُلُونَ جَنَّاتٍ أُعِدَّتْ لِإِقَامَةٍ دَائِمَةٍ لَا زَوَالَ لَهَا، يُزَيَّنُونَ فِيهَا بِأَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ، وَيُؤْتُونَ لُؤْلُؤًا صَافِيًا جَمِيلًا، وَيَلْبَسُونَ فِيهَا الْحَرِيرَ النَّاعِمَ.

{ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ } (فاطر : 34)

34- وَيَقُولُونَ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْأَحْزَانَ وَالْهُمُومَ، فَقَدْ كُنَّا نَخَافُ مِنْ عَاقِبَةِ أَمْرِنَا، وَاللَّهُ يَغْفِرُ ذُنُوبَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ التَّائِبِينَ، وَيَشْكُرُ لَهُمْ طَاعَتَهُمْ، وَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا خَيْرَ الْجَزَاءِ.

{ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ } (فاطر : 35)

35- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَنَا دَارَ الْإِقَامَةِ، الَّتِي لَا مَوْتَ فِيهَا وَلَا انْتِقَالَ عَنْهَا، مِنْ فَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ، وَلَمْ تَكُنْ أَعْمَالُنَا تُسَاوِي ذَلِكَ، لَا يُصِيبُنَا فِيهَا تَعَبٌ وَمَشَقَّةٌ، وَلَا إِعْيَاءٌ وَفُتُورٌ.

{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ } (فاطر : 36)

36- وَالَّذِينَ كَفَرُوا نَصِيْبُهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ، لَا يَهْلِكُونَ فِيهَا لَيْسَتْ تَرِيحُوا، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا، بَلْ يَبْقُونَ فِيهَا هَكَذَا يَحْتَرِقُونَ وَيُعَذَّبُونَ، وَهَذَا جَزَاءُ كُلِّ مَنْ عَانَدَ وَاسْتَكْبَرَ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ، وَكَذَّبَ بِرِسَالَاتِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

{وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} (فاطر : 37)

37- وهم يصيحون فيها ويصرِّحون، ويجأرون إلى ربهم ويستغيثون قائلين: ربنا أخرجنا من هذه النار، وأعدنا إلى الدنيا لنعمل الأعمال الحسنة، غير الذي كنا نعمله سابقاً من الشرك والمعاصي.

أو ما أعطيناكم عمراً كافياً، ووقتاً واسعاً، وأمهلناكم في الحياة الدنيا بما فيه الكفاية؟ ولو كنتم ممن يتعظون ويتفجعون بكلام الله وإنذار رسوله، لانتفعتُم بما بلَّغتم به مدَّة عمركم، ولكن أبيتُم واستكبرتم عن اتباع الحق، فذوقوا العذاب الذي تستحقُّونه، فما للكافرين من ناصرٍ يدفع عنهم العذاب.

{إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (فاطر : 38)

38- والله عالم بما غاب عن العباد ممَّا في السماوات والأرض، لا يغيب عنه شيء من ذلك، وهو عليم بما تخفي صدور الناس، وما تنطوي عليه ضمائرهم، وسيجزي كلاً بما عمل.

{هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَاراً} (فاطر : 39)

39- الله سبحانه هو الذي جعلكم تخلفون قومًا آخرين في الأرض، لينظر كيف تعملون فيها، هل تعمرونها بالحق والتوحيد، أو تُفسدون فيها وتكفرون؟ فمن كفر فعليه وبال كُفْرِهِ وجزاؤه، وكلما ازدادوا في كُفْرِهِم، ازدادوا بذلك بغضاً واحتقاراً عند ربهم، وزادوا في خسارة أنفسهم يوم القيامة.

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً} (فاطر : 40)

40- قُلْ لِلْمُشْرِكِينَ أَيُّهَا الرَّسُولُ: أَرَأَيْتُمْ هَذِهِ الْأَصْنَامَ الَّتِي تَدْعُونَ أَنَّهَا آلِهَةٌ، وَتَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَرُونِي وَلَوْ شَيْئًا قَلِيلًا خَلَقُوهُ فِي الْأَرْضِ مِمَّا يَرَاهُ النَّاسُ، حَتَّى يَسْتَحِقُّوا أَنْ يُسَمَّوْا آلِهَةً! أَمْ أَنْ لَهُمْ شِرَاكَةٌ مَعَ اللَّهِ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ حَتَّى يَسْتَحِقُّوا ذَلِكَ؟ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ كِتَابًا نُخْرِجُهُمْ فِيهِ بِأَنَّهُمْ شُرَكَاءُ لَنَا فَهُمْ عَلَى حُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ مِنْ ذَلِكَ؟! لَا يُوْجَدُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، إِنَّمَا اتَّبَعَ الْمُشْرِكُونَ أَهْوَاءَهُمُ الرَّائِعَةَ، وَأَفْكَارَهُمُ الْمُنْحَرِفَةَ، حَيْثُ غَرَّرَ الْأَسْلَافُ بِالْأَخْلَافِ، وَأَضَلَّ الرَّؤَسَاءُ أَتْبَاعَهُمْ، وَكَانُوا جَمِيعًا فِي بَطْلَانٍ وَغُرُورٍ.

{ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } (فاطر : 41)

41- اللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَحْفَظُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَتَّى لَا تَضْطَرِبَا وَيَنْفَرِطَ نِظَامُهُمَا فَيُضْمَحَلًّا، وَإِذَا اخْتَلَّ نِظَامُهُمَا وَأَشْرَفْنَا عَلَى الزَّوَالِ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى حِفْظِهِمَا وَإِبْقَائِهِمَا سِوَاهُ. وَاللَّهُ حَلِيمٌ إِذْ لَمْ يُعَجِّلْ عُقُوبَةَ الْكَافِرِينَ، بَلْ أَمَهَّلَهُمْ وَأَنْظَرَهُمْ، وَهُوَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ لِمَنْ تَابَ وَأَنَابَ، فَيَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَلَوْ كَانَتْ كَبِيرَةً وَكَثِيرَةً.

{ وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ الْإِثْمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا } (فاطر : 42)

42- وَقَدْ حَلَفَ الْمُشْرِكُونَ قَبْلَ مَبْعَثِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاجْتَهَدُوا فِي الْحَلْفِ بِاللَّهِ أَبْلَغَ مَا يَكُونُ، أَنَّهُ إِذَا بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولٌ فَلَنْ يُكَذِّبُوهُ وَلَنْ يُعَانِدُوهُ كَمَا فَعَلَتِ الْأُمَّمُ السَّابِقَةُ مَعَ رُسُلِهِمْ، بَلْ سَيَكُونُونَ طَائِعِينَ لَهُ وَمُنَاصِرِينَ إِيَّاهُ، وَبِذَلِكَ يَكُونُونَ أَهْدَىٰ وَأَطْوَعَ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَّمِ السَّابِقَةِ مَعَ أَنْبِيَائِهِمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمُ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ مُّؤَيَّدًا بِمُعْجَزَةِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمَةِ، لَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا بُعْدًا عَنِ الْحَقِّ وَهُرُوبًا مِنْهُ!

{ اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ نَّجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَّجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا } (فاطر : 43)

43- استَكْبَارًا عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَإِفْرَاطًا مِنْهُمْ فِي الْعِنَادِ، وَإِمْعَانًا فِي الْعَمَلِ السَّيِّئِ، وَالْكَيْدِ لِرَسُولِ اللَّهِ، وَالصَّدِّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا يُحِيطُ وَبِأُلِّ هَذَا الْكَيْدِ وَالْعُدْوَانِ إِلَّا بِأَهْلِهِ، الَّذِينَ حَطَّطُوا لَهُ أَوْ نَفَّذُوهُ، فَمَا يَنْتَظِرُونَ إِلَّا عُقُوبَةَ اللَّهِ لَهُمْ كَمَا فَعَلَ بِالْكَافِرِينَ الْمَكْذِبِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَلَنْ تَجِدَ لِهَذِهِ السَّنَةِ الْمُتَّبَعَةِ فِي خَلْقِهِ تَعْيِيرًا وَتَبَدُّلًا، وَلَنْ تَجِدَ لَهَا تَحْوِيلًا وَانْتِقَالَ.

{أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} (فاطر : 44)

44- أَوْلَمْ يُسَافِرُوا وَيَمْرُوا بِآثَارِ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرَى الْمُهْلَكَةِ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُمْ؟ وَكَانُوا أَكْثَرَ قُوَّةً مِنْهُمْ، وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يُعْنِ عَنْهُمْ شَيْئًا أَمَامَ قُوَّةِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ فِي الْإِنْتِقَامِ، فَلَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَكُلُّ مَا فِيهِمَا تَحْتَ مَشِيئَتِهِ وَتَصَرُّفِهِ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِمَا فِيهِمَا، قَادِرٌ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِمَّنْ عَصَاهُ.

{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا} (فاطر : 45)

45- وَلَوْ يُعَاقِبُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا فَعَلُوا مِنَ السَّيِّئَاتِ وَالْجَرَائِمِ، لَمَا أَبْقَى أَحَدًا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ، وَلَكِنَّهُ حَلِيمٌ رَحِيمٌ، يُمَهِّلُهُمْ وَيُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّحَدَّدٍ، هُوَ قِيَامُ السَّاعَةِ، فَإِذَا جَاءَ هَذَا الْوَعْدُ الْحَقُّ حَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَجَازَاهُمْ عَلَيْهَا بِمَا يَسْتَحِقُّونَ مِنْ ثَوَابٍ أَوْ عِقَابٍ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِأَحْوَالِ عِبَادِهِ وَبِمَا عَمَلُوهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، خَفِيًّا كَانَ أَوْ مُعَلَّنًا.

سورة يس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{يس} (يس : 1)

1- حُرُوفٌ مُقَطَّعَةٌ لَمْ يَرِدْ فِي تَفْسِيرِهَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَاحْتَلَفَ الْمَفْسِّرُونَ فِي دَلَالَتِهَا.

{وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ} (يس : 2)

2- أُقْسِمُ بِهَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي أَحْكَمْتَ آيَاتِهِ، وَأُجِلَّ أَمْرُهُ، وَرُفِعَ شَأْنُهُ.

{إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} (يس : 3)

3- إِنَّكَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، مَبْعُوثٌ مِنْ قِبَلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

{عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (يس : 4)

4- عَلَى النَّهْجِ السَّوِيِّ وَالطَّرِيقِ الْقَوِيمِ.

{تَنْزِيلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ} (يس : 5)

5- مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ذِي الْعِزَّةِ وَالْقُوَّةِ، الرَّحِيمِ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

{لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ} (يس : 6)

6- لِنُذِرَ بِهَذَا الْقُرْآنِ قَوْمًا لَمْ يُنذَرَ آبَاؤُهُمُ الْأَذْنُونَ، فَهُمْ جَمِيعًا غَافِلُونَ عَنِ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ، بَعِيدُونَ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ.

{لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} (يس : 7)

7- لقد وجب العذاب على أكثرهم، بما علمه الله من أحوالهم ومواقفهم من الدعوة، فهم لا يؤمنون بها.

{ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ } (يس : 8)

8- لقد جعلنا في أعناقهم أغلالاً⁽¹²¹⁾، فأيديهم مشدودة إليها تحت ذقونهم، وقد رفعوا رؤوسهم فسراً، ونظرهم إلى الأمام، فلا يقدر أن يلتفتوا بأعناقهم إلى مصدر النور، ولا يستطيعون أن يبسطوا أيديهم بحير، ولا يخفضون رؤوسهم للحق، فلا يدعون للإيمان.

{ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ } (يس :

9)

9- وجعلنا من أمامهم سداً مانعاً، ومن خلفهم سداً مانعاً، فجعلنا على أبصارهم أغطية، فهم لا يقدر على إحصار شيء من الهدى والنور، فنفسهم قاتمة، وقلوبهم منغلقة، وأسماعهم مسدودة، وأعينهم مغطاة.

{ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } (يس : 10)

10- والأمر عندهم سواء، إن أنذرتهم بالقرآن ووعظتهم به أم لم تُنذِرهم، فإنهم غير مهتدين للإيمان، وغير مستعدين لقبول الحق. ولما علم الله فيهم من ذلك، فقد قضى عليهم بما يستحقونه.

{ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذُّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ } (يس : 11)

(121) الأغلال: جمع غلّ، بضم الغين، وهو حلقة عريضة من حديد، كالقلادة، ذات أضلاع... (التحرير).
الغلُّ ما أحاط بالعنق، على معنى التثقيب والتضييق والتعذيب والأسر، ومع العنق اليدان أو اليد الواحدة. هذا معنى التغيليل. (ابن عطية).

11- إِنَّمَا يَقْبَلُ إِندَارَكَ وَيَنْتَفِعُ بِهِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْقُرْآنَ، وَيَخَافُونَ اللَّهَ وَيَتَّقُونَهُ وَإِنْ لَمْ يَرَوْهُ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَرَاهُمْ وَيَطَّلِعُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فَبَشَّرَ هَؤُلَاءِ بِمَغْفِرَةٍ لَدُنْهُمْ، وَثَوَابٍ كَبِيرٍ لَهُمْ، وَأَجْرٍ حَسَنٍ يَنْتَظِرُهُمْ.

{ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ }
(يس : 12)

12- سنُحْيِي الأمواتَ جميعًا يومَ القيامةِ، ونكتبُ كُلَّ ما قدَّموا من أعمالٍ، ممَّا باشروهُ بأنفسِهِم، وما كانوا سببًا له، بأن كانوا دُعاةَ أمرٍ، فاتَّبَعَهُ مَنْ بعدهم، فنكتبُ آثارَهُم عليهم أيضًا، وجميعَ الأشياءِ مكتوبٌ ومحفوظٌ في أمِّ الكتابِ: اللوحِ المحفوظِ.

{ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ } (يس : 13)

13- واضربْ هذا المثلَ الذي ينطبقُ على حالِ المشركين، فهؤلاءِ أصحابُ قريةٍ كانوا مشركين مثلهم، فجاءهم المرسلون. ذكر قتادة من بين المفسرين القدامى وتابعه كثير من المتأخرين، أن المقصود بالمرسلين الثلاثة الذين أرسلهم عيسى عليه السلام إلى أهل أنطاكية، وقد نقده ابن كثير واستبعده، وذكر أن الصحيح أنهم رسل الله.

{ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ } (يس : 14)

14- إذ أرسلنا إليهم في المرة الأولى اثنين منهم، يعظانهم ويدعونهم إلى اتباع الدين الحق، لكنهم كذبوهم، فشددنا أزرها برسول ثالث، فقالوا لأهل القرية: نحن مرسلون إليكم، وندعوكم إلى عبادة الله وحده، وأن تتركوا ما أنتم عليه من شرك.

{ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ } (يس : 15)

15- فَرَدُّوهُمْ وَقَالُوا لَهُمْ: أَنْتُمْ لَسْتُمْ سِوَى بَشَرٍ مِثْلِنَا، فَلِمَ أُوحِيَ إِلَيْكُمْ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْنَا؟ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ شَيْئًا مِمَّا تَدَّعُونَ، وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ فِيمَا تَقُولُونَ.

{ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ } (يس : 16)

16- قَالَ لَهُمُ الْمُرْسَلُونَ: إِنَّ اللَّهَ الَّذِي أَرْسَلَنَا إِلَيْكُمْ يَعْلَمُ أَنَّنا صَادِقُونَ فِيمَا نَقُولُ، وَلَوْ كَذَّبْنَا لَخَدَلْنَا وَانْتَقَمَ مِنَّا.

{ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } (يس : 17)

17- وَالَّذِي عَلَيْنَا هُوَ أَنْ نُبَلِّغَكُمْ مَا أَرْسَلْنَا بِهِ تَبْلِيغًا وَاضِحًا بَيِّنًا عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ.

{ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ } (يس : 18)

18- قَالُوا لِلْمُرْسَلِينَ: لَقَدْ تَشَاءَ مِنَّا بِكُمْ وَلَمْ نَرِ فِي بَحْيِكُمْ خَيْرًا، وَإِذَا لَمْ تَنْتَهُوا عَن دَعْوَتِكُمْ فَسَوْفَ نَرْمِيكُمْ بِالْحِجَارَةِ، أَوْ يُصِيبُكُمْ مِنَّا عُقُوبَةٌ شَدِيدَةٌ.

{ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ } (يس : 19)

19- قَالَ لَهُمُ الرُّسُلُ: إِنَّ مَا أَصَابَكُمْ وَتَشَاءَ مِنْكُمْ بِهِ مِنَّا هُوَ بِسَبَبِ عَقِيدَتِكُمْ الْفَاسِدَةِ وَأَعْمَالِكُمُ السَّيِّئَةِ، فَشُؤْمُكُمْ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ، فَإِذَا وَعَظْنَاكُمْ وَدَعَوْنَاكُمْ إِلَى الْحَقِّ، جَاهَتُمُونَا بِهَذَا الْكَلَامِ وَاهْتَمْتُمُونَا بِمَا لَمْ نَفْعَلْهُ، بَلْ أَنْتُمْ عُصَاةٌ مُّشْرِكُونَ، قَدْ تَجَاوَزْتُمُ الْحَدَّ فِي الْعِصْيَانِ.

{ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ } (يس : 20)

20- وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ طَرْفِ الْمَدِينَةِ يُسْرِعُ فِي مَشْيِهِ حَرِصًا عَلَى إِبْصَالِ نُصْحِهِ إِلَى قَوْمِهِ، وَقَدْ هَمُّوا بِإِيْدَاءِ الرُّسُلِ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ، اتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ الْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَكُمْ إِلَى الْحَقِّ،

{ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ } (يس : 21)

21- اتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ الصَّادِقِينَ الْعَفِيفِينَ الَّذِينَ لَا يَطْلُبُونَ مَالاً مِنْ وَرَاءِ تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِمْ، وَهُمْ مُهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ، ثَابِتُونَ عَلَيْهِ،

{ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } (يس : 22)

22- ولماذا لا أعبد الإله الذي خلَقني، وما الذي يمنعني من ذلك ومن إخلاص العبادَة له وحده، وإليه تُرجعون يومَ البعث، ليحاسبكم على أعمالكم ويُجازيكم عليها؟

{ أَلَا تَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدِّنَ الرِّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونَ } (يس : 23)

23- وهل يُعقل أن أجعل مع الله أصناماً أعبدُها، فإذا أرادَ اللهُ أن يُصيبي بمصيبة، من فقرٍ ومرضٍ وبلاء، لا تُفيدني شفاعتُهم شيئاً، ولا يستطيعون أن يُنقذوني من ضرِّ أصابني؟

{ إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (يس : 24)

24- إِنِّي إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَنَا زَائِعٌ وَعَلَى الْخِرَافِ بَيِّنٌ لَا يَخْفَى.

{ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ } (يس : 25)

25- لقد آمنْتُ بِرَبِّكُمْ الذي خلَقكم ورزقكم، فاسمعوا قولي وتفكروا فيه واقبلوه، فهو خيرٌ لكم.

{ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ } (يس : 26)

26- فمات، أو قُتل، فوجبت له الجنة، فلما رأى الثواب على الإيمان والصبر على الطاعة قال: يا ليت قومي يعلمون،

{ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ } (يس : 27)

27- بالذي وهب لي ربي، فغفر لي ذنبي ورحمني، وأكرمني من فضله بجنات النعيم.

الجزء الثالث والعشرون

سورة يس (28-83)

سورة الصافات

سورة ص

سورة الزمر (1-31)

{ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ } (يس : 28)
28- وما أنزلنا على قوم ذلك الرجل الصالح المقتول ملائكة لإهلاكهم، وما كنا منزليهم، فقد قدرنا عليهم عقوبة أخرى.

{ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ } (يس : 29)
29- فما هي إلا صيحة واحدة حتى كانوا خامدين هامدين لا حراك بهم.

{ يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } (يس : 30)
30- يا حسرة العباد المكذبين، ويا خيبةهم وندامتهم على أنفسهم على ما ضيعوا من أمر الله، فما كان يأتيهم رسول من عند الله إلا ويحخدون ما أرسل به، ويسخرون منه.

{ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ } (يس : 31)
31- ألم يُخبر المشركون ويُشاهدوا آثار من أهلكنا من قبلهم من المكذبين؟ ولن يرجعوا إليهم ليخبروهم بما حلَّ بهم من العذاب، أو لن يرجعوا إلى الدنيا ليعيشوا مرةً أخرى.

{ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ } (يس : 32)
32- وإهم جميعاً، الأمم الماضية والآتية، مُحضرون جميعاً إلينا يوم القيامة؛ لمحاسبتهم على أعمالهم.

{وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ} (يس : 33)

33- وهذه دَلَالَةٌ مُشَاهِدَةٌ وَاضِحَةٌ أَمَامَهُمْ، تَدُلُّ عَلَى وَجُودِ اللَّهِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ وَالْإِحْيَاءِ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْقَاحِلَةُ الْجُرْدَاءُ الَّتِي لَا نَبَاتَ فِيهَا، أَحْيَيْنَاهَا بِالْمَطَرِ، فَأَنْبَتَتِ الثَّمَارَ وَالزُّرُوعَ، لِيَتَغَذَّى النَّاسُ مِنْ ثَمَرِهَا وَحُبُوبِهَا، وَيُطْعِمُوهَا أَنْعَامَهُمْ.

{وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ} (يس : 34)

34- وجعلنا فيها بساتينَ من أشجارِ النَّخِيلِ والأَعْنَابِ ذاتِ الثَّمَارِ الشَّهِيَّةِ والمُفِيدَةِ، وجعلنا فيها الأنهارَ والينابيعَ العذبةَ،

{لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} (يس : 35)

35- ليأكلوا من ثمراتِ ما ذكروا، ممَّا لَدَّ وطابَ، وما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ، مِنْ غَرَسٍ وَسَقْيٍ، أَوْ مَا يَعْصِرُونَ مِنْهَا وَيُجَفِّفُونَهُ، أَفَلَا يَشْكُرُونَ لِلَّهِ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ، عَلَى هَذَا وَغَيْرِهِ؟

{سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} (يس)

(36 :

36- تَنَزَّهَ اللَّهُ عَنِ الشَّرِيكِ وَالنَّظِيرِ، وَتَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ، الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا، الذَّكَرَ وَالْأُنثَى، وَأَنْوَعَهَا وَأَصْنَافَهَا، مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ زَرْعٍ وَثَمَرٍ، وَمِنْ الْإِنْسَانِ نَفْسِهِ، وَمِمَّا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ عِلْمُهُمْ. {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [سورة الذاريات: 49].

{وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ} (يس : 37)

37- ودليلٌ آخَرُ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، هُوَ هَذَا اللَّيْلُ، الَّذِي نَنْزِعُ مِنْهُ النَّهَارَ فَيُقْبَلُ اللَّيْلُ، فَإِذَا هُمْ قَدْ فَتَقَدُوا الضِّيَاءَ وَدَخَلُوا فِي الظَّلَامِ.

{وَالشَّمْسُ بَحْرِي لِمُسْتَقَرِّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} (يس : 38)

38- وَالشَّمْسُ بَحْرٌ عَظِيمٌ مُلْتَهَبٌ، تَدُورُ حَوْلَ نَفْسِهَا وَتَجْرِي فِي اتِّجَاهٍ وَاحِدٍ، وَتَنْتَهِي فِي جَرِيَانِهَا إِلَى مُسْتَقَرِّهَا الْأَخِيرِ، الَّذِي لَا يَعْلَمُ مَوْعِدَهُ إِلَّا اللَّهُ. وَهَذَا مِنْ تَقْدِيرِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يَصْعَبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، الْعَلِيمِ الَّذِي لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِمَّا بَيَّنَّهُ فِي الْكَوْنِ.

{وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} (يس : 39)

39- وَالْقَمَرَ أَقْرَبُ جِزْمِ سَمَاوِيٍّ إِلَى الْأَرْضِ، قَدَرْنَا أَنْ يَسِيرَ سَيْرًا آخَرَ، فِي مُحِيطٍ خَاصٍّ بِهِ - لِيُسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى مُضِيِّ الشُّهُورِ -، وَيَأْخُذُ فِي التَّنَاقُصِ شَيْئًا فَشَيْئًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مُسْتَدِيرًا، لِيَعُودَ هَلَالًا مُقَوَّسًا، كَعِذْقِ النَّخْلَةِ الْيَابِسِ الْمُنْحَنِي.

{لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}

(يس : 40)

40- وَكُلُّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ يَسِيرُ بِنِظَامٍ وَمِيزَانٍ وَدِقَّةٍ مُتَنَاهِيةٍ، فَلَا تَصْطَدِمُ الشَّمْسُ فِي سَيْرِهَا بِالْقَمَرِ، فَإِنَّ لِكُلِّ مِنْهُمَا مَجْرَى مُحَدَّدًا لَا يَتَجَاوَزُهُ فِي سَيْرِهِ، وَلَا يَسْبِقُ اللَّيْلُ النَّهَارَ فَيَأْتِي قَبْلَ أَوَانِهِ، فَإِنَّ لِكُلِّ مِنْهُمَا وَقْتًا مُحَدَّدًا، وَبِدَايَةً وَنَهَايَةً. وَكُلُّ الْمَجَرَّاتِ وَالنُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ تَدُورُ حَوْلَ نَفْسِهَا فِي حَرَكَةٍ مَحَوْرِيَّةٍ، وَتَدُورُ فِي مَدَارَاتِهَا حَرَكَةً انْتِقَالِيَّةً... وَالْكَوْنُ كُلُّهُ يَتَحَرَّكُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَدْبِيرِهِ.

{وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ} (يس : 41)

41- وَدَلِيلٌ آخَرَ عَلَى الْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، أَنَّا سَخَّرْنَا الْبَحَرَ لِتَجْرِي عَلَيْهَا السُّفُنُ، فَتَحْمِلُ ذُرِّيَّةَ بَنِي آدَمَ، وَتَمَلَأُ بِالْأَمْتِعَةِ وَلَا تَغْرَقُ.

{وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} (يس : 42)

42- وَخَلَقْنَا لَهُمْ فِي الْبَرِّ مَا يَحْمِلُونَ عَلَيْهِ وَيَرْكَبُونَهُ، مِثْلَمَا يَرْكَبُونَ السُّفُنَ فِي الْبَحْرِ، كَالْإِبِلِ وَالْبِغَالِ وَغَيْرِهَا.

{ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَدُونَ } (يس : 43)

43- وإذا أردنا أن نغرقهم في البحر وهم في سفنهم، فلا يقدر أحد على أن يغيثهم، ولا أن ينقذهم من الغرق،

{ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ } (يس : 44)

44- إلا إذا كان إنقاذهم برحمة من عندنا، ليقوا في الحياة إلى المدّة التي حدّدناها لهم.

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (يس : 45)

45- وإذا قيل للمُشركين، وقد أعرضوا عن الآيات الكونيّة: احفظوا أنفسكم في الحياة الدّنيا من الذّنوب والمعاصي، ولا تُعرضوها للعقوبة والنّار في اليوم الآخر، ليرحمكم الله ويؤمّنكم من عذابه.

{ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ } (يس : 46)

46- ولكنهم معرضون، فما تأتيهم معجزات وأدلة ناطقة بالحقّ وصدق الرّسول، إلاّ استنكفوا عنها، ولم يأجها بها.

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ

أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } (يس : 47)

47- وإذا قيل لهم: أعطوا الفقراء والمحتاجين ممّا رزقكم الله من أموال، قال الكافرون للمؤمنين في مُخاصمة وجهالة: أنطعم هؤلاء الفقراء الذين لو شاء الله لأطعمهم وأغناهم؟ ما أنتم إلاّ على خطأ بيّن في طلبكم هذا ممّا، فنحن نوافق مشيئة الله في عدم إعطاء المال لهم، وأنتم تطالبون مخالفة مشيئته!

وجهلوا سنة الله في ذلك، والحكمة من الفقر والغنى، ومن الإنفاق.

{ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (يس : 48)

48- ويقول المشركون وقد استبعدوا أمر البعث والنشور: ومتى يكون يوم القيامة إن كنتم صادقين في زعمكم بأنه آتٍ؟

{ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ } (يس : 49)

49- إنهم لا ينتظرون إلا صيحة واحدة، مفزعة هائلة، وهي النفخة الأولى في الصور، تأخذهم وهم يتخاصمون في معاملاتهم وتجاراتهم، دون أن يخطر ببالهم شيء مما فاجأهم.

{ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ } (يس : 50)

50- فلا يتمكنون من أن يوصوا بشيء من أمورهم، ولا أن يرجعوا إلى أهلهم، بل تفجؤهم الصيحة، فيموتون حيث كانوا.

{ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ } (يس : 51)

51- ونُفِخَ فِي الصُّورِ - النفخة الثانية - فإذا هم يخرجون من القبور إلى ربهم مسرعين.

{ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ } (يس : 52)

52- قالوا متعجبين، وقد كانوا من الكافرين بالمعاد: يا هلاكنا! من الذي بعثنا من قبورنا ومراقدنا؟!

إن هذا ما وعد الله به، وصدق أنبيأؤه المرسلون فيما قالوا، وما أنذروا به الكافرين.

{ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ } (يس : 53)

53- ما هي إلا صيحة واحدة عظيمة - هي النفخة الأخيرة في الصور - حتى كانوا جميعاً محضرين للحساب والجزاء.

{ قَالِيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (يس : 54)

54- في هذا اليوم المعهود، لا تُظلم نفس من النفوس، برّة كانت أو فاجرة، ولا تُجزون - أيها الناس - إلا ما كنتم تعملون في الدنيا، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

{ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ } (يس : 55)

55- إن أصحاب الجنة يوم القيامة في فرحٍ ونعيم، ومع حورٍ عِين، قد شغلهم ذلك عن كل شيء.

{ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ } (يس : 56)

56- وازدادوا فرحاً وسروراً أنهم مع أزواجهم في ظلالٍ وارفة، على الأسرّة متكئون متعمون.

{ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مِمَّا يَدْعُونَ } (يس : 57)

57- لهم في الجنة ما لذّ وطاب من أنواع الفاكهة، وكل ما يشتهونه ويطلبونه لأنفسهم.

{ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ } (يس : 58)

58- ويحييهم الله تحيةً مباركةً من عنده ويقول لهم: سلام. وفيه من أمان الله والاطمئنان والرضا ما فيه.

{ وَأَمَّا تَأْتُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ } (يس : 59)

59- أمّا أنتم أيها الكافرون المجرمون، فتميزوا عن المؤمنين، وانفردوا عنهم؛ لتلقوا مصيركم في النار.

{ أَلَمْ أَعْهَدْ لَكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } (يس : 60)

60- ألم أمركم يا بني آدم ألا تطيعوا الشيطان فيما يُزِينُ لكم من المعاصي، وأنه ظاهرُ العداوة لكم؟

{وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} (يس : 61)

61- وَعَهَدْتُ إِلَيْكُمْ أَنْ تَعْبُدُونِي وَتُوَحِّدُونِي وَلَا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا، وَهَذَا هُوَ الطَّرِيقُ الْحَقُّ وَالنَّهْجُ الْقَوِيمُ.

{وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَقَلَمَ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ} (يس : 62)

62- وَلَقَدْ أَضَلَّ الشَّيْطَانُ خَلْقًا كَثِيرًا مِنْكُمْ فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ، أَمَا تَتَفَكَّرُونَ وَتَتَعِظُونَ بِهِمْ؟

{هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} (يس : 63)

63- هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُحَدَّرُونَ مِنْهَا وَتُوَعَدُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ.

{اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} (يس : 64)

64- ادْخُلُوهَا أَذَلَّةً مُهَانِينَ، وَذُوقُوا حَرَّهَا وَعَذَابَهَا؛ بِسَبَبِ إِصْرَارِكُمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

{الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (يس : 65)

65- فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمَخُوفِ الَّذِي تُحَاسِبُهُمْ فِيهِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، يُنَكِّرُ الْكَافِرُونَ وَالْمُنَافِقُونَ أَنَّهُمْ اقْتَرَفُوا آثَامًا وَكَذَّبُوا رُسُلًا، وَيَحْلِفُونَ عَلَى ذَلِكَ، فَنَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ الْكَلَامَ، وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ بِمَا فَعَلَتْ، وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَسَبَتْ.

{وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ} (يس : 66)

66- وَلَوْ أَرَدْنَا لِأَعْمَيْنَا أَبْصَارَهُمْ، فَإِذَا ابْتَدَرُوا إِلَى سُلُوكِ الطَّرِيقِ فَكَيْفَ يُبْصِرُونَ؟

{وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ} (يس : 67)

67- ولو أردنا لمسّخناهم وحوّلنا أشكالهم إلى حيواناتٍ أو حجارةٍ وهم قُعودٌ في مكانهم، فلا يستطيعون ذهابًا ولا إيابًا.

{ وَمَنْ نُعَمِّرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ } (يس : 68)

68- وَمَنْ نُطَلِّ عُمُرَهُ نُضَعِفْ جِسْمَهُ وَقَوَّتَهُ، ونردّها إلى نُقصانٍ بعدَ زيادتها، فيتناقصُ حتّى يصيرَ بدلَ القوّةِ ضَعْفًا، وبدلَ الشّبابِ هَرَمًا! أفلا يتفكّرونَ في ذلكَ ليعلموا أنّ الإلهَ القادرَ على تكيّسهم وتصريفِ أحوالهم قادرٌ على مَسْخِهم وإعمائهم وبعثهم بعدَ الموتِ؟

{ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ } (يس : 69)

69- وما علّمنا النبيَّ محمّدًا صلى الله عليه وسلم الشّعْرَ، فلا يُحسِنُ نَظْمَهُ ولا قولَه، ولا يصلُحُ له، فهو ليسَ من طبعه ولا وظيفته التي هيأها الله فيه، فكيف تدعّونَ أنّه شاعرٌ يا كَفَّارَ مكّة؟! وما هذا القرآنُ الموحى إليه إلا موعظةٌ وتذكّرة، وقرآنٌ واضحٌ بينٌ لمن تأمّله وتدبّره، لا يلتبسُ به الشّعْرُ ألبتّة، فيه العِظَةُ والقِصّة، والحُكْمُ والخبر، والثّوابُ والعِقَابُ، وهو أمرٌ وهْيٌ وبيانٌ من ربِّ العالمين.

{ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيُحِقِّ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ } (يس : 70)

70- ليُنذِرَ هذا القرآنُ كُلَّ حَيٍّ عاقِلٍ على وجهِ الأرض، ولا يَنْتَفِعُ به إلا مَنْ كانَ قلبُه حيًّا، مُنْتَفِحًا على الحقِّ، مُستَعِدًّا لقبوله، وليكونَ حُجَّةً على الكافرين، فقد صرّفَ لهم القولَ فيه، وحذّروا، ورُدّ على شُبُهاتهم، فلا يلوموا إلا أنفُسَهم إذا عُوقِبوا لعدمِ إيمانهم به.

{ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ } (يس : 71)

71- أَلَا يَنْظُرُ هؤلاءِ ويتفكّرونَ كيفَ خَلَقْنَا لهم أنعامًا ممّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا، دونَ الاستِيعانةِ بأحدٍ مِنَ الخلق، فإذا هم يملكونها لينتفعوا بها؟

{ وَوَدَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ } (يس : 72)

72- وسخرناها لهم، فلا تمتنع منهم، فمنها ما يركبون عليها أو يحملون عليها ويتوجهون بها أينما أرادوا، ومنها ما يأكلون لحمها.

{ وَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ } (يس : 73)

73- وهم في هذه الأنعام منافع أخرى غير الأكل والركوب، فيستفيدون من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها، ويشربون من ألبانها، أو يصنعون منها السممن والخبث والأقط وغيرها. أفلا يشكرون الله على هذه النعم، ويعلمون أنه وحده خالقهم ورازقهم، فهو وحده الذي يُعبد؟

{ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُم يُنصَرُونَ } (يس : 74)

74- ولكنهم بدل ذلك اتخذوا أصنامًا آلهة، رجاء أن تنصرهم وتشفع لهم، وتقرهم إلى الله!

{ لَا يَسْتَطِيعُونَ نصرهم وهم لهم جندٌ محضرون } (يس : 75)

75- ولكن هذه الأصنام لا تقدر على الانتصار لنفسها ولا لمن يعبدونها، فهي أحجار صماء لا تتحرك ولا تتكلم، فليس بإمكانها أن تضّر أو تنفع، ومع ذلك فهم جنودٌ مخلصون لهذه الأصنام، تراهم حاضرين للدب عنها، جاهزين للدفاع عنها!

{ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ } (يس : 76)

76- فلا تهتم بقولهم، ولا تتحسر على تكذيبهم لك وإتهمهم بأنك ساحر أو شاعر، فهم جهلاء لا يفقهون. نحن نعلم ما يسرون في أنفسهم من العقائد الباطلة، وما يُظهرون من الشرك والتكذيب والأذى، وسنحاسبهم على كل ذلك، ونجزيمهم عليها بما يستحقون من عذاب.

{ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ } (يس : 77)

77- أَلَا يَتَفَكَّرُ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ لِيَعْلَمَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ صَغِيرَةٍ حَقِيرَةٍ، فَإِذَا هُوَ يُخَاصِمُ وَيُجَادِلُ بِالْبَاطِلِ، وَيَجْهَرُ بِذَلِكَ مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ وَمَا يَقُولُ؟!

{ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ } (يس : 78)

78- وَضَرَبَ هَذَا الْكَافِرُ بِالْبَعْثِ مَثَلًا لَنَا، وَنَسِيَ بَدْءَ خَلْقِنَا لَهُ، فَجَاءَ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي يَدِهِ عَظْمٌ قَدِيمٌ، فَفَتَنَتْهُ أَمَامَهُ وَقَالَ لَهُ: أَتَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ هَذَا بَعْدَمَا أَرَمَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نَعَمْ، يَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا، وَيُمِيتُكَ، ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ". رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ.

{ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ } (يس : 79)

79- قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: سَيُحْيِي الْعِظَامَ الَّذِي أَوْجَدَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهِيَ لَا شَيْءَ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَجْزَائِهَا وَعِظَامِهَا الْمُنْفَتَّتَةِ وَالْمُنْفَرِّقَةِ فِي أَنْحَاءِ الْأَرْضِ.

{ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ } (يس : 80)

80- هُوَ الْقَادِرُ الْعَظِيمُ، الَّذِي هَيَّأَ لَكُمْ أَنْ تَسْتَخْرِجُوا النَّارَ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ، فَيُؤَخَذُ عُودَانِ مِنْ شَجَرَيْنِ مُعَيَّنَيْنِ (الْمَرْخِ وَالْعَفَّارِ)، وَيُقَدِّحُ أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ، فَتَتَوَلَّدُ النَّارُ مِنْهُمَا، وَهُمَا رَطْبَانِ يَقَطُرُ الْمَاءُ مِنْهُمَا!

وَيَقُولُ عُلَمَاءُ الطَّبِيعَةِ: إِنَّ الْبِتْرُولَ يَنْتُجُ مِنْ نَبَاتَاتٍ مُتَحَلِّلَةٍ، وَالشَّجَرُ هُوَ الْمَصْدَرُ الْوَحِيدُ لِلخَشَبِ، وَالْفَحْمُ الْحَجْرِيُّ وَالنَّبَاتِيُّ أَصْلُهُمَا أَحْشَابُ، وَالنَّبَاتِيُّ مِنْهُ إِذَا تَعَرَّضَ إِلَى حَرَارَةٍ عَالِيَةٍ تَحْوَلُ إِلَى غَازٍ طَبِيعِيٍّ، وَالنَّبَاتَاتُ تَتَحَوَّلُ إِلَى قِشٍّ... وَكُلُّ ذَلِكَ يُعْتَبَرُ مَصَادِرَ لِلوَقُودِ.

{ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ

الْعَلِيمُ } (يس : 81)

81- أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ الْعَظِيمَةَ، وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهَا مِنْ أَنْسَابٍ وَدَوَابٍّ، وَأَشْجَارٍ وَأَنْهَارٍ، وَجِبَالٍ وَقِفَارٍ، أَلَيْسَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ بَشَرًا مِثْلَهُمْ، فَيُعِيدَ خَلْقَهُمْ

يَوْمَ الْبَعْثِ كَمَا بَدَأَ خَلَقَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ؟ بَلَى، هُوَ الْقَادِرُ عَلَى خَلْقِ مَا يَشَاءُ، خَلَقًا بَعْدَ خَلْقٍ، الْعَلِيمُ بِكُلِّ مَا خَلَقَ.

{ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } (يس : 82)

82- وَيَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ دُونَ أَنْ يَقِفَ أَمَامَهُ عَائِقٌ، فَإِذَا قَالَ لِلشَّيْءِ كُنْ، يَكُونُ كَمَا أَرَادَ، دُونَ أَنْ يَتَأَخَّرَ.

{ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } (يس : 83)

83- فَتَعَالَى اللَّهُ وَتَنَزَّ عَنْ كُلِّ شَرِيكٍ وَنَظِيرٍ، وَتَقَدَّسَتْ ذَاتُهُ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ، الَّذِي بِيَدِهِ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ وَخَلْقُهُ وَتَدْبِيرُهُ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُجَازِيَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ بِمَا تَسْتَحِقُّونَ.

سورة الصّافات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ وَالصّافاتِ صَفًّا } (الصافات : 1)

1- أُقْسِمُ بِالْمَلَائِكَةِ الْمُصْطَفَةِ بِاسْتِقَامَةٍ فِي جَمَاعَاتٍ، الْمُتَرَاصَّةِ فِي صُفُوفِهَا⁽¹²²⁾.

{ فَالزّاجراتِ زَجْرًا } (الصافات : 2)

2- وَالْمَلَائِكَةُ الَّتِي تَزْجُرُ السَّحَابَ وَتَسُوْقُهُ إِلَى حَيْثُ يَأْمُرُ اللَّهُ.

{ فَالتّالياتِ ذِكْرًا } (الصافات : 3)

3- فَالْمَلَائِكَةُ التّالياتِ ذِكْرَ اللَّهِ، مِنْ تَسْبِيحٍ وَتُحْمِيدٍ وَتَمْجِيدٍ وَتَهْلِيلٍ ..

{ إِنَّ إِلَهُكُمْ لَواحِدٌ } (الصافات : 4)

4- إِنَّ إِلَهُكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ.

{ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشَارِقِ } (الصافات : 5)

5- رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ الْعَظِيمَةِ، وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهَا، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَرَبُّ مَطَالِعِ الشَّمْسِ، خَلَقًا، وَمُلْكًا، وَتَصَرُّفًا فِيهَا.

{ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ } (الصافات : 6)

6- إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الْقَرِيبَةَ مِنَ الْأَرْضِ بِالْكَوَاكِبِ الْمُنِيرَةِ، فِي أَضْوَائِهَا وَتَلألُؤِهَا وَحُسْنِ مَنْظَرِهَا.

(122) الصافات: جمع صافّة، بمعنى جماعة، فالصافات بمعنى الجماعات الصافات... (روح البيان).

وتأنيث هذه الصفات باعتبار إجرائها على معنى الطائفة والجماعة، ليدلّ على أن المراد أصناف من الملائكة لا آحاد منهم. و { الصافات } : جمع صافّة، وهي الطائفة المصطفة بعضها مع بعض.. (التحرير).

{ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ } (الصفات : 7)

7- وَحَفِظْنَا بِهَا السَّمَاءَ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مُتَمَرِّدٍ عَاتٍ.

{ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ } (الصفات : 8)

8- لئَلَّا يَصْعَدُوا فِي السَّمَاءِ وَيَسْتَمِعُوا إِلَى الْمَلَائِكَةِ بِمَا يُوحَى اللَّهُ إِلَيْهِمْ، أَوْ بِمَا يَتَكَلَّمُونَ فِي

أَمْرِ الْعِبَادِ، فَيُرْمُونَ بِالشُّهُبِ مِنْ كُلِّ أُنْحَاءِ السَّمَاءِ.

{ دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ } (الصفات : 9)

9- لِيُطْرَدُوا وَيُعْذَبُوا مِنْ بَحَالِسِ الْمَلَائِكَةِ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ دَائِمٌ.

{ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ } (الصفات : 10)

10- إِلَّا مَنْ اخْتَلَسَ مِنْ كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ مُسَارِقَةً، فَلَحِقَهُ شِهَابٌ قَوِيٌّ مُتَوَقِّدٌ، يُحْرِقُهُ أَوْ يُجَبِّلُهُ،

وَقَدْ يُلْقَى الْكَلِمَةَ الَّتِي سَمِعَهَا إِلَى الَّذِي تَحْتَهُ، ثُمَّ إِلَى الْآخِرِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْكَاهِنِ، وَرَبَّمَا أَدْرَكَهُ

الشُّهُابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا.

{ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ } (الصفات : 11)

11- فَاسْأَلِ الْمُشْرِكِينَ أَيُّهَا الرُّسُولُ: أَهْمُ أَقْوَى خَلْقَةً وَأَصْعَبُ إِجَادًا، أَمْ مَنْ خَلَقْنَا، مِنْ

الْمَلَائِكَةِ، وَالسَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالْمَشَارِقِ وَالْكَوَاكِبِ، وَالشَّيَاطِينِ؟ فَكَيْفَ

يَسْتَبْعِدُونَ إِجَادَ شَيْءٍ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ، كَبَعْتِهِمْ بَعْدَ الْمَوْتِ؟ وَلَقَدْ خَلَقْنَا أَصْلَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ

لَزِقٍ ثَابِتٍ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِهِمْ وَلَوْ تَحَوَّلُوا إِلَى عِظَامٍ وَتُرَابٍ.

{ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ } (الصفات : 12)

12- بلْ عَجَبْتَ أَيُّهَا النَّبِيُّ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ، وَإِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ، وَأَنْتَ مُصَدِّقٌ، عَمِيقُ
الإيمانِ بذلك، وهم يَسْخَرُونَ مِمَّا تَقُولُ لَهُمْ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِالْأَدَلَّةِ الَّتِي تَذَكِّرُهَا لَهُمْ.

{ وَإِذَا دُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ } (الصفات : 13)

13- وَإِذَا وُعِظُوا وَدُكِّرُوا لَا يَتَّعِظُونَ، وَلَا يَأْتَهُونَ بِمَا تَقُولُ.

{ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ } (الصفات : 14)

14- وَإِذَا رَأَوْا مُعْجِزَةً وَبُرْهَانًا عَلَى صِدْقِ مَا تَقُولُ، سَخِرُوا وَاسْتَهْزَؤُوا.

{ وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ } (الصفات : 15)

15- وَقَالُوا فِي كُفْرٍ وَعِنَادٍ: مَا هَذِهِ الْمَعْجِزَاتُ وَالْآيَاتُ إِلَّا سِحْرٌ بَيِّنٌ سَاعَدَكَ فِيهِ الْجِنَّ!

{ أَيُّدَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَتَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ } (الصفات : 16)

16- وَقَالُوا مُنْكَرِينَ وَمُكْذِبِينَ: إِذَا تَحَوَّلَتْ أَجْسَادُنَا إِلَى تُرَابٍ، وَكُنَّا عِظَامًا يَابِسَةً بِالْيَةِ،
أَنْبَعَثُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ؟

{ أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ } (الصفات : 17)

17- وَأَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ كَذَلِكَ، الَّذِينَ لَا أَثَرَ لَهُمْ، أَيُّبَعَثُونَ أَيْضًا؟

{ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ } (الصفات : 18)

18- قُلْ لَهُمْ: نَعَمْ، سَتُبَعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ، وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ أَذِلَّةٌ فِي قَبْضَةِ الْقُدْرَةِ
الإلهية.

{ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ } (الصفات : 19)

19- فَإِنَّمَا هِيَ تَفْحَةٌ وَاحِدَةٌ فِي الصُّورِ، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ مِنْ قُبُورِهِمْ، يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَهْوَالِ الَّتِي تَحِيطُ بِهِمْ.

{ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ } (الصفات : 20)

20- وقالوا وهم نادمون متحسرون: يا هلاكنا، هذا يوم الحساب والجزاء.

{ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ } (الصفات : 21)

21- ويُقال لهم: هذا يوم القضاء، ويوم الفصل بين المحسن والمسيء، الذي كنتم تُنكرونه.

{ احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ } (الصفات : 22)

22- ويقول الله للملائكة: اجمعوا الكافرين وأمثالهم، ممن كان على شاكلتهم، وما كانوا يعبدونه،

{ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ } (الصفات : 23)

23- ما كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله، ليزدادوا خيبةً وندامةً، ثم قدموهم ودلوهم إلى طريق النار، ليعرفوا مصيرهم.

{ وَوَقُّوهُمْ إِثْمَهُمْ مَسْئُولُونَ } (الصفات : 24)

24- واحبسوهم في الموقف، أو عند الصراط، ليسألوا عن عقائدهم وجميع أقوالهم وأفعالهم.

{ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ } (الصفات : 25)

25- ثم يُقال لهم على سبيل التفرع والتوبيخ: ما لكم أيها الكافرون لا ينصر بعضكم بعضاً كما كنتم في الحياة الدنيا؟ أو أنتم وأهتكم التي زعمتم أنها ستشفع لكم وتناصركم؟

{ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ } (الصفات : 26)

26- بل هم اليوم مُنقادون لأمرِ الله، خاضعون له، مَخذولون.

{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} (الصفات : 27)

27- ثمَّ أَقْبَلَ الرُّؤْسَاءُ وَالْأَتْبَاعُ الضَّالُّونَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، يَتَخَصَّمُونَ وَيَتَجَادَلُونَ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ.

{قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ} (الصفات : 28)

28- فَقَالَ الْأَتْبَاعُ لِلَّذِينَ أَضَلُّوهُمْ: إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تُزَيِّتُونَ لَنَا الشَّرَّ وَالْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْخَيْرِ، وَتُلَبِّسُونَ عَلَيْنَا الْحَقَّ وَتُبْعِدُونَنَا عَنْهُ.

{قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} (الصفات : 29)

29- فَقَالُوا لَهُمْ: بَلْ لَمْ تَكُونُوا عَلَى الْحَقِّ أَيُّهَا الْأَتْبَاعُ حَتَّى نُضِلَّكُمْ، وَكَانَتْ قُلُوبُكُمْ قَابِلَةً لِلْكَفْرِ وَالْعِصْيَانِ، فَأَنْتُمْ الَّذِينَ أَضَلَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ.

{وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَآغِينَ} (الصفات : 30)

30- وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ قَهْرٌ وَسُلْطَانٌ حَتَّى نُجْبِرَكُمْ عَلَى أَفْكَارِنَا، بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا عَاصِينَ، مُتَجَاوِزِينَ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ.

{فَحَقُّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ} (الصفات : 31)

31- فَتَبَّتْ عَلَيْنَا أَمْرُ اللَّهِ وَوَعِيدُهُ، وَعَدَلْنَا فِينَا قَضَاؤَهُ، إِنَّا لَذَائِقُو الْعَذَابِ لَا مَحَالَةَ.

{فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ} (الصفات : 32)

32- فَقَدْ دَعَوْنَاكُمْ إِلَى الضَّلَالِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ، فَاسْتَجَبْتُمْ لَهُ، وَأَصْبَحْتُمْ ضَالِّينَ مِثْلَنَا.

{فِيهِمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ} (الصفات : 33)

33- فهم جميعًا مُشتركون في العذاب، المضلُّ والمضلل، الرؤساء والأتباع، كما كانوا مُشتركين في الضلال في الدنيا.

{ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ } (الصفات : 34)

34- وبمثل هذا العقاب نُعاقب الذين جعلوا لله شركاء.

{ إِيَّاهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ } (الصفات : 35)

35- إيَّاهم كانوا إذا دُعوا إلى التوحيد في الحياة الدنيا، استكبروا عن قبول الحق، وأبوا أن يقولوا لا إله إلا الله كما يقول المؤمنون.

{ وَيَقُولُونَ إِنَّمَا نَتَارِكُوا آهْتِنَا لِشَاعِرٍ بِحْنُونَ } (الصفات : 36)

36- ويقول المشركون في جهل: أتترك عبادة أصنامنا لقول شاعرٍ بحنون؟ يعنون النبي صلى الله عليه وسلم.

{ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ } (الصفات : 37)

37- يقول الله تعالى: بل جاء الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بالدين الحق، والتوحيد الصحيح، والأحكام العادلة، وصدق المرسلين السابقين فيما جاؤوا به من التوحيد والكتب المنزلة عليهم.

{ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ } (الصفات : 38)

38- إنكم أيها المشركون المكذبون لصالو النار، وذائقو العذاب المؤلم الشديد.

{ وَمَا تُحْزِنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (الصفات : 39)

39- وأنتم لا تُعاقبون إلا على الشرك، والآثام التي اقترفتُموها.

{إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ} (الصفات : 40)

40- إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُؤَحَّدِينَ، الصَّادِقِينَ فِي إِيمَانِهِمْ، الْمُخْلِصِينَ فِي أَعْمَالِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يُعَذَّبُونَ، بَلْ يُتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَيُرْحَمُونَ.

{أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّغْلُومٌ} (الصفات : 41)

41- أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ طَيِّبٌ شَهِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، مَعْرُوفٌ الْخِصَائِصِ، مِنْ لَذَّةِ الطَّعْمِ، وَطَيِّبِ الرَّائِحَةِ، وَحُسْنِ الْمَنْظَرِ.

{فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ} (الصفات : 42)

42- فَوَاكِهُ مُتَنَوِّعَةٌ، وَهُمْ مُكْرَمُونَ مَخْدُومُونَ، مُرَفَّهُونَ مُنْعَمُونَ.

{فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} (الصفات : 43)

43- فِي جَنَّاتٍ عَالِيَةٍ وَّاسِعَةٍ، فِيهَا الرَّاحَةُ وَالنَّعِيمُ.

{عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} (الصفات : 44)

44- وَهُمْ إِخْوَةٌ مُتَحَابُّونَ، عَلَى الْأَسِرَّةِ مُتَقَابِلُونَ، يَسْتَأْنِسُونَ وَيَتَحَادَثُونَ.

{يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ} (الصفات : 45)

45- يُطَافُ عَلَيْهِمْ خَدَمُ الْجَنَّةِ فِي مَجَالِ أُنْسِهِمْ بِكَأْسٍ مِنَ الْخَمْرِ، ظَاهِرٍ صَافٍ، مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ.

{بَيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ} (الصفات : 46)

46- وَهِيَ بَيضَاءٌ، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، يَلْتَذُّ بِطَعْمِهَا الشَّارِبُ وَيَهْنَأُ.

{لَا فِيهَا عَؤُولٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنَزَّفُونَ} (الصفات : 47)

47- لا تُسَبِّبُ صُدَاعًا فِي الرَّأْسِ، وَلَا وَجَعًا فِي الْبَطْنِ، وَلَا تَذْهَبُ عُقُولُهُمْ بِهَا.

{ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ } (الصفات : 48)

48- وَعِنْدَهُمُ الْحُورُ الْعَفِيفَاتُ، فَلَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَسِعَاتُ الْعُيُونِ حِسَابُهُنَّ.

{ كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ } (الصفات : 49)

49- كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ مَحْصُونٌ فِي عَشِّهِ، لَمْ تَمَسَّهُ الْأَيْدِي، وَلَمْ يُصِبَّهُ الْعُبَارُ.

{ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ } (الصفات : 50)

50- فَأَقْبَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، يَتَسَاءَلُونَ عَنْ أحوالِهِمْ، وَعَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، وَهُمْ عَلَى الْأَسِرَّةِ مُتَّكِرُونَ.

{ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ } (الصفات : 51)

51- قَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: لَقَدْ كَانَ لِي صَاحِبٌ فِي الدُّنْيَا،

{ يَقُولُ أَتَيْتَكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ } (الصفات : 52)

52- يَقُولُ لِي عَلَى جِهَةِ الْإِنْكَارِ: أَنْتَ مِنَ الْمُصَدِّقِينَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ؟

{ أَيُّدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَيُّنَّا لَمَدِينُونَ } (الصفات : 53)

53- إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا بِالْيَةِ، أَيُّنَّا لِمَدِينُونَ وَمُحَاسِبُونَ عَلَى أَعْمَالِنَا وَمَجْرِيُونُونَ بِهَا.

{ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ } (الصفات : 54)

54- قَالَ لِأَصْحَابِهِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ: هَلْ أَنْتُمْ مُشْرِفُونَ عَلَى النَّارِ وَنَاطِرُونَ إِلَى أَهْلِهَا لِأُرْيَكُمُ ذَلِكَ الصَّاحِبَ؟

{ فَاطَّلَعَ فَرَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ } (الصفات : 55)

55- فاطَّلَعَ على أهل النَّارِ، فَرَاهُ فِي وَسْطِ الْجَحِيمِ.

{ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُزْذِرِينَ } (الصفات : 56)

56- قَالَ لَهُ الْمُؤْمِنُ: وَاللَّهِ لَقَدْ كِدَتْ أَنْ تُهْلِكَنِي، لَوْ وَاقَفْتُنْكَ عَلَى كَلَامِكَ.

{ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ } (الصفات : 57)

57- وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيَّ وَرَحْمَتُهُ بِي، لَكُنْتُ مِثْلَكَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

{ أَمَّا نَحْنُ بِمَبِيتِينَ } (الصفات : 58)

58- وَقَالَ الْمُؤْمِنُ لِأَصْحَابِهِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ: أَلَا نَمُوتُ بَعْدَ هَذَا؟

{ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدَّبِينَ } (الصفات : 59)

59- إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، وَلَا نُعَذَّبُ كَأَصْحَابِ النَّارِ؟

{ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (الصفات : 60)

60- إِنَّ هَذَا النَّعِيمَ هُوَ النَّجَاحُ الْحَقِيقِيُّ، وَالسَّعَادَةُ الْعُظْمَى وَالِدَّائِمَةُ.

{ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ } (الصفات : 61)

61- لِمِثْلِ هَذَا النَّعِيمِ الْمَقِيمِ، وَمِثْلِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ وَالْكَرَامَةِ فَلْيَعْمَلْ أَهْلُ الدُّنْيَا.

{ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ } (الصفات : 62)

62- أَهَذِهِ الْجَنَّةُ وَنَعِيمُهَا أَفْضَلُ، أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ الْكَرِيهَةُ الطَّعْمِ وَالرَّائِحَةُ فِي الْجَحِيمِ؟

{ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ } (الصفات : 63)

63- لقد جعلنا تلك الشجرة الحبيثة محنةً وعذاباً للكافرين.

{ إِثْمًا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ } (الصفات : 64)

64- إِثْمًا شَجَرَةٌ تَنْبُتُ فِي فَعْرِ جَهَنَّمَ.

{ طَلَعَهَا كَأَنَّه رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ } (الصفات : 65)

65- ثَمَارُهَا قَبِيحَةٌ بَشَعَةٌ، كَأَنَّهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ.

{ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُلُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْوَنَ مِنْهَا الْبُطُونَ } (الصفات : 66)

66- وَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيُكْرَهُونَ عَلَى تَنَاوُلِهَا، فَهُمْ يَتَرَقَّمُونَهَا عَلَى كُرِّهِ وَمَشَقَّتِهِ، وَيَمَلَّوْنَ مِنْهَا بُطُونَهُمْ.

{ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ } (الصفات : 67)

67- ثُمَّ إِنَّهُمْ يَشْرَبُونَ عَلَيْهَا شَرَابًا مَّزْجُوجًا بِمَاءٍ حَارٍّ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ.

{ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ } (الصفات : 68)

68- ثُمَّ يُعَادُ بِهَمْ - بَعْدَ شُرْبِ الْحَمِيمِ - إِلَى مَقَرِّهِمْ مِنَ النَّارِ الْمَوْقَدَةِ. وَفِي جَهَنَّمَ مَوَاضِعٌ لِلْعَذَابِ، يُرْحَلُونَ إِلَيْهَا ثُمَّ يُعَادُ بِهَمْ إِلَى مَكَانِهِمْ.

{ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ } (الصفات : 69)

69- لَقَدْ وَجَدَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ نَاكِبِينَ عَنِ الْحَقِّ،

{ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ } (الصفات : 70)

70- فَسَارَعُوا إِلَى مُتَابَعَتِهِمْ، مِنْ غَيْرِ تَفَكُّرٍ مِنْهُمْ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّ أَوْ بَاطِلٍ، بَلْ قَلَّدُوهُمْ وَصَارُوا مِثْلَهُمْ.

{وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ} (الصفات : 71)

71- وقد ضلَّ قبل هؤلاء المشركين أكثر الأمم السَّابِقَة.

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ} (الصفات : 72)

72- ولقد أرسلنا في تلك الأمم رسلاً مُنْذِرِينَ، يُحذِّروهم بأسَ الله ونِقْمَتَه، إنَّ هم خالفوا أمره، وأصرُّوا على الكُفْرِ والتَّكْذِيبِ.

{فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ} (الصفات : 73)

73- فانظر كيف كانت نِهَايَةُ مَنْ أُنْذِرُوا ولم يَعْتَبِرُوا، فقد أهلكهم الله وجعلهم عِبْرَةً لِلآخِرِينَ؛ لِإِصْرَارِهِمْ عَلَى الكُفْرِ والعِصْيَانِ.

{إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ} (الصفات : 74)

74- إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ صَدَقُوا فِي إِيمَانِهِمْ وَأَخْلَصُوا فِي أَعْمَالِهِمْ لِرَبِّهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يُعَدِّبُونَ، بَلْ يُكْرَمُونَ وَيُؤَجَّرُونَ.

{وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ} (الصفات : 75)

75- ولقد دعانا نُوحٌ لما كَذَّبَهُ قَوْمُهُ، وَأَيْسَ مِنْ إِيمَانِهِمْ، فدعا عليهم، فأجبنا دُعَاءَهُ، فنعمَ المَجِيبُونَ لَهُ نَحْنُ.

{وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ} (الصفات : 76)

76- فأهلكناهم، وأنقذنا نُوحًا وأهله الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْعَمِّ الشَّدِيدِ الَّذِي لَازَمَهُمْ.

{وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ} (الصفات : 77)

77- ولم يبقَ مِنَ الكَافِرِينَ وَذُرِّيَّتِهِمْ أَحَدٌ، وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّةَ نُوحٍ هُمُ البَاقِينَ، فَهُوَ الأبُّ الثَّانِي للبَشَرِ.

{ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ } (الصفات : 78)

78- وَأَبَقِينَا لَهُ الذِّكْرَ الطَّيِّبَ، وَالثَّنَاءَ الحَسَنَ، فِيمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الأنْبِيَاءِ وَالأُمَّمِ.

{ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي العَالَمِينَ } (الصفات : 79)

79- سَلَامٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّهِ نُوحٍ، وَسَلَامٌ عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ وَالأُمَّمِ⁽¹²³⁾.

{ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } (الصفات : 80)

80- وَهَكَذَا نُثِيبُ مَنْ أَحْسَنَ، فَصَبَرَ عَلَى الدَّعْوَةِ، وَجَاهَدَ أَعْدَاءَ اللَّهِ دَهْرًا.

{ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ } (الصفات : 81)

81- إِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ عِبَادِنَا المُوَحِّدِينَ، المَخْلِصِينَ فِي طَاعَتِهِمْ وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ.

{ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخِرِينَ } (الصفات : 82)

82- ثُمَّ أَغْرَقْنَا قَوْمَهُ الكَافِرِينَ أَجْمَعِينَ، وَلَمْ يُبَقِ مِنْهُمْ أَحَدًا.

{ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ } (الصفات : 83)

83- وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ نُوحٍ فِي أَصُولِ دِينِهِ وَسُنَّتِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(123) { سَلَامٌ } أي: هذا الكلام بعينه. وهو واردٌ على الحكاية، كقولك: قرأتُ (سورةً أنزلناها)، فلم ينتصب (السلام)؛ لأن الحكاية لا تُزَالُ عن وجهها. والمعنى: يسلّمون عليه تسليماً، ويدعون له على الدوام، أمةً بعد أمة. (روح البيان).

إنشاءً ثناءً لله على نوح، وتحيةً له، ومعناه لازمُ التحية، وهو الرضى والتقريب، وهو نعمةٌ سادسة. وتنويثُ { سَلَامٌ } للتعظيم. (التحرير).

مفسّرٌ لما أبقي عليه الذكْرُ الجميلُ والثناءُ الحسنُ، أنه يسلّمُ عليه في جميع الطوائفِ والأممِ. (ابن كثير).

{ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } (الصفات : 84)

84- فقد جاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ نَقِيٍّ خَالٍ مِنَ الشَّكِّ وَالشَّرْكِ.

{ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ } (الصفات : 85)

85- وقالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مُنْكَرًا عَلَيْهِمْ فَعَلَهُمْ: ما هذا الذي تَعْبُدُونَهُ؟

{ أَئِنَّمَا آلِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ } (الصفات : 86)

86- أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى كَذِبًا وَبَاطِلًا؟ وهلِ الْحِجَارَةُ تَفْعُهُ شَيْئًا أَوْ تَتَصَرَّفُ فِي شَيْءٍ حَتَّى يَكُونَ لَهَا شُبُهَةٌ أُلُوْهِيَّةٌ عِنْدَكُمْ؟

{ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } (الصفات : 87)

87- فما تَقُولُونَ فِي عِبَادَةِ رَبِّ الْكَوْنِ كُلِّهِ، أليسَ هُوَ الْجَدِيرَ بِالْعِبَادَةِ حَقًّا؟

{ فَتَنْظَرُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ } (الصفات : 88)

88- فَتَنْظَرُ إِلَى النُّجُومِ مُلْتَهِيًا عَنْهُمْ، وَقَدْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ إِلَى عِيدِهِمْ،

{ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ } (الصفات : 89)

89- فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي مَرِيضٌ - يَعْنِي سَقِيمَ الْقَلْبِ لِعِبَادَتِهِمُ الْأَوْثَانَ - فَلَا أَخْرُجُ إِلَى احْتِفَالٍ أَوْ عِيدٍ.

{ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ } (الصفات : 90)

90- فَأَعْرَضُوا عَنْهُ، وَتَرَكُوا الْقُرْبَ مِنْهُ، وَمَضُوا إِلَى عِيدِهِمْ.

{ فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ } (الصفات : 91)

91- فخرَجَ مِنْ بَعْدِهِمْ بِسُرْعَةٍ مُخْتَفِيًا إِلَىٰ أَصْنَامِهِمْ، وَقَدْ وُضِعَ طَعَامُ أَمَامِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ مُسْتَهْزِئًا: أَلَا تَأْكُلُونَ الطَّعَامَ الَّذِي أَمَامَكُمْ؟

{ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ } (الصفات : 92)

92- ما لكم أيها الأصنام لا تجيئون؟

{ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ } (الصفات : 93)

93- فَمَالَ مُسْتَعْلِيًا عَلَيْهِمْ يَضْرِبُهُمْ بِيَدِهِ الْيَمْنَى.

{ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ } (الصفات : 94)

94- فَرَجَعُوا مِنْ عِيدِهِمْ وَرَأَوْا أَصْنَامَهُمْ مَكْسُورَةً، فَدَلُّوا عَلَىٰ مَنْ كَانَ يَذْكُرُهُمْ بِسُوءٍ مِنْ قَبْلِ، وَهُوَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَجَاؤُوا إِلَيْهِ مُسْرِعِينَ، يَسْأَلُونَهُ عَنْ سَبَبِ إِذْلَالِ أَصْنَامِهِمْ؟

{ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ } (الصفات : 95)

95- فَقَالَ لَهُمْ: أَتَعْبُدُونَ أَحْجَارًا تَنْحِتُونَهَا بِأَيْدِيكُمْ،

{ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } (الصفات : 96)

96- وَاللَّهُ خَالِقُكُمْ وَخَالِقُ مَا تَعْمَلُونَ بِأَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَصْنَامِ وَغَيْرِهَا، أَفَلَا تَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِ إِذَا وَتَعْبُدُونَهُ؟

{ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ } (الصفات : 97)

97- فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَىٰ مُجَابَّتِهِ بِالْحُجَّةِ وَالدَّلِيلِ، فَقَالُوا: ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا⁽¹²⁴⁾، وَأَلْفُوهُ فِي نَارِ شَدِيدَةِ الْوُقُودِ، لِتُحْرِقَهُ وَتَخْلَصَ مِنْهُ.

(124) ذُكِرَ أَنَّهُمْ بَنَوْا لَهُ بُنْيَانًا يَشْبَهُ الثَّنُورِ، ثُمَّ نَقَلُوا إِلَيْهِ الْحَطْبَ، وَأَوْقَدُوا عَلَيْهِ.. (الطبري).

{فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ} (الصفات : 98)

98- فَارَادُوا بِهِ شَرًّا، فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَذْلَى، وَبَجَّيْنَا إِبْرَاهِيمَ مِنَ النَّارِ. {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ} [سورة الأنبياء: 69].

{وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّئُهُ} (الصفات : 99)

99- وَبَعْدَمَا أَيْسَ مِنْ إِيْمَانِهِمْ قَالَ: سَأَهْجُرُ دَارَ الْكُفْرِ، وَأَذْهَبُ إِلَىٰ مَكَانٍ أَعْبُدُ فِيهِ رَبِّي دُونَ أَنْ يُؤْذِنِي فِيهِ أَحَدٌ، وَهُوَ الَّذِي سَيَّرَشِدُنِي إِلَيْهِ، وَإِلَىٰ مَا فِيهِ الْحَيْرُ وَالصَّلَاحُ.

{رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ} (الصفات : 100)

100- اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي ذُرِّيَّةً صَالِحَةً تُعِينُنِي عَلَىٰ تَبْلِيغِ رِسَالَتِكَ.

{فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ} (الصفات : 101)

101- فَوَهَبْنَا لَهُ عَلَىٰ الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلَ، وَكَانَ عَاقِلًا حَلِيمًا، مُطِيعًا.

{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا

أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} (الصفات : 102)

102- فَلَمَّا شَبَّ وَقَدَّرَ عَلَىٰ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَفْعَلُ وَالِدُهُ، وَصَارَ يَرْتَحِلُ مَعَهُ، قَالَ لَهُ مَرَّةً: يَا بُنَيَّ،

إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ - وَرَوَى الْأَنْبِيَاءُ حَقًّا - فَانظُرْ مَا تَقُولُ؟

قَالَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي إِيْمَانٍ وَتَسْلِيمٍ، وَطَاعَةٍ وَصَبْرٍ جَمِيلٍ: يَا أَبَتِ، افْعَلْ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ

رَبُّكَ، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا عَلَىٰ قَضَائِهِ، مُحْتَسِبًا ذَلِكَ عِنْدَهُ.

{فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} (الصفات : 103)

103- فَلَمَّا اسْتَسْلَمَا وَانْقَادَا لِأَمْرِ اللَّهِ، وَأَكْبَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَىٰ وَجْهِهِ،

{ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ } (الصفات : 104)

104 - نَادَيْنَاهُ: يَا إِبْرَاهِيمَ،

{ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } (الصفات : 105)

105 - لَقَدْ أَوْفَيْتَ الرُّؤْيَا حَقَّهَا بَعَزَمَكَ عَلَى ذُبْحٍ وَلَدِكَ، وَهَكَذَا نَجْزِي عِبَادَنَا الْمُطِيعِينَ، وَنَصْرِفُ عَنْهُمْ الشَّدَائِدَ وَالْمَكَارِهَ.

{ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ } (الصفات : 106)

106 - إِنَّ هَذَا هُوَ الْإِبْتِلَاءُ وَالِاخْتِبَارُ الصَّعْبُ الْبَيِّنُ.

{ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ } (الصفات : 107)

107 - وَفَدَيْنَاهُ⁽¹²⁵⁾ بِحَيَوَانٍ عَظِيمٍ لِيُذْبَحَ بَدَلًا مِنْهُ. ذُكِرَ أَنَّهُ كَبَشٌ.

{ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ } (الصفات : 108)

108 - وَأَبْقَيْنَا ذِكْرَهُ الطَّيِّبَ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَّمِ وَالطَّوَائِفِ كُلِّهَا.

{ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ } (الصفات : 109)

109 - سَلَامٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّهِ إِبْرَاهِيمَ، وَسَلَامٌ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ.

{ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } (الصفات : 110)

110 - وَهَكَذَا نُثَبِّتُ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَمُطِيعًا لَهُ، فَتَرْفَعُ ذِكْرَهُ، وَنَجْزِيهِ خَيْرَ الْجَزَاءِ.

(125) { وَفَدَيْنَاهُ } : فِدَاءٌ لَهُ، وَخَلَّصْنَاهُ بِهِ مِنَ الذَّبْحِ. (روح البيان). الْفِدَى وَالْفِدَاءُ: إِعْطَاءُ شَيْءٍ بَدَلًا عَنْ حَقِّ لِلْمُعْطَى، وَيَطْلُقُ عَلَى الشَّيْءِ الْمَفْدَى بِهِ، مِنْ إِطْلَاقِ الْمَصْدَرِ عَلَى الْمَفْعُولِ. وَأُسْنَدَ الْفِدَاءِ إِلَى اللَّهِ لِأَنَّهُ الْأَذْنُ بِهِ. (التحريم).

{ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ } (الصفات : 111)

111- إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الصَّادِقِينَ فِي إِيمَانِهِمْ، الْمَخْلُصِينَ فِي طَاعَتِهِمْ.

{ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ } (الصفات : 112)

112- وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ بَعْدَ إِسْمَاعِيلَ، وَكَانَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ الْمُسَدِّدِينَ.

{ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن دُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ } (الصفات :

113)

113- وَقَدْ أَفْضْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ رَحْمَةً وَفَضْلًا مِّنْ عِنْدِنَا، وَنَفَعْنَا بِهِمَا، وَمِن دُرِّيَّتِهِمَا مَنْ هُوَ مُؤْمِنٌ مُّطِيعٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ كَافِرٌ ظَاهِرٌ الْعِصْيَانِ، قَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ وَعَرَّضَهَا لِلْعَذَابِ يَوْمَ الدِّينِ.

{ وَوَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ } (الصفات : 114)

114- وَقَدْ أَنْعَمْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ بِالنَّبُوءَةِ.

{ وَبَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ } (الصفات : 115)

115- وَخَلَّصْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَمِّ الشَّدِيدِ الَّذِي أَصَابَهُمْ، مِمَّنْ ظَلَمَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمَهُ لَهُمْ، وَقَتَلَ أَوْلَادِهِمْ، وَاسْتَعْمَلَهُمْ فِي أَدْنَى الْأَعْمَالِ وَأَشَقَّهَا.

{ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ } (الصفات : 116)

116- وَنَصَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ بَعْدَ أَنْ أَعْرَقْنَاهُمْ فِي الْبَحْرِ، فَصَارُوا هُمُ الْغَالِبِينَ عَلَىٰ أَرْضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَالْحَاكِمِينَ فِي بِلَدِهِمْ.

{ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ } (الصفات : 117)

117- وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْعَظِيمَ، الْبَلِيغَ الْبَيِّنَ، الْمِفْصَلَ فِي أَحْكَامِهِ وَأَخْبَارِهِ، وَهُوَ التَّوْرَةُ.

{ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } (الصفات : 118)

118- وَأَرْشَدْنَاهُمَا إِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، مِنْ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ، وَالدَّعْوَةَ وَالتَّبْلِيغَ.

{ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ } (الصفات : 119)

119- وَأَبْقَيْنَا الثَّنَاءَ الْحَسَنَ عَلَيْهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، مِنْ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَّمِ.

{ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ } (الصفات : 120)

120- سَلَامٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ، وَسَلَامٌ عَلَيْهِمَا مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ وَالْأُمَّمِ.

{ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } (الصفات : 121)

121- وَهَكَذَا نُثِيبُ مَنْ أَحْسَنَ، فَصَبَرَ عَلَى الدَّعْوَةِ، وَجَاهَدَ أَعْدَاءَ اللَّهِ.

{ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ } (الصفات : 122)

122- لَقَدْ كَانَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ، الْمَخْلِصِينَ فِي طَاعَتِهِمْ وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ.

{ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ } (الصفات : 123)

123- وَإِنَّ إِلْيَاسَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ.

{ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ } (الصفات : 124)

124- إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ: أَلَا تَخْشَوْنَ اللَّهَ وَتَتَّقُونَ عَذَابَهُ بِتَرْكِ عِبَادَةِ غَيْرِهِ؟

{ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ } (الصفات : 125)

125- أتعبدون صنمًا وتتركون عبادة الله الخالق المبدع؟

{ **اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ** } (الصفات : 126)

126- الذي هو ربُّكم ورازقكم ومدبِّر أمركم، وربُّ أجدادكم الأقدمين.

{ **فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ** } (الصفات : 127)

127- فكذبوا قوله وكفروا برسالته، وإن الملائكة ستحضرهم إلى العذاب يوم الحساب.

{ **إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ** } (الصفات : 128)

128- إلا عباد الله المؤمنين من قومه، الذين صدقوا في إيمانهم، وأخلصوا في طاعتهم، فإنهم لا يُعذبون، بل يُكرمون ويُضاعف لهم الثواب.

{ **وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ** } (الصفات : 129)

129- وأبقينا له ذكرًا طيبًا وثناءً حسنًا في الأمم التالية.

{ **سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ** } (الصفات : 130)

130- سلامٌ من الله على نبيِّه إيلياس، وسلامٌ عبادِ الله المؤمنين جميعًا عليه.

{ **إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** } (الصفات : 131)

131- وهكذا نجزي من أحسن من عبادنا في الدعوة والطاعة، وجاهد في الله حقَّ الجهاد، فنرفع ذكره بين العباد، ونكرمه يوم المعاد.

{ **إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ** } (الصفات : 132)

132- لقد كان من عبادنا المؤمنين الثابتين على الإيمان، الصابرين على الطاعة بإخلاص.

{ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ } (الصفات : 133)

133- وَإِنَّ لُوطًا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ الْمُرْسَلِينَ.

{ إِذْ بَخَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ } (الصفات : 134)

134- إِذْ أَنْقَذْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ الْمَجْرِمِينَ، الَّذِينَ أَصْرُوا عَلَى فِعْلِ الْفَاحِشَةِ بِالرِّجَالِ، وَكَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ لُوطًا،

{ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْعَابِرِينَ } (الصفات : 135)

135- إِلَّا امْرَأَةً لُوطَ، الَّتِي كَانَتْ مَعَ هَوَى قَوْمِهَا، فَكَانَتْ مَعَ الْبَاقِيْنَ فِي الْقَرْيَةِ.

{ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخِرِينَ } (الصفات : 136)

136- ثُمَّ أَهْلَكْنَا قَوْمَهُ الْمَجْرِمِينَ كُلَّهُمْ.

{ وَإِنَّكُمْ لَتَمْرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ } (الصفات : 137)

137- وَإِنَّكُمْ لَتَمْرُونَ عَلَى آثَارِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ وَتَرَوْنَهَا صَبَاحًا فِي طَرِيقِ تِجَارَتِكُمْ إِلَى الشَّامِ. وَكَانُوا فِي مَنطِقَةِ الْبَحْرِ الْمَيِّتِ، الَّتِي كَانَتْ تُسَمَّى بُحَيْرَةَ لُوطَ، وَقَاعِدُهُ قَوْمِهِ مَدِينَةُ سَدُومَ، ذُكِرَ أَنَّهَا الْآنَ غَارِقَةٌ تَحْتَ مِيَاهِ الْبَحْرِ الْمَذْكُورِ، وَأَنَّهَا تُوجَدُ عَلَى عُمُقِ سِتَّةِ أمتارٍ تَحْتَ سَطْحِ الْمِيَاهِ.

{ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (الصفات : 138)

138- وَكَذَلِكَ تَرَوْنَهَا فِي الْمَسَاءِ عِنْدَ مُرُورِكُمْ بِهَا، فَلَا تَغِيبُ عَنْكُمْ، أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ وَتَتَعَطَّوْنَ، وَتَعْتَبِرُونَ فَتُؤْمِنُونَ؟

{ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ } (الصفات : 139)

139- وَإِنَّ يُونُسَ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ الْمُرْسَلِينَ. وَهُوَ ابْنُ مَتَّى، وَكَانَ فِي نَيْنَوَى بِالْعِرَاقِ.

{ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ } (الصفات : 140)

140- إِذْ هَرَبَ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى السَّفِينَةِ الْمَمْلُوءَةِ بِالْأَمْتِعَةِ وَالنَّاسِ.

{ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ } (الصفات : 141)

141- فَسَارَفَتْ عَلَى الْغَرَقِ لِثِقَلِهَا، فَعُمِلَتْ الْقُرْعَةُ لِلتَّخْلُصِ مِنْ أَحَدِهِمْ، فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ، فَكَانَ مِنَ الْمَغْلُوبِينَ.

{ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ } (الصفات : 142)

142- فَأَلْقَى إِلَى الْبَحْرِ، فَابْتَلَعَهُ حُوتٌ كَبِيرٌ. وَقَدْ آتَى بِمَا يُلَامُ عَلَى فِعْلِهِ، إِذْ تَرَكَ قَوْمَهُ بَعْدَ أَنْ تَوَعَّدَهُم بِالْعَذَابِ، فَرَفَعَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَكَانَ تَرْكُهُ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُ، وَظَنَّ أَنَّ رَبَّهُ لَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَى ذَلِكَ.

{ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ } (الصفات : 143)

143- فَلَوْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَثِيرَ التَّسْبِيحِ وَالصَّلَاةِ فِي الرَّخَاءِ، أَوْ لَوْ لَمْ يُقَلِّ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ: { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } [سورة الأنبياء: 87]،

{ لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } (الصفات : 144)

144- لَبَقِيَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَيًّا فِيهِ، أَوْ قَبْرًا لَهُ.

{ فَنبذناه بالعراء وهو سقيم } (الصفات : 145)

145- فَطَرَحْنَاهُ مِنْ فَمِ الْحُوتِ فِي مَكَانٍ خَالٍ لَا شَجَرَ فِيهِ وَلَا نَبَاتٍ، وَهُوَ عَارٍ ضَعِيفُ الْبَدَنِ.

{ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّفْطِينٍ } (الصفات : 146)

146- وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةَ الْقَرْعِ، ذَاتِ الْأَوْرَاقِ الْعَرِيضَةِ، تُطَلُّ عَلَيْهِ وَتُظَلُّهُ، وَهُوَ مَا يُنَاسِبُ ضَعْفَ بَدَنِهِ.

{ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ } (الصفات : 147)

147- وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى أُمَّةٍ يَزِيدُ عَدْدُهَا عَلَى مِئَةِ أَلْفٍ.

{ فَأَمَّنُوا فَمَرَّعْتَهُمْ إِلَى حِينٍ } (الصفات : 148)

148- فَأَمَّنَ بِهِ قَوْمُهُ بَعْدَ مُعَايِنَةِ الْعَذَابِ، فَجَعَلْنَاهُمْ يَتَمَتَّعُونَ بِالْحَيَاةِ إِلَى حِينٍ مَجِيءٍ أَجَاهِهِمْ.

{ فَاسْتَفْتِهِمَ أَلِرَّبِّكَ الْبَنَاتُ وَهُمْ الْبُنُونَ } (الصفات : 149)

149- فُتِلَ لِلْمُشْرِكِينَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ: أَتُحِبُّونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ الْبَنَاتِ، وَهُوَ مَا تَبْعُضُونَهُ لِأَنْفُسِكُمْ، وَتَجْعَلُوا لَكُمْ مَا تَشْتَهُونَ مِنَ الْبَنِينَ؟

{ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ } (الصفات : 150)

150- أَمْ أَنَّهُمْ شَهِدُوا خَلْقَ الْمَلَائِكَةِ وَرَأَوْهُمْ إِنَاثًا فَقَالُوا إِنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ؟ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا عَظِيمًا.

{ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِنْكَهَمَ لَيَقُولُونَ } (الصفات : 151)

151- أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ كَذِبِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ يَقُولُونَ:

{ وَوَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } (الصفات : 152)

152- يَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ وَلَدٌ لَهُ ذَرِّيَّةٌ! وَإِنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِيمَا يَقُولُونَ.

{ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ } (الصفات : 153)

153- وأيُّ شَيْءٍ يَحْمِلُ اللهُ عَلَى أَنْ يَخْتَارَ الْبَنَاتِ دُونَ الْبَنِينَ، مِمَّا تَقُولُونَ فِي حَقِّهِ مِنْ إِفْكٍ وَكَذِبٍ؟

{ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } (الصفات : 154)

154- ما لكم أيُّها المشركون، ما الذي أصاب عقولكم حتى تقولوا ما ترفضه بدهة العقول؟

{ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } (الصفات : 155)

155- أفلا تتدبرون وتتّعظون، وتبتعدون من أنفسكم عن هذا الباطل الذي أنتم عليه؟

{ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ } (الصفات : 156)

156- أم أن لكم حجةً ودليلاً بيناً على أن الله بنات؟

{ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (الصفات : 157)

157- فأتوا بكتاب من عند الله فيه ذكر الملائكة كما تدعون إذا كنتم صادقين، فإنه لا يعلم خلق الملائكة إلا الله.

{ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ } (الصفات : 158)

158- وجعل المشركون بين الله وبين الجن قرابةً ونسباً، وأشركوهم في عبادة الله، وقد علمت الشياطين - الذين هم من الجن - أنهم محضرون إلى العذاب، ولو أنهم كانوا شركاء لله لما عذبوا.

{ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ } (الصفات : 159)

159- فتقدس الله وتنزهه عما يصفه به المشركون.

{إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ} (الصفات : 160)

160- إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي إِيْمَانِهِمْ، وَأَخْلَصُوا فِي طَاعَتِهِمْ، فَإِنَّهُمْ نَاجُونَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ.

{فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ} (الصفات : 161)

161- فَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ وَأَهْلَتُكُمْ الَّتِي مَا تَزَالُونَ تَعْبُدُونَهَا،

{مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ} (الصفات : 162)

162- مَا أَنْتُمْ بِمُضِلِّينَ مِنْ أَحَدٍ بِإِغْوَائِكُمْ،

{إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ} (الصفات : 163)

163- إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ، الَّذِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ لَا مَحَالَةَ.

{وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ} (الصفات : 164)

164- قَالَ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: وَلَيْسَ هُنَاكَ مَنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَلَهُ مَقَامٌ مَعْرُوفٌ فِي الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ.

{وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ} (الصفات : 165)

165- وَنَحْنُ الَّذِينَ نَقِفُ صُفُوفًا مُسْتَقِيمَةً لِلْعِبَادَةِ كَمَا أَمَرْنَا رَبَّنَا.

{وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ} (الصفات : 166)

166- وَنَحْنُ الَّذِينَ نُقَدِّسُ اللَّهَ وَنُنَزِّهُهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ عَيْبٍ وَشِرْكَ.

{وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ} (الصفات : 167)

167- وَقَدْ كَانَ الْكُفَّارُ يَقُولُونَ قَبْلَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

{ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ } (الصفات : 168)

168- لو كان عندنا كتاب من الكتب التي أنزلت على الأمم السالفة،

{ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ } (الصفات : 169)

169- لأطعنا الله فيما يأمرنا، وأخلصنا له العبادة.

{ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } (الصفات : 170)

170- فلما جاءهم الكتاب كفروا به، وكذبوا رسول ربهم، فسوف يعلمون عاقبة كفرهم،

وكيف ينتقم الله منهم.

{ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ } (الصفات : 171)

171- وقد سبق وعدنا لرسلنا وأتباعهم المؤمنين،

{ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ } (الصفات : 172)

172- أن الله سيكتب لهم النصر والفوز في الحياة الدنيا وفي الآخرة،

{ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِبُونَ } (الصفات : 173)

173- وأن أتباعهم المؤمنين سيغلبون أعداءهم الكافرين بالحجة والنصرة.

وصور النصر لا تقتصر على الناحية العسكرية، فقد يأتي النصر بالدعوة والدليل، وقد انتصر المسلمون في مواقع بدون سلاح، على أنه لا بُدَّ من القوة والاستعداد، فلا يُوقف العدو في حده إلا الجهاد. وقد يُغلب المسلمون بتقصير منهم، أو ابتلاءً ومحنة من الله لهم، والمهم ألا يأسوا، وأن يعلموا أنهم على الدين الحق، وأنهم إذا لم يروا النصر وقتلوا فقد فازوا بالشهادة.

{ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ } (الصفات : 174)

174- فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَاصْبِرْ عَلَىٰ أَذَاهُمْ مُدَّةً،

{ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ } (الصفات : 175)

175- وَأَمِهِلْهُمْ، وَاَنْظُرْ مِنْ بَعْدُ مَا الَّذِي يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ، فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ بِأَنْفُسِهِمْ مَا أَنْكَرُوهُ.

{ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ } (الصفات : 176)

176- أَيْتَعْجَلُونَ الْعَذَابَ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُ لَا يَكُونُ، أَوْ لَا يَحِيقُ بِهِمْ؟

{ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ } (الصفات : 177)

177- فَإِذَا نَزَلَ الْعَذَابُ الْمَوْعُودُ بِفَنَائِهِمْ، فَبِئْسَ الصَّبَاحُ الصَّبَاحُ الْكَافِرِينَ الْمَكْذِبِينَ⁽¹²⁶⁾.

{ وَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ } (الصفات : 178)

178- فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ، وَاصْبِرْ عَلَيْهِمْ مُدَّةً.

{ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ } (الصفات : 179)

179- وَاَنْظُرْ مِنْ بَعْدُ مَا الَّذِي يُصِيبُهُمْ، وَكَيْفَ يَكُونُونَ فِي أَسْوَأَ حَالٍ، وَسَوْفَ يُبْصِرُونَ بِأَنْفُسِهِمْ مَا الَّذِي يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالْهَوَانِ.

{ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ } (الصفات : 180)

(126) أي: بِئْسَ صَبَاحُ الَّذِينَ أَنْذِرُوا بِالْعَذَابِ، وَالْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ مَحْذُوفٌ، أَي: صَبَاحُهُمْ. وَخُصَّ الصَّبَاحُ بِالذِّكْرِ

لأن العذابَ كان يأتيهم فيه. (فتح القدير).

والصباحُ مستعارٌ من صباحِ الجيشِ المبيتِ لوقتِ نزولِ العذابِ، ولما كثرتْ منهم الإغارةُ في الصباحِ سمَّوها صباحًا، وإن وقعتْ ليلاً. (روح البيان).

180- تَقَدَّسَ اللَّهُ وَتَنَزَّهَ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِذَاتِهِ الْكَرِيمَةِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ بِنَفْسِهِ،
الْغَالِبُ الْقَاهِرُ، رَبُّ الْقُوَّةِ وَالْغَلْبَةِ.

{وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} (الصفات : 181)

181- وَسَلَامٌ مِنَ اللَّهِ وَأَمَانٌ مِنْهُ لِأَنْبِيَائِهِ الْمُرْسَلِينَ، الْفَائِزِينَ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ.

{وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الصفات : 182)

182- وَالشُّكْرُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ كَمَا يَتَّبَعِي لِجَلَالِ وَجْهِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، رَبِّ
الثَّقَلَيْنِ، وَمَالِكِ كُلِّ شَيْءٍ.

سورة ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذُّكْرِ} (ص : 1)

1- حَرْفُ الصَّادِ مِنَ الحُرُوفِ المَقْطَعَةِ، التي لا يُعْرَفُ مَعْنَاهَا.
أُقْسِمُ بِالْقُرْآنِ ذِي القَدْرِ العَظِيمِ، المِشْتَمَلِ على التَّدْكِيرَةِ والمَوْعِظَةِ، مِمَّا يَحْتَاجُهُ النَّاسُ في أَمْرِ
مَعاشِهِمْ وَمَعادِهِمْ.

{بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ} (ص : 2)

2- إِنَّ الكَافِرِينَ لم يَتَنَفَعُوا بِهِ، لِأَنَّهُمْ في اسْتِكْبَارٍ عَنِ الإِذْعَانِ لَهُ، وَاِمْتِنَاعٍ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ،
وَمُخَالَفَةٍ وَمُخَاصَمَةٍ لِرُدِّهِ وَإِبْطَالِهِ.

{كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلا تَحِينْ مَنَاصٍ} (ص : 3)

3- ما أَكْثَرَ مَنْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الأُمَمِ المَكْذِبَةِ بِرُسُلِها، المِصِرَّةِ على الكُفْرِ، فاستَغاثُوا
باللَّهِ ودَعَوْهُ مُخْلِصِينَ حِينَ عاينوا نُزُولَ العَذابِ بِهِمْ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ وَقْتٌ فِرارٍ ولا إِجابَةٍ.

{وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ} (ص : 4)

4- وَتَعَجَّبَ المُشْرِكُونَ لما بُعِثَ فيهِمْ رَسولٌ مِنْ جِنسِهِمْ يُنذِرُهُمْ، وَأَنكَرُوا اِحْتِمَالَ وَقُوعِهِ،
وقال الكَافِرُونَ بِرِسالَةِ رَبِّهِمْ: هَذَا الرَّجُلُ سَاحِرٌ فيما يَأْتِي بِهِ مِنَ المِعْجِزاتِ، كاذِبٌ فيما يُسِنِدُهُ
إلى رَبِّهِ مِنْ كَلامٍ.

{أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} (ص : 5)

5- وقالوا في جَهْلِ: أَجْعَلِ العِبادَةَ لِإِلهٍ وَاحِدٍ دُونَ الآلِهَةِ الأُخْرَى؟ إِنَّ هَذَا أَمْرٌ يَدْعُو إلى
العِجَبِ، إِنَّهُ مُخالِفٌ لِمَا أَلْفَناهُ.

{وانطلق المَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ} (ص : 6)

6- وانطلق قادة قريش وكبراءها من مجلس أبي طالب وهم يقولون: اخرجوا وابقوا ثابتين على عبادة آلهتكم، ولا تسمعوا لما يدعوكم إليه محمد (صلى الله عليه وسلم)، ولا تقولوا: لا إله إلا الله، وإن هذا الذي يدعو إليه يريد من وراءه أمراً.

{مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ} (ص : 7)

7- قالوا: لم نسمع بهذا الذي يدعو إليه من التوحيد ونبذ الشرك في آخر الأديان - وهو النصرانية، فإنهم كانوا على الشرك - فما هذا الذي يذكره محمد (صلى الله عليه وسلم) سوى تحريض وافتراء.

{أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابَ} (ص :

8)

8- أوقد أوحى إليه القرآن من بيننا ونحن الرؤساء والأشراف؟ بل هم في ارتياب من القرآن الذي يدعو إلى التوحيد، بل لأنهم لم يدوقوا عذاب الله، ولو أنه تعالى أنزل بهم نعمته لآمنوا.

{أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ} (ص : 9)

9- أ هم الذين يملكون نعمة الله ويتصرفون فيها ويختارون الأنبياء الموحى إليهم من غيرهم، وهو الله القاهر على خلقه، الذي يهب من يشاء ما يشاء من عنده؟

{أَمْ هُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ} (ص : 10)

10- أم أن للمشركين ملك السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهما وما بينهما ليتصرفوا فيها كما يشاؤون؟ إذا فليصعدوا في طرقها ومعارجها، وليأتوا منها بالوحي إلى من يختارون.

{جُنْدًا مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ} (ص : 11)

11- إِيَّاهُمْ جُنُودُ الْكُفْرِ، الَّذِينَ سَيُهْزَمُونَ وَيُغْلَبُونَ، كَمَا غَلِبَ الَّذِينَ تَخَزَّبُوا عَلَى رُسُلِ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ، فَلَا تَهْتَمُّ بِمَا يَقُولُونَ.

{ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ } (ص : 12)

12- لقد كذبت قبل هؤلاء المشركين أمم سابقة، كقوم نوح، وقبيلة عاد، وفرعون الذي ثبتت ملكه بأعمدة قوية، وحماه بجنود كثير.

{ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ } (ص : 13)

13- و قبيلة ثمود، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة، وهم أهل مدين، وكان هؤلاء من الكافرين الذين تخزبوا على الأنبياء.

{ إِنْ كُنْ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ } (ص : 14)

14- كل هؤلاء كذبوا رسلهم، وأصرروا على الكفر، فوجب عليهم حكم الله بإهلاكهم، ولم ينفعهم تخزبهم وقوتهم شيئاً.

{ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِمَّا هُمْ مِنَ فَوَاقٍ } (ص : 15)

15- وما ينتظر كفار مكة إلا صيحة قوية مفزعة واحدة تأتي عند قيام الساعة، لا تسكن ولا تُرد، بل تأتي في وقتها ولا ترجع.

{ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ } (ص : 16)

16- وقالوا في تمكّم وسحرية: ربنا عجل لنا حظنا من العذاب الذي توعدتنا به!

{ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ } (ص : 17)

17- اصبر على ما يقولون من الأذى والتكذيب أيها الرسول. واذكر أمر عبدنا داود، ذي القوة في العبادة والجهاد، إنه كان كثير التوبة والرجوع إلى الله.

{ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ } (ص : 18)

18- إِنَّا سَخَّرْنَا مَعَهُ الْجِبَالَ الشَّامِخَاتِ⁽¹²⁷⁾، فَإِذَا سَبَّحَ سَبَّحَتْ وَرَجَعَتْ مَعَهُ⁽¹²⁸⁾، فِي آخِرِ النَّهَارِ وَعِنْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ.

{ وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ كُلُّ لَّهُ أَوَابٌ } (ص : 19)

19- وَكَذَلِكَ الطَّيْرُ، سَخَّرَهَا اللَّهُ لِتَحْتَمِعَ إِلَيْهِ وَتُسَبِّحَ مَعَهُ، وَكُلُّ مُطِيعٌ يُسَبِّحُ مَعَهُ.

{ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ } (ص : 20)

20- وَقَوَّيْنَا مُلْكَهُ بِالْهَيْبَةِ وَالْحَرَسِ وَكَثَّرْنَا الْجُنُودَ، وَكُلُّ مَا يُثَبِّتُ حُكْمَهُ وَسُلْطَتَهُ، وَأَتَيْنَاهُ النُّبُوَّةَ وَالْفَهْمَ وَالْفِطْنَةَ، وَالتَّبَصُّرَ فِي الْحُكْمِ وَالْقَضَاءِ بَيْنَ الْمُتَنَازِعِينَ.

{ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُصْمِ إِذْ تَسْوُرُوا الْمِحْرَابِ } (ص : 21)

21- وَهَلْ عَرَفْتَ خَبَرَ الْخُصُومِ عِنْدَمَا عَلَوْا سُورَ الْمِحْرَابِ الَّذِي كَانَ فِيهِ دَاوُدُ؟

{ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ } (ص : 22)

22- إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَجَاءَهُ، فَخَافَ مِنْهُمْ، فَقَالُوا لَهُ: لَا تَخَفْ، نَحْنُ خَصِمَانِ جَارَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ، فَاقْضِ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَلَا تَتَجَاوَزْهُ، وَأَرْشَدْنَا إِلَى طَرِيقِ الْعَدْلِ وَالصَّوَابِ.

(127) { سَخَّرْنَا الْجِبَالَ } أَي: ذَلَّلْنَاهَا. (روح البيان).

(128) { يُسَبِّحْنَ } : تَسْبِيحُهُنَّ تَقْدِيسٌ بِلِسَانٍ قَالٍ لِأَتَقِي بَهْنٍ، نَظِيرٌ تَسْبِيحِ الْحَصَى الْمَسْمُوعِ فِي كَفِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقِيلَ: تَقْدِيسٌ بِلِسَانِ الْحَالِ... (روح المعاني).

{ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي
الْحِطَابِ } (ص : 23)

23- قَالَ أَحَدُ الْمُتَخَصِّمِينَ: إِنَّ أَخِي هَذَا هُوَ مُخَاصِمِي، لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً، وَأَنَا لِي
نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ، فَقَالَ لِي: اجْعَلْ نَعَجَتَكَ هَذِهِ مِنْ نَصِيبي، وَشَدَّدَ عَلَيَّ فِي الْقَوْلِ، وَعَلَّبَنِي فِي
الْخُصُومَةِ.

{ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ
وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ } (ص : 24)

24- قَالَ لَهُ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ جَارَ عَلَيْكَ عِنْدَمَا طَلَبَ مِنْكَ أَنْ تَضُمَّ نَعَجَتَكَ إِلَى
نِعَاجِهِ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الشُّرَكَاءِ الَّذِينَ تَخْتَلِطُ أَمْوَالُهُمْ يَظْلِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَخَاصَّةً الْأَقْوِيَاءَ مِنْهُمْ
مِنَ أَهْلِ الدُّنْيَا، إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ عَنِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَأَمْثَالُ هَؤُلَاءِ
قَلِيلُونَ.

وَعَلِمَ دَاوُدُ أَنَّنَا اخْتَبَرْنَاهُ، فَقَدِ اخْتَفَى الْخُصْمَانِ مِنْ عِنْدِهِ، وَلَعَلَّهُمَا كَانَا مَلَكَينَ، فَتَذَكَّرَ دَاوُدُ
بِجِلْسِ الْحُكْمِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُوجَّهْ إِلَى الطَّرْفِ الْآخِرِ سُؤْلًا وَلَمْ يَسْتَفْسِرْ مِنْهُ عَنْ سَبَبِ ضَمِّ نَعْجَةِ
خَصْمِهِ إِلَى نِعَاجِهِ، وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّبِتَ وَيُكْمِلَ أَصُولَ الْقَضَاءِ، فَاسْرَعَ إِلَى السُّجُودِ لِرَبِّهِ
مُسْتَغْفِرًا، وَرَجَعَ وَتَابَ.

وَفِي آخِرِ هَذِهِ الْآيَةِ سَجْدَةٌ. وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ رَوَاهُ ابْنُ خُرَيْمَةَ وَغَيْرُهُ، قَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
إِنِّي رَأَيْتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، كَأَنِّي أَصَلِّي خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَرَأَيْتُ كَأَنِّي قَرَأْتُ
سَجْدَةَ، فَسَجَدْتُ، فَرَأَيْتُ الشَّجَرَةَ كَأَنَّهَا تَسْجُدُ بِسُجُودِي، فَسَمِعْتُهَا وَهِيَ سَاجِدَةٌ، وَهِيَ
تَقُولُ: اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي عِنْدَكَ أَجْرًا، واجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وَرْزًا، واقْبَلْهَا مِنِّي
كَمَا قَبِلْتَ مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ السَّجْدَةَ ثُمَّ سَجَدَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ
مِثْلَ مَا قَالَ الرَّجُلُ عَنْ كَلَامِ الشَّجَرَةِ.

{فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَكُفْلَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ} (ص : 25)

25- فَعَفَرْنَا لِدَاوُدَ مَا بَدَرَ مِنْهُ، وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قُرْبَةً وَعُلُوًّا مَنزِلَةً، وَمَرْجَعًا حَسَنًا وَمُنْقَلَبًا طَيِّبًا.

{يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} (ص : 26)

26- يَا دَاوُدُ، إِنَّا اسْتَخْلَفْنَاكَ عَلَى الْمَلِكِ فِي الْأَرْضِ لِتُدَبِّرَ أُمُورَ الْعِبَادِ بِأَمْرِنَا، فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ كَمَا شَرَعَ اللَّهُ، وَلَا تَتَّبِعِ هَوَى النَّفْسِ وَشَهْوَتَهَا فِي الْحُكْمِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لَصَرْفِكَ عَنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِينَ يَزِغُونَ عَنِ الْحَقِّ، لَهُمْ عَذَابٌ مُؤَلِّمٌ قَاسٍ، لِأَنَّهُمْ تَرَكَوا الْحُكْمَ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَلَمْ يَعْمَلُوا لِيَوْمِ الْحِسَابِ.

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} (ص : 27)

27- وَمَا خَلَقْنَا هَذِهِ السَّمَاوَاتِ الْعَظِيمَةَ، وَالْأَرْضَ وَمَا عَلَيْهَا عَبَثًا وَلَعِبًا، فَذَلِكَ عَقِيدَةُ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الْحِسَابَ وَالْجَزَاءَ، فَالْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ لَهُمْ مِنَ النَّارِ الْمَعْدَّةِ لَهُمْ.

{أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} (ص : 28)

28- أَمْ نُسَاوِي بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجْرِمِينَ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ؟ أَمْ نُسَاوِي بَيْنَ الْمُطِيعِينَ الْمُخْلِصِينَ وَالْكَافِرِينَ الْفَاجِرِينَ؟ إِنَّهُمْ لَا يَسْتَوُونَ، فَلَا بُدَّ مِنْ قَضَاءِ عَادِلٍ وَحِسَابٍ كَامِلٍ يَوْمَ الْبَعْثِ، لِيُجْزَى كُلُّ بِمَا عَمِلَ.

{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} (ص : 29)

29- هذا كتابُ الله للنَّاسِ، كثيرُ الخَيْرِ والمنفَعَةِ لهم، في أمورِ دينِهِم ودُنْيَاهُم، لِيَتَفَكَّرُوا في آيَاتِهِ وَيَتَفَهَّمُوا حِكْمَهَا وأسْرَارَهَا، وَلِيَتَعَبَّطَ بِهَا أصحابُ العُقُولِ النِّيِّرةِ.

{وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} (ص : 30)

30- ووهبنا سُليمانَ لداودَ، بهجَّةً لَهُ في حَيَاتِهِ، ووارثًا لملكِهِ بعدَ مماتِهِ، وكانَ نبيًّا جليلاً، وعبداً كثيرَ التَّوْبَةِ والإِنَابَةِ إلى الله (129).

{إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ} (ص : 31)

31- إِذْ عُرِضَ عَلَى سُلَيْمَانَ (130) في وَقتِ العَشِيِّ الخَيْلُ السَّرِيعَةُ الحَقِيقَةُ في جَرِيهَا، وهو في مُلكِهِ وسُلْطَانِهِ.

{فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} (ص : 32)

32- فانشغلَ بها، فأب وقال: لقد آثرتُ الانشغالَ بهذه الخَيْلِ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ حَتَّى غَابَتْ الشَّمْسُ؟

{رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ} (ص : 33)

33- رُدُّوا الخَيْلَ إِلَيَّ. فجعلَ يَضْرِبُ أعْنَاقَهَا وسِيقَاتَهَا، لِأَنَّهَا شغَلَتْهُ عَنِ الذِّكْرِ.

(129) الهبةُ عطاءُ الواهبِ بطريقِ الإنعامِ، لا بطريقِ العوضِ والجزاءِ الموافقِ لأعمالِ الموهوبِ له، فسليمانُ النعمةُ التامةُ على داودَ؛ لأنَّ الخلافةَ الظاهرةَ الإلهيةَ قد كملتْ لداودَ، وظهرتْ أكمليتها في سليمانَ، وكذا على العالمينَ؛ لما وصلَ منه إليهم من آثارِ اللطفِ والرحمةِ.

وعن ابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهما أنه قال: أولادُنا من مواهبِ اللهِ، ثم قرأ: {يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَّا تُبَاهُونَ وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ} [سورة الشورى: 49]. (روح البيان).

(130) العَرَضُ: الإِمْرَارُ والإِحْضَارُ أَمَامَ الرَّايِ، أَي: عَرَضَ سُؤاسُ خَيْلِهِ إِتَاهَا عَلَيْهِ. (التحريم).

ذكر مُفسِّرون أَنَّهُ يَعْنِي ذَبْحَهَا، وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ جَائِزًا فِي شَرِيعَتِهِمْ، وَأَنَّهُ تَصَدَّقَ بِلُحُومِهَا
لِلْفُقَرَاءِ.

{وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ} (ص : 34)

34- وقد اختبرنا سليمان في ملكه، وألقينا على كُرْسِيِّهِ جَسَدًا. ذُكِرَ أَنَّهُ شَقُّ رَجُلٍ، أَوْ
شَيْطَانٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَتَابَ وَأَنَابَ.

ولعلَّه إشارة إلى ما في الصَّحِيحِينَ - وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ - مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قَالَ
سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ: لِأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً، كُلُّهَا تَأْتِي بِفَارِسٍ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،
فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَطَافَ عَلَيْهِنَّ جَمِيعًا، فَلَمْ تَحْمِلْ
مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً، فَجَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ. وَاتَمَّ الَّذِي نَفَسَ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ، لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ،
لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ".

{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} (ص :
35)

35- فالتجأ إلى رَبِّهِ مُسْتَغْفِرًا وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا بَدَرَ مِنِّي، وَأَعْطِنِي مُلْكًا لَا يَكُونُ مِثْلَهُ
لِأَحَدٍ مِّنَ الْبَشَرِ مِنْ بَعْدِي، فَأَنْتَ الَّذِي تَهَبُ مَا تَشَاءُ لِمَنْ تَشَاءُ.

{فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ بَجْرِي بِأَمْرِهِ رُجَاءَ حَيْثُ أَصَابَ} (ص : 36)

36- فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ وَذَلَّلْنَاهَا لَطَاعَتِهِ، فَكَانَتْ تَسِيرُ بِأَمْرِهِ سَهْلَةً لِّبَنَةِ حَيْثُ أَرَادَ.

{وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ} (ص : 37)

37- كَمَا ذَلَّلْنَا لَهُ الشَّيَاطِينَ تُنْفِذُ أَمْرَهُ، مِنْ بَنَائِينَ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا شَاءَ مِنَ الْمِحَارِبِ
وَالْتِمَائِيلِ، وَعَوَاصِينَ يَسْتَخْرِجُونَ لَهُ اللَّالِئَ مِنَ الْبَحْرِ، وَعَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَشْتَقُّ عَلَى الْبَشَرِ عَمَلُهُ.

{وَأَخْرَيْنَ مُفْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ} (ص : 38)

38- وشَيطَانِ آخِرِينَ مَشْدُودِينَ فِي الْأَغْلَالِ وَالْقَيْودِ، مَمَّنْ تَمَرَّدُوا وَامْتَنَعُوا مِنَ الْعَمَلِ، أَوْ أَسَاؤُوا فِيهِ وَلَمْ يُتَّقِنُوهُ.

{ هَذَا عَطَاؤُنَا فَاْمُنُّنْ أَوْ أَمْسِكْ بِعَيْرِ حِسَابٍ } (ص : 39)

39- هَذَا عَطَاؤُنَا لَكَ مِمَّا سَأَلْتَهُ يَا سُلَيْمَانَ، فَأَعْطِ مِنْهُ مَنْ شِئْتَ، وَامْتَنِعْ مَنْ شِئْتَ، لَا حَرَجَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ وَلَا حِسَابَ.

{ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ } (ص : 40)

40- وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا فِي الْآخِرَةِ قُرْبَةً وَمَنْزِلَةً عَالِيَةً، وَمَرْجَعًا كَرِيمًا طَيِّبًا.

{ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ } (ص : 41)

41- وَادْكُرْ خَبَرَ عَبْدِنَا النَّبِيِّ أَيُّوبَ، الَّذِي ابْتَلَيْنَاهُ بِمَرَضٍ شَدِيدٍ، فَتَضَرَّعَ إِلَىٰ رَبِّهِ وَدَعَاهُ قَائِلًا: رَبِّ قَدْ آذَانِي الشَّيْطَانُ، وَشَقَّ عَلَيَّ ذَلِكَ وَالْأَمْنِي، فَكَشَفَ عَنِّي مَا أَصَابَنِي وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

{ اِرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ } (ص : 42)

42- فَعَلْنَا لَهُ: اضْرِبْ بِرِجْلِكَ الْأَرْضَ، فَضَرْهَا بِهَا، فَنَبَعَتْ عَيْنٌ مَاءً بَارِدَةً مِنْ تَحْتِهَا، فَاغْتَسَلَ بِهِ، وَشَرِبَ مِنْهُ، فَشَفِيَ وَبَرِيَ.

{ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ } (ص : 43)

43- وَوَهَبْنَا لِأَيُّوبَ - بَعْدَ شِفَائِهِ - أَهْلَهُ الَّذِينَ فَقَدَهُمْ أَثْنَاءَ مَرَضِهِ، بِجَمْعِهِمْ عَلَيْهِ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ، أَوْ بِأَحْيَائِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَأَعْطَيْنَاهُ زِيَادَةً عَلَيْهِمْ آخِرِينَ مِثْلَهُمْ، رُبَّمَا بِتَكْثِيرِ نَسْلِهِ؛ رَحْمَةً مِنَّا بِهِ وَجَزَاءَ صَبْرِهِ وَتَبَاتِهِ، وَتَذْكَيرًا لِلْعُقَلَاءِ الْمُعْتَبِرِينَ بِعَاقِبَةِ الصَّبْرِ.

{ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ } (ص : 44)

44- وذكر أنه حلف أن يضرب زوجته مئة جلدة إذا شفي، ربما لتقصيرها في خدمته أثناء مرضه، ثم لم ير ذلك مُلائمًا، فقال الله له: خُذْ بِيَدِكَ مِائَةَ الْكِفِّ مِنَ الْحَشِيشِ، وفيه مئة عُودٍ صِغَارٍ، فاضربها به ضربةً واحدةً، فيجزيك ذلك عن حلفك، ولا تَحْنُثْ فيه⁽¹³¹⁾. وكان هذا رحمةً من الله بهما. لقد وجدنا أيوب صابراً فيما ابتليناه به في نفسه وأهله وماله، فما أحسنه، وما أكرم أدبه وخلقه، إنه مُنِيبٌ إلى ربه، كثير الرجوع إليه.

{ وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ } (ص : 45)

45- وادْكُرْ عِبَادَنَا الأنبياء المكرمين إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ذوي القوة في الطاعة والتقوى، والبصيرة في العلم والدين.

{ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ } (ص : 46)

46- لقد اصطفيناهم وجعلناهم خالصين لنا، بسبب خصلة جليلة فيهم، هي جعلهم الدار الآخرة همهم الأول، وتذكرهم لها دائماً.

{ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ } (ص : 47)

47- وإنهم عندنا لمن المختارين من بين الناس، الفاضلين عليهم في الخير.

{ وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ } (ص : 48)

48- وادْكُرْ عِبَادَنَا الأنبياء المصطفين أيضاً: إسماعيل، واليسع، وذا الكفل، وكل هؤلاء مشهورون بالخير والفضل والإحسان.

(131) الحنث: الإثم، ويطلق على فعل ما حلف على تركه. (فتح القدير)، وترك ما حلف على فعله، من حيث إن كل واحدٍ منهما سبب له. (روح البيان).

أي: لتبر في يمينك التي حلفت بها عليها أن تضربها { وَلَا تَحْنُثْ }، يقول: ولا تَحْنُثْ في يمينك. (الطبري).

{ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَآبٍ } (ص : 49)

49- وهذا الذي ثلّي عليكم من الآيات في حقهم، شرف لهم وبيان لمنزلتهم، وإن للمؤمنين المخلصين في اليوم الآخر مرجعاً طيباً ومكاناً حسناً.

{ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَحَةٌ لَهُمْ الْأَبْوَابُ } (ص : 50)

50- فلهم جنات إقامة دائمة، أبوابها مفتوحة لهم بانتظار أن يدخلوها، وتُحييهم الملائكة بالسلام.

{ مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ } (ص : 51)

51- وهم على الأسرة متكئون، يطلبون ما يشتهون من أنواع الفاكهة الكثيرة، والشراب اللذيذ الوفير.

{ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ } (ص : 52)

52- وعندهم الحور العين، اللواتي لا يلتفتن إلى غير أزواجهن، وهنّ متساويات في السن.

{ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ } (ص : 53)

53- هذا ما تُوعدون به من النعيم يوم القيامة أيها المؤمنون المتقون.

{ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ } (ص : 54)

54- وهذا الذي أنعمنا به عليكم، رزق لا ينقطع عنكم أبداً.

{ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ } (ص : 55)

55- هذا، وإن للكافرين الذين طغوا وأفسدوا شرّ مرجع وأسوأ مكان.

{ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ الْمِهَادُ } (ص : 56)

56- يدخلون جهنم فيذوقون حرها ويقاسون عذابها، وبئست جهنم فراشا لهم.

{ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ } (ص : 57)

57- هذا هو العذاب الأليم فليذوقوه، ماء شديد الحرارة، وماءٍ منتهن شديد البرودة. وفي حديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي: "لو أن دلوًا من عساقٍ يهراق في الدنيا، لأنتن أهل الدنيا".

{ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ } (ص : 58)

58- ومذاق آخر من مثل ما ذكِر من الحرارة والنّثن، من ألوان ما أُعِدَّ لهم من العذاب.

{ هَذَا فَوْجٌ مُّفْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ إِذْ صَالُوا النَّارَ } (ص : 59)

59- وتقول الملائكة لرؤساء الضلال: هذا جمع كثير داخلون معكم، لا مرحبًا بهم.

{ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ } (ص : 60)

60- قال الأتباع لرؤسائهم: بل أنتم الذين تستحجون عدم الترحيب، فأنتم دعوتونا إلى الانحراف والضلال، الذي آل بنا إلى دخول النار، فبئس المستقر جهنم لنا ولكم.

{ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ } (ص : 61)

61- وقال الأتباع أيضًا: اللهم من كان سببًا في دخولنا هذا المكان، فضاعف له العقوبة في النار.

{ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ } (ص : 62)

62- وقال أهل النار: ما لنا لا نرى معنا ناسًا كنا نعتبرهم في الدنيا من المسترذلين والأشرار الذين لا خير فيهم. يعنون المؤمنين، أو فقراءهم.

{أَتَّخَذْنَاَهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ} (ص : 63)

63- ما الذي جعلنا لا نراهم؟ هل ازدردناهم واستحقرناهم حتى لم نعد ننظر إلى وجوههم، أم مالت عيوننا عنهم فلم ترهم وهم حولنا؟

{إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ} (ص : 64)

64- وهذا الذي يجري بين أهل النار من مُخَاصَمَةٍ وَلَعْنٍ حَقٌّ لا شك فيه.

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} (ص : 65)

65- قُلْ لِلْمُشْرِكِينَ أَيُّهَا الرَّسُولُ: إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَلَسْتُ مِنَ السَّحَرِ وَالشَّعْرِ وَالْجُنُونِ فِي شَيْءٍ كَمَا تَزْعُمُونَ، وَلَا إِلَهَ فِي الْوَجُودِ سِوَى اللَّهِ، الْوَاحِدِ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ، الَّذِي غَلَبَ كُلَّ شَيْءٍ وَفَهَرَهُ.

{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ} (ص : 66)

66- خَالِقُ السَّمَاوَاتِ الْعَظِيمَةَ، وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ، وَهُوَ مَالِكُهُمَا وَمُدَبِّرُهُمَا وَحْدَهُ، الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ، الْكَثِيرُ الْمَغْفِرَةَ لَذُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

{قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ} (ص : 67)

67- قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْبَأْتُكُمْ بِهِ وَجِئْتُكُمْ فِيهِ بِمَا لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِوَحْيٍ، هُوَ خَبْرٌ عَظِيمٌ، وَأَمْرٌ جَلِيلٌ لَهُ شَأْنٌ.

{أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ} (ص : 68)

68- وَمَعَ ذَلِكَ فَأَنْتُمْ مُتَمَادُونَ فِي الْإِعْرَاضِ عَنْهُ، سَادِرُونَ فِي غِيْبِكُمْ وَغَفَلْتُمْ عَنْهُ.

{ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ } (ص : 69)

69- ولو لم يُوحَ إِليَّ فكيفَ أعرِفُ اختِلافَ الملائكةِ في شأنِ آدمَ عليه السَّلام - كما يأتي في الآياتِ التَّالية.

{ إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ } (ص : 70)

70- فالذي أتولوه عليكم وَحيٍّ مِنَ اللَّهِ، وما أنا إِلَّا رَسولٌ إليكم وَنَذيرٌ واضحُ الرِّسالة، بيِّنُ الإنذار.

{ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ } (ص : 71)

71- إِذْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ: سأخلقُ إنسانًا مِنْ طِين.

{ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } (ص : 72)

72- إِذَا أتممتُ خَلقه، وَنَفختُ فِيهِ مِنْ رُوحِي⁽¹³²⁾، وصارَ بَشَرًا حيًّا، فاسجُدوا له، سُجودَ تَحِيَّةٍ وَتَكَرُّمٍ، لا سُجودَ عِبادة.

(132) في هامش الآية (29) من سورة الحجر: { وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي } : وجعلتُ فِيهِ الرُوحَ حتى جرى آثارُهُ في تجاويفِ أعضائه، فحيي، وصارَ حَساسًا متنفِّسًا. (روح البيان).

قالَ النيسابوري: ولا خِلافَ في أن الإضافةَ في { رُوحِي } للتشريفِ والتكريم، مثل: (ناقة الله)، و (بيت الله). قالَ القرطبي: والرُوحُ جسمٌ لطيف، أجرى اللهُ العادةَ بأن يخلقَ الحياةَ في البدنِ مع ذلكَ الجسم. وحقيقتُهُ إضافةُ خَلقِ إلى خالق، فالرُوحُ خلقٌ من خَلقه، إضافةً إلى نفسه تشريفًا وتكريمًا. (فتح القدير).
وإسنادُ النَفخِ وإضافةُ الرُوحِ إلى ضميرِ اسمِ الجلالةِ تنويهُ بهذا المخلوق. (التحرير والتنوير).

{ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ } (ص : 73)

73- وبعد أن نُفِخَ فِيهِ الرُّوحُ سَجَدَ لَهُ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ، ولم يَتَأَخَّرُوا،

{ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } (ص : 74)

74- إِلَّا إِبْلِيسَ، اسْتَكْبَرَ عَنْ تَنْفِيذِ أَمْرِ رَبِّهِ، وَرَفُضَ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ السَّاجِدِينَ، وَصَارَ مِنَ الْكَافِرِينَ، بِنِعَاطِمِهِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ.

{ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيٍّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ }

(ص : 75)

75- قَالَ اللَّهُ لَهُ: يَا إِبْلِيسُ، مَا الَّذِي مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِأَدَمَ الَّذِي خَلَقْتَهُ بِإَيْدِيٍّ، أَتَكْبَرْتَ عَمَّا أَمَرْتُكَ بِهِ، أَمْ أَنَّكَ مِنَ الْعَالِينَ الَّذِينَ لَا يَخْضَعُونَ لِأَمْرِ؟

{ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنَ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } (ص : 76)

76- قَالَ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ: أَنَا أَفْضَلُ مِنْ آدَمَ، فَقَدْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ، وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ، وَالنَّارُ أَشْرَفُ مِنَ الطِّينِ، فَلِمَذَا أَسْجُدُ لَهُ؟

وَمِقْيَاسُهُ فَاسِدٌ، وَعِصْيَانُهُ ظَاهِرٌ، فَالْفَضْلُ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْفَضْلَ، وَالطِّينُ أَفْضَلُ مِنَ النَّارِ، فَفِيهِ الرِّزَانَةُ وَالْحِلْمُ وَالصَّبْرُ، وَهُوَ مَحَلُّ النَّبَاتِ وَالنَّمُو... وَالنَّارُ مِنْ شَأْنِهَا الْإِحْرَاقُ وَالطِّيشُ، وَالْجُرْأَةُ وَالسُّرْعَةُ، وَهَذَا كَانَ الشَّيْطَانُ طَائِشًا، عَاصِيًا لِرَبِّهِ.

{ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ } (ص : 77)

77- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: فَاخْرُجْ مِنَ الْجَنَّةِ، فَإِنَّكَ مَطْرُودٌ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَكَرَامَةٍ.

{ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ } (ص : 78)

78- وَإِنَّكَ مُبْعَدٌ مِنْ رَحْمَتِي، وَتَلْحَقُكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ جَزَاءً عِصْيَانِكَ.

{ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ } (ص : 79)

79- قَالَ إبليس: رَبِّ أَمُهْلَنِي وَلَا تُمَتِّنِي إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يُبْعَثُ فِيهِ آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ. وَهَذَا مِنْ حَسَدِهِ وَعَدَاوَتِهِ لِابْنِ آدَمَ لِيُضِلَّهُمْ، فَيُبْعَدُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، كَمَا أَبْعَدَهُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ.

{ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ } (ص : 80)

80- قَالَ لَهُ رَبُّهُ: قَدْ أَمَهَلْتُكَ، فَأَنْتَ مِنْ جُمَلَةِ الْمُوَخَّرِينَ؛ لِحِكْمَةِ أَمْتَحِنُ بِهَا عِبَادِي.

{ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ } (ص : 81)

81- أَمَهَلْتُكَ إِلَى يَوْمِ النَّفْحَةِ الْأُولَى آخِرِ أَيَّامِ التَّكْلِيفِ، وَهُوَ يَوْمٌ مَعْلُومٌ، لَا يَبْقَى فِيهِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ حَيٌّ.

{ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } (ص : 82)

82- قَالَ إبليسُ اللَّعِينُ: فَبِعِزَّتِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، لأُحْبِبُّنَّ إِلَيْهِمُ الْمُعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ، وَأُرْغَبُنَّهُمْ فِيهَا حَتَّى يَعْمَلُوهَا، وَأُضِلَّنَّهُمْ بِذَلِكَ أَجْمَعِينَ،

{ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } (ص : 83)

83- إِلَّا عِبَادَكَ الَّذِينَ أَخْلَصُوا لَكَ الطَّاعَةَ وَالتَّوْحِيدَ، وَاتَّقَوْا مَا نَهَيْتَهُمْ عَنْهُ، فَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِمْ.

{ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ } (ص : 84)

84- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَأَقُولُ، وَلَا أَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ الْمُبِينُ:

{ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ } (ص : 85)

85- لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ، وَمِمَّنْ ذُرِّيَّتِكَ، وَمِمَّنْ كُفَّرَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ أَجْمَعِينَ، الَّذِينَ تَابَعُوكَ عَلَى ضَلَالِكَ.

{قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ} (ص : 86)

86- قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ لَلْمُشْرِكِينَ مِنْ حَوْلِكَ: لَا أَطْلُبُ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَالِدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ أُجْرَةً تُؤَدُّوهَا إِلَيَّ، وَلَسْتُ مِمَّنْ يَتَصَنَّعُونَ وَيَتَكَلَّفُونَ مَا لَيْسَ عِنْدَهُمْ، وَلَا أَزِيدُ وَلَا أَنْقُصُ مِنْ كِتَابِ رَبِّي شَيْئًا.

{إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} (ص : 87)

87- مَا هَذَا الْقُرْآنُ إِلَّا تَذَكُّرٌ وَعِظَةٌ لَكُمْ وَلِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَتَتَذَكَّرُوا وَتَهْتَدُوا بِهِ.

{وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ} (ص : 88)

88- وَتَعْلَمُونَ خَبْرَهُ، وَصِدْقَ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، بَعْدَ مُدَّةٍ.

سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } (الزمر : 1)

1- تنزيل القرآن من الله العزيز الذي لا يُغلب، الحكيم في أقواله وأفعاله.

{ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ } (الزمر : 2)

2- إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - بِالْحَقِّ وَالصَّوَابِ، لا يَشُوبُهُ باطلٌ أو هزلٌ، فكلُّ ما فيه مُوجِبٌ للإيمان به وقبوله، فاعبُدِ الله وحده لا شريك له، وأخلص له العبادة.

{ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ } (الزمر : 3)

3- فالله وحده يُخَصُّ بالعبادة والإخلاص فيها له، فلا إله إلا هو، والذين جعلوا مع الله شركاء يقولون: نحن لا نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله، ويوصلوا أديتنا إليه، ويشفعوا لنا عنده، لينصُرنا ويرزُقنا!

والله يقضي بينهم وبين من أخلصوا الدين لله يوم القيامة، ويجزي كلاً بما عمل، والله لا يهدي من كان قَصْدُهُ الكذب، ولا من كان مُخَاصِمًا عَنِيدًا مُصِرًّا على الكفر، الذي تَمَادَى في العي، وتمرَّن في الضلالة، حتَّى صار أعمى البصيرة.

{ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ }

(الزمر: 4)

4- لو أَرَادَ اللهُ - فَرَضًا - أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا، لَاحْتَارَ مَا شَاءَ مِمَّا يُنَاسِبُ أَلُوهُيَّتَهُ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَشَأْ ذَلِكَ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْسِبَ إِلَيْهِ الْوَلَدَ. تَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ عَنِ الشَّرِيكِ وَالْمِثِيلِ، هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الَّذِي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ بِقُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ.

{ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفَّارُ } (الزمر : 5)

5- هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ الْعَظِيمَةَ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهَا لِحِكْمٍ وَمَصَالِحٍ، وَلَيْسَ عَبَثًا وَبِاطِلًا، يَلْفُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ فَيَمْضِي لِيَجِلَّ مَحَلَّةُ اللَّيْلِ، وَيَلْفُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ لِيَمْضِيَ وَيَجِلَّ مَحَلَّةُ النَّهَارِ، وَهَكَذَا. وَذَلَّلَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَجَعَلَهُمَا مُنْقَادَيْنِ لِأَمْرِهِ، وَكُلُّ مَنْ هَذَا مِنْ هَذَا وَذَلِكَ يَجْرِي لِمَدَّةٍ مَعْلُومَةٍ حَتَّى تَنْقَطِعَ حَرَكَتُهُ. أَلَا إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ لَا يُغْلَبُ إِذَا عَاقَبَ، وَيَغْفِرُ ذُنُوبَ عِبَادِهِ التَّائِبِينَ، وَلَوْ أَسْرَفُوا.

{ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ
يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ } (الزمر : 6)

6- خَلَقَكُمْ اللَّهُ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، هِيَ آدَمُ، وَخَلَقَ مِنْ هَذِهِ النَّفْسِ زَوْجَهَا حَوَاءَ، وَخَلَقَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ: ذَكَرًا وَأُنْثَى، هِيَ: الْإِبِلُ، وَالْبَقَرُ، وَالضَّأْنُ، وَالْمَعْزُ. وَخَلَقَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ أَطْوَارًا، فَمِنْ نُطْفَةٍ، إِلَى عَلَقَةٍ، ثُمَّ مُضْغَةٍ، فَعِظَامٍ، فَمَكْسُورَةٌ بِلَحْمٍ، ثُمَّ يُنْفَخُ الرُّوحُ فِي الْجَنِينِ، الَّذِي يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ مُظْلِمَةٍ ثَلَاثَةٍ، هِيَ: ظُلْمَةُ الرَّحِمِ، وَظُلْمَةُ الْمَشِيمَةِ، وَظُلْمَةُ الْبَطْنِ. وَذَهَبَ أَطْبَاءٌ إِلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالظُّلُمَاتِ الْأَغْشِيَّةِ، وَهِيَ الطَّبَقَاتُ الثَّلَاثِيَّةُ لِلْمَشِيمَةِ: الْأَمْنُوسِي الْمَحِيطُ بِالْجَنِينِ، وَالْكَورِيُونِي الَّذِي يَتَّصِلُ بِالْمَشِيمَةِ وَجُدُّ الْجَنِينِ بِالْغِذَاءِ، وَالسَّاقِطُ الَّذِي يُثَبِّتُ الْجَنِينَ بِجِدَارِ الرَّحِمِ. وَقَالُوا: إِنَّ لِلظُّلْمَةِ دَوْرًا كَبِيرًا فِي النَّمْوِ، فَالضُّوْءُ يُعَوِّقُ مَرَاحِلَ النَّمْوِ الْمُخْتَلِفَةَ.

ذَلِكُمْ الْخَالِقُ الْعَظِيمُ هُوَ رَبُّكُمْ وَرَازِقُكُمْ، لَهُ الْمُلْكُ وَالْخَلْقُ وَالتَّدْبِيرُ كُلُّهُ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاهُ، فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِهِ وَهُمْ لَا يَخْلُقُونَ وَلَا يَرْزُقُونَ؟!!

{إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (الزمر: 7)

7- إِنْ تَكْفُرُوا بِاللَّهِ وَبِنِعْمِهِ فَإِنَّهُ غَنِيٌّ عَنْ إِيمَانِكُمْ وَشُكْرِكُمْ، فَلَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ، وَلَا يُحِبُّ الْكُفْرَ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ، لِمَا فِيهِ مِنَ الضَّرَرِ عَلَى الْعِبَادِ. وَإِنْ تُوْمِنُوا بِهِ وَتَشْكُرُوا فَضْلَهُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّهُ يُحِبُّهُ مِنْكُمْ وَيُثَبِّتُكُمْ عَلَيْهِ، وَلَا تَمْلِكُ نَفْسٌ أَنْ تَحْمِلَ عَنْ غَيْرِهَا ذُنُوبَهَا، بَلْ كُلُّ نَفْسٍ مَقْرُونَةٌ بَعْمَلِهَا، مُحَاسَبَةٌ عَلَيْهِ، ثُمَّ تُبْعَثُونَ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ، فَيُخَبِّرُكُمْ بِمَا عَمَلْتُمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِمَا تُخْفِيهِ الصُّدُورُ، لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} (الزمر: 8)

8- وَإِذَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ بَلَاءٌ وَشِدَّةٌ، مِنْ مَرَضٍ وَفَقْرٍ وَغَيْرِهِ، دَعَا اللَّهَ وَحْدَهُ فِي ذُلٍّ وَخُضُوعٍ، وَرَجَعَ إِلَيْهِ خَاشِعًا مُتَضَرِّعًا، فَإِذَا مَنَحَهُ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِهِ وَزَادَهُ فَضْلًا، نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو بِهِ وَيَتَضَرَّعُ إِلَى رَبِّهِ وَهُوَ فِي حَالِ ضُرِّ. وَالْمُؤْمِنُ لَا يَنْسَى رَبَّهُ وَلَوْ كَانَ فِي رِفَاهِيَّةٍ. وَزَادَ هَذَا الْكَافِرُ نِعْمَةَ رَبِّهِ فَجَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِي الْعِبَادَةِ، لِيُضِلَّ النَّاسَ عَنِ التَّوْحِيدِ وَيُضِدَّهُمْ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، قُلْ لِمَنْ كَانَ هَذَا مِنْهُجُهُ: تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا فِي الدُّنْيَا إِلَى أَنْ يَحِينَ أَجْلُكَ، فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ (133).

(133) التمتع: الانتفاع المؤقت، والتقدير: تمتع بالسلامة من العذاب في زمن كفرِكَ أو متكسباً بكفرِكَ، تمتعاً قليلاً، فأنت آيلٌ إلى العذاب؛ لأنك من أصحاب النار. ووصفُ التمتع بالقليل؛ لأن مدة الحياة الدنيا قليلٌ بالنسبة إلى العذاب في الآخرة. وصيغة الأمر في قوله: {تَمَتَّعْ} مستعملة في الإمهال، المراد منه الإنذار والوعيد. (التحرير، باختصار).

{أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي
الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ } (الزمر : 9)

9- أنت أفضل أيها المشرك أم من هو قائمٌ بواجب الطاعة والشكر في ساعات الليل، ساجدًا لله وقائمًا له في الصلاة، يخشى عذاب الآخرة، ويطمع في رحمة ربه وعفوه؟
قل أيها الرسول الكريم: هل يستوي العالم والجاهل؟ كذلك لا يتساوى المطيع الذي يعلم ما عند الله من رحمة وعذاب، والعاصي الجاهل الذي يكفر بالله ويدعو إلى الضلال؟ إنما يتذكر هذا الفرق ويتعظ أهل العقول السوية.

{قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ
وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } (الزمر : 10)

10- أخبرهم بقولي أيها الرسول: يا من آمن من عبادي، أطيعوا الله واجتنبوا معاصيه، فإن لمن آمن في هذه الدنيا وأحسن أجرًا ومثوبة حسنة في اليوم الآخر، وأرض الله كبيرة رحبة، وإذا ضيق عليكم في دينكم ولم تتمكنوا من إقامة شعائر الله، فهاجروا إلى حيث تتمكنون من ذلك، إنما يجزي الذين صبروا على دينهم ولم يتركوه لأذى أصابهم، أجرًا عظيمًا لا يعرف قدره إلا الله.

{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ } (الزمر : 11)

11- قل أيها النبي: إن الله أمرني - كما أمر المؤمنين - بإخلاص العبادة له وحده لا شريك له.

{وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ } (الزمر : 12)

12- وأمرت بذلك لأكون أول المسلمين في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، أو لأكون في مقدم المسلمين في الدنيا وفي الآخرة.

{قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } (الزمر : 13)

13- وقُلْ: إِنِّي أَخْشَىٰ إِنْ خَالَفْتُ أَمْرَ رَبِّي وَلَمْ أُخْلِصْ لَهُ الْعِبَادَةَ، عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْمُهُولِ الْمُخْوفِ.

{ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي } (الزمر : 14)

14- قُلْ: إِنِّي أَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ طَاعَتِي وَعِبَادَتِي، بَعِيدًا عَنِ الشَّرِكِ وَالرِّبَاءِ.

{ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ } (الزمر : 15)

15- فاعْبُدُوا أَنْتُمْ مَا شِئْتُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، مَا دُمْتُمْ مُصْرِّينَ عَلَى الْكُفْرِ، مُتَمَادِينَ فِي الضَّلَالِ، إِنَّ الْخَاسِرِينَ كُلَّ الْخَسَارَةِ، هُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِاخْتِيَارِهِمُ الْكُفْرَ بَدَلُ الْإِيمَانِ، وَخَسِرُوا أَهْلِيهِمْ كَذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ أَضَلُّوهُمْ فَعَرَّضُوهُمْ لِلنَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْبَيِّنُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ خَسَارَةٌ.

{ هُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ } (الزمر : 16)

16- لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ أَطْبَاقٌ مُظْلِمَةٌ مِنَ النَّارِ، وَمِنْ تَحْتِهِمْ كَذَلِكَ، فَهِيَ مُحِيطَةٌ بِهِمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ. وَبِذِكْرِ هَذَا الْعَذَابِ الْفَظِيعِ يُخَوِّفُ اللَّهُ عِبَادَهُ، لِيَخَافُوا فَيَنْزَجِرُوا عَنِ الْمَحْرَمَاتِ وَالْمِعَاصِي، يَا عِبَادِي فَاحْشَوْا بِأَسِي وَنِقَمَتِي، وَلَا تَتَعَرَّضُوا لِمَا يُوجِبُ سَخَطِي.

{ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ } (الزمر : 17)

17- وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَكُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَرَجَعُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ مُؤَحَّدِينَ مُخْلِصِينَ، فَلَهُمُ الْبُشْرَىٰ بِالْمَثُوبَةِ الْحَسَنَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

{ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا
الْأَلْبَابِ } (الزمر : 18)

18- الذين يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ وَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أو أَهْمُ يَتَّبِعُونَ أَحْسَنَ مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ فَيَعْمَلُونَهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ إِلَى دِينِهِ، وَإِلَى مَا فِيهِ الثَّوَابُ الْعَظِيمُ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْعُقُولِ الصَّحِيحَةِ، وَالْفِطْرِ السَّلِيمَةِ.

{ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ } (الزمر : 19)

19- فإذا كتب الله على الكافرين العذاب، لكونهم اتبعوا خطوات الشيطان، وعبدوا الأوثان، أتقدر على إنقاذهم من الضلال الذي هم فيه، والنار التي ستكون مصيرهم؟

{ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ
لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ } (الزمر : 20)

20- أما الذين خافوا ربهم، فأحسنوا له الطاعة، وابتعدوا عما نهى، فلهم في الجنة منازل عالية، بعضها فوق بعض، تجري من تحتها الأنهار⁽¹³⁴⁾، زيادة في جمالها ونعيمها، وهذا وعد من الله لعباده المؤمنين المتقين، والله يقول الحق، ولا يخلف وعده.

{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا
أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ } (الزمر :
21)

(134) جري الأنهار من تحتها [أي: من تحت الغرف]، من كمال حُسن منظرها للمُطلِّ منها. ومعنى { مِنْ تَحْتِهَا } : أن الأنهار تمر على ما يجاوز تحتها، كما تقدّم في قوله تعالى: { جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } في آل عمران: 15، فأطلق اسم (تحت) على مجاورة. ويجوز أن يكون المعنى: تجري من تحت أسسها الأنهار، أي: تخترق أسسها، وتمرّ فيها وفي ساحاتها، وذلك من أحسن ما يُرى في الديار، كديار دمشق، وقصر الحمراء بالأندلس، وديار أهل الترف في مدينة فاس، فيكون إطلاق (تحت) حقيقة. والمعنى أن كلَّ غرفةٍ منها يجري تحتها نهر، فهو من مقابلة الجمع ليُقَسَّم على الأحاد، وذلك بأن يصعد الماء إلى كلِّ غرفة، فيجري تحتها. (التحرير والتنوير).

21- أَلَمْ تَنْظُرْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْمَطَرَ مِنَ السَّحَابِ، فَصَرَفَهُ فِي الْعُيُونِ وَالْمِحَارِي الكائِنَةِ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ أَخْرَجَ بِهَذَا الْمَاءِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَنْوَاعُهُ وَأَصْنَافُهُ، وَأَشْكَالُهُ وَطُعُومُهُ، وَمَنَافِعُهُ وَرَوَائِحُهُ، ثُمَّ يَبْسُ هَذَا الزَّرْعَ، فَتَرَاهُ أَصْفَرَ لَا رُوحَ فِيهِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ أَحْضَرَ نَضِرًا، ثُمَّ يَجْعَلُهُ مَهْشَمًا مُتَكَسِّرًا؟ إِنَّ فِي ذَلِكَ تَذْكَيرًا وَعِظَةً لِأَصْحَابِ الْعُقُولِ السَّوِيَّةِ، فَيَرَوْنَ فِي ذَلِكَ تَمَثِيلًا لِحَايَةِ الْإِنْسَانِ، الَّذِي يَنُمُو صَغِيرًا، ثُمَّ يَشْتَدُّ، ثُمَّ يَكُونُ هَرِمًا، ثُمَّ يَمُوتُ. وَهَكَذَا الدُّنْيَا إِلَى زَوَالٍ. ثُمَّ يَكُونُ بَعَثٌ وَإِحْيَاءٌ، وَحِسَابٌ وَجَزَاءٌ.

{ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } (الزمر : 22)

22- أَفَمَنْ وَسَّعَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، فَهُوَ عَلَى هُدًى وَيَقِينٍ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ، كَمَنْ هُوَ أَعْمَى الْقَلْبِ، مُصِرٌّ عَلَى الْكُفْرِ؟ لَا يَسْتَوِيَانِ. فَالْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ لِمَنْ كَانَ قَاسِيَا الْقَلْبِ، لَا يَخْشَعُ عِنْدَ ذِكْرِ اللَّهِ وَلَا يَلِينُ، أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ ظَاهِرٍ عَنِ الْحَقِّ.

{ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَابِي تَفْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } (الزمر : 23)

23- أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ الْكَلَامِ، يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا، لَكُونِهِ صِدْقًا وَعَدْلًا، فَلَا اخْتِلَافَ بَيْنَ مَعَانِي آيَاتِهِ وَلَا تَنَاقُضَ، مَعَ بَجَائِسٍ وَتَكَامُلٍ فِي أَلْفَاظِهِ وَتَرْكِييبِهَا، وَيُكْرِّرُ فِيهِ التَّرْغِيبَ وَالتَّرْهِيْبَ، وَيُعَادُ فِيهِ ذِكْرَ الْأَمْرِ وَالنَّوَاهِي، وَالْأَخْبَارِ وَالْأَحْكَامِ، لِفَوَائِدِ وَحِكْمِ، مِنْ التَّذْكَيرِ وَالتَّأْثِيرِ وَالْإِعْجَازِ، تَضَطَّرِبُ وَتَرْتَعِشُ مِنْهُ جُلُودُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ، أَوْ سَمَاعِ آيَاتِ وَعَدِيدِهِ وَوَعِيدِهِ، خَوْفًا وَخَشْيَةً مِنْ رَبِّهِمْ، ثُمَّ تَلِينُ وَتَسْكُنُ، وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَتَأْنَسُ بِهِ، لِمَا يَأْمُلُونَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ، وَتَلْكَ صِفَةُ هُدًى اللَّهِ لِعِبَادِهِ، يَوْفُقُ مَنْ يَشَاءُ إِلَى ذَلِكَ، وَمَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ لِإِعْرَاضِهِ عَمَّا يُرْشِدُهُ إِلَيْهِ، فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى هِدَايَتِهِ.

{ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ }
(الزمر: 24)

24- أفمن يُريد أن يتجنب شدّة العذاب ويدفع النار بوجهه يوم القيامة - فيداه مغلوتان - ويقال للكافرين تائباً وتقريباً: ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي في الدنيا، أهذا خير أم من يأتي آمناً مستبشراً يوم القيامة؟

{ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَّاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ } (الزمر : 25)

25- لقد كذبت أمم سألقة قبل قومك، فأهلكهم الله بذنوبهم وهم غافلون، لا يتوقعون العذاب.

{ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } (الزمر : 26)

26- فأذاقهم الله الذل والهوان في الحياة الدنيا، كالقتل والأسر، والمسح والحسف، والجوع والغرق، وفي الآخرة لهم عذاب أشد وأبقى، لو علموا ذلك واعتبروا.

{ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } (الزمر : 27)

27- ولقد بينا للناس في هذا الكتاب المبين، من كل الأمثال النافعة التي يحتاجون إليها، والأحداث والوقائع المعبرة منها، لعلهم بذلك يتعظون ويتدبرون.

{ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } (الزمر : 28)

28- هو قرآن مجيد بلغة عربية فصیحة بليغة، لا خلل فيه ولا اعوجاج، لعلهم يؤمنون به، ويحذرون إنذاره، ويحبتون ما حرّمه.

{ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا
الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } (الزمر : 29)

29- وهذا مثلُ ضربتهُ اللهُ في القرآنِ للتذكيرِ والاعتبارِ: عَبْدٌ يَتَمَلَّكُهُ عِدَّةُ أَشْخَاصٍ، يَتَنَازَعُونَ فِيهِ وَيَتَشَاجِرُونَ، لِسُوءِ طِبَاعِهِمْ وَشِرَاسَةِ أَحْلَاقِهِمْ، فَهُوَ مُتَحَيِّرٌ وَمُشْتَتِّ الْفِكْرِ وَهَمٌّ بَيْنَهُمْ، وَآخِرُ يَتَمَلَّكُهُ وَاحِدٌ لَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِيهِ، فَهُوَ فِي رَاحَةٍ وَعَافِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ، فَهَلْ يَسْتَوِي حَالُهُمَا؟ لَا يَسْتَوِيَانِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى اعْتِرَافِهِمْ بِذَلِكَ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالتَّدْبِيرِ حَتَّى يُوَازِنُوا وَيُطَابِقُوا الْمَثَلَ عَلَى حَالِهِمْ. وَهُوَ مِثَالُ الْمَشْرِكِ الَّذِي يَعْبُدُ عِدَّةَ آلِهَةٍ، وَالْمُؤْمِنِ الْمَخْلِصِ لِرَبِّهِ.

{ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ } (الزمر : 30)

30- وَيَأْتِي الْيَوْمَ الَّذِي تَمُوتُ فِيهِ أَيُّهَا الرَّسُولُ، وَكَذَلِكَ يَمُوتُونَ هُمْ جَمِيعًا.

{ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ } (الزمر : 31)

31- ثُمَّ إِنَّكُمْ جَمِيعًا، الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، تَجْتَمِعُونَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَتَخْتَصِمُونَ وَتَحَاجُّونَ فِيمَا كُنْتُمْ تَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَتَتَّظَالِمُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مِنَ الْإِيمَانِ وَالشُّرْكِ، وَأُمُورِ الدُّنْيَا، فَيَفْصِلُ بَيْنَكُمْ، وَيَجْزِي كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّ.

الجزء الرابع والعشرون

سورة الزمر (32-75)

سورة غافر

سورة فصّلت (1-46)

{ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ }
(الزمر : 32)

32- وليس هناك أظلم ممن كذب على الله فجعل له الشريك والولد، وكذب بما جاء به الرسول من الحق والصواب. أليس لهؤلاء المشركين المكذبين نار جهنم يكون لهم مستقراً إلى الأبد؟

{ وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } (الزمر : 33)

33- والرسول الذين جاؤوا بالحق من عند ربهم، وصدقوا به، وبلغوه عن عقيدة واقتناع، والمؤمنون الذين صدقوا بما جاؤوا به واتبعوه، أولئك الذين تجنبوا الشرك وخافوا ربهم.

{ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءَ الْمُحْسِنِينَ } (الزمر : 34)

34- لهم ما يشاءون وما يشتهون من النعيم عند ربهم، وذلك هو جزاء الذين صدقوا في إيمانهم، وأحسنوا في عملهم.

{ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ }
(الزمر : 35)

35- ليغفر الله لهم أسوأ ما عملوا من ذنوب، ويثيبهم على أعمالهم الحسنة أحسن الثواب وأجزله.

{ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }
(الزمر: 36)

36- أليس الله كافيًا عبده ونبية محمدًا صلى الله عليه وسلم وحافظًا إيّاه من سوء الكائدين له؟ ويخوفونك بالأصنام، وأنت إذا ذكرتها بسوء أصابتك بشرّ؛ جهلاً وضلالاً منهم، ومن يضلله الله - لعلمه أنه يستحق الضلالة - فليس له مرشد يأخذ بيده إلى الحق.

{ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ } (الزمر : 37)

37- ومن يهده الله ويوفقه إلى طريق الخير والصلاح، فلا أحد يقدر على صرّفه عنها. أليس الله غالبًا لا يُغلب، شديد الانتقام ممن كفر وعاند؟

{ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ } (الزمر : 38)

38- وإذا سألت المشركين: من الذي خلق السماوات العظيمة، والأرض وما فيها وما عليها؟ فيقولون: الله وحده. فقل لهم: أرايتم لو أن الله ابتلاني بشدة وبلاء، هل تستطيع أهلكم المزعومة أن تكشف عني ما أصابني من ذلك؟ وإذا رحمني فأكرمني بخير ونعمة، هل تقدر على أن تمنعه مني؟

إنها لا تستطيع أن تفعل شيئًا من ذلك. فقل لهم: إن كافي من إصابة الخير، وحافظي من الشر، هو الله وحده، وعليه وحده يعتمد المتوكلون على ربهم، لعلمهم أن الخير والشر بيده.

{ قُلْ يَا قَوْمِ اْعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } (الزمر : 39)

39- قل لهم أيها الرسول: اعملوا على طريقتكم ما تريدون، واثبتوا على ما أنتم عليه من الشرك والتكذيب - وهو تهديد لهم وليس بأمر - وأنا عامل على طريقي ومنهجي، وسوف تعلمون من الجاني على نفسه،

{ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُجْزِيهِ وَيَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثْقِمٌ } (الزمر : 40)

40- الذي يجلّ عليه عذابٌ يذله، كقتلٍ أو أسر، كما كان في بدر. وله في الآخرة عذابٌ دائم، لا محيد له عنه.

{ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ } (الزمر : 41)

41- لقد أنزلنا عليك القرآن لأجل مصلحة الناس في معاشهم ومعادهم، فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه، ومن اختار الضلالة فقد أضرّ بنفسه، ولست حافظاً عليهم لتجربهم على الهداية وتمنعهم من الكفر، إنما عليك البلاغ.

{ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (الزمر : 42)

42- الله سبحانه يقبض الأنفس إليه عند موتها، بأن يقطع علاقتها بالأبدان، وكذلك عند منامها، فيمسك التي قضى بموتها ولا يردها إلى أبدانها، ويترك الأخرى - النائمة التي لم يقدر عليها الموت - لتعود إلى أبدانها عندما تستيقظ، حتى تستوفي رزقها وأجلها وتموت. وفي النوم، وإمسك الأنفس وإرسالها، علامات وأدلة على قدرة الله واستقلاله بالتصرف في شؤون خلقه.

{ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْكَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ } (الزمر : 43)

43- بل اتخذ المشركون آلهة من الأصنام لتشفع لهم عند الله، قل لهم أيها الرسول: إن هذه الأصنام لا تفقه شيئاً، ولا تعي ما تطلبون منها، فكيف تتكلم مع الله، وكيف تشفع لكم عنده؟

{ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } (الزمر : 44)

44- قُلْ لَهُمْ: إِنَّ أَمْرَ الشَّفَاعَةِ كُلُّهُ بِيَدِ اللَّهِ، فَلَا يَشْفَعُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَرِضَاهُ، لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَهُ وَحْدَهُ التَّصَرُّفُ فِي شَأْنِهِمَا، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيَحَاسِبَكُمْ عَلَى مَا عَمِلْتُمْ.

{وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} (الزمر : 45)

45- وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ دُونَ آلهَةِ الْمُشْرِكِينَ، فَقِيلَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، انْقَبَضَتْ وَنَفَرَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْمَعَادِ، وَلَمْ تَقْبَلْهُ، وَإِذَا ذُكِرَتْ أَصْنَانُهُمْ وَحْدَهَا، أَوْ ذُكِرَتْ مَعَ اللَّهِ، إِذَا هُمْ يَفْرَحُونَ وَيُسْرُونَ؛ لِحُبِّهِمْ لَهَا!

{قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} (الزمر : 46)

46- قُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ: اللَّهُمَّ خَالِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُبْدِعَهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، عَالِمٌ مَا غَابَ عَنْ أَبْصَارِنَا وَعِلْمِنَا وَمَا نُشَاهِدُهُ، أَنْتَ وَحْدَكَ الَّذِي تَفْصِلُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. فَاهْدِنَا اللَّهُمَّ إِلَى الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

{وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} (الزمر : 47)

47- وَلَوْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ جَمِيعُ مَا فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالذَّخَائِرِ، وَضِعْفُهُ مَعَهُ، لَجَعَلُوهُ فِدْيَةً لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَظَهَرَ لَهُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُمْ، مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي الْحُسْبَانِ.

{وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (الزمر : 48)

48- وظَهَرَ لَهُمْ مَسَاوِيْ أَعْمَالِهِمْ، مِنَ الشَّرِكِ وَالظُّلْمِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي اقْتَرَفُوهَا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا، وَمَا يَسْتَحِقُّونَهُ عَلَيْهِ مِنْ عُقُوبَةٍ، وَأَحَاطَ بِهِمْ الْعَذَابُ الَّذِي كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ وَيَسْتَبْعِدُونَ وَقُوعَهُ.

{ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } (الزمر : 49)

49- فَإِذَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ بَلَاءٌ، مِنْ مَرَضٍ وَشِدَّةٍ وَخَوْفٍ، تَضَرَّعَ إِلَيْنَا فِي ذُلٍّ وَصَغَارٍ، وَإِذَا آتَيْنَاهُ نِعْمَةً، كَرِيَادَةً فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ، وَصِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ وَرَفَاهِيَةٍ، قَالَ: إِنَّمَا حَصَلْتُ هَذَا بِجُهْدٍ مِنِّي وَمَهَارَةٍ فِي الْإِدَارَةِ وَالتَّجَارَةِ، فَاسْتَحْقَاقِي ذَلِكَ هُوَ عَنْ جِدَارَةٍ. وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا، بَلْ هُوَ اخْتِبَارٌ وَامْتِحَانٌ لَهُمْ فِيمَا أُعْطِينَاهُمْ، لِنَنْظُرَ مَا الَّذِي يَقُولُونَ، وَمَاذَا يَفْعَلُونَ، أَيُطِيعُونَ أَمْ يَعْصُونَ؟ أَيَشْكُرُونَ أَمْ يَكْفُرُونَ؟ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ، وَلِذَلِكَ فَهَمْ يَقُولُونَ مَا يَقُولُونَ.

{ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (الزمر : 50)

50- لَقَدْ قَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِمْ أَفْرَادٌ وَأُمَّمٌ مِنْ قَبْلِهِمْ، كَقَارُونَ وَغَيْرِهِ، فَلَمْ يُفِدْهُمْ هَذَا الْكَلَامُ، وَلَمْ يَنْفَعَهُمْ مَا جَمَعُوهُ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا.

{ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ } (الزمر : 51)

51- فَأَصَابَتْهُمْ عُقُوبَةُ مَا عَمِلُوا مِنْ ذُنُوبٍ وَأَثَامٍ. وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا مِنْ قَوْمِكَ يَنَالُهُمْ جَزَاءُ مَا كَسَبُوا مِنْ سَيِّئَاتٍ كَذَلِكَ، وَلَا مَهْرَبَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى اللَّهِ.

{ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } (الزمر : 52)

52- أَلَا يَعْلَمُ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ اللَّهَ يُوسِّعُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ؟ إِنَّ فِي تَوْزِيعِ الرِّزْقِ بَيْنَ النَّاسِ، وَأَحْوَالِهِمْ وَدَرَجَاتِهِمْ فِيهِ، وَتَنَقُّلِهِمْ بَيْنَ الْفَقْرِ وَالْغِنَى، عِبْرًا وَدَلَالَاتٍ، لِمَنْ آمَنَ وَاعْتَبَرَ.

{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ} (الزمر : 53)

53- قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ مِنْ مَعْنَى كَلَامِ اللَّهِ: يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَفْرَطُوا فِي الْمَعَاصِي وَأَكْتَرُوا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْفَوَاحِشِ، لَا تَيَاسُؤُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَمَغْفِرَتِهِ، فَاللَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعَهَا، مَهْمَا كَانَتْ، صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، سِرًّا وَعَلَانِيَتًا، فَاللَّهُ كَثِيرُ الْمَغْفِرَةِ لَذُنُوبِ التَّائِبِينَ، عَظِيمُ الرَّحْمَةِ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

{وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ} (الزمر : 54)

54- فَارْجِعُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَتَوَبُّوا إِلَيْهِ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الطَّاعَةَ وَالْعَمَلَ، قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ عَذَابُهُ، ثُمَّ لَنْ تَجِدُوا نَاصِرًا يُنقِذَكُم مِنْهُ.

{وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} (الزمر : 55)

55- وَاتَّبِعُوا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ، قَبْلَ أَنْ يَفْجَأَكُمُ الْعَذَابُ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ ذَلِكَ.

{أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ} (الزمر : 56)

56- حَتَّىٰ لَا تَقُولَ نَفْسٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا نَدْمِي وَيَا حَسْرَتِي عَلَىٰ تَفْصِيرِي فِي حَقِّ اللَّهِ، وَقَدْ كُنْتُ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِدِينِهِ، الْمَكْذِبِينَ بِرَسُولِهِ.

{أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} (الزمر : 57)

57- أو تقول نفس: لو أن الله هداني لكنت من المؤمنين المخلصين.

{أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} (الزمر : 58)

58- أو تقول نفس حين ترى العذاب أمامها: لو أن لي رجعة إلى الدنيا فأكون ممن استقام على الطاعة وأحسن في العمل.

{بَلَى قَدْ جَاءتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ} (الزمر : 59)

59- ولكن جاءتك آياتي ومعجزاتي وأنزلت الكتب أيها العبد، فكذبت بها وسخرت منها، وتكبرت عن الاعتقاد بها واتباعها، فكنت من الجاحدين بها. ولم تسلك مسالك الهداية ولم تطلبها، بل استهزأت وأصررت على الكفر حتى مت عليه.

{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى

لِلْمُتَكَبِّرِينَ} (الزمر : 60)

60- وفي يوم القيامة ترى وجوه الكافرين المكذبين سوداء قائمة، لما ينالهم من الشدة، ويلحفهم من الحزن والكمد، ويعتريهم الخوف من الأهوال. أليس في جهنم مأوى وسجنا دائما للكافرين؟

{وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (الزمر : 61)

61- أما المؤمنون الذين أحلصوا الطاعة لربهم، وحببوا مخالفة أمره، فإن الله ينجيهم من النار، لكونهم من الفائزين الغانمين، لا يصيبهم مكروه، ولا يكونون في همّ وغم، بل هم آمنون سالمون.

{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (الزمر : 62)

62- والله خالقُ كُلِّ شَيْءٍ في هذا الكونِ، وهو مالِكُهُ والمِتَصَرِّفُ فيه، وهو القائمُ بِحِفْظِهِ، وكُلُّ شَيْءٍ فيه مَوْكُولٌ إليه.

{ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } (الزمر : 63)

63- لَهُ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لا تَأْتِيَرُ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ في قِيَادِهَا وَتَحْرِكِهَا وَتَوَامِيْسِهَا وما يَجْرِي فيها، والَّذِينَ حَاحِدُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَالْأَدْلَةَ الَّتِي تُؤَدِّي إلى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ مِنْ دِينِهِ، هُمُ الْخَاسِرُونَ حَقًّا.

{ قُلْ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُوَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ } (الزمر : 64)

64- قُلْ لِلْمَشْرِكِينَ أَيُّهَا الرُّسُولُ: أَتَطْلُبُونَ مِنِّي أَنْ أَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ؟

{ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (الزمر : 65)

65- وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى النَّبِيِّينَ مِنْ قَبْلِكَ: لَئِنْ أَشْرَكْتَ مَعَ اللَّهِ في عِبَادَتِكَ، لَيُطْلَنَّ ثَوَابَ عَمَلِكَ الصَّالِحِ الَّذِي عَمَلْتَهُ، وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْهَالِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ أَشْرَكْتَ بِاللَّهِ شَيْئًا.

{ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ } (الزمر : 66)

66- بَلِ اعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، أَنْتَ وَمَنْ اتَّبَعَكَ، وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ لِنِعْمِهِ.

{ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } (الزمر : 67)

67- إِنَّ الْمَشْرِكِينَ ما عَظَّمُوا اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ عَظَمَتِهِ حِينَ عَبَدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ، وَطَلَبُوا مِنْ رَسُولِهِ أَنْ يَعْبُدَ غَيْرَهُ، وَهُوَ الْقَادِرُ الْعَظِيمُ، الَّذِي بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ، وَالْأَرْضُ وما فيها قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالسَّمَاوَاتُ جَمِيعُهَا مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، فَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ عَمَّا يَقُولُهُ الْمَشْرِكُونَ.

وفي صحيح البخاريّ قوله صلى الله عليه وسلم: "يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيَنْ مُلُوكِ الأَرْضِ؟".

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ } (الزمر : 68)

68- ويأمر الله إسرافيلَ فينفُخُ في الصُّورِ النَّفْخَةَ الأُولَى، وهي نَفْخَةُ الصَّعَقِ، فيموتُ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ إِلاَّ يَمُوتَ بِتِلْكَ النَّفْخَةِ، فيَقْبِضُ أرواحَهُمْ فِي وَقْتٍ آخَرَ، ولا يَبْقَى إِلاَّ هُوَ سُبْحانَهُ وَتَعَالَى. ثُمَّ نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً أُخْرَى، فإذا هُمْ أَحْيَاءُ قائِمُونَ جَمِيعًا، يَنْتَظِرُونَ ما يُفَعَلُ بِهِمْ.

{وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَداءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ } (الزمر : 69)

69- وَأضَاءَتِ أَرْضُ المِحْشَرِ يَوْمَ القِيامَةِ بِنُورِ خالقِها، وَوُضِعَتِ صَحائفُ الأَعْمالِ لِلحِسابِ، وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ لِيَشْهَدُوا أَنَّهُمْ بَلَّغُوا أُمَّهَم رِسالاتِ رَبِّهِمْ، وَجِيءَ بِالشُّهَداءِ مِنَ الملائِكَةِ الحَفِظَةِ على أَعْمالِ العِبَادِ، وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ شَيْئًا مِنْ ثَوابِ أَعْمالِهِمْ، فلا يُنْقَصُ مِنْ أَجرِ، ولا يُزادُ فِي عِقابِ.

{وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بما يَفْعَلُونَ } (الزمر : 70)

70- وَأُعْطِيَتْ كُلُّ نَفْسٍ جِزاءَ ما عَمِلَتْهُ مِنْ خَيْرٍ أو شَرٍّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بالذي كانوا يَعمَلونَهُ فِي الدُّنيا، دونَ حاجَةٍ إِلى كاتِبٍ أو شاهِدِ.

{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذا جَاؤُوها فُتِحَتْ أَبْوابُها وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسالٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءِ يَوْمِكُمْ هَذا قالُوا بلى لَكِن كُنَّا حَقَّتْ كَلِمَةُ العَذابِ على الكافِرِينَ } (الزمر : 71)

71- وَسِيقَ الْكَافِرُونَ الْمَجْرُمُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أفواجًا، بَزَجِرٍ وَعُنفٍ وإهانة، حتَّىٰ إذا وصلوا إليها فُتِحَتْ أبوابها سَرِيعًا لِيَدْخُلُوهَا، وقال لهم خَزَنَتُهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ الزَّانِيَةِ تَوْبِيخًا وَتَقْرِيعًا لهم: أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْ جَنَسِكُمْ تَفْهَمُونَ منهم ما يَقُولُونَ، وهم يَقْرَأُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ الْمُنزَلَةَ، لِمَا فِيهِ خَيْرٌكُمْ وَصَلَاحُكُمْ، وَيُحَذِّرُونَكُمْ مِنَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَيُخَوِّفُونَكُمْ مِنَ النَّارِ الْمَعْدَّةِ لِلْكَافِرِينَ؟

قال الكافرون: بلى قد جاءتنا رسلنا، ولكننا كذبنا وخالفنا، وآثرنا الهوى والضلال، ووجب علينا حكم الله بالعذاب الذي نستحقه.

{ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ } (الزمر : 72)

72- فِقِيلٌ لهم: ادخلوا جهنم من أبوابها المقسومة لكم، لتمكثوا فيها أبدًا، فبئس مأوى المتكبرين، الذين دُعوا إلى الحق في الدنيا فاستكبروا عن قبوله، وعن اتباع رسل ربهم، وأصرّوا على ذلك حتّى ماتوا عليه.

{ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ } (الزمر : 73)

73- وَسِيقَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ جَمَاعَةً بَعْدَ جَمَاعَةٍ، بِحَسَبِ طَبَقَاتِهِمْ فِي الْفَضْلِ، حَتَّىٰ إِذَا وَصَلُوا إِلَيْهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا، حَيَّاهُمْ خَزَنَتُهَا قَائِلِينَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ: أَنْتُمْ فِي أَمَانٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، طَابَتْ أَعْمَالُكُمْ، فَطِبْتُمْ نَفْسًا، وَطَابَ لَكُمْ الْمَقَامُ، فَادْخُلُوا الْجَنَّةَ مَا كُنْتُمْ فِيهَا أَبَدًا، لَا مَوْتَ فِيهَا، وَلَا تَحْوَلَ عَنْهَا.

{ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ } (الزمر : 74)

74- وقال أهل الجنة حامدين شاكرين: الحمد لله والشناء عليه بما هو أهله، الذي صدق فيما وعدنا به من الثواب على السنة رسله، وأعطانا أرض الجنة، ننزل فيما أعطانا ربنا من الجنة الواسعة حيث نشاء، فأنعم بهذا الأجر الجزيل لأهلها.

{وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الزمر : 75)

75- وترى الملائكة مُحَدِّقِينَ مِنْ حَوْلِ عَرْشِ اللَّهِ الْعَظِيمِ، وَهُمْ يُقَدِّسُونَ رَبَّهُمْ وَيُحَمِّدُونَهُ وَيَحْمَدُونَهُ، وَقُضِيَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ بِالْقِسْطِ وَالْعَدْلِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى حُكْمِهِ وَعَدْلِهِ.

* * *

في حَدِيثٍ صَحِيحٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الزُّمَرَ، وَبَنِي إِسْرَائِيلَ"، وَهِيَ سُورَةُ الْإِسْرَاءِ.

سورة غافر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ حم } (غافر : 1)

1- الحروفُ المَقَطَّعةُ لم يَرِدْ فيها حَدِيثٌ صَحِيحٌ، واللهُ أَعْلَمُ بِمَعْنَاهَا.

{ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } (غافر : 2)

2- تَنْزِيلُ الْقُرْآنِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يُغْلَبُ، الْعَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ.

{ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ }

(غافر : 3)

3- الَّذِي يَغْفِرُ ذُنُوبَ عِبَادِهِ التَّائِبِينَ مَهْمَا عَظُمَتْ، وَيَقْبَلُ تَوْبَةَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مَهْمَا أَذْنَبُوا، وَهُوَ شَدِيدُ الْعُقُوبَةِ لِمَنْ عَانَدَ وَكَفَرَ، الْغَيْثُ، الْمِتَّفَضِّلُ عَلَى عِبَادِهِ بِالْحَيْرِ وَالنَّعَمِ الْكَثِيرَةِ، لَا مَعْبُودَ بَحَقِّ سِوَاهُ، إِلَيْهِ الْمَأْتُ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

{ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزِرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبِلَادِ } (غافر : 4)

4- لَا يَدْفَعُ الْحَقُّ وَلَا يُجَادِلُ بِالْبَاطِلِ إِلَّا الْجَاهِلُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ الْبَيِّنَةِ، فَلَا تَلْتَمِثُ إِلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنْ ثَرَاءٍ وَنَعِيمٍ، وَصِحَّةٍ وَرَحَاءٍ، مَعَ كُفْرِهِمْ، فَإِنَّهُمْ عَنْ قَرِيبٍ تَنْتَهِي آجَالُهُمْ، وَقَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ.

{ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا }

بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ } (غافر : 5)

5- كَذَّبَ قَبْلَ مُشْرِكِي مَكَّةَ قَوْمُ نُوحٍ نَبِيِّهِمْ، فَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ كَذَّبُوا رَسُولًا، وَكَذَلِكَ الْجَمَاعَاتُ الَّتِي تَحَزَّبَتْ عَلَى مُعَادَاةِ الرُّسُلِ، كَعَادِ وَثَمُودَ وَقَوْمِ فِرْعَوْنَ، فَكَذَّبُوهُمْ، وَهَمَّ كُلُّ مَنْهُمْ أَنْ يُوقِعُوا

بَبَيْهِمْ، مِنْ قَتْلِ، أَوْ أَدَى، وَشَكَّكُوا فِي رِسَالَاتِهِمْ، وَجَادَلُوهُمْ وَعَانَدُوهُمْ، لِيَطْمَسُوا الْحَقَّ وَيَصْرِفُوا النَّاسَ عَنْهُ، فَأَنْزَلْتُ بِهِمْ نِقْمَتِي، فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عُقُوبَتِي شَدِيدَةً فِيهِمْ.

{ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ } (غافر : 6)

6- وكما وجب حُكْمُ اللَّهِ عَلَى الْأُمَّمِ الْمَكْذِبَةِ السَّابِقَةِ بِالْعَذَابِ، كَذَلِكَ يَكُونُ حُكْمُهُ عَلَى مَنْ كَذَّبَكَ وَخَالَفَكَ، لِأَنَّهُمْ جَمِيعًا كَافِرُونَ مُعَانِدُونَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

{ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ } (غافر : 7)

7- إِنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ عَرْشَ الرَّحْمَنِ، وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، يُقَدِّسُونَ اللَّهَ وَيُنَزِّهِونَهُ مِنْ كُلِّ شَرِكٍ وَنَقْصٍ، وَيُتِنُونَ عَلَيْهِ، وَيُؤْمِنُونَ بِهِ إِيمَانًا كَامِلًا عَمِيقًا وَيَخْشَوْنَهُ، وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ الْعَفْوَ وَالْمَغْفِرَةَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، قَائِلِينَ: اللَّهُمَّ إِنَّ رَحْمَتَكَ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَعِلْمُكَ أَحَاطَ بِمَا قَالَهُ عِبَادُكَ الْمُؤْمِنُونَ وَمَا عَمِلُوهُ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَاغْفِرْ ذُنُوبَ التَّائِبِينَ الَّذِينَ أَنَابُوا إِلَيْكَ، وَالتَّزَمُوا صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، وَاحْفَظْهُمْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ.

{ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (غافر : 8)

8- اللَّهُمَّ وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ الْإِقَامَةِ الدَّائِمَةِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ بِهَا، وَاجْمَعْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا مِنْ أَزْوَاجِهِمْ، وَذُرِّيَّاتِهِمْ، لَتَبْتَهَجَ قُلُوبُهُمْ، وَيَكْتَمِلَ سُرُورُهُمْ، فَأَنْتَ الْغَالِبُ الَّذِي لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، الْحَكِيمُ فِيمَا تَفَعَّلُ وَتَقُولُ.

{ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (غافر:

9)

9- وفهم وبال السيئات وسوء عاقبتها، فإن من حفظته منها يوم المؤاخدة والحساب، فقد رحمته وأنقذته من العذاب، وذلك هو الفلاح والسعادة العظمى.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَ قَامَ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَفْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ } { غافر : 10 }

10- إن الكافرين ينادون من قبل الملائكة وهم في سَعِيرِ النَّارِ: إِنَّ بَعْضَ اللَّهِ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا حِينَما كانَ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ فَتُعَانِدُونَ وَتَسْتَكْبِرُونَ عَنِ اتِّبَاعِهِ، أَكْبَرُ مِنْ بُغْضِكُمْ لَأَنْفُسِكُمْ، التي عَرَضْتُمْ لَلْعُقُوبَةِ وَالنَّيْرانِ، بِسَبَبِ ما أَسْلَفْتُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ.

{ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَبْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ } { غافر : 11 }

11- قال أهل النار وهم يتحسرون: اللهم إِنَّكَ أَمَتْنَا مَرَّتَيْنِ، حَيْثَ خَلَقْنَا فِي أَرْحَامِ أُمَّهَاتِنَا قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ، وَعِنْدَ انْقِضَاءِ آجَالِنَا فِي الدُّنْيَا. وَأَخْيَبْتَنَا مَرَّتَيْنِ: حِينَ نَفَخْتَ فِيْنَا الرُّوحَ وَنَحْنُ فِي الْأَرْحَامِ، ثُمَّ إِحْيَاءَنَا لِلْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَقَدْ اعْتَرَفْنَا بِما كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ كُفْرٍ وَتَكْذِيبٍ، فَهَلْ مِنْ طَرِيقَةٍ لِلْخُرُوجِ مِنَ النَّارِ، وَالْعُودَةِ إِلَى الدُّنْيَا، لِنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ، فَإِنَّكَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؟
وقد أُجِيبُوا أَنْ لا خُرُوجَ مِنْها.

{ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ } { غافر : 12 }

12- ذلكم العذاب الذي حق عليكم، لأنَّه إِذا عُبِدَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَدُعِيتُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ جَحَدْتُمْ، وَإِذَا أُشْرِكَ بِهِ غَيْرُهُ وَدُعِيتُمْ إِلَى ذَلِكَ، كَعِبَادَةِ اللَّاتِ وَالْعُزَّى، صَدَقْتُمْ وَاسْتَجَبْتُمْ، فَالْقَضَاءُ الْحَقُّ فِي أَمْرِكُمْ هُوَ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الَّذِي لا يعلو عليه شيء، الْكَبِيرِ الَّذِي لا أَكْبَرَ مِنْهُ وَلا أعْظَمَ.

{ هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ وَيُنزِّل لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ } (غافر : 13)

13- هُوَ اللَّهُ الَّذِي يُظْهِرُ لَكُم دَلَائِلَ عَظِيمَةً مِّنْ خَلْقِهِ لِتَسْتَدِلُّوا بِهَا عَلَى تَوْحِيدِهِ وَتَتَعَرَّفُوا قُدْرَتَهُ، وَيُنزِّلُ لَكُمُ الْمَطَرَ مِنَ السَّحَابِ لِتَنْبُتَ بِهِ الزُّرُوعُ وَالنَّمَارُ وَتَكُونَ رِزْقًا لَكُم، وَلَا يَعْتَبِرُ بِهَذَا إِلَّا مَن تَفَكَّرَ وَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ هُوَ الرَّازِقُ، ذُو الْفَضْلِ عَلَى عِبَادِهِ.

{ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } (غافر : 14)

14- فَاعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَادْعُوهُ وَحْدَهُ، وَلَوْ أَبْغَضَكُمُ الْمُشْرِكُونَ فِي هَذَا وَكَرِهُوا إِخْلَاصَكُم فِي الْعِبَادَةِ.

{ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ } (غافر : 15)

15- وَعَرْشُ اللَّهِ عَظِيمٌ، عَالٍ عَلَى جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ، ذُو الْمَقَامِ الْعَالِي، يُنزِلُ الْوَحْيَ بِأَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، مَمَّنِ اصْطَفَاهُمْ لِلنَّبُوءَةِ، لِتَحْيَا بِهِمُ الْقُلُوبُ، وَلِيُنذِرُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

{ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } (غافر : 16)

16- فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ، يَكُونُ أَهْلُ الْمِحْشَرِ جَمِيعًا ظَاهِرِينَ، لَا يَسْتُرُهُمْ شَيْءٌ. وَلِمَن يَكُونُ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ؟ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَهُوَ الْمُتَقَرِّدُ بِالْمُلْكِ، الَّذِي فَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ وَغَلَبَهُ.

{ الْيَوْمَ بُحْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظَلَمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } (غافر : 17)

17- وَفِي هَذَا الْيَوْمِ الْمُخْوفِ، تُحَاسِبُ كُلُّ نَفْسٍ عَلَى مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَبُحْزَى عَلَى ذَلِكَ إِثَابَةً أَوْ عُقُوبَةً، وَلَا ظَلَمَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَالْحَاكِمُ فِيهِ هُوَ اللَّهُ الْحَكَمُ الْعَدْلُ، لَا يَنْقُصُ مِنْ ثَوَابِ أَحَدٍ، وَلَا يَزِيدُ فِي عُقُوبَةِ أَحَدٍ. وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ، عَلَى كَثْرَةِ الْخَلْقِ، وَكَثْرَةِ مَا عَمِلُوا.

{ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبِ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ } (غافر : 18)

18- وَخَوْفُهُمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْقَرِيبِ، عِنْدَمَا تَرْتَفِعُ الْقُلُوبُ لِتَبْلُغَ الْحَنَاجِرَ، مِنْ الْخَوْفِ وَالْهَلَعِ، لِمَا فِيهِ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ، وَهُمْ سَاكِتُونَ مَكْرُوبُونَ، قَدْ مَلِئُوا خَوْفًا وَحُزْنًا، لَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِ مِنَ اللَّهِ، وَلَيْسَ لِلْكَافِرِينَ يَوْمَئِذٍ قَرِيبٌ يَنْفَعُهُمْ وَيُشْفِقُ عَلَيْهِمْ، وَلَا شَفِيعٌ يُسْمَعُ لَهُ كَلَامٌ وَيُطَاعُ.

{ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ } (غافر : 19)

19- وَعَلِمَ اللَّهُ مُحِيطٌ بِأَحْوَالِ الْإِنْسَانِ كُلِّهَا، إِنَّهُ يَعْلَمُ الْحَرَكَةَ الْخَفِيَّةَ وَالنَّظْرَةَ الْخَائِنَةَ فِي الْعَيْنِ، وَإِنْ لَمْ تَبْدُ فِي ظَاهِرِهَا كَذَلِكَ⁽¹³⁵⁾، وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّهُ النَّفُوسُ وَتُكِنُّهُ الضَّمَائِرُ.

{ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } (غافر : 20)

20- وَاللَّهُ يَحْكُمُ بِالْعَدْلِ، وَهَذِهِ الْأَصْنَامُ وَالْأَنْدَادُ الَّتِي اتَّخَذَهَا الْمُشْرِكُونَ آلِهَةً، لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَحْكُمُوا بِشَيْءٍ، فَهَمْ جَمَادَاتٌ لَا تَسْمَعُ وَلَا تَتَكَلَّمُ، وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لِأَقْوَالِ خَلْقِهِ، الْبَصِيرُ بِأَحْوَالِهِمْ، بِمَا كَانَ مِنْهُمْ وَمَا يَكُونُ.

{ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ } (غافر : 21)

(135) { خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ } أَي: النَّظْرَةَ الْخَائِنَةَ لِلْأَعْيُنِ. وَإِسْنَادُ الْخِيَانَةِ إِلَى النَّظْرَةِ مجاز؛ لِأَنَّ الْخَائِنَ هُوَ النَّازِلُ... وَالْخِيَانَةُ مَخَالِفَةُ الْحَقِّ بِنَقْضِ الْعَهْدِ فِي السَّرِّ، وَنَقِيضُهَا الْأَمَانَةُ. وَالْمَرَادُ هُنَا: اسْتِرَاقُ النَّظَرِ إِلَى غَيْرِ الْحَرَمِ، كَفَعْلِ أَهْلِ الرِّيبِ، وَالنَّظْرَةُ الثَّانِيَةُ... (رُوحُ الْبَيَانِ، بِاخْتِصَارِ).

21- أولم يُسافرِ المشركونَ فيَنظُرُوا في آثارِ الذينَ أهلَكناهمُ ممَّن كانوا قَبْلَهُم، كَثْمودَ وعادِ وقومِ لوط، وقد كانوا أكثرَ قوَّةً وتمكُّناً منهم، وأكثرَ آثارًا وعمُرانًا، فانْتَقَمَ اللهُ منهم وأهلَكهم، ولم تُغنِ عنهم قوَّتُهُم شيئًا، ولم يَمْنَعَهُم مِنْ عَذابِ اللهِ مانِع.

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدٌ
الْعِقَابِ} (غافر : 22)

22- لقد أصابهمُ الهلاكُ جزاءَ كُفْرِهِمْ وجرائمِهِمْ، فقد كانت تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالآياتِ الواضِحَاتِ، والمعْجِزَاتِ البَيِّنَاتِ، الدَّالَّةِ على صِدْقِ نَبْوَّتِهِمْ، وصِحَّةِ رِسالَتِهِمْ، فحَدُوا بها، وأصْرُوا على الكُفْرِ، فأهلَكهمُ اللهُ، إِنَّهُ ذو قوَّةٍ عَظِيمَةٍ فلا يُقهر، وعِقابُهُ شَدِيدٌ لمنْ عَصاه.

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ} (غافر : 23)

23- ولقد أرسلنا موسى بنَ عمرانَ بمُعْجِزَاتِنَا، وحُجَّةٍ بَيِّنَةٍ ظاهِرَةٍ تَدُلُّ على صِدْقِ نَبْوَّتِهِ،

{إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ} (غافر : 24)

24- إلى فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصرَ المتكَبِّرِ، ووَوزِيهِ هَامَانَ، وقَارُونَ الثَريِّ المَغرورِ، فكذَّبوه، وقالوا: ما هذا إلا سَاحِرٌ، يدَّعي النبوَّةَ كذِبًا.

{فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا
كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} (غافر : 25)

25- فلَمَّا جَاءَهُم بمُعْجِزَاتِ قاطِعَةٍ، ولم يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنَ السَّحَرَةِ وَغَيْرِهِمْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهَا، ولم يَقْدِرُوا على رَدِّ الحُجَجِ والبراهينِ التي جَاءَهُمْ بها موسى عليه السَّلَامُ، لجؤوا إلى القوَّةِ والظُّلمِ، وقالوا: أَعِيدُوا قَتْلَ أَبْنَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، وأبْغُوا على نِسائِهِمْ لِلخِدْمَةِ؛ لِيَصْدُوهُمْ بِذَلِكَ عَنْ مُتَابَعَةِ موسى. ولكنَّ حُطْطَهُمْ وأحاييلَهُمْ في الفَتكِ بالمؤمنينَ لن تُفِيدَهُمْ، فالعاقِبَةُ لَهُم مَهْمَا فَعَلُوا بِهِمْ، ولنْ يُفْلِحَ الظَّالِمونَ.

{ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ } (غافر : 26)

26- وقال فرعون لأصحاب الرأى والمشورة عنده: دعوني أقتل موسى، وليستنصر ربه عليّ بما شاء، فلا أبالي بذلك، إنى أحشى إن لم أقتله أن يبدل ما أنتم عليه من عبادتي وعبادة الأصنام، أو أن يفسد عليكم أمر دنياكم، فيقتل الناس ويضيع الحقوق!

{ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّي عُدْتُ لِرَبِّي رَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ } (غافر: 27)

27- وقال موسى عليه السلام لما سمع حديث قتله: إنى التجأت إلى الله، واستجرت به من شر كل مستكبر لا يدع للحق، ولا يؤمن بيوم الحساب والجزاء.

{ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ } (غافر : 28)

28- وقال لهم رجل مؤمن من قوم فرعون، قد كتم إيمانه: كيف تقتلون رجلاً لا ذنب له إلا أنه يقول ربى الله، ولم يقصدكم بإيداء، وقد أتد قوله بالدليل والبرهان، فإذا كان كاذباً في قوله فإن وبال ذلك يعود عليه، ولن يضركم بشيء، وإذا كان صادقاً فإن أقل ما في صدقه أن يصيبكم بعض ما توعدكم به، ولو كان مسرفاً في القتل والفساد، وكاذباً في ادعاء النبوة، لما هداه الله إلى البينات، ولما أتده بالمعجزات؟ وفي ذلك تعريض بفرعون وفساده.

{ يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ } (غافر : 29)

29- وقال وهو ينصحهم بحكمة: يا قوم، إن لكم الحكم والملك اليوم على بني إسرائيل في أرض مصر، فمن يُنقذنا من عذاب الله إن حل بنا؟ فلا تُفسدوا أمركم، ولا تتعرضوا لسخط الله، واحذروا نقمته، فإنه لن نغني عنكم قوتكم أمام قوّة الله.

قال فرعونُ لملكه بعدما سمعَ كلامَ المؤمن: لا أشيرُ عليكم إلا بقتله، وما أدعوكم بهذا الرأي إلا إلى طريقِ الصَّلاحِ والصَّوابِ.

{ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ } (غافر : 30)

30- وقال لهم ذلك الرَّجُلُ المؤمن: يا قوم، إنِّي أخافُ عليكم العُقوبةَ كما حلَّتْ بالأقوامِ الذين تخزَّبوا على تكذيبِ رسلهم.

{ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ } (غافر : 31)

31- مثلُ عَادَةِ قَوْمِ نُوحٍ، وعَادِ قَوْمِ هُودٍ، وَثَمُودِ قَوْمِ صَالِحٍ، والَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنَ الكَافِرِينَ، كَقَوْمِ لُوطٍ، الَّذِينَ اعتادُوا على إيذاءِ رسلهم. وقد أصابهم العذابُ بسببِ ذُنُوبِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ، ولم يظلمهم اللهُ، بل استوجبوا ذلك بأعمالهم.

{ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ } (غافر : 32)

32- يا قوم، إنِّي أخافُ عليكم يَوْمَ الحِسابِ والجزاء، الذي ينادى فيه النَّاسُ ويتصايحون، ويستغيثون فيه ويفزعون.

{ يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مِمَّا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } (غافر : 33)

33- في ذلكَ اليَوْمِ الرَّهيبِ، الذي تنصرفون فيه - أيها الكافرون - مِنْ مَوْقِفِ الحِشْرِ إلى حيثُ جهنم، لا يقدرُ على منعكم من عذابِ اللهِ أحد، ومن أضلَّهُ اللهُ فلا هادي له. والله أعلم بمن يستحقُّ الهدى ومن يستحقُّ الضلال.

{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ } (غافر : 34)

34- ولقد جاءكم نبيُّ الله يوسفُ بنُ يعقوبَ قبلَ موسى بالأدلةِ الظاهرةِ على صدقِ نُبوتهِ، وصحَّةِ رسالتهِ، فكنتُمْ لا تزالونَ في شكٍّ وتردُّدٍ من صدقِ ما دعا إليه من التَّوحيدِ، حتَّى إذا ماتَ بقيتُمْ على كُفركم، وظننتُمْ أنَّ اللهَ لن يبعثَ من بعده رسولاً إليكم. والمخاطبونَ أهلُ مصرَ من الأقباط، أو هو من قبيلِ خطابِ الأولادِ بأحوالِ الآباء. ومثِلِ الحالِ التي أنتم عليها من الشكِّ والكُفرِ والتكذيبِ، يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُشْرِكٌ شاكٌّ.

{الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ } (غافر : 35)

35- الذين يُناقشونَ من غيرِ دليلٍ يتمسكونَ به أصلاً، ويدفعونَ الحقَّ بالباطلِ، ويُجاهدونَ في طمسِ الحقِّ وأدليلتهِ، عَظُمَ بُغْضًا وكُرْهًا عندَ اللهِ وعندَ عبادهِ المؤمنينَ جداهمُ الباطلُ الذي لا يزالونَ قائمينَ عليه. ومثِلِ هذهِ الصِّفاتِ التي هُمَ عليها، يَحْتِمُ اللهُ على قلوبِ المتكبرينَ المتجبرينَ بالضلالِ، الذينَ يستكبرونَ عن الإيمانِ، ولا يقبلونَ الحقَّ.

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ بِي صَرِحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ } (غافر : 36)

36- وقالَ فرعونُ المتكبرُ لوزيرهِ هامانَ: يا هامانُ ابنِ بي بناءً عاليًا لعلِّي أصلُ إلى الطُّرُقِ،

{أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ } (غافر : 37)

37- طُرُقَ السَّمَاوَاتِ وأبوابها، فأدخَلَ من سماءٍ إلى أخرى، فأنظرُ إلى إلهِ موسى، وإني أظنُّهُ كاذبًا في ادِّعائه أنَّ له إلهًا غيري. وكذلك حُسنَ فرعونَ سُوءِ صنيعه، وزينَ في قلبه ادِّعاءُ الألوهيَّةِ وتضليلِ النَّاسِ بذلك، وأبعدَ عن نَهجِ الحقِّ والصَّوابِ. وما يُخَطِّطُ له فرعونُ من حيلٍ ومكائدٍ وادِّعاءاتٍ هباءً وخسارة.

{ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ } (غافر : 38)

38- وَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ: يَا قَوْمِ، امْتَبِعُوا أَمْرِي وَاتَّبِعُونِي، أُرْشِدْكُمْ إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى وَالنَّجَاةِ، لَا كَمَا يَقُولُ فِرْعَوْنُ.

{ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ } (غافر : 39)

39- يَا قَوْمِ، إِنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا اسْتِمْتَاعٌ يَسِيرٌ يَزُولُ بَعْدَ حِينٍ، وَالذَّارُ الْآخِرَةُ هِيَ الَّتِي فِيهَا الْحَيَاةُ الْحَقِيقِيَّةُ، الَّتِي لَا تَزُولُ وَلَا تَنْقَطِعُ.

{ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ } (غافر : 40)

40- مَنْ عَمِلَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا سَيِّئَةً، فَلَا يُعَاقَبُ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ عَلَى تِلْكَ السَّيِّئَةِ، قَضَاءً عَدْلًا مِنَ اللَّهِ، وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا حَسَنًا، ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى، وَهُوَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَيُكَافَأُونَ فِيهَا بِدُونِ حِسَابٍ، وَيُضَاعَفُ لَهُمُ الثَّوَابُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً.

{ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ } (غافر : 41)

41- وَيَا قَوْمِ، مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى مَا فِيهِ فَوْزُكُمْ وَبِحَاثِكُمْ، وَأَنْتُمْ تَدْعُونَنِي إِلَى مَا يَكُونُ مَصِيرُهُ النَّارَ؟

{ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَقَّارِ } (غافر : 42)

42- تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ بِالْإِلَهِ الْحَقِّ، وَأُقِرَّ بِشْرِيكَ لَهُ فِي الْعِبَادَةِ، وَهُوَ جَهْلٌ، وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، الْعَزِيزِ الْمُنْتَقِمِ الَّذِي لَا يُغْلَبُ فِي شَيْءٍ، الْعَقَّارِ لِدُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

{ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ } (غافر : 43)

43- لقد ثبت أن ما تدعونني إليه من عبادة الأصنام، لا حقيقة له في الحياة الدنيا ولا في الآخرة، فهي حجارة صماء بكماء، لم يسمعها أحد تدعو إلى عبادتها، ولم تنطق مرةً بكونها آلهة، فهي لا تستجيب لنداء دعائها، ويوم القيامة تتبرأ من عابديها، فكيف تدعونني إلى عبادتها؟ فاتقوا الله واحذروا، فإن مصيرنا ومرجعنا جميعاً إلى الله يوم القيامة، فيحاسب كلًّا بما كان عليه، ويجازيه بما يستحق، وإن المشركين المستكبرين عن اتباع الحق، جزاؤهم الخلود في النيران.

{ فَسْتَذَكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } (غافر : 44)

44- أقول لكم هذا في الحياة الدنيا، ويأتي اليوم الذي تتذكرون فيه هذا الكلام جيداً، عندما تُعابنون العذاب. وأستعين بالله وأتوكل عليه، وهو بصيرٌ بأحوال عباده وما تُكنه قلوبهم، فيهدي من يستحق الهداية، ويضل من يستحق الضلال.

{ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكَّرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ } (غافر : 45)

45- فنجى الله عبده المؤمن من مكائد آل فرعون وما أرادوا به من الشر، وأحاط بهم العذاب، فعوقبوا بالغرق في الدنيا، وبالنار في الآخرة.

{ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ }

(غافر : 46)

46- وتعرض أرواحهم على النار صباحاً ومساءً في الحياة البرزخية، وهم في قبورهم، وعند قيام الساعة يُقال للملائكة: أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ عَذَابٍ فِي جَهَنَّمَ وَأَكْثَرُهُ أَلْمًا.

{وَإِذْ يَتَحَايُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ} (غافر : 47)

47- واذكُرْ عندما يَتَحَايَ صَمُّ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ، فَيَقُولُ الضُّعْفَاءُ مِنَ الْأَتْبَاعِ الَّذِينَ أَذَلُّوا أَنْفُسَهُمْ، لِقَادَتِهِمْ وَكِبْرَائِهِمْ الَّذِينَ كَانُوا يَدْعُوهُمْ إِلَى أَفْكَارِهِمْ وَنَظَرِيَّاتِهِمْ: لَقَدْ كُنَّا تَابِعِينَ لَكُمْ، نَصَدَّقُكُمْ فِيمَا تَقُولُونَ، وَنُكَذِّبُ مَا تُكذِّبُونَ، فَهَلْ تَنْفَعُونَنَا فِي هَذَا الْمَوْقِفِ شَيْئًا، وَتَدْفَعُونَ عَنَّا قِسْمًا مِنْ هَذَا الْعَذَابِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ؟

{قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ} (غافر : 48)

48- قَالَ الْقَادَةُ الْمُسْتَكْبِرُونَ: لَقَدْ حَقَّتْ كَلِمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا جَمِيعًا: الضَّالِّ وَالْمُضِلُّ، فَنَحْنُ جَمِيعًا نُعَاقِبُ فِي النَّارِ. لَقَدْ قَضَى اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَانْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ، فَأَهْلُ الْجَنَّةِ خَالِدُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ خَالِدُونَ فِي النَّارِ.

{وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ} (غافر: 49)

49- وَلَمَّا اشْتَدَّتْ بِهِمُ النَّارُ، وَضَاقَتْ بِهِمُ الْحَيْلُ، قَالُوا لِلْمَلَائِكَةِ الْمُؤَكَّلِينَ بِتَعْذِيبِ أَهْلِ النَّارِ: ادْعُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ أَنْ يُخَفِّفَ عَنَّا وَلَوْ مِقْدَارَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْعَذَابِ.

{قَالُوا أَوْمَ تَكُ تَأْتِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} (غافر : 50)

50- قَالَ لَهُمُ الْخِزْنَةُ: أَمَا كَانَ الْأَنْبِيَاءُ الْمُرْسَلُونَ إِلَيْكُمْ يَأْتُونَكُمْ بِالْأَدْلَةِ الْوَاضِحَةِ، وَالْحُجَجِ الْمَقْنَعَةِ، الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِمْ وَصِحَّةِ رِسَالَتِهِمْ؟ قَالُوا: بَلَى، قَدْ أَتَوْنَا بِهَا، فَكذَّبْنَا بِهِمْ. قَالَ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: فَادْعُوا أَنْتُمْ، فَإِنَّا لَا نَدْعُو لِلْكَفَرَةِ الْمُجْرِمِينَ، الْعَاصِينَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَدُعَاءُ الْكَافِرِينَ بَاطِلٌ لَا نَفْعَ فِيهِ، لَا يُجْدِي وَلَا يُسْتَجَابُ.

{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} (غافر : 51)

51- إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا، وَاتَّبَاعَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، بِالْحُجَّةِ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ، أَوْ بَغَلَبَتْهُمْ، فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَفِي الْآخِرَةِ، بِحُضُورِ مَنْ يَشْهَدُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ. وللانصارِ صُورٌ شَتَّى فِي الدُّنْيَا، وَلَا يَقْتَصِرُ عَلَى الْغَلْبَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَالْعِبْرَةِ بِالْعَوَاقِبِ، وَإِنْ ظَهَرَ ذَلِكَ بَعْدَ مُدَّةٍ.

{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَهُمْ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} (غافر : 52)

52- فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَا يُقْبَلُ عُذْرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا فِدْيَةٌ، وَجَزَائِهِمُ الْبُعْدُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَمَكَائِهِمْ جَهَنَّمَ، أَسْوَأُ مَرَجِعٍ وَمَأْوَى.

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ} (غافر : 53)

53- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى بِنَ عِمْرَانَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْوَحْيِ، مَا يُهْتَدَى بِهِ إِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَأَبْقَيْنَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ التَّوْرَةَ.

{هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ} (غافر : 54)

54- فِيهَا هِدَايَةٌ مِنَ الضَّلَالِ، وَتَذَكِيرٌ وَعِظَةٌ، لِأَصْحَابِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ.

{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} (غافر : 55)

55- فَاصْبِرْ عَلَى أَدَى الْمُشْرِكِينَ وَتَكْذِيبِهِمْ أَيْهَا الرُّسُولِ، فَإِنَّ وَعْدَ اللَّهِ لَكَ وَلَا تُبَاعِكَ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّصْرِ حَقٌّ، فَأَقْبِلْ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ وَاسْتَعِزْ بِهِ، وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ - وَفِيهِ تَرْبِيَةٌ لِلنَّفْسِ وَتَرْكِيَةٌ لِلْقَلْبِ - وَنَزَّ اللَّهُ مِنَ النَّقْصِ وَالشَّرِيكِ بِذِكْرِهِ، وَاتْنِ عَلَيْهِ وَاشْكُرْ لَهُ فَضْلَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ.

{إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِعَيْرِ سُلطَانٍ أَنَّهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (غافر : 56)

56- إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ بِالْبَاطِلِ، وَيَدْفَعُونَ دَلَائِلَ اللَّهِ الْوَاضِحَةَ بِالشُّبُهَةِ الْفَاسِدَةِ، وَهُمْ لَا حُجَّةَ عِنْدَهُمْ وَلَا بُرْهَانَ، وَإِنَّمَا يُقَدِّمُونَ عَلَى ذَلِكَ لِكِبَرٍ فِي قُلُوبِهِمْ وَحَسَدٍ مِنْهُمْ، وَلَنْ يَبْلُغُوا مَا يُؤْمَلُونَهُ مِنْ اسْتِعْلَاءٍ وَغَلْبَةٍ عَلَيْكَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَازِنُهُمْ وَمُذِلُّهُمْ. فَالْتَجِئْ إِلَى اللَّهِ وَاعْتَصِمْ بِهِ مِنْ حَالِ هَؤُلَاءِ الْمُجَادِلِينَ، إِنَّهُ سَمِيعٌ لِقَوْلِكُمْ، بَصِيرٌ بِأَحْوَالِكُمْ.

{ لَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (غافر : 57)

57- إِنَّ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْعَظِيمَتَيْنِ، وَمَا بَثَّ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَحَدَّهَا مِنْ مَلَائِكَةِ الْجُحُومِ وَالْكَوَاكِبِ الْمُتَنَائِرَةِ، مَعَ تَوَازُنٍ وَتَنَاسُقٍ وَنِظَامٍ دَقِيقٍ، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مَاءٍ وَنَبَاتٍ وَشَجَرٍ، وَبِحَارٍ وَقِفَارٍ، وَمَعَادِنَ وَكُنُوزٍ، وَغَيْرِهَا... كُلُّ هَذَا أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُفَكِّرُونَ فِيهِ، وَلَا يَتَصَوَّرُونَ عَظَمَةَ هَذَا الْكَوْنِ الْكَبِيرِ وَنِسْبَتَهُمْ إِلَيْهِ، وَلَا يَسْتَدِيلُونَ بِهِ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى عَلَى إِعَادَةِ إِحْيَائِهِمْ بَعْدَ الْمَوْتِ.

{ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ } (غافر : 58)

58- وَلَا يَسْتَوِي الْكَافِرُ الَّذِي لَا يُبْصِرُ شَيْئًا وَالْبَصِيرُ الَّذِي يَرَى مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ، وَكَذَلِكَ لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُونَ الصَّالِحُونَ وَالْكَافِرُونَ الْمُسِيءُونَ. مَا أَقَلَّ مَا تَتَذَكَّرُونَ هَذَا!

{ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ } (غافر : 59)

59- إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آتٍ لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُصَدِّقُونَ وَقَوْعَهُ، فَهُمْ عَلَى عَقِيدَةٍ ضَالَّةٍ مُنْحَرِفَةٍ، وَمُلْتَهُونَ بِالْدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

{ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } (غافر : 60)

60- وَقَالَ اللَّهُ رَبُّكُمْ: اسْأَلُونِي يَا عِبَادِي أُعْطِيكُمْ، وَاَعْبُدُونِي وَحْدِي أُثْبِتْكُمْ عَلَى طَاعَتِكُمْ. وَالِدُعَاءِ وَالْعِبَادَةِ تَذَلُّلٌ وَخُضُوعٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَيُحِبُّ أَنْ يُعْطَى. إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي وَدُعَائِي، يَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ أَذَلَّةً صَاغِرِينَ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ حُسْنَ الطَّاعَةِ وَالرِّضَى.

{ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ } (غافر : 61)

61- هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ مُظْلِمًا هَادِيًا لِتَسْكُنُوا وَتَسْتَرِيحُوا فِيهِ مِنْ تَعَبِ النَّهَارِ، وَجَعَلَ النَّهَارَ مُضِيئًا لِتَتَمَكَّنُوا فِيهِ مِنَ الْحَرَكَةِ وَالْعَمَلِ وَالسَّفَرِ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ وَإِنْعَامٍ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ نِعْمَهُ. وَقَدْ يَشْكُرُونَ مَعْرُوفَ النَّاسِ وَلَا يَنْسَوْنَ فَضْلَهُمْ! وَهَذَا مِنْ جَهْلِهِمْ بِالْمِنْعَمِ الْأَوَّلِ وَالْأَكْبَرِ، وَغَفَلَتِهِمْ عَنْ أَصْلِ النِّعْمَةِ.

{ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } (غافر : 62)

62- إِنَّهُ رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، لَا إِلَهَ فِي الْكَوْنِ غَيْرُهُ، فَكَيْفَ تُصِرُّونَ إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِهِ؟

{ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } (غافر : 63)

63- وَكَمَا ضَلَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فَعَبَدُوا غَيْرَ اللَّهِ، كَذَلِكَ كَانَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَبْلِهِمْ، ضَلُّوا عَنِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، فَكَفَرُوا بِالْمُعْجَزَاتِ الظَّاهِرَةِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ.

{ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } (غافر : 64)

64- هُوَ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مُسْتَقَرًّا مُمَهَّدًا لِتَتَمَكَّنُوا مِنَ الْعَيْشِ عَلَيْهَا وَالتَّصَرُّفِ فِيهَا، وَجَعَلَ السَّمَاءَ كَالسَّقْفِ وَالقُبَّةِ فَوْقَكُمْ، وَجَعَلَكُمْ فِي أَحْسَنِ الْأَشْكَالِ مِنْ بَيْنِ الْخَلْقِ،

ورزقكم من الأَطعمَةِ والثَّمَرَاتِ الطَّيِّبَةِ الْمَسْتَلَذَّةِ، ذَلِكُمْ الْمِنْعَمُ عَلَيْكُمْ هُوَ اللهُ، خَالِقُكُمْ وَرَازِقُكُمْ، فَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ رَبُّ الْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ، مَا لِكُ أَمْرِهِمْ وَالْمَتَصَرِّفُ فِي شُؤُونِهِمْ.

{هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (غافر : 65)

(

65- هُوَ الْحَيُّ الْبَاقِي الَّذِي لَا يَمُوتُ، لَا إِلَهَ يُعْبَدُ بِحَقِّ سِوَاهُ، فَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ، وَأَخْلِصُوا لَهُ فِي الطَّاعَةِ، وَالْحَمْدُ وَالشَّنَاءُ كُلُّهُ، لِرَبِّ الْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ.

{قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} (غافر : 66)

66- قُلْ لِهَوْلَاءِ الْمَصْرِيِّينَ عَلَى الشَّرْكِ، قَطْعًا لِأَطْمَاعِهِمُ الْفَاسِدَةِ: إِنِّي مُنِعْتُ وَصُرِفْتُ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي تَدْعُونَ أَهْمًا آلِهَةً وَتَعْبُدُونَهَا، وَهِيَ لَا تَسْمَعُ وَلَا تَتَكَلَّمُ، وَلَا تَنْصُرُ وَلَا تَنْفَعُ، لَمَّا جَاءَنِي الْحُجُجُ وَالْآيَاتُ مِنَ اللَّهِ، الَّتِي تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَلَى فُسَادِ الْأَصْنَامِ، وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْتَسَلِّمَ لِأَمْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَخْلِصَ لَهُ طَاعَتِي وَعِبَادَتِي.

{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِيَبْلُغُوا أَجْلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (غافر : 67)

67- هُوَ الَّذِي خَلَقَ أَصْلَكُمْ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَكُمْ مِنْ نُطْفَةٍ، وَهُوَ الْمَنِيَّ، فَإِذَا اسْتَقَرَّ فِي رَحِمِ الْمَرْأَةِ وَبَقِيَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، نَحْوَلْ إِلَى عَلَقَةٍ، وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ الدَّمِ الْعَلِيظِ الْمَتَّحِمِّدِ، الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِجِدَارِ الرَّحِمِ، ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ طِفْلًا ضَعِيفًا لَا حِيلَةَ لَهُ، ثُمَّ تَكْبُرُونَ فَتَقْوَى أَجْسَامُكُمْ وَتَكْتَمِلُ حَوَاشِكُمْ، ثُمَّ تَتَقَدَّمُونَ فِي الْعُمُرِ وَتَشِيخُونَ، وَمِنْكُمْ مَنْ يَمُوتُ قَبْلَ أَنْ يَشِبَّ أَوْ يَشِيخَ. وَلِيَبْلُغُوا جَمِيعًا سِنًّا مُعَيَّنَةً لَا تَتَجَاوَزُونَهُ، هُوَ أَجْلُ مَوْتِكُمْ الَّذِي حُدِّدَ لِكُلِّ مِنْكُمْ، لَعَلَّكُمْ بِهَذَا الْبَيَانِ تَتَفَكَّرُونَ وَتَعْتَبِرُونَ، وَإِنَّكُمْ إِلَى الْمَوْتِ صَائِرُونَ، وَسَتَحْيُونَ بَعْدَمَا تَمُوتُونَ.

{ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } (غافر : 68)

68- هُوَ اللهُ الَّذِي يُحْيِي الْأَمْوَاتَ وَيُمِيتُ الْأَحْيَاءَ، فَإِذَا أَرَادَ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ قَالَ لَهُ كُنْ، فَيَكُونُ كَمَا يُرِيدُ، دُونَ مُخَالَفَةٍ وَلَا مُمَانَعَةٍ.

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ } (غافر : 69)

69- أَلَا تَعَجَّبُ أَيُّهَا الرَّسُولُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ الْبَيِّنَةِ، بِأَرَائِهِمُ الْفَاسِدَةِ وَأَقْوِيلِهِمُ الْبَاطِلَةَ، وَكَيْفَ يُصْرَفُونَ بِهَذَا عَنْ دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ؟

{ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } (غافر : 70)

70- الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبِسَائِرِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا عَلَىٰ رُسُلِنَا، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ مَا يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ.

{ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ } (غافر : 71)

71- عِنْدَمَا تَكُونُ أَغْلَالُ الْحَدِيدِ وَالسَّلَاسِلُ مُطَوَّقَةً بِأَعْنَاقِهِمْ، يَجْرَهُمْ بِهَا مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ.

{ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ } (غافر : 72)

72- فِي مَاءٍ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ مَسْحَنٍ عَلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ، ثُمَّ فِي النَّارِ يُحْرَقُونَ بِلَهَبِهَا وَهِيَ جَانِهَا.

{ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ } (غافر : 73)

73- ثُمَّ قِيلَ لِأَهْلِ النَّارِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: أَيْنَ هِيَ الْأَصْنَامُ الَّتِي كُنْتُمْ تُشْرِكُونَهَا مَعَ اللَّهِ؟

{ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ

{ الْكَافِرِينَ } (غافر : 74)

74- وَتَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِهِ سُبْحَانَهُ؟ قَالُوا: لَقَدْ غَابَتْ عَنَّا، أَوْ ذَهَبَتْ فَلَمْ تَنْفَعْنَا بِشَيْءٍ. ثُمَّ قَالُوا كَاذِبِينَ: بَلْ لَمْ نَكُنْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فِي الدُّنْيَا، كَمَا قَالُوا: {وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [سورة الأنعام: 23]. وهكذا يُضِلُّ اللهُ الكافرين، فلا يدرون بماذا يُجيبون، أو إذا أجابوا يكذبون!

{ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ} (غافر : 75)

75- وهذا الذي عُوقِبْتُمْ بِهِ فِي جَهَنَّمَ، هُوَ جَزَاءُ مَا كُنْتُمْ تَأْشُرُونَ وَتَبْطُرُونَ، وَتَظْلِمُونَ وَتُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ، بِغَيْرِ مَا وَجَّهَ حَقٌّ، وَمَا كُنْتُمْ تَتَوَسَّعُونَ فِي الْأَفْرَاحِ وَالْمَلذَّاتِ، وَتَنْسَوْنَ أَمْرَ رَبِّكُمْ.

{ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} (غافر : 76)

76- وقيل لهم: ادخلوا جهنم من أبوابها المقسومة لكم، ما كنتم فيها أبدأ، فبئس المنزل النار المستعرة لمن استكبر عن اتباع الحق، وأصرَّ على الكفر والضلال.

{فَاصِرٍ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّا يُرْجِعُونَ}

(غافر : 77)

77- فاصِرٍ على تكذيبهم لك، فَإِنَّ مَا وَعَدَكَ اللهُ بِهِ مِنَ النَّصْرِ عَلَيْهِمْ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ، فَإِمَّا أَنْ نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي أَوْعَدْنَاكَ بِهِ، وَهُوَ الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ، وَهُوَ مَا حَدَّثَ فِي بَدْرٍ وَفَتْحِ مَكَّةَ، أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ ذَلِكَ، فَيُرْجَعُونَ إِلَيْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَنَحَاسِبُهُمْ عَلَى مَا عَمِلُوا، وَنُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ. فَأَنْتَ الْمُنْتَصِرُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَهُمْ الْمَخْذُولُونَ الْخَاسِرُونَ.

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِي بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ} (غافر : 78)

78- وقد بعثنا رسلاً كثيراً إلى أقوامهم، قبل إرسالك، منهم من أوردنا أخبارهم وقصصهم لك في القرآن، وكيف كذبوا وصبروا، ومنهم من لم نذكرهم، وهم الأكثر. وما كان لني أن يأتي بمعجزة إلا بأمر الله، فإذا جاء أمر الله بالعقوبة، في الحياة الدنيا أو في الآخرة، حكم بالعدل بين الرسل ومكذبيهم، بإنجاء المحق، وإهلاك المبطل وتعذيبه، وخسر يومئذ المصرون على الباطل.

{اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} (غافر : 79)

79- هو الذي خلق لكم الأنعام، من الإبل والبقر والغنم والمعز، وسخرها لكم، فتركبون بعضها وتحملون عليها، وتأكلون لحوم بعضها الآخر.

{وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ} (غافر : 80)

80- ولكم فيها منافع أخرى غير الركوب والأكل، كسرب البانها، والاستفادة من أصوافها وأوبارها وجلودها، لصنع الثياب والأحذية والأمتعة منها، ولتبلغوا بواسطتها أموراً تخصكم وتقتضي حاجات لكم، كحمل الأثقال عليها والتنقل بها من بلد إلى آخر، وتحملون عليها في البر، كما تحملون على السفن في البحر، وقد سخر الله لكم كل ذلك وهيأه لمنافعكم.

{وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ} (غافر : 81)

81- ويريكُم الله بذلك دلائل قدرته وعظمته، فأياً من هذه الآيات العظيمة تُنكرون؟ إلا أن تُعانِدوا وتكابروا.

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَاراً فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (غافر : 82)

82- أولم يُسافرِ المشركونَ فيَنْظُرُوا في آثارِ الذينَ أهلكناهم مِمَّنْ كانوا قَبْلَهُمْ، كَثْمُودَ وَعَادِ وَقَوْمِ لُوطٍ، وقد كانوا أقوى منهم أبدانًا، وأكثرَ آثارًا وعمرانًا في الأرض، فلم تَنْفَعَهُمْ قُوَّتُهُمْ وصِنَاعَتُهُمْ، ولم تَنْعَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، بلْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ غُرُورِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ.

{ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } (غافر : 83)

83- فلما جاءهم رسولنا بالمعجزات والحجج الدالة على نبوتهم وصدق رسالتهم، اغترَّ المشركون بما عندهم من العلم الديني، وتمسكوا بما ورثوه من آباءهم وجادلوا به من الأفكار الزائغة والعقائد الباطلة، وجعلوا من الأوهام حقائق، وأحاط بهم ما كانوا يستهزؤون به ويستبعدون وقوعه من المعاد والجزاء على الأعمال.

{ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ } (غافر : 84)

84- فلما رأوا شدة عذابنا، وعلموا أنهم سيُعاقبون على ما اكتسبوا من المعاصي والدنوب، أدركوا ما كانوا عليه من كفر وجهل وغرور، وقالوا في استسلام: آمنا بالله وحده لا شريك له، وتبرأنا من الآلهة التي كنا نعبدُها من دون الله.

{ فَلَمَّ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ } (غافر : 85)

85- ولكنهم قالوا ذلك بعد قوات الأوان، فلم يَنْفَعَهُمْ إِيمَانُهُمْ بعد أن عاينوا العذاب، لأنه إيمان عن إجماع واضطرار، وقد مضى وقت التكليف، وجاء وقت الحساب والجزاء. وهذا حكم عام وضعه الله للناس، بأن لا يقبل إيمان أحدٍ منهم عند رؤية العذاب. وخسر الكافرون عندما رأوا بأس الله يُحيطُ بهم، وعلموا أنهم في النار معدَّبون على الدوام.

سورة فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{حم} (فصلت : 1)

1- حروف مُقَطَّعَةٌ... اختلفَ المفسِّرونَ في دَلالَتِها.

{تنزيل من الرحمن الرحيم} (فصلت : 2)

2- هذا القرآنُ تنزيلٌ مِنَ اللَّهِ الْمُتَّصِفِ بِالرَّحْمَةِ الْعَظِيمَةِ الدَّائِمَةِ.

{كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون} (فصلت : 3)

3- كتابٌ بَيَّنَّتْ أَحكامُهُ، وَفُصِّلَ حَلالُهُ وَحَرَامُهُ، وَأَمْرُهُ وَنَهْيُهُ، وَوَعْدُهُ وَوَعِيدُهُ، قُرْآنًا بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، يَعْرِفُ مَعانِيَهُ الرَّاَسِخُونَ فِي العِلْمِ، الْمُتَمَكِّنُونَ مِنْهُ.

{بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون} (فصلت : 4)

4- فِيهِ تَبشِيرٌ بِالْمُتَوَبِّةِ الْحُسْنَى لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ بِما فِيهِ، وَإِنذارٌ بِالنَّارِ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ وَصَدَّ عَنْهُ، فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ عَنْ تَدبُّرِهِ وَقَبُولِهِ، مَعَ بَيانِهِ وَوُضوحِهِ؛ تَكَبُّراً وَعِناداً، فَهُمْ لا يُصْغُونَ إِلَيْهِ، وَلا يَقْبَلُونَهُ.

{وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل}

{إننا عاملون} (فصلت : 5)

5- وَقَالَ لَكَ المَشْرِكُونَ: إِنَّ عَلَي قُلوبنا أَغْطِيَةً كَثيفَةً مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ مِنَ الإِيْمانِ وَالتَّوْحِيدِ، وَفِي آذاننا صَمَمٌ وَثِقَلٌ، فَلا نَسْمَعُ ما تَقولُ وَلا نَفْهَمُهُ، وَمِنْ بَيْننا وَبَيْنَكَ حاجِزٌ عَليظٌ فِي الدِّينِ، فَلا يُمكِّنُ أَنْ نَلْتَقِيَ، فَاعْمَلْ أَنْتَ عَلَي طَرِيقَتِكَ وَدِينِكَ، وَنَحْنُ نَعْمَلُ عَلَي طَرِيقَتنا وَلا نَتَّبِعُكَ.

{ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ
لِّلْمُشْرِكِينَ } (فصلت : 6)

6- قُلْ لَهُمُ أَيُّهَا الرُّسُولُ: لِمَاذَا تَضَعُونَ هَذَا الْحَاجِزَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْحَقِّ؟ وما أنا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ،
إِلَّا أَنِّي تَمَيَّزْتُ عَنْكُمْ بِوَحْيِ اللَّهِ إِلَيَّ، فَمَنْ زَعَمَ أَنِّي لَسْتُ كَذَلِكَ، فَلْيَأْتِ بِمِثْلِ مَا أُوحِيَ إِلَيَّ.
أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ، فَامْتَثِلُوا أَمْرَهُ، وَأَخْلِصُوا فِي الْعِبَادَةِ لَهُ
وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاسْتَغْفِرُوهُ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمُ السَّيِّئَةِ، وَالْحَسَارَةُ وَالْهَلَاكُ لِمَنْ
يَبْقَى عَلَى الشِّرْكِ وَالْعِصْيَانِ.

{ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ } (فصلت : 7)

7- الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ؛ لِبُخْلِهِمْ، وَعَدَمِ شَفَقَتِهِمْ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَهُمْ يَجْحَدُونَ
الْبَعْثَ وَالْحِسَابَ، وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلِذَلِكَ فَهُمْ يَتَصَرَّفُونَ دُونَ خَوْفٍ مِنْ رِقَابَةِ عَلَيْهِمْ، وَمُحَاسَبَةِ
عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ } (فصلت : 8)

8- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَخْلَصُوا فِي طَاعَتِهِمْ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الْحَسَنَةَ الْمُوَافِقَةَ لِلشَّرِيعَةِ، لَهُمْ ثَوَابٌ
كَبِيرٌ فِي الْآخِرَةِ، لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُمْ أَبَدًا.

{ قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ
الْعَالَمِينَ } (فصلت : 9)

9- قُلْ لِلْمُشْرِكِينَ أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ: أَتَكْفُرُونَ بِاللَّهِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ، الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي
يَوْمَيْنِ، وَتَجْعَلُونَ لَهُ نُظْرَاءَ مِنَ الْحِجَارَةِ وَتَعْبُدُونَهَا مَعَهُ؟ ذَلِكَ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ، خَالِقُهُمْ
وَمَالِكُهُمْ وَالْمُتَصَرِّفُ فِي شُؤْنِهِمْ.

{ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً
لِّلسَّائِلِينَ } (فصلت : 10)

10- وجعلَ في الأرضِ جبالاً ثابتةً ظاهرةً مِنْ فوقِها، لئلاَّ تَمِيلَ وتَضطَرِبَ بكم، وبارَكَ فيها، فأودعَ فيها الخَيْرَ الكثيرَ ممَّا هوَ نافعٌ ومُذللٌ لكم، مِنَ البحارِ والأشجارِ وأنواعِ المعادِنِ والنباتِ والحيوانِ، وحدَدَ كَميَّتها ومقدارَ الحاجةِ إليها، وقسمَ نَصيبَها للنَّاسِ والبهائمِ، في أربعةِ أيَّامٍ. وهذا جوابٌ مُهيَّئٌ لمن سألَ عن خَلقِ الأرضِ والأقواتِ فيها.

{ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ } (فصلت : 11)

11- ثمَّ استوى اللهُ سبحانهُ إلى السَّمَاءِ (ذهبَ كثيرٌ مِنَ المُفسِّرينَ إلى أنَّ معناها قَصَدَ إلى السَّمَاءِ) وهي دُخَانٌ، فقالَ لها وللأرضِ: افعلَا ما أمرُكما، واستجيبَا لِمَا أقولُ لكما طَواعيةً، وإلاَّ أتيتُما كَرْهاً، قالتا: أتيناكَ يا رَبَّنَا مُطيعينِ مُنقادينِ.

{ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } (فصلت : 12)

12- فأتمَّ خَلقَ السَّمَاءِ سَبْعَ طبقاتٍ وأحكَمَها في يَوْمينِ، وخلقَ في كُلِّ منها ما هوَ مُهيَّئٌ ومُقدَّرٌ لها. وزَيْنَّا السَّمَاءَ القَريبةَ مِنَ الأرضِ بالكواكبِ المنيِّرةِ، المشرِّقةِ بأضوائِها وتألُّكها وحُسنِ منظرِها، وحفظاً للسَّمَاءِ مِنَ الشَّياطينِ، لئلاَّ تصعدَ إليها وتستمعَ إلى الملائكةِ، فيرْمونَ بالشُّهُبِ مِنَ أنحاءِ السَّمَاءِ. وهذا كُلُّهُ مِنْ صُنْعِ اللهِ وتقدِيرِهِ، العَزِيزِ في مُلكِهِ فلا يُقهرُ، العَلِيمِ بأقوالِ عبادِهِ وأفعالِهِم جَميعِها.

{ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ } (فصلت : 13)

13- فَإِنْ أَعْرَضَ المشركونَ عَمَّا جئتُهم بِهِ مِنَ الحَقِّ، فقلْ لهم: إني أنذرتُكم صاعِقَةً قويَّةً مُهلكةً تَحُلُّ بكم إذا أصررْتُم على الكُفْرِ والتَّكذيبِ، كما حلَّتْ بَعادِ قومِ هودَ، وثمودَ قومِ صالحٍ.

{ إِذْ جَاءَهُمُ الرَّسُولُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا
لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ } (فصلت : 14)

14- إذ أرسل الله رسلاً إلى آبائهم من قبلهم، ثم أرسل هوداً إلى عاد، وصالحاً إلى ثمود،
وبدلوا الجهد في تبليغهم ونصحهم، وتذكيرهم وتخويفهم، ألا تعبدوا إلا الله، ولا تشركوا به
شيئاً.

وقالوا في جدالٍ باطل: لو شاء الله أن يرسل رسلاً لجعلهم من الملائكة وأرسلهم إلينا.
وقالوا أخيراً: فإننا نكفر بما أرسلتم به، ولا نتبعكم فيما جئتم به!

{ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي
خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ } (فصلت : 15)

15- فأما قبيلة عاد فقد طغوا وتجبروا في الأرض بغير حق، وقالوا في غرور: ليس هناك من
هو أقوى منا! أولم يتفكروا فيمن هو أقوى منهم حقاً، وهو خالقهم الذي جعلهم بهذه الخلق
الضخمة، وأمدهم بالقوة؟ وكانوا يكفرون بالمعجزات التي آتيناها رسلنا.

{ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ } (فصلت : 16)

16- فانتقمنا منهم، وأرسلنا عليهم عاصفةً قويةً شديدة الهبوب، في أيامٍ مُتتَابِعَاتٍ، نكِدَاتٍ
مَشْؤُومَاتٍ، حتى أبدناهم عن آخِرهم، لنذيقهم في الدنيا عذاب الدُّلِّ والصَّغَارِ، ولهم في
الآخرة عذابٌ أشدَّ إهانةً وإيلاماً، ولن يكون هناك من ينتصر لهم ويدفع عنهم العذاب الذي
هم فيه.

{ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ } (فصلت : 17)

17- وَأَمَّا قَبِيلُهُ ثَمُودَ، فَقَدْ بَيَّنَّا لَهُمْ سَبِيلَ الْهُدَىٰ وَدَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَاخْتَارُوا الضَّلَالَ عَلَىٰهِ، وَكَذَّبُوا رُسُولَهُمْ صَالِحًا، فَعُوقِبُوا بِصَاعِقَةٍ قَوِيَّةٍ مُهْلِكَةٍ جَعَلْتَهُمْ أَذَلَّةً مُهَانِينَ، جَزَاءَ تَكْذِيبِهِمْ وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ.

{ وَبَيَّنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } (فصلت : 18)

18- وَأَنْقَدْنَا مِنْ بَيْنِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، الَّذِينَ كَانُوا يُطِيعُونَ اللَّهَ وَيَخَافُونَ عِقَابَهُ.

{ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ } (فصلت : 19)

19- وَادْكُرْ لَهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ الشَّدِيدِ، الَّذِي يُسَاقُ فِيهِ أَعْدَاءُ اللَّهِ الْكَافِرُونَ وَيُدْفَعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ الْمَوْقَدَةِ، وَقَدْ حُبِسَ أَوْلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ حَتَّى يَتَلَاخَقُوا وَيَجْتَمِعُوا؛ لِيُقَذَّفُوا فِي النَّارِ.

{ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (فصلت : 20)

20- حَتَّىٰ إِذَا حَضَرُوا وَوَقَفُوا عَلَى النَّارِ، شَهِدَتْ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا جَوَارِحُهُمْ وَأَجْسَادُهُمْ: سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَبَشَرُهُمْ، لَا تَكْتُمُ شَيْئًا.

{ وَقَالُوا لِمَ جُلِدْنَا لَهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } (فصلت : 21)

21- وَقَالُوا مُعَاتِبِينَ أَعْضَاءَهُمْ وَجُلُودَهُمْ: لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا بِمَا عَمَلْنَا؟

قالوا: أَنْطَقْنَا اللَّهَ وَأَقْدَرْنَا عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ الْقَادِرُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا، فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى إِنْطَاقِ أَعْضَائِكُمْ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

{ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَعْتَبُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ } (فصلت : 22)

22- وما كنتم تستخفون في الدنيا عن سمعكم، ولا أبصاركم، ولا جلودكم، عندما كنتم تقترفون الفواحش والمعاصي، مخافة أن تشهد عليكم بذلك في اليوم الآخر، بل كنتم تجاهرون الله بها ولا تبالون، وكنتم تقدمون على ذلك لظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون. قال القاضي البيضاوي رحمه الله: أي كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة، وما ظننتم أن أعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عنها. وفيه تبيية على أن المؤمن ينبغي أن يتحقق أنه لا يمر عليه حال إلا وهو عليه رقيب. اهـ. وقد نزلت في رجال قال أحدهم: أترون أن الله يسمع كلامنا هذا؟ فقال الآخر: إنا إذا رفعنا أصواتنا سماعه، وإذا لم نرفعه لم يسمعه. فقال الآخر: إن سماع منه شيئا سماعه كله.

{وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (فصلت : 23)

23- وإن ظنكم الفاسد الذي ظننتم برّبكم، من أنه لا يعلم كثيرا مما تخفون، هو الذي أهلككم وأرداكم في جهنم، فأصبحتم بسببه من الخاسرين.

{فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ} (فصلت : 24)

24- فإن يصبروا على عذاب النار، فهو مسكنهم الذي لا يبرحونه، وإن يسترضوا الله ويطلبوا الرجوع إلى الدنيا ليعملوا صالحا، فلن يرضى الله عنهم ولن يجاب إلى طلبهم.

{وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ

خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِهْتُمَّ كَانُوا خَاسِرِينَ} (فصلت : 25)

25- وقدّرنا أن يكون مع المشركين أصحاب لهم من شياطين الإنس والجن، فحسّنوا لهم أفكارهم وأعمالهم، وألقوا إليهم أن لا بعث ولا حساب، وأن لا جنة ولا نار، وأن ما هم عليه من الكفر والضلال واتباع الشهوات في الدنيا هو الحسن المقبول، فظنوا أنهم هم المحسنون، فتحققت عليهم العقوبة بموجب ذلك، كما حققت على أمم خالية من أمثالهم، من الجن والإنس، فهم جميعا خاسرون.

{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ } (فصلت : 26)

26- وقال بعض المشركين لبعضهم: لا تَنْصِتُوا لهذا القرآن ولا تستجيبوا لما فيه، وإذا قرئ فاخلطوا في الكلام والغطوا، وصيخوا وتصاخبوا لتشوشوا على الآخرين سماعه، لعلكم بذلك تغلبوا محمدًا (صلى الله عليه وسلم) على قراءته.

{ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ } (فصلت :

27)

27- فلنُعَذِّبَنَّ المشركين عذابًا مؤلمًا قاسيًا، ولنُنِيَّيَنَّهُمْ أسوأ ما فعلوه في الدنيا.

{ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارِ هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءَ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ }

(فصلت : 28)

28- وما ذُكِرَ مِنَ الْعُقُوبَةِ هُوَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ مِنَ الْكَافِرِينَ الْمُعَانِدِينَ، وَهُوَ النَّارُ، لَهُمْ فِيهَا دَارُ إِقَامَةٍ دَائِمَةٍ، جَزَاءَ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِنَا الَّتِي احْتَجَجْنَا بِهَا عَلَيْهِمْ، وَيُكذِّبُونَ رُسُلَنَا.

{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ آضَلْنَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ بِجَعْلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا

مِنَ الْأَسْفَلِينَ } (فصلت : 29)

29- وَقَالَ الْكَافِرُونَ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ: رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ كَانَا سَبَبَ كُفْرِنَا وَضَلَالِنَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ حَتَّى أَرَدْيَانَا فِي النَّارِ، لِنُدُوسَهُمَا بِأَقْدَامِنَا وَنُنْتَقِمَ مِنْهُمَا، وَيَكُونَا فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا

بِالْحُسْنَى الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } (فصلت : 30)

30- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَقَالُوا: رَبُّنَا اللَّهُ وَحْدَهُ، ثُمَّ ثَبَتُوا عَلَى إِيمَانِهِمْ وَإِحْلَاصِهِمْ، وَلَمْ يَخْلُطُوهُ بِرِيَاءٍ وَشِرْكَ، تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ بِأَمْرِ رَبِّهِمْ عِنْدَ الْمَوْتِ وَعِنْدَ الْبَعْثِ، أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَتَوَقَّعُوا مَكْرَهُهَا

مَّمَّا يَأْتِي مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَغْتَمُوا وَلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا خَلَفْتُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ، وَأَبْشَرُوا بِالْجَنَّةِ وَالنَّعِيمِ الدَّائِمِ الَّذِي كَانَ يَعِدُكُمْ بِهِ اللَّهُ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ.

{ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ } (فصلت : 31)

31- وَتَقُولُ مَلَائِكَةُ اللَّهِ لَهُمْ: نَحْنُ كُنَّا فِي الدُّنْيَا أَنْصَارَكُمْ وَأَعْوَانَكُمْ فِي الْخَيْرِ، نُرْشِدُكُمْ إِلَى مَا فِيهِ فَوْزُكُمْ وَقِلَابُكُمْ، وَنَحْفَظُكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَنُنَوِّسُكُمْ فِي وَحْشَةِ الْقُبُورِ، وَنَتَلَقَّاكُمْ بِالْأَمْنِ وَالْكَرَامَةِ يَوْمَ الدِّينِ، وَلَكُمْ فِي الْجَنَّةِ مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَطْعِمَةِ وَالْفَوَاكِهِ الْمَسْتَلَذَّةِ، وَلَكُمْ فِيهَا كُلُّ مَا تَطْلُبُونَ وَتَتَمَنَّوْنَ.

{ نَزُلًا مِنْ عَفْوٍ رَحِيمٍ } (فصلت : 32)

32- ضِيَاءَةٌ وَإِكْرَامًا لَكُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، ذِي الْمَغْفِرَةِ الْوَاسِعَةِ، وَالرَّحْمَةِ الْعَظِيمَةِ.

{ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } (فصلت :

33)

33- وَلَيْسَ هُنَاكَ أَحْسَنُ مِمَّنْ دَعَا إِلَى دِينِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، مَعَ الْإِتِّزَامِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمُوَافِقِ لِلدِّينِ، وَالْإِخْلَاصِ فِيهِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَاعْتَرَّ بِإِسْلَامِهِ وَعَمِلَ بِهِ وَأَعْلَنَهُ مُفْتَحِرًا بِهِ.

{ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } (فصلت : 34)

34- وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَالسَّيِّئَةُ، وَلَا السَّيِّئَةُ وَالْحَسَنَةُ، فَلَا يَسْتَوِي الْعِلْمُ وَالْجَهْلُ، وَلَا الْعَفْوُ وَالْإِسَاءَةُ، وَلَا الْغَضَبُ وَالْحِلْمُ. وَإِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ أَحَدٌ فَادْفَعْهُ عَنْكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ خَضَعَ لَكَ خَصْمُكَ، وَانْقَلَبَتِ الْحَالَةُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ إِلَى سَكِينَةٍ بَعْدَ هَيْجَاجٍ، وَإِلَى هُدُوءٍ بَعْدَ ثَوْرَانٍ، وَصَارَ كَأَنَّهُ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ الْمُقْرَبِينَ إِلَيْكَ، بَعْدَ أَنْ كَانَ شَدِيدَ الْعَدَاوَةِ لَكَ.

{ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } (فصلت : 35)

35- ولا يَفُوزُ بهذهِ الحِصْلَةِ العَظِيمَةِ، ولا يَحْصُلُ على هذا الخُلُقِ السَّمحِ العَالِي، وهو دَفْعُ السَّيِّئَةِ بالحَسَنَةِ، إِلَّا الصَّابِرُونَ، الَّذِينَ يَكْظُمُونَ غَيْظَهُمْ، وَيَتَحَمَّلُونَ المَكْرُوهَ مِنَ النَّاسِ، ولا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِمَكَارِمِ الأخلاقِ وَمَعَالِيهَا، وَذَا نَصِيبٍ كَبِيرٍ مِنْ حِصَالِ الخَيْرِ.

{ وَإِنَّمَا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (فصلت : 36)

36- وَإِذَا شَعَرْتَ بِوَسْوَسةٍ مِنَ الشَّيْطَانِ يُرِيدُ أَنْ يَصْرِفَكَ عَنْ خَيْرٍ أَمَرْتَ بِهِ، أَوْ يَجْمَلَكَ عَلَى شَرٍّ تُهَيْتَ عَنْهُ، فَاسْتَجِرْ بِاللَّهِ مِنْ كَيْدِهِ، وَاعْتَصِمْ بِهِ مِنْ شَرِّهِ، فَهُوَ سَمِيعٌ لِمَا تَقُولُ، عَلِيمٌ بِالتَّجَائِكَ وَتَضَرُّعِكَ إِلَيْهِ.

{ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ

الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } (فصلت : 37)

37- وَمِنْ حُجَجِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَآيَاتِهِ العَظِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ: اللَّيْلُ بِظُلَامِهِ وَسُكُونِهِ، وَالنَّهَارُ بِضَوْوِهِ وَحَرَكَتِهِ، وَهُمَا فِي تَعاقُبٍ مُسْتَمِرٍّ. وَالشَّمْسُ بِنُورِهَا وَتَوَهُّجِهَا وَحَرَارَتِهَا، وَالْقَمَرُ بِضِيائِهِ وَمَنَازِلِهِ وَمَنَافِعِهِ لِلأَرْضِ. وَكُلُّهَا آيَاتٌ لِلَّهِ، فَهُوَ خَالِقُهَا، وَمَالِكُهَا، وَالمُتَصَرِّفُ فِيهَا، وَمُيَدِّدُهَا بِالْحَرَكَةِ وَالحَيَاةِ وَالنَّظَامِ، فلا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ، فَهُمَا مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ، وَلَكِنْ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُمَا وَخَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَإِذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهُ حَقًّا، فَخُصُّوهُ بِالعِبَادَةِ وَحَدِّهِ، وَلَا تَسْجُدُوا لغيرِهِ.

{ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ } (فصلت

: 38)

38- فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا عَنِ الامْتِثَالِ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَأَبَوْا إِلَّا الشَّرْكَ وَالكُفْرَ، فَلَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا، وَإِنَّ عِنْدَ رَبِّكَ مَلَائِكَةً مُكْرَمِينَ يُقَدِّسُونَهُ وَيُنزِّهُونَهُ لَيْلَ نَهَارٍ، وَلَا يَمَلُونَ مِنْ ذَلِكَ.

{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (فصلت : 39)

39- وَمِنْ حُجَجِ اللَّهِ أَيْضًا، وَأَدْلَتِهِ عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى بَعَثِ الْمَوْتَى بَعْدَ تَفْتُتِ أَجْسَادِهِمْ، وَإِعَادَتِهَا لِهَيْئَتِهَا، أَنْ تَرَى الْأَرْضَ يَابِسَةً قَاحِلَةً لَا نَبَاتَ فِيهَا وَلَا شَجَرَ، فَإِذَا أَنْزَلْنَا الْمَطَرَ وَسَقَيْنَاهَا بِهِ، تَحَرَّكَ نَبَاتُهَا وَانْبَعَثَ فِيهَا الْحَيَاةُ، وَانْتَفَخَتْ وَارْتَفَعَتْ، وَصَارَ كُلُّ شَيْءٍ فِيهَا يُوحِي بِالْحَرَكَةِ وَالْحَيَاةِ. إِنَّ الَّذِي أَحْيَا هَذِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ فَحْلِهَا وَخُمْودِهَا، قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى مِنْ قُبُورِهِمْ، وَإِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يُرِيدُهُ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

{ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (فصلت : 40)

40- إِنَّ الَّذِينَ يَنْحَرِفُونَ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ، وَيَضَعُونَهَا فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا، لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا، وَلَا يَفُوتُونَنَا. وَهَلْ يَسْتَوِي مَنْ يُؤْتَى مُكْتَبًا بِأَعْلَالٍ وَسَلَاسِلٍ وَيُدْفَعُ بِهِ إِلَى النَّارِ، وَمَنْ يَأْتِي آمِنًا مُسْتَبَشِرًا وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ فَاعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِمَا تَقُولُونَ وَمَا تَعْمَلُونَ، وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَى كُلِّ مَا صَدَرَ مِنْكُمْ.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ } (فصلت : 41)

41- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْقُرْآنِ لَمَّا جَاءَهُمْ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَفَكَّرُوا فِيهِ وَيَتَدَبَّرُوهُ، سَيُجَازُونَ بِكَفَرِهِمْ جَزَاءً وَافِيًا، وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَظِيمٌ، لَا مَثِيلَ لَهُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ.

{ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } (فصلت : 42)

42- لَا يَتَطَرَّقُ الْبَاطِلُ إِلَى الْقُرْآنِ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ كَانَ، وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَخَبَرٍ مِنْهُ، لِأَنَّهُ كُلُّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ، فَهُوَ مُنَزَّلٌ مِنَ اللَّهِ الْعَلِيمِ بِمِصَالِحِ عِبَادِهِ، الْحَكِيمِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، الْمَحْمُودِ عَلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ وَأَنْعَمَ.

{ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ }
(فصلت: 43)

43- ما يُقَالُ لَكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، إِلَّا كَمَا قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ، مِنْ الْأَذَى وَالتَّكْذِيبِ، وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَصْبِرَ كَمَا صَبَرُوا، وَإِنَّ رَبَّكَ ذُو مَغْفِرَةٍ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَذُو عِقَابٍ مُؤَلِّمٍ مُوجِعٍ لِمَنْ عَانَدَ وَأَصْرَّ عَلَى الْكُفْرِ.

{ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْرَبِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ } (فصلت : 44)

44- ولو أَنَّا نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ بِلُغَةِ الْعَجَمِ، لَقَالُوا: هَلَّا بُيِّنَتْ آيَاتُهُ، وَوُضِّحَتْ كَلِمَاتُهُ بِلِسَانٍ نَفْهَمُهُ؟ ثُمَّ إِنَّهُمْ سَيُكْرَهُونَ ذَلِكَ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ، وَيَقُولُونَ: أَكَلَامٌ أَعْجَمِيٌّ يَنْزِلُ عَلَى رَسُولٍ عَرَبِيٍّ؟

قُلْ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كِتَابٌ يَهْدِي الْقُلُوبَ إِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَيَشْفِي الصُّدُورَ مِنَ الشُّكُوكِ وَالشُّبُهَاتِ.

وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ بَعِيدُونَ عَنْهُ فَلَا يَسْمَعُونَهُ، وَكَأَنَّ فِي آذَانِهِمْ ثِقَلًا وَصَمًّا فَلَا يَفْهَمُونَ مَا فِيهِ، وَإِذَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ شِفَاءً فَهُوَ عَلَى الْكَافِرِينَ عَمًى، فَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ وَالْبَيَانِ الَّذِي فِيهِ، وَلَا يَتَنَفَعُونَ بِهِ، وَهُمْ كَمَنْ يُنَادِي مِنْ بَعِيدٍ فَيَسْمَعُ الصَّوْتَ وَلَا يَتَبَيَّنُّ الْمَعْنَى.

{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَآخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ } (فصلت : 45)

45- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى التَّوْرَةَ مِنْ قَبْلِكَ، فَمِنْ مُؤْمِنٍ بِهِ وَكَافِرٍ، كَمَا هُوَ مَوْقِفُ الْمَشْرِكِينَ مِنَ الْقُرْآنِ. وَلَوْلَا وَعْدٌ أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ، بَأَنْ يُؤَخَّرَ الْعُقُوبَةَ عَنْ قَوْمِكَ الْمَكْذِبِينَ إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ، لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ، وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ شَكٍّ فِيمَا يَقُولُونَ عَنِ الْقُرْآنِ، غَيْرُ مُحَقِّقِينَ لَهُ.

{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} (فصلت : 46)
46- مَنْ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَإِنَّ نَفْعَهُ يَعُودُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ الْعَمَلَ فَإِنَّ سُوءَ عَاقِبَتِهِ
يَعُودُ عَلَى نَفْسِهِ كَذَلِكَ، وَاللَّهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ عِبَادِهِ، فَلَا يَنْقُصُ مِنْ ثَوَابِهِمْ، وَلَا يَزِيدُ فِي
عِقَابِهِمْ.

الجزء الخامس والعشرون

سورة فصلت (47- 54)

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الجاثية

{إِلَيْهِ يُرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ} (فصلت : 47)

47- إلى الله وحده يُرْدُ العِلْمُ بوقتِ القيامة. وما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَارٍ مِنْ أوعيتها، وما تَحْمِلُ أُنثَى مِنْ حَمَلٍ وَلَا تَضَعُهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، بحسبِ ما يَتَقَضِيهِ أمره، وكما هوَ في عِلْمِهِ سُبْحَانَهُ. وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُنَادِي اللهُ المشركينَ على رؤوسِ الخلق: أَيْنَ شُرَكَائِيَ الذينَ كنتم تَدْعُونَ أَهْمَ آلهةٌ وَتَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِي؟ قالوا: أَعْلَمْنَاكَ أَنَّهُ لَا يَوجَدُ أَحَدٌ مَنَّا يَشْهَدُ بِأَنَّ لَكَ شَرِيكًا.

{وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِّنْ حَافِيٍّ} (فصلت : 48)

48- وذهب عنهم ما كانوا يعبدونه في الدنيا فلم ينفعوهم، وأيقنوا أنه لا مهرب لهم من عذابِ الله.

{لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ} (فصلت : 49)

49- لا يَمَلُّ الإنسانُ مِنْ طَلَبِ المَالِ وَالغِنَى وَالصَّحَّةِ مِنْ رَبِّهِ، وَإِذَا أَصَابَهُ ضَيْقٌ وَشِدَّةٌ، جَزِعَ وَتَضَايَقَ وَفَقَدَ الأَمَلَ، وَظَنَّ أَنَّ اللهَ لَنْ يُعِيدَ إِلَيْهِ مَا كَانَ.

{وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضِرَّاءِ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ { (فصلت : 50)

50- وإذا آتيناؤه خيراً وأمددناه بعني وعافية، بعد بلاءٍ وشدة، ليقولنَّ: هذا حقٌّ من حُقوقِي حصلتُ عليه بعملِي وكدي، ولستُ على يقينٍ من قيامِ السَّاعةِ، وإذا بُعثَ الموتى للحسابِ والجزاءِ، فإنَّ لي كرامةً وعُقبَى حسنةً عندَ الله، كما أكرمني بالجاهِ والعني في هذه الدنيا! فلنُعلمنَّ الكافرينَ بأعمالهم السيئة، وعقيدتهم الفاسدة، ولنُذيقنَّهم عذاباً شديداً مؤلماً في الآخرة.

{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ { (فصلت : 51)

51- وإذا أنعمنا على الإنسان بالمالِ والجاهِ والعافية، أعرضَ عن الطَّاعةِ والشُّكرِ، وتكبرَ وشحَّ بأنفِهِ واستكبرَ عن الانقيادِ لأمرِ الله، وإذا أصابه فقرٌ وبلاءٌ، دعانا دُعاءً كثيراً متواصلًا.

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ { (فصلت : 52)

52- قُلْ للمشركينَ أيُّها الرسول: أخبروني، لو كانَ هذا القرآنُ من عندِ الله، ثمَّ كذبتم به، مع وضوحِ الأدلَّةِ على أنَّه الحقُّ من ربِّكم، فمنَ يكونُ أشقى حالاً، وأبعدَ عن الحقِّ منكم؟

{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ { (فصلت : 53)

53- سنُظهِرُ للإنسانِ مِنَ الآياتِ الكونيَّةِ العظيمةِ، ومنَ خفايا تكوينِهم النفسيِّ وتركيبِهم العضويِّ، ما يُسلِّمونَ به أنَ هذا الدِّينَ حقٌّ، وأنَّ القرآنَ كلامُ ربِّ العالمينَ المعجزِ. أولاً يكفي أنَ الله شاهدٌ على كلِّ شيءٍ في هذا الكونِ، فلا يغيبُ عنه أمرٌ، ولا تخفى عليه خافية، وأنَّه يشهدُ أنَّ محمداً رسولُهُ، صادقٌ فيما يُخبرُ عنه؟

{أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ} (فصلت : 54)

54- أَلَا إِنَّ الْمَشْرِكِينَ فِي شَكٍّ مِّنَ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَهُمْ لَا يَعْمَلُونَ لِلْآخِرَةِ، وَلَا يَحْذَرُونَ مِنَ النَّارِ، وَعِلْمُ اللَّهِ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا يَفْعَلُهُ الْمُشْرِكُونَ، وَسَوْفَ يُجَازِيهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَفَسَادِهِمْ فِي الْأَرْضِ، وَلَا مَفَرَّ لَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ.

سورة الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم

{حم} (الشورى : 1)

1- الحُرُوفُ الْمُقَطَّعَةُ لم يَرِدْ فِيهَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهَا.

{عسق} (الشورى : 2)

2- حُرُوفٌ مُقَطَّعَةٌ ...

{كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الشورى : 3)

3- كما أنزل الله عليك هذا القرآن بواسطة جبريل أيها الرسول، كذلك أنزل الكتب على الأنبياء والرسل من قبلك، وهو العزيز في ملكه، لا يمنعه أحد من التصرف فيه كما يريد، الحكيم فيما يقول ويفعل، لا يبلغ حكمته أحد.

{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} (الشورى : 4)

4- له كل ما في السماوات والأرض، وما بينهما، خلقاً، وملكاً، وتدبيراً، فالكل تحت قهره وسلطانه، وهو العلي المتعال، الذي لا يعلو عليه شيء، الكبير الذي لا شيء أعظم منه.

{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ

فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ} (الشورى : 5)

5- تكاد السماوات أن يتشققن من أعلاهن خوفاً وخشية من عظمة الله وجلاله، والملائكة المكرمون يُقدِّسونه ويحمّدونه، ويطلبون العفو والمغفرة للمؤمنين. ألا إن الله هو الذي يغفر الذنوب ولو كثرت، وهو الذي يعفو عن عباده المؤمنين ويرحمهم.

{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} (الشورى : 6

(

6- والذين اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ وَأَنْدَادًا، اللَّهُ رَقِيبٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، شَهِيدٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، يُحْصِيهَا لَهُمْ وَيُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهَا، وَلَسْتَ مُوَكَّلًا أَنْتَ بِذَلِكَ أَيْهَا الرَّسُولُ، إِنَّمَا وَظِيفْتُكَ التَّبْلِيغُ وَالْإِنذَارُ.

{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَبَّ

فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ} (الشورى : 7)

7- ومثلما أَوْحَيْنَا إِلَى الرَّسُولِ مِنْ قَبْلِكَ، أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَيْهَا الرَّسُولُ هَذَا الْقُرْآنَ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ فَصِيحٍ، لِتُنذِرَ بِهِ قَوْمَكَ فِي مَكَّةَ، وَمَنْ حَوْلَهَا مِنْ سَائِرِ الْقُرَى وَالْبِلَادِ فِي الْأَرْضِ، وَتُخَوِّفَهُمْ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، الَّذِي يُجْمَعُ فِيهِ الْخَلَائِقُ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ آتٍ. وَهُنَاكَ فَرِيقَانِ فَقَطُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَرِيقٌ كَائِنٌ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ، وَآخَرُونَ مُخَلَّدُونَ فِي نَارٍ تَتَلَطَّى، وَهُمْ الْكَافِرُونَ.

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ

وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} (الشورى : 8)

8- وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ لَجَعَلَ النَّاسَ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ، وَلَكِنْ شَاءَتْ إِرَادَتُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ طَرِيقَ الْهُدَايَةِ وَالضَّلَالِ، وَيُعْطِيَهُمْ حُرِّيَّةَ الْاِخْتِيَارِ، فَيُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ، بِهَدَايَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَيُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي عَذَابِهِ، بِأَنْ لَا يَهْدِيَهُ، كُلُّ حَسَبٍ اسْتَعَدَّ لَهُ، وَعَزَمَهُ وَتَصَمِيمِهِ، وَالْكَافِرُونَ لَيْسَ لَهُمْ وَلِيٌّ يَلِي أَمْرَهُمْ وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ، وَلَا مُسَاعِدٌ يُخَلِّصُهُمْ مِنَ النَّارِ.

{أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

(الشورى : 9)

9- لقد اتَّخَذُوا فِي الدُّنْيَا آلِهَةً يُؤَالُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَكَانُوا يَسْتَعِينُونَ بِهِمْ وَيَطْلُبُونَ شَفَاعَتَهُمْ وَنُصْرَتَهُمْ، وَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَقِّ، فَلَا يُنْتَصَرُ إِلَّا بِهِ، وَلَا يُعْبَدُ إِلَّا هُوَ، وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي الْمَوْتَى مِنْ قُبُورِهِمْ وَقَدْ صَارُوا عِظَامًا بَالِيَةً، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

{ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ }
(الشورى : 10)

10- وما اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ، فَالْحُكْمُ فِيهِ لِلَّهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ، وَلِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُنَّتِهِ، ذَلِكُمُ الْحَاكِمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، هُوَ رَبِّي الْعَظِيمُ الشَّانِ، اسْتَعَنْتُ بِهِ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْهِ، وَإِلَيْهِ أَرْجِعُ فِي كُلِّ أَمْرٍ.

{ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } (الشورى : 11)

11- خَالِقُ السَّمَاوَاتِ الْعَظِيمَةِ، وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهَا، الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مِنْ جِنْسِكُمْ وَشَكْلِكُمْ نِسَاءً، كَمَا خَلَقَ مِنْ جِنْسِ الْأَنْعَامِ ذُكُورًا وَإِنَاثًا، وَيُكَثِّرُكُمْ بِالتَّوَالُدِّ. لَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ شَيْءٌ، فَلَا يُمَاتِلُهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ أَلْبَتَّةَ، وَهُوَ السَّمِيعُ لِكُلِّ مَا يَقُولُهُ الْخَلْقُ، الْبَصِيرُ بِكُلِّ الْمَوْجُودَاتِ وَأَحْوَالِهَا.

{ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }
(الشورى : 12)

12- لَهُ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْمُتَصَرِّفُ فِيهَا، يُوسِّعُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِأَحْوَالِهِمْ، الْمَحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.

{ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } (الشورى : 13)

13- شَرَعَ اللهُ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - مَا أَوْصَى بِهِ أُولَى الْعَزْمِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ الْمَشْهُورِينَ: نُوحًا، وَالَّذِي أَوْحَى اللهُ إِلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَأَمَرَهُمْ بِهِ أَمْرًا مُؤَكَّدًا، وَهُوَ تَوْحِيدُ اللهِ وَطَاعَتُهُ، أَنْ اِعْمَلُوا بِذَلِكَ وَحَافِظُوا عَلَيْهِ، وَاتَّقُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فِي دِينِكُمْ، شَقٌّ وَثَقُلٌ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ. وَاللهُ يَخْتَارُ لِدِينِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُقْبَلُ عَلَى طَاعَتِهِ.

{ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مُرِيبٌ } (الشورى : 14)

14- وَمَا اخْتَلَفَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ وَقَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَوَضَحَ أَمَامَهُمُ الطَّرِيقُ، بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ، وَإِنزَالِ الْكُتُبِ عَلَيْهِمْ، فَتَرَكَوا الدَّلِيلَ، وَلَا زَمُوا الْخِلَافَ وَالْجِدَالَ، حَسَدًا وَتَبَاغُضًا، وَعِنَادًا وَاسْتِكْبَارًا. وَلَوْلَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ وَإِنظَارِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَفُضِيَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَأُنزِلَتِ الْعُقُوبَةُ بِالْمُكَدِّبِينَ، وَإِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي شَكٍّ مِنْ كِتَابِهِمْ، وَحَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ.

{ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } (الشورى : 15)

15- فَلْأَجْلِ مَا ذُكِرَ مِنَ التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ أَيُّهَا الرُّسُولُ، ادْعُ النَّاسَ إِلَى الدِّينِ، وَإِلَى الْوَحْدَةِ وَالِاتِّبَاعِ، وَاتَّبِعْ كَمَا أَمَرَكَ اللهُ أَنْتَ وَمَنْ اتَّبَعَكَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ، وَدَاوَمُوا عَلَيْهِ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الْمُشْرِكِينَ الْفَاسِدَةَ، وَآرَاءَهُمُ الضَّالَّةَ، وَقُلْ: صَدَقْتُ بِجَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُنزَلَةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَمَرَنِي اللهُ بِأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ، فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ.

الله رَبُّنَا جَمِيعًا، وَهُوَ مُتَوَلَّى أُمُورِنَا، لَنَا أَعْمَالُنَا الَّتِي نُحَاسِبُ عَلَيْهَا، وَثَابُ أَوْ نُعَاقَبُ عَلَيْهَا، وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ الَّتِي اكْتَسَبْتُمُوهَا وَلَا يَتَعَدَّى ضَرْزُهَا إِلَيْنَا، لَا مُحَاجَّةَ وَلَا مُنَازَرَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، فَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ، وَتَبَيَّنَ سَبَبُ الْمِخَالَفَةِ، وَهُوَ الْمَكَابِرَةُ وَالْعِنَادُ مِنْ قِبَلِكُمْ.

وَكَانَ هَذَا بِمَكَّةَ، قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ الْقِتَالِ، فَهِيَ مَنسُوخَةٌ. وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: مَعْنَاهَا أَنَّ الْكَلَامَ بَعْدَ ظُهُورِ الْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ قَدْ سَقَطَ بَيْنَنَا، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا السَّيْفُ. فَعَلَى هَذَا تَكُونُ مُحْكَمَةً.

اللَّهُ تَعَالَى يَجْمَعُ بَيْنَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِلَيْهِ مَرْجِعُنَا يَوْمَ الْحِسَابِ، فَيَفْصِلُ بَيْنَنَا، وَيُجَازِي كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّ.

{ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ } (الشورى : 16)

16- وَالَّذِينَ يُحَاصِمُونَ فِي دِينِ اللَّهِ وَيَصُودُونَ عَنْهُ النَّاسَ، مِنْ بَعْدِ أَنْ اسْتَجَابُوا لِنِدَاءِ اللَّهِ وَدَخَلُوا فِي دِينِهِ، لِيُشَكِّكُوهُمْ فِيهِ وَيَتْرَكُوهُ، وَيَعُودُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ، حُجَّتُهُمْ بَاطِلَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ. وَجَدَاهُمْ لَا حَقَّ فِيهِ أَصْلًا، وَإِنَّمَا هُوَ خُصُومَةٌ وَجَلَّاجَةٌ، وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَسَخَطٌ مِنَ اللَّهِ، لِعِنَادِهِمْ وَاسْتِكْبَارِهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

{ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ } (الشورى : 17)

17- اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى أَنْبِيَائِهِ بِالْحَقِّ وَالصِّدْقِ، وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ، فَاعْتَنِمَ هَذِهِ الدُّنْيَا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، قَبْلَ أَنْ تُفَاجَأَ بِالْمَوْتِ أَوْ الْبَعْثِ، وَمَا يُدْرِيكَ، فَلَعَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَرِيبٌ؟

{ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ } (الشورى : 18)

18- يَسْتَعْجِلُ الْكَافِرُونَ بِالسَّاعَةِ تَكْذِيبًا وَإِنْكَارًا، وَيَقُولُونَ اسْتِهْزَاءً: مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ وَالْمُؤْمِنُونَ خَائِفُونَ وَجِلُونَ مِنْهَا، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، فَيَعْمَلُونَ مِنْ أَجْلِهَا. أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي السَّاعَةِ بِالْبَاطِلِ جَاهِلُونَ بَعِيدُونَ عَنِ الْحَقِّ.

{اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} (الشورى : 19)

19- الله لطيفٌ بخلقه، كثير الإحسان إليهم، فقد أكرمهم وأمدهم بالعقل والفهم، وأنزل عليهم الكتب ليهدوا، ولا يأخذهم بالعذاب فور عصيانهم، ويرزقهم بما يشاء من أنواع البر والحيرات، وهو القادر القوي، العزيز الذي لا يمنع مما يريد.

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُوتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} (الشورى : 20)

20- مَنْ كَانَ يُرِيدُ بِأَعْمَالِهِ ثَوَابَ الْآخِرَةِ أَعْطَيْنَاهُ إِيَّاهُ وَضَاعَفْنَاهُ لَهُ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ بِأَعْمَالِهِ مَتَاعَ الدُّنْيَا وَطَيِّبَاتِهَا أَعْطَيْنَاهُ مِنْهُ نَصِيبَهُ، وَحَرَمْنَا ثَوَابَ الْآخِرَةِ، فَهُوَ لَمْ يَعْمَلْ لَهَا وَلَمْ يَطْلُبْهَا.

{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا الْفَصْلُ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (الشورى : 21)

21- بل إن هؤلاء المشركين شياطين من الجن والإنس زينوا لهم أشياء منكّرة في أنفسهم، فحرموا لهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام، كالشرك، وإنكار البعث، وتحليل الميتة والدم، وغيرها، فالتزموا بها وصارت لهم شرعة، وهو ما لم يأمر به الله، وهو وحده سبحانه الذي يشرع ويأذن لرَسُولِهِ بذلك، ولولا القضاء الذي قضى به الله بتأخير حسابهم وعذابهم إلى يوم القيامة، لفضي بين المؤمنين والكافرين، وعوجل الكافرون بالعقوبة، ولهم في الآخرة عذاب مؤلم موجه.

{تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} (الشورى : 22)

22- ترى الكافرين يوم القيامة حائفين خوفاً شديداً من أعمالهم السيئة التي اقترفوها في الدنيا، وما يخافون منه من العذاب واقع بهم. والذين آمنوا بالله وأخلصوا له في الطاعة

والعمل، منازلهم في رياض الجنة وأطيب بقاعها، ولهم ما يشتهون من المأكِل والمشارب اللذيذة عند ربهم، وذلك هو النعمة الكبيرة، والفوز العظيم.

{ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ }
(الشورى : 23)

23- وهذا الفضل الكبير هو ما يبشِّر الله به عباده المؤمنين، الذين أحسنوا العمل في الدنيا. وقُل أيُّها الرسول: إنني لا أطلب منكم يا معشر قريش على هذا البلاغ والنصح أجرًا تؤدُّونه إليّ، إلا أن تؤدُّوني في قرأتي منكم، وتصلوا ما بيني وبينكم من الرِّحم، حتَّى أبلِّغ رسالة ربِّي. "ولم يكن بطنٌ من قريشٍ إلا كان للرسول صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة"، كما قاله ابن عبَّاس في صحيح البخاري.

ومن يكتسب حسنة نَزِد له في تلك الحسنة الأجر والثواب، ونُضاعفها له، والله غفورٌ لذنوب عباده المؤمنين، ولو كانت كثيرة، شكورٌ لحسناتهم، فيضاعفها لهم ولو كانت قليلة.

{ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } (الشورى : 24)

24- بل إن المشركين يزعمون أن محمداً كذب على الله بادِّعاء نزول الوحي عليه! وإذا كان دعواهم صحيحًا، فإن يشأ الله يطبع على قلبك ويتنزَّع ما آتاك من القرآن، بل هم المفترون في هذا الكلام. والله يمحِّق الباطل ويثبت الحق بوحيه وقضائه، إنَّه عليم بما تخفيه الصدور، وما تُكنُّه الصُّمائر.

{ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } (الشورى : 25)

25- وهو التواب الذي يقبل التوبة عن عباده إذا تابوا وأنابوا، ويعفو عنهم ويغفر لهم سيئاتهم، صغيرها وكبيرها، والله يعلم ما تفعلون من خيرٍ وشر.

{وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} (الشورى : 26)

26- وَيَسْتَجِيبُ اللَّهُ دُعَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَيَزِيدُهُمْ عَلَى مَا اسْتَحَقُّوا مِنَ الثَّوَابِ مِنْ فَضْلِهِ الْوَاسِعِ، وَالْكَافِرُونَ مُبْعَدُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي جَهَنَّمَ.

{وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ} (الشورى : 27)

27- وَلَوْ وَسَّعَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ وَأَعْطَاهُمْ فَوْقَ حَاجَتِهِمْ، لَطَعُوا وَتَجَبَّرُوا، وَأَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ، وَلَكِنَّهُ يُنْزِلُ لَهُمْ مِنَ الرِّزْقِ بِقَدَرٍ مَصْلِحَتِهِمْ، كَمَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ تَعَالَى، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يُصْلِحُهُمْ، فَيُعْطِي مَنْ يَسْتَحِقُّ الْغِنَى، وَيُفْقِرُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْفَقْرَ. وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِأَمْرِ عِبَادِهِ، بَصِيرٌ بِمَا يَلْزَمُهُمْ وَمَا يُصْلِحُهُمْ.

{وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ} (الشورى : 28)

28- وَهُوَ الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ، الَّذِي يُنْزِلُ الْمَطَرَ لِيُعْيِيَهُمْ مِنَ الْجُدْبِ وَالْقَحْطِ، بَعْدَمَا يَتَسَوَّأُوا مِنْ نُزُولِهِ، وَيَسْطُرُ رَحْمَتَهُ بِهَذَا الْمَطَرِ كَذَلِكَ عَلَى السَّهْلِ وَالْجَبَلِ، وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَ، وَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى عِبَادَهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَالتَّفَضُّلِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْحَمْدِ بِذَلِكَ.

{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ} (الشورى : 29)

29- وَمِنْ آيَاتِهِ الدَّالَّةُ عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ، خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، بِتَنَاسُقٍ مُحْكَمٍ، وَشَكْلِ بَدِيعٍ، وَنِظَامٍ دَقِيقٍ، وَمَا نَشَرَ فِيهِمَا مِنْ أَحْيَاءٍ، صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ، مِنْ إِنْسٍ، وَجِنٍّ، وَمَلَائِكَةٍ، وَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ، بِأَنْوَاعِهَا وَأَشْكَالِهَا، وَاخْتِلَافِ صِفَاتِهَا وَطَبَائِعِهَا وَلُغَاتِهَا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى جَمْعِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، عِنْدَمَا يَشَاءُ ذَلِكَ.

{ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } (الشورى : 30)

30- وما أصابكم من بلاءٍ ونكبةٍ في الدنيا، فبسببِ معاصيكم وسيئاتكم التي اقترفتُموها، ويصفحُ اللهُ عن الكثيرِ مما بدرَ منكم، فلا يُعاقِبكم عليها.

{ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } (الشورى : 31)

31- وما أنتم بمُعينين اللهُ من أن يُجري حُكمه وفضاءه عليكم، أينما كنتم في الأرض، ومهما تحصنتم فيها، فكلُّ شيءٍ فيها مُلكه، وحُكمه وتصرفه نافذٌ في كلِّ مكان، ولا أحدٌ يقدرُ على منعِ عذابِ اللهِ إذا قدره عليكم، ولا أن يدفعه عنكم إذا وقعتم فيه.

{ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ } (الشورى : 32)

32- ومن آياتِ اللهِ الدالةِ على قدرته أن سخرَ لكم البحرَ لتجري فيه السفنُ وهي كالجبال، كالبواخرِ ذواتِ الطبقات، وناقلاتِ النفطِ وما إليه، والأساطيلِ الحربيَّة التي فيها مطارات.

{ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ }

(الشورى : 33)

33- إن يُرد اللهُ يوقِفِ الرِّيحَ التي تُسيِّرُ السفنَ، فتبقى واقفةً في الماء. وفيما سخره اللهُ لكم من البحرِ والرِّيحِ آياتٌ وعبر، لكلِّ صبورٍ في الشدائد، شاكرٍ لنعمةِ ربِّه في الرِّحاء.

{ أَوْ يُوبِقْهُمْ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ } (الشورى : 34)

34- ولو شاء اللهُ لأغرقَ تلكَ السفنَ وأهلكَ أهلها، بتهييجِ الرِّيحِ وجعلها نعمةً بدلَ تسييرها، بسببِ ما اكتسبوا من آثامٍ وجرائم، ويعفو اللهُ عن كثيرٍ من ذنوبهم ولا يُعاقبهم بإسكانِ الرِّيحِ أو إغراقِ السفن.

{وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ حَكِيمٍ} (الشورى : 35)

35- وليعلم الذين يجادلون في آياتنا وأدلتنا بالباطل أن لا مهرب لهم من بأسنا، ولا مخلص لهم من عذابنا.

{فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (الشورى : 36)

36- فما حصلتم على شيء من زينة الدنيا ونعيمها، فمتاع تتمتعون به مدة حياتكم، وتزول عنكم بزوالكم، وما عند الله من الثواب في الآخرة أفضل وأدوم، للذين آمنوا برّبهم وأخلصوا له الطاعة، ويعتمدون عليه في أمورهم كلها.

{وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} (الشورى : 37)

37- والذين يجتنبون كبائر الذنوب، وما تفاحش عمله واستنكر. والذين إذا ثأروا وغضبوا لم يظلموا الناس ولم ينتقموا، ولكن أنابوا إلى ربهم وعلموا ما عنده من الثواب فكظموا غيظهم، وحلموا وعفوا عنهم.

{وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} (الشورى : 38)

38- والذين أطاعوا ربهم، واتبعوا رسله، وحافظوا على صلواتهم، وشأنهم أن يتشاوروا فيما بينهم ولا يتعجلوا في الأمور. وفي الاستشارة فوائد، في الأسرة، وفي العمل، والتجارة، والحرب، والإدارة، يعود نفعها على الأفراد والجماعات والأمم، وما خاب من استشار. ومن الآراء الفردية ما تكون الحسارة فيها كبيرة، وخاصة في القضايا المصيرية. فلا بد من مشاوره أهل الرأي والحل والعقد، والاستبداد بالرأي ليس من صفات المؤمنين، بل هو مخالفة لأمر رب العالمين.

ومن صفاتهم أنهم لا ينسون المحتاجين من إخوانهم، فيقضون حوائجهم، ويؤفقون أموالهم في وجوه البر والإحسان.

{وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ} (الشورى : 39)

39- والذين إذا أصابهم ظلم وإجحاف، انتصروا لأنفسهم، وانتقموا ممن ظلمهم، ولم يكونوا عاجزين أذلاء، وهم إن شأؤوا عفا، وغيرهم قد يتجاوزون في الانتقام. والمؤمن عزيز النفس لا يستدل، فإذا قدر عفا.

{وَجَزَاءَ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}

(الشورى: 40)

40- وجزاء اعتداء هو المماثلة فيه، يعني القصاص {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} [سورة البقرة: 194]. فَمَنْ عَفَا وَتَجَاوَزَ عَنْ حَقِّهِ، وَأَصْلَحَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ، فَلَهُ جَزَاءٌ عَظِيمٌ عِنْدَ رَبِّهِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، الَّذِينَ يَبْدُونَ بِالسَّيِّئَةِ، أَوْ يَتَجَاوَزُونَ الْحَدَّ فِي الْإِنْتِقَامِ.

{وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ} (الشورى : 41)

41- وللمن أخذ بحقه بعدما ظلم، فلا بأس عليه، ولا يُعاقب، فقد قام بعمل مشروع.

{إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

{أليم} (الشورى : 42)

42- إنما المؤاخذه على من ظلموا، فبدؤوا بالاعتداء، أو تجاوزوا في أخذ حقهم، ويريدون البغي والإفساد في الأرض بغير وجه حق، فهؤلاء يجب أن يمنعوا من الظلم، ولهم عقوبة شديدة.

{وَلَمَنِ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} (الشورى : 43)

43- ومن صبر على الأذى، وعفا عن ظلمه، وترك الانتصار لنفسه ابتغاء وجه الله تعالى، فإن ذلك الصبر والعفو من الأخلاق الكريمة، والأفعال الحميدة، التي عليها ثواب جزيل.

{ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَبِئٍ مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ
إِلَى مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ { (الشورى : 44)

44- وَمَنْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِلضَّلَالِ جَعَلَهُ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ، وَلَنْ تَجِدَ أَحَدًا يَلِي هِدَايَتَهُ
بَعْدَ ذَلِكَ. وَتَرَى الْكَافِرِينَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُونَ: هَلْ مِنْ رَجْعَةٍ إِلَى الدُّنْيَا
حَتَّى نُؤْمِنَ وَنَعْمَلْ صَالِحًا؟ { وَلَوْ تَرَى إِذْ وُفِّقُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ
رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } [سورة الأنعام: 27].

{ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا
إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ
مُّقِيمٍ { (الشورى : 45)

45- وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ⁽¹³⁶⁾ مُتَضَاتِلِينَ مُتَصَاغِرِينَ، مِنَ الدُّلِّ وَالْهَوَانِ، يُسَارِقُونَ النَّظَرَ
إِلَى النَّارِ خُفْيَةً، خَشْيَةً تَصَوُّرِ أَنفُسِهِمْ وَهُمْ يُرْمَوْنَ فِيهَا وَيُعَدَّدُونَ، وَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَئِذٍ: إِنَّ
الْخَاسِرِينَ الْخَسَارَةَ الْكُبْرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ، وَصَارُوا جَمِيعًا فِي
النَّارِ، أَلَا إِنَّ الْكَافِرِينَ فِي عَذَابٍ دَائِمٍ لَا يَنْقَطِعُ.

{ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءٍ يَنْصُرُوهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ {
(الشورى : 46)

46- وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يَتَوَلَّوْنَ أَمْرَهُمْ، فَيَنْتَصِرُونَ لَهُمْ، وَيُنْقِدُوهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ عَذَابٍ،
وَمَنْ يُضْلِلْهُ اللَّهُ لَا سَتِحْقَاقَهُ ذَلِكَ، فَلَيْسَ لَهُ طَرِيقٌ إِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ فِي الدُّنْيَا، وَالْفَوْزِ وَالنَّجَاةِ
فِي الْآخِرَةِ.

(136) معنى عرضهم على النار: إحراق أرواحهم وتعذيبهم بها، من قولهم: غرض الأسارى على السيف إذا قُتلوا به،
قال في القاموس: عرض القوم على السيف قتلهم، وعلى السوط ضربهم. (روح البيان، عند تفسير الآية 46 من سورة
غافر).

{ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّالٍ جَارٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ } (الشورى : 47)

47- أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ لِمَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الَّذِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يَمْنَعَ وَقُوعَهُ، لَيْسَ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ مَّالٌ تَلْتَجِئُونَ إِلَيْهِ مِنْ عَذَابِهِ، وَلَا بَحَالٌ لِانْكَارِ مَا اقْتَرَفْتُمُوهُ مِنْ جَرَائِمٍ وَأَثَامٍ، وَلَوْ أَنْ كَرَّمْتُمْ لَشَهِدَتْ عَلَيْكُمْ جَوَارِحُكُمْ.

{ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ } (الشورى : 48)

48- فَإِنَّ كَذَّبَكَ الْمَشْرِكُونَ، وَأَعْرَضُوا عَمَّا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَلَسْتَ مُوَكَّلًا بِهَدَايَتِهِمْ، مَا عَلَيْكَ سِوَى تَبْلِيغِ رِسَالَةِ رَبِّكَ، وَإِنَّا إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ بِالْأَمْنِ وَالصَّحَّةِ وَالغِنَى، سُرَّ بِذَلِكَ وَاسْتَبَشَّرَ، وَإِذَا ابْتَلَيْتِ النَّاسَ بِالْخَوْفِ وَالْمَرَضِ وَالْفَقْرِ، بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وَإِسَادِهِمْ، نَسُوا النِّعْمَةَ الَّتِي أُؤْتُوا مِنْ قَبْلِ، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ لَا يَسْتَحِقُّونَ الْإِبْتِلَاءَ الَّذِي ابْتُلُوا بِهِ!

{ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ } (الشورى : 49)

49- لِلَّهِ وَحْدَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ الْعَظِيمَةِ، وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهَا، وَهُوَ وَحْدَهُ الْمُتَصَرِّفُ فِيهَا، وَمُدَبِّرُ شَأْنِهَا، يَخْلُقُ فِيهَا مَا يَشَاءُ، وَيَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْبَنَاتِ دُونَ الْبَنِينَ، وَيَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ الْبَنِينَ دُونَ الْبَنَاتِ،

{ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ } (الشورى : 50)

50- أَوْ يَجْمَعُ لَهُمْ بَيْنَ الذُّكُورِ وَالْإِنثَاءِ، وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ عَقِيمًا لَا يُؤَلِّدُ لَهُ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِأَحْوَالِ عِبَادِهِ وَمَنْ يَسْتَحِقُّ مِنْهُمْ هَذَا دُونَ ذَلِكَ، قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْعُلْيَا فِي الْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ.

{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ
بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (الشورى : 51)

51- وما كان لأحد من الناس أن يكلمه الله إلا وحياً، وهو الإلقاء في القلب، في اليقظة أو في المنام، أو من وراء حجاب، فيسمع صوته ولا يرى هو، كما في تكلمه تعالى مع موسى عليه السلام، أو يرسل ملكاً إليه، فيوحى إلى النبي بأمر الله ما يشاء أن يوحيه، وهو حال كثير من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وهو المتعالي على صفات المخلوقين، الحكيم فيما يوحى ويشرع.

{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (الشورى :
52)

52- وكما أوحينا إلى الرسل، أوحينا إليك هذا القرآن العظيم، الذي هو حياة للقلوب، ما كنت تعرف من قبل ما هو القرآن، ولا الإيمان بمعالمه التي بينها الله لك بالوحي، ولكن جعلنا القرآن نوراً وهدى به من نشاء هدايته من عبادنا، وإنك أيها النبي تهدي بذلك النور إلى طريق الله المستقيم،

{صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} (الشورى: 53)

53- وهو دين الإسلام الذي أمر الله به، الذي له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما، خلقاً وملكاً وتصرفاً، وإلى الله ترجع الأمور كلها يوم القيامة، وهو وحده الذي يفصل فيها.

سورة الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم) (الزخرف : 1)

1- حُرُوفٌ مُّقْتَطَعَةٌ اِخْتَلَفَ الْمَفْسَّرُونَ فِي دَلَالَتِهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِهَا.

{وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ} (الزخرف : 2)

2- أُقْسِمُ بِالْقُرْآنِ الْبَيِّنِ فِي أَلْفَاظِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَفِي هَدْيِهِ وَدَلَالَتِهِ، وَفِي دَعْوَتِهِ النَّاسَ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ.

{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (الزخرف : 3)

3- إِنَّا جَعَلْنَاهُ كِتَابًا بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ فَصِيحٍ، لَتَفْهَمُوا أَحْكَامَهُ وَتَتَدَبَّرُوا مَعَانِيَهُ، وَلَتَعْتَبِرُوا بِمَا فِيهِ.

{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ} (الزخرف : 4)

4- وَإِنَّهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ عِنْدَنَا ذُو مَنزِلَةٍ عَالِيَةٍ، عَظِيمِ الْقَدْرِ بَيْنَ الْكُتُبِ، مُحْكَمٌ، لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ بَاطِلٌ وَلَا تَحْرِيفٌ.

{أَفَنْضَبُهُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ} (الزخرف : 5)

5- أَفَنْبَعِدُ عَنْكُمْ الْقُرْآنَ بِسَبَبِ تَكْذِيبِكُمْ لَهُ وَرَفْضِكُمْ اتِّبَاعَهُ؟ بَلْ نَرْحَمُكُمْ وَنَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، لِيَهْتَدِيَ بِهِ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ لَهُ الْخَيْرَ وَالْهُدَايَةَ، وَلِيَكُونَ حُجَّةً عَلَى مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ.

{وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ} (الزخرف : 6)

6- وَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا كَثِيرِينَ إِلَى الْأُمَمِ الَّتِي سَبَقَتْكُمْ.

{ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } (الزخرف : 7)

7- وما كان يأتيهم نبي من الأنبياء إلا كانوا يكذبونه ويسخرون منه، كما يفعل قومك بك، ولم يمنعنا ذلك من إرسال الرسل إليهم.

{ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأُولَى } (الزخرف : 8)

8- فانتقمنا لهم، وأهلكنا من كذبوهم، وكانوا أقوى من قومك، وأشد بأساً منهم، وقد سبقنا في تقدير العقوبة على هؤلاء وأمثالهم من المكذبين.

{ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ } (الزخرف:

9)

9- وإذا سألت هؤلاء المشركين: من الذي خلق السموات العظيمة، والأرض وما فيها ومن عليها؟ فسسيقولون: خلقهن الله وحده، العزيز في ملكه فلا يفهر، العليم بأحوال الكون كله فلا يخفى عليه شيء.

{ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } (الزخرف : 10)

(

10- الذي بسط لكم الأرض ومهدا لتستقروا عليها، وجعل لكم فيها طرقاً ومسالك بين الأودية والجبال لتتنقلوا من خلالها بين الأقطار والبلدان، وهدتوا بها في أسفاركم، وليكون ما سخره لكم من ذلك دليلاً إلى الإيمان بالله وقدرته.

{ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُكَوْنُ } (الزخرف:

11)

11- وهو الذي أنزل عليكم المطر من السحاب بقدر حاجتكم إليه، فأحيينا به أرضاً قاحلة خالية من نبات حي، وكما أحيينا تلك الأرض، كذلك نبعثكم من قبوركم أحياء يوم القيامة.

{وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ} (الزخرف : 12

(

12- وهو الذي خلق أنواع النبات والحيوان زوجين، ذكراً وأنثى في كلٍّ منها، لتتكاثر وتُنبو، وسخَّرَ لكم البحر، لتركبوا على السفن فيه وتبحروا بها إلى حيث تُريدون، والأنعام كذلك، دَلَّلَ أنواعاً منها لتركبوا عليها وتحمل أثقالكم إلى حيث تُبعون،

{لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ} (الزخرف : 13)

13- لتستقروا على ظهورها، ثم تذكروا فضل الله عليكم ورحمته بكم بتسخيرها لكم إذا استويتم على ظهورها، وتقولوا مُقرِّينَ بنعمته، شاكرين لفضله: {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ}: تقدَّسَ اللهُ ربُّنا وتنزَّهَ عن كلِّ نقصٍ وعيب، الذي دَلَّلَ لنا هذا المركوب ويسرُّه لنا، وما كُنَّا قادرين ومُطيقين لتسخيره لولا تيسيره لنا.

{وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ} (الزخرف : 14)

14- {وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ}: وَإِنَّا رَاجِعُونَ إِلَىٰ رَبِّنَا بَعْدَ مَمَاتِنَا، لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

{وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورًا مُّبِينًا} (الزخرف : 15)

15- وقد ناقض المشركون أنفسهم عندما اعترفوا بأنَّ الله هو الخالق ثم جعلوا له صفاتٍ للمخلوقين، وقالوا إنَّ الملائكة بناتُ الله، فجعلوا عباداً له بضعةً منه، وهو سبحانه بائنٌ من خلقه، إنَّ الإنسان جحودٌ لنعمة ربِّه - على الغالب - والكافرُ ظاهرُ الكفرانِ في ذلك.

{أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ} (الزخرف : 16)

16- وَقَالَ سُبْحَانَهُ مُنْكَرًا عَلَيْهِمْ: أَمْ أَنَّ اللَّهَ أَخَذَ لِنَفْسِهِ الْبَنَاتِ، وَأَنْتُمْ لَا تَرْضَوْنَ بَهَنَ،
وَاحْتَارَ لَكُمْ الْبَنِينَ، وَهُمْ الْأَفْضَلُ عِنْدَكُمْ؟ فَكَيْفَ يُوَثِّرُكُمْ عَلَى نَفْسِهِ، عَلَى زَعْمِكُمْ أَنَّ
الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ!؟

{ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ } (الزخرف: 17)
17- وَإِذَا أُخْبِرَ أَحَدُ الْجَاهِلِيِّينَ الْمُشْرِكِينَ بِوِلَادَةِ أَنْثَى لَهُ، صَارَ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا مِنَ الْعَمِّ وَالْبُغْضِ
وَالْكَرَاهِيَةِ مِمَّا بُشِّرَ بِهِ، وَهُوَ سَاكِتٌ مَهْمُومٌ، قَدْ امْتَلَأَ حُزْنًا وَكَمَدًا مِمَّا لَحِقَهُ مِنْ ذَلِكَ!

{ أَوْ مَنْ يُنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ } (الزخرف: 18)
18- أَوْ قَدْ خَصُّوا اللَّهَ بِمَنْ يُنْشَأُ فِي النُّعُومَةِ وَالرِّبَةِ مِنَ النِّسَاءِ، فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى إِظْهَارِ حُجَّةٍ
فِي الْجِدَالِ، وَلَا مُقَارَعَةٍ فِي الْقِتَالِ، فَكَيْفَ يَنْسِبُونَهَا لِلَّهِ تَعَالَى، وَيَخْصُّونَ أَنْفُسَهُمْ بِمَنْ يَكُونُ مِنَ
الْفُرْسَانِ وَالْأَبْطَالِ؟ وَهُوَ رَدٌّ عَلَيْهِمْ بِمَنْطِقِهِمْ.

{ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ
وَيُسْأَلُونَ } (الزخرف: 19)

19- وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ إِنَاثٌ! وَهُمْ عِبَادُ اللَّهِ مُكْرَمُونَ. أَحْضَرُوا خَلْقَهُمْ عِنْدَمَا
أَنْشَأَهُمُ اللَّهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، أَمْ أَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ بِذَلِكَ؟ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ بِأَدْعَائِهِمْ هَذَا
الْقَوْلِ، وَيُحَاسَبُونَ عَلَيْهِ أَشَدَّ الْحِسَابِ.

{ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ } (الزخرف: 20)

20- وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ الْجَاهِلُونَ: لَوْ أَرَادَ اللَّهُ إِلَّا نَعْبُدَ الْمَلَائِكَةَ لِمَا عَبَدْنَاهُمْ، وَمَادَامَ أَنَّهُ لَمْ
يُعَاقِبْنَا، فَهَذَا يَعْنِي رِضَاهُ عَنَّا وَإِقْرَارُهُ لَنَا عَلَى مَا نَفْعَلُ! وَكَيْفَ عَرَفُوا ذَلِكَ، وَمَا دَلِيلُهُمْ فِيهِ؟
إِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ كَذِبًا وَاضِحًا.

{ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ } (الزخرف : 21)

21- أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ فِيهِ إِذْنٌ لَهُمْ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، فَهُمْ مُتَمَسِّكُونَ بِهِ وَمُعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ؟

{ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ } (الزخرف : 22)

22- لَا حُجَّةَ لَهُمْ سِوَىٰ أَنْ قَالُوا: لَقَدْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا وَأَجْدَادَنَا عَلَىٰ دِينٍ وَطَرِيقَةٍ، وَنَحْنُ سَائِرُونَ عَلَىٰ دَرَجِهِمْ.

{ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ

أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ } (الزخرف : 23)

23- وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَىٰ هَذَا الْكَلَامِ مَنْ قَبْلَهُمْ، فَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَىٰ قَرْيَةٍ أَوْ مَدِينَةٍ، إِلَّا قَالَ كِبْرَاؤُهَا وَأَغْنِيَاؤُهَا الْأَشْرُونَ: هَكَذَا وَجَدْنَا آبَاءَنَا يَعْتَقِدُونَ وَيَعْمَلُونَ، وَنَحْنُ نَقْتَدِي بِهِمْ وَنَفْعَلُ مَا يَفْعَلُونَ!

{ قَالَ أَوْلُو جُنَّتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ }

(الزخرف : 24)

24- قَالَ رَسُولُ كُلِّ أُمَّةٍ فِيهِمْ: أَوْلُو آتِينَاكُمْ بِمَا هُوَ أَحَقُّ وَأَصَوَّبُ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ مِنْ الضَّلَالِ وَالْإِنْحِرَافِ؟

قَالُوا فِي جَهَالَةٍ وَعِنَادٍ: نَحْنُ جَاحِدُونَ مَا بُعِثْتُمْ بِهِ، غَيْرُ مُتَّبِعِينَ لِرِسَالَتِكُمْ، مَهْمَا كَانَ شَأْنُكُمْ.

{ فَانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين } (الزخرف : 25)

25- فَانْتَقَمْنَا مِنَ الْأُمَّةِ الْمَكْذِبَةِ وَأَهْلَكْنَاهُمْ، فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ مَا لَهُمْ؟

{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ } (الزخرف : 26)

26- واذكُرْ قَوْلَ نَبِيِّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ آزرَ وَقَوْمِهِ الْمَشْرِكِينَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ عِبَادَتِكُمْ هَذِهِ الْأَصْنَامِ.

{إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ} (الزخرف : 27)

27- ولا أَعْبُدُ إِلَّا الَّذِي خَلَقَنِي، فَإِنَّهُ يُرْشِدُنِي إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ، وَالْعِبَادَةَ الصَّحِيحَةَ.

{وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (الزخرف : 28)

28- وجعل كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) باقية في ذريته، وما زال منهم من هو على التوحيد ويدعو إليه، ولعل من أشرك منهم يرجع إلى العقيدة الصحيحة.

{بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ} (الزخرف : 29)

29- بل عرّ هؤلاء المشركين وآباءهم ما متّعناهم به من مالٍ ونعمةٍ وعُمُرٍ مديد، ولم نُعاجِلْهُمْ بالعقوبة على كفرهم، حتى جاءهم القرآن، ورسولٌ يبيّن لهم دعوة التوحيد.

{وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ} (الزخرف : 30)

30- ولما جاءهم القرآن، وفيه الدعوة إلى الدين الحق، عاندوا وكابروا، وقالوا: هذا القرآن سحر، ونحن كافرون به!

{وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} (الزخرف : 31)

31- وقال المشركون: هلا نزل القرآن على رجلٍ عظيم، من مكة أو الطائف. يعنون الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف.

{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} (الزخرف : 32)

32- أهم الذين بيدهم مفاتيح النبوة، فيختارون من يشاؤون لذلك، ويستبعدون من يشاؤون منهم؟ إن الأمر كله بيد الله، هو الذي فاوت بين البشر في كثير من الأمور، فهو العالم بمن يصلح للرسالة. نحن وزعنا بينهم أرزاقهم وأسباب معيشتهم في الحياة الدنيا، وجعلنا بعضهم فوق بعض درجات في العنى والجاه وما إليه، ليستخدم بعضهم بعضاً في مهنهم ومصالحهم، هذا بماله وذاك بعمله، وهذا بإدارته وذاك بقوته، وكل يحتاج إلى الآخر. وما أعدده الله لعباده المؤمنين في الدار الآخرة، خير من الأموال وسائر متاع الدنيا، فالدنيا إلى زوال، ورحمة الله باقية.

{ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ } (الزخرف : 33)

33- ولولا خشية أن يجتمع الناس على الكفر ويرغبوا فيه، لجعلنا لمن يكفر بالله بيوتاً سقفاً من فضة خالصة، وسلام ومصاعد من فضة كذلك يرتفون عليها.

{ وَلِيُؤْتِيَهُمْ أَبْوَابًا وَسُرراً عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ } (الزخرف : 34)

34- وجعلنا لبيوتهم أبواباً وأسرة من فضة يتكبرون عليها؛ زيادةً في نعيمهم،

{ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ } (الزخرف : 35)

35- وتنفوساً وزخارف شتى... وكل ذلك استمتاع قليل زائل، في حياة قصيرة فانية، قد عجل لأصحابها نعيمهم. وما أعدده الله من النعيم الدائم في الدار الآخرة هو لعباده المتقين الذين جدوا في طاعته، لا يشاركون فيها غيرهم، وهو أكرم وأبقى من نعيم الدنيا.

{ وَمَنْ يَعِشْ عَنِ الذِّكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ } (الزخرف : 36)

36- ومن يتعام ويعرض عن القرآن، فلم يرج ثواب ما فيه، ولم يخف عقابه، نسلط عليه شيطاناً لا يفارقه، لا يزال يبعثه ويحسن له ما هو عليه من ضلال.

{ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ } (الزحرف : 37)

37- وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيَمْنَعُونَ قُرْآنَهُمْ الْكُفَّارَ مِنَ الْهُدَى وَالْخَيْرِ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ سَائِرُونَ عَلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ!

{ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ } (الزحرف : 38)

38- حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا هَذَا الْكَافِرِ الضَّالِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَعَهُ شَيْطَانُهُ الَّذِي وُكِّلَ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، تَبَرَّأَ مِنْهُ الْكَافِرُ وَقَالَ: لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي الدُّنْيَا بُعْدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَبِئْسَ الصَّاحِبُ الْحَبِيثُ أَنْتَ.

{ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ } (الزحرف : 39)

39- وَلَنْ يُفِيدَكُمُ فِي الْآخِرَةِ اشْتِرَاكُكُمْ فِي الْعَذَابِ، وَلَنْ يُخَفِّفَ ذَلِكَ شَيْئًا عَنْكُمْ، مِنْ قَبِيلِ أَنَّ الْمُصِيبَةَ إِذَا عَمَّتْ هَانَتْ كَمَا كَانَ الْأَمْرُ فِي الدُّنْيَا، بَلْ لِكُلِّ الْحِطِّ الْأَوْفَرِ مِنَ الْعَذَابِ، وَقَدْ كَفَرْتُمْ جَمِيعًا وَأَفْسَدْتُمْ مِنْ قَبْلِ.

{ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } (الزحرف : 40)

40- أَفَتَقْدِرُ عَلَى إِسْمَاعِ الصُّمِّ وَهُمْ لَا يُرِيدُونَ السَّمْعَ؟ أَوْ تَقْدِرُ عَلَى إِهْدَاءِ الْعُمِيِّ وَهُمْ يَأْبُونَ الْإِبْصَارَ، وَقَدْ أَغْلَقُوا نَوَافِدَ النُّورِ إِلَى قُلُوبِهِمْ، وَالْكَافِرِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي غَيِّ وَضَلَالٍ بَيِّنٍ؟ أَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَلَيْسَتْ هِدَايَتُهُمْ إِلَيْكَ، إِنَّمَا أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنْ رَبِّكَ، وَأَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ.

{ فَإِنَّمَا نَذَبْنَاهُ بِكَ فَأِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ } (الزحرف : 41)

41- فَإِذَا قَبَضْنَاكَ إِلَيْنَا قَبْلَ أَنْ يَجَلَ بِهَمْ عَذَابُ رَبِّكَ، فَسَنَنْتَقِمُ مِنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ،

{ أَوْ نُرِيْنِكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ } (الزحرف : 42)

42- أو أن تُرِيكَ العَذَابَ الذي وعدناهم في أثناء حياتك، ونحن قادرون على هذا وذاك. وقد قُتِلَ زُعماءُ المشركين وصناديدهم في حربهم ضدَّ المسلمين، وانتصر الإسلام.

{ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (الزخرف : 43)

43- فتمسك بالقرآن الذي أنزله الله عليك، وداوم على العمل به، فإنك بذلك على الحق والصواب، الذي يُريدُه الله لعباده.

{ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ } (الزخرف : 44)

44- وإن القرآن لشرفٌ عظيمٌ لك ولقومك. فقد نزل بلعنتهم، وكانوا أوّل حملته. وسوف تُسألون وتحاسبون يوم القيامة عن حقوقه عليكم، وعن شكر هذه النعمة.

{ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ } (الزخرف : 45)

45- واسأل الأمم الذين أرسلنا إليهم رسلاً من قبلك، أطلبنا منهم أن يعبدوا آلهة دون الله؟ بل دين الرسل كلهم واحد في الدعوة إلى التوحيد، وأنت واحد منهم، ودعوتك مثل دعوتهم.

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (الزخرف : 46)

46- ولقد أرسلنا موسى بن عمران بمعجزاتنا التي أيّدناه بها إلى فرعون وأشرف قومه وأتباعه، فقال لهم: إني رسول الله رب العالمين.

{ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ } (الزخرف : 47)

47- فلما جاءهم موسى بمعجزاتنا الواضحة، إذا هم يسخرون منها ويستهزؤون بها!

{ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }
(الزخرف : 48)

48- وما كنا نُرِيهِمْ مُعْجِزَةً مِنْ تِلْكَ الْمَعْجِزَاتِ إِلَّا وَهِيَ أَعْظَمُ مِنْ سَابِقَتِهَا، أَوْ أَنْ كُلَّهِنَّ مُعْجِزَاتٌ كَبِيرَاتٌ، يُنْظَرُ إِلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ وَكَأَنَّهَا أَعْظَمُ مِنَ الْأُخْرَى، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَعْرَضُوا وَكَفَرُوا بِالذِّينِ، فَكَانَ جِزَاءَهُمْ أَنْ ابْتَلَيْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ، كَالطُّوفَانِ، وَالْجَرَادِ، وَالْقُمَّلِ، وَالذَّمِّ، لِكَيْ يَعْتَبِرُوا وَيَرْجِعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ.

{ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ } (الزخرف : 49)
49- وقالوا لموسى وقد جهدوا مما أصابهم: أَيُّهَا الْعَالَمُ، ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَكْشِفْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ بَلَاءٍ، بِمَا عَهِدَهُ عِنْدَكَ مِنْ كَشْفِ الْعَذَابِ عَنَّا إِنْ آمَنَّا، وَسَنُؤْمِنُ بِكَ بَعْدَ ذَلِكَ.

{ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ } (الزخرف : 50)
50- فَلَمَّا فَرَجْنَا عَنْهُمْ، وَكَشَفْنَا عَنْهُمْ الَّذِي أَصَابَهُمْ بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِمْ، إِذَا هُمْ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ، وَيُخَالِفُونَ وَعْدَهُمْ، وَيُصِرُّونَ عَلَى كُفْرِهِمْ.

{ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ } (الزخرف : 51)

51- وَجَمَعَ فِرْعَوْنُ الْمُتَكَبِّرُ عُظَمَاءَ قَوْمِهِ، أَوْ طَائِفَةً كَبِيرَةً مِنْهُمْ، وَنَادَى فِيهِمْ قَائِلًا: يَا قَوْمِ، أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ كُلِّهَا، وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ الْمُتَفَرِّعَةُ مِنَ النَّيْلِ تَجْرِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَهِيَ تَحْتَ تَصْرُفِي، أَفَلَا تَرَوْنَ مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْعِظَمَةِ وَقُوَّةِ الْمَلِكِ؟

{ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ } (الزخرف : 52)
52- قَالَ لَعْنَةُ اللَّهِ: بَلْ أَنَا أَفْضَلُ بِهَذَا الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ مِنْ مُوسَى، الضَّعِيفِ الْمِهَانَ، الَّذِي لَا يَكَادُ يُفْصِحُ بِكَلَامِهِ.

{فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ} (الزخرف : 53)

53- قال: فلو كان نبياً حقاً، هلاً ألقى ربه عليه أساور من ذهب، كالسادة والرعماء الذين يحب طاعتهم، أو جاء معه الملائكة يُعينونه ويشهدون بصدقه؟

{فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} (الزخرف : 54)

54- فاستخف بعقول قومه، فأطاعوه فيما أمرهم به، وفي تكذيب ما جاء به موسى، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله.

{فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ} (الزخرف : 55)

55- فلما أسخطونا بأعمالهم السيئة، عاقبناهم، فأغرقناهم جميعاً في البحر.

{فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلآخِرِينَ} (الزخرف : 56)

56- فجعلناهم من السلف المعاقبين، ليعتظ بهم من بعدهم.

{وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} (الزخرف : 57)

57- ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشركين أنهم وما يعبدون حصب جهنم، جادلهم وقال: إن النصارى كذلك تعبد عيسى، فهم وعيسى في جهنم. فضج المشركون وظنوا أنه حاج الرسول صلى الله عليه وسلم!

{وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} (الزخرف :

58)

58- وقالوا له: آلهتنا أفضل أم عيسى؟! إننا نرضى أن نكون وآلهتنا مع عيسى في جهنم، مادام هو أيضاً سيكون فيها! وما ضرب المشركون لك هذا المثل إلا خصومةً وجدلاً عقيماً، بل هم قومٌ مُجادلون بالباطل.

والمرادُ بقوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ} [سورة الأنبياء: 98]:
هم وأصنامهم.

{إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} (الزخرف : 59)

59- وما عيسى بن مريم إلا عبدٌ مخلوق، أنعمنا عليه بالنبوة، وجعلناه مُعْجِزَةً وَعِبْرَةً لبني إسرائيل، فقد خلقناه من غير أب، وأيدناه بمُعْجِزَاتٍ كبيرة.

{وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ} (الزخرف : 60)

60- ولو أردنا لأهلكناكم وجعلنا بدلاً منكم ملائكةً يَخْلُقُونَ الأَرْضَ، ويعبدونني ولا يشركون بي شيئاً.

{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} (الزخرف : 61)

61- وإن عيسى عليه السلام علامةٌ على الساعة، يُعْلَمُ بِهَا قُرْبُهَا، عند نزوله في آخر الزمان، فلا تَشْكُوا فيها ولا تُكذِّبوا بها، فإنها آتيةٌ لا ريبَ فيها. واتَّبِعُونِي فيما أُخْبِرُكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فإنَّ القرآنَ الذي أدعوكم إليه هو الحق، والطريقُ الصَّواب.

{وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (الزخرف : 62)

62- ولا يَصْرِفَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ عَنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِ دِينِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ عَدُوٌّ ظَاهِرُ الْعَدَاوَةِ لَكُمْ.

{وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ

فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} (الزخرف : 63)

63- ولما بُعِثَ عيسى إلى بني إسرائيل قال لهم: لقد جئتكم بالنبوة، ولأوضح لكم بعض ما تَخْتَلِفُونَ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ، وَمِنْ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ، فاحذروا مُخَالَفَةَ أَمْرِ اللَّهِ، وأطيعوني فيما أمركم به من عنده.

{ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } (الزحرف : 64)

64- فأنا مثلكم في العبودية، واللهُ ربِّي وربُّكم، فالتزموا طاعته، واعبدوه وحده، فإنَّ التوحيدَ هو الطريقُ الصَّواب، الذي يُرضي الربَّ، ويهدي إلى الجنَّة.

{ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ أَلِيمٍ } (الزحرف : 65)

65- فاختلَفوا وتفرَّقوا، وصاروا شيعًا وأحزابًا، وقالوا ما قالوا في عيسى ووالديه، فالويلُ والهلاكُ للفرقِ الضَّالَّة، المحرِّفة والمبدِّلة، من عذابِ يومِ القيامة.

{ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } (الزحرف : 66)

66- هل يَنتظرُ المشركونَ المكذِّبونَ إلا أن تأتيهمُ السَّاعةُ فجأةً وهم في غفلةٍ لا هون؟

{ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ } (الزحرف : 67)

67- الأصدقاءُ المحبُّونَ في يومِ القيامةِ يكونُ بعضهمُ أعداءً لبعض، إلا المتحابِّينَ في طاعةِ الله، فإنَّها باقية، ومثابٌ عليها.

{ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ } (الزحرف : 68)

68- يا عبادي المؤمنينَ المتحابِّينَ في الله، لا خوفَ عليكم اليومَ ولا بأس، فلا تجزعوا ممَّا ترونه من أهوالِ يومِ القيامة، ولا تهتمُّوا ولا تعتمُّوا، فإنَّ أمامكم ما يسركم ويفرح قلوبكم.

{ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ } (الزحرف : 69)

69- الذين آمنوا بالله وآياته كلها، وكانوا مُستسلمينَ لأمرِ الله ورَسُوله، مُنقادينَ للشَّرعِ وأحكامه.

{ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ } (الزحرف : 70)

70- ادخلوا الجنة أنتم وزوجاتكم المؤمنات، تنعمون فيها وتُسرون.

{ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (الزخرف : 71)

71- يُطَافُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ بِأَوَانٍ كَقِصَاصٍ مِّنْ ذَهَبٍ، وَأَكْوَابٍ، وَفِيهَا مَا تَرَعَبُ فِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَشْتَهِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ، وَمَا تَسْتَلذُّهُ الْأَعْيُنُ مِنَ الْجَمَالِ وَحُسْنِ الْمَنْظَرِ، وَأَنْتُمْ مَأْكُوثُونَ فِيهَا أَبَدًا.

{ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (الزخرف : 72)

72- وتلك هي الجنة التي أُعطيتموها، واقتسمتم منازلتها بما كنتم تعملون من الأعمال الصالحة في الحياة الدنيا.

قال ابن كثير رحمه الله: أي: أعمالكم الصالحة كانت سببًا لشمول رحمة الله إياكم، فإنه لا يدخل أحدًا عمله الجنة، ولكن برحمة الله وفضله، وإنما الدرجات يُنال تفاوتها بحسب الأعمال الصالحات.

{ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ } (الزخرف : 73)

73- لكم فيها فواكه كثيرة، بأنواعها وأصنافها المتعددة، وألوانها وطعمومها المتنوعة، تأكلون منها متى ما أردتم.

{ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ } (الزخرف : 74)

74- إِنَّ الْكَافِرِينَ الْأَشْقِيَاءَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ بِأَقْوَنَ أَبَدًا.

{ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ } (الزخرف : 75)

75- لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ سَاعَةً وَاحِدَةً، وَهُمْ فِيهِ حَزِينُونَ سَاكِتُونَ، آيسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.

{ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ } (الزخرف : 76)

76- ولم نَظَلِمَهُمْ بهذا العذاب، بل هُم الذين جَلَبَوْهُ لأنفُسِهِمْ، فكفروا بآياتنا، وكذبوا رسلنا، وفتنوا المؤمنين عن دينهم، وعصوا وأفسدوا في الأرض، وأصرُّوا على الكفر حتى ماتوا عليه.

{ وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُتُبُونَ } (الزخرف : 77)

77- ولما اشتدَّ عليهم العذابُ وطالَ بهم، نادوا خازنَ النَّارِ: يا مالِك، ليَقْبِضْ رَبُّكَ أرواحنا ويُريحنا ممَّا نحنُ فيه. فقال لهم: إنَّكم مُقيمونَ في العذابِ أبداً.

{ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ } (الزخرف : 78)

78- لقد أعلمناكم بالحقِّ في الحياةِ الدُّنيا، وبيَّنا لكم الهدى مِنَ الضَّلالِ، ولكنَّ أَكْثَرَكُمْ كانوا مُبغضينَ لدينِ الله، لا يَقْبَلُونَ الحقَّ، وَيَنْفِرُونَ مِنَ الْحَجَجِ والآياتِ، ويؤثرونَ عليها أهواءَهُم وعاداتِهِم.

{ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ } (الزخرف : 79)

79- أمَّ أَنْ المشركينَ قد دَبَّرُوا أمراً للكيِّدِ بِرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، بِقَتْلِهِ، أو القَضَاءِ على رسالته؟ فَإِنَّ الله قد أَحْكَمَ الأمرَ لِخِذْلَانِهِم، وَنُصْرَةِ نبيِّه، فلنَ يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شيئاً.

{ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ } (الزخرف : 80)

80- أمَّ يَظُنُّونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ ما يُسْرُونَ في أنفُسِهِم، وما يَتَنَاجَوْنَ بِهِ مِنْ كَلامٍ بَيْنَ بَعْضِهِمُ البَعْضِ؟ بلى، نحنُ عالمونَ بذلك، وملائكتنا يَكْتُبُونَ ما يَقُولُونَ وما يَعْمَلُونَ.

{ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ } (الزخرف : 81)

81- قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ أَيُّهَا الرَّسُولُ: لَوْ كَانَ لِلَّهِ وَلَدٌ حَقًّا، لَعَبَدْتُهُ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ لَا يَصِحُّ وَلَا يُعْقَلُ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ، فَهَوَ زَعْمٌ فَاسِدٌ لَا أَصْلَ لَهُ وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

{سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} (الزحرف : 82)

82- تَقَدَّسَ اللَّهُ وَتَنَزَّ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ الْمَشْرِكُونَ، وَهُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَالِكُهُمَا، وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا، وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ.

{فَدَرَّهْمٌ يَخْوَضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا الَّذِي يُوعَدُونَ} (الزحرف : 83)

83- فَدَرَّهْمٌ يَخْوَضُوا فِي ضَلَالِهِمْ وَبَاطِلِهِمْ، وَيَلْعَبُوا فِي دُنْيَاهُمْ، حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي وَعَدُوا بِهِ، وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ يَوْمَئِذٍ.

{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ} (الزحرف : 84)

84- وَهُوَ تَعَالَى مَعْبُودٌ فِي السَّمَاءِ، وَمَعْبُودٌ فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ، الْحَكِيمُ فِي تَدْبِيرِ شُؤْنِ الْخَلْقِ، الْعَلِيمُ بِأَحْوَالِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ.

{وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ} (الزحرف : 85)

85- وَتَعَالَى اللَّهُ وَجَلَّتْ قُدْرَتُهُ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَهُوَ وَحْدَهُ الْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا، وَمُدَبِّرُ أَمْرِهِمَا، وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَعْلَمُ وَقْتَ قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا يَعْرِفُهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَإِلَيْهِ جَمِيعًا تُرْجَعُونَ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

{وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (الزحرف

: 86)

86- ولا يَمَلِكُ مَنْ يَعْبُدُهُمُ الْمُشْرِكُونَ الشَّفَاعَةَ لَهُمْ لِإِنْقَاذِهِمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ، إِلَّا مَنْ شَهِدَ
بِالتَّوْحِيدِ وَهُمْ عَلَى بَصِيرَةٍ وَعِلْمٍ بِذَلِكَ، وَهُمْ: الملائكة، وعيسى، وعزير، وأمثالهم. وهؤلاء لا
يَشْفَعُونَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِينَ.

{وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} (الزخرف : 87)

87- وإذا سألت المشركين من الذي خلقهم؟ فسيتقولون: الله خلقنا. فقل لهم: فكيف
تصرفون عن عبادته سبحانه إلى عبادة غيره من المخلوقين؟!

{وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ} (الزخرف : 88)

88- وشكا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ربه متحسرا وهو يقول: يا رب، إن هؤلاء
قوم معاندون كذّبوني ولا يؤمنون.

{فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} (الزخرف : 89)

89- فأعرض عنهم أيها الرسول الكريم، ولا تجاوبهم بمثل ما يُخاطبوك به من الكلام
السيء، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم.
وذهب مفسرون إلى أنها منسوخة بآية السيف.
قال صاحب "روح المعاني": إن أريد من الآية الكف عن القتال فهي منسوخة، وإن أريد
الكف عن مقابلتهم بالكلام، فليست بمنسوخة.

سورة الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{حم} (الدخان : 1)

1- حُرُوفٌ مُّقْطَعَةٌ... اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهَا.

{وَالكِتَابِ الْمُبِينِ} (الدخان : 2)

2- أُقْسِمُ بِالْقُرْآنِ الْبَيِّنِ فِي أَلْفَاظِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَفِي هَدْيِهِ وَدَلَالَتِهِ، وَفِي دَعْوَتِهِ النَّاسَ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ.

{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ} (الدخان : 3)

3- إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ، كَثِيرَةَ الْخَيْرِ وَالثَّوَابِ، هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ. إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ بِهِ الْخَلْقَ، وَمُنَبِّهِينَ فِيهِ إِلَى مَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمَا يَنْتَظِرُهُمْ مِنْ حِسَابٍ وَجَزَاءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

{فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} (الدخان : 4)

4- فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ كُلِّ عَامٍ، يُفْصَلُ كُلُّ أَمْرٍ مُحْكَمٍ فِي شَأْنِ الْعِبَادِ، لَا يُبَدَّلُ وَلَا يُعَيَّرُ.

{أَمْراً مَنْ عِنْدَنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} (الدخان : 5)

5- أَمْراً مُقَدَّرًا وَمُدَبَّرًا مِنْ عِنْدِنَا، إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ إِلَى النَّاسِ رَسُولًا مِنْ عِنْدِنَا يُخْبِرُهُمْ بِمَا نُوحِي إِلَيْهِ.

{رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (الدخان : 6)

6- رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّكَ بِالنَّاسِ، حَتَّى لَا يَبْقُوا فِي حَيْرَةٍ وَضَلَالٍ، إِنَّهُ السَّمِيعُ لِأَقْوَالِ الْعِبَادِ، الْعَلِيمُ بِأَحْوَالِهِمْ.

{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ} (الدخان : 7)

7- رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا، خَلْقًا، وَمُلْكًا، وَتَدْبِيرًا، إِنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْإِيقَانِ.

{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ} (الدخان : 8)

8- لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاهِ، يُحْيِي الْأَمْوَاتَ بِقُدْرَتِهِ وَقَدْ صَارُوا عِظَامًا بِالْيَةِ، وَيَسْلُبُ حَيَاةَ مَنْ شَاءَ مَتَى شَاءَ، بِأَسْبَابٍ ظَاهِرَةٍ وَخَفِيَّةٍ، مَعْرُوفَةٍ أَوْ غَيْرِ مَعْرُوفَةٍ، وَهُوَ خَالِقُكُمْ وَرَازِقُكُمْ وَمَالِكُ أَمْرِكُمْ، أَنْتُمْ وَأَبَائِكُمْ وَأَجْدَادِكُمْ أَجْمَعِينَ.

{بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ} (الدخان : 9)

9- بَلِ الْمُشْرِكُونَ فِي شَكٍّ مِنَ الدِّينِ الْحَقِّ، وَهُمْ لَا هُونَ غَيْرُ مُبَالِغِينَ.

{فَازْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ} (الدخان : 10)

10- فَانْتَظِرْ بِهِمْ يَوْمًا شَدِيدًا، عِنْدَمَا تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ ظَاهِرٍ يَرَاهُ النَّاسُ كُلَّهُمْ. وَهُوَ مِنْ أَمَارَاتِ السَّاعَةِ.

{يَعْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} (الدخان : 11)

11- يُحِيطُ هَذَا الدُّخَانُ بِالنَّاسِ وَيَعْمَهُمْ، وَ"يَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَالزَّكَمَةِ، وَيَأْخُذُ الْكَافِرَ فَيَنْتَفِعُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ كُلِّ مَسَمَعٍ مِنْهُ"، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي جَوَّدَ سَنَدَهُ ابْنُ كَثِيرٍ.

{رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ} (الدخان : 12)

12- فَيَسْتَعِثُّ الْكَافِرُونَ بِاللَّهِ مِنْ شِدَّةِ هَذَا الْكَرْبِ، وَيَدْعُوهُ قَائِلِينَ: رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا مَا أَصَابَنَا، فَإِذَا كَشَفْتَ عَنَّا آمَنَّا وَانْقَدْنَا لِمَا أَمَرْتَنَا.

{ أَنَّى هُمْ الذُّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ } (الدخان : 13)

13- ولكن كيف يتذكرون هذا ويصدقون في وعدهم بالإيمان، وقد سبق أن أرسلنا إليهم رسولا مؤيَّدا بمعجزات،

{ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَجْنُونٌ } (الدخان : 14)

14- فأعرضوا عنه وكفروا برسالته، وقالوا في حقه إنه يُعلم من قبل غلامٍ أعجميٍّ، وأنه مجنونٌ لا يعي ما يقول؟!

{ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ } (الدخان : 15)

15- هذا عذابٌ (عقوبةٌ في الحياة الدنيا) نصرته عنكم زماناً قليلاً أيها الكافرون، وسوف تعودون إلى ما كنتم عليه من الضلال بعد صرفه عنكم.

{ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ } (الدخان : 16)

16- في يوم القيامة نُنزلُ بكم العقوبة الكبرى، وننتقم منكم جزاء كفركم بآياتنا وتكذيبكم رسلنا.

{ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ } (الدخان : 17)

17- ولقد اختبرنا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون بمصر، وأرسلنا إليهم نبياً مكرماً، هو كليم الله موسى.

{ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ } (الدخان : 18)

18- فقال لهم: أطلقوا بني إسرائيل من الظلم والاستعباد، وأرسلوهم معي، إني مرسل إليكم من قبل الله، وأنا أمين على وحيه.

{وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنْ آتَيْكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ} (الدخان : 19)

19- ولا تستكبروا على الله بترك طاعته، ولا تتعالموا على آياته ومُعجزاته، إني آتيتكم بحجة واضحة تدل على صدق نبوتي.

{وَإِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ} (الدخان : 20)

20- وإني التجأت إلى الله خالقي وخالقكم واستجرت به من أن تؤذوني أو تقتلوني.

{وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاغْتَرِبُونِ} (الدخان : 21)

21- وإذا لم تؤمنوا بما أدعوكم إليه، فتنحوا عني، وكفوا عني لسانكم.

{فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ} (الدخان : 22)

22- فلما جاءهم بمعجزات من ربه، ازدادوا كُفراً وعناداً، فدعا ربه قائلاً: إن هؤلاء قوم أغرقوا في الكفر، وتشرّبت نفوسهم بالمعصية، فافعل بهم ما يستحقونه.

{فَأَسْرَ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ} (الدخان : 23)

23- فأوحى الله إلى موسى: أن اخرج بني إسرائيل ومن آمن من قوم فرعون ليلاً، فإن فرعون وجنوده سيتبعونكم.

{وَاتْرِكْ الْبَحْرَ رَهَوًّا إِهْمًا جُنْدًا مُغْرَقُونَ} (الدخان : 24)

24- واترك البحر ساكناً على هيئته بعد عبوره، ولا تضربه بعصاك مرة أخرى ليعود كما كان، فإن فرعون وجنوده داخلون فيه، غارقون.

{ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ } (الدخان : 25)

25- فأغرقوا فيها جميعاً. كم خلفوا من بساتين خضراء، وأنهارٍ وعيونٍ مُتفجّرة،

{ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ } (الدخان : 26)

26- وزُرُوعٍ، وقُصورٍ عاليةٍ، ومساكنٍ أنيقة،

{ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ } (الدخان : 27)

27- وترِفٍ ومُتعةٍ كانوا غارقين فيها، وتلذُّذٍ وتنعُّمٍ.

{ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ } (الدخان : 28)

28- وكذلك ننتقم ممن كذب وكفر، وأورثنا أموالهم وقصورهم ومزارعهم بني إسرائيل، بعدما رجعوا إلى مصر.

{ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ } (الدخان : 29)

29- فلم يُكثرتْ بهلاكِ فرعونَ وجُنْدِهِ، فما عملوا صالحاً لتبكي عليهم السماء، وما تركوا أثراً حسناً لتحزن عليهم الأرض وتُخلد ذكرهم⁽¹³⁷⁾، ولم يُمهّلوا إلى وقتٍ آخرٍ ليتوبوا وقد جاء وقتُ هلاكهم.

(137) كانت العرب تقول عند موت السيد منهم: بكث له السماء والأرض، أي: عمّت مصيبته. وقال الحسن: في الكلام مضافٌ محذوف، أي: ما بكى عليهم أهل السماء والأرض من الملائكة والناس. (فتح القدير، باختصار).
كان من كلام العرب إذا هلك عظيمٌ أن يهولوا أمرَ موته، بنحو: بكث عليه السماء، وبكته الريح، وتزلزلت الجبال... والكلام مسوقٌ مساق التحقير لهم. (التحرير والتنوير، باختصار).

بجاءُ مرسلٌ عن عدم الاكتراثِ بهلاكهم والاعتدادِ بوجودهم؛ لأن سبب البكاء على شيءٍ هو المبالأة بوجوده، يعني أنه استعارةٌ تمثيليةٌ بعد الاستعارة المكنية في السماء والأرض، بأن شَبَّهتا بمن يصحُّ منه الاكتراث، على سبيل الكناية، وأُسْنِدَ البكاء إليهما على سبيل التخييل. كانت العرب إذا مات فيهم من له خطرٌ وقدرٌ عظيمٌ يقولون: بكث عليه السماء والأرض، يعني أن المصيبة بموته عمّت الخلق فبكى له الكل، حتى الأرض والسماء. فإذا قالوا: ما بكث عليه السماء والأرض، يعنون به: ما ظهر بعده ما يظهر بعد موت ذوي الأقدار والشرف، ففيه تمكُّم بالكفار، وبجأهم المنافية لحال من يعظمُ فقداه فيقال له بكث عليه السماء والأرض. (روح البيان، وحاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي).

{وَلَقَدْ بَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ} (الدخان : 30)

30- ولقد أنقذنا بني إسرائيل من الظلم والاستعباد والامتهان،

{مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ} (الدخان : 31)

31- الذي أصابهم على يد فرعون، فقد كان طاغية جباراً، من أهل الشر والفساد.

{وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ} (الدخان : 32)

32- ولقد أكرمنا مؤمني بني إسرائيل واصطفيناهم في ذلك الوقت على العالمين، علماً منا باستحقاقهم ذلك.

{وَأَتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ} (الدخان : 33)

33- وآتيناهم من البراهين والمعجزات ما فيه اختبار ظاهر لهم، وفضل لمن اهتدى بها.

{إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ} (الدخان : 34)

34- إن هؤلاء المشركين الضالين من قومك يقولون:

{إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ} (الدخان : 35)

35- ما نهاية أمرنا سوى الموتة الأولى التي تموتها، ولن نبعث بعدها، ولا حساب ولا جزاء،

{فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (الدخان : 36)

36- فأثوا لنا بمن مات من آبائنا، إن كنتم صادقين بأننا نبعث أحياء بعد الموت!

{أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} (الدخان : 37)
37- أهما أكثر قوة ومنعة أم قوم الملك تبع الحميري، والذين من قبلهم من الأمم الكافرة، كعاد وثمود، انتقمنا منهم وأهلكناهم، إنهم كانوا مكذبين لرسولنا، مصرين على الكفر.
أما تبع نفسه فقد ورد في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا تبعًا، فإنه كان قد أسلم".

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ} (الدخان : 38)
38- وما خلقنا السماء ومن فيها والأرض ومن عليها هواً وعبثاً بدون حكمة وفائدة.

{مَا خَلَقْنَاهَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (الدخان : 39)
39- ما خلقناها وما بينهما إلا بالحق، للإيمان بالله وقدرته وعظمته، والطاعة له بما أمر ونهى، ثم تكون المحاسبة والجزاء للمحسن والمسيء، كل بما يستحق، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، ولذلك فهم لا يتفكرون في البعث بعد الموت.

{إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ} (الدخان : 40)
40- إن يوم القيامة هو يوم الفصل بين الحق والباطل، وهو موعد الخلائق أجمعين، ليحاسبوا ويجازوا على أعمالهم.

{يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} (الدخان : 41)
41- يوم لا ينفع قريب قريباً، ولا يجزي عن شياً بقرابة أو صداقة، ولا يمنعون عذاب الله بانتصار أحد منهم لهم، فلا أحد من الخلق يملك من الأمر شيئاً،

{إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} (الدخان : 42)
42- إلا من رحمه الله، فعفا عنه، أو قبل الشفاعة فيه، إنه العزيز في انتقامه، الذي لا يقهر ولا يعال، الرحيم بالمؤمنين، فيعفو ويعفر.

{ إِنَّ شَجَرَةَ الرَّقُومِ } (الدخان : 43)

43- إِنَّ شَجَرَةَ الرَّقُومِ، الكريهة الطعم والرائحة في الجحيم،

{ طَعَامُ الْأَيْمِ } (الدخان : 44)

44- هِيَ طَعَامُ الْكَافِرِ الْفَاجِرِ الْكَثِيرِ الْآثَامِ، يَتَرَقَّمُهَا عَلَى كُرْهِ وَمَشَقَّةٍ،

{ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ } (الدخان : 45)

45- كَمَا غَلِيظٌ حَارٌّ كَعَكْرِ الزَّيْتِ يَغْلِي فِي بُطُونِهِمْ،

{ كَغَلِي الْحَمِيمِ } (الدخان : 46)

46- كَالْمَاءِ الْحَارِّ إِذَا اشْتَدَّ غَلِيَانُهُ.

{ خُذُوهُ فَاغْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ } (الدخان : 47)

47- خُذُوا الْكَافِرَ الْمَجْرِمَ أَيُّهَا الزَّبَانِيَّةُ، وَجُرُّوهُ بِقُوَّةٍ وادْفَعُوهُ إِلَى وَسْطِ الْجَحِيمِ،

{ ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ } (الدخان : 48)

48- ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنَ الْمَاءِ الشَّدِيدِ الْغَلِيَانِ،

{ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } (الدخان : 49)

49- ثُمَّ يُقَالُ لَهُ تَوَيْخًا وَهَكَذَا: ذُقْ هَذَا الْعَذَابَ الْمُهِينَ أَيُّهَا الْقَوِيُّ الْمَكْرَمُ!

{ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ } (الدخان : 50)

50- إِنَّ هَذَا هُوَ الْعِقَابُ وَالنَّكَالُ الَّذِي كُنْتُمْ تَشْكُونَ فِيهِ وَتَسْتَهْزِئُونَ بِهِ.

{ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ } (الدخان : 51)

51- أَمَّا عِبَادُ اللَّهِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ، الَّذِينَ أَطَاعُوا رَبَّهُمْ وَاجْتَنَبُوا مَعَاصِيَهُ، فَهُمْ فِي مَوْضِعٍ كَرِيمٍ، وَمَجْلِسٍ أَمِينٍ، قَدْ أَمِنُوا مِنَ الْحُزْنِ وَالْخَوْفِ.

{ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ } (الدخان : 52)

52- إِنَّهُمْ فِي جَنَّاتٍ عَالِيَاتٍ، وَأَنْهَارٍ جَارِيَاتٍ.

{ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ } (الدخان : 53)

53- يَلْبَسُونَ ثِيَابًا زَاهِيَةً جَمِيلَةً بِلَوْنٍ أَحْضَرَ، مِنْ دِيْبَاجٍ نَاعِمٍ رَقِيقٍ، وَآخَرَ كَثِيفٍ مُحْكَمٍ، إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ، مُتَقَابِلِينَ فِي مَجَالِسِهِمْ، مُسْتَأْنِسِينَ مُتَرْفِّهِينَ.

{ كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ } (الدخان : 54)

54- وَكَمَا أَكْرَمْنَاهُمْ بِذَلِكَ، فَقَدْ زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ بَيَضٍ حَسَانٍ الْوُجُوهِ، جَمِيلَاتِ الْعُيُونِ.

{ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ } (الدخان : 55)

55- يَطْلُبُونَ فِيهَا مَا يَشْتَهُونَ مِنَ الْفَوَاكِهِ، بِأَنْوَاعِهَا الْكَثِيرَةِ وَطُعُومِهَا الْمُخْتَلِفَةِ، وَهُمْ آمِنُونَ مُطْمَئِنُّونَ، يَعْلَمُونَ أَنَّهَا لَا تَنْقَطِعُ عَنْهُمْ.

{ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ } (الدخان : 56)

56- لَا يَذُوقُونَ فِي الْجَنَّةِ الْمَوْتَ أَبَدًا، سِوَى الْمَوْتَةِ الْأُولَىٰ فِي الدُّنْيَا، وَسَلَّمَهُمُ اللَّهُ وَمَنَعَ عَنْهُمْ عَذَابَ النَّارِ.

{ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (الدخان : 57)

57- عَطَاءً وَتَفْضُلًا مِّن رَّبِّكَ وَإِحْسَانًا مِنْهُ إِلَى الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ، وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَلَاحُ وَالنَّجَاحُ، وَالسَّعَادَةُ وَالْهَنَاءُ.

{فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (الدخان : 58)

58- فَذَكَّرَهُمْ وَعِظَهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، الَّذِي سَهَّلْنَا لَهُ بُلْغَتَكَ الْعَرَبِيَّةَ الْبَيِّنَةَ، الَّتِي هِيَ أَفْصَحُ اللُّغَاتِ وَأَجْلَاهَا، لَعَلَّهُمْ يَفْهَمُونَهَا وَيَعْتَبِرُونَ بِهَا.

{فَأَرْتَقِبْ إِتِّهِمْ مُرْتَقِبُونَ} (الدخان : 59)

59- فَانْتَظِرْ مَا يَكُونُ، فَإِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ كَذَلِكَ، وَسَيَعْلَمُونَ مِنْ بَعْدِ لَمَنْ يَكُونُ الْفَوْزُ وَالنَّصْرُ، وَلَمَنْ تَكُونُ الْعُقُوبَةُ وَالْعَذَابُ.

سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم) (الجاثية : 1)

1- حُرُوفٌ مُقَطَّعَةٌ... اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهَا.

{ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } (الجاثية : 2)

2- تَنْزِيلُ الْقُرْآنِ عَلَى الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ بِلَا رَيْبٍ مِنَ اللَّهِ الْقَوِيِّ الْقَادِرِ الَّذِي لَا يُرَدُّ أَمْرُهُ، الْحَكِيمِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ.

{ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ } (الجاثية : 3)

3- إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ الْعَظِيمَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ مَلَائِكَةٍ وَأَفلاكٍ وَأَجْرَامٍ هَائِلَةٍ، وَالْأَرْضِ الْوَاسِعَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ مَخْلُوقَاتٍ كَثِيرَةٍ مُتَنَوِّعَةٍ، مِنْ أَحْيَاءٍ، وَنَبَاتَاتٍ، وَجَمَادَاتٍ، وَالتَّفَكُّرِ فِيهَا، لِعَلَامَاتٍ وَدَلَائِلَ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ، لِمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا، مُسَلِّمًا بِأَنَّهُ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ خَالِقٍ.

{ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } (الجاثية : 4)

4- وَفِي خَلْقِكُمْ وَتَكْوِينِكُمْ الْعُضْوِيِّ وَالنَّفْسِيِّ، الدَّقِيقِ، وَالْمُتَوَازِنِ، وَالْمُتَنَاسِقِ، وَمَا لَهُ مِنْ خَصَائِصٍ، وَمَا يَقُومُ بِهِ مِنْ وُظَائِفٍ، وَمَا يَخْلُقُهُ اللَّهُ وَيَنْشُرُهُ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ عَلَى الْأَرْضِ، مِنْ أَنْعَامٍ، وَسِبَاعٍ، وَطُيُورٍ، وَأَسْمَاكٍ، وَحَشْرَاتٍ... آيَاتٌ وَأَدِلَّةٌ عَلَى عَظَمَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ كَذَلِكَ، لِمَنْ عَرَفَ الْأَشْيَاءَ عَلَى حَقِيقَتِهَا، وَأَيَقَنَ أَنَّ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ خَالِقٍ.

{ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (الجاثية : 5)

5- وفي تفاوتِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ طَوَلاً وقَصَراً، وتَعَاثُبِهِمَا المِيتَالِي، هذا بظلامِهِ وهذا بضِيائِهِ، وفيما أنزَلَ اللهُ مِنَ السَّحَابِ مِنْ مَطَرٍ، فسَقَى بِهِ أَرْضًا يابِسَةً قاحِلَةً لا حَيَاةَ فِيهَا، فأخْرَجَ مِنْهَا أصْنَافَ الزَّرْعِ والنَّبَاتِ، والزَّهْرِ والثَّمَرِ، وفي تَصْرِيفِ الرِّيحِ، للمَطَرِ أو للْقَاحِ، لِلرَّحْمَةِ أو للعَذَابِ، دافِعَةً وبارِدَةً، شَرْقًا وغَرْبًا... كُلُّ ذَلِكَ آيَاتٌ وأدَلَّةٌ على قُدْرَةِ اللهِ العَظِيمَةِ، وأنَّهُ الخَالِقُ والمُتَصَرِّفُ في هذا الكَوْنِ، مَنْ تَفَكَّرَ في ذلك، وكانَ مِنَ العُقلاءِ الأَسْوياءِ.

{ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ } (الجاثية : 6)

6- تِلْكَ هِيَ آيَاتُ اللَّهِ المِحْكَمَةِ، بما فِيهَا مِنْ حُجَجٍ وَبَيِّنَاتٍ، نَتْلُوهَا عَلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ، مُتَضَمِّنَةً الحَقَّ وَالصِّدْقَ، الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُتَّبَعَ، فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ هَذِهِ الآيَاتِ المِتَلَوَّةِ بِالْحَقِّ، وَالْحُجَجِ وَالبَرَاهِينِ الَّتِي فِيهَا، يُصَدِّقُونَ وَيُسَلِّمُونَ؟

{ وَبِئْسَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ } (الجاثية : 7)

7- الهلاكُ والعَذَابُ لِمَنْ كانَ كَذَّابًا في قَوْلِهِ، أثِمًّا عاصِيًّا لِرَبِّهِ.

{ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } (الجاثية: 8)

8- يَسْمَعُ آيَاتِ الْقُرْآنِ تُقْرَأُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصِرُّ على الكُفْرِ بها، عِنادًا واستِكبارًا، وَيَتَوَلَّى وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهَا، فأَعْلِمُهُ بِعُقوبَةِ شَدِيدَةٍ تَنالُهُ يَوْمَ القِيامَةِ.

{ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ } (الجاثية : 9)

9- وَإِذَا بَلَغَهُ شَيْءٌ مِنَ آيَاتِ كِتابِنَا، اسْتَهْزَأَ بِها وجَعَلَهَا مَحَلَّ سُخْرِيَةٍ وَتَهْكُمٍ، فأولئِكَ المِتَّصِفُونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ، أُعِدَّ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يُذَلُّونَ بِهِمْ وَيُهَيِّئُ لَهُمْ جِزَاءَ اسْتِهْزائِهِمْ وَاسْتَهْزائِهِمْ بِآيَاتِنَا.

{ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ } (الجاثية : 10)

10- وَمِنْ أَمَامِهِمْ جَهَنَّمُ تَنْتَظِرُهُمْ لِيَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا الْخَالِدِينَ فِيهَا، وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ
مَا حَصَلُوهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ مَالٍ وَجَاهٍ، وَلَا يَنْفَعُهُمْ مَا اتَّخَذُوهُ مِنْ آلِهَةٍ وَعَبَدُوهَا، وَهُمْ فِي جَهَنَّمَ
عَذَابٌ فَظِيعٌ دَائِمٌ، لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُمْ.

{ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ } (الجاثية : 11)

11- هذا القرآن هداية للناس من الضلال، والذين كفروا بآياته الواضحة المحكّمة، لهم أشدّ
العذاب وألمه.

{ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ } (الجاثية : 12)

12- الله القادر العليم، الذي ذلّل لكم البحر وجعل فيه موازين لتطفو عليه السفن بالرغم
من ثقلها، فتجري فيه بإذنه ومشيئته، لتطلبوا رزقكم من فضله، بالتجارة والصيد وغيره،
ولتشكروه على ما يسرّه لكم وأنعم به عليكم.

{ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ } (الجاثية : 13)

13- وخلق الله لمنافعكم ما في السماوات والأرض من موجودات فيما يخصكم، وجميعها
من فضله ونعمته عليكم، وفي ذلك كلّ آيات وأدلة على قدرته وعظمته، لمن يتفكّر في خلقه
وبديع صنعه.

{ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }
(الجاثية : 14)

14- قُلْ أَيُّهَا الرُّسُلُ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، يَعْفُوا وَيَتَحَمَّلُوا الْأَذَى مِنَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَا يَتَوَقَّعُونَ نِقْمَةَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ؛ لِيَجْزِيَ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا عَلَى عَفْوِهِمْ وَصَفْحِهِمْ يَوْمَ الدِّينِ.
وَجُمْهُورُ الْمَفْسِّرِينَ عَلَى أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ بِآيَاتٍ فِي الْقِتَالِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نَسْخَ، لِأَنَّ الْمِرَادَ هُنَا تَرْكُ النَّزَاعِ فِي الْمَحَقَّرَاتِ، وَالتَّجَاوُزُ عَنْ بَعْضِ مَا يُوْذَى وَيُوْحَشُ.

{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ } (الجاثية : 15)

15- مَنْ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَإِنَّ نَفْعَ ذَلِكَ يَعُودُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ الْعَمَلَ فَإِنَّ وَبَالَ عَمَلِهِ يَعُودُ عَلَىٰ نَفْسِهِ كَذَلِكَ، ثُمَّ مَرَّجِعُكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ، لِيُجَازِيَكُمْ عَلَىٰ أَعْمَالِكُمْ، إِنَّ خَيْرًا أَوْ شَرًّا.

{ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ } (الجاثية : 16)

16- وَقَدْ أَنْعَمْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَآتَيْنَاهُمُ التَّوْرَةَ الْعَظِيمَةَ الشَّانَ، وَالْقَضَاءَ وَالْفَصْلَ بَيْنَ النَّاسِ، وَالنُّبُوَّةَ، فَقَدْ كَثُرَ فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ، وَحَكَمُوا بِالتَّوْرَةِ، وَرَزَقْنَاهُمُ الْمَاكِلَ وَالْمِشَارِبَ الطَّيِّبَةَ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ النَّاسِ فِي زَمَانِهِمْ، فَكَانُوا أَحْسَنَ الْمَوْجُودِينَ آنَذَاكَ.

{ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } (الجاثية : 17)

17- وَآتَيْنَاهُمْ مُعْجَزَاتٍ ظَاهِرَاتٍ، وَأَدَلَّةً قَاطِعَاتٍ فِي أَمْرِ الدِّينِ، فَمَا اخْتَلَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَوُضُوحِ الطَّرِيقِ أَمَامَهُمْ، بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ، وَإِنزَالِ الْكُتُبِ عَلَيْهِمْ، فَتَرَكَوا الدَّلِيلَ، وَلَازَمُوا الْخِلَافَ وَالْجِدَالَ، حَسَدًا وَتَبَاغُضًا، وَعِنَادًا وَاسْتِكْبَارًا، وَاللَّهُ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْعَدْلِ، فِيمَا كَانُوا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، وَيُمَيِّزُ بَيْنَ الْمَحِقِّ وَالْمِطْلِ مِنْهُمْ.

{ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (الجاثية :

18)

18- ثُمَّ جَعَلْنَاكَ أَتِيهَا النَّبِيُّ عَلَى طَرِيقَةٍ ثَابِتَةٍ وَبَيَّنَّا مِنَ الدِّينِ بَعْدَ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَالْتَزِمَهَا، وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، وَابْتَعِدْ عَنِ آرَائِهِمُ الضَّالَّةِ وَأَهْوَائِهِمُ الزَّائِغَةِ، فَإِنَّهُمْ جَاهِلُونَ.

{إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} (الجاثية : 19)

19- إِنَّهُمْ لَنْ يَدْفَعُوا عَنْكَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ، وَالْكَافِرُونَ بَعْضُهُمْ أَنْصَارُ بَعْضٍ، لَا يَتَعَاوَنُونَ إِلَّا مَعَ مَنْ كَانَ مِثْلَهُمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُعِينٌ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَزِمِينَ طَاعَتَهُ، وَأَنْتَ قُدُوتُهُمْ.

{هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} (الجاثية : 20)

20- هَذَا الْقُرْآنُ مَعَالِمٌ لِلنَّاسِ وَدَلَائِلٌ لَهُمْ فِي الْحَقِّ، يُبَيِّنُ لَهُمُ الْأُمُورَ عَلَى حَقِيقَتِهَا، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى مَا فِيهِ فَوْزُهُمْ وَفَلَاحُهُمْ، وَرَحْمَةٌ عَظِيمَةٌ لَهُمْ، لِمَنْ صَدَّقَ بِهِ، وَتَيَقَّنَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ.

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً حَيَاتِهِمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} (الجاثية : 21)

21- بَلْ ظَنَّ الَّذِينَ اِكْتَسَبُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الْحَسَنَةَ، فِي حَيَاتِهِمْ وَمَمَاتِهِمْ، بئسَ مَا يَقْضُونَ إِذَا، أَنْ يُسَاوَى بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجْرِمِينَ.

{وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُحْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} (الجاثية : 22)

22- وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَالْحِكْمَةِ وَغَايَةَ: لِلْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، وَطَاعَتِهِ، وَلِتُشَابَ أَوْ تُعَاقَبَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَالْحَاكِمُ اللَّهُ، فَلَا يُنْقَصُ مِنْ ثَوَابِهِمْ، وَلَا يُزَادُ فِي عَذَابِهِمْ.

{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} (الجاثية : 23)

23- أفرايت من جعل هواه ورغبته إلهًا له، فما حسنته له نفسه أتبعه، وما قبحته تركه، وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه، وقيام الحجّة عليه، فلا يردأ إلا بعدًا عن الدين، فيفضل هواه عليه، وطبع الله على سمعه، فلا يسمع ما ينفعه، ولا يفقه ما يقال فلا يتأثر به، وجعل على بصره غطاء، فلا يرى الدليل الذي يهتدى به، فمن يهديه بعد أن أضله الله وهو يعلم أنه يستحق ذلك، ألا تتعظون وتعتبرون؟

{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} (الجاثية : 24)

24- وقال الكافرون: لا توجد حياة إلا هذه الحياة الدنيا التي نعيشها، يموت بعضنا ويحيا آخرون منا، ولا حياة بعدها، وما يهلكنا إلا طول الزمان، وكثر الليل والنهار. وليس لهم مستند من علم أو عقل على ذلك، ولا يقولون هذا إلا ظنًا وتخمينًا، وتوهّمًا وتقليدًا، ومن غير تدبّر لحقائق الأمور، فمعتقدهم فاسد، ورأيهم كاسد.

{وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (الجاثية : 25)

25- وإذا تلى عليهم آيات كتابنا الناطقة بالحق، وأن الله يبعثهم بعد الموت للحساب والجزاء، ما كان دليلهم على إنكاره إلا أن قالوا: أحيوا آباءنا السابقين، إن كنتم صادقين أن هناك حياة بعد الموت!

{قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ مُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (الجاثية : 26)

26- قُلْ لَهُمْ أَهْلُهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ: إِنَّ اللَّهَ يُحْيِيكُمْ عِنْدَ خَلْقِكُمْ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ عِنْدَ انْقِضَاءِ أَجَالِكُمْ، ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ وَيَجْمَعُكُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ؛ لْجَهْلِهِمْ، أَوْ عَدَمِ إِعْمَانِهِمْ فِي التَّفَكِيرِ، أَوْ اسْتِكْبَارِهِمْ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ.

{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْحَسِرُ الْمُبْطِلُونَ} (الجاهلية: 27)

27- وَلِلَّهِ وَحْدَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا، وَعِنْدَمَا تَقُومُ الْقِيَامَةُ يَنْحَسِرُ الْكَافِرُونَ خَسَارَةً كَبِيرَةً، وَقَدْ كَانُوا يُجَادِلُونَ فِي دَفْعِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، وَيُجَاهِدُونَ فِي إِبْطَالِ الْحُجَجِ الْبَيِّنَةِ.

{وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (الجاهلية: 28)

28- وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الْمَجْمُوعَةَ، الْمُتَمَيِّزِ بَعْضُهَا عَنِ بَعْضٍ، بَارِكَةً عَلَى رَبِّهَا، عَلَى هَيْئَةِ الْخَائِفِ الدَّلِيلِ الَّذِي لَا يَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِهِ، مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَشِدَّتِهِ، كُلُّ أُمَّةٍ فِيهَا تُدْعَى إِلَى صَحِيفَةٍ أَعْمَالِهَا الَّتِي كَتَبَهَا الْحَفْظَةُ، الْيَوْمَ تُحَاسَبُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَتُحْزَنُونَ عَلَيْهَا جَمِيعَهَا، إِنَّ خَيْرًا، أَوْ شَرًّا.

{هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (الجاهلية: 29)

29- هَذَا دِيْوَانُ الْحَفْظَةِ، الَّذِي دَوَّنُوا فِيهِ جَمِيعَ أَعْمَالِكُمْ الَّتِي قَدَّمْتُمُوهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، يَشْهَدُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، بَدُونَ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ، لَقَدْ كُنَّا نَأْمُرُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يَكْتُبُوا أَقْوَالَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ جَمِيعَهَا.

{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ} (الجاهلية: 30)

30- فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَأَخْلَصُوا فِي إِيْمَانِهِمْ، وَعَمِلُوا فَأَحْسَنُوا فِي أَعْمَالِهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّتَهُ، وَهُوَ النَّجَّاحُ الْبَيِّنُ، وَالسَّعَادَةُ الْكُبْرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

{ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ } (الجناتية : 31)

31- وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ وَقَدْ عَرَفُوا مَصِيرَهُمْ: أَمَا كَانَتْ تُقْرَأُ عَلَيْكُمْ آيَاتِي، فَأَعْرَضْتُمْ عَنْهَا، وَاسْتَكْبَرْتُمْ عَنِ اتِّبَاعِهَا، وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّتَكَبِّرِينَ كَافِرِينَ؟

{ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنظَّرُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ } (الجناتية : 32)

32- وَإِذَا قَالَ لَكُمْ الْمُؤْمِنُونَ: إِنَّ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ آتٍ لَا شَكَّ فِيهِ، جَحَدْتُمْ ذَلِكَ وَقُلْتُمْ: نَحْنُ لَا نَعْرِفُ مَا هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ شَاكُونَ فِيهِ، وَلَا نَتَيَقَّنُ إِمَّاكَانَهُ.

{ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } (الجناتية : 33)

33- وَظَهَرَ لَهُمْ يَوْمَ الْحِسَابِ جَزَاءُ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ، وَأَحَاطَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ مِنْهُ وَيَسْتَبْعِدُونَ وَقَوْعَهُ مِنَ الْعَذَابِ.

{ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَأُكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَأَكُمْ النَّارَ وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ } (الجناتية : 34)

34- وَقِيلَ لَهُمْ: الْيَوْمَ نَتْرُكُكُمْ فِي الْعَذَابِ تَرْكَ الْمُنْسِيِّ، كَمَا تَرَكْتُمْ الْإِيْمَانَ وَالْعَمَلَ لِلِقَاءِ هَذَا الْيَوْمِ، وَكَذَّبْتُمْ بِوَعْدِ اللَّهِ، وَلَا مَكَانَ لَكُمْ سِوَى النَّارِ، وَلَا نَاصِرَ لَكُمْ يُخَلِّصُكُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

{ ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَغَرَبْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ } (الجناتية : 35)

35- ذلكم العذاب الذي جزيتم به، هو بسبب اتخاذكم دلائل الله ومُعجزاته سُخريةً ولعِبًا، وخذعتكم الحياة الدنيا بزخارفها وشهواتها حتى استسلمتم لها، وقُلتُم لا حياة سِواها. فاليوم لا يُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ، ولا يُطَلَّبُ مِنْهُمْ أَنْ يُرْبِلُوا عَتَبَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فلا عُذْرَ ولا تَوْبَةَ تُقْبَلُ مِنْهُمْ بعدَ اليوم، ولا يُرْجَعُونَ إِلَى الدُّنْيَا لِيَعْمَلُوا صَالِحًا كما يَدَّعُونَ.

{قُلِّلِ اللَّهُ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الجاثية : 36)

36- فالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وما بَيْنَهُمَا، رَبِّ الْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ.

{وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الجاثية : 37)

37- وَلَهُ كَمَالُ الْعِظَمَةِ وَالْمَلِكِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لا يُعْلَبُ، الْحَكِيمُ فِيمَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ، وَيَقْضِي وَيُقَدِّرُ.

الجزء السادس والعشرون

سورة الأحقاف

سورة محمد

سورة الفتح

سورة الحجرات

سورة ق

سورة الذاريات (1-30)

سورة الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ حم } (الأحقاف : 1)

1- الحُرُوفُ الْمُقَطَّعَةُ لَمْ يَرِدْ فِي تَفْسِيرِهَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهَا.

{ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } (الأحقاف : 2)

2- تَنْزِيلُ الْقُرْآنِ عَلَى الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ بَلَاءٌ رَيْبٍ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْقَوِيِّ الَّذِي لَا يُرَدُّ أَمْرُهُ، الْحَكِيمِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ.

{ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ } (الأحقاف : 3)

3- مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ الْعَظِيمَةَ، وَالْأَرْضَ الْوَاسِعَةَ، وَمَا بَيْنَهُمَا، إِلَّا بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَالْحِكْمَةِ وَغَايَةِ، وَإِلَى مُدَّةٍ مُّعَيَّنَةٍ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِرِسَالَاتِنَا مُّعْرِضُونَ عَنْ هَذِهِ الْحِكْمَةِ، الَّتِي تَدُلُّ

على وجود الله وقدرته، وهم غير مُبالين بما أعلموا به وخُوفوا منه، من البعث والأهوال،
والحساب والعقاب.

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي
السَّمَاوَاتِ إِنْ تُوْنِي بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنَاذِرَةٌ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (الأحقاف :
4)

4- قُلْ لِلْمُشْرِكِينَ أَيُّهَا الرُّسُولُ: أَرَأَيْتُمْ هَذِهِ الْأَصْنَامَ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا، وَمَعَهَا جَمِيعُ الْمَعْبُودَاتِ
الْبَاطِلَةِ، أَحْبِرُونِي أَيِّ شَيْءٍ خَلَقُوا فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَجْعَلُوهُمْ فِي مَوْعِ الْأُلُوهِيَّةِ وَتَعْبُدُوهُمْ؟ أَمْ أَنْ
لَهُمْ شِرَاكَةٌ مَعَ اللَّهِ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ؟ هَاتُوا كِتَابًا مُّنزَلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَبْلَ الْقُرْآنِ النَّاطِقِ
بِالتَّوْحِيدِ، أَوْ بَقِيَّةً مِنْ عِلْمٍ يُسَانِدُكُمْ عَلَى مَسَلِكِكُمْ، وَيَأْمُرُكُمْ بِعِبَادَةِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ، إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ.

{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ
غَافِلُونَ} (الأحقاف : 5)

5- وَلَيْسَ هُنَاكَ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو أَحْجَارًا وَأَخْشَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، لَا يَسْمَعُونَ مَعْبُودِيهِمْ، وَلَا
يَقْدِرُونَ عَلَى تَلْبِيَةِ طَلِبٍ وَلَا قَضَاءِ حَاجَةٍ لَهُمْ، حَتَّى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ غَافِلُونَ عَن دُعَائِهِمْ،
لَا يَدْرُونَ مَاذَا يَقُولُونَ، فَهَمَّ جَمَادَاتٌ لَا حَيَاةَ فِيهَا، لَا يَتَكَلَّمُونَ وَلَا يَسْمَعُونَ.

{وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} (الأحقاف : 6)

6- وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَحُوسِبُوا، كَانَتِ الْآلِهَةُ الْمَرْعُومَةُ أَعْدَاءً لِمَنْ عَبَدُوهُمْ، فَضَالًا
عَنْ أَنْ يَنْصُرُوهُمْ أَوْ يَنْفَعُوهُمْ بِشَيْءٍ، وَسَيُكذَّبُونَ بِعِبَادَةِ الْكَافِرِينَ لَهُمْ، فَهَمَّ لَمْ يَطْلُبُوا مِنْهُمْ
ذَلِكَ، فَكَانَتْ عِبَادَتُهُمْ لَهُمْ هَوًى وَرَغْبَةً مِنْ أَنْفُسِهِمْ هَمَّ.

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ}
(الأحقاف : 7)

7- وإذا تُتلى على المشركين آيات من كتابنا، واضحات الدلالة على الحق والتوحيد، قالوا للقرآن لما جاءهم من عند الله، عنادًا واستكبارًا، ومن غير تأمل وتدبر: هذا سحرٌ بين!

{ أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً هو أعلم بما تفيضون فيه
كفى به شهيداً بيني وبينكم وهو العفور الرحيم } (الأحقاف : 8)

8- بل يقولون: إن الرسول اختلقه من عنده ونسبه إلى الله! قل لهم: على فرض أنني كذبتُ على الله وادّعتُ الرسالة، فلا تقدرون على أن تمنعوني أو تُنقذوني من عقوبة الله إذا عدّني على افترائي عليه، فكيف أكذبُ عليه سبحانه؟! والله أعلم بما تتكلمون فيه من التكذيبِ بوحى الله والطعن في آياته، وكفى بالله بيني وبينكم أنه يشهد لي بالصدق والبلاغ، ويشهد عليكم بالكذب والجحود، وهو العفور لمن تاب وأناب، الرحيم بمن آمن واستجاب.

{ قل ما كنتُ بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إليّ
وما أنا إلا نذيرٌ مبين } (الأحقاف : 9)

9- قل لهم: لستُ أول رسولٍ يُبعث، فالرسلُ قبلي كثر، ولم أخالفهم بما جاؤوا به من التوحيد، ولا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا، فهل أخرج من موطني أم أقتل؟ وأنتم، هل تؤمنون أم تبفون على كفركم فيهلككم الله؟ ولا أتبع إلا ما ينزل الله عليّ من وحي، وما أنا إلا مُنذرٌ بين الإنذار لكم من عقاب الله.

{ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن
واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين } (الأحقاف : 10)

10- قل للمشركين أيها الرسول: أرأيتم إن كان هذا الذي يوحى إليّ من القرآن من عند الله، وليس كذبًا ولا سحرًا كما تزعمون، فكذبتم به أنتم، وشهد بصدقهِ وصحته شاهد من بني إسرائيل مُطَّلِعٌ على أسرار الوحي، عالمٌ بالكتب السماوية، فآمن هو به، واستكبرتم أنتم عن الإيمان به، فما تظنون أن يصنع الله بكم؟ والله لا يهدي من تجاوز الحق واستكبر عن قبول الإيمان.

والشَّاهِدُ هُوَ الصَّحَابِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذِي كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ، وَشَهِدَ لَهُ
الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ.

**{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ
هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ } (الأحقاف : 11)**

11- وَقَالَ الْكَافِرُونَ لِمَنْ آمَنَ مِنْ أَصْحَابِكَ: لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ خَيْرًا لَمْ يَسْبِقْنَا إِلَيْهِ مَنْ بَلَّغَنَا
إِسْلَامَهُمْ - وَكَانُوا يَرَوْنَ فَضْلَهُمْ عَلَى أَمْثَالِ صُهَيْبٍ وَبِلَالٍ وَعَمَّارٍ وَغَيْرِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -
. وَبِمَا أَنَّهُمْ لَمْ يَهْتَدُوا بِالْقُرْآنِ كَمَا اهْتَدَى بِهِ مَنْ أَسْلَمَ، فَسَيَطْعَنُونَ فِيهِ وَيَقُولُونَ: هُوَ أُسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ!

**{ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا
وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ } (الأحقاف : 12)**

12- وَمِنْ قَبْلِ هَذَا الْقُرْآنِ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ التَّوْرَةُ، الَّذِي
جَعَلْنَاهُ إِمَامًا يُقْتَدَى بِهِ، وَرَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لِمَنْ آمَنَ بِهِ، وَهَذَا الْقُرْآنُ كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِمَا قَبْلَهُ مِنَ
الْكِتَابِ السَّمَاوِيِّ السَّابِقَةِ، بِلُغَةٍ عَرَبِيَّةٍ بَيِّنَةٍ، لِيَكُونَ نَذِيرًا لِلْكَافِرِينَ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالنَّبْرَانِ، وَبُشِيرًا
لِلْمُؤْمِنِينَ بِالنُّوَابِ وَالْجَنَانِ.

**{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (الأحقاف :
13)**

13- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا، وَقَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَحْدَهُ، ثُمَّ ثَبَتُوا عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَإِحْلَاصِهِمْ، وَلَمْ يَخْلُطُوهُ
بِشْرِكٍ وَرِبَاءٍ، فَلَا يَتَوَقَّعُوا مَكْرُوهًا مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَفُوا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا.

{ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (الأحقاف : 14)

14- أُولَئِكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّعِيمِ الدَّائِمِ، جَزَاءً مَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } (الأحقاف : 15)

15- وأمرا الإنسان بالإحسان إلى والديه، يبرئهما ويعطف عليهما، ويُفِقُ عليهما، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ فِي بَطْنِهَا بَتَعَبٍ وَمَشَقَّةً، وَوَضَعَتْهُ بِمَشَقَّةٍ وَأَلَمٍ، مِنَ الطَّلَقِ وَشِدَّتِهِ، وَمُدَّةُ حَمَلِهِ وَفِطَامِهِ عَامَانِ وَنِصْفُ الْعَامِ، فَأَقْلُ الْحَمْلِ سِتَّةَ شُهُورٍ، وَالرِّضَاعُ التَّامُّ الْمُنْتَهَى بِالْفِطَامِ عَامَانِ. حَتَّىٰ إِذَا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ، وَاسْتَوَىٰ عَقْلُهُ، وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَاكْتَمَلَ قُوَّةً وَفَهْمًا، دَعَا اللَّهَ قَائِلًا: رَبِّ أَلْهِمْنِي وَوَفِّقْنِي لِأَشْكُرَ فَضْلَكَ وَنِعْمَتَكَ الَّتِي مَنَنْتَ بِهَا عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَأَلْهِمْنِي وَمُنِّ عَلَيَّ بِأَنْ أَقُومَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تُحِبُّهَا وَتَرْضَىٰ بِهَا، وَاجْعَلِ الْإِيمَانَ وَالصَّلَاحَ سَارِيًّا فِي نَسْلِي، إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ لَا تَرْضَاهُ، وَإِنِّي مِمَّنْ أَسَلَمُوا نَفُوسَهُمْ إِلَيْكَ، وَأَخْلَصُوا قُلُوبَهُمْ لَكَ.

{أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ } (الأحقاف : 16)

16- فهؤلاء نتقبَّلُ عنهم طاعتهم وأعمالهم الصَّالِحَةَ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَنَعْفِرُ لَهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ فَلَا نُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهَا، فَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ، وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَهُوَ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْهُمْ طَاعَتَهُمْ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.

{وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَكْفِرُونَ بِاللَّهِ وَيَلْعَنُونَ اللَّهَ وَنِيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } (الأحقاف : 17)

17- وَالْكَافِرُ الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ يَقُولُ عِنْدَ دَعْوَتِهِمَا إِلَيْهِ لِلْإِيمَانِ مُتَضَجِّرًا مِنْهُمَا: أَتَعِدَانِي أَنْ أُبْعَثَ مِنَ الْقَبْرِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَقَدْ مَضَتْ أَجْيَالٌ مِنْ قَبْلِي وَلَمْ يُبْعَثْ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِأَصْدَقِ ذَلِكَ؟ وَوَالِدَاهُ يَلْتَجِنَانِ إِلَى اللَّهِ، وَيَدْعَوَانِهِ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيَقُولَانِ لَهُ: وَيَلْكَ آمِنْ فَهُوَ

خَيْرٌ لَّكَ، إِنَّ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ حَقٌّ وَصِدْقٌ. فَيَقُولُ مُنْكَرًا لَهُ: مَا هَذَا الَّذِي تَقُولَانِ إِلَّا
أَبَاطِيلَ الْأَوَّلِينَ سَطَّرُوها فِي كُتُبِهِمْ!

{أَوْلَيْكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا
خَاسِرِينَ} (الأحقاف : 18)

18- أولئك المكذبون باليوم الآخر وحبب عليهم العذاب، مع أممٍ مكذبةٍ سلفت من الجنِّ
والإنس، إنهم جميعًا خابوا وخسروا خسارَةً كبيرةً بذلك.

{وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} (الأحقاف : 19)

19- ولكلٍّ من الفريقين، المؤمنين والكافرين، منازلٍ ومراتبٍ بحسبِ عملهم في الدنيا،
وليُعطيهم الله أجورَ أعمالهم وافيةً تامةً، إن خيرًا أو شرًّا، وهم لا يُظلمون شيئًا، فلا يُنقص
من ثواب، ولا يُزاد في عقاب.

{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا
فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ}
(الأحقاف : 20)

20- ويُقال للكافرين وهم يُعذبون في النار: لقد استوفيتم لذاتكم في الحياة الدنيا، وتمتعتم
بزيتها وشهواتها كما رغبتهم، وأنكرتم المعاد والحساب، ولم تُبالوا ببنداء ربكم، وعاندتم وتكبرتم،
فاليوم تجزون عذاب الدُّلِّ والهوان، بما كنتم تستكبرون عن قبول الحق، بغير حق، وبما كنتم
تفسدون في الأرض، وتعضون الله ولا تكثرثون بفعل الحرام.

{وَادْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا
تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (الأحقاف : 21)

21- وادكر لقومك نبي الله هودًا، أخا عادٍ في النسب، عندما أنذر قومه بالأحقاف - وهي
جبال زملية بين عُمان والرُّبع الحالي واليمن، واكتشفت آثار لهم في عُمان - فحوفهم من

عقابِ اللهِ وانتقامه، إنْ هم تَمَادَوْا فِي كُفْرِهِمْ وَتَكذِيبِهِمْ. وَقَدْ مَضَتْ الرُّسُلُ مِنْ قَبْلِ هُوْدٍ وَمِنْ بَعْدِهِ، فَأَنْذَرَهُمْ بِمَا أَنْذَرُوا هُمْ بِهِ أَقْوَامَهُمْ، وَهُوَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي يَوْمٍ مَهُولٍ.

{ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنِ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } (الأحقاف : 22)

22- فَأَجَابَهُ قَوْمُهُ قَائِلِينَ: أَجِئْتَنَا لِنَصْرِفْنَا عَنْ عِبَادَةِ آلِهَتِنَا؟ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا مِنَ الْعَذَابِ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي وَعِيدِكَ.

{ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ } (الأحقاف : 23)

23- فَقَالَ لَهُمْ هُوْدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ عِلْمَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ، فَإِنْ كُنْتُمْ مُسْتَحْقِّينَ ذَلِكَ نَزَلَ بِكُمْ عَذَابُهُ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُرِيدُهُ، وَمَا أَنَا إِلَّا مُبَلِّغٌ مَا يُوحَىٰ بِهِ إِلَيَّ رَبِّي، وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا لَا تَعْقِلُونَ.

{ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيِّهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ } (الأحقاف : 24)

24- فَلَمَّا رَأَوْا سَحَابًا يَبْدُو مِنْ نَاحِيَةِ السَّمَاءِ مُقَابِلَةً لِأُوْدِيِّهِمْ، وَفِيهَا بَسَاتِينٌ لَهُمْ وَزُرُوعٌ، اسْتَبَشَرُوا وَفَرِحُوا، وَقَالُوا: هَذَا سَحَابٌ يُمَطِّرُ زُرُوعَنَا وَأَشْجَارَنَا. بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، هَذِهِ عَاصِفَةٌ شَدِيدَةٌ تَحْمِلُ لَكُمْ عَذَابًا مُؤَلِّمًا فَظِيعًا،

{ تَذُمَّرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ } (الأحقاف : 25)

25- تُخَرَّبُ كُلُّ شَيْءٍ مِّمَّا أَمَرْتُ بِتَدْمِيرِهِ بِإِذْنِ رَبِّهَا. فَأَهْلِكُوا جَمِيعًا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَأَصْبَحُوا لَا يُرَى شَيْءٌ مِنْهُمْ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ. وَبِمَثَلِ هَذَا الْعِقَابِ الشَّدِيدِ نَجْزِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ الْمَكْذِبِينَ لِرُسُلِنَا، الْمِخَالِفِينَ لِأَمْرِنَا.

{وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (الأحقاف : 26)

26- وَقَدْ أَعْطَيْنَاهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْمَالِ وَالْأَوْلَادِ وَسُبُلِ الْعَيْشِ وَطُولِ الْعُمُرِ، مَا لَمْ نُعْطِكُمْ مِثْلَهُ، وَجَعَلْنَا لَهُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ مِثْلَمَا جَعَلْنَا لَكُمْ، فَلَمْ يَسْتَعْمِلُوا لِمَا خُلِقَتْ لَهُ، بَلْ قَصَّروا مَنْفَعَتَهَا عَلَى الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَتَقْلِيدِ الْآبَاءِ، فَلَمْ يَسْتَعْمِلُوا سَمْعَهُمْ لِسَمَاعِ الْحَقِّ مِنَ الرُّسُلِ، وَلَا أَبْصَارَهُمْ لِلتَّفَكُّرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَلَا أَفْئِدَتَهُمْ فِي مَعْرِفَةِ رَبِّهِمْ وَصِفَاتِهِ الْجَلِيلَةِ، فَلَمْ تَنْفَعَهُمْ شَيْئًا عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَأَحَاطَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي كَانُوا يَسْتَعْجِلُونَهُ. فَكُونُوا عَلَى حَذَرٍ أَنْتُمْ مِنْ ذَلِكَ.

{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (الأحقاف : 27)

27- وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَالْمُدُنِ يَا أَهْلَ مَكَّةَ، كَمَدَائِنِ صَالِحٍ، وَحِجْرِ ثَمُودَ، وَالْأَحْقَافَ، وَسَبَأَ، وَكَزْرَةَ الْحُجَّجِ، وَبَيْنَا الْآيَاتِ، وَنَوَّعْنَا الْمِعْجَزَاتِ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عَنِ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ.

{فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} (الأحقاف : 28)

28- فَهَلَّا مَنَعَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَوْثَانُ الَّتِي اتَّخَذُوهَا آلِهَةً يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ وَهُمْ فِي أَشَدِّ الْحَاجَةِ إِلَى النَّصْرَةِ وَالنَّجَاةِ؟ بَلْ غَابُوا عَنْهُمْ، وَذَلِكَ كَذِبُهُمُ الَّذِي كَانُوا يَقُولُونَ إِنَّهُمْ يُفَرِّقُونَهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيَدْفَعُونَ عَنْهُمْ السُّوءَ، فَلْيَعْتَبِرْ مُشْرِكُو قَوْمِكَ.

{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ
وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} (الأحقاف : 29)

29- وإذ وجهنا لك عددًا من الجن - وكانوا تسعة - يستمعون إلى القرآن، فلما حضره عند تلاوتك له، قال بعضهم لبعض: اسكتوا لنسمعه. فلما فرغ من التلاوة انصرفوا إلى قومهم في البلاد، ودعوهم وأنذروهم مما سمعوه من القرآن.

{قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ
وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ} (الأحقاف : 30)

30- قالوا لهم: يا قومنا، إننا سمعنا كتابًا جليل القدر أنزل من بعد موسى، الذي أوتي التوراة - وكانت عمدة عيسى أيضًا عليه السلام - مُصَدِّقًا لِمَا أُنزِلَ مِنَ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ السَّابِقَةِ، يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ فِي الْإِعْتِقَادِ، وَإِلَى نَهْجٍ صَادِقٍ مُّسْتَقِيمٍ فِي الدِّينِ كُلِّهِ.

{يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّن عَذَابٍ أَلِيمٍ
(الأحقاف : 31)

31- يا قومنا أجيبوا داعي الله محمدًا صلى الله عليه وسلم - فهو مبعوث إلى الثقلين -، وامنوا بنبوته ورسالته، يغفر الله ما تقدم من ذنوبكم، ويُجِّحكم من عذابٍ شديد.

{وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (الأحقاف : 32)

32- ومن لم يستجب لدعوة الرسول، ولم يلتزم بالدين الحق، فلن يقدر على الهرب من الله، ولو تحصن في أية بقعة من الأرض، وليس له أنصار يمنعونه من الله، فأولئك الذين أبوا اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في ضلالٍ بيّن، ويُعد عن الحق ظاهر.

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْيِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُغْيِي الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الأحقاف : 33)

33- أَلَمْ يَعْلَمِ الْمُنْكَرُونَ لِلْبَعْثِ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ الْعَظِيمَةَ، وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهَا، وَلَمْ يَتَّعَبْ مِنْ خَلْقِهِنَّ، وَلَا عَجَزَ عَنْ إِبْدَاعِهِنَّ، قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى مِنْ قُبُورِهِمْ؟ بَلَى هُوَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، وَقَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يُرِيدُهُ.

{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} (الأحقاف : 34)

34- وَيُقَالُ لِلْكَافِرِينَ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ: أَلَيْسَ هَذَا الْعَذَابُ الَّذِي تَذُوقُونَهُ حَقًّا، وَلَيْسَ كَذِبًا وَسِحْرًا وَخِرَافَةً؟ قَالُوا فِي ذُلٍّ مُعْتَرِفِينَ: بَلَى وَرَبِّنَا إِنَّهُ الْحَقُّ. فَيُقَالُ لَهُمْ: فَذُوقُوا الْعَذَابَ الَّذِي كُنْتُمْ تَجْحَدُونَهُ، بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ.

{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ} (الأحقاف : 35)

35- فَاصْبِرْ أَيُّهَا الرَّسُولُ عَلَى مَا يُصِيبُكَ مِنْ جِهَةِ قَوْمِكَ، كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ عَلَى إِيْدَاءِ قَوْمِهِمْ وَسُخْرِيَّتِهِمْ مِنْهُمْ، وَلَا تَسْتَعْجِلْ حُلُولَ الْعُقُوبَةِ بِهِمْ، وَلَا تَدْعُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، فَكَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، لَمْ يَلْبَثُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَاعَةً يَسِيرَةً مِنَ النَّهَارِ؛ لِشِدَّةِ مَا يَنْزِلُ بِهِمْ. وَهَذَا الْقُرْآنُ بَلَاغٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، وَلَا يُهْلَكُ إِلَّا الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَتِهِ، وَلَا يُعَذَّبُ إِلَّا مَنْ اسْتَحَقَّ الْعَذَابَ.

سورة محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ} (محمد : 1)

1- الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْإِسْلَامِ، وَمَنَعُوا النَّاسَ مِنْهُ، أَحْبَطَ اللَّهُ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ، فَلَمْ يَقْبَلْهَا، وَإِنْ بَدَتْ حَسَنَةً.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ} (محمد : 2)

2- وَالَّذِينَ آمَنُوا بِإِخْلَاصٍ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الْحَسَنَةَ الْمُوَافِقَةَ لِلشَّرِيعَةِ، وَآمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يُنْسَخُ، غَفَرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَأَصْلَحَ حَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالدُّنْيَا بِالتَّوْفِيقِ وَالتَّأْيِيدِ، وَالْهُدَايَةِ وَالسَّدَادِ.

{ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ} (محمد : 3)

3- وَهَذَا لِأَنَّ الْكَافِرِينَ اتَّبَعُوا الشَّيْطَانَ، وَاخْتَارُوا الْبَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ، فَلَمْ تَكُنْ أَعْمَالُهُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ، بَلْ لِسُمْعَةٍ وَمَنْصِبٍ، وَعَادَةٍ وَتَقْلِيدٍ. وَالْمُؤْمِنُونَ اتَّبَعُوا أَمْرَ الرَّسُولِ وَالتَّزَمُوا الشَّرْعَ، فَكَانَتْ أَعْمَالُهُمْ مُوَافِقَةً لِشَّرْعِ اللَّهِ، خَالِصَةً لَهُ. وَهَكَذَا يُبَيِّنُ اللَّهُ أَحْوَالَ الْمُؤْمِنِينَ وَالكَافِرِينَ وَمَالَ أَعْمَالِهِمْ.

{فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِذَا مَتَّأَ بَعْدُ وَإِذَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ} (محمد : 4)

4- فإذا واجهتُم المقاتلين الكُفَّار، فاضربوا أعناقهم، حتى إذا أكثرتم القتلَ فيهم، وتمكَّنتُم منهم، فأسروهم، ولا تتركوا منهم أحدًا، ثم إنَّكم بالخيار، إمَّا أن تَمُنُّوا عليهم بإطلاقِ أسرهم، وإمَّا أن تُفادُوهم بمال، حتى تنقضي الحرب.

ولو شاء الله لانتقم من الكافرين وأهلكهم من دون حرب، ولكن أمركم بالجهاد ليختبر بعضكم ببعض، فيثبت صدق المؤمنين لينالوا الثواب العظيم من ربهم، والكافرون إمَّا أن يقتلوا فيحلدوا في النار جزاء محاربتهم دين الله، وإمَّا أن يتعظوا، أو يتعظ غيرهم بهم، فيسلموا. والذين استشهدوا في سبيل الله فلن يضيع أعمالهم.

وحكم المن على الأسرى أو مفاداتهم مختلف فيه، والأكثر أنَّهُ غير منسوخ. وعامة الفقهاء - من بعد - على أن الإمام مخير في الأسرى، إن شاء قتل، وإن شاء فادى، بحسب ما تتطلبه مصلحة المسلمين، كما ذكر في تفسير الآية (68) من سورة الأنفال.

{ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَعْمَالِهِمْ } (محمد : 5)

5- والشهداء يهديهم الله يوم القيامة إلى ثواب أعمالهم، من الإكرام العظيم والتعظيم المقيم، ويصلح أمرهم وحالهم، فيرضي خصماءهم في الدنيا مقابل حقوقهم عليهم، ويقبل أعمالهم.

{ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ } (محمد : 6)

6- ويدخلهم الجنة كما وعدهم بها، وقد عرفهم بما فيها، وبيّن لهم منازلهم فيها، وهداهم إليها.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } (محمد : 7)

7- أيها المؤمنون، إن تنصروا دين الله، وتتجرّد نفوسكم له، فإنه سينصركم على عدوكم، ويثبت أقدامكم عند الحرب، ويقوي عزائمكم.

{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ } (محمد : 8)

8- وبعدا للكافرين وهلاكًا لهم، وقد أبطل الله ثواب أعمالهم.

{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } (محمد : 9)

9- وذلك بسبب بُغْضِهِمُ الْقُرْآنَ وما فيه مِنَ الْحَقِّ وَالتَّوْحِيدِ، الذي لا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ وَتَقَالِيدَهُمْ، فَأَحْبَطَ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ، ولو بَدَتْ مَقْبُولَةً فِي الظَّاهِرِ، فَهِيَ لَعَيْرٍ وَجِهٍ اللَّهِ.

{ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَاللَّكَافِرِينَ أَمْثَلَهُمْ } (محمد : 10)

10- أَفَلَمْ يَسِرْ هؤُلاءِ الْمُشْرِكُونَ الْمُكَذِّبُونَ فِي الْأَرْضِ، فَيَرَوْا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، مِنْ خِلَالِ آثَارِهِمْ الَّتِي يَمْزُونَ بِهَا، الَّتِي تُنْبِئُ عَنْ أَحْبَابِهِمْ وَمَوَاقِفِهِمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟ فَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ مَعَ أَهْلِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَلِلْكَافِرِينَ السَّائِرِينَ عَلَى مِنْهَجِهِمْ مِثْلُ عُقُوبَتِهِمْ.

{ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ } (محمد : 11)

11- ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَالْكَافِرُونَ لَيْسَ لَهُمْ مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا حُلَّ بِهِمْ.

{ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ } (محمد : 12)

12- إِنَّ اللَّهَ يُكْرِمُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُثَبِّتُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ خَيْرَ الْجَزَاءِ، فَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ عَالِيَاتٍ، تَجْرِي خِلَالَ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ، لِتَزِيدَ مِنْ سَعَادَتِهِمْ وَبَهْجَتِهِمْ. وَالْكَافِرُونَ يَتَمَتَّعُونَ فِي الدُّنْيَا زَمَنًا قَلِيلًا، وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْبَهَائِمُ، لَا يُفَكِّرُونَ إِلَّا بِأَطْمَاعِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، فَهُمْ غَافِلُونَ عَمَّا يَنْتَظِرُهُمْ فِي آخِرَتِهِمْ، وَهُنَاكَ الْمِسْتَقْبَلُ الْحَقِيقِيُّ، وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا الْفَانِيَّةِ. وَالنَّتِيجَةُ أَنْ تَكُونَ النَّارَ مَوْضِعَ إِقَامَتِهِمْ الدَّائِمِ.

{وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ} (محمد : 13)

13- وكم من أهل قرية كانوا أكثر قوة ومنعة من أهل قريتك مكة، الذين كانوا سبباً في إخراجك منها، فانتقمنا لرسولنا وأهلكناهم، فما كان لهم ناصر يمنع ما حل بهم.

{أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} (محمد : 14)

14- أفمن كان على بصيرة من الحق، ويقين من كتاب الله وسنة نبيه، كالمشركين الذين زين الشيطان في نفوسهم عملهم السيء، من الشرك والمعاصي، واتبعوا أفكارهم المنحرفة، وأهواءهم الرذيلة؟ لا يستون.

{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} (محمد : 15)

15- صفة الجنة التي وعد الله بها عباده المؤمنين المتقين: فيها أنهار عظيمة، وكثيرة، من ماءٍ لذيذٍ غير متغيرٍ في طعمه وريحه ولونه، وأنهار من لبنٍ في غاية البياض والحلاوة، لم يتغير طعمه، فلم يحمض ولم يفسد، وأنهار أخرى من حمر صافية لذيذة لمن يشربها، وليست كريهة الطعم والرائحة، لا تُسكر، ولا تُسبب ألمًا في الرأس أو البطن. وأنهار من عسلٍ في غاية الصفاء، لم يخالط به شئٌ أو غيره. ولهم في الجنة ما يشتهون من أنواع الثمار والفواكه، ومغفرة عظيمة من ربهم.

أفمن كان في هذا النعيم مخلدًا، كمن هو مخلدٌ في نار الجحيم، وسقوا ماءً شديدة الحرارة والغليان، تقطعت منه أمعاؤهم وأحشاؤهم؟

{وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِن عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} (محمد : 16)

16- وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ، فِي تِلَاوَةِ تَتْلُوهَا مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ عِظَةٍ تَعْظُهُمْ بِهَا، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَكْتَرُونَ بِهَا وَلَا يَتَذَبَّرُونَهَا، فَإِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِأَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ: مَا الَّذِي قَالَهُ مُحَمَّدٌ قَبْلَ قَلِيلٍ؟ قَالُوا ذَلِكَ اسْتِهْزَاءٌ وَتَعْرِيفٌ بِكَلَامِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي لَا يَعْنِي عِنْدَهُمْ شَيْئًا. فَأُولَئِكَ الْمُنَافِقُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، لَعَلَّهِ سُبْحَانَهُ بَعْدَ تَوْجُوهِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ، فَكَانَ اتِّبَاعُهُمْ لِأَهْوَائِهِمُ الرَّائِغَةَ، وَالْكَفْرَ وَالنَّفَاقَ.

{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} (محمد : 17)

17- وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، زَادَهُمُ اللَّهُ هُدًى وَرُشْدًا، وَأَلْهَمَهُمُ الْعَمَلَ بِمَا يُرْضِيهِ.

{فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرَاهُمْ} (محمد : 18)

18- فَهَلْ يَنْتَظِرُ الْمُنَافِقُونَ وَالْكَافِرُونَ إِلَّا أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ فَجَاءَهُمْ وَهُمْ غَافِلُونَ عَنْهَا؟ فَقَدْ قُرِئَتْ وَجَاءَتْ عَلَامَاتُهَا وَأَمَارَاتُهَا - وَمَبَعَثُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَلَامَاتِهَا، فَهِيَ خَاتَمُ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فَمِنْ أَيْنَ لَهُمُ التَّوْبَةُ وَالِاتِّعَاضُ إِذَا فَاجَأَتْهُمْ، وَالْإِيمَانُ لَا يَنْفَعُهُمْ حِينَئِذٍ؟

{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} (محمد : 19)

19- فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ، فَاتَّبِعْ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ، فَلَا مَعْبُودَ فِي الْوُجُودِ بَحَقِّ سِوَى اللَّهِ، وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ، وَلِذُنُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ. قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الذَّنْبُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: تَرُكُ مَا هُوَ الْأَوَّلَى بِمَنْصِبِهِ الْجَلِيلِ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ وَيَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً - كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ - وَهُوَ نَبِيٌّ.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَحْوَالَكُمْ وَتَصَرُّفَكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَمَصِيرَكُمْ وَمُسْتَقَرَّكُمْ فِي الْآخِرَةِ.

{ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَىٰ لَهُمْ } (محمد : 20)

20- ويقول المؤمنون الصادقون، شوقاً منهم إلى الجهاد، وحرصاً منهم عليه: هلاً أنزلت سورة من القرآن تأمرنا بالجهاد؟ فإذا أنزلت سورة مبيّنة، لا تشابه ولا احتمال فيها لغير الأمر بالقتال، رأيت الذين في قلوبهم نفاق، أو ضعف في الدين، ينظرون إليك نظر المحتضر الذي قرب موته، فرعاً وجبناً، وكان الأولى لهم من هذا الهلع والضعف، ومن هذا النفاق،

{ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرَ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ } (محمد : 21)

21- هو طاعة منهم يستسلمون فيها لأمر الله، وقول معروف بالإجابة، فإذا جد الأمر، وحضر القتال، فلو صدقوا الله في الطاعة والحرص على الجهاد كالمؤمنين الصادقين، لكان خيراً لهم.

{ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ } (محمد : 22)

22- فلعلكم إن أعرضتم عن طاعة الله، والجهاد في سبيله، أن تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية، تسفكون الدماء، وتظلمون الناس، وتقطعون الأرحام.

{ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ } (محمد : 23)

23- فأولئك المعرضون المفسدون، قاطعو الأرحام، أبعدهم الله من رحمته، فأصم سمعهم عن الاستماع للحق، وأعمى أبصارهم عن رؤية آياته الدالة على صدق رسوله، فقد عطلوا حواسهم عن ذلك، وأبعدها عن وظيفتها الأساسية، فكان جزاؤهم من جنس عملهم. وقطع الأرحام ذنب عظيم، وعليه عقوبة كبيرة، وفي ذلك أحاديث صحيحة.

{ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } (محمد : 24)

24- أفلا يَتَفَهَّمُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَمَعَّنُونَ فِي آيَاتِهِ، وَمَوَاعِظِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَزَوَاجِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، حَتَّى لَا يَفْعُوا فِيهَا وَقَعَ فِيهِ الْجَاهِلُونَ؟ بَلْ هَذِهِ الْقُلُوبُ مُعْطَاةٌ بِحُجُبٍ كَثِيفَةٍ، وَمُتَقَلِّةٌ بِأَقْفَالٍ ثَقِيلَةٍ، لَا تَخْتَرِقُهَا الْكَلِمَاتُ مَهْمَا كَانَتْ مُؤَثَّرَةً، وَلَا تَنْتَهِي إِلَيْهَا الْأَنْوَارُ مَهْمَا كَانَتْ مُشِعَّةً!

{ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ } (محمد : 25)

25- إِنَّ الَّذِينَ رَجَعُوا إِلَىٰ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ مَا أَتَىٰ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْحَقُّ، بِالْدَّلَائِلِ وَالْبَيِّنَاتِ، كَالْمُنَافِقِينَ، وَأَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ عَلِمُوا أَوْصَافَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمُطَابَقَتَهَا لِمَا عِنْدَهُمْ، فَتَرَكُوا ذَلِكَ وَرَجَعُوا إِلَىٰ ضَلَالِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ قَدْ زَيَّنَ الشَّيْطَانُ عَمَلَهُمُ السَّيِّئَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَعَزَّاهُمْ بِذَلِكَ وَخَدَعَهُمْ، وَمَدَّ لَهُمْ فِي الْأُمَانِيِّ وَالْأَمَالِ، حَتَّىٰ أَطَاعُوهُ، وَفَضَّلُوهُ عَلَىٰ الدَّلَائِلِ وَالْحُجَجِ الْوَاضِحَاتِ!

{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ } (محمد : 26)

26- ذَلِكَ بِأَنَّ الْمُنَافِقِينَ قَالُوا لِلْيَهُودِ الَّذِينَ كَرِهُوا نَزُولَ الْقُرْآنِ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ أُمُورِكُمْ وَرَغَبَاتِكُمْ، فَتَتَعَاوَنُ مَعَكُمْ فِي عَدَاوَةِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَنَقْعُدُ عَنِ الْجِهَادِ مَعَهُ. وَاللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَىٰ مَا يُسْرُونَ، وَعَالِمٌ بِمَا يَمْكُرُونَ.

{ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ } (محمد : 27)

27- فَكَيْفَ تَكُونُ حَالُهُمْ إِذَا جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ وَأَعْوَانُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، وَهُمْ يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ بِالْمَقَامِعِ؟

{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } (محمد : 28)

28- وهذا الذي استحقوه ونالوه من العذاب، بسبب أنهم اتبعوا ما أغضب الله وأسخطه من الكفر والضلال والمعاصي، وكرهوا ما يرضاه من الإيمان والجهاد والطاعة، فأبطل الله ثواب أعمالهم.

{ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْعَانَهُمْ** } (محمد : 29)

29- أَمْ حَسِبَ الْمُنَافِقُونَ أَنْنا لَنْ نُظْهِرَ أَحْقَادَهُمْ وَمَا يُطِنُونَهُ مِنْ عَدَاوَةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ؟

{ **وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسْمَائِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ** } (محمد : 30)

30- ولو أردنا أيها الرسول لعرفناك أسماءهم، وأريناك أشخاصهم، وجعلنا عليهم علامات عرفتهم بها، ولتعرفنهم من فحوى كلامهم، الدال على مقاصدهم. قال ابن كثير رحمه الله: ولكن لم يفعل تعالى ذلك في جميع المنافقين، سترًا منه على خلقه، وحملًا للأمر على ظاهر السلامة، وردّ السرائر إلى عالمها. اهـ. والله يعلم أحوالكم وأعمالكم، وسيجازيكم عليها بحسب مقاصدكم.

{ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ** } (محمد : 31)

31- ولنختبرنكم بالجهاد ونحوه من الأوامر، الذي يبدو من خلاله صدق الإيمان من عدمه، حتى نرى المجاهدين منكم حقًا والصابرين على مشاق التكاليف، ونظهر نتيجة أعمالكم ومواقفكم الحقيقية.

{ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَالِهِمْ** } (محمد : 32)

32- إن الذين كفروا بالله ورسوله، ومنعوا الناس من دين الله الحق، وعادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما ظهر لهم بالدلائل والمعجزات أن الإسلام هو الدين الحق، وأن محمدًا

صلى الله عليه وسلم رسوله، لن يضروا الله بكفرهم وصرف الناس عن دينه، وإنما يضرون أنفسهم، وسيبطل الله ثواب أعمالهم، لأنها لم تكن في سبيله ولمرضاته.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ } (محمد : 33)

33- يا عباد الله المؤمنين، أقبوا على طاعة الله ورسوله، بالقول الطيب والعمل الصالح، ولا تبطلوا أعمالكم الحسنة بالشرك والتفاه.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ } (محمد : 34)

34- إن الذين كفروا بالله ورسوله، ومنعوا الناس من اعتناق دينه، وأصروا على الكفر واستمروا عليه حتى ماتوا وهم كافرون، فلن يغفر الله لهم، فالله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن لم يغفر الله له فلا نصيب له في الجنة.

{ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالَكُمْ } (محمد : 35)

35- فلا تضعفوا عن الأعداء، ولا تظهروا لهم لينًا، ولا تدعوهم إلى الصلح والمهادنة ووقف القتال بينكم وبينهم وأنتم الأقوى، والله معكم، وناصركم على أعدائكم، ولن ينقصكم شيئًا من ثواب أعمالكم، بل يوفيكم ثوابها ويزيدها لكم.

{ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ } (محمد : 36)

36- إنما هذه الحياة الدنيا - في غالبها - كاللعب واللهو في عدم النفع والثبات، فلا يشتغل العاقل بما هو باطلٌ وغرورٌ ولا بقاء له. وإن تكونوا صادقين في إيمانكم، وتتقوا الله فيما تأتون وما تدرن، يؤتكم ثواب أعمالكم في الآخرة، ولا يسألكم جميع أموالكم، بل جزءًا قليلًا منه تؤدونه لإخوانكم المحتاجين، ويرجع ثوابه إليكم.

{إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخْلُوا وَمِنْكُمْ} (محمد : 37)

37- وإذا سألكم جميع أموالكم، فسيجهدكم ذلك، وستبخلون بها، ويخرج بذلك أحقادكم، لمزيد حبكم للمال.

{هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ
عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}

(محمد : 38)

38- ها أنتم تدعون للإنفاق في طاعة الله، من الجهاد وغيره، فمنكم من يبخل بماله فلا يجيب، ومن يبخل بما عنده وإنما يضر نفسه، وينقص من أجره، والله غني عن طاعتكم، غير محتاج إلى أموالكم، وأنتم الفقراء إليه، المحتاجون إلى رزقه، فإنفاقكم أو عدمه محسوب لكم أو عليكم. وإذا عرضتم عن طاعة الله يستبدل بكم قوما آخرين، ولا يكونوا مثلكم معرضين عن أمر الله، بل يسمعون ويطيعون.

سورة الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا } (الفتح : 1)

1- إِنَّا قَضَيْنَا لَكَ فَضَاءً بَيْنَنَا، وَنَصَرْنَاكَ نَصْرًا مِنْ دُونِ قِتَالٍ.

وهو إخبار عن صلح الحديبية، الذي اعتُبر فتحًا ظاهرًا، لما حصل فيه من المصلحة للمسلمين، فقد تمكن الإسلام من قلوب الناس بعد ذلك، وزاد عددهم كثيرًا، وتضاعفت قوتهم.

{ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا

مُسْتَقِيمًا } (الفتح : 2)

2- لِيَغْفِرَ اللَّهُ لَكَ مَعَ نِعْمَةِ الْفَتْحِ جَمِيعَ ذُنُوبِكَ، مَا سَبَقَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ. وهذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام، والمراد ما ظهر من خلاف الأولى بالنسبة إلى مقامه عليه الصلاة والسلام. وليتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ، في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فينصُرَ الإسلام، وينشره، ويُعلِيَّ مَقَامَكَ فِي الْعَالَمِينَ، وليثبتك على صراط الله المستقيم، وشرعه العظيم، فتحكم به وتبلغه، وليهدي بك الناس.

{ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا } (الفتح : 3)

3- وَلِيَنْصُرَكَ اللَّهُ عَلَى أَعْدَائِكَ نَصْرًا غَالِبًا، فِيهِ الْعِزُّ وَالْمَنْعَةُ.

{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } (الفتح : 4)

4- هو الذي أنزل الطمانينة والثبات في قلوب المؤمنين الذين شهدوا صلح الحديبية، فاستجابوا لحكم الله ورسوله، واطمأنت قلوبهم به؛ ليزدادوا يقيناً مع يقينهم، برسوخ العقيدة والرضا بحكم الله ورسوله في قلوبهم.

ولو أراد الله لانتقم من المشركين يومئذ، وهو يسيرٌ عليه سبحانه، فله جنودٌ لا يُحصون في السماوات والأرض، ولكن أراد لكم الصلح، وهو العليم بالأمور، الحكيم لما يشرع ويُقدر.

{لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً} (الفتح : 5)

5- ليدخل بذلك المؤمنين والمؤمنات جناتٍ عاليات، تجري الأنهارُ خلالَ قصورها وأشجارها، ماكنين ومتنعمين فيها أبداً، وليغفر لهم خطاياهم وذنوبهم، وكان ذلك فوزاً وسعادةً عظمتهم عند الله.

{وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} (الفتح : 6)

6- وليعذب بذلك المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات، الذين يعيظهم رفع راية الإسلام، ويسيوون الظنَّ بحكم الله ورسوله، ويقولون إنَّ الله لا ينصرُ رسوله والمؤمنين، وأنهم سيقتلون جميعاً، أحاط بهم السوءُ وأرداهم، وسخط الله عليهم وأبعدهم من رحمته، وهياً لهم ما يسوؤهم من العذاب الشديد في جهنم، وبئس المصيرُ مصيرهم.

{وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً} (الفتح : 7)

7- والله كلُّ ما في السماوات والأرض من جنود، وهو القادر على الانتقام بهم ممن يشاء، وهو القوي الذي لا يُغالب، وله الحكمة في فعل ما يشاء.

{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً} (الفتح : 8)

8- إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا عَلَىٰ مَنْ أَرْسَلْتَ إِلَيْهِمْ، وَمُبَشِّرًا لِلْمُؤْمِنِينَ بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ، وَمُنذِرًا لِلكَافِرِينَ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمْ.

{لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} (الفتح : 9)

9- لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ إِيْمَانًا صَادِقًا، وَتَتَّصِرُوا لِلَّهِ بِنُصْرَةٍ دِينِهِ وَرَسُولِهِ، وَتُعَظِّمُوهُ وَجُلُّوهُ، وَتُقَدِّسُوهُ وَتُنَزِّهُوهُ، صَبَاحًا وَمَسَاءً.

{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} (الفتح : 10)

10- إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ عَلَىٰ الْمَوْتِ لِنُصْرَتِكَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ، بِطَاعَتِهِ وَامْتِنَالِ أَمْرِهِ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، وَهُوَ الَّذِي يُؤَيِّدُهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ، فَمَنْ نَقَضَ الْعَهْدَ، فَإِنَّ ضَرَرَ نَقْضِهِ يَعُودُ بِالْحَسَارَةِ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَمَنْ وَفَّىٰ بِالْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَسَيُؤْتِيهِ ثَوَابًا جَزِيلًا، وَهُوَ الْجَنَّةُ.

{سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} (الفتح : 11)

11- سَيَعْتَذِرُ إِلَيْكَ الْأَعْرَابُ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الْمَسِيرِ مَعَكَ إِلَىٰ مَكَّةَ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ. وَكَانَ الرُّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ اسْتَنْفَرَهُمْ حَدَرًا مِنْ أَنْ تَعْرِضَ لَهُ حَرْبٌ، وَقَدْ أَرَادَ الْعُمْرَةَ مَعَ أَصْحَابِهِ، فَخَافَ الْأَعْرَابُ أَنْ يُجَاهِدَهُمْ قُرَيْشٌ بِحَرْبٍ عَظِيمَةٍ، فَاعْتَذَرُوا وَقَالُوا لَهُ مِنْ بَعْدِ: لَقَدْ شَغَلَتْنَا عَنِ الدَّهَابِ مَعَكَ أَمْوَالُنَا وَنِسَاؤُنَا وَذَرَارِينَا، فَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَنْ يَحْفَظُهُمْ فِي غِيَابِنَا، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا تَخَلُّفَنَا عَنْكَ. يَقُولُونَ ذَلِكَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، خِلَافَ مَا يُبْطِنُونَ فِي قُلُوبِهِمْ.

قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرُّسُولُ: فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَزِدَّ شَيْئًا مِنْ قَدْرِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ شَرًّا وَعِقُوبَةً، أَوْ أَرَادَ بِكُمْ خَيْرًا وَمَثُوبَةً؟ لَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْنَعَ ذَلِكَ وَيُدْفَعَهُ، فَالْأَمْرُ كُلُّهُ بِيَدِهِ، وَقَدْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ

تَخْلُفُكُمْ سِيحْلُبُ لَكُمْ نَفْعًا، وَيَدْفَعُ عَنْكُمْ ضُرًّا! بَلْ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا بِسَبَبِ تَخْلُفِكُمْ، مُطَّلَعًا عَلَى سَرَائِرِكُمْ، وَسِيحْازِيكُمْ عَلَى ذَلِكَ.

{ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا السُّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا } (الفتح : 12)

12- بَلْ كَانَ تَخْلُفُكُمْ لظَنَّكُمْ السيِّءِ، فَحَسِبْتُمْ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ صَحِبَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ سَيَلْقَوْنَ حَرْبًا شَدِيدَةً مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهَا، وَأَنْتُمْ لَنْ يَرْجِعُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ سَالِمِينَ، وَسَيُقْضَى عَلَيْهِمْ كُلُّهُمْ، وَزُيِّنَ هَذَا الظَّنُّ السيِّءُ فِي قُلُوبِكُمْ، وَلَمْ تَدْفَعُوهُ بِالْإِيمَانِ وَالْوَلَاءِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، بَلْ انشَغَلْتُمْ بِذَلِكَ الظَّنِّ الفاسِدِ، وَكُنْتُمْ قَوْمًا هَالِكِينَ بِذَلِكَ، لَا خَيْرَ فِيكُمْ.

{ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا } (الفتح : 13)

13- وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ حَقَّ الإِيمَانِ، فَإِنَّا هَيَّأْنَا لِلْكَافِرِينَ نَارًا مُوقَدَةً مُلْتَهَبَةً.

{ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } (الفتح : 14)

14- وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، خَلْقًا، وَمُلْكًا، وَتَدْبِيرًا، يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ، بَعْدَلِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَهُوَ الْغَفُورُ لِدُنُوبِ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ، الرَّحِيمُ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ.

{ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذُرُونًا تَتَّبِعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا } (الفتح : 15)

15- سَيَقُولُ الْمُتَخَلِّفُونَ عَنِ الْجِهَادِ مِنَ الْأَعْرَابِ، عِنْدَ انطِلَاقِكُمْ إِلَى مَغَائِمِ خَيْبَرَ، الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ بِهَا أَصْحَابَ الْبَيْعَةِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ، سَيَقُولُونَ لَكُمْ: دَعُونَا نَخْرُجْ مَعَكُمْ إِلَى خَيْبَرَ، وَنَشْهَدْ مَعَكُمْ قِتَالَ أَهْلِهَا. وَكَانَتْ حُصُونُهَا آخِرَ مَا بَقِيَ لِلْيَهُودِ فِي الْجَزِيرَةِ مِنْ مَرَاكِرِ الْقُوَّةِ.

يُرِيدُ الْأَعْرَابُ أَنْ يُغَيِّرُوا وَعَدَ اللَّهُ لِأَهْلِ الْحُدَيْبِيَّةِ مِنْ كَوْنِ الْعَنَائِمِ لَهُمْ وَحَدَّاهُمْ، فَقُلْنَا لَهُمْ أَيُّهَا الرُّسُولُ: لَا تَتَّبِعُونَا⁽¹³⁸⁾، وَلَنْ تُشَارِكُوا فِي الْمَغَانِمِ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ بِهَا أَهْلَ الْحُدَيْبِيَّةِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا قَبْلَ رُجُوعِنَا إِلَيْكُمْ، لِأَنَّكُمْ لَمْ تَلْبُوا نِدَاءَ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا اسْتَنْفَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَكُنْتُمْ مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْجِهَادِ، فَلَنْ تُشَارِكُوا مَنْ أَطَاعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي مَغَانِمِ خَيْرٍ، السَّهْلَةَ الْمَأْخُذَ.

فَسَيَقُولُ لَكَ الْأَعْرَابُ: بَلْ تَحْسُدُونَنَا، وَتَمْنَعُونَنَا مِنَ الْخُرُوجِ لِتَحْرِمُونَا مِنَ الْعَيْمَةِ! بَلْ هُمْ لَا يَفْهَمُونَ إِلَّا قَلِيلاً، فَجَزَاءُ الْمُتَخَلِّفِينَ الطَّامِعِينَ هُوَ حِرْمَانُهُمْ مِمَّا طَمِعُوا فِيهِ، وَجَزَاءُ الْمُطِيعِينَ أَنْ يُعْطُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ.

{ قُلْ لِلْمُتَخَلِّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا }
(الفتح : 16)

16- قُلْ لِلْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْجِهَادِ مِنَ الْأَعْرَابِ: سَتُدْعُونَ فِي وَقْتٍ لَاحِقٍ إِلَى مُحَارَبَةِ قَوْمٍ أَقْوِيَاءَ شَدِيدِي الْبَأْسِ، تُقَاتِلُونَهُمْ إِلَى أَنْ يُسْلِمُوا، فَإِنْ تَسْتَجِيبُوا لِدَاعِي الْجِهَادِ وَتُقَاتِلُوا، يُعْطِيَكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا مَرْضِيًّا، فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَهُوَ الْمَغْنَمُ، ثُمَّ الْجَنَّةُ. وَإِذَا أَعْرَضْتُمْ وَتَعَلَّقْتُمْ بِأَعْدَارٍ كاذِبَةٍ كَمَا كَانَ فِي زَمَنِ الْحُدَيْبِيَّةِ، فَسَيُعَاقِبُكُمُ اللَّهُ عِقَابًا شَدِيدًا، لِتَضَاعَفِ جُرْمُكُمْ.

{ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا } (الفتح: 17)

17- لَا إِثْمَ عَلَى الْأَعْمَى، وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ، وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ، فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ، لِمَا بِهِمْ مِنَ الْعُدْرِ، وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أُمِرَ بِهِ وَهُيَ عَنْهُ، يُدْخِلْهُ اللَّهُ جَنَّاتٍ عَالِيَاتٍ، تَجْرِي

(138) {لَنْ تَتَّبِعُونَا}: هَذَا النَّفْيُ هُوَ فِي مَعْنَى النَّهْيِ، وَالْمَعْنَى: لَا تَتَّبِعُونَا. (فتح القدير). والمرادُ هُيْهَامُ عَنِ الْإِتِّبَاعِ فِيمَا أَرَادُوا الْإِتِّبَاعَ فِيهِ، فِي قَوْلِهِمْ: {ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ}، وَهُوَ الْإِنْتِظَارُ إِلَى خَيْرٍ. (روح المعاني).

مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارِ، وَمَنْ يُعْرِضُ عَنِ الطَّاعَةِ، وَيَتَخَلَّفُ عَنِ الْجِهَادِ، يُعَذِّبُهُ فِي الدُّنْيَا
بِالْمَذَلَّةِ وَالصَّغَارِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْعُقُوبَةِ وَالنَّارِ.

**{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ
السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} (الفتح : 18)**

18- لقد رضي الله عن المؤمنين الذين شهدوا معك الحديبية، إذ يبايعونك تحت شجرة سمرة
- وهي الطلح - بأرض الحديبية، على مناجزة قريش وعدم الفرار من المعركة، إذا حدثت
الحرب، فعلم ما في قلوبهم من الصدق والوفاء في مبايعتهم، فأنزل الطمأنينة والأمن عليهم،
وثبتهم على الرضا والقبول، وجزأهم فتحاً قريباً ينالونه، وهو الصلح، الذي تبعه خير عظيم،
فأسلم كثير من الناس، وانتشر العلم والإيمان.

{وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} (الفتح : 19)

19- ومغانم كثيرة ينالونها، وهي أموال اليهود بخير، وكانت وافرة الغنائم. والله قوي لا
يغالب، حكيم فيما يقضي ويدبر.

**{وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ
آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} (الفتح : 20)**

20- وعدكم الله مغانم كثيرة، غير هذه، تأخذونها من الأعداء في فتوحاتكم الكثيرة، فعجل
لكم مغانم خيرة، وكف أهلها اليهود عن محاربتكم، وحلفاءهم من المشركين، فألقى في قلوبهم
الرعب فلم ينالوكم بسوء، ويكون ذلك علامة لكم على صدق ما وعدكم به الرسول صلى
الله عليه وسلم، من الفتح والمغنم، وليهديكم جزاء طاعتكم وإخلاصكم إلى نوح الله
المستقيم، ويثبتكم عليه.

{وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا} (الفتح :

21)

21- وَغَنِيمَةً أُخْرَى كَبِيرَةً، لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا - لَعَلَّهَا فَتَحَ مَكَّةَ - قَدْ حَفِظَهَا اللَّهُ لَكُمْ، وَمَنْعَهَا مِنْ غَيْرِكُمْ حَتَّى يَفْتَحَهَا لَكُمْ، وَلَا يَصْعُبُ عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ، فَهَوَ الْقَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ.

{وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} (الفتح : 22)

22- ولو قاتلكم كُفَّارُ أَهْلِ مَكَّةَ ولم يُصَالِحُوا، لانتصرتم عليهم، وانهمزموا شرَّ هزيمة، ثم لا يجدون من يلي الحرب عنهم، ولا من يساعدهم.

{سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} (الفتح : 23)

23- وهذه سنة الله في الأمم السابقة كذلك، بأن ينصر أنبياءه وعبادته المؤمنين، ويرفع الحق ويضع الباطل، ولن يجد لهذه السنة تغييراً. وقد يتأخر النصر لأسباب...

{وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا} (الفتح : 24)

24- وهو الذي منع مشركي مكة من حربكم، فلم ينلكنم منهم سوء، ومنعكم من حربهم عند المسجد الحرام، من بعد أن أظفركم على بعض المشركين الذين أرادوا إيذاءكم، وكان الله بصيراً بجميع ما تعملون، ومنه عفوكم عن ظفركم بهم من الأعداء.

وقد روى أنس رضي الله عنه "أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فأخذهم سلماً، فاستحياهم، فأنزل الله عز وجل الآية". رواه مسلم. ومعنى استحياهم: عفا عنهم.

{هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَنْبَلِغَ مِنْكُمْ رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} (الفتح : 25)

25- هم الذين كفروا بالله ورَسُولِهِ، ومنَعَوْكُمْ مِنَ الْوَصُولِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لِتَعْتَمِرُوا، كما مَنَعُوا الْهَدْيَ مِنْ بُلُوغِ الْمَكَانِ الَّذِي يُحْرَجُ فِيهِ - وهو مِنَى - وهو مَحْبُوسٌ لِمَا أُهْدِيَ لَهُ، وهو الْبَيْتُ الْحَرَامُ، الَّذِي يُورَّعُ عَلَى فُقَرَائِهِ. وما فعلوه أَمْرٌ كَبِيرٌ فِي عَقِيدَتِهِمْ وَفِي عَقِيدَةِ الْمُؤْمِنِينَ. ولولا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ مُسْتَضْعَفُونَ، ونِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ لَا تَعْرِفُوهُمْ، لاحتِلاطِهِمْ بِهِمْ، فَتَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ حَرْبِكُمْ مَعَ الْكُفَّارِ دُونَ عِلْمِ مَنْكُمْ بِإِيمَانِهِمْ، فَيُنَالُكُمْ مِنْهُمْ مَكْرُوهٌ وَمَشَقَّةٌ، وَأَلَمٌ وَحَسْرَةٌ كَبِيرَةٌ، وَسُبَّةٌ، عِنْدَمَا يُعَيِّرُكُمْ الْمُشْرِكُونَ بِقَتْلِ الْمُسْلِمِينَ، لولا ذَلِكَ لِأَذِنَ لَكُمْ بِفَتْحِ مَكَّةَ. لِيُدْخَلَ اللَّهُ بِهَذَا الصُّلْحِ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ، فَيُسَلِّمُوا، أَوْ يُظْهِرَ الضُّعْفَاءُ إِيْمَانَهُمْ. ولو تَمَيَّزَ الْكَافِرُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بَيْنَهُمْ، لِأَمْرِنَاكَ بِقِتَالِهِمْ، فَقَتَلْتَ مِنْهُمْ وَأَسْرَتَ بَجِيْشِكَ الْمُؤْمِنِينَ.

{ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } (الفتح : 26)

26- إِذْ جَعَلَ الْكَافِرُونَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأَنفَةَ وَالْعَصْبِيَّةَ النَّاشِئَةَ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ الْمَمْقُوتَةِ، تَكْبُرًا وَتَعَنُّتًا، أَثْنَاءَ عَقْدِ الصُّلْحِ، فَاسْتَكْبَرُوا عَنْ قَوْلِ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"، وَرَفَضُوا كِتَابَةَ "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" فِي أَوَّلِ الْوَثِيقَةِ، وَلَمْ يَقْبَلُوا كِتَابَةَ "رَسُولِ اللَّهِ" بَعْدَ اسْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَالُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يُعَيِّرَهُمُ الْعَرَبُ وَيَقُولُوا: إِهْمُ قَتَلُوا أَبْنَاءَكُمْ ثُمَّ دَخَلُوا عَلَيْكُمْ مَكَّةَ وَاعْتَمَرُوا رَغْمًا عَنْكُمْ!

فَأَنْزَلَ اللَّهُ الطُّمَأْنِينَ وَالرِّضَا عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْحَاضِرِينَ مَعَهُ، وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى، وَهِيَ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"، فَاسْتَكْبَرَ عَنْهَا الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ أَحَقَّ بِهَا مِنْهُمْ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِذَلِكَ فَازُوا بِهَا، فَكَانُوا أَهْلَهَا، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَيَعْلَمُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ، وَمَنْ هُوَ أَهْلٌ لِلْكَفْرِ وَالضَّلَالِ.

{لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} (الفتح : 27)

27- لقد صدق الله رسوله فيما أراه في منامه من الرؤيا الصالحة، من أنكم ستدخلون المسجد الحرام إن شاء الله، آمنين من العدو عند دخولكم، منكم من يلقئ رأسه، ومنكم من يقصّر، لا تخافون وأنتم مقيمون في مكة تؤدون مناسك العمرة، فعلم الله أن من الخير والمصلحة لكم أن تنصرفوا عن مكة وتعقدوا صلحا، وهو ما لم تعلموه أنتم، فجعل من قبل دخولكم المسجد الحرام فتحا قريبا، وهو صلح الحديبية. وقد اعتمر المسلمون في العام التالي. وفي ذلك سياسة وصبر، وفائدة وأجر.

{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا} (الفتح : 28)

28- هو الذي أرسل رسوله بالعلم النافع، ودين الإسلام الحق، الذي هو نظام للإنسانية كلها، ليعليه على الملل والأديان جميعها، ويكون ناسخا لها وحاكما عليها، وكفى بالله شهيدا أنك رسوله.

{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} (الفتح : 29)

29- محمد رسول الله حقا، والذين معه من صحابته رضوان الله عليهم، أشداء عنيقون على الكفار أعداء الدين، رحماء متوادون مع إخوانهم المؤمنين، تراهم راكعين ساجدين لكثرة صلاتهم ومداومتهم عليها، يطلبون الثواب والرضا من الله، علامة الخشوع والتواضع ظاهرة

على وجوههم من أثر السُّجود، فالشَّيْءُ الكَامِنُ في النَّفْسِ يَظْهَرُ أَثْرُهُ على صَفَحَاتِ الوَجْهِ.
كَانَ ذَلِكَ وَصَفَهُمْ فِي التَّوْرَةِ.

وَصِفَتْهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ: كَزَّرِعِ تَفَرَّعَ مِنْهُ وَرَقُهُ عَلَى جَانِبَيْهِ، فَشَدَّهُ بِذَلِكَ وَقَوَّاهُ، فَعَلَّظَ وَطَالَ، فَتَمَّ
وَاسْتَقَامَ عَلَى أُصُولِهِ، يُعْجِبُ الزَّارِعِينَ بِوَصْفِهِ الْمَذْكُورِ وَجَمَالِ مَنْظَرِهِ.
وَهَذَا مَثَلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، فَقَدْ قَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالدَّعْوَةِ
وَحَدَهُ، ثُمَّ قَوَّاهُ أَصْحَابُهُ، فَأَزْرُوهُ وَنَصَرُوهُ.

لِيَغِيظَ اللَّهُ بِهِمُ الْكَافِرِينَ، بِجِهَادِهِمْ وَشِدَّتِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَإِخْلَاصِهِمْ لِهَذَا الدِّينِ.
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ أَحْلَصُوا مِنْهُمْ فِي إِيمَانِهِمْ، وَعَمِلُوا حَسَنًا، أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَيُؤْتِيَهُمْ ثَوَابًا
كَبِيرًا وَرِزْقًا كَرِيمًا، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ.
قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكُلُّ مَنْ اقْتَفَى أَثَرَ الصَّحَابَةِ فَهُوَ فِي حُكْمِهِمْ، وَلَهُمُ الْفَضْلُ وَالسَّبْقُ
وَالكِمَالُ الَّذِي لَا يَلْحَقُهُمْ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

* * *

رَوَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَهُ: "لَقَدْ أَنْزَلْتُ
عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةً لَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ. ثُمَّ قَرَأْتُ: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا
مُبِينًا} ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ.

سورة الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }
(الحجرات : 1)

1- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا تُقَدِّمُوا عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفُوا حُكْمَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِيهِ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَاخْشَوْهُ فِي كُلِّ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَهَمَّكُمْ عَنْهُ، إِنَّهُ سَمِيعٌ لِمَا تَقُولُونَ، عَلِيمٌ بِمَا تُسِرُّونَ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ } (الحجرات : 2)

2- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا تُعْلُوا أَصْوَاتَكُمْ فِي حَضْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا تَرْفَعُوها فَوْقَ الْحَدِّ الَّذِي يَلْعَنُهُ صَوْتُهُ، وَلَا يَكُنْ جَهْرَكُمْ لَهُ بِالْحَدِيثِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ، بَلِ اجْعَلُوهُ أَوْخَفَ مِنْ صَوْتِهِ، حَتَّى لَا تَبْطُلَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَدْرُونَ.

{ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ } (الحجرات : 3)

3- إِنَّ الَّذِينَ يَخْفِضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِجْلَالاً لَهُ، أُولَئِكَ الَّذِينَ أَخْلَصَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى، وَجَعَلَهَا مَحَلًّا لِلطَّاعَةِ وَالْحَشْيَةِ، لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مَغْفِرَةٌ لِدُنُوهِمْ، وَثَوَابٌ كَبِيرٌ عَلَى طَاعَتِهِمْ.

{ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } (الحجرات : 4)

4- إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ خَارِجِ بَيُوتِ نِسَائِكَ كَمَا يَصْنَعُ أَجْلَافُ الْأَعْرَابِ، أَكْثَرُهُمْ جَاهِلُونَ، غَيْرُ مُرَاعِيَنِ الْأَدَبِ.

{وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (الحجرات : 5)

5- ولو أنهم انتظروا وصبروا حتى تخرج إليهم لكان أفضل لهم، ففي ذلك التزام بحسن الأدب، وتوقير لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والله غفور لذنوب من تاب وأناب، رحيم بالمؤمنين منهم.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} (الحجرات : 6)

6- أيها المؤمنون، إذا جاءكم فاسق - وهو العاصي - بخبر، فتبينوا مما يقول، ولا تسلموا بكلامه، حتى يتبين لكم الحق، لئلا تصيبوا قوماً بقتل وأنتم تجهلون حقيقة حالهم، فتصيروا نادمين متحسرين على ما فعلتم بهم إذا ظهرت براءتهم.

{وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ} (الحجرات : 7)

7- واعلموا أن بينكم رسول الله، فأطيعوه، فإنه أدرى بمصالحكم منكم، ولو أنه أطاعكم في جميع ما تقولونه وتطلبونه، وأخذ برأيكم فيه، لوقعتكم في الحرج والهلاك، ولكن الله حبب إلى نفوسكم الإيمان وحسنه في قلوبكم، فسهلت عليكم الطاعة، وبغض إلى نفوسكم الكفر والذنوب والمعاصي، فكرهتموها، وأولئك هم المهتدون.

{فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (الحجرات : 8)

8- وهذا عطاء من الله ونعمة من لدنه، وهو العليم بمن يستحق ذلك ممن لا يستحقه، الحكيم فيما يفعل ويتفضل به.

{ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (الحجرات : 9)

9- وإذا تقاتلت جماعتان من المؤمنين، فأصلحوا بينهما بالنصح والدعوة إلى حكم الله، فإذا تعدت إحداها على الأخرى بغير حق، ولم تستجب لدعوة الصلح، فقاتلوا التي تعدت وتظلم حتى ترجع إلى كتاب الله وحكمه، فإذا رجعت إلى حكمه تعالى، وكفّت عن القتال، فأصلحوا بينهما بالعدل والإنصاف، واحملوها على الرضا بحكم الله، واعدلوا في جميع أموركم، إن الله يحب العادلين، ويجزيهم الثواب الجزيل.

{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (الحجرات : 10)

10- إنما المؤمنون إخوة في الدين، فهم ينتسبون إلى أصل واحد في العقيدة، وهي أهم شيء في الحياة، فأصلحوا بين أخويكم من الطائفتين إذا اختلفا واقتتلا، واحشوا الله ولا تخالفوا أمره، حتى ترحموا على طاعتكم.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الإِسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (الحجرات : 11)

11- أيها المؤمنون، لا يستهزئ رجال منكم برجال آخرين، ولا يستحقروهم ولا يستهينوا بهم، فقد يكون المحترقون أعظم قدرًا عند الله وأحب إليه من الساخرين منهم والمحتقرين لهم. ولا يستهزئ نساء مؤمنات بنساء مثلهن، فعسى أن يكن خيراً وأفضل قدرًا عند الله منهن. ولا يعب بعضكم بعضاً ولا يطعنهُ، فاللمز ذكر المعايير في حضرة الشخص أو غيبته. ولا يدع بعضكم بعضاً باللقاب وكلمات يسوؤه سماعها، فبئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق بعد إيمانه وتوبته، وتنادوه باسم أو صفة مكروهة، ومن لم يتب عما نُهي عنه، فأولئك هم العاصون، المحالفون لأمر الله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ } (الحجرات : 12)

12- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، تَبَاعَدُوا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الظَّنِّ، فَإِنَّ بَعْضَ ظَنِّ الْمُؤْمِنِ بِأَخِيهِ ذَنْبٌ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ، وَهُوَ أَنْ يَظُنَّ بِأَهْلِ الْخَيْرِ شَرًّا.

وَيَبَيِّنُ الظَّنَّ الْمُنْهَى عَنْهُ، هُوَ أَنْ يَقَعَ فِي النَّفْسِ شَيْءٌ مِنْ غَيْرِ دَلَالَةٍ. وَفِي وَصِيَّةِ مَنْ السَّلَفِ: "ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ مَا لَمْ يَأْتِكَ مَا يَغْلِبُكَ، وَلَا تَظُنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ شَرًّا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا مِنَ الْخَيْرِ مَحْمَلًا". وَيَجْرُمُ سُوءُ الظَّنِّ مَنْ شُوهِدَ مِنْهُ السُّتْرُ وَالصَّلَاحُ، أَمَّا مَنْ جَاهَرَ بِالْفِسْقِ وَالْفُجُورِ فَلَا يَجْرُمُ سُوءُ الظَّنِّ بِهِ. وَلَعَلَّ هَذَا تَعْلِيلٌ لِكَلِمَةِ "بَعْضٌ" فِي الْآيَةِ. وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: "لَأَنَّ بَعْضَ ذَلِكَ يَكُونُ إِثْمًا مُحَضًّا، فَلِيُجْتَنَبَ كَثِيرٌ مِنْهُ احتياطاً". وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْحَمِيدِ كَشْكُ فِي تَفْسِيرِهِ: "هَذَا أَعْلَى أُسْلُوبٍ وَأَدَقُّهُ، حَيْثُ قَالَ: {اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ} فَإِنَّ مِنَ الظَّنِّ مَا هُوَ مَطْلُوبٌ، كَالاحتِيَاظِ فِي دَفْعِ الْأَذَى عَنِ النَّفْسِ وَالْمَالِ". وَلَا يَتَحَسَّنُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَلَا يَبْحَثُوا عَنْ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَمَعَايِبِهِمْ، وَيَسْتَكْشِفُوا عَمَّا سَتَرُوهُ.

وَلَا يَذْكُرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَا يَكْرَهُ، فَهَذَا مِنَ الْكِبَائِرِ، وَهُوَ يُؤَدِّي إِلَى التَّبَاغُضِ وَالشَّقَاقِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْمُؤْمِنِ. أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَإِنَّكُمْ تَكْرَهُونَ ذَلِكَ وَتَعَاوَنُوهُ وَتَبْعُضُونَهُ، فَابْعُضُوا غَيْبَتَهُ كَذَلِكَ، فَإِنَّ ذِكْرَ الْمَرْءِ أَخَاهُ الْغَائِبَ عَنْهُ بِسُوءٍ، بِمَنْزِلَةِ أَكْلِ لَحْمِهِ وَهُوَ مَيِّتٌ لَا يُحْسُ بِهِ.

وَاحْشُوا اللَّهَ وَلَا تُخَالِفُوا أَمْرَهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ كَثِيرٌ قَبُولُ التَّوْبَةِ، رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ.

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (الحجرات : 13)

13- أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ مِنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ، فَأَنْتُمْ سَوَاءٌ فِي النَّسَبِ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَأُمَّمًا، وَقَبَائِلَ وَبُطُونًا، لِيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَتَتَجَمَّعُوا عَلَى الْخَيْرِ، وَتَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَتَتَعَاوَنُوا

على البرِّ والتَّقوى، لا التَّفَاخِرِ والعَصَبِيَّةِ، فَإِنَّمَا تَتَفَاضَلُونَ عِنْدَ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، لَا بِالْأَحْسَابِ، فَالْأَكْرَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْأَرْفَعُ مَنْزِلَةً لَدَيْهِ هُوَ الْأَتْقَى، وَلَيْسَ الْأَرْفَعُ نَسَبًا، فَإِذَا تَفَاخَرْتُمْ فَتَفَاخَرُوا بِالتَّقْوَى، وَالنَّسَبُ لَيْسَ مُكْتَسَبًا بِعَمَلٍ، فَلَا يَكُونُ مَدَارًا لِلثَّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِأَفْوَالِكُمْ فِي مَجَالِسِكُمْ، خَبِيرٌ بِبَنَاتِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ.

{ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (الحجرات: 14)

14- ادَّعَى الْأَعْرَابُ لَأَنْفُسِهِمْ مَقَامَ الْإِيمَانِ أَوَّلَ مَا دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ، فَقَالُوا: آمَنَّا، وَلَمْ يَتِمَّ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ بَعْدَ. قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ، إِنَّ الْإِيمَانَ لَمْ يَسْتَحْكِمِ فِي قُلُوبِكُمْ بَعْدَ، وَلَكِنْ قُولُوا اسْتَسَلَّمْنَا وَانْقَدْنَا، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ انْقِيَادٌ وَدُخُولٌ فِي السَّلْمِ، وَلَمْ تَصِلُوا إِلَى حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ بَعْدَ. وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ مُخْلِصِينَ، سِرًّا وَعَلَانِيَةً، لَا يَنْقُصْكُمْ مِنْ أَجُورِ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لِمَنْ تَابَ مِنْ ذُنُوبِهِ، وَيَرْحَمُهُمْ، فَيَعْفُو عَنْهُمْ وَلَا يُعَذِّبُهُمْ بِهَا.

{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (الحجرات : 15)

15- إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا، الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَلَمْ يَشْكُوا فِي ذَلِكَ أَبَدًا، وَبَادَرُوا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ فِي إِيْمَانِهِمْ.

{ قُلْ أَنْتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (الحجرات : 16)

16- قُلْ لَهُؤَلَاءِ الَّذِينَ ادَّعَوُا الْإِيمَانَ: أَتُخْبِرُونَ اللَّهَ بِعَقِيدَتِكُمْ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا، وَهُوَ الَّذِي أَحَاطَ بِعِلْمِهِ بِكُلِّ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمَا أَسْرَرْتُمْ وَأَعْلَنْتُمْ، وَمَا ادَّعَيْتُمْ مِنْ الْإِيمَانِ؟

{يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ
لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (الحجرات : 17)

17- وَيَعْتَبِرُونَ إِسْلَامَهُمْ مِنِّي عَلَيْكَ، قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ وَمُتَابِعَتَكُمْ
لِي، وَلَا تَتَفَاضَلُوا عَلَيَّ بِذَلِكَ، فَإِنَّ مَنفَعَةَ ذَلِكَ تَعُودُ عَلَيْكُمْ، وَالْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ
بِهَدَايَتِكُمْ هَذَا الدِّينِ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

{إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (الحجرات : 18)
18- وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا غَابَ عَنْكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّهَا، وَهُوَ بَصِيرٌ بِأَعْمَالِكُمْ
وَأَحْوَالِكُمْ، سِرِّهَا وَعَلَانِيَتِهَا.

سورة ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ} (ق : 1)

1- الْحُرُوفُ الْمُقَطَّعَةُ اخْتَلَفَ فِي تَفْسِيرِهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهَا.
أُقْسِمُ بِالْقُرْآنِ ذِي الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ.

وَجَوَابُ الْقَسَمِ مَحذُوفٌ، مَضمونٌ فِي الْكَلَامِ التَّالِي، وَلَعَلَّ تَقْدِيرَهُ: لَتُبْعَثَنَّ.

{بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ} (ق : 2)

2- بَلْ تَعَجَّبَ قَوْمُكَ مِنْ إِرسَالِ رَسُولٍ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، يَعْرِفُونَ نَسْبَهُ وَصِدْقَهُ، فَقَالَ
الْمُشْرِكُونَ: هَذَا أَمْرٌ غَرِيبٌ وَليسَ مُعْتَادًا.

{أَيُّدًا مِمَّنَّا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ} (ق : 3)

3- قالوا مُنكرين: إذا متنا، وَحَوَّلَتْ أَجْسَادُنَا إِلَى تُرَابٍ وَعِظَامٍ بِالْيَةِ، أُنْبَعَثُ أَحْيَاءٌ مِنْ جَدِيدٍ؟ إِنَّ ذَلِكَ بَعِيدُ الْإِمْكَانِ وَالْوُقُوعِ.

{قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ} (ق : 4)

4- قَدْ عَلِمْنَا مَا تَأْكُلُ الْأَرْضُ مِنْ أَجْسَادِهِمْ وَكَيْفَ تَحَلَّتْ، وَأَيَّنَ صَارَتْ، لَا يَخْفَى شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْنَا، وَعِنْدَنَا كِتَابٌ يَحْفَظُ تَفَاصِيلَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا.

{بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ} (ق : 5)

5- بَلْ إِهْمُ كَذَّبُوا بِالنَّبْوَةِ، أَوْ بِالْقُرْآنِ، لَمَّا جَاءَهُمْ، فَهُمْ فِي أَمْرٍ مُضْطَرِبٍ مُخْتَلَفٍ، فَتَارَةً يَقُولُونَ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاحِرٍ، وَتَارَةً يَقُولُونَ شَاعِرٍ... أَوْ كَاهِنٍ. وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِالْقُرْآنِ، لَأَمَنُوا بِالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ.

{أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ} (ق : 6)

6- أَلَا يَنْظُرُ هؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ وَيَتَفَكَّرُونَ كَيْفَ أَحْكَمْنَا بُنْيَانَهَا وَرَفَعْنَا بِغَيْرِ عَمَدٍ، وَزَيَّنَّاهَا بِالْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ، وَلَيْسَ فِيهَا صُدُوعٌ وَشُقُوقٌ، فَلَا تَرَى فِيهَا خَلَالًا وَلَا عَيْبًا؟

{وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} (ق : 7)

7- وَالْأَرْضَ بَسَطْنَاهَا وَوَسَّعْنَاهَا، وَأَلْقَيْنَا فِيهَا جِبَالًا عَظِيمَةً ثَابِتَةً حَتَّى لَا تَضْطَرِبَ بِسُكَّانِهَا، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنَ الزُّرُوعِ وَالثَّمَارِ وَالنَّبَاتِ مَا يَسُرُّ وَيُهِجِجُ.

{تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ} (ق : 8)

8- وَجَعَلْنَا ذَلِكَ دَلَالَةً وَعَلَامَةً مُشَاهِدَةً عَلَى قُدْرَتِنَا، وَتَذَكِيرًا لِكُلِّ عَبْدٍ مُتَدَبِّرٍ لآيَاتِنَا، رَاجِعٍ إِلَى رَبِّهِ، حَاضِعٍ لَهُ.

{وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ} (ق : 9)

9- وأنزلنا من السحاب مطراً وافراً الخير والنفع، فأنبئنا به بساتين كثيره من الأشجار المثمرة، والبر والشعير وسائر الحبوب، التي تحصد وتدخر.

{وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ} (ق : 10)

10- وأنبتنا به نخلاً طويلاً، لها ثمرٌ لذيذٌ مفيد، متراكمٌ منضود.

{رِزْقاً لِلْعِبَادِ وَأَخِينَا بِهِ بِلْدَةٍ مِّثْنَا كَذَلِكَ الخُرُوجِ} (ق : 11)

11- وجعلناه رزقاً للخلق، يأكلونه ويدخرونه. وأخينا بالماء أرضاً جافة قاحلة، فإذا هي تتعش وتثمر خضراء، وكذلك تحيي الموتى ونبعثهم من قبورهم.

{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ} (ق : 12)

12- كذب بالبعث قبل مشركي قومك قوم نوح، الذين طال مكثه بينهم نحو ألف عام، وأصحاب الرس، لعلهم أصحاب الأخدود، وثمود قوم صالح، الذين عصوا وعقروا الناقة.

{وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ} (ق : 13)

13- وعاد قوم هود، الذين كانوا بالأحقاف، وفرعون ملك مصر المتكبر، ومعه قومه، والذين أرسل إليهم لوط عليه السلام، وكانوا في منطقة البحر الميت، وقد أصروا على فعل الفاحشة بالرجال ولم ينتهوا.

{وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ} (ق : 14)

14- وأصحاب الأيكة، وهم أهل مدين، وقوم الملك الحميري تبع، أما الملك نفسه فقد آمن.

فكل هؤلاء الأقوام كذبوا الرسل، وأنكروا المعاد، وأصروا على الكفر، فوجب عليهم ما أوعدهم به من العذاب.

{ أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ } (ق : 15)

15- أفأعجزنا ابتداء الخلق حتى يشكوا في قدرتنا على إعادة خلقهم بعد مماتهم؟ إنهم معترفون بالخلق الأول، ولكنهم في خلطٍ وشبهةٍ وشكٍّ من قدرتنا على خلقٍ جديد، ولا وجه لإنكارهم هذا، فإن الخالق واحد.

{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوسٍ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } (ق

: 16)

16- ولقد خلقنا الإنسان ونحنٌ مَّحيطونٌ بجميع شؤونه، ونعلم ما تُحدثُ به نفسه، وما يجولُ في خاطره، وعلمنا به، واطَّلأنا على أحواله، أقربُ إليه من عرقِ الوريدِ الذي في عنقه، فراقبتنا عليه مباشرةً، ولا يخفى علينا شيءٌ من أمره.

{ إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ } (ق : 17)

17- إذ يتلقى المَلَكَانِ المَوَكَّلَانِ بكتابة أعماله ما يتلفظُ به، ملكٌ عن اليمين، وآخر عن الشمال، فهما مترصدان له.

{ مَا يَلْفَظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } (ق : 18)

18- ما يتلفظُ بكلام، خيرًا كان أو شرًّا، إلا لَدَيْهِ مَلَكٌ يُراقِبُ قَوْلَهُ ويكتبه، وهو حاضرٌ مهيأٌ للكتابة في كُلِّ لحظة، فلا يتركُ كلمةً ولا عملاً له إلا ويكتبه.

{ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ } (ق : 19)

19- وجاءتكَ سَكْرَةُ المَوْتِ وشِدَّتُهُ بالحقِّ الذي لا بُدَّ منه لكلِّ إنسان، وذلك ما كنتَ تَميلُ عنه وتَهْرُبُ منه، ولا خلاصَ لك منه.

{ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ } (ق : 20)

20- وَنُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً الْبَعْثِ، ذَلِكَ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الَّذِي وَعَدْتُمْ بِهِ⁽¹³⁹⁾، وَفِيهِ الْعَذَابُ الْمَوْعُودُ.

{ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ } (ق : 21)

21- وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، بَرَّةً كَانَتْ أَوْ فَاجِرَةً، مَعَهَا مَلَكَانِ، أَحَدُهُمَا يَسْوِقُهَا إِلَى الْمَحْشَرِ، وَالْآخَرُ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِمَا عَمِلَتْ.

{ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ } (ق : 22)

22- لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا الْيَوْمِ الْمَهُولِ، فَكَشَفْنَا عَنْكَ حِجَابَ الْغَفْلَةِ الَّذِي كَانَ عَلَى قَلْبِكَ وَسَمِعِكَ وَبَصَرِكَ فِي الدُّنْيَا، فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ نَافِذٌ قَوِيٌّ.

{ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ } (ق : 23)

23- وَقَالَ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِإِحْضَارِهِ: هَذَا هُوَ الْعَبْدُ الَّذِي وَكَّلْتَنِي بِإِحْضَارِهِ يَا رَبِّ، وَهُوَ حَاضِرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ، مُهَيِّئاً لِمَا تَفْعَلُ بِهِ.

{ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ } (ق : 24)

24- يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ السَّائِقِ وَالشَّهِيدِ: ارميا في جَهَنَّمَ كُلَّ كَافِرٍ عَنِيدٍ، مُصِرٍّ عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ،

{ مِّنَّا لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ } (ق : 25)

(139) الصُّور: قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ النَفْخَةُ الْأُولَى لِلْفَنَاءِ، وَالثَّانِيَةُ لِلْإِنْشَاءِ. (فتح القدير، عند تفسير الآية (73) من سورة الأنعام). والنافخُ إسرَافيلُ عليه السلام. (روح البيان).

25- كان يَمَعُ الحقوقَ المَالِيَّةَ المفروضةَ عليه للفقراءِ والمحتاجين، ويظلمُ ويُفسد، ويشكُّ في الدين،

{ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِهْمًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ } (ق : 26)

26- الذي أشركَ باللهِ وعبدَ معه غيرَه، فاطرحاهُ في العذابِ الأليمِ ليعذبَ فيه.

{ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ } (ق : 27)

27- قَالَ الشَّيْطَانُ المُوَكَّلُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ يَتَّبِعُ مِنْهُ: رَبَّنَا مَا أَضَلَّكُمُ، وَلَكِنْ كَانَ هُوَ بَعِيدًا عَنِ الْحَقِّ، مُعَانِدًا لَهُ، قَابِلًا لِلْبَاطِلِ، فَأَعْتَنَتْهُ عَلَى ضَلَالِهِ، وَدَعَوْتُهُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ إِكْرَاهٍ.

{ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ } (ق : 28)

28- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مَا مَعْنَاهُ: لَا تَتَخَصَّمُوا عِنْدِي فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، فَلَا فَائِدَةَ مِنْهُ، وَقَدْ أَنْذَرْتُكُمْ وَحَدَّرْتُكُمْ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِي مِنَ الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ، وَمِنْ عُقُوبَةِ الْيَوْمِ الْآخِرِ.

{ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } (ق : 29)

29- لَا يَتَغَيَّرُ قَوْلِي فِيمَا قَضَيْتُهُ عَلَيْكُمْ، وَلَسْتُ ظَالِمًا عَبْدًا مِنْ عِبَادِي، فَلَا أَزِيدُ فِي عُقُوبَتِهِمْ زِيَادَةً عَلَى مَا يَسْتَحِقُّونَهُ.

{ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ } (ق : 30)

30- واذكُرْ عِنْدَمَا نَقُولُ لِجَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: هَلِ امْتَلَأَتْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ؟ وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ أَنْ يَمْلَأَهَا مِنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: { وَنَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [سورة هود: 119]. فَتَقُولُ جَهَنَّمَ: هَلْ هُنَاكَ مَزِيدٌ مِنَ الْكَافِرِينَ الْمَحْرَمِينَ لِيُنَالُوا عُقُوبَتَهُمْ؟ تَقُولُ ذَلِكَ غَضَبًا لِرَبِّهَا وَغَيْظًا عَلَى الْكَافِرِينَ.

{ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ } (ق : 31)

31- وَأَدْنَيْتِ الْجَنَّةَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ⁽¹⁴⁰⁾، فِي مَكَانٍ غَيْرِ بَعِيدٍ، بِرَأْيٍ مِنْهُمْ.

{ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ } (ق : 32)

32- هَذَا النَّعِيمُ الْمُقِيمُ هُوَ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ كُلَّ مُؤْمِنٍ مُطِيعٍ، تَائِبٍ إِلَى اللَّهِ، مُحَافِظٍ عَلَى أَمْرِهِ، أَمِينٍ عَلَى عَهْدِهِ.

{ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ } (ق : 33)

33- مَنْ خَافَ اللَّهَ فِي سِرِّهِ وَأَطَاعَهُ بِالْغَيْبِ حَيْثُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ إِلَّا هُوَ، وَلَقِيَ اللَّهَ بِقَلْبٍ تَائِبٍ مُقْبِلٍ عَلَى طَاعَتِهِ.

{ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ } (ق : 34)

34- ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامَةٍ مِنَ الْعَذَابِ، وَتَسْلِيمٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَلَائِكَتِهِ، ذَلِكَ هُوَ يَوْمُ الْبَقَاءِ الَّذِي لَا مَوْتَ بَعْدَهُ، وَلَا تَحْوَلَ فِيهِ عَنِ الْجَنَّةِ إِلَى غَيْرِهَا.

{ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ } (ق : 35)

35- لَهُمْ فِيهَا مَا يَسْأَلُونَ وَيَخْتَارُونَ مِنْ أَصْنَافِ الْأَطْعِمَةِ وَأَنْوَاعِ الْأَشْرِيَةِ، وَعِنْدَنَا مَزِيدٌ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ أَنْ يَتَجَلَّى لَهُمُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَنْظُرُوا إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ أَجَلٌ وَأَفْضَلُ مَا يُؤْتَوْنَهُ فِيهَا.

{ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ } (ق :

36 :

(140) { لِلْمُتَّقِينَ } : لِلَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ فَخَافُوا عِقَابَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ. (الطبري).

36- وقد أهلكنا كثيراً من الأقسام الذين سبقوا قومك، وكانوا أكثر منهم قوةً ومنعةً، وأشدَّ بأسًا وفتكًا، فساروا في الأرض وطأفوا بها، لا يتغاء الرزق وغيره، ولم يجدوا مفراً من الموت الذي كان لهم بالمرصاد، أيما كانوا.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} (ق : 37)

37- وفي ذلك عظةٌ وتذكيرة، لمن كان له قلبٌ يفقهه به، أو أصغى إلى ما يتلى عليه من القرآن وهو لا يرى أولى منه، وهو حاضر القلب، ليس بغافل.

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} (ق :

38)

38- ولقد خلقنا السماوات السبع العظيمة، والأرض الواسعة، وما بينهما من المخلوقات، في ستة أيام، وما أصابنا من تعبٍ وإعياء.

{فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ} (ق : 39)

39- فاصبر على ما يؤذيك به المشركون من التكذيب والإعراض - وكان هذا بمكة - وصلِّ حمداً لله، صلاة الصُّبح، وصلاة العصر. وخصاً بالذكر لزيادة فضلهما.

روى جرير بن عبد الله قال: كُنَّا جُلُوسًا لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ، فَقَالَ: "إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَنْ صَلَاةِ قَبْلِ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلِ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا". ثُمَّ قَرَأَ: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ}. رواه الشيخان وغيرهما.

قال الخطابي: هذا يدلُّ على أنَّ الرؤية قد يُرجى نيلها بالمحافظة على هاتين الصَّلَاتَيْنِ. يعني الفجرَ والعصر.

{وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ} (ق : 40)

40- وصلِّ له بعض الليل، وسبِّحه في أدبار الصَّلوات.

{وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ} (ق : 41)

41- واستمع لما أخرجك به من أهوال الساعة، يوم يُنادي الملك بالقيامة والنشور من موضع قريب،

{يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ} (ق : 42)

42- يوم يسمعون الصفخة الثانية من الصور، وهي نفخة البعث بالحق، الذي كان يُكره الكافرون، ذلك هو يوم خروج الموتى من القبور.

{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِمْ وَنُمِيتُهُمْ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ} (ق : 43)

43- إِنَّا نحنُ نُحييكم في الدنيا، ونُميتكم فيها، وإلينا تُخرجون في الآخرة للحساب والجزاء.

{يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ} (ق : 44)

44- في ذلك اليوم تشقق الأرض عن الأموات فيخرجون منها سراعاً إلى موقف الحساب، وبعث الناس وجمعهم في أرض المحشر أمر سهل هين علينا.

{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذُكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ} (ق : 45)

45- نحنُ أعلمُ بما يقولُ المشركون في حقك من التكذيب، ومن الإعراض عن القرآن، والكفر بالبعث والنشور، ولم تُبعث لتجبرهم على الإسلام، إنما أنت مُبلِّغ مُذَكِّر، فبلِّغهم رسالة ربك، وعظ بالقرآن من يخاف الله ووعيده، فإنه لا ينتفع به غيرهم، والله يهدي من يشاء. وكان ذلك في مكة، قبل أن يؤمروا بالقتال.

* * *

قالت أم هـشام بنت حارثة بن النعمان: "ما أخذت {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ} إلا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقرؤها كل يوم الجمعة على المنبر إذا خطب الناس". رواه مسلم وغيره.

قال العلماء: سبب اختيار (ق) أنها مشتمة على البعث والموت والمواعظ الشديدة والزواج الأكيده. أفاده التووي في شرحه على صحيح مسلم.

سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا} (الذاريات : 1)

1- أقسم بالرياح التي تذر التراب، وتحمل السحب، وحبوب اللقاح، وغيرها، فتفرقها بأمر الله وعلمه⁽¹⁴¹⁾.

ولله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، لتوجيه النظر إليها، وتدبر ما فيها من حكمة وإبداع.

{فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا} (الذاريات : 2)

2- فالسحب التي تحمل المطر، ويسوقها الله إلى حيث يشاء.

{فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا} (الذاريات : 3)

3- فالسفن التي تجري على الماء ميسرة بقدرته.

{فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا} (الذاريات : 4)

4- فالملائكة الذين ينزلون بأوامر الله ويوزعونها بين الخلق كما أمروا به.

(141) يقال: ذرت الريح الشيء ذرًا وأذرت: أطارته وأذهبته... والمراد: الرياح التي تذر التراب وغيره. (روح البيان).

{ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ } (الذاريات : 5)

5- إِنَّ الَّذِي تُوعَدُونَ بِهِ مِنَ الْبَعْثِ وَالنَّوَابِ وَالْعِقَابِ هُوَ خَيْرٌ صِدْقٍ.

{ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ } (الذاريات : 6)

6- وَإِنَّ الْحِسَابَ وَالْجَزَاءَ لَكَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، فَتُجَاوِزُونَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا، وَبِالسُّوءِ عُقُوبَةً وَخُسْرَانًا.

{ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ } (الذاريات : 7)

7- أَقْسِمُ بِالسَّمَاءِ الْمُحَكَّمَةِ الْبُنْيَانِ، ذَاتِ الْجَمَالِ وَالْبَهَاءِ، وَالْحُسْنِ وَالِاسْتِوَاءِ.

{ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ } (الذاريات : 8)

8- إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُضْطَرَبٍ فِي أَمْرِ الْقُرْآنِ وَالنَّبُوءَةِ، فَتَقُولُونَ فِي الْقُرْآنِ سِحْرًا، وَأَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ، وَفِي الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَاحِرًا، وَشَاعِرًا، وَجَنُونَ...

{ يُؤْفِكُ عَنْهُ مِنَ الْفِكِّ } (الذاريات : 9)

9- إِنَّمَا يُصْرِفُ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ كُلِّ ضَالٌّ مُكَدِّبٌ بِهِ.

{ قُتِلَ الْفَرَّاصُونَ } (الذاريات : 10)

10- لُعِنَ الْكَذَّابُونَ مِنْ هَوْلَاءِ الضَّالِّينَ الْمُخْتَلِفِينَ،

{ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ } (الذاريات : 11)

11- الَّذِينَ هُمْ فِي جَهْلٍ وَعَفْلَةٍ عَظِيمَةٍ، لَاهُونَ، غَيْرُ مُكْتَرَثِينَ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ.

{ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ } (الذاريات : 12)

12- يَقُولُونَ تَكْذِيبًا وَاسْتِهْزَاءً وَاسْتَعْجَالًا لَهُ: مَتَى يَكُونُ يَوْمُ الْجَزَاءِ؟

{يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ} (الذاريات : 13)

13- إِنَّ هَذَا الْجَزَاءَ يَكُونُ يَوْمَ يُعَذَّبُونَ وَيُحْرَقُونَ فِي النَّارِ.

{ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ} (الذاريات : 14)

14- ذُوقُوا عَذَابَكُمْ الْمُهَيَّأَ لَكُمْ، الَّذِي كُنْتُمْ تُكذِّبُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَتَسْتَعْجِلُونَهُ هُنَا وَسُخْرِيَةً.

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} (الذاريات : 15)

15- إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ يَتَجَنَّبُونَ مُخَالَفَةَ أَمْرِ اللَّهِ، فِي جَنَّاتٍ عَالِيَاتٍ، وَأَنْهَارٍ جَارِيَاتٍ.

{أَخْذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ} (الذاريات : 16)

16- قَابِلِينَ مَا أَعْطَاهُمْ رَبُّهُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالنَّعِيمِ وَرَاضِينَ بِهِ، إِنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا مُحْسِنِينَ فِي سُلُوكِهِمْ، صَالِحِينَ فِي أَعْمَالِهِمْ.

{كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ} (الذاريات : 17)

17- كَانُوا يَنَامُونَ قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ، فَيُصَلُّونَ لِلَّهِ وَيَذْكُرُونَهُ وَيَدْعُونَهُ أَكْثَرَ اللَّيْلِ.

{وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} (الذاريات : 18)

18- وَفِي وَقْتِ السَّحْرِ حَيْثُ يُسْتَجَابُ الدُّعَاءُ، يَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ وَيَتُوبُونَ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، لِيَغْفِرَ لَهُمْ، وَيَرْضَى عَنْهُمْ.

قال صاحب الظلال رحمه الله: فهم الأيقاظ في جُح الليل والنَّاسُ نيام، المتوجَّهون إلى ربِّهم بالاستِغفارِ والاستِرحامِ، لا يطعمون الكرى إلا قليلاً، ولا يهجعون في ليلهم إلا يسيراً، يأنسون برَّهم في جوف الليل، فتتجافى جُنوبهم عن المضاجع...

{ وفي أموالهم حقُّ للسائلِ والمَحْرُومِ } (الذاريات : 19)

19- وفي أموالهم نصيبٌ يخصُّونه للسائلِ المحتاجِ، والمحروم الذي ذهب ماله ولا يقدرُ على العملِ، أو هو يعفُّ فلا يسألُ، وهو لا يملكُ شيئاً.

{ وفي الأرضِ آياتٌ للموقنينِ } (الذاريات : 20)

20- وفي الأرضِ أدلَّةٌ وبراهينٌ تدلُّ على عظمةِ الله وقُدْرته، لمن كان قلبه عامراً بالإيمان واليقين، ممَّا فيها من أصنافِ الحيوانِ الميثوثِ في البرِّ والبحرِ، ومن الثَّمَرِ والرَّهْرِ، والمعدنِ والصَّخْرِ، والماءِ والتُّرابِ، واختلافِ الألسنةِ والألوانِ...

{ وفي أنفسكم أفلا تبصرون } (الذاريات : 21)

21- وفي ذواتكم ما يُدهشُ ويَعثُ على التَّفكيرِ والاعتبارِ، من حُسنِ التَّركيبِ والتَّوظيفِ والأداء... والرُّوحِ التي أودعها اللهُ فيكم، وأسرارها، وطاقاتها، وإدراكها، وتكوينكم النَّفسيِّ، وتفكيركم، وتذكركم... أفلا تنظرون فتتفكرون، وتعتبرون فتؤمنون؟

{ وفي السماءِ رزقكم وما تُوعدون } (الذاريات : 22)

22- وفي السماءِ تقديُرُ رزقكم⁽¹⁴²⁾، وما تُوعدون من خيرٍ وشرِّ.

(142) { وفي السماءِ رزقكم } أي: سببُ رزقكم، وهو المطرُ، فإنه سببُ الأرزاق. قال سعيد بن جبير، والضحاك: الرزقُ هنا: ما ينزلُ من السماءِ، من مطرٍ وتلج. وقيل: المرادُ بالسماءِ السحاب، أي: وفي السحابِ رزقكم. وقيل: المرادُ بالسماءِ: المطرُ، وسماءُ سماءٌ لأنه ينزلُ من جهتها... وقال سفيانُ الثوري: أي: عندَ الله في السماءِ رزقكم. وقيل: المعنى: وفي السماءِ تقديُرُ رزقكم. (فتح القدير).

{ فَوَرَّبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ } (الذاريات : 23)

23- فَوَرَّبَ السَّمَاءِ وَمَا فِيهَا، وَالْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهَا، إِنَّ مَا ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ الْقُرْآنِ، وَالنَّبِيِّ، وَالْقِيَامَةِ، وَالرِّزْقِ، حَقٌّ وَصِدْقٌ، فَلَا تَشْكُوا فِي ذَلِكَ، كَمَا لَا تَشْكُونَ فِي نُطْقِكُمْ حِينَ تَنْطِقُونَ.

{ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ } (الذاريات : 24)

24- هَلْ عَلِمْتَ خَبَرَ ضَيْوْفِ نَبِيِّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ عِنْدَ اللَّهِ؟

{ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ } (الذاريات : 25)

25- إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: سَلَامًا، فَقَالَ لَهُمْ: عَلَيْكُمْ سَلَامٌ، أَنْتُمْ غَيْرُ مَعْرُوفِينَ. وَكَانُوا مَلَائِكَةً.

{ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَبِينِ } (الذاريات : 26)

26- فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ عَلَى خُفْيَةٍ، وَجَاءَهُمْ بِعِجْلٍ مَشْوِيِّ، مُمْتَلِيٍّ بِاللَّحْمِ وَالشَّحْمِ.

{ فَفَرَّجَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ } (الذاريات : 27)

27- فَأَدْنَاهُ مِنْهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ فِي تَلَطُّفٍ: أَلَا تَبْدَوُونَ فَنَأْكُلُونَ؟

{ فَأَوَجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ } (الذاريات : 28)

28- فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُمْ لَا يَأْكُلُونَ، وَهُوَ صَعْبٌ عَلَى مُضِيفٍ كَرِيمٍ، أَضْمَرَ مِنْهُمْ خَوْفًا، وَظَنَّ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ بِهِ شَرًّا، فَقَالُوا لَهُ: لَا تَخَفْ، نَحْنُ رُسُلُ اللَّهِ. وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلَى كِبَرِهِ، يَكُونُ عَالِمًا عِنْدَ بُلُوغِهِ وَاسْتِوَائِهِ، وَهُوَ إِسْحَاقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

{ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ } (الذاريات : 29)

29- فأقبلت امرأته سارة لما سمعت بشارتهم، في صيحة، وضربت بيدها على وجهها تعجباً
كعادة النساء، وقالت: أنا عجوز عاقر فكيف ألد؟!

{قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ} (الذاريات : 30)

30- قالوا: مثلما قلنا لك هو ما قال ربك، ونحن مبلغون عنه سبحانه، وهو الحكيم فيما
يقول ويُقدّر، العليم بمن يستحق البشارة والكرامة.

الواضح في التفسير

الجزء السابع والعشرون

سورة الذاريات (31-60)

سورة الطور

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمن

سورة الواقعة

سورة الحديد

{ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ } (الذاريات : 31)

31 - قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَمَا شَأْنُكُمْ أَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ الْمُرْسَلُونَ، وَمَا الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ سِوَى الْبِشَارَةِ؟

{ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ } (الذاريات : 32)

32- قَالُوا: لَقَدْ أُرْسِلْنَا بِالْعَذَابِ إِلَى قَوْمٍ لُوطِ الْكَافِرِينَ،

{ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ } (الذاريات : 33)

33- لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ مُّتَحَجَّرَ،

{ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ } (الذاريات : 34)

34- مُّعَلَّمَةً، مَكْتُوبًا عَلَى كُلِّ مِنْهَا أَسْمَاءُهُمْ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، لِتُصِيبَ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ تَجَاوَزُوا الْحَدَّ فِي الْفُجُورِ، وَأَصْرُوا عَلَى إِيْتَانِ الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ، وَلَمْ يَنْتَهُوا.

{ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } (الذاريات : 35)

35- فأخرجنا من قري قوم لوط من آمن.

{ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } (الذاريات : 36)

36- فما وجدنا بينها غير بيت للمسلمين، وهو بيت لوط عليه السلام.

{ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ } (الذاريات : 37)

37- وأبقينا في تلك القري عبرة وعلامة دالة على ما أصابهم من العذاب والتكال. وهي في منطقة البحر الميت، وآثارهم مازالت موجودة حتى الآن. وفي ذلك عبرة لمن يخافون العقوبة والعذاب، فيبتعدون عما كان عليه أولئك القوم من الفاحشة والرذيلة.

{ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ } (الذاريات : 38)

38- وفي حديث موسى آية وعبرة، إذ أرسلناه إلى فرعون وقومه بحجة ظاهرة، ومُعجزة باهرة.

{ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ } (الذاريات : 39)

39- فأعرض عن الإيمان بما جاء به موسى، وركن إلى قوته وسلطانه، وقال فيه: هو ساحر يخدع الناس، أو مجنون يعلمه الجن.

{ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ } (الذاريات : 40)

40- وأصر على تكذيب موسى، ولم تنفع معه نصيحة أو معجزة، فانتقمنا منه، وطرحناه مع جنوده في البحر، وهو ملوم كافر طاغ.

{ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ } (الذاريات : 41)

41- وفي خبرِ عادٍ عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ كَذَلِكَ، فَكَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ هُودًا وَتَمَادَوْا فِي كُفْرِهِمْ، فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ، وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الشَّدِيدَةَ الَّتِي لَا نَفَعَ فِيهَا،

{ مَا تَذُرُّ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ } (الذاريات : 42)

42- لَا تَتْرُكُ شَيْئًا مِمَّا تَمُرُّ بِهِ، مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ، إِلَّا جَعَلْتَهُ هَالِكًا بَالِيًا.

{ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ } (الذاريات : 43)

43- وَفِي خَبْرِ قَبِيلَةِ ثَمُودَ عِبْرَةٌ لِمَنْ يَعْتَبِرُ كَذَلِكَ، فَكَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ صَالِحًا، وَقَدْ حَذَّرَهُمْ مِنْ إِيْدَاءِ النَّاقَةِ الَّتِي كَانَتْ آيَةً لَهُمْ، فَعَقَرُوهَا، فَقِيلَ لَهُمْ: اسْتَمْتِعُوا بِالْحَيَاةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بَعْدَ هَذِهِ الْجُرَيْمَةِ.

{ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ } (الذاريات : 44)

44- فَاسْتَكْبَرُوا عَنِ الْإِمْتِنَانِ لِأَمْرِ اللَّهِ، فَأَهْلَكْتَهُمْ صَاعِقَةٌ شَدِيدَةٌ، بَعْدَ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ الْمَضْرُوبَةِ لِأَجْلِهِمْ، وَهُمْ يَرَوْنَ ذَلِكَ عِيَانًا.

{ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ } (الذاريات : 45)

45- فَمَا قَدَرُوا عَلَى النَّهْوضِ بَعْدَ أَنْ نَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ، وَمَا كَانُوا قَادِرِينَ عَلَى الْإِنْتِقَامِ لِأَنْفُسِهِمْ.

{ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِذْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ } (الذاريات : 46)

46- وَأَهْلَكْنَا قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا خَارِجِينَ عَنِ الطَّاعَةِ، قَائِمِينَ عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي.

{ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ } (الذاريات : 47)

47- وَبَنَيْنَا السَّمَاءَ بِقُوَّةٍ وَقُدْرَةٍ، وَإِنَّا لَمُوسِعُونَهَا.

وقد ثبت لدى العلماء في هذا العصر أن الكون في اتساعٍ مستمرٍّ، وأنَّ المجرات يتباعدُ بعضها عن بعض بسرعاتٍ تقتربُ أحياناً من سرعة الضوء!

{والأرض فرشناها فنعم الماهدون} (الذاريات : 48)

48- والأرض بسطناها ومهدناها ليستقرَّ عليها الإنسان، وتكون مناسبةً لمعيشته، فنعم الباسطون والماهدون نحن.

{ومن كلِّ شيءٍ خلقنا زوجين لعلَّكم تذكرون} (الذاريات : 49)

49- ومن كلِّ جنسٍ وصنفٍ من الحيوان والنبات خلقنا نوعين: ذكرًا وأنثى، لتتذكروا وتعلموا أنَّ خالقها واحد. ومن قدرَ على خلقها فهو قادرٌ على إحيائها بعد موتها.

{ففرُّوا إلى الله إني لكم منه نذيرٌ مبينٌ} (الذاريات : 50)

50- فالتجَّؤوا إلى الله، واهربوا من عقابه إلى ثوابه، وممَّا سواه إليه، بتوحيده وطاعته، فإني نذيرٌ بينٌ لكم، أحذركم من العقوبة ما لم تُطيعوا.

{ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخرَ إني لكم منه نذيرٌ مبينٌ} (الذاريات : 51)

51- ولا تُشركوا بالله أحداً، ولا تعبدوا غيره، إني أنذركم من عقوبة الله، فهو يغفرُ كلَّ ذنبٍ إلا الشرك.

{كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسولٍ إلا قالوا ساحرٌ أو مجنونٌ} (الذاريات : 52)

52- وكما كذبك قومك أيُّها الرسول، وقالوا إنَّك ساحرٌ أو مجنون، كذلك ما أتى الأقسام السابقين من رسولٍ إلا قالوا فيه ساحرٌ يخدعُ الناس، أو مجنونٌ يُعلمُه الجن.

{أتواصوا به بل هم قوم طاغون} (الذاريات : 53)

53- فهل أوصى الأولون والآخرون بعضهم بعضًا بأن يكذبوا الرسل؟! بل حملهم الطغيان على ذلك، وتشابَهت قلوبهم، فقالوا ما قالوا.

{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ} (الذاريات : 54)

54- فأعرض عنهم، ودعك من جدالهم، فلا لوم عليك بعد أن بذلت الجهد، وبلغت وأندرت.

{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} (الذاريات : 55)

55- وذكّر، وعظ بالقرآن، فإنّ الوعظ والتذكير ينفع من كان من المؤمنين، أو من علم الله فيهم الاستعداد للإيمان.

{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (الذاريات : 56)

56- إنّما خلقت الجنّ والإنس لغاية معينة، وليؤدّوا وظيفة مهمّة محدّدة، هي سبب وجودهم في هذا الكون، وهو عبادتي.

{مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ} (الذاريات : 57)

57- لا أريد أن يرزقوا أحدًا من خلقي، ولا أريد أن يُقدّموا لي طعامًا، فلست بحاجة إليهم.

{إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} (الذاريات : 58)

58- إنّ الله هو الذي يرزق جميع الخلق، فالكلُّ مُفتقرٌ إليه، وهو العتيّ عنهم، القويّ المقتدر، الشديّد القوّة، القادر على كلّ شيء.

{فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ} (الذاريات : 59)

59- فإنّ للذين كفروا من قومك نصيبًا من العذاب، مثل نصيب نظرائهم من الأقوام السابقين، الذين أهلكهم الله، فلا يطلبوا استعجال العذاب، فإنّه سيأتيهم نصيبهم من ذلك.

{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ} (الذاريات : 60)

60- فالويلُ والهلاكُ للَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ الَّذِي يُوعَدُونَ بِهِ، الَّذِي لَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهُ، وَلَا مُنْقِذَ لَهُمْ مِنْهُ.

سورة الطور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَالطُّورِ} (الطور : 1)

1- أُقْسِمُ بِالْجَبَلِ. ذُكِرَ أَنَّ الْمَقْصُودَ جَبَلُ سَيْنِينَ، وَهُوَ جَبَلُ سَيْنَاءَ، الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ نَبِيَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

{وَكِتَابٍ مَسْنُورٍ} (الطور : 2)

2- وَكِتَابٍ مَكْتُوبٍ بِانْتِظَامٍ،

{فِي رَقٍّ مَنشُورٍ} (الطور : 3)

3- فِي رَقٍّ مَبْسُوطٍ. وَالرَّقُّ مَا يُكْتَبُ عَلَيْهِ، مِنْ صَحِيفَةٍ وَلَوْحٍ وَغَيْرِهِ. وَالْمَقْصُودُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، أَوِ الْكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ. وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ.

{وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ} (الطور : 4)

4- وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ. وَهُوَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، "يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ"، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَعْنِي يَتَعَبَّدُونَ فِيهِ وَيَطُوفُونَ بِهِ كَمَا يَطُوفُ أَهْلُ الْأَرْضِ بِكَعْبَتِهِمْ، كَذَلِكَ ذَلِكَ الْبَيْتِ، هُوَ كَعْبَةُ أَهْلِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ.

{وَالسَّفْفِ الْمَرْفُوعِ} (الطور : 5)

5- والسَّمَاءِ المرفوعةِ بغيرِ عَمَد.

{وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ} (الطور : 6)

6- والبَحْرِ الموقَد. ولعلَّ المقصودَ البراكينُ التي تَخْرُجُ مِنْ قَاعِ البِحَارِ، وهي أَكْثَرُ عَدَدًا مِنْ الموجدَةِ على سَطْحِ البَرِّ، فتندفعُ مِنْ قِيَعَانِ الميحيطاتِ وترتفعُ إلى قُرْبِ سَطْحِ المَاءِ لِتَشَكَّلَ جُزْرًا بُرْكَانِيَّةً. ولا يَسْتَطِيعُ المَاءُ أَنْ يُطْفِئَ حَرَارَتَهَا العَالِيَةَ عِنْدَ صُعودِهَا، التي تَبْلُغُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ دَرَجَةِ!

{إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ} (الطور : 7)

7- إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، واقِعٌ بالكُفَّارِ.

{مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ} (الطور : 8)

8- ليسَ لِأَحَدٍ قُدْرَةٌ على دَفْعِهِ وَمَنْعِهِ إِذَا أَرَادَهُ اللهُ بِهِمَ.

{يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا} (الطور : 9)

9- يَوْمَ تَضَطَّرِبُ السَّمَاءُ وَتَرْتَجُّ رَجًّا.

{وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا} (الطور : 10)

10- وَتَرْتَوِلُ الجِبَالُ عَن أَمَاكِنِهَا وَتَصِيرُ هَبَاءً مَنثورًا.

{فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ} (الطور : 11)

11- فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ اليَوْمِ، فَالْوَيْلُ وَالهِلَاكُ لِلْمُكَذِّبِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ.

{ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ } (الطور : 12)

12- الذين يَخوضُونَ في الباطل، وَيَتَّخِذُونَ دِينَهُمْ لَعِبًا، وهم غافِلُونَ لاهُونَ.

{ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً } (الطور : 13)

13- في ذلكَ اليومِ المهولِ، يُدْفَعُونَ إلى النَّارِ دَفْعًا عَنِيفًا، وَيُطْرَحُونَ فِيهَا وهم أذِلَّةٌ.

{ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ } (الطور : 14)

14- يَقُولُ لَهُمْ رَبَانِيَةُ النَّارِ: هذهِ هي النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ تُنْكِرُونَهَا فِي الدُّنْيَا.

{ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ } (الطور : 15)

15- فهلَ هذهِ النَّارُ سِحْرٌ تُخَدَعُونَ بِهِ كما كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الوَحْيِ إِنَّهُ سِحْرٌ، أَمْ أَهْمَا نَارٌ حَقِيقِيَّةٌ، أَمْ أَنْتُمْ عُمِّي لَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟!

{ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (الطور : 16)

16- ادْخُلُوهَا وَذُوقُوا عَذَابَهَا، وَسَوَاءٌ أَصَبَرْتُمْ عَلَيْهَا أَمْ لَمْ تَصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا مَحِيدَ لَكُمْ عَنْهَا، وَإِنَّمَا تُجْزَوْنَ بِمَا عَمَلْتُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَا تُعَاقَبُونَ بِأَكْثَرِ مِمَّا تَسْتَحِقُّونَ.

{ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ } (الطور : 17)

17- إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ، فِي جَنَّاتٍ عَالِيَاتٍ، وَفِي تَرْفُهُ وَطِيبِ عَيْشٍ دَائِمٍ.

{ فَأَكْبِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ } (الطور : 18)

18- مُتَلَذِّذِينَ مُتَنَعِّمِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ أَصْنَافِ المَآكِلِ وَأَنْوَاعِ المِشَارِبِ، وَتَرْفُهُ فِي المِلبَسِ والمِسْكَنِ، وَأَنْجَاهَهُمْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَشِدَّتِهِ.

{ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (الطور : 19)

19- كُلُوا وَاشْرَبُوا مَا شِئْتُمْ فِي سُرُورٍ وَهَنَاءٍ، وَأَمِنْ وَعَافِيَةٍ، جَزَاءَ أَعْمَالِكُمْ الْحَسَنَةِ، وَثَوَابِ إِخْلَاصِكُمْ وَصَبْرِكُمْ فِي الدُّنْيَا.

{مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْنُوفَةٍ وَزُجَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ} (الطور : 20)

20- مُتَّكِنِينَ عَلَى أَسْرَةٍ مَوْضُوعَةٍ بَعْضُهَا إِلَى جَنْبِ بَعْضٍ، وَزُجَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ بَيْضٍ حِسَانِ الْوَجْهِ، وَاسِعَاتِ الْعُيُونِ جَمِيلَاتُهَا.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} (الطور : 21)

21- وَالْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ فِي الْإِيمَانِ، أَلْحَقْنَاهُمْ بِآبَائِهِمْ فَكَانُوا مَعَهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُمْ فِي الْعَمَلِ، إِكْرَامًا لَهُمْ، وَلِتَقَرَّ أَعْيُنُهُمْ بِهِمْ، وَمَا نَقَصْنَا مِنْ عَمَلِ الْآبَاءِ شَيْئًا بِهَذَا الْإِكْرَامِ، كُلُّ إِنْسَانٍ رَهْنٌ بِكَسْبِهِ عِنْدَ اللَّهِ، غَيْرُ مَفْكُوكٍ عَنْهُ، وَلَا يُؤَاخِذُ أَحَدٌ بَذَنْبِ أَحَدٍ، سِوَاءٍ كَانَ أَبًا أَوْ ابْنًا.

{وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ} (الطور : 22)

22- وَزَوَّدْنَاهُمْ بِأَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ اللَّذِيذَةِ، وَاللَّحْمِ الشَّهِيِّ الَّذِي تَرَعَّبُ فِيهِ النَّفْسُ.

{يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْنٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ} (الطور : 23)

23- يَتَعَاطُونَ فِي الْجَنَّةِ كَأْسَ الْخَمْرِ وَيَتَجَادَبُونَهَا، لَا تُسَكَّرُ وَلَا تُؤْذِي، وَلَا يَتَكَلَّمُ أَصْحَابُهَا بِهَذَيَانٍ، وَلَا كَلَامٍ فَاحِشٍ يَأْتُمُونَ بِهِ كَمَا فِي الدُّنْيَا، بَلْ يَفْعَلُونَ مَا يَفْعَلُهُ الْكِرَامُ.

{وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ} (الطور : 24)

24- وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَيَخْدُمُهُمْ غِلْمَانٌ مُحْتَضُونَ بِهِمْ، كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ فِي الصَّدْفِ، فِي بَهَائِهِمْ وَنِظَافَتِهِمْ وَحُسْنِ مَلَابِسِهِمْ.

{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} (الطور : 25)

25- وأقبل أهل الجنة يتحادثون، ويسأل بعضهم بعضًا عن أحوالهم في الدنيا.

{قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ} (الطور : 26)

26- قالوا: لقد كنا خائفين وجلين بين أهلينا، نخشى عذاب الله ونشفق على أنفسنا من عقابه.

{فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ} (الطور : 27)

27- فمن الله علينا برحمته، وأكرمنا بنعمته، فأدخلنا جنته، وجنبتنا نار جهنم الشديدة النافذة، التي تدخل في الجسم وتحرقه مباشرة.

{إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} (الطور : 28)

28- لقد كنا نعبُد الله في الدنيا مُخلصين، ونرجوه أن يقينا العذاب، إنه هو المحسن الكريم، ذو الرحمة العظيمة.

{فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ} (الطور : 29)

29- فذكّرهم بالقرآن أيها الرسول، وبلّغهم رسالة ربك، فليست بجمد الله كاهنًا تكذب عليهم في نقل الأخبار بالظنون والأباطيل، ولا مجنونًا تقول كلامًا فاسدًا غير معقول من مسّ الجن.

{أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ} (الطور : 30)

30- بل يقولون هو شاعر نتربص أن يأتي عليه الموت، فيموت كما مات من قبله من الشعراء، ويتفرق أصحابه عنه، فنستريح منه ومنهم.

{قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ} (الطور : 31)

31- قُلْ لَهُمْ أَئْيُّهَا الرَّسُولُ: اانتظروا، فَإِنِّي اانتظرُ هلاَككم كما تانتظرون هلاكي، وستعلمون لمن تكون العاقبة.

{ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ } (الطور : 32)

32- أَمْ أَنْ عَقُولَهُمْ تَأْمُرُهُمْ أَنْ يَقُولُوا فِيكَ هَذِهِ الْأَقْوَالُ الْبَاطِلَةُ؟ - وَكَانَ زُعْمَاءُ قُرَيْشٍ يُوصَفُونَ بِالْأَحْلَامِ وَالْعُقُولِ -، بَلْ هُمْ ضَالُّونَ مُعَانِدُونَ، مُسْتَكْبِرُونَ عَنِ اتِّبَاعِ الْهُدَى وَقَوْلِ الْحَقِّ.

{ أَمْ يَقُولُونَ تَقْوَلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ } (الطور : 33)

33- أَمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّهُ اخْتَلَقَ الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِهِ وَنَسَبَهُ إِلَى اللَّهِ؟ بَلْ هُمْ كَافِرُونَ مُعَانِدُونَ، لَا يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ اسْتِكْبَارًا وَعِنَادًا، وَلِذَلِكَ يَقُولُونَ مَا يَقُولُونَ، وَيَرْمُونَكَ بِهَذِهِ الْأَبْطِيلِ.

{ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ } (الطور : 34)

34- فَلْيَأْتُوا بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ، نَظْمًا وَمَعْنَى، إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ مِنْ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ. إِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ، وَلَوْ اجْتَمَعَ لَهُمُ النَّاسُ جَمِيعًا، أَوْلَهُمْ وَآخِرُهُمْ.

{ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ } (الطور : 35)

35- أَمْ أَنَّهُمْ وُجِدُوا مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ، أَمْ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ أَوْجَدُوا أَنْفُسَهُمْ؟!

{ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ } (الطور : 36)

36- أَمْ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ الْعَظِيمَةَ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهَا، وَلِذَلِكَ فَهَمْ يَتَكَبَّرُونَ وَلَا يُؤْمِنُونَ؟ بَلْ هُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ الْخَالِقِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِهِ حَقًّا يُؤَدِّي إِلَى امْتِثَالِ أَمْرِهِ.

{ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصْطَبِرُونَ } (الطور : 37)

37- أم أن عندهم مفاتيح خزائن الكون فهم مسألون عليه، وأرباب قاهرون له يتصرفون فيه كما يشاؤون؟

{ أم لهم سلّم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسُلطانٍ مُبينٍ } (الطور : 38)

38- أم أن لهم سلّمًا يصعدون به إلى السماء ويستمعون إلى الملائكة، فيعرفون ما يأمرهم به ربهم من أمر العباد، وعلموا بذلك أنهم على حق؟ فليأت من سَمِعَ ذلك منهم بحُجّةٍ بيّنة تدلُّ على صدق سَماعه.

{ أم له البنات ولكم البنون } (الطور : 39)

39- أم أن لله البنات ولكم أنتم البنون، فتفتخرون بذلك على ربكم؟! وكانوا يقولون - من جهلهم وضلالهم - إن الملائكة بنات الله، ويحبون أن يكون لهم الذكور، ويتشائمون من الإناث!

{ أم تسألهم أجرًا فهم من مغرمٍ مُثقلون } (الطور : 40)

40- أم أنك تسألهم أجرًا على تبليغ رسالة الله، ولذلك فهم يُعرضون عنك، ويتبرّمون ويتناقلون مما تطلبه منهم، وكانّ عليهم غرامة ماليّة من ذلك؟

{ أم عندهم الغيب فهم يكتبون } (الطور : 41)

41- أم أن عندهم القدرة على العلم بما في الغيب فهم يكتبون منه، ويقفون من خلاله على حقيقة الأمور والأخبار، فعلموا بذلك أنهم على حق؟

{ أم يريدون كيدًا فالذين كفروا هم المكيدون } (الطور : 42)

42- أم يريدون من خلال مواقفهم السيئة منك ومن الدين أن يمكروا بك ويهلكوك؟ فإن ضرر مكرهم سيعود عليهم، ويقضي على خطّطهم.

{ أَمْ هُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ } (الطور : 43)

43- أَمْ أَنْ هُمْ إلهًا غيرَ الله في هذا الكونِ فهم يتوجّهون إليه ويعبدونه؟ تقدّسَ اللهُ وتنزّهَ عَمَّا يفترونهُ عليه ويُشركون به.

{ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ } (الطور : 44)

44- وإذا رأوا قِطعةً منَ السَّمَاءِ ساقِطةً عليهمَ لما صدّقوا أنّهم سيُعدّونَ بها، ولما انتهوا عن كُفْرهم، ولقالوا من فرطِ عِنادهم وطغيانهم: هذا سحابٌ مُتراكمٌ بعضُهُ على بعضٍ يسقينا!

{ فَذَرْنُهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ } (الطور : 45)

45- فدعهم ولا تكثرت بهم، حتّى يُلاقوا يومَ القيامة، الذي يهلكون فيه (عند النفخة الأولى).

{ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ } (الطور : 46)

46- في ذلك اليوم العَصيب، لا تنفعهم مخططاتهم الكيديّة شيئًا، ولا أحدٌ ينتصر لهم ويُخلصهم من عذابِ الله.

{ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } (الطور : 47)

47- وإنّ للكافرين عقوباتٍ تنالهم في الدنيا قبل الآخرة، ولكنهم لا يعلمون الحكمة من هذه المصائب والابتلاءات، فهي إشاراتٌ وتنبهاتٌ ليتفكروا ويعتبروا، وليرجعوا إلى ربهم.

{ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ } (الطور : 48)

48- واصبرِ لأمرِ ربِّك في بقائك بينهم وتحملك أذاهم، فإنك بمراي منّا، وفي حفظنا وحراستنا، واجمع بين حمده وتسبيحه حين تقوم إلى الصلاة.

وكانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي ابْتِدَاءِ الصَّلَاةِ (قَبْلَ الْفَاتِحَةِ): "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ"، كما صحَّ في الحديثِ الذي رواهُ الحَاكِمُ وَأَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُمَا.

{وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ} (الطور : 49)

49- واذكُرُهُ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ وَصَلَّ لَهُ، فَإِذَا غَابَتِ النُّجُومُ وَبَدَأَ ضَوْؤُ الصُّبْحِ، فَصَلِّ لَهُ كَذَلِكَ. وَالْمَقْصُودُ رَكْعَتَا سُنَّةِ الْفَجْرِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرِيصًا عَلَيْهِمَا أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ النَّوَافِلِ، كَمَا صَحَّ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

سورة النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى} (النجم : 1)

1- أُقْسِمُ بِالنَّجْمِ إِذَا سَقَطَ مِنْ عُلُوِّ أَيِّ نَجْمٍ. وَعَيْنُهُ بَعْضُهُمْ ظَنًّا وَاجْتِهَادًا. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُقْسِمُ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، لِحِكْمَةٍ، وَلَا يَنْبَغِي لِلْمَخْلُوقِ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيْرِ اللَّهِ.

{مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} (النجم : 2)

2- مَا انْخَرَفَ صَاحِبُكُمْ مُحَمَّدٌ عَنِ الْحَقِّ، وَمَا اعْتَقَدَ بَاطِلًا.

{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى} (النجم : 3)

3- وَلَا يَقُولُ قَوْلًا عَنِ هَوَى وَرَغْبَةٍ فِي نَفْسِهِ،

{إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} (النجم : 4)

4- مَا هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ، فَيُلَئِقُهُ لَكُمْ كَمَا هُوَ.

{عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} (النجم : 5)

5- عَلَّمَهُ الثَّرَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ قُوَّةً عَظِيمَةً.

{ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى} (النجم : 6)

6- فَهُوَ ذُو قُوَّةٍ وَشِدَّةٍ فِي خَلْقِهِ، مَعَ حِكْمَةٍ، وَحُسْنِ مَنْظَرٍ، فَاسْتَقَامَ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا.

{وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى} (النجم : 7)

7- وَهُوَ فِي الْجِهَةِ الْعُلْيَا مِنَ السَّمَاءِ.

{إِنَّمَا دَنَا فَنَدَلَى} (النجم : 8)

8- ثُمَّ هَبَطَ وَتَدَلَّى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، فَسَدَّ الْأُفُقَ.

{فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى} (النجم : 9)

9- فَاقْتَرَبَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَتْ مَسَافَةُ قُرْبِهِ مِنْهُ مِقْدَارَ قَوْسَيْنِ، أَوْ أَقْرَبَ مِنْ ذَلِكَ. وَيَعْنِي الْقَوْسَ الَّذِي يُرْمَى بِهِ.

{فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ} (النجم : 10)

10- فَأَوْحَى اللَّهُ بِوَاسِطَةِ جِبْرِيلَ إِلَى عَبْدِهِ وَنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَوْحَاهُ إِلَيْهِ.

{مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} (النجم : 11)

11- مَا كَذَبَ فُؤَادُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا رَأَهُ بِبَصَرِهِ مِنْ صُورَةِ جِبْرِيلَ.

{ أَفْتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى } (النجم : 12)

12- أفْتُمَارُونَهُ وَتُجَادِلُونَهُ عَلَى مَا يَرَاهُ بَعَيْنِهِ؟ وَكَانَ ذَلِكَ فِي مَبْدَأِ الْوَحْيِ.

{ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى } (النجم : 13)

13- وَلَقَدْ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيْلَ فِي صُوْرَتِهِ الْحَقِيْقِيَّةِ مَرَّةً أُخْرَى، فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ.

{ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى } (النجم : 14)

14- عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. "وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ..."، كَمَا فِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ. وَوَصَفُوهَا عَجِيْبٌ.

{ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى } (النجم : 15)

15- وَعِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى الْجَنَّةُ الَّتِي يَأْوِي إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

{ إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى } (النجم : 16)

16- إِذْ يُعْطَى السُّدْرَةَ مَا يُعْطِيْهَا. قَالَ الرَّسُوْلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "عَشِيْهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ؟"، كَمَا فِي صَحِيْحِ الْبُخَارِيِّ.

{ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى } (النجم : 17)

17- مَا مَالَ بَصْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي رَأَاهُ، وَمَا ذَهَبَ يَمِيْنًا وَلَا شِمَالًا، وَمَا تَجَاوَزَ رُوْيَتَهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ إِلَّا مَا أُمِرَ بِهِ. وَمَا رَأَاهُ مَشَاهِدٌ صَحِيْحَةٌ يَقِيْنًا.

{ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى } (النجم : 18)

18- لَقَدْ رَأَى الرَّسُوْلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْعَظِيْمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ.

{ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ } (النجم : 19)

19- أفرايتم أيها المشركون هذه الأصنام التي تزعمون أنها آلهة، وسميتموها "اللات"، وكانت لتقيف ومن تابعها. و"العزى"، لفريش وعطفان.

{ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى } (النجم : 20)

20- والثالثة هي "مناة"، التي كان يُعظمها الأوس والخزرج وخزاعة.

{ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى } (النجم : 21)

21- أُحِبُّونَ لأنفسكم الذكور من الأولاد، وتُحِبُّونَ لله ما تَكْرَهُونَ مِنَ البنات، فتقولون إن الملائكة بنات الله؟ تعالى الله عن ذلك.

{ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى } (النجم : 22)

22- فهذه قسمة ظالمة باطلة، أن تجعلوا للرب ما تَكْرَهُونَ، وتُحِبُّونَ لأنفسكم ما تُحِبُّونَ!

{ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى } (النجم : 23)

23- ما هذه الأصنام إلا أسماء فارغة ليس لها أصل من معنى الألوهية، جعلتموها أنتم وأباؤكم أسماء دالة على آلهة من تلقاء أنفسكم، بمقتضى أهواء زائغة، ما أنزل الله بها حجة ولا بُرْهَانًا تتعلقون به، وما يتبعون في ذلك إلا توهمًا باطلاً، وهوى في أنفسهم، ولقد جاءهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن، وهو الحق المبين، ومع ذلك لم يتبعوه.

{ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى } (النجم : 24)

24- أم أن لكل إنسان أن يتمنى ما يشتهي فيحصله؟ إن وهمه وزعمه هذا لا ينفعه، ولن ينال الكافرون شفاعة الآلهة التي يزعمونها في يوم القيامة، إذ لا شفاعة لها أصلاً،

{ فَلِلَّهِ الْأَجْرَةُ وَالْأُولَى } (النجم : 25)

25- فالأمر لله وحده في اليوم الآخر، وفي الحياة الدنيا، فهو مالِكهما والمتصرف فيهما، ولا مَطْمَع لأحد في ذلك.

{ وَكَمْ مِنْ مَلَكَ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى } (النجم : 26)

26- وما أكثر الملائكة في السماوات، الذين لا تُفيدُ شفاعتُهُم أحداً إلا بعدَ إذنِ الله لهم بذلك، ولا يكونُ هذا إلا لمن يُريدُ الله ويرضَى به لعباده، من أهل الإيمان والتوحيد. وهؤلاء ملائكة مُكرمون عند الله، فكيف يرجو المشركون شفاعَةَ أصنامٍ نهى الله عن عبادتها، وهي لا تُساوي عند الله شيئاً؟

{ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى } (النجم : 27)

27- إنَّ المشركين الذين لا يؤمنون بالمعاد والجزاء، يقولون إنَّ الملائكة إناث، وأنها بناتُ الله، تعالى الله عن ذلك.

{ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً } (النجم : 28)

28- وهم ليسوا مُستيقنين من هذا الكلام، فهل شهدوا خلقهم حتى يقولوا ذلك؟ ما يتبعون في مقالهم هذا إلا ظناً ووهماً باطلاً، ولا يقومُ الظنُّ مقامَ العلم، ولا يُجدي عن الحقِّ شيئاً.

{ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } (النجم : 29)

29- فأعرض عن الذي تولى عن الإيمان والقرآن، واقتصرته همته على طلب الدنيا وخطامها الزائل.

{ ذَلِكُمْ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى }

(النجم : 30)

30- فالسَّعِي فِي طَلَبِ الدُّنْيَا مُنْتَهَى عِلْمِهِمْ، وَغَايَةُ حِرْصِهِمْ، وَلَا يَعْلَمُونَ مِنَ الْعِلْمِ الْمَفِيدِ شَيْئًا يُذَكِّرُ، وَاللَّهُ عَالِمٌ بِمَنْ انْحَرَفَ عَنِ الْحَقِّ فَضَلَ وَغَوَى، وَبِمَنْ سَلَكَ نَهْجَ الصَّوَابِ فَاسْتَقَامَ وَاهْتَدَى.

{ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ

أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى } (النجم : 31)

31- وَلِلَّهِ كُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، خَلَقًا، وَمُلْكًا، وَتَدْبِيرًا، لَا يُشَارِكُهُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ، وَلِيَجْزِيَ كُلَّ فَرِيقٍ بِمَا يَسْتَحِقُّ، فَمَنْ أَسَاءَ فَلَهُ الشُّؤْمُ يُجْزَى بِهِ، وَمَنْ أَحْسَنَ فَلَهُ الْمَثُوبَةُ الْحُسْنَى.

{ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِنَّمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ

اتَّقَى } (النجم : 32)

32- وَمِنْ صِفَاتِ الْمُحْسِنِينَ أَنَّهُمْ يَتَّعِدُونَ عَنِ الذُّنُوبِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي تَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ الْقَاسِي، وَعَمَّا تَفَاحَشَ عَمَلُهُ وَاسْتُنْكَرَ، إِلَّا مَا صَغُرَ مِنَ الذُّنُوبِ. وَاللَّهُ عَظِيمُ الْمَغْفِرَةِ، وَسَعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ تَابَ وَأَنَابَ، وَيَغْفِرُ الصَّغَائِرَ إِذَا اجْتَنَبَتِ الْكَبَائِرَ. وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِكُمْ وَبِأَحْوَالِكُمْ إِذْ أَنْشَأَ أَصْلَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَكُنْتُمْ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ، وَأَنْتُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَمْ تُوَلَدُوا بَعْدَ، فَلَا تُنْتُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تُبْرِئُوها مِنَ الْآثَامِ، هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَطَاعَ وَأَخْلَصَ لَهُ الْعَمَلُ، وَاجْتَنَبَ مَا نَهَى عَنْهُ.

وَلَا يُسْتَهَانُ بِالصَّغَائِرِ، وَهَذَا تَذَكِيرٌ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهِنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكَنَّهُ". رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

{ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى } (النجم : 33)

33- أفرايتَ الذي أعرَضَ عنِ اتِّباعِ الحقِّ؟

{ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى } (النجم : 34)

34- وأعطى صاحبه مالا قليلا ثم قطعهُ عنه بخلًا؟

{ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى } (النجم : 35)

35- هل عليم من الغيب أنه سينتهي ما عنده من المال ولذلك أمسك عن الإنفاق؟

{ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى } (النجم : 36)

36- أم أنه لم يُخبر بما في أسفار التوراة التي أنزلها الله على موسى؟

{ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى } (النجم : 37)

37- وبما في صحف إبراهيم عليه السلام، الذي وفى بجميع ما أمره الله به أتم الوفاء، وبلغ رسالة ربه أتم البلاغ؟

{ أَلَا تَرَى وَازِرَةً وَّرَزْرًا أُخْرَى } (النجم : 38)

38- أن لا تحمل نفس إثم غيرها، ولا تقدر على أن تلقي من آثامها على آخرين، ولا أن تُخفف عن آخرين بجر آثامهم إليها، بل كل نفس مقرونة بعملها، مُحاسبَةٌ عليه. ومن أضلَّ آخرين، فإن ما يقومون به من أعمالٍ ضالَّةٍ استفادوها من توجيهاتهم، تُعتبر أوزارًا لهم أيضًا، فإن "من سنَّ في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"، كما ورد في الحديث الذي رواه مسلم. والكسب لا يكون باليد فقط، بل بالفكر والتوجيه أيضًا.

{ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى } (النجم : 39)

39- وأن ليس للإنسان من الأجر إلا ما كسبه هو لنفسه.

قال الحسين بن الفضل: ليس له بالعدل إلا ما سعى، وله بالفضل ما شاء الله تعالى. ولعل هذا الجواب يخلُ إشكال ما ذكر أن الآية منسوخة بالآية: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} [سورة الطور: 21].

{وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى} (النجم : 40)

40- وأن ما عمله من خير أو شر سوف يكشف له ويحاسب عليه يوم القيامة.

{ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى} (النجم : 41)

41- ثم يجزي على سعيه الجزاء الكامل، فلا ينقص من ثوابه، ولا يزداد في عقابه.

{وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ} (النجم : 42)

42- وأن منتهى الخلق ومصيرهم يكون إلى الله تعالى يوم المعاد.

{وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى} (النجم : 43)

43- وأنه تعالى أوجد في عباده الضحك والبكاء، والسرور والحزن، وأسبأهما، وهما مختلفان.

{وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا} (النجم : 44)

44- وأنه سبحانه خلق الموت والحياة، فأمات من أحيأه في الدنيا، وأحيا من أماته يوم البعث.

{وَأَنَّهُ خَلَقَ الذُّكْرَ وَالْأُنثَىٰ} (النجم : 45)

45- وأنه بقدرته خلق من نوع الإنسان وأنواع الحيوان الذكور والأنثى.

{مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى} (النجم : 46)

46- مِنْ نُطْفَةِ الذَّكَرِ إِذَا تَدَقَّقْتَ وَصَبَّتْ فِي رَحِمِ الْأُنْثَى .

{ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى } (النجم : 47)

47- وَأَنَّ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ إِعَادَةَ الْأَحْيَاءِ بَعْدَ الْإِمَاتَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَفَاءً بِوَعْدِهِ .

{ وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَى وَأَقْنَى } (النجم : 48)

48- وَأَنَّهُ تَعَالَى أَعْطَى عِبَادَهُ وَمَلَكَهُمْ مَا يُدْخِرُ وَمَا يُرْضِي مِنْ مَالٍ وَمَتَاعٍ .

{ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى } (النجم : 49)

49- وَأَنَّهُ رَبُّ هَذَا الْكَوْكَبِ النَّيِّرِ، الْمَعْرُوفِ بِالشُّعْرَى . وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَرَبِ تَعْبُدُهُ!

{ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى } (النجم : 50)

50- وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا قَوْمَ هُودٍ، بِرِيحٍ قَوِيَّةٍ عَاتِيَةٍ؛ لِتَكْذِيبِهِمْ نَبِيِّهِمْ .
وهؤلاء الأول، وكان لهم عقاب .

{ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى } (النجم : 51)

51- وَأَهْلَكَ ثَمُودَ قَوْمَ صَالِحٍ بِالصَّيْحَةِ، وَلَمْ يُبْقِ مِنْ كُفَّارِهِمْ أَحَدًا .

{ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِذْهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى } (النجم : 52)

52- وَأَغْرَقَ قَوْمَ نُوحٍ بِالطُّوفَانِ قَبْلَ هَؤُلَاءِ، وَكَانُوا أَظْلَمَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ تَمَرُّدًا وَتَمَادِيًا فِي الْكُفْرِ
وَالضَّلَالِ وَالْفَسَادِ، وَقَدْ عَاشَ بَيْنَهُمْ نَبِيُّهُمْ أَلْفًا إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا!

{ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى } (النجم : 53)

53- وأسقطَ مدائنَ قومِ لوط، فجعلَ أعاليها أسافلها، فقد ائتفكت بأهلها، أي انقلبت بهم. وقد أثبتت دراساتُ علومِ الأرضِ أنَّ طبقاتِ الصُّحورِ في مِنطَقَةِ جَنوبِ البَحْرِ المِيتِ - موطنِهِمْ - مقلوبَةٌ رأسًا على عَقب.

{ فَعَشَّاهَا مَا غَشَّى } (النجم : 54)

54- فغطَّاهَا بما غطَّى مِنَ الحِجَارَةِ التي أُرسِلتْ على أهلِها.

{ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى } (النجم : 55)

55- فبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكَ تُشَكِّكُ وَتُجَادِلُ أَيُّهَا الإنسان؟

{ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى } (النجم : 56)

56- هذا مُحَمَّدٌ رَسُولٌ مِّنْ جَنسِ الرُّسُلِ السَّابِقِينَ، أُرسِلَ إليكم كما أُرسِلوا إلى أقوامِهِمْ.

{ أَزِفَتْ الْأَرْفَةُ } (النجم : 57)

57- اقترَبَتِ القِيَامَةُ ودنت.

{ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ } (النجم : 58)

58- لا أَحَدٌ يَقْدِرُ على أَنْ يُظْهِرَها غَيْرُ اللَّهِ. أو لا يَقْدِرُ على أَنْ يَرُدَّها عَنِ الإنسانِ إِذَا غَشِيَتْهُمُ أهْواهُمُ إِلَّا هُوَ سُبْحانَهُ.

{ أَفَمِنَ هَذَا الحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ } (النجم : 59)

59- أَفَمِنَ هَذَا القُرْآنِ تَعَجُّبُونَ أَيُّها المَشْرِكُونَ أَنْ يَكُونَ وَحِيًّا مِنَ اللَّهِ؟

{ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ } (النجم : 60)

60- وَتَسْتَهْزِؤُونَ بِهِ وَأَنْتُمْ تَضْحَكُونَ، وَلا تَبْكُونَ خَوْفًا مِمَّا فِيهِ مِنَ الوَعِيدِ؟

{ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ } (النجم : 61)

61- وَأَنْتُمْ لَاهُونَ غَافِلُونَ، مُعْرِضُونَ عَنْهُ مُسْتَكْبِرُونَ؟

{ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا } (النجم : 62)

62- فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاحْضَعُوا لَهُ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الطَّاعَةَ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّجْمِ، وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمَشْرِكُونَ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسَ.

سورة القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } (القمر : 1)

1- ذَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ فَلِقَتَيْنِ. فَانْشِقَاقُ الْقَمَرِ مِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ. فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ، أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمْ الْقَمَرَ شَقَّتَيْنِ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاءَ بَيْنَهُمَا. وَعِنْدَمَا رَأَى الْمَشْرِكُونَ ذَلِكَ قَالُوا: سَحَرْنَا مُحَمَّدًا! فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لئن كَانَ سَحَرْنَا مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ. وَقَدْ رَوَى هَذَا التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ. وَذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ أَنَّ أَحَادِيثَ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ مُتَوَاتِرَةٌ بِأَسَانِيدٍ صَحِيحَةٍ. وَقَدْ كُشِفَ عَنْ مَخْطُوطَاتٍ وَكُتَابَاتٍ تَارِيخِيَّةٍ قَدِيمَةٍ تَوَرَّخَ لِهَذِهِ الْمَعْجِزَةِ فِي غَيْرِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

والذين صعدوا إلى القمر رأوا آثار هذا الانشقاق فيه، وقالوا إنه انشق منذ زمن قديم إلى قسمين منفصلين ثم التحما، بدليل وجود شقوق صخرية متعرجة وطويلة تمزق القمر من سطحه إلى جوفه. وقد وضعت أجهزة خاصة بالرصد الزلزالي للتأكد من ذلك...

{ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ } (القمر : 2)

2- وإن يروا معجزة ودليلاً من عند ربهم لا يأبهون به، ولا يعتبرونه حجة وبرهاناً على صدق نبيه، بل يقولون: هذا سحر سحرنا به محمد (صلى الله عليه وسلم)، وأنه زائل سيضمحل مع الزمن!

{ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ } (القمر : 3)

3- وكذبوا النبي عليه الصلاة والسلام وما أيده الله به من المعجزات، واتبعوا أهواءهم الباطلة، وأفكارهم المنحرفة. وكل أمر من الأمور ينتهي إلى غاية يستقر عليها، وعندئذ يتبين لكل عاقبته، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

{ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ } (القمر : 4)

4- ولقد جاءهم في القرآن من أخبار القرون الماضية، وقصص الأمم المكذبة لرسولها وما حل بهم من العذاب، ما فيه زجر لهم من التمادي في الكفر والتكذيب.

{ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ } (القمر : 5)

5- وأمر الله محكم لا خلل فيه، ولا يضل عن هداه إلا جاحد متعنت، فأى شيء تغني الآيات والنذر الواضحة عن شقي عنيد، وجاهل يتبع هواه؟

{ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ } (القمر : 6)

6- فأعرض عنهم ولا تبال بهم ماداموا كذلك. يوم يُنادي المُنَادِي ويدعو إلى شيء منكر فظيع ومهول لا مثيل له، هو يوم الجزاء والحساب، الشَّدِيدِ على الكافرين.

{ حُشِعَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ } (القمر : 7)

7- ذَلِيلَةٌ أَبْصَارُهُمْ مِنَ الْخَوْفِ وَالْهَوْلِ، يَخْرُجُونَ مِنَ الْقُبُورِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ فِي كَثْرَتِهِمْ وَمَوْجِهِمْ، وَاِنْتِشَارِهِمْ وَسُرْعَتِهِمْ، وَحَيْرَتِهِمْ وَفَزَعِهِمْ.

{ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ } (القمر : 8)

8- مُسْرِعِينَ إِلَى مُنَادِيهِمْ، مُقْبِلِينَ عَلَيْهِ، وَقَدْ شَخَّصَتْ أَبْصَارُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ، يَقُولُ الْكَافِرُونَ: هَذَا يَوْمٌ صَعَبٌ شَدِيدٌ.

{ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا بَجُنُونٌ وَازْدُجِرَ } (القمر : 9)

9- كَذَّبَ قَبْلَ قَوْمِكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ، قَوْمُ نُوحٍ، أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْهِمْ لِيُطِيعُوهُ وَيَهْتَدُوا بِهِ، فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا نُوحًا وَقَالُوا: هُوَ بَجُنُونٌ، وَزَجَرُوهُ وَهَدَدُوهُ إِنَّ لَمْ يَنْتَهَ عَنْ دَعْوَتِهِمْ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَقَالُوا: { لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ }! [سورة الشعراء: 116].

{ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ } (القمر : 10)

10- فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِهِ، وَقَدْ بَقِيَ بَيْنَهُمْ أَلْفًا إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا. وَلَمَّا يَيْئَسَ مِنْ إِيْمَانِهِمْ دَعَا رَبَّهُ قَائِلًا: اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ مَقْهُورٌ، لَا أَقْوَى عَلَى مُقَاوَمَتِهِمْ وَالْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ، فَانْتَقِمْ لِدِينِكَ.

{ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ } (القمر : 11)

11- فَأَمَرْنَا السَّمَاءَ بِأَنْ يَتَدَفَّقَ مِنْهَا الْمَطَرُ وَيَنْصَبَّ انْصِبَابًا شَدِيدًا.

{ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدَرٍ } (القمر : 12)

12- وَفَجَّرْنَا يَنْابِيعَ الْأَرْضِ كُلِّهَا، فَالْتَقَى مَاءُ السَّمَاءِ وَمَاءُ الْأَرْضِ، عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ.

{ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ } (القمر : 13)

13- وحملنا نُوحًا على سَفِينَةٍ كَبِيرَةٍ ذَاتِ أَعْشَابٍ عَرِيضَةَ وَمَسَامِيرَ تُشَدُّ بِهَا.

{ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ } (القمر : 14)

14- تجري بمرائي منا وبحفظنا وتيسيرنا، جزاءً لنبينا نُوحٍ عليه السَّلام، الذي كفر به قومه،
وجحدوا رسالة ربهم.

{ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ } (القمر : 15)

15- ولقد أبقينا آثار السَّفينة علامةً ودليلاً على ما دُكر، فهل من مُتدكِّرٍ ومُعتبرٍ؟
ذكر المفسِّرون أنَّ أوائل هذه الأُمَّة رأوا أحشائها على جبل الجوديِّ.
وقد التقطت صورةً لموقع مهبط السَّفينة على الجبلِ بولاية شَرناق في تُركيَّا من الفضاء، وبدا
فيها بقايا السَّفينة المتحجِّرة واضحةً. والله أعلم.

{ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ } (القمر : 16)

16- فكيف كان إنذارِي لهم، وعذابي الذي أحاطَ بهم فأهلكهم جميعاً؟

{ وَلَقَدْ يَسْرَنَّا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ } (القمر : 17)

17- ولقد سهَّلنا القرآنَ تلاوةً، وحفظاً، وتفسيرًا، ليتذكَّر الناسُ به ويعتبروا، فهل من مُتدكِّرٍ
به، ومُتَعَطِّ بِمَوَاعِظِهِ، ومُعتبرٍ من أخبارِهِ ونُذْرِهِ؟

{ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ } (القمر : 18)

18- كذَّبت قَبيلة عادٍ نبيها هُودًا، وأصرت على الكُفر والتَّكذيب، فانظُر كيفَ كان إنذارِي
لهم، وعذابي الشَّدِيدُ الذي أصابهم.

{ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ } (القمر : 19)

19- لقد أرسلنا عليهم عاصفةً قويَّةً شديدةً الهبوب، في يومٍ نكِدٍ مشؤوم، استمرت حتى أُهِّلِكُوا جميعًا.

{ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ } (القمر : 20)

20- تَقْلَعُ النَّاسَ وَتَرْفَعُهُمْ إِلَىٰ أَعْلَىٰ، ثُمَّ تَرْمِي بِهِمْ عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ، فَإِذَا هُمْ صَرَعى كَأَنَّهُمْ بَقَايَا شَجَرَةٍ نَخْلٍ مُنْقَلَعَةٍ عَنْ مَغَارِسِهَا، سَاقِطَةٍ عَلَى الْأَرْضِ.

{ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ } (القمر : 21)

21- فَكَيْفَ كَانَ إِنذَارِي الشَّدِيدُ لَهُمْ، وَعَذَابِي الْأَلِيمُ الَّذِي أَصَابَهُمْ؟

{ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ } (القمر : 22)

22- وَلَقَدْ سَهَّلْنَا الْقُرْآنَ لِلنَّاسِ، لِيَتَذَكَّرُوا بِهِ وَيَعْتَبِرُوا، فَهَلْ مِنْ مُتَعَطِّ بِأَخْبَارِهِ وَقَصَصِهِ، وَوَعِيدِهِ وَنُذْرِهِ؟

{ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ } (القمر : 23)

23- وَكَذَّبَتْ قَبِيلُهُ ثَمُودَ بِالْإِنذَارِ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

{ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ } (القمر : 24)

24- فَقَالُوا: أَنْتَبِعُ رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ بَيْنِنَا، وَنَحْنُ جَمَاعَةٌ، وَنُسَلِّمُ لَهُ قِيَادَنَا وَلَيْسَ هُوَ بِمَلِكٍ وَلَا مَلِكٍ؟ إِنْ فَعَلْنَا ذَلِكَ فَنَحْنُ فِي خَطَأٍ وَضَلَالٍ، وَعَنَاءٍ وَشِدَّةٍ لِمَا يَلْزُمُنَا مِنْ طَاعَتِهِ.

{ أَأَلْقَى الذُّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْرٌ } (القمر : 25)

25- قَالُوا: أُنزِلَ الْوَحْيُ عَلَىٰ صَالِحٍ مِنْ دُونِنَا، وَفِينَا مَنْ هُوَ أَحَقُّ مِنْهُ بِذَلِكَ؟ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ مُتَكَبِّرٌ، يَتَعَاطَمُ عَلَيْنَا بِادِّعَاءِ النُّبُوَّةِ.

{ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرُ { (القمر : 26)

26- سَيَعْلَمُونَ غَدًا عندما يَنْزِلُ بِهِمُ الْعَذَابُ مَنْ هُوَ الْكَذَّابُ الْمَتَكَبِّرُ، صَاحِحٌ أَمْ مَنْ كَذَّبُوهُ.

{ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ { (القمر : 27)

27- إِنَّا مُخْرِجُو النَّاقَةِ الَّتِي سَأَلُوهَا مِنَ الْهَضْبَةِ وَبَاعَثُوهَا اخْتِبَارًا وَامْتِحَانًا لَهُمْ، فَانْتَظِرْ مَا يَصْنَعُونَ، وَاصْبِرْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَعْجَلْ.

{ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ { (القمر : 28)

28- وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ مُقَسَّمٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاقَةِ، يَوْمٌ لَهُمْ وَيَوْمٌ لَهَا، كُلُّ نَصِيبٍ مِنَ الْمَاءِ يَحْضُرُهُ مَنْ كَانَتْ نَوْبَتُهُ.

{ فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ { (القمر : 29)

29- فَلَمْ يَصْبِرُوا، وَبَارَزُوا نَبِيَّهُمْ بِالْعِصْيَانِ، وَنَادَوْا أَشَقَى رَجُلٍ فِيهِمْ، فَاجْتَرَأَ وَأَقْدَمَ عَلَى عَقْرِ النَّاقَةِ.

{ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي { (القمر : 30)

30- فَكَيْفَ كَانَ إِذَارِي الشَّدِيدُ لَهُمْ، وَعَذَابِي الْأَلِيمُ الَّذِي أَحَاطَ بِهِمْ؟

{ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ { (القمر : 31)

31- لَقَدْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً، قُوَّةً شَدِيدَةً، فَأُهْلِكُوا جَمِيعًا، وَصَارُوا كَالشَّجَرِ أَوْ النَّبَاتِ الْيَابِسِ الْمْتَفَتَّتِ، الَّذِي تَطَّوُّهُ الْمَاشِيَةُ فِي حَظَائِرِهَا.

{ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ { (القمر : 32)

32- وَلَقَدْ سَهَّلْنَا الْقُرْآنَ لِلنَّاسِ، لِيَتَذَكَّرُوا بِهِ وَيَعْتَبِرُوا، فَهَلْ مِنْ مُتَذَكِّرٍ بِهِ، وَمُعْتَبِرٍ مِنْ قَصَصِهِ وَأَخْبَارِهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ؟

{ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ } (القمر : 33)

33- كَذَّبَ قَوْمُ لُوطٍ رَسُولَهُمْ، وَمَنْ كَذَّبَ رَسُولًا فَقَدْ كَذَّبَ الرَّسُولَ أَجْمَعِينَ.

{ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ } (القمر : 34)

34- ولما لم ينتهوا من الفاحشة، وأصرُّوا على إتيان الذُّكُورِ دونَ ما خلقه اللهُ لهم من الإناث، عاقبناهم، فدمرنا مُدَّتْهم، وأرسلنا عليهم حِجَارَةً، أو حَصْبَاءً يُحْصَبُونَ بها، إلا آلَ لُوطٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فقد أنقذناهم مِنَ الْعَذَابِ آخِرَ اللَّيْلِ.

{ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ شَكَرَ } (القمر : 35)

35- إِنْعَامًا مِّنَّا عَلَيْهِمْ، كَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ شَكَرَ نِعْمَتَنَا، وَأَطَاعَ فَاسْتَقَامَ.

{ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ } (القمر : 36)

36- وَلَقَدْ خَوْفَهُمْ نَبِيُّهُمْ لُوطٌ عُقُوبَتَنَا الشَّدِيدَةَ قَبْلَ أَنْ تَحِلَّ بِهِمْ، فَشَكُّوا فِي ذَلِكَ، وَكَذَّبُوا إِنْذَارِي وَوَعِيدِي.

{ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي } (القمر : 37)

37- وَلَقَدْ طَلَبُوا أَنْ يَفْجُرُوا بِأَضْيَافِ نَبِيِّهِمْ - وَكَانُوا مَلَائِكَةً، جَاءُوا إِلَيْهِ فِي صُورَةِ شَبَابٍ - فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ وَسَوَّيْنَاهَا كَسَائِرِ الْوَجْهِ، فَذُوقُوا مَا أَنْذَرْتُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ.

{ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِيرٌ } (القمر : 38)

38- وَلَقَدْ جَاءَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ عَذَابٌ دَامَ فِيهِمْ حَتَّى أَبَادَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، أَوْ أَنَّهُ دَامَ فِيهِمْ حَتَّى يُفْضَى بِهِمْ إِلَى عَذَابِ الْآخِرَةِ.

{ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي } (القمر : 39)

39- فذوقوا ما أنذركم به نبيكم لوط من العقوبة والعذاب.

{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} (القمر : 40)

40- ولقد سهّلنا القرآن للناس، ليتذكروا به ويتّعظوا، ويعتبروا من قصصه وأخباره، ووعدِهِ ووعدِهِ، فهل من مُتدكِّرٍ ومُعتبرٍ؟

{وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ} (القمر : 41)

41- ولقد جاءت النُّذُرُ بالعقوباتِ فرعونَ وقومه.

{كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ} (القمر : 42)

42- فكذبوا بالمعجزات التي أيّدنا بها موسى كُلِّها، وأصرُّوا على كُفْرِهِم، فعاقبناهم، وأخذناهم أخذَ قويٍّ قادرٍ على إهلاكِهِم وإبادتِهِم.

{أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ} (القمر : 43)

43- أكفاركُم - يا مُشركي قُرَيْشٍ - أفضلُ من الكفارِ السابقين، وأشدُّ منهم قوَّةً وأكثرُ عدداً، أم أنّ معكم براءةً من العذابِ في الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، ولذلك أنتم خائضونَ في الكُفْرِ والمعاصي؟

{أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ} (القمر : 44)

44- أم أنّهم واثقونَ من قوَّتِهِم في جمعِهِم، ويظنُّونَ أنّهم بهذا مُنتصرونَ لا يُغلبون؟

{سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} (القمر : 45)

45- بل ستهزَمُ جموعُهُم ويُوَلُّونَ الأدبارَ.

وحدث هذا يومَ بدر، وقد خرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركينَ وهو يتلو هذه الآية، وانتصرَ المسلمونَ، وهزَمَ أعداؤُهُم شرَّ هزيمةٍ، وكانوا أكثرَ منهم.

{ بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ } (القمر : 46)

46- بل إنَّ أمامهم عُقوبةٌ أكبر، فمَوعِدُهُم يَومُ القِيامة، حيثُ الحِسابُ والجِزاء، والقِيامةُ أعظَمُ داهيةً وبليةً، وأشدُّ مَرارةً مِنَ القَتْلِ والأسْرِ.

{ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ } (القمر : 47)

47- إنَّ الكافِرِينَ المجرِمينَ في ضلالٍ وبعُدٍ عنِ الحَقِّ في الدُّنيا، وفي نيرانٍ مُسعِرةٍ في الآخِرة.

{ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ } (القمر : 48)

48- يَومَ يُجرُونَ في النَّارِ على وُجُوهِهم، ويُقالُ تَوبِيحًا لهم: ذُوقوا ألمَ العذابِ وشِدَّتَهُ في جهنَّم.

{ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } (القمر : 49)

49- إنَّ كلَّ شَيْءٍ خَلَقناه كانَ مُقدَّرًا مَكتوبًا في اللُّوحِ المَحفوظِ قَبْلَ وقوعِهِ.

{ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ } (القمر : 50)

50- وما شَأنُنا - إذا أَرَدنا شَيْئًا - إلاَّ الأمرُ بِهِ مرَّةً واحِدةً، فيكونُ حاصِلًا كَلَمَحِ البَصَرِ، لا يَتأخَّرُ عنِ ذلكَ طَرفَةَ عَين.

{ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ } (القمر : 51)

51- ولقد أَهلَكنا أمثالكم - يا مُشركي قُرَيشٍ - مِنَ الكافِرِينَ المِكذِّبِينَ في الأُممِ السَّابِقة، فهل مِنْ مُندَكِّرٍ ومُعتَبِرٍ بهم؟

{ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ } (القمر : 52)

52- وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي مَكْتُوبٌ فِي صُحُفِ أَعْمَالِهِمْ، الَّتِي أَحْصَاهَا عَلَيْهِمْ وَدَوَّهَا الْحَفَظَةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

{ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَنْطَرٌ } (القمر : 53)

53- وَكُلُّ عَمَلٍ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مَسْطُورٌ بِتَفَاصِيلِهِ وَمُتَبَتٌّ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

{ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ } (القمر : 54)

54- إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ اتَّقَوْا عِقَابَ اللَّهِ بِطَاعَتِهِ، فِي جَنَّاتٍ عَالِيَاتٍ، وَأَنْهَارٍ جَارِيَاتٍ، مِنْ مَاءٍ، وَخَمْرٍ، وَلَبَنٍ، وَعَسَلٍ.

{ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُنْتَدِرٍ } (القمر : 55)

55- فِي دَارِ كَرَامَةٍ، وَمَكَانٍ مَرْضِيٍّ، وَجَلِيسٍ حَقٌّ لَا لَعْوُ فِيهِ وَلَا تَأْتِيمٌ، عِنْدَ مَلِكٍ قَادِرٍ عَظِيمٍ، لَا يُعْجِزُهُ أَمْرٌ مِنَ الْأُمُورِ.

سورة الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ الرَّحْمَنُ } (الرحمن : 1)

1- اللَّهُ تَعَالَى ذُو الرَّحْمَةِ الْعَظِيمَةِ،

{ عَلَّمَ الْقُرْآنَ } (الرحمن : 2)

2- يَسَّرَ الْقُرْآنَ لِلتَّلَاوَةِ وَالْحِفْظِ، وَالْفَهْمِ وَالتَّدْبِيرِ.

{ خَلَقَ الْإِنْسَانَ } (الرحمن : 3)

3- خَلَقَ الْإِنْسَانَ، أَصْلَهُ مِنْ تُرَابٍ، وَنَسَلَهُ مِنْ نُطْقَةٍ.

{عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} (الرحمن : 4)

4- عَلَّمَهُ النُّطْقَ وَالتَّعْبِيرَ، وَالْإِفْصَاحَ وَالتَّيْبِينَ.

{الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ} (الرحمن : 5)

5- الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَجْرِيَانِ بِحِسَابٍ مُقَدَّرٍ دَقِيقٍ.

{وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ} (الرحمن : 6)

6- وَالنَّجْمُ فِي السَّمَاءِ، وَالشَّجَرُ فِي الْأَرْضِ، يَسْجُدَانِ لِلَّهِ، بِكَيْفِيَّةٍ لَا نَعْلَمُهَا، وَيَتَقَادَانِ لِأَمْرِهِ فِيمَا يُرِيدُ مِنْهُمَا.

{وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ} (الرحمن : 7)

7- وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا فَوْقَ الْأَرْضِ بِإِعْمَادٍ، وَشَرَعَ الْعَدْلَ وَأَمَرَ بِهِ، حَتَّى لَا تَخْتَلِ الْأُمُورُ، وَلَا تُهْدَرَ الْحُقُوقُ.

{أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ} (الرحمن : 8)

8- وَأَمَرَ أَلَّا تَتَجَاوَزُوا الْعَدْلَ، وَلَا تَطْلُمُوا.

{وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ} (الرحمن : 9)

9- وَأَقِيمُوا لِسَانَ الْمِيزَانِ بِالْعَدْلِ عِنْدَ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ، وَلَا تَنْقُصُوا الْمِيزَانَ بِالْكَيْلِ وَالْوَزْنِ.

{وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ} (الرحمن : 10)

10- وَالْأَرْضَ مَهَّدَهَا وَبَسَطَهَا لِيَعِيشَ فِيهَا الْخَلْقُ.

{ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ } (الرحمن : 11)

11- فيها أنواع الفاكهة ذات الطُعم والألوان المختلفة، والنخل ذات أوعية الطلع، التي تحمل الثمر.

{ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ } (الرحمن : 12)

12- والحبوب التي يُقتات بها ويُغذَى منها، ذات الورق الذي يتحوّل إلى علفٍ للحيوانات. وفيها الرزق الطيب.

{ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 13)

13- فبأي نعم الله الظاهرة عليكما تُكذبان أيها الثقلان من الجن والإنس، الدنيئة منها والدنيوية؟ إنكما لا تستطيعان أن تجحداها، ولا أن تستغنيا عنها.

{ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ } (الرحمن : 14)

14- خلق أصل الإنسان من طين يابس كالفخار. وهو ما أُحرق من الطين حتى نُجِّر، إذا نقرته سمعت له صلصلة.

قال صاحب "روح المعاني": خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تُراب، جعله طيناً، ثم حمأً مسنوناً، ثم صلصالاً، فلا تنافي بين الآية الناطقة بأحدها، وبين ما نطق بأحد الآخرين.

{ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ } (الرحمن : 15)

15- وخلق الجن من لهب نارٍ خالصٍ شديدة الحرارة.

{ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 16)

16- فبأي نعم الله تُكذبان أيها الثقلان، وقد أنعم عليكم في خلقكما؛ أصليكما وتكوينكما وهيئتكما؟

{ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ } (الرحمن : 17)

17- رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ: مَشْرِقِ الصَّيْفِ وَمَشْرِقِ الشِّتَاءِ، وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ: مَغْرِبِ الصَّيْفِ وَمَغْرِبِ الشِّتَاءِ، حَيْثُ اخْتِلَافُ مَوَاضِعِ طُلُوعِ الشَّمْسِ فِيهِمَا.

{ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 18)

18- فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ تُكَذِّبَانِ أَيُّهَا الْجِنَّ وَالْإِنْسُ؟ فَإِنَّهُ يَتَرْتَّبُ عَلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ وَعُرُوبِهَا وَتَنَقُّلِهَا فِي الْمَوَاضِعِ فَوَائِدُ عَظِيمَةٌ لِلأَحْيَاءِ، وَلِمَصْلَحَةِ الْإِنْسَانِ وَمَعِيشَتِهِ خَاصَّةً.

{ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ } (الرحمن : 19)

19- اللَّهُ الَّذِي أَجْرَى كِلَا الْبَحْرَيْنِ وَأَرْسَلَهُمَا فِي بَحْرِيهِمَا فَيَلْتَقِيَانِ،

{ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ } (الرحمن : 20)

20- وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا حَاجِزًا مَائِيًّا يَمْنَعُ اخْتِلَاطَ هَذَا بِذَلِكَ، فَلَا يَطْعَى مَاءٌ هَذَا عَلَى مَاءِ هَذَا وَلَا يَدْخُلُ فِيهِ. وَهَذَا الْحَاجِزُ يَكُونُ فِي حَالَةٍ مُرُوجٍ وَذَهَابٍ وَإِيَابٍ. وَلِكُلِّ بَحْرٍ دَرَجَةٌ كَثَافَةٌ مُعَيَّنَةٌ، وَدَرَجَةٌ مُلَوِّحَةٌ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ، وَلَهُ لَوْنٌ لَا يَتَغَيَّرُ... مِثْلُ اخْتِلَاطِ مَاءِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ بِالْمَحِيطِ الْهِنْدِيِّ، وَالْبَحْرِ الْأَبْيَضِ بِالْبَحْرِ الْأَسْوَدِ، وَبِالْمَحِيطِ الْأَطْلَسِيِّ (فِي مَضِيقِ جَبَلِ طَارِقِ).

{ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 21)

21- فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ تُكَذِّبَانِ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ، وَفِي اخْتِلَاطِ الْبَحْرَيْنِ لَا يَعْتَدِي الْعَذْبُ مِنْهُ عَلَى وَطِيقَةِ الْمَالِحِ، وَلَا الْمَالِحُ مِنْهُ عَلَى الْمَالِحِ مِنْ بَحْرٍ آخَرَ، وَلَا تَدْخُلُ أَسْمَاكَ هَذَا فِي ذَلِكَ. وَفِي ذَلِكَ مَنَافِعٌ وَمَصَالِحٌ لَكُمْ؟

{ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ } (الرحمن : 22)

22- وَيَخْرُجُ مِنَ الْبَحْرَيْنِ الْمَالِحِينَ اللَّوْلُؤَ، الَّذِي تُفْرِزُهُ بَعْضُ الرَّخَوِيَّاتِ الْمِحَارِيَّةِ، وَيَكُونُ فِي صَدْفِهِ بِأَعْمَاقِ الْبِحَارِ. وَهُوَ أَشْكَالٌ وَأَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ، تَبَعًا لِنَوْعِ الْحَيَوَانِ الرَّخْوِ، وَأَحْسَنُهَا الْأَبْيَضُ، وَأَعْلَاهَا الْأَسْوَدُ، النَّادِرُ جِدًّا.

والمرجان، الذي يكون في أعماق البحار كذلك، ويلتصق بصخر أو عُشْبٍ، وقد يكون مُسْتَعْمَرَةً، أو حَاجِزًا مَرَجَانِيًّا، وَيَكُونُ أَشْكَالًا وَأَلْوَانًا نَادِرَةً وَجَمِيلَةً رَائِعَةً.

{ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 23)

23- فَبِأَيِّ نِعْمِ اللَّهِ تُكَذِّبَانِ يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجَانِّ، وَأَنْتُمَا تَرِيَانِ قُدْرَةَ اللَّهِ فِي هَذَيْنِ الصَّنْفَيْنِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، اللَّذَيْنِ يُتَّخَذُ مِنْهُمَا الْحُلِيِّ وَالْجَوَاهِرُ الْغَالِيَةُ الثَّمَنِ، وَيُتَزَيَّنُّ وَيُنَاجَرُ بِهِمَا؟

{ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ } (الرحمن : 24)

24- وَلِلَّهِ السُّفُنُ الْجَارِيَاتُ فِي الْبَحْرِ، الْمَرْفُوعَاتُ كَالْجِبَالِ، مِثْلُ سَفُنِ الشَّحَنِ وَالْبَوَاحِرِ وَالْأَسَاطِيلِ، فَلَهُ هَذَا، وَلَهُ سُبْحَانَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْمَتَصَرِّفُ فِيهِمَا.

{ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 25)

25- فَبِأَيِّ نِعْمِ اللَّهِ تُكَذِّبَانِ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ، وَقَدْ سَخَّرَ الْبَحْرَ لَتَجْرِي عَلَيْهِ السُّفُنُ بِقُدْرَتِهِ، فَتَسْهَلُ حَرَكَةُ النَّقْلِ لِلْبَحْثِ عَنِ الرَّزْقِ وَغَيْرِهِ؟

{ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ } (الرحمن : 26)

26- كُلُّ مَنْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ هَالِكٌ مَيِّتٌ.

{ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } (الرحمن : 27)

27- وَيَبْقَى اللَّهُ وَحْدَهُ، فَهُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، الْعَظِيمُ الْمُنْفَرِدُ بِالْجَلَالِ وَالْكَرِيمُ، ذُو الْإِنْعَامِ وَالْإِكْرَامِ.

{ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 28)

28- فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ تَحَدَانِ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ، وَقَدْ حَلَقَ فِيكُمَا بَدْرَةَ الْمَوْتِ جَمِيعًا، وَلَمْ يَجْعَلْ هِبَةَ الْحَيَاةِ بِأَيْدِيكُمَا، وَلَمْ يَمْنَحْكُمَا التَّحَكُّمَ فِي مَصِيرِ بَعْضِكُمَا الْبَعْضَ، وَلَا الْخُلُودَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ لِئَلَّا تَطْعِيَا، وَلْتُجْزِيَا عَلَى أَعْمَالِكُمَا فِي حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ آتِيَةٍ جَزَاءً عَادِلًا؟

{ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ } (الرحمن : 29)

29- يَسْأَلُهُ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، بِلِسَانِ الْحَالِ أَوْ بِلِسَانِ الْمَقَالِ، فَالْجَمِيعُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ كُلُّ يَوْمٍ فِي أَمْرٍ، فَهُوَ مُدَبِّرُ الْكُونِ وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِ، يُجِيبُ وَيُجِيبُ، وَيَرْزُقُ وَيَمْنَعُ، وَيَنْصُرُ وَيَخْذُلُ، وَيَأْتِي بِأَحْوَالٍ وَيَذْهَبُ بِأَحْوَالٍ...

{ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 30)

30- فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ تُكَذِّبَانِ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ وَأَنْتُمَا تَعِيشَانِ فِي آيَاتِهِ صَبَاحَ مَسَاءٍ؟ فَهُوَ يَرْزُقُ، وَيُجِيبُ، وَيَشْفِي، وَيَكْشِفُ، وَيَغْفِرُ، وَيَحْلُمُ، وَيَنْتَقِمُ، وَيَرْحَمُ...

{ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ } (الرحمن : 31)

31- سَيَأْتِي الْيَوْمَ الَّذِي نُحَاسِبُكُمْ فِيهِ عَلَى أَعْمَالِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

{ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 32)

32- فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ تُكَذِّبَانِ، وَقَدْ وَعَدَ مُحْسِنَكُمَا بِالْمَثُوبَةِ الْحُسْنَى وَالْإِكْرَامِ، وَأَوْعَدَ ظَالِمَكُمَا وَمُسِيئَكُمَا بِالْعَذَابِ وَالنَّيرَانِ؟

{ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ } (الرحمن : 33)

33- يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، إِذَا قَدَرْتُمْ عَلَى أَنْ تَجُوزُوا وَتَخْرُجُوا مِنْ جَوَانِبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَطْرَافِهِمَا، فَاخْرُجُوا مِنْهُمَا، وَلَكِنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ إِلَّا بِعِلْمِ وَقُوَّةِ مُؤَيَّدَةٍ مِنْ

عند الله وإذن منه، فهو مالكهما والمتصرف فيهما، وأينما ذهبتم أو اختفيتم فأنتم في ملكه وتحت حكمه وسيطرته.

ولفائدة علمية، فإن السماء ليست فراغاً، بل هي مليئة بالمواد الغازية، وبعض المواد الصلبة، وكميات هائلة من الإشعاعات الكونية بمختلف أنواعها، مثل الأشعة تحت الحمراء، والأشعة السينية، وأشعة جاما. فالسما بناءً محكم مملوء بالمادة والطاقة، ولا يمكن اختراقه إلا عن طريق أبواب تفتح فيه.

والغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض فيه أبواب خاصة كذلك، والمركبات الفضائية إذا أرادت أن تخرج من هذا الغلاف، فإن عليها أن تسلك طريقاً محددًا ودقيقاً، وتأخذ مساراً معيناً لتستطيع أن تنفذ من نطاق الجاذبية الأرضية إلى الفضاء الخارجي، وإلا فإنها ستحترق في الفضاء. وأثناء عودتها أيضاً عليها أن تسلك مساراً معيناً لتدخل الغلاف الجوي، وإلا فإنها ستبقى في الفضاء الخارجي، أو تحترق.

ثم إن التفاد المطلق للإنس والجن من هذه الجوانب، التي تبلغ ملايين السنين الضوئية، مستحيل.

{ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 34)

34- فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ تُكَذِّبَانِ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ، وَأَنْتُمَا تَعْلَمَانِ قُدْرَةَ اللَّهِ وَعَظَمَتَهُ مِنْ عَظْمَةِ خَلْقِهِ وَإِحْكَامِهِ، وَمَا فِيهِ مِنْ نَوَامِيسَ وَمَوَازِينَ وَتَنَاسُوقٍ؟ فَأَطِيعَاهُ، فَلَا مَلْجَأَ لَكُمْ مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ.

{ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ } (الرحمن : 35)

35- فَمَنْ حَاوَلَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفُذَ مِنْهُمَا، فَإِنَّ اللَّهَ يُرْسِلُ عَلَيْهِ لَهْبًا مِنْ نَّارٍ، وَنُحَاسًا مُّذَابًا، كَمَا يُرْسِلُ الشُّهْبَ عَلَى الْجِنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَسْتَمِعُوا إِلَى الْمَلَائِكَةِ. فَلَا تَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَهْرَبَا مِنْ حُكْمِ اللَّهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَا أَنْ تَمْتَنِعَا مِنْ عَذَابِهِ.

{ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 36)

36- فَبَآئٍ نِّعَمِ اللّٰهِ تُكذِّبَانِ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ، وَأَنْتُمْ تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَا خَلَاصَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِهِ، وَلَا بُدَّ لَكُمْ مِنَ الْمَوْتِ، ثُمَّ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَلَا يَبْقَى مَظْلُومٌ إِلَّا وَيَأْخُذُ حَقَّهُ، وَلَا مُؤْمِنٌ إِلَّا وَيُنَابِ، وَلَا كَافِرٌ إِلَّا وَيُعَاقَبُ، تَحْقِيقًا لِلْحَقِّ، وَحُكْمًا بِالْعَدْلِ؟

{فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ} (الرحمن : 37)

37- فإذا انصدعت السماء يوم القيامة فكانت كالوردة في لونها، أو في لون الجلد الأحمر.

{فَبَآئٍ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} (الرحمن : 38)

38- فَبَآئٍ نِّعَمِ اللّٰهِ بَحَدَانِ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ، وَأَمْرُهُ كَائِنٌ لَا بُدَّ، وَفِي الْقِيَامَةِ أَحْوَالٌ وَأَهْوَالٌ، وَقَدْ أَنْذَرَكُمَا اللّٰهُ مِنْهَا؟

{فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ} (الرحمن : 39)

39- ففي ذلك اليوم المخوف لا يُسألُ المجرمون من الإنس والجن عن ذنوبهم، وهم على أبواب جهنم، فقد عرف كلُّ عمله ومصيره، فيقادون إليها ويقذفون فيها.

{فَبَآئٍ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} (الرحمن : 40)

40- فَبَآئٍ نِّعَمِ اللّٰهِ تُكذِّبَانِ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ، وَقَدْ قَدَّمَ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَحَدَّرَكُمَا، حَتَّى لَا تَلْقَيَا مَصِيرَ الْمَذْنُوبِينَ الْمَكْذِبِينَ؟

{يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَفْدَامِ} (الرحمن : 41)

41- يُعْرِفُ الْكَافِرُونَ الْمَجْرِمُونَ بَعَلَامَاتٍ تَظْهَرُ عَلَيْهِمْ، مِنَ الْخَوْفِ وَالْهَلَعِ، وَالْحُزْنِ وَالْكَآبَةِ، فَيُؤْخَذُ بِمَقَدِّمِ رُؤُوسِهِمْ وَأَقْدَامِهِمْ وَيُقَدَّفُونَ فِي النَّارِ.

{فَبَآئٍ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} (الرحمن : 42)

42- فأَيَّ نَعَمِ اللهُ بِجَحْدَانِ، يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجَانِّ، فِي هَذَا مَا يُخَوِّفُكُمَا وَيُرَوِّعُكُمَا، لَتَنْزِجِرَا عَنِ اقْتِرَافِ الْجَرَائِمِ وَالْآثَامِ، إِنْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْأَلْبَابِ وَالْأَحْلَامِ؟

{ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ } (الرحمن : 43)

43- هَذِهِ هِيَ جَهَنَّمُ الَّتِي تُسْعَرُ فِيهَا النَّيْرَانُ، وَقَدْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُكَذِّبُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيَقُولُونَ لَا حِسَابَ وَلَا نِيزَانَ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَهَا هِيَ ذِي فَذَوْفُوهَا، لَتَتَأَكَّدُوا أَنَّهَا عَذَابٌ حَقِيقِيٌّ وَلَيْسَ بِخَيَالٍ.

{ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمِ آِنٍ } (الرحمن : 44)

44- يَتَرَدَّدُونَ بَيْنَ نَارِهَا فَيُعَذَّبُونَ فِيهَا، وَبَيْنَ مَائِهَا الشَّدِيدِ الْحَرَارَةِ فَيُسْقَوْنَ مِنْهُ.

{ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 45)

45- فَبِأَيِّ نَعَمِ اللهُ وَآلَائِهِ تُكَذِّبَانِ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ، وَقَدْ أْبْلَغَ فِي إِذْكَارِكُمَا، وَحَدَّرَكُمَا مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ حَتَّى لَا يَبْقَى لَكُمَا عُذْرٌ، وَصَرَّفَ لَكُمَا الْآيَاتِ لَتَتَذَكَّرَا وَتَعْتَبِرَا، وَتُؤْمِنَا وَتَتُوبَا؟

{ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ } (الرحمن : 46)

46- وَلِمَنْ خَافَ وَقُوفَهُ بَيْنَ يَدَيْ اللهِ يَوْمَ الْحِسَابِ وَعَمِلَ صَالِحًا، جَنَّاتٍ، يَهْنَأُ فِيهِمَا وَيَنَعَمُ، وَيَسْعَدُ وَيَجْلُدُ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "جَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ: آنِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ: آنِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا". رَوَاهُ الشَّيْخَانُ. وَالْمَقْصُودُ مَا ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَالْآيَةِ (62) مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ: { وَمَنْ ذُوْنِهِمَا جَنَّاتٍ }، فَهَمَا دُونَ الْجَنَّتَيْنِ الْوَارِدِ ذِكْرُهُمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

{ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 47)

47- فَبِأَيِّ نَعَمِ اللهُ بِجَحْدَانِ يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجَانِّ، وَقَدْ أَمَرَكُمَا بِالتَّقْوَى، وَحَدَّرَكُمَا مِنَ الْعِصْيَانِ، وَرَعَّبَكُمَا فِي الْجِنَانِ؟

{ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ } (الرحمن : 48)

48- والجنتان كبيرتان واسعتان، ذواتا أشجار وأغصانٍ نضرةٍ حسان، وثمارٍ ناضجةٍ شهيةٍ.

{ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 49)

49- فبأيِّ نعمٍ الله وآلائه تُكذِّبانِ أيُّها الثقلان، وقد أعدَّ لمحسِنِكما في الآخرة ما لا يخطرُ على البال، من الحُسن والجمال، واللذة والتَّعِيم، والسَّعادة الدَّائمة؟

{ فِيهِمَا عَيْنَانِ بَحْرَيَانِ } (الرحمن : 50)

50- في كُلِّ جَنَّةٍ مِنْهُمَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ مِنَ الْمَاءِ الزَّلَال.

{ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 51)

51- فبأيِّ نعمةٍ من نعم الله بَحْحَدَانِ أيُّها الإنسُ والجَانُّ، وقد أكرمَ مؤمنكما بما يُهيجُ نفوسَهما ويزيدُ من سعادتهما، من بساتينَ وعيونٍ مُنْفَجَّرةٍ، وحوَرٍ عِين، وفواكهٍ ممَّا يشتهون... جزاءً لهما وثواباً من عند الله على إيمانهما وطاعتهما في الدنيا؟

{ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ } (الرحمن : 52)

52- وفي كُلِّ جَنَّةٍ مِنَ الْجَنَّتَيْنِ صِنْفَانِ مِنَ الْفَاكِهَةِ، مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِهَا.

{ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 53)

53- فبأيِّ نعمةٍ من نعم ربكما تُكذِّبانِ أيُّها الثقلان، وقد هيأَ لمحسِنِكما في الجنةِ مِنَ الْفَوَاكِهِ وَالطَّعَامِ، ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ؟

{ مُتَّكِفِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ } (الرحمن : 54)

54- مُضْطَجِعِينَ فِي مَنَازِلِهِمْ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ دِيبَاجٍ نَخِينٍ جَمِيلٍ، وَظَاهِرُهَا أَحْسَنُ وَأَجْمَلُ، وَثَمَارُ الْجَنَّةِ قَرِيبَةٌ التَّنَاولِ مِنْهُمْ، مَتَى مَا شَاؤُوا تَنَاولُوهَا.

{ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 55)

55- فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ تَجْحَدَانِ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ، وَقَدْ أَتَابَكُمَا عَلَى أَعْمَالِكُمَا الْحَسَنَةَ خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَأَبْدَلَكُمَا بِتَعَبِ الدُّنْيَا وَالصَّبْرِ فِيهَا رَاحَةً وَسَعَادَةً فِي الآخِرَةِ؟

{ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُنَّ وَلَا جَانٌّ } (الرحمن : 56)

56- وَفِي هَذِهِ الْجَنَانِ حُورٌ جَمِيلَاتٌ، قَدْ اقْتَصَرَ نَظَرُهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ لَا يَرَيْنَ أَحْسَنَ مِنْهُنَّ فِي الْجَنَّةِ، وَهُنَّ أَبْكَارٌ، لَمْ يَطَّأهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ قَبْلَ أَزْوَاجِهِنَّ.

{ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 57)

57- فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ تَجْحَدَانِ أَيُّهَا الْإِنْسُ وَالْجَانُّ، وَقَدْ أَعَدَّ لِمُؤْمِنِكُمَا فِي الْجَنَّةِ مَا يُحِبَّانِ، وَمَا بِهِ يَأْتَسِرَانِ وَيَتَلَذَّذَانِ، بِأَفْضَلِ مِمَّا هُوَ فِي الدُّنْيَا، وَأَهْنَأُ وَأَلَذُّ.

{ كَأَنَّھُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ } (الرحمن : 58)

58- كَأَنَّھُنَّ الْيَاقُوتُ فِي صَفَائِهِ، وَالْمَرْجَانُ فِي حُسْنِهِ وَعَجَائِبِ وَصْفِهِ.

{ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 59)

59- فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ تُكَذِّبَانِ أَيُّهَا الْإِنْسُ وَالْجَانُّ، وَقَدْ رَغَّبَكُمَا فِيمَا تَشْتَهِيَانِ، لِتَعْمَلَا لِمَا يَبْقَى، وَوَعَدَكُمَا بِالْخُلُودِ فِي جَنَّاتٍ خَالِدَاتٍ، إِذَا أُطْعِمْتُمَا وَتُبِّئْتُمَا عَلَى الْإِيمَانِ؟

{ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } (الرحمن : 60)

60- أَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ أَحْسَنَ الْعَمَلِ فِي الدُّنْيَا أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْهِ فِي الآخِرَةِ؟

{ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 61)

61- فَبِأَيِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ رَبِّكُمَا تَجْحَدَانِ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ، وَقَدْ وَفَّى بَعْدِهِ مَعَكُمْ، وَزَادَ فِي إِحْسَانِهِ إِلَيْكُمَا، فَضَاعَفَ مِنْ أُجُورِكُمَا، وَأَثَابَكُمَا خَيْرًا مِمَّا عَمِلْتُمَا فِي الدُّنْيَا؟

{ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ } (الرحمن : 62)

62- وَمِنْ دُونِ الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فِي الْمَنْزِلَةِ وَالْفَضْلِ: جَنَّتَانِ أُخْرَيَانِ. فَالْأُولَيَانِ - كَمَا يَدُو - مِنْ ذَهَبٍ، آتَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، كَمَا مَرَّ فِي الْآيَةِ (46)، وَهُمَا لِلسَّابِقَيْنِ أَوْ الْمُقَرَّبَيْنِ، وَهَاتَانِ - كَمَا يَظْهَرُ - مِنْ فِضَّةٍ، آتَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَهُمَا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ.

{ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 63)

63- فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ تَجْحَدَانِ أَيُّهَا الْإِنْسُ وَالْجَانُّ، وَقَدْ عَلِمَ ضَعْفَ بَعْضِكُمَا وَقِلَّةَ هَمَّتَيْهِمَا، فَلَمْ يَحْرِمَهُمَا فَضْلَهُ فِي الْآخِرَةِ، مَا دَامَا كَانَا مُوَحَّدَيْنِ فِي الدُّنْيَا، فَأَنْعَمَ عَلَيْهِمَا بِالْجَنَّةِ كَذَلِكَ، وَلَكِنْ دُونَ دَرَجَةٍ مَنْ كَانُوا أَعْلَى هِمَّةً مِنْهُمَا فِي الطَّاعَةِ وَالْإِحْسَانِ، وَالِدَّعْوَةِ وَالْجِهَادِ.

{ مُدْهَمَّتَانِ } (الرحمن : 64)

64- وَهَاتَانِ الْجَنَّتَانِ شَدِيدَتَا الْحُضْرَةِ، حَتَّى إِتْمَمَا تَمِيلَانِ إِلَى السَّوَادِ مِنْ رِيَّتِهِمَا وَكَثْرَةِ مَا فِيهِمَا مِنْ أَعْشَابٍ، وَرِيَاحِينَ وَنَبَاتٍ، مُنْبَسِطَةٍ عَلَى أَرْضِهَا الْوَاسِعَةِ.

{ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 65)

65- فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ تُكَذِّبَانِ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ، وَقَدْ هَيَّأَ لَكُمَا فِي الْجَنَّةِ مِنْ جَنَسٍ مَا تُحِبَّانِ فِي الدُّنْيَا، مِنَ الْبَسَاتِينِ الْمَلِيئَةِ بِأَنْوَاعِ الْفَاكِهَةِ، وَالْأَنْهَارِ وَالْعُيُونِ الْمُنْفَجَّرَةِ، وَالرِّيَاحِينَ وَالْأَزْهَارِ الْجَمِيلَةِ، الَّتِي تُبْهِجُ النَّفْسَ وَتَسُرُّ الْقَلْبَ؟ فَاعْمَلَا صَالِحًا لِتَفُوزَا.

{ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ } (الرحمن : 66)

66- وفيهما عَيْنَانِ مِنَ الْمَاءِ فَوَارَتَانِ لَا تَنْقَطِعَانِ.

{ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 67)

67- فَبِأَيِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تُحَدِّدَانِ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَقَدْ أَعَدَّ لَكُمَا فِي الْآخِرَةِ -إِنْ أَحْسَنْتُمَا وَاتَّقَيْتُمَا - خَيْرَ مَا تَرْجَوَانِ، وَأَحْسَنَ مَا تَأْمَلَانِ، فِي جَنَّاتٍ عَالِيَةٍ، بِهَا عَيْونٌ تَزْحَرُ بِالْمَاءِ الزَّلَّالِ، فَتَمَلُّوا الْعَيْنَ جَمَالًا، وَالنَّفْسَ أَنْسًا وَهَجْعَةً، دَوَامًا.

{ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ } (الرحمن : 68)

68- وفيهما فاكهة كثيرة، ونخل ورمان، وهما أفضل الفواكه، ولهما الشرف على غيرهما.

{ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 69)

69- فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ تُكَذِّبَانِ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ، وَفِي الْجَنَّةِ أَشْكَالٌ وَأَلْوَانٌ مِمَّا عَرَفْتُمَا مِنْ فَوَاكِهِ الدُّنْيَا الَّتِي تُحِبَّانَهَا، وَتُكَذِّحَانِ فِي طَلِبِهَا، وَهِيَ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلُ وَأَكْثَرُ، وَأَمْتَعُ وَالذِّدُّ، وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمِنَالِ، سَهْلَةٌ الْمَأْخِذُ، وَلَا تَنْقَطِعُ وَلَا تَفْنَى؟ وَهِيَ لِمَنْ أَحْسَنَ وَاتَّقَى، وَأَخْلَصَ وَأَطَاعَ.

{ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ } (الرحمن : 70)

70- فِيهِنَّ نِسَاءٌ حِسَانُ الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ.

{ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 71)

71- فَبِأَيِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تُحَدِّدَانِ يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَقَدْ أَعَدَّ لِمُؤْمِنِكُمَا أَجْمَلَ النِّسَاءِ وَجْهًا، وَأَحْسَنَهُنَّ خُلُقًا وَتُحِبُّنَّ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ، وَهَذَا مِنْ أَكْثَرِ مَا تُحِبَّانِ وَتَشْتَهِيَانِ؟

{ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ } (الرحمن : 72)

72- وهنَّ جَمِيلَاتُ الْعُيُونِ جِدًّا، شَدِيدَاتُ بَيَاضِ بَيَاضِهَا، وَشَدِيدَاتُ سَوَادِ سَوَادِهَا، مُلَازِمَاتُ لِحْيَامِهِنَّ الْكَبِيرَاتِ الْجَمِيلَاتِ. وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى صَيَانَتِهِنَّ وَقَصْرِ حُبِّهِنَّ وَنَظَرِهِنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، فَلَا يَبْغِينَ عَنْهُمْ بَدِيلًا.

{ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 73)

73- فَبِأَيِّ نِعْمِ اللَّهِ تُكَذِّبَانِ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ، وَقَدْ جَعَلَ لِمَنْ اسْتَحَقَّ مِنْكُمَا الْجَنَّةَ: النِّسَاءَ الْجَمِيلَاتِ، الْمُتَّصِفَاتِ بِالْأَخْلَاقِ الطَّيِّبَةِ، وَالْعِشْرَةَ الْحَبِيبَةَ، وَقَدْ عَلِمَ أَنْ لَا صَبْرَ لَكُمَا بَدُونِهِنَّ؟

{ لَمْ يَطْمِئْتُهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ } (الرحمن : 74)

74- لَمْ يَقْرَأْنِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ قَبْلَ أَزْوَاجِهِنَّ فِي الْجَنَّةِ.

{ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 75)

75- فَبِأَيِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعْمِ اللَّهِ بَحْحَدَانِ يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجَانِّ، وَقَدْ جَعَلَ - لِمَنْ كَانَ لَهُ نَصِيبٌ فِي الْجَنَّةِ مِنْكُمَا - مَا يُودَّانِ فِي النِّسَاءِ وَيَرْغَبَانِ فِيهِنَّ، وَأَهْنَأُ وَأَلَدُّ؟

{ مُتَّكِبِينَ عَلَى رُفْرِفِ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ } (الرحمن : 76)

76- مُضْطَجِعِينَ عَلَى أَغْطِيَةِ خُضْرٍ، وَبُسْطٍ فَاحِرَةٍ عَجِيبَةِ الصُّنْعِ، رَائِعَةٍ فِي حُسْنِهَا، تَفُوقُ الوَصفَ.

{ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن : 77)

77- فَبِأَيِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعْمِ رَبِّكُمَا بَحْحَدَانِ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ، وَقَدْ زَيَّنَ الْجَنَّةَ لِمُؤْمِنِكُمَا حَتَّى بِالْفُرْشِ وَالْبُسْطِ وَالْأَسِرَّةِ وَالْوَسَائِدِ، أَحْسَنَهَا وَأَفْخَرَهَا، وَأَرْوَعَهَا وَأَجْمَلَهَا؟

{ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } (الرحمن : 78)

78- تَبَارَكَ اسْمُ اللَّهِ وَتَعَالَى شَأْنُهُ، وَدَامَ خَيْرُهُ وَفَضْلُهُ، وَهُوَ الْعَظِيمُ الْجَلِيلُ، مُكْرِمُ الْأَنْبِيَاءِ وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ.

* * *

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُورَةَ الرَّحْمَنِ عَلَى أَصْحَابِهِ حَتَّى فَرَّغَ قَالَ: "مَا لِي أَرَاكُمْ سُكُوتًا؟ لِلْجَنِّ كَانُوا أَحْسَنَ مِنْكُمْ رَدًّا، مَا قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَرَّةٍ {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} إِلَّا قَالُوا: وَلَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمَتِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ، فَلَكَ الْحَمْدُ". رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ وَصَحَّحَهُ.

اللَّهُمَّ وَلَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمَتِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ، فَلَكَ الْحَمْدُ.

سورة الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ } (الواقعة : 1)

1- إذا قامت القيامة، التي لا بُدَّ مِنْ وَقُوعِهَا.

{ لَيْسَ لَوْفِعَتِهَا كَاذِبَةٌ } (الواقعة : 2)

2- ليس لوقوعها كذب، أو صارفٌ يصرِفُهَا، بل هي وَقَعَةٌ صَادِقَةٌ، وَحَقٌّ لَا شُبُهَةَ فِيهِ.

{ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ } (الواقعة : 3)

3- تَخْفِضُ أَعْدَاءَ اللَّهِ إِلَى دَرَكَاتِ النَّارِ، وَإِنْ كَانُوا أَعَزَّاءَ فِي الدُّنْيَا، وَتَرْفَعُ أَوْلِيَاءَهُ إِلَى الْجَنَانِ الْعَالِيَةِ، وَإِنْ كَانُوا ضُعَفَاءَ فِي الدُّنْيَا.

{ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا } (الواقعة : 4)

4- إذا اهتزت الأرض وزلزلت زلزلاً شديداً، فاندك كلُّ بناءٍ عليها، وانهدم كلُّ ما فوقها.

{ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا } (الواقعة : 5)

5- وفتت الجبال فتاً.

{ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا } (الواقعة : 6)

6- فكانت عُبَارًا مُتَفَرِّقًا، كالذي يتورُّ ويُرى في شعاعِ الشَّمسِ إذا دخل الكوَّة.

{ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً } (الواقعة : 7)

7- وكنتم أصنافاً ثلاثة.

{ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ } (الواقعة : 8)

8- فأصحابُ الميمنة، الذين يُؤخذُ بهم ذاتَ اليمينِ إلى الجنة، ما حالهم وما وصفهم؟

{ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ } (الواقعة : 9)

9- وأصحابُ المشأمة، الذين يُؤخذُ بهم ذاتَ الشمالِ إلى الجحيم، ما حالهم وما وصفهم؟

{ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ } (الواقعة : 10)

10- والمبادرون إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحقِّ قبل غيرهم، أو السابقون إلى الخيرات والطاعات، هم السابقون إلى دارِ الكرامة والرضوان.

{ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ } (الواقعة : 11)

11- أولئك الذين نالوا الحظوة والمنزلة العالمة عند الله تعالى.

{ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ } (الواقعة : 12)

12- فِي جَنَّاتٍ عَالِيَةٍ، وَنَعِيمٍ دَائِمٍ.

{ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ } (الواقعة : 13)

13- وَهَمَّ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنَ الْأُمَّمِ الْمَاضِيَةِ، مِّنْ لَّدُنْ آدَمَ إِلَى زَمَانِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

{ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ } (الواقعة : 14)

14- وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ، مِّنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَابِقُو مَنْ مَضَىٰ أَكْثَرُ مِنْ سَابِقِينَا.

يَعْنِي لِكَثْرَةِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَكَانَتْ كَثْرَةُ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِيمَانِ لِكَثْرَتِهِمْ.

{ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ } (الواقعة : 15)

15- عَلَى أَسِرَّةٍ مَّنْسُوجَةٍ بِالذَّهَبِ، أَوْ مَضْفُورَةٍ وَمُشَبَّكَةٍ بِاللَّالِئِ وَالذَّرَرِ.

{ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ } (الواقعة : 16)

16- مُتَّكِنِينَ عَلَى تِلْكَ السُّرُرِ الْوَاسِعَةِ الْجَمِيلَةِ، وَجُوهُهُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، لَيْسَ أَحَدٌ وَّرَاءَ آخَرَ.

{ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وُلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ } (الواقعة : 17)

17- يَدُورُ عَلَيْهِمْ لِلخِدْمَةِ غِلْمَانٌ، لَا يَهْرَمُونَ وَلَا يَتَغَيَّرُونَ وَلَا يَتَحَوَّلُونَ عَنْهُمْ، وَهَمَّ مُخَلَّدُونَ مِثْلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

{ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ } (الواقعة : 18)

18- يَدُورُونَ عَلَيْهِمْ بِأَقْدَاحٍ وَأَبَارِيقٍ، وَخَمْرٍ مِّنْ عَيْنٍ جَارِيَةٍ لَا تَنْقَطِعُ.

{ لَا يُصَدِّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفِقُونَ } (الواقعة : 19)

19- لا تُصَدِّعُ رُؤُوسَهُمْ بِسَبَبِهَا، وَلَا تَذَهَبُ عُقُولَهُمْ مِنْ شُرْبِهَا مِثْلَ خَمْرِ الدُّنْيَا، مَعَ حُصُولِ اللَّذَّةِ وَشِدَّةِ الطَّرَبِ بِهَا.

{ وَفَاكِهَةٌ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ } (الواقعة : 20)

20- وَيَطُوفُونَ عَلَيْهِمْ بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَمُتَنَوِّعَةٍ، يَخْتَارُونَ مَا يَرْضَوْنَهُ مِنْهَا.

{ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ } (الواقعة : 21)

21- وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا تَرَعَّبُ فِيهِ نَفُوسُهُمْ وَتَمِيلُ إِلَيْهِ.

{ وَخُورٍ عَيْنٍ } (الواقعة : 22)

22- وَلَهُمْ فِيهَا خُورٌ ذَوَاتُ عَيْونٍ وَاسِعَةٍ جَمِيلَةٍ، بَيَاضُهَا شَدِيدُ الْبَيَاضِ، وَسَوَادُهَا شَدِيدُ السَّوَادِ.

{ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ } (الواقعة : 23)

23- وَهِنَّ بَيِضٌ مُشْرِقَاتُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّهِنَّ اللُّؤْلُؤُ الْمَحْفُوظُ فِي صَدْفِهِ، فِي بَيَاضِهِ وَصَفَائِهِ، لَمْ تَمَسَّهُ الْأَيْدِي.

{ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (الواقعة : 24)

24- ثَوَابًا مِنَ اللَّهِ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الْحَسَنَةِ فِي الدُّنْيَا.

{ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا } (الواقعة : 25)

25- لَا يَسْمَعُونَ فِي الْجَنَّةِ هَذَا نَا وَكَلَامًا لَا خَيْرَ فِيهِ، وَلَا مَا فِيهِ إِثْمٌ وَفُحْشٌ.

{إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً} (الواقعة : 26)

26- إِلَّا تَسْلِيمَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَكَثْرَتَهُ بَيْنَهُمْ.

{وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ} (الواقعة : 27)

27- وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ، الَّذِينَ يَسْلُكُونَ طَرِيقَ الْيَمِينِ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، مَا أَحْوَاهُمْ فِيهَا؟

{فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ} (الواقعة : 28)

28- إِنَّهُمْ بَيْنَ أَشْجَارِ النَّبِقِ الْمَثْمِرِ.

وأغصانُ هذا الشجرِ - في الدنيا - مُلْسٌ بِيضُ اللَّوْنِ، ذَاتُ أَوْراقٍ مَلْسَاءٍ، وَأَزْهَارُهَا صَغِيرَةٌ مُتَجَمِّعَةٌ. وَجَاءَ وَصْفُهُ = فِي الْآخِرَةِ - فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ: "يَخْضِدُ اللَّهُ شَوْكَهُ، فَيَجْعَلُ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ ثَمْرَةً، فَإِنَّمَا تُنْبِتُ ثَمْرًا تَفْتُقُ الثَّمْرَةَ مَعَهَا عَنِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ لَوْنًا، مَا مِنْهَا لَوْنٌ يُشْبِهُ الْآخَرَ". أخرجَهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ.

ونقل ابن كثير عن أبي النجّاد قوله: سِدْرُ الدُّنْيَا كَثِيرُ الشَّوْكِ قَلِيلُ الثَّمَرِ، وَفِي الْآخِرَةِ عَلَى عَكْسٍ مِنْ هَذَا، لَا شَوْكَ فِيهِ، وَفِيهِ الثَّمَرُ الْكَثِيرُ.

{وَوَطَّلِحُ مَنضُودٍ} (الواقعة : 29)

29- وَشَجَرِ الْمَوْزِ، الْمَتْرَاكِمِ ثَمْرُهُ، مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ. وَثَمْرُهُ أَعْظَمُ وَأَحْلَى.

{وَوَظِلٌّ مَمْدُودٌ} (الواقعة : 30)

30- وَظِلٌّ مُمْتَدٌّ مُنْبَسِطٌ طَوِيلٌ.

وصحَّ في الحديثِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِئَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، وَاقْرَءُوا إِنَّ شِئْتُمْ: {وَوَظِلٌّ مَمْدُودٌ}" . وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

{وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ} (الواقعة : 31)

31- وَمَاءٌ مَصْبُوبٌ يَجْرِي دَائِمًا.

{ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ } (الواقعة : 32)

32- وفاكهة كثيرة، ذات أنواع وأشكال متعددة، وألوان وطعم مختلف.

{ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ } (الواقعة : 33)

33- لا تقطع عنهم في وقت من الأوقات، ولا تمتنع منهم إذا أرادوا تناولها.

{ وَفُورٍ مَّرْفُوعَةٍ } (الواقعة : 34)

34- وفور عالية، منضدة ناعمة.

{ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً } (الواقعة : 35)

35- إنا أعدنا خلق نساء الدنيا خلقاً جديداً.

{ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا } (الواقعة : 36)

36- فجعلناهن عذارى أبكاراً.

{ غُرَبَاءَ أَتْرَابًا } (الواقعة : 37)

37- متحبات إلى أزواجهن، مستويات في السن.

{ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ } (الواقعة : 38)

38- أنشأناهن لأصحاب اليمين، الذين يسلكون طريق اليمين لدخول الجنة.

{ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى } (الواقعة : 39)

39- جماعة من الأولين من الأمم الماضية.

{ وَثَلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ } (الواقعة : 40)

40- وَجَمَاعَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ مِمَّنْ هَذِهِ الْأُمَّةُ.

{ وَأَصْحَابُ الشُّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشُّمَالِ } (الواقعة : 41)

41- وَأَصْحَابُ الشُّمَالِ، مَا أَخْبَارُهُمْ، وَكَيْفَ أَحْوَالُهُمْ؟

{ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ } (الواقعة : 42)

42- فِي رِيحٍ حَارَّةٍ تَوَثُّرُ تَأْتِيرِ السُّمِّ، وَمَاءٍ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ.

{ وَظِلٌّ مِّنْ يَّحْمُومٍ } (الواقعة : 43)

43- وَظِلٌّ شَدِيدِ السَّوَادِ، كَأَنَّهُ قَطَعُ فَحْمٍ.

{ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ } (الواقعة : 44)

44- لَيْسَ بَطِيْبٍ، وَلَا كَرِيمِ الْمَنْظَرِ، وَلَا نَافِعِ كَسَائِرِ الظُّلَالِ الَّتِي يُسْتَرَوِّحُ إِلَيْهَا.

{ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ } (الواقعة : 45)

45- إِنَّهُمْ كَانُوا فِي دَارِ الدُّنْيَا مُنْعَمِينَ مُرْفَهِينَ، مُنْهَمِكِينَ فِي الشَّهَوَاتِ.

{ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ } (الواقعة : 46)

46- وَكَانُوا يَتَعَمَّدُونَ الْكُفْرَ، وَيَحْلِفُونَ أَنَّهُمْ لَا يُعْتَنُونَ، وَلَا يُقْلَعُونَ عَنْ هَذَا الْإِثْمِ الْكَبِيرِ.

{ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَا لَمَبْعُوثُونَ } (الواقعة : 47)

47- وَكَانُوا يَقُولُونَ مُكْذِبِينَ بِالْمَعَادِ: إِذَا مِتْنَا، وَتَحَوَّلَتْ أَجْسَادُنَا إِلَى تُرَابٍ وَعِظَامٍ بِالْيَةِ، أَوْ

نُبْعَثُ مِنْ قُبُورِنَا مِنْ جَدِيدٍ؟

{ أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ } (الواقعة : 48)

48- وآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ، أَيْعَثُونَ أَيْضًا وَهُمْ أَكْثَرُ قِدَمًا، وَأَجْسَادُهُمْ أَكْثَرُ تَبَعُثًا وَتَحُلُلًا فِي التُّرَابِ؟

{ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ } (الواقعة : 49)

49- قُلْ لَهُمْ أَئِيهَا الرُّسُولُ، إنْكَارًا لِمَذْهَبِهِمْ، وَبَيَانًا لِلْحَقِّ: إِنَّ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْأُمَّمِ السَّالِفَةِ، وَالْآخِرِينَ مِنْكُمْ وَمَنْ يَأْتِي بَعْدَكُمْ،

{ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ مَّعْلُومٍ } (الواقعة : 50)

50- سَيُجْمَعُونَ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُجْمَعُونَ فِي عَرَصَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَعْلُومِ وَقْتُهُ عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا يَتَقَدَّمُ عَلَى مِيعَادِهِ وَلَا يَتَأَخَّرُ.

{ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ } (الواقعة : 51)

51- ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الزَّانِعُونَ عَنِ الْحَقِّ، الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ وَالْجِزَاءِ.

{ لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ } (الواقعة : 52)

52- لَا كِلُونَ فِي جَهَنَّمَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ، الْكِرْبَةِ الطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ، الَّذِي يَنْبُتُ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ.

{ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ } (الواقعة : 53)

53- فَمَالِئُونَ بُطُونَكُمْ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ.

{ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ } (الواقعة : 54)

54- فَشَارِبُونَ بَعْدَهُ مِنْ مَاءٍ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ.

{ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ } (الواقعة : 55)

55- فشاربون شرب الإبل العطاش التي أصابها الهيام. وهو داء يشبه الاستسقاء، يُصيب الإبل، فتشرب حتى تموت.

{ هَذَا نُزُهُم يَوْمَ الدِّينِ } (الواقعة : 56)

56- هذا هو ضيافتهم يوم القيامة، وهذا ما يُقدّم لهم جزاء ما عملوه في الدنيا.

{ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ } (الواقعة : 57)

57- نحن خلقناكم ولم تكونوا شيئاً، ألسنا قادرين على أن نُحييكم بعد موتكم كذلك؟ فهالاً صدقتُم بهذا وهو مثلُ الأول؟

{ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ } (الواقعة : 58)

58- أفرايتُم المني الذي تقدفونه في الأرحام؟

{ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ } (الواقعة : 59)

59- أنتُم تخلقون فيه الحيوانات المنيّة، ثم تُقدرون الجنين وتصورونه في الأرحام حتى يكون بشراً سوياً، أم أنه الله الخالق؟

{ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ } (الواقعة : 60)

60- نحن حكّنا وقضينا عليكم بالموت وقسمناه بينكم، فمنكم من يبلغ الهرم، ومنكم من يموت صبيّاً أو شابّاً، وجعلنا لموت كل واحدٍ منكم وقتاً مُعيّناً، ولسنا عاجزين عن أمر، ولا يغلبنا شيء،

{ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ } (الواقعة : 61)

62- على أن نُذهِبَكُم، ونَأْتِي بِخَلْقٍ مِثْلِكُم، وَنُخَلِّقُكُم فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ مِنَ الْخَلْقِ وَالْأَطْوَارِ وَالصُّورِ، وَالصِّفَاتِ وَالْأَحْوَالِ، الَّتِي لَمْ تَعْهَدُوهَا؟
واللَّهُ يُمِيتُ جِيالًا، وَيُبْدِئُهُمْ بِجِيلٍ آخَرَ، وَهَكَذَا قَرْنَا بَعْدَ قَرْنٍ، وَهَوَّ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَهُمْ بِصِفَاتٍ وَأَشْكَالٍ أُخْرَى، وَأَنْ يَبْعَثَهُمْ مِنْ جَدِيدٍ بَعْدَ الْمَوْتِ.

{وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ} (الواقعة : 62)

62- ولقد علمتم كيف نشأتم ولم تكونوا شايئين، فهلاً تذكركم أن الذي أنشأكم أوّل مرّة قادرٌ على إنشائكم مرّةً أُخرى بعد موتكم؟

{أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ} (الواقعة : 63)

63- أفرأيتُم الذي تحرثون من الأرض وتبذرون فيه الحبّ؟

{أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} (الواقعة : 64)

64- أنتم تُبْتِنُونَهُ فِيهَا، أَمْ نَحْنُ نُبْتِنُهُ وَنُنْمِيهِ حَتَّى يَكْتَمِلَ زَرْعُهُ؟ بَلْ نَحْنُ أَنْبَتْنَاهُ وَأَبْقَيْنَاهُ رَحْمَةً بِكُمْ.

{لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ} (الواقعة : 65)

65- لو نشاء لأبسناه وفتناه قبل استوائه، فلا يُنتفع به في مطعمٍ وغذاء، ولظللتم تتعجبون ممّا أصاب زرعكم، وتُنوعون الكلام في ذلك.

{إِنَّا لَمُعْرِمُونَ} (الواقعة : 66)

66- فتقولون تارة: إِنَّا الْمَلْفُونَ شَرًّا، أَوْ مُهْلِكُونَ.

{بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ} (الواقعة : 67)

67- وتقولون أُخرى: بَلْ لَا حِطَّ لَنَا فِي هَذَا الرِّزْقِ، فَنَحْنُ مَحْرُومُونَ مِنْهُ.

{ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ } (الواقعة : 68)

68- أفرايتُم هذا الماء العذب الذي تَشربونَه؟

{ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ } (الواقعة : 69)

69- أأنتم أنزلتموه من السحاب؟ بل نحن المنزلون بقدرتنا رحمةً بكم.

{ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ } (الواقعة : 70)

70- لو أردنا لجعلناه ملحًا زعاقًا لا يُطاق شربه، ولا يصلح لطعامٍ ولا زرع، فهلاً شكرتمُ لله فضله على هذا الماء العذب الرُّلال؟

{ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ } (الواقعة : 71)

71- أفرايتُم النار التي تقدحوها وتستخرجونها من الرِّناد؟

{ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ } (الواقعة : 72)

72- أأنتم أنبتم شجرها وأودعتم النار فيها، أم نحن أنشأناها بقدرتنا؟ وهو شجرُ المُرِّخ والعَفَّار، فيُقدح أحدهما بالآخر، فتتولدُ منهما النار، وهما رطبانٍ يقطرُ منهما الماء! وله وجهٌ في التفسير العلمي، ذُكر في الآية (80) من سورة يس.

{ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَذَاةً لِلْمُقِيمِينَ } (الواقعة : 73)

73- نحن خلقناها، وجعلناها موعظةً وتذكيرًا بنار جهنم، وبُليغَةً وَمَنْفَعَةً للمسافرين، الذين ينزلون القفار البعيدة عن العمران، ويضطرون إلى إشعالها، ليَهتدي بها الضلال، وتَهرب منهم السباع، ولغير ذلك.

أو أن المقصود: للمحتاجين إليها، من المقيمين والمسافرين، فالكلُّ يستخدمها.

ثُمَّ يَسِّرَ اللَّهُ الْحَصُولَ عَلَيْهَا بِطَرِيقٍ وَأَسَالِيبَ أَيْسَرَ، وَالْكُلُّ مِنْ نِعْمَتِهِ وَتَيْسِيرِهِ، فَلَهُ الْحَمْدُ وَلَهُ الشُّكْرُ.

{ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ } (الواقعة : 74)

74- فَنَزَّ اللَّهُ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَجْزٍ، وَوَحَّدَهُ، فَهُوَ الْخَالِقُ الْعَظِيمُ، الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَسَخَّرَهَا لِمَنْفَعَتِكُمْ.

{ فَلَا أُفْسِسُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ } (الواقعة : 75)

75- فَأُقْسِمُ بِأَمَاكِنِ النُّجُومِ، أَوْ مَسَاقِطِهَا وَمَغَارِبِهَا.

{ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ } (الواقعة : 76)

76- وَإِنَّهُ قَسَمٌ لَهُ مَدْلُولٌ عَظِيمٌ.

فلو كانت هذه الكواكب والنجوم في غير أماكنها لاختلط النظام الكوني، ولو كانت الشمس أبعد أو أقرب مما هي عليه الآن، لاستحالت الحياة على كوكب الأرض. ولمواقع النجوم أسرارٌ أخرى عظيمة، فلا يدركها الإنسان، ولا يمكن له أن يراها. فالنجوم التي تتراءى للإنسان في الليل هي انبثاق ضوءٍ مرَّ به النجم وغادره، وترك ضوءه يتحرك إلينا من ذلك الموقع. فضاء الشمس يصل إلينا بعد ثماني دقائق وثلاث الدقائق، وهي تجري بسرعة 19.4 كم في الثانية. وأقرب نجم إلينا بعد الشمس يبعد عنا 4.3 سنة ضوئية (والسنة الضوئية تُقدَّرُ بنحو 9.5 تريليون كم)، وإذا انبثق منه الضوء فإنه يصل إلينا بعد أكثر من خمسين شهرًا، ويكون النجم خلالها قد تحرك من مكانه مسافاتٍ شاسعة.

{ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ } (الواقعة : 77)

77- إِنَّهُ لَقُرْآنٌ عَزِيزٌ مُكْرَمٌ، لِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ.

{ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ } (الواقعة : 78)

78- في كتابِ مَصُونٍ مُعْظَمٍ عِنْدَ اللَّهِ، مَحْفُوظٍ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَمِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ، وَهُوَ اللُّوحُ الْمَحْفُوظُ.

{ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ } (الواقعة : 79)

79- لَا يَمَسُّ الْكِتَابَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَّا مَلَائِكَةُ اللَّهِ الْمُطَهَّرُونَ. وَلَا يَمَسُّ الْمَصْحَفَ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ إِلَّا مَنْ كَانَ عَلَى طَهَارَةٍ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَأَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ عَلَى مَنَعِ مَسِّهِ لِعَيْرِ الْمُتَوَضِّئِ.

{ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ } (الواقعة : 80)

80- مُنَزَّلٌ مِّنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَيْسَ سِحْرًا، وَلَا كَهَانَةً، وَلَا دِيْوَانَ شِعْرٍ، كَمَا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ.

{ أَفْبَهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ } (الواقعة : 81)

81- أفبهذا القرآن العظيم أنتم متهاونون ومكذبون؟

{ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ } (الواقعة : 82)

82- وَتَجْعَلُونَ بَدَلَ الشُّكْرِ - عَلَى مَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ - كُفْرًا، وَتَكْذِبُونَ فَتَنْسِبُونَهُ إِلَى غَيْرِهِ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَا مُطِرَ قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا أَصْبَحَ بَعْضُهُمْ كَافِرًا، يَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا. [وَالنَّوْءُ: النِّجْمُ. وَهُوَ لَا يُؤْتَرُ بِنَفْسِهِ]. وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ. ذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ أَنَّ إِسْنَادَهُ صَحِيحٌ إِلَيْهِ.

وهو مأخوذ من الحديث القدسي الصحيح: "أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ". وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ.

{ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُوفُومَ } (الواقعة : 83)

83- فهلاً إذا وصلتِ الرُّوحُ إلى الخُلُقوم، عندَ الاحتِضارِ ومُعالِجَةِ سَكَراتِ الموتِ،

{ وَأَنْتُمْ حِينئِدِ تَنْظُرُونَ } (الواقعة : 84)

84- وَأَنْتُمْ حِينئِدِ تَنْظُرُونَ إلى المِحْتَضِرِ، وهو يُقاسي شِدَّةً وَكْرَبًا حَتَّى تَخْرُجَ رُوْحُهُ،

{ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ } (الواقعة : 85)

85- وَنَحْنُ أَقْرَبُ إلى المِحْتَضِرِ مِنْكُمْ بِعِلْمِنَا وَحُضُورِ مَلَائِكَتِنَا، وَلَكِنْ لَا تُدْرِكُونَ ذَلِكَ،

{ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ } (الواقعة : 86)

86- فهلاً إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مُؤْمِنِينَ،

{ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (الواقعة : 87)

87- أَنْ تَرْجِعُوا الرُّوحَ الَّتِي بَلَغَتْ الخُلُقُومَ إلى مَكَانِهَا الأَوَّلِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي عَدَمِ اعْتِقَادِكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ؟ فَإِذَا لَمْ تَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ، فَاعْلَمُوا أَنَّ الأَمْرَ بِيَدِ اللَّهِ، فَاعْتَبِرُوا، وَأَمِنُوا.

{ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ } (الواقعة : 88)

88- فَأَمَّا إِنْ كَانَ المُتَوَفَّى مِنَ المُؤْمِنِينَ السَّابِقِينَ إلى عَمَلِ الخَيْرَاتِ وَالطَّاعَاتِ،

{ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ } (الواقعة : 89)

89- فَلَهُ رَاحَةٌ، وَرِزْقٌ، وَجَنَّةٌ عَالِيَةٌ يَنْعَمُ فِيهَا وَيَخْلُدُ.

{ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ } (الواقعة : 90)

90- وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، الَّذِينَ عَرَفُوا طَرِيقَهُمْ إلى الجَنَّةِ،

{ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ } (الواقعة : 91)

91- فَتَبَشَّرَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَتَقُولُ لِأَحَدِهِمْ: سَلَامٌ لَكَ يَا صَاحِبَ الْيَمِينِ، أَنْتَ فِي أَمَانٍ، وَنِعْمَةٌ وَإِكْرَامٌ.

{ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ } (الواقعة : 92)

92- وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْمُتَوَفَّى مِنَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، الرَّانِعِينَ عَنِ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَهَمَّ أَصْحَابُ الشَّمَالِ،

{ فَتَنْزِيلٌ مِّنْ حَمِيمٍ } (الواقعة : 93)

93- فَضِيافَتُهُ أَنْ يُقَدَّمَ إِلَيْهِ مَاءٌ مَّغْلِيٌّ شَدِيدُ الْحَرَارَةِ، يَشْرَبُهُ بَعْدَ أَكْلِ الرَّقُومِ!

{ وَتَصَلِيَةٌ جَحِيمٍ } (الواقعة : 94)

94- وَأَنْ يُدْخَلَ فِي النَّارِ، مَعَ إِقَامَةٍ دَائِمَةٍ فِيهَا، وَمُقَاسَاةِ أَلْوَانِ الْعَذَابِ بِهَا.

{ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ } (الواقعة : 95)

95- إِنَّ هَذَا الَّذِي ذُكِرَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، مِنْ صِفَةِ أَهْلِ النَّارِ وَصِفَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَاصَّةً، هُوَ الْخَبْرُ الْحَقُّ الْيَقِينُ، الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَا بُدَّ مِنْهُ.

{ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ } (الواقعة : 96)

96- فَادْكُرِ اللَّهَ وَنَزَّهُهُ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ، وَمِنَ الشُّرَيْكِ وَالْمِثِيلِ، وَقُلْ: سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ.

قَالَ عُمَةُ بْنُ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا نَزَلَتْ { فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ } قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ". رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَغَيْرُهُ.

* * *

وصحَّ في الحديثِ قوله صلى الله عليه وسلم: "شَيَّبْتَنِي هُودٌ، والواقِعة، والمرسَلات، وعمَّ
يتساءلون، وإذا الشمسُ كُورَتْ". رواه الترمذِيُّ والحاكِمُ وصحَّحه.

سورة الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (الحديد : 1)

1- نَزَّ اللَّهُ وَقَدَّسَهُ كُلُّ الْمَخْلُوقَاتِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْغَالِبُ الَّذِي لَا يُعْلَبُ، الْحَكِيمُ فِيمَا يَشْرَعُ وَيُقَدِّرُ.

فَالْمَخْلُوقَاتُ كُلُّهَا مُسَبَّحَةٌ مُقَدَّسَةٌ لِدَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَوْلًا وَفِعْلًا، طَوْعًا وَكَرْهًا، بِلِسَانِ الْحَالِ، أَوْ بِلِسَانِ الْمَقَالِ { وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ } (سورة الإسراء: 44).

{ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (الحديد : 2)

2- لَهُ كُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ مَوْجُودَاتٍ، خَلْقًا، وَمُلْكًا، وَتَدْبِيرًا، فَيُحْيِي وَيُمِيتُ بِقُدْرَتِهِ مِنْ شَاءٍ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

{ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (الحديد : 3)

3- هُوَ الْأَوَّلُ بِلَا ابْتِدَاءٍ، فَلَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَالْآخِرُ بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، فَلَا انْتِهَاءَ لَهُ، وَلَا انْقِضَاءَ لَوْجُودِهِ. وَهُوَ الظَّاهِرُ فِي وُجُودِهِ بِالذَّلَائِلِ القَطْعِيَّةِ، فَلَيْسَ فَوْقَ ظُهُورِهِ شَيْءٌ، لِدَلَالَةِ الآيَاتِ البَاهِرَةِ عَلَيْهِ. وَهُوَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ، فَلَا أَحَدٌ يُدْرِكُ كُنْهَهُ سُبْحَانَهُ، لَا عَقْلًا وَلَا حِسًّا. وَقَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ، وَلَا ظَاهِرٌ وَلَا بَاطِنٌ.

{ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَصْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (الحديد : 4)

4- هو الله الذي خلق السماوات والأرض، وما بينهما، في ستة أيام، ثم استوى على العرش، بالمعنى الذي أراده سبحانه. يعلم ما يدخل في باطن الأرض، من قطر الماء، وبذور النبات والشجر، والرّمال والصُّخور، والموتى من أصناف الحيوان... وما يخرج منها، من النبات والمعادن وغيرها: عدها، وكيفيتها، ووقتها، وأين تصير. ويعلم ما ينزل من السماء، من ملائكة، وأرزاق، وأمطار، وأضواء... ونحوها. وما يصعد فيها من الملائكة، والأرواح، والأعمال الصالحة... والله عالم بكم أينما كنتم، بصير بما تعملون من خيرٍ وشرٍ، في السرِّ والعلن.

{ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ } (الحديد : 5)

5- لله وحده ملك السماوات والأرض وما بينهما، وإليه وحده ترجع الأمور يوم القيامة، فيقضي بالحق والعدل، ويجزي كلًّا بما يستحق.

{ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } (الحديد : 6)

6- يدخل الليل في النهار، ويدخل النهار في الليل، ويأخذ من طول هذا فيزيد على قصر هذا، كلُّ بمقدارٍ وميزان. وهو عالم بما تخفي الصدور من سرائر، وإن دقت.

{ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ } (الحديد : 7)

7- آمنوا بالله ورسوله، واثبتوا على إيمانكم وداوموا عليه، وأنفقوا من المال الذي ملككم إياه واستخلفكم فيه، فقد كان لغيركم ووقع في أيديكم، وسيخرج من ملككم إلى غيركم، فالذين آمنوا وأخلصوا في إيمانهم، وأنفقوا أموالهم في طاعة ربهم، لهم ثواب عظيم.

{ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (الحديد : 8)

8- وما الذي يَمَنَعُكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالرُّسُولِ يَدْعُوكُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَقَدْ أَيْدَهُ اللَّهُ بِالْحُجَجِ وَالْمُعْجِزَاتِ، وَلَا يَدْعُوكُمْ إِلَّا إِلَى عِلْمٍ ظَاهِرٍ نَفَعَهُ، وَحَقٌّ بَاهِرٌ أَمْرُهُ، وَقَدْ بَايَعْتُمُوهُ وَأَعْطَيْتُمُوهُ الْمِيثَاقَ عَلَى ذَلِكَ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِهِ.

{هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} (الحديد : 9)

9- هوَ اللهُ الرَّحِيمُ بِكُمْ، الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، الْمُعْجِزَ فِي بَيَانِهِ وَأَحْكَامِهِ، لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالشُّرْكِ إِلَى نُورِ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ. وَاللَّهُ كَثِيرُ الرَّحْمَةِ بِالنَّاسِ، وَقَدْ وَسَّعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلِذَلِكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، لِهَدَايَتِكُمْ، وَلِمَا فِيهِ خَيْرٌكُمْ وَمَصْلَحَتُكُمْ، فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.

{وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (الحديد : 10)

10- وما الذي يَصْرِفُكُمْ عَنِ الْإِنْفَاقِ فِيمَا يُقَرَّبُكُمْ إِلَى اللَّهِ، وَأَنْتُمْ مَيِّتُونَ تَارِكُونَ أَمْوَالَكُمْ، وَاللَّهُ يَرِثُ كُلَّ شَيْءٍ مِّمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَلَا يَبْقَى لِأَحَدٍ مَالٌ فِيهِمَا، فَأَنْفَقُوا وَلَا تَخْشَوْا فَقْرًا، فَإِنَّ الَّذِي أَنْفَقْتُمْ فِي سَبِيلِهِ هُوَ مَالِكُ الْكُونَ كُلِّهِ، وَعِنْدَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. لَا يَسْتَوِي عِنْدَ اللَّهِ دَرَجَةٌ مَّنْ أَنْفَقَ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ وَقَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ رَسُولِهِ، فَأُولَئِكَ أَعْلَى دَرَجَةً وَأَعْظَمُ ثَوَابًا مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا بَعْدَ الْفَتْحِ وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ وَعَدَهُمُ اللَّهُ الْمَثُوبَةَ الْحُسْنَى، وَهِيَ الْجَنَّةُ. فَالْحَالُ قَبْلَ الْفَتْحِ كَانَ شَدِيدًا، وَبَعْدَ الْفَتْحِ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ وَقَوِيَ. وَاللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، خَبِيرٌ بِمَا تُظْهِرُونَ وَمَا تُسْرُونَ، وَيُجَازِي كُلًّا بِمَا عَمِلَ.

{مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ} (الحديد : 11)

11- الذي يُنْفِقُ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مِنْ جِهَادٍ وَغَيْرِهِ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ، بِإِخْلَاصٍ وَطَيْبِ نَفْسٍ، فَاللَّهُ يَقْبَلُ مِنْهُ، وَيُضَاعِفُ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ أضعافاً كثيرة، وله عند الله جزاءٌ كريمٌ مَرْضِيٌّ.

{ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (الحديد : 12)

12- في يوم القيامة بينما يكون الكافرون في رعبٍ وخوفٍ، ترى المؤمنين يمشي نورهم بين أيديهم وعن أيمنهم إذا مشوا، ويكون ذلك بحسب أعمالهم، ويقول لهم الملائكة: لكم البشرى جناتٍ وقصورٍ عالياتٍ تجري من تحتها الأنهار، ماكين فيها أبداً، وذلك هو الفوز والفلاح، والسعادة الكبرى.

{ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ } (الحديد : 13)

13- في ذلك اليوم العصيب، يقول المنافقون والمنافقات للمؤمنين: انتظرونا نستضيء من نوركم لئلا نحرق بكم. فيقال لهم: ارجعوا من حيث جئتم، من المكان الذي قُسم فيه النور، فاطلبوه لأنفسكم من هناك. فلم يجدوا شيئاً، فضرب بين الفريقين بحاجزٍ له باب، باطنه الذي يلي جانب المؤمنين فيه الجنة والنعيم، وظاهره من الخارج في جهة المنافقين العذاب والنار.

{ يٰۤاٰمَنِيْنَ هَلْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوْا بَلٰى وَكٰنَكُم فِتْنَةٌ اَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَاٰرَبْتُمْ وَاَعْرَبْتُمْ اَلْاَمَانِيْ حَتّٰى جَاءَ اَمْرُ اللّٰهِ وَاَعْرَبْتُمْ بِاللّٰهِ الْعُرُوْرُ } (الحديد : 14)

14- يُنادي المنافقون المؤمنين من وراء السور: أما كنا معكم في الدنيا، نُصلي معكم ونصوم، ونحضر الجمعة، ونشارك في القتال...؟ فقال لهم المؤمنون: بلى، كنتم معنا، ولكنكم أهلكتم أنفسكم بالنفاق، والمعاصي والشهوات، وصرتموها عن الهدى، ولم تعزموا على الحق

ولم تثبتوا عليه، وشككتكم في النبوة والبعث، وغرركم طول الأمل وحب الدنيا، ومازلتكم على ذلك حتى جاءكم الموت، وقد غرركم الشيطان وخذعكم عندما زين لكم موقفكم هذا في نفوسكم، حتى قذف بكم في النار.

{قَالِيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (الحديد : 15)

15- ففي يوم الجزاء هذا، لا يُقبل منكم بذلٌ وعوضٌ لثقتدوا به أنفسكم من النار، وقد آمنتم ظاهراً وكفرتُم باطناً، ولا من الذين كفروا ظاهراً وباطناً، ومصيركم جميعاً الجحيم، فهو سندكم وأولى بكم من كل مكان، وبئس هذا المرجع والمآب، الذي ليس فيه سوى العذاب والهوان.

{أَمْ يَأْنٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} (الحديد: 16)

16- ألم يحن للمؤمنين أن تلين وترق قلوبهم لذكر الله ومواعظه، وعند سماع القرآن والإنصات له، فيطيعوا ربهم، ولا يكونوا كاليهود والنصارى، الذين طال الزمان بينهم وبين أنبيائهم، فبدلوا كتبهم، واشتروا بآياتها ثمناً قليلاً، ومألوا إلى الدنيا، واتبعوا أهواءهم، وأعرضوا عن الموعظة، فقسَتْ قلوبهم فلم تقبل التذكير، ولم تَلن بوعده ووعيد، وكثيرٌ منهم خارجون عن حدود دينهم، بعيدون عن طاعة ربهم، فقلوبهم فاسدة، وأعمالهم باطلة.

{اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (الحديد : 17)

17- اعلموا أيها الناس، أن الله قادرٌ على إحياء الأرض بالمطر، بعد أن كانت يابسة هامدة، وكذلك هو قادرٌ على أن يهدي القلوب بعد موتها، ويُلينها بعد فسوتها، ويبعث فيها

الإيمان والخشوع. قد أوضحنا لكم الآيات، لتعلموا الحق وتعتقلوه، وترجعوا عن الباطل وتجتنبوه، وتتوبوا إلى ربكم، فهو خير لكم.

{ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَهُمْ أُجْرُ كَرِيمٍ }
(الحديد : 18)

18- إنَّ المتصدِّقين والمتصدِّقات بأموالهم على الفقراء وأهل الحاجة، بإخلاصٍ وطيبِ نفسٍ، يُضاعفُ لهم الأجر والثواب أضعافًا كثيرة، وهم عند ربهم جزاء حسنٌ وثوابٌ مرضيٌّ.

{ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } (الحديد : 19)

19- والذين آمنوا بالله، وجميع رسله، وثبتوا على إيمانهم، فأولئك هم الصديقون والشهداء من عباد الله الأخيار، الذين أكرمهم الله، لهم ثوابٌ عظيمٌ بما عملوا من العمل الصالح، ونورهم يسعَى بين أيديهم يوم القيامة، والذين كفروا بآياتنا وما أيّدنا به رسلنا من الآيات والمعجزات، هم من أهل جهنم، يُعذبون فيها بأنواع العذاب.

{ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مَصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورِ } (الحديد : 20)

20- اعلّموا أيها الناس، أنّ حاصل أمر هذه الدنيا عند أهلها المفتونين بها، أنّها لعبٌ باطلٌ لا يُرتجى منه ثمرةٌ حقٌّ وجدّ، وهو وفرح يشغل المرء عن المهم والأصلح، وزينة ومظهر لا يدومان، وافتخارٌ بأنسابٍ ومناصبٍ لا تبقى، ومباهاةٌ بكثرة أموالٍ وأولاد، وكل ذلك وشيك الزوال، كمثّل مطرٍ أعجب المزارعين لما يحضّل به من الإنبات والنمو، كما يُعجب الكفار المفتونين بزهره الحياة الدنيا، ثم يتحرّك ويتماوج هذا الزرع حتى يكبر ويشتد، ثم يجفّ، فتراه

مُصَفَّرًا بَعْدَ احْضِرَارٍ وَنَضَارَةٍ، ثُمَّ يَكُونُ هَشِيمًا يَابِسًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ، كَمَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ غَضًّا نَضِيرًا فِي أَوَّلِ عُمُرِهِ، ثُمَّ يَكْتَهِلُ وَيَشِيخُ وَيَضْعُفُ حَتَّى يَمُوتَ.

وَيَنْتَهِي أَمْرُ النَّاسِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ إِلَى تَنِيحَتَيْنِ: إِمَّا عَذَابٌ مُؤَلِّمٌ شَدِيدٌ، لِمَنْ غَفَلَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، فَالْتَهَى بِالدُّنْيَا وَكَفَرَ، وَإِمَّا مَغْفِرَةٌ وَرَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ، لِمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَأَطَاعَهُ. وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتْعَةٌ وَغُرُورٌ، لِمَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا وَاعْتَرَّتْ بِهَا.

{ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } (الحديد : 21)

21- تَنَافَسُوا فِي عَمَلِ الْحَيَاتِ، وَسَارِعُوا إِلَى مَا يُقَرَّبُكُمْ إِلَى اللَّهِ وَيَغْفِرُ بِهِ ذُنُوبَكُمْ، وَإِلَى جَنَّةٍ عَظِيمَةٍ وَاسِعَةٍ، عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ، هُيِّئَتْ لِلْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَهَذَا فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ وَعَطَاءٌ مِنْهُ، يُعْطِيهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللَّهُ فَضْلُهُ عَظِيمٌ، وَخَيْرُهُ عَمِيمٌ.

{ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } (الحديد : 22)

22- مَا حَدَثَ فِي الْأَرْضِ مِنْ مُصِيبَةٍ، كَقَحْطِ، وَطُوفَانِ، وَزَلْزَالِ، وَغَيْرِهِ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ: كَهَمٍّ، وَمَرَضٍ، وَفَقْدِ أَوْلَادٍ، وَغَيْرِهِ، إِلَّا وَهِيَ مَكْتُوبَةٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ قَبْلَ أَنْ نَخْلُقَ الْخَلْقَ. وَهَذَا سَهْلٌ يَسِيرٌ عَلَى اللَّهِ، فَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ.

{ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } (الحديد: 23)

23- أَعْلَمْنَاكُمْ بِذَلِكَ حَتَّى لَا تَحْزَنُوا وَتَأْسَفُوا عَلَى شَيْءٍ فَاتَكُمْ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ لَوْ قُدِّرَ لَكُمْ أَمْرٌ لَكَانَ، وَحَتَّى لَا تَفْرَحُوا وَتَبَطَّرُوا بِمَا أُعْطِينَاكُمْ مِنْهَا، فَإِنَّمَا هُوَ مِمَّا قَدَّرَهُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ، فَاشْكُرُوهُ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا تَفْرَحُوا وَلَا تَأْسَرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْمُتَكَبِّرَ فِي نَفْسِهِ، الْمَفْتَحِرَ عَلَى غَيْرِهِ بِمَالِهِ وَجَاهِهِ.

ذَكَرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَوْلَهُ: لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يَجْزَنُ وَيَفْرَحُ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ يَجْعَلُ مُصِيبَتَهُ صَبْرًا، وَغَنِيمَتَهُ شُكْرًا.

{ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيِّ الْحَمِيدُ } (الحديد : 24)

24- المختالون بالمال يبخلون بالنفقة في سبيل الله، حتى يتجمع عندهم المال أكثر، فيزدادون بطراً وطغياناً، ويحضون الناس على البخل كذلك، ويصرفونهم عن فعل الخير، ومن يعرض عن الإنفاق، فإن الله غني عن نفقته، ولا يضره الإعراض عن شكره، وهو محمود في ذاته، غني عن حمد الناس.

{ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } (الحديد : 25)

25- لقد أرسلنا رسلنا بالحق والمعجزات، والأدلة القاطعات، وأنزلنا الكتاب موحي بها من عند الله، والعدل، ليحكم الناس بالحق والعدل.

وأنزلنا الحديد من السماء، فيه قوة شديدة، تُصنع منه آلات الحرب القوية، وفيه منافع أخرى للناس في معاشهم ومصالحهم، فيدخل في صناعة أشياء كثيرة. ويعلم الله من ينصر دينه ورسله، ويجهد أعداءه، باستعمال آلات الحرب وغيرها، فهم يمثلون أمره ولو لم يروه تعالى، وهو القوي الذي لا يغالب، ينصر من نصره.

هذا، وقد ثبت لدى العلماء في هذا العصر أيضاً، أن الحديد أنزل إلى الأرض من السماء إنزالاً كما ورد في النص القرآني، وليس هو من مكونات الأرض الأصلية.

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ } (الحديد : 26)

26- ولقد أرسلنا نوحًا وإبراهيمَ إلى قومهما، وجعلنا في نسلهما النبوةَ، وأنزلنا عليهم الكتابَ، فمن هذه الدررِية مَنْ هو مُهتدٍ سالكِ طريقَ الحقِّ، وكثيرٌ منهم خارجونَ عن الطريقِ المستقيمِ.

{ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ } (الحديد : 27)

27- ثمَّ أرسلنا بعدهم رُسولاً بعدَ رُسول، وأتبعناهم بعيسى عليه السَّلام، وأنزلنا عليه الإنجيلَ - وليسَ هوَ الذي بينَ يدي النَّصارى اليومَ، فقدَ بدلوه وحرفوه - وجعلنا في قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ رِقَّةً وَخَشْيَةً، وَرَحْمَةً بِالْحَلْقِ، وَرَهْبَانِيَّةً اخْتَرَعُوهَا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، وَهِيَ الْمِبَالِغَةُ فِي الْعِبَادَةِ وَالانْقِطَاعُ عَنِ النَّاسِ وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا، مَا فَرَضْنَاهَا عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ أَلْزَمُوا بِهَا أَنْفُسَهُمْ يَتَّبِعُونَ بِذَلِكَ رِضْوَانَ اللَّهِ، فَمَا حَافِظُوا عَلَيْهَا، وَلَا قَامُوا بِحَقِّهَا، بَلْ ضَيَّعُوهَا، وَضَلُّوا وَأَشْرَكُوا، وَمِنْهُمْ مَنْ أَقَامَ عَلَى الدِّينِ الْحَقِّ، حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامُ فَأَمَنُوا بِهِ، فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ إِيمَانًا صَاحِحًا وَثَبَتُوا عَلَيْهِ ثَوَابَ إِيمَانِهِمْ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ خَارِجُونَ عَنِ الدِّينِ الْحَقِّ، مِمَّنْ ضَلُّوا سَابِقًا وَأَشْرَكُوا، وَمَنْ لَمْ يَأْمِنْ بِنَبْوَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلًا مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (الحديد : 28)

28- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، اخشوا اللهَ ولا تُخالفوا أمره، واثبتوا على الإيمانِ بالرُّسولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أرسَلَهُ اللهُ إليكم، يُؤْتِكُمْ أَجْرَيْنِ مِنْ عِنْدِهِ: لإيمانِكُمْ بالرُّسولِ المتقدِّمين، وبخاتمهم مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَيَرُدُّكُمْ نُورًا يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيكُمْ تَمْشُونَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَغْفِرُ لَكُمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ لِدُنُوبِ عِبَادِهِ التَّائِبِينَ، رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ.

{لَيْتَآ يَعْلمَ أَهلُ الكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ
مَن يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} (الحديد : 29)

29- لكي يعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أنهم لا يقدرُونَ على ردِّ ما منحَهُ اللهُ عبادةُ
المؤمنين، وأنَّهُ لا أجرَ لهم ولا نصيبَ في فضلِ اللهِ ورحمتهِ ما لم يؤمنوا برسولِهِ مُحَمَّدٍ صلى اللهُ
عليه وسلم، وأنَّ الرَّحْمَةَ والخَيْرَ كُلَّهُ بيدهِ سبحانه، يؤتيه مَن يَشَاءُ، واللهُ ذو الفضلِ الكبيرِ،
والخيرِ العميمِ، والرَّحْمَةِ الواسعةِ.

الجزء الثامن والعشرون

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة الممتحنة

سورة الصف

سورة الجمعة

سورة المنافقون

سورة التغابن

سورة الطلاق

سورة التحريم

سورة المجادلة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{قَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللّهِ وَاللّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللّهُ
سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (المجادلة : 1)

1- قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الْمَرْأَةِ الَّتِي تُرَاجِعُكَ الْكَلَامَ فِي شَأْنِ زَوْجِهَا، وَقَوْلِهِ لَهَا: "أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهِرِ أُمِّي"، وَتَشْتَكِي حَالَهَا إِلَى اللَّهِ وَتَقُولُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَلْتُ شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبُرْتُ سِنِّي، وَانْقَطَعَ وَلَدِي، ظَاهَرَ مِنِّي". وَاللَّهُ يَسْمَعُ مَا دَارَ بَيْنَكُمَا مِنْ حِوَارٍ بِشَأْنِ ذَلِكَ، إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ جَمِيعَ الْأَصْوَاتِ، وَإِنْ كَانَتْ خَفِيَّةً، وَيُبْصِرُ كُلَّ شَيْءٍ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَمْرٌ.

{ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّنْ نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْتَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ } (المجادلة : 2)

2- وَالْحَقُّ أَنَّ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ زَوْجَاتِهِمْ، وَيَقُولُ أَحَدُهُمْ لَزَوْجِهِ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهِرِ أُمِّي، لَسْنَا أُمَّهَاتِهِمْ، إِنَّمَا أُمَّهَاتُهُمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ هُنَّ اللَّائِي وَلَدْتَهُمْ، فَلَا يَصْرَنَ بِقَوْلِهِمْ هَذَا أُمَّهَاتَهُنَّ، وَمَا يَقُولُونَ مِنْ ذَلِكَ كَلَامٌ بَاطِلٌ شَرَعًا وَعَقْلًا، وَكَذِبٌ لَا يُطَابِقُ الْحَقَّ، وَحَرَامٌ قَوْلُهُ. وَاللَّهُ كَثِيرُ الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ لَذُنُوبِ عِبَادِهِ، إِنْ تَابُوا وَأَصْلَحُوا، وَلِذَلِكَ شَرَعَ لَهُمُ الْكَفَّارَةَ.

{ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } (المجادلة : 3)

3- وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ زَوْجَاتِهِمْ، ثُمَّ يَعْرِضُونَ عَلَى الْعَوْدَةِ إِلَى وَطْئِهِنَّ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَعْتِقُوا رَقَبَةً مِّن قَبْلِ الْجِمَاعِ، وَيَحْرُمُ الْوَطْءُ قَبْلَ التَّكْفِيرِ. ذَلِكَ مَا تُزَجَّرُونَ بِهِ مِنْ ارْتِكَابِ الْمُنْكَرِ الْمَذْكُورِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِظَوَاهِرِ أَحْوَالِكُمْ وَبَوَاطِنِهَا، خَبِيرٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ.

{ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (المجادلة : 4)

4- فَمَنْ لَّمْ يَمَلِكْ رَقَبَةً يُعْتِقُهَا وَلَا ثَمَنًا، فَعَلَيْهِ أَنْ يَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ قَبْلَ الْوَطْءِ، فَمَنْ ضَعُفَ عَنِ الصَّوْمِ، لِكِبَرٍ أَوْ مَرَضٍ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا. وَشَرَعْنَا ذَلِكَ الْحُكْمَ لِتَتَعَبَّوهُ وَتَعْمَلُوا بِهِ، وَتَتْرَكُوا مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ، مِنْ كَوْنِ الْمَرْأَةِ تُطَلِّقُ إِذَا ظَاهَرَهَا زَوْجُهَا. وَتِلْكَ الْأَحْكَامُ مُحَارِمُ اللَّهِ، فَالزَّمَوْهَا وَلَا تَتَعَدَّوْهَا، وَلِمَنْ كَذَّبَ بِهَا عَذَابٌ شَدِيدٌ.

{ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ } (المجادلة : 5)

5- إِنَّ الَّذِينَ يُعَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَيَكْفُرُونَ وَيُحَارِبُونَ الدِّينَ، أُخْزُوا وَرُذُّوا مَخْذُولِينَ كَمَا فُعِلَ
بَأَمْثَلِهِمْ مِنْ كُفَّارِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ مِنَ الْمُعَادِينَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَقَدْ أَيَّدْنَا الرُّسُلَ بِمُعْجَزَاتٍ تَدُلُّ عَلَى
صِدْقِ مَا جَاؤُوا بِهِ، وَحُجَّجٍ وَاضِحَاتٍ لَا يُخَالِفُهَا إِلَّا مُعَانِدٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَلَمِنْ اسْتَكْبَرَ عَنِ الْإِيمَانِ
بَتَلَكَّ الْآيَاتِ، وَلَمْ يَتَّبِعْ شَرَعَ اللَّهِ، عَذَابٌ يُهَيِّئُهُمْ وَيُذِئُهُمْ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ.

{ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَلْخَصَاءُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ } (المجادلة : 6)

6- يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيَجْمَعُهُمْ كُلَّهُمْ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُحَاسِبُهُمْ، وَيُخْبِرُهُمْ بِمَا
عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَقَدْ أَحْصَى اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَحَفِظَهَا عَلَيْهِمْ، وَنَسُوا هُمْ مَا عَمِلُوهُ، وَاللَّهُ لَا
يَنْسَى أَمْراً، وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ، بَلْ هُوَ شَاهِدٌ يَسْمَعُ كُلَّ مَا تَقُولُونَ، وَيُصِرُّ كُلَّ مَا تَعْمَلُونَ.

{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ
رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا
ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (المجادلة : 7)

7- أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مَا يَكُونُ
مِنْ إِسْرَارِ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ بِالْعِلْمِ بِهِ، وَلَا يَتَنَاجَى خَمْسَةً إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ بِعِلْمِهِ، وَلَا
بِنَجْوَى أَقَلِّ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ، كَالسَّتِّ وَمَا فَوْقَ، إِلَّا هُوَ يَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَيَعْلَمُ مَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ،
فِي أَيِّ مَكَانٍ كَانُوا، ثُمَّ يُخْبِرُهُمْ يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ بِمَا عَمِلُوهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَاللَّهُ عَالِمٌ بِكُلِّ
شَيْءٍ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَمْرٌ.

{ أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ هُوَ عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُتُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَمِنْهَا الْمَصِيرُ } (المجادلة : 8)

8- ألم تر إلى اليهود الذين منعوا من التناجي دون المؤمنين فيما يسوؤهم، ثم يرجعون إلى المناجاة التي هتوا عنها، ويتحدثون فيما بينهم بما يكون وبالاً عليهم، وفيه تعدد على المؤمنين، ومخالفة لأمر الرسول عليه الصلاة والسلام؟

وإذا جاؤوك أسأؤوا الأدب في إلقاء تحيتهم إليك، وحيوا بتقيض ما أمر الله به، وقالوا: "السأم عليك"، ويُسِرُّ بعضهم لبعض قائلين: هلاً يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بسبب ذلك، فلو كان محمد نبياً حقاً لأوحى ربه بذلك وعذبنا به؟ يكفيهم نار جهنم عذاباً ونكالاً، التي يصلونها ويُعذَّبون فيها، وبئس المرجع والمآل الذي يصيرون إليه، وقد جمع لهم فيه كل عذابٍ وشقاء.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } (المجادلة : 9)

9- أيها المؤمنون، إذا تناجيتكم في مجالسكم وأنديتكم، فلا تتناجوا بما فيه إثم وتعد على حقوق الآخرين، ومخالفة لسنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، كما يفعل اليهود والمنافقون، ولكن تناجوا وتباحثوا بما فيه خير ومنفعة وإحسان، واحشوا الله وانتهوا عما نهاكم عنه، فإليه تُحشرون، ليحاسبكم على ما تعملون.

{ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } (المجادلة : 10)

10- إنما التناجي بالإثم والعدوان، أو بما يشعر المؤمنون أنه لسوء بهم، هو من تسويل الشيطان وتزيينه، ليحزهم بذلك، ولن يضُرَّ الشيطان أو التناجي المؤمنين شيئاً، إلا بإرادة الله ومشيئته، وعلى الله فليعتمد المؤمنون، ولا يبالوا بنجواهم.

وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يُحزُّه". رواه مسلم.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأْفَسَّحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } (المجادلة : 11)

11- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِذَا قَالَ لَكُمْ قَائِلٌ: تَوَسَّعُوا فِي الْمَجَالِسِ، فَلْيَفْسَحْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِيهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يُوسِّعُ لَكُمْ فِي رَحْمَتِهِ بِكُمْ، أَوْ فِي مَنَازِلِكُمْ بِالْجَنَّةِ.

عَنِ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ "نَهَى أَنْ يُقَامَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَيَجْلِسَ فِيهِ آخَرَ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ انْهَضُوا إِلَى خَيْرٍ فَأَجِيبُوا وَلَا تَتَكَاسَلُوا، كَالْقِيَامِ إِلَى الصَّلَاةِ، وَالْجِهَادِ، وَمَجَالِسِ الْخَيْرِ.

وَلَا تَتَطَنَّوْا أَنْ تَكُونَ إِجَابَتُكُمْ لِفِعْلِ خَيْرٍ نَقَصًا فِي حَقِّكُمْ، بَلْ هُوَ فَضِيلَةٌ فِيكُمْ، فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ يُثَبِّتُكُمْ عَلَى تَوَاضُعِكُمْ وَامْتِنَالِكُمْ لِأَمْرِهِ، وَيَرْفَعُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ بِطَاعَتِهِمْ وَاسْتِجَابَتِهِمْ لِأَدَبِ الْإِسْلَامِ، وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ بِفَضْلِ عِلْمِهِمْ وَسَابِقَتِهِمْ وَامْتِنَالِهِمْ أَمَرَ اللَّهُ، دَرَجَاتٍ كَبِيرَةً، تَكْرِيمًا لَهُمْ. وَأَهْلُ الْعِلْمِ هُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ مَعْرِفَةً بِآدَابِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ، وَتَعْلِيمِهَا، وَالْعَمَلِ بِهَا. وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِأَحْوَالِكُمْ، خَبِيرٌ بِمَا تُسْرُونَ وَتُعْلِنُونَ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْكُمْ بِخَوَاتِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (المجادلة : 12)

12- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِذَا أَرَدْتُمْ الْمِنَاجَاةَ مَعَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ⁽¹⁴³⁾ فَتَصَدَّقُوا قَبْلَ ذَلِكَ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ ثَوَابًا لَكُمْ، وَهُوَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَأَرْكَى لِنُفُوسِكُمْ، فَمَنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ فَلَا بَأْسَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ وَيَرْحَمُهُ.

(143) { نَاجَيْتُمُ } أي: يسأله فيما بينه وبينه. (ابن كثير).

قال صاحب "روح المعاني": في هذا الأمر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم، ونفع للفقراء، وتمييز بين المخلص والمنافق، ومحبة الدنيا ومحبة الآخرة، ودفع للتكاثر عليه صلى الله عليه وسلم من غير حاجة مهمة.

ثم رفع أمر الوجوب في هذه الصدقة، الذي لم يدم إلا ساعة من نهار، ونسخ بالآية التالية.

{ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (المجادلة : 13)

13- هل خفتكم من استمرار وجوب الصدقة عليكم قبل مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وخشيتم من الفقر لأجل ذلك؟ فإذا لم تفعلوا ما أمرتم به وشق ذلك عليكم، وتاب الله عليكم، ولم يعاقبكم بترك الصدقة، ورخص لكم المناجاة بدونها، فاعملوا بما أمركم به، من المواظبة على إقامة الصلاة، وإعطاء حقوق الفقراء والمحتاجين من زكاة أموالكم، وأطيعوا الله والرسول في سائر الأوامر، والله عليم بأحوالكم، خبير بما تسرون وما تعلنون.

{ أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (المجادلة : 14)

14- ألم تنظر إلى المنافقين الذين يقولون إنهم معكم، وقد وآوا اليهود الذين غضب الله عليهم، وناصرهم ونقلوا أسرار المؤمنين إليهم؟ فهم ليسوا منكم في الدين والولاية، ولا من اليهود والكافرين، بل هم مذنبون بين هؤلاء وهؤلاء، ويتسمون على أمر كذب، وهم يعلمون أن ما أقسموا عليه كذب ومهتان.

{ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (المجادلة : 15)

15- هيأ الله لهم عذاباً مؤلماً بسبب صنيعهم السيء هذا، وموالاتهم لأعداء الدين، ومعاداتهم للمؤمنين وغشهم لهم.

{ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ } (المجادلة : 16)

16- لقد أظهر المنافقون الإيمان وأسروا الكفر، واتخذوا الحلف بالكذب عند الحاجة وقايةً وسِتْرًا لهم عن المؤاخدة والمحاسبة، وظنَّ مَنْ لم يعرفهم واغترَّ بهم أنَّهم صادقون، فقد كان المنافقون يَحْتُونَ على العصيان، ويمنعون من الجهادِ بالمالِ والنفس، فلهم عذابٌ يُهينهم ويُجزبهم يومَ القيامةِ بسببِ ذلك.

{ لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (المجادلة : 17)

17- لَنْ يَنْفَعِ الْمُنَافِقِينَ شَيْءٌ مِمَّا جَمَعُوا مِنْ أَمْوَالٍ، وَشَيْدُوهُ مِنْ قُصُورٍ، وَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَوْلَادُهُمْ وَذُرَارِيهِمْ أَنْ يَمْنَعُوا عَنْهُمْ بِأَسَ اللَّهِ وَعَذَابِهِ، وَسَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ إِلَى النَّارِ الْمَحْرِقَةِ، الَّتِي تَأْتِي عَلَى وُجُوهِهِمْ وَأَفْتَدَتِهِمْ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا.

{ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ } (المجادلة : 18)

18- يَحْشُرُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَاذِبِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ إِيمَانٍ وَاسْتِقَامَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُشْرِكِينَ، كَمَا كَانُوا يَحْلِفُونَ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ مِثْلَكُمْ، وَيُظَنُّونَ أَنَّ الْحِلْفَ الْكَاذِبَ سَيَنْفَعُهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ كَمَا كَانُوا يَتَخَلَّصُونَ بِهِ مِنَ الْمُواخَذَةِ فِي الدُّنْيَا، وَاللَّهُ يَعْلَمُ كَذِبَهُمْ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ حَالُ الْمُنَافِقِينَ، وَمَا يُسْرُونَ بِهِ أَوْ يُعْلِنُونَ.

{ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ } (المجادلة : 19)

19- غَلَبَ عَلَى قُلُوبِهِمُ الشَّيْطَانُ، وَاسْتَوَلَىٰ عَلَىٰ عُقُولِهِمْ بِوَسْوَاسَتِهِ وَكَيْدِهِ حَتَّىٰ وَافَقُوهُ وَاتَّبَعُوهُ، فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ بِمَا زَيَّنَ لَهُمْ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالْهَاهُمْ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، فَأُولَئِكَ جُنُودُ الشَّيْطَانِ وَاتَّبَاعُهُ، أَلَا إِنَّ اتِّبَاعَهُ هُمُ الْخَاسِرُونَ الْمَغْبُونُونَ، الَّذِينَ فَوَّتُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمُ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ، وَاسْتَعَاضُوا بِهِ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ.

{ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ } (المجادلة : 20)

20- إِنَّ الَّذِينَ يُعَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحَارِبُونَ الدِّينَ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ، أُولَئِكَ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ الْمُهَانِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.

{ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } (المجادلة : 21)

21- قَضَى اللَّهُ وَحَكَمَ أَنَّ النُّصْرَةَ لِلَّهِ وَرُسُلِهِ، بِالْحُجَّةِ وَالدَّلِيلِ، وَبِالْجِهَادِ وَالْقِتَالِ، وَقَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ أَقْوَامًا مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا أَنْبِيَاءَهُمْ وَكَفَرُوا بِرِسَالَاتِ رَبِّهِمْ، وَاللَّهُ قَوِيٌّ عَلَى نَصْرِ رَسُولِهِ، عَزِيزٌ غَالِبٌ عَلَى أَعْدَائِهِ.

{ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ
أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ
حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (المجادلة : 22)

22- لَا تَجِدُ أَحَدًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ - بِصِدْقٍ وَإِحْلَاصٍ - يُوَالُونَ وَيُصَادِقُونَ
أَعْدَاءَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءُ آبَاءَهُمْ، أَوْ أَبْنَاءَهُمْ، أَوْ إِخْوَانَهُمْ، أَوْ قَبِيلَتَهُمْ
وَعَشِيرَتَهُمْ، أَوْ أَيًّا مِنْ أَقَارِبِهِمْ، فَالْعَقِيدَةُ أَهْمٌ مِنَ النَّسَبِ، وَمَنْ وَالَاهُمْ فَهُوَ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
وَالَّذِينَ لَا يُوَادُّوهُمْ وَلَوْ كَانُوا أَقْرَبِيَاءَهُمْ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ أَثَبَتَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ لَهُمْ،
فَهُمْ مُوقِنُونَ مُخْلِصُونَ، وَقَوَاهُمْ بِرُوحٍ مِنْ عِنْدِهِ⁽¹⁴⁴⁾، لِيَحْصُلَ لَهُمُ الطَّمَأْنِينَةُ وَالثَّبَاتُ عَلَى
الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ جَنَّاتٍ عَالِيَاتٍ وَسِعَاتٍ، تَجْرِي فِي خِلَالِهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ
زُلَالٍ، وَمِنْ لَبَنٍ، وَعَسَلٍ، وَخَمْرٍ لَذِيذٍ لَا يُسْكَرُ، مُخَلَّدِينَ فِيهَا أَبَدًا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بَطَاعَتِهِمْ

(144) { وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ } : قَوَاهُمْ بِنَصْرِ مِنْهُ. قَالَ الْحَسَنُ: سَمِّيَ نَصْرُهُ إِتَاهُم (رُوحًا) لِأَن أَمْرَهُمْ يَحْيَا بِهِ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: يَعْنِي بِالْإِيمَانِ. وَقَالَ الرَّبِيعُ: يَعْنِي بِالْقُرْآنِ وَحِجَّتِهِ، كَمَا قَالَ: { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا } [سورة الشورى: 52]، وَقِيلَ: بِرَحْمَةٍ مِنْهُ. وَقِيلَ: أَمَدَّهُمْ بِجَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. (البغوي).

الروح هنا ما به كمال نوع الشيء، من عمل أو غيره، وروح من الله: عنايته وطفه. (التحرير والتنوير).

له، فَأَتَاهُمُ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ، وَرَضُوا عَنْهُ بِمَا آتَاهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَالرَّضْوَانِ، أَوْلَيْكَ عِبَادُ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ كِرَامَتِهِ، أَلَا إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِينَ، هُمُ السُّعْدَاءُ الْفَائِزُونَ.

سورة الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (الحشر : 1)

1- نَزَّ اللَّهُ وَوَحَّدَهُ كُلُّ الْمَخْلُوقَاتِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْغَالِبُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ، الْحَكِيمُ فِيمَا يَشْرَعُ وَيُقَدِّرُ.

فَالْمَخْلُوقَاتُ كُلُّهَا مُسَبَّحَةٌ مُقَدَّسَةٌ لِدَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَوْلًا وَفِعْلًا، طَوْعًا وَكَرْهًا، بِلِسَانِ الْحَالِ، أَوْ بِلِسَانِ الْمَقَالِ { وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ } [سورة الإسراء: 44].

{ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ بِيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ } (الحشر

(2 :

2- لما قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ هَادِنَ بَنِي النَّضِيرِ مِنَ الْيَهُودِ، وَأَعْطَاهُمْ عَهْدًا وَذِمَّةً أَنْ لَا يُقَاتِلَهُمْ وَلَا يُقَاتِلُوهُ، وَلَكِنَّهُمْ نَقَضُوا الْعَهْدَ، وَنَاصَرُوا قُرَيْشًا ضَدَّ الْمُسْلِمِينَ، فَأَحْلَى اللهُ بِهِمْ بِأَسْهٍ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ حُصُونِهِمْ الْحَصِينَةَ...

الله الذي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ مِنْ دِيَارِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، فِي أَوَّلِ حَشْرِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ إِلَى الشَّامِ. فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ إِجْلَاءٍ لَهُمْ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ أَجْلَى آخِرَهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. مَا ظَنَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ حِصَارِكُمْ لَهُمْ أَنْ يُخْرِجُوا مِنْ حُصُونِهِمْ الْمَيْعَةَ بِسُهُولَةٍ، لَشِدَّةِ بِأَسْهَمٍ وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَعُدَّتِهِمْ، وَظَنُّوا هُمْ أَنْ حُصُونَهُمْ الْقَوِيَّةَ تَمْنَعُهُمْ مِنْ بِأَسِ اللهِ، فَجَاءَهُمْ أَمْرُهُ بِمَا لَمْ يَخْطُرُ لَهُمْ بِيَالٍ، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ الْهَلَعَ وَالْخَوْفَ الشَّدِيدَ، وَصَارُوا يُخْرَبُونَ مَا فِي بُيُوتِهِمْ لِفَلَا يُسْتَفِيدَ مِنْهَا الْمُسْلِمُونَ، وَلِيَنْقُلُوا مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مَعَهُمْ، وَيُخْرِجُوا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْخَارِجِ، لِيُوهِنُوهُمْ وَيَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ. فَاتَّعَظُوا يَا أَهْلَ الْعُقُولِ وَالْبَصَائِرِ، وَتَفَكَّرُوا فِي عَاقِبَةِ مَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللهِ وَرَسُولِهِ كَيْفَ يَجِلُّ بِهِمْ بِأَسْهٍ، وَمَا أُعِدَّ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ أَكْبَرُ وَأَفْظَعُ.

{وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبْتُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ} (الحشر : 3)

3- ولولا أن الله قضى بجلأهم وإخراجهم من ديارهم وأموالهم، لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي، كما فعل بإخوانهم بني قريظة، وهم في الآخرة عذاب شديد.

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (الحشر : 4)

4- ذلك بأنهم خالفوا أمر الله وعادوا رسوله، ومن يخالف أمر الله، فإن عقابته شديد، وعذابه أليم.

{مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِيْنَةٍ أَوْ نَزَعْتُمْهَا فَأِنَّكُمْ عَلَىٰ أَسْوَأِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} (الحشر : 5)

5- ما قَطَعْتُمْ مِنْ خَلْعَةٍ مِنْ نَحْلِهِمْ، أَوْ أَبْقَيْتُمُوهَا كَمَا كَانَتْ، فبِإِذْنِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَلِيُذِلَّ الْيَهُودَ الْكَافِرِينَ وَيُرْغِمَ أُنُوفَهُمْ وَيُنزِلَهُمْ مِنْ حُصُونِهِمْ.

{ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (الحشر : 6)

6- وما ردَّ اللهُ على رسوله من أموال يهود بني النضير ولم تُوزَّعْ على المجاهدين منكم، فلا تُنكَمُ لم تُقاتلوا الأعداء، ولم تُسرِّعوا بخيلٍ وإبلٍ وتلاحقوهم في معركة، فأفأها اللهُ على رسوله صلى اللهُ عليه وسلم، فتصرَّفَ فيها كما شاء، وردَّها على مصلح المسلمين. والله يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَقَدْ سَلَّطَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ خَالَفُوا الْعَهْدَ، فَأَذَلَّهُمْ، وَاللَّهُ قَدِيرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ، لَا يُغَلَبُ وَلَا يُفْهَرُ.

{ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (الحشر : 7)

7- وما أعادَهُ اللهُ على رسوله من جميع البلدان التي تُفتَحُ هكذا، من دون قتالٍ يُذكر، فحُكْمُهُ حُكْمُ أَمْوَالِ بَنِي النَّضِيرِ: يُقَسَّمُ خَمْسَةً أَخْمَاسَ: خُمُسٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، فَيَصْرِفُهُ كَمَا يَشَاءُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَخُمُسٌ لِدَوِي قَرَابَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمراد: بنو هاشمٍ وبنو عبدالمطلب، وِخُمُسٌ لِلْيَتَامَى الَّذِينَ فَقَدُوا آبَاءَهُمْ وَهُمْ مازالوا صِغَارًا، وَخُمُسٌ لِلْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَخُمُسٌ لِابْنِ السَّبِيلِ الْمُنْقَطِعِ فِي سَفَرِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى لَا يَكُونَ الْفَيْءُ مُتَدَاوِلًا بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ خَاصَّةً (حيثُ كَانَ الرُّؤَسَاءُ وَالْأَغْنِيَاءُ يَحُوزُونَ الْعَنِيمَةَ دُونَ غَيْرِهِمْ)، فَيَسْتَأْثِرُونَ بِهِ وَلَا يَصْرِفُونَهُ إِلَى الْفُقَرَاءِ.

وما أمركم الرسول به فافعلوه، وما نهاكم عنه فاجتنبوه، واحشوا الله وابتعدوا من مخالفته، والله شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره.

قال ابن الجوزي في "التواسخ": اختلف العلماء فيما يُصنع بسهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، فقال قوم: هو للخليفة بعده، وقال قوم: يُصرف في المصالح، فعلى هذا تكون هذه الآية مُبيّنة لحكم الفَيء، والتي في الأنفال مُبيّنة لحكم الغنيمة، فلا يتوجّه النَّسخ. ويُراجِع تفسير الآية (41) من سورة الأنفال لمعرفة الفرق بين الفَيء والغنيمة، وتقسيمهما.

{ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يُبْتَغُونَ فِضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (الحشر : 8)

8- فيكون الفَيء للفقراء من المهاجرين، الذين أخرجهم كفار مكة من ديارهم وأموالهم، وهم يطلبون من الله رزقاً في الدنيا ومرضاه في الآخرة، ويتنصرون لدين الله ويُطيعون رسوله، فأولئك هم الصادقون في إيمانهم حقاً.

{ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (الحشر : 9)

9- والأنصار الذين اتخذوا دار الهجرة منزلاً وسكناً قبل المهاجرين، وآمنوا قبل كثير منهم، يُحِبُّونَ إخوانهم الذين هاجروا إليهم، ويؤاسوهم، ولا يتبرمّون من حوائجهم، ولا يجدون في نفوسهم حسداً لهم مما أعطوا من فيءٍ وغيره، ويُفضّلونهم على أنفسهم في كلِّ شيء، ولو كان بهم حاجة، ومن منع نفسه من البخل والحريص على المال، فقد أفلح وفاز. وفي حديث جابر المرفوع قوله صلى الله عليه وسلم: "واتقوا الشُّحَّ، فإنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم". رواه مسلم. والشُّحُّ أشدُّ البخل، وأبلغ في المنع من البخل. وفيه أقوال أخرى ذكرها النووي في شرحه على صحيح مسلم.

{ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } (الحشر : 10)

10- والذين جاؤوا بعد المهاجرين والأنصار، واتَّبَعُوا آثَارَهُمُ الْحَسَنَةَ، يَقُولُونَ فِي دُعَائِهِمُ الطَّيِّبِ مَا تَفْسِيرُهُ: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَإِخْوَانِنَا فِي الدِّينِ، الَّذِينَ سَبَقُونَا بِفَضِيلَةِ الْإِيمَانِ بِكَ وَبِرَسُولِكَ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا حَسَدًا وَبُغْضًا لِلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنَا إِنَّكَ كَثِيرُ الرَّحْمَةِ بِالنَّاسِ، قَدْ وَسَّعْتَ رَحْمَتَكَ كُلَّ شَيْءٍ.

{ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } (الحشر : 11)

11- أَلَمْ تَنْظُرْ إِلَى الْمُنَافِقِينَ كَيْفَ يَتَصَرَّفُونَ، وَيَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ فِي الْعَقِيدَةِ مِنَ الْكَافِرِينَ الْيَهُودَ: لَئِن أُخْرِجْتُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ بِالْمَدِينَةِ لَنَخْرُجَنَّ مِنْهَا مَعَكُمْ، وَنَصْحَبَكُمْ أَيْنَمَا ذَهَبْتُمْ، وَلِنَسْمَعَ كَلَامَ أَحَدٍ فِي غَيْرِ مَصْلِحَتِكُمْ أَبَدًا، وَإِذَا قَاتَلَكُمْ أَحَدٌ فَسَنُعِينُكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ. وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ فِيمَا قَالُوا وَوَعَدُوا بِهِ.

{ لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُولُنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصُرُونَ } (الحشر : 12)

12- وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ أَجْلُوا مِنْ دِيَارِهِمْ لَمَا خَرَجَ الْمُنَافِقُونَ مَعَهُمْ، وَلَوْ قُوتِلُوا فَلَنْ يُدَافِعُوا عَنْهُمْ، وَلَوْ قَاتَلُوا مَعَهُمْ فَسَيَنْهَزِمُونَ شَرَّ هَزِيمَةٍ، ثُمَّ لَنْ يُدَافِعَ عَنْهُمْ أَحَدٌ، بَلْ يُهْلِكُهُمُ اللَّهُ.

{ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ } (الحشر : 13)

13- إِنَّكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَكْثَرُ خَوْفًا فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ عَظَمَةَ اللَّهِ لِيَخْشَوْهُ حَقَّ الْخَشْيَةِ.

{ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقَلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ } (الحشر : 14)

14- ومن جُنْبِ الْيَهُودِ أَنَّهُمْ لَا يَبْرُزُونَ لِقِتَالِكُمْ مُجْتَمِعِينَ مُتَّفِقِينَ فِي مَكَانٍ مُعَيَّنٍ، إِلَّا مُتَحَصِّنِينَ فِي قُرَى، أَوْ مُتَسَتِّرِينَ وَرَاءَ جُدْرَانٍ. عَدَاوَةٌ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ شَدِيدَةٌ، تَحْسَبُهُمْ ظَاهِرًا مُجْتَمِعِينَ ذَوِي أُلْفَةٍ وَأَحْقَادٍ، بَيْنَمَا قُلُوبُهُمْ مُتَفَرِّقَةٌ مُخْتَلِفَةٌ، فَبَيْنَهُمْ عَدَاوَاتٌ وَأَحْقَادٌ، فَلَا يَتَعَاضِدُونَ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يَتَدَبَّرُونَ سَبَبَ الْإِتِّفَاقِ، وَهُوَ الْإِيمَانُ، وَالْعَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ، الَّتِي تَوَلَّفُ بَيْنَ الْقُلُوبِ.

{ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُوا وِبَالٍ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (الحشر : 15)

15- ومثلاً يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ، الَّذِينَ ذَاتُوا سُوءَ عَاقِبَةٍ كُفِّرَهُمْ مِنْذُ زَمَنِ قَرِيبٍ بَيِّنٍ، أَوْ كَمَثَلِ بَنِي قَيْنِقَاعٍ، الَّذِينَ أَجْلَاهُمْ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَهُمْ. وَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابٌ أَشَدُّ وَأَبْقَى.

{ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } (الحشر : 16)

16- مثلاً الْيَهُودِ فِي اغْتِرَابِهِمْ بِوَعُودِ الْمُنَافِقِينَ وَخِدْلَانِهِمْ لَهُمْ، كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ، إِذْ أُغْرَى الْإِنْسَانَ وَزَيْنَ فِي نَفْسِهِ الْعَصِيَانَ، وَقَالَ لَهُ: اكْفُرْ فَلَنْ يَضُرَّكَ هَذَا. فَلَمَّا كَفَرَ، قَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ: إِنِّي أَتَبَرُّ مِنْكَ، حَتَّى لَا أُشَارِكَ فِي الْعَذَابِ، إِنِّي أَخَافُ عُقُوبَةَ اللَّهِ، وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعَذَابِ.

{ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ } (الحشر : 17)

17- فَكَانَ مَصِيرَ الْإِنْسَانِ الضَّالِّ وَالشَّيْطَانِ الْمُضِلِّ، أَنَّهُمَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، وَهَذَا جَزَاءُ مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَخَرَجَ عَنِ الْحَقِّ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (الحشر : 18)

18- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، أَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تُخَالِفُوا أَمْرَهُ، وَلْتَنْظُرْ كُلُّ نَفْسٍ مَا أَدَّخَرَتْ لَهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لِيَوْمِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي كُلِّ مَا تَأْتُونَ وَمَا تَدْرُونَ، وَأَطِيعُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِأَعْمَالِكُمْ، خَبِيرٌ بِأَحْوَالِكُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَمْرٌ.

{ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (الحشر : 19)

19- وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَرَكَوا أَمْرَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُ وَلَمْ يُرَاعُوا حُقُوقَهُ، فَأَنْسَاهُمْ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ لِيَنْفَعُوا بِهَا أَنْفُسَهُمْ يَوْمَ الْحِسَابِ، أُولَئِكَ الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، الْخَاسِرُونَ يَوْمَ الْمَعَادِ.

{ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ } (الحشر : 20)

20- لَا يَتَسَاوَى أَهْلُ النَّارِ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَالْكَافِرُونَ يَفْعَلُونَ الشَّرَّ، وَيَرْتَكِبُونَ الْمَعَاصِيَ وَالذُّنُوبَ، وَيَتَعَاوَنُونَ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَيُظْلِمُونَ، وَيُفْسِدُونَ. وَالْمُؤْمِنُونَ يَفْعَلُونَ الْحَيْرَ، وَيُطِيعُونَ اللَّهَ فِيمَا أَمَرَهُمْ، وَيَتَعَاوَنُونَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَيَنْشُرُونَ الْعَدْلَ، وَيَدْعُونَ إِلَى الْحَقِّ؛ فَهُمْ النَّاجُونَ مِنَ النَّارِ، الْفَائِزُونَ بِرِضَى اللَّهِ وَجَنَّتِهِ. أَمَّا الْكَافِرُونَ، فَعَلَيْهِمْ غَضَبُ اللَّهِ، وَيَجْلُ بِهَمْ عَذَابُهُ يَوْمَ الْحِسَابِ.

{ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ

نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (الحشر : 21)

21- لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ الشَّانِ عَلَى جَبَلٍ، وَفَهِمَهُ وَتَدَبَّرَهُ، لَرَأَيْنَاهُ خَائِفًا مُّرْتَعِدًا مُتَشَقِّقًا عِنْدَ سَمَاعِهِ، لِمَا فِيهِ مِنَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ صَلَابَةِ الْجَبَلِ وَقَسَاوَتِهِ. وَنَضْرِبُ هَذَا الْمَثَلَ وَأَشْبَاهَهُ لِلنَّاسِ، لِيَتَفَكَّرُوا وَيَتَدَبَّرُوا، وَيَعْتَبِرُوا وَيُؤْمِنُوا، وَيَعْمَلُوا وَيَخْشَعُوا. فَكَيْفَ لَا يَتَدَبَّرُ الْإِنْسَانُ هَذَا الْقُرْآنَ وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ الْعَلِيمِ الْجَلِيلِ، وَقَدْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالْعَقْلِ لِيَفْهَمَ وَيَتَدَبَّرَ؟ وَكَيْفَ لَا يَخْشَعُ لَهُ وَهُوَ لَا يَأْمُرُهُ إِلَّا بِالْخَيْرِ، وَلَا يَنْهَاهُ إِلَّا عَنِ الشَّرِّ؟

{ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } (الحشر : 22)

22- هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاهُ، الَّذِي يَعْلَمُ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ الْمَشَاهِدَاتِ لَنَا وَالْغَائِبَاتِ عَنَّا، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ، فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، هُوَ ذُو رَحْمَةٍ عَظِيمَةٍ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، قَدْ وَسَّعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ.

{ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ
الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ } (الحشر : 23)

23- هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، فَلَا شَرِيكَ لَهُ.

مَالِكٌ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهَا وَحَدَهُ.

الْقُدُّوسُ: الطَّاهِرُ الْمُنَزَّهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتُ الْعُلَا.

السَّلَامُ: الَّذِي يُعْطِي السَّلَامَ وَالْأَمَانَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ فَلَا يُعَدِّبُهُمْ. أَوِ السَّلَامُ مِنْ كُلِّ غَيْبٍ وَأَفَةٍ.

الْمُؤْمِنُ: الَّذِي صَدَّقَ رِسَالَهُ فِيمَا بَلَّغُوهُ عَنْهُ، إِمَّا بِالْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ عَلَيْهِمْ، أَوْ بِتَأْيِيدِهِمْ بِالْمُعْجَزَاتِ وَالْأَدَلَّةِ.

الْمُهَيِّمُ: الْحَافِظُ لِكُلِّ شَيْءٍ. أَوِ الرَّقِيبُ وَالشَّاهِدُ عَلَى خَلْقِهِ بِأَعْمَالِهِمْ.

الْعَزِيزُ: الَّذِي غَلَبَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَهَرَهُ. أَوِ الَّذِي لَا مَثِيلَ لَهُ.

الْجَبَّارُ: الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يُنَالُ وَلَا يُنَافَسُ فِي فِعْلِهِ.

الْمُتَكَبِّرُ: الَّذِي لَا يَلِيقُ الْكِبْرِيَاءُ إِلَّا بِعَظَمَتِهِ، فَلَا يُشْرِكُهُ فِي صِفَةِ الْكِبْرِيَاءِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، لِأَنَّ

صِفَةَ الْمَخْلُوقِ التَّوَاضُّعُ وَالتَّذَلُّلُ، وَاللَّهُ مُتَكَبِّرٌ وَمُتَعَالٍ عَلَى خَلْقِهِ بِصِفَاتِهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَا

يُشَارِكُهُ فِيهَا الْخَلْقُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمُتَكَبِّرُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، الْمُنَزَّهُ عَنْ جَمِيعِ الْغُيُوبِ وَالظُّلْمِ

وَالسُّوْءِ. أَوِ الْمُتَكَبِّرُ عَلَى عُتَاةِ خَلْقِهِ إِذَا نَارَعُوهُ الْعَظَمَةَ، فَيَقْصِمُهُمْ. يَقُولُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ مَا

مُخْتَصَرُهُ: "الْمُتَكَبِّرُ" فِي حَقِّ الْخَلْقِ اسْمٌ دَمٌّ، لِأَنَّ الْمُتَكَبِّرَ هُوَ الَّذِي يُظْهِرُ مِنْ نَفْسِهِ الْكِبْرَ، وَذَلِكَ

نَقْصٌ فِي حَقِّ الْخَلْقِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ كِبَرٌ وَلَا عُلوٌّ، بَلْ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الذَّلَّةُ وَالْمِسْكَنَةُ، فَإِذَا أَظْهَرَ

الْعُلُوَّ كَانَ كَاذِبًا، فَكَانَ ذَلِكَ مَذْمُومًا فِي حَقِّهِ. وَأَمَّا الْحَقُّ سُبْحَانَهُ، فَلَهُ جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْعُلُوِّ

وَالْكِبْرِيَاءِ، فَإِذَا أَظْهَرَهُ فَقَدْ أُرْشِدَ الْعِبَادَ إِلَى تَعْرِيفِ جَلَالِهِ وَعُلُوِّهِ، فَكَانَ ذَلِكَ فِي غَايَةِ الْمَدْحِ فِي

حَقِّهِ سُبْحَانَهُ. اهـ.

تَنَزَّ اللَّهُ وَتَقَدَّسَ عَنْ إِشْرَاكِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَقْوَالِ الْكَافِرِينَ.

{هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الحشر : 24)

24- هو الله الخالق: الذي أوجد الأشياء وأبدعها من غير احتذاءٍ بمثالٍ سابق.

البارئ: الذي قدر الأشياء وأبرزها إلى الوجود من العدم.

المصوِّر: الذي أوجد صورة المخلوقات وكيفياتها كما أراد، لِيُمَيِّزَ بَعْضَهَا عَنْ بَعْضِ سِمَاتٍ
وملامح مُعَيَّنَةٍ.

له أحسن الأسماء وأجلها، لأنها تُنبئ عن أحسن المعاني وأشرفها.

يُسَبِّحُ لَهُ كُلُّ مَخْلُوقٍ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ، وَيُنَزِّهُهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ، وَلَوْ لَمْ نَفْقَهُ تَسْبِيحَ
بعض المخلوقات. وهو الغالب الذي لا يُقهر في ملكه، الحكيم فيما يخلق ويُقدر ويشرع.

سورة الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا
بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا
فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ
يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} (الممتحنة : 1)

1- لما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة، عمَد الصَّحَابِيُّ حَاطِبُ بْنُ أَبِي
بَلْتَعَةَ فَكَتَبَ كِتَابًا إِلَى بَعْضِ الْمُشْرِكِينَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وَأَرْسَلَهُ مَعَ امْرَأَةٍ، فَأُخْبِرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِذَلِكَ وَحَيًّا، فَبَعَثَ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ لِيَأْخُذُوهُ مِنْهَا، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى حَاطِبٍ يَسْأَلُهُ عَنْ سَبَبِ مَا فَعَلَهُ، فَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ لِحَوْفٍ

على قراباته بمكة، لِيَتَّخِذَ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ يَدًا بِذَلِكَ، فَلَا يُؤْذُوهُمْ، وَلَيْسَ رِضَى بِالْكَفْرِ. فَنَزَلَتْ
الآية.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ أَصْدِقَاءَ تُؤَالِفُهُمْ، تَمُدُّونَ إِلَيْهِمْ يَدَ الْحَبَّةِ
وَالْتَّفَازِبِ، وَقَدْ كَفَرُوا بِالْقُرْآنِ الْمَوْحَى بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ مِنْ بَيْنِ
أَظْهَرِهِمْ، لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِإِيمَانِكُمْ بِرَبِّكُمْ وَإِخْلَاصِكُمْ الْعِبَادَةَ لَهُ وَحْدَهُ، فَلَا تَتَّخِذُوهُمْ أَصْدِقَاءَ
إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ مُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِي تَبْتَغُونَ مَرْضَاتِي، تُشْعِرُوهُمْ بِالْمُودَّةِ سِرًّا وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا
أَخْفَيْتُمُوهُ فِي صُدُورِكُمْ وَمَا أَظْهَرْتُمُوهُ بِالسِّنَتِكُمْ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ أَخْطَأَ طَرِيقَ الْهُدَى
وَانْحَرَفَ عَنِ الصَّوَابِ.

{ إِنْ يَنْقُضُوكُمْ كُفُوتُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَالسِّنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ
تَكْفُرُونَ } (المتحنة : 2)

2- إِنْ يَنْقُضُوكُمْ كُفُوتُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَالسِّنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ
تَكْفُرُونَ } (المتحنة : 2)

{ لَنْ تَنْفَعَكُمُ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }
(المتحنة: 3)

3- لَنْ تَنْفَعَكُمُ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (المتحنة: 3)

{ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا
بِاللَّهِ وَخُدَّهِ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا
عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } (المتحنة : 4)

4- لقد كان لكم قُدوةٌ حسنةٌ في نبيِّ الله إبراهيمَ وأتباعِهِ المؤمنين، إذ قالوا لقومِهِمُ المشركين: تبرُّأنا منكمُ ومنَ الأصنامِ والكواكبِ التي تَعْبُدونها مِن دُونِ الله، كَفَرنا بدينِكُمْ وأنكرنا طَريقَتِكُمْ، وقد وجبتِ العداوةُ والبغضاءُ بيننا وبينكم ما دُمتم على كُفركم، حتَّى تُوحِّدوا اللهَ وتَعْبُدوه وحدهُ لا شريكَ له، إلَّا ما جاءَ مِن قولِ إبراهيمَ لأبيه الكافرِ: سَأستَغفرُ لك، ولا أملكُ سِوى الدُعاءِ لك، ولا أقدرُ على رَدِّ عذابِ اللهِ عنكَ إن عصيتَهُ وأشركتَ به.

وقال هوَ والمؤمنونَ معه مُتبرِّئينَ مِن قومِهِمُ الكافرين، مُقَوِّضينَ أمرَهُم إلى رَبِّهِم: اللهمَّ إننا اعتمدنا عليك، وإليك رَجعنا في أمورنا كُلِّها، ومرجعنا إليك في يومِ القيامةِ.

وقصِدُ إبراهيمَ مِنَ الاستِغفارِ لأبيه هوَ طلبُ الهدايةِ له، ويجوزُ هذا مادامَ الأبُ على قيدِ الحياة، ولا يجوزُ الاستِغفارُ له بعدَ موتهِ إذا ماتَ على الكُفر، وقد تبرُّأ إبراهيمُ مِن أبيه بعدَ موتهِ كافرًا ولم يَسْتَغفرْ له، قال اللهُ تعالى: { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ } [سورة التوبة: 114].

{ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (المتحنة : 5)

5- اللهمَّ لا تُعذِّبنا بأيدي الكافرين، ولا تُسَلِّطهم علينا فيغلبونا، واغفرْ لنا ذُنوبنا، واغفُ عَنَّا بعفوك، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْغَالِبُ، الذي لا يَذِلُّ مِنَ التَّجَا إِلَيْهِ، الْحَكِيمُ الذي لا يَفْعَلُ إِلَّا ما فيه حِكْمَةٌ وَمَصْلَحَةٌ.

{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } (المتحنة : 6)

6- لقد كان لكم في إبراهيمَ وصحبه المؤمنين قُدوةٌ حسنة، ومنهَجٌ نافِعٌ مُبارك، في التبرُّؤِ مِنَ الكُفْرِ وأهلِهِ، لمن كانَ يَرْجو الثَّوابَ مِنَ عندِ الله، والنَّعيمَ في الآخِرَةِ. وَمَن يُعْرِضُ عَمَّا أَمَرنا بِهِ مِنَ الإيْمَانِ، وعَدَمِ المِوالاةِ للكافرين، فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَن طاعتِهِم، وعن طاعةِ الخَلقِ أَجمَعين، مَحمودٌ في أقوالِهِ وأفعالِهِ.

{ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَفُورٌ
رَحِيمٌ } (المتحنة : 7)

7- عسى الله أن يجعل بينكم وبين أقاربكم المشركين محبة بعد العداوة والبغض، وألفة بعد
الفرقة والبعد، والله قادر على تغيير الأحوال وتسهيل أسباب المودة، والله يعفو لمن تاب،
ويرحم من آمن وأطاع.
وقد أنجز الله وعده الكريم، فأسلمت قريش بعد فتح مكة.

{ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ
وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (المتحنة : 8)

8- إن الله لا يمنعكم من البر والإحسان إلى الكافرين الذين لم يقاتلوكم في الدين، ولم يخرجوكم
من دياركم، فلا بأس أن تحسنوا إليهم، وتعديلوهم فيهم، والله يحب الذين يعدلون في حكمهم
وأهاليهم وما ولوا.

{ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى
إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (المتحنة : 9)

9- إنما ينهاكم الله عن موالاة أعدائكم الذين قاتلوكم لإسلامكم، وأخرجوكم من دياركم،
وساعدوا أعداءكم على إخراجكم منها، ومن يعاومهم ويتخذهم أصدقاء، فأولئك الذين
تجاوزوا الحد، وعرضوا أنفسهم للعذاب.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ
عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَأَتَوْهُنَّ
مِمَّا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ
الْكُوفَارِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ أَلْوَا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ } (المتحنة : 10)

10- كَانَ مِنْ بُنُودِ صَلَاحِ الْحُدَيْبِيَّةِ، أَنَّ مَنْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا، رَدَّهُ إِلَيْهِمْ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ بِاسْتِثْنَاءِ النِّسَاءِ مِنْ ذَلِكَ، إِذَا كَانَتْ هَاجِرَةً عَنْ إِيْمَانٍ حَقًّا.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ - ظَاهِرًا - مُهَاجِرَاتٍ مِنْ دَارِ الْكُفْرِ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ، فَاحْتَبِرُوهُنَّ، وَاسْأَلُوهُنَّ مَا جَاءَ بِهِنَّ؟ فَإِذَا كَانَ خُرُوجُهُنَّ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ وَحُبًّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَغَلَبَ عَلَى ظَنِّكُمْ صِدْقُهُنَّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِإِيْمَانِهِنَّ وَصِدْقِهِنَّ فِي ذَلِكَ، فَلَا تُعِيدُوهُنَّ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ الْكُفَّارِ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُنَّ الزَّوْاجُ بِالْمُشْرِكِينَ، وَلَا يَحِلُّ لِلْمُشْرِكِينَ الزَّوْاجُ بِهِنَّ. قَالَ فِي "رُوحِ الْمَعَانِي": الْجُمْلَةُ الْأُولَى لِبَيَانِ الْفَرْقَةِ الثَّابِتَةِ وَتَحَقُّقِ زَوَالِ النِّكَاحِ الْأَوَّلِ، وَالثَّانِيَةُ لِبَيَانِ امْتِنَاعِ مَا يُسْتَأْنَفُ وَيُسْتَقْبَلُ مِنَ النِّكَاحِ. اهـ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذِهِ الْآيَةُ هِيَ الَّتِي حَرَمَتِ الْمُسْلِمَاتِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ كَانَ جَائِزًا فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْمُشْرِكُ الْمُؤْمِنَةَ. اهـ.

وَأَعْطُوا أَزْوَاجَهُنَّ الْكُفَّارَ مَا دَفَعُوا إِلَيْهِنَّ مِنَ الْمَهْوَرِ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَزَوَّجُوا بِهِنَّ - فِي حَالِ إِسْلَامِهِنَّ - إِذَا أُعْطِيْتُمُوهُنَّ مُهْوَرَهُنَّ. وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَنْكِحُوا الْكَافِرَاتِ، وَلَا أَنْ تَسْتَمِرُّوا فِي الزَّوْاجِ مَعَهُنَّ. وَاطْلُبُوا - مَعَ شَرِّ الْمُؤْمِنِينَ - مِنَ الْكُفَّارِ مُهْوَرَ زَوْجَاتِكُمْ الْمُشْرِكَاتِ اللَّاحِقَاتِ بِهِمْ، وَلِيَطْلُبَ الْكُفَّارُ مِنْكُمْ مُهْوَرَ زَوْجَاتِهِمُ اللَّائِي أُسْلِمْنَ وَلِحِقْنَ بِكُمْ. وَمَا ذُكِرَ هُوَ أَمْرُ اللَّهِ وَحُكْمُهُ الَّذِي قَضَاهُ بَيْنَكُمْ، فَاتَّبِعُوهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ، حَكِيمٌ فِيمَا يَقْضِي وَيُقَدِّرُ.

{ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ } (المتحنة : 11)

11- وَإِذَا فَرَّتْ إِحْدَى زَوْجَاتِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَلِحِقْنَ بِهِمْ مُرْتَدَّاتٍ، وَامْتَنَعُوا مِنْ رَدِّ حَقِّكُمْ الَّذِي عَلَيْهِنَّ، ثُمَّ غَزَوْهُنَّ، وَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ لَكُمْ فَعْنِمْتُمْ، عَوَّضَكُمْ الْإِمَامُ مَا فَاتَكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْعَنِيمَةِ. وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تُخَالِفُوا أَمْرَهُ وَقَدْ آمَنْتُمْ بِهِ، فَالْإِيْمَانُ يَقْتَضِي الطَّاعَةَ وَالْإِمْتِثَالَ.

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَعْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (المتحنة : 12)

12- أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ، إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ بِقَصْدِ الْمُبَايَعَةِ عَلَى الْإِسْلَامِ، عَلَى أَنْ يُوحِّدَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي الْعِبَادَةِ، فَلَا يُشْرِكْنَ بِهِ شَيْئاً مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَلَا يَسْرِقْنَ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ، وَلَا يَرْتَكِبْنَ فَاحِشَةَ الزَّانَا، وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ، كَمَا كَانَ يُفْعَلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ وَأِدِ الْبَنَاتِ، خَوْفاً مِنَ الْفَقْرِ، أَوْ خَوْفاً مِنْ أَنْ يُعَيَّرُوا بِالْبَنَاتِ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: "وَيَعْمُ قَتْلُهُ وَهُوَ جَنِينٌ، كَمَا قَدْ يَفْعَلُهُ بَعْضُ الْجَهْلَةِ مِنَ النِّسَاءِ"، يَعْنِي الْإِجْهَاضَ، الَّذِي اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَحْرِيمِهِ دُونَ عُذْرٍ بَعْدَ الشَّهْرِ الرَّابِعِ، حَيْثُ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، وَهُوَ جِنَايَةٌ تُوجِبُ عُزَّةً، وَهِيَ دِيَّةُ الْجَنِينِ: عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ، فَإِنْ لَمْ يَوْجَدْ فَعُشْرُ دِيَّةِ الْأُمِّ، وَدِيَّتُهَا خَمْسُونَ مِنَ الْإِبِلِ.

وَعَلَى الْأَوْلَادِ يُلْحَقْنَ بِأَزْوَاجِهِمْ غَيْرَ أَوْلَادِهِمْ. وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ: "أَيُّ امْرَأَةٍ أَدْخَلْتَ عَلَى قَوْمٍ مِنْ لَيْسَ مِنْهُمْ، فَلَيْسَتْ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ، وَلَنْ يُدْخِلَهَا اللَّهُ جَنَّتَهُ".

وَأَلَّا يَعْصِيَنَّكَ فِيمَا تَأْمُرُهُنَّ بِهِ مِنْ مَعْرُوفٍ، وَتَنْهَاهُنَّ عَنْ مُنْكَرٍ.

قَالَ فِي "رُوحِ الْمَعَانِي": وَالتَّقْيِيدُ بِـ "المَعْرُوفِ" مَعَ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِهِ، لِتَنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ طَاعَةُ مَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، وَيُرَدُّ بِهِ عَلَى مَنْ زَعَمَ مِنَ الْجَهْلَةِ أَنَّ طَاعَةَ وَلِيِّ الْأَمْرِ لَازِمَةٌ مُطْلَقًا! اهـ.

فَإِذَا التَّرَمَّنَ بِتِلْكَ الشُّرُوطِ، فَاقْبَلِ مُبَايَعَتَهُنَّ، وَلَهُنَّ الثَّوَابُ عَلَى الْوَفَاءِ بِهَا. وَاطْلُبِ الْمَغْفِرَةَ لَهُنَّ، وَاللَّهُ كَثِيرُ الْغُفْرَانِ لِدُنُوبِ عِبَادِهِ التَّائِبِينَ، رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُبَايِعُهُنَّ كَلَامًا، "مَا مَسَّتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ فِي الْمُبَايَعَةِ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَمْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَمَسُّ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ } (المتحنة : 13)

13 - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا تُؤَالُوا الْكُفَّارَ عَامَّةً، وَالْيَهُودَ خَاصَّةً، الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ، وَكَيْفَ تَتَّخِذُوهُمْ أَصْدِقَاءَ وَهُمْ يُخَالِفُونَكُمْ فِي الْعَقِيدَةِ، وَقَدْ يَسُؤُوا مِنْ خَيْرِ الْآخِرَةِ وَثَوَائِهَا - فِي حُكْمِ اللَّهِ - لِكُفْرِهِمْ بِنَبْوَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ} [سورة الأعراف: 157]، كَمَا يَمَسُّ الْأَمْوَالُ الْكُفَّارُ مِنَ الثَّوَابِ وَقَدْ وَقَفُوا عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، وَعَلِمُوا جِرْمَانَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا.

سورة الصف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (الصف : 1)

1- نَزَّ اللَّهُ وَوَحَّدَهُ كُلُّ المَخْلُوقَاتِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الغَالِبُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ، الْحَكِيمُ فِيمَا يَشْرَعُ وَيُقَدِّرُ.

فالمخلوقات كلها مُسَبَّحَةٌ مُقَدَّسَةٌ لِدَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَوْلًا وَفِعْلًا، طَوْعًا وَكَرْهًا، بِلِسَانِ الْحَالِ، أَوْ بِلِسَانِ الْمَقَالِ { وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ } (سورة الإسراء: 44).

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ } (الصف : 2)

2- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لِمَاذَا تَقُولُونَ قَوْلًا، وَتَعْدُونَ وَعَدًا، ثُمَّ لَا تَفْعَلُونَ بِهِ وَلَا تَلْتَزِمُونَ؟ كَانَ نَاسٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ الْجِهَادُ يَقُولُونَ: لَوَدِدْنَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ دَلَّنَا عَلَى أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَيْهِ فَفَعَلْنَا بِهِ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ أَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ: إِيمَانٌ بِهِ لَا شَكَّ فِيهِ، وَجِهَادُ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ الَّذِينَ خَالَفُوا الْإِيمَانَ وَلَمْ يُقْرَأُوا بِهِ. فَلَمَّا نَزَلَ الْجِهَادُ كَرِهَ ذَلِكَ نَاسٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَشَقَّ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُ. فَنَزَلَتِ الْآيَاتُ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. (والجوابُ في الآية العاشرة، فما بعدها).

{ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ } (الصف : 3)

3- إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ بُغْضًا شَدِيدًا أَنْ تَعْدُوا بِشَيْءٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ثُمَّ لَا تَفْعَلُونَ بِهِ.

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْضُوعٌ } (الصف : 4)

4- إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يَصُفُّونَ أَنْفُسَهُمْ عِنْدَ الْقِتَالِ صَفًّا مُسْتَقِيمًا، مُتَكَامِلًا وَمُتَنَاسِقًا، كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مُلْتَصِقٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، قَدْ رُصَّ وَأُحْكِمَ فِي بِنَائِهِ فَلَيْسَ فِيهِ فُرْجَةٌ وَلَا خَلَلٌ.

{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَتُذَوْنَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا
أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } (الصف : 5)

5- واذكر لأصحابك أيها الرسول، ممن كره الجهاد، قول نبي الله موسى لقومه، وقد دعاهم إلى قتال الجبابرة: يا قوم، لم تؤذوني بالمخالفة والعصيان وأنتم تعلمون علماً قطعياً أنني مرسل من الله إليكم، والرسول يصدق ويطاع. وكانوا قد قالوا له عليه السلام: {فأذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون}! [سورة المائدة: 24]. فلما عصوا ومالوا عن اتباع الحق وهم يعرفونه، وآذوا نبيهم بذلك، صرف الله قلوبهم عن الهدى وخذلهم، لاختيارهم العمى والضلال، والله لا يوفق لإصابة الحق من خرج عن الطاعة، وأصر على الضلال، ولم يسلك مسالك الهدى.

{ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ
التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ
مُبِينٌ } (الصف : 6)

6- واذكر قول نبي الله عيسى بن مريم - آخر أنبياء بني إسرائيل - : يا بني إسرائيل، إني نبي مرسل إليكم من عند الله، مُصَدِّقًا بذلك لما بين يدي من التوراة، التي بشرت بي، وأنا أُبَشِّرُ برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد. فلما جاءهم بالمعجزات كفروا بها، وقالوا: إن هذا الذي جاء به سحر ظاهر، وليس معجزة تدل على صدق نبوته!

وللرسول صلى الله عليه وسلم أسماء، قال عليه الصلاة والسلام: "إن لي أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحْشَرُ النَّاسُ على قدمي، وأنا العاقب". رواه الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري. والعاقب: الذي ليس بعده نبي. والأنبياء حمادون، ونبينا أحمدهم، أي أكثرهم حمداً، وأعظمهم في صفة الحمد. عليهم الصلاة والسلام.

كما ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم يُفْتَحُ عَلَيْهِ في المقام المحمود - يوم القيامة - بحامد لم يُفْتَحَ بها على أحد قبله.

{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ } (الصف : 7)

7- وليس هناك أظلم ممن يكذب على الله، بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرًا، وعبادة
شركاء معه وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص. والله لا يرشد هؤلاء الظالمين، الذين تجاوزوا
الحق واتبعوا الباطل، وأمثالهم، إلى ما فيه هدايتهم؛ لعدم استعدادهم لذلك، وعدم توجيههم
إليه.

{ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } (الصف : 8)

8- يحاولون أن يطفئوا نور الله بأنفوسهم، وأن يوقفوا انتشار الإسلام، كمن ينفخ بقمه الشمس ليطفى
شعاعها! وسوف ينشر الله دينه، وتصل أنواره إلى أنحاء الأرض، كما تصل إليها أشعة
الشمس، ولو كره الكافرون، وحاولوا منعه بكل ما يستطيعون من مال وإعلام، وجند
وسلاح.

{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ }
(الصف : 9)

9- هو الله الحق، الذي بعث نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بالقرآن ليهتدي به الناس،
وبالدِّين الثابت الصحيح ليظهره على سائر الأديان، بنسخه إياها، والإبقاء على دين
الإسلام.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } (الصف : 10)

10- هذا جواب عمّا سأله الصحابة عن أحب الأعمال إلى الله تعالى ليفعلوه.
أيها المؤمنون، هل أرشدكم إلى تجارة جليّة الشأن، ترحون فيها رضى الله، وتنجون بها من
عذاب النار؟

{ تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ بِاَمْوَالِكُمْ وَاَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (الصف : 11)

11- تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ بِصِدْقٍ وَاِخْلَاصٍ، لَا شِرْكَ فِيْهِ وَلَا رِيَاءَ، وَتُجَاهِدُونَ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ بِاَمْوَالِكُمْ وَاَنْفُسِكُمْ لِاِعْلَآءِ كَلِمَتِهِ، فَالِاِيْمَانُ وَالْجِهَادُ خَيْرٌ لَّكُمْ عَلَى الْاِطْلَاقِ، اِنْ كُنْتُمْ مِنْ اَهْلِ الْعِلْمِ وَالِاِيْقَانِ.

{ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِيْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ } (الصف : 12)

12- فَاِنْ اٰمَنْتُمْ وَجَاهَدْتُمْ، يَغْفِرِ اللّٰهُ ذُنُوبَكُمْ، وَيَرْحَمَكُمُ، وَيُسْكِنُكُمْ جَنَّاتٍ وَّاسِعَاتٍ، تَجْرِي مِنْ خِلَالِ اشْجَارِهَا الْاَنْهَارُ بِاَنْوَاعِهَا، وَفُصُوْرًا عَالِيَةً طَيِّبَةً فِيْ جَنَّاتٍ اِقَامَةٍ دَائِمَةٍ، وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ وَالْفَلَاحُ، وَالسَّعَادَةُ الدَّائِمَةُ.

{ وَاٰخَرٰى تُحِبُّوْهَا نَصْرٌ مِّنَ اللّٰهِ وَفَتْحٌ قَرِيْبٌ وَبَشٰرٌ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ } (الصف : 13)

13- وَنِعْمَةٌ اٰخَرٰى تُحِبُّوْهَا، هِيَ بُشْرٰى لَكُمْ: نَصْرٌ مِّنَ اللّٰهِ عَلَى الْمُشْرِكِيْنَ، وَفَتْحٌ مِّنْ عِنْدِهِ، فِي الْقَرِيْبِ الْعَاجِلِ، وَبَشْرٌ الْمُؤْمِنِيْنَ اَيْهَا الرُّسُوْلُ بِالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا، وَبِالْمَثُوْبَةِ الْحُسْنٰى فِي الْاٰخِرَةِ.

{ يَا اَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا كُوْنُوْا اَنْصَارَ اللّٰهِ كَمَا قَالَ عِيْسٰى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّیْنَ مَنْ اَنْصَارِيْ اِلٰى اللّٰهِ قَالَ الْحَوَارِيُّوْنَ نَحْنُ اَنْصَارُ اللّٰهِ فَاَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِيْ اِسْرَآئِيْلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَاَيَّدْنَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَاَصْبَحُوْا ظٰهَرِيْنَ } (الصف : 14)

14- اَيُّهَا الْمُؤْمِنُوْنَ، كُوْنُوْا نَصْرَةً لِّدِيْنِ اللّٰهِ فِيْ جَمِيْعِ اَحْوَالِكُمْ، بِاَنْفُسِكُمْ وَاَمْوَالِكُمْ، كَمَا قَالَ نَبِيُّ اللّٰهِ عِيْسٰى بِنُ مَرْيَمَ لَصَفُوَّةَ اَتْبَاعِهِ الْحَوَارِيِّیْنَ: مَنْ اَعْوَانِيْ وَجُنُوْدِيْ الَّذِيْنَ يُعِيْنُوْنِيْ فِي الدَّعْوَةِ اِلٰى اللّٰهِ؟

قَالَ الْحَوَارِيُّوْنَ: نَحْنُ اَنْصَارُكَ عَلَى مَا اُرْسِلْتَ بِهِ، وَمُؤَاوِرُوْكَ عَلَى تَبْلِيْغِ دِيْنِ اللّٰهِ. وَلَمَّا دَعَا مَعَ اَتْبَاعِهِ اِلَى الدِّيْنِ، اِهْتَدَتْ جَمَاعَةٌ مِّنْ بَنِيْ اِسْرَآئِيْلَ وَاتَّبَعُوْهُ، وَضَلَّتْ جَمَاعَةٌ اٰخَرٰى، وَرَمَوْهُ وَاُمَّهُ الصَّدِيْقَةَ بِالْعِظَامِ، وَهُمْ الْيَهُودُ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللّٰهِ، وَعَلَّتْ فِيْهِ طَوَائِفُ مِنْ بَعْدِ،

فاعتبروه ابناً لله، تعالى الله عن ذلك وتقدس. فنصرتنا المؤمنين على أعدائهم، فصاروا غالبين عليهم، وذلك ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

سورة الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } (الجمعة : 1)

1- يُنَزِّهُ اللهُ وَيُوَحِّدُهُ كُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ، نَاطِقُهَا وَجَامِدُهَا، قَوْلًا وَفِعْلًا، طَوْعًا وَكَرْهًا، بِلِسَانِ الْحَالِ، أَوْ بِلِسَانِ الْمَقَالِ، وَإِنْ لَمْ نَفْقَهُ تَسْبِيحَ بَعْضِهَا. اللهُ خَالِقُهُمَا، وَمَالِكُهُمَا، وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا، الْمُنَزَّهُ مِنَ النَّفَائِصِ وَالْعُيُوبِ، الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ، الْحَكِيمُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ.

{ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } (الجمعة : 2)

2- هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْعَرَبِ الَّذِينَ اشْتَهَرَتْ فِيهِمُ الْأُمِّيَّةُ وَلَا كِتَابَ لَهُمْ - فَلَا يَقْرَءُونَ وَلَا يَكْتُبُونَ - رَسُولًا مِنْ جُمَلَتِهِمْ وَأُمِّيًّا مِثْلَهُمْ، يَقْرَأُ عَلَيْهِمْ آيَاتِ مُوحَىٰ بِهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَيَجْعَلُهُمْ أَرْكَيَاءَ الْقُلُوبِ، بِإِيمَانٍ مَنْ يَهْدِيهِ اللهُ وَيُصْلِحُهُ عَلَى يَدَيْهِ، وَبَدْعَوْتِهِ وَتَبْلِيغِهِ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى كَيْفِيَّةِ تَطْهِيرِ النُّفُوسِ مِنَ الْآثَامِ وَالْخِصَالِ السَّيِّئَةِ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، وَالسَّنَةَ النَّبَوِيَّةَ، وَمَا فِيهَا مِنْ أَحْكَامٍ وَشَرَائِعَ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ فِي جَاهِلِيَّةٍ، وَشُرْكَ وَكُفْرٍ.

وَتَخْصِيصُ الْعَرَبِ بِالذِّكْرِ لَا يَنْفِي مَنْ عَدَاهُمْ، وَلَكِنَّ الْمَنَّةَ عَلَيْهِمْ أَبْلَغُ وَآكَدُ، كَمَا فِي الْآيَةِ التَّالِيَةِ، وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } {سورة الأعراف: 158}.

{وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الجمعة : 3)

3- وُئِثَ إِلَى آخِرِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ، وَسَيَلْحَقُونَ بِهِمْ مِنْ بَعْدِ. وَاللَّهُ عَزِيزٌ فَلَا يُقَهَّرُ، حَكِيمٌ فِي صُنْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

{ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} (الجمعة : 4)

4- وَمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّبُوَّةِ، وَمَا خَصَّ بِهِ أُمَّتَهُ، نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ، يُعْطِيهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَفَضْلُ اللَّهِ عَظِيمٌ، وَرَحْمَتُهُ وَاسِعَةٌ.

{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ

كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (الجمعة : 5)

5- مَثَلُ الَّذِينَ أُعْطُوا التَّوْرَةَ وَكُلَّفُوا الْعَمَلَ بِهَا وَالْقِيَامَ بِحَقِّهَا، ثُمَّ لَمْ يَعْمَلُوا بِهَا وَلَمْ يُؤَدُّوا حَقَّهَا، كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ كِتَابًا وَهُوَ لَا يَدْرِي مَا فِيهَا وَلَا يَنْتَفِعُ بِهَا. وَالْيَهُودُ قَرَأُوا التَّوْرَةَ وَعَلِمُوا مَا فِيهَا وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهَا، بَلْ أَوْلَوْا وَحَرَّفُوا وَبَدَّلُوا، فَبِئْسَ الْقَوْمُ هُمْ، الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكُتِبَتْ، وَسَعَوْا فِي تَبْدِيلِ كَلَامِهِ وَتَغْيِيرِهِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الظَّالِمِينَ الَّذِينَ تَجَاوَزُوا الْحَقَّ، وَوَضَعُوا التَّكْذِيبَ فِي مَوْضِعِ التَّصْديقِ.

{قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (الجمعة : 6)

6- قُلْ أَيُّهَا الرُّسُولُ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَحِبَّاءُ لِلَّهِ، مُتَّبِعُونَ لِلْحَقِّ، وَأَنْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ عَلَى ضَلَالٍ، فَادْعُوا بِالْمَوْتِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، لَتَنْتَقِلُوا مِنْ دَارِ الْبَلَايَا وَالْأَكْدَارِ إِلَى دَارِ الْكِرَامَةِ وَالسَّعَادَةِ، إِذَا كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ بِأَنَّكُمْ عَلَى حَقٍّ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ الْمُطِيعَ يُحِبُّ لِقَاءَ اللَّهِ.

{وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} (الجمعة : 7)

7- ولكنَّ اليهودَ لا يَتَمَنَّونَ الموتَ أبداً، لِما هُم فِيهِ مِنَ الظُّلمِ والفُجُورِ، والكُفْرِ والتَّكذِيبِ بِنَبوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُم يَعْلَمُونَ أَنَّهُ هُوَ الْمُبَشِّرُ بِهِ فِي التَّوْرَةِ، لِمُطَابَقَةِ أوصافِهِ وَأخبارِهِ لِما يَجِدُونَهُ فِيها. وَاللهُ عَالِمٌ بِما تَجَاوَزُوهُ مِنَ الحَقِّ، وَما صَدَرَ مِنْهُمُ مِنْ أنواعِ الظُّلمِ والمعاصِي.

{ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (الجمعة : 8)

8- قُلْ لَهُم: إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَهْرَبُونَ مِنْهُ خَوْفاً مِنْ أَنْ تُحَاسِبُوا عَلَي جَرَائِمِكُمْ، فَإِنَّهُ آتِيكُمْ حَتْمًا، لَا مَفْرَ لَكُمْ مِنْهُ، ثُمَّ تُبْعَثُونَ وَتُرْجَعُونَ إِلَىٰ مَنْ يَعْلَمُ ما تَعْلَمُونَ وَما لَا تَعْلَمُونَ، وَيَرَىٰ ما تَرُونَ وَما لَا تَرُونَ، فَيُخَبِّرُكُمْ بِما عَمِلْتُمْ مِنَ الكُفْرِ والتَّكذِيبِ، والمعاصِي والدُّنُوبِ، وَيُجَازِيكُمْ عَلَي ذلِكَ سُوءَ الجِزاءِ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (الجمعة : 9)

9- أَيُّها المؤمنون، إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ بِالْأَذَانِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ فامضُوا إِلَيْها، واتركوا البَيْعَ والشِّراءَ، فَهُوَ أَنْفَعُ لَكُمْ وَأَبْقَى، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الحلالَ والحرامَ، والطَّاعَةَ والمعصيةَ.

{ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (الجمعة : 10)

10- إِذَا أُدِّيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ واطلبوا رِزْقَكُمُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَتَصَرَّفُوا فِي حوائِجِكُمْ - وَهُوَ أَمْرٌ إِباحَةٌ -، وَأَكثِرُوا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَلَا تَشْغَلَنَّكُمُ الدُّنْيَا عَنْ ذلِكَ؛ لِتَفوزُوا بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

{ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكَوا قَائِمًا قُلْ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ } (الجمعة : 11)

11- قَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَقْبَلْتُ عَيْرٌ - أَي قَافِلَةٌ مُحْمَلَةٌ بِالْمِتَاعِ - يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَثَارَ النَّاسُ إِلَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَمَّوْا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا...}. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ.

وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً قَادِمَةً، أَوْ تَصْفِيَةً وَطَبْلًا، أَوْ دُفًا يُضْرَبُ بِهِ لِاسْتِقْبَالِ الْقَافِلَةِ، تَفَرَّقُوا مِنْ عِنْدِكَ وَقَامُوا إِلَى التَّجَارَةِ، وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا تَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ، قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: إِنَّ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، خَيْرٌ مِنَ الْقِيَامِ إِلَى اللَّهِ وَطَلَبِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ فِي هَذَا الْوَقْتِ، فَإِنَّ نَفْعَ مَا عِنْدَ اللَّهِ مُحَقَّقٌ، وَنَفْعَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا لَيْسَ بِمُحَقَّقٍ، بَلْ مُتَوَهَّمٌ، وَنَفْعَ التَّجَارَةِ لَيْسَ بِمُخَلَّدٍ. وَتَقْدِيمُ اللَّهِ عَلَى التَّجَارَةِ هُنَا لِأَنَّهُ أَقْوَى مَدْمَةً.

وَاللَّهُ خَيْرٌ مِنْ رِزْقٍ وَأَثَابٍ، وَهُوَ مُوَجِّدُ الْأَمْوَالِ وَالْأَرْزَاقِ، فَاسْعَوْا إِلَيْهِ، وَاطْلُبُوا مِنْهُ الرِّزْقَ فِي وَقْتِهِ كَمَا أَمَرَكُمْ.

* * *

وَفِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ التِّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِمَا بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ بِسُورَةِ الْجُمُعَةِ، وَ{وَإِذَا جَاءَكَ الْمُتَأَفِّقُونَ}. اهـ.

وَهِيَ السُّورَةُ التَّالِيَةُ.

سورة المنافقون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ } (المنافقون : 1)

1- إذا أتاك المنافقون وحضروا مجلسك أيها الرسول، أظهروا الإسلام وقالوا: نشهد أنك رسول الله، والله يعلم أنك رسول الله إلى الناس، والله يشهد أن المنافقين كاذبون، لأنهم يضمرون خلاف ما يعتقدون.

{ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (المنافقون : 2)

2- لقد جعلوا حلفهم الكاذب وقايةً لأنفسهم حتى يصدقهم الناس، فاغترَّ به بعضهم وظنوا أنهم مسلمون، وصدقوهم فيما يقولون، فصار المنافقون يمنعوهم من الجهاد وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويشككونهم في العقيدة الإسلامية، بس ما يعملون من الكذب والخداع والتضليل.

{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ } (المنافقون : 3)

3- وقد حصل لهم التناقض لكونهم نطقوا بالشهادتين ثم رجعوا عن الإيمان إلى الكفر، كما بدا نفاقهم من أيمانهم الكاذبة ومواقفهم السيئة، فحتم على قلوبهم بالكفر، فهم لا يفقهون الإيمان، ولا يهتدون إلى الحق.

{ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَنْحَسِبُونَ
كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاخْذِرْهُمْ فَآتَاهُمُ اللَّهُ أَنْ يُؤْفَكُونَ } (المنافقون : 4)

4- وإذا نظرت إليهم أعجبك منظر أجسامهم، وإذا تكلموا استمعت إليهم، لفصاحتهم وخلاوة كلامهم، كأنهم أخشاب مسندة إلى حائط، فهي أشجار لا تثمر، وكأنهم أجسام بلا

عقول. والخوف والهلع يسكن قلوبهم، فإذا سمعوا جلبة أو صوتاً ما، خافوا وظنوا لجبنهم أن الأمر نازل بهم. وهم الأعداء الراسخون في العداوة، فاحذّروهم ولا تأمنهم، ولا تغترّ بظاهرهم وكلامهم المعسول، لعنهم الله، كيف يُصرفون عن الحق إلى الكفر والضلال!؟

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ } (المنافقون : 5)

5- وإذا قيل لهم: تعالوا إلى رسول الله واعتذروا من أفعالكم السيئة وتوبوا إلى الله، ليُدعوا لكم ويطلب من الله أن يغفر لكم، أمالوا بوجوههم ورأيتهم يعرضون عن ذلك، استكباراً واستحقاراً لما قيل لهم.

{ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } (المنافقون : 6)

6- والأمر سواء، إن استغفرت لهم، أم لم تستغفر لهم، فإن الله لن يغفر لهم، لرسوخهم في الكفر، إن الله لا يغفر لمن خرج عن الطاعة وأصر على ذنبه، واستكبر عن قبول الحق.

{ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ } (المنافقون : 7)

7- إهم المنافقون، الذين قال كبيرهم بعد غزوة بني المصطلق: لا تُنفقوا على من عند رسول الله من فقراء المهاجرين، حتى يجوعوا فيتفرقوا عنه ولا يصحبوه. وخزائن الأرزاق مما في السماوات والأرض لله تعالى، يُعطي منها من يشاء ويمنعها من يشاء، ولكن المنافقين لا يعرفون ذلك؛ لجهلهم بالله تعالى، ويظنون أنهم لو لم يُنفقوا على الصحابة الفقراء لتفرقوا عنه، ولضعف الدين بذلك. وهم يحسبون أن لقمة العيش هي كل شيء في الحياة! وأنهم بفعلهم هذا يتحكمون في الأرزاق! بينما هم لا يتحكمون في أرزاقهم.

{ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (المنافقون : 8)

8- ويقول كبير المنافقين أيضاً: إذا رجعنا إلى المدينة من هذه العزوة، فسيخرج منها الأعزّة -
يعني نفسه وأتباعه المنافقين - الأذلة، يعني الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين!
ولله العلبة والقوة ولمن أعزّه الله تعالى من رسوله والمؤمنين، لا لغيرهم. والعزّة المستمدة من
عزّته تعالى لا تهون ولا تلين، ولا تخرج من القلب إلا أن يضعف فيه الإيمان، ولكنّ المنافقين
لا يعلمون ذلك؛ لجهلهم، وضلالهم، وغرورهم.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } (المنافقون : 9)

9- أيها المؤمنون، لا يشغلنكم أموالكم ومصالحكم الدنيويّة ولا أولادكم عن الصلاة وسائر
العبادات والطاعات، ومن يشغله التلهي بالدنيا عن ذكر الله وطاعته، فأولئك هم الخاسرون
الخائبون، الذين باعوا الجليل الباقي بالقليل الفاني.

{ وَأَنْفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى
أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ } (المنافقون : 10)

10- وأنفقوا من بعض ما آتيناكم من الرزق للفقراء والمحتاجين، قبل أن ينزل الموت
بأحدكم، فيندم ويقول: يا رب، هلا أمهلّني إلى أمدٍ قصيرٍ فأتصدّق وأزكّي مالي، وأكون من
المؤمنين المطيعين؟

{ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (المنافقون : 11)

11- ولن يمهل الله أحداً إذا جاء أجله، والله مطلع على أحوالكم، خبيرٌ بأعمالكم وثباتكم
فيها، خبيرها وشرّها، ويجازي كلاً بما عمل.

* * *

في مسند أحمد وسنن الترمذي وغيرهما بإسناد صحيح، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة، و {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ}.

سورة التغابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (التغابن : 1)

1- يُنزه الله ويوحده كل ما في السماوات والأرض من المخلوقات، ما نطق منها وما لم ينطق، وإن لم نفقه تسميها بعضها، وجميع الكائنات ملكه سبحانه، يدبر أمرها ويتصرف فيها كما يشاء، وله الشئ الحسن على ما قدر وأعطى، وهو القادر على كل شيء، لا يمنع من القدرة الكاملة مانع، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

{ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (التغابن : 2)

2- هو الذي أوجدكم كما شاء، فمنكم كافر به، ومنكم مؤمن به، والله عليم⁽¹⁴⁵⁾ بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال، وسيحزي كلاً بما يستحق.

{ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } (التغابن : 3)

(145) البصير: أريد به العالم علم انكشاف، لا يقبل الخفاء، فهو كعلم المشاهدة. وهذا إطلاق شائع في القرآن، لا سيما إذا أُفردت صفة (بصير) بالذكر، ولم تُذكر معها صفة (سميع). (التحرير والتنوير).

3- خلق السَّمَاوَاتِ الْعَظِيمَةَ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهَا لِحِكْمَةٍ بِالْعَاقِبَةِ، وَخَلَقَكُمْ فَأَحْسَنَ أَشْكَالَكُمْ، وَخَصَّكُمْ بِدِقَاقِقِ وَأَسْرَارٍ فِي تَكْوِينِكُمُ الْعُضْوِيِّ وَالنَّفْسِيِّ، وَأَكْرَمَكُمْ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْبَدُ، لِيَحْسِبَ كُلًّا عَلَى مَا عَمِلَ.

{يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (التغابن : 4)

4- يَعْلَمُ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مِمَّا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَسْرَارٍ، وَمَا تُعْلِنُونَ مِنْ أُمُورٍ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا تُسِرُّونَهُ فِي صُدُورِكُمْ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِكُمْ، مَهْمَا خَفِيَ وَدَقَّ.

{أَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (التغابن : 5)

5- أَمْ يَأْتِكُمْ خَبْرُ الْكَافِرِينَ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِينَ، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ، لِرَفْضِهِمْ اتِّبَاعَ الدِّينِ الْحَقِّ؟ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ.

{ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} (التغابن : 6)

6- وَمَا عُوقِبُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَمَا سَيُعَاقَبُونَ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، هُوَ لِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْمُعْجَزَاتِ وَالذَّلَائِلِ الْوَاضِحَاتِ، فَيَقُولُونَ: أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا وَهُمْ مِثْلُنَا؟ فَكَذَّبُوهُمْ وَأَعْرَضُوا عَنِ دِينِ اللَّهِ، وَاسْتَغْنَى اللَّهُ عَنْهُمْ فَأَهْلَكَهُمْ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْهُمْ وَعَنْ إِيْمَانِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ، وَعَنِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، حَمِيدٌ فِي أَعْمَالِهِ، يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ بِذَاتِهِ.

{رَزَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} (التغابن : 7)

7- ادَّعَى الْكَافِرُونَ أَنَّهُمْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ، قُلْ لِمَ أُنذِرُ الْكَافِرِينَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَافِرِينَ، ثُمَّ لِيُحْزِنُوا أَعْمَالَكُمْ كُلَّهَا، خَيْرَهَا وَشَرَّهَا، وَتُحَاسِبُنَّ عَلَيْهَا. وَإِحْيَاؤَكُمْ سَهْلٌ يَسِيرٌ عَلَى اللَّهِ، فَمَا أَنْتُمْ عِنْدَهُ إِلَّا كَنْفُسٌ وَاحِدَةٌ. وَحِسَابُكُمْ يَسِيرٌ عَلَيْهِ كَذَلِكَ، وَإِنْ كَثُرَ عَدَدُكُمْ، وَكَثُرَتْ أَعْمَالُكُمْ.

{ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } (التغابن : 8)

8- فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ عَالِمٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، خَبِيرٌ بِمَا تَأْتُونَ وَمَا تَدْرُونَ.

{ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (التغابن : 9)

9- يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ جَمِيعًا، أَوْلَكُمْ وَأَخْرَجَكُمْ، ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي يَظْهَرُ فِيهِ خُسْرَانُ النَّاسِ أَوْ فَوَاتٌ حُظُوظٌ لَهُمْ، فَيُخَسِّرُ الْكَافِرُونَ الْجَنَّةَ لِعَدَمِ إِيمَانِهِمْ، وَيُخَسِّرُ مُؤْمِنُونَ دَرَجَاتٍ فِي الْجَنَّةِ لِتَقْصِيرِهِمْ فِي الطَّاعَةِ وَالْإِحْسَانِ. وَمَنْ يَصِدُقْ فِي إِيمَانِهِ، وَيُخْلِصْ فِي عَمَلِهِ، يَغْفِرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ، وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ عَالِيَاتٍ، وَقُصُورٍ وَاسِعَاتٍ، تَجْرِي مِنْ خِلَالِهَا الْأَنْهَارُ، مُخَلَّدِينَ فِيهَا أَبَدًا، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ وَالْفَلَاحُ، وَالسَّعَادَةُ الْكَبِيرَةُ.

{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } (التغابن : 10)

10- وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا بِالْمُعْجَزَاتِ الَّتِي آتَتْ بِهَا رُسُلُهُ، أُولَٰئِكَ أَهْلُ النَّارِ، مَا كَثُرَتْ فِيهَا أَبَدًا، لَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهَا، وَبِئْسَ مَا لَهُمُ الَّذِي اسْتَقَرُّوا فِيهِ.

{ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (التغابن : 11)

11- ما أصاب أحداً مُصيبةٌ إلا بمشيئةِ الله، ومن أصابته مُصيبةٌ، فعلم أنّها بقضاءِ الله وقدره، وأمنَ بأنّه لا تُصيبُهُ إلا بإذنه، وصبرَ واحتسبَ، وسلّمَ الأمرَ لله ورَضِيَ، زادهُ يقيناً، وطمأنَ قلبه، وهداهُ إلى مزيدٍ من الخير والطاعة، واللهُ عالمٌ بكلِّ شيءٍ، لا يخفى عليه أحوالُ الناسِ ونياتهم.

{ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } (التغابن: 12)

12- وأطيعوا الله فيما شرعَ لكم من الدين، وأطيعوا رسوله فيما بلغَ عن ربّه، وما أمرَ به ونهى عنه، فإن أعرضتم، فما على الرسولِ إلاّ تبليغُ ما أمرَ به بلاغاً واضحاً، وقد فعل، وليس عليه هُداكم، وما عليكم إلاّ السَّمْعُ والطاعة.

{ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } (التغابن : 13)

13- الله واحدٌ لا شريكَ له، فلا مَعْبُودَ بحقٍ سِوَاهُ، وعلى الله وحدهُ فليَعْتَمِدِ الْمُؤْمِنُونَ في أمورهم.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَنَّفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (التغابن : 14)

14- أيها المؤمنون، إنَّ من أزواجكم وأولادكم من يكونُ عدوًّا لكم، عندما يلهونكم عن العملِ الصَّالح، ويُعادونكم، ويحملونكم على قَطْعِ الرَّحِمِ، أو معصيةِ الله، فاحذروهم، ولا تأمنوا شرهم، وإن تَعَفَّوْا عن أخطائهم القابلةِ للعفو، كالمبتَلِّغَةِ بأموال الدنيا، وتَسْتُرُوهُمْ عَلَيْهَا وتَعَذِّرُوهُمْ فِيهَا، فإنَّ الله يُشِيبُكُمْ عَلَيْهَا، فيَغْفِرُ لَكُمْ وَيَرْحَمُكُمْ، وهو كثيرُ المغفرةِ لذنوبِ عبادهِ التائبين، واسعُ الرَّحْمَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ.

{ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ } (التغابن : 15)

15- إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ ابْتِلَاءٌ وَاجْتِبَاءٌ مِنَ اللَّهِ لَكُمْ، فَيَتَرْتَّبُ عَلَيْهِمَا كَثِيرٌ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ وَالْمَوَاقِفِ وَاللِّتِمَامَاتِ، لِيَعْلَمَ اللَّهُ بِذَلِكَ مَنْ يُطِيعُهُ وَيُنْفِقُ مِنْ مَالِهِ فِيمَا يُرِضِيهِ، وَمَنْ يُقَدِّمُ مَصْلَحَةَ مَالِهِ وَأَوْلَادِهِ عَلَى دِينِ اللَّهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ. وَمَنْ آثَرَ الْبَاقِيَ عَلَى الْفَائِي فَقَدْ فَازَ وَنَجَّى، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى.

{ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (التغابن : 16)

16- فابذلوا جهدكم لامتنال أمر الله وعدم مخالفته، واسمعوا مواعظ الله، وتمسكوا بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأنفقوا من أموالكم للفقراء والمحتاجين، ومن منع نفسه من البخل والحرص على المال، فقد نجح وفاز. وفي حديث جابر المرفوع قوله صلى الله عليه وسلم: "واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم". رواه مسلم. والشح أشد البخل.

{ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ } (التغابن : 17)

17- إذا أنفقتم من أموالكم في سبيل الله، من جهادٍ وغيره من أعمال البرِّ والإحسان، بإخلاصٍ وطيبِ نفس، فإنَّ الله يضاعف لكم الأجر والثواب يوم الحسابِ والجزاء، ويغفر ذنوبكم، والله شكورٌ يجزي الكثير على القليل، حلِيم، لا يُعاجل بالعقوبة، بل يُمهّل، ويصفح ويغفر.

{ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (التغابن : 18)

18- الله الذي يعلم ما غاب عنكم وما هو مُشاهدٌ لكم، فلا يخفى عليه صغيرٌ ولا كبير، في الأرض ولا في السماء، الغالب الذي لا يُقهر، الحكيم فيما يقضي ويُقدِّر.

سورة الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا } (الطلاق : 1)

1- أيها النبي الكريم، إذا أردتم تطليق النساء، فطلقوهن في طهرٍ من غيرِ جماع، فلا يحلُّ الطلاقُ والمرأة حائض، ولا في طهرٍ جامعها زوجها فيه، واضبطوا العدةَ واعرفوا ابتداءها وانتهاءها، وأكملوها ثلاثة فُرُوءٍ [يراجع المعنى في تفسير الآية 228 من سورة البقرة].
واخشوا الله ولا تطولوا العدةَ عليهنَّ للإضرارِ بهنَّ.

ولا تخرجهنَّ من منازلهنَّ بعد الطلاقِ إلى أن تنقضي عدتهنَّ، فلهنَّ حقُّ السكنى على الزوج حتى تنقضي العدة. ولا يجوزُ لهنَّ أيضاً أن يخرجنَّ وهنَّ ما زلنَّ في العدة، إلا إذا ارتكبنَّ فاحشةً ظاهرةً، كالزنا، فيخرجنَّ من المسكن.

وما ذكرَ هوَ من الأحكام التي شرعها الله لعباده، فمن لم يعمل بها أو أخلَّ بشيءٍ منها فقد أضرَّ بنفسه. ولا تدري ما الذي يحدثه الله بعد ذلك، فقد يكونُ بقاءُ المطلقةِ في المنزل في وقتِ العدة سبباً لرجوع الزوج إليها إذا كان الطلاق رجعيًّا، فيكون ذلك أفضلَ لهما.

{ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا } (الطلاق : 2)

2- فإذا شارفتِ المطلقاتُ على انقضاء عدتهنَّ، فراجعوهنَّ مع حسنِ عشرةٍ وإنفاقٍ مناسب، أو اعزموا على مفارقتهنَّ من غيرِ تعنيفٍ ولا إلحاقِ ضررٍ بهنَّ.

وأشهدوا على الرَّجْعَةِ والفِرَاقِ. والإشهادُ على الرَّجْعَةِ مُسْتَحَبٌّ احتياطاً، خوفاً من إنكارِ الزَّوْجَةِ لها بعدَ انقضاءِ العِدَّةِ، وقطعاً للشكِّ في حُصولها، فإذا لم يُشهِدْ على رَجْعَتِهَا صَحَّتْ. وعندَ الشافعيِّ: الشَّهادَةُ على الرَّجْعَةِ واجبة، ومدنوبٌ إليها في الفُرْقَةِ. وقالَ الجصاصُ في "الأحكام": لم يَخْتَلَفِ المُفْهَمُ في أنَّ المرادَ بالفِرَاقِ المذكورِ في الآيةِ إنما هو تَرْكُهَا حَتَّى تَنْقُضِيَ عِدَّتُهَا، وأنَّ الفُرْقَةَ تَصِحُّ وإن لم يَقَعِ الإشهادُ. اهـ. وأظهروا الشَّهادَةَ على الرَّجْعَةِ والطلاقِ عندَ الحاجةِ أيُّها الشُّهُودُ، خالصاً لوجهِ اللهِ، من غيرِ تحريفٍ.

وما سبقَ بيانُ حُكْمِهِ هو ما تُوعَظُونَ به، وإنما يَلْتَزِمُ به مَنْ كانَ يَؤْمِنُ باللهِ وشَرعِهِ، وَيَخَافُ عِقَابَهُ في اليَومِ الآخِرِ، وَمَنْ خَشِيَ اللهُ ولم يُخَالِفْ أمرَهُ، فطَلَّقَ لِلسَّنَةِ، ولم يَضُرَّ بِالزَّوْجَةِ، يَجْعَلُ اللهُ لَهُ مَخْرَجًا وَمَنْقَدًا مِمَّا يَقَعُ لِلزَّوْجِ مِنَ الهَمِّ والضَّيْقِ،

{وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} (الطلاق : 3)

3- وَيَرْزُقُهُ مِنْ جِهَةٍ لَا تَخْطُرُ بِبَالِهِ، وَمِنْ حَيْثُ لَا يَتَوَقَّعُ. وَمَنْ يَعْتَمِدْ عَلَى اللَّهِ وَيُفَوِّضْ إِلَيْهِ أَمْرَهُ، فَهُوَ كَافِيهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ. إِنَّ اللَّهَ يَبْلُغُ مَا يُرِيدُهُ، وَيُنْفِذُ مَا قَضَاهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ مُقَدَّرٌ بِمِقْدَارٍ، وَلَا يَوجَدُ شَيْءٌ جُزْأً فِي الكونِ كُلهُ، وَقَدْ قَدَّرَ اللهُ الأَشْيَاءَ قَبْلَ وُجُودِهَا، وَجَعَلَ لها أَجْلاً تَنْتَهِي إِلَيْهِ، فَفَوِّضُوا الأُمُورَ إِلَى اللهِ، وَأَحْسِنُوا تَوَكُّلَكُمْ عَلَيْهِ.

{وَاللَّائِي يَكْسِنْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} (الطلاق : 4)

4- وَالنِّسَاءُ اللَّوَاتِي انْقَطَعَ عَنْهُنَّ الْحَيْضُ لِكِبَرِهِنَّ، إِنْ شَكَّكُمْ فِي عِدَّتِهِنَّ فَهِيَ ثَلَاثَةُ شُهُورٍ. وَالصَّغِيرَاتُ اللَّائِي لَمْ يَبْلُغْنَ سِنَّ الْحَيْضِ كَذَلِكَ.

وفي الآية جواز نكاح الصَّغِيرَةِ، وليس ذلك إلاّ للأب أو الجدّ، لتوافُر الشَّفَقَةِ منهما عليها، وصدقِ الرَّغْبَةِ في تحقيقِ مَصْلَحَتِهَا، وخَشْيَةِ فَوَاتِ هذهِ المَصْلَحَةِ عَلَيْهَا لو لم يَتِمَّ العَقْدُ في حينه. وقد اشترطَ الشافعيُّ سَبْعَةَ شُرُوطٍ لهذا العَقْدِ، منها أن يَكُونَ الزَّوْجُ مِنْ كُفَّاءٍ. ومُنْتَهَى عِدَّةِ النِّسَاءِ الحَوَامِلِ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ، سِوَاءَ كُنَّ مُطَلَّقاتٍ أو مُتَوَفِّياتٍ عَنْهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ. وَمَنْ خَشِيَ اللهَ ولم يَتَجَاوَزْ حُدُودَهُ، يُسَهِّلْ لَهُ أَمْرَهُ، وَيَجْعَلْ لَهُ فَرْجًا وَمَخْرَجًا.

{ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا } (الطلاق : 5)

5- ذلك حُكْمُ اللَّهِ وَقَضَاؤُهُ، أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ بِوَسِطَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ يَلْتَزِمُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ، وَيَنْتَهِي عَمَّا نَهَى عَنْهُ، يَغْفِرَ لَهُ ذُنُوبَهُ، وَيُجْزِلَ لَهُ الثَّوَابَ عَلَى العَمَلِ لو كانَ يَسِيرًا.

{ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمِلٌ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسَرِّضُوا لَهُ أُخْرَى } (الطلاق : 6)

6- وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَأَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ، وَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ مِنْ وُسْعِكُمْ، المَوسِرُ يَوسِّعُ عَلَيْهَا، وَالْفَقِيرُ عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ.

وَلَا تُؤَدُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ فِي مَكَانٍ سَكَنَهُنَّ فَتُلْجِئُوهُنَّ إِلَى الخُرُوجِ. وَإِذَا كَانَتِ المَطَلَّقاتُ حَامِلاتٍ فَعَلَيْكُمْ نَفَقَتُهُنَّ وَسُكُنَاهُنَّ حَتَّى تَنْتَهِيَ عِدَّتُهُنَّ، وَهِيَ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ، فَإِذَا أَرْضَعْنَ لَكُمْ وَهُنَّ طَوَالِقٌ، فَأَعْطُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ عَلَى إِرْضَاعِهِنَّ. وَلِتَكُنْ أُمُورُكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِالكَلَامِ الجَمِيلِ والمِعامَلَةِ الحَسَنَةِ، وَلِيَأْمُرَ كُلُّ صَاحِبِهِ بِالخَيْرِ. فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِي أَجْرَةِ الرِّضِيعِ وَلَمْ تَتَوَافَقُوا، فَلْيَسْتَأْجِرِ الأَبُ لِلْمَوْلُودِ مُرْضِعًا غَيْرَ أُمِّهِ.

{ لِيُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا } (الطلاق : 7)

7- لِيُنْفِقَ الأبُّ أَوْ الوَلِيُّ المَوْسِرُ عَلَى قَدْرِ غِنَاهُ، وَمَنْ كَانَ فِي ضَيْقٍ مِنَ المَعِيشَةِ فَلْيُنْفِقْ مِنْ مَالِهِ بِالقَدْرِ الَّذِي يَسْتَطِيعُ، لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا مِنَ النِّفْقَةِ إِلَّا مَا أَعْطَاهَا مِنَ الرِّزْقِ، سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ ضَيْقِ سَعَةٍ، وَبَعْدَ فَقْرٍ غِنًى.

{ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا } (الطلاق : 8)

8- وَكَمْ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ عَصَوْا وَتَمَرَّدُوا وَاسْتَكْبَرُوا عَمَّا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ وَرُسُلُهُ، فَحَاسَبْنَاهَا عَلَى مَوَاقِفِهَا وَمَا أَجَابَتْ بِهِ رُسُلَنَا حِسَابًا مُسْتَقْصِيًّا، وَعَذَّبْنَاهَا فِي الآخِرَةِ عَذَابًا مُنْكَرًا فَظِيْعًا.

{ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا } (الطلاق : 9)

9- فَذَاقَتْ جَزَاءَ عُتْوِهَا وَاسْتِكْبَارِهَا، وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرَانًا هَائِلًا، هَالِكًا وَدَمَارًا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَعَذَابًا شَدِيدًا فِي الآخِرَةِ.

{ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا } (الطلاق : 10)

10- هَيَّا اللهُ لَهُمْ عَذَابًا مَّؤَلِّمًا وَنَارًا تَتَلَطَّى فِي الآخِرَةِ، فَامْتَنَلُوا أَمْرَ اللهِ وَلَا تُخَالِفُوهُ، يَا أَهْلَ العُقُولِ المِسْتَقِيمَةِ، الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَبِمَا بَلَّغُوهُ، لَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ قُرْآنًا عَظِيمًا، فِيهِ عِظَةٌ لَكُمْ وَعِبْرَةٌ، وَنُورٌ وَهَدَايَةٌ.

{ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقًا } (الطلاق : 11)

11- أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ كِتَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ بَيِّنًا مُعْجَزًا، لِيُخْرِجَ بِهِ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي إِيمَانِهِمْ وَعَمِلُوا عَمَلًا صَالِحًا مِنَ الضَّلَالِ إِلَى الهُدَى، وَمَنْ ظَلَمَاتِ الكُفْرِ وَالجَهْلِ إِلَى نُورِ الإِيمَانِ وَالعِلْمِ. وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ إِيمَانًا صَادِقًا، لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا شِرْكَ، وَيُتَّبِعُهُ بِعَمَلٍ حَسَنٍ مُوَافِقٍ

للشَّرع، يُدخِلُهُ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، الَّتِي تُجْرِي مِنْ خِلَالِ قُصُورِهَا وَأَشْجَارِهَا الْأَنْهَارِ، مَا كَثِيرَ فِيهَا أَبَدًا، لَا يَمْلُونَ مِنْهَا، وَلَا يَتَحَوَّلُونَ عَنْهَا.

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} (الطلاق : 12)

12- هُوَ اللَّهُ الْقَادِرُ الْعَظِيمُ، الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ فِي الْعَدَدِ، يُجْرِي أَمْرَ اللَّهِ وَقَضَاؤُهُ بَيْنَهُنَّ، وَيُدَبِّرُ فِيهَا مَا شَاءَ كَمَا يُرِيدُ، لِتَعْلَمُوا أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَىٰ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَادِرٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، كَالْإِحْيَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلِتَعْلَمُوا أَنَّ عِلْمَ اللَّهِ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ مَا فِيهَا، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، أَيَّمَا كَانَ وَمَهْمَا خَفِيَ.

سورة التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (التحريم: 1)

1- شَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَسَلًا عِنْدَ إِحْدَى زَوْجَاتِهِ، فَاتَّفَقَتْ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَىٰ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا دَخَلَ عَلَىٰ أَيَّتَهُنَّ فَلْتَقُلْ لَهُ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرٍ، وَهُوَ شَبِيهُ بِالصَّمْغِ، فِيهِ خَلَاوَةٌ وَلَهُ رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ، فَقَالَتْ لَهُ إِحْدَاهُمَا ذَلِكَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ". فَنَزَلَتْ. وَلَفْظُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ.

أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ، لِمَاذَا تُحَرِّمُ عَلَىٰ نَفْسِكَ طَعَامًا أَحَلَّهُ اللَّهُ لَكَ، أَتُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ تُرْضِيَ بَعْضَ زَوْجَاتِكَ؟ لَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ، وَاللَّهُ كَثِيرُ الْمَغْفِرَةِ، وَاسِعُ الرَّحْمَةِ.

{قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} (التحريم : 2)

2- لقد شرع الله لكم تحليل ما عقدته أيماؤكم بالتكفير عنها إذا حنثتم [يراجع تفسير الآية 89 من سورة المائدة]. والله متولي أموركم، وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم، الحكيم الذي لا يأمر ولا ينهى إلا بما تقتضيه الحكمة.

{ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ } (التحریم : 3)

3- وادكر إذ أسر النبي إلى بعض زوجاته حديثًا. ذكر المفسرون أنها حفصة رضي الله عنها، وهو في موضوع شرب العسل، فقد قال لها عليه الصلاة والسلام في رواية - للبخاري أيضًا - : "ولن أعود، وقد حلفت، فلا تخبري بذلك أحدًا"، فأخبرت به عائشة رضي الله عنها، وكانتا متصادقتين. فلما أطلع الله عليه نبيه صلى الله عليه وسلم أعلمها ببعض الحديث الذي أفشنته، ولم يخبرها به كُله، تكريمًا لها، حتى لا يزداد حجلها. فلما أخبرها به، خشيت أن تكون عائشة قد فضحتهما، فقالت له: من أخبرك بهذا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أخبرني العليم الذي يعلم السر وأخفى، الخبير الذي لا تخفى عليه خافية.

{ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْريلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ } (التحریم : 4)

4- إن توبا إلى الله من تعاونكما على إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم كان خيرًا لكم، فقد زاغت قلوبكما ومالت عن الحق، وإن تتعاوننا عليه بما يسوؤه، من الإفراط في الغيرة وإفشاء سره، فإن الله وليه وناصره، وجبريل، وصالح المؤمنين⁽¹⁴⁶⁾، والملائكة بعد نصرة الله له أعوان له صلى الله عليه وسلم.

(146) من صالح من المؤمنين: أتباعه وأعدائه... قال ابن عباس رضي الله عنهما: أراد بصالح المؤمنين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. (روح البيان).

{ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ
عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا } (التحریم : 5)

5- عسى الله إن طلقك النبي أن يعطيه زوجات خيراً منك، مسلمات: مقيرات خاضعات لطاعة الله، مؤمنات: مصدقات مخلصات، قانتات: مصليات مواظبات على الطاعة، تائبات: مستغفرات راجعات إلى الله، عابدات مندلات لأمر الله ورسوله، سائحات: صائمات، بعضهن ثيبات، وبعضهن أبكار.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ
غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } (التحریم : 6)

6- أيها المؤمنون، أطيعوا الله وابتعدوا عن معاصيه، وأدبوا أهليكم، وانهوهم عما نهى الله عنه، وأمرهم بما أمر به، ليكون ذلك نجاة لكم ولهم من النار، التي تتقد بالناس والحجارة، فهما حطبها الذي يلقى فيها وتُسعر به، وقد وُكِّلَ بالنارِ وتعذيب أهلها ملائكة أفضاظ قساة أشداء على الكافرين بالله، لا يعصون ما أمرهم الله به، ويأديرون إلى فعل ما يأمرهم.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (التحریم : 7)

7- أيها الكافرون، لا تعتذروا اليوم وقد حَقَّ عليكم العذاب، فلا عُذرَ لكم، ولا هو نافعكم، إنما تُحاسبون على أعمالكم التي قدَّمتموها في الحياة الدنيا، وتُجزون عليها بما تستحقون.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ
يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ } (التحریم : 8)

8- أيها المؤمنون، توبوا إلى الله من ذنوبكم وسيئات أعمالكم توبة صادقة جازمة، تنصحون بها أنفسكم، فتندمون على أخطائكم، وتَعزمون على عدم العودة إليها، عسى أن يغفر الله

بذلك سَيِّئَاتِكُمْ، وَيُكْرِمُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ وَسِعَاتٍ، بَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ الْكَثِيرَةَ، يَوْمَ لَا يُذِلُّ اللَّهُ النَّبِيَّ وَالْمُؤْمِنِينَ كَمَا يُذِلُّ الْكَافِرِينَ، وَلَا يُعَذِّبُهُمْ بِدُخُولِ النَّارِ، بَلْ يُكْرِمُهُمْ بِالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ، نُورُهُمْ يَمْشِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ، وَهُمْ يَقُولُونَ إِذَا طُفِيَ نُورُ الْمُنَافِقِينَ: اللَّهُمَّ أتمِّمْ لَنَا النُّورَ الَّذِي أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْنَا، وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كُلَّهَا، إِنَّكَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئسَ الْمَصِيرُ }
(التحریم: 9)

9- أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ، جَاهِدِ الْكُفَّارَ بِالسَّلَاحِ وَالْقِتَالِ، وَالْمُنَافِقِينَ بِالْحُجَّةِ وَالذَّلِيلِ وَالْوَعِيدِ، وَبِالسَّلَاحِ وَالْقِتَالِ لِمَنْ أَبَى الْإِنْقِيَادَ لِحُكْمِ اللَّهِ، وَأَقِمْ عَلَيْهِمُ الْحُدُودَ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ، وَشَدِّدْ عَلَى الْفِتْنَتَيْنِ فِي ذَلِكَ، وَكُونُوا عَلَى حَذَرٍ مِنْهُمْ، حَتَّى يَرْعَوْا، وَتَنْكَسِرَ قُوَّتُهُمْ، وَلئلاً تُحَدِّثَهُمْ أَنْفُسُهُمْ بِالْعَبَثِ بِأَمْنِكُمْ، وَمَصِيرُهُمْ جَهَنَّمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبئسَ الْمَأْوَى مَاوَاهُمْ، الَّذِي لَا يَجِدُونَ فِيهِ سِوَى الْحَمِيمِ، وَالْعَذَابِ الْمُهِينِ.

{ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ }
(التحریم : 10)

10- ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلْكَافِرِينَ، حَالِ امْرَأَةِ النَّبِيِّ نُوحٍ، وَامْرَأَةِ النَّبِيِّ لُوطٍ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَدْ كَانَتَا زَوْجَتَيْنِ لِعَبْدَيْنِ صَالِحِينَ مِنْ عِبَادِنَا، فَخَانَتَاهُمَا فِي دِينِهِمَا، وَلَمْ تَتَّبِعَاهُمَا. وَكَانَتِ امْرَأَةُ نُوحٍ تَقُولُ عَنْهُ مَجْنُونٌ، وَامْرَأَةُ لُوطٍ تَدُلُّ قَوْمَهَا عَلَى ضُيُوفِهِ لِيَعْمَلُوا الْفَاحِشَةَ. فَلَمْ يَنْفَعُهُمَا كَوْنُ زَوْجِيهِمَا رَسُولَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقِيلَ لَهُمَا: ادْخُلَا النَّارَ مَعَ سَائِرِ الْكَافِرَةِ الْمَجْرِمِينَ.

{ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِئْسَ مِنَ الْبِغْيَانِ وَبِئْسَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } (التحریم : 11)

11- وضرب الله مثلاً للمؤمنين، امرأة فرعون المؤمنة، وزوجها كافراً مُستكبراً، فقالت داعيةً ربّها: اللهم ابن لي بيتاً في جنتك، وخلّصني من فرعون المتكبر وعمله السيء، فأبى أرباً إليك منه ومن شركه، وخلّصني من قومه الكافرين المجرمين. فهذه مؤمنة لم يضرّها كفر زوجها، ولو كانت مخالطةً له.

{ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِ وَالْحَقْلُ وَالْأَمَانَةُ وَالْحَقْلُ وَالْأَمَانَةُ } (التحریم : 12)

12- والصدّيقة الطاهرة مريم بنت عمران، التي صانت عرضها، وحفظت فرجها من دنس المعصية، فنفخنا فيه بواسطة جبريل، فحملت بعمسى عليه السلام، وآمنت بوحى الله، وشرائع عباده، وكتبه المنزلة، وكانت من القوم المؤمنين المواظبين على الطاعة والعبادة، فأكرمها الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

الجزء التاسع والعشرون

سورة الملك
سورة القلم
سورة الحاقة
سورة المعارج
سورة نوح
سورة الجن
سورة المزمل
سورة المدثر
سورة القيامة
سورة الإنسان
سورة المرسلات

سورة الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (الملك : 1)

1- تَبَارَكَ اللَّهُ وَتَعَاظَمَ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، الَّذِي أَفَاضَ عَلَى مَخْلُوقَاتِهِ أَنْوَاعَ الْخَيْرَاتِ، مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا كَمَا يَشَاءُ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، لَا يَمْنَعُهُ مَانِعٌ مِنْ تَنْفِيذِ أَمْرِهِ وَتَقْدِيرِ مَا يُرِيدُ.

{ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ } (الملك : 2)

2- الذي أوجد الموت والحياة في الحياة الدنيا ليختبركم أيكم أفضل عملاً وأحسن طاعةً لربه، وهو العزيز الغالب الذي لا يقدر أحدٌ على منعه من عقوبة من أساء، العفور لذنوب من تاب إليه من عباده المؤمنين.

{الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ} (الملك : 3)

3- الذي خلق سبع سماوات، طبقةً فوق طبقة، لا تجد في خلق الله اختلافاً وعدم تناسب، فلا نقص فيه ولا خلل، فتأمل في السماء، وابحث وتدبر، هل ترى فيها من شقوق وفروج؟

{ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} (الملك : 4)

4- ثم أعد النظر مرتين وأكثر، فإنك لن تجد فيها عيباً وتصدعاً، وسيعود بصرك صاغراً وهو متعب من كثرة النظر والمراجعة، دون أن يظفر بخلل أو نقص فيها.

{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ} (الملك : 5)

5- ولقد جمنا السماء التي تليكم بالكواكب والنجوم المتألعة، وجعلنا الشهب فيها تُصيب الشياطين الذين يسترقون السمع من الملائكة، وقد هيأنا لهم ناراً شديدة موقدة.

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (الملك : 6)

6- والذين كفروا برّبهم كذلك، لهم عذاب جهنم، وبئس مرجعهم النار الدائمة، التي يُعذبون فيها.

{إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ} (الملك : 7)

7- إذا طرّحوا في جهنم سمعوا لها صوتاً منكرًا فظيماً، وهي تغلي بهم.

{ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ } (الملك : 8)

8- تَكَادُ أَنْ تَتَّقَطَعَ مِنْ شِدَّةِ غَيْظِهَا وَحَقَّقَهَا عَلَيْهِمْ، كُلَّمَا طُرِحَ فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْكُفَّارِ، سَأَلْتَهُمْ خَزَنَةُ النَّارِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: أَلَمْ يُبْعَثْ إِلَيْكُمْ رَسُولٌ يُحَذِّرُكُمْ مِنْ يَوْمِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ؟

{ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ } (الملك : 9)

9- قالوا: بلى أرسلوا إلينا، ولكننا كذبناهم، وأعرضنا عنهم، وقُلْنَا لَهُمْ: لَمْ يُنَزَّلِ اللَّهُ عَلَىٰ أَحَدٍ كِتَابًا وَلَا غَيْرَهُ، وَأَنْتُمْ مُخْطِئُونَ بَعِيدُونَ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ!

{ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } (الملك : 10)

10- وقالوا مُعْتَرِفِينَ بِذُنُوبِهِمْ: لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ مِنَ الرَّسُولِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْحَقِّ، أَوْ كَانَتْ لَنَا عُقُولٌ تُمَيِّزُ بَهَا وَنَنْتَفِعُ مِنْهَا، لَمَا كُنَّا فِي عِدَادِ أَهْلِ النَّارِ. وَالْعَقْلُ الَّذِي لَا يَزْجُرُ صَاحِبَهُ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْجَرَائِمِ وَالْمُنْكَرَاتِ، لَيْسَ عَقْلاً مُسْتَقِيمًا وَلَا سَلِيمًا.

{ فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُخِّقُوا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ } (الملك : 11)

11- فاعترفوا بكفرهم وتكذيبهم بآياتِ الله ونُذْرِهِ، فَبَعْدًا لِأَصْحَابِ النَّارِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

{ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } (الملك : 12)

12- إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَلَوْ لَمْ يَرَوْهُ، وَيَتَّعِدُونَ عَمَّا حَرَّمَهُ طَاعَةً لَهُ وَخَوْفًا مِنْ عُقُوبَتِهِ، يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَهُمْ وَلَوْ كَثُرَتْ، وَيُجَازِيهِمْ بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ.

{ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } (الملك : 13)

13- وأخفوا كلامكم أو أعلنوه، فإنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالْأَسْرَارِ الْخَفِيَّةِ الْمَسْتَكْنَةِ فِي الصُّدُورِ (147).

{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (الملك : 14)

14- أَلَا يَعْلَمُ الْخَالِقُ مَخْلُوقَاتِهِ وَهُوَ الَّذِي أَوْجَدَهُمْ، وَهُوَ الْعَالِمُ بِالْخَفِيَّاتِ، الْخَبِيرُ بِأَحْوَالِ النَّاسِ وَدَقَائِقِ أُمُورِهِمْ؟

{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} (الملك : 15)

15- هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْأَرْضَ لَيْسَهُلَ عَلَيْكُمْ الْإِنْتِفَاعُ بِمَا فِيهَا، فَامْشُوا فِي طُرُقِهَا وَفِجَاجِهَا وَجِبَالِهَا وَكُلُّ أَرْجَائِهَا، وَابْتَعُوا فِيهَا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَنِعْمِهِ، وَإِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ بَعْدَ الْبَعْثِ، لِيُحَاسِبَكُمْ عَلَى مَا عَمِلْتُمْ.

{أَأَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} (الملك : 16)

16- أَأَمِنْتُمْ إِنْ عَصَيْتُمْ اللَّهَ أَنْ يُزَلْزَلَ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِكُمْ، فَإِذَا بِهَا تُلْقَى بِكُمْ فِي أَسْفَلِهَا، وَإِذَا هِيَ تَرْتَجُّ وَتَضْطَرِبُ بِكُمْ؟

{أَمْ أَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ} (الملك : 17)

(147) {بِدَاتِ الصُّدُورِ}: بضمائِرِ الصُّدُورِ الَّتِي لَمْ يُتَكَلَّمْ بِهَا. (الطبري). =

= {بِدَاتِ الصُّدُورِ}: بمضمرةِ جميعِ الناسِ، وأسرارِهِمُ الْخَفِيَّةِ الْمَسْتَكْنَةِ فِي صُدُورِهِمْ، بَحَيْثُ لَا تَكَادُ تَفَارِقُهَا أَصْلًا، فَكَيْفَ يَخْفَى عَلَيْهِ مَا تَسْرُونَهُ وَتَجْهَرُونَ بِهِ؟ وَبِحُجُوزٍ أَنْ يُرَادَ — (ذَاتِ الصُّدُورِ) الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ، وَالْمَعْنَى: إِنَّهُ عَلِيمٌ بِالْقُلُوبِ وَأَحْوَالِهَا، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِهَا. (روح البيان).

(ذَاتِ الصُّدُورِ) مَا يَتَرَدَّدُ فِي النَّفْسِ مِنَ الْخَوَاطِرِ وَالتَّقَادِيرِ وَالنَّوَايَا عَلَى الْأَعْمَالِ. وَهُوَ مَرْكَبٌ مِنْ (ذَاتِ) الَّتِي هِيَ مُؤَنَّثٌ (ذُو) بِمَعْنَى صَاحِبٍ، وَ (الصُّدُورِ) بِمَعْنَى الْعُقُولِ، وَشَأْنُ (ذُو) أَنْ يُضَافَ إِلَى مَا فِيهِ رَفْعَةٌ. (التحرير والتنوير).

17- أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُرْسِلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ رِيحًا فِيهَا حِجَارَةٌ فَتُهْلِكَكُمْ، فَسَتَعْلَمُونَ عِنْدَئِذٍ كَيْفَ كَانَ
إِنذَارِي فِيكُمْ وَعُقُوبَتِي لِمَنْ كَفَرَ مِنْكُمْ؟

{وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيفَ كَانَ نَكِيرِ} (الملك : 18)

18- وَقَدْ كَذَّبَتْ أُمَّمَ مَاضِيَةً أَنْبِيَاءَهَا قَبْلَ كَقَارِ مَكَّةَ، فَكَيْفَ كَانَ إِنْكَارِي عَلَيْهِمْ وَمُعَاقِبَتِي
لَهُمْ؟

{أُولَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَاقَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
بَصِيرٌ} (الملك : 19)

19- أُولَمْ يَنْظُرُوا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ وَهِيَ تَبْسُطُ أَجْنِحَتَهَا وَتَصُفُّهَا فِي الْهَوَاءِ، وَتَارَةً تَجْمَعُهَا
وَتَضُمَّهَا، لَا يَقْدِرُ عَلَى إِبْقَائِهِنَّ فِي الْجَوِّ هَكَذَا إِلَّا اللَّهُ، وَقَدْ سَحَّرَ اللَّهُ لَهَا فِي الْجَوِّ مَا يَتَلَاءَمُ
مَعَ حَرَكَةِ أَجْنِحَتِهَا فِي الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ خَبِيرٌ بِمَا يُصْلِحُ مَخْلُوقَاتِهِ كُلَّهَا.

{أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ}
(الملك : 20)

20- وَمَنْ هُوَ هَذَا الَّذِي تَتَشَبَّثُونَ بِهِ وَتَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَتَعْتَبِرُونَهُ جُنْدًا وَأَعْوَانًا لَكُمْ
يَنْتَصِرُونَ لَكُمْ وَيَمْنَعُونَكُمْ مِنَ الْعَذَابِ؟ إِنَّهُ لَا نَاصِرَ وَلَا مَانِعَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَا الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي
جَهْلٍ وَغُرُورٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، الَّذِي يَعِدُهُمْ بَأَنَّ الْعَذَابَ لَا يَنْزِلُ بِهِمْ!

{أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ} (الملك : 21)

21- وَمَنْ الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِذَا مَنَعَ اللَّهُ عَنْكُمْ الرِّزْقَ مِنْ مَطَرٍ وَغَيْرِهِ؟ بَلْ تَمَادَوْا فِي الْعِنَادِ
وَالِاسْتِكْبَارِ، وَاسْتَمَرُّوا فِي الْإِبْتِعَادِ عَنِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ.

{أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (الملك :
22)

22- أَفَمَنْ يَمْشِي وَيَعْتُرُ فِي طَرِيقِهِ الْوَعْرِ، وَيَقْعُ عَلَى وَجْهِهِ كُلَّ مَرَّةٍ، أَهْدَى وَأرْشَدَ، أَمْ مَنْ يَمْشِي سَالِمًا مُعْتَدِلًا فِي طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ، وَهُوَ يَرَاهُ أَمَامَهُ وَاضِحًا، فَيَسْلُكُهُ فِي أَمَانٍ وَاطْمِئْنَانٍ؟ إِنَّهُ مِثْلُ الْكَافِرِ أَعْمَى الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ، الَّذِي يَلْهَثُ وَرَاءَ أَفْكَارٍ وَنَظَرِيَّاتٍ مُضْطَّرِبَةٍ وَمَغْلُوطَةٍ وَضَعَهَا بَعْضُ النَّاسِ، وَالْمُؤْمِنِ الْمُبْتَصِّرِ الْوَائِقِ مِنْ مَنَهْجِهِ، الْمُسْتَقِيمِ فِي سُلُوكِهِ، يَسْتَنِدُ فِي عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ إِلَى مَا أَنْزَلَهُ رَبُّ النَّاسِ وَخَالَقَهُمْ، فَيَكُونُ مُطْمَئِنًّا وَوَاتِقًا بِمَا هُوَ عَلَيْهِ.

{ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ } (الملك : 23)

23- قُلْ أَيُّهَا الرُّسُولُ الْكَرِيمُ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا، وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ لِتَسْمَعُوا بِهِ، وَالْأَبْصَارَ لِتَرَوْا بِهَا، وَالْأَفْئِدَةَ لِتَعْقِلُوا بِهَا وَتَعْتَبِرُوا، وَمَعَ هَذَا فَأَنْتُمْ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ رَبَّ هَذِهِ النِّعَمِ، الَّتِي بِهَا تَعْلَمُونَ وَتَفْهَمُونَ!

{ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } (الملك : 24)

24- قُلْ لَهُمْ أَيْضًا: اللَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَنَشَرَكُمْ فِي أَرْجَاءِ الْأَرْضِ، مَعَ اخْتِلَافِ صُورِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ وَالسِّنِّيَّتِكُمْ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

{ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (الملك : 25)

25- وَيَقُولُ الْكَافِرُونَ لَكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَهُمْ يَسْتَبْعِدُونَ هَذَا الْيَوْمَ: مَتَى يَكُونُ وَقْتُ الْحَشْرِ الَّذِي تَعِدُونَنَا بِهِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تُخْبِرُونَ بِهِ؟

{ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ } (الملك : 26)

26- قُلْ لَهُمْ: الْعِلْمُ بِوَقْتِهِ عِنْدَ اللَّهِ وَحْدَهُ، لَمْ يُطْلَعْ عَلَيْهِ مَلَكًا مُقَرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا، وَمَا أَنَا إِلَّا مُبَلِّغُ رِسَالَتِهِ إِلَيْكُمْ، وَمُحَدِّثُكُمْ مِنْ هَذَا الْيَوْمِ الْعَصِيبِ، الَّذِي تُحَاسِبُونَ فِيهِ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ.

{ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ } (الملك : 27)

27- فلما رأوا العذاب يوم القيامة قريباً، اسودَّت وجوه الكافرين، لما علاها من الدُّلِّ والكآبة، ولما يعلمون ما ينتظرهم من الشَّدائدِ والعُتوباتِ والأهوالِ. وقال لهم حزنَةُ النَّارِ: هذا العذابُ هو الذي كنتم تستعجلونه في الدنيا وتستهزؤون به { وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } [سورة الرُّم: 48].

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ } (الملك : 28)

28- قُلْ لِكُفَّارِ مَكَّةَ الَّذِينَ يَدْعُونَ عَلَيْكُمْ بِالْهَلَاكِ: أَرُونِي، إِنْ أَهْلَكَنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فقبضَ أرواحنا، أو أبقاها ونصرنا عليكم، فَمَنْ يَمْنَعُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الشَّدِيدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنْتُمْ كَافِرُونَ؟

{ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (الملك : 29)

29- قُلْ لَهُمْ جَوَابًا عَلَى دُعَائِهِمْ عَلَيْكُمْ: هُوَ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الَّذِي آمَنَّا بِهِ وَوَحَّدْنَاهُ، وَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَعَلَيْهِ اعْتَمَدْنَا وَإِلَيْهِ فَوَّضْنَا أُمُورَنَا كُلَّهَا، وَهُوَ الَّذِي يُجِيرُنَا مِنَ الْعَذَابِ بِرَحْمَتِهِ، وَأَنْتُمْ عِنْدَمَا تُعَانُونَ الْعَذَابَ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ كَانَ الضَّالَّ فِينَا؟

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ } (الملك : 30)

30- قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ: أَحْبِرُونِي، إِذَا أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ الَّذِي تَشْرَبُونَهُ وَتَسْتَحْدِمُونَهُ فِي مُعْظَمِ شُؤُونِكُمْ الْحَيَاتِيَّةِ، غَائِرًا ذَاهِبًا فِي الْأَرْضِ، لَا تَنَالُهُ الْأَيْدِي وَالْآلَاتُ، فَمَنْ الَّذِي يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ جَارٍ سَهْلٍ الْمَأْخُذِ؟ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ.

* * *

في حديثٍ حَسَنٍ، قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ سُورَةَ فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً، شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}" . رواه ابنُ جَبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَابْنُ مَاجَهَ وَغَيْرُهُمَا، وَاللَّفْظُ لِلْأَخِيرِ .

وَصَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ كَانَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ {الم . تَنْزِيلُ} السَّجْدَةَ، وَ{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} . رواه الترمذي، والحاكم في مستدركه، وغيرهما.

سورة القلم

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

{ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} (القلم : 1)

1- الحروفُ الْمُقَطَّعَةُ... اختلفَ المُفسِّرونَ فِي دَلَالَتِهَا .

أُقْسِمُ بِالْقَلَمِ، وَمَا يَكْتُبُونَ .

فِيهِ تَنْبِيهُ عَلَى فَضِيلَةِ الْقَلَمِ، وَتَعْلِيمُ الْكِتَابَةِ .

وَصَحَّ فِي الْحَدِيثِ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ الْقَلَمَ، وَأَمَرَهُ فَكَتَبَ كُلَّ شَيْءٍ يَكُونُ" . رواه أبو يعلى فِي مُسْنَدِهِ، وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ وَصَحَّ إِسْنَادُهُ، وَالتَّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ، وَاللَّفْظُ لِلأَوَّلِ .

{مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ} (القلم : 2)

2- لستَ بِفَضْلِ اللهِ مُجْنُونًا، كَمَا يَقُولُهُ الْجَهْلَةُ الْمُشْرِكُونَ .

{وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ} (القلم : 3)

3- وَإِنَّ لَكَ ثَوَابًا عَظِيمًا وَأَجْرًا كَبِيرًا لَا يَنْقَطِعُ، عَلَى تَبْلِيغِكَ الرِّسَالَةَ، وَصَبْرِكَ عَلَى أَدَى الْمُشْرِكِينَ .

{ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ } (القلم : 4)

4- وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ أَدَبٍ عَظِيمٍ، وَأَخْلَاقٍ كَرِيمَةٍ عَالِيَةٍ، لَا يُدْرِكُ شَأُوهَا أَحَدٌ مِّنَ الْخَلْقِ.
وعندما سُئِلْتُ أُمْنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ أَخْلَاقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ لِلسَّائِلِ:
أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ.
رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ.

قالوا: يَعْنِي أَنَّ مَا فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ كَانَ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا فِيهِ
مِنَ النَّهْيِ عَنِ سَيِّئِ الْأَخْلَاقِ كَانَ مُنْتَهِيًا عَنْهُ. هَذَا عَلَى مَا طَبَعَهُ اللَّهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْعَظِيمَةِ،
كَالْحِلْمِ، وَالْعَفْوِ، وَالكَرَمِ، وَالْحَيَاءِ، وَالشَّجَاعَةِ، وَكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ.

{ فَسْتَبْصِرْ وَيُبْصِرُونَ } (القلم : 5)

5- فَسْتَرَىٰ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَسِرَىٰ مُكَذَّبُوكَ عِنْدَمَا يَنْزِلُ بِهِمُ الْعَذَابُ،

{ بِأَيِّكُمْ الْمَفْثُونَ } (القلم : 6)

6- أَيًّا مِنْكُمْ هُوَ الْمَجْنُونُ.

{ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } (القلم : 7)

7- إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنِ الْهُدَىٰ وَتَوَّاهُ عَنِ الْحَقِّ، فَكَانَ مِنَ الْمَجَانِينَ، الْخَاسِرِينَ،
وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ وَسَلَكَ طَرِيقَ الْحَقِّ، فَكَانَ مِنَ الْعُقَلَاءِ الْفَائِزِينَ.

{ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ } (القلم : 8)

8- فَدُمْ عَلَىٰ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، وَلَا تُطِعِ الْمُشْرِكِينَ فِيمَا يَدْعُونَكَ إِلَيْهِ،

{ وَادُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ } (القلم : 9)

9- تَمَنَّوْا أَنْ تَلِينَ لَهُمْ وَتُصَانِعَهُمْ فِي دِينِكُمْ، فَيَلِينُونَ لَكُمْ وَتُصَانِعُونَكَ فِي دِينِهِمْ.

{ وَلَا تُطِغْ كُلَّ حَلْفٍ مَّهِينٍ } (القلم : 10)

10- وَلَا تُطِغْ كُلَّ كَثِيرِ الْحَلْفِ بِالْبَاطِلِ؛ لِيُعْطِيَ بِهِ عَلَى كَذِبِهِ وَيَسْتَجْلِبَ ثِقَةَ النَّاسِ، وَهُوَ حَقِيرٌ مُهَانَ.

{ هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ } (القلم : 11)

11- يَغْتَابُ النَّاسَ وَيَعِيئُهُمْ، بِالْقَوْلِ وَالْإِشَارَةِ، وَيَنْقُلُ الْكَلَامَ بَيْنَ النَّاسِ عَلَى جَهَةِ الْإِفْسَادِ، لِيُفْسِدَ قُلُوبَهُمْ، وَيُحَرِّشَ بَيْنَهُمْ، وَيَقْطَعَ صِلَاتِهِمْ.

{ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ } (القلم : 12)

12- وَهُوَ بَخِيلٌ، يَمْنَعُ الْخَيْرَ عَنِ نَفْسِهِ وَعَنِ الْآخَرِينَ، وَظَالِمٌ مُعْتَدٍ يَتَجَاوَزُ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ، وَيَصْرِفُ النَّاسَ عَنِ دِينِ اللَّهِ، وَفَاجِرٌ، يَرْتَكِبُ الْمَعَاصِيَ وَالذُّنُوبَ.

{ عَثَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ } (القلم : 13)

13- غَلِيظٌ جَافٍ شَدِيدُ الْحُصُومَةِ فِي الْبَاطِلِ، مَعَ مَا وَصَفْنَاهُ بِهِ، دَعِيٌّ فِي النَّسَبِ، مُلْصِقٌ بِالْقَوْمِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ.

{ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ } (القلم : 14)

14- أَلَا إِنَّهُ مِمَّنْ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ كَثُرًا؟

{ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } (القلم : 15)

15- فَجَعَلَ مُجَازَاةً نِعْمَتِنَا عَلَيْهِ أَنَّهُ إِذَا قُرِئَتْ عَلَيْهِ آيَاتُ كِتَابِنَا كَذَّبَ بِهَا وَقَالَ: هَذَا مِمَّا سَطَّرَهُ الْأَوَّلُونَ فِي الْكُتُبِ، فَهُوَ حِكَايَاتٌ وَخُرَافَاتٌ تُرَوَى وَلَيْسَ وَحْيًا!

{ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ } (القلم : 16)

16- سَجَعَلْ عَلَىٰ أَنفِهِ سِمَةً وَعَلَامَةً حَتَّىٰ يُعْرَفَ بِهَا وَتَبَقَىٰ عَيْبًا فِيهِ. أَوْ أَنَّهُ تَعْدِيبُ بَنَارٍ عَلَىٰ أَنفِهِ فِي جَهَنَّمَ.

{ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ } (القلم : 17)
17- إِنَّا ابْتَلَيْنَا كُفَّارَ مَكَّةَ بِالْقَحْطِ وَالْجُوعِ لِمَا كَفَرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَحَدَّوْا بِرِسَالَةِ الْإِسْلَامِ، كَمَا ابْتَلَيْنَا أَصْحَابَ الْبُسْتَانِ، الْمِشْتَمِلِ عَلَىٰ أَنْوَاعِ الْفَاكِهِةِ وَالثَّمَارِ، عِنْدَمَا أَقْسَمَ أَصْحَابُهُ أَنَّهُمْ سَيَقْطَعُونَ ثَمَارَهُ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ، قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ بِهِمْ سَائِلٌ أَوْ فَقِيرٌ.

{ وَلَا يَسْتَشْنُونَ } (القلم : 18)

18- وَلَا يَتْرَكُونَ مِنْهُ شَيْئًا لِلْمَسَاكِينِ (148).

{ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ } (القلم : 19)

19- فَأَحَاطَ بِالْبُسْتَانِ بِلَاءٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْلًا، وَهُمْ نَائِمُونَ غَافِلُونَ.

{ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ } (القلم : 20)

(148) فِي الطَّبْعَةِ الْأُولَى: "وَلَمْ يَسْتَشْنُوا فِي خَلْفِهِمْ، فَلَمْ يَقُولُوا: إِنَّ شَاءَ اللَّهُ، إِصْرَارًا وَثِقَةً مِنْهُمْ بِالْأَمْرِ الَّذِي هُمْ مُقَدِّمُونَ عَلَيْهِ".

وَهَذَا عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ. وَقَالَ الْعَلَّامَةُ إِسْمَاعِيلُ حَقِي بَعْدَ ذِكْرِ تَفْسِيرِهِ بِالْمَشِيئَةِ: وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الْمَعْنَى: وَلَا يَسْتَشْنُونَ حِصَّةَ الْمَسَاكِينِ، أَي: لَا يَمَيِّزُونَهَا وَلَا يَخْرِجُونَهَا كَمَا كَانَ يَفْعَلُهُ أَبُوهُمْ. وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ: وَلَا يَنْشُونَ عَمَّا عَزَمُوا عَلَيْهِ مِنْ مَنَعِ الْمَسَاكِينِ. (رُوحِ الْبَيَانِ).

وَهُوَ عِنْدَ الْعَلَّامَةِ الطَّاهِرِ بْنِ عَاشُورٍ أَيْضًا، قَالَ: وَمَعْنَى { لَا يَسْتَشْنُونَ } أَنَّهُمْ لَا يَسْتَشْنُونَ مِنَ الثَّمَرَةِ شَيْئًا لِلْمَسَاكِينِ، أَي: أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّ جَمِيعَ الثَّمَرِ وَلَا يَتْرَكُونَ مِنْهُ شَيْئًا. وَهَذَا التَّعْمِيمُ مُسْتَفَادٌ مِمَّا فِي الصَّرْمِ مِنْ مَعْنَى الْخَزْنِ وَالِانْتِفَاعِ بِالثَّمَرَةِ، وَإِلَّا فَإِنَّ الصَّرْمَ لَا يَنَاقِي إِعْطَاءَ شَيْءٍ مِنَ الْمَجْدُودِ لِمَنْ يَرِيدُونَ. وَأَجْمَلَ ذَلِكَ اعْتِمَادًا عَلَى مَا هُوَ مَعْلُومٌ لِلْمَسَامِعِينَ مِنْ تَفْصِيلِ هَذِهِ الْقِصَّةِ، عَلَى عَادَةِ الْقُرْآنِ فِي إِيجَازِ حِكَايَةِ الْقِصَصِ بِالِاِقْتِصَارِ عَلَى مَوْضِعِ الْعِبْرَةِ مِنْهَا.

وَقَالَ فِي آخِرِهِ: وَعَلَى الرُّوَايَاتِ كُلِّهَا يُعْلَمُ أَنَّ أَهْلَ هَذِهِ الْجَنَّةِ لَمْ يَكُونُوا كُفَّارًا، فَوَجْهُ الشَّبْهِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ الْمَضْرُوبِ لَهُمْ هَذَا الْمَثَلُ، هُوَ بَطْرُ النِّعْمَةِ وَالِاغْتِرَازُ بِالْقُوَّةِ. (التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ).

20- فأصبح مثل الزرع المحصود، أو الأشجار المجنّية ثمارها.

{فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ} (القلم : 21)

21- فنادى بعضهم بعضاً في وقت الصّباح:

{أَنِ اعْدُوا عَلَي حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ} (القلم : 22)

22- اخرجوا إلى بُستانِكُمْ إذا كنتم تُريدون قطفَ ثماره.

{فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ} (القلم : 23)

23- فمشوا إليه وهم يتكلمون بهدوء، حتّى لا يسمعهم أحد، ويقولون:

{أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مُسْكِينٌ} (القلم : 24)

24- لا تُمكنوا أحداً من المساكينِ يَدْخُلُ عليكم.

{وَعَدُوا عَلَي حَزْدِ قَادِرِينَ} (القلم : 25)

25- فعزّموا على منعهم، وصاروا قادرين على ذلك.

{فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ} (القلم : 26)

26- فلما وصلوا إليه، ووقع نظرهم عليه، قالوا: لقد أخطأنا الطريقَ إلى البُستان، فليس هذا بُستاننا!

{بَلْ نَحْنُ مُحْزَمُونَ} (القلم : 27)

27- ولكنهم لما وقفوا على حقيقة الأمرِ قالوا: لم نُخطئِ الطريق، فهذا بُستاننا، ولكننا حُرِمنا خيرَه، لحِرماننا المساكينَ من خيرِه، فلا حظَّ لنا فيه ولا نصيب.

{ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ } (القلم : 28)

28- قَالَ أَحْسَنُهُمْ وَأَرْجَحُهُمْ عَقْلًا: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ: هَلَّا ذَكَرْتُمْ اللَّهَ وَشَكَرْتُمْ نِعْمَهُ، وَأَعْطَيْتُمْ حَقَّ الْمَسَاكِينِ مِنْهُ؟

{ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ } (القلم : 29)

29- قَالُوا وَهُمْ نَادِمُونَ: تَبَارَكَ اللَّهُ وَتَنَزَّ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، لَقَدْ كُنَّا نَحْنُ الظَّالِمِينَ إِذْ لَمْ نَشْكُرْ نِعْمَتَهُ، وَعَزَمْنَا عَلَى مَنَعِ الْفُقَرَاءِ مِنْ ثَمَارِ البُسْتَانِ.

{ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ } (القلم : 30)

30- ثُمَّ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ يَلُومُ بَعْضًا عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُمْ بِحَقِّ الْمَسَاكِينِ.

{ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ } (القلم : 31)

31- قَالُوا: يَا هَلَاكُنَا وَيَا سُوءَ فَعْلَانَا، لَقَدْ تَجَاوَزْنَا حُدُودَ اللَّهِ وَمَنَعْنَا حُقُوقَ الْمَسَاكِينِ، فَأَصَابَنَا مَا أَصَابَنَا.

{ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ } (القلم : 32)

32- عَسَى أَنْ يُعَوِّضَنَا اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ، إِنَّا تَائِبُونَ إِلَى رَبِّنَا، نَرْجُو عَفْوَهُ، وَنَطْلُبُ خَيْرَهُ.

{ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } (القلم : 33)

33- هَكَذَا يَكُونُ الْعَذَابُ لِمَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ وَكَفَرَ بِنِعْمَتِهِ، وَالْعُقُوبَةُ فِي الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى، وَلَوْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ لَعَلِمُوا ذَلِكَ.

{ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ } (القلم : 34)

34- إِنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ أَمْرَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ وَسَاعَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فِيهَا النَّعِيمُ وَالسَّعَادَةُ.

{ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } (القلم : 35)

35- أفنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ الْمُلْتَمِزِينَ بِشَرِّعِ اللَّهِ، فِي الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ، كَالْكَافِرِينَ الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ يَعْصُونَهُ وَيُكْذِبُونَ أَنْبِيََاءَهُ؟

{ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } (القلم : 36)

36- ماذا بكم؟ وعلى أيِّ شَيْءٍ تَبْنُونَ أَحْكَامَكُمْ، وَكَيْفَ تَزِنُونَ الْأُمُورَ حَتَّى تَجْعَلُوا الْفَرِيقَيْنِ بَعْضَهُمْ مِثْلَ بَعْضٍ فِي الْجَزَاءِ؟

{ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ } (القلم : 37)

37- أَمْ أَنَّ لَكُمْ كِتَابًا سَمَاوِيًّا تَقْرَأُونَ فِيهِ وَتَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا تَدْعُونَ؟

{ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ } (القلم : 38)

38- إِنَّ لَكُمْ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ مَا تَخْتَارُونَ وَمَا تَشْتَهُونَ!

{ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِاللَّغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ } (القلم : 39)

39- أَمْ أَقْسَمْنَا لَكُمْ، فَلَكُمْ عَلَيْنَا عُهُودٌ وَمَوَاقِئُ مُؤَكَّدَةٌ لَا تَنْقَطِعُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَأَنْتُمْ مُلَازِمُونَ لَهَا؟ إِنَّكُمْ تَحْكُمُونَ لِأَنْفُسِكُمْ بِالْخَيْرِ وَالْكَرَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ كَمَا تَشَاؤُونَ!

{ سَلُّهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ } (القلم : 40)

40- إِسْأَلُهُمْ أَيُّهَا الرُّسُولُ: مَنْ الْمَتَكْفِلُ مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مَا يَكُونُ لِلْمُسْلِمِينَ؟

{ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ } (القلم : 41)

41- أَمْ أَنَّ عِنْدَهُمْ شُرَكَاءَ لِلَّهِ تَكْفَلُوا لَهُمْ بِذَلِكَ، أَوْ شَهِدُوا لَهُمْ بِمَكَانَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ؟ فَلْيَأْتُوا بِهِمْ وَلْيَدُلُّوا عَلَيْهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِيمَا يَدَّعُونَ.

{يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ} (القلم : 42)

42- في يوم القيامة تكون شدائد وأهوال، وفيه يكشف عن ساق. (والآية من المتشابه، فالله أعلم بمعناها. والمهم أنه يوم شدة وكر، ومقام هائل، يميز الله فيه بين الخبيث والطيبين من عباده، وبين أهل النار وأهل الجنة). ويدعى الكافرون والمنافقون يومئذ إلى السجود فلا يستطيعون؛ لتركهم ذلك في الحياة الدنيا، أو لفعالهم ذلك رياءً وسمعة، فيصير ظهر كل منهم طبقاً واحداً، وتستوي فقار ظهره، فلا يتبني للسجود.

{خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ} (القلم :

43)

43- عيونهم ذليلة لا يرفعونها، يغشاهم ذل الكآبة والندامة، وقد كانوا يدعون إلى السجود في الحياة الدنيا وهم قادرون عليه فيمتنعون أو يتخلفون عنه.

{فَدَرَبْنِي وَمَنْ يُكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ} (القلم : 44)

44- فدعني ومن يكذب بالقرآن العظيم، ولا تشغل قلبك بهم، سنمدهم في غيهم وجرهم إلى العذاب وهم غافلون عنه.

{وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ} (القلم : 45)

45- وأملهم وأوخرهم ليزدادوا إثماً، وهم يظنون أن ذلك لكرامة لهم عند الله، وهو مكر بهم، عقوبة خبيثهم وتماديهم في الكفر والعصيان، وإن مكري بهم عظيم لا يدفع.

{أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّنْ مَّعْرَمٍ مُّثْقَلُونَ} (القلم : 46)

46- أم أتلك تسألهم أجرًا على تبليغ رسالة الله، ولذلك فهم يعرضون عنك ويتبرمون ويتسألون مما تطلبه منهم، وكان عليهم غرامة مالية؟

{أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ} (القلم : 47)

47- أم أن عندهم علمًا بما في الغيب فهم يكتُبون منه، ويففون على حقيقة الأخبار من خلاله، وعلموا بذلك أنهم بمنزلة عند الله يوم القيامة؟

{ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ } (القلم : 48)

48- فاصبر أيها الرسول على أذى قومك وتكذيبهم لك، ولا تكن كالنبي يونس في الصخر والعجالة، الذي وعد قومه بالعذاب، ثم هجرهم وهو غاضب عليهم، منتظرًا أن يحل بهم ما وعدهم الله به، قبل أن يأذن الله له بالخروج، ولم يصبر الصبر اللازم، فركب البحر، وابتلع الحوت، ودعا ربه - وهو مملوء غمًا - أن يعفر له ويتوب عليه.

{ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِّنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ } (القلم : 49)

49- ولو لم تدركه رحمة من ربه ولم يستجب دعاءه، لطح بأرض خالية، وهو يلام على ذنبه.

{ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ } (القلم : 50)

50- ولكن تداركته رحمة الله، فأثبت عليه شجرة من يقطين، ورد إليه الوحي، وجعله من عباده المتقين، ورجع إلى قومه.

{ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ }

(القلم : 51)

51- وينظر إليك المشركون نظرة حقد وعداوة، ويكادون أن يصيبوك بالعين من جرائ ذلك، ليزلوا قدمك ويرموك على الأرض، عند سماعهم القرآن وأنت تتلوه؛ لكرههم وبغضهم له، ويقولون من جهلهم إن محمدًا مجنون!

{ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ } (القلم : 52)

52- وما القرآنُ إلا عِظَةٌ للنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَتَذَكِيرٌ وَبَيَانٌ لِّمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا
وَالدِّينِ، فَكَيْفَ يُنْسَبُ إِلَى الْجُنُونِ مَنْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ ذُو الشَّانِ الْعَظِيمِ؟

سورة الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ الحاقّة : 1 }

1- الحاقّة يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ حَقِيقَةٌ لَا كَذِبَ. وَفِيهِ تَتَحَقَّقُ الْأُمُورُ وَتَثْبُتُ وَتُعْرَفُ عَلَى الْحَقِيقَةِ. وَفِيهِ يَتَحَقَّقُ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ، وَالثَّوَابُ وَالْعِقَابُ.

{ مَا الْحاقّة : 2 }

2- وما هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وما صِفَتُهُ؟

{ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحاقّة : 3 }

3- وما أَعْلَمَكَ بِالْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا وَفَظَائِعِهَا؟

{ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ : 4 }

4- كَذَّبَتْ قَبِيلَتَا ثَمُودَ وَعَادٍ بِيَوْمِ الْمَعَادِ، الَّذِي يَقْرَعُ النَّاسَ فَيُخَيِّفُ قُلُوبَهُمْ، وَيُنْفِزُهُمْ بِأَهْوَالِهِ.

{ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ : 5 }

5- فَأَمَّا ثَمُودُ فَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِالصَّيْحَةِ الْقَوِيَّةِ، فَأَرْجَفَتْهُمْ وَجَعَلَتْهُمْ جُثًّا هَامِدَةً؛ لَطُغْيَانِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ نَبِيِّهِمْ صَالِحًا.

{ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ : 6 }

6- وَأَمَّا عَادٌ فَوُومٌ هُودٌ، فَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِرِيحٍ قَوِيَّةٍ عاصِفَةٍ، شَدِيدَةِ الْهُبُوبِ.

{ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ
خَاوِيَةٍ } (الحاقة : 7)

7- سَلَطَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ مُتتَابِعَاتٍ، لَمْ تَنْقَطِعْ عَنْهُمْ، فَتَرَى الْقَوْمَ فِي تِلْكَ
الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي هَلَكَى، كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَرِيَّةٍ بَالِيَةٍ⁽¹⁴⁹⁾.

{ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ } (الحاقة : 8)

8- فَهَلْ تَرَى لَهُمْ بَقِيَّةً بَعْدَ هَذَا الْعَذَابِ؟ لَقَدْ هَلَكُوا جَمِيعًا.

{ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْحَاطِطَةِ } (الحاقة : 9)

9- وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ، وَفَرَى قَوْمِ لُوطِ الْمُنْقَلِبَاتِ، بِالشُّرْكِ وَالْمَعْصِيَةِ
وَالْأَفْعَالِ الشَّنِيعَةِ.

{ فَعَصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً } (الحاقة : 10)

10- فَكَذَّبَ كُلُّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ وَخَالَفُوهُ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ شَدِيدٍ زَائِدٍ.

{ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ } (الحاقة : 11)

11- وَلَمَّا زَادَ الْمَاءُ وارتَفَعَ حَتَّى عَلَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فِي زَمَنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي أَصَرَ
قَوْمُهُ عَلَى الْكُفْرِ بِهِ وَبِرِسَالَةِ رَبِّهِمْ، حَمَلْنَا آبَاءَكُمْ الَّذِينَ أَنْتُمْ مِنْ أَصْلَابِهِمْ (نُوحًا وَوُلْدَهُ)، فِي
السَّفِينَةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي صَنَعَهَا نُوحٌ.

{ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَنَعِيهَا أُذُنًا وَاَعِيَّةً } (الحاقة : 12)

(149) شُبِّهُوا بِأَعْجَازِ نَخْلِ، أَي: أَصُولِ النَخْلِ، وَعَجْرُ النَخْلَةِ هُوَ السَّاقُ الَّتِي تَتَّصِلُ بِالأَرْضِ مِنَ النَخْلَةِ، وَهُوَ أَغْلَظُ
النَخْلَةِ وَأَشَدُّهَا. وَوَجْهُ التَّشْبِيهِ بِهَا، أَنَّ الَّذِينَ يَقْطَعُونَ النَخْلَ إِذَا قَطَعُوهُ لِالْتِنْفَاعِ بِأَعْوَادِهِ فِي إِقَامَةِ الْبُيُوتِ لِلسُّقُفِ
وَالعَضَادَاتِ، انْتَقَوْا مِنْهُ أَصُولَهُ؛ لِأَنَّهَا أَغْلَظُ وَأَمْلَأُ، وَتَرَكُوها عَلَى الأَرْضِ حَتَّى تَبْسُرَ وَتَزُولَ رَطوبُهَا، ثُمَّ يَجْعَلُوهَا عَمْدًا
وَأَسَاطِينًا. (التحرير والتنوير).

12- لنجعل إغراق قوم نوح، ونجاة المؤمنين منهم، عبرة وعظة لكم، تدل على قدرة الله وقهره، وعلى رأفته ورحمته، ولنفهم هذه النعمة أذن نسمع ونعي، وتنتفع بما نسمع.

{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةٌ وَاحِدَةٌ} (الحاقة : 13)

13- فإذا نفخ إسرافيل في الصور نفحة واحدة. وهي النفخة الأولى، التي يكون عندها خراب العالم.

{وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً} (الحاقة : 14)

14- وزفعت الأرض والجبال التي فيها من أماكنها فضربتا ضربة واحدة، فبدلت الأرض غير الأرض، وصارت الجبال مثل كُتبان الرمل، بعدما كانت حجارة صماء.

{فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} (الحاقة : 15)

15- فيومئذ قامت القيامة، التي لا بُدَّ من وقوعها كما وعد الله.

{وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ} (الحاقة : 16)

16- وتصدعت السماء، فهي يومئذ ضعيفة مُتداعية للسقوط.

{وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} (الحاقة : 17)

17- والملائكة على جوانبها، ويحمل يوم القيامة عرش ربك فوقهم ثمانية من الملائكة.

{يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ} (الحاقة : 18)

18- في ذلك اليوم تُعرضون على الله الذي لا يخفى عليه سرٌّ من أسراركم، ليحاسبكم عليها⁽¹⁵⁰⁾.

(150) {تُعْرَضُونَ}: أي: تُسألون وتُحاسَبون. عبَّر عنه بذلك تشبيهاً له بعرض السلطان العسكر لتعرف أحوالهم. يقال: عرض الجندي إذا أمرهم عليه ونظر ما حالهم. والخطاب عامٌ للكل، على التغليب. (روح البيان).

{ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَذَا مَا آتَرْتُكُمْ كِتَابِيهِ } (الحاقة : 19)

19- فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ صَحِيفَةً أَعْمَالِهِ بِيَدِهِ الِئْمَنَى، فَيَفْرَحُ بِفَوْزِهِ وَيَقُولُ: خُذُوا وَقْرُوا مَا فِي صَحِيفَتِي، فَإِنِّي مِنَ الْفَائِزِينَ.

{ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ } (الحاقة : 20)

20- لَقَدْ كُنْتُ مُوقِنًا بِالْبَعَثِ وَالْحِسَابِ، وَبِالْثَوَابِ وَالْعِقَابِ.

{ فَهَوَىٰ فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ } (الحاقة : 21)

21- هَوَىٰ فِي عَيْشَةٍ مَرْضِيَّةٍ⁽¹⁵¹⁾، وَسَعَادَةٍ غَامِرَةٍ.

{ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ } (الحاقة : 22)

22- فِي جَنَّةٍ وَاسِعَةٍ مُرْتَفِعَةٍ.

{ فَطُوفُهَا دَانِيَةٌ } (الحاقة : 23)

23- ثَمَارُهَا قَرِيبَةٌ التَّنَاولِ، لِلْقَائِمِ وَالْقَاعِدِ.

{ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ } (الحاقة : 24)

24- كُلُوا مِنْ طَعَامِ الْجَنَّةِ وَثَمَارِهَا، وَاشْرَبُوا مِنْ أَنْهَارِهَا اللَّذِيذَةِ، سَائِغًا مَرِيئًا، بِمَا قَدَّمْتُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي أَيَّامِ الدُّنْيَا.

{ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ } (الحاقة : 25)

(151) العيشة: حالة العيش وهيئته. (التحرير).

25- وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ صَحِيفَةً أَعْمَالِهِ بِيَدِهِ الشَّمَالِ، فَيَنْدُمُ غَايَةَ النَّدَمِ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي لَمْ أُعْطَ صَحِيفَتِي،

{وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ} (الحاقة : 26)

26- ولم أعرف جزائي ومصيري،

{يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ} (الحاقة : 27)

27- ليت الموتة التي مُتُّها في الدنيا كانت الأخريرة فلم أبعث ولم أحاسب،

{مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ} (الحاقة : 28)

28- لم ينفعني مالي الذي جمعته في الحياة الدنيا شيئاً، ولم يدفع عني سوء ما ألاقه من العذاب،

{هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ} (الحاقة : 29)

29- ولم يُغن عني علمي وحجتي وجدالي، وشهاداتي وخبراتي. أو لم يُغن عني جاهي ومنصبي، وأنصاري وجاهيري الكثيرة، لقد بطلت جميعها، وعجزت عن القيام بأي شيء لي.

{خُذُوهُ فَعُلُّوهُ} (الحاقة : 30)

30- خذوه أيها الزبانية، وشدوا يده إلى عنقه بالقيود،

{ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوهُ} (الحاقة : 31)

31- ثم أدخلوه نار الجحيم الموجهة،

{ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ} (الحاقة : 32)

32- ثُمَّ أَدخَلُوهُ فِي سِلْسِلَةٍ طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا، حَلَقٌ دَاخِلَةٌ فِي حَلَقٍ، تُوقَدُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
وَتُلْفُ عَلَى جَسَدِهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ.

{ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ } (الحاقة : 33)

33- إِنَّهُ كَانَ مُصِرًّا عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، لَا يَقُومُ بِحَقِّ اللَّهِ مِنَ الطَّاعَةِ، خَلَا قَلْبُهُ مِنْ نُورِ
الإِيمَانِ، فَصَارَ خَرِبًا مَوَاتًا، لَا يَصْلُحُ لَهُ إِلَّا النَّارُ وَالْعَذَابُ.

{ وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ } (الحاقة : 34)

34- وَمَا كَانَ يَرْحَمُ الْعِبَادَ، فَلَا يُطْعِمُ الْجُوعَى مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَلَا يَحْتُ أَهْلَهُ عَلَى
ذَلِكَ.

{ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ } (الحاقة : 35)

35- فَلَيْسَ لَهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ قَرِيبٌ يُنْقِذُهُ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، أَوْ يُخَفِّفُ عَنْهُ.

{ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ } (الحاقة : 36)

36- وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا الْغِسْلِينَ، الَّذِي ذُكِرَ أَنَّهُ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ، وَهُوَ مَا يَسِيلُ مِنَ
لُحُومِهِمْ وَجُرُوحِهِمْ.

{ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ } (الحاقة : 37)

37- لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْكَافِرُونَ.

وَقَالَ الْفَخْرُ الرَّازِي: لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْآثِمُونَ أَصْحَابُ الْخَطَايَا، وَخَطِيءُ الرَّجُلِ إِذَا تَعَمَّدَ الذَّنْبَ،
وَهُمُ الْمُشْرِكُونَ... وَيجوزُ أَنْ يُجَابَ عَنْهُ بِأَنَّ الْمَرَادَ الَّذِينَ يَتَخَطَّوْنَ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ وَيَتَعَدَّوْنَ
حُدُودَ اللَّهِ.

{ فَلَا أُنْسِمْ بِمَا تُبْصِرُونَ } (الحاقة : 38)

38- فأقسِمُ بما تزونَ مِنَ الآياتِ الدالَّةِ على كمالِ قُدْرَتِي وَعَظَمَتِي،

{ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ } (الحاقة : 39)

39- وبما غابَ عنكم مِن أسرارِ القُدْرَةِ العَظِيمَةِ،

{ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } (الحاقة : 40)

40- إِنَّ القُرْآنَ العَظِيمَ يَتْلُوهُ رَسولُهُ الكَرِيمُ، يُبْلِغُهُ عَنِ اللَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

{ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ } (الحاقة : 41)

41- وليسَ هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ كما يَقولُ الجاهِلونَ، فالشَّعْرُ مَعروفٌ بأوزانِهِ وقَوافِيهِ، ونُقَادُهُ يَعْرِفونَهُ جَيِّدًا، ومَحَمَّدٌ لا يُحْسِنُ قَوْلَ الشَّعْرِ، وأنْتُمْ قَلِيلًا ما تُصَدِّقونَ هَذَا، تَمَرِّدًا وَعِنَادًا مِنْكُمْ.

{ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ } (الحاقة : 42)

42- ولا هُوَ بِقَوْلِ كاهِنٍ كما تَدَّعونَ، فإنَّ أحوالَ نبيِّكُمْ وشَأْنَهُ بَيْنَكُمْ، وكَلِمَاتِهِ ودَعوتِهِ، لا تُوافِقُ شَأْنَ الكَهَّانِ الذينَ يُورِدُونَ الأَخْبَارَ بالظُّنونِ والأباطِيلِ فيكذِّبونَ، وأنْتُمْ قَلِيلًا ما تَتَذَكَّرُونَ هَذَا وتَتَعَطَّونَ بِهِ.

{ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ } (الحاقة : 43)

43- إِنَّهُ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ أَنزَلَهُ عَلَى نَبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَسِيطَةِ جِبْرِيلَ (152).

{ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقْاوِيلِ } (الحاقة : 44)

(152) عبَّرَ عن الجلالَةِ بوصفِ { رَبِّ العَالَمِينَ } دونَ اسمِهِ العَلَمِ، للتنبِيهِ على أَنه رَبُّ المَخاطَبِينَ، ورَبُّ الشَّعراءِ والكَهَّانِ الذينَ كانوا بِمَحَلِّ التَّعْظِيمِ والإعْجابِ عندهم، نَظيرَ قولِ موسى لفرعونَ: { رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائِكُمُ الأَوَّلِينَ } [سورة الشعراء: 26]. (التحرير والتنوير).

44- ولو أن النبي افتري علينا قولاً، أو زاد أو نقص من وحيناً إليه شيئاً،

{لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ} (الحاقة : 45)

45- لأمسكناهُ وانتقمنا منه بقوةٍ وقُدرةٍ،

{ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} (الحاقة : 46)

46- ثمَّ لقطعنا منه نياطَ قلبه. والوتين: الشريانَ الرئيسيَّ الخارجُ مِنَ القلبِ.

{فَمَا مِنْكُمْ مَّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} (الحاقة : 47)

47- فلا يقدرُ أحدٌ منكم على منعنا من عُقوبته إذا أردنا به ذلك.

{وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} (الحاقة : 48)

48- وإنَّ هذا القرآنَ موعظةٌ للمؤمنين الصَّالحين، يَتَنَفَعُونَ بِهِ فِيهتَدُونَ، وَيَعْمَلُونَ بِهِ فِيَفُوزُونَ.

{وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ} (الحاقة : 49)

49- ونحنُ نعلمُ أنَّه يوجدُ منكم من يُكذِّبُ بالقرآن، مع وضوح آياته وصدقِ رسوله.

{وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ} (الحاقة : 50)

50- وإنَّ التَّكْذِيبَ بِهِ سَيَكُونُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً عَلَى الْكَافِرِينَ يَوْمَ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ، بما يرفعُ اللهُ بِهِ مِنْ شَأْنِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَيُثَبِّهُم، وَيَحْطُّ مِنْ قَدْرِ الْمُكْذِبِينَ بِهِ وَيُعَدِّبُهُمْ.

{وَإِنَّهُ لِحَقُّ الْيَقِينِ} (الحاقة : 51)

51- وإنَّه الحَقُّ الثَّابِتُ، والخبرُ الصَّادِقُ المتيقن، الذي لا يعتريه الشكُّ.

{ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ } (الحاقة : 52)

52- فاذا ذكر الله باسمه العظيم، ونزهه تنزيهاً؛ شكراً له على ما أوحى به من القرآن العظيم.
سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ.

سورة المعارج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ } (المعارج : 1)

1- سأل سائلٌ كافرٌ عن عذابِ الله، إنكاراً واستهزاءً، وهو واقعٌ لا محالة، آمنَ به أم لم يُؤمن.

{ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ } (المعارج : 2)

2- وهو مُعدٌّ للكافرين، لا يقدرُ على ردهِ أحد.

{ مَنْ اللَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ } (المعارج : 3)

3- أراد الله كونه فهو كائنٌ لا بُدَّ، سبحانه، صاحبُ السَّمَاوَاتِ، أو الدَّرَجَاتِ.

{ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ } (المعارج : 4)

4- تصعدُ إليه الملائكة، وجبريلُ - إشارةً إلى فضله من بينهم عليه السلام - في يومٍ كان زمنُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ. وقيل: المقصودُ بالعروج: الصُّعُودُ إلى عَرَشِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. ومُعْظَمُ السَّلَفِ يَعُدُّونَ ذَلِكَ مِنَ الْمُتَشَابِهِ... فالله أعلم.

{ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا } (المعارج : 5)

5- فاصبر أيها الرسول على تكذيب قومك لك، واطمئن ولا تضجر ولا تقلق، وارض بقدر الله، وثق بالعاقة الحسنة.

{إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا} (المعارج : 6)

6- إِنَّهُمْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ الَّذِي يَحُلُّ بِهَمْ بَعِيدَ الْوَقْعِ.

{وَنَرَاهُ قَرِيبًا} (المعارج : 7)

7- وَنَحْنُ نَرَاهُ وَاقِعًا قَرِيبًا. وَمَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ.

{يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ} (المعارج : 8)

8- يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ وَاهِيَةً، وَيَكُونُ لَوُهَا كَعَكْرِ الرَّيْتِ.

{وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ} (المعارج : 9)

9- وَتَكُونُ الْجِبَالُ ضَعِيفَةً مُتَنَابِرَةً كَالصُّوفِ الْمُتَفَرِّقِ بَعْضُهُ عَنْ بَعْضٍ.

{وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا} (المعارج : 10)

10- وَكُلٌّ مَشْغُولٌ بِنَفْسِهِ عَنْ غَيْرِهِ، فَلَا يَسْأَلُ قَرِيبٌ قَرِيبَهُ عَمَّا هُوَ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ فِي شِدَّةٍ.

{يُبْصِرُوهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمئِذٍ بِبَنِيهِ} (المعارج : 11)

11- وَهُمْ يَرَوْنَهُمْ، لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْهِمْ. يَتَمَنَّى الْكَافِرُ يَوْمئِذٍ لَوْ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي ابْتُلِيَ بِهِ بِأَوْلَادِهِ، وَهُمْ مُهَجَّةٌ قَلْبِهِ،

{وَصَاحِبِيهِ وَأَخِيهِ} (المعارج : 12)

12- وَزَوْجَتِهِ الَّتِي كَانَ يَحْمِيهَا وَيُدَافِعُ عَنْهَا، وَأَخِيهِ الَّذِي مِنْ أُمَّهِ وَأَبِيهِ،

{ وَفَصَّلَتْهُ الَّتِي تُؤْوِيهِ } (المعارج : 13)

13- وَعَشِيرَتِهِ الَّتِي كَانَتْ تَضُمُّهُ وَيَلُودُ بِهَا، وَقَدْ انْفَصَلَتْ عَنْهُ، وَصَارَ كُلُّ لِنَفْسِهِ،

{ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ } (المعارج : 14)

14- وَجَمِيعِ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْخَلَائِقِ، يُوَدُّ لَوْ يَفْتَدِي بِهِمْ جَمِيعاً لِيَتَخَلَّصَ مِنَ الْعَذَابِ.

{ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَى } (المعارج : 15)

15- كَلَّا، لَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ شَيْءٌ، إِنَّهَا جَهَنَّمُ الَّتِي تَتَلَهَّبُ نَارُهَا وَتَتَعَدَّى،

{ نَزَّاعَةً لِّلشَّوْىِ } (المعارج : 16)

16- وَلشِدَّةِ حَرِّهَا تَنْزِعُ الْجِلْدَ وَاللَّحْمَ،

{ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى } (المعارج : 17)

17- تُنَادِي النَّارُ أَبْنَاءَهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، الَّذِينَ أَدْبَرُوا فِي الدُّنْيَا عَنِ الْإِيمَانِ، وَأَعْرَضُوا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ،

{ وَجَمَعَ فَأَوْعَى } (المعارج : 18)

18- وَجَمَعُوا الْمَالَ وَجَعَلُوهُ فِي كَنُوزٍ وَلَمْ يُؤَدُّوا حَقَّهُ لِلْمُحْتَاجِينَ.

{ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً } (المعارج : 19)

19- لَقَدْ خُلِقَ الْإِنْسَانُ شَدِيدَ الْجَزَعِ.

{ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً } (المعارج : 20)

20- إِذَا أَصَابَهُ بَلَاءٌ وَشِدَّةٌ فَرِحَ وَتَأَلَّمَ وَانطَوَى عَلَى نَفْسِهِ!

{ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً } (المعارج : 21)

21- وإذا حصلت له نعمة وسعة لم يُنفق مما يحب، ورأيتُه بخيلاً،

{ إِلَّا الْمُصَلِّينَ } (المعارج : 22)

22- إِلَّا مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِيمَانِ فَكَانَ مِنَ الْمُصَلِّينَ،

{ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ } (المعارج : 23)

23- الذين يُقيمون الصَّلَاةَ في أوقاتها ويحافظون عليها، ولا ينشغلون عنها بشيءٍ من أمور الدنيا،

{ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ } (المعارج : 24)

24- والذين في أموالهم نسبةٌ مُحدَّدة فيؤدُّونها، وهي الزَّكَاةُ. أو نصيبٌ مُعيَّن يتبرَّعون به للفقراء وفي وجوه البرِّ والإحسان.

{ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ } (المعارج : 25)

25- يُعطونه للفقير الذي يتكفَّف النَّاسُ، والمحروم الذي ذهب ماله ولا يستطيع العمل، أو يعِفُّ فلا يسأل.

{ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ } (المعارج : 26)

26- والذين يؤمنون باليوم الآخر، والجزاء والحساب، والثواب والعقاب، فيبتعدون عن المنكرات لئلا يعاقبوا، ويعملون الأعمال الصالحة لثابوا.

{ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ } (المعارج : 27)

27- والذين يخافون على أنفسهم من عذاب الجحيم، فهم وجلون مشفقون، يطمعون في رحمة ربِّهم، ويخافون عقوبته.

{ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ } (المعارج : 28)

28- ولا يَأْمَنَنَّ عَذَابَ اللَّهِ أَحَدٌ، ولو كَانَ مُبَالِغًا فِي الطَّاعَةِ، فلا يَخْلُو أَحَدٌ مِنْ ذُنُوبٍ عَمِلَهَا، ولا يَدْرِي أُيْغَفَرُ لَهُ أَمْ لَا؟

{ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ } (المعارج : 29)

29- والذِينَ يُحَافِظُونَ عَلَى فُرُوجِهِمْ مِنَ الْحَرَامِ، فَهُمْ أَعَمَّةٌ لَا يَقَعُونَ فِيهَا تَهَامُهُ اللَّهُ عَنْهُ.

{ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ } (المعارج : 30)

30- ولا يَقْرَبُونَ سِوَى مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ مِنَ الْجَوَارِي، فلا حَرَجَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ وَلَا لَوْمَ.

{ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ } (المعارج : 31)

31- فَمَنْ طَلَبَ غَيْرَ زَوْجَاتِهِ وَإِمَائِهِ، فَهُوَ مِنَ الْمُعْتَدِينَ، الْمُتَجَاوِزِينَ مِنَ الْحَلَالِ إِلَى الْحَرَامِ.

{ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ } (المعارج : 32)

32- وَمِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ مُؤْتَمِنُونَ عَلَى أَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ، حَافِظُونَ لَهَا وَمُؤْفُونَ بِهَا، فلا يَخُونُونَ وَلَا يَغْدِرُونَ.

{ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ } (المعارج : 33)

33- والذِينَ يُحَافِظُونَ عَلَى شَهَادَاتِهِمْ، فلا يَكْتُمُونَهَا، ولا يَزِيدُونَ فِيهَا، ولا يَنْقُصُونَ مِنْهَا، إِحْيَاءَ لِحُقُوقِ النَّاسِ، وَتَعْظِيمًا لِأَمْرِ اللَّهِ.

{ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ } (المعارج : 34)

34- والذِينَ يُحَافِظُونَ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ الْمَفْرُوضَةِ عَلَيْهِمْ، فَيُؤَدُّونَهَا فِي وَقْتِهَا، وَبَارِكَانِهَا وَشُرُوطِهَا.

{أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ} (المعارج : 35)

35- أولئك يُكْرِمُهُمُ اللهُ وَيُعِدُّ لَهُمْ مَا يُسْعِدُهُمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

{فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكَ مُهْطِعِينَ} (المعارج : 36)

36- فما بال هؤلاء المشركين الذين حولك مُسْرِعِينَ مُقْبِلِينَ إِلَيْكَ؟

{عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ} (المعارج : 37)

37- ثم مُتَمَرِّقِينَ عَنْكَ ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشِّمَالِ، يُعْرِضُونَ عَنْكَ وَيَسْخَرُونَ مِنْكَ، وَيَتَحَلَّقُونَ فِي جَمَاعَاتٍ يَتَنَّجُونَ بِالْكَيْدِ وَالرَّدِّ عَلَى مَا يَسْمَعُونَ؟

{أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةً نَّعِيمًا} (المعارج : 38)

38- أَيَطْمَعُ هَؤُلَاءِ مَعَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِعْرَاضِ وَالِاسْتِهْزَاءِ أَنْ يُكْرَمُوا بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ؟

{كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ} (المعارج : 39)

39- كَلَّا، لَا نَصِيبَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ عَانَدُوا وَأَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ. وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ، فَصَارُوا يُجَادِلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ بِالْبَاطِلِ، وَكَانَ الْأَوَّلَى بِهِمْ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ الَّذِي خَلَقَهُمْ مِنْ هَذَا الْمَاءِ الضَّعِيفِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَبْعَثَهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ وَيُحَاسِبَهُمْ.

{فَلَا أُفْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ} (المعارج : 40)

40- فَأُفْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، حَيْثُ تُشْرِقُ الشَّمْسُ وَتَغْرُبُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ بِاسْتِمْرَارٍ دَوْرَانَ الْأَرْضِ حَوْلَ مَجْوَرِهَا، نَحْنُ قَادِرُونَ،

{عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} (المعارج : 41)

41- عَلَى أَنْ نُهْلِكَهُمْ، وَنَأْتِيَ بِخَلْقٍ آخَرَ أَطْوَعَ مِنْهُمْ، وَلَسْنَا عَاجِزِينَ عَنْ ذَلِكَ.

{ فَذَرْنَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ } (المعارج : 42)

42- فَذَرْنَهُمْ وَلَا تَكْتَرِثْ بِهِمْ أَيُّهَا الرُّسُولُ، وَلِيَخُوضُوا فِي كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَلِيَلْعَبُوا فِي دُنْيَاهُمْ، حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَ الْبَعْثِ، لِيَذُوقُوا وَبَالَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ.

{ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ } (المعارج : 43)

43- يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الثُّبُورِ مُسْرِعِينَ، وَكَأَنَّهُمْ يَسْعَوْنَ إِلَى أَعْلَامٍ مَنْصُوبَةٍ يَنْجَذِبُونَ إِلَيْهَا.

{ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ } (المعارج : 44)

44- وَعُيُوثُهُمْ ذَلِيلَةٌ خَاضِعَةٌ، وَتَعَشَّى وُجُوهُهُمْ ذِلَّةٌ وَكَأَبَةٌ وَمَهَانَةٌ، فِي مُقَابِلِ مَا كَانُوا يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا، ذَلِكَ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ بِهِ، فَلْيَذُوقُوا الْعَذَابَ الَّذِي كَانُوا يُكَذِّبُونَ بِهِ.

سورة نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (نوح : 1)

1- إِنَّا بَعَثْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ، أَنْ حَوِّفَهُمْ بِأَسْرِ اللَّهِ الشَّدِيدِ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ.

{ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ } (نوح : 2)

2- فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَقَالَ: يَا قَوْمِ، إِنِّي مُنذِرٌ لَكُمْ، وَمُبَيِّنٌ لَكُمْ أَمْرَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ.

{ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا } (نوح : 3)

3- اعبُدوا اللهَ وَحدهُ ولا تُشركوا بهِ شَيْئاً، ولا تُخالفوا أمره، وأطيعوني فيما أمركم به، فإنِّي رَسُولٌ مِنْ عِنْدِهِ.

{ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (نوح : 4)

4- فَإِنْ تَفَعَّلُوا ذَلِكَ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ، وَيُمِدِّدْ فِي أَعْمَارِكُمْ إِلَى أَقْصَاهَا (بشَرطِ الإِيْمَانِ والطَّاعَةِ). فبادِروا إلى الإِيْمَانِ قَبْلَ قَوَاتِ الأَوَانِ، فَإِنَّ الأَجَلَ الَّذِي حَدَّدَهُ اللهُ لأَعْمَارِكُمْ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ، وَإِذَا مُتُّمْ عَلَى الكُفْرِ هَلَكْتُمْ، وَلَوْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ لَعَلِمْتُمْ ذَلِكَ.

{ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا } (نوح : 5)

5- فدَعَاهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُدَّةً طَوِيلَةً، أَلْفًا إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا، وَهُمْ يَمْتَنِعُونَ عَنِ الإِيْمَانِ، فَقَالَ مُنَاجِيًا رَبَّهُ، يَشْكُو إِلَيْهِ قَوْمَهُ المَعَانِدِينَ: اللَّهُمَّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَلَمْ أَتَوَانَ فِي دَعْوَتِهِمْ إِلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ، امْتِنَالًا لِأَمْرِكَ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ،

{ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا } (نوح : 6)

6- فَلَمْ تَزِدْهُمْ دَعْوَتِي لَهُمْ إِلاَّ نُفُورًا وَإِدْبَارًا عَنِ الإِيْمَانِ!

{ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا } (نوح : 7)

7- وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ إِلَى دِينِكَ لِتَغْفِرَ لَهُمْ إِذَا آمَنُوا، سَلُّوا آذَانَهُمْ لئَلَّا يَسْمَعُوا دَعْوَتِي، وَتَعَطَّوْا بِثِيَابِهِمْ لئَلَّا يَرُونِي، وَأَصْرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ، وَاسْتَكْبَرُوا عَنِ اتِّبَاعِ الحَقِّ اسْتِكْبَارًا عَظِيمًا⁽¹⁵³⁾.

(153) {وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا}: وَتَكَبَّرُوا فَتَعَاظَمُوا عَنِ الإِدْعَانِ لِلحَقِّ وَقَبُولِ مَا دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ مِنَ النِّصِيحَةِ. (الطبري).
{وَاسْتَكْبَرُوا}: تَعَطَّوْا عَنِ اتِّبَاعِي وَطَاعَتِي، وَأَخَذْتُمْ العِزَّةَ فِي ذَلِكَ. (روح البیان).

{ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهْرًا } (نوح : 8)

8- ثمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهْرَةً بَيْنَ النَّاسِ .

{ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا } (نوح : 9)

9- ثمَّ كَرَّرْتُ فَأَعْلَنْتُ لَهُمُ الدَّعْوَةَ، وَنَوَّعْتُ فِي الْأَسْلُوبِ فَدَعَوْتُهُمْ سِرًّا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ أَدْعَى لِاسْتِحَابَّتِهِمْ .

{ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا } (نوح : 10)

10- فقلْتُ: انتهبوا عن الكُفْرِ والمعاصي، وارجعوا إلى الله وتوبوا إليه، فَإِنَّهُ كَثِيرُ الْمَغْفِرَةِ لِدُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ التَّائِبِينَ .

{ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا } (نوح : 11)

11- فَإِنْ تَفَعَّلُوا ذَلِكَ يُنْعِمَ عَلَيْكُمْ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مَطَرًا كَثِيرًا مَتَوَاصِلًا،

{ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا } (نوح : 12)

12- وَيُكَثِّرُ مِنْ رِزْقِهِ لَكُمْ، وَيَهَبُكُمْ أَوْلَادًا كَثْرًا، وَيُبَارِكُ فِي زُرُوعِكُمْ وَثَمَارِكُمْ، وَيَجْعَلُ لَكُمْ فِيهَا أَنْهَارًا جَارِيَةً .

{ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا } (نوح : 13)

13- مَا الَّذِي جَرَى لَكُمْ فَلَا تُعْظَمُونَ اللَّهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ، وَلَا تَخَافُونَ بِأَسْئَةِ وَنِقَمَتِهِ؟

{ وَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا } (نوح : 14)

14- وقد عَلِمْتُمْ قُدْرَتَهُ مِنْ خِلَالِ بَدْءِ خَلْقِكُمْ نُطْفَةَ، ثُمَّ عَلَقَةَ، ثُمَّ مُضْغَةَ، ثُمَّ عِظَامًا وَلَحْمًا، إلى تَمَامِ الْخَلْقِ.

{ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا } (نوح : 15)

15- أَلَمْ تَتَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ فِي ذَلِكَ، فَخَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ مُتَطَابِقَةً بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ؟

{ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا } (نوح : 16)

16- وجعل القمر في السماء الدنيا نوراً يُضيءُ ظلمة الليل في الأرض، وجعل الشمس في النهار كالمصباح المضيء لأهل الدنيا، فيبصرون فيه ويعملون في ضوئها.

{ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا } (نوح : 17)

17- والله أنشأ أصلكم من الأرض إنشأً.

{ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا } (نوح : 18)

18- ثم يُعيدكم بعد موتكم فيها، ويُخرجكم يوم البعث من قبوركم إخراجاً، ليحاسبكم على أعمالكم ويُجازيكم بما تستحقون.

{ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا } (نوح : 19)

19- وجعل الله لكم الأرض مبسطةً مُمهَّدةً،

{ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا } (نوح : 20)

20- لتستقروا عليها وتمشوا في طرقها وأرجائها الواسعة.

{ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا } (نوح : 21)

21- لَكِنَّ وَعَظَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُؤْتَرْ فِيهِمْ، وَقَدْ تَشَرَّبَتْ قُلُوبُهُمْ بِالْكَفْرِ، فَدَعَا رَبَّهُ قَائِلًا: رَبِّاهُ، إِنَّهُمْ كَذَّبُونِي وَخَالَفُونِي فِيمَا دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ، وَاتَّبَعُوا أَبْنَاءَ الدُّنْيَا، مِنَ الرُّؤَسَاءِ وَالرُّعَمَاءِ وَالْوَجَهَاءِ، مِمَّنْ غَرَّتْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ، وَغَفَلُوا عَنِ دِينِكَ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي زِيَادَةِ خَسَارَتِهِمْ فِي الْآخِرَةِ.

{وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبْرَارًا} (نوح : 22)

22- وَكَادُوا كَيْدًا عَظِيمًا، بَصَدَّ النَّاسِ عَنِ الدِّينِ، وَتَحْرِيطِهِمْ عَلَى أَذِيَّةِ النَّبِيِّ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامِ، وَالاسْتِهْزَاءِ بِهِ وَبِرِسَالَتِهِ.

{وَقَالُوا لَا تَنْدُرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذُرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَئُوعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} (نوح : 23)

23- وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَتْرَكُوا عِبَادَةَ آلِهَتِكُمْ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ نُوحٍ، وَلَا تَتْرَكُوا عِبَادَةَ هَذِهِ الْآلِهَةِ خُصُوصًا: وَدًّا، وَسُوَاعًا، وَيَعُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْرًا.

{وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا} (نوح : 24)

24- وَقَدْ ضَلَّ بِسَبَبِ الْأَصْنَامِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ {رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّلَنَّا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ} [سورة إبراهيم: 36]. اللَّهُمَّ وَلَا تَزِدِ الْكَافِرِينَ إِلَّا ضَلَالًا. وَقَدْ عَتَوْا وَتَمَرَّدُوا وَأَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ، وَأَيَقَنَ نُوحٌ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي هَذِهِ الْقُلُوبِ الظَّالِمَةِ الْبَاغِيَةِ الْعَاتِيَةِ، وَأَنَّهَا لَا تَسْتَحِقُّ الْهُدَايَةَ وَالنَّجَاةَ، وَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ.

{مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا} (نوح : 25)

25- مِنْ أَجْلِ ذُنُوبِهِمْ وَجَرَائِمِهِمْ، وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، أُغْرِقُوا بِالطُّوفَانِ، ثُمَّ أُدْخِلُوا نَارَ جَهَنَّمَ، وَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مُعِينًا وَمُعِينًا يَنْتَصِرُ لَهُمْ وَيُخَلِّصُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي هُمْ فِيهِ.

{وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا} (نوح : 26)

26- وَدَعَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ قَائِلًا: اللَّهُمَّ لَا تُبْقِ عَلَى الْأَرْضِ كَافِرًا وَاحِدًا يَسْكُنُ الدِّيَارَ.

{إِنَّكَ إِن تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاَجْرًا كَفَّارًا} (نوح : 27)

27- إِنَّكَ إِن أَبْقَيْتَهُمْ أَوْ بَعْضَهُمْ، يُضِلُّوا مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ مِنْ عِبَادِكَ، وَلَا يَلِدُوا إِلَّا مَنْ يَفْجُرُ وَيَكْذِبُ؛ لِمَا عَرَفَ نُوحٌ مِنْهُمْ ذَلِكَ، وَقَدْ بَقِيَ فِيهِمْ نَحْوَ عَشْرَةِ قُرُونٍ.

{رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَرِدِ الظَّالِمِينَ
إِلَّا تَبَارًا} (نوح : 28)

28- ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَلِوَالِدَيَّ، وَلِمَنْ دَخَلَ دَارِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِكَ، وَاغْفِرْ لَجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، وَلَا تَرِدِ الْكَافِرِينَ إِلَّا هَلَاكًا وَدَمَارًا، فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.

سورة الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا} (الجن : 1)

1- قُلْ أَيُّهَا الرُّسُولُ الْكَرِيمُ: أُوْحِيَ اللَّهُ إِلَيَّ أَنَّ بَعْضَ الْجِنِّ اسْتَمَعُوا إِلَى الْقُرْآنِ وَأَنَا أَتْلُوهُ، فَآمَنُوا بِهِ، وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ وَقَالُوا لَهُمْ: لَقَدْ سَمِعْنَا قِرَاءَةَ كِتَابٍ سَمَاوِيٍّ مُعْجَزٍ بَدِيعٍ، يُعْجَبُ مِنْهُ لِبَلَاغَتِهِ وَحُسْنِ مَوَاعِظِهِ وَمَعَانِيهِ.

{يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} (الجن : 2)

2- يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَالسَّدَادِ، فَآمَنَّا بِهِ، وَالتَزَمْنَا تَوْحِيدَ اللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِهِ أَحَدًا.

{وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا} (الجن : 3)

3- وَأَنَّهُ عَلَتْ عَظْمَةُ رَبِّنَا، وَجَلَّ جَلَالُهُ، لَمْ يَتَّخِذْ زَوْجَةً وَلَا أَوْلَادًا.

{وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً} (الجن : 4)

4- وَأَنَّ إبليسَ اللَّعِينِ كَانَ يَقُولُ عَلَى اللَّهِ قَوْلًا كَذِبًا بَعِيدًا عَنِ الْحَقِّ، وَيَصِفُهُ بِالشَّرِيكِ وَالْوَلَدِ.

{وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} (الجن : 5)

5- وَأَنَّا مَا حَسِبْنَا أَنْ يَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ قَوْلًا كَذِبًا عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَيَنسِبُوا إِلَيْهِ الزَّوْجَةَ وَالْوَلَدَ.

{وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} (الجن : 6)

6- وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ إِذَا نَزَلُوا وَادِيًا أَوْ مَكَانًا مُوحِشًا، يَعُوذُونَ بِعَظِيمِ ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنَ الْجِنِّ أَنْ يُصِيبَهُمْ بَشْيٌ يَسُوءُهُمْ، فَزَادُوهُمْ طُغْيَانًا بِذَلِكَ، وَتَجَرَّتِ الْجِنُّ عَلَيْهِمْ وَأَذَوْهُمْ.

{وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا} (الجن : 7)

7- وَأَنَّ الْإِنْسَ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَيُّهَا الْجِنُّ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ بَعْدَ هَذِهِ الْمَدَّةِ رَسُولًا، وَقَدْ أَخْطَأُوا وَأَخْطَأْتُمْ.

{وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا} (الجن : 8)

8- وَأَنَّا طَلَبْنَا بُلُوغَ السَّمَاءِ لِاسْتِمَاعِ كَلَامِ أَهْلِهَا - حِينَ بُعِثَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حُرَّاسًا أَقْوِيَاءَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَشُهُبًا مِنَ النُّجُومِ، تَطْرُدُهُمْ وَتَمْنَعُهُمْ مِنَ الْاسْتِمَاعِ.

{وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا} (الجن : 9)

(

9- وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنَ السَّمَاءِ قَبْلَ ذَلِكَ مَقَاعِدَ نَسْتَمِعُ فِيهَا⁽¹⁵⁴⁾، فَمَنْ يَسْتَرِقِ السَّمْعَ الْيَوْمَ يَجِدْ شِهَابًا رَاصِدًا لَهُ، يُرْمَى بِهِ فِيهِلِكُهُ.

وكانَ رَمِي الشَّيَاطِينِ بِالشُّهُبِ مَوْجُودًا قَبْلَ مَبْعَثِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلَكِنْ أَحْيَانًا بَعْدَ أَحْيَانٍ، وَبَعْدَهُ كَانَتْ كَثْرَةُ الشُّهُبِ، وَالْحَرَسُ الشَّدِيدُ.

{وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشْدًا} (الجن : 10)

10- وَأَنَا لَا نَدْرِي هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي حَدَثَ فِي السَّمَاءِ مِنَ الْحَرَسِ وَالرَّمْيِ بِالشُّهُبِ، أَهْوَ شَرُّ أُرِيدَ بِأَهْلِ الْأَرْضِ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ خَيْرًا وَصَلَاحًا؟

{وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا} (الجن : 11)

11- وَأَنَا مِنَّا - مَعْشَرَ الْجِنِّ - الْمُوصُوفُونَ بِالصَّلَاحِ وَالْمَعَامَلَةِ الطَّيِّبَةِ، وَمِنَّا قَوْمٌ دُونَ ذَلِكَ، وَكُنَّا جَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقِينَ ذَوِي آرَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ.

{وَأَنَا ظَنْنَا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا} (الجن : 12)

12- وَأَنَا عَلِمْنَا أَنَّ لَا نَقْدِرُ عَلَى الْإِفْلَاتِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ أَيْنَمَا كُنَّا فِي أَرْجَاءِ الْأَرْضِ، وَلَا يُعْجِزُ اللَّهُ أَحَدًا مِنَّا إِذَا طَلَبَهُ، وَلَوْ أَمَعَنَ فِي الْهَرَبِ وَجَاهَدَ فِي الْاِخْتِفَاءِ.

{وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ وَلَا رَهَقًا} (الجن : 13)

(154) أي: مواضع نقعد في مثلها لاستماع الأخبار من السماء... والمقاعد جمع مقعد، اسم مكان، وذلك أن مردة الجن كانوا يفعلون ذلك ليسمعوا من الملائكة أخبار السماء، فيلقونها إلى الكهنة، فحرسها الله سبحانه ببعثه رسوله صلى الله عليه وسلم بالشهب المحرقة. (فتح القدير، باختصار).

وفي "كشف الأسرار": أي: مواضع لاستماع الأخبار. (روح البيان).

[القعود] هنا مجاز في ملازمة المكان زمنًا طويلاً، لأن ملازمة المكان من لوازم القعود. (التحريم).

13- وَأَنَا لَهَا سَمِعْنَا الْقُرْآنَ يُتْلَىٰ آمَنًا بِهِ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ، فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ وَمَا أَنْزَلَهُ عَلَىٰ رُسُلِهِ، فَلَا يَخَافُ نَقْصًا فِي الثَّوَابِ، وَلَا ظُلْمًا أَوْ مَكْرُوهًا يَغْشَاهُ.

{ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا } (الجن : 14)

14- وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ الْقَائِمُونَ عَلَىٰ أَمْرِ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، وَمِنَّا الْجَائِرُونَ النَّكِبُونَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ قَصَدُوا الْهِدَايَةَ وَالسَّدَادَ، وَطَلَبُوا الْفَوْزَ وَالنَّجَاةَ.

{ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا } (الجن : 15)

15- وَأَمَّا الْمَشْرِكُونَ النَّكِبُونَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، فَكَانُوا وَقُودًا تُسْعَرُ بِهِمُ النَّارُ فِي جَهَنَّمَ.

{ وَأَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا } (الجن : 16)

16- قَالَ اللَّهُ مَا مَعْنَاهُ: وَأَنَّ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ لَوْ امْتَنَلُوا أَمْرَنَا، وَاسْتَقَامُوا عَلَى الشَّرِيعَةِ، لَوَسَّعْنَا عَلَيْهِمُ الرِّزْقَ فِي الدُّنْيَا، وَجَعَلْنَاهُمْ فِي عَيْشٍ رَغِيدٍ؛

{ لَنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا } (الجن : 17)

17- لَنَخْتَبِرَهُمْ فِيمَا أَنْعَمْنَا بِهِ عَلَيْهِمْ، وَنَعْلَمُ الْمُتَّبِعَ لِلْحَقِّ مِنَ الْمُنْحَرِفِ عَنْهُ، وَالشَّاكِرَ لِلنَّعْمَةِ مِنَ الْكَافِرِ بِهَا. وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ وَمَوْعِظَتِهِ، نُصَلِّهِ عَذَابًا شَاقًّا مَوْلِمًا.

{ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا } (الجن : 18)

18- وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَالْخُضُوعِ لِعَظَمَتِهِ، فَلَا تَعْبُدُوا فِيهَا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.

{ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا } (الجن : 19)

19- وَأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَامَ يَدْعُو إِلَى دِينِ اللَّهِ وَنَبَذَ الشِّرْكَ، اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْمَشْرِكُونَ وَازْدَحَمُوا، فَكَذَّبُوهُ وَتَعَاوَنُوا عَلَى عِدَاوَتِهِ، وَمَنَعُوهُ مِنَ التَّبْلِيغِ وَنَشَرِ الدَّعْوَةِ.

{قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا} (الجن : 20)

20- قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: إِنَّمَا أَعْبُدُ رَبِّي، وَلَا أُشْرِكُ فِي الْعِبَادَةِ أَحَدًا مَعَهُ، وَهَذَا لَا يُوجِبُ اجْتِمَاعَكُمْ عَلَى عِدَاوَةٍ مَا أَدْعُو إِلَيْهِ.

{قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا} (الجن : 21)

21- قُلْ لَهُمْ: إِنِّي رَسُولٌ مِنَ الْبَشَرِ، لَا أَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ هِدَايَتِكُمْ وَلَا غَوَايَتِكُمْ شَيْئًا، وَلَا نَفْعَكُمْ وَلَا ضَرَّكُمْ، إِنَّمَا الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ اللَّهُ وَحْدَهُ.

{قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا} (الجن : 22)

22- قُلْ: لَنْ يَقْدِرَ أَحَدٌ عَلَى إِنْقَاذِي إِذَا أَرَادَنِي اللَّهُ بِسُوءٍ إِنْ عَصَيْتُهُ، وَلَنْ أَجِدَ مَلْجَأً أَلُوذُ بِهِ، وَلَا نَصِيرًا أَلْتَجِيءُ إِلَيْهِ مِنْ دُونِهِ سُبْحَانَهُ.

{إِلَّا بِلَاغٍ مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا} (الجن : 23)

23- لَنْ يُجِيرَنِي مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِلَّا إِذَا بَلَغْتُ الرِّسَالَةَ، الَّتِي أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيَّ أَدَاءَهَا، فَفِيهِ الْأَمْنُ وَالنَّجَاةُ. وَمَنْ يُخَالِفْ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَمْ يُؤْمِنْ، فَإِنَّهُ يُعَذَّبُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُّخَلَّدًا فِيهَا.

{حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَّاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا} (الجن : 24)

24- حَتَّىٰ إِذَا رَأَى الْمُشْرِكُونَ مَا وَعَدُوا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَسَيَعْلَمُونَ عِنْدَئِذٍ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ هُوَ الضَّعِيفُ الْمَخْذُولُ، الْقَلِيلُ الَّذِي لَا يُؤْتِيهِ بِهِ، الْمُؤْمِنُونَ، أَمْ الْمُشْرِكُونَ؟ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ فِي مَكَّةَ يُعَيِّرُونَ الْمُسْلِمِينَ بِأَتَمِّ قَلَّةٍ مُّسْتَضْعَفَةٍ.

{قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مِمَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا} (الجن : 25)

25- قُلْ لَهُمْ أَتْيَاهَا الرَّسُولُ: لَا أَدْرِي أَقْرَبُ هُوَ وَقْتُ الْقِيَامَةِ الَّذِي تُوعَدُونَ بِهِ، أَمْ أَنَّهُ مُؤَجَّلٌ إِلَى وَقْتٍ أَبْعَدَ؟ اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ.

{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} (الجن : 26)

26- هُوَ اللَّهُ الَّذِي يَعْلَمُ مَا غَابَ عَنْ أَبْصَارِكُمْ وَإِدْرَاكِكُمْ، وَلَا يُطْلِعُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ عَلَى مَا اخْتَصَّ بِهِ عِلْمُهُ،

{إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا} (الجن : 27)

27- إِلَّا مَنْ اخْتَارَهُ وَرَضِيَ أَنْ يُطْلِعَهُ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنَ الْغَيْبِ، مِنْ رَسُولٍ مَلَكَ أَوْ بَشَرِيٍّ، فَإِنَّهُ يَجْعَلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ مَلَائِكَةً يَحْفَظُونَهُ وَيَحْرُسُونَهُ مِنْ تَعَرُّضِ الشَّيَاطِينِ لَهُ.

{لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا} (الجن : 28)

28- لِأَجْلِ أَنْ يَعْلَمَ الرَّسُولُ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ، مَعَ حِفْظِ الْمَلَائِكَةِ لَهُمْ كَمَا يَحْفَظُونَهُ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَأَحَاطَ عِلْمُهُ بِمَا عِنْدَ الرُّسُلِ وَمَا عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَأَحَاطَ بِعَدَدِ كُلِّ شَيْءٍ وَاسْتَقْصَاهُ، فَعَرَفَهُ وَعَلِمَهُ، مِمَّا كَانَ وَمِمَّا سَيَكُونُ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

سورة المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ} (المزمل : 1)

1- أَيُّهَا الرَّسُولُ الْمُتَلَقِّفُ بِثَوْبِهِ،

{قُمِ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا} (المزمل : 2)

2- صَلِّ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُ،

{ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً } (المزمل : 3)

3- نِصْفَ اللَّيْلِ أَوْ انْقُصْ مِنَ النَّصْفِ قَلِيلاً،

{ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً } (المزمل : 4)

4- أَوْ زِدْ عَلَى النَّصْفِ. وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى تُوْدَةٍ وَتَمَهُّلٍ، وَبَيِّنْهُ تَبْيِينًا، لِيَكُونَ عَوْنًا عَلَى فَهْمِهِ وَتَدَبُّرِهِ.

(يُنظَرُ نَسْخُ مَا ذُكِرَ مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ).

{ إِنَّا سَأَلْنَاكَ قَوْلًا ثَقِيلًا } (المزمل : 5)

5- إِنَّا سَأَلْنَاكَ قَوْلًا ثَقِيلًا، الَّذِي فِيهِ مِنَ الْفَرَاغِ وَالْحُدُودِ، وَالْأَمْرِ وَالنَّوَاهِي، مَا هُوَ ثَقِيلٌ عَلَى النَّفْسِ، فَتَحْتَاجُ إِلَى عَزْمٍ وَمُجَاهَدَةٍ وَمُصَابَرَةٍ.

{ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً } (المزمل : 6)

6- إِنَّ الْعِبَادَةَ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَأَوْقَاتِهِ أَثْبَتُ لِحُضُورِ الْقَلْبِ، وَأَكْثَرُ مُوَافَقَةً بَيْنَ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَأَجْمَعُ لِلخَاطِرِ فِي التَّلَاوَةِ مِنَ النَّهَارِ، لِهَدَاةِ النَّاسِ وَسُكُونِ الْأَصْوَاتِ.

{ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا } (المزمل : 7)

7- إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ وَقْتًا لِلْفَرَاغِ وَالِاشْتِغَالِ بِالْحَاجَاتِ وَتَدْبِيرِ الْأَعْمَالِ، فَعَلَيْكَ بِالْقِيَامِ فِي اللَّيْلِ.

{ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً } (المزمل : 8)

8- وَأَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ بِالتَّوْحِيدِ وَالتَّعْظِيمِ، وَدَاوِمِ عَلَيْهِ، وَتَفَرَّغْ لِعِبَادَتِهِ إِذَا فَرَّغْتَ مِنْ أَشْغَالِكَ.

{ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا } (المزمل : 9)

9- هو المالك والمتصرف في الكون، رب المشرق والمغرب وكل جهة، لا إله غيره ولا رب سواه، فاعتمد عليه وفوض أمورك إليه.

{ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا } (المزمل : 10)

10- واصبر على ما يقولون من تكذيبهم إياك وأذاهم لك، ولا تتعرض لهم، ودارهم من غير جزع، وكل أمورهم إلى الله. (وكان هذا قبل الأمر بالقتال).

{ وَذَرِينِ الْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهْلُهُمْ قَلِيلًا } (المزمل : 11)

11- ودعي المكذبين المترفين أهل النعم والغنى، وأمهلهم زماناً قليلاً، هو مدة حياتهم القصيرة.

{ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحَجِيمًا } (المزمل : 12)

12- إننا أعتدنا لهم في جهنم قيوداً ثقيلة، وناراً مضطربة شديدة الإيقاد.

{ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا } (المزمل : 13)

13- وطعاماً لا يساغ، يُعصُّ به وينشب في الحلق، وعذاباً مؤلماً شديداً.

{ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا } (المزمل : 14)

14- يوم تهتز الأرض والجبال وتترززل، وكانت الجبال مثل كُثبان الرمل، رحوه لينة، بعدما كانت صخوراً ثابتة قوية.

{ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا } (المزمل : 15)

15- إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا يَشْهَدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ مَا صَدَرَ مِنْكُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ
وَالْعِصْيَانِ، كَمَا بَعَثْنَا مُوسَىٰ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ لِيُلَاقَهُ رِسَالَةَ رَبِّهِ.

{ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً } (المزمل : 16)

16- فَكَذَّبَهُ فِرْعَوْنُ وَعَصَاهُ، فَعَاقَبْنَاهُ عِقَابًا شَدِيدًا، وَأَغْرَقْنَاهُ وَجُنُودَهُ كُلَّهُمْ. فَاحْذَرُوا.

{ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا } (المزمل : 17)

17- فَكَيْفَ تَتَّقُونَ أَنْفُسَكُمْ - إِنْ كَفَرْتُمْ - عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، الَّذِي يَشِيبُ فِيهِ الْأَوْلَادُ
الصَّغَارَ، مِنْ أَهْوَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَكُرُوبِهِ؟

{ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا } (المزمل : 18)

18- السَّمَاءُ مُنْصَدِعٌ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ خَلْقٌ مُحْكَمٌ هَائِلٌ، فَكَيْفَ بَعِيرِهِ مِنْ
الْخَلَائِقِ؟! وَكَانَ الْوَعْدُ بِمَجِيءِ هَذَا الْيَوْمِ وَاقِعًا لَا مَحَالَةَ.

{ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا } (المزمل : 19)

19- إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ مَوْعِظَةٌ يَتَّعِظُ بِهَا الْعُقَلَاءُ، فَمَنْ شَاءَ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ،
وَسَلَكَ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى رِضَائِهِ وَالْجَنَّةِ.

{ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ
وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ
عَلِمَ أَنَّ سَيِّئُونَ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخِرُونَ
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (المزمل : 20)

20- إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَقَلَّ مِنْ ثُلثِي اللَّيْلِ، وَأحيانًا نِصْفَهُ، وَأحيانًا ثُلثَهُ، وَطائفةٌ مِنْ أَصْحَابِكَ مَعَكَ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَقَادِيرَ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَلَا يَفُوتُهُ عِلْمُ قِيَامِكُمْ فِيهِ، وَعَلِمَ أَنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى الْمُواظَبَةِ عَلَى مَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ هَذَا الْقِيَامِ، فَعَفَا عَنْكُمْ، وَخَفَّفَ مَا كَانَ عَلَيْكُمْ مِنْهُ، فَقومُوا مِنَ اللَّيْلِ مَا تيسَّرَ.

وَعَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ فِي النَّاسِ ذَوُو أَعْدَارٍ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْقِيَامِ، مِنْ مَرَضَى، وَآخَرِينَ يُسَافِرُونَ لِلتَّجَارَةِ يَطْلُبُونَ الرِّزْقَ، وَآخَرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقومُوا مِنَ اللَّيْلِ مَا تيسَّرَ، وَواظِبُوا عَلَى الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ فِي أَوْقَاتِهَا، وَبَارِكَا فِيهَا وَشُرُوطِهَا، وَأَعْطُوا الْمُحْتَاجِينَ مِنَ الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَى أَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفَقُوا مِنْهَا فِي وَجْهِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَمَا تُنْفِقُوا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ وَجْهِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ، تَجِدُوا ثَوَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ وَأَوْفَرَ عِنْدَ اللَّهِ أَجْرًا، وَأَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَاطْلُبُوا مَغْفِرَةَ اللَّهِ لِدُنُوبِكُمْ، فَإِنَّهُ يَغْفِرُ ذُنُوبَ مَنْ تَابَ وَاسْتَغْفَرَ، وَيَرْحَمُ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا، وَأَمْسَكَ اللَّهُ خَاتَمَتَهَا اثْنِي عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

سورة المدثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ } (المدثر : 1)

1- أَيُّهَا النَّبِيُّ الْمُتَلَفِّفُ بِشْيَابِهِ.

{ قُمْ فَأَنْذِرْ } (المدثر : 2)

2- فَمُ وَأَنْذِرِ النَّاسَ بَعْرِيمَةً وَّنَشَاطًا، وَنَبِّهْهُمْ مِنْ غَفْلَتِهِمْ، وَمِنَ الشُّرْكِ وَالضَّلَالِ الَّذِي هُمْ غَارِقُونَ فِيهِ.

{وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ} (المدثر : 3)

3- وَاذْكُرْ رَبَّكَ وَعَظْمَهُ، وَجِدَّهُ وَوَحْدَهُ.

{وَتِيَابِكَ فَطَهِّرْ} (المدثر : 4)

4- وَطَهِّرْ نَفْسَكَ مِنَ الذُّنُوبِ وَهَدِّبْهَا، وَلَا تُلَبِّسْهَا بِالْإِثْمِ وَالْمَعَاصِي.

{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} (المدثر : 5)

5- وَاهْجُرِ الْأَوْثَانَ وَلَا تَقْرُبْهَا، وَابْتَعِدْ عَنْ كُلِّ سُوءٍ.

{وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ} (المدثر : 6)

6- وَلَا تُعْطِ مَالَكَ وَأَنْتَ تَطْمَعُ أَنْ يُعْطَى لَكَ أَكْثَرُ مِنْهُ.

{وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} (المدثر : 7)

7- وَاصْبِرْ عَلَى أَدَى قَوْمِكَ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ؛ طَلِبًا لِرِضَاهِ.

{فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ} (المدثر : 8)

8- فَإِذَا نُفِحَ فِي الصُّورِ،

{فَذَلِكَ يَوْمَعِذٍ يَوْمِ عَسِيرٍ} (المدثر : 9)

9- فَذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمٌ شَدِيدٌ عَصِيبٌ.

{عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ} (المدثر : 10)

10- غَيْرُ سَهْلٍ عَلَى الْكَافِرِينَ، فَيَحَاسِبُونَ وَيَفْتَضِحُونَ وَتَسْوَدُّ وُجُوهُهُمْ...

{ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا } (المدثر : 11)

11- دَعَنِي وَهَذَا الْجَاهِدَ الَّذِي خَلَقْتُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَحِيدًا لَا شَيْءَ لَهُ. وَالْمَقْصُودُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ.

{ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا } (المدثر : 12)

12- وَأَعْطَيْتُهُ مَالًا مَبْسُوطًا وَرِزْقًا وَاسِعًا،

{ وَبَيْنَ شُهُودًا } (المدثر : 13)

13- وَأَوْلَادًا حُضُورًا لَا يَغِيبُونَ عَنْهُ، وَقَدْ كَفَاهُمُ الْعَمَلِ وَالسَّفَرَ خَدَمٌ وَعَبِيد.

{ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا } (المدثر : 14)

14- وَبَسَطْتُ لَهُ الْعَيْشَ وَالْجَاهَ وَطَوَّلَ الْعُمُرَ.

{ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ } (المدثر : 15)

15- ثُمَّ هُوَ يَرْجُو أَنْ أَزِيدَهُ مَالًا وَوَلَدًا، وَجَاهًا وَنِعْمَةً.

{ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا } (المدثر : 16)

16- كَلَّا، لَا أَزِيدُهُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ كَانَ مُعَانِدًا لِآيَاتِنَا، مُسْتَكْبِرًا عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، كَافِرًا بِنِعْمِنَا عَلَيْهِ.

وَكَانَ فِي نُقْصَانٍ مِنْ مَالِهِ وَوَلَدِهِ حَتَّى هَلَكَ.

{ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا } (المدثر : 17)

17- سَأُكَلِّفُهُ عَذَابًا شَاقًّا لَا رَاحَةَ لَهُ فِيهِ،

{ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ } (المدثر : 18)

18- لَأَنَّهُ فَكَّرَ وَتَرَوَىٰ مَاذَا يَقُولُ فِي شَأْنِ الْقُرْآنِ، وَقَدْ طَلَبَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَقُولَ فِيهِ قَوْلًا حَتَّىٰ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مُنْكَرٌ لَهُ وَكَارِهِ.

{ فَمُقْتَلٍ كَيْفَ قَدَّرَ } (المدثر : 19)

19- فَلَعِنَ وَأُخْزِيَ كَيْفَ قَدَّرَ الْجَوَابَ،

{ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ } (المدثر : 20)

20- ثُمَّ لَعِنَ بِتَقْدِيرِهِ ذَاكَ، قَاتَلَهُ اللَّهُ،

{ ثُمَّ نَظَرَ } (المدثر : 21)

21- ثُمَّ أَعَادَ النَّظَرَ فِيمَا يَرُدُّ بِهِ عَلَى الْقُرْآنِ،

{ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ } (المدثر : 22)

22- ثُمَّ قَطَّبَ وَجْهَهُ وَأَظْهَرَ الْعُبُوسَ، وَنَظَرَ بِكَرَاهِيَةٍ شَدِيدَةٍ،

{ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ } (المدثر : 23)

23- ثُمَّ أَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ، وَاسْتَكْبَرَ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ،

{ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ } (المدثر : 24)

24- فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي يَتْلُوهُ مُحَمَّدٌ إِلَّا سِحْرٌ يُرَوَى وَيَتَعَلَّمُهُ مِنَ السَّحْرَةِ،

{ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ } (المدثر : 25)

25- مَا هَذَا إِلَّا قَوْلُ بَشَرٍ، وَلَيْسَ بِقَوْلِ إِلَهٍ.

{سَأْصَلِيهِ سَقَرَ} (المدثر : 26)

26- سأدخله جهنم ليدوق عذابها الشديد.

{وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ} (المدثر : 27)

27- وما أعلمك بما في جهنم من العذاب والشدائد؟

{لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ} (المدثر : 28)

28- لا تدع شيئاً فيها إلا أهلكته، من شدة العذاب وقسوته، ثم يُبدلون خلقاً جديداً.

{لَوْاحَةٌ لِلْبَشَرِ} (المدثر : 29)

29- معبرة للبشر (جمع بشرة)، مسودة للجلود. (من لוחته الشمس إذا سودت ظاهره).

{عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} (المدثر : 30)

30- وعلى النار من الحزنة تسعة عشر ملكاً.

{وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ
وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ} (المدثر :

31)

31- وما جعلنا حزنة النار إلا ملائكة، غلاظاً شداداً، لا يُقاومون ولا يُغلبون. وما جعلنا
عددهم (تسعة عشر) إلا احتباراً للكافرين، الذين لا يُسلمون بما أنزل الله، ويستبعدون أن
تقوم قلة من الملائكة بتعذيب عدد هائل من البشر. وليعلم أهل الكتاب أن هذا النبي حق،
وأن القرآن موحى به، فإن عددهم هذا مذكور في الكتب السماوية السابقة. وليزداد بذلك

إِيمَانُ الْمُؤْمِنِينَ، لِمَا يَقْفُونَ عَلَيْهِ مِنْ دَلَائِلِ صِدْقِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلئَلَّا يَشُكَّ أَهْلُ
الْكِتَابِ وَالْمُؤْمِنُونَ فِي عَدَدِهِمْ، وَلَيَقُولَ الْمُنَافِقُونَ وَالْكَافِرُونَ: أَيُّ شَيْءٍ أَرَادَ اللَّهُ بِذِكْرِ هَذَا الْعَدَدِ
مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَبِذِكْرِ هَذَا الْخَبْرِ كُلِّهِ؟

وَبِمَثَلِ هَذَا يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ شَاءَ، مِمَّنْ صَرَفَ اخْتِيَارَهُ إِلَى الْإِنكَارِ وَالْحَقُّ ظَاهِرٌ، وَيَهْدِي مَنْ شَاءَ،
مِمَّنْ اسْتَعَدَّ لِقَبُولِ الْحَقِّ وَالتَّسْلِيمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَبِذَلِكَ يَتَأَكَّدُ إِيْمَانُ أَقْوَامٍ، وَيَتَزَلْزَلُ عِنْدَ آخَرِينَ.
وَلَا يَعْلَمُ جُنُودَ اللَّهِ وَكَثْرَتَهُمْ، وَحَقِيقَتَهُمْ وَوُضَائِفَهُمْ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّهُ مِنَ الْعَيْبِ الَّذِي
اخْتَصَّ بِهِ تَعَالَى.

وَمَا النَّارُ الَّتِي وُصِفَتْ إِلَّا تَذَكِيرٌ وَمَوْعِظَةٌ لِلنَّاسِ، لِيَعْتَبِرُوا وَيَرْجِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ.

{ كَلَّا وَالْقَمَرَ } (المدثر : 32)

32- كَلَّا هُوَ لِإِيْمَانِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ آيَاتِ اللَّهِ، قَسَمًا بِالْقَمَرِ وَمَشْهَدِهِ حِينَ يَطْلُعُ، وَحِينَ
يَسِيرُ، وَحِينَ يَغِيبُ.

{ وَاللَّيْلِ إِذَا أُدْبَرَ } (المدثر : 33)

33- وَاللَّيْلِ حِينَ يُدْبِرُ شَيْئًا فَشَيْئًا أَمَامَ قُدُومِ النَّهَارِ.

{ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ } (المدثر : 34)

34- وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْرَقَ وَبَشَّرَ بِالنُّورِ وَالضُّيَاءِ.

{ إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكُبَرِ } (المدثر : 35)

35- إِنَّ جَهَنَّمَ لِإِحْدَى الدَّوَاهِي الْكِبَارِ، وَالْأُمُورِ الْعِظَامِ.

{ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ } (المدثر : 36)

36- إِذْنَارًا لِلنَّاسِ وَنَحْوِيْفًا لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَمَا أَنْذَرَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَدْهَى مِنْ جَهَنَّمَ.

{لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ} (المدثر : 37)

37- لمن شاء منكم أيها البشر أن يقبل الإنذار فيهندي ويتقدم إلى الخير والطاعة، ومن رد الإنذار فيتأخر وينعمس في الشرور والمعاصي.

{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} (المدثر : 38)

38- كلُّ نفسٍ متعلّقة بما قدّمت، ومحاسبة على ما عملت.

{إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ} (المدثر : 39)

39- ماعدا أصحاب اليمين، من المؤمنين المخلصين، فإنهم غير مرهنيين بذنوبهم، فالله يعفّرهما لهم.

{فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ} (المدثر : 40)

40- في جنّاتٍ عدنٍ واسعات، يسألون،

{عَنِ الْمُجْرِمِينَ} (المدثر : 41)

41- عن أحوال الكافرين المجرمين في مقرهم الدائم:

{مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ} (المدثر : 42)

42- ما الذي أدخلكم جهنم؟

{قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ} (المدثر : 43)

43- قالوا: لم نكن نُصلي لله الصلوات المفروضة علينا،

{وَأَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ} (المدثر : 44)

44- ولم نكن نُعطي حقوق الفقراء لهم، ولا نُطعم مسكينهم،

{ وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ } (المدثر : 45)

45- وَكُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الْبَاطِلِ، وَفِيمَا لَا يَعْنِينَا، وَفِيمَا لَا نَعْلَمُ، مَعَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُزَالُونَ
يَتَكَلَّمُونَ صَبَاحَ مَسَاءٍ فِي أَفْكَارٍ وَنَظَرِيَّاتٍ وَأُمُورٍ شَتَّى، وَلَا يُبَالُونَ فِيهَا بِحَقِّ وَلَا بِاطِلٍ، فَنَمِيلُ
مَعَهُمْ حَيْثُ مَالُوا، وَلَا نُبَالِي.

{ وَكُنَّا نُكَذِّبُ يَوْمَ الدِّينِ } (المدثر : 46)

46- وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ،

{ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ } (المدثر : 47)

47- حَتَّى أَتَانَا الْمَوْتُ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ.

{ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ } (المدثر : 48)

48- فَهَؤُلَاءِ لَا تَنْفَعُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَاعَةُ أَحَدٍ، لِأَنَّهَا تَكُونُ لِمَنْ آمَنَ، وَهَؤُلَاءِ كَافِرُونَ.

{ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ } (المدثر : 49)

49- فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ مُعْرِضِينَ عَنِ الْقُرْآنِ وَإِنذَارِهِ وَتَذْكَرِهِ؟

{ كَأَنَّهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ } (المدثر : 50)

50- كَأَنَّهُمْ فِي نُفُورِهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْقُرْآنِ مِثْلُ حُمْرِ الْوَحْشِ،

{ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ } (المدثر : 51)

51- الَّتِي تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ حِينَ يُطَارِدُهَا لِيَصِيدَهَا!

{ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً } (المدثر : 52)

52- بل يُريدُ كُلُّ واحدٍ مِنَ المشركينَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ سَمَويٌّ يُنَشَرُ وَيُتْرَأُ حَتَّى يُؤْمِنَ
وَيُصَدِّقَ!

{ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ } (المدثر : 53)

53- كَلَّا لَا يُؤْتُونَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الَّذِي أَفْسَدَ مَذْهَبَهُمْ وَجَعَلَهُمْ مُعْرِضِينَ عَنِ الْحَقِّ، وَلَا مُبَالِينَ
بِالْقُرْآنِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، هُوَ عَدَمُ إِيمَانِهِمْ بِالْمَعَادِ وَالْحِسَابِ، وَعَدَمُ خَوْفِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ.

{ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ } (المدثر : 54)

54- كَلَّا لَهُمْ وَإِعْرَاضِهِمْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَوْعِظَةٌ وَتَذَكُّيرٌ، وَإِنذَارٌ وَوَعِيدٌ.

{ فَمَنْ شَاءَ ذَكُرْهُ } (المدثر : 55)

55- فَمَنْ شَاءَ أَحَدٌ بِهِ فَاتَّعَظَ وَاعْتَبَرَ.

{ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ } (المدثر : 56)

56- وَلَا يَتَّعِظُونَ بِمُجَرَّدِ إِرَادَتِهِمْ ذَلِكَ، فَلَا يَشَاوُونَ إِلَّا إِذَا أَرَادَ اللَّهُ هِدَايَتَهُمْ لِيَتَّعِظُوا، فَهُوَ
تَوْفِيقٌ مِنَ اللَّهِ، يُيَسِّرُهُ لِمَنْ يَعْلَمُ صِدْقَ نَبِيِّهِ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ، وَإِخْلَاصَهُ لَهُ، وَلَا يَشَاءُ أَحَدٌ بِمَا
يَتَّعَارِضُ مَعَ مَشِيئَتِهِ، فَهِيَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَمْرٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ سُبْحَانَهُ. وَاللَّهُ أَهْلٌ
لَأَنْ يُخَشِيَ عِقَابَهُ، وَيُطَاعَ أَمْرَهُ، وَهُوَ أَهْلٌ لِأَنْ يَغْفِرَ ذُنُوبَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ التَّائِبِينَ.

سورة القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ } (القيامة : 1)

1- أُقْسِمُ بيوم القيامة، الذي يقوم فيه الناسُ لربِّ العالمين، فيه إحقاق للحق، وإثابة للمُحسِن، وعقوبة للمُجرِم، بالقضاءِ العَدل.

{ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ } (القيامة : 2)

2- وأُقْسِمُ بالنفسِ التي تندمُ لعدمِ إكثارها من الطَّاعةِ وأعمالِ البرِّ، وتندمُ لأنها اقتربت شَرًّا.

{ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجْمَعَ عِظَامُهُ } (القيامة : 3)

3- أَيْظُنُّ الإنسانُ أننا غيرُ قادرينَ على إعادةِ عِظامِهِ المَتناثِرةِ إلى مواضعِها، وجمعِها من أماكنها المتفرِّقة؟

{ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ } (القيامة : 4)

4- بلَى، سنجمعُها أينما كانت، قادرينَ على تَسويةِ أناملِهِ وتركيبِها في مواضعِها كما كانت. أو على جعلِ أصابعِ يَدَيْهِ ورجليهِ شَيْئًا واحدًا كخُفِّ البعير، فلا يقدِرُ على القيامِ بأعمالٍ لطيفة، كالكتابةِ والحياطةِ وغيرها.

أو تَسويةِ الخُطوطِ المتعرجةِ الدَّقِيقَةِ في أطرافِها، التي تُمَيِّزُ كُلَّ شَخْصٍ بِبَصْمَتِهِ.

{ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ } (القيامة : 5)

5- بل يُريدُ المكدِّبُ أن يكفُرَ بيومِ الحِسَابِ. أو أن يُقدِّمَ المرءُ الذَّنْبَ ويُؤخِّرَ التَّوْبَةَ حَتَّى يَأْتِيَهُ الموتُ وهو على شرِّ أحوالِهِ وأسوأِ أعمالِهِ.

{ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ } (القيامة : 6)

6- وَيَسْأَلُ مُسْتَبْعِدًا لَهُ: مَتَى وَقُوعُهُ؟

{ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ } (القيامة : 7)

7- فَإِذَا تَحَيَّرَ الْبَصَرُ وَدُهَشَ مِنَ الرَّعْبِ وَالْفَزَعِ،

{ وَخَسَفَ الْقَمَرُ } (القيامة : 8)

8- وَذَهَبَ ضَوْءُ الْقَمَرِ وَنَوَّرَهُ فَأَظْلَمَ،

{ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ } (القيامة : 9)

9- وَجُمِعَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَاخْتَلَّتْ نِظَامُهُمَا السَّابِقُ،

{ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُجُ } (القيامة : 10)

10- يَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا وَقَعَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ الْمَفْرَعَةُ: كَيْفَ الْمَخْرَجُ، وَهَلْ مِنْ مَلْجَأٍ؟

{ كَلَّا لَا وَزَرَ } (القيامة : 11)

11- كَلَّا، لَا مَلْجَأَ لَكُمْ تَعْتَصِمُونَ فِيهِ.

{ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ } (القيامة : 12)

12- إِلَىٰ اللَّهِ وَحْدَهُ الْمَرْجِعُ وَالْمَصِيرُ، وَالْحُكْمُ لَهُ وَحْدَهُ فِي الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

{ يُنْبَأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ } (القيامة : 13)

13- يُخْبَرُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ وَزْنِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْحِسَابِ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِ، قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا، أَوَّلِهَا وَآخِرِهَا.

{ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ } (القيامة : 14)

14- بل الإنسان شاهدٌ على نفسه وأعماله، عالمٌ بفعله،

{ وَلَوْ أَلْفَىٰ مَعَاذِيرَهُ } (القيامة : 15)

15- ولو اعتذر وأنكر، وجادل وحاجج، فإنه لا يقبل منه.

{ لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ } (القيامة : 16)

16- لا تحرك لسانك بالقرآن أيها النبي وتسبق به جبريل قبل أن ينتهي الوحي، لتأخذه على عجلٍ خشيةً أن تنساه.

{ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ } (القيامة : 17)

17- إن علينا جمعه وحفظه في صدرك فلا تنسى منه شيئاً، ونيسره حتى تقرأه كما أوحى إليك.

{ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ } (القيامة : 18)

18- فإذا تلوناه عليك بواسطة جبريل، فكن منصتاً له ومستمعاً لقراءته، لا مسابقاً.

{ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ } (القيامة : 19)

19- ثم إن علينا توضيح ما أشكل عليك من معانيه وأحكامه.

{ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ } (القيامة : 20)

20- كلاً أيها الناس، إنكم تحبون الحياة الدنيا وحطامها القاني، وزينتها السريعة الزوال.

{ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ } (القيامة : 21)

21- وتتركون الآخرة، وهي الحياة الباقية، والنعيم الذي لا يزول.

{ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ } (القيامة : 22)

22- وجوه كثيرة يوم القيامة تكون بجمية مشرقة، مسرورة متهللة، يرى عليها نضرة النعيم، هي وجوه المؤمنين،

{ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } (القيامة : 23)

23- تنظر إلى ربها عياناً.

{ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ } (القيامة : 24)

24- ووجوه كثيرة يومئذ عابسة كالحية، مغبرة مسودة، هي وجوه الكافرين،

{ تَنْظُرُونَ أَن يُفْعَلَٰ بِهَا فَاكِرَةٌ } (القيامة : 25)

25- تعلم أنه سيفعل بها داهية عظيمة من العذاب، تكسر فقار الظهر.

{ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ } (القيامة : 26)

26- كلاً لمن آثر العاجلة على الآخرة. فإذا بلغت الروح الترقوة - وهي العظمة القريبة من الخلقوم - وحشرج بها عند الموت،

{ وَقِيلَٰ مَنْ رَاقٍ } (القيامة : 27)

27- وقال من حوله: من يرقيه ويداويه؟

{ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ } (القيامة : 28)

28- وأيقن المحتضر أنه الفراق من الدنيا،

{ وَالتَّتَمَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ } (القيامة : 29)

29- وَتَنَابَعَتْ عَلَيْهِ شِدَّةُ الْمَوْتِ مَعَ شِدَّةِ كَرْبِ الْآخِرَةِ. أَوِ التَّقَّتْ سَاقُهُ بِسَاقِهِ مِنَ الْهَلَعِ فَلَمْ تَحْمَلَاهُ،

{إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ} (القيامة : 30)

30- إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ مَرْجِعُ الْعِبَادِ، يُسَاقُونَ إِلَيْهِ لِيَفْصَلَ بَيْنَهُمْ.

{فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى} (القيامة : 31)

31- فَلَا صَدَقَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ بِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَلَا أَدَّى الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِ،

{وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى} (القيامة : 32)

32- بَلْ جَحَدَ وَكَفَرَ، وَتَوَلَّى عَنِ الطَّاعَةِ وَخَالَفَ،

{ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى} (القيامة : 33)

33- ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ يَخْتَالُ وَيَتَبَخَّرُ فِي مَشِيهِ.

{أُولَى لَكَ فَأُولَى} (القيامة : 34)

34- أَهْلَكَ اللَّهُ هَلَاكًا أَقْرَبَ لَكَ مِنْ كُلِّ هَلَاكِ وَشَرٍّ.

{ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى} (القيامة : 35)

35- ثُمَّ هَلَاكًا أَقْرَبَ لَكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

وقد نزلت في أبي جهل، الذي آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كلامًا سيئًا، ثم قُتل في بدرٍ شرَّ قتلة.

{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى} (القيامة : 36)

36- أَيِظُنُّ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ يُتْرَكُ مُهْمَلًا، فَلَا يُكَلَّفُ بِأَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ، وَلَا يُبْعَثُ وَلَا يُجَاسَبُ عَلَى عَمَلِهِ؟!

{ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّيِّ بُمْنِي } (القيامة : 37)

37- أَمَا كَانَ نُطْفَةً مِّن مَّاءٍ ضَعِيفٍ، يُرَاقُ مِنَ الْأَصْلَابِ فِي الْأَرْحَامِ؟

{ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى } (القيامة : 38)

38- ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً تَعْلُقُ بِالرَّحِمِ، ثُمَّ جَعَلَهُ خَلْقًا سَوِيًّا كَامِلًا الْأَعْضَاءِ؟

{ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى } (القيامة : 39)

39- ثُمَّ جَعَلَ مِنَ الْإِنْسَانِ الصَّنَفَيْنِ: الذَّكَرَ وَالْأُنثَى؟

{ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى } (القيامة : 40)

40- أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَ الْخَلْقَ وَسَوَّاهُ قَادِرًا عَلَىٰ أَنْ يُعِيدَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ؟ بَلَىٰ.

سورة الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا } (الإنسان : 1)

1- قَدْ جَاءَ عَلَى الْإِنْسَانِ زَمَانٌ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْئًا يُذَكَّرُ، فَكَانَ مَعْدُومًا.

{ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا } (الإنسان : 2)

2- وَلَمْ يَوْجَدْ الْإِنْسَانَ بِنَفْسِهِ، بَلْ نَحْنُ خَلَقْنَاهُ مِنْ مَّاءٍ خَلِيطٍ، هُوَ مَجْمُوعٌ مَّاءِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، لِنَحْتَبِرَهُ بِالتَّكَالِيفِ، وَالْأَوْامِرِ وَالنَّوَاهِي، وَجَعَلْنَا لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، لِيَسْمَعَ وَيَعْرِفَ وَيَتَدَبَّرَ.

{ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا } (الإنسان : 3)

3- إِنَّا بَيَّنَّا لَهُ طَرِيقَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَعَرَّفْنَاهُ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَمِنْهُمْ شَاكِرٌ مُهْتَدٍ لِلْحَقِّ مُسْلِمٌ، وَمِنْهُمْ جَاوِدٌ مُعْرِضٌ عَنِ الطَّاعَةِ قَدْ ضَلَّ عَنِ الْهُدَى.

{ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا } (الإنسان : 4)

4- إِنَّا هَيَّأْنَا لِلْكَافِرِينَ الْمَجْرِمِينَ سَلَاسِلَ يُسْحَبُونَ بِهَا، وَأَطْوَاقًا يُقَادُونَ بِهَا، وَنَارًا مُلْتَهَبَةً يُحْرَقُونَ فِيهَا.

{ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا } (الإنسان : 5)

5- أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الْمُطِيعُونَ لِرَبِّهِمْ فَهُمْ مُكْرَمُونَ فِي الْجَنَّةِ، يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ شَرَابًا لَذِيذًا مَمْرُوجًا بِكَافُورٍ، يُبْرَدُهُ وَيُطَيِّبُ رَائِحَتَهُ.

{ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا } (الإنسان : 6)

6- وَهَذَا الْكَافُورُ عَيْنٌ جَارِيَةٌ يَشْرَبُ مِنْهَا صِرْفًا دُونَ مِزْجِ عِبَادِ اللَّهِ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُجْرَوُهَا حَيْثُ شَاءُوا مِنْ قُصُورِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ.

{ يَوْمُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا } (الإنسان : 7)

7- إِنَّهُمْ مُسْتَجِيبُونَ لِأَمْرِ رَبِّهِمْ، وَإِذَا نَذَرُوا طَاعَةً كَانُوا أَوْفِيَاءً، فَفَعَلُوا مَا أَوْجَبُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَيَخْشَوْنَ عَذَابَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي يَكُونُ شَرُّهُ مُنْتَشِرًا مُتَدًّا، وَأَهْوَالُهُ بِالْعَةِ الشَّدَّةِ وَالْحُطُورَةِ.

{ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا } (الإنسان : 8)

8- وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ مَعَ اشْتِهَائِهِمْ لَهُ وَحَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ، لِلْمَسْكِينِ الَّذِي لَا يَجِدُ شَيْئًا، وَلِلصَّغِيرِ الَّذِي فَقَدَ وَالِدَهُ، وَلِلْأَسِيرِ، أَيًّا كَانَ.

{ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا } (الإنسان : 9)

9- يُطْعِمُوهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ بِلِسَانِ الْحَالِ: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ طَلَبًا لِرِضَا اللَّهِ وَرَجَاءً ثَوَابِهِ، لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تُكَافِؤُنَا بِهِ، وَلَا أَنْ تُثْنُوا عَلَيْنَا جَزَاءً عَلَيْهِ.

{ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا } (الإنسان : 10)

10- إِنَّمَا نَفْعَلُ ذَلِكَ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ؛ رَجَاءً أَنْ يَرْحَمَنَا بِذَلِكَ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ضَيْقٍ، شَدِيدٍ طَوِيلٍ.

{ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا } (الإنسان : 11)

11- فَأَمَنَهُمُ اللَّهُ مِمَّا خَافُوا مِنْهُ، وَأَبْعَدَ عَنْهُمْ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ، وَأَعْطَاهُمْ بَدَلَ ذَلِكَ الضَّيْقِ وَالشَّدَّةِ نَضْرَةً فِي الْوُجُوهِ، وَسُرُورًا وَبَهْجَةً فِي الْقُلُوبِ.

{ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا } (الإنسان : 12)

12- وَأَثَابَهُمْ عَلَى صَبْرِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ جَنَّةً وَاسِعَةً، وَلِبَاسًا حَسَنًا مِنْ حَرِيرٍ جَمِيلٍ.

{ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا } (الإنسان : 13)

13- مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَسِرَّةِ، لَا يَجِدُونَ فِيهَا حَرًّا مُزْعِجًا، وَلَا بَرْدًا مُؤْذِيًا، بَلْ هِيَ مُعْتَدِلَةٌ، تَبَعَثُ عَلَى الرَّاحَةِ وَالْهَنَاءِ.

{ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَيْدِيهِمْ فَطُوفُوا فِيهَا تَذَلُّلًا } (الإنسان : 14)

14- وَظِلَالٌ أَشْجَارِهَا قَرِيبَةٌ مِنَ الْأَبْرَارِ، زِيَادَةً فِي نَعِيمِهِمْ، وَسَهْلٌ قَطْفُ ثَمَارِهَا وَقَرَبٌ أَخْذُهَا لِمَنْ يُرِيدُهَا.

{ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَنِيَّةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ فَوَارِيرًا } (الإنسان : 15)

15- وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ الخدمُ بأوانيٍ مِنْ فضةٍ للطعام، وأكوابٍ مِنْ زُجاجٍ رقيقٍ للشرب.

{قَوَارِيرٍ مِنْ فضةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا} (الإنسان : 16)

16- أكوابٍ جامِعةٍ بَيْنَ صَفَاءِ الزُّجاجِ وَبِياضِ الفِضةِ، أعدُّوها على قَدَرٍ ما يَشربون، لا تَرِيدُ ولا تَنقُصُ.

{وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَتْ مِزاجُهَا زَنْجَبِيلًا} (الإنسان : 17)

17- وَيُسقى المَقْرَبُونَ مِنْ هَذِهِ الأَكوابِ حَمْرًا لذيذَةً لا تُسكِرُ، مَمزوجةً بِزَنْجَبِيلِ الجَنَّةِ.

{عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا} (الإنسان : 18)

18- وهذا الزَنْجَبِيلُ عَيْنٌ جاريةٌ في الجَنَّةِ تُسَمَّى السَلْسَبِيلِ، لسلاستِها وعُذوبتِها وسُهولَةِ مَساغِها في الحَلقِ.

{وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا} (الإنسان : 19)

19- وَيَطُوفُ على أَهْلِ الجَنَّةِ لِخِدمَتِهِم غِلْمانٌ، دائِمُونَ فِيها مَعَ أَهْلِها، إِذا رَأَيْتَهُم في انْتِشارِهِم وَكَثْرَتِهِم، حَسِبْتَ أَنَّهُم كَحَبَّاتِ لُؤْلُؤٍ قَدْ نُثِرَتْ مِنَ الحَيْطِ على البِساطِ، الحُسْنِهم، وإِشراقِ وجوهِهِم، وَجَمالِ ثيابِهِم وَحُلِيِّهِم.

{وَإِذَا رَأَيْتَ نَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا} (الإنسان : 20)

20- وَإِذا نَظَرْتَ بِبَصْرِكَ إِلى الجَنَّةِ أَينما شِئتَ، رَأَيْتَ نَعِيمًا لا يوصَفُ، ومُلْكًا عَظِيمًا واسِعًا.

{عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوا أَساورَ مِنْ فضةٍ وَسَقاهُمْ رَبُّهُم شِرابًا طَهُورًا} (الإنسان : 21)

21- قَدْ جَلَّلَ أَهْلَها ثيابُ الحَريرِ الأَخْضَرَ الرِّقيقِ، وآخَرَ مِنَ السَّميكِ المِطَّيْنِ اللَّامِعِ، وَزَيَّنوا في أَيديهِم بأَساورَ مِنْ فضةٍ، وَسَقاهُم اللهُ شِرابًا مُطَهَّرًا لا كَدَرَ فِيهِ.

{ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا } (الإنسان : 22)

22- ثمَّ يُقَالُ لهم: إِنَّ كُلَّ هَذَا التَّكْرِيمِ وَالإِحْسَانِ، هُوَ فِي مُقَابَلَةِ أَعْمَالِكُمُ الصَّالِحَةِ، الَّتِي قَدَّمْتُمُوهَا فِي الدُّنْيَا، وَكَانَ عَمَلُكُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ مَقْبُولًا مَرْضِيًّا.

{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا } (الإنسان : 23)

23- نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ أَيُّهَا النَّبِيُّ مُتَفَرِّقًا، لِيَكُونَ أَكْثَرَ عَوْنًا عَلَى الْفَهْمِ وَالتَّذَكُّرِ، وَأَيْسَرَ لِلْحِفْظِ، وَأَوْقَعَ فِي النَّفْسِ بَعْدَ الْوَقَائِعِ.

{ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا } (الإنسان : 24)

24- وَكَمَا أكرمَكَ اللَّهُ بِهَذَا التَّنْزِيلِ، فَاصْبِرْ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَتَحَمَّلْ أذى قَوْمِكَ، وَلَا تَضَجِرْ مِنْ تَأخُّرِ النَّصْرِ، وَلَا تُطِعِ الْمُنَافِقِينَ وَالكَافِرِينَ إِذَا أَرَادُوا صَدَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

{ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } (الإنسان : 25)

25- وَدَاوِمٌ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ.

{ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا } (الإنسان : 26)

26- وَصَلِّ لَهُ بَعْضَ اللَّيْلِ وَاحْضَعْ لَهُ، وَادْكُرْهُ، وَهَجِّدْ لَهُ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ طَوِيلًا. (وَيُرَاجَعُ تَفْسِيرُ الْآيَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ سُورَةِ الْمُرَّمَلِ).

{ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَقِيلًا } (الإنسان : 27)

27- إِنَّ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ مِنْهُمْ كَوْنٌ فِي حُبِّ الدُّنْيَا، وَمُقْبِلُونَ عَلَى لَذَائِهَا الْفَانِيَةِ، وَيَدْعُونَ يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ، الْمُحْفُوفَ بِالصُّعُوبَاتِ وَالشَّدَائِدِ وَالْمَكَارِهِ.

{ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا } (الإنسان : 28)

28- نحن خلقناهم، وأحکمنا خلقهم وأتقناهم، وإذا أردنا بعثهم بدلناهم فأعدناهم خلقاً جديداً.

{ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا } (الإنسان : 29)

29- إِنَّ هَذِهِ الآياتِ فِيهَا مَوْعِظَةٌ وَعِبْرَةٌ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّفِعَ بِهَا وَيَسْلُكَ طَرِيقًا يَهْتَدِي بِهَا إِلَىٰ طَاعَةِ رَبِّهِ فَلْيَسْلُكْهَا، فَإِنَّ سَبِيلَ الْهُدَايَةِ مَفْتُوحَةٌ وَمَمَّهَدَةٌ.

{ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } (الإنسان : 30)

30- وَأَنْتُمْ لَا تَشَاؤُونَ شَيْئًا، وَلَا تَخْتَارُونَ طَرِيقًا، إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِمَا تُكْنُهُ قُلُوبُ الْعِبَادِ، مِنَ الْاسْتِعْدَادِ لِلْإِيمَانِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَىٰ الْحَيْرِ، أَوْ ضِدِّهِ، فَإِذَا عَلِمَ اسْتِحْقَاقَهُمْ لِلْهُدَايَةِ يَسِّرَهَا لَهُمْ، وَسَهَّلَ أَسْبَابَهَا عَلَيْهِمْ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي فِعْلِهِ، لَا يَشَاءُ إِلَّا مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ.

{ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } (الإنسان : 31) 3

1- وَاللَّهُ يَرْحَمُ مَنْ عَلِمَ فِيهِ الْحَيْرَ وَالصَّالِحَ فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَعَدَّ لِلْمَشْرِكِينَ الظَّالِمِينَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي جَهَنَّمَ.

سورة المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا } (المرسلات : 1)

1- أَقْسِمُ بِالرِّيَّاحِ الْمُتَتَابِعَةِ الَّتِي تَهْبُ شَيْئًا فَشَيْئًا.

{ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا } (المرسلات : 2)

2- وَالرِّيحَ الَّتِي تَعْصِفُ وَتُصَوِّتُ إِذَا هَبَّتْ بِشِدَّةٍ.

{وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا} (المرسلات : 3)

3- وَالرِّيحَ الَّتِي تَنْشُرُ السَّحَابَ وَتُفَرِّقُهُ فِي السَّمَاءِ بِأَمْرِ رَبِّهَا.

{فَالفَارِقَاتِ فَرْقًا} (المرسلات : 4)

4- فَمَلَائِكَةُ الَّتِي تَنْزِلُ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَتُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.

{فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا} (المرسلات : 5)

5- فَمَلَائِكَةُ الَّتِي تُلْقِي الْوَحْيَ إِلَى الرَّسُلِ بِأَمْرِ اللَّهِ، فِيهِ التَّذْكِيرُ وَالْمَوْعِظَةُ.

{عُذْرًا أَوْ نُذْرًا} (المرسلات : 6)

6- حَتَّى لَا يَبْقَى لِلنَّاسِ عُذْرٌ فِي ذَلِكَ، وَحُجَّةٌ يَحْتَجُّونَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَإِنذَارًا لَهُمْ مِنْ عِقَابِ الْآخِرَةِ.

{إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ} (المرسلات : 7)

7- إِنَّ الَّذِي تُوعَدُونَ بِهِ مِنَ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، وَالنَّوَابِ وَالْعِقَابِ، لَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ.

{فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ} (المرسلات : 8)

8- فَإِذَا النُّجُومُ مُخَيَّتٌ، أَوْ ذُهِبَ بِنُورِهَا،

{وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ} (المرسلات : 9)

9- وَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ وَوَهَّتْ،

{وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ} (المرسلات : 10)

10- وإذا أزيلت الجبال من أماكنها، وفُتت حتى صارت كالرمل،

{ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتَتْ } (المرسلات : 11)

11- وإذا الرسلُ جُمِعوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَشْهَدُوا عَلَى الْأُمَّمِ،

{ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ } (المرسلات : 12)

12- لأيِّ يَوْمٍ عَظِيمٍ أُخِّرَ الرُّسُلُ حَتَّى يُجْمَعُوا فِيهِ؟

{ لِيَوْمِ الْفَصْلِ } (المرسلات : 13)

13- لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يَفْصِلُ الْخَالِقُ بَيْنَ الْخَلَائِقِ.

{ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ } (المرسلات : 14)

14- وَأَيُّ شَيْءٍ تَدْرِي عَنْ يَوْمِ الْفَصْلِ الْعَظِيمِ وَشِدَّتِهِ وَأَهْوَالِهِ؟

{ وَيَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ } (المرسلات : 15)

15- الْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ لِلْمُكَذِّبِينَ يَوْمَ الْمِعَادِ وَالْحِسَابِ.

{ أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ } (المرسلات : 16)

16- أَلَمْ تُهْلِكِ الْمُكَذِّبِينَ بِالرُّسُلِ مِنَ الْأُمَّمِ الْمَاضِيَةِ بِالْعَذَابِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؟

{ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ } (المرسلات : 17)

17- وَنَفْعَلُ بِأَمْثَلِهِمْ كَمَا فَعَلْنَا بِهِمْ، مِمَّنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ وَيَسْأَلُونَ سَبِيلَهُمْ فِي الْكُفْرِ
والتَّكْذِيبِ.

وكانَ هذا إنذارًا لأهلِ مَكَّةَ.

{ كَذَلِكَ نَفَعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ } (المرسلات : 18)

18- ومثل ذلك نَفَعَلُ بالكافرين المجرمين، أعداء الحق والدين.

{ وَيَلِّئِ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ } (المرسلات : 19)

19- الويل والهلاك للمكذبين بآيات الله وأنبيائه، من عُقُوبَةِ الله وانتقامه.

{ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ } (المرسلات : 20)

20- ألم نَخْلُقْكُمْ مِنْ نُطْفَةٍ ضَعِيفَةٍ مَهِينَةٍ؟

{ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ } (المرسلات : 21)

21- فجعلناها مع ماء المرأة في رحمها؟

{ إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ } (المرسلات : 22)

22- إلى مُدَّةٍ مُعَيَّنَةٍ، تِسْعَةَ أَشْهُرٍ أَوْ أَقَلٍّ؟

{ فَقَدَرْنَا فَنِعَمَ الْقَادِرُونَ } (المرسلات : 23)

23- فَقَدَرْنَا على خَلْقِكُمْ مِنَ النُّطْفَةِ، فَنِعَمَ الْقَادِرُونَ عَلَيْهِ نَحْنُ.

{ وَيَلِّئِ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ } (المرسلات : 24)

24- الويل والعذاب يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَنْ كَذَّبَ بِقُدْرَتِنَا عَلَى ذَلِكَ.

{ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا } (المرسلات : 25)

25- ألم نَجْعَلِ الْأَرْضَ وَعَاءً، تَضُمُّ وَتَجْمَعُ؟

{ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتًا } (المرسلات : 26)

26- بَجَمْعِ الْأَحْيَاءِ عَلَى ظَهْرِهَا، وَالْأَمْوَاتِ فِي بَطْنِهَا، مِنْ غَيْرِ حَصْرِ؟

{ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَاخِحَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا } (المرسلات : 27)

27- وجعلنا في الأرضِ جبالاً ثوابتِ شاهقات، لثبَّتْها بها، وأسقيناكم ماءً عذباً صافياً، من السحاب، ومن يتابع الأرضِ وأنهاها؟

{ وَيَوْمَ يُنَادِي لِلْمَكْذِبِينَ } (المرسلات : 28)

28- ويومُ يومِ الحسابِ لمن جحدَ بهذه النعمِ العظيمة، الدالة على عظمةِ الله وقدرته.

{ انظُرُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ } (المرسلات : 29)

29- ويُقال لهم يومئذ: امضوا إلى ما كنتم تُكذِّبونَ به من العذابِ في الدنيا.

{ انظُرُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ } (المرسلات : 30)

30- امضوا إلى ظلِّ دُخانِ جهنم، الذي ارتفعَ واشتدَّ حتى صارَ ثلاثَ فُرق، كما يُرى في الدُخانِ العظيم.

{ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ } (المرسلات : 31)

31- ليسَ مُظلللاً في نفسه، فليسَ فيه راحةٌ لهم، ولا هو يقيهم من حرِّ هبِ النَّارِ.

{ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ } (المرسلات : 32)

32- يتطايرُ الشرُّ من هبِّها، كلُّ شرارةٍ منها كالقصرِ في عظمه!

{ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ } (المرسلات : 33)

33- وكأنَّ الشرَّ جمالٌ صفراء، أو سوداء - فإنَّ سوادَ الإبلِ يشوبُها شيءٌ من الصُّفرة - في اللونِ والكثرةِ والتتابعِ وسُرعةِ الحركةِ.

{ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ } (المرسلات : 34)

34- الْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

{ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ } (المرسلات : 35)

35- فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمَهُولِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ الْكَافِرُونَ النَّارَ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْكَلَامِ، لِلرُّعْبِ الَّذِي دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْ عِظَمِ الْعَذَابِ الَّذِي يَرَوْنَهُ!

{ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ } (المرسلات : 36)

36- وَلَا يُسْمَحُ لَهُمْ بِالْكَلَامِ لِيَعْتَذِرُوا، وَلَا عُذْرَ لَهُمْ أَصْلًا.

{ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ } (المرسلات : 37)

37- الْوَيْلُ وَالْعَذَابُ لِلْكَافِرِينَ الْمَجْرِمِينَ، الَّذِينَ كَانُوا يُكْذِّبُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِهَذَا الْعَذَابِ.

{ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعَنَاكُمْ وَالْأُولَى } (المرسلات : 38)

38- هَذَا هُوَ يَوْمُ الْفَصْلِ بَيْنَ الْمُهْتَدِينَ وَالضَّالِّينَ، وَأَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَقَدْ جَمَعْنَاكُمْ أَنْتُمْ وَالْأُمَّمَ السَّابِقِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ.

{ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا } (المرسلات : 39)

39- وَهَا أَنْتُمْ جَمِيعًا حَاضِرُونَ أَثِيهَا الْكَافِرُونَ، فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ حِيلَةٌ أَوْ قُدْرَةٌ عَلَى أَنْ تُنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فَافْعَلُوا.

{ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ } (المرسلات : 40)

40- الْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ لَكُمْ أَثِيهَا الْمَكْذِبُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ، وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ أَنْ لَا حِيلَةَ لَكُمْ فِي التَّخَلُّصِ مِنْ عَذَابِهِ.

{ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ } (المرسلات : 41)

41- إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، فِي ظِلَالِ شَجَرِ الْجَنَّةِ الْوَارِفَةِ، وَعُيُونِهَا الْجَارِيَةِ الْجَمِيلَةِ.

{ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ } (المرسلات : 42)

42- يَجْنُونَ مَا يَشْتَهُونَ مِنْ ثَمَارِهَا الطَّيِّبَةِ اللَّذِيذَةِ.

{ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (المرسلات : 43)

43- كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا مَرِيئًا يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، وَتَمَتَّعُوا بِالرَّاحَةِ وَالرَّفَاهِيَةِ وَالسَّعَادَةِ الدَّائِمَةِ، جَزَاءَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ الْعَمِيمِ عَلَيْكُمْ.

{ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } (المرسلات : 44)

44- وَبِمِثْلِ هَذَا الثَّوَابِ الْجَزِيلِ يَكُونُ جَزَاؤُنَا لِمَنْ آمَنَ وَأَحْسَنَ الْعَمَلَ.

{ وَيُنَادِ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ } (المرسلات : 45)

45- الْهَلَاكُ وَالْعُقُوبَةُ الشَّدِيدَةُ لِلْمُكَذِّبِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوْا وَعَمِلُوا سَيِّئًا.

{ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ } (المرسلات : 46)

46- كُلُوا مَا تَشَاءُونَ، وَتَمَتَّعُوا بِلَذَائِدِ الدُّنْيَا لِمُدَّةٍ قَصِيرَةٍ، فَإِنَّكُمْ كَافِرُونَ مُسْتَحِقُّونَ لِلْعَذَابِ، سَتَقْدَفُونَ فِي جَهَنَّمَ وَتُخَلَّدُونَ فِيهَا.

{ وَيُنَادِ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ } (المرسلات : 47)

47- الْعَذَابُ وَالتَّكَالُ لَكُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّهيبِ، أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ.

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ } (المرسلات : 48)

48- وإذا قيل لهؤلاء الكافرين في الدنيا أطيعوا الله واعبدوه، وصلُّوا له كما يصلِّي المسلمون، لا يقبلون ذلك، ويصرون على الكفر.

{ وَإِنَّ يَوْمَهُدٍ لِلْمُكَذِّبِينَ } (المرسلات : 49)

49- فالويل والعذاب يوم القيامة لهؤلاء الكافرين المجرمين، لإصرارهم على الكفر والعصيان، وتكذيبهم بيوم الدين.

{ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ } (المرسلات : 50)

50- وإذا لم يؤمنوا بالقرآن العظيم وما فيه من العبر والعظات، والوعد والوعيد، والحجج القاطعة، والأدلة الواضحة، فبأي حديث بعده يؤمنون وليس هناك أعلى وأجل منه؟!

* * *

وقد صحَّ في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: "شَيَّبْتَنِي هُودُ، والواقعة، والمرسلات، وعمَّ يتساءلون، وإذا الشمس كورت". رواه الترمذي والحاكم وصحَّحه.

الجزء الثلاثون

من سورة النبأ حتى سورة الناس

سورة النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ } (النبأ : 1)

1- عن أي شيء يتساءل الكافرون؟

{ عَنِ النَّبِئِ الْعَظِيمِ } (النبأ : 2)

2- إن تسألهم عن البعث بعد الموت، الخبر ذي الشأن العظيم.

{ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ } (النبأ : 3)

3- الذي طال فيه خلافهم، وازداد فيه جدالهم وخصامهم، على وجه الشك والاستهزاء والتكذيب.

{ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ } (النبأ : 4)

4- كلاً لتسألهم النبي عن كفرهم بيوم القيامة، سيعلمون ما كانوا يكذبون به إذا نزل بهم العذاب في ذلك اليوم.

{ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ } (النبأ : 5)

5- ثم كلاً لهم ولمخالفتهم الرسول في أمر البعث بعد الموت، فسيعلمون أنه الحق عندما يقومون من قبورهم ويُقدّمون للحساب.

{ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا } (النبأ : 6)

6- وكيف تَشْكُونَ فِي الْبَعثِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ قُدْرَةَ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ؟ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مُمَهَّدَةً مُذَلَّلَةً لَكُمْ لِتَتَمَكَّنُوا مِنَ الْعَيْشِ فِيهَا؟

{ وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا } (النبأ : 7)

7- وجعلنا الجبال كالأوتاد للأرض، حتى لا تضطرب بسكاتها؟

{ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا } (النبأ : 8)

8- وخلقناكم ذكورا وإناثا، من جنس واحد، ليحصل بينكم التنازل، ويسكن بعضكم إلى بعض؟

{ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا } (النبأ : 9)

9- وجعلنا النوم سكونا وراحة لأبدانكم؟

{ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا } (النبأ : 10)

10- وجعلنا الليل كاللباس، يُعْطَى النَّاسَ وَيَسْتُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِظِلَامِهِ وَسَوَادِهِ؟

{ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا } (النبأ : 11)

11- وجعلنا النهار مضيئا ليتكسب فيه الناس ويقضوا حوائجهم؟

{ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا } (النبأ : 12)

12- وبناينا فوقكم سبع سماوات، قويّة، مُحْكَمَةٌ الْبُنْيَانِ، لَا يَجْدُونَ فِيهَا تَفَاوُتًا وَلَا صَدْعًا.

{ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا } (النبأ : 13)

13- وجعلنا الشمسَ مُشْرِقَةً مُتَوَقِّدَةً، مِنَ الحَرَارَةِ العَالِيَةِ الَّتِي فِيهَا، لَتَبْعَثَ الضُّوءَ والدَّفءَ،
وتُفِيدَ الإنسانَ والحَيوانَ والنَّبَاتَ؟

{ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا } (النَّبَأُ : 14)

14- وَأَنْزَلْنَا مِنَ السُّحُبِ مَطَرًا مُنْصَبًّا، مُتَتَابِعًا.

{ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا } (النَّبَأُ : 15)

15- لِنُخْرِجَ بِالمَاءِ قُوتَ الإنسانِ والحَيوانِ، مِنَ الحَبِوبِ والنَّبَاتَاتِ، كالحِنْطَةِ، والشَّعِيرِ،
والْحَشِيشِ...

{ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا } (النَّبَأُ : 16)

16- وَبَسَاتِينَ مُلْتَفَّةً، لكَثْرَةِ أشجارِها المِجْتَمِعَةِ المِتْقَارِيَةِ، بِثَمَرَاتِها وطُعُومِها المِخْتَلِفَةِ.

{ إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا } (النَّبَأُ : 17)

17- إِنَّ يَوْمَ القَضَاءِ بَيْنَ الخَلَائِقِ، الَّذِي يَتَسَاءَلُونَ عَنْهُ، وَهُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ، كَانَ مَوْعِدًا وَأَجَلًا
مَعْلُومًا عِنْدَ اللَّهِ.

{ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا } (النَّبَأُ : 18)

18- يَوْمَ يُنْفَخُ إِسْرَافِيلُ فِي الصُّورِ⁽¹⁵⁵⁾، فَتَقُومُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ وَتَأْتُونَ إِلَى أَرْضِ المِحْشَرِ زُمَرًا،
كُلُّ أُمَّةٍ بِإِمَامِها.

{ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا } (النَّبَأُ : 19)

(155) الصُّورُ: قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ.

19- وانشقت السماء فكانت ذات أبواب، لنزول الملائكة منها.

{ وَسَيَّرَ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَابًا } (النبأ : 20)

20- وسيرت الجبال في الجوّ، بعد تفتيتها، فكانت مثل السراب، يتحيل للنّاظر أنّه شيء.

{ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا } (النبأ : 21)

21- إنّ جهنم كانت موضع رصد وترقب، يرصد فيه خزنة النار الكفار ويتربّوهم ليأخذوهم إلى جهنم ويعدّوهم.

{ لِلطَّاعِينَ مَاءًا } (النبأ : 22)

22- وهي نزل ومرجع للكافرين، العصاة المخالفين للرسل.

{ لَا يَثْبِغَنَ فِيهَا أَحْقَابًا } (النبأ : 23)

23- مقيمين فيها مدداً طويلاً، كلّما مضى حقب دخل آخر، ثم آخر، إلى الأبد.

{ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا } (النبأ : 24)

24- لا يذوقون فيها ما يروّحهم ويُنفس عنهم حرّ النار، ولا شراباً يسكن عطشهم.

{ إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا } (النبأ : 25)

25- إلا ماءً شديد الحرارة، وصديد أهل النار، ممّا تُفرزهُ جروحهم وفروخهم.

{ جَزَاءً وَفَاءً } (النبأ : 26)

26- وهذا الذي عوقبوا به جزاءً وافق أعمالهم الفاسدة التي قاموا بها في الدنيا.

{ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا } (النبأ : 27)

27- إِنْهُمْ مَا كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، وَمَا كَانُوا يَخَافُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي يُحَاسِبُونَ فِيهِ.

{ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا } (النبا : 28)

28- وَكَذَّبُوا بِالآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ الَّتِي آتَيْنَاهَا بِهَا رَسُولَنَا، الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِمْ، وَعَانَدُوهُمْ وَأَصْرُوا عَلَى تَكْذِيبِهِمْ.

{ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا } (النبا : 29)

29- وَقَدْ حَفِظْنَا وَضَبَطْنَا كُلَّ مَا قَامُوا بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ، وَكَتَبْنَاهُ فِي صَحِيفَةٍ أَعْمَالِهِمْ، أَوْ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

{ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا } (النبا : 30)

30- فَذُوقُوا الْعَذَابَ الشَّدِيدَ يَا أَهْلَ النَّارِ، بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ وَأَعْمَالِكُمُ السَّيِّئَةِ، فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا مِثْلَهُ، أَوْ أَشَدَّ مِنْهُ.

{ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا } (النبا : 31)

31- إِنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمَخْلَصِينَ فَوْزًا وَنَجَاةً.

{ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا } (النبا : 32)

32- بساتينَ فيها أنواعُ الشجرِ المثمرِ، والرَّياحينِ والأزهارِ، وأعنابًا.

{ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا } (النبا : 33)

33- وَحُورًا نَوَاهِدَ، فِي سِنِّ وَاحِدَةٍ.

{ وَكَأْسًا دِهَاقًا } (النبا : 34)

34- وَكَأْسًا مُتَلَفَةً مِنَ الْحَمْرِ اللَّذِيذَةِ الَّتِي لَا تُسْكِرُ.

{ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لُعْوًا وَلَا كِدَابًا } (النبأ : 35)

35- لا يَسْمَعُونَ فِي الْجَنَّةِ كَلَامًا لَا فَائِدَةَ مِنْهُ، وَلَا كَلَامًا كَذِبًا فِيهِ إِثْمٌ.

{ جَزَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا } (النبأ : 36)

36- وهذا الذي أُثْبِتُوا عَلَيْهِ تَفَضُّلٌ مِنَ اللَّهِ وَإِحْسَانٌ مِنْهُ لَهُمْ، وَهُوَ جَزَاءٌ لِمَا وَعَدُوا بِهِ، كَافِيًا وَافِيًا.

{ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا } (النبأ : 37)

37- رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَخَالِقُهُمَا وَالْمُتَصَرِّفِ فِيهِمَا وَحَدَهُ، الَّذِي وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى مُخَاطَبَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فِي زِيَادَةِ ثَوَابٍ أَوْ نَقْصِ عَذَابٍ.

{ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا } (النبأ : 38)

38- يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ - جِبْرِيلُ أَوْ غَيْرُهُ - وَالْمَلَائِكَةُ مُصْطَفَيْنَ، لَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ إِلَّا إِذَا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ وَقَالَ كَلَامًا حَقًّا.

{ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءً } (النبأ : 39)

39- ذَلِكَ هُوَ الْيَوْمُ الثَّابِتُ الْمَحَقَّقُ، الْكَائِنُ لَا مُحَالَةَ، فَمَنْ أَرَادَ الثَّوَابَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ، سَلَكَ طَرِيقًا مُسْتَقِيمًا، وَمَرَجَعًا طَيِّبًا كَرِيمًا إِلَى اللَّهِ، بِطَاعَتِهِ وَتَقْوَاهُ.

{ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا } (النبأ : 40)

40- لَقَدْ أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا، هُوَ عَذَابُ الْآخِرَةِ، يَوْمَ يُعْرَضُ عَلَى كُلِّ امْرِئٍ جَمِيعٌ مَّا عَمِلَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فِي صَحِيفَتِهِ، وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ فِي غَايَةِ الْحَيَبَةِ وَنَهَايَةِ التَّحَسُّرِ

والألم، وقد نظرَ إلى أعماله الفاسدة: يا ليتني كنتُ تُرابًا في الحياة الدنيا، فلم أُخلق ولم أُكلف. أو أنه يقول: ليتني كنتُ تُرابًا في هذا اليوم ولم أبعث.

سورة النازعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا} (النازعات : 1)

1- أُقْسِمُ بِالملائكةِ التي تَنْزِعُ أرواحَ بني آدم، وتأخذُ بعضها بقوَّةٍ وعُسْرٍ، فَتُغْرِقُ في نَزْعِهَا (156).

{وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا} (النازعات : 2)

2- والملائكةِ التي تَنْشِطُ الأرواحَ مِنَ الأجسادِ، أي تَجِدِّبُهَا، وتأخذُ بعضها بسُهولةٍ وكَأَمَّا نَشِطَتْ عُقْدَةً، أي فَكَّتْهَا.

{وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا} (النازعات : 3)

3- والملائكةِ التي تَهْبِطُ مِنَ السَّمَاءِ وَتَصْعَدُ فِيهَا سَابِحَةً، بأمرِ الله.

{فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا} (النازعات : 4)

4- فالملائكةِ التي تُسْرِعُ بأرواحِ الكُفَّارِ إلى النَّارِ، وبأرواحِ المؤمنينَ إلى الجنَّةِ.

(156) العَرْقُ: اسمُ أقيمَ مقامَ الإغراقِ، أي: والنازعاتِ إغراقًا، والمرادُ بالإغراقِ: المبالغةُ في المدِّ. (البعوي).

الإغراقُ في النزْعِ: التَّوَعُّلُ فِيهِ، والبلوغُ إلى أقصى درجاته، يقال: أغرقَ النَّارُغُ في القوسِ: إذا بلغَ غايةَ المدِّ حتى انتهى إلى النصل. (روح البيان).

{ قَالْمَدْبِرَاتِ أَمْرًا } (النازعات : 5)

5- فالملائكة التي تُدبِّرُ الأمورَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ بِأَمْرِ رَبِّهَا، وَهَبَّيْ الأرواحَ للعقوبةِ أو الثَّوابِ.

{ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ } (النازعات : 6)

6- يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ النَّفْحَةُ الأُولَى، فَتَرْجُفُ كُلُّ الأَجْرَامِ السَّاكِنَةِ، وَتَنْزَلُ الأَرْضُ والجِبَالُ، وَيَمُوتُ فِيهَا جَمِيعُ الخَلْقِ.

{ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ } (النازعات : 7)

7- تَتَّبِعُهَا النَّفْحَةُ الثَّانِيَّةُ، فَتَنْشَقُّ السَّمَاءُ، وَتَحْمَلُ الأَرْضُ والجِبَالُ وَتُدَكُّ.

{ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ } (النازعات : 8)

8- قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ خَائِفَةٌ مُضْطَرِبَةٌ مِنْ شِدَّةِ الفَزَعِ.

{ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ } (النازعات : 9)

9- عُيُونُ أَصْحَابِهَا ذَلِيلَةٌ، لِمَا تَرَاهُ مِنَ الشَّدَائِدِ والأَهْوَالِ.

{ يَقُولُونَ أَأَنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الحَافِرَةِ } (النازعات : 10)

10- يَقُولُ مُنْكَرِو المعَادِ: هَلْ نَحْنُ عَائِدُونَ إِلَى الحَيَاةِ بَعْدَ أَنْ صِرْنَا أَمْوَاتًا فِي القُبُورِ؟

{ أَمِئذًا كُنَّا عِظَامًا نُخْرَجُ } (النازعات : 11)

11- قالوا مُسْتَبْعِدِينَ ذَلِكَ: إِذَا كُنَّا عِظَامًا بَالِيَةً، نُرَدُّ وَنُبْعَثُ مِنْ جَدِيدٍ؟

{ قَالُوا تِلْكَ إِذْ أَكَرَّةٌ خَاسِرَةٌ } (النازعات : 12)

12- قالوا: إِنَّمَا رَجَعَةٌ خَائِبَةٌ إِذَا رُدُّدْنَا بَعْدَ المَوْتِ.

{ فَأَيُّهَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ } (النازعات : 13)

13- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مَا مَعْنَاهُ: إِنَّمَا هِيَ صَيْحَةٌ قَوِيَّةٌ وَاحِدَةٌ يَسْمَعُونَهَا، وَهِيَ النَّفْحَةُ الْآخِرَةُ.

{ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ } (النازعات : 14)

14- فَإِذَا هُمْ جَمِيعًا أَحْيَاءٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يَنْظُرُونَ.

{ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى } (النازعات : 15)

15- هَلْ جَاءَكَ خَبْرٌ نَبِيٍّ اللَّهِ مُوسَى أَيُّهَا الرَّسُولُ؟

{ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى } (النازعات : 16)

16- إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِوَادِي طُوًى الْمُطَهَّرِ، فِي طُورِ سَيْنَاءَ:

{ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى } (النازعات : 17)

17- اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ بِالْمَعْجِزَاتِ الَّتِي آيَّدْتِكَ بِهَا، فَإِنَّهُ قَدْ ظَلَمَ وَبَغَى، وَتَكَبَّرَ وَعَلَا، حَتَّى ادَّعَى الرَّبِّيَّةَ،

{ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى } (النازعات : 18)

18- فَقُلْ لَهُ: هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تُجِيبَ نِدَاءَ اللَّهِ، فَتَسْلَمَ وَتُطِيعَ، وَتَتَطَهَّرَ مِنَ الْكُفْرِ وَالشَّرِكِ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ؟

{ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى } (النازعات : 19)

19- وَأَذَلِّكَ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ، فَتَخْضَعُ لَهُ وَتَخْشَى عِقَابَهُ؟

{ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى } (النازعات : 20)

20- فَأَرَاهُ الْمِعْجَزَةَ الْكُبْرَى. وَهِيَ قَلْبُ الْعَصَا حَيَّةً.

{ فَكَذَّبَ وَعَصَى } (النازعات : 21)

21- فَكَذَّبَ بِالْمِعْجَزَةِ وَسَمَّاهَا سِحْرًا، وَعَصَى اللَّهَ بِتَجْبُرِهِ وَتَمْرُدِهِ.

{ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى } (النازعات : 22)

22- ثُمَّ تَوَلَّى عَنِ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، وَعَمِلَ لِإِبْطَالِ أَمْرِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَعْوَتِهِ.

{ فَحَشَرَ فَنَادَى } (النازعات : 23)

23- فَجَمَعَ النَّاسَ وَنَادَى فِيهِمْ،

{ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى } (النازعات : 24)

24- فقال: أنا ربُّكمُ العَظِيم، ولا ربَّ فوقِي!

{ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى } (النازعات : 25)

25- فَعَاقَبَهُ اللَّهُ وَجَعَلَهُ عِبْرَةً لِّغَيْرِهِ، بِالنَّارِ فِي الْآخِرَةِ، وَبِالْإِغْرَاقِ وَالْإِذْلالِ فِي الدُّنْيَا.

{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى } (النازعات : 26)

26- وَفِيهَا فَعَلَهُ اللَّهُ بِفِرْعَوْنَ لَمَّا طَعَى وَعَصَى، عِظَةً وَعِبْرَةً لِمَن يَخَافُ اللَّهَ وَيَخْشَى عِقَابَتَهُ.

{ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا } (النازعات : 27)

27- أَخَلَقْكُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ أَشَقُّ وَأَصْعَبُ فِي تَقْدِيرِكُمْ، أَمْ خَلَقُ السَّمَاءِ الْعَظِيمَةِ الْمُتَقَنَّةِ

المُحْكَمَةِ؟ بَنَاهَا اللَّهُ،

{ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا } (النازعات : 28)

28- فرفعها وجعلها عالية البناء، وسوى أرجاءها وأحكمها، فلا نجد فيها صدعاً ولا خللاً،

{وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا} (النازعات : 29)

29- وأظلم ليلها، وأبرز نهارها وأناره.

قال البغوي رحمه الله: أضافهما إلى السماء لأن الظلمة والنور كلاهما ينزل من السماء.

{وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا} (النازعات : 30)

30- والأرض بعد ذلك بسطها ومدّها، لتكون مذلّة لسكّانها.

وخلقت الأرض قبل السماء، وإنما دحيث بعد خلق السماء.

{أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا} (النازعات : 31)

31- فجّر منها العيون وأجرى الأنهار، وأخرج الكأ.

{وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا} (النازعات : 32)

32- وأثبت الجبال في الأرض لئلا تضطرب بأهلها.

{مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ} (النازعات : 33)

33- هياً كلّ ذلك لكم لتتفعوا به أنتم ومواشيكم في الحياة الدنيا.

{فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى} (النازعات : 34)

34- فإذا جاء يوم القيامة، الذي يعلو على كلّ شيءٍ ويغلبه، ويفوق كلّ ما عرفه الإنسان

من دواهي الدنيا.

{يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى} (النازعات : 35)

35- في ذلك اليوم المهول يتذكّر بنو آدم ما عملوه من خيرٍ وشرٍ.

{ وَبُرِّزَتْ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى } (النازعات : 36)

36- وَأُظْهِرَتْ جَهَنَّمَ إِظْهَارًا بَيْنًا، فَرَأَاهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ.

{ فَأَمَّا مَنْ طَغَى } (النازعات : 37)

37- فَأَمَّا مَنْ تَجَاوَزَ الْحَدَّ، فَكَفَرَ وَعَصَى، وَتَجَبَّرَ وَعَتَا،

{ وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } (النازعات : 38)

38- واختارَ الحياةَ الدُّنيا ولذائذَها وشهواتِها وقَدَّمَهَا على دينِ الله، ولم يَسْتَعِدَّ لِلدَّارِ الآخِرَةِ،

{ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى } (النازعات : 39)

39- فَإِنَّ مَصِيرَهُ جَهَنَّمَ، يُعَذَّبُ فِيهَا وَلَا يَمُوتُ.

{ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى } (النازعات : 40)

40- وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَجَرَ نَفْسَهُ وَتَمَاهَا عَنِ الْهَوَى
والمعاصي، ورددَها إلى طاعةِ الله، ووطَّئها على فِعْلِ الخِيراتِ،

{ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى } (النازعات : 41)

41- فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ مَصِيرُهُ وَمَسْكَنُهُ.

{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا } (النازعات : 42)

42- يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقِيَامَةِ مَتَى تَظْهَرُ، مَتَى تَثْبُتُ وَتَسْتَقِرُّ؟

{ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا } (النازعات : 43)

43- وما عِلْمُكَ بِوَقْتِهَا أَيُّهَا الرُّسُولُ حَتَّى يَسْأَلَكَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ ذَلِكَ؟

{إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا} (النازعات : 44)

44- إنَّ مُنتَهَىٰ عِلْمِهَا عِنْدَ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَلَا يَعْرِفُ وَقْتٌ وَقُوعَهَا وَكُنْهَهَا وَتَفَاصِيلَ أَمْرِهَا إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ.

{إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يَّخْشَاهَا} (النازعات : 45)

45- فَلَيْسَ عِلْمُهَا إِلَيْكَ، وَلَا إِلَىٰ أَحَدٍ مِّنَ الْخَلْقِ، إِنَّمَا بُعِثْتَ لِتُنذِرَ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْيَوْمِ، وَتُخَوِّفَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، مَنَّنَ يَوْمُنُ بِاللَّهِ وَيَخْشَىٰ وَعَيْدَهُ، فَهَؤُلَاءِ يَنْفَعُهُمُ الْإِنْدَارُ.

{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} (النازعات : 46)

46- كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يُبْعَثُونَ وَيَرَوْنَ الْقِيَامَةَ لَمْ يَبْقُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا عَشِيَّةً يَوْمًا، أَوْ ضُحَىٰ يَوْمًا.

سورة عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ} (عبس : 1)

1- عَبَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ،

{أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى} (عبس : 2)

2- لَمَّا جَاءَهُ الصَّحَابِيُّ الْأَعْمَى ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ.

وَقَدْ أَتَى النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَجَعَلَ يَقُولُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرشِدْنِي، وَعِنْدَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَجُلٌ مِّنْ عِظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الْآخِرِ، وَقَدْ طَمِعَ فِي إِسْلَامِهِ.

{ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي } (عبس : 3)

3- وما يُدْرِيكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، فَلَعَلَّهُ يَتَطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ بِمَا يَتَعَلَّمُهُ مِنْكَ،

{ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى } (عبس : 4)

4- أَوْ يَتَعَبَّرُ فَتَنْفَعَهُ الْمَوْعِظَةُ وَيَتَّعِدَ عَنِ الْمِحْرَمَاتِ.

{ أَمَّا مَنْ اسْتَعْنَى } (عبس : 5)

5- أَمَّا مَنْ اسْتَعْنَى بِالْكَفْرِ أَوْ الْغِنَى عَمَّا عِنْدَكَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ،

{ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى } (عبس : 6)

6- فَأَنْتَ تَتَعَرَّضُ لَهُ وَتُقْبِلُ عَلَيْهِ؟

{ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزَكِّي } (عبس : 7)

7- وَلَسْتَ مُطَالِبًا بِأَنْ يُؤْمِنَ وَيَهْتَدِيَ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ.

{ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى } (عبس : 8)

8- وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَقْصِدُكَ، يَبْتَغِي النَّصِيحَ وَالرُّشْدَ،

{ وَهُوَ يَخْشَى } (عبس : 9)

9- وَهُوَ يَخَافُ اللَّهَ وَيَخْشَى عَذَابَهُ،

{ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَى } (عبس : 10)

10- فَأَنْتَ تَتَشَاغَلُ عَنْهُ؟

{ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ } (عبس : 11)

11- كلاً، لا تُعَدُّ إلى مثَلِ هذا، إنَّ هذا القرآن، أو هذه السورة، مَوْعِظَةٌ يَجِبُ أَنْ يُعْمَلَ بِهَا.

{ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ } (عبس : 12)

12- فَمَنْ شَاءَ مِنَ الْعِبَادِ اتَّعَظَ بِهِ.

{ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ } (عبس : 13)

13- وَهُوَ مُثَبَّتٌ فِي صُحُفٍ مُّعَظَّمَةٍ مُّكْرَمَةٍ، وَالْمَقْصُودُ: اللُّوحُ الْخَفُوضُ. وَكُلُّ مَا كُتِبَ فِيهِ فَهُوَ صَحِيفَةٌ،

{ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ } (عبس : 14)

14- وَهِيَ رَفِيعَةٌ الْقَدْرِ، مُنْزَهَةٌ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، فَلَا يَمَسُّهَا إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ،

{ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ } (عبس : 15)

15- بِأَيْدِي كَتَبَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ⁽¹⁵⁷⁾.

{ كِرَامٍ بَرَرَةٍ } (عبس : 16)

16- ذَوِي قَدْرِ وَكَرَامَةٍ عِنْدَ اللَّهِ، مُطِيعِينَ لَهُ مُتَّقِينَ.

{ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ } (عبس : 17)

17- لُعِنَ الْمَكْذِبُ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ مَا أَشَدَّ كُفْرَهُ!

(157) المعنى: أنها [الصحف] بأيدي كتبة من الملائكة، ينسخون الكتب من اللوح الخفوظ. (فتح القدير). المراد بأيديهم: حفظهم إتياءه إلى تبليغه، فمثل حال الملائكة بحال السفراء، الذين يحملون بأيديهم الألوك والعهود. (التحرير والتنوير).
الألوك: الرسالة.

{ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ } (عبس : 18)

18- مِنْ أَيِّ شَيْءٍ مَهَيْنِ خَلَقَهُ؟ مَا أَصْلُهُ وَمَا مَبْدَؤُهُ حَتَّى يَتَكَبَّرَ وَيُعْرِضَ؟

{ مِنْ نُطْقَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ } (عبس : 19)

19- خَلَقَهُ مِنْ نُطْقَةٍ ضَعِيفَةٍ، ثُمَّ قَدَّرَهُ أَطْوَارًا إِلَى أَنْ تَمَّ خَلْقُهُ، وَهَيَّأَهُ لِمَا يَصْلُحُ لَهُ.

{ ثُمَّ السَّبِيلِ يَسَّرَهُ } (عبس : 20)

20- ثُمَّ سَهَّلَ خُرُوجَهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ. أَوْ يَسَّرَ لَهُ سُبُلَ الْعَيْشِ فِي الْحَيَاةِ.

{ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ } (عبس : 21)

21- ثُمَّ قَبَضَ رُوحَهُ وَجَعَلَهُ فِي قَبْرِ تُوَارَى فِيهِ جُثَّتِهِ، تَكْرِيمًا لَهُ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مَطْرُوحًا عَلَى الْأَرْضِ كَالْحَيَوَانَاتِ يَسْتَقْدِرُهُ مَنْ يَرَاهُ، وَتَأْكَلُهُ السَّبَاعُ وَالطَّيْرُ.

{ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ } (عبس : 22)

22- ثُمَّ إِذَا أَرَادَ بَعَثَهُ مِنْ قَبْرِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ.

{ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ } (عبس : 23)

23- كَلَّا، لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ هَذَا الْمَكْدُبُ الْكَافِرُ، إِنَّهُ لَمْ يُؤَدِّ مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْقَرَائِضِ.

{ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ } (عبس : 24)

24- فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى نَوْعِ غِذَائِهِ الَّذِي يَعِيشُ بِهِ، مِنْ أَيْنَ جَاءَهُ وَكَيْفَ خُلِقَ وَدُبِّرَ لَهُ.

{ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا } (عبس : 25)

25- أنزلنا المطر من السحابِ وصَببناه على الأرضِ بكثرة،

{ **ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا** } (عبس : 26)

26- ثمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ بنموِّ النَّبَاتِ فيها، وأَسَكْنَا المَاءَ فيما يَتَخَلَّلُها.

{ **فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا** } (عبس : 27)

27- فَأَنْبَتْنَا فيها الحُبوبَ وَالتَّبَاتِ لتكونَ غِذاءً وَقُوَّةً لِلإنسانِ وَالحيوانِ،

{ **وَعِنَبًا وَقَضْبًا** } (عبس : 28)

28- وَعِنَبًا لَدِيدًا، وَنباتًا تَأْكُلُهُ الحيواناتِ، هُوَ القَتِّ، وهُوَ أنواعِ، تَنْبُتُ في المروجِ وَالْحقولِ وَتُرْعُ.

وَالعِنَبِ مِنْ أغصانِ الفواكهِ بالفيتاميناتِ، حتَّى إِنَّهُ يُوازِنُ بالحليبِ، لَهُ دورٌ فَعَالٌ في بِناءِ الجِسمِ وَتَقويتهِ، وَتَرميمِ أنسجتهِ، وَعِلاجِ كثيرٍ مِنْ أمراضِهِ...

{ **وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا** } (عبس : 29)

29- وَزَيْتُونًا مُفيدًا، يُؤْكَلُ، وَيُوقَدُ مِنْهُ، وَيُدَّهَنُ بِهِ، فوائدهُ كثيرةٌ جَدًّا، وَيُعالجُ بِهِ. وَنَخْلًا، يُؤْكَلُ رُطْبًا، وَتَمْرًا، وَمَطبوخًا، وَيُعتَصَرُ مِنْهُ، طيبٌ وَلَدِيدٌ وَمُفيدٌ...

{ **وَخَدَائِقَ غُلْبًا** } (عبس : 30)

30- وَبساتينَ كَبيرةً واسِعةً، كَالغاباتِ ذاتِ الأشجارِ الكثيفةِ الملتفةِ، العَليظةِ القويَّةِ.

{ **وَفَاكِهَةً وَأَبًّا** } (عبس : 31)

31- وَفواكهَ مُتنوعَةً في شَكلِها وَطَعمِها وَرائحِها، وَالكَأُ وَالمرعى.

{ **مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ** } (عبس : 32)

32- مَنفَعَةٌ لَكُمْ تَعِيشُونَ بِهَا أَنْتُمْ وَمَوَاشِيَكُمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

{فَإِذَا جَاءَتْ الصَّاحَّةُ} (عبس : 33)

33- فإذا جاءت صَيْحَةُ الْقِيَامَةِ، الَّتِي تَصِيحُ الْأَسْمَاعَ، حَتَّى تَكَادُ تُصِمْهَا. وَهِيَ النَّفْحَةُ الثَّانِيَةُ.

{يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ} (عبس : 34)

34- فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّهِيْبِ الْمَفْرِعِ، يَرَى الْمَرْءُ أَخَاهُ فَيَفِرُّ مِنْهُ وَلَا يَأْبَهُ بِهِ، لِشِدَّةِ الْهَوْلِ وَالْفَزَعِ الَّذِي أَمَامَهُ،

{وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ} (عبس : 35)

35- وَيَفِرُّ مِنْ وَالِدَيْهِ، أُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَقَدْ كَانَ حَرِيصًا عَلَى سَلَامَتَيْهِمَا وَرَاحَتَيْهِمَا،

{وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ} (عبس : 36)

36- وَمِنْ زَوْجَتِهِ وَبَنِيهِ، وَقَدْ فَدَّاهُمْ بِمَالِهِ وَرَاحَتِهِ فِي الدُّنْيَا طَوَالَ عُمُرِهِ.

{لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} (عبس : 37)

37- لِكُلِّ وَاحِدٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ شُغْلٌ يَشْغَلُهُ، وَخَطْبٌ يَكْفِيهِ، وَهُمْ خَاصُّ بِهِ.

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ} (عبس : 38)

38- وَجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ السُّعْدَاءِ يَوْمَئِذٍ مُّسْتَنِيرَةٌ مُّتَهَلَّلَةٌ،

{ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ} (عبس : 39)

39- فَرِحَةٌ مَسْرُورَةٌ؛ لِمَا يَرَوْنَ مِنَ النَّعِيمِ وَمَا يُبْهِجُ الْقَلْبَ.

{وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ} (عبس : 40)

40- وُجُوهُ الْأَشْقِيَاءِ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غُبَارٌ وَكَدْرٌ مِنَ الْحُزَنِ وَالْحُسْرَةِ.

{تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ} (عبس : 41)

41- يعلوها سوادٌ وظلمة، من الدُّلِّ والمهانة،

{أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجْرَةُ} (عبس : 42)

42- أولئك الذين كفروا بالله وكذبوا بآياته، وفجروا في أعمالهم فعصوا وأثموا.

سورة التكوير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} (التكوير : 1)

1- إذا الشمسُ ذهبَتْ واضمَحَلَّتْ. أو ذَهَبَ ضَوْوُهَا.

{وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ} (التكوير : 2)

2- وإذا النُّجُومُ سَقَطَتْ وَتَنَاطَرَتْ.

{وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ} (التكوير : 3)

3- وإذا الجِبَالُ أُزِيلَتْ مِنْ أَمَاكِنِهَا بِالرَّجْفَةِ وَنُسِفَتْ.

{وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ} (التكوير : 4)

4- وإذا الإِبِلُ تُرِكَتْ وَسِيَّتْ. تَرَكَ النَّاسُ نَفَائِسَ أَمْوَالِهِمْ، فَقَدْ جَاءَ مَا يُذْهِلُهُمْ عَنْهَا.

{ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ } (التكوير : 5)

5- وإذا جُمِعَتِ البهائمُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَقَدْ كَانَتْ نَافِرَةً شَارِدَةً فِي الشَّعَابِ، وَنَسِيَتْ فَرَائِسَهَا وَمَخَافَهَا، فَهَالهَا الرُّعْبُ وَالهُولُ وَاجْتَمَعَت.

{ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ } (التكوير : 6)

6- وَإِذَا الْبِحَارُ أُحْمِيَتْ فَصَارَتْ نَارًا تَضْطَرِم.

{ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ } (التكوير : 7)

7- وَإِذَا جُمِعَتْ كُلُّ نَفْسٍ إِلَى مَثَلَتِهَا، فَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ مَعَ الْمُؤْمِنِ، وَالكَافِرُ مَعَ الْكَافِرِ.

{ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ } (التكوير : 8)

8- وَإِذَا سُئِلَتِ الْبِنْتُ الَّتِي دُفِنَتْ حَيَّةً. فَقَدْ كَانَ الْجَاهِلِيُّ الَّذِي يَدْفِنُهَا يَطْرَحُ عَلَيْهَا التُّرَابَ حَتَّى يُوَدِّعَهَا، أَيْ يُثْقَلَهَا، فَتَمُوت.

{ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ } (التكوير : 9)

9- مَا الَّذِي أَحْطَأَتْ فِيهِ، وَمَا هُوَ الْجُرْمُ الَّذِي ارْتَكَبْتَهُ حَتَّى تُقْتَلَ!؟

وكانت هذه العادة انتشرت في قبائل من الجاهلية، فتوأد البنات خوفاً من أن يوصم أبوهما بالعار، لأنه رزق بأنثى! أو خوفاً من الفقر الذي يخشاه على نفسه وأهله منها! مع أنها كانت تُزوج، وتُنجب، وتُخدم، وترعى... ولكنها الجاهلية الجهلاء⁽¹⁵⁸⁾.

(158) لم يكن الوأد معمولاً به عند جميع القبائل، قيل: أول من وأد البنات من القبائل ربيعة، وكانت كنده تمد البنات، وكان بنو تميم يفعلون ذلك، ووأد قيس بن عاصم المنقري من بني تميم ثمان بنات له قبل إسلامه. ولم يكن الوأد في قريش البتة. وكان صعصعة بن ناجية جد الفرزدق من بني تميم يفتدي من يعلم أنه يريد وأد ابنته من قومه بناقتين عُشراوين وجمل... (التحرير والتنوير).

{ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ } (التكوير : 10)

10- وإذا نُشِرَتْ صُحُفُ الأَعْمَالِ، فنظَرَ كُلُّ فِي صَحِيفَتِهِ، لِيَجِدَ كُلٌّ مَا عَمِلَهُ فِي الدُّنْيَا مَكْتُوبًا فِيهَا، فَيَحَاسِبُ عَلَيْهَا.

{ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ } (التكوير : 11)

11- وإذا السَّمَاءُ نُزِعَتْ وَأُزِيلَتْ، فَذَهَبَتْ.

{ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ } (التكوير : 12)

12- وإذا أُحْمِيَتْ جَهَنَّمُ وَأُوقِدَتْ إِيقَادًا شَدِيدًا لِأَعْدَاءِ اللَّهِ. قَالَ فَتَادَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ: سَعَّرَهَا غَضَبُ اللَّهِ، وَخَطَايَا بَنِي آدَمَ.

{ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِمَتْ } (التكوير : 13)

13- وإذا الجَنَّةُ قُرِبَتْ لِعِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ.

{ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضِرَتْ } (التكوير : 14)

14- عَلِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ كُلِّ نَفْسٍ مَّا قَدَّمَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، بِمَا تَرَاهُ فِي صَحِيفَةِ أَعْمَالِهَا.

{ فَلَا أُنْقِصُ مِنَ الْخُسُوفِ } (التكوير : 15)

15- فَأُنْقِصُ مِنَ النُّجُومِ الَّتِي يَخْتَفِي ضَوْوُهَا بِالنَّهَارِ فَتُغَيَّبُ عَنِ الْعُيُونِ،

{ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ } (التكوير : 16)

16- وَتَجْرِي بِاللَّيْلِ وَتَطْلُعُ فِي أَمَاكِنِهَا كَالْعَادَةِ،

{ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ } (التكوير : 17)

17- وَأُنْقِصُ مِنَ اللَّيْلِ إِذَا أَقْبَلَ بِظُلَامِهِ،

{ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ } (التكوير : 18)

18- وبالصُّبْحِ إِذَا طَلَعَ وَأَضَاءَ بُنُورِهِ،

{ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } (التكوير : 19)

19- إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَتَبْلِيغُ مَلَكٍ مُكْرَّمٍ عِنْدَ اللَّهِ. هُوَ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

{ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ } (التكوير : 20)

20- قَوِيٌّ، شَدِيدِ الْخَلْقِ، ذِي شَرَفٍ وَمَنْزِلَةٍ عَالِيَةٍ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

{ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ } (التكوير : 21)

21- يُطَاعُ كَلَامُهُ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ هُنَاكَ، أَمِينٌ عَلَى وَحْيِ اللَّهِ وَرِسَالَتِهِ إِلَى أَنْبِيَائِهِ.

{ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ } (التكوير : 22)

22- وَصَاحِبُكُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ مَجْنُونًا كَمَا ادَّعَيْتُمْ أَتِيهَا الْمُشْرِكُونَ، بَلْ رَسُولٌ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْكُمْ لِيُبَلِّغَ رِسَالَتَهُ.

{ وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ } (التكوير : 23)

23- وَلَقَدْ رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَبْرِيْلَ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، فِي الْجِهَةِ الْعُلْيَا مِنَ السَّمَاءِ.

{ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ } (التكوير : 24)

24- وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ مُتَّهَمًا فِيمَا يُبَلِّغُهُ مِمَّا يُوحَى إِلَيْهِ، فَلَا يُقَصِّرُ فِيهِ، وَلَا يَكْتُمُ مِنْهُ شَيْئًا، بَلْ يَنْشُرُهُ وَيُبَلِّغُهُ كُلَّهُ.

{ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ } (التكوير : 25)

25- وليس هذا القرآن بكلام شيطانٍ مُبَعَدٍ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، كما يَقُولُ المشركون، فالشيطانُ لا يُريدُ مثلَ هذا الكلامِ المستقيمِ الرَّفيعِ، ولا يَقْدِرُ على حَمَلِهِ، ولا يَنْبَغِي لَهُ.

{ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ } (التكوير : 26)

26- فأين تذهبون في حكمكم، وتكذيبكم بهذا القرآن، وكيف تُصرفون عن الحقِّ وهو واضحٌ كُلُّ هذا الوضوح؟

{ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ } (التكوير : 27)

27- ما هذا القرآنُ إِلَّا موعظةٌ وتذكيرٌ عظيمٌ للناسِ كُلِّهِم.

{ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ } (التكوير : 28)

28- لمن أرادَ منكم الهدايةَ واتباعَ الحقِّ، فإنَّ الهدايةَ فيه.

{ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } (التكوير : 29)

29- واعلموا أنَّكم لا تشاؤون الاستقامةَ إِلَّا إذا وَفَّقَكُمُ اللَّهُ إليها، وشاءتْ إرادتُهُ ذلكَ سبحانه، فمشيئتهُ فوقَ كُلِّ شيءٍ، وكُلُّ شيءٍ في هذا الوجودِ مرْدُّهُ إلى مَشِيئَتِهِ، وإذا عَلِمَ اللَّهُ استحقاقَ امرئٍ للهدايةِ والاستقامةِ يَسَّرَهَا لَهُ، وسَهَّلَ أسبابَهَا عَلَيْهِ، فيكونُ لَهُ الفضلُ في هدايتهِ واستقامتهِ.

* * *

في حديثٍ صحيحٍ أو حسنٍ، قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ، فَلْيَقْرَأْ { إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ } و { إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ } و { إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ }". رواه أحمدُ والحاكمُ والترمذي.

سورة الانفطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ } (الانفطار : 1)

1- إذا السَّمَاءُ تَصَدَّعَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ.

{ وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ } (الانفطار : 2)

2- وإذا الكواكبُ تَسَاقَطَتْ مُتَفَرِّقَةً.

{ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ } (الانفطار : 3)

3- وإذا البحارُ فُجِّرَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، فَاخْتَلَطَ الْعَذْبُ بِالْمَالِحِ. أَوْ انْتَهَى مَاؤُهَا بِتَفْجِيرٍ لَا يَعْرِفُ كَيْفِيَّتَهُ الْإِنْسَانُ.

{ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ } (الانفطار : 4)

4- وإذا قُلُوبُ تُرَابِ الْقُبُورِ وَبُدِّدَ لِيُخْرَجَ مَنْ فِيهَا.

{ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ } (الانفطار : 5)

5- فإذا كَانَ ذَلِكَ وَعَرَفَ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ بُعِثَ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَنُشِرَتْ صُحُفُ الْأَعْمَالِ، عَلِمَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا قَدَّمَتْ مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ وَسَيِّئَةٍ، قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا، أَوَّلُهَا وَآخِرُهَا.

{ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ } (الانفطار : 6)

6- أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الَّذِي كَرَّمَهُ اللَّهُ، مَا الَّذِي خَدَعَكَ وَجَرَّأَكَ عَلَى عِصْيَانِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ مَعَ إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ، وَمَا الَّذِي أَمَّنَكَ مِنْ عِقَابِهِ حَتَّى أَضَعْتَ مَا أَوْجَبَهُ عَلَيْكَ مَعَ إِنذَارِهِ لَكَ، وَقَابَلْتَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ مَعَ إِعْطَامِهِ عَلَيْكَ!؟

قالَ عَمْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: غَرَّهُ حُمُومُهُ وَجَهْلُهُ. وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: غَرَّهُ شَيْطَانُهُ الْحَيْثُ.

{الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ} (الانفطار : 7)

7- اللهُ الَّذِي خَلَقَكَ وَجَعَلَكَ سَوِيًّا، مُتَنَاسِبَ الْخَلْقِ وَالْأَعْضَاءِ، فِي شَكْلِهَا وَوُضَائِفِهَا.

{فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ} (الانفطار : 8)

8- رَكَّبَكَ وَجَعَلَكَ فِي أَيِّ شَكْلِ اقْتَضَتْهُ مَشِيئَتُهُ، مِنْ شِبْهِ بِأَهْلِكَ أَوْ غَيْرِهِمْ، طَوِيلًا، وَحَسَنًا، أَوْ غَيْرَهُ...

{كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ بِالَّذِينَ} (الانفطار : 9)

9- كَلَّا لِمَنْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ، وَجَعَلَ الْاِغْتِرَارَ بِكَرَمِ اللهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، بَدَلَ الشُّكْرِ وَالطَّاعَةِ، بَلْ يَحْمِلُكُمْ عَلَى ذَلِكَ تَكْذِيبُكُمْ بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ.

{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ} (الانفطار : 10)

10- وَإِنَّ عَلَيْكُمْ مَلَائِكَةً رُقَبَاءَ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ.

{كِرَامًا كَاتِبِينَ} (الانفطار : 11)

11- ذَوِي قَدْرِ وَكَرَامَةٍ عِنْدَ اللهِ، يَكْتُبُونَ أَقْوَالَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ جَمِيعًا.

{يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} (الانفطار : 12)

12- يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا، وَيَضْبِطُونَهُ بِدِقَّةٍ.

{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} (الانفطار : 13)

13- إِنَّ الَّذِينَ بُرُوا وَصَدَقُوا فِي إِيْمَانِهِمْ، بِأَدَاءِ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، فِي جَنَّةٍ وَنَعِيمٍ، وَلَذَّةٍ وَسَعَادَةٍ دَائِمَةٍ.

{ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ } (الانفطار : 14)

14- وَإِنَّ الْكَافِرِينَ الْفَاجِرِينَ، الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ، فِي جَهَنَّمَ، يُقَاسُونَ حَرَّهَا وَعَذَابَهَا الشَّدِيدَ.

{ يَصَلُّوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ } (الانفطار : 15)

15- يَدْخُلُونَهَا يَوْمَ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ.

{ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ } (الانفطار : 16)

16- لَا يَغِيْبُونَ عَنْهَا سَاعَةً وَاحِدَةً، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا.

{ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ } (الانفطار : 17)

17- وَأَيُّ شَيْءٍ تَدْرِي عَنْ يَوْمِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ وَأَهْوَالِهِ؟

{ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ } (الانفطار : 18)

18- ثُمَّ أَيُّ شَيْءٍ تَدْرِي عَنْ هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، الَّذِي يَفْصِلُ فِيهِ الْخَالِقَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، وَيُجَازِي كُلًّا بِمَا عَمِلَ.

{ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ } (الانفطار : 19)

19- فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ الرَّهِيْبِ، لَا يَقْدِرُ الْمَرْءُ عَلَى نَفْعِ أَحَدٍ، وَلَا الْخَلَاصِ مِمَّا هُوَ فِيهِ، إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ وَيَرْضَى، وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ وَحْدَهُ، يَنْفَرِدُ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَلَا يُنَازِعُهُ فِيهِ أَحَدٌ.

سورة المطففين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ} (المطففين : 1)

1- الهلاك والعذاب الشديد لمن نقص من المكيال والميزان إذا باع، أو زاد فيهما إذا اشترى.

{الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ} (المطففين : 2)

2- الذين إذا اشترؤا من الناس أخذوه وافيًا وافرًا.

{وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} (المطففين : 3)

3- وإذا باعوا لهم شيئًا، فوزنوا لهم حبًا، أو كالوا لهم طعامًا، ينقصون منه.

{أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ} (المطففين : 4)

4- ألا يعلم أولئك المطففون أنهم سيبعثون بعد الموت،

{لِيَوْمٍ عَظِيمٍ} (المطففين : 5)

5- ليوم عظيم الهول، صعب الموقف، كثير الفرع،

{يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} (المطففين : 6)

6- يوم يقوم الناس من قبورهم لأمر الله وحسابه وجزائه.

{كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ} (المطففين : 7)

7- كلاً لتطفيفيهم وغفلتهم عن البعث والحساب، إن سجل أعمال الكفار في "سجين"،

فليرتدعوا. (واللفظ يوحى بالصيق والانحطاط).

{ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجَّيْنُ } (المطففين : 8)

8- وأي شيء تدري عن سجين؟

{ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ } (المطففين : 9)

9- إنه كتابٌ مذكورٌ فيه أعمالهم الخبيثة، له ختمٌ أو علامةٌ مميّزة.

{ وَيَلِ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ } (المطففين : 10)

10- الويل والهلاك يوم القيامة لهؤلاء المكذبين.

{ الَّذِينَ يُكذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ } (المطففين : 11)

11- الذين يكذبون بيوم الجزاء والحساب، ولا يؤمنون بالثواب والعقاب.

{ وَمَا يُكذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ } (المطففين : 12)

12- ولا يكذب به إلا كلُّ مُعتدٍ على محارم الله، متجاوزٍ للحقِّ إلى الباطل، كثير الإثم في أقواله وأفعاله، مُنهمكٍ في الشهوات، غارقٍ في المحرمات.

{ إِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ } (المطففين : 13)

13- إذا تُتلى عليه آياتُ كتابنا الناطقةُ بالحقِّ، وبصدق ما جاء به الرُّسل، كذبَ بها وأنكرها، وقال إنَّها من أخبارِ الأممِ الغابرين، وحكاياتِ الأولين وأباطيلهم.

{ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (المطففين : 14)

14- كلاً، ليس الأمر كما زعموا، بل حجب قلوبهم عن الإيمان كثرة الذنوب والمعاصي التي اقترفوها، فعطت عليها حتى أظلمت وطمسَتْها، وحجبت النور عنها.

{ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ } (المطففين : 15)

15- كَلَّا لَمَوْقِفِهِمْ الْمُنْكَرِ الَّذِي ابْتَعَدُوا بِهِ عَنِ الْإِيمَانِ، إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ مَحْجُوبُونَ عَنْ رُؤْيَا رَبِّهِمْ وَخَالَقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

{ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ } (المطففين : 16)

16- ثُمَّ إِنَّهُمْ مَعَ هَذَا الْحِرْمَانِ الْعَظِيمِ دَاخِلُونَ فِي نَارِ الْجَحِيمِ، وَمُقَاسُونَ حَرَّهَا وَعَذَابَهَا الشَّدِيدِ.

{ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ } (المطففين : 17)

17- ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ تَوْبِيحًا وَتَحْقِيرًا: هَذَا هُوَ الْجَحِيمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَذَوْقُوا عَذَابَهُ.

{ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِّيَيْنِ } (المطففين : 18)

18- كَلَّا لِكِتَابِ الْفُجَّارِ. إِنَّ سَجَلًا أَعْمَالَ عِبَادِ اللَّهِ الْأَبْرَارِ الْمُطِيعِينَ فِي عَلِّيَيْنِ (الذي يوحى بالعلو والارتفاع).

{ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ } (المطففين : 19)

19- وَأَيُّ شَيْءٍ تَدْرِي عَنْ "عَلِّيَيْنِ" أَيُّهَا الرَّسُولُ؟

{ كِتَابٌ مَرْقُومٌ } (المطففين : 20)

20- إِنَّهُ كِتَابٌ فِيهِ ذَكَرُ أَعْمَالِهِمُ الْحَسَنَةِ الطَّيِّبَةِ، لَهُ خَتَمٌ أَوْ عِلْمَةٌ مُمَيِّزَةٌ بِذَلِكَ.

{ يَشْهَدُهُ الْمُفَرَّقُونَ } (المطففين : 21)

21- يَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، تَكْرِيمًا لَهُمْ.

{ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ } (المطففين : 22)

22- إِنَّ الَّذِينَ بَرُّوا وَصَدَقُوا فِي إِيْمَانِهِمْ، وَأَدَّوْا فَرَائِضَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَاجْتَنَبُوا مَا تَهَاوَمَ عَنْهُ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، وَنَعِيمٍ دَائِمٍ.

{ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ } (المطففين : 23)

23- عَلَى الْأَسِرَّةِ الْمَرْبُوبَةِ يَنْظُرُونَ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ، وَإِلَى مَا شَاؤُوا مِنْ مَنَاطِرِ الْجَنَّةِ الْجَمِيلَةِ.

{ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ } (المطففين : 24)

24- إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ عَرَفْتَ فِي وَجُوهِهِمْ بَهْجَةً وَنَضْرَةً، وَحُسْنًا وَإِشْرَاقًا، مِنَ النَّعِيمِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ.

{ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ } (المطففين : 25)

25- يُسْقَوْنَ مِنْ خَمْرِ الْجَنَّةِ الطَّيِّبَةِ الصَّافِيَةِ، الْخَالِيَةِ مِنَ الشَّوَابِ وَالسُّكَّرِ، وَهِيَ مَخْتُومَةٌ، لَا يَفْكُهَا إِلَّا أَصْحَابُهَا مِنَ الْأَبْرَارِ.

{ حِتَّامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ } (المطففين : 26)

26- وَأَخْرَجَ طَعْمَهُ مَمْرُوحٌ بِالْمِسْكِ. وَفِي مِثْلِ هَذَا فَلْيَتَسَابَقِ الْمَتَسَابِقُونَ، وَلْيَرْغَبِ الرَّاعِبُونَ، بِالْمِهَادَرَةِ إِلَى الطَّاعَاتِ، وَالْمَسَارَعَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ.

{ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُ مِنْ تَسْنِيمٍ } (المطففين : 27)

27- وَقَدْ مَزَجَ بِذَلِكَ الرَّحِيقِ اللَّذِيذِ شَرَابًا يُقَالُ لَهُ تَسْنِيمٌ. ذُكِرَ أَنَّهُ أَشْرَفُ شَرَابِ الْجَنَّةِ وَأَعْلَاهُ.

{ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ } (المطففين : 28)

28- وهو عَيْنٌ جارية، يَشْرَبُ منها الْمُتَمَرِّبُونَ صِرْفًا، وَيَمْزُجُ مَزْجًا لِلأَبْرَارِ، الَّذِينَ هُمْ أَصْحَابُ اليمين.

{ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ } (المطففين : 29)
29- إِنَّ المشركين كانوا يَسْتَهْزِئُونَ بالمؤمنين وَيَحْتَقِرُونَهُمْ في الحياة الدنيا.

{ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ } (المطففين : 30)
30- وإذا مرَّ المؤمنونَ بهم وهم في مجالسهم، يُشِيرُونَ إليهم بأعينهم استهزاءً وسخرية.

{ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ } (المطففين : 31)
31- وإذا رجع هؤلاء المجرمون إلى يبيوتهم، رجعوا مُبْتَهِجِينَ بما فعلوا، مُسْتَمْتِعِينَ باستخفافهم بالمؤمنين!

{ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ } (المطففين : 32)
32- وإذا رأوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: هؤلاء زائغون مُنْحَرِفُونَ، لكونهم على غير ملة الكفر!

{ وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ } (المطففين : 33)
33- وما بُعث هؤلاء المشركون رُقباءً ووكلاءً على المؤمنين، حتَّى يَحْفَظُوا عَلَيْهِمْ أعمالهم وأحوالهم، وَيَشْهَدُوا بِرُشْدِهِمْ أو ضلالهم، فلم يَشْغَلُونَ أَنْفُسَهُمْ بهم؟

{ قَالِئِومَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ } (المطففين : 34)
34- ففي يوم القيامة يَضْحَكُ المؤمنون وهم في الجنة يَنعمون، مِنَ الْكُفَّارِ وهم في الجحيم يُعذَّبون، في مُقابِل ما كان يَسْخَرُ منهم هؤلاء في الحياة الدنيا.

{ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ } (المطففين : 35)

35- وهم جالسون على الأسيرة المزيّنة، يَنْظُرُونَ إلى الكفارِ وهم في حالٍ ذُلٍّ وهوانٍ وعذاب، بعدَ حياةِ التَّعَمُّمِ والترَفُّهِ في الدُّنْيَا.

{ هَلْ نُؤْتِبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } (المطففين : 36)

36- هلْ عُوقِبَ الْكَافِرُونَ عَلَى اسْتِهْزَائِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَجُوزُوا مِنْ جَنْسِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ بِهِمْ؟
نعم.

سورة الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ } (الانشقاق : 1)

1- إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَتَصَدَّعَتْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

{ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ } (الانشقاق : 2)

2- وَاسْتَمَعَتْ لِرَبِّهَا وَانْقَادَتْ لِأَمْرِهِ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ، فَأَمَرَ اللَّهُ لَا يُرَدَّ.

{ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ } (الانشقاق : 3)

3- وَإِذَا الْأَرْضُ وَسَّعَتْ وَمُدَّتْ كَمَا يُمَدُّ الْجِلْدُ، "ثُمَّ لَا يَكُونُ لِبَشَرٍ مِنْ بَنِي آدَمَ إِلَّا مَوْضِعٌ قَدَمِيهِ"، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ.

{ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ } (الانشقاق : 4)

4- وَرَمَتْ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْمَوْتَى وَالْكُنُوزِ، وَخَلَّتْ مِنْهَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي بَاطِنِهَا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

{ وَأُذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُمِّتْ } (الانشقاق : 5)

5- وأجابَتْ أمرَ رَبِّهَا وأطاعَتْهُ، وَحُقَّ لها أَنْ تَسْمَعَ وتُطِيع، فَفَضَاءُ اللهُ لا يُرَدُّ.

{ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ } (الانشقاق : 6)

6- أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، إِنَّكَ سَاعٍ طَوَالَ حَيَاتِكَ إِلَى لِقَاءِ رَبِّكَ، وَأَنْتَ فِي كَدٍّ وَجِدٍّ وَعَمَلٍ، فَمُلَاقٍ جَزَاءَ مَا عَمِلْتَ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

{ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ } (الانشقاق : 7)

7- فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ صَحِيفَتَهُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، وَهِيَ عَلَامَةٌ عَلَى الْفَوْزِ وَالنَّجَاةِ،

{ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا } (الانشقاق : 8)

8- فَسَوْفَ يُحَاسَبُ عَلَى أَعْمَالِهِ حِسَابًا سَهْلًا مُيسِّرًا، تُعْرَضُ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْرِفَ مَنَّةَ اللهِ عَلَيْهِ فِيمَا سَتَرَهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، وَفِي عَفْوِهِ عَنْهُ فِي الْآخِرَةِ. فَاَلْمَقْصُودُ بِالْحِسَابِ هُنَا عَرْضُ الْأَعْمَالِ لِإِطْلَاعِ أَصْحَابِهَا عَلَيْهَا، أَمَّا مَنْ حُوسِبَ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ عَمَلُهُ، حِسَابَ تَدْقِيقٍ وَمُنَاقَشَةٍ، وَاسْتَقْصَى عَلَيْهِ وَلَمْ يُسَامَحْ، فَهَذَا يُعَذَّبُ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ". فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ. فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا }؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ".

{ وَيُنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا } (الانشقاق : 9)

9- وَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ فِي الْجَنَّةِ فَرِحًا مُبْتَهَجًا، لِمَا أُوتِيَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْكَرَامَةِ.

{ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ } (الانشقاق : 10)

10- وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ صَحِيفَةً أَعْمَالِهِ بِيَدِهِ الشَّمَالِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَهِيَ عَلَامَةٌ عَلَى الْحَيِّبَةِ
وَالْحُسْرَانِ،

{ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا } (الانشقاق : 11)

11- فسوف يُنادي بالويل والهلاك على نفسه،

{ وَيَصَلِّي سَعِيرًا } (الانشقاق : 12)

12- ويدخلُ جهنمَ ويُقاسي حرَّها وعذابها.

{ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا } (الانشقاق : 13)

13- لقد كانَ في الدُّنيا بينَ أهله فرحًا بطرًا، مُتبعًا هَواه، لا يُفكِّرُ بالعواقب،

{ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ } (الانشقاق : 14)

14- واعتقدَ أَنَّهُ لَنْ يَحيا بعدَ مماتِهِ، وَأَنَّهُ لَنْ يَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ فَيُحاسِبَ عَلَى أَعْمَالِهِ.

{ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا } (الانشقاق : 15)

15- بلى، سيعيدهُ اللهُ كما بدأه، وَيَعْتَهُ لِلْحِسَابِ، وَكَانَ اللَّهُ عَالِمًا بِأَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ كُلِّهَا،
وسيجازيه عليها.

{ فَلَا أُنْسِمُ بِالْشَّفَقِ } (الانشقاق : 16)

16- فأقسِمُ بِالشَّفَقِ. وَهُوَ الحُمْرَةُ التي تُرى في الأفقِ بعدَ الغُروبِ.

{ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ } (الانشقاق : 17)

17- وباللَّيْلِ وما ساقَهُ وجمعه مِنَ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا مِمَّا كَانَ مُنتَشِرًا بالنَّهارِ، فيأوي كلُّ إلى
مأواه،

{وَالْقَمَرَ إِذَا انْتَسَقَ} (الانشقاق : 18)

18- وبالقمر إذا استوى واجتمع نوره وصار بَدْرًا مُنِيرًا،

{لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ} (الانشقاق : 19)

19- ستَلَقُونَّ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَتُعَانُونَّ مَا قُدِّرَ لَكُمْ فِي هَذِهِ الْأَطْوَارِ.

{فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} (الانشقاق : 20)

20- فما الذي يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالآيَاتِ شَاهِدَةً عَلَى الدِّينِ

الحق؟

{وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ} (الانشقاق : 21)

21- وما لهم إذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لَا يَسْجُدُونَ إِكْرَامًا وَإِجْلَالًا، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ، وَإِقَامَةِ الْعَدْلِ، وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ، وَالْفَوْزِ وَالنَّجَاةِ فِي الْآخِرَةِ؟

{بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكذِّبُونَ} (الانشقاق : 22)

22- بل من سَحِيَّةِ الْمُشْرِكِينَ الْعِنَادُ وَالتَّكْذِيبُ بِالْقُرْآنِ وَالْمِعَادِ.

{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ} (الانشقاق : 23)

23- واللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُضْمِرُونَ فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الشَّرِّ وَالسُّوءِ وَالْعَدَاوَةِ لَدِينِكُمْ.

{فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} (الانشقاق : 24)

24- فَأَخْبِرْهُمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ هَيَّأَ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا.

{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} (الانشقاق : 25)

25- لكن الذين هداهم الله، فآمنوا وأخلصوا وعملوا صالحًا، لهم ثواب دائم، لا ينقطع خيره عنهم في دار الخلود.

* * *

في حديث صحيح أو حسن، ورد قوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ، فَلْيَقْرَأْ {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} و {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} و {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ}. رواه أحمد والحاكم والترمذي.

سورة البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} (البروج : 1)

1- أُقْسِمُ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الْمَنَازِلِ الَّتِي تَنْتَقِلُ فِيهَا النُّجُومُ وَالْكَوَاكِبُ، وَلَا تَتَعَدَّاهَا فِي جَرَانِهَا فِي السَّمَاءِ.

{وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ} (البروج : 2)

2- وَأُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ بِهِ، وَيَفْصِلُ فِيهِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، وَيُجَازِي كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّ.

{وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ} (البروج : 3)

3- وَأُقْسِمُ بِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَبِیَوْمِ عَرَفَةَ.

صحَّ في حديثِ الترمذيِّ قولُهُ صلى الله عليه وسلم: "اليومُ الموعودُ يومُ القيامةِ، واليومُ المشهودُ يومُ عَرَفَةَ، والشَّاهدُ يومُ الجمعةِ، وما طلعتِ الشَّمْسُ ولا غرَبَتِ على يومٍ أفضلَ منه...".
وقد خَصَّ اللهُ يومَ الجمعةِ بالصَّلَاةِ المَعهُودَةِ التي يَجْتَمِعُ لها النَّاسُ، وَيَشْهَدُهُمُ الملائكةُ وَيَكْتُبُونَ ثَوَابَهُمْ، وفيها ساعةٌ يُسْتَجَابُ فيها الدُّعاءُ.
وَمِنْ فَضَائِلِ يومِ عَرَفَةَ، الذي يَجْتَمِعُ فيه الحُجَّاجُ، قولُهُ صلى الله عليه وسلم: "صيامُ يومِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ على اللهِ أنْ يُكفِّرَ السَّنَةَ التي قَبْلَهُ، والسَّنَةَ التي بَعْدَهُ". رواه مُسْلِمٌ وآخرون. وصيامُهُ لغيرِ الحَاجِّ.

{ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ } (البروج : 4)

4- لَعِنَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ.

وكانَ كَفَّارٌ يَحْفَرُونَ الْأُخْدُودَ في الأَرْضِ، وهو الشَّقُّ الطَّوِيلُ فيها، وَيُوجَّحُونَ فيه النَّارَ، وَيُلْقُونَ فيه المُؤْمِنِينَ، الذينَ يَأْتُونَ أنْ يَرْجِعُوا إلى الكُفْرِ.

{ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ } (البروج : 5)

5- وَقَدْ أَوْقَدُوا في الْأُخْدُودِ النَّارَ حَتَّى صَارَ كُلُّهُ نارًا مُسْتَعْرَةً.

{ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ } (البروج : 6)

6- وَأَحاطُوا بالنَّارِ قاعِدِينَ حَوْلَها، مُشْرِفِينَ عَلَيْها.

{ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ } (البروج : 7)

7- وهم يَشْهَدُونَ لِبَعْضِهِمُ البَعْضِ فيما فَعَلُوا بالمُؤْمِنِينَ، وَأَهُمْ لم يُقْصِرُوا في ذلك!

{ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } (البروج : 8)

8- وما نَقَمُوا مِنْهُمْ هذا الانتِقامَ الفَظِيعَ، إِلَّا لكونِهِمُ آمَنُوا باللهِ العَالِبِ الذي لا يُقَهَّرُ، الحَمِيدِ المُسْتَحِقُّ لِلحَمْدِ والثناءِ بِإِنعامِهِ وإِحسانِهِ، ولأنَّ المُؤْمِنِينَ كَفَرُوا بِمَعبوداتِهِمُ الباطِلَةَ.

{الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (البروج : 9)

9- الله الذي له ما في السموات والأرض وما بينهما، خلقاً، ومُلْكًا، وتَدْبِيرًا. والله شاهدٌ على كُلِّ شَيْءٍ، لا يَغِيبُ عَنْهُ أَمْرٌ، ولا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

{إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِمٌّ أَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ

{الْحَرِيقِ} (البروج : 10)

10- إِنَّ الَّذِينَ عَذَّبُوا الْمُؤْمِنِينَ وَأَحْرَقُوهُمْ لِيَرْجِعُوا عَنْ دِينِهِمْ، ثُمَّ لَمْ يُقْلِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ، وَلَمْ يَنْدَمُوا عَلَى مَا فَعَلُوا، فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ، وَلَهُمْ حَرِيقٌ مُؤَجَّجٌ يُحْرَقُونَ فِيهِ، جَزَاءَ مَا أَحْرَقُوا الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا.

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ

{الْكَبِيرُ} (البروج : 11)

11- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَخْلَصُوا فِي إِيمَانِهِمْ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ الْمُوَافِقَةَ لِلْإِسْلَامِ، لَهُمْ جَنَّاتٌ وَاسِعَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ خِلَالِ مَسَاكِينِهَا وَأَشْجَارِهَا، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ وَالنَّجَاةُ، وَالسَّعَادَةُ الْعُظْمَى.

{إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} (البروج : 12)

12- إِنَّ انتِقَامَ اللَّهِ مِنْ أَعْدَائِهِ الْمَكْذِبِينَ، وَمِنَ الْجَبَابِرَةِ وَالظَّالِمِينَ، قَوِيٌّ عَنِيفٌ.

{إِنَّهُ هُوَ يُبْدِيهِ وَيُعِيدُهُ} (البروج : 13)

13- إِنَّهُ الْقَوِيُّ الْقَادِرُ، الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ، ثُمَّ يُعِيدُهُ كَمَا بَدَأَهُ وَيُعِثُّهُ.

{وَهُوَ الْعَفْوَورُ الْوَدُودُ} (البروج : 14)

14- وهو كثير المغفرة لذُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ التَّائِبِينَ، الْمُحِبُّ لِمَنْ أَطَاعَ وَأَنَابَ، الْمُتَوَدِّدٌ إِلَى عِبَادِهِ بِالْمَغْفِرَةِ، الْمُحْسِنُ إِلَى أَوْلِيَائِهِ الْمُكْرَمِينَ بِالْجَنَّةِ وَالرَّضْوَانِ.

{ دُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ } (البروج : 15)

15- صَاحِبُ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، خَالِقُهُ وَمَالِكُهُ، الْعَظِيمُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ.

{ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ } (البروج : 16)

16- وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لَا مَانِعَ يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ يُرِيدُهُ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ.

{ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ } (البروج : 17)

17- هَلْ بَلَغَكَ خَبْرُ الْجُمُوعِ الْكَافِرَةِ، الَّذِينَ تَجَنَّدُوا عَلَى أَدْيَةِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، كَيْفَ انْتَقَمَ مِنْهُمْ؟

{ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ } (البروج : 18)

18- جُنُودِ فِرْعَوْنَ، وَثَمُودَ قَوْمِ صَالِحٍ، الَّذِينَ طَعَوْا وَتَجَبَّرُوا، وَكَذَّبُوا أَنْبِيَاءَهُ؟

{ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ } (البروج : 19)

19- بَلِ إِنَّ الْكَافِرِينَ مِنْ قَوْمِكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ فِي شِرْكَ وَعِنَادٍ، وَتَكْذِيبٍ عَظِيمٍ لِلْقُرْآنِ، وَلَمْ يَعتَبِرُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ.

{ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ } (البروج : 20)

20- وَاللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَيْهِمْ، لَا يُعْجِزُونَهُ وَلَا يَفُوتُونَهُ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْزَلَ بِهِمُ الْعَذَابَ كَمَا أَنْزَلَ بِمَنْ قَبْلَهُمْ.

{ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ } (البروج : 21)

21- بل هذا القرآن الذي كذبوا به كتاب سماوي شريف، فيه الخير والفلاح، والفوز والنجاة، لمن آمن به وعمل بما فيه، لا يحق تكذيبه والكفر به.

{ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ } (البروج : 22)

22- وهو مصون عن التغيير والتبديل، ثابت في اللوح المحفوظ في السماء، الذي أثبت الله فيه كل شيء.

سورة الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ } (الطارق : 1)

1- أقسم بالسماء وما جعل فيها من النجوم المضيئة بالليل.

{ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ } (الطارق : 2)

2- وما أعلمك ما هو الطارق؟

{ النَّجْمِ الثَّاقِبِ } (الطارق : 3)

3- هو النجم المضيء الذي يتقرب الظلام بضوئه.

وقالوا في عصرنا: هو النجم النيوتروني، الذي له نبضات وطرقات منتظمة... في تفصيل وإعجاز.

{ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ } (الطارق : 4)

4- كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا رَقِيبٌ مِنَ اللَّهِ، يُحْصِي وَيَحْفَظُ عَلَيْهَا أَعْمَالَهَا الْحَسَنَةَ وَالسَّيِّئَةَ، وَهُوَ مُوَكَّلٌ بِهَا بِأَمْرِ اللَّهِ.

{ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ } (الطارق : 5)

5- فَلْيَتَفَكَّرِ الْإِنْسَانُ بِعَقْلِهِ، وَلْيَتَدَبَّرْ فِي مَبْدَأِ خَلْقِهِ كَيْفَ هُوَ، لِيَعْلَمَ أَنَّ الَّذِي بَدَأَ خَلْقَهُ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهِ.

{ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ } (الطارق : 6)

6- لَقَدْ خُلِقَ مِنْ مَنِيٍّ مُتَدَفِّقٍ،

{ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ } (الطارق : 7)

7- يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ الرَّجُلِ، وَهُوَ عَظْمٌ ظَهَرَ الْفِقَارِيَّةُ، وَمِنْ تَرَائِبِ الْمَرْأَةِ، وَهِيَ عِظَامٌ صَدَرِهَا الْعُلُوِّيَّةُ، يَلْتَقِي الْمَاءَانِ فِي رَحِمِ الْمَرْأَةِ.

{ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ } (الطارق : 8)

8- وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ مَوْتِهِ.

{ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ } (الطارق : 9)

9- فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَظْهَرُ الْأَسْرَارُ، وَيَبْدُو مَا خَفِيَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْعَقَائِدِ وَالنِّيَّاتِ.

{ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ } (الطارق : 10)

10- وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ يَوْمَئِذٍ قُوَّةٌ يَمْتَنِعُ بِهَا بِدَائِهِ، وَلَا نَاصِرٌ يَنْتَصِرُ لَهُ وَيُنْقِذُهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

{ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ } (الطارق : 11)

11- والسَّمَاءِ ذَاتِ الْمَطَرِ؛ لِأَنَّهُ يَرْجِعُ كُلَّ عَامٍ وَيَتَكَرَّرُ. أَوْ لِأَنَّ السَّحَابَ يَحْمِلُهُ مِنْ بَحَارِ الْأَرْضِ ثُمَّ يُرْجِعُهُ إِلَى الْأَرْضِ.

وقالوا في عَصْرِنَا: السَّمَاءُ تَقُومُ بِوُضُوفَةِ الْإِرْجَاعِ وَالْعَكْسِ، بِأَمْرِهِ سُبْحَانَهُ. فَالشَّمْسُ تَجْرِي وَتَعُودُ لِمَكَانِهَا، وَالْقَمَرُ يَسِيرُ فِي مَدَارٍ حَوْلَ الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهِ الْأَوَّلِ، وَالسَّمَاءُ تُرْجِعُ بُخَارَ الْمَاءِ أَمْطَارًا، وَتُرْجِعُ الْأَمْوَاجَ الْكَهْرَبِيَّةَ بَثًّا، وَتُرْجِعُ الْغَازَاتِ فِي تَقَلُّبَاتِهَا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، وَكُلُّ مَا فِي السَّمَاءِ يَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهِ الْأَوَّلِ، بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَدْبِيرِهِ.

{ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصُّدُوعِ } (الطارق : 12)

12- وَالْأَرْضِ الَّتِي تَنْشَقُّ عَنِ النَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ، وَتَتَصَدَّعُ بِالْعُيُونِ وَالْأَنْهَارِ. وَيَذَكِّرُ عُلَمَاءُ الْأَرْضِ فِي هَذَا الْعَصْرِ شَبَكَةً هَائِلَةً مِنَ الصُّدُوعِ عَلَى الْغِلَافِ الصَّخْرِيِّ الْخَارِجِيِّ لِلْأَرْضِ، وَاکْتَشَفُوا أَنَّ الْأَرْضَ مُتَصَدَّعَةٌ بِشُقُوقٍ قَسَمُوهَا إِلَى (24) قِطْعَةً. كَمَا اكْتَشَفَتْ صُدُوعٌ تُحِيطُ بِكَامِلِ الْأَرْضِ، وَقَالُوا: لَوْلَا هَذِهِ الصُّدُوعُ لَانْفَجَرَتِ الْكَرَّةُ الْأَرْضِيَّةُ مِثْلَ الْقُنْبُلَةِ الذَّرِّيَّةِ!

{ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ } (الطارق : 13)

13- إِنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ حَقٌّ وَعَدْلٌ، يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

{ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ } (الطارق : 14)

14- وَلَيْسَ هُوَ بِاللَّعِبِ وَالْبَاطِلِ، بَلْ كُلُّهُ جِدٌّ، فَمِنْ الْوَاجِبِ أَنْ يَتَّبِعَهُ النَّاسُ وَيَهْتَدُوا بِهِ.

{ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا } (الطارق : 15)

15- إِنَّ الْكَافِرِينَ يَمْكُرُونَ بِالنَّاسِ وَيَخْدَعُوهُمْ فِي دَعْوَتِهِمْ إِلَى خِلَافِ الْقُرْآنِ، وَصَرَفَهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ.

{ وَأَكِيدُ كَيْدًا } (الطارق : 16)

16- وَأَفَابِلُهُمْ بِمَكْرٍ مَّتِينٍ لَا يُمَكِّنُ رُدَّهُ، فَاسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ حَتَّى آخُذَهُمْ، وَأُتِمُّ نَوْرَ هَذَا الدِّينِ وَلَوْ كَرِهُوا.

{ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ زُوَيْدًا } (الطارق : 17)

17- فَأَنْظِرِ الْكَافِرِينَ وَأَمَهُلُهُمْ قَلِيلًا، وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ، وَسَتْرِي مَا يَجِلُّ بِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالْعَذَابِ.

سورة الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } (الأعلى : 1)

1- قُلْ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى. نَزَّهَ أَسْمَاءَهُ الْحُسْنَى، وَذَاتَهُ الْجَلِيلَةَ الْعَلِيَا عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهَا مِنَ الْأَوْصَافِ.

وفي الحديثِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا قَرَأَ { سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } قَالَ: "سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى". رواه أبو داودَ وأحمدُ والحاكم.

{ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى } (الأعلى : 2)

2- الَّذِي خَلَقَ الْمَخْلُوقَاتِ فَاتَّقَنَ خَلْقَهَا، وَأَحْسَنَ هَيْئَتَهَا.

{ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى } (الأعلى : 3)

3- وَالَّذِي جَعَلَ الْأَشْيَاءَ عَلَى مَقَادِيرَ مُعَيَّنَةٍ، وَهَيْئَاتٍ مَخْصُوصَةٍ، وَوَجَّهَ كُلًّا مِنْهَا إِلَى مَا يُنَاسِبُهَا، وَإِلَى مَا خُلِقَتْ لَهُ، وَأَلْهَمَهَا غَايَةَ وَجُودِهَا، وَقَدَّرَ لَهَا مَا يُصْلِحُهَا مُدَّةَ بَقَائِهَا، وَهَدَاهَا إِلَيْهِ.

{ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى } (الأعلى : 4)

4- والذي أنبت ما ترعاه الدواب، من صنوف النباتات والزروع الخضراء.

{ فَجَعَلَهُ عُتَّاءً أَلْحَى } (الأعلى : 5)

5- ثم جعله هشيمًا باليًا، أميل إلى السواد بعد الخضرة، مما يصلح للعلف وغيره.

{ سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى } (الأعلى : 6)

6- سنقرئك ما نوحى إليك من القرآن أيها الرسول، فلا تنسى منه شيئًا،

{ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى } (الأعلى : 7)

7- إلا ما شاء الله أن تنساه - وهو المنسوخ - إنه يعلم ما أظهره العباد من القول والفعل، وما أخفوه منهما، فلا يخفى عليه شيء.

{ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى } (الأعلى : 8)

8- ونسهل عليك عمل الخير، ونوفقك للطريقة السهلة في كل أبواب الدين، علمًا واهتداءً.

{ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى } (الأعلى : 9)

9- فعد الناس بهذا القرآن، وذكّرهم بدين الله، مادامت التذكرة مقبولة، والموعظة مسموعة.

{ سَيَذَكِّرْكَ مَنْ يُخْشَى } (الأعلى : 10)

10- سيتعظ بدعوتك من يخشى غضب الله وعذابه، ويحسب حساب الثواب والعقاب يوم الجزاء.

{ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى } (الأعلى : 11)

11- ويتعد عنها الشقي الحائب، المصير على الكفر، المنكر للمعاد والجزاء على الأعمال،

{الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى} (الأعلى : 12)

12- الذي يُلقَى في جهنم، ويذوقُ حرَّها وسَعيرها الممتد.

وفي صحيح البخاريّ قولُه صلى الله عليه وسلم: "نازكمُ جزءٌ من سبعينَ جزءًا من نارِ جهنم".

{ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} (الأعلى : 13)

13- ثمَّ لا يموتُ فيها فيستريحُ من العذاب، ولا يحيى فيها حياةً أمنٍ وراحةً، بل هي حياةٌ جحيمٍ وعذابٍ دائم.

{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} (الأعلى : 14)

14- قد فازَ ونجَّ مَنْ تطهَّرَ من الشُّركِ والمعاصي ومساوئِ الأخلاقِ والآداب، وأخلصَ العملَ لله.

{وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} (الأعلى : 15)

15- وذكرَ عظمةَ ربِّه وجلالَه، فصلَّى ما فرضَ عليه، مُمثِّلاً أمره، مُبتغيًا رضوانه.

{بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} (الأعلى : 16)

16- بل تُقدِّمونَ الدنيا على الآخرة، حُبًّا للعاجل، وجهلاً بالباقي. والكافرُ يُعرضُ عن الآخرةِ كُفْرًا بها، والمسلمُ إذا فعلَ فلا يثارُ معصيةً وغلبةً نفس، وقبلَ ذلكَ لضعفِ الإيمان.

{وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} (الأعلى : 17)

17- معَ أنْ تقدِّمَ الآخرةَ هوَ الذي فيه النِّفعُ والفلاح، فنعيُّها أفضل، وأبقى دوامًا وعافية، والدُّنيا شهواتها مُكدرَةٌ، ولذاتها فانية، وعليها حسابٌ وتبعات.

{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى} (الأعلى : 18)

18- إنَّ هذا الذي ذُكِرَ مُثَبَّتٌ في الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ القَدِيمَةِ،

{صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} (الأعلى : 19)

19- في صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ⁽¹⁵⁹⁾.

* * *

صحَّ في الحديثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ يُوتِرُ بَعْدَهُمَا بـ{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} و{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، وَيَقْرَأُ فِي الْوَتْرِ بـ{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}. رواه ابنُ حَبَّانَ في صَحيحِهِ وَالْحَاكِمُ وَغَيْرُهُمَا.

سورة الغاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ} (الغاشية : 1)

1- هلْ جَاءَكَ خَبْرٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الَّذِي يَغْشَى النَّاسَ وَيَغْمُرُهُمْ بِأَهْوَالِهِ وَشِدَائِدِهِ؟

{وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ} (الغاشية : 2)

2- وَجُوهٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَكُونُ ذَلِيلَةً مُهَانَةً.

(159) صحفُ موسى قبلَ التوراة، وهي عشر. (روح البيان).

موسى كانت له صحفٌ كثيرة، وهي مجموعُ صحفِ أسفارِ التوراة. (التحرير).

{عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ} (الغاشية : 3)

3- عَمِلْتُ وَجَهَدْتُ وَتَعَبْتُ فِي الدُّنْيَا، وَلَكِنْ لَعَيَّرَ اللَّهُ تَعَالَى، وَعَلَى غَيْرِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ الَّتِي ارْتَضَاهَا لِعِبَادِهِ، مِثْلَ النَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ.

{تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً} (الغاشية : 4)

4- تُلْقَى فِي نَارٍ شَدِيدَةٍ مُتَنَاهِيَةٍ فِي الْحَرِّ.

{تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ} (الغاشية : 5)

5- تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ حَارَّةٍ بِجَهَنَّمَ، شَدِيدَةِ الْعَلْيَانِ.

{لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ} (الغاشية : 6)

6- لَيْسَ لَهُمْ فِيهَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ شَجَرٍ يُقَالُ لَهُ ضَرِيحٌ، فِي غَايَةِ النَّثْنِ وَالْمِرَارَةِ.

{لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ} (الغاشية : 7)

7- هَذَا الطَّعَامُ الْحَبِيثُ لَا يُسْمِنُ بَدَنًا مِنْ هُزَالٍ، وَلَا يَسُدُّ جُوعَ صَاحِبِهِ، بَلْ يَزِيدُهُ أَلَمًا وَعَذَابًا.

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ} (الغاشية : 8)

8- وَوُجُوهٌ أُخْرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَكُونُ مُبْتَهَجَةً بِهَيْئَةٍ، مُشْرِقَةً نَاضِرَةً.

{لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ} (الغاشية : 9)

9- لِعَمَلِهَا الَّذِي عَمِلَتْهُ فِي الدُّنْيَا رَاضِيَةٌ مُطْمَئِنَّةٌ،

{فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ} (الغاشية : 10)

10- في جَنَّةٍ رَفِيعَةٍ عَالِيَةِ الدَّرَجَاتِ،

{ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغْيَةٍ } (الغاشية : 11)

11- لَا تَسْمَعُ فِيهَا كَلَامًا بَاطِلًا، وَخُصُومَةً وَصَحْبًا.

{ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ } (الغاشية : 12)

12- فِيهَا عَيْنٌ سَارِحَةٌ، لَا يَنْقَطِعُ مَاؤُهَا.

{ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ } (الغاشية : 13)

13- فِيهَا أَسِرَّةٌ عَالِيَةٌ، نَاعِمَةٌ مَرْيَتَةٌ.

{ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ } (الغاشية : 14)

14- وَأَوَانِي الشَّرَابِ لَهُمْ مُهَيَّاءٌ، قَرِيبَةٌ التَّنَاولِ.

{ وَتَمَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ } (الغاشية : 15)

15- وَوَسَائِدُ مَصْفُوفَةٌ بَعْضُهَا إِلَى جَنْبِ بَعْضٍ.

{ وَزَرَائِبُ مَبْنُوتَةٌ } (الغاشية : 16)

16- وَبُسُطٌ مُفَرَّقَةٌ مَفْرُوشَةٌ فِي الْمَجَالِسِ هُنَا وَهُنَاكَ، لِلرَّاحَةِ وَالزَّيْنَةِ.

{ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ } (الغاشية : 17)

17- أَلَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ الْمَكْدُبُونَ بِالْبَعْثِ، إِلَى هَذِهِ الْإِبِلِ الْعَظِيمَةِ كَيْفَ خَلَقَهَا اللَّهُ؟ فَهِيَ قَوِيَّةٌ شَدِيدَةٌ، يَتَنَاسَبُ تَرْكِيبُهَا الْعَجِيبُ مَعَ بَيْتِهَا وَوُظَيْفَتِهَا، وَتَحْمَلُ عَلَيْهَا الْأَحْمَالُ الثَّقِيلَةَ، وَتَصْبِرُ عَلَى الْجُوعِ وَالْعَطَشِ وَالسَّيْرِ أَيَّامًا، وَيُؤْكَلُ لَحْمُهَا، وَيُشْرَبُ مِنْ لَبَنِهَا، وَيُنْتَفَعُ بِوَبْرِهَا...

{ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ } (الغاشية : 18)

18- وإلى السماءِ العالِيَةِ المحكَمَةِ كَيْفَ رَفَعَهَا اللهُ بِدُونِ عَمَدٍ، وَهَمْ يُشَاهِدُونَهَا لَيْلاً وَنَهَارًا؟
فَمَنْ الَّذِي رَفَعَهَا هَكَذَا، وَمَنْ الَّذِي بَثَّ فِيهَا الْكَوَاكِبَ وَالنُّجُومَ الْكَثِيرَةَ وَزَيَّنَهَا لِلنَّاطِرِينَ،
وَوَضَعَ لَهَا نَوَامِيسَ دَقِيقَةً ثَابِتَةً...؟

{ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ } (الغاشية : 19)

19- وإلى الجِبَالِ كَيْفَ أُرْسِيَتْ وَأُثْبِتَتْ فِي الْأَرْضِ لئَلَّا تَضْطَرِبَ بِأَهْلِهَا، وَفِيهَا مِنَ الْمَعَادِنِ
وَالْمَنَافِعِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي لَا يُسْتَعْنَى عَنْهَا؟

{ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ } (الغاشية : 20)

20- وإلى الْأَرْضِ كَيْفَ بُسِطَتْ وَسُوِّيتْ وَمُهَّدَتْ، لِيُمْكِنَ الْعَيْشُ عَلَيْهَا وَالتَّنَقُّلُ فِيهَا،
وَالِاسْتِفَادَةُ مِنْهَا، وَفِيهَا مِنَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالْحِمَادِ مَا فِيهَا، أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا وَيَتَدَبَّرُونَ مَا
فِيهَا وَهَمْ يَسِيرُونَ عَلَيْهَا؟

{ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ } (الغاشية : 21)

21- فَذَكِّرِ النَّاسَ وَعِظْهُمْ بِالْكَوْنِ وَمَا فِيهِ مِنْ آيَاتٍ، وَبِمَا أَرْسَلَكَ اللهُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَلَا تُلِحَّ
عَلَيْهِمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ، فَإِنَّ وظيفَتَكَ الدَّعْوَةُ وَالبَلَاغُ.

{ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ } (الغاشية : 22)

22- لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَلِّطٍ فَتُكْرِهَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ،

{ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ } (الغاشية : 23)

23- لَكِنْ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ، وَكَفَرَ بِالْحَقِّ بَعْدَ التَّذْكِيرِ،

{ فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ } (الغاشية : 24)

24- فَإِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُهُ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا كَبِيرًا دَائِمًا، أَعْظَمَ وَأَشَدَّ وَأَبْقَى مِمَّا هُوَ فِي الدُّنْيَا.

{ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ } (الغاشية : 25)

25- إِنَّ إِلَيْنَا وَحْدَنَا رُجُوعَهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ.

{ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ } (الغاشية : 26)

26- ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا مُحَاسِبَتَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَجَزَاءَهُمُ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ عَلَيْهَا.

* * *

عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ فِي الْجُمُعَةِ بِ- { سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } و { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ }. قَالَ: وَإِذَا اجْتَمَعَ الْعِيدُ وَالْجُمُعَةُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ يَقْرَأُ بِهِمَا أَيْضًا فِي الصَّلَاتَيْنِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ.

سورة الفجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ وَالْفَجْرِ } (الفجر : 1)

1- أَقْسِمُ بِالْفَجْرِ.

وَاللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، لِحِكْمَةٍ، وَلَفْتِ نَظَرٍ وَتَدَبُّرٍ.

{ وَلَيَالٍ عَشْرٍ } (الفجر : 2)

2- وَاللَّيَالِي الْعَشْرَ الْأُولَى مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ.

في صحيح ابن جَبَانَ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ...". وَهُوَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ بِالْفَاظِ قَرِيبَةً. وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ.

{ وَالشَّنْفَعُ وَالْوَتْرُ } (الفجر : 3)

3- وَالشَّنْفَعُ، الَّذِي ذُكِرَ أَنَّهُ يَوْمُ عِيدِ الْأَضْحَى، لِكَوْنِهِ الْعَاشِرَ، وَالْوَتْرُ: يَوْمُ عَرَفَةَ، لِأَنَّهُ التَّاسِعُ. وَذُكِرَتْ أَقْوَالٌ أُخْرَى.

{ وَاللَّيْلُ إِذَا يَسِرُ } (الفجر : 4)

4- وَاللَّيْلُ إِذَا سَارَ وَمَضَى.

{ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ } (الفجر : 5)

5- هَلْ فِيهَا ذِكْرٌ مِنَ الْقَسَمِ اكْتِفَاءً لِذِي عَقْلِ وَوَلْبٍ، وَإِقْنَاعٌ لِمَنْ لَهُ إِدْرَاكٌ وَفِكْرٌ؟ نَعَمْ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: هَذَا الْقَسَمُ هُوَ بِأَوْقَاتِ الْعِبَادَةِ، وَبِنَفْسِ الْعِبَادَةِ، مِنْ حَجٍّ وَصَلَاةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْقُرْبِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْمُتَّقُونَ الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ، الْخَائِفُونَ مِنْهُ، الْمُتَوَاضِعُونَ لَدَيْهِ، الْخَاشِعُونَ لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

{ أَلَمْ تَعْلَمْ كَيْفَ فَعَلَ رُبُّكَ بَعَادٍ } (الفجر : 6)

6- أَلَمْ تَعْلَمْ كَيْفَ فَعَلَ رُبُّكَ بِقَبِيلَةِ عَادٍ؟ وَكَانُوا عُتَاةَ جَبَّارِينَ مُتَمَرِّدِينَ، مُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ.

{ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ } (الفجر : 7)

7- وَهُمْ عَادُ الْأَوَّلِ، وَقَدْ يُنْسَبُونَ إِلَى جَدِّهِمْ إِرْمَ، أَوْ أَنَّهُ تَسْمِيَةٌ لِلْقَبِيلَةِ، أَوْ لِلْمَدِينَةِ... صَاحِبَةِ الْعِمَادِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْكُنُونَ الْخِيَامَ، الَّتِي تُرْفَعُ بِالْأَعْمِدَةِ الشَّدَادِ، وَكَانُوا أَشِدَّاءَ أَيْضًا. أَوْ أَنَّ الْعُمْدَ وَصَفٌ لِلْمَدِينَةِ إِرْمَ، أَوْ لِبِنَائِ بَنُوهُ.

{الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ} (الفجر : 8)

8- التي لم يُخْلَقْ مِثْلَهَا فِي عِظَمِ جِسْمِ أَفْرَادِهَا وَقَوَّتِهِمْ، إِذَا كَانَ الْمَقْصُودُ قَبِيلَةَ عَادٍ. أَوْ أَهْمًا
الْبِنَايَةَ، أَوْ الْمَدِينَةَ، ذَاتُ الْبِنَاءِ الْعَالِي الرَّفِيعِ، أَوْ ذَاتُ الْأَسَاطِينِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلَهَا سَعَةً
وَحُسْنِ بُيُوتٍ وَبَسَاتِينٍ فِي بِلَادِ الدُّنْيَا.
وَذِكْرٍ فِي عَصْرِنَا أَهْمًا اِكْتَشِفَتْ تَحْتَ كُتُبَانِ الْأَحْقَافِ فِي مَنطِقَةِ ظَفَّارِ بَعْمَانَ.

{وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ} (الفجر : 9)

9- وَاَنْظُرْ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِقَبِيلَةِ تَمُودَ قَوْمِ النَّبِيِّ صَالِحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَكَانُوا مُشْرِكِينَ
مُعَانِدِينَ أَقْوِيَاءَ، يَقْطَعُونَ الصُّخُورَ بِالْجِبَالِ فِي وَادِي الْقُرَى، يَنْحِتُونَهَا وَيَنْقُبُونَهَا وَيُزْخِرِفُونَهَا،
وَيَجْعَلُونَهَا بُيُوتًا. وَمَا زَالَتْ آثَارُهُمْ مَوْجُودَةً فِي "مَدَائِنِ صَالِحٍ" بِبِلَادِ الْحَرَمَيْنِ.

{وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ} (الفجر : 10)

10- وَفِرْعَوْنَ صَاحِبِ الْجُنُودِ الَّذِينَ كَانُوا يُتَّقُونَ حُكْمَهُ.

{الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ} (الفجر : 11)

11- الَّذِينَ ظَلَمُوا وَتَجَبَّرُوا فِي الْأَرْضِ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي.

{فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ} (الفجر : 12)

12- وَعَانُوا فِيهَا ظُلْمًا وَأَذَى وَفَسَادًا.

{فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ} (الفجر : 13)

13- فَأَنْزَلَ اللَّهُ بِهَوْلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُفْسِدِينَ الْعُقُوبَةَ وَأَنْوَعَ الْعَذَابِ.

{إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ} (الفجر : 14)

14- إِنَّ اللَّهَ يُرَاقِبُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ، يَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ، وَيَرَى مَا يَفْعَلُونَ، وَيَعْلَمُ مَا يُضْمِرُونَ،
وسيجازي كلاً بما يستحق.

{ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ } (الفجر : 15)

15- فإذا اختبر الله الإنسان بالغنى والعافية، فأكرمه بالمال، ونعمه بما وسع عليه من زينة الدنيا، وجعل له وجهة أو منصباً، اعتقد أن ذلك إكرام من الله له. وليس كذلك، بل هو ابتلاء وامتحان منه، لينظر هل يشكر أم يكفر، وهل يعدل أم يظلم، وهل يطيع الله أم يعصيه؟

{ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ } (الفجر : 16)

16- وأما إذا ضيق الله عليه، فابتلاه بالفقر، اعتبر ذلك عقوبة له ومهانة، وأن الله لو لم يرد إهانته لما ضيق عليه في رزقه! وإنما أراد امتحانه، لينظر هل يكون مؤمناً صابراً راضياً بقضاء الله، أم متضجراً جزوعاً يائساً، ضعيف الإيمان ساحطاً؟

{ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ } (الفجر : 17)

17- كلاً لما زعمتم من أمر الابتلاء، فليس بسط الرزق دليلاً على الكرامة، وليس تضييقه دليلاً على الإهانة والإهمال، بل لكم أفعال أكثر شراً مما ذكر، فإن الله يكرمكم بكثرة المال، ولكنكم لا تقومون بحق العطاء، ولا تكرمون اليتيم بالإحسان إليه.

{ وَلَا تَحَاضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ } (الفجر : 18)

18- ولا يحث بعضكم بعضاً على إطعام المسكين، الذي لا يجد ما يأكل.

{ وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا } (الفجر : 19)

19- وتأكلون الميراث بشراهة وجشع، وتخلطون بين الحلال والحرام، وتجمعون فيه بين نصيبكم ونصيب غيركم.

{ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا } (الفجر : 20)

20- وَتُحِبُّونَ جَمَعَ الْمَالِ حُبًّا كَثِيرًا طَاغِيًّا، لَا يُبْقِي فِي نَفُوسِكُمْ مَكْرَمَةً لِلْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ.

{ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا } (الفجر : 21)

21- كَلَّا، لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ كَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِنْحِرَافِ وَالْغَفْلَةِ، وَالْحِرْصِ عَلَى الدُّنْيَا وَتَرْكِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَإِنَّ أَمَامَكُمْ أَهْوَالَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْسُبُوا حِسَابَهَا، فَإِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ وَضُرِبَتْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، حَتَّى انْهَدَمَ كُلُّ مَا عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ جِبَالٍ وَأَبْنِيَّةٍ وَسُؤْيَاتٍ.

{ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا } (الفجر : 22)

22- وَجَاءَ رَبُّكَ لِلْفَصْلِ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَجَاءَتْ الْمَلَائِكَةُ صُفُوفًا مُتتَابِعَةً.

{ وَحِيَاءٍ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى } (الفجر : 23)

23- وَأَنَّى يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ، "لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُوهَا"، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَتَعَطَّى الْإِنْسَانُ وَيَتَذَكَّرُ مَا عَمِلَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. وَكَيْفَ يَنْفَعُهُ اتِّعَاطُهُ وَقَدْ فَاتَ زَمَانُهُ؟

{ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي } (الفجر : 24)

24- يَقُولُ نَادِمًا عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُ مِنَ الْمَعَاصِي، مُتَحَسِّرًا عَلَى مَا فَرَّطَ فِي جَنبِ اللَّهِ: يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ أَعْمَالَ صَالِحَةً لَأَنْتَفِعَ بِهَا فِي حَيَاتِي الْآخِرَةِ.

{ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ } (الفجر : 25)

25- فَيَوْمَئِذٍ لَيْسَ أَحَدٌ أَشَدَّ عَذَابًا مِنْ تَعَذِيبِ اللَّهِ لِهَذَا الْكَافِرِ الْجَرِيمِ.

{ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ } (الفجر : 26)

26- وليس أحدٌ أشدَّ قَبْضًا ووَثْقًا بالسَّلاسلِ مِنَ اللَّهِ لِمَنْ كَفَرَ وَطَعَى.

{ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ } (الفجر : 27)

27- أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُؤْمِنَةُ بِمَا قَالَ اللَّهُ، الْمَصَدِّقَةُ بِمَا وَعَدَ بِهِ، السَّاكِنَةُ إِلَى حُبِّهِ، الْمُطْمَئِنَّةُ إِلَى ذِكْرِهِ،

{ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً } (الفجر : 28)

28- ارْجِعِي إِلَى مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِكِ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ فِي جَنَّتِهِ، رَاضِيَةً بِمَا أَعْطَاكِ مِنَ النَّعِيمِ، مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللَّهِ بِمَا قَدَّمْتِ مِنْ طَاعَةٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ.

{ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي } (الفجر : 29)

29- فَادْخُلِي فِي زُمْرَةِ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ،

{ وَادْخُلِي جَنَّتِي } (الفجر : 30)

30- وَادْخُلِي جَنَّتِي فِي كَنَفِي وَرَحْمَتِي.

سورة البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ } (البلد : 1)

1- أُقْسِمُ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ، مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ، الَّذِي شَرَّفَهُ اللَّهُ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ، وَحَرَّمَهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَتَبَقَى حُرْمَتُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

{ وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ } (البلد : 2)

2- ويزيدُ البلدَ كرامةً وحُرمةً أنك مُقيمٌ بهِ أُنبيأ النبي. (السُّورةُ مكِّيَّة).
{ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ } (البلد : 3)

3- والوالدِ الأوَّلِ آدَمَ، وما وَلَدٌ، مِنْ جَمِيعِ وَلَدِهِ.

{ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ } (البلد : 4)

4- لقد خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي تَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ وَمُكَابَدَةٍ. (160) ففِي أَطْوَارِ خَلْقِهِ شِدَّةٌ وَمَشَقَّةٌ، فِي بَطْنِ الْأُمِّ، ثُمَّ فِي زَمَنِ الْإِرْضَاعِ، فَالتَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ، وَتَحْصِيلِ الْمَعَاشِ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ مُعَانَاةِ الْمِحْنِ وَالشَّدَائِدِ وَالتَّكْلِيفِ وَالتَّصَبُّرِ عَلَيْهَا، فَمُعَانَاةِ الْمَوْتِ وَكِرْبِهِ، وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْحَشْرِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

{ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ } (البلد : 5)

5- أَيُظَنُّ هَذَا الْمَعْرُورُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ اللَّهُ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْهُ، وَهُوَ الَّذِي أَعْطَاهُ الْحَيَاةَ، وَمَنْحَهُ الْقُوَّةَ، فَصَارَ يَظْلِمُ وَيَبْطِشُ، وَيَنْهَبُ وَيَفْجُرُ... وَلَا يَحْسَبُ أَنَّهُ مَأْخُودٌ بِعَمَلِهِ؟

{ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا } (البلد : 6)

6- يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: أَنْفَقْتُ مَالًا كَثِيرًا. يَتَبَاهَى بِذَلِكَ وَيَتَعَاطَمُ.

{ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ } (البلد : 7)

7- أَيُظَنُّ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَرِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْ نَيْتَهُ فِي الْإِنْفَاقِ، وَلَا يَسْأَلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟

(160) { فِي كَبَدٍ } : حَالٌ مِنَ الْإِنْسَانِ، بِمَعْنَى: مُكَابَدًا. وَحَرْفُ (فِي) وَ (اللام) مُتَقَارِبَانِ، تَقُولُ: إِنَّمَا أَنْتَ لِلْعَنَاءِ وَالنَّصَبِ، وَإِنَّمَا أَنْتَ فِي الْعَنَاءِ وَالنَّصَبِ. وَوَجْهٌ آخَرُ أَقُولُهُ: { فِي كَبَدٍ } يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْكَبَدَ قَدْ أَحَاطَ بِهِ إِحَاطَةً الظَّرْفِ بِالْمَظْرُوفِ... (رُوحُ الْبَيَانِ).

{ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ } (البلد : 8)

8- أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ يُبْصِرُ بِهِمَا الْأَشْيَاءَ؟

{ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ } (البلد : 9)

9- وَلِسَانًا يَنْطِقُ بِهِ، فَيُعَبِّرُ بِهِ عَمَّا فِي نَفْسِهِ، وَشَفَتَيْنِ يَسْتُرُ بِهِمَا فَمَّهُ، وَيَسْتَعِينُ بِهِمَا عَلَى الْكَلَامِ، وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ... فَهَذَا وَغَيْرُهُ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ، لِيَعْتَرِفَ بِذَلِكَ وَيَشْكُرَ، وَلَا يَكْفُرَ.

{ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ } (البلد : 10)

10- وَهَدَيْنَاهُ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، لِيَخْتَارَ أَيُّهُمَا شَاءَ.

{ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ } (البلد : 11)

11- فَهَلَّا أَطَاعَ اللَّهَ وَأَنْفَقَ مَالَهُ فِي رِضَاهُ، لِيَتَجَاوَزَ بِذَلِكَ الْعَقَبَةَ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ؟⁽¹⁶¹⁾.

{ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ } (البلد : 12)

12- وَمَا أَعْلَمَكَ مَا هِيَ هَذِهِ الْعَقَبَةُ، الَّتِي تَتَطَلَّبُ إِيمَانًا وَعَزِيمَةً قَوِيَّةً، لِسُلُوكِ الطَّرِيقِ الَّتِي تُوَدِّي إِلَى الْفَوْزِ وَالنَّجَاةِ؟

{ فَكُلُّ رَقَبَةٍ } (البلد : 13)

13- هِيَ إِعْتَاقُ رِقَابِ الْأَرْقَاءِ لَوَجْهِ اللَّهِ، لِيُصْبِحُوا أَحْرَارًا مِثْلَ سَائِرِ النَّاسِ، فَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً كَانَ ذَلِكَ فِدَاءَهُ مِنَ النَّارِ.

(161) { الْعَقَبَةُ } : الطَّرِيقُ الَّتِي فِي الْجَبَلِ، سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِصُعُوبَةِ سُلُوكِهَا، وَهُوَ مِثْلُ ضَرْبِ سَبْحَانُهُ لِمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ وَالْهَوَى وَالشَّيْطَانِ فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ، فَجَعَلَهُ كَالَّذِي يَتَكَلَّفُ صُعُودَ الْعَقَبَةِ. (فتح القدير).

{أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ} (البلد : 14)

14- أو إطعامٌ في يومٍ مجاعة، حيثُ يعزُّ فيه الطَّعام.

{يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ} (البلد : 15)

15- يتيماً بينك وبينه قرابة،

{أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ} (البلد : 16)

16- أو فقيراً شديداً الفقر، قد لصق بالثراب لبؤسه وشدة ما به.

{ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ} (البلد : 17)

17- وفوق هذه الصفات الطيبة، فهو من الذين آمنوا وأخلصوا في إيمانهم، وتقرَّبوا بأعمالهم لوجه الله وحده، وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر على فرائضه، وقضائه وقدره، والثبات على طاعته، والرحمة بالناس، بالتعاون على البرِّ والتقوى، وبيان سبل الخير لهم.

{أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ} (البلد : 18)

18- أولئك المتصِفون بتلك الصفات الطيبة، هم أهل اليمين، الذين فازوا بالجنة والسعادة الدائمة.

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ} (البلد : 19)

19- والذين كفروا بالقرآن، أو بالأدلة والمعجزات التي أيَّدنا بها رسلنا، الدالة على صدق رسالاتهم، هم أصحاب الشمال، من الأشقياء ذوي الشؤم.

{عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ} (البلد : 20)

20- عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّطَبَّقَةٌ، قَدْ أُغْلِقَتْ عَلَيْهِمْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، فَهُمْ مَحْبُوسُونَ فِيهَا، لَا خُرُوجَ لَهُمْ مِنْهَا.

سورة الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا} (الشمس : 1)

1- أُقْسِمُ بِالشَّمْسِ وَضُوءِهَا. وَأَصْفَى مَا يَكُونُ ضُوءُهَا فِي وَقْتِ الضُّحَى. وَقَسَمُ اللَّهُ بِمَخْلُوقَاتِهِ لِتَوْجِيهِ النَّظَرِ إِلَيْهَا وَتَدْبِيرِهَا. وَلَا غَيْ لِلْإِنْسَانِ عَنِ الشَّمْسِ: ضُوءِهَا وَحَرَارَتِهَا.

{وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّاهَا} (الشمس : 2)

2- وَالْقَمَرِ إِذَا تَبَعَ الشَّمْسَ. فَيَكُونُ طُلُوعُهُ بَعْدَ غُرُوبِهَا، وَيَخْلُفُهَا فِي الإِضَاءَةِ.

{وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا} (الشمس : 3)

3- وَالنَّهَارِ إِذَا أَظْهَرَ الأَرْضَ وَكَشَفَهَا بِضِيَائِهِ.

{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا} (الشمس : 4)

4- وَاللَّيْلِ إِذَا غَطَّى الأَرْضَ، فَانْتَشَرَ بِهِ الظَّلَامُ.

{وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا} (الشمس : 5)

5- وَالسَّمَاءِ وَبِنَائِهَا المِثْمَاسِكِ الَّذِي لَا تَرَى فِيهِ حَلَالًا، وَمَا فِيهَا مِنَ النُّجُومِ والأُفْلَاقِ السَّابِحَةِ فِي مَدَارَاتِهَا.

{ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا } (الشمس : 6)

6- والأرض وما بسطها، وجعلها مُمَهَّدَةً للحياة.

{ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا } (الشمس : 7)

7- ونفسٍ وما أنشأها وأبدعها، وسوى أعضائها، وجعلها على الفطرة.

{ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } (الشمس : 8)

8- فأرشدها وبيّن لها الخيرَ والشرَّ، وعزّفها الحقَّ والباطلَ، وما يُصلِحُها وما يَشِينُها. في حَدِيثِ ابنِ عباسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } وَقَفَ ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَخَيْرٌ مَنْ زَكَّاهَا". رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَحَسَنَ إِسْنَادُهُ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ.

{ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا } (الشمس : 9)

9- قَدْ فَازَ وَسَعِدَ مَنْ أَصْلَحَ نَفْسَهُ وَطَهَّرَهَا مِنَ الشَّرِّ وَالْمَعَاصِي وَمَسَاوِيِ الْأَخْلَاقِ.

{ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا } (الشمس : 10)

10- وَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ مَنْ أَفْسَدَ نَفْسَهُ وَأَغْوَاهَا، وَأَهْلَكَهَا بِحَمْلِهَا عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ.

{ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا } (الشمس : 11)

11- كَذَّبَتْ قَبِيلُهُ ثَمُودَ نَبِيَّهَا صَالِحاً، بِسَبَبِ طُغْيَانِهَا وَعُدْوَانِهَا.

{ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا } (الشمس : 12)

12- إِذْ قَامَ أَشْقَى الْقَبِيلَةِ لِعَقْرِ النَّاقَةِ. وَكَانَ قَوْبًا فِي جَسْمِهِ، لَهُ عِصَابَةٌ تَمْنَعُهُ.

{ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا } (الشمس : 13)

13- فقال لهم رسول الله صالح: احذروا عقْر النَّاقَةِ، لا تمسوها بسوء، ولا تعرضوا للماء يوم شربها.

{فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا} (الشمس : 14)

14- فكذبوا نبيهم فيما جاء به، فعقروا الناقة، فعضب الله عليهم، بسبب تكذيبهم رسولهم، ومخالفتهم أمر ربهم، فأطبق عليهم العذاب وأهلكهم جميعاً، فقد كانوا راضين بما فعل شقيهم، ولم يعترضوا عليهم.

{وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا} (الشمس : 15)

15- ولا يخاف الله تبعه ما عاقبهم به، فالله قوي قادر، يعاقب كما يشاء، وهم الضعفاء الأذلة، الذين لا يستطيعون دفع العذاب عنهم، ولا الهروب منه.

سورة الليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} (الليل : 1)

1- أقسم بالليل حين يُعطي النهار بظلامه، أو كَلَّ ما يواريه.

{وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى} (الليل : 2)

2- والنهار إذا ظهر وأشرق بطلوع الشمس.

{وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى} (الليل : 3)

3- والذي خلق الزوجين: الذكر والأنثى.

{ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى } (الليل : 4)

4- إِنَّ أَعْمَالَكُمْ مُخْتَلِفَةٌ مُتَفَرِّقَةٌ.

{ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى } (الليل : 5)

5- فَأَمَّا مَنْ أَنْفَقَ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَا أَمَرَ بِهِ، وَاتَّقَى اللَّهَ فِيمَا نَهَى عَنْهُ، وَامْتَثَلَ لِأَمْرِهِ وَأَطَاعَ،

{ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى } (الليل : 6)

6- وَأَمَّنَ بِالْكَلِمَةِ الْحُسْنَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَصَدَّقَ بِالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ،

{ فَسَنِيسِرُّهُ لِيُسرَى } (الليل : 7)

7- فَسَنُوقِفُّهُ لِعَمَلِ الْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا، وَطَاعَةِ اللَّهِ وَتَقْوَاهُ.

{ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى } (الليل : 8)

8- وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ بِمَالِهِ، وَلَمْ يُنْفِقْهُ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ، وَاسْتَغْنَى عَنْ ثَوَابِ اللَّهِ وَلَمْ يَرْعَبْ فِيهِ،

{ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى } (الليل : 9)

9- وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ، وَبِالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ يَوْمَ الدِّينِ،

{ فَسَنِيسِرُّهُ لِلْعُسْرَى } (الليل : 10)

10- فَسَنُهِجِّيْ أَمْرَهُ لِمَا فِيهِ مَشَقَّةٌ وَحَرْجٌ وَخِذْلَانٌ، فَيَعْتُرُّ وَيَتَخَبَّطُ وَيَسْلُكُ طَرِيقَ الشَّقَاوَةِ، وَإِنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَسِيرُ فِي طَرِيقٍ صَاحِحٍ!

{ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى } (الليل : 11)

11- وَلَا يَنْفَعُهُ مَالُهُ الَّذِي بَخِلَ بِهِ إِذَا مَاتَ، أَوْ إِذَا هَوَى فِي جَهَنَّمَ.

{ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى } (الليل : 12)

12- إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَ طَرِيقَ الْهُدَى مِنْ طَرِيقِ الضَّلَالِ.

{ وَإِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى } (الليل : 13)

13- وَلِنَا كُلُّ مَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا فِي الْآخِرَةِ، مُلْكًا، وَتَصَرُّفًا فِيهِمَا، فَأَيْنَ تَذَهَبُونَ مِنْ اللَّهِ؟

{ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى } (الليل : 14)

14- فَأَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ اللَّهِ، وَخَوْفُكُمْ نَارًا تَتَوَقَّدُ وَتَلَهَّبُ،

{ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى } (الليل : 15)

15- لَا يَدْخُلُهَا وَيَذُوقُ حَرَّهَا وَسَعِيرَهَا عَلَى الدَّوَامِ إِلَّا الشَّقِيُّ مِنَ النَّاسِ،

{ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى } (الليل : 16)

16- الَّذِي كَذَّبَ بِالذِّينِ، وَأَعْرَضَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ.

والمسلم العاصي يأخذ نصيبه من العذاب - إلا أن يعفو الله - ولكن ليس مثل العذاب الموصوف للكافر الشقي، فالنار ذركات. وقصر النار على الكافر في هذه الآية أيضًا من جهة دوامه فيها إلى الأبد، والمؤمن لا يخلد فيها. أو أن الآية عامة تخصها الآيات الدالة على وعيد الفساق.

{ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى } (الليل : 17)

17- وَسَيُبْعَدُ عَنْهَا وَيَنْجُو الْمُؤْمِنُ النَّقِيُّ، الْمَلَاذِمُ لَطَاعَةِ رَبِّهِ، الْمُنْتَهِي عَمَّا نَهَى عَنْهُ.

{ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى } (الليل : 18)

18- الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ فِي وَجْهِ الْبِرِّ وَالْحَيْرِ؛ لِيُطَهَّرَ بِهِ نَفْسَهُ.

{ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى } (الليل : 19)

19- ولا يقصدُ ببذلِ مالِهِ مُكَافَأَةً مَنْ أَسَدَى إِلَيْهِ مَعْرُوفًا،

{ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى } (الليل : 20)

20- وَلَكِنَّهُ يُعْطِي ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى، وَطَلَبًا لِرِضَاهِ.

{ وَلَسَوْفَ يَرْضَى } (الليل : 21)

21- وَلَسَوْفَ يَرْضَى بِالتَّوَابِ الْعَظِيمِ الَّذِي يُجَازِيهِ اللَّهُ بِهِ فِي الْآخِرَةِ.

سورة الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ وَالضُّحَى } (الضحى : 1)

1- أُقْسِمُ بِالضُّحَى . وَهُوَ صَدْرُ النَّهَارِ وَشَبَابُهُ.

{ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى } (الضحى : 2)

2- وَاللَّيْلِ إِذَا سَكَنَ فَأَظْلَمَ.

{ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى } (الضحى : 3)

3- مَا تَرَكَكَ رَبُّكَ وَمَا أَبْغَضَكَ.

قَالَ جُنْدُبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَبْطَأَ جِبْرِيلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: قَدْ وُدَّعَ مُحَمَّدٌ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: { وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى }، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ.

{وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى} (الضحى : 4)

4- وللدائر الآخرة خير لك من دار الدنيا الفانية، فهي أفضل وأبقى، وأصفي وأرضى.

{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} (الضحى : 5)

5- وسوف يعطيك الله في الآخرة، من الكرامة ومن الشفاعة في أمتك ما ترضى به.

{أَمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَآوَى} (الضحى : 6)

6- أما وجدك ربك طفلاً يتيمًا فضمك إلى من قام بأمرك؟ فقد تويى والدُه عليه الصلاة والسلام قبل أن يولد، وبعد استرضاعه في بني سعدٍ كان في حجر جدّه، وبعد وفاته كفله عمُّه أبو طالب.

{وَوَجَدَكَ غَافِلًا عَنِ الشَّرَائِعِ وَالرِّسَالَاتِ، فَهَدَاكَ لِلتَّوْحِيدِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ، وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ.

7- ووجدك غافلاً عن الشرائع والرسالات، فهداك للتوحيد، وأنزل عليك القرآن، وعلمك ما لم تكن تعلم.

{وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى} (الضحى : 8)

8- وكنت فقيراً، فأغناك الله بالتجارة.

{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ} (الضحى : 9)

9- فكما كنت يتيمًا، فلا تحتقر اليتيم ولا تستدله، ولكن أحسن إليه وتلطّف به.

{وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} (الضحى : 10)

10- وكما كنت فقيراً، فلا تزجر السائل المحتاج، ولكن تفضّل عليه بشيء، أو ردّه بقول جميل.

{ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ } (الضحى : 11)

11- وكما كنت ضالاً فأنعم الله عليك وهداك إليه، فبلغ ما أرسلت به، وحدت بما أوحى إليك وأقرته وبينه، فإن التحدث بنعمة الله، وخاصة نعمة الهدى والإيمان، من صور الشكر للمنع، يكملها البر بعباده، والإحسان إليهم.

سورة الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } (الشرح : 1)

1- أما جعلنا صدرك فسيحاً رحيباً، رضىاً مطمئناً، بالإيمان والنبوة، والعلم والحكمة؟

{ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ } (الشرح : 2)

2- وغفرنا لك ما سلف منك في الجاهلية. أو خففنا عنك حملك، بأن قويناك على تحمل أعباء الرسالة،

{ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ } (الشرح : 3)

3- الذي أثقل ظهرك، وشق عليك حمله؟

{ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } (الشرح : 4)

4- ورفعنا ذكرك بالنبوة في الوجود كله، فأرسلناك للناس كافة، وأعلينا قدرك في القرآن، وجعلنا اسمك مقروناً باسم الله تعالى في شهادة التوحيد، وتذكر في كل أذان وإقامة، وفي الخطبة على المنابر، وفي الصلوات، حتى قيام الساعة.

{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} (الشرح : 5)

5- فَإِنَّ مَعَ الشَّدَةِ وَالضِّيقِ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ تَيْسِيرًا وَفَرْجًا.

{إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} (الشرح : 6)

6- إِنَّ مَعَ كُلِّ ضِيقٍ وَعُسْرٍ فَرْجًا وَمُخْرَجًا.

{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ} (الشرح : 7)

7- فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ شَوَاعِلِ الدُّنْيَا وَأَمْرِ النَّاسِ، فَتَوَجَّهْ إِلَى اللَّهِ، وَاتَّعَبْ فِي عِبَادَتِهِ، وَاجْهَدْ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ.

{وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ} (الشرح : 8)

8- وَاجْعَلْ رَغْبَتَكَ إِلَى اللَّهِ وَحَدَهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكَ، وَالتَّجَرُّعِ إِلَيْهِ، وَلَا تَسْأَلْ غَيْرَهُ، فَلَا تَيْسِيرَ إِلَّا مِنْهُ، وَلَا تَوْفِيقَ إِلَّا بِهِ.

سورة التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ} (التين : 1)

1- وَالتِّينَ. هُوَ ثَمَرُ الْفَاكِهَةِ اللَّذِيذِ، الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُ شَبِيهُ بِفَوَاكِهِ الْجَنَّةِ. مِنْ أَعْنَى الْفَوَاكِهِ بِالْفَيْتَامِينَاتِ، غِذَاءٌ وَدَوَاءٌ.

وَالزَّيْتُونَ. مِنَ الشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ، الَّذِي يُؤْكَلُ، وَيُعَصَّرُ، وَيُوقَدُ مِنْهُ، وَيُدَّهَنُ بِهِ، ذُو مَنْفَعَةٍ عَظِيمَةٍ، وَطَعْمٍ مُمَيَّزٍ، وَنَكْهَةٍ طَيِّبَةٍ.

وَأَقْسَمَ اللَّهُ بِمَا لِبَرَكَتَيْهِمَا وَمَنْفَعَتَيْهِمَا الْعَظِيمَةِ، وَلِلَّهِ أَنْ يُقَسِّمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ.

{ وَطُورِ سَيْنِينَ } (التين : 2)

2- والجبل الذي نُوديَ مِنْ جَانِبِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَيُقَالُ لَهُ طُورُ سَيْنَاءَ.

{ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ } (التين : 3)

3- وهذا البلد الأمين مكة المكرمة، الذي يَأْمَنُ فِيهِ مَنْ دَخَلَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ.

{ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ } (التين : 4)

4- لقد خلقنا جنس الإنسان في أفضل صورة، وأعدل قامة، وأحسن تركيب.

{ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ } (التين : 5)

5- ثم جعلناه في أسفل الأماكن السفلة، وهو الدرك الأسفل من النار، لأنه لم يُطِغِ رَسُلَ اللَّهِ، وَاسْتَكْبَرَ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَلَمْ يَشْكُرْ نِعْمَةَ اللَّهِ وَمَا مَيَّزَهُ بِهِ مِنَ الْعَقْلِ وَالْخَلْقِ الْحَسَنِ.

{ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ } (التين : 6)

6- إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا، فَإِنَّهُمْ لَا يُرْجُونَ إِلَى النَّارِ، بَلْ يُجَازُونَ إِحْسَانًا، وَثَوَابًا لَا يَنْقَطِعُ خَيْرُهُ وَرِفْدُهُ.

{ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ } (التين : 7)

7- فما الذي يجعلك مُكذِّبًا بالمعادِ والجزاءِ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، بَعْدَمَا عَرَفْتَ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ؟ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ الْخَلْقِ مَرَّةً أُخْرَى.

{ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ } (التين : 8)

8- أليس الله بأعدل العادلين حين يحكم في أمر العالمين، ومن عدله أن يُقيم القيامة، ليُنصِفَ الْمَظْلُومَ مِمَّنْ ظَلَمَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؟ بَلَى.

سورة العلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَطْلَعُ هَذِهِ السُّورَةِ هُوَ أَوَّلُ مَا أُنزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

{ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } (العلق : 1)

1- اقرأ ما يُوحى إليك أيها النبي من القرآن، مُبتدئاً باسم الله، الذي خلق كلَّ شيء.

{ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ } (العلق : 2)

2- خلق الإنسان من علقة. وهي قطعة من دم غليظٍ مُتجمّد، تتعلّق بجدارِ الرَّحِمِ، بعدَ استقرارِ النطفة فيه أربعين يوماً.

{ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ } (العلق : 3)

3- اقرأ ما أُمرت به أيها النبي، وربك كثيرُ الكرم والإحسانِ إلى العباد، ومن كرمه أن علّمهم أنواعَ العلوم.

{ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ } (العلق : 4)

4- الذي علّم الخطّ والكتابةً بواسطة القلم، الذي هو أوسعُ وأعمقُ أدواتِ التّعليم أثرًا في حياة الإنسان، فيه تُحفظُ العلوم، وتُضبطُ الحقوق، وتُقيّدُ الأحكام...

{ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } (العلق : 5)

5- جعل للإنسان عقلاً، وذاكرةً، وقدرةً على التعلّم، وعلمه ما لم يعلم من الأمور، ممّا لا يبلغه علمه وعقله مهما اجتهد، وهو الذي علّم آدم الأسماء كلّها أولاً، ثم تناقلتها ذريته خلفاً بعد سلف...

{ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَعَى } (العلق : 6)

6- كَلَّا لَمَن كَفَرَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْتَجَاوِزُ حُدَّهِ، وَيَسْتَكْبِرُ فَيَكْفُرُ بِرَبِّهِ، وَيَسْتَعْرِقُ فِي حُبِّ الدُّنْيَا،

{ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى } (العلق : 7)

7- إِذَا رَأَى نَفْسَهُ غَنِيًّا، فَكَثُرَ مَالُهُ، وَزَادَتْ آثَارُ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ، وَنَسِيَ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِ.

{ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى } (العلق : 8)

8- إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمَرْجِعَ وَالْمَصِيرَ لَا إِلَىٰ غَيْرِهِ، فَيُحَاسِبُكَ عَلَىٰ مَالِكَ وَأَعْمَالِكَ.

{ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى } (العلق : 9)

9- أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَشْرِكَ (أَبَا جَهْلٍ) الَّذِي يَمْنَعُ؟

{ عَبْدًا إِذَا صَلَّى } (العلق : 10)

10- يَمْنَعُكَ مِنَ الصَّلَاةِ أَيُّهَا الرَّسُولُ وَيَقُولُ لَكَ: أَلَمْ أَهْكَ عَنْ هَذَا؟ يَقُولُ ذَلِكَ مِرَارًا.

{ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَى } (العلق : 11)

11- أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ هَذَا الْمُصَلِّي قَائِمًا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، مُهْتَدِيًا بِالْحَقِّ الْمُبِينِ؟

{ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى } (العلق : 12)

12- أَوْ أَمَرَ بِالتَّوْحِيدِ، دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْعَدْلِ، مُرَعِّبًا فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ؟

{ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى } (العلق : 13)

13- أرايت إن كان هذا المشرك الذي يَمْنَعُكَ مِنَ الصَّلَاةِ مُكذِّبًا بِالْحَقِّ، مُعْرِضًا عَنِ الْإِيمَانِ؟

{ أَمْ يَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى } (العلق : 14)

14- ألم يعلم بأن الله يسمع ما يقول، ويرى ما يفعل، وسيجزيه شرًا على ما أساء وعصى؟

{ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لَسَنَفَعًا بِالنَّاصِيَةِ } (العلق : 15)

15- كلاً له ولفعله، إذا لم ينته عن إيدائك وتكذيبك، ولم يرجع عن العناد والشقاق الذي هو فيه، لناخذن بناصيته ونسحبها بها إلى النار يوم القيامة⁽¹⁶²⁾.

{ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ } (العلق : 16)

16- صاحب هذه الناصية كثير الكذب والمعاصي.

{ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ } (العلق : 17)

17- فليدع أهل مجلسه، من أهله وعشيرته، وليستنصر بهم.

وقد قال أبو جهل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنك لتعلم ما بها نادٍ أكثر مني.

{ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ } (العلق : 18)

18- ونحن سندعو زبانية جهنم، من الملائكة الغلاظ الشداد، ليجزوه إلى النار ويعذبوه فيها.

{ كَلَّا لَا تُطْعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ } (العلق : 19)

19- كلاً لهذا المشرك الجرم، لا تطعه فيما ينهاك عن الصلاة أيها النبي، فإن الله حافظك وناصرك، وصل لله واسجد له غير مبالٍ به وبتهديده، وتقرّب بذلك إلى ربك.

(162) الناصية: مقدّم شعر الرأس. (ابن عطية).

وكانت العرب تأنف من جرّ الناصية. وفي "عين المعاني": الأخذ بالناصية عبارة عن القهر والهوان. (روح البيان).

وفي صحيح مسلمٍ قولُهُ صلى الله عليه وسلم: "أقربُ ما يكونُ العبدُ منُ ربِّه وهو ساجدٌ، فأكثرُوا الدُّعاء".

سورة القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ } (القدر : 1)

1- إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: ليلةٌ مباركة، ذاتِ قَدْرٍ وكرامة، وشرفٍ ومقامٍ عالٍ، من شهرِ رمضان.

وقد نزلَ جُملةً واحدةً من اللوحِ المحفوظِ إلى السماءِ الدُّنيا، ثم نزلَ مُفصَّلاً بحسبِ الوقائعِ في ثلاثٍ وعشرينَ سنةً على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، كما صحَّ ذلكَ عن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما.

ووردَ في صحيحِ مسلمٍ عن ليلةِ القَدْرِ قولُهُ صلى الله عليه وسلم: "التَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَإِنْ ضَعُفَ أَحَدُكُمْ أَوْ عَجَزَ، فَلَا يُغْلَبَنَّ عَلَى السَّبْعِ الْبَوَاقِي".

{ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ } (القدر : 2)

2- وما الذي تدري من عظمة هذه اللَّيْلَةِ ومكانَتِهَا وعُلُوِّهَا؟

{ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ } (القدر : 3)

3- العملُ الصَّالحُ في لَيْلَةِ الْقَدْرِ، خَيْرٌ من عملِ ألفِ شهرٍ ليسَ فيها لَيْلَةُ الْقَدْرِ.

{ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ } (القدر : 4)

4- يَكْتُرُ نُزُولَ الْمَلَائِكَةِ وَجِبْرِيلَ - ذُكِرَ لِمَكَانَتِهِ - فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، لِفَضْلِهَا وَشَرَفِهَا، وَلِكَثْرَةِ بَرَكَتِهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الرَّحْمَةِ، بِأَمْرِ رَبِّهِمْ، لِأَجْلِ كُلِّ أَمْرٍ تَعَلَّقَ بِهِ التَّقْدِيرُ وَالتَّكْرِيمُ، وَتُقْضَى فِيهَا الْأُمُورُ، وَتُقَدَّرُ الْأَجَالُ وَالْأَرْزَاقُ { فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ } [سورة الدخان: 3].

{ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ } (القدر : 5)

5- وَاللَّيْلَةُ كُلُّهَا خَيْرٌ وَنَفْعٌ وَبَرَكَةٌ، وَأَمِنْ وَسَلَامٌ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَأَمْرٍ مَخُوفٍ، حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ.

سورة البينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ } (البينة: 1)

1- لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى، وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَغَيْرِهَا، مُنْتَهِينَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ مَا يُبَيِّنُ لَهُمُ الْحَقَّ. وَهَذَا الْقُرْآنُ، الَّذِي يُبَيِّنُ لَهُمْ ضَلَالَتَهُمْ وَانْحِرَافَهُمْ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ. فَمَنْ آمَنَ فَقَدْ أَنْقَذَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَالضَّلَالَةِ.

{ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً } (البينة : 2)

2- نَبِيٌّ مُّرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقْرَأُ مَا تَتَضَمَّنُهُ الصُّحُفُ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ، الْمَنْزُوهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالزُّورِ وَالشَّكِّ، وَالكَذِبِ وَالشُّبُهَاتِ.

{ فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ } (البينة : 3)

3- فِي تِلْكَ الصُّحُفِ آيَاتٌ صَادِقَةٌ، وَأَحْكَامٌ عَادِلَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ، تَهْدِي إِلَى الْحَقِّ.

{ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ } (البينة : 4)

4- وما تفرَّق أهل الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم، إلا بعد أن أقام الله عليهم الحجج والبيّنات، ثم اختلفوا؛ بغياً بينهم، وجهلاً منهم، ولسوء نياتٍ عندهم، ولعناد، وهوى... قال المفسّرون: لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله، فلما بعث تفرّقوا في أمره واختلفوا، فأمن بعضهم وكفر آخرون.

{ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } (البينة : 5)

5- والحال أنّهم لم يؤمروا في كتبهم إلا بعبادة الله وحده، وعدم الإشراك به، وإخلاص العبادة له تعالى، مائلين من جميع العقائد والأديان الضالّة إلى دين الله الإسلام، وأن يقيموا الصلّاة المفروضة عليهم، ويحافظوا عليها في أوقاتها، ويعطوا زكاة أموالهم إلى الفقراء والمحتاجين. وما ذكّر هو الملة المستقيمة، والشريعة العادلة. أو الأمة المستقيمة المعتدلة.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ } (البينة : 6)

6- إنّ الذين كفروا من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى وغيرهم، والمشركين من عبدة الأوثان والأفلاك وغيرها، من العرب والعجم، مصيرهم نار جهنم يوم القيامة، ماكثين فيها أبداً، لا يموتون فيها، ولا يتحولون عنها، أولئك هم أسوأ الخليقة أعمالاً.

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ } (البينة : 7)

7- إنّ الذين آمنوا وأخلصوا في إيمانهم، وعملوا الأعمال الحسنة الموافقة للشريعة، أولئك هم أحسن الخليقة أعمالاً.

{ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ } (البينة : 8)

8- ثوابهم على إيمانهم وطاعتهم يوم القيامة جنات إقامة دائمة، تجري من تحت أشجارها الأنهار، خالدين فيها، لا يبعثون عنها تحولا، لما فيها من السعادة والنعيم. رضي الله عنهم، ورضوانه سبحانه أعلى ما أوتوه من النعيم. ورضوا عنه فيما منحهم من فضله العميم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وهذا الثواب الجزيل، هو لمن خشي الله في الدنيا ولم يخالف أمره.

سورة الزلزلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا } (الزلزلة : 1)

1- إذا حركت الأرض واضطربت اضطرابا عنيقا ومتكررا.

{ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا } (الزلزلة : 2)

2- وألقت ما في بطنها من الكنوز والموتى، من الأولين والآخرين.

{ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا } (الزلزلة : 3)

3- وتعجب الإنسان من أمرها وقال: ما لها تزلزلت هذا الزلزال العنيف، وقد كانت ساكنة ثابتة؟

{ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا } (الزلزلة : 4)

4- في ذلك اليوم تخبر الأرض بما عمل العاملون على ظهرها.

{ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا } (الزلزلة : 5)

5- بأنَّ الله أمرها أن تَنشَقَّ عن الموتى، وأن تُخَبِّرَ بما عَمِلَ عليها.

{ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ } (الزلزلة : 6)

6- يَوْمَئِذٍ يُخْرِجُ النَّاسَ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى مَوْقِفِ الْحِسَابِ مُتَفَرِّقِينَ، أَنْوَاعًا وَأَصْنَافًا وَفِرَقًا، لِيَحْسَبُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَيُجَازَوْا عَلَيْهَا، خَيْرًا كَانَتْ أَوْ شَرًّا.

{ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ } (الزلزلة : 7)

7- فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْلَ وَزْنِ ذَرَّةٍ مِنَ الْعَمَلِ خَيْرًا يُجْزَىٰ بِهِ خَيْرًا، وَيُضَاعَفُ اللهُ لَهُ شَاءَ.

{ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } (الزلزلة : 8)

8- وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْلَ وَزْنِ ذَرَّةٍ مِنَ الْعَمَلِ شَرًّا يُجْزَىٰ بِهِ شَرًّا.

ويَوْمَئِذٍ لَا يَحْقِرُ الْإِنْسَانُ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا، وَكُلُّ ذَلِكَ يَكُونُ بِحِسَابٍ دَقِيقٍ، فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مَا يَقُولُ وَمَا يَفْعَلُ.

وفي حديثٍ رواه أحمدُ وغيره وصحَّح، أَنَّ صَعْصَعَةَ بِنَ مُعَاوِيَةَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ }، قَالَ: حَسْبِي، لَا أَبَالِي أَنْ لَا أَسْمَعَ غَيْرَهَا!

سورة العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا } (العاديات : 1)

1- والخيلِ العَادِيَةِ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، الَّتِي تَجْرِي بِسُرْعَةٍ نَحْوَ الْعَدْوِ، وَتُخْرِجُ صَوْتَ أَنْفَاسِهَا حِينَ عَدْوِهَا.

{فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا} (العاديات : 2)

2- فالتى تَفْدَحُ النَّارَ مِنْ اصْطِكَاكِ حَوَافِرِهَا بِالْحِجَارَةِ حِينَ تَجْرِي.

{فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا} (العاديات : 3)

3- فالتى تُغِيرُ عَلَى الْعَدُوِّ بِفُرسَانِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ.

{فَأَنْزَنَ بِهِ نَفْعًا} (العاديات : 4)

4- فَأَنْزَرَتِ الْعُبَارَ بِمَكَانِ سَيْرِهَا أَوْ مُعْتَزِكِهَا وَهَيَّجَتْهُ، لِسُرْعَتِهَا وَحَرَكَاتِهَا الْقَوِيَّةِ الْمُتتَالِيَةِ.

{فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا} (العاديات : 5)

5- فَدَخَلَتْ فِي وَسْطِ جُمُوعِ الْأَعْدَاءِ غِرَّةً، فَأَوْقَعَتْ بَيْنَهُمُ الْفَوْضَى وَالْاضْطِرَابَ.

{إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} (العاديات : 6)

6- إِنَّ الْإِنْسَانَ لَجُحُودٌ لِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ، مُنْكَرٌ لِفَضْلِهِ (163)،

{وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكِ لَشَهِيدٌ} (العاديات : 7)

7- وَإِنَّهُ لَشَهِيدٌ عَلَىٰ جُحُودِهِ بِمَا يَصْنَعُ، وَبِمَا يَظْهَرُ مِنْ أَثَرِهِ عَلَيْهِ.

{وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} (العاديات : 8)

(163) قال الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله:

أي أن في طبع الإنسان الكنود لربه، أي كفران نعمته، وهذا عارض يعرض لكل إنسان على تفاوت فيه، ولا يسلم منه إلا الأنبياء وكُمَل أهل الصلاح؛ لأنه عارض ينشأ عن إثارة المرء نفسه، وهو أمر في الجبلة، لا تدفعه إلا المراقبة النفسية وتذكُّر حقِّ غيره. وبذلك قد يذهل أو ينسى حق الله، والإنسان يحس بذلك من نفسه في خطراته، ويتوانى أو يغفل عن مقاومته؛ لأنه يشتغل بإرضاء داعية نفسه. والأنفس متفاوتة في تمكن هذا الخلق منها، والعزائم متفاوتة في استطاعة مغالبتها. وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: {وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكِ لَشَهِيدٌ}. وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} (التحرير والتنوير).

8- وإِنَّهُ لَشَدِيدُ الْحَبَّةِ لِلْمَالِ.

{أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ} (العاديات : 9)

9- أَيْفَعَلُ مَا يَفْعَلُ دُونَ حِسَابٍ لِمَا يَأْتِيهِ؟ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا أُخْرِجَ مَا فِي الْقُبُورِ مِنَ الْأَمْوَاتِ؟

{وَحِصْلٌ مَّا فِي الصُّدُورِ} (العاديات : 10)

10- وَأُظْهِرَتِ الْأَسْرَارُ الْمَخْبِئَةُ فِي النَّفُوسِ، الَّتِي كَانَتْ يُضْنُ بِهَا عَنِ الْعُيُونِ؟

{إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ} (العاديات : 11)

11- إِنَّ رَبَّهُمْ عَالِمٌ بِذَوَاتِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَأَسْرَارِهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَى مَا عَمِلُوا بِمَا يَسْتَحِقُّونَ.

سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{الْقَارِعَةُ} (القارعة : 1)

1- الْقَارِعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّهَا تَفْرَعُ الْقُلُوبَ بِالْفَزَعِ وَالْهَوْلِ.

{مَا الْقَارِعَةُ} (القارعة : 2)

2- مَا هِيَ هَذِهِ الْقَارِعَةُ الَّتِي تُفْرَعُ الْقُلُوبَ وَتُرْزِلُهَا؟

{وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ} (القارعة : 3)

3- وَأَيُّ شَيْءٍ يُدْرِيكَ عَنْ شَأْنِ الْقَارِعَةِ وَأَحْوَالِهَا وَأَهْوَالِهَا؟

{يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ} (القارعة : 4)

4- في ذلك اليوم يكون الناس كالفراش المنتشر المتفرق، في ذهابهم وحيثهم، وخيرتهم واضطرابهم، من هول ذلك اليوم وشدته.

{وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعُفُوسِ} (القارعة : 5)

5- وتكون الجبال كالصوف المفرق، المتطاير أجزاءه في الجو، بعد أن كانت هذه الجبال راسخة في الأرض، شامخة في الجو.

{فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ} (القارعة : 6)

6- فأما من رجحت حسناته على سيئاته،

{فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ} (القارعة : 7)

7- فهو في حياة كريمة مرضية في الجنة.

{وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ} (القارعة : 8)

8- وأما من رجحت سيئاته على حسناته، أو لم تكن له حسنات يعتد بها،

{فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} (القارعة : 9)

9- فمأواه جهنم، يهوي فيها إلى قعرها البعيد، لا مسكن له غيرها.

{وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ} (القارعة : 10)

10- وما أدراك ما هي هذه الهاوية التي يقع فيها، وما وصفها؟

{نَارٌ حَامِيَةٌ} (القارعة : 11)

11- إِنَّهَا نَارٌ شَدِيدَةٌ الْحَرِّ، تُسَعَّرُ وَتَلْتَهَبُ، وَزَادَتْ حَرَارَتُهَا عَلَى حَرَارَةِ نَارِ الدُّنْيَا سَبْعِينَ ضِعْفًا.

سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ أَهْلَاكُمُ التَّكَاثُرُ } (التكاثر : 1)

1- شَغَلَكُمُ التَّفَاخُرُ وَالتَّنَافُسُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَحُبِّ الدُّنْيَا وَزَخَافِهَا، وَغَفَلْتُمْ عَنْ طَاعَةِ رَبِّكُمْ وَالْعَمَلِ لِآخِرَتِكُمْ.

{ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ } (التكاثر : 2)

2- حَتَّى جَاءَكُمُ الْمَوْتُ، وَانْتَقَلْتُمْ إِلَى الْمَقَابِرِ، وَصِرْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا.

{ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ } (التكاثر : 3)

3- كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ بِالتَّنَافُسِ وَالتَّكَاثُرِ بِالدُّنْيَا وَأَعْرَاضِهَا، سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَغَبَّةَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ عِنْدَمَا يُفَاجِئُكُمُ الْحِسَابُ.

{ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ } (التكاثر : 4)

4- ثُمَّ كَلَّا لِتَكَاثُرِكُمْ وَانْشِغَالِكُمْ بِالدُّنْيَا، سَوْفَ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ يَوْمَ الْبَعْثِ وَالتُّشُورِ.

{ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ } (التكاثر : 5)

5- كَلَّا، لَوْ تَعْلَمُونَ حَقَّ الْعِلْمِ مَا يَسْتَقْبِلُكُمْ مِنَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، لَمَا أَهْلَاكُمُ التَّكَاثُرُ عَلَى الدُّنْيَا عَنِ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ.

{ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ } (التكاثر : 6)

6- أُقْسِمُ أَنْكُمْ سَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ.

{ ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ } (التكاثر : 7)

7- ثُمَّ إِنَّكُمْ سَتَرَوُهَا مُشَاهِدَةً بِأَبْصَارِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. تَأْكِيدًا بِأَنَّ الرُّؤْيَا سَتَكُونُ بِالْعَيْنِ لَا بِجَازًا.

{ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ } (التكاثر : 8)

8- ثُمَّ لَتُحَاسِبُنَّ عَلَى النَّعِيمِ الَّذِي تَلَذَّذْتُمْ بِهِ، وَتَكَاثَرْتُمْ وَتَفَاخَرْتُمْ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، هَلْ قُمْتُمْ بِشُكْرِهِ، وَأَدَيْتُمْ حَقَّهُ، وَاسْتَعْتَمْتُمْ بِهِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، أَمْ أَنْكُمُ اغْتَرَبْتُمْ بِهِ وَلَمْ تَشْكُرُوا لِلْمُنْعِمِ بِهِ عَلَيْكُمْ، وَاسْتَعْتَمْتُمْ بِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ؟

وَالنَّعِيمُ يُطَلَّقُ عَلَى أَقَلِّ مَا يُتَنَعَمُ بِهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ظَاهِرًا، وَالتَّمْرُ وَالحُبُّزُ وَالمَاءُ - مَثَلًا - نِعْمٌ كَبِيرَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَالسُّؤَالُ يَكُونُ عَنْ شُكْرِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ، مِنْ الرِّزْقِ، وَالأَمْنِ، وَالصِّحَّةِ، وَالمَرْكَبِ، وَالمَلْبَسِ...

سورة العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ وَالْعَصْرِ } (العصر : 1)

1- أُقْسِمُ بِالْعَصْرِ. وَهُوَ الزَّمَانُ، الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ الْإِنْسَانُ، وَتَقَعُ فِيهِ أَعْمَالُهُ.

{ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ } (العصر : 2)

2- إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسَارَةٍ فِي عَمْرِهِ، لَانْشِغَالِهِ بِالْدُّنْيَا، وَاسْتِغْرَاقِهِ فِي مَصَالِحِهِ، وَصَرَفِ وَقْتِهِ فِي مَطَالِبِهِ وَأَهْوَاثِهِ، وَإِهْلَاكِ نَفْسِهِ بِالْمَعَاصِي،

{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} (العصر : 3)

3- إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَصَدَقُوا فِي إِيْمَانِهِمْ، وَأَدَّوْا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ الْمُوَافِقَةَ لِلدِّينِ، وَأَخْلَصُوا بِهَا لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ فِي الطَّاعَةِ، وَبِاتِّبَاعِ أَمْرِ اللَّهِ كُلِّهِ، وَتَوَاصَوْا كَذَلِكَ بِالصَّبْرِ عَلَى الشَّدَائِدِ وَالْمِصَائِبِ، وَعَلَى الْجِهَادِ وَالدَّعْوَةِ، وَعَلَى طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَعَلَى تَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ وَالْمَعَاصِي. فِهَؤُلَاءِ لَيْسُوا فِي خُسْرَانَ: الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْإِيْمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ، وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ؛ بَلْ هُمْ الْفَائِزُونَ.

سورة الهُمزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ} (الهُمزة : 1)

1- الْوَيْلُ وَالْعَذَابُ لِكُلِّ مَنْ يَعْيبُ النَّاسَ وَيَغْتَابُهُمْ، فَيَهْمِزُهُمْ بِقَوْلِهِ، أَوْ يَعْضُ مِنْهُمْ وَيَزْدَرِيهِمْ وَيَسْخَرُ مِنْهُمْ فَيَلْمِزُهُمْ بِفِعْلِهِ، بِإِشَارَةٍ مِنْ يَدِهِ أَوْ عَيْنِهِ... يُحَاكِي حَرَكَاتِهِمْ وَأَصْوَاتَهُمْ، أَوْ يُحَقِّرُ صِفَاتِهِمْ وَسِمَاتِهِمْ.

{الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ} (الهُمزة : 2)

2- الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَاسْتَلَدَّ بَعْدَهُ وَإِحْصَاءَهُ، حُبًّا لَهُ وَشَغَفًا بِهِ، فَأَلْهَاهُ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَشُكْرِ الْمُنْعِمِ عَلَيْهِ.

{يَخْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ} (الهُمزة : 3)

3- يَظُنُّ أَنَّ مَالَهُ سَيُخْلِدُهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَتَرَاهُ لَا يَمَلُّ مِنْ جَمْعِهِ، وَالتَّكَاثُرِ بِهِ، وَتَطْوِيلِ أَمَانِيَّتِهِ، وَالتَّوَسُّعِ فِي مَشَارِعِهِ.

{ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ } (الهُمَزَةُ : 4)

4- كَلَّا، لَنْ يُفْلِحَ فِي هَذَا، وَلَنْ يُخْلِدَهُ مَالُهُ، وَاللَّهُ لِيُطْرَحَنَّ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، الَّتِي يُحَطَّمُ كُلُّ مَنْ يُلْقَى فِيهَا.

{ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ } (الهُمَزَةُ : 5)

5- وَمَا يُدْرِيكَ مَا هِيَ الْحُطَمَةُ وَمَا وَصَفُهَا؟

{ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ } (الهُمَزَةُ : 6)

6- إِنَّهَا نَارُ اللَّهِ الْعَظِيمَةُ، الْمَوْقَدَةُ بِأَمْرِهِ.

{ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ } (الهُمَزَةُ : 7)

7- الَّتِي تَعْلُو فَتُحْرِقُ أَهْلَهَا حَتَّى تَبْلُغَ قُلُوبَهُمْ وَهَمَّ أَحْيَاءَ، فَيَكُونُ الْأَمُّ بِالْعَا.

{ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوْصَدَةٌ } (الهُمَزَةُ : 8)

8- وَالنَّارُ مُطَبَّقَةٌ عَلَيْهِمْ مُغْلَقَةٌ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْهَا.

{ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ } (الهُمَزَةُ : 9)

9- مَوْثُوقُونَ فِي أَعْمَدَةٍ وَأَوْتَادٍ مُطْوَلَةٍ.

سورة الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ } (الفيل : 1)

1- أَلَمْ تَرَ أَيُّهَا النَّبِيُّ كَيْفَ انتَقَمَ اللَّهُ لَبَيْتِهِ مِنْ أَصْحَابِ الْفِيلِ، الَّذِينَ قَدِمُوا مِنَ الْحَبَشَةِ وَمَعَهُمْ أَفْيَالٌ لَهْدَمِ الْكَعْبَةِ، بَيْنَهَا فِيلٌ ضَخْمٌ جِدًّا، فَأَبَادَهُمُ اللَّهُ؟
وكان ذلك من إرهابات النبوة، فقد وُلِدَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ الْعَامِ.

{ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ } (الفيل : 2)

2- أَلَمْ يَجْعَلْ مَكْرَهُمْ وَتَخْطِيطَهُمْ لِتَحْرِيبِ الْكَعْبَةِ فِي إِبْطَالِ وُضْيَاعِ، وَلَمْ يُمَكِّنْهُمْ مِنْ تَحْقِيقِ هَدْفِهِمْ؟

{ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ } (الفيل : 3)

3- وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ جَمَاعَاتٍ مُتَتَابِعَةً مِنَ الطَّيْرِ.

{ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ } (الفيل : 4)

4- تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ طِينٍ مُّتَحَجَّرٍ.

{ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ } (الفيل : 5)

5- فَأَهْلَكَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ كَوَرَقِ شَجَرٍ جَافٍ أَكَلَتْهُ الدَّوَابُّ وَمَضَعَتْهُ. أَوْ كَبَيْنٍ أَكَلَتْهُ فَرَأَتْهُ، فَيَسَّ وَتَفَرَّقَتْ أَجْزَاؤُهُ!

سورة قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ } (قريش : 1)

1- لأجل التسهيل على قريشٍ وتديير مصالحهم، والتيسير لما كانوا يألفونه ويعتادونه،

{إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ} (قريش : 2)

2- أَلْفَتْهُمْ فِي رِحْلَتَيْنِ تِجَارَتَيْنِ آمِنَتَيْنِ لَهُمْ: رِحْلَةَ الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ، وَرِحْلَةَ الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ، أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ بِهَذَا الْإِثْلَافِ، وَالسَّيْرِ آمِنِينَ فِي الرَّحْلَتَيْنِ؛ لَكُونَهُمْ حَيْرَانَ الْحَرَمِ.

{فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ} (قريش : 3)

3- فَلْيَعْبُدُوا اللَّهَ رَبَّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَلْيُوَحِّدُوهُ، وَلْيُخْلِصُوا لَهُ الطَّاعَةَ،

{الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ} (قريش : 4)

4- الَّذِي وَفَّقَهُمْ لِلْإِثْلَافِ فِي هَاتَيْنِ الرَّحْلَتَيْنِ، وَأَطْعَمَهُمْ بِسَبَبِهِمَا مِنْ جُوعٍ شَدِيدٍ كَانُوا فِيهِ، وَبَلَادُهُمْ جِبَالٌ وَأَرْضٌ قَفْرَةٌ. وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِبِنِعْمَةِ الْأَمَانِ فِيهِمَا، فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُمْ أَحَدٌ فِي أَسْفَارِهِمُ الطَّوِيلَةَ، وَلَا يُغَيِّرُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ فِي بِلَدِهِمْ، وَهُمْ يَرَوْنَ النَّاسَ يُتَخَطَّفُونَ مِنْ حَوْلِهِمْ!

سورة الماعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ} (الماعون : 1)

1- أَرَأَيْتَ أَيُّهَا النَّبِيُّ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَبِالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ؟

{فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ} (الماعون : 2)

2- فَذَلِكَ الْمَكْذُوبُ الْكَافِرُ، هُوَ الَّذِي يَرْجُرُ الْيَتِيمَ الصَّغِيرَ وَلَا يُعْطِيهِ حَقَّهُ.

{وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ} (الماعون : 3)

3- ولا يُطعمُ المسكينَ الذي لا يجدُ شيئًا يأكله، ولا يأمرُ أهلهُ ببذلِ الطعامِ له، لأنَّهُ لا يؤمنُ بالجزاء، ولا يعتقِدُ بأنَّ له ثوابًا على خَيْرٍ يُقدِّمه.

{ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ } (الماعون : 4)

4- فويلٌ وهلاكٌ للذينَ يُصلُّونَ،

{ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ } (الماعون : 5)

5- وهُم غافِلونَ عن صَلَاتِهِمْ، غَيْرُ مُبالينَ بها، فتنفِوهُم بالكليَّة، أو يُصَلُّونَ وَيَتَرَكُون، أو يُخْرِجُونَهَا عن وَقْتِهَا، أو لا يُصَلُّونَهَا كما صَلَّاهَا رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأركانِهَا وشُرُوطِهَا.

{ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ } (الماعون : 6)

6- الذينَ هُم يُرَاؤُونَ النَّاسَ، فَيَعْمَلُونَ حيثُ يَرَوْنَهُمْ، بِقَصْدِ الشَّنَاءِ عَلَيْهِم، وليسَ للإِخْلَاصِ بها لله.

وحَقِيقَةُ الرِّيَاءِ طَلْبُ ما في الدُّنْيَا بِالْعِبَادَةِ، وأصلُهُ طَلْبُ المِنْزِلَةِ في قُلُوبِ النَّاسِ، كما قالَ القُرْطُبِيُّ.

{ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ } (الماعون : 7)

7- وَيَمْنَعُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمَ لِلْفُقَرَاءِ، وَأَنْواعَ الخَيْرِ والبرِّ والمعروفِ بالنَّاسِ، وما يَكُونُ بينَ الجيرانِ مِنْ اسْتِعَارَةِ أمتِعَةِ البَيْتِ ونَحْوِهَا.

سورة الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ } (الكوثر : 1)

1- إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ . وَهَرُ الْكَوْثَرِ فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ .
وفي الحديثِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِيبَابُ الدَّرِّ الْمَجْوُوفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيْلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ. فَإِذَا طَيْبُهُ أَوْ طَيْبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرٌ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ.
والمِسْكُ الأَذْفَرُ هُوَ الْجَيِّدُ إِلَى الْغَايَةِ.

{ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ } (الكوثر : 2)

2- وَكَمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْكَ بِالْخَيْرِ الْكَثِيرِ، وَأَعْطَيْنَاكَ مَا لَمْ نُعْطِهِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، مِثْلَ هَرِ الْكَوْثَرِ، فَادِّ حَقَّ الشُّكْرِ لِرَبِّكَ، وَدَاوِمِ عَلَى الصَّلَاةِ لَهُ، فَهِيَ جَامِعَةٌ لِأَقْسَامِ الشُّكْرِ، وَانْحَرِ الْبَدْنَ - الَّتِي هِيَ خِيَارُ أَمْوَالِ الْعَرَبِ - عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَتَصَدَّقْ بِهَا عَلَى الْمِحْتَاجِينَ.

{ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ } (الكوثر : 3)

3- إِنَّ مَبْغِضَكَ وَمُنْتَقِصَكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ، هُوَ الْمِنْقَطِعُ ذِكْرُهُ وَخَيْرُهُ. أَمَّا أَنْتَ، فَيُحْلَدُ ذِكْرُكَ، وَيَكْتُرُ أَنْصَارُكَ، وَتَبْقَى آثَارُ فَضْلِكَ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

سورة الكافرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } (الكافرون : 1)

1- قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ لَكَفَّارٍ قُرَيْشٍ قَطْعًا لِأَطْمَاعِهِمْ - وَيَشْمَلُ كُلَّ كَافِرٍ - : أَيُّهَا الْكَافِرُونَ،

{ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } (الكافرون : 2)

2- لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ، فَمَعْبُودِي غَيْرُ مَعْبُودِكُمْ.

{وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} (الكافرون : 3)

3- ولا أنتم عابِدونَ الله، الذي أعبُدُه ولا أشركُ به، فمعبُودُكم غيرُ معبودي.

{وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ} (الكافرون : 4)

4- ولا أنا عابِدٌ مثلَ عبادتِكُم ولا أقتدي بها، فهي كُفْرٌ وشرك، إنما أعبُدُ اللهَ تعالى على الوجهِ الذي يأمرُني به ويرضاه.

{وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} (الكافرون : 5)

5- ولا أنتم عابِدونَ مثلَ عبادتي ومُقتدونَ بي، فأنتم مُقلِّدونَ تعبُدونَ بأهوائكم، ولا تتبعون ما يأمرُ اللهُ به.

{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِي} (الكافرون : 6)

6- لكم دينُكم الكُفر، وليَ ديني الإسلام.

وليسَ هذا إقرارًا لهم على الكُفر، ولكن بيانٌ بأنَّ كلاً باقٍ على دينه، لا يتجاوزُهُ إلى الآخرِ ما دامَ راضيًا به وعاملاً له ومُصرًّا عليه. فتكونُ الآيةُ مُحكمةً غيرَ منسوخة. ومنَ قالَ إنَّ معناها: إذا لم تقبلوا مِنِّي ولم تتبعوني فدعوني وشأني ولا تدعوني إلى الشرك، قالَ إنها منسوخةٌ بآيةِ السيف.

سورة النصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} (النصر : 1)

1- إذا جاءكَ عونُ الله وتأييدهُ أيُّها الرسول، وأظهركَ على عدوك، وتمَّ فتحُ مكَّة المكرَّمة،

{وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا} (النصر : 2)

2- ورأيت الناس يدخلون في دين الإسلام زمراً وأرسالاً، القبيلة بأسرها، والقوم بأجمعهم، من غير قتال...

وكانت قبائل وأحياء العرب تنتظر فتح مكة لإعلان إسلامها، ويقولون: إذا ظهر محمد (صلى الله عليه وسلم) على قومه فهو نبي. فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجا، ولم تمض سنتان حتى اجتمعت جزيرَةُ العرب على الإيمان والإسلام.

{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} (النصر : 3)

3- فنزه الله، حامداً له مثنياً عليه، على هذه النعمة العظيمة، واطلب منه المغفرة لذنوبك، إنه كثير قبول التوبة من عباده التائبين.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ركع تأول هذه الآية وقال: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي"، كما في صحيح البخاري وغيره.

وسبب الحث على الاستغفار هو قرب حضور أجل الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن نعمة الله على عبده أن يوفقهُ للتوبة النصوح والاستغفار قبل الموت، ليلقى ربه تائباً مغفوراً له.

وقد أمر عليه الصلاة والسلام بالاستغفار بعد قيامه بتبليغ الرسالة والجهاد في سبيله، ودخول الناس في دين الله أفواجا، والتوبة مشروعة عقب الأعمال الصالحة؛ طلباً للإخلاص فيها، ورغبة في قبولها، ولزيادة المرء بها فضلاً ودرجة، ولئلا يعتز بعمله، والمرء مُقَصِّرٌ في عبادة ربه مهتما اجتهد، وقد يُحسن في جانبٍ دون آخر، والمسلم يستغفر الله بعد صلاته وهي طاعة، والملائكة تقول لربها: "سبحانك، ما عبدناك حقَّ عبادتك"، كما رواه الحاكم وصححه.

سورة المسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ} (المسد : 1)

1- خَابَتْ وَخَسِرَتْ يَدَا أَبِي هَبٍ. وَالْيَدَانِ كُنَايَةٌ عَنِ الذَّاتِ.
وقَدْ تَحَقَّقَتْ خَسَارَتُهُ وَهَلَاكُهُ. وَهُوَ عَمُّ الرُّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ شَدِيدَ الْمُعَادَاةِ لَهُ
وَلِدَعْوَةَ الْإِسْلَامِ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَادَى قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا، فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي نَذِيرٌ
لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو هَبٍ: تُبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ
السُّورَةُ.

{ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ } (المسد : 2)

2- لا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ وَلَا أَوْلَادُهُ شَيْئًا، وَلَا يَدْفَعُونَ عَنْهُ عَذَابَ اللَّهِ إِذَا حَلَّ بِهِ.

{ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ } (المسد : 3)

3- سَيَدْخُلُ نَارَ جَهَنَّمَ ذَاتَ اللَّهَبِ وَالشَّرَرِ، وَيُقَاسِي حَرَّهَا وَعَذَابَهَا.

{ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ } (المسد : 4)

4- وَامْرَأَتُهُ سَتَصَلَىٰ مَعَهُ النَّارَ. وَقَدْ كَانَتْ عَوْنًا لِرَوْحِهَا فِي إِيْدَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
ذُكِرَ أَنَّهُمَا كَانَتْ تَنْشُرُ الشُّوكَ فِي طَرِيقِهِ!

{ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ } (المسد : 5)

5- فِي عُنُقِهَا حَبْلٌ مِّن لِّيفٍ مَّفْتُولٍ تُشَدُّ بِهِ فِي النَّارِ، وَتُعَذَّبُ بِهِ.

سورة الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } (الإخلاص : 1)

1- قُلْ: هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، لَا ثَانِيَ لَهُ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ، وَحَدَهُ الْكَامِلُ فِي صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

{اللَّهُ الصَّمَدُ} (الإخلاص : 2)

2- الله الذي يُقصدُ في الحوائجِ والرغائبِ، الكلُّ محتاجٌ إليه وهو غيرُ محتاجٍ إلى أحدٍ، ولا يُقضى أمرٌ إلا بإذنه.

{لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} (الإخلاص : 3)

3- لم يَتولَّدْ منه شيءٌ، فليسَ له ولدٌ. ولم يَتولَّدْ هو عن شيءٍ، فلا أبَ له ولا أمٌ، فهو ليسَ بوالدٍ ولا مولودٍ. سبحانه، فهو موجودٌ قبلَ وجودِ الأشياءِ.

{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} (الإخلاص : 4)

4- ولم يوجدَ له مُماثلٌ أو مُكافئٌ في الوجودِ كُلِّه، ولم يُشاكله أحدٌ، فلا شبيهةَ له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

* * *

وفضائلُ هذه السُّورةِ الكريمةِ كثيرةٌ، منها قولُه صلى الله عليه وسلم: "أعجزُ أحدكم أن يقرأَ في ليلةٍ ثلثَ القرآنِ؟" قالوا: وكيف يقرأُ ثلثَ القرآنِ؟ قال: "قل هو الله أحدٌ تعدلُ ثلثَ القرآنِ". رواه مسلمٌ وغيره.

سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} (الفلق : 1)

1- قُلْ: أَلْتَجِيءُ وَأَعْتَصِمُ بِاللَّهِ رَبِّ الصُّبْحِ، أَوْ هُوَ كُلُّ مَا يَفْلُقُهُ اللَّهُ، كَفَلَقِ الْأَرْضَ عَنِ النَّبَاتِ، وَالسَّحَابِ عَنِ الْأَمْطَارِ، وَالْأَرْحَامِ عَنِ الْأَوْلَادِ...

{ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ } (الفلق : 2)

2- مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ خَلَقَهُ اللَّهُ.

{ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ } (الفلق : 3)

3- وَمِنْ شَرِّ الْقَمَرِ إِذَا دَخَلَ فِي الْخُسُوفِ.

قالت عائشة رضي الله عنها: نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى القمر فقال: "يا عائشة، استعيزي بالله من شر هذا، فإن هذا الغاسق إذا وقب". رواه الترمذي والحاكم وأحمد بإسناد صحيح.

ويورد المفسرون معنى الآية بأنه: الليل إذا أظلم.

والظلام ينتشر عند الخسوف أيضاً، وخاصّةً عند اكتمال دُخوله إلى منطقة ظل الأرض، حيث يخسف كامل قرص القمر.

{ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ } (الفلق : 4)

4- وَمِنْ شَرِّ السَّوَاحِرِ اللَّوَاتِي يَعْقِدْنَ الْعُقَدَ فِي الْخَيْوِطِ وَيَنْفُخْنَ فِيهَا، لِيَضْرُرْنَ النَّاسَ بِسِحْرِهِنَّ.

{ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } (الفلق : 5)

5- وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا أَظْهَرَ مَا فِي نَفْسِهِ مِنَ الْحَسَدِ، وَأَحَبَّ زَوَالَ النِّعْمَةِ عَنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَرْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ.

* * *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عتبة بن عامر، إنك لن تقرأ سورة أحب إلى الله ولا أبلغ عنده من أن تقرأ {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}، فإن استطعت أن لا تفوتك في صلاة فافعل". رواه ابن حبان في صحيحه وأحمد والحاكم بإسناد صحيح، واللفظ للأول.

سورة الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} (الناس : 1)

1- قُلْ: أَلْتَجِيءُ وَأَعْتَصِمُ بِرَبِّ النَّاسِ: خالقهم ورازقهم والمنعم عليهم، ومُدبِّر شؤونهم، ومُحييهم ومميتهم.

{مَلِكِ النَّاسِ} (الناس : 2)

2- مَلِكِ النَّاسِ وحاكمهم والمتصرف فيهم.

{إِلَهِ النَّاسِ} (الناس : 3)

3- إلههم ومعبودهم الحق.

{مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ} (الناس : 4)

4- مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَوَسْوَاسَتِهِ، الذي هو أصلُ الشرور كلها، الذي يَخْتَفِي وَيَتَأَخَّرُ إِذَا ذُكِرَ اللهُ.

{الَّذِي يُوسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ} (الناس : 5)

5- الذي يَنْتَظِرُ غَفْلَةَ الْإِنْسَانِ وَسَهْوَهُ، فَإِذَا غَفَلَ وَسَوَسَ فِي صَدْرِهِ خُفْيَةً، وَأَلْقَى فِي نَفْسِهِ الْهَوَاجِسَ وَالْأَوْهَامَ، وَالخَوَاطِرَ السَّيِّئَةَ، وَزَيَّنَ لَهُ الْمَعْصِيَةَ، وَحَسَّنَ لَهُ الشَّرَّ وَأَرَاهُ إِيَّاهُ فِي صُورَةِ حَسَنَةٍ، وَتَبَطَّهَ عَنْ فِعْلِ الْخَيْرِ.

{ مِنْ الْجَنَّةِ وَ النَّاسِ } (الناس : 6)

6- هذا الموسوسُ هُوَ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، فَقَدْ يَكُونُ الشَّيْطَانُ إِنْسِيًّا أَيْضًا، مِثْلَ صَدِيقِ الشُّوءِ، وَالْبِطَانَةِ السَّيِّئَةِ، وَالكَاهِنِ، وَالْمَيْجَمِ، وَالنَّمَامِ، وَبَائِعِ الشَّهَوَاتِ، وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَنْصَبُونَ أَحَابِيلَ الشَّرِّ وَيَدْخُلُونَ الْقُلُوبَ مِنْ مَنَافِذِهَا الْخَفِيَّةِ.

* * *

وللمعمّودات فضائل كثيرة، وهي السُّورُ الثَّلَاثُ الْأَخِيرَةُ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَدْ صَحَّ فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّهَا تُقْرَأُ دُبُرَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ، وَتُقْرَأُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، وَهِيَ رُفِيَّةٌ شَرْعِيَّةٌ يُسْتَشْفَى بِهِنَّ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، أَلَا أَعْلَمُكَ سُورًا مَا أُنزِلَتْ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهُنَّ، لَا يَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ لَيْلَةٌ إِلَّا قَرَأْتَهُنَّ فِيهَا: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} ". قَالَ عُقْبَةَ: فَمَا أَتَتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ إِلَّا قَرَأْتَهُنَّ فِيهَا، وَحَقَّقَ لِي أَنْ لَا أَدْعُهُنَّ وَقَدْ أَمَرَنِي بِهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

* * *

تَمَّ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

بدأت به صباح يوم الجمعة، الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول، من سنة 1428 هـ،
وانتهى تصنيفاً وصفاً ومراجعةً عصر يوم الأربعاء، الثالث والعشرين من شهر الله المحرم، من
سنة 1430 هـ.

ثم راجعته كاملاً في شهر القرآن من عام 1431 هـ.

والمراجعة الأخيرة قبل طبعه في شهر رمضان وجزء من شوال من عام 1433 هـ.

ومراجعة بعدها، في زيادة تصحيح وتنقيح واستدراك وهوامش، يوم العاشر من شهر الله
المحرم، من عام 1440 هـ.

ومراجعات متفرقة حتى نهاية شهر رمضان من عام 1441 هـ، للطبعة الثانية إن شاء الله.
والحمد لله على ما أنعم ويسر، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه
أجمعين.

محمد خير رمضان يوسف

10 محرم 1440 هـ

ثم أواخر شهر رمضان 1441 هـ

الفهرس

- 4.....مقدمة الطبعة الأولى.
- 8.....مقدمة النشرة الثانية.

الجزء الأول

- 10.....سورة الفاتحة.
- 13.....سورة البقرة (1 - 141).

الجزء الثاني

- 57.....سورة البقرة (142 - 252).

الجزء الثالث

- 104.....سورة البقرة (253 - 286).
- 125.....سورة آل عمران (1 - 91).

الجزء الرابع

- 156.....سورة آل عمران (93 - 200).
- 193.....سورة النساء (1 - 23).

الجزء الخامس

202 سورة النساء (24 - 147)

الجزء السادس

249 سورة النساء (148 - 176)

260 سورة المائدة (1 - 81)

الجزء السابع

293 سورة المائدة (82 - 120)

310 سورة الأنعام (1-110)

الجزء الثامن

348 سورة الأنعام (111 - 165)

369 سورة الأعراف (1 - 87)

الجزء التاسع

393 سورة الأعراف (88 - 206)

427 سورة الأنفال (1 - 40)

الجزء العاشر

438 سورة الأنفال (41-75)

451 سورة التوبة (1-92)

الجزء الحادي عشر

- 483 سورة التوبة (93 - 129)
- 496 سورة يونس
- 529 سورة هود (1 - 5)

الجزء الثاني عشر

- 531 سورة هود (6 - 123)
- 565 سورة يوسف (1 - 52)

الجزء الثالث عشر

- 580 سورة يوسف (53 - 111)
- 597 سورة الرعد
- 615 سورة إبراهيم

الجزء الرابع عشر

- 632 سورة الحجر
- 652 سورة النحل

الجزء الخامس عشر

- 688 سورة الإسراء

720 سورة الكهف (1 - 74)

الجزء السادس عشر

739 سورة الكهف (75 - 110)

749 سورة مريم

768 سورة طه

الجزء السابع عشر

796 سورة الأنبياء

821 سورة الحجّ

الجزء الثامن عشر

844 سورة المؤمنون

867 سورة النور

887 سورة الفرقان (1 - 20)

الجزء التاسع عشر

893 سورة الفرقان (21 - 77)

906 سورة الشعراء

942 سورة النمل (1-55)

الجزء العشرون

- 955 سورة النمل (56 - 93)
- 964 سورة القصص
- 987 سورة العنكبوت (1 - 45)

الجزء الحادي والعشرون

- 999 سورة العنكبوت (46 - 69)
- 1006 سورة الروم
- 1021 سورة لقمان
- 1030 سورة السجدة
- 1038 سورة الأحزاب (1 - 30)

الجزء الثاني والعشرون

- 1047 سورة الأحزاب (31 - 73)
- 1061 سورة سبأ
- 1075 سورة فاطر
- 1088 سورة يس (1 - 27)

الجزء الثالث والعشرون

- 1093 سورة يس (28 - 83)
- 1104 سورة الصافات

- 1131 سورة ص
1148 سورة الزمر (1 - 31)

الجزء الرابع والعشرون

- 1157 سورة الزمر (32 - 75)
1168 سورة غافر
1188 سورة فصلت (1 - 46)

الجزء الخامس والعشرون

- 1200 سورة فصلت (47 - 54)
1203 سورة الشورى
1217 سورة الزخرف
1234 سورة الدخان
1244 سورة الجاثية

الجزء السادس والعشرون

- 1253 سورة الأحقاف
1263 سورة محمد
1273 سورة الفتح
1283 سورة الحجرات
1288 سورة ق

1297 سورة الذاريات (1 - 30)

الجزء السابع والعشرون

1303 سورة الذاريات (31 - 60)

1308 سورة الطور

1316 سورة النجم

1326 سورة القمر

1335 سورة الرحمن

1349 سورة الواقعة

1364 سورة الحديد

الجزء الثامن والعشرون

1373 سورة المجادلة

1381 سورة الحشر

1389 سورة الممتحنة

1395 سورة الصف

1399 سورة الجمعة

1403 سورة المنافقون

1406 سورة التغابن

1411 سورة الطلاق

1415 سورة التحريم

الجزء التاسع والعشرون

1420	سورة الملك
1427	سورة القلم
1436	سورة الحاقة
1444	سورة المعارج
1450	سورة نوح
1455	سورة الجن
1460	سورة المزمل
1464	سورة المدثر
1473	سورة القيامة
1478	سورة الإنسان
1483	سورة المرسلات

الجزء الثلاثون

1491	سورة النبأ
1497	سورة النازعات
1503	سورة عبس
1509	سورة التكويد
1514	سورة الانفطار
1517	سورة المطففين

1522	سورة الانشقاق
1526	سورة البروج
1530	سورة الطارق
1533	سورة الأعلى
1536	سورة الغاشية
1540	سورة الفجر
1545	سورة البلد
1549	سورة الشمس
1551	سورة الليل
1554	سورة الضحى
1556	سورة الشرح
1557	سورة التين
1559	سورة العلق
1562	سورة القدر
1563	سورة البيّنة
1565	سورة الزلزلة
1566	سورة العاديات
1568	سورة القارعة
1570	سورة التكاثر
1571	سورة العصر
1572	سورة الهُمزة

- 1573 سورة الفيل
- 1574 سورة قريش
- 1575 سورة الماعون
- 1576 سورة الكوثر
- 1577 سورة الكافرون
- 1578 سورة النصر
- 1579 سورة المسد
- 1580 سورة الإخلاص
- 1581 سورة الفلق
- 1583 سورة الناس